

آفاق التسعينات

يناير ١٩٩٠ ● الثمن ٧٥ قرشا

١٩٩٠ سنة بعد رحلة السيد المسيح

راس السنة اختراع مصرى

مسابقة القصة القصيرة

منذ اشهر اعلن الهلال عن مسابقة فى القصة القصيرة .

وقد تولى التحكيم كل من الدكتور شكرى عياد (رئيسا) امين العيوطى ، وسليمان فياض (عضوان)

وقد علق الدكتور شكرى عياد حول المسابقة بقوله : القصص التى رايتها ، وقد رشحنا العديد منها للنشر ، فيها مواهب تستحق التشجيع ، ويستحق التنويه بها لكننى انصح هؤلاء الشباب ، حتى الذين لم يفوزوا ان طريق الفن طويل وصعب . ولايحتاج الى موهبة فقط ، بل يحتاج الى الصبر » .

ويرى الدكتور امين العيوطى أن وصول عدد المشتركين فى مسابقة للقصة ، يدل على أن الفن القصصى الذى ينظر اليه عادة على انه يحتاج الى حنكة وخبرة ، قد استأثر بوجدان شبابنا . ومما يلفت النظر لهذه المجموعة من القصص . انها لاتطرح هموم الشباب فقط . بل ان الكثير منها يحمل بصمات هموم مجتمعنا .

ويقول الاديب سليمان فياض : التحكيم هو فى النهاية مجرد رأى نقدى ، يختلف فيه النقاد ، والمحكمون مثلما يختلف القراء ، لكن امرا واحدا سيظل يؤرقنى ، فلم أعثر بين القصص الفائزة ، او المرشحة للنشر ، على قصة تكشف عن مولد كاتب كبير بين الشباب ، والشابات ومن يدرى فربما كانت الموهبة الشابة لم تكشف عن مداها بعد .

اقرا اسماء الفائزين فى صفحتى ١٠٢ ، ١٠٣

السنة السابعة والتسعون • يناير ١٩٩٠ • جمادى الثانى ١٤١٠ هـ

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجى زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

آفاق التسعينات

فكر وثقافة

فى هذا العدد



الغلاف تصميم الفنان
محمد ابو طالب

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربي والافريقي والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار موضحة بعاليه عند الطلب

دار الهلال

شارع محمد عز العرب - بريد السرسي (١٥٢١١) القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط - مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١
رقم التلكس 92703 HILAL U.N



لبنان ٧٠٠ ليرة ، الاردن ٦٠٠ فلس ، الكويت ٥٠٠ فلس ، العراق ٢٠٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريالات ، جمهورية اليمن الديمقراطية ١٢٥ سنتا ، البحرين ٨٠٠ فلس ، الدوحة ٧ ريالات ، دبى ٧ دراهم ، أبو ظبى ٧ دراهم ، مسقط ٧٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة والضفة ٧٥ سنتا ، داكار ٦٠٠ فرنك ، لندن ١٢٥ بنسا ، إيطاليا ٢٥٠٠ ليرة ، نيويورك ٤٠٠ سنت ، الجمهورية العربية اليمنية ٨ ريالات ، كندا ٥ دولارات ، لوس انجلوس ٤٠٠ سنت



التسعينات : الفصل الأخير على مسرح القرن العشرين

ماذا يمكن أن نرى حين نفتح عيوننا على آفاق العقد الأخير من القرن العشرين ؟! .

إن عقد التسعينات يحمل أخطر التحويلات والتبديلات التى لم يكن يتصورها أحد ، فقد انتهت الثمانينات نهاية عاصفة أطاحت بالانظمة الاشتراكية فى أوربا ، وأرغمت أحزابها العتيدة على تغيير أسمائها ، ونبذ مبادئها وأهدافها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، والتخلى عن مثلها العليا ، والرضا بدور الأقلية المقودة بعد دور الأغلبية القائدة ! ..

ومنذ عشرين عاما فقط ، وقف «ميكويان» الذى كان رئيسا للاتحاد السوفييتى يقول : «سيكون القرن العشرون عصر انتصار الاشتراكية على الرأسمالية» .

أما خروشوف زعيم الاتحاد السوفييتى الأسبق فقد قال فى المؤتمر الحادى والعشرين للحزب سنة ١٩٥٩ : «ليس فى العالم الآن أية قوة تستطيع أن تعيد النظام الرأسمالى فى الاتحاد السوفييتى ، وأن خطر إعادة الرأسمالية لم يعد واردا .. وهذا يعنى أن الاشتراكية قد انتصرت تماما .. ونهائيا» .

ولكن لم تنقض إلا ثلاثون عاما فقط بين سنة ١٩٥٩ وسنة ١٩٨٩ حتى شاهد العالم كله مايمكن أن يكون بداية عودة الرأسمالية إلى الاتحاد السوفييتى وحلفائه فى شرق أوربا .

وإذا كان هذا كله قد حدث فى السنة الأخيرة وحدها من عقد الثمانينات ، فإن عقد التسعينات ـ قياسا على ذلك ـ ربما شهد التصفية التامة للأنظمة الاشتراكية فى أوربا والعالم كله ، بما فيه الصين وكوبا وألبانيا ..

عزيزى القارىء

سوف يؤدى ذلك ـ إذا حدث طبقا للسيناريو الذى يتصوره الكثيرون ـ إلى تغير شكل الاتحاد السوفييتى كدولة ذات قوميات متعددة ، لأن أجزاء هذه الدولة إنما تترابط بمبادىء «الأممية البروليتارية» أو «الأممية الأشتراكية» .. ولاشك أن بقاء الأممية هو الأساس لارتباط الاقطار الأوربية والآسيوية بموسكو ، فلا تتباعد هذه الأقطار ولاتظهر مكانها فى الساحة العالمية دولة مثل أوكرانيا فى أوربا .. ودولة آسيوية بترولية مثل أذربيجان «السوفييتية حاليا» وعاصمتها باكو ، مدينة البترول الشهيرة فى العالم الآن .

ومن المتوقع أن تتوحد أوربا ثم تتوحد المانيا الشرقية والغربية ، وقد تعود المانيا «العظمى» الموحدة إلى المطالبة بأراضيها التى ضمت إلى بولندا بعد الحرب العالمية الثانية .

وكذلك أراضيها التى ضمت للاتحاد السوفييتى وتشيكوسلوفاكيا ، وربما نشبت نزاعات مسلحة بسبب هذه الأراضى وقد تستطيع أوربا الموحدة بعد سنة ١٩٩٢ أن تدرأ هذه النزاعات وتوفق بين سكان البيت الأوربى شرقا وغربا ، خصوصا إذا وضع الأوربيون والأمريكيون نهاية للحرب الباردة ، وأقاموا أساسا راسخا للديمقراطية تحيا عليه شعوب أوربا ..

ومن البديهى أن تغير النظم الاشتراكية سيغير وجه العالم سياسيا واقتصاديا وفكريا ، وسيؤثر أعمق الأثر حتى فى فنون السينما والمسرح والتليفزيون ، فضلا عن الفلسفة والأدب ، ولايدرى أحد أيكون هذا التأثير سيئا أم طيبا ، ولكن الواضح أن سياسة المشتركين فى الحرب الباردة وهم الشركاء الأمريكان والأوربيون الغربيون ، والروس ستتغير .. فكيف يؤثر تغير هذه السياسة فى مصير العالم الثالث ، وبخاصة العالم الإسلامى الذى يشهد الآن «صحوة» لايدرى أحد إلى أين منتهاها فى عالم الأقوياء المنتصرين ؟! ..

وماذا يكون مصير الأنظمة العربية ، والديمقراطية العربية التى مازالت حلما .. ومن الذى يضع يده على بترول العرب ، ومياه الأنهار العربية فى تقلبات التسعينات ؟ .. وماذا عن علاقات العرب باسرائيل وإيران وتركيا وأوربا وأفريقيا ؟!

تلك هى الأمور الرئيسية التى تمس المصير العربى ، حياة أو موتا ، دعك من مصير الأدب العربى والفن العربى والثقافة العربية واللغة العربية .. فهل سيصبح العرب فى التسعينات أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام ؟! ..

إن العالم ـ ومعه أمتنا العربية ـ يدخل من أبواب التسعينات متوجسا ويده على قلبه خوفا وطمعا ، ولكن العالم قد اتخذ الأهبة لما تأتى به الأيام .. أما أمتنا العربية ، فهل تدخل التسعينات دون أن تفعل شيئا إلا انتظار ماتأتى به الأقدار ؟ !

عزيزى القارىء

بقى أن نحدثك عن هدية «الهلال» إلى قرائه وإلى الأدباء الشبان فى مطلع التسعينات ، فها نحن أولاء نعلن نتيجة مسابقة القصة القصيرة التى اشترك فيها مئات من الأدباء الشبان ، واختارت لجنة التحكيم ثلاث قصص فازت بالجوائز المالية المقررة .. وننشر فى هذا العدد القصة الفائزة بالجائزة الأولى ، ثم ننشر القصة الثانية والثالثة فى العددين القادمين إن شاء الله .

عزيزى القارىء

دعنا نخاطب التسعينات بهذا النداء .

يا أيتها التسعينات ، كونى رحيمة بنا ، فإننا لاندخلك من باب واحد ، بل من أبواب متفرقة ، عسى أن نجد الخير وراء باب من هذه الأبواب ! ..

أما الدعاء ، فإلى الله وحده نرفعه ، إنه سميع قريب مجيب الدعاء ! ..

«المحرر»



الاحتفال بالعيد في الدولة القديمة



اخترعته مصر

بقلم : د. سيد كريم

في مقدمة الاعياد التي عرفتها البشرية واجمعت الشعوب على الاحتفال بها ، عيد رأس السنة ، وتؤكد البرديات ان هذا العيد اخترعته مصر .

وتحتفل مصر بعيد رأس السنة منذ عهد الملك "اوسركاف" أول ملوك الاسرة الخامسة منذ ٧٥٤٦ سنة ... أى قبل ميلاد السيد المسيح بحوالي خمسة آلاف سنة ونصف واعتبرته عيدا دينيا وقوميا ..

والاحتفال بعيد رأس السنة في مصر هو في الحقيقة احتفال بأول تقويم متكامل عرفته البشرية وهو التقويم المصرى القديم « التقويم الشمسى » المعمول به في العالم اجمع منذ ذلك التاريخ .

الاحتفال بالرؤيا ظهور النجم سبرت الذي يعلن بداية العام الجديد.

● عيد رأس السنة اخترعته مصر ●

ويبدأ اكتشاف المصريين لهذا التقويم عندما لاحظ كهنة معبد الشمس ان فيضان الخير يأتى كل عام مع مطلع نجم ثابت معين يشرق بوضوح فى سماء معبد (اون) (معبد مرصد الشمس) فى نفس اللحظة التى تشرق فيها الشمس وهو نجم "سبدت" (الشعرى اليمانية) وهو اول مجموعة من النجوم المعروفة باسم الكلب الأكبر فى علم الفلك الحديث - وهو الاسم الذى اطلقه كهنة "معبد اون" عند رصدهم للنجم "سبدت" فوصفوه بقولهم ان الاله عندما خلق الارض وكورها على شكل البيضة "رمز الخلق" ارسل النجم الشعرى سبدت او الكلب الكبير ليحرسها فى الفضاء ويشرق فى سمائها مع شروق الشمس فى كل دورة من دوراتها فى فلك الاله رع

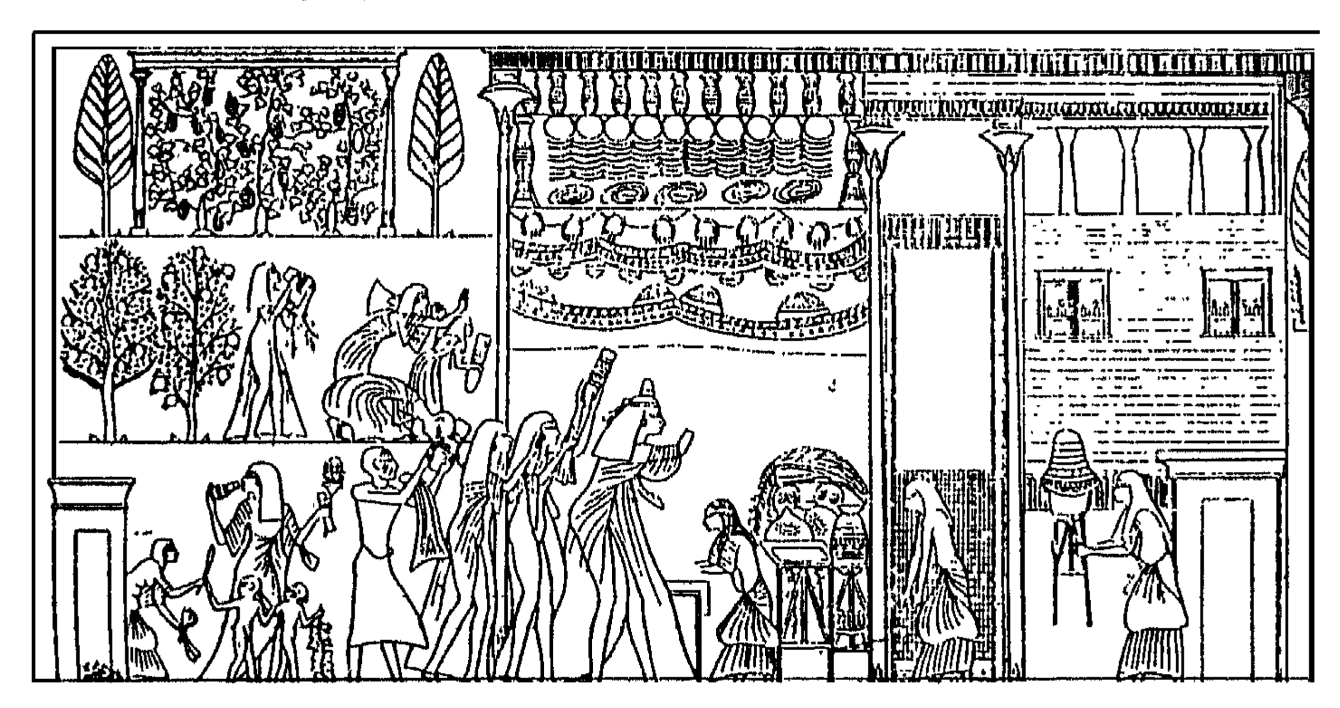
وقد ورد ذكر نجم الشعرى ودورة الفلك فى اكثر من آية فى قوله تعالى : « وانه هو رب الشعرى » .. « وهو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » .

وبمراقبة كهنة معبد الشمس ذلك النجم .

وكما ورد فى برديات هرمس الخاصة برياضيات الفلك توصلوا الى تحديد طول دورته الفلكية أو الدورة الشمسية بدقة متناهية . حددوا طولها أو طول السنة الشمسية ٣٦٥ يوما وخمس ساعات و٤٩ دقيقة و٤٦ ثانية اى بفارق يوم كل ١٢٨ سنة .

كانت تلك الدقة فى حساب الزمن من

تزيين المنزل استعداداً للاحتفال بالعيد واعداد عقود الزهور ، وشجرة المعابد



المفاجآت التى أعلنها احد علماء الفلك الالمان من بضع سنوات عندما اعلن بالحسابات الفلكية الإلكترونية الحديثة صحة تلك النتيجة .

مع بداية عصر الاسرات قدم الكهنة للدولة التقويم الشمسى التحوتى الذى وصف "بالتقويم الرباعى" اى ان السنة تتكون من ٣٦٥ يوما وربع يوم تضاف الارباع الى السنة الرابعة لتصبح ٣٦٦ يوما اطلقوا عليه اسم السنة الضاغطة (السنة الكبيسة) وهو التقويم الشمسى المعمول به فى العالم اجمع الآن .

إن قدماء المصريين الذين كانوا اول من عرف حساب الزمن وتقسيمه ووضعوا له مقاييسه وأبعاده الحالية التى اصطلح عليها العالم اجمع . قسموا السنة (رنبيت) إلى ١٢ شهراً (ابد) اختاروا اسما لكل شهر من شهور السنة من أسماء المعبودات التى تعبر صفة كل منها عن خاصية الشهر وارتباطه بالنيل نهر الحياة وعوامل الطبيعة والحياة الزراعية ومواسم الزراعة والرى والحصاد . ومازالت أسماء الشهور الفرعونية تستعمل إلى الآن مع بعض التحريف فى نطق أسمائها وهو ما يطلق عليه بالسنة القبطية التى تبدأ بشهر "توت" (تحوت الفرعوني) كما أن الأيام الخمسة المنسية أو أيام الالهة الخمسة هى مايطلق عليه فى التقويم القبطى (أيام النسىء) .

وكما اختاروا أسماء للشهور من بين الالهة والمعبودات فقد اختاروا أسماء لأيام الديكان العشرة عبروا عنها بسفينة الشمس والنجوم التسعة الحارسة التى تدور معها عبر البروج السماوية .

أما أيام الأسبوع فى التقويم الحديث فقد اتخذت أسماؤها من أسماء السبعة أيام الأولى فى الديكان وتشمل الشمس (رع) والقمر حارسها والكواكب السيارة الخمسة (خدام الشمس التى لا تستريح) وهى نفس الأسماء التى مازالت تطلق على أيام الأسبوع فى جميع اللغات الحديثة . وهى حسب ترتيبها الذى لم يتغير كالآتى :

١ - يوم الأحد (يوم الاله رع "الشمس) SUNDAY

٢ - يوم الأثنين (يوم القمر) MONDAY

٣ - يوم الثلاثاء (يوم المريخ) حورس الأحمر إله الحرب TIW اله الحرب باللغة السكسونية TUESDAY مارس اله الحرب باللغة الفرنسية MARDI

٤ - يوم الأربعاء (يوم عطارد) اله الحكمة المقدسة WODEN اله الحكمة باللغة السكسونية WEDNESDAY MERCURE اسم عطارد بالفرنسية MERCREDI

٥ - يوم الخميس (يوم المشترى) كوكب البرق المضىء THORSDAY يوم الاله ثور اله الرعد THURSDAY JUPITRE كوكب المشترى بالفرنسية JEUDI

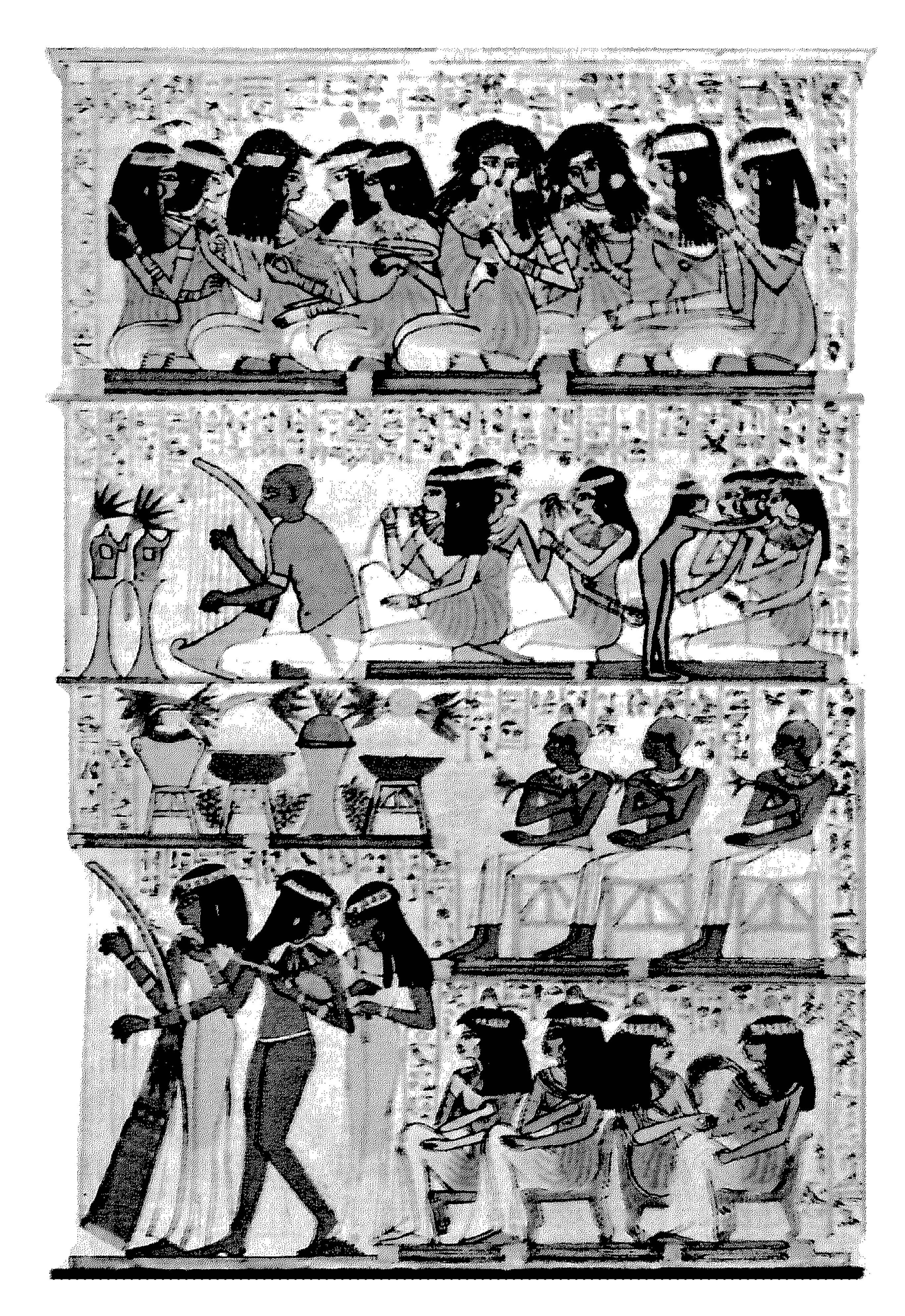
٦ - يوم الجمعة (يوم الزهرة) كوكب الصباح والمساء FRIGU اله العشق والحب FRIDAY

VENUS VENDER

الاحتفال بعيد راس السنة فى معبد الكرنك



مهرجانات
الاحتفال بالعيد



● عيد رأس السنة اخترعته مصر ●

٧ - يوم السبت (يوم زحل) ثور السماء SATURDAY SATURN

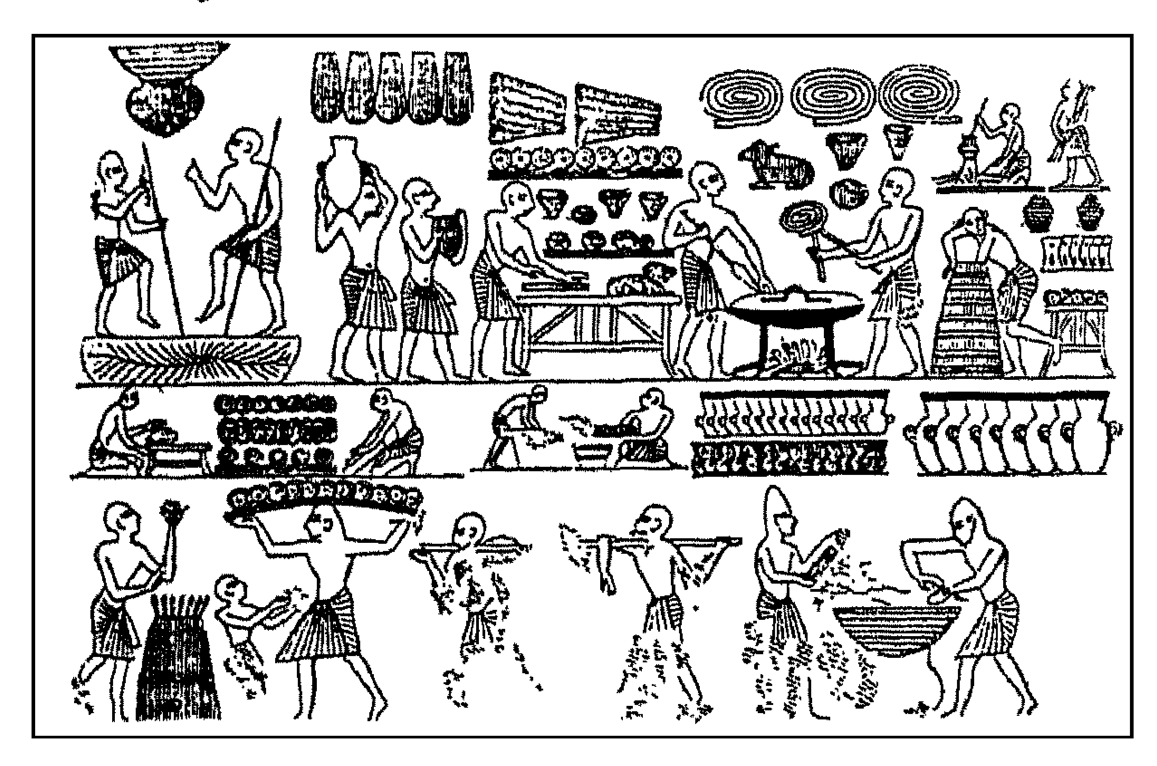
وقد ثبت كتاب العرب مجموعة الكواكب وترتيبها على أيام الأسبوع كما وردت فى التقويم الفرعونى القديم بهذين البيتين :

شمس وبدر ومريخ عطارده
للمشترى زهرة تعلو على زحل
وكل يوم له نجم فعد به
من تالى السبت بالترتيب فابتهل

لم يكتف القدماء باطلاق الأسماء السبعة السابقة على أيام الأسبوع واكملوها بثلاثة كواكب من كواكب المجموعة الشمسية لتكمل أسماء أيام الديكان العشرة بل وضعوا اسما لكل يوم من أيام السنة الثلاثمائة وخمسة وستون وصفت بانها المعبودات الحارسة للأيام . فكان يكتفى أن يذكر فى وثيقة ميلاد الشخص اسم اليوم والسنة التى ولد فيها . كما وضعوا أسماء مماثلة لساعات النهار الاثنى عشر وساعات الليل المماثلة . وامتدت الأسماء لتشمل الدقائق الستين للساعة ويطلق عليها اسم المعبودات الحارسة للزمن .

كان كثير من القدماء يحتفظون بما يشبه شهادة الميلاد "كف الطالع أو كف الوقاية" وهى كف مصنوعة من الخزف الأزرق نقشت على أصابعها رموز وطلاسم سحرية كشف فك رموز إحداها ان الطلاسم والتعاويذ ترمز إلى معبودات الزمن فالأصبع الأول يحمل

صناعة الفطائر فى الاعياد وفنون اعدادها مقبرة رمسيس الثانى

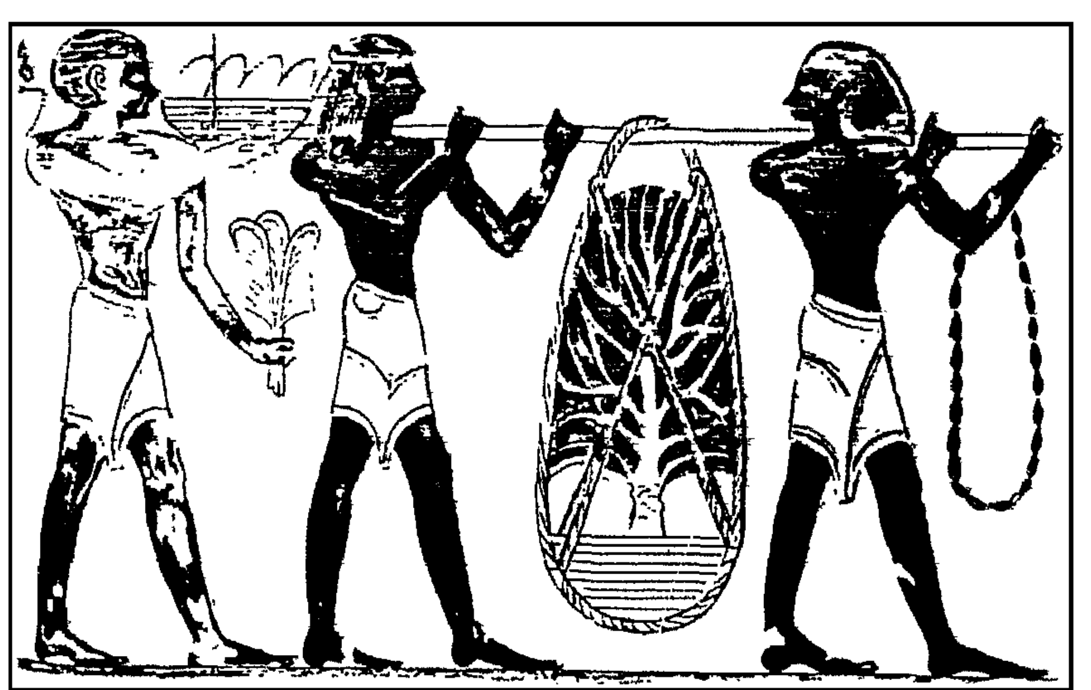


اسم معبود ساعة الميلاد والثانى اسم اليوم والثالث معبود الشهر والرابع معبود اليوم القمرى وشكل الهلال والخامس اله السنة ونقشوا على بطن الكف وهى الطلاسم السحرية التى كان الكاهن يسجلها على "كف الحفظ" أو "كف التنبؤ" التى تعلق كتميمة فوق الصدر يرجع إليها الكائن عن قراءة الطالع أو التنبؤ بالمستقبل وما اطلقوا عليه جدول تحديد الأيام السعيدة وغير السعيدة خلال العام.

فتلك الالهة والمعبودات التى كانت ترسم على أصابع (الخمسة وخميسة) أو لوحات التنبؤ تعتبر بالنسبة للناس تعاويذ للحفظ وبالنسبة للكهنة مفتاحا لقراءة الطالع ومعرفة الغيب مع بداية العام الجديد فكانت قراءة الطالع من التقاليد المقدسة التى يهتم الناس بممارستها مع مطلع العام الجديد

فالتنبؤ بحساب الزمن والتنجيم وقراءة الطالع الذى ربطه القدماء بمطلع العام الجديد انتقل من مصر إلى العالم اجمع مع انتقال التقويم الشمسى المصرى والبروج السماوية التى ابتكر الفراعنة اشكال صورها التى تمسك بها العالم الى اليوم حتى اصبح التنجيم وقراءة الطالع يلقى فى عصرنا الحديث عصر التكنولوجيا تاييدا واعترافا يفوق ما لقيه فى جميع العصور الماضية فما من وسيلة من وسائل الاعلام فى العالم اجمع إلا وتفسح المجال - مع الاحتفال بالعام الجديد - للتنبؤ والبخت والطالع حتى تأسست معاهد خاصة فى مختلف بلاد العالم لتصدر مطبوعاتها ومؤلفاتها العلمية المتخصصة فى بحوث الطالع والتنجيم باحداث العالم مع مطلع كل عام

انتقل التقويم الشمسى وقوائم حساب الزمن من مصر الى حضارات



نقل شجرة عيد الميلاد لزراعتها فى الحدائق



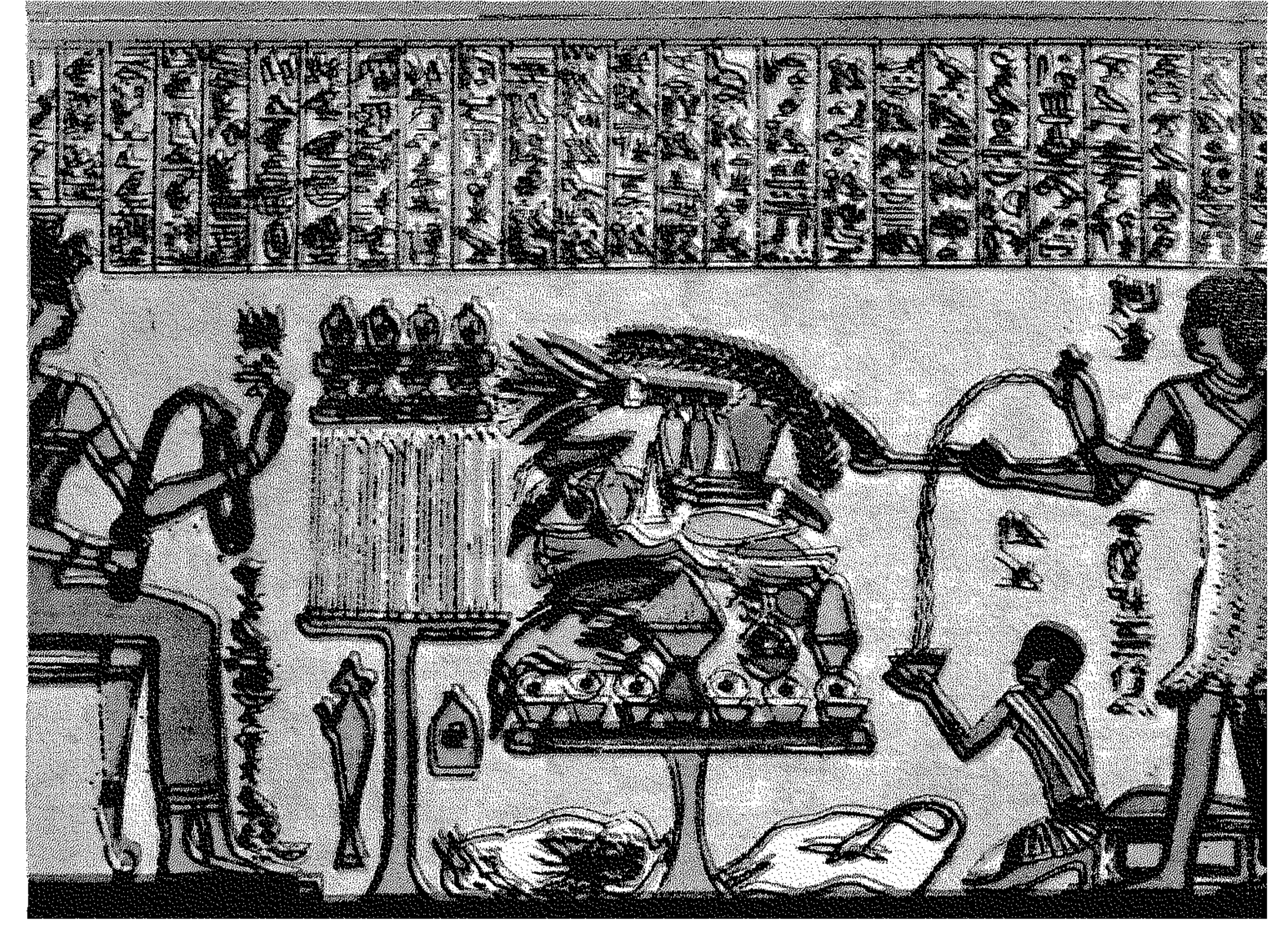
الرقص والموسيقى والغناء في الاحتفال بالعيد

الشرق القديمة خلال الدولتين القديمة والوسطى مع الفتوحات المتبادلة وخاصية فى عصر الامبراطورية المصرية عندما وصلت حدود مصر الى شواطىء البحر الابيض المتوسط الشرقية مرورا بفنيقيا وفلسطين حتى وصلت الى شواطىء البحر الاسود ومنها الى بعض شواطىء جنوب أوروبا .

يقول المؤرخ سنيكا ان اليهود اخذوا التقويم التحوتى بعد العمل به رسميا عام ٤٢٤٢ ق . م بثلاث وثلاثين سنة . وقد نقله علماؤهم عن كهنة معبد اون ونسبوا بدايته فى اسفارهم الى خلق الأرض وهو الاسم الذى اطلقه كهنة اون على التقويم الكهنوتى المقدس ونقل اليهود ذلك التقويم معهم عند خروجهم من مصر ليحتفظوا به وينسبوه الى حكمائهم علما بان اليهود لم يكن لهم وجود فى مصر القديمة ولم يعلن ذلك التاريخ الا بعد خروج موسى من مصر ولم تاخذ اوروبا التقويم الشمسى عن اليهود كما حاول بعض مؤرخيهم ان ينسب انتقال التقويم الشمسى والاحتفال باعياد راس السنة الى اوروبا والعالم الغربى عن طريق مهاجرى القدس .

● تقاليد الاحتفال بالعيد

مع بداية الدولة القديمة وخلال عصر الأهرام تحول الاحتفال بعيد راس السنة بجانب الاحتفال الدينى والقومى



مائدة قرابين العيد

الرسمى . كانت جميع طبقات الشعب ومجتمعاته تشارك فى الاحتفال به فى المنتديات العامة او الساحات والميادين والحدائق او داخل القصور والمساكن التى تزين وتجهز .

الاحتفال بالعيد . بجانب الاحتفال به بسعف النخيل والزهور والمشاعل التى تضاء مع غروب الشمس لتنير ارجاء المدينة ودورها طوال ليالى العيد . وكان القصر الملكى يفتح لاستقبال جماهير الشعب التى تأتى من جميع البلاد لتحية فرعون فى العيد الذى كان يغدق عليهم الكثير من الهدايا والاوسمة على حكام الاقاليم ويعفو عن كثير من المساجين حسنى السيرة

يصف المؤرخ كليماندوس احتفال المصريين بالعيد بقوله « يحتفل المصريون بعيد رأس السنة بجميع طبقاتهم حتى أمواتهم كانوا يشاركونهم فى الاحتفال بالعيد » .

يقصد به زيارة المقابر فى العيد وحمل الزهور وسعف النخيل لتزيين المقابر مع الاطعمة والفطائر الخاصة التى يتناولونها مع موتاهم ـ كما تقول برديلتهم ويوزعون بعضها على الفقراء وحراس المقابر (الرحمة) ولازالت تلك العادات ـ الموروثة ـ لم يطرأ عليها اى تغيير الى يومنا هذا .

● من العادات التى ارتبطت بالعيد خاصة فى الدولة الحديثة الاحتفال بعقد القران مع الاحتفال بعيد رأس

السنة حتى تكون بداية العام بداية حياة زوجية سعيدة كانت المعابد تخصص ساحات خاصة لعقد القران الجماعي الذى يبدأ بعد غروب الشمس ينتقل بعدها ازواج العرسان للمشاركة فى الاحتفال بالعيد فى الحفلات الموسيقية والراقصة الساهرة فى المنازل والحدائق والتى تمتد لاستقبال شروق شمس اليوم الجديد . وقد سجلت نقوش المقابر صور كثير من تلك الحفلات وما ارتبط بها من عادات وتقاليد تعبر عما وصلت اليه الحضارة فى اوج عصورها الذهبية .

● ومن الفطائر التى كانت تعد للاحتفال بالعام الجديد "تورتة ميلاد العام الجديد" المختلفة الاشكال والاحجام وكانت تزين بالفواكه الطازجة "بشاير العام الجديد" والزهور وخاصة زهرة اللوتس وتزين بالتمائم المصنوعة من الحلوى ويصنع بعضها فى الحفلات الكبيرة من عدة ادوار وطبقات كما هو ظاهر فى عدة رسوم من صور الاحتفال بالعيد فى الدولة الحديثة .

وانتقلت تورتة عيد ميلاد العام لتحتل مكانها طوال العام على موائد اعياد ميلاد الناس . وهكذا كانت "تورتة عيد الميلاد" هدية مصر لشعوب العالم أجمع لتتوسط موائد الاحتفال بقدوم العام الجديد

● ديك الكريسماس ●

من تقاليد الكريسماس التى لن يخطر على البال ان لها علاقة بمصر "ديك الكريسماس" الذى يتصدر مائدة العيد ويفرض نفسه عليها يرتبط ذلك التقليد ايضا بميلاد "حورس" الذى ربته ايزيس بين سيقان البردى فى احراش الدلتا لحمايته من غدر "ست" تصف الاسطورة انه كلما جاع ارسلت له الالهة اوزة من الاوز البرى الذى تحمله ريح الشمال .

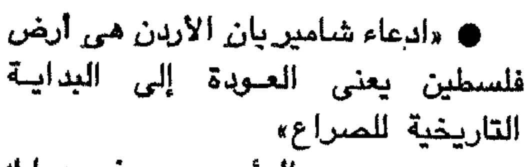
لذا فقد تصدر الاوز البرى مائدة عيد الميلاد والذى تصادف موسم وصوله وصيده مع الاحتفال براس السنة وقد انتقلت تلك العادة الى روما مع احتفالاتهم بالعيد الذى حملوا كثيرا من تقاليده من مصر واستبدل الاوربيون بالأوز البرى لصعوبة حصولهم عليه وندرته "الديك الرومى" الذى لم يكن معروفا قبل وصوله من البلاد الامريكية بعد اكتشافها .

لما كان عيد راس السنة يتفق مع اعياد عصير العنب فقد ابتكر المصريون تقليد شرب عصير العنب الطازج نخب العام الجديد وهو من التقاليد التى نقلها الرومان من مصر ومارسوها فى الاحتفال باعيادهم وخاصة عيد راس السنة ـ وكانوا يستوردون النبيذ المصرى وصنعوا سفنا خاصة لنقله من الاسكندرية الى روما ونقلوها الى مختلف الدول الاوربية القديمة .

هكذا كان المصريون القدماء اول من شرب نخب العام الجديد

وعلموا العالم اجمع شرب الانخاب فى صحة العام الجديد .





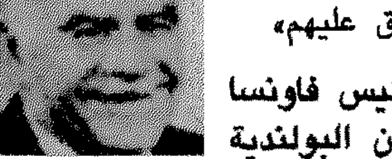
● «ادعاء شامير بان الأردن هى أرض فلسطين يعنى العودة إلى البداية التاريخية للصراع»

الرئيس حسنى مبارك

حسنى مبارك

● «الأرض المحتلة إرث لاسرائيل»

اسحاق شامير
رئيس وزراء إسرائيل



اسحاق شامير

● «البولنديون الذين يكنون أية كراهية لليهود يستحقون أن يبصق عليهم»

ليس فاونسا
زعيم حركة التضامن البولندية

● «المعسكر الاشتراكى لم يعد له وجود وحلف وارسو لم يعد سوى وهم»

فيديل كاسترو
الرئيس الكوبى

● «نحن شهود على نهاية الشيوعية كما نعرفها»

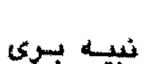
مارتن جاك
عضو المكتب التنفيذى للحزب الشيوعى البريطانى

● «التاريخ اليوم يتأرجح ، ونحن أعجز من أن نعرف الى أين يتجه»

فرانسوا ميتران
رئيس جمهورية فرنسا

● **«فقدنا خمسة عشر عاما على الأقل»**

جورباتشوف
رئيس جمهورية الاتحاد السوفييتى



نبيه برى



● «أن فرنسا لاتزال تعيش بعقلية الانتداب على لبنان»

نبيه برى
زعيم حركة أمل الشيعية

■ ١٩٩٠ بعد الرحلة التاريخية

العائلة المقدسة في أرض مصر

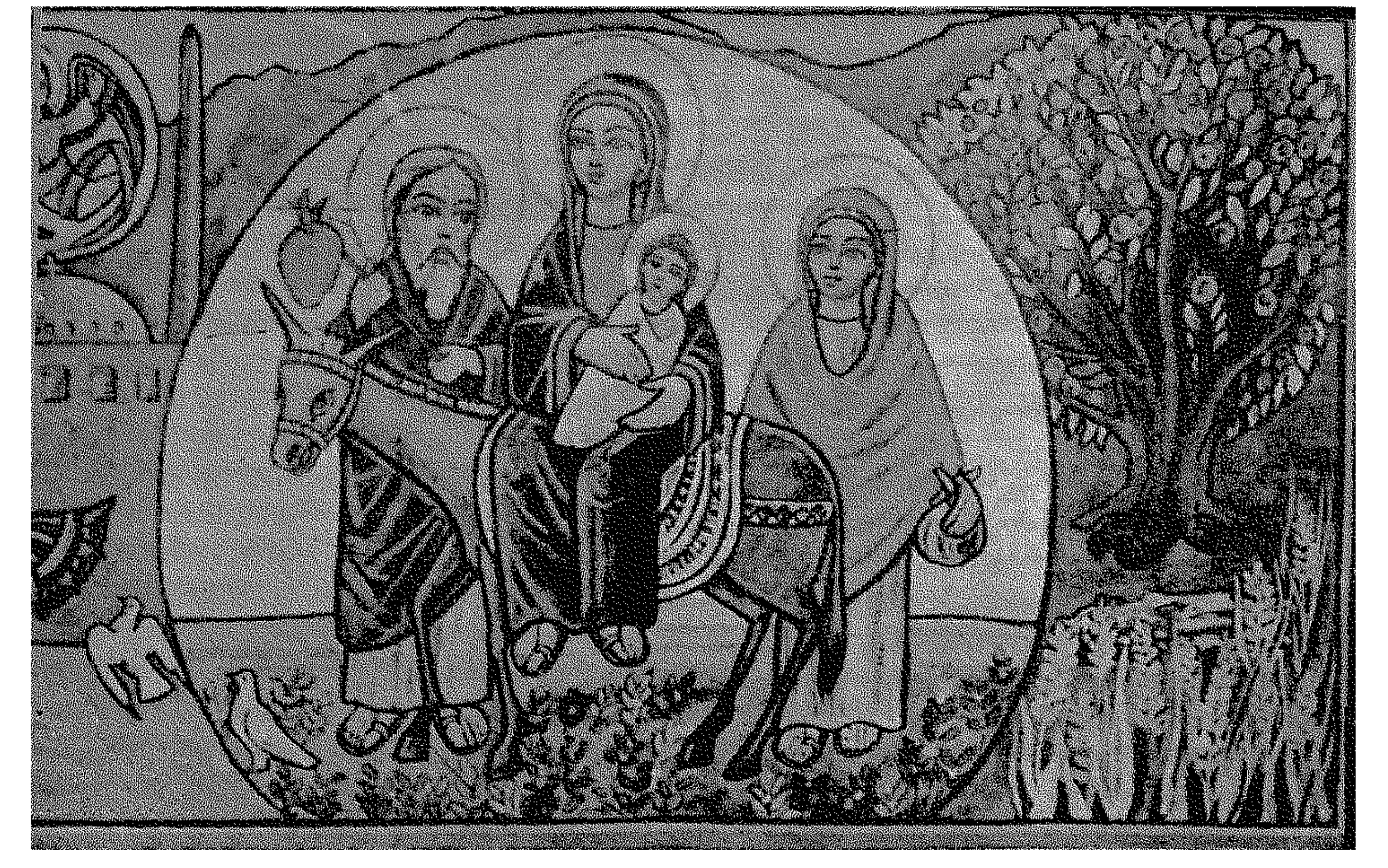
بقلم : الأنبا غريغوريوس
أسقف الثقافة القبطية والبحث العلمي

لما ولد السيد المسيح فى بيت لحم ببلاد فسلطيني علم المجوس فى بلاد المشرق بمولده ، اذ ظهر لهم نجم خاص كان قد انبأهم بظهوره زرادشت Zoroastre منشىء الطائفة المجوسية (حوالى ٦٦٠ - ٥٨٣ ق . م) فلما ابصروا النجم قاموا فى موكب ضخم ، وحملوا معهم هداياهم ليقدموها للمولود الملك .

دخلوا مدينة اورشليم القدس ، يسألون : (أين هو المولود ملك اليهود ، فاننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له) (الانجيل - متى ٢ : ١ ، ٢) فسمع الملك هيرودس بهم ، فاضطرب وفزع وخاف على ملكه من هذا الوليد الجديد ، وجمع رؤساء الكهنة وفقهاء الدين وسألهم : (أين ينبغى ان يولد المسيح ؟) فأجابوه على الفور : (فى بيت لحم التى باقليم اليهودية لانه هكذا كتب بواسطة النبى ميخا) وبهذا اجاب هيرودس المجوس ثم بعث بهم الى بيت لحم قائلا : (اذهبوا وابحثوا عن الصبى بتدقيق ، فاذا وجدتموه فاخبرونى لكى اجىء انا ايضا واسجد له) فاستمعوا الى الملك وانصرفوا ، واذا النجم الذى كانو قد رأوه فى المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق الموضع الذى كان فيه الصبى ، وحين اتوا الى البيت رأوا الصبى مع مريم امه ، فخروا وسجدوا له ، ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا من ذهب ولبان ومر ، (الانجيل للقديس متى ٢ : ٨ - ١١) ولم يرجعوا الى هيرودس لان ملاكا تراءى لهم فى حلم وامرهم بعدم العودة الى هيرودس فانصرفوا من طريق اخر الى بلادهم .

اما هيرودس فلما لم يعد اليه المجوس كما طلب منهم استشاط غضبا ، واعتقد انهم خدعوه او احتقروه . فاصدر على الفور امره بقتل جميع اطفال بيت لحم ومايحيط بها . من ابن سنتين فاقل ، حتى يضمن ان يكون الوليد الجديد من بينهم .

وقد فشلت خطة هيرودس لانه بينما كان جنوده يدخلون كل بيت ويقتلون فيه



ايقونة رحلة العائلة المقدسة فى صحراء مصر

كل طفل من ابن يوم الى ابن سنتين ، كان الطفل المقصود قد افلت من تلك المجزرة البشرية ذلك ان ملاكا من السماء تراءى فى حلم ليوسف النجار خطيب العذراء القديسة مريم وأمره قائلا : (قم وخذ الصبى وامه واهرب الى مصر وامكث هناك حتى اقول لك .. فقام واخذ الصبى وامه ليلا وانطلق الى مصر) (الانجيل متى ٢ : ١٣ ، ١٤) .

● مسيرة العائلة المقدسة فى مصر

خرج يوسف من بيت لحم كأمر الملاك ، وخرجت معه سيدتنا مريم تمتطى حمارا وتحمل على ذراعيها السيد المسيح طفلا ، ويوسف بجانبها يمسك بمقود الحمار .

وكان لابد للعائلة المقدسة ـ وهى هاربة من شر هيرودس ـ ان لاتسلك الطرق المألوفة التى يمكن ان يسلكها المسافر من فلسطين الى مصر .

وتدلنا مصادرنا الكنسية التاريخية على ان العائلة المقدسة دخلت مصر عن طريق صحراء سينا من جهة (الفرما) بالقرب من بيلوزيوم Pelusium (وتسمى الان تينه) الواقعة بين مدينتى العريش وبورسعيد ، وأتوا اولا الى مدينة (بسطه) او « بوبستيس » (وهى الان تل بسطة) بالقرب من الزقازيق وهناك انبع السيد المسيح عين ماء ، وقد سقطت اصنام المدينة امامه ، فلم يقبل الكهنة واهل المدينة اقامة العائلة المقدسة فى مدينتهم واساءوا معاملتها ، فنزحت الى احدى ضواحيها وهناك وجدوا شجرة

العائلة المقدسة

في أرض مصـر

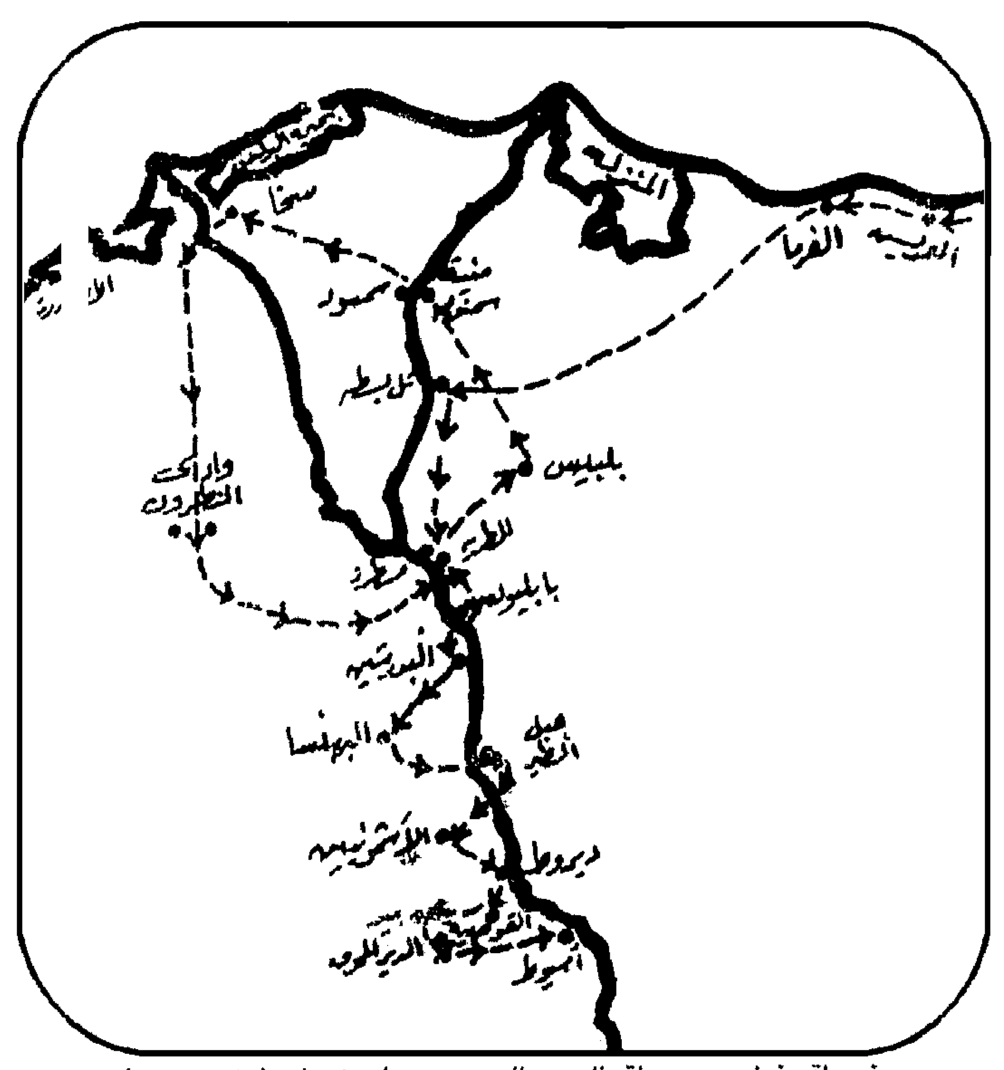
فمكثوا عندها اياما ، وغسلت العذراء مريم ملابس المسيح طفلا واحمته ، فسمى المكان بـ (المحمة) وهى الان بلدة (مسطرد) . وقد بنيت فيما بعد كنيسة فى هذا المكان باسم العذراء مريم لاتزال قائمة الى اليوم ، ويقصد اليها الزوار المصريون والاجانب . وقد رجعت العائلة المقدسة الى (المحمة) مرة اخرى فى طريق عودتها الى فلسطين .

ومن المحمة رحلت العائلة المقدسة الى (بلبيس) ، ويروى التقليد ان فى بلبيس شجرة استظلت تحتها العائلة المقدسة ، ولذلك صارت تسمى بشجرة العذراء ، مريم يجلها المسيحيون والمسلمون على السواء ويدفن المسلمون من حولها امواتهم الاعزاء ، تبركا بهذه الشجرة . ويروون ان عسكر نابليون بونابرت (١٧٦٩ ـ ١٨٢١) م عندما مروا ببلبيس ارادوا ان يقتطعوا من هذه الشجرة خشبا يطبخون به طعامهم . فلما ضربوها بالفأس اول ضربة بدأت تدمى ، فارتعب العسكر ولم يجرءوا بعد ذلك على ان يمسوها . ويقوم فى هذه البقعة الان جامع عثمان بن الحارس الانصارى فى وسط المدينة عند ملتقى شـارع الانصـارى بشـارع البغدادى .

وتركت العائلة المقدسة بلبيس وذهبوا الى (منية جناح) ومنها الى ميت سمنود او (سمنود) وكانت تعرف فى مصر القديمة باسم (ذئب نثر = هيكل الله) والمعروف ان الكنيسة الحالية المكرسة باسم (القديس ابانوب) بنيت على انقاض كنيسة قديمة باسم العذراء مريم اقيمت على نفس البقعة التى اقامت فيها العائلة المقدسة . ويقول المسيحيون فى سمنود انه كان فى وقت ما عند شرقية الكنيسة بئر انبعه السيد المسيح بنفسه وباركه . وبعد سمنود ذهبوا الى (البرلس) (فالمطلع) ، ثم عبروا الفرع السبنيتي للنيل الى الجهة الغربية حيث (سخا ايوس) وهى (سخا) الحالية فى مركز كفر الشيخ ، وقديما كانت تسمى (خاست) وهناك اثر قيل انه حجر من قاعدة عمود وقف السيد المسيح عليه ، فانطبع اثر قدميه على الحجر فسمى المكان (كعب يسوع) وكان الناس يأتون من الاقاليم البعيدة والبلاد المجاورة ويضعون فى موضع القدم زيتا ويحملونه الى ارضهم وينتفعون به كثيرا وقد بنيت فى نفس البقعة كنيسة باسم العذراء ، مريم وبجوارها مغطس ، ويضم الكنيسة والمغطس دير ظل عامرا بالرهبان الى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى ، سمى بدير المغطس ذكره الشيخ المؤتمن ابو المكارم سعد الله بن جرجس بن مسعود انه فى جهة منية طانة بالغربية .

ثم سارت العائلة المقدسة الى الغرب فى مقابل (وادى النطرون) وهو الذى صار فيما بعد عامرا بالاديرة والرهبان .

بعد ذلك اتجهت العائلة المقدسة الى (اون) أو (عين شمس) فى المكان المعروف حاليا بـ (المطرية) وقد كانت مشهورة فى مصر القديمة بجامعتها العريقة واستظلوا تحت شجرة تعرف الى اليوم (بشجرة مريم) وهناك انبع السيد المسيح عين ماء وشرب منه وباركه ، وغسلت فيه العذراء ملابسه وصبت غسالتها على الأرض فنبت فى تلك البقعة نبات عطرى ذو رائحة جميلة هو



خريطة خط سير رحلة السيد المسيح بدءا من فلسطين حيث ولد

البلسم او البلسان ، يستخدمونه فى صنع الميرون ، وبعد تقديسه بالصلوات يستعملونه فى تدشين الكنائس ومشتملاتها ، وفى الطقوس الدينية الاخرى .

ومن هناك ساروا جنوبا الى (الفسطاط) فى المنطقة المعروفة بـ (بابيلون) مصر القديمة ، وسكنوا المغارة التى توجد الان بكنيسة القديس سرجيوس او (ابى سرجه) ويبلغ طول المغارة عشرين قدما وعرضها خمسة عشر قدما ، وليست بها نوافذ وتعد الكنيسة من اقدم الكنائس التى بنيت فى مصر ، وقد تهدمت فيما بعد ، فقام بترميمها نحو سنة ١٠٧٣ ابن السرور يوحنا بن يوسف المعروف بابن الأبح ، كاتم سر الخليفة المستنصر الفاطمى (١٠٣٦ ـ ١٠٩٤) ـ ويبدو انهم لم يستطيعوا البقاء فى بابيلون الا اياما قلائل لاتزيد على اسبوع نظرا لان الأوثان تحطمت امام السيد المسيح وهربت منها شياطينها الامر الذى اثار والى الفسطاط فاراد قتل الصبى يسوع بعد ان تبين انه بسببه حدث للاصنام ماحدث ، فسارت العائلة المقدسة الى (منف) او مَنِفس ، وكانت عاصمة مصر قديما واسمها (من نفر) ـ ومعناها (المقبرة الجميلة ـ او الميناء الجميل) .

فى أرض مصــر

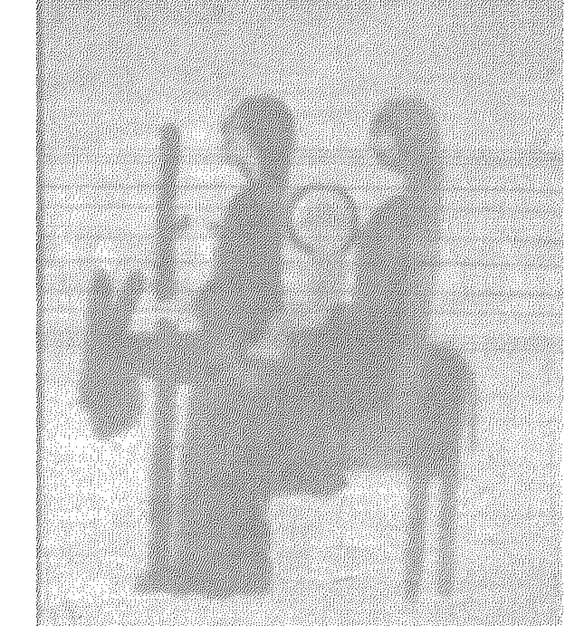
واقلعت العائلة المقدسة الى الصعيد فى مركب شراعي بالنيل من البقعة القائمة عليها الان كنيسة العذراء بـ (المعادى) ثم جاءوا الى بقعة شرقى (البهنسا) بمركز بنى مزار تسمى (اباى ايسوس) أى (بيت يسوع) أقاموا فيها اربعة ايام كما يروى القديس قرياقوس اسقف البهنسا فى عظة له باللغة القبطية وجدت مكتوبة على ورق البردى ، وبنيت فيها كنيسة ، وفى القرن الخامس للميلاد زاد عدد كنائسها عن اثنتى عشرة كنيسة وكان بها اديرة كثيرة للرجال بلغ عدد رهبانها عشرة الاف راهب ، واديرة للبنات قدر عدد راهباتها باثنتى عشرة الف راهبة .

ثم عبروا بعد ذلك النيل الى شاطئه الشرقى وجاءوا الى المنطقة المعروفة بـ (جبل الطير) بالقرب من (سمالوط) ويروى ابو المكارم انهم وهم فى النيل ، كادت صخرة كبيرة من الجبل ان تسقط عليهم ، وذلك بفعل امرأة ساحرة ، فذعرت مريم العذراء ، ولكن السيد المسيح مد يده ومنع الصخرة من السقوط فامتنعت وانطبعت كفه على الصخر ، وصار الجبل لذلك يعرف ايضا بـ (جبل الكف) والكنيسة التى بنتها فيما بعد الملكة هيلانة باسم العذراء مريم صارت تعرف بكنيسة (سيدة الكهف) .

ومن جبل الطير رحلت العائلة المقدسة الى (الاشمونين) بمركز ملوى على بعد ٣٠٠ كيلو متر جنوبى القاهرة ، وكان اسمها بالمصرية القديمة (خمنو) اى (ثمانية) وذلك بالنظر الى عدد آلهتها (الثمانية) واكبرهم (تحوت) المرموز اليه بطائر اللقلق ، وقد تطورت الكلمة فصارت تكتب بالقبطية (شمون) ولما كانت المدينة القديمة قد اندثرت وحلت محلها مدينة اخرى بنفس الاسم ، لذلك سميت المدينة الجديدة (اشمونين) اى اشمون الثانية ، وفى العهد اليونانى البطلمى سميت (هيرموبوليس) .

ويقول المؤرخ سوزومينوس الذى عاش فى النصف الأول من القرن الخامس فى كتابه (تاريخ الكنيسة) « يقال انه كان فى الاشمونين شجرة تسمى بيرسيا وهى من نوع شجر الغار وقيل انها من شجر اللبخ . وفى اللحظة التى اقترب فيها المسيح من باب المدينة انحنت الشجرة الى الأرض على الرغم من علوها .. وفى نفس الوقت انكفأت جميع اوثان مصر على وجوهها وفى الاشمونين اقام السيد المسيح الموتى واخرج الشياطين من كثيرين ، وجعل العرج يمشون ، والصم يسمعون ، والخرس يتكلمون والبرص يطهرون وفى كلمة واحدة انه صنع هناك كل العجائب .

ومن الاشمونين ذهبت العائلة المقدسة الى قرية تسمى (فيليس) وهى الان (ديروط الشريف) وتبعد عن الاشمونين جنوبا بنحو عشرين كيلو مترا ، وهى ايضا على الضفة اليسرى للنيل ، واقاموا فى هذه القرية اياما ، ثم اتجهوا الى القوصية القديمة (وكانت تسمى بالمصرية القديمة قوست) فلم يرحب اهلها بهم وطردوهم وذلك عندما رأوا معبودهم سقط وتحطم ، وهو تمثال البقرة حاتحور التى ترمز للالهة ايزيس ، فهربت العائلة المقدسة الى قرية (ميرة) على بعد ٨ كيلو مترات شرقى (نزالى جنوب) وهى الان (مير) ومنها الى جبل قسقام حيث يقوم الان دير



السيدة العذراء الشهير بالمحرق ويبعد نحو اثنى عشر كيلو مترا غرب بلدة القوصية الحالية التى تقع فى محافظة اسيوط على بعد ٣٢٧ كيلو مترا جنوبى القاهرة ، ٤٨ كيلو مترا ، شمال مدينة اسيوط .

وفى دير (المحرق) وفى الجهة الغربية منه توجد الكنيسة الاثرية ، وتعد اقدم كنيسة فى مصر كلها ، وهيكلها هو نفس المغارة التى سكنتها العائلة المقدسة واقامت فيها ستة اشهر وعشرة ايام ، وهى اطول مدة اقامتها العائلة المقدسة فى رحلتها التى تنقلت فيها من مكان الى اخر ، ويقول المؤرخ المقريزى تحت اسم (الدير المحرق) « تزعم النصارى ان المسيح عليه السلام اقام فى موضعه ستة اشهر واياما » .

وتجمع كل المصادر التاريخية والكنسية على ان منطقة دير المحرق فى جبل قسقام هى اخر بقعة فى صعيد مصر بلغتها العائلة المقدسة فى رحلتها التاريخية من الشمال الى الجنوب ، وان هناك رأى القديس يوسف النجار خطيب العذراء مريم الحلم الذى اعلمه فيه الملاك بموت هيرودس الملك ، وامره ان يعود الى فلسطين (فلما مات هيرودس اذا ملاك الرب يظهر فى حلم ليوسف فى مصر قائلا : (قم وخذ الصبى وامه واذهب الى ارض اسرائيل فقد مات الذين كانوا يبتغون قتل الصبى) (الانجيل ، متى ٢ : ١٩ ـ ٢١) .

وهذا بالطبع لايمنع ان تكون العائلة المقدسة ، بعد ان تلقت فى جبل قسقام الأمر بالرجوع الى ارض فلسطين قد سلكت فى عودتها طريقا انحرف بها الى الجنوب قليلا حتى جبل اسيوط ، فقد كانت اسيوط انذاك مرسى سفن وكان لابد للعائلة المقدسة من ان تذهب جنوبا الى اسيوط حتى يستقلوا المركب التى تعود بهم الى الشمال .

● مدة إقامة العائلة المقدسة فى مصر

وقد اختلف المؤرخون فى تقدير المدة التى اقامتها العائلة المقدسة فى مصر وفى اعتقادنا ان المدة تزيد قليلا على ثلاث سنوات ونصف ، وقد تصل الى اربع سنوات ، ذلك ان بعض المصادر تنص على ان اقامة العائلة المقدسة فى مصر استغرقت اكثر من ثلاث سنوات ونصف ، أو ثلاث سنوات وسبعة اشهر . ولابد ان استغرقت رحلة العودة بضعة شهور اخرى منذ ان غادرت جبل قسقام حتى وصلت ارض فلسطين فى الطريق العكسى الذى سلكته من فلسطين الى قسقام ،

وبعد ، أليس هذا شرفا اختص الله به مصر وحدها من دون بلاد العالم كلها ، بأن يلجأ السيد المسيح اليها وامه العذراء القديسة مريم ، انه حقا شرف عظيم وبركة جزيلة ، أليس هذا هو قول الوحى الآلهى فى الكتاب المقدس (مبارك شعبى مصر) . (اشعياء ١٩ : ٢٥) ؟

آفاق التسعينات

التسعينات تغنى

فى الثمانينات كان غربان الملاهى الليلية واشرطة الكاسيت هم سادة الموقف فى ميدان الغناء المصرى والعربى ، فهل تستقبلهم التسعينات مفتوحة الذراعين . وتضع فى أيديهم زمام الموقف ، وتسلطهم على المستمعين كما فعلت الثمانينات ؟ ! .

كانت الثمانينات شديدة القسوة على الغناء العربى عامة ، والغناء المصرى خاصة ، برغم ما يزعمه بعضهم من أن ما حدث لهما كان مجرد «انعطافة جديدة فى الكلمات والألحان» .. فالحقيقة ان ما حدث لم يكن انعطافا الى طريق جديد ، وإنما كان «انقطاعا» فى فن الغناء المصرى ، وأخصه بالذكر لأنه جوهر الغناء العربى بأسسه ومواصفاته الفنية والعلمية والذوقية الصحيحة .

وإن هذا الانقطاع الذى دهم الغناء المصرى بعد تواصل مزدهر طويل ، لقضية بالغة الاهمية ، تندرج تحت إشارة المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون ، فى مقدمته الى أن اول ما ينقطع من «العمران» عند اختلاله ـ أو انحلاله ـ وتراجعه ، هو «صناعة الغناء» بلغة القدماء ، أو «فن الغناء» بلغة عصرنا .

إن أزمة الغناء العربى المصرى ، أو المصرى العربى الآن ، هى ازمة مجتمع فاته القطار السريع مرة بعد مرة ، بل فاتته القافلة السائرة الهوينى ، وتراكمت فيه أسباب الاختلال من وجوه كثيرة ، وتفككت اسباب القوة والفتوة ! ..

لقد كان الغناء فى آخر عصر المماليك «العثمانلية» أو «المصرلية» قبل مائتى سنة ، وهو غناء التدهور الاجتماعى والسياسى والثقافى والروحى ، وانقطاع اسباب العمران والتقدم والتفوق تحت نير الاحتلال العثمانى .. ثم نهضت مصر منذ ايام محمد على باشا وأنجزت الكثير فى مختلف الصناعات ، ومنها صناعة الغناء والموسيقى ، ولكن ذلك انقطع اخيرا ، مصداقا لتلك القولة التى أرسلها ابن خلدون قبل خمسمائة عام كأنها المثل السائر الذى يصدق حيثما سار ..

مرة أخرى عادت الحركة الهوجاء ، والصراخ المروع ، والرقصات الهستيرية الى الغناء ، بعد أن تخلص منها منذ مائتى عام ، ولعلك اطلعت يا صديقى القارىء على التقرير المسهب الدقيق الذى وضعه علماء الموسيقى الذين جاءوا الى مصر سنة ١٧٩٨ ضمن الحملة الفرنسية الاستعمارية بقيادة نابليون بونابرت ، وعرفت من هذا التقرير ان الرقص والصراخ والحركات العنيفة كانت تصحب غناء ذلك الزمان ـ كما سجله علماء الموسيقى الفرنسيون ـ وقد لبث الحال

على السلم الخماسى!

بقلم :
كمال النجمى



زمن الاستماع الجيد .. هل طرده زمن الاستماع الردىء

كذلك حتى هذبت التطورات الحضارية أساليب المغنيات والمغنين المصريين ، وردتهم الى الآداب القديمة التى كان يتحلى بها ارباب صناعة الغناء ايام الرشيد والمأمون فى العصر العباسى الأول الذى مازالت صناعة الغناء تتدرج صاعدة اليه حتى بلغت فيه ـ قبل الف سنة ـ أقصى مداها فنا وصناعة وأدبا ..

ولقد قيل لنا فى «الثمانينات» المنصرمة حين استشرى الصراخ والرقص الهستيرى إن هذه هى أصول الغناء الشعبى الحديث فى أوربا وأمريكا ، كما يشاهدها الناس ويسمعونها فى أغانى الديسكو والبوب وما اليها من الفنون الرخيصة التى أغرقت الأمريكيين والأوربيين .



ـ فهل كان حتما علينا ان نقلد هؤلاء الناس فى مباذلهم ، فنرد انفسنا القهقرى الى ماكنا فيه قبل مائتى سنة فى عهد مراد بك وابراهيم بك وايواظ بك ، من رقص عنيف وصراخ هستيرى فى الغناء ؟ !

إن الرقص والصراخ والحركات المتبذلة ليست تجديدا فى الغناء ننقله عن اوربا وامريكا ، وإنما هو ارتداد الى ماكنا نحن فيه قبل مائتى عام ، ثم تركناه ، تعظيما لفن الغناء ، واحتراما لأهله ، واستمتاعا به فى أعلى درجات كماله وجماله ، كما كنا نفعل فى عصور حضارتنا العربية .

فهل يستمر الرقص والصراخ ، وتعلو موجة الغناء المنبعث من الملاهى الليلية واشرطة الكاسيت خلال التسعينات ؟ !

● الغناء المتطور ومعناه

● ذلك عن المطربين الشعبيين الجدد، الذين يقلدون بلا فهم وذوق ما يجيء اليهم من وراء البحار .

فماذا عن دارسى الموسيقى الاوربية الكلاسيكية والغناء الأوبرالى الأوربى ؟ !

طوال الثمانينات حاول هؤلاء الدارسون الفضلاء ان يواصلوا ـ كما فعلوا من قبل ـ استخدام الميلوديات او الالحان المفردة فى الاغانى الشعبية المصرية ، لكى يقيموا عليها اشكالا غنائية «متطورة» و «علمية» او اشكالا موسيقية بحتة متطورة وعلمية ايضا .. اى ذات تراكيب هارمونية وكونتربوينتية ، مقلدين فى ذلك ما صنعه بعض الموسيقيين الأوربيين حين اقتبسوا الحانا شعبية فى بلادهم وصاغوا منه الحانا متراكبة ..

هذا معناه ان موسيقيينا الدارسيين قد حاولوا فى الثمانينات كما حاولوا فى العقود الماضية ، وكما سيحاولون فى التسعينات ، أن يقلدوا الموسيقيين الأوربيين فى هذه الناحية ، كما قلدوهم فى النواحى الأخرى التى لا تعتمد على الالحان الشعبية .

وقد سمعنا من بعضهم الحانا مصرية «شعبية» تحولت فى صياغاتهم «العلمية» الى ضجة أوبرالية كنائسية أوربية شديدة الضوضاء ، ازعجت المستمع المصرى فأعرض عنها اعراضا تاما ، فقد تجاهلت ذوقه ووجدانه ، بل احتقرتهما احتقارا ، ورفضتهما رفضا بدعوى «الصياغة العلمية» فبادلها المستمع انصرافا بانصراف واحتقارا باحتقار ، ووأد هذه التجارب البلهاء فى مهدها .

إن طريق «الهرمنة» العشوائية فى الالحان الشعبية المصرية ، طريق مسدود ، وقد فشلت فيه أعمال الموسيقيين المتزمتين كما فشلت فيه من قبل أعمال مطربين محبوبين امثال عبدالحليم حافظ الذى اخرج للناس قبل عشرين عاما اللحن الشعبى : «أنا كل ما اقول التوبة يابوى» . مملوءا بالهارمونى والكونتربوينت بشكل يلغى الطبيعة البسيطة للحن .. وكان هذا العمل من اخطاء الموسيقار الملحن النابغة على اسماعيل الذى لم تكن تخفى عليه عيوب عمله ، ولكنه فيما يبدو ـ كان مدفوعا إليه دفعا باوامر المطرب الشهير ..

هكذا تسقط التجارب «الشعبية» المزعومة سواء كانت من دارسي الموسيقى الاوربية المجهولين ، أو من مطرب مشهور كعبد الحليم .. وفى المقابل تسقط تجارب غربان الملاهى الليلية وأشرطة الكاسيت ، وتجارب سائر المهرجين الذين استغلوا الالحان الميلودية الشعبية ، فصنعوا منها اغنيات هابطة ملأت الاسواق - برغم سقوطها الفني - وطردت هذه العملة الرديئة من سوق الغناء جميع العملات الجيدة الأخرى .. وكانت من اكبر اسباب انقطاع فن الغناء المصرى فى الثمانينات .. وستبقى سائدة فى التسعينات ، لأن اسباب الانقطاع ، لا تنقص ، بل تزيد ! ..

● الأوبرا العربية .. ماهي ؟

● وماذا عن فن الأوبرا ؟ !

لقد فتحت الثمانينات لاختها التسعينات باب الغناء الأوبرالى بعد غياب طويل ! ..

وبلادنا تجرب الغناء الأوبرالى منذ عام ١٨٦٧ أى منذ انشأ الخديو اسماعيل اول دار للأوبرا فى مصر ، ولكننا لم نصنع أوبرا واحدة بالالحان العربية الصميمة ، فكل ما عرض على مسرح الاوبرا القديمة التى احترقت سنة ١٩٧١ كان من الأوبرات الاوربية .. ومازالت دار الأوبرا الجديدة التى بناها لنا اليابانيون مشكورين سائرة فى الطريق ذاته بلا انحراف ! ..

ذلك ان فن الأوبرا - كما هو الآن وكما كان منذ نشأته فى إيطاليا - هو فن موسيقى أوربى خالص ، قائم على الموسيقى الأوربية بمقاميها الكبير والصغير وما يتفرغ عنهما .. وهى فى الغناء قائمة على مايسمى بالصوت المستعار اما الغناء العربي فله مقاماته المعروفة وكسوره وزخارفه وضروبه وإيقاعاته ، ولا يمكن للصوت العربى أن يكون مستعارا ، بل هو طبيعي دائما لا يقترب من الاستعارة لانها تفسد نطقه وتحيل اللغة العربية الفصيحة أو اللهجة العامية المشتقة من العربية ، مجرد رطانة اجنبية !

كيف يقال اذن إن دار الأوبرا الجديدة ستعرض فى التسعينات اوبرات عربية ؟ !

لعلهم يقصدون الأوبرات الأوربية المترجمة الى ألفاظ عربية مع بقاء الحانها على أصلها واستخدام الصوت المستعار فى غنائها

ان كان الأمر كذلك ، فبشرهم بفشل عظيم ، لأن المطلوب هو اوبرا ذات الحان عربية المقامات ، مغناة بصوت طبيعي غير مستعار !

وهذا المطلوب ، يناقض اصول الأوبرا كما يعرفها اصحابها الاوربيون ، ولو صنعناه لما وجد قبولا عند الاوربيين الذين نريد ان نبهرهم بفننا ! ..

فلا مستقبل فى التسعينات لفن الأوبرا .. بل ان هذا الفن لا مستقبل له فى التسعينات حتى فى بلاده ذاتها ، لأن فن الأوبرا ينقرض فى العالم كله !

وقديما صنعت أم كلثوم أوبرا صغيرة ألحقتها بفيلمها «عايدة» فأعرض الناس عن الفيلم بسبب هذه الأوبرا ، مع ان أم كلثوم غنتها بالالحان العربية ، وبصوتها الطبيعي الرائع الذى لا اثر فيه للاستعارة الهجينة !

إن أم كلثوم لم تكن تستطيع أداء مقطع واحد من الغناء الأوبرالى الأوربى ، وكذلك عبدالوهاب وجميع المطربين



والمطربات المصريين ذوى الاصوات الطبيعية التى لم يدربوها على ذلك الغناء .

كذلك يعجز المغنون الأوبراليون عن الغناء العربى بالصوت الطبيعى ، لأن التدريب الاوبرالى يتحكم فى أصواتهم ويشكلها تشكيلا حديديا لافكاك لها منه ، لهذا تتضاءل أصواتهم الاوبرالية الضخمة عندما تحاول الغناء العربى ، فضلا عما يتركه هذا الغناء من لكنة أجنبية فى نطقهم تفسد امرهم كله ولهذا اخفقوا جميعا فى احتراف الغناء العربى ، لأن الجمهور يشعر بغربته عنهم وغربتهم عنه ! ..

ونلاحظ ان ترتيل القرآن لا يمكن ان يتم على وجهه الصحيح الا بالصوت الطبيعى ، وإلا أصيبت التلاوة بالخلل ، وانهارت الاحكام والشروط التى نص عليها علم القراءة ..

وللغناء العربى اوثق الصلات بفن الترتيل من قديم ، فضلا عن أن توزين كلمات اللغة العربية القائمة على اشتقاق بالغ الدقة ، يمنع تماما تحويل الصوت الطبيعى الى صوت مستعار على الطريقة الأوبرالية وغيرها من فنون الغناء الاوربية ..

ولهذا لابد أن نعترف بانه لا مستقبل للغناء الأوبرالى الأوربى بمصر فى التسعينات ولا فى القرن الواحد والعشرين ، الا بلغته الام ، اللغة الايطالية ، وباللغات الأوربية الأخرى .. ومن ذا الذى يطلب غناء باللغة الإيطالية وأخواتها ؟!

وقد آن لنا ان نكف عن الجرى وراء الموسيقى الأوربية وتقليدها تقليدا قروديا اعمى ، ولن تتطور الموسيقى العربية وتبنى كيانا ضخما ، الا اذا استطاع اهلها ان يشقوا لها طريقا مستقلا ، فلا تكون ذيلا للموسيقى الاوربية ، ولا تتطفل على فتات مائدتها ! ..

● تعريب الاوتار

● وماذا عن الآلات الكهربائية التى امتلأ بها التخت العربى فى الثمانينات ، وسيزداد امتلاء بها فى التسعينات ؟

يبدو أنه لا بأس بهذه الآلات ، مادامت تجرى فى نسق الالحان العربية وقد ادى القيثار دورا هاما فى تخت ام كلثوم ـ مثلا ـ وكذلك الأورج .. فالمهم هو طريقة استعمال هذه الالات ، ولقد كان التخت العربى فى بداية أمره يتكون من العود والقانون والناى وآلة الايقاع ، ثم دخل الكمان ، وكانوا يسمونه «الكمنجة الرومية» لان الذين كانوا يعزفون على الكمان فى مصر حتى أواخر القرن التاسع عشر كانوا جميعا من «الروم» العاملين فى فرق الموسيقى الاوربية بالفنادق الكبرى التى ينزل بها السياح الأوربيون ، ثم جاء انطون الشوا ـ والد أمير الكمان سامى الشوا ـ فعزف على كمانه الحانا عربية ، وتلاه ابنه سامى فرتب الاوتار أدق ترتيب على اساس المقامات العربية ، وابدع فى ذلك على غير مثال سابق ، ومازال عازفو الكمان فى مصر والبلاد العربية عيالا عليه

برغم ما أضافوه الى طريقته .. وبعد الكمان انفتح الباب للالات الأوربية الأخرى ، فتم تعريب أوتارها مثل الشلو والكونترباص والاوبوا والاكورديون والقيثار ، والأورج الخ .. وسوف تستقبل التسعينات فوجا اخر من هذه الالات .

● وماذا عن الاصوات الجديدة فى التسعينات ؟ !..

لم نسمع اصواتا جديدة فى الثمانينات ، ولا امل لدينا فى سماع اصوات جديدة فى التسعينات ، والموجود الآن اصوات غير غنائية تحدث ضجة شديدة فى اسماع مستهلكى اشرطة الكاسيت ورواد الملاهى الليلية الغارقين فى عالمهم الخاص من نشوة الكأس ونشوة الجنس ونشوة الدخان بألوانها المتنوعة ! ..

وقد تركت هذه الأصوات الغناء العربى واجتمعت كلها على ايقاعات ونغمات ولهجات السلم الخماسى الافريقى البدائى الذى هو الآن ملتقى المغنين الأوربيين والأمريكيين الجدد .. والحقيقة انه لا فرق بين السلم الأوربى والسلم الافريقى فى هذا اللون من الغناء ، وهما يجتمعان فى خلوهما معا من الارباع الصوتية التى تتميز بها المقامات العربية .. وفى رأينا ان خلو السلالم الافريقية والأوربية .. ومعها سلالم الموسيقات الأسيوية من الارباع الصوتية ، هو دليل بدائية لا دليل تطور كما يزعم الزاعمون ، ولولا ضيق المجال



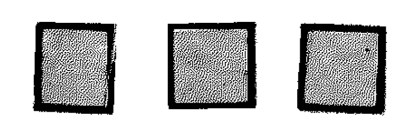
المهم هو طريقة استعمال الأوتار

لوقفنا فى هذا المقام وتحدثنا طويلا ..

ويجب أن نعترف ان مطربى الملاهى والكاسيت سوف يملأون التسعينات من غناء السلم الخماسى البدائى فهم الآن سادة سوق الغناء ، وستبقى السيادة لهم طوال التسعينات ، ومن الصعب «تسويق» اغنية رفيعة المستوى وسط زحامهم فهذا الزمان زمانهم ، وهم أعجوبته ، ولكنهم لن يكونوا وحدهم الباعثين على العجب فى التسعينات ، وقديما قال الشاعر :

ولكنها الأيام قد صرن كلها
عجائب حتى ليس فيها عجائب

فلا عجب فيما سوف تحمله التسعينات من هذه الأعاجيب ، ولا جديد تحت الشمس ! .





مستقبل الديمقراطية
على مشارف التسعينات

هل ادينا الأمانة ؟
وهل صرنا إلى النظام القويم ؟

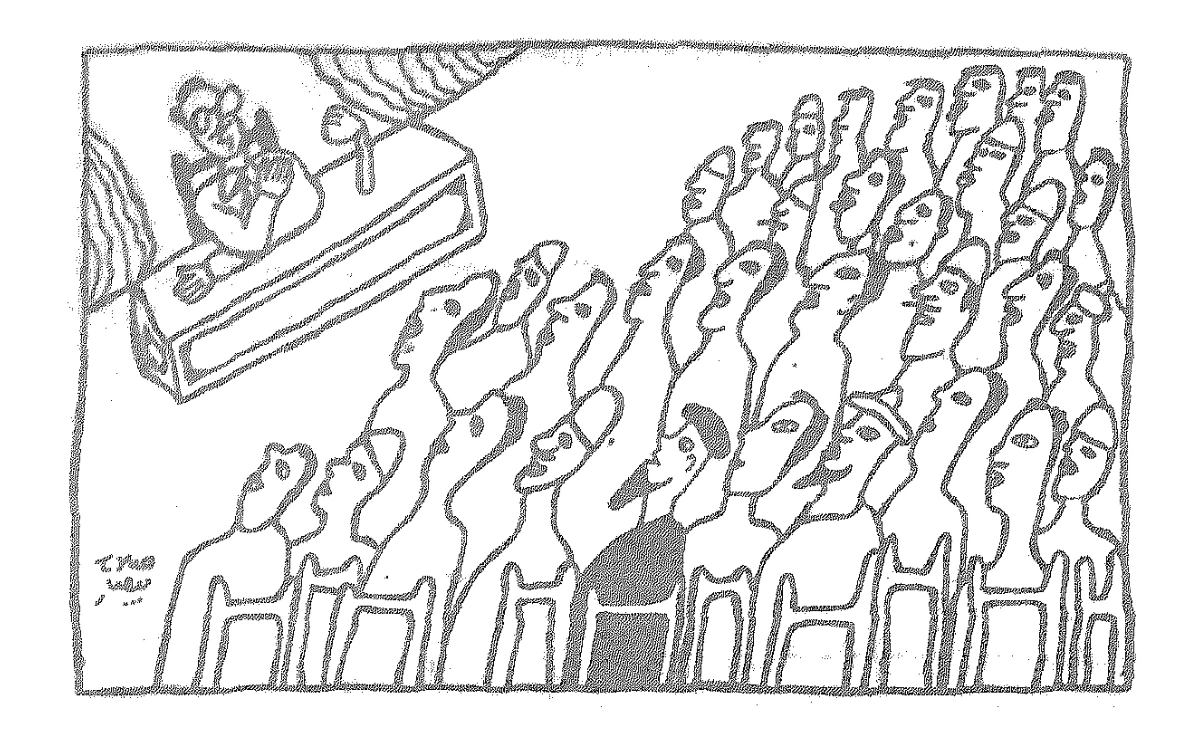
بقلم : طارق البشرى

يمكن القول بان عقد التسعينات سيشهد خروج الجيل الذى تفتح ادراكه السياسى فى اوضاع ماقبل ٢٣ يوليه ١٩٥٢ ، وهو جيل يقف افراده على ابواب الخروج الان ويزلفون واحدا واحدا .

وفى مثل هذا الظرف يتساءل الانسان ، عن دنياه التى استلمها من الجيل السابق عليه ، وعن دنياه التى يسلمها للجيل اللاحق ، هذه الامانة ، هل زادت على يديه او نقصت ؟ هل سيسلم الامانة كاملة او زائدة ؟ ام انه سيسلمها منقوصة مبتورة . الحساب صعب وعسير ، والجزاء اشد صعوبة وعسرا ، ان كانت الامانة منقوصة فويل لنا من حكم الاجيال التالية ، وويل لنا من قبل ومن بعد من قضاء الله سبحانه .

● ليت كل جيل يحاسب نفسه ، ويتناجى افراده بعضهم مع بعض ، ماذا استلموا من دنياهم عندما بلغوا العشرين ، وماذا يسلمون عندما يبلغون الستين ، ان كان التسليم ناقصا ، فلن يكون لهم عذر الا انهم قدموا كل مالديهم ، وبذلوا قصاراهم ولم يألوا جهدا ، وان الموج المضاد كان اكثر عتوا والريح اشد عصفا ولكن اهذا فعلا ماحدث ؟ الامر لله .

المسالة فى نظرى فى جانب واحد من جوانبها انه فى وقت التسلم كان ضغطنا على عدونا كبيرا ، فصرنا فى وقت التسليم بأسنا بيننا شديدا ، على مسيرة اربعين سنة ، آلت امورنا من ضعف العضل الى وهن العصب ، كنا ننكسر بقوة سلاح الطامعين ، فصرنا نذوب فى كيمياء الفرقة والتضارب ، كنا جماعة تواجه خطرا ، فصرنا جماعات تتواجه .. وهذا يقودنا الى صلب المشكلة التنظيمية فى بلادنا اى



مسألة الديمقراطية .

ما اريد ان اوضحه فى البداية ان الديمقراطية نظام اى انها بناء ، هياكل وقنوات ومؤسسات وحركة تندفع فى مسارات منظمة مرسومة وهى الة وجهاز . هذا التنظيم او التصميم يحتاج الى بنية اساسية وبنيته هى الجماعة السياسية ويحتاج الى مادة خام يشكلها ومادته الخام هى الاهداف العليا التى تنشدها الجماعة فى مرحلة معينة ، ومستقبل الديمقراطية فى التسعينات لايتوقف نجاحه وفشله على مدى كفاءة الجهاز التنظيمى فقط ، ان هذه الكفاءة هامة جدا ، ولكنها ليست السبب الوحيد المرجوع اليه فى صحة التجربة او فسادها ، بل هى مشروطة بوضع الجماعة السياسية وماتتمتع به من قوة تماسك وترابط وهى مشروطة ايضا بالاهداف المجمع عليها او شبه المجمع عليها لصلاح الجماعة وفلاحها فى المرحلة التاريخية الراهنة .

وهى مشروطة ثالثا بمدى كفاءة الاجهزة المؤسسة المساعدة التى ينتظم فيها الجماعات الفرعية فى المجتمع سواء كانت وحدات محلية او نقابية مهنية ، او سياسية حزبية ، او مما كان يسمى قديما بالوحدات الملية التى تنتظم اهل الاديان والمذاهب المتباينة . وهى مشروطة اخرا - وليس اخيرا - بجهاز الدولة الترابط والتلاؤم بين اجهزة الدولة التنفيذية والقضائية والتشريعية ومدى النفوذ الذى تملكه سلطة التنفيذ على غيرها من السلطات وذلك لتعرف هل نحن امام حالة « تماسك ديمقراطى » ام امام حالة « تحلل دكتاتورى ».



اتصور ان كثيرين يلحظون ان الصراعات السياسية التى جرت فى اواسط السبعينات قد استخدمت فيها ادوات واسلحة من شأنها ان تضرب فى البنية الاساسية وفى اسس تماسك الجماعة السياسية ، وصارت الصراعات السياسية الجارية تستخدم اسلحة

آفاق التسعينات

مستقبل الديمقراطية على مشارف التسعينات

سياسية تمس الاسس التى تقوم عليها الجماعة وتمس قوة التماسك فيها ، ان المثل الفذ على ذلك تجده فى السبعينات عندما جرى التمهيد لاصدار قانون ضد المعارضة باثارة قلق الامة حول ما سمى بالمسألة الطائفية (قانون الوحدة الوطنية) كما صارت تستخدم وسائل المساس بنظام المحرمات الدينية لمجرد احتمال زيادة بعض ارصدة البنوك ، وكل ذلك كان له اثر بعيد فى اضعاف نسيج الامة وشعور كل فريق بان امنه وبقاءه مهددان ، الا ان يبقى هكذا حذرا متوجسا

ولايكاد يمضى عام الا وتثار فيه مسألة تفرق بين قوى الامة والجماعة وتقوى بأس بعضها على بعض فى نوع من الحروب الاهلية الفكرية والسياسية .

اما من حيث الاهداف العامة التى يمكن ان يجتمع عليها تيار غالب فى الجماعة وتحدد به مؤشرات الحكم على السياسات بالصواب والخطأ ، فلم يعد من الواضح ان ثمة اهدافا لها هذا الوضع الحاكم ، اهدافا تصلح ان تقوم مقياسا ومعيارا ومن شأن هذا الوضع ان تهتز الاطر الجامعة للحركات السياسية فى المجتمع ، بما لاتقوم معه لغة حوار واحد ، والحاصل انه لو افتقدت لغة الحوار فقد صار الصراع حربيا وقتاليا بين الفرق المختلفة .

خلاصة الملاحظتين السابقتين ، ان المناخ السياسى العام ليس من شأنه ان يحفظ الاسس الجمعية للمجتمع وليس من شأنه ان يقوم به تيار سياسى اساسى تتمثل فيه بنسب متفاوته غالب خصائص الجماعة ، ويعبر عن غالب طموحاتها ، وبغير هذا المناخ يصعب ضمان استقرار تجربة تنظيم كفء ورشيد وفعال والديمقراطية تنظيم نريده كفأ ورشيدا وفعالا

درج بيننا فى السنين الاخيرة تعبير « القوى السياسية المحجوبة عن الشرعية » ولنا ان نتساءل عن اثر هذا الحجب من الشرعية لقوى سياسية قائمة ، اثره على كفاءة التنظيم السياسى ورشده والحاصل انه كلما انسدت الاوعية التنظيمية من دون مايموج به المجتمع من حركات سياسية ذات شأن ونفوذ بين الناس ، او كلما ضاقت هذه الأوعية عن استيعاب مجمل تلك الحركة بالقدر الذى يتناسب مع حجمها وحركتها ، كلما حدث ذلك كلما كان التنظيم يمهد الاسباب لظهور التنظيمات السرية والحركات غير المرئية ، وكلما اثبت التنظيم بذلك عدم قدرته على « ادارة المجتمع » وكلما قلت امكانية التنبؤ بمسار الحركات الاجتماعية وامكانية دراسة الواقع الاجتماعى



السياسى وكلما صارت الحركة التحتية غير المرئية وغير المحسوبة مصدر قلق واضطراب يشيع فى مجمل الحركة الاجتماعية ، اى كلما ابتعد المجتمع عن تحقيق الشروط اللازمة لاستقراره ولمسيرته الراشدة .

ان يقوم تنظيم حزبى يؤدى الى وجود عدد من الاحزاب لاتمثل حقيقة الاوضاع السياسية الاجتماعية الثقافية فى البلاد وان يكون الموجود (رسميا) ليس حقيقيا والحقيقى ليس موجودا ، وان تنشأ هوة واسعة بين مايعترف القانون بشرعيته ومايعترف الرأى العام بشرعيته . كان ذلك لا اظن انه يمكن به ان تنتظم ادارة المجتمع من حيث كون هذه الادارة رابطا بين من يدير ومن يدار .

اذكر انه مع بدايات تغير النظام السياسى فى منتصف السبعينات (تغيره من الواحدية التنظيمة الى التعددية التنظيمية) عقدت ندوة عن النظام السياسى المصرى فى الجامعة الامريكية وفيها ذكر احد كبار رجال الحكم المسئولين وقتها ، ان هدف تغيير التنظيم السياسى للدولة ، هو التحرك من نظام الحزب الواحد بالصورة الشبيهة بالنظام السوفييتى الى نظام تعدد التنظيمات السياسية بالصورة الشبيهة بنظم « الديمقراطيات الشعبية » فى اوربا الشرقية .

اننا نلحظ سقفا يحوط الحركة الحزبية يمنع من تصاعدها وانتشارها فى غير النطاق المحصور والمضروب عليها ، وهو اطار يحوط بالجماعات السياسية المختلفة ويمنع من ان تتحول الى مايجاوز واحدة من جماعات الضغط المتعددة فى البلاد .

هو وضع حريص على استبقاء الحركة الحزبية فى اطار جماعات الضغط من حيث الفاعلية السياسية . وان تبقى كيانات غير مأذون لها بوصفها التنظيمى ان تقترب من مراكز الحكم ، ومن هنا نلحظ سبب تلك الظاهرة التى يسفر عنها قانون الاحزاب وتطبيقه ، وهى اذا لم يمكن صياغتها على طريقة هيجل الفلسفية المطلقة « كل موجود غير حقيقى وكل حقيقى غير موجود » فيمكن التعبير النسبى عنها بمقولة « من الموجود ماليس حقيقيا ومن الحقيقى ماليس موجودا »

وعلى مدى حقبة التعددية الحزبية منذ منتصف السبعينات نلحظ ان اى تيار سياسى بدت عليه « شبهة »انه حقيقى خضع لجملة من اجراءات التدجين وحملاته ، واول ذلك الحجب عن الشرعية ثم العزل الاعلامى ثم ما يلائم الحال من سطوة الحكم وصرامته .

المهم انه يكاد يظهر من استمرار هذا الوضع سنين طويلة ، ان ثمة ترابطا غير ظاهر بين « ماهو موجود » فى مواجهة « ماهو حقيقى » وصارت خريطة الاوضاع السياسية تسمح بالظن بان الشرعى وغير الشرعى يمثل تصنيفا او معيارا لتصنيف القوى السياسية ، وهو يؤثر فى حركتها ، وفى مدى تقاربها بعضها من بعض لان عددا من الكيانات الشرعية صار مظهرا من مظاهر الاوضاع الراهنة يضاف الى عناصر التكوين المؤسسى الراهن كواحد من مكوناته اللصيقة المتصل به اتصال قرار واتصال مصير .

انا لا ارى عيبا فى هذا الوضع من حيث ان تتصل مكونات الحياة السياسية المصرية اتصال قرار واتصال مصير شريطة ان تكون ممثلة للمكونات الحقيقية

مستقبل الديمقراطية على مشارف التسعينات

للجماعة السياسية ولمجمل تيارات الرأى العام السائدة بين الناس ولعل هذا ماتطمح ان تتعدل الصورة الحاضرة اليه ، ضمانا للفاعلية والرشد والاستقرار الحقيقى الآمن . ولعل هذا مابه نضمن قيام تيار عام سياسى اساسى يحمل الجماعة السياسية على عاتقه ويحميها ويحفظها من التناثر ويدفعها فى طريق النهوض .

ان المنطق الذى اشرت اليه على لسان واحد ممن صمموا ونفذوا اسلوب تغيير النظام السياسى من الواحدية الى التعدد فى السبعينات ، ان هذا المنطق اظن انه لايزال يجد مؤيدين كثر ، وهو ان تبقى التعددية فى اطار محكوم ومحسوب يأذن بابداء الرأى ويسمح بممارسة مايتيسر من ضغوط الرأى العام على اصحاب القرار ، ولكنه لايسمح للقوى السياسية ذات الوجود الظاهر او المحجوب ان تشارك فى اتخاذ القرار على اى من مستويات اتخاذه وان لضمان استصحاب هذا الحال اوضاعا تتعلق بالتنظيم الحزبى اشرنا اليها من قبل ولضمان استصحابه اوضاع تتعلق بمؤسسات الدولة نشير اليها .

اننا نتذكر خلال السبعينات ، وفى اقصى حالات تصاعد قوى المعارضة السياسية وفى اكثر الظروف توفيقا وملاءمة لاتخاذ المواقف الموحدة من جانب القوى المتباينة للمعارضة فان اقصى مااستطاعت ان تصل اليه فى قمة تجمعها وترابطها ، ان توقف اتخاذ اجراء ما ، ولكنها لم تستطع امتلاك المبادرة لتفرض ماتراه فى اى من وجوه السياسات ولا ان تحفظ قدرتها على الحشد والتماسك .

واليوم صار الوضع بالنسبة لقوى المعارضة اكثر صعوبة وتعقيدا فامكانات اللقاء تباعدت على مدى الاعوام القليلة الماضية ، ووجوه الخلاف تكاثرت والفجوات اتسعت ، وذلك كله ملحوظ سواء فى النداءات العامة او فى الانشطة التى تمارس فى الهيئات الرسمية كالمجلس النيابى

ولعل واحدا من اهم الاسباب التى ادت الى هذا الحال ان ادارة الصراع قد جرت بقدر من المهارة والذكاء خلال الثمانينات ، بما يمكن من اثارة القضايا الفارقة والمثيرة للصراع بين قوى المعارضة وبما يمكن من تضخيم وجوه الخلاف بين هذه القوى وابرازها بوضعها القضايا الحاكمة لغيرها . ان المجال لايتسع لذكر الامثلة التفصيلية ولعل القارىء يستطيع ان يستدعى بذاكرته الكثير من الشواهد على مانقول .

وقد كان هذا الظرف مواتيا لصياغة العمل فى المؤسسات الرسمية بما يكفل ضمان الانفراد بسلطة اتخاذ القرار دون مزاحم وبدون مشارك .

وقد جاء ذلك بالحرص على ضمان اغلبية عالية جدا فى المجلس النيابى ومن الناحية العملية ليس المطلوب هو مجرد الحصول على الاغلبية المطلقة التى تصلح لتشكيل الحكومات لان ذلك يسير ، وهو لايضمن انفرادا باقيا ، انما المطلوب ضمان اغلبية دائمة ثابتة فى المجلس النيابى لاتقل عن الثلثين بحال ، وهى الاغلبية الاستثنائية اللازمة لاقتراح تعديل الدستور نفسه .. ولضمان هذه النسبة عمليا لابد من ضمان هامش زيادة يستبعد

احتمالات تأثير التغيب والمرض والمفاجآت الطارئة بالنسبة لحضور جلسات المجلس . وهذا الهامش يرفع النسبة الى ثلاثة ارباع المقاعد . وبعد ذلك يبقى الربع تجرى عليه المنافسة .

يضاف الى ذلك ، انه لكى تمارس رئاسة الجمهورية سلطتها الدستورية وفقا لنظام دستور ١٩٧١ ، لابد ان يكون ذلك من خلال رئاسة الحزب ايضا ، لان المجلس النيابى قد صار من الادوات الاساسية للحكم بخلاف ماكان عليه الحال فى الستينات ، وان منصب الرئاسة للجمهورية وللحزب هو مابه تلتقى سلطتا التنفيذ والتشريع لقاعهما المستقر الثابت . ومن ثم وجب استبقاء اسلوب الاستفتاء على رئاسة الجمهورية حتى تكون الشرعية التمثيلية للرئاسة قائمة براسها فى تحقيق النيابة عن الشعب ، ثم هى برئاسة الحزب تستجمع الصفة التمثيلية لمؤسسة الحكم بمجلس الشعب .

اما من ناحية العملية الانتخابية ، فان عملية التمثيل النيابى شئنا ام ابينا تتأثر تأثرا واسعا بالمؤسسات الاجتماعية ذات الهيمنة بين جماعات الناخبين ، وقبل ٢٣ يوليه ١٩٥٢ ، كانت هذه المؤسسات الاجتماعية ذات التأثير الكبير فى نتائج الانتخابات تتمثل فى الاسر الكبيرة الممتدة ذات النفوذ فى الريف وبالعصبيات القائمة هناك ، وكانت معرفة الاتجاهات السياسية لهذه الكيانات الاجتماعية مما يسهل معه توقع نتائج الانتخابات ان جرت حرة . اما بالنسبة للمدن وخاصة فى القاهرة حيث يكثر المهنيون ويضعف اثر العائلات فقد كان للحركة النقابية المهنية اثرها ولتجمعات الطلبة والمهنيين .

الان تغيرت ملامح هذه الصورة لان النفوذ الاقتصادى والاجتماعى الموروث للاسر فى الريف والاقاليم ضعف كثيرا ، شارك فى ذلك قوانين الاصلاح الزراعى وسياسات ثورة ٢٣ يوليه على مدى عشرين سنة والهجرات من الريف الى المدن ، سواء بسبب التعليم والتوظيف بالنسبة للطبقة المتوسطة او بسبب التجنيد بالنسبة للطبقات الشعبية .. وفى الوقت نفسه تغلغل نفوذ السلطة المركزية للحكومة عن طريق الهيمنة على العمليات الانتاجية الزراعية وغيرها وعن طريق مؤسسات الائتمان الزراعى والانتاجى



آفاق التسعينات

مستقبل الديمقراطية على مشارف التسعينات

وعن طريق مؤسسات الحكم المحلى وعن طريق نشر الخدمات التعليمية والصحية التى ربطت الريف بالمدينة وبالسلطة المركزية وصارت هذه المؤسسات هى المؤسسات الاجتماعية ذات الهيمنة فى الريف بعامة .

اما فى المدن فان غالب النقابات المهنية قد صارت الغلبة فى عضويتها لموظفى الحكومة بما لذلك من اثر كبير عليها وذلك شأن النقابات العمالية بوضعها المركزى المهيمن القابض .

★ ★ ★

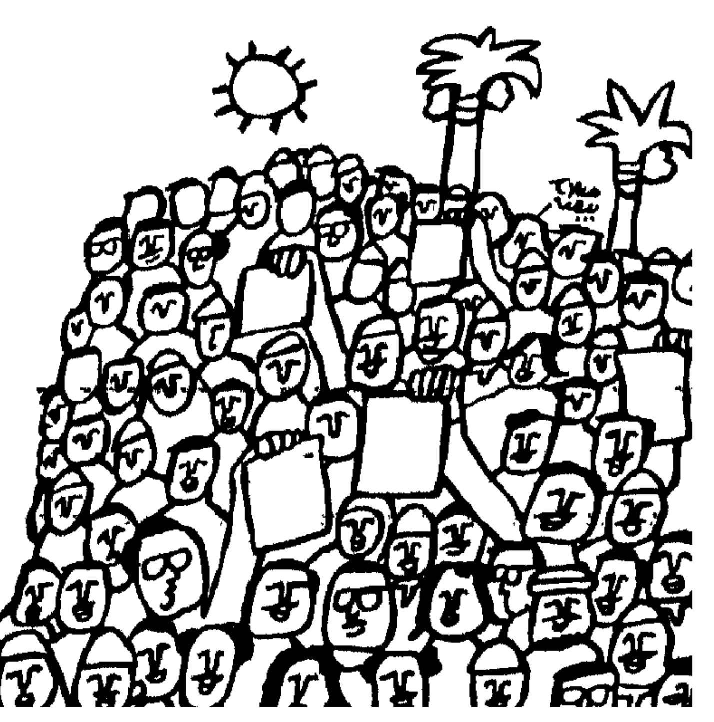
هذا هو مجمل الاوضاع التى نتقدم بها الى التسعينات ، وانا لا اجد فيها ظلاما كثيفا ، وان كنت اجد فيها خطرا بعيدا ، ليس فيها ظلام كثيف لان ليس فيها مشكلة معضلة وكل حلولها فى اطار القدرات المتاحة للجماعة ومفكريها ومنظميها شريطة ان ندرك مايلى :

اولا : ان تستقر لدينا المسلمات المتعلقة بتكوين الجماعة السياسية وتماسكها وان يستقر لدينا ماتقوم به هذه الجماعة من عناصر ومقومات اساسية تتعلق بادراك الهوية العقيدية الثقافية والتكون التاريخى .. هذه اصول علينا ان نسلم بوجوب احداها فى الاعتبار فى تحديد حركتنا المستقبلية ومسارنا ومعرفة مايعترضنا من مخاطر تمس مقومات هذا الوجود وما نحتاجه من عناصر النهضة بهذا الوجود المحدد .

ثانيا : بمراعاة ماسبق فثمة مايوجب تحديد الاهداف العليا التى يجتمع عليها المجتمع فى هذه المرحلة من تاريخه وتتعلق بالحفاظ على هويته وعقائده وثقافته وارضه ومصالحه الاقتصادية وحريته فى التعبير والنهوض بذلك . وهى على الجملة اهداف الاستقلال فى مواجهة التبعية والتوحد فى مواجهة التجزئة والاصالة الحضارية فى مواجهة الازدواج الفكرى والنفسى والمؤسس الذى يشق المجتمع ويقصمه .

ثالثا : الافساح لكل التيارات السياسية الاجتماعية والثقافية العقائدية بقدر ماتتمتع به من نفوذ لدى الرأى العام الافساح لها جميعا فى الوجود والمشاركة فى وضع الصياغات العامة للنهوض بالمجتمع والمحافظة على استقلاله ووحدته وهويته .

ولست ادرى ان كنا سنستطيع ان نسلم الامانة غير منقوصة رعى الله مصر والهمها الرشاد .



هل انتهى عصر الفلسفة ؟

بقلم : د. فؤاد زكريا

منذ القرن الثامن عشر ، أشار الفيلسوف الألمانى الكبير « إيمانويل كانت » إلى سمة فريدة للعقل الانسانى ، هى أنه يسعى إلى البحث عن إجابات لأسئلة يستحيل الاجابة عنها ، ومع علمه بهذه الاستحالة ، فإنه لايكف عن طرح تلك التساؤلات فقد رأى أن هذه السمة الفريدة هى التى تشكل قوام « الفلسفة » .

ولقد كانت تلك ملاحظة عميقة بحق . ذلك لأن « كانت » قد أدرك فيها أن طبيعة الفلسفة أقرب إلى طرح الأسئلة منها إلى تقديم الاجابات وهو يعلم أن الأسئلة القصوى أو الأسئلة « الحدِّية » كما يسميها البعض ، يستحيل أن تجد لدى العقل البشرى إجابة حاسمة . غير أن العقل نفسه الذى يدرك هذه الاستحالة ، هو الذى يعود إلى التساؤل بلا انقطاع . إن الفلسفة إذن ، فى جانب أساسى من جوانبها ، ماهى إلا نزوع إلى البحث عما يستحيل الاهتداء إليه على نحو نهائى قاطع . ولكن هذا النزوع لايعرف اليأس ، ولايتوقف ولاينتابه الاحباط من جراء الاخفاق المتكرر ، أو الحاجة الدائمة إلى البدء من جديد .

● ولكن إذا كان جوهر الفلسفة هو التساؤل فإن هذا لايعنى أن الفلسفة تعجز عن تقديم إجابات ، وإنما يعنى أن الاجابات التى تقدمها تحرض على المزيد من التساؤل أو أنها إجابات تشحذ فى أذهاننا ملكة التساؤل .

وحين نستوعب دلالة هذه الحقيقة يختفى على الفور ذلك التعارض الذى يتصور الكثيرون وجوده بين الفلسفة والعلم ، ويتلاشى تلقائيا ذلك التنافس الوهمى بين تأملات الفلسفة وأبحاث العلم المنضبطة . ذلك لان التنافس بين الاثنين كان يرتكز على اعتقاد بأن الفلسفة فى جوهرها محاولة للاجابة عن الأسئلة ذاتها التى يسعى العلم إلى كشف غوامضها ومن ثم تصبح الفلسفة منذ مطلع العصر الحديث ، فى موقف الضعف إزاء العلم الظافر ، وتنسحب من كل أرض جديدة يغزوها العلم ولو صح هذا لكان معناه أن عصر السيادة المطلقة للعلم ، والهزيمة المطلقة للفلسفة ، قد أصبح على الأبواب . .

● انبهار بالتقدم العلمى

كان هذا الرأى يعود إلى الظهور بقوة

فى كل عصر يحرز فيه العلم تقدما يبهر العقول . وحسبنا ان نضرب لذلك مثلين ـ ضمن امثلة أخرى كثيرة ـ أحدهما فى اول القرن التاسع عشر ، والثانى فى آخره . فقد كان الانبهار بالتقدم العلمى الذى بدا فى مطلع العصر الصناعى ، أنه سيطر على جميع مظاهر الحياة وأوجد تفسيرا لكل شيء هو الذى دعا الفيلسوف الفرنسى « أوجيست كونت » إلى ان يجعل من الفلسفة مرحلة وسطى ضمن ثلاث مراحل مرت بها البشرية : الأولى هى المرحلة الأسطورية (أو اللاهوتية) والثانية هى المرحلة الفلسفية (أو الميتافيزيقية) والثالثة هى المرحلة العلمية (أو الوضعية) وهنا يصبح دور الفلسفة هو تجاوز الفكر الأسطورى والتمهيد لظهور العلم ، وتصبح أهميتها « تاريخية » فحسب فهى مرحلة مرت بها البشرية وانتهت بعد ان حلت محلها مرحلة أخرى تفسر الظواهر بالمنهج العلمى الدقيق .

وفى أواخر القرن التاسع عشر تعود النزعة العلمية المتطرفة الى الظهور وتنظر إلى التفكير الفلسفى بترفع ، فتظهر سلسلة من المذاهب التى امتدت حتى النصف الأول من القرن العشرين ، والتى تجعل من الفلسفة مجرد ملحق من ملاحق العلم فهى تحلل قضايا العلم الهامة ، أو تدقق فى مناهجه الرئيسية أما حركة التقدم الحقيقية فلا تتم إلا داخل العلم .

هذه الاتجاهات التى لم نذكر منها إلا مثلين ، تؤكد كلها فكرة « التعاقب » بين الفلسفة والعلم ، ولا تعمل حسابا كافيا « للتعايش » بينهما . ولابد فى إطار موقف كهذا أن ينتهى المرء إلى إصدار حكم سلبى على الفلسفة فيراها طريقة فى التفكير تقادمت منذ أن ظهر العلم بمناهجه الدقيقة ، أو يراها « حاشية » على التفكير العلمى أو « مذكرة إيضاحية » لكشوفه الاساسية . ولكن الفهم العميق لطبيعة العلاقة بين الفلسفة والعلم قد كشف عن صورة اخرى مختلفة كل الأختلاف ، لاتدعونا إلى مراجعة مفاهيمنا الراهنة فحسب بل تدفعنا إلى إعادة النظر فى كافة تفسيراتنا السابقة لهذه العلاقة .

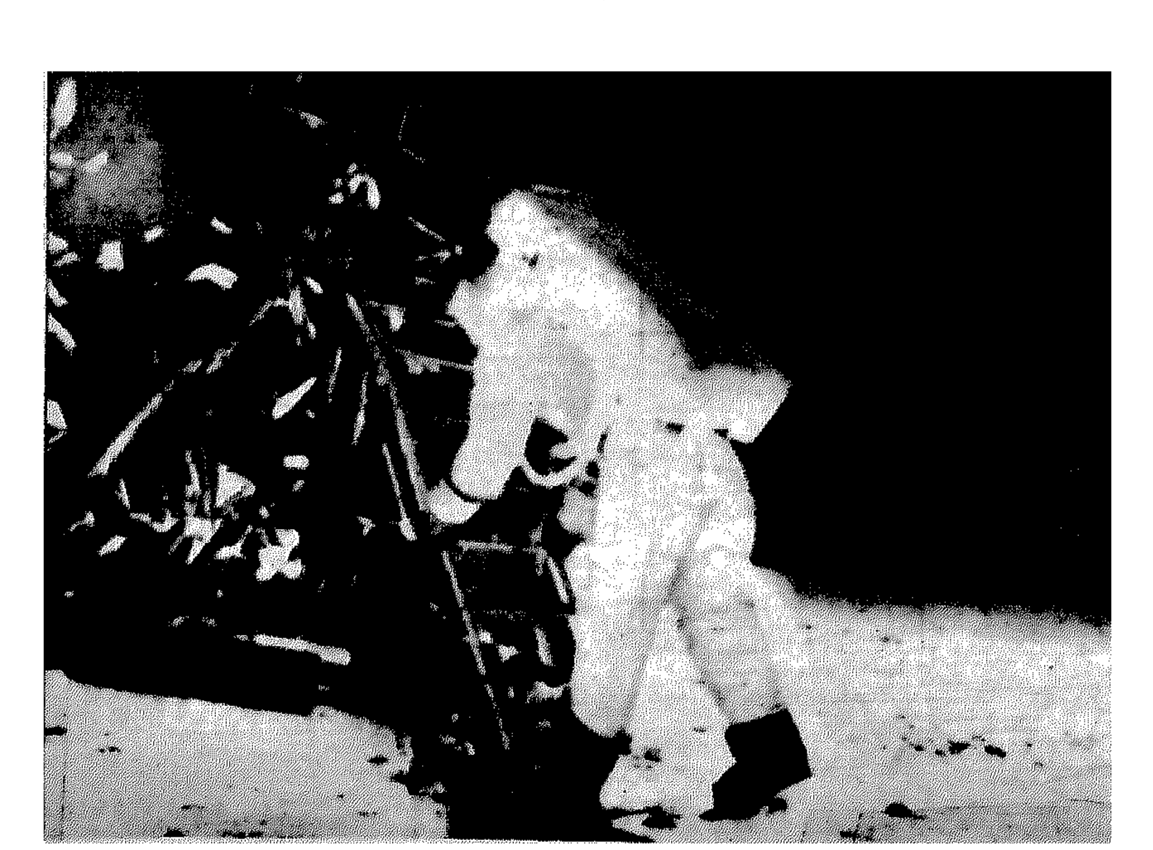
لقد كان النصف الثانى من القرن العشرين من اعظم فترات التقدم العلمى والتكنولوجى خصبا وثراء . واغلب الظن ان جزءا كبيرا من القرن القادم سيكون محاولة لاستخلاص النتائج الهائلة المترتبة على إنجازات هذا النصف الثانى فى ميادين مثل الحاسب الالكترونى وغزو الفضاء والبيولوجيا الدقيقة . ولقد كان المتوقع لو صحت آراء القائلين بالتنافس بين العلم والفلسفة ، ان تشهد الفلسفة تراجعا كبيرا فى عصر الهيمنة العلمية الذى نعيش فيه ، ولكن حقيقة الامر ابعد ماتكون عن ذلك .

إن كل تقدم علمى حاسم يفتح أبوابا واسعة لتساؤلات فلسفية اساسية . وبدلا من ان يعمل هذا التقدم على استبعاد الفلسفة او يعلن نهاية عصرها ، نراه ـ على العكس من ذلك ـ يتيح للفلسفة مجالات جديدة لم تطرقها من قبل ، بل يتوقف فى أحيان كثيرة انتظارا للاجابات التى تقدمها إليه الفلسفة ، ثم يقرر بعد

ذلك أن كان سيواصل طريقه ، أم سيتوقف ، أم سيصحح مساره . والأمثلة على ذلك فى حياتنا المعاصرة لاحصر لها .

لنتأمل مايترتب على التقدم فى تكنولوجيا الاتصالات من نتائج على الطريقة التى يفكر بها الانسان وينظم بها حياته . إن العالم على وشك أن يصبح « قرية صغيرة واحدة » كما يقول التعبير الذى أصبح مشهورا . وفى وقت أقرب مما نتصور ، سوف يتسنى لكل أسرة على سطح هذه الأرض أن تسمع وتشاهد من خلال أخطر الأجهزة تأثيرا على عقل الانسان ، أعنى التليفزيون أنباء ومعلومات وأحداثا وأعمالا فنية تنتمى إلى جميع بلدان العالم ، فى اللحظة نفسها التى تبث فيها هذه البرامج فى بلادها الأصلية وسوف يتسنى لكل أسرة أن تتخطى دون أى مجهود ذلك الحاجز الاعلامى الذى تفرضه أنظمة الحكم ، وخاصة فى بلاد العالم الثالث ، على شعوبها . وإذا كان الجيل الأول ممن سيشهدون هذه الثورة ، التى هى فى صميمها ثورة عقلية ، سيظل محتفظا بالكثير من الأفكار الموروثة عن العصور السابقة ، فما الذى سيحدث لعقول الجيل الثانى والثالث والرابع ؟ وماذا سيطرأ على مفهوم « تعدد الثقافات » فى هذه الحالة ؟ وكيف نتوقع أن يكون شكل العالم الذى يعرف كل مجتمع فيه أنماط الفكر والحياة لدى كل مجتمع آخر ويتعايش معها كل يوم ؟ وماذا سيطرأ على القيم الأخلاقية من تغيرات حين تصبح أنماط السلوك لدى الشعوب « المتحررة » بكل مافيها من مزايا وعيوب مكشوفة لدى الشعوب « المحافظة » ؟ وكيف ستتمكن الحكومات الاستبدادية من الاحتفاظ بسيطرتها على شعوب لم تعد خاضعة « لغسيل المخ » الذى كان من قبل يتدفق عليها ، دون أن تدرى ، من كل جانب ؟

الصعود .. الى القمر

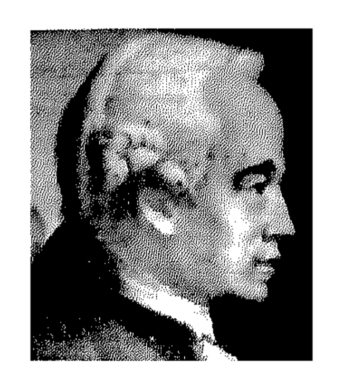


● قلق العالم الثالث !

هذه كلها أسئلة « فلسفية فى المحل الأول . ومن خلالها نستطيع أن نفهم حالة الجزع والقلق التى تنتاب المسئولين عن رسم السياسة الاعلامية فى دول العالم الثالث من جراء الاحتمالات المزعجة القادمة ، وندرك سبب تلاحق المؤتمرات التى يعقدها هؤلاء المسئولون ولاسيما فى بلادنا العربية ، والتى هى فى الحقيقة محاولة للبحث عن جواب لسؤال يعد فى نظرهم أساسيا ، وهو : ماذا سيحدث حين ينهار جدار الأكاذيب الذى حاولنا أن نقيمه طوال العقود السابقة أمام وعى شعوبنا ، وكيف سنتعامل مع الناس حين يعرفون « الحقائق » ؟ هذا كما قلت هو الجانب الذى يشغلهم ويقلقهم من هذه التطورات ، أما الجوانب الأخرى ذات الطبيعة الفلسفية والحضارية الأعمق ، فأشك فى انه يشغل أى قدر من اهتمامهم .

ولننظر إلى النتائج المذهلة التى ستترتب على غزو الفضاء ، ومدى التحديات التى يجلبها هذا الغزو على طريقة تفكير الانسان ونظرته إلى موقعه فى هذا الكون ، إن القرن القادم سيشهد محاولات جادة من اجل إقامة مستوطنات بشرية خارج نطاق الكرة الأرضية : فى القمر أولا ، ثم فى المريخ ، وربما فى كواكب أخرى . وعلى من يشك فى ذلك أو يراه إسرافا فى الخيال ، أن يتذكر أن الانسان لم يستغرق إلا أقل من اثنى عشر عاما لكى ينتقل من أول قمر صناعى صغير اتخذ له مدارا حول الأرض حتى الوصول إلى القمر والبقاء فيه ساعات والعودة منه إلى الأرض بسلام . وليس من المستبعد أن تكون غريزة البقاء والاستمرار لدى الانسان هى التى وجهته دون أن يشعر ، الى ميدان الفضاء الخارجى الفسيح فى الوقت الذى بدأت فيه الأرض ومواردها وطاقاتها تضيق بمطالبه واحتياجاته وأعداده المتزايدة والأمر الذى لايشك فيه علماء اليوم هو أن التراكم المتسارع للمعارف العلمية والخبرات العملية سيتيح للانسان خلال القرن القادم ، البدء فى استيطان أجزاء أخرى من هذا الكون الفسيح ، وإقامة « مستعمرات » قادرة على الاكتفاء بنفسها وتجديد شروط الحياة فيها تجديدا ذاتيا .

ومنذ أيامنا هذه بدأ التساؤل بين مفكرين يبدون بمقاييسنا الحالية مسرفين فى الخيال ، ولكنهم قطعا ليسوا أشد إسرافا ممن كان يجرؤ على أن يقول فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، إن الانسان سيمشى على سطح القمر بعد أقل من ربع قرن ـ أقول إن التساؤل بين هؤلاء المفكرين بدأ منذ الآن حول نوع الحياة التى سيحياها الانسان فى هذه المستوطنات الفضائية فهل ستظل كل جماعة بشرية محتفظة بهويتها « الارضية » بعد انتقالها الى « العالم الجديد » ؟ وهل ستظل « السلالة الامريكية » محتفظة بالولاء لبلدها الأصلى ، وتضع لنفسها نظما مماثلة لتلك التى كانت تسود حياتها على سطح الأرض ، وهل ستفعل السلالات السوفييتية واليابانية والفرنسية هذا الشىء نفسه ، أم أن فلسفة الانتقال إلى



عمانويل كانط

استيطان الفضاء الخارجى تحتم طرح هذه الاختلافات « الأرضية » جانبا وإيجاد أسس جديدة لتفكير البشر وتنظيم حياتهم ؟ وهل نستطيع نحن على هذه الأرض المثقلة بالصراعات أن نتعلم شيئا من رؤية إنسان الفضاء لكوكبنا النائى الصغير ؟ وهل سيتمكن البشر حقا من تحقيق هذه الانجازات الحاسمة ، والانتقال إلى عوالم جديدة ، فى ظل منطق القوة الذى يسود حياتهم الراهنة ؟ هذه أسئلة حيوية يعترف العلماء أنفسهم بأنهم لايستطيعون الاجابة عنها ، ويؤكدون أن الفلسفة ـ بأوسع معانيها ـ هى وحدها القادرة على أن تفتح أمام عقولنا احتمالاتها المختلفة ، والنتائج المترتبة على كل منها ، حتى لو لم نستطع الوصول إلى اجابة حاسمة عن أى منها .

● استكشاف أسرار المخ !

فلنأخذ ميدانا آخر سيكون بغير شك من أهم الميادين التى يؤثر فيها العلم على حياتنا خلال القرن القادم ، وهو ميدان البيولوجيا (علم الأحياء) . ففى أيامنا هذه يخطو العلم خطوات أولى ، ولكنها واثقة ومبشرة بانتصارات هائلة ، نحو استكشاف اسرار ذلك العضو الغامض الذى يتحكم تحكما تاما فى وظائفنا الذهنية والنفسية والعصبية والعضوية واعنى به المخ البشرى . وبرغم كل ماحققه العلم فى هذا الميدان من إنجازات فمازلنا ـ باعتراف العلماء أنفسهم ـ فى أول الطريق المؤدى إلى حل الألغاز المحيطة بهذا العضو العجيب . والدلائل كلها تدل على أن أسرارا هائلة ستكشف ، واحدا تلو الآخر فى القرن القادم . وفى الوقت نفسه فإن اكتشاف الشفرة الوراثية فى أواسط هذا القرن قد فتح أبوابا واسعة أمام فرع علمى جديد هو الهندسة الوراثية ، ستكون لكشوفه تأثيرات ثورية فى تخليق أنواع جديدة من الحياة النباتية والحيوانية ، بل والانسانية ، وفى استحداث أساليب جديدة للتكاثر الحيوى (وهى أساليب لايعد « أطفال الأنابيب » سوى المرحلة الأولى والبسيطة منها) بل وفى استنساخ الكائن الحى كاملا أى تخليق نسخة طبق الأصل منه ، عن طريق خلية واحدة من خلاياه .

هذه الكشوف كلها لم يعد تحقيقها الا مسألة وقت ، ولكن جانبها العلمى قد يكون أبسط جوانبها وأقلها تعقيدا ، أما جانبها الانسانى والاجتماعى والأخلاقى الذى يقوم فيه التفكير الفلسفى بالدور الحاسم فإن جميع الدلائل تدل على أنه هو الجانب المعقد بحق ، فمنذ اللحظة الراهنة ظهرت مخاوف عميقة من أن تقع هذه القدرات الجبارة فى السيطرة على المخ البشرى ، أو فى إنتاج سلالات بشرية ذات مواصفات إيجابية أو سلبية محددة مقدما ، فى أيدى مؤسسات أو أنظمة تستهدف الربح أو التوسع أو إخضاع العالم لسلطتها . ومنذ الآن أخذ يظهر التعارض بين قيمنا التى صيغت على

اساس الأوضاع الماضية والحاضرة ، وبين الاحتمالات المستقبلية التى ستشكل إنقطاعا خطيرا وحادا عن كل ما كان سائدا من قبل ، والتى تستدعى مراجعة جذرية لكل ما يضبط حياتنا من مبادىء اخلاقية واجتماعية وقانونية وسياسية . ومنذ الآن ظهرت الفجوة الهائلة بين قدرات الانسان على التحكم فى عالمه المادى ، وبين النسق المعنوى الذى ينظم حياته واتضح له ان هناك اختلالا شديدا بين المجالين ، لايعيد إليه التوازن إلا جهد فكرى وفلسفى ضخم يراجع مسلماته ويعيد النظر فى جميع تقويماته . وهكذا ينفتح امام الفلسفة مجال جديد ، وتشكل تلك التطورات المستقبلية الهائلة تحديا ضخما أمام الفكر الفلسفى ، بأوسع معانيه . وكلما تمكن العلم من فتح افق جديدة فى العالم المادى ، إزداد الالحاح على الفلسفة كما تساعدنا على استعادة التوازن المختل واسترجاع التناسق فى رؤية الانسان لعالمه .

واخيرا فإن الوعى الحاد الذى اصبح يسود العالم باسره فى ربع القرن الاخير ، بالاخطار التى تهدد البيئة الطبيعية على مستوى الكوكب باسره لم يخلق مشكلات علمية وتكنولوجية فحسب ، بل إن الجانب الفلسفى للموضوع كان هو الاشد إلحاحا ، والاكثر حسما . فقد تبين بوضوح ان المشكلة لاتتعلق فقط بالبحث عن اساليب فنية للتخلص من تاثير هذا العادم او ذاك ، او للحفاظ على هذه الانواع الحية او تلك ، وإنما تتعلق اساسا بالمقومات العامة للحياة البشرية ، التى تكمن من وراء التلويث الخطير للبيئة الطبيعية .

فما الذى ينبغى أن يكون عليه موقف الانسان من الطبيعة ؟ لقد شعر الانسان فى مطلع العصر الحديث بالزهو حين بدأ يسيطر على الطبيعة ، من خلال كشف قوانينها ويسخر قواها لمصلحته وحين قرر أن يقف إزاء الطبيعة موقف السيد من العبد . غير ان الاستنزاف المفرط للطبيعة سرعان ما اثبت له ان التلاعب بها يمكن ان يعود عليه باشد الاضرار . وهكذا بدا الفكر الفلسفى يعيد النظر فى صيغة « السيطرة على الطبيعة » التى سادت العصر الحديث ، ويستعيض عنها بصيغة « التعاون مع الطبيعة » وهى الصيغة التى يحرص فيها الانسان على احترام الطبيعة والحفاظ عليها ، بقدر مايحرص على تحقيق مطالبه الاساسية من خلالها . ولاجدال فى ان هذه الصيغة تصطدم بنظام كامل للحياة يقوم على الاستهلاك المفرط ، والسعى اللانهائى إلى الربح والتوسع فى النشاط الاقتصادى وإن يتقرر مصير هذه المعركة بين مطالب الطبيعة التى توشك على أن تخذلنا وتنقلب علينا ، وبين متطلبات الاقتصاد الاستغلالى التى تتمسك بها اقوى مجتمعات البشر إلا على ارض الفلسفة

ان التحدى الاعظم للفلسفة ياتى من العلم ، ولكن مانقصده بالتحدى فى هذه الحالة ليس المعنى السلبى ، اى تعريض الفلسفة للخطر ، او التهديد بسحب الارض التى ترتكز عليها ، وانما هو المعنى

الايجابى ، اى اثارة المزيد من التساؤلات ، وطرح المزيد من المشكلات ، فى ميادين غير مطروقة ولا مسبوقة ، يعترف التفكير العلمى ذاته بانه يحتاج فيها اشد الاحتياج الى العون الذى يقدمه التفكير الفلسفى ، صحيح ان كثيرا من المشكلات الفلسفية التقليدية لم تعد لها إلا قيمة تاريخية ، وصحيح ان اشكاليات الحاضر والمستقبل مختلفة جذريا عن اشكاليات العصور التى نبعت فيها الفلسفة والتى تركت بصماتها على معظم فترات تاريخها اللاحق ، ولكن ينبغى أن نتذكر ان الفلسفة ليست مضمونا فكريا فحسب ، وانما هى قبل كل شيء منهج ، واذا كان المضمون الفكرى للفلسفة فى حاجة الى تعديلات اساسية كيما يتواءم مع المشكلات الجديدة التى تثيرها الكشوف العلمية والتطورات التكنولوجية فان منهج الفكر الفلسفى بما يتسم به من شمول يتجاوز الجزيئات ، ويبحث عن العلاقات والروابط الكلية بين الظواهر سيظل يمثل احتياجا دائمـا فى صميم العصـر العلمى والتكنولوجى وهو وحده الكفيل باعادة التوازن الينا حين يصدمنا العلم ، فى القرن المقبل بمفاجآته المذهلة .

لقد تركزت جهودنا فى هذا المقال على التحديات التى تواجه الفلسفة من جراء التقدم العلمى والتكنولوجى ، ولابد لنا من ان ننبه القارىء الى ان هناك تحديات اخرى للفلسفة تأتى من ميادين اخرى غير ميدان العلم ، فهناك تحدى اللامعقول الذى يتمثل تارة فى الفوضى والعنف والارهاب وتارة اخرى فى الغياب المتعمد للوعى من خلال الادمان ، اى من خلال ذلك الوباء الذى تختار فيه مجموعات متزايدة من البشر الغاء قواها العقلية والمنطقية عمدا فى سبيل غيبوبة يخيل اليها انها اصبحت الطريق الوحيد الى السعادة او على الاقل الى نسيان الشقاء ، وهناك تحدى التعصب بكل انواعه ولاسيما التعصب الذى شهد فى السنوات الاخيرة صحوة شاملة ، ارتكزت اغلب اتجاهاتها ـ للاسف ـ على موقف ايمانى جامد يرفض المناقشة والحوار الفكرى ، او يقبله ـ على احسن الفروض ـ حتى مدى معين ، ولايلبث بعد ذلك ان ينقلب عليه محتميا بسلطة الايمان ، وهناك ذلك التحدى السياسى العالمى الذى شهدناه فى الاشهر الاخيرة على وجه الخصوص ، والذى بدا انه يهدم ايديولوجيات مستقرة ، ويشكك فى الاسس التى قامت عليها مجتمعات كاملة ، والذى يثير امام الفكر الفلسفى مشكلات هائلة ، على رأسها مشكلة الحرية التى يعاد طرحها فى هذه الايام على اسس مغايرة اكتسبت بفضلها ابعادا جديدة عميقة بقدر ماهى معقدة .

هذه كلها مجالات عظيمة الاهمية بالنسبة الى الانسان المعاصر ، وكلها تثبت احتياجنا الدائم الى الفلسفة وتحتاج من مفكرى هذا العصر الى معالجات غير تقليدية وعلى اية حال ، فسواء اكان الامر يتعلق بالتحدى الاتى من ميدان العلم والتكنولوجيا ـ وهو الميدان الذى ركزنا عليه جهدنا فى هذا المقال ـ ام بالتحديات الاجتماعية والدينية والسياسية الاخرى فان الشواهد كلها تدل على ان السؤال الذى اتخذناه عنوانا لهذا المقال لا يجاب عنه الا بالنفى القاطع ، ولو شئنا الدقة لقلنا اننا نشهد الان بداية عصر جديد للفلسفة ، تكتسب فيه ابعادا لم تخطر لاقطابها السابقين على بال .



ثورة المعلومات ومجتمع مابعد الصناعة!

بقلم :
د. أسامة أمين الخولى

منذ بضع سنوات طلع علينا عالم الاجتماع الامريكى دانيال بيل باصطلاح جديد هو « مجتمع مابعد الصناعة » وكان يعنى بهذا تحولا ثوريا فى المجتمع الامريكى اصبحت المعلومات والمعرفة فيه سيدة الموقف ، الأمر الذى أدى الى ظهور مصطلح « مجتمع المعلومات » وفى رايه أن المجتمع الصناعى قد حقق مواءمة جهد الانسان مع إمكانات الآلة لإنتاج مانحتاجه من سلع وادوات ، بينما يجرى الآن تنظيم مجتمع مابعد الصناعة حول المعرفة من أجل تحقيق السيطرة الاجتماعية وتوجيه الابداع والتغيير الاجتماعى وكان يرى لهذا التحول الثورى خمسة اوجه هى :

- تحول القطاع الاقتصادى من إنتاج السلع الى تقديم الخدمات .
- تحول فى توزيع العمل بحيث تسود الآن طبقات التقنيين والمهنيين ، لا العمال والفلاحين .
- تحول فكرى بموجبه أصبحت المعرفة النظرية لا الخبرة العملية منبع الابداع ومصدر صياغة السياسات فى المجتمع .
- تحول مستقبلى نحو السيطرة على التقانة (التكنولوجيا) والتركيز على تقويم التقانات .
- تحول فى صناعة القرار مع نشأة « تقانات فكرية » جديدة .

● فماذا كان بيل يعنى بحديثه عن التحول المبدئى فى المعرفة النظرية وصناعة القرار ؟ والذى يمثل الفكرة المحورية التى تدور حولها التحولات الثلاثة الأخرى ومن الواضح أن المعرفة كانت دائمة ضرورية فى كل مجتمع وعلى كل العصور ، ولكن بيل يرى تحولا واضحا فى اطبيعة المعرفة فى مجتمع مابعد الصناعة بحيث أصبح الأمر الحاسم فى تنظيم عمليات صنع القرار فى المجتمع وتحديد اتجاهات التغيير بموجبه هو مركزية المعرفة النظرية ، وسيادة النظرية على الامبيريقية ، وتميل المعرفة فى رموز مجردة ومنظومات مبدئية يمكن استخدامها بطرق مختلفة فى مجالات متنوعة من الخبرة .

بل إنه يرى أن المعرفة النظرية تكتسب بعدا جديدا عند تطبيقها فى معالجة المواقف المعقدة ، ومن ثم فإنه يطلق اسم « التقانة الفكرية » على هذا التحول الجديد لأن التقانة قد أصبحت الآن أداة اتخاذ القرارات الرشيدة .



● ثقافة المعلومات

وبعيدا عن هذا التنظير المعقد ، ماهى هذه التقانة التى أحدثت كل هذا التغيير وأصبحت أداة اتخاذ القرارات الرشيدة ؟ وكيف ستكون هى أداة تسيير مجتمع مابعد الصناعة فى التخطيط والادارة والسيطرة وإحداث التغيير ؟ .. انها تقانة المعلومات .

ومن العسير تعريف هذه التقانة تعريفا دقيقا وشاملا ، لأنها حديثة العهد لم يتجاوز عمرها بعد سنوات معدودات ، وان كان حشد من الأفكار الجديدة والتحولات الثقافية قد تحالف ليبرز لنا ملامح غير واضحة تماما لهذه التقانة وهذه مهمة مازالت مستمرة ولم تنجز بعد ، إذ أن تقانة المعلومات مازالت تطرح حتى الآن فى أشكال مختلفة وتمر بتحولات فى الجوهر والمغزى . وسنحاول هنا أن نتعرف على شىء من طبيعتها مع التركيز على الجوانب الجوهرية ، والعلاقات الوثيقة بين المعلومات والقيم الانسانية ومايمكن أن تأتى به من تغيرات عميقة فى تنظيم المجتمعات الانسانية .

ويكمن الصعوبة فى وصف تقانة المعلومات ليس تقانيا ، بل هو اجتماعى يتعلق بالمفاهيم . فالانسان قد تميز عن بقية المخلوقات بقدرته على جمع المعلومات وتحليلها وترتيبها وتخزينها ، بشكل او بآخر واسترجاعها . ولقد تشكل التطور الثقافى، والتنمية على حد سواء ببروز معارف جديدة نتجت عنها ممارسات جديدة ورؤية جديدة للعالم المحيط بالانسان وهذا على وجه التحديد هو دور العلم والتقانة الحاسم فى تطور المجتمعات الانسانية

ويقتضى هذا التركيز على معالجة المعلومات والحديث عن المعرفة الى توضيح بعض المفاهيم . المعرفة تقف على قمة كيان قاعدته المعطيات الغُفل سواء كانت تمثل حقائق أو تصورات للحقائق . وفوق هذه القاعدة يقوم كيان المعلومات ، أى المعطيات مرتبة فى نسق معين لخدمة غرض محدد جرى من أجله جمع المعطيات . والمعلومات تتحول الى معارف عندما يقوم الانسان بتقويمها وإصدار احكامه على مايتوفر لديه من المعلومات وهنا يبرز هذا الدور الجوهرى للانسان فى تحويل المعلومات الى معارف .

● دور هام للمتخصصين

ولنضرب لهذا التميز بين المعلومات والمعارف بعض الأمثلة ان ميزانية إحدى الشركات وحساب الأرباح والخسائر والتى كثيرا ماتطالعنا فى الصحف لاتمثل معرفة بأحوال الشركة لشخص لايملك الدراية بنظم المحاسبة بينما تعنى الكثير لمن له هذه الدراية وتسمح له بتقويم أحوال الشركة ومدى نجاحها او فشلها ، فى تدبير شئونها المالية على الاقل ، والبحث العلمى الذى ينشر فى دورية علمية متخصصة ، وهو يمثل معلومات تبحث عن جهد الباحث الكاتب ، لايعنى شيئا لغير المتخصصين فى هذا الفرع من العلوم ، ولكنها تعنى الكثير للمتخصصين وهم قادرون على الاستفادة منها فى ابحاثهم ودراستهم بل ان البطل فى الروايات

البوليسية لايملك من المعلومات أكثر مما يملكه قارىء الرواية ، الا أنه قادر على استخلاص معرفة تحدد الفاعل وتوفر الأدلة الكافية لادانته .

فإذا ماكان الانسان كما رأينا هو الفاعل الاساسى فى استخلاص المعارف من المعلومات ، فإن هذا يعنى أننا أمام تقانة مختلفة اختلافا جوهريا عن التقانات التى استخدمت حتى الآن فى أنتاج السلع والمعدات والتى يرى كثيرون أنها غير محملة بالقيم .. فالمركبة ذات الدفع الذاتى يمكن أن تكون مدرعة أو حافلة أو حتى سيارة إسعاف . وتقانة الطباعة قد تستخدم فى طباعة الكتب المقدسة أو أكثر المطبوعات بذاءة وإسفافا .

وشرائط الفيديو قد تكون تعليمية ثقافية مفيدة وقد تكون وسيلة لنشر الاباحية والخلاعة .

أما فى تقانة المعلومات فإن التدخل المباشر والمستمر « للعارفين » يعنى أنهم يقومون بعملية انتقاء وتقويم للمعلومات تعكس القيم التى يتمثلونها ، أى أن التقافة قد أصبحت بحكم التعريف محملة بالقيم ، فهى الوسيلة التى تستخدم الآن لتشكيل رؤيتنا للعالم من حولنا ، ان التركيز الآن لابد أن يكون على تصورات البشر وليس الآلات فهذه الأخيرة تخفى داخلها المعلومات تحت طبقات من المعالجات الذكية داخل نظام المعلومات .

ومرة أخرى قد نطرح مثالا ساذجا يقرب هذا الوجه الخطير لتقانة المعلومات الى الذهن . لم يعد من غير المألوف أن نرى فى مكاتب السياحة شاشات تستخدم فى حجز الاماكن للسفر بالطائرة وهذه ولاشك وسيلة تقانية مريحة للمسافر وللعاملين فى مكتب السياحة ولشركات الطيران على حد سواء إلا أن مشكلة حادة قد نشأت أخيرا لأن نظم المعلومات هذه وعددها محدود جدا يمتلكها عدد محدود جدا بدورهم من كبريات شركات الطيران العالمية نظرا لتكلفتها الباهظة فالنظم الموجودة تعرض المعلومات بصورة تبرز سفريات الشركات صاحبة هذه النظم بصورة تدعو المسافر إلى استخدام رحلاتها على حساب رحلات الشركات الأخرى المشاركة فى النظام كما أن هذه النظم لاتتيح للمسافر غير المتمرس فرصة البحث عن بدائل أنسب لأغراضه لأنها تقدم جداول السفر بصورة صماء لاتنبهه الى وجود هذه البدائل وإن كانت لاتقدم له معلومات كاذبة .

وسائل اتصال الكترونية

ولاشك أن القارىء الفطن سيبادر الى القول بأن هذا لايمثل شيئا جديدا فى المجتمعات الإنسانية وأن هذه إشكالية نعيشها فى كل وسائل الاعلام المقروء والمسموع والمرئى منها وأنها بدورها تشكل رؤيتنا للعالم ودرايتنا بما يجرى فيه طبقا لرؤية « العارف » الذى يصوغ المعلومات فيها بالشكل الذى يناسب آراءه ومعتقداته ومن ثم فلا مبرر لأن نتحدث عن مجتمع جديد أو تقانة جديدة ، أو إكسابها هذه الأبعاد الثورية . وهنا يبدأ الحديث عن الحاسبات ووسائل الاتصال الالكترونية والتى هى الوجه المجسد لتقانة المعلومات الحديثة ونحن نعلم أن النماذج الاولى للحاسبات لم يمض على ظهورها نصف قرن بعد وكلنا قد سمع عن الأجيال المتعاقبة منها وعن التقدم الهائل فى امكاناتها والانخفاض المتسارع



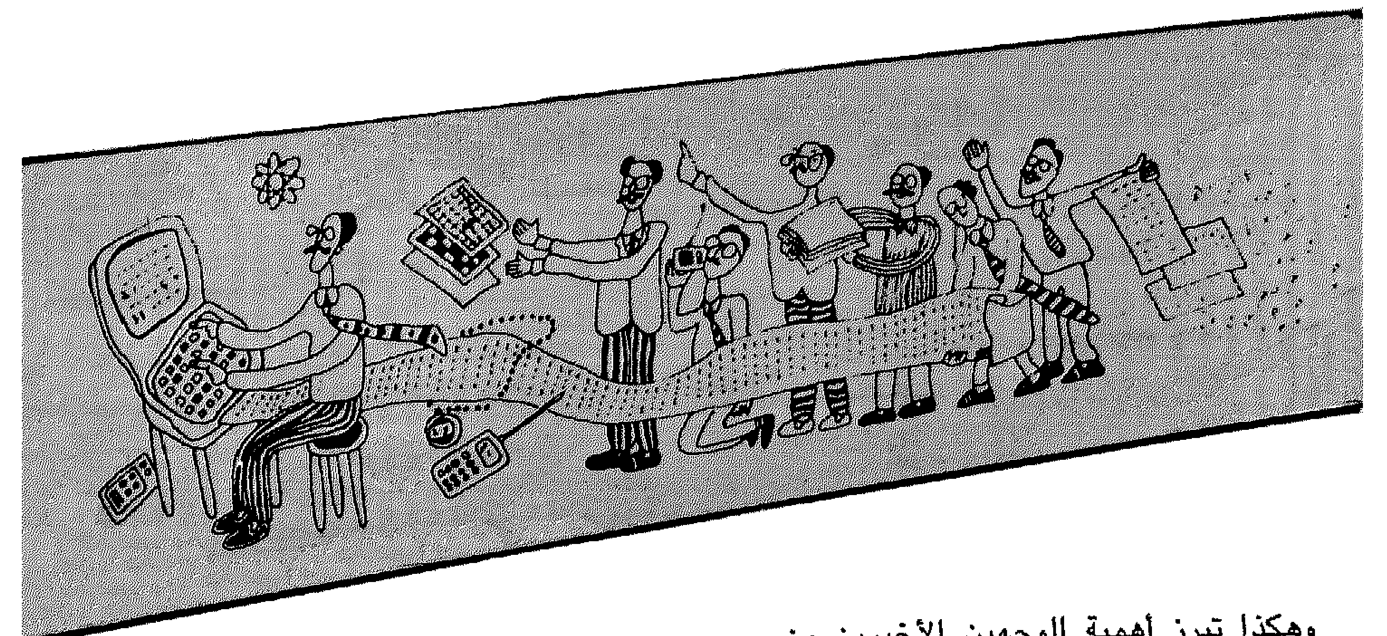
والمستمر فى كلفتها . وكلنا يرى مظاهر هذا التقدم والانخفاض فى التكلفة فى مختلف مرافق حياتنا ويمكننا أن نميز بين مرحلتين فى هذا التاريخ القصير لتقانة الحاسب والاتصالات هما مرحلة ماقبل ظهور المعالج الدقيق أو الصُّغْرى Microprocessor فى مطلع العقد الماضى والمرحلة التى بدأت باستخدامه على نطاق واسع فى الحاسبات أولا ، ثم فى عدد يصعب حصره من أدوات حياتنا اليومية كالساعات الرقمية والهواتف الحديثة التى تقوم بمهام متنوعة ومريحة ، أو حتى الغسالة المنزلية ، دع عنك الطائرات وسفن الفضاء وأجهزة التحكم فى آلات كبيرة معقدة .

ان حاسبا حديثا يقوم اليوم بتنفيذ الملايين بل البلايين من التعليمات فى الثانية الواحدة . والحاسبات الشخصية تباع اليوم فى أسواق الدول المتقدمة بحوالى ٦٠٠ دولار للمليون عملية فى الثانية الواحدة ، ومن ثم انتشارها المذهل فى السنوات الأخيرة ولقد انعكس هذا التقدم على نظم الاتصالات بحيث أصبح « سنترال » التليفون الحديث حاسبا كبيرا يعج بالآلاف من المعالجات الدقيقة التى تعمل متتابعة طبقا لبرامج معقدة ، أما الاشارات التى تنقلها وسائل الاتصالات وهى إما أصوات أو كتابات أو رسومات فتنقل بصور إلكترونية خاصة فى باطن الارض أو جوف البحار أو عبر أقمار صناعية تطل على الأرض على بعد عشرات الآلاف من الأميال ، ويقتضى هذا تكبير هذه الاشارات من وقت لآخر وتنقيتها من الشوائب التى تلحق بها للمحافظة على سلامتها وقوتها . إن تحقيق الاتصال بين متحدثين فى مكانين مختلفين على ظهر الأرض يعتبر بحق من الانجازات الهندسية الرائعة والبالغة التعقيد والالكترونيات الدقيقة هى الأساس الذى يقوم عليه هذا الإنجاز

● أخطار تواجه الدول النامية !

لقد أصبح فى مقدور الانسان الآن أن يختزن كميات فلكية من المعلومات من مختلف الأشكال وأن يعالجها أيضا بسرعات فلكية وأن ينقلها لآلاف الأميال بسرعات تقارب سرعة الضوء وهنا مكمن الخطر على الدول النامية ، اذ أنها ستتعرض بدرجات متزايدة لفيض هائل من المعارف المشكلة خارجها . وستتاح لها هذه المعارف بكلفة زهيدة للغاية ولن يكون لها - على الأقل فى المستقبل القريب - دور فى تصدير المعارف بل ستظل فى موقع المتلقى والمستقبل .

إلا أن اعتبار هذا الخطر مبررا لاتخاذ موقف سلبى من مجتمع المعلومات يكون بدوره خطأ جسيما وحكما صارما على مجتمعنا بالتخلف ومرة أخرى يبرز دور الانسان القادر على امتلاك ناصية القدرة على استخلاص كل ماهو مفيد له ، فى حدود رؤيته وقيمه واحتياجاته واستبعاد مايمس مصالحه أو يشوه رؤيته أو يتعارض مع قيمه إن هذا يعنى بحكم التعريف مجتمعا مستنيرا ، جسورا يعرف كيف يحدد أهدافه بوضوح وكيف يرسم الطريق لبلوغها وكيف يستغل المعلومات المتاحة له من كل مصدر وبمثل مالم تعرف الانسانية من قبل لتيسير تحقيق أهدافه



وهكذا تبرز أهمية الوجهين الأخيرين من بين الأوجه الخمسة التى عرفه بها دانيال بيل مجتمع مابعد الصناعة أو مجتمع المعلومات ألا وهما السيطرة على التقانة والتركيز على تقويمها ومايقتضيه هذا عن نشأة تقانة فكرية جديدة تعرف كيف تستغل المعارف النظرية التى تتيحها تقانة (ثورة ؟) المعلومات فى حفز الابداع وصياغة السياسات .

لقد كان النمط التقليدى لتقسيم النشاط الاقتصادى فى المجتمع الصناعى هو تقسيمه الى ثلاثة قطاعات أولها القطاع الاستخراجى (الزراعة والصيد والتعدين) وثانيها الصناعة التحويلية (المنتجات والمعدات والآلات) وثالثها الخدمات (التعليم والصحة والتجارة والمال والسياحة - الخ) وكانت السمة المميزة للدول المصنعة هى أن الغالبية العظمى من قوة العمل فيها موجودة فى القطاع الثانى . اما فى مجتمع المعلومات فقد أصبح القدر الأكبر من قوة العمل الآن فى القطاع الأخير ، الأمر الذى دعا بعض المفكرين الى الدعوة للتسليم بقيام قطاع آخر مستقل هو قطاع المعلومات والذى تمثل قوة العمل فيه فى الولايات المتحدة اليوم - على سبيل المثال - اكثر من نصف قوة العمل الكلية ، بينما يشارك بحوالى نصف القيمة المضافة الكلية لمجمل النشاط الاقتصادى فيها وليس بمستغرب الآن أن تصبح الملكية الفكرية مصدرا هاما للثروة أو أن تقيم لها الأمم المتحدة منظمة خاصة بها - بعد أن كان المال والممتلكات هما الأصل فى الثروة .

وجماع القول أن مجتمع المعلومات تطور حديث فى المجتمع المعاصر يتركز القدر الأكبر من النشاط الاقتصادى فيه فى انتاج المعلومات واستغلالها بدلا من تركيزه فى انتاج السلع المادية ، ويترتب على هذا القول التحول فى نوعية الانتاج ظهور طبقة جديدة سلاحها الفكر قادرة على تحقيق السيطرة الاجتماعية عن طريق التقانة الفكرية التى تحل الآن محل الامبريقية والالهام فى اتخاذ القرارات الحاسمة فى مصير المجتمع .



العالم الثالث والطريق الى التهميش

بقلم : محمد سيد أحمد

هل العالم الثالث خلال التسعينات ، بسبيله الى « التهميش » ؟ بمعنى انه سوف يصبح على نحو يتعاظم شانه « هامشيا » و « غير ذى وزن » فى تقرير مصائر عالم الغد ؟

سؤال يطرحه الكثيرون ويستندون فى ذلك الى حجج قوية . منها ما يلى :

● **العنصر الاول** : كان للعالم الثالث « وظيفة » حتى بعد ان حققت دوله استقلالها تتلخص فى انها كانت تورد للعالم الصناعى المتقدم المواد الخام فضلا عن كونها قد شكلت ـ فى مقابل ذلك ـ سوقا هامة لمنتجات هذا العالم المتقدم الصناعية .. غير ان هذه المعادلة قد اختلت مؤخرا لسببين .

السبب الاول : هو ان التكنولوجيا العصرية بسبيل تخليق مواد مصنعة اكثر كفاءة من المواد الخام التى تستوردها الدول الصناعية من العالم الثالث . وهذه المواد المصنعة تغنى عن الحاجة الى عديد مما يعتمد عليه اقتصاد دول العالم الثالث ، واستقلالها ايضا .

السبب الثانى : هو ان دول العالم الثالث اصبحت فى معظمها مثقلة بالديون « تريليون وثلثمائة بليون دولار فى عام ١٩٨٩ ! » ذلك أن العالم الرأسمالى المتطور قد اقدم على اقراضها بكثرة بعد ان حققت استقلالها السياسى بأمل ان يكون هذا الاقراض الكثيف اداة تكفل استمرار تبعية هذه الدول اقتصاديا .

والآن بلغ الامر حد ان دول العالم الثالث ، فى غالبيتها الساحقة عاجزة عن سداد هذه الديون . بل اصبح الأقراض ينتج مفعولا عكسيا . واصبحت تتجه التدفقات المالية من العالم الفقير الى العالم الغنى ، اى من الجنوب الى الشمال بدلا من ان تتجه من الشمال الى الجنوب ، وفاء بالديون المتراكمة وبفوائدها وخدماتها . ان هذه التدفقات قد بلغت مابين عام ١٩٨٢ وعام ١٩٨٨ فقط ٢٨٠ بليون دولار ، وهى تدفقات تزداد عاما بعد عام ، والفجوة بسبيلها الى الاتساع ، ولاينتظر تحسن فى قدرة العالم الثالث على الوفاء . كما ان كافة الاقتراحات بخفض الدين او اعادة جدولته ، او التخفيف من عبء خدماته لم تنجح حتى الآن فى الحد من تفاقم المشكلة .

● **العنصر الثاني : هو** الحد من الاهمية الاستراتيجية للعالم الثالث الذى كان يشكل فى المرحلة السابقة ساحة للمواجهة بين الشرق والغرب لاتنطوى على اخطار المواجهة المباشرة ..

وبوصفه ساحة للمواجهة بين اطراف دولية متصارعة ، كان بوسع دول العالم الثالث ان تحقق لنفسها قدرا من حرية الحركة ومن حرية المناورة وكان من ابرز الشواهد على حرية الحركة هذه حركة عدم الانحياز واستثمار دول هذه الحركة اتصالاتها بالكتلتين الدوليتين معا ، مع الامتناع عن الانتماء الى اية منهما ..

غير ان الامر لابد ان يتغير فى ظل المعادلة الدولية الجديدة التى وصفها جورباتشوف بان ظواهر « الاعتماد المتبادل والتداخل والتكامل بين دول العالم جميعا » اصبحت لها الاسبقية على مابين هذه الدول « من اوجه تناقض وعدم



غابات الامازون تحترق

تكافؤ » وقد اضحت الاحداث المثيرة فى شرق اوروبا تجسيدا حيا لهذا التداخل ، ومؤشرا عن المدى الذى يمكن ان يصل اليه . ومع هذا التداخل بين الشرق والغرب . تقلصت المساحة التى كانت متاحة للعالم الثالث كي يباشر فيها ماكان يملكه من حرية حركة .

● **العنصر الثالث : هو ان التكنولوجيا المعاصرة تغنى عن الحاجة الى قواعد عسكرية ارضية متوطنة في بلدان العالم الثالث ، خاصة فى مرحلة توصف بانها انتقالية من المواجهة الى التعاون بين الكتلتين الدوليتين ويجرى فيها بالتالى خفض لمستويات التسلح بشكل متوازن وتدريجى .**

يضاف الى ذلك . من الوجهة التكنولوجية البحتة ، ان « القواعد الارضية » قد فقدت الكثير من اهميتها بعد ان برزت للمقدمة الصواريخ



المتوسطة والطويلة المدى التى تنطلق من محطات فضائية او من غواصات تجول البحار والمحيطات اى من خارج نطاق سيادة اية دولة وليس صدفة ان مشاكل تسليح الفضاء الخارجى فضلا عن مشاكل ابرام اتفاق حول القوات البحرية ، هى ابرز العقبات التى مازالت تعوق التقدم فى مجال نزع السلاح . الأمر المؤكد على اى الاحوال ان « القواعد العسكرية » او حتى مايسمى « بالتسهيلات العسكرية » لم تعد كما كانت فى الماضى ورقة تفاوض تملك دول العالم الثالث « استثمارها » بفعالية كبيرة .

● ومع ذلك علينا ان ننتبه الى أن تضاؤل اهمية العالم الثالث استراتيجيا لا يعنى تضاؤل حدة الصراعات فيه وليس ذلك فقط بفعل اسباب التصارع الداخلى التى يتعين توقع تفاقمها مع زيادة العالم الثالث « تهميشا » وبالتالى احساسا بالاحباط والضياع ، بل ايضا بفعل عوامل خارجية .

على سبيل المثال : ان التقدم المنتظر احرازه فى عملية نزع السلاح بين الشرق والغرب لن يستتبعه بالضرورة تعميمها لتشمل الجنوب ، بل ربما كان العكس هو الارجح . فكما ان الجنوب اصبح فى احوال كثيرة مستودعا للنفايات النووية ، ليس مستبعدا ان يصبح ايضا مستودعا للاسلحة الفائضة التى تقف عقبات مختلفة فى وجه ازالتها (من ابرز هذه العقبات : الارباح الطائلة التى يحققها منتجو هذه الاسلحة ـ صعوبة تحويل المصانع التى تنتجها الى مصانع مدنية) .

● ثم ان اوجه التفاعل الجارية الآن بين الشرق والغرب سوف تجذب قدرا كبيرا من اهتمام الطرفين ، وايضا من مواردها ، على حساب الجنوب . ولذلك يتعين توقع ان الفوائض المالية الناجمة عن نزع السلاح سوف تخصص للاصلاحات فى الشرق قبل ان تخصص للتنمية فى الجنوب .

وهكذا يتضح ان الجنوب معرض لاوجه « تهميش » متعددة ومن هنا يثور السؤال : ماهو مصير دولة على مشارف قرن جديد ، بل وألفية جديدة فى عالم يتجدد تجديدا شاملا ؟

● اشكاليات جديرة بالتأمل

اعتقد بادىء ذى بدء ، ان هناك عددا من الاشكاليات يتعين وضعها فى الاعتبار عند تأمل الواقع العالمى الجديد .

● اولا : لايتسق القول بأن العالم اصبح يقوم على الاعتماد المتبادل والتداخل والتكامل دون مانظر الى ما بين دوله من اوجه تناقض وعدم تكافؤ وان يجرى فى الوقت ذاته « تهميش » قطاع من هذا العالم ، خاصة عندما يمثل تعداد هذا القطاع « المهمش »ـ العالم الثالث ـ اكثر من ثلاثة ارباع البشرية ، وهى نسبة تشير كافة المؤشرات الى انها بصدد ان ترتفع مستقبلا .. لايستقيم الحديث عن تداخل واندماج مختلف قطاعات البشرية



جمال عبد الناصر

وعن « تهميش » واستبعاد واسقاط اغلب هذه القطاعات فى وقت واحد ، ان هذا تناقض لابد له من مواجهة .

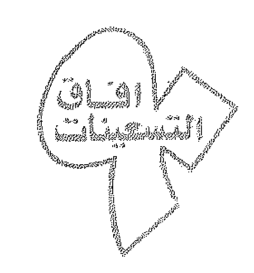
● **ثانيا** : ان قيام هذا التناقض دون مواجهة ودون علاج ، انما يعنى ان الاعتماد المتبادل والتداخل والتكامل ظواهر ليست بسبيلها ان تتحقق على صعيد كوكبنا ككل ، بل ان المنتظر حدوثه هو احلال التناقض بين الشمال والجنوب محل التناقض بين الشرق والغرب ..

ولأن كوكبنا كل لم يعد يحتمل التجزئة .. إن لم يكن لاسباب ايديولوجية (مقولة جورباتشوف بضرورة تجريد العلاقات الدولية من بعدها الايديولوجى) او لاسباب تكنولوجية (تباين المجتمعات بحكم عدم تكافؤ درجات ومعدلات نموها الاجتماعى والصناعى) فان التجزئة لم تعد تحتمل لاسباب ايكولوجية (التلويث الصناعى لايعرف حدودا سياسية ولاجغرافية) فضلا عن الاسباب العسكرية (الافناء المتبادل الشامل المترتب حتما على نشوب حرب نووية) ولذلك فان استمرار وتفاقم التناقض بين الشمال والجنوب امر يتعذر قبوله فى عالم لايحتمل التجزئة وهذا ايضا تناقض لابد له من مواجهة ومن علاج ..

● **ثالثا** : يترتب على ذلك ان لدول العالم الثالث هى الاخرى اوراقا بوسعها ان تلعبها . فاذا صح ان الشرق والغرب يريدان ممارسة الصراع فيما بينهما بطريقة « حضارية » ولو لمجرد درء الافناء المتبادل فبوسع الجنوب ان يقول ان الصراع لن يتسم بصفة الصراع « الحضارى » الا اذا شمل الجميع . واذا كان احد مقاييس الصراع « الحضارى » هو ان يعترف للخصم فيه بمصالح مشروعة ومعنى ذلك تحاشى اساليب الصراع التى تعرض اصحاب هذه المصالح المشروعة للفناء ، فان هذا ليس واردا بالنسبة للعالم الثالث ذلك ان اطرافا عديدة منتمية إليه معرضه للإفناء على اى الأحوال لأسباب خاصة بظروف العالم الثالث كالجوع والفقر والمرض والتخلف الخ .. حتى اذا ما نجت اطراف الشمال فى تجنيب نفسها وغيرها مغبة الافناء المتبادل .

ولذلك فان الورقة التى تملكها اطراف الجنوب هى ان تقدم على افعال تثبت بها ان خطر الافناء لن يزول الا مع زواله للجميع وثمة شواهد تؤذن منذ الآن بان هناك افعالا كفيلة فعلا بتحقيق هذا الهدف منها على سبيل المثال :

بوسع البرازيل احراق غابات الامازون ، وهذا حق تملكه بوصفها دولة ذات سيادة ، ولكن آثار الحريق لن تقتصر على البرازيل وحدها فان احراق الغابات



كفيل برفع درجات حرارة الجو عملا بما هو معروف علميا « باثر المستنبت الزجاجى » Greenhouse Effect ومعنى ذلك بدوره رفع درجة حرارة المحيطات ، وتعريض الثلوج عند القطبين للذوبان . وهذا كله سوف يحدث آثارا تنال من التوازن الايكولوجى للكوكب كله . وبمثل هذا التهديد تستطيع البرازيل « اثبات » ان العالم الثالث ليس « هامشيا » وانه ليس ممكنا اغفاله و « تهميشه » .

ـ من الممكن تصور تطور لعمليات صنع وتسويق المخدرات بحيث لا يكون المتحكمون فى هذه العمليات فقط عصابات على غرار تلك المتوطنة الآن فى غابات كولومبيا بل ارهابيون من نوع جديد يستخدمون المخدرات اداة لممارسة كفاح سياسى ضد مجتمعات الاستهلاك والرفاهية . وللمخدرات فى هذا الصدد ميزة على كافة اشكال خطف وحجز الرهائن المعروفة حتى الآن ، هى ان مدمن المخدرات رهينة يأتى طواعية وبمحض ارادته !

ـ لايسعنا الا ان نسلم بان محاولات « تهميش » العالم الثالث لابد ان يترتب عليها بروز صور مختلفة داخله من التعصب . ومن محاولة تاكيد الشخصية والهوية ، ذلك ان « التهميش » يحمل ضمن مايحمله من معان ، معنى التتفيه من شان شخصية وهوية مجتمعات هذا العالم الثالث ، ومكانتها فى عالم الغد . والتعصب شكل من اشكال تاكيد الذات فى وجه تحديات تستهدف اهداره .

ولذلك يتعين توقع ان يتخذ التعصب صورا مختلفة دينية وعرقية وقومية ، الخ .. قاسمها المشترك تأكيد الذات والهوية على نحو أو آخر .. كما انه يتعين توقع بروز هذه الحركات فى مواجهة مع النظام الدولى الجارى تشكيله ، وعلى نحو يحمل معنى التحدى له . معنى ذلك ان تصاحبها صور مختلفة من الارهاب . وهى ظواهر يرتبط زوالها بزوال الاسباب المفضية اليها .

فهل من سبيل لرأب الصدع ولايجاد حل لهذه الاشكاليات ؟

● مسئولية قيادات العالم الثالث ●

ان العالم الثالث اذن مهدد بانفصام فى شخصيته ، بتعاظم الشعور بانه لم يعد سيد مقدراته ، وان الشمال ـ بصورة او اخرى ـ يتلاعب بمصائره ، ذلك من جانب وببروز تيارات من الجانب الآخر تعبر عن رفضه الرضوخ واصراره على التمرد على نظام دولى يعرضه « للتهميش » .

وثمة فرق ملحوظ بين الحركات الشعبية التى انطلقت بقوة فى الفترة الاخيرة فى شرق اوروبا ، والتى قد تتبعها بعد قليل حركات مماثلة فى غرب اوروبا ، وبين الحركات ذات التأييد الشعبى العارم فى العالم الثالث ، فان الحركات الاولى تحكمها اتجاهات انفتاحية وتداخلية متطلعة الى اعادة صياغة العالم . بينما تتسم الثانية بالانعزالية والتعصب والرفض .



بوش . وجورباتشوف .. لقاء في مالطا

ولذلك بوسعنا ان نقول انه اذا كان علينا ان نتخيل « مواصفات » لقادة كفيلين باكتساب مركز مرموق على اتساع العالم الثالث والنهوض بدور تاريخى بارز فى ظروف وملابسات الحقبة القادمة ، فان هذه « المواصفات » سوف تتمثل ـ كما اتصور ـ فيما سوف يظهره هؤلاء القادة من قدرة على التغلب على ظاهرة « تهميش » العالم الثالث .

معنى ذلك انجاز نتائج ملموسة فى التغلب على التناقض بين الشمال والجنوب ، بوصفه ابرز تناقض بات يهدد تكامل وتداخل شعوب كوكبنا .

غير ان التغلب على هذا التناقض يقتضى من هؤلاء القادة احتلال موقع فى المواجهات الدولية ليس هو موقع التبعية للشمال فى وجه الجنوب ، بل موقع الانتماء الى مصالح الجنوب المشروعة فى وجه « شمال » تعقدت صورته .. « شمال » يحجب وضوح الرؤية بشأنه سرعة تغير ملامحه . « شمال » يجرى بالفعل اعادة صياغة العالم ، ولكن دون مشاركة الجنوب ودون مراعاة لتطلعاته .

اننا بحاجة الى قادة على اتساع العالم الثالث من طراز جمال عبدالناصر قادة يتحدون الشمال من موقع الانتماء الى الجنوب .. غير ان مباشرة هذا التحدى فى ملابسات عالم اليوم لاتعنى مباشرته بطريق المواجهة العنيفة العدائية بقدر ماتعنى مباشرته استنادا الى قوة التفاوض التى تمثلها ضمنيا قوى الرفض ، واستنادا الى مقولة ان تجاوز صفتها كقوى رفض انما يتوقف على تجاوز الشمال اتجاهه الى « تهميش » الجنوب .

ان الاشكالية التى تواجه هؤلاء القادة هى ان « يثبتوا » ان النظام الدولى الجديد لن تستقر له بنية اذا ما استمرت العملية الجارية لاعادة صياغة العالم دون مشاركة الجنوب . وايجاد حل لهذه الاشكالية يقتضى رؤية غير ان الرؤية ليست وحدها كفيلة باحداث التغيير المنشود . ذلك ان الرؤية حتى تخلص ، وحتى تكون ممكنة التطبيق انما تقتضى التحلل من إسار التبعية عل شتى الوانها . وهذه قضية اجتماعية قبل ان تكون قضية فكرية .

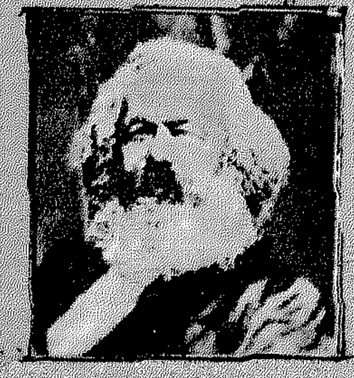
آفاق التسعينات

الاحتواء المتبادل بين المعسكرين

بقلم: عبد الرحمن شاكر

إذا كانت حقبة الثمانينيات التى أنقضت للتو . قد شهدت البريسترويكا ، وآثارها العاصفة فى الاتحاد السوفييتي ودول شرقى أوربا .. وإذا كان مظهر التغيرات التى شهدها المعسكر الاشتراكى هو الاقتراب من أوضاع المعسكر الغربى ، من حيث الأخذ بالديمقراطية إلى حد إقرار تعدد الأحزاب ،وتحول بعض الأحزاب الشيوعية إلى أحزاب أشتراكية ديمقراطية ، ومن حيث العمل على إدخال اليات السوق الى الإقتصاد الاشتراكى لبعث الحياة فيه بعد ركود طويل ، ومن أجل اللحاق بانجازات الثورة التكنولوجية التى تحققت فى المعسكر الغربى .. فهل يظل ميدان التغيير هو المعسكر الاشتراكى وحده ، بحيث يحتويه المعسكر الرأسمالى تماما ويخضعه لأوضاعه ، أو أن طبيعة الأمور أن يكون هذا التداخل التاريخى متبادلا ، وأن يشهد المعسكر الغربى بدوره فى ظل هذه الأوضاع الجديدة تغيرات قد لاتقل درامية "وزلزلة" عن تلك التى شهدها المعسكر الشرقى ؟ ويكون ذلك بعضا مما سوف تشهده آفاق التسعينيات التى نستقبلها اليوم ؟!

● توصف الأحداث التى شهدتها دول شرق أوربا فى أواخر الثمانينيات بأنها ثورة جديدة ، ثورة من أجل الديمقراطية ، فهل كانت هذه الثورة على الأشتراكية ، أم على الاستبداد وتحكم الأحزاب الشيوعية ، أم على الفساد الذى أستشرى تحت عباءة هذا الاستبداد ؟ .. أم أنها وهذا ما أعتقده ـ كانت جزءا من الثورة العالمية ، وبالاخص ، الثـورة الأوربية(١) ، التى شهد النصف الأول من هذه الحقبة المثيرة ذاتها الفصل الأول منها ، وهو الثورة فى مجتمعات غرب

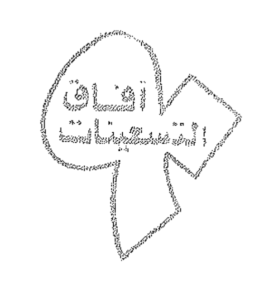

كـارل مـاركس


لينـين

هل يسترد كارل ماركس عرشه من لنين ؟!

أوربا ، مثل بريطانيا والمانيا الغربية وهولندا على أسوأ نظام شهدتة البشرية حتى الآن ، وهو نظام انقسام العالم الى معسكرين . يجرى بينهما سباق رهيب حول التسلح ، والتفنن فى أنتاجه ، وتطوير مبتكراته الفتاكة ، وتطويق العالم بعضه بعضا بالصواريخ الذرية البعيدة المدى والقصيرة والمتوسطة ؟ ألم تشهد بريطانيا اقتحام النساء البريطـانيات لقواعد الصواريخ الأمريكية الوافدة حديثا اليها لتحول دون تركيبها ، كما شهدت هولندا الانحياز الصريح من جانب الكنيسة البروتستانتية هناك ضد إقامة صواريخ مماثلة على أرض بلادها ، ونشوء حركة "الآى . كى . فى" المعادية لنشر هذه الصواريخ فى حضن تلك الكنيسة ، الى الحد الذى دفع بعض رجال حلف الأطلنطى ، الى أتهام الكنيسة الهولندية بأن عملاء السوفييت يسيطرون عليها ، **وهو اتهام لايقل سخفا على اتهام جورباتشوف حاليا بأنه أكبر عميل للمخابرات المركزية الأمريكية !!** وهل نسينا السلاسل البشرية التى شهدتها المانيا الغربية بدورها ، وأشترك فيها الملايين احتجاجا على نشر صواريخ امريكية مماثلة فى المانيا ، وتحويلها الى ساحة أولى للصدام النووى المرتقب ؟

واضح أن البريسترويكا فى بعض جوانبها ، هى رد فعل طبيعى لتلك الثورة الأوربية الغربية فى حينها ، واستسلام تلك البلدان لخطط نشر الصواريـخ الأمريكية على أرضها ، حيث لم يلتقطوا طرف الخيط الذى مدته شعوب غرب أوربا اليهم ، بل ركبوا رءوسـهم وأقدموا على غرو أفغانستان ، لكى يثبتوا للعالم كله أنهم عازمون على نشر الشيوعية بقوة السلاح ! ولم يفقدوا فى هذه الحماقة ثقة شعوب العالم الغربى الثائرة على سباق التسلح فحسب ، بل أيضا حلفاءهم "الطبيعيين" ـ طبقا لمبادىء الثورة الاشتراكية العالمية ذاتها ـ وهم شعوب العالم الثالث ، وفى طليعتها الشعوب



الاسلامية التى تنتمى اليها أفغانستان ، فضلا عن ردود الافعال السيئة داخل الاتحاد السوفييتى بما يضمه من جمهوريات إسلامية ، لاتستسيغ شعوبها أن يذهب أبناؤها لقتل جيران لهم مسلمين كذلك !

بل إن الركود الاقتصادى ذاته ، الذى أطنب جورباتشوف فى وصفه فى كتابه عن البريسترويكا ، لم يكن بعيد الصلة عن سباق التسلح ، الذى كان هو جوهر الحرب الباردة ، التى تحولت جزئيا الى حرب ساخنة : أفغانستان فى الاتحاد السوفييتى ليس متورطا فيها بسلاحه فحسب ، بل بجنوده أيضا ، فلا يتم إهدار الطاقات الاقتصادية الجبارة التى يملكها فى صنع السلاح فحسب بل يضيف اليها مصاريف عسكرية يومية باهظة لحرب دامت حوالى عشر سنوات ، ويزيد الأمور ضغثا على إبانة تدهور معنويات شعوبه المتنوعة الجنسية ، التى كان السلام بالنسبة إليها هو أعز أمانيها ، بعد ماعانته من ويلات أكثر من أى شعب آخر فى العالم فى الحرب العالمية الثانية ! كيف يمكن لهؤلاء أن يعملوا بجد أو ينتجوا بهمة كالتى أشار اليها الاستاذ الكبير كمال النجمى فى مقاله فى العدد الماضى فى "الهلال" أيام ستالين ؟! لقد كانوا فى تلك الأيام يدافعون ضد أكبر ترسانة عسكرية فى التاريخ عن "وطن الاشتراكية" أو عن "روسيا المقدسة" سيان ، أما فى حرب أفغانستان فى عهد بريجنيف ، فقد كانوا يصمون هذا الوطن العدوان على شعب مجاور صغير ولم تكن حربهم فيها نزهة مسلية ، فقد وجدت أسلحة الطرف الآخر من العالم ، وهى لاتقل تطورا إن لم تزد عن سلاحهم طريقها الى ايدى من يواجهونهم من مقاتلين هناك ، حتى شن عليهم الرئيس الأمريكى السابق ريجان مشروعه "لحرب الكواكب" مجندا كل طاقات بلده وحلقائه فيه سواء كانت عسكرية ام أقتصادية ، أم تكنولوجية ، مستغلا السخط العالمى المتكاثف على السوفييت ، مهددا بأن يدفع الاقتصاد السوفييتى الى ذروة من سباق التسلح بحيث ، ينهار تحت عبء تكاليفها الفلكية المروعة ، وقد أوشك أن يفعل ، ولولا أن هلك بريجنيف أولا ، وأثنان من حلفائه العجزة ، وجاء جيل جديد يتصدره جورباتشوف ، ليحاول الخروج ببلاده بأى ثمن من تلك الهوة السحيقة ، ويواجه حقائق الحياة بجسارة مسئولة ، بما فى ذلك الانسحاب من أفغانستان ، والتوقف عن التدخل بالقوات السوفيتية من أى مكان مجاور أو حليف مهما كان ، وترك الشعوب تختار مصائرها أو نظمها بإرادتها الحرة ، بدءا بالشعوب السوفييتية ذاتها .

كانت حماقة بريجنيف ، ومبدؤه فى التدخل للحفاظ على ما يسمى "بالأوضاع الأشتراكية" فى الدول الأخرى ، الذى طبقه من قبل أفغانستان ، على تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ ، هى التى الحقت الهزيمة بالمعسكر الاشتراكى فى الحرب الباردة كما هو ظاهر الأمور حاليا ،



بريجنيف

بل لطخت سمعه اسلافه من مؤسسى الاتحاد السوفييتى ، ليس ستالين فحسب ، بفظائعه المشهورة التى كشف عنها خروشوف فى عام ١٩٥٦ ، بل أيضا اسم "لينين العظيم" مفجر الثورة الاشتراكية فى روسيا عام ١٩١٧ ، ومبدأه فى ديكتاتورية البرولتياريا ، الذى يعتبر مسئولا عن كل إساءة لاستخدامه بعد ذلك ، حتى يفكر بعض السوفييت فى إزالة ضريحه من الميدان الأحمر فى موسكو ، الى حيث يرقد ماديا الى جوار أمه وأخته فى مدينة لننجراد ، ويرقد معنويا تحت سور الصين العظيم المتمسكة وحدها تقريبا بمبدئه الى جوار أسلافه من التتر من أول جنكيز خان (وبالمناسبة فإن مولد لينين ونشأته الأولى كانت فى تتاريا على ضفاف الفولجا ، ويبدو أنه من سلالة تترية تم "ترويسها" فى العهد القيصرى)

ولكن الاشتراكية فى نهاية الأمر لم تكن أختراعا روسيا ، بل إن ذروتها الفكرية كانت فى المانيا على يد كارل ماركس وصديقه ورفيق نضاله فردريك أنجلز ، وكان من رأى هذين ، وتلامذتهما الذين انتشروا فى كل مكان فى العالم وخاصة أوربا ، أن الموطن الطبيعى لقيام الاشتراكية هو الدول الرأسمالية المتقدمة ، وأن التقدم الصناعى هو الذى يخلق الشروط الموضوعية لقيام الاشتراكية ، بحيث تصبح المساواة تقدما حقيقيا فى المجتمع وليس نكوصا به الى الوراء ، واذا كان لينين فى ظروف تاريخية تالية لعهد كارل ماركس ، قد اكتشف أن تحول الرأسمالية العالمية الى أمبريالية ، قد جعل الثورة الأشتراكية يمكن أن تقدم أولا فى بلد متخلف صناعيا مثل روسيا ، باعتبارها اضعف الحلقات فى سلسلة الامبرالية العالمية ، فإن الذى طبقه فى روسيا فى الواقع ، كان مزيجا من الرأسمالية والاشتراكية ، بحيث كان يعود فى أحيان كثيرة الى السماح بحرية السوق ونشاط القطاع الخاص ، كما حدث فى ظل سياسته المسماة "بالسياسة الاقتصادية" الجديدة" وهى السياسة التى يعود اليها جورباتشوف حاليا ويعتبرها مرجعه وهو يعيد آليات السوق الى الاقتصاد السوفييتى لاخراجه من ركوده ويعيد تعويم الروبل الروسى ، ويحاول الحاق اقتصاد بلاده بنظام التجارة العالمى ، سعيا وراء الحصول على مبدعات الثورة التكنولوجية التى تحققت فى الغرب . بل إن الصرامة التى اتسم بها عهد ستالين من أجل تصنيع روسيا ، كان بعض المعلقين يشبهها "بالعصر الحديدى" للنمو الصناعى فى غرب أوربا ويعتبرها أستكمالا لمهمة بطرس الأكبر فى تصنيع روسيا . والحاقها بالعالم الرأسمالى المتقدم ، تماما كما توصف جهود عبد الناصر لتصنيع مصر ، بطريقة نصف أشتراكية ، متأثرة بالتجربة الروسية ، بأنها كانت استكمالا لجهود محمد على الكبير فى الحاق مصر بالعصر الصناعى .

الماركسية إذن على حالها التى تركها عليها كارل ماركس لم تكن تنطوى على ذلك الذى فعله لينين وخلفاؤه ، بل إن مفهوم كارل ماركس عن "ديتكاتورية البروليتاريا" كان مخالفا لذلك الذى طبقه لينين ، إذ كان يرى أن الجمهورية البرلمانية الديمقراطية ، سوف تكون هى الاطار الطبيعى لحكم الطبقة العاملة تمارس من خلالها ديكتاتوريتها ، أو حكمها كما فعلت الرأسمالية من قبل ،

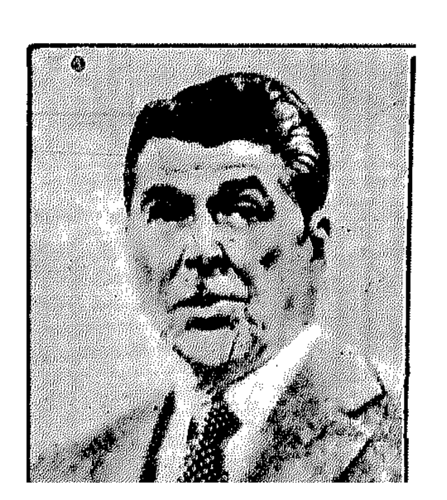


وذلك هو سبب تسميته للأحزاب التى اسسها بالاشتراكية الديمقراطية ، ولاتزال تلك الاحزاب فى غرب أوربا تتمسك بـالديمقـراطيـة حتى الآن ، وتعتبـر الاشتراكية تكملة لها وسحبا للديمقراطية الى الحياة الاقتصادية ، وليس تدميرا لتلك الديمقراطية فى الحياة السياسية للشعوب ، وإذا كان أتباع لينين قد الحقوا اسمه بالمذهب الماركسى ، فإن ستالين هو الذى فعل ذلك ، وهو الذى صك تعبير "المـاركسيـة اللينينيـة" علمـا على الايـديولـوجية السيـاسيـة لـلأحـزاب الشيوعية ، وأشرفت تلك الاحزاب فى آدابها فى استخدام هذا التعبير ، حتى أضطرت بعض الأحزاب الاشتـراكية الديمقراطية ، الى إعلان تخليها عن الماركسية ، بعد أن حولها الشيوعيون من أتباع لينين وستالين الى رمز لمعادة الديمقراطية !

والآن ، حيث تعلن بعض الأحزاب الشيـوعية تخليهـا عن ديكتاتـوريـة البروليتاريا ، سواء فى غرب أوربا ، أو شرقها كما حدث أخيرا فى المجر ، وكما ينوى الحزب الشيوعى فى المانيا الشرقية أن يفعل ، فهى تطرح عن كاهلها وعن الماركسية عبء لينين ونظريته ، وكأن كارل ماركس المظلوم تاريخيا ، يسترد عرشه المفقود من لينين !

ونعود الى كارل ماركس ونظريته عن أن البلدان الرأسمالية المتقدمة هى الميدان الطبيعى لتحقيق الاشتراكية فمن الواضح حتى الآن أن الاصلاحات الجزئية التى أدخلتها الدول الرأسمالية فى غرب أوربا وامريكا الشمالية ، على أوضاع الطبقات العاملة فيها ، من حيث مستوى الأجور ، والتأمين ضد البطالة ، والتعليم والعلاج المجانى ، سواء كانت هذه الاصلاحات بسبب من ثراء الرأسمالية فى تلك البلدان ، وهى التى تملك بالفعل معظم ثروات العالم ، بما فى ذلك ما نهبته ولاتزال تنهبه من المستعمرات وأشباه المستعمرات ، أو نتيجة لخوفها من ثورة عمالها عليها ، أتعاظا بما حدث فى روسيا هذه الاصلاحات قد جعلت عمال وشعوب المعسكر الأشتراكى بمن فيهم شعوب الاتحاد السوفييتى يتطلعون الى مستوى معيشة عمال الغرب ويتمنون أن يتحقق لديهم مثله ، ولو أقتضى الأمر العودة الى الرأسمالية ، جزئيا بادخال آليات السوق ، أو كليا ، كما يحتمل أن يحدث فى بولندا أو المجر ، وكلهم يتطلعون بلهفة الى مساعدات الغرب الاقتصادية ، وبعضهم مدين له بالفعل ، ويتمنون أن تأتى الاستثمـارات الغربيـة بتكنولـوجيتهـا الحديثة الى بلادهم .

إن عبء سباق التسلح لم يقع على شعوب المعسكر الاشتراكى وحدها ، ولم يلحق الضرر باقتصادياتها فحسب بل لقد أدى الى أن يصبح الاقتصاد الأمريكى ، أقوى اقتصاد فى العالم مزعزعا ، من


ريجــان

حيث زيادة العجز فى الميزانية الأمريكية بشكل حاد ، واختلال الميزان التجارى بينها وبين اليابان أولا ، وألمانيا الغربية ثانيا ، وبحيث بدأ وكأن هاتين الدولتين ، اللتين خسرتا الحرب العالمية الثانية وحرمتا من الانفاق الواسع على التسليح ، هما اللتان كسبتا الحرب الاقتصادية ، حينما انغمست القوتان العظميان ، الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية فى سباق التسلح .

هل تبقى الأوضاع الرأسمالية على حالها ، مع النهاية المرتقبة لسباق التسلح بعد اعلان نهاية الحرب الباردة فى القمة العائمة لبوش وجورباتشوف ؟ إن الدوائر الصناعية الكبرى فى الغرب ، التى أنهمكت فى هذا السباق ، وكانت تجنى منه أرباحا فاحشة تضع أيديها على قلوبها اليوم ، خشية أن تتوقف هذه الأرباح حينما تكف الحكومات عن شراء منتجاتها من أسلحة الدمار ، التى توشك أن تصبح سلعا بائرة ، لم يعد هناك من يريدها ، ومعنى ذلك أن تتحرك رءوس الأموال من صناعة السلاح الى الانتاج المدنى ، ومعنى ذلك أن يتزايد هذا الانتاج أضعافا مضاعفة فى الشرق والغرب معا أما فى الشرق فإن ذلك يعنى ارتفاعا مطردا فى مستوى معيشة شعوبه أما الغرب ، فإما أن يتجه هذا الانتاج الضخم الى مزيد من رفع مستوى شعوبه ، بحيث يصبح التفاوت الطبقى على أساس الملكية لامعنى له ، وأما أن يعانى اقتصاد هذه البلاد من الازمات التقليدية التى كان يعرفها الاقتصاد الرأسمالى قديما ، حينما يتكدس الانتاج فى مخازن الرأسماليين ، ويتكدس الفقر والبطالة والجوع فى أكواخ العمال ، بحيث يدفعهم الى الثورة عليه ، كما كان يتوقع كارل ماركس .

إن الدولية الاشتراكية التى تضم الأحزاب الأشتراكية الديمقراطية وتتخذ مقرها فى المانيا "الغربية" التى توشك أن تتحد مع "شرقها" الثائر ، تحاول أن تمسك بزمام الأمور ، وتعيد التوازن الى العالم الجديد ، الذى يوشك أن يتشكل من أحداث شرق أوربا ، ورد فعله المرتقب فى الغرب ، على النحو المشار اليه ، وتدعو الى سياسة تقوم على الاصلاح الاشتراكى المنظم الخطوات ، بل تنصح المتلهفين على الاصلاح الليبرالى فى شرق أوربا ، بالتريث فى اندفاعهم نحو الليبرالية من الناحية الاقتصادية ، حيث أنهم سوف يكتشفون قريبا أنهم بحاجة الى المحافظة على كثير من أوضاعهم فى الضمانات الاشتراكية ضد التسيب الرأسمالى والاستغلال ، **وأهم من ذلك أن الاشتراكية الدولية تشير الى الدول النامية باعتبارها المسرب المعقول لرءوس الاموال والتكنولوجيا المتراكمة فى الغرب الرأسمالى بدلا من أن تغص الدول المتقدمة بفائض انتاجها بينما تكاد الدول النامية تهلك تحت وطأة الديون ، فهل يتاح لهؤلاء العقلاء من الاشتراكيين الديمقراطيين أن يستمع اليهم العالم الجديد فى التسعينيات ؟!**

(١) انظر مقالى "الثورة الأوربية الجديدة فى مواجهة نظام المعسكرين" الهلال عدد اغسطس ١٩٨٤ .



أحداث أوربا الشرقية ومستقبل العالم الثالث

بقلم : د . جلال أمين

عسى ان يكون ماحدث ، ومازال يحدث فى الاتحاد السوفييتى وبقية اوربا الشرقية ، وماترتب عليه من آثار على نطاق العالم بأسره ، درسا اخيرا لأولئك الذين كانوا يصرون على تفسير مايحدث فى بلادنا وكأنه نابع فى الاساس من عوامل داخلية ، ويظنون ان مايحدث فى مصر والبلاد العربية من تطورات وتحولات هامة فى السياسة الاقتصادية او الخارجية ، تحكمه فى الاساس شخصية الزعيم وميوله ومبادؤه ، او المنافسة على الزعامة بين بلد عربى واخر ، او نتيجة تناقضات طبقية داخل البلد العربى .. الخ

ان ماحدث ولازال يحدث فى العالم ، وفى منطقتنا العربية بمجرد ان اتفقت الدولتان الكبريان ، يبين بوضوح مذهل الى اى حد يخضع تطورنا لما يحدث خارج حدودنا ، وعلى الأخص للتغيرات التى تطرأ على العلاقات بين الدول الكبرى ، وعلى طبيعة المصالح التى تحكم هذه العلاقات . من المستحيل مثلا الا نرى العلاقة بين ماحدث من تقارب بين القوتين الكبريين وبين توقف الحرب العراقية الايرانية وبوادر نهاية المأساة اللبنانية وتباشير الحل لقضية فلسطين والتقارب المصرى الليبى والتحرك نحو الاندماج بين اليمن الشمالى واليمن الجنوبى .. الخ .

● ان هذا الارتباط الوثيق بين تطورات العلاقات الدولية وتطورات المنطقة العربية ليس ظاهرة جديدة بالطبع لقد كان الامر كذلك منذ بدأ العالم العربى يتصل بالغرب الحديث بقدوم حملة نابليون الى مصر فمنذ ذلك الوقت ، كانت التغيرات الحاسمة فى تاريخ مصر والمنطقة العربية راجعة فى الاساس الى

مايطرأ من تغيرات على مصالح الدول الكبرى وعلاقاتها . والان تهب رياح جديدة تماما على اوربا وتعلن القوتان العظميان انهاء فترة طويلة وقاسية من الحرب الباردة ، وتنفتح دول اوربا الشرقية فجأة ، واحدة بعد الاخرى ، على العالم الغربى ، وتعلن رغبتها فى الاندماج فى النظام الاقتصادى العالمى . فما هو افضل تشخيص لهذا الذى يحدث ؟ وماهى الاثار المحتملة له على العالم الثالث فى التسعينات ؟



مبارك .. والقذافى .. لقاء مجدد

● تشخيص ماحدث

انى لا اجد تشخيصا لما يحدث فى اوربا الشرقية اليوم ، من انفتاح على النظام الرأسمالى الغربى افضل من التشخيص التالى لمفكرين المانيين مرموقين ، كانا فى الواقع اول من حاول القيام بهذا التشخيص ، ولهذا فانى اترجمه للقارىء برمته :

« ان الحاجة الى توسيع نطاق السوق ، اكثر فاكثر تدفع الرأسمالية الى المزيد ثم المزيد من التوسع ، حتى تغطى بجناحيها سطح الكرة الارضية بأسرها : انها مدفوعة الى ان تبنى لنفسها عشا فى كل مكان ، ان تتوطن فى كل مكان وان تؤسس لنفسها علاقات فى كل مكان ، انها باستغلالها سوق العالم بأسره تطبع الانتاج والاستهلاك فى كل دولة بطابع العالمية وتقضى على الطابع القومى لاية صناعة وهو الامر الذى يثير اسف اولئك المولعين بالتمسك بالقديم ، وهى تحطم كل الصناعات القديمة ، او تقضى عليها يوما بعد يوم وتحل محلها صناعات جديدة يصبح الاخذ بها مسألة حياة او موت فى نظر جميع الامم المتحضرة ، وهى صناعات لاتعتمد ، كما كانت تعتمد الصناعات القديمة ، على استخدام المواد الاولية المتوفرة فى نفس الدولة التى تقوم فيها هذه الصناعات ، بل تستخدم مواد اولية تحصل عليها من اقصى اطراف الكرة الارضية ، ويجرى استهلاك منتجاتها ليس فقط فى داخل الدولة التى تقوم بانتاجها بل فى كل ركن من اركان المعمورة . فاذا بالحاجات الاستهلاكية القديمة ، التى كانت تلبيها الصناعة الوطنية ، تحل محلها حاجات جديدة تقوم بتلبيتها منتجات اقاليم بعيدة ، ذات مناخ مختلف اشد الاختلاف ، واذا بالعزلة التى كانت تعيش فيها امة من الامم ، مكتفية بذاتها ، تحل محلها علاقات جديدة فى كل اتجاه ، واعتماد متبادل بين الامم ، ويحدث هذا ليس فقط فى ميدان الانتاج المادى ، بل وايضا فى الانتاج الفكرى والثقافى فاذا بالانتاج الفكرى لامة من الامم يصبح ملكا شائعا لكافة الامم ، واذا



احداث اوربا الشرقية ومستقبل العالم الثالث

بضيق الافق الذى كانت تتسم به النظرة القومية ، يصبح استمراره مستحيلا ، وينمو فى مكانه ادب وثقافة عالميان .

ان الرأسمالية عن طريق ماتحققه من نمو سريع فى اساليب الانتاج وماتوفره من سهولة فائقة فى وسائل الاتصال تضم الى عداد الامم المتحضرة اكثر امم العالم بدائية ، واذا بمنتجاتها الرخيصة تصبح بمثابة المدفعية الثقيلة التى تدك بها الرأسمالية جميع الاسوار ، ولو كانت كسور الصين العظيم وتجبر الشعوب البدائية على التخلى عن عنادها وكراهيتها لكل ماهو اجنبى انها تضع جميع الامم امام الاختيار الاتى : اما ان تتبنى اساليب الانتاج الرأسمالية او تنقرض ، وتجبرها على تبنى ماتسميه الرأسمالية « بالحضارة » اى ان تتحول كل منها الى الرأسمالية ، او بكلمة واحدة ان

مؤتمر الوفاق اللبنانى



الرأسمالية تعيد تشكيل العالم كله حتى يصبح صورة لها .. ان الرأسمالية تماما كما انها جعلت الريف يعتمد على المدينة جعلت الامم البدائية وشبه البدائية تعتمد على الامم المتحضرة ، وجعلت الامم المكونة من فلاحين ، تعتمد على الامم الرأسمالية ، وجعلت الشرق كله يعتمد على الغرب »

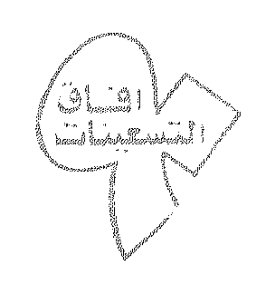
هذه الفقرات التى قمت بترجمتها حرفيا ليست من كتاب او مقال حديث يعلق فيه الكاتب على ماحدث اخيرا فى الاتحاد السوفييتى ودول اوربا الشرقية الاخرى ، بل ليست الا صفحة من الصفحات الاولى من « البيان الشيوعى » الذى كتبه ماركس وانجلز فى ١٨٤٨ اى منذ نحو قرن ونصف من الزمان . الا يجوز لنا القول ، بعد ان نقرأ هذه الفقرات ان ماركس ، وليس لينين ، هو الذى كان على صواب ؟ ان الاشتراكية لاتأتى الا لدولة بلغت فيها الرأسمالية مرحلة متقدمة للغاية ، والذى حدث لروسيا فى ١٩١٧ ، لم يكن ثورة اشتراكية ، بالمعنى الذى تصوره ماركس بل كانت ثورة دولة تريد اللحاق بدول الغرب الرأسمالية فى اقصر وقت ممكن ، ولم يكن هذا ممكنا الا بتدخل شامل من جانب الدول فى مختلف نواحى الحياة ، وملكية عامة شاملة لجميع وسائل الانتاج والان ، وقد حقق هذا النظام الغرض منه ، بان اصبح الاتحاد السوفييتى قوة صناعية عظمى اصبح من الضرورى ان يتبنى الاتحاد السوفييتى كثيرا من ملامح النظام الرأسمالى كما تطبقه دولة راسمالية متقدمة . اما الاشتراكية ، كما كان يتصورها ماركس فهى لاتزال حلما بعيدا عن التطبيق .

● هل الانتعاش فى أوربا كساد للعالم الثالث ؟

انى لا اتفق تماما مع القائلين بان مايحدث فى الاتحاد السوفييتى واوربا الشرقية سوف يضر بالضرورة بدول العالم الثالث ، لقد تكرر القول بان هذا الذى حدث فى اوربا الشرقية سوف يفتح افاقا لانهائية امام سلع واستثمارات ومعونات الدول الغربية فاذا بدول اوربا الغربية والولايات المتحدة تتجه بانظارها شرقا ، لاستغلال هذه الفرص الهائلة الجديدة : اسواق بالغة الاتساع وشديدة التعطش لمنتجات الغرب الاستهلاكية والانتاجية وفرص رائعة للاستثمار الأجنبى تتيحه هذه السوق نفسها ، بالاضافة الى قوة عاملة ماهرة وشديدة الانضباط واستغلال كل هذا يتطلب على الاقل فى المراحل الاولى تقديم كميات هائلة من المساعدات فى شكل قروض أو منح لدول اوربا الشرقية .. كل هذا لا شك فى صحته ، كما انه لاشك فى ان امكانات دول اوربا الغربية والولايات المتحدة ، وامكانات المؤسسات الدولية ، كالبنك الدولى وصندوق النقد الدولى ، ومنظمات الامم المتحدة المختلفة ، هى امكانات محدودة مهما كانت ضخامتها . ويترتب على ذلك ان ماسوف يذهب لاوربا الشرقية لابد ان يكون على حساب العالم الثالث .. لاشك ان فى كل هذا الكثير من الصحة ، ولكننا يجب الا نبالغ فى هذه النظرة الميكانيكية والجامدة للامور ، صحيح ان الامكانات المادية محدودة ، ولكن ليس صحيحا ، مع ذلك ان النفع العائد على جزء معين من اجزاء الاقتصاد العالمى لابد ان يعنى خسارة لجزء اخر . ان الاقتصاد العالمى قد اصبح ، اكثر منه فى اى وقت مضى كيانا واحدا ترتبط اجزاؤه ارتباطا عضويا كارتباط اعضاء جسم الانسان بعضها ببعض ، الخلل فى احدها يصيب اجزاء اخرى بالخلل ، كما ان استعادة جزء منها لسلامته يزيد من فرص الشفاء لبقية الاجزاء . ان الانتعاش الاقتصادى فى اوربا الشرقية . الذى لابد ان يترتب على انفتاحها على العالم الغربى سوف يؤدى بدوره الى استعادة العالم الغربى لمعدلات النمو المرتفعة التى عرفها فى الخمسينات والستينات ، والانتعاش فى كليهما لابد ان يعطى دفعة قوية لمعظم بلاد العالم الثالث ، عن طريق عودة التجارة الدولية الى النمو بمعدل مرتفع وزيادة تدفق رءوس الاموال الى الدول الاقل نموا . لا احد ينكر مثلا ان تدفق المساعدات الامريكية على دول اوربا الغربية فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، فى اطار ماسمى بمشروع مارشال والذى ساهم فى الاسراع باستعادة هذه الدول لما حطمته الحرب ، قد ادى ايضا بالاسراع برفع معدلات تدفق المساعدات الاقتصادية على دول العالم الثالث ، خاصة بعد منتصف الخمسينات ورفع معدلات نمو الطلب على صادرات هذه الدول .

● تكامل الشمال يؤدى إلى تكامل الجنوب

صحيح انه قد يؤدى التقارب بين شرق اوربا وغربها ، وزيادة التعاون بين الكتلتين الشرقية والغربية ، فى المراحل الاولى ، الى تقلص حجم التجارة والاستثمارات والمعونات بين الشمال



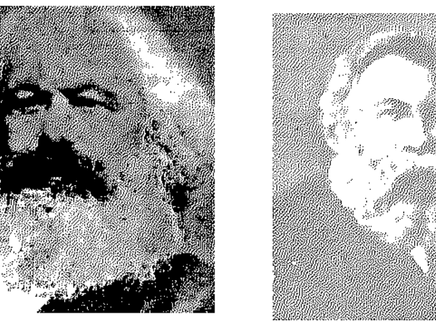
والجنوب ولكن هذا الاثر السلبى سوف يميل الى الزوال فى المدى الطويل . فاذا حدث هذا التقلص بالفعل فى المراحل الاولى فقد تجد دول الجنوب نفسها مضطرة الى مزيد من التقارب والتكامل فيما بينها ، فقد تجد مصر نفسها مجبرة على مزيد من التجارة مع الهند مثلا او تركيا لتعويض ماقد تفقده كل من هذه البلاد الثلاث من تجارة مع الدول الصناعية المتقدمة اذا صح هذا فانه ربما ينطبق بدرجة اكبر على العلاقات الاقتصادية فيما بين الدول العربية ، فتنمو التجارة فيما بينها ويرتفع معدل تدفق رءوس الاموال والعمالة بين بلد عربى واخر .

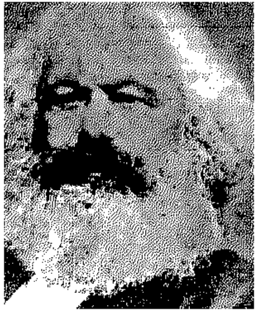
● هجرة العمالة من الجنوب الى الشمال

يمكن ان تتوقع ايضا ان ماسوف يحدث من انتعاش لكل من شرق اوربا وغربها ، لابد ان يسبب عاجلا أو آجلا ، ندرة فى انواع معينة من العمل وارتفاعا شديدا فى مستوى الاجور ، على النحو الذى عرفته اوربا الغربية والولايات المتحدة فى الستينات ، قد يكون من الممكن فى البداية تجنب ذلك طالما وجد فائض من العمالة المدربة والماهرة فى اوربا الشرقية التى سوف يتجه جزء منها الى غرب اوربا ، او تستوعبه الاستثمارات الاجنبية الجديدة فى شرق اوربا ، ولكن مع استمرار الارتفاع فى معدلات النمو ، لابد ان تظهر اختناقات فى سوق العمل قد تؤدى الى عودة الهجرة من بعض دول العالم الثالث الى العالم المتقدم الى سابق عهدها فى الستينات بل وقد تشهد ظاهرة العمالة المهاجرة التى تحل محل عمالة مهاجرة على النحو الذى عرفناه فى البلاد العربية مثلا فى السبعينات من حلول العمال المصريين محل العمال الاردنيين الذين هاجروا للعمل فى دول الخليج فقد تشهد هجرة للعمالة الماهرة من مصر مثلا او الجزائر الى بعض دول اوربا الشرقية لتحل فيها محل بعض عمالها الذين هاجروا للعمل فى اوربا الغربية .

● الإنفاق على السلاح

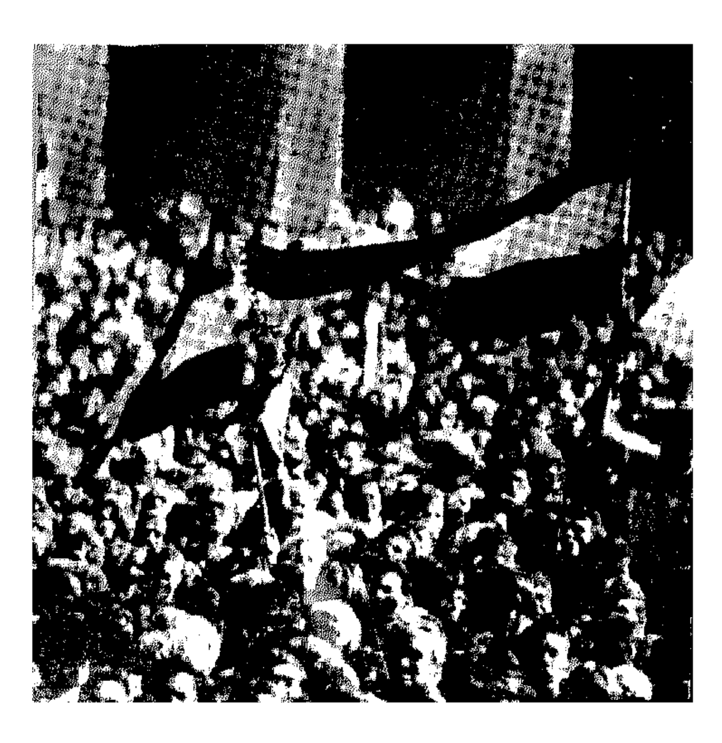
اضف الى ذلك ، ماسوف يترتب على زوال التوتر من علاقات الشرق بالغرب ، بل وترتب عليه بالفعل ، من تخفيض الانفاق على السلاح فى كلا المعسكرين ، مما يوفر اموالا طائلة يمكن ان يتحول جزء منها الى دول العالم الثالث فى صورة مساعدات او استثمارات . لقد انخفضت


انجلز


ماركس

بالفعل نسبة ماتنفقه دول حلف الاطلنطى على السلاح الى اجمالى ناتجها القومى من ٢ر٥٪ سنة ١٩٨٥ الى ٥ر٤٪ فى ١٩٨٨ ويقدر بعض الباحثين الامريكيين ان انفاق الولايات المتحدة على السلاح سـوف ينخفض نتيجة التحسن فى العلاقات مع الكتلة الشرقية بنحو السدس خلال الخمس سنوات القادمة (من ٣٠٠ بليون دولار الان الى ٢٥٠ بليونا فى ١٩٩٤) اى توفير نحو ٥٠ بليون دولار سنويا وانه اذا استمر هذا التحسن فانه قد ينخفض الانفاق الامريكى على السلاح بنحو النصف وهو مايعنى توفير ١٥٠ بليون دولار سنويا

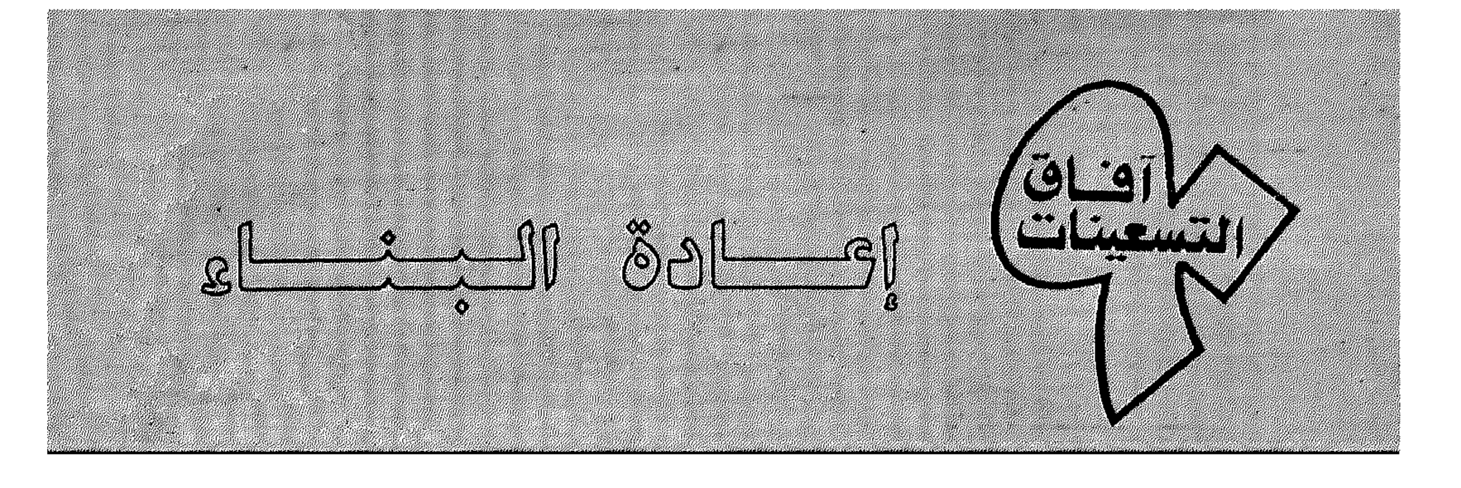
الاهم من ذلك من حيث تأثيره على دول العالم الثالث مالابد ان يؤدى اليه التحسن فى علاقات الشرق بالغرب من تخفيض انفاق الدول النامية نفسها على السلاح فاذا كان صحيحا مايتوقعه المراقبون من ان هذا التحسن سوف يؤدى بل بدأ يؤدى بالفعل الى وضع حد لتلك الحروب التى تقوم بها دول العالم الثالث « بالنيابة » عن القوتين العظميين ، اى التى تقوم بين دولتين من دول العالم الثالث لابسبب عداوة حقيقية بينهما ، ولكن بسبب تنافس بين القوتين العظميين على منطقة للنفوذ ، او لا لسبب على الاطلاق الا خلق سوق للاسلحة التى تنتجها هاتان القوتان فلابد ان ينخفض انفاق دول العالم الثالث على السلاح ، الامر الذى سوف يرفع عن كاهلها عبئا ثقيلا لم يكن يفيد منه الا بائعو الاسلحة لقد تورطت مصر فى ديون عسكرية ثقيلة تتجاوز العشرة بلايين



اوربا الشرقية المظاهرات تبغى التغيير

من الدولارات (اى نحو ٢٠٪ من اجمالى ديون مصر الخارجية) فى وقت كانت ترفع فيها شعار السلام وتقول فيها ان حرب ١٩٧٣ هى اخر الحروب .. ولايزال ميزان المدفوعات المصرى يئن تحت وطاة خدمة هذه الديون التى تتجاوز فوائدها السنوية ١٢٪ وتحاول مصر المستحيل من اجل الهرب من السيف المسلط عليها بان تقطع عنها المعونات الغذائية اذا توقفت عن دفع هذه الفوائد الا يجوز لنا ان نامل ان نكون على ابواب مرحلة جديدة لايفرض فيها على مصر فرضا ان تقترض لشراء

المزيد من الاسلحة بأثمان واسعار فائدة باهظة لمجرد ان تزيد ارباح بائعى السلاح .



بقلم : د. محمود مرتضى

مع اقترابنا من نهاية القرن العشرين ، يحفل عالم الاشتراكية بأحداث خطيرة وتطورات هامة ، تبشر جميعها ببداية عصر جديد ترتفع فيه قيمة الانسان ، وتتأكد حقوقه فى المشاركة الديمقراطية .

ولعل الصيرورة الدرامية لعملية اعادة البناء التى تجرى على قدم وساق فى الاتحاد السوفييتى ، وفى سائر دول أوروبا الشرقية ، قد تمخضت عن دعوة يومية للكشف العميق عن جوهر التغيرات السياسية فى المجتمع الاشتراكى .

فاذا كان تاريخ البشرية وتطورها ، لايقاس فقط بمئات وآلاف السنين ، بل بالتطورات الاجتماعية واسعة النطاق ، وبالتحولات الثورية فى حياة المجتمع فى المقام الأول ، فان مايجرى فى الآونة الراهنة ، داخل قسم واسع من كوكبنا الأرضى ، من تقلصات وانتفاضات وتبدلات ، انما يسجل بداية زمن جديد يشهد على انتصار الانسان فى معركة الوجود والارتقاء .

إن نجاح المجتمع فى التخلص من القديم والجامد ، وفى تحرير مايكمن فى الجديد من قدرات ، إنما هو الضمان الوحيد لاكتسابه دينامية وأفقا لحركة متقدمة . بل أن تاريخ الحضارة العالمية ، هو انعكاس للعملية التى يتشكل بها الكائن الاجتماعى ، ويتطور فى تفاعل مع الطبيعة

وعليه فان النقطة المركزية على جدول أعمال مهمة اعادة البناء الثورية ، هى اشاعة الديمقراطية فى الحياة الاجتماعية ، بغرض محاربة الاغتراب الاجتماى ، ووقف أية امكانية لسوء استخدام السلطة . ذلك أن السلطة ـ خاصة فى ظل الاشتراكية ـ يجب أن تعزز الطاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية للمجتمع كى تؤمن توجهه الانسانى ، وفى سباق البريسترويكا يعاد صياغة العلاقات الاجتماعية ، حتى يصبح الانسان ومصالحه الحيوية هو معيار كل شىء .

لقد احتفظت الاشتراكية العلمية على الدوام بتوجه انسانى ، وقد ورثت وطورت الاتجاهات الانسانية للفلسفات السابقة عليها ، وأوضحت الطريق لتحقيق مثل

والتوجه إلى الانسان

البشرية العليا فى تحرير الانسان ، وفى بناء مجتمع ملائم للأحرار . ولكن لسوء الحظ ، فقد كبت هذا الجانب من الفلسفة الماركسية ودفع به الى التخلف لوقت طويل . وفى الوقت الذى سارت فيه الممارسة الاجتماعية جنبا الى جنب ، مع شعارات الاهتمام بالبشر فى بعض المراحل ، فقد ارتكزت فى العادة الى نظرة ضيقة الى الانسان ، كعنصر من عناصر الانتاج ، وكانت هذه صرخة بعيدة عن المصالح الحقيقية لجماهير العاملين ، وفشلت فى رفع مستوى الفرد ودفع تطوره الشامل ونشاطه الخلاق .

تفرض ضرورات العالم الحديث ، أن تستعاد بشكل كامل المثل العليا الانسانية للاشتراكية ، وهذا مايمليه المنطق الموضوعى للتقدم الاجتماعى والتكنولوجى ، وكلاهما يمكن دفعه الى الأمام فقط ، اذا مأشن المجتمع الاشتراكى حملة ضد الموقف التكنوقراطى من البشر ، ومن أجل احترام حقوقهم وكرامتهم .

ان الفكرة القائلة بأن الفلسفة ترتبط بالعالم الواقعى ، انما يعكسها ويترجم معناها ، أن فترة الركود فى حياة المجتمع الاشتراكى الاجتماعية ، كان يصاحبها بالمثل فلسفة جامدة للركود ومن المفارقة أن الجدل المادى ، الذى اعتبره ماركس وانجلز ولينين ، كأداة للتحويل الثورى والنقدى للمجتمع اتخذ دور التبرير للأشياء البعيدة عن الكمال ، وتوفير مبرر لها ، ولم يستخدم على العكس لحل التناقضات فى المجتمع بمثل ماستخدم لتغطيتها .

● الكائن ذو البعد الواحد

والفلسفة ذات النزعة الانسانية التى تنطوى عليها عملية اعادة البناء ، هى انتقال لحالة جديدة نوعيا للمجتمع ، ولصورة انسانية وديمقراطية طبيعية للاشتراكية وهذا هو معناها وغرضها العميق لمرحلة تأخرت فى التطور الاجتماعى . انها طريقة تكشف بوضوح





اعـادة البـنـاء والتوجه إلى الانسان

ليس فقط عن مهام القيادة فى العمل النظرى والعملى ، وانما عن مهمة التغلب على ماتبقى من النظام البيروقراطى للادارة بالأوامر الذى اتجه الى قمع واهانة وحتى تدمير البشر ، وهجر النظريات التى اعتادت أن توفر تدليلا فلسفيا لمثل هذه الحالة من الأمور .

ان اعادة البناء والتجديد ، يركزان الاهتمام على الفرد ، والفلسفة يجب أن تعكس حقيقة أن المجتمع لم يعد يحتاج الى كائن « ذى بعد واحد » أو الى تشغيل اجتماعى ما ، وانما الى فرد حر ذى عقلية انتقادية ، لديه احساس بالمسئولية وتخيل وقدرة على الابتكار والمبادرة .

ان الفرد والمجتمع ، المواطن والدولة ، الانسان والجماعة ، كل هؤلاء هم واجهات مختلفة لمشكلة واحدة . وتؤيد فلسفة النزعة الانسانية حلا اشتراكيا لهذه المشكلة ، حلا يكون مزيجا عضويا من عناصر الجماعية والفردية .



ويواجه المجتمع الاشتراكى الآن بشكل خاص مهمة اقرار صياغة لمشكلة التجانس الاجتماعى لوحدة المجتمع والفرد ، إن التجانس ليس اتساقا ماديا ، كما أنه ليس التسوية بين الناس والأفكار . ففى الوقت الذى يتعين فيه على المجتمع الاشتراكى المساعدة على التعبير عن الفردية الى أقصى حد ، فى العمل وفى الابتكار ، وفى الابداع ، على أساس المساواة ، فمن الضرورى كذلك أن يؤيد بقوة النشاط المستقل للمنظمات العامة التى تعبر عن تنوع مصالح واحتياجات وقدرات الشعب . أى ممارسة سياسة واعية تهدف الى تشجيع المبادرة والتنفس الفكرى والمواهب ، وبدون هذا لايمكن





تصور التقدم ولا حتى طريقة الحياة الاشتراكية نفسها .

● المزيج من الثورة والديمقراطية

ان الترابط الوثيق بين الثورة والديمقراطية فى عصرنا جلى للعيان ، فهذان المفهومان متقاربان ، وهما يحتمان توجيه طاقاتهما الى تطوير العالم المعاصر . والحقائق الجديدة تحتاج الى ممارسة جديدة تفرض أشكالا مناسبة من التفكير ، كما يتطلب الأمر ، اعادة إمعان الفكر جذريا فى التجربة التاريخية بصورة انتقادية . فالحديث ينبغى أن يدور اليوم ، ليس حول التقليل من أهمية المنجزات بل حول التغلب على الأراء العقائدية الجامدة والخمول العقيم فى التفكير الذى يعرقل الابداع . ونرى أن الأمر يتطلب عشية القرن الحادى والعشرين ، ذلك المزيج من الثورة والديمقراطية ، الذى بإمكانه ازالة الفوارق الاجتماعية والاقتصادية ورفع مستوى رفاهية الناس ، وحماية البيئة المحيطة وتوظيف منجزات العلم فى خدمة الانسان ، ومنح الجماهير الشعبية حقا كاملا فى المشاركة فى اتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية المهمة .

ان الديمقراطية المستوعبة على هذا النطاق الواسع أعلى من الحرية . فهى « كثورة تكاملية » تشمل بتأثيرها التحويلى فى أن واحد الاقتصاد والسياسة والأخلاق والايكولوجيا وغيرها من المجالات الاجتماعية ، ويدور الحديث اذا جاز القول حول ثورة المشاركة الديمقراطية وسلطة الشعب فى كل مستويات المجتمع وحول نظام جديد لتنظيمه وبدون ذلك فان التحولات الاجتماعية والاقتصادية لن تقدم كل مردودها ان الوضع المتأزم أو وضع ماقبل الأزمة فى المجتمعات التى سلكت طريق التطور الاشتراكى منذ عقود أظهر الضرورة الملحة لاشاعة الديمقراطية ، وإذا لم تتحقق الديمقراطية فان الاشتراكية تبقى حبرا على ورق .

ان البشرية فى طريقها العظيم الى المستقبل ، تخلق نمطا جديدا من الحضارة نمطا يتفق تماما مع قوى الانسان الجوهرية ، وهو وحده الجدير به . وتعنى هذه الحضارة فجر حقبة يمتلك فيها الانسان ، كما يتنبأ ماركس ، جوهره الشامل ، بطريقة شاملة ككائن متكامل ، كما يتأكد من خلالها قول الفيلسوف الاغريقى القديم « بروتارجوس » أن الانسان هو مقياس كل الأشياء .

آفاق التسعينات

هل انتهت الحرب الباردة بين الشرق والغرب ؟!

بقلم : د. السيد أمين شلبى

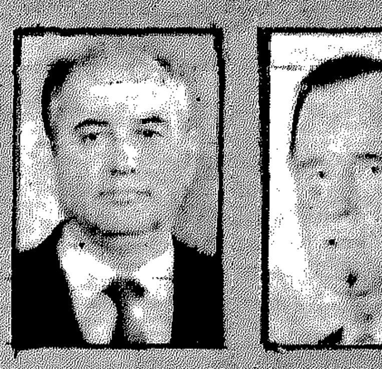
وكانت القضية الرئيسية عام ١٩٨٨ هى واقع ومستقبل القوة الأمريكية ، وتساءلت عما اذا كانت الولايات المتحدة تتجه الى نفس الطريق الذى سلكته قوى عظمى سابقة نحو الانهيار ، وهل ذلك بفعل الضعف النسبى لقاعدتها الاقتصادية والانتاجية والتكنولوجية ، مقارنة بقوى أخرى ؟ أو الانفاق المبالغ فيه على التسلح وعلى الاستهلاك . اما قضية عام ١٩٨٩ فقد ناقشت وبشرت بانتهاء عدد من الظواهر والأوضاع فهى حكمت حياة الأمم على مدى الجيلين الماضيين بل ربما قبل ذلك .. غير أن ما اعطى هذه القضية خصوصيتها وبعدها الهام هو انها فى إعلانها لهذه الظواهر قد سجلت انتصار الغرب والعقيدة الليبرالية الديمقراطية فى صراعه السياسى والايدلوجى مع الايدلوجية الماركسية . كانت أول الظواهر التى تبين انتهاؤها هى ظاهرة الحرب الباردة التى سيطرت وحكمت الحياة الدولية بأسرها على مدى الجيلين الماضيين ، اما النهاية الثانية التى بشرت بها هذه المدرسة فهو توقعها انتهاء ظاهرة الحروب بين الاقطار الديمقراطية ، وسجلت تعدد النظم الديمقراطية منذ عام ١٩٧٤ ، كدليل على ان احتمال الحرب بين هذا النمط من الدول سوف يختفى من حياة البشر مثلما اختفت ظواهر كالعبودية والمبارزة فى المجتمعات المتقدمة ، غير ان هذه المدرسة ان كانت قد افترضت أن ظاهرة الحرب أصبحت أمرا لا يمكن التفكير فيه بين الدول إلا انها استثنت الدول المتخلفة وبلدان العالم الثالث من

يبدو أن الحياه الثقافيه والفكرية الامريكية قد استطابت ان تثير كل عام قضية كبرى تحرك بها جدلا واسعا وتجتذب تيارات تتصارع حول جوانب هذه القضية السياسية والتاريخية والفلسفية ولخطورة مثل هذه القضايا ، وارتباطها ليس فقط بالواقع والمستقبل الامريكى بل ومستقبل العالم والقوى المؤثرة فيه ، وما يلبث هذا الجدل والنقاش أن يمتد ويجد صداه فى الدوائر الثقافية والفكرية والأوربية ، فتفرد له المجلات والدوريات الجادة أبوابا واسعة ، وتعقد له مراكز البحث المتخصصة مؤتمرات وندوات لمناقشته ، ويشترك فى كل هذا كتاب ، وأساتذة ، فى شتى فروع الانسانيات وذلك لخطورة مايناقش وتشعبه وتعدد أبعاده .

ذلك وتوقعت ان ظاهرة الحرب ستظل ملازمة لها .

أما الصيغة الثالثة والاكثر تطرفا لهذه المدرسة فهى تلك التى أعلنت " نهاية التاريخ "The END OF History والتى احتفلت فقط بنهاية الحرب الباردة ، وبانتهاء الحروب بين الدول المتقدمة وانما ذهبت ابعد من هذا الى "نهاية التاريخ" نفسه وان هذه النهاية هى النتيجة المنطقية والتاريخية للنصر الواثق لليبرالية الاقتصادية والسياسية ، وغياب اية نظم بديلة أخرى صالحة واستنفادها لنفسها .

وهكذا نجد تناقضا واضحا بين رسالة وافتراضات قضية عام ١٩٨٨ ، وتلك التى حاولت أن تبشر بها قضية عام ١٩٨٩ . فبينما كانت الاولى تشاؤمية - وان كان تشاؤما مشروطا - وتستمد أصولها من دراسة التاريخ وتعتمد على التشابهات بين



جورج بوش جوباتشوف

الولايات المتحدة فى نهاية القرن العشرين وبين بريطانيا فى نهاية القرن ١٩ ، وفرنسا واسبانيا ابان قرون أخرى ، فإن قضية عام ١٩٨٩ ومدرستها إنما تتجه الى المستقبل أكثر من رجوعها الى الماضى وهى تنظر الى الامام بشكل واثق وبلا تردد ، كما أنها فى أكثر صورها تطرفا مثل تلك التى تعلن نهاية التاريخ ، انما تجد جذورها فى التأمل الفلسفى أكثر من التحليل التاريخى ، وهى تستند فى جانب



كبير منها لا على شهادة التاريخ وانما على الافتراضات حوله وحول الوجهة التى يأخذها . وبينما تتسم النظرية التى سادت عام ١٩٨٨ وهى نظرية الانحدار أو الاضمحلال ، رغم انكار أصحابها لذلك ، بالحتمية التاريخية ، حيث تتطور الامم بشكل طبيعى بل ربما بشكل حتمى عبر فترات الصعود والتوسع والاضمحلال ، وحيث تقع فى قبضة التاريخ التى لا ترحم ، فإن النظرية الثانية تدعى ان الامم ـ او بالتحديد النمط المتقدم منها ـ انما تهرب من هذا التاريخ وتتجاوزه

وحيث تبدو رسالة نظرية الاضمحلال للامريكيين أنهم يخسرون ، تبشرهم النظرية الثانية "بالانتصار" على أنه ربما بسبب قسوة النظرية الاولى والتحذير الذى تحمله فأنها تؤدى لمجتمعها وظيفة مفيدة من حيث حثه على العمل والتجديد وتجاوز عوامل القصور والتآكل ، وهى نفس الوظيفة التى أدتها تحذيرات ظهرت من قبل فى التاريخ الحديث الامريكى فى الخمسينات ، والستينات والسبعينات . على أنه على النقيض من هذا فإن النظرية المستبشرة الثانية التى اشاعت نوعا من النشوة إنما تقدم ، وهما حول الانتصار ، وهى فى هذا لا تدعو الى عمل تصحيحى وانما الى حالة من الاسترخاء والرضا عن النفس . سوف نعرض ، لهذه الافتراضات الثلاثة : حول نهاية الحرب الباردة ، وتوقع انقراض ظاهرة الحروب بين الدول المتقدمة ، وأخيرا حول ماسمى بنهاية التاريخ بوصوله الى النقطة التى خرجت فيها العقيدة الليبرالية الديمقراطيا منتصرة فى صراعها الطويل مع

وسوف نعتمد فى نقاشنا لها على الجدل الواسع والحوار المتعدد الروافد الذى ولدته هذه الافتراضات .

● هل انتهت الحرب الباردة ؟

مع مطلع الثمانينات ، وبعد حقبة من المحاولات الجادة التى بدأتها القوتان العظميان لترشيد علاقاتهما والعلو بها من مستوى الصراع والتنافس الى مستوى الحوار والتفاوض ، عادت من جديد غيوم الحرب الباردة تظلل علاقتهما ومعها الوضع الدولى فى مجموعه . وفى الأيام الاخيرة من عقد السبعينات ـ ديسمبر عام ١٩٧٩ ـ جاء التدخل العسكرى السوفيتى فى أفغانستان لكى يقدم زادا جديدا للقوى المعارضة لعلاقات ايجابية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، واستخدمت هذا التدخل لكى تؤكد تصورها التقليدى عن نوايا الاتحاد السوفيتى واستخدامه لعلاقات الوفاق وترتيباتها لخدمة مصالحه وتوسيع دوائر نفوذه وأنهى رئيس أمريكى هو جيمى كارتر ولايته بإجراءات اعادت الى الاذهان ترتيبات وتصورات الايام الاولى من الحرب الباردة ، ومن الانصاف ان نقول انه جاء الى الحكم بأهداف سلمية وبالرغبة فى البناء على سياسة الوفاق وخاصة فى مجال التسلح النووى والتحكم فيه ، وربطته هذه الاجراءات برئيس أمريكى آخر هو هارى ترومان الذى كان أول من أرسى لغة ومبادىء ومؤسسات الحرب الباردة فقد اقدم كارتر على وقف التصديق على

معاهدة هامة كانت القوتان قد توصلتا اليها منذ شهور هى المعاهدة الثانية للحد من الاسلحة الاستراتيجية SALT 2 ، واوقف بيع القمح للاتحاد السوفييتى ، وقاطع دورة الألعاب الاولمبية فى موسكو ، ثم صاغ نظرية عرفت باسمه هدد فيها باستخدام القوة المسلحة اذا ما تعرضت ما اعتبره مصالح الولايات المتحدة فى منطقة الخليج للخطر ، وأنشأ ما يعرف بالقوة السريعة الانتشار R · D · F للتدخل وقت اللزوم فى هذه المنطقة .

غير ان هذا لم يكن الا مقدمات لعودة الحرب الباردة من جديد بل واندفاعها واكتسابها ابعادا أخطر وخاصة فى مجال التسلح النووى . فقد توافق هذا التطور مع معركة انتخابات الرئاسة الامريكية ، وصور الجانب الجمهورى فيها المعادلة الاستراتيجية بين القوتين على أنها مالت فى اتجاه الاتحاد السوفييتى عسكريا ودوليا ، واطلق مرشحهم للرئاسة رونالد ريجان حملته على أساس من شعارات استعادة الهيبة والمكانة فى العالم ، والتزم بأنه لن يدخل فى أية مفاوضات جادة مع السوفيت الا "من موقع القوة" وبعد ان يعيد بناء القوة العسكرية والاقتصادية للولايات المتحدة ، والواقع ان ريجان ، الذى كان انتصاره فى جانب منه نتيجة اهتزاز صورة الديمقراطيين فى ادارة علاقات الولايات المتحدة الدولية - ظل يطبق فى السنوات الاولى من حكمه هذه الشعارات . واذا كانت الحرب الباردة قد عادت فى أشكالها السياسية والعسكرية ، فقد عادت أيضا فى صورة لغة الحوار والتخاطب المستخدمة وربما بشكل أكثر عنفا ، وبدا هذا على الجانب بشكل خاص ، فوصف ريجان الاتحاد السوفييتى بأنه امبراطورية البشر EVIL Embire ، ووصف قادته بأنهم "لا يتورعون عن الكذب والغش والخداع من أجل تحقيق اهدافهم" .

وفى خلال عام ١٩٨٣ اعلن ريجان عن تطور جديد فى سياسة التسلح النووى وهو برنامجه عن الدفاع الاستراتيجى S D I والذى عرف بحرب الكواكب ، ومع نهاية العام فشلت المفاوضات التى كانت تجرى لوقف نشر الصواريخ الامريكية برشنج وكروز فى أوربا مقابل سحب الصواريخ السوفييتية SS 20 ، وهو ماقابله الاتحاد السوفييتى بالانسحاب من مفاوضات الحد من التسلح بكل مستوياتها . وهكذا وصل الوضع فى علاقات القوتين الى درجة لم تصلها منذ أحلك لحظاتها فى أزمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٣ .

وقد كان من الطبيعى أن تحرك هذه الحالة مخاوف الامريكيين ، والحلفاء الغربيين ، بل والرأى العام الدولى ، وكانت هذه المخاوف من المحاور الرئيسية لمعركة انتخابات الرئاسة الامريكية عام ١٩٨٤ واستخدمها الديمقراطيون فى حملتهم وتصويرهم سياسات الجمهوريين بأنها جعلت العالم أقل أمنا . ورغم أن ريجان قد كسب معركة الرئاسة الثانية فإنه كان قد استوعب الرسالة ، وادرك أن الوقت قد حان للبدء فى اتصالات جادة مع الاتحاد السوفييتى لوقف هذا التدهور وبشكل خاص للبدء فى مفاوضات حقيقية حول خفض التسلح . والواقع أن ريجان وادارته لم تحركهم فقط المخاوف التى ثارت ، وانما لادراكهم أنهم قد استكملوا



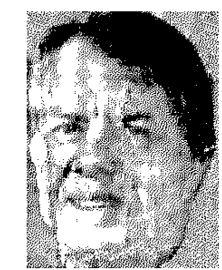
أو كادوا سياسة بناء القوة العسكرية الامريكية ، وأعادوا ترتيب علاقاتهم مع خلفائهم . وفاخر ريجان بأنه فى أيامه "لم يتقدم السوفيت بوصة واحدة فى العالم" والى جانب هذا كانت المشكلات الأمريكية الداخلية قد بدأت تطفو وكان بعضها بفعل سياسات وتضخم ميزانيات التسلح وبدأت تناقش على نطاق واسع أثر ذلك على القوة الفعلية الامريكية وبدأت تظهر بوضوح فى أرقام العجز فى الميزانية وفى أهمال البرامج الاجتماعية .

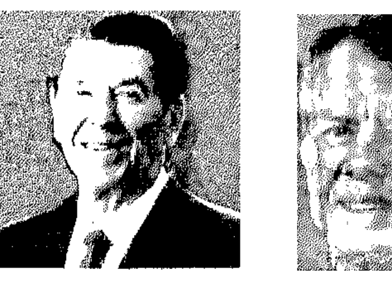
● مفاوضات الحد من التسلح

أما الاتحاد السوفييتى فإن قادته الذين كانوا قد توصلوا الى نهاية عام ١٩٨٣ الى استحالة التعامل مع ادارة ريجان ، بعد ان أصبح فوز ريجان برئاسة ثانية مؤكدا عادوا الى تجديد الاتصالات والاستجابة الى بعض الاشارات التصالحية التى بدأت تظهر عن الادارة الامريكية ، ومع اوائل عام ١٩٨٥ كانت مفاوضات الحد من التسلح قد بدأت بالفعل ، وبدأت المياه تتحرك من جديد بعد ركود طويل

غير أن التغيير الحقيقى على المستوى السوفييتى جاء مع تولى زعيم جديد هو ميخائيل جورباتشوف فى مارس عام ١٩٨٥ (٥٤ عاما عندئذ) ، وكان مجيئه وسط احساس عام بأن البلاد تمر بحالة من الركود والترهل ، وان الاوضاع الاقتصادية والتكنولوجية والقيم الايدلوجية للاتحاد السوفييتى تتراجع ومعها امكانياته ومستقبله كقوة عظمى ، ومكانته الدولية ليس فقط ازاء الولايات المتحدة بل ربما تجاه قوى جديدة صاعدة ، وقد استخلص الزعيم السوفييتى الجديد من قراءته للواقع السوفييتى ومؤشراته ان تدارك هذه الأوضاع المتراجعة والتعامل معها بشكل فعال ، يطلق طاقات المجتمع السوفييتى ويجدد إمكانات النظام وأدواته لا يصلح معه الإجراءات العادية التى سبق لزعماء آخرين أن حاولوها بل هى تحتاج الى اصلاحات جذرية تعيد النظر فى أركان النظام ومفاهيمه وآلياته وبشكل تتجاوب مع المرحلة التاريخية التى يجتازها وباختصار اكتشف أنه فى حاجة الى ثورة جديرة ولكنها ثورة من داخل النظام وليس من خارجه أو ضده .. ومن هنا شرع جورباتشوف فى سياسة إعادة البناء الاقتصادى والاجتماعى وكانت أدواته فى هذا هى العلانية التى اراد بها ان تجرى عملية اعادة البناء فى مناخ منفتح يناقش جوانب القصور والاخطاء ويكشف عنها ولا يخفيها ، اما الاداة الثانية لأعادة البناء فكانت الديمقراطية وقصد بها أن يتم الاصلاح من أسفل لا من أعلى وبمشاركة الجماهير وتفاعلها واقناعها وليس بتجاهلها وسلبيتها .

غير أن بروستريكا جورباتشوف أن


كارتر


ريجان

كانت أساسا لاعادة بناء الداخل ، الا أن لها وجها آخر يرتبط بها ارتباطا عضويا وهو السياسة الخارجية ، وتوجهاتها حيث ادرك جورباتشوف ان بناء الداخل ، وخاصة فى ظل الاوضاع الاقتصادية والتكنولوجية العالمية الجديدة وترابطها ، من الصعب ان يتم فى بيئة دولية او اقليمية متوترة ، أو فى ظل مواجهات مع القوى الدولية الرئيسية ، وفى ظل سياسات سباق التسلح بأبعاده الجديدة ، وما تفرضه من أعباء ضخمة ، ويمكن أن نقول أيضا فى ظل مؤثرات وأزمات إقليمية يرتبط بها الاتحاد السوفييتى وتعرض قيودا عن اهتماماته الاوسع وتلقى عليه أعباء لم يعد يستطيع تحملها . ومن هنا جاء ما عرف بالتفكير السوفييتى الجديد فى الشئون الدولية ، والذى اراد به اساسا خلق مناخ دولى مساعد ومتجاوب مع عملية اعادة البناء الجذرية فى الداخل وباختصار شديد ووفقا للتفكير الجديد فقد استبدل جورباتشوف مفهوم الصراع الطبقى بين الرأسمالية والاشتراكية بمفهوم الاعتماد المتبادل ، Inter — de-pendence **والتعاون الدولى ، وعقد الاولوية "للنظم البشرية العليا" "والقضايا العالمية" . وبدلا من مفهوم الامن الذى يعتمد على تكديس الاسلحة اعتبر ان الامن يمكن ان يتحقق من خلال اتفاقيات متبادلة للحد من التسلح والتحكم فيه ، ومن مفهوم أن أمن جانب لايمكن ان يتحقق على حساب جانب آخر .**

● سياسات عملية ومحددة

غير ان التفكير السوفييتى الجديد نحو العالم لم يقتصر على الكلمات بل تعداه الى سياسات عملية ، فقد اقدم جورباتشوف على الانسحاب من افغانستان التى سممت علاقات الاتحاد السوفييتى ليس فقط مع الولايات المتحدة والغرب بل ومع العالم ، وانهى الخصام الطويل مع الصين ، وساهم فى تحقيق تقدم فى عدد من المنازعات الاقليمية مثل الحرب العراقية الايرانية ، والوضع فى الجنوب الافريقى ، غير ان المحال الخطير الذى بدت فيه المبادرات السوفييتية الجديدة كان هو مجال الحد من التسلح ، **وهى المبادرات التى ساعدت على التوصل الى اتفاق هام هو اتفاق الصواريخ المتوسطة المدى INF يفتح الطريق الى اتفاقيات اكثر اتساعا فى مجال الحد من التسلح الاستراتيجى** ، وتجاه منطقة كانت البؤرة التى انطلقت فيها الحرب الباردة وهى منطقة شرق اوربا ، فإن الاتحاد



السوفييتى الذى كان يقاوم ، بالقوة احيانا - عمليات التغيير والتجديد فى نظمها ، اصبح فى عهد جورباتشوف يشجع هذه العملية ، ويتسامح مع ذهابها الى ابعاد خطيرة مثل التخلى عن سيطرة الاحزاب الشيوعية ودورها القيادى .

مثل هذه التغييرات العميقة - سواء فى السياسات الامريكية او السوفييتية - هى التى سمحت بعقد اربعة مؤتمرات قمة بين ريجان وجورباتشوف وضعت الاساس لعلاقات متنوعة جديدة بين القوتين لم تشهدها منذ الحرب العالمية الثانية .

هذا التغيير فى مجرى واتجاه العلاقات بين القوتين ، وفى الواقع الداخلى لكل منهما وخاصة فى الاتحاد السوفييتى ، ادى الى نشوء تيارين ومدرستين فى التفكير وفى تفسير مايجرى وتوقع ماسوف تتصف بـه علاقـات القوى الرئيسية فى العالم . فى هذا ذهبت المدرسة الاولى الى ان تعلن بثقة واستبشار ان مانراه هو نهاية الحرب الباردة بما عرفته من صراع ايديولوجى وتنافس حول "عقول وقلوب البشر" وتوترات سياسية ووقوف على حافة المواجهة العسكرية ، ثم الصراع على النفوذ والمكانة فى العالم ومنـاطقه المختلفة ، وقد اعتمدت هذه المدرسة اساسا على عمق وشمول التحولات التى تجرى فى الاتحاد السوفييتى واعادة جورباتشوف صياغة عدد من المفاهيم الاساسية التى دارت حولها الحرب الباردة ، سواء كان ذلك فيما يتعلق بالبناء الداخلى السوفييتى ، او تصور العالم ، واعتمدت هذه المدرسة بشكل خاص على مايجرى فى منطقة شرق اوربا باعتبارها البؤرة التى انطلقت منها الحرب الباردة واتجاها نحو التعدديـة السياسيـة ، وصياغة نظام اقتصادى جديد ، وقيام حكومات لا ينفرد الحزب الشيـوعى بالسلطة ، والموقف المتسامح بل وربما المشجع للاتحاد السوفييتى من هذه التطورات ، كل هذه التحولات رأتها هذه المدرسة تقوض الاسس والقواعد التى نشأت وتطورت عليها الحرب الباردة .

اما المدرسة الثانية فهى التى تحفظت تجاه افتراض انتهاء الحرب الباردة ، واعتبرت ان مايجرى لا يقوم اساسا كافيا لكى يغير بشكل جذرى طبيعة العلاقة التنافسية التى قامت بين القوتين بفعل عوامل موضوعية تاريخية وحضارية ، ومصالحهما القومية المتباينة الناجمة عن حجمها الدولى واوضاعهم الجغرافية وتكوينهم الديموجرافى ، وعناصر القوة لدى كل منهما .

وقد بدأت هذه المدرسة مع ظهور جـورباتشـوف وسياستـه الاصلاحيـة بالتشكيك فى اخلاص هذه السياسات وبأنها "لا تقدم افكارا جديدة" وانها ليست الا تغيرا فى التكتيك ، والتماسا لفترة لالتقاط الانفاس ولكى يكسب بها جورباتشوف بالدبلومـاسية والسيـاسة "مالم يستطع أسلافه تحقيقه بالدبابات" كما اثارت هذه المدرسة فترات سابقة فى علاقات القوتين من التصالح بل والوفاق التى مالبثت ان تراجعت وعادت علاقاتهما من جديد الى طابع الصراع والتوتر وهو مالا يستبعد تكراره .

على ان انصار هذه المدرسة بعد ان تبين لهم اخلاص جورباتشوف وسياساته التى لم تعد مجرد بيانات او نوايا وانما دعمها بالافعال ، تحولوا من التشكيك فى اخلاص جورباتشوف الى التساؤل حول حظه من النجاح والاستقرار فى وجه حجم المشاكل والضغوط التى تواجهه داخليا ، ومن ثم فقد اعتبروا من الخطأ التسرع فى افتراضات وبناء سياسات دائمة مادام الواقع السوفييتى الجديد قابلا ومعرضا للانتكاس

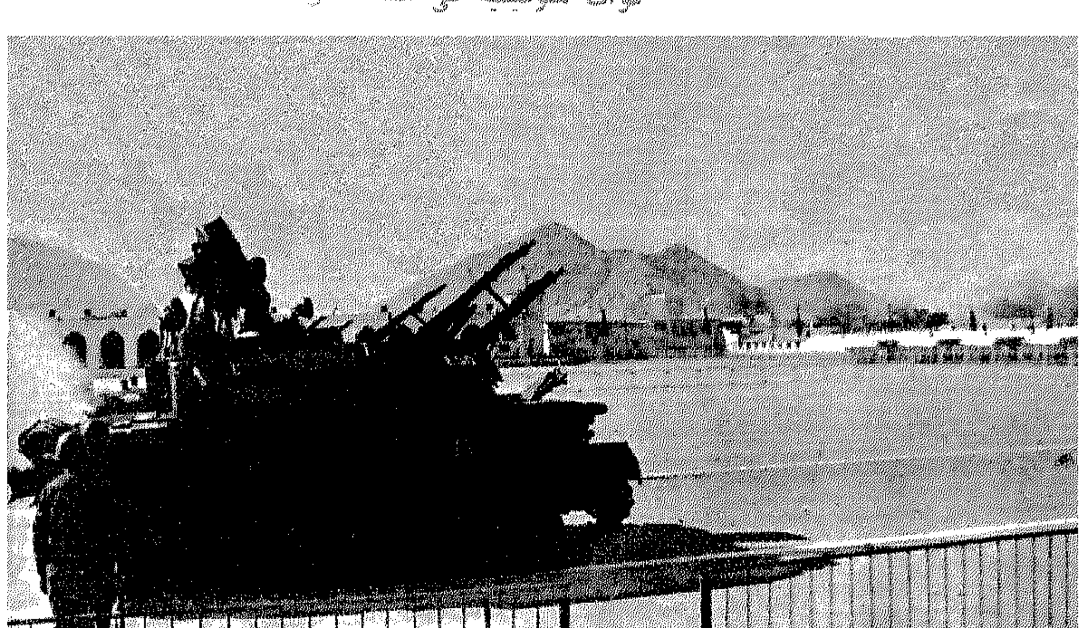
اما الوضع فى شرق اوروبا ، والذى تعتبره هذه المدرسة الامتحان الحقيقى لانتهاء الحرب الباردة ، فانها رغم اعترافها بالتطور الحادث فيها وتسامح الاتحاد السوفييتى معه ، فإنها ترى ان هذا التطور قد يذهب الى المدى الذى يشعر معه الاتحاد السوفييتى لاعتبارات تتعلق بمصالحه الامنية ، انه لا يستطيع التسامح معها ويتجه الى التدخل فيها على نمط ما فعل فى الخمسينات والستينات ، الامر الذى يمكن ان يقوض كل الظواهر التى توحى للبعض بانتهاء الحرب الباردة ومصادرها .

● مابعد الحرب الباردة ؟

الى جانب هذين التيارين المتعارضين فى تفسير مايجرى على الساحة الدولية وبين قواها الرئيسية ثمة تيار يحاول ان يمد بصره الى ابعد من التطور الراهن ، ويتصور اوضاع وعلاقات القوى المقبلة ، وثمة فريق فى هذا التيار يأخذ طريقا وسطا ، ويذهب الى انه حتى لو انتفت مظاهر العلاقات المتوترة التى ميزت مرحلة الحرب الباردة فإن حقائق القوة القومية ستظل ملازمة للقوى العظمى ، وان انتفاء هذه المظاهر لا يعنى ان المنافسة السياسية والايديولوجية والاقتصادية وحتى العسكرية قد انتهت ، كما انها لن تعنى نهاية النضال من اجل القوة والنفوذ ، اما الشىء الجديد فى هذا الصراع فهو انه سوف يحل من خلال التراضى والحلول الوسط وتغليب المصالح المشتركة .

وكان خير من عبر عن هذا الفريق الدبلوماسى والمؤرخ الامريكى جورج كينان ، الذى درس ومارس الشئون الروسية والسوفييتية منذ العشرينات ،

قوات سوفيتية فى افغانستان





وتحول من منظر لسياسات الاحتواء الى اكثر الدعاة اليوم لعلاقات ايجابية وبناءة مع الاتحاد السوفييتى ، وقد وقف أخيرا يدلى بشهادته امام مجلس الشيوخ الامريكي ويستشرف فى هذه اللحظات الفاصلة مستقبل العلاقات بين القوتين فقال ".. يبدو لى انه ايا كانت الاسباب التى بدت من قبل للنظر الى الاتحاد السوفييتى فى المحل الاول كخصم عسكرى ، فان زمن مثل هذا الاحتمال قد مضى . ان الاتحاد السوفييتى يجب ان ينظر اليه اليوم بشكل اساسى كقوة عظمى ، شأنها شأن أية قوة عظمى اخرى ، والتى تتحدد امالها وسياساتها بموقعها الجغرافى وتاريخها وتقاليدها ، ولهذا فان امالها لا تتطابق مع امالنا ، ولكنها ايضا ليست فى صراع خطير معنا بشكل يبرر اى افتراض ان الخلافات الرئيسية لا يمكن التكيف معها بالوسائل السلمية من حلول وسط وموائمة واعتقد انه فى الوقت الذى لا يجب ان نهمل فيه امننا العام ، يجب ان نصفى بأسرع وقت ممكن عناصر التوتر غير الطبيعى التى سيطرت حتى وقت قريب على العلاقات الامريكية السوفييتية ، وان نحول اهتمامنا بدلا من هذا الى تطوير الامكانيات الممكنة لهذه العلاقة والتى ليست باية حال قليلة الاهمية .

اما الفريق الاخر من هذا التيار فهو يرى ان هذا التطور قد يحمل معه زيادة فى عدم الاستقرار حيث ستفتقر البيئة الدولية إلى التنبؤ واليقين ، وهو تصور يدفع اصحابه الى ان ينظروا بالحنين الى الايام القديمة للحرب الباردة والتى يرون انها رغم ما اتصفت به من توترات فإنها وفرت اطول فترة سلام وانتقاء للحروب بين القوى العظمى بل وشهدت فيها اوربا مرحلة رخاء وازدهار .

غير انه اذا كان لنا من تعقيب على اصحاب هذا الرأى الاخير فهو انهم يتجاهلون ان الحقب التى اعقبت الحرب العالمية الثانية وان كانت قد وفرت سلاما للقوى العظمى وللغرب ، فإنها ضاعفت من ميزانيات التسلح بشكل فاق التصور ، وتكدست ترسانات الاسلحة ووصلت الى مستويات تدميرية تبلغ مئات المرات اسلحة الحرب العالمية الثانية . اما الحقيقة التى تغافل عنها هذا الفريق فهى ان فترة ما بعد الحرب الثانية قد شهدت اندلاع اكثر من ١١٠ حروب اهلية ومنازعات اقليمية فى اقطار العالم الثالث راح ضحيتها قرابة ١٥ مليون نسمة . وبدون ان نخوض فى اصول ودوافع هذه الحروب والمنازعات ، فإنه من غير شك كان لمصالح وتنافسات القوى العظمى دور فى نشوئها واذكائها ، **وهى حقيقة يجب ان تتوقف عندها شعوب العالم الثالث ، وان تدفعها الى ان تدرس وتستوعب بدقة مايجرى امامها من تحولات فى اركان النظام الدولى الايديولوجية والسياسية والاقتصادية ، وهى التحولات التى ايا كانت الوجهة النهائية التى ستأخذها ، سيكون لها تأثير بالغ على مصائر شعوب العالم الثالث وقضاياها الحيوية .**



● في بعض الموشحات الغنائية القديمة يردد المغنون نداءات مختلفة منها قولهم : « يامُليم » - بضم الميم وكسر اللام - والمليم الذى ينادونه او يهتفون به هو الحبيب احيانا ، وفي الغالب العذول الذى استحق اللوم وإن لم يقع عليه .. اما « المَلوم » - بفتح الميم وضم اللام - فهو الذى وقع عليه اللوم فعلا ..

● بعض الناس حصلوا فى عصر الانفتاح الاستهلاكى على أموال جمة .. اى كثيرة .. و « الجمة » فى الأصل هى البئر الكثيرة الماء ، استعير اسمها لكل شىء كثير ، كانهم يغترفونه من البئر .

● العامة تصف الشاب او الرجل النشيط الخدوم بانه « جدع » .. والجدع بالدال المهملة - هو نفسه « الجذع » - بالذال المعجمة فى اللغة الفصيحة وهو الشاب الحديث السن ..

● كلمة « نادر » أصلها الجانب النادر من الجبل ، وهو الجزء البارز منه كانه يتصدره .. والنادر من كل شىء هو البارز المتفوق القليل المثال ..

● يشتم العامة أحدهم بانه « طفس » - بكسر الطاء والفاء - وهى لفظة فصيحة حين تنطق بفتح الطاء وكسر الفاء .. والطفس هو الذى لايتعهد جسده بالنظافة .. والجمع اطفاس !..

● بعض المتادبين يستعملون كلمتى « القال والقيل » كانهما مترادفان ، أو بمعنى واحد ، وليستا كذلك ، فإن « القال » هو السؤال ، اما « القيل » فهو الجواب .. وهما مصدران ، أو اسمان .. واعرابهما يجىء بحسب موقعهما من الكلام ، مرفوعا أو منصوبا أو مجرورا ..



الأدب وآفاق التسعينات

وكانت نهاية العالم ... في أواخر القرن العشرين !

بقلم : محمود قاسم

بالتأكيد ستحل نهاية العالم ، مع نهاية القرن العشرين ..
لا .. بل سيتحول العالم الى كيان وردى جميل .. وسيتحقق الكثير من أحلام البشر وامانيهم نحو الحق والخير .. والعدل .
هذان هما المفهومان الرئيسيان اللذان سيطرا على عقلية ، وخيال ، الكاتب المهموم دائما بشكل المستقبل .. لكن ترى كيف سيكون هذا المستقبل حقا ؟. ولماذا تضاربت وجهات النظر بين الادباء فى تصورهم لسنوات المستقبل القريبة ، التى ستحل مع نهاية القرن العشرين .

لا شك أن الكاتب الذى راح يصور شكل المستقبل قد استمد وقائع كتاباته ، وخيالاتها ، مما يطالعه يوميا فى الصحف والمجلات ، وما تبثه وسائل الاعلام ، عن الامكانات العلمية فى الغد . وعن شكل العالم سياسيا وأيديولوجيا فى سنوات قادمة .

وقد راح بعض العلماء يصفون هذا المستقبل من خلال الانجازات العلمية فيما سمى بأدب الخيال العلمى ، أما الادباء الذين راحوا يتوغلون فى آفاق الغد سياسيا فهم ينتمون الى أدب الخيال السياسى .. وكلا للنوعين من الادباء قد شغلهم المستقبل ، أكثر من هم الحاضر والماضى .. فكلا الاثنين منصرم الى غير رجعة . أما المستقبل ، فهو قادم لا محالة .

والكثير من الروائيين راحوا

يتصورون المستقبل البعيد • وتركوا لخيالاتهم العنان التي لا حدود لها • الا أن القليلين من هؤلاء الكتاب، راحوا يستشرفون المستقبل القريب، وخاصة العقد الاخير من القرن العشرين، ولذا جمعت رواياتهم بين الواقع والخيال بنسب متقاربة عن كتاب الخيال العلمي الذين سافروا بأبطالهم الى قرون قادمة •• بعيدة عن زماننا •• ولن يعيش فيها، قط، أي من ابناء القرن العشرين •

ولذا، فان الادباء الذين استشرفوا التسعينيات، وعوالمها، ينتمون، في أغلبهم الى أدب الخيال السياسي• وان كان بعضهم قد جمع بين الخيال السياسي والعلمي •• وسنرى أن الادباء العرب قد شاركوا بدور فعال في استشراف آفاق التسعينيات بشكل يؤكد مدى ما يتمتعون به من بصيرة لتصور المستقبل •

هناك العديد من الروايات التي تبدأ أحداثها مع نهاية القرن •• وتستكمل أحداثها فيما بعد، مثل رواية «كوكب القرود» لبيير بول، حيث تبدأ في نهاية القرن العشرين، في مركبة فضائية ترحل الى المستقبل •• وعلى الرواد الفضائيين مغادرة القرن العشرين بأكمله من أجل الاستيقاظ في قرون قادمة • ولم تكن هناك أية دلالة لذكر القرن العشرين في هذه الرواية • الا للتأكيد أن ما يمكن أن يدور في المستقبل من كوارث بشرية له بذور في القرن الحالي • فالرواية تنتهي في القرن القادم • حين يعود تايلور مرة أخرى هاربا من كوكب القرود • وحين تحط سفينته في مدينة باريس، يهرول الى رجل الشرطة الذي ينظم المرور، ويمسك بيده كي يساعده في محنته •• فيكتشف أن يد الشرطي مليئة بالشعر، وانه ليس سوى قرد •

• سلطان الله وفضله على الانسان •• •

أما رواية «مالفيل» للكاتب الفرنسي روبير ميرل فتدور أحداثها في النصف الثاني من التسعينيات حول ما يمكن تسميته بالحرب العالمية الثالثة الجزئية، اي التي تأتي بثمارها على جزء من العالم •• هذا الجزء هو مكان محاط بمنزل عمدة احدى المدن الفرنسية • فذات مساء، دعا العمدة مجموعة من ضيوفه لحضور حفل في قبو منزله •• وفي تلك اللحظات التي أقيم فيها الحفل يحدث انفجار نووي في الخارج، يأتي على كافة أشكال الحياة في المكان كله • وعندما يخرج الباقون على قيد الحياة من المكان يكتشفون أن هناك مجموعة أخرى بقت على قيد الحياة • لكن الحرب النووية أثرت عليهم • فكشفت على الجانب الشرير •• وتدور معركة أساسها الوجود بين الطرفين أحدهما متوحش والاخر لا تزال الحضارة باقية في دمائه لكن طبيعة الصراع تفرض توحشا خاصا على الطرفين اللذين ينتهيان بالتصفية •• وكان ما فعله الجميع، بعد الحرب العالمية اشد شراسة من تفجير القنبلة الذرية نفسها •

وقد اختلف منظور الكاتب الامريكي برنارد مالامور ـ الذي توفي عام ١٩٨٦ ـ كثيرا عن منظور ميرل •• فراح ينسج حكاية يهودية تدور في نهاية القرن العشرين تنتمي في المقام الاول الى أبناء هويته • فاذا كان غير اليهود هم الذين أقاموا الحرب العالمية الثالثة •• فان الشخص الوحيد الباقي على قيد الحياة في رواية «كرم الله» هو كالفين كوهين



•• الذى تدفع به ظروفه ، بعد تدمير العالم تماما ، الى جزيرة معزولة تعيش فوقها قردة اكثر تطورا ، من الناحية البيولوجية ، من القردة التى نعرفها ••

ويرى كوهين ، وهو ابن حاخام يهودى ، ان الله ، سبحانه وتعالى ، قد غضب على الانسان الذى كرمه بأعظم السمات والمزايا ، ومنحه السلطان فوق الارض منذ بدء التاريخ • لذا فان الانسان لايستحق، من جلالته ، اى كرم أو رعاية •• وان هذا الكرم لابد أن يتجه الى جنس آخر من المخلوقات هم القردة •• ولابد لهؤلاء القردة أن يكون لهم راع خاص ، وهاد مبشر ، هو كوهين الذى يعلم القرود التعاليم التوراتية ، حول أصل الحياة ، ومغزى ضحية النبى ابراهيم عليه السلام • وفى هذه الرواية يضع مالاموود كل أفكاره العنصرية • فاليهودية ، حسب رؤيته ، هى الديانة الباقية بعد فناء البشر فى نهاية القرن العشرين •

• السلام العالمى •• حلم كاذب •• •

اما الكاتب المصرى نهاد شريف ، فقد راح يصنع نموذجا طوبويا فى روايته « سكان العالم الثانى » التى تدور أحداثها فى الشهور الاخيرة من عام ١٩٩٩ • حين استطاعت مجموعة من العلماء أن يؤسسوا مدينة علمية تحت المحيط • ويعملوا على سيادة السلام فى العالم من خلال ما يملكونه من أسلحة متطورة • وهدفهم هو « رفض الاوضاع السائدة على كوكبنا الارضى ، بعد أن وعينا مدى اتساع الهاوية المخيفة التى يسعى الجنس البشرى الى التردى طواعية ويعمق بالمغ فى أعماقها من أجل ذلك تفاهمنا وقد تلاقت افكارنا قبلا • وقررنا أن نفعل الشىء الذى تأخر فعله مدة قرن أو يزيد من الزمان •

وفى هذه المدينة الطوبوية التى اقيمت اسفل المحيط ، يقوم العلماء بدعوة ثلاثة من الرجال يمثلون اقطاب دول عالم الانحياز ، باعتبارهم قوة معتدلة فى العالم ، وهم مصر ، والهند ، ويوغسلافيا •

ورغم حلم الكاتب العربى بأنه يمكن تحقيق فكرة السلام العالمى فى أواخر التسعينيات ، فان هذا السلام لا يقام سوى لمدة اشهر قليلة ان لم تكن أسابيع •• وذلك ان نجحت قوى مجهولة ، لم يشر اليها المؤلف ، فى تدمير مدينة القاع الطوبوية فقتلت سكانها ، وحكماءها •

• عصر التبرئة •

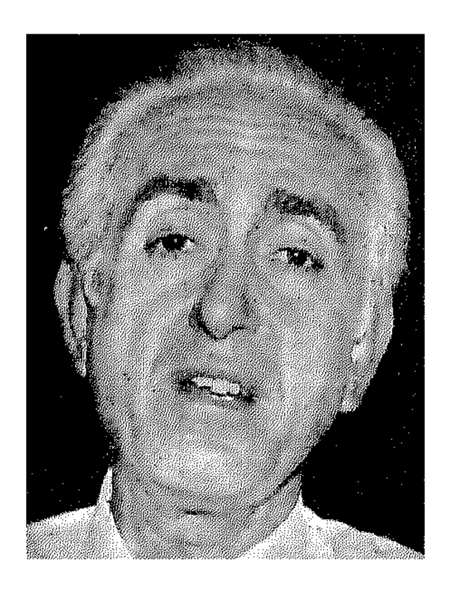
اما الكاتب المصرى عمر كامل فله تجربة بالغة الجرأة تدور احداثها فى التسعينيات تحت عنوان « ثقب فى قاع النهر » ، حيث تخيل أن نهر النيل قد أصابه الجفاف معلنا قيام عصر جديد • مما يصيب السلطات بالارتباك فى اتخاذ القرارات ، وتحت شعار الدين تقوم دولة جديدة تضع لنفسها ناموسا خاصا •• فقام عهد جديد أسماه المؤلف بعصر التبرئة • أو عصر الفتح الثانى لمصر ويعلن



الحكام الجدد خطتهم الجديدة التى تبدو نبيلة ، ويتغير ، تماما ، وجه الحياة فى البلاد • فيسود العنف ، والتطرف •

ويرى عمر كامل أن حكماء عصر التبرئة قد منعوا الفيديو والتلفاز عن الناس ووضعوا خلف كل شخص جهاز تجسس صغير يمكن أن يسجل ما يفعله ، ويردده وأصبحت الدولة تتحكم فى كل المصائر بدءا من اختيار أسماء المواليد الجدد • وتبديل كل أوجه الحياة •• ولم يعمل أى من هؤلاء الحكام على اعادة المياه الى النهر •

وفى عصر التبرئة ، سعى البعض للهجرة • وبقى الاخرون يعانون من ديكتاتورية لم تعهدها البلاد •• ويرى الكاتب فى تذييل الرواية ، التى نشرها على نفقته الخاصة ، « أود ان اعلن بان أحداث هذه الرواية التى يغلب عليها التوقع الخيالى ، ان جاز التعبير ، ليست موجهة الى تيار ، أو جماعة ، أو شخص ، بقدر

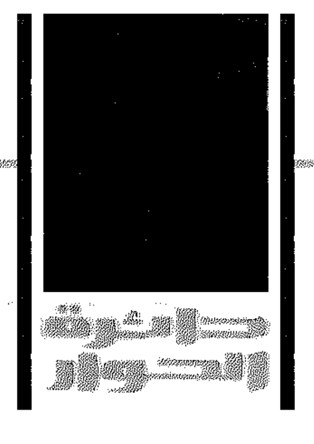


نهاد شريف

ما هي موجهة الى الغموض • وغيبة الادراك والانفعال الانتحارى »

● الخيال •• راح بعيدا ●

تلك هى بعض النماذج الادبية العربية والعالمية ، التى حاولت الولوج الى العقد الاخير من القرن العشرين •• ورغم انها تبدو تشاؤمية المنظور ، فانها ، فى جميعها ، تعد بمثابة حالات تحذيرية مما يمكن أن ياتى الى المستقبل القريب من أحداث جسيمة تتعلق بتدمير نووى • أو بمحاولة سيادة الديكتاتورية •• وقد حاولنا التركيز على نماذج أدبية فى وقت راحت السينما فيه تنتهك براءة التسعينيات ، التى نخطو اليوم على أولى عتباتها • حيث صورت السينما النصف الثانى من التسعينيات بشكل بالغ التشاؤمية •• فى وقت يعرف فيه الجميع أن الادباء الذين كتبوا مثل هذه الاعمال يتمنون أن تكون نهاية القرن العشرين وردية للغاية • مثل بدايته ، لعلهم يدعون الله كثيرا أن يخيب العقد الاخير من القرن خيالاتهم التى راحت بعيدا •

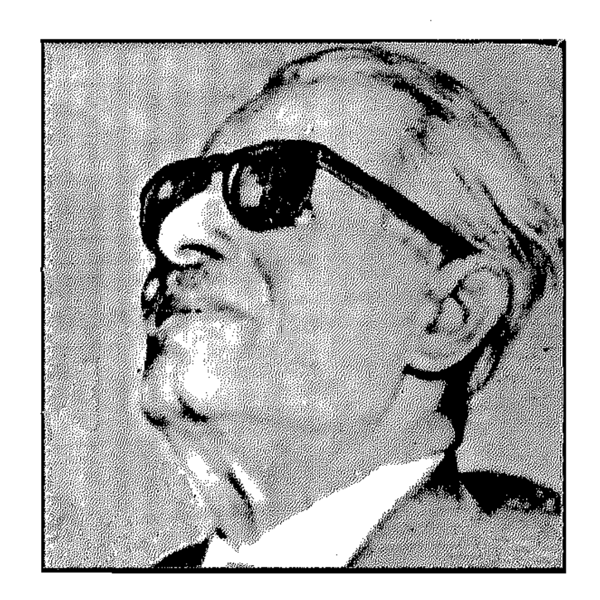


معركة التعليم

بقلم : د. أحمد عبد الله

التعليم أحد مجالات الحياة ذات الأهمية الخاصة . وقد ضارع في اهميته الاستقلال السياسى بالنسبة لبلدان العالم الثالث . حيث ارتبطت الدعوة للاستقلال السياسى بالتحرر الاقتصادى والاجتماعى ، فاعتبرت النهضة التعليمية أساسا للنهضة فى عمومها بل وأساسا للحفاظ على الاستقلال ذاته ، والتعليم عملية متعددة الاهداف والابعاد ولايقتصر على هدف واحد أو بعد واحد برغم امكانية صراع الافكار والمصالح حول تغليب هذا الجانب أو ذاك من جوانب العملية التعليمية فالتعليم عملية ثقافية تتعلق باعادة خلق ثقافة الأمة وتوحيد ابنائها حول هذه الثقافة وتطويرها . والتعليم عملية اقتصادية توفر لسوق العمل احتياجاتها . وهو استثمار انتاجي وخدمي وبشرى فى نفس الوقت .

وحيث أن أهمية العلم لم تعد تقل عن أهمية الثروة فى تحقيق المكانة الاجتماعية للأفراد والجماعات فقد أصبح التعليم مجالا من أهم مجالات الصراع الاجتماعى ، واحتد الخلاف بين الفرق السياسية حول التعليم هدفا وتكلفة وتطبيقا وعائدا ، هذا بجانب الخلافات الفنية حول طريقة التربية . والتدريس والتحصيل وتقويم اداء التلاميذ والمؤسسات التعليمية .



د . طه حسين

● وقد عرفت مصر معركة مستمرة حول التعليم مثلت فى البداية فرعا من فروع الكفاح الوطنى ضد الاستعمار ، ثم دعوة شاملة للحاق بالعصر من خلال التعليم ، ثم صراعا اجتماعيا وفكريا حول كم وكيف التعليم الذى تحتاجه البلاد . وفى هذا الجانب الاخير عرفت مصر صراعا بين انصار تعليم الصفوة وانصار تعليم الجماهير ، وصراعا بين انصار التضييق فى الانفاق الحكومى على التعليم وانصار التوسع فيه ، وصراعا بين انصار توحيد انواع التعليم الاولى وانصار ابقاء انقسامه الى تعليم دينى وتعليم حديث وانقسام التعليم الحديث نفسه الى مدارس أولية ومدارس ابتدائية ، واخيرا صراعا بين انصار التوسع فى التعليم العالى وانصار تضييق نطاقه ، وكان القاسم المشترك فى هذه الصراعات هو الصراع حول ان يكون التعليم مدفوع الثمن من جيوب المواطنين مباشرة ام ان يكون مجانيا .

● حسم فكرى

وعند بداية الخمسينيات وحتى قبل سقوط النظام القديم كانت معركة التعليم قد حسمت « فكريا » لصالح انصار التوسع والتوحيد والمجانية ، اى انصار « الماء والهواء » بتعبير طه حسين ، كما انعكس الانتصار الفكرى فى خطوات عملية حين اصبح طه حسين نفسه وزيرا للتعليم . وهو الوضع الذى انطلقت منه ثورة يوليو ١٩٥٢ نحو المزيد فى نفس الاتجاه . وقد زادت الثورة على ذلك تغليب التعليم الوطنى على التعليم الاجنبى فى خضم معاركها الوطنية ، والتوسع فى انواع التعليم الفنى والصناعى فى خضم معركة التنمية الاقتصادية التى قادتها ، واخيرا تنشيط الحراك الاجتماعى من خلال صعود ابناء الطبقات الوسطى والدنيا على اساس التعليم المكتسب وليس على اساس الثروة الموروثة .

وقد استقرت الأمور لفترة على هذا الحال حتى داهمت ارض التعليم اخطار عملية وفكرية جديدة . فالتعليم الشعبى او تعليم الاعداد الكبيرة له بالطبع مشاكله التى تنعكس على نوعية التعليم وخريجيه وميزانية الدولة ليست لامتناهية لتستجيب لكل المطلوب من موارد تنفق على التعليم خصوصا مع وجود معركة وطنية عالية التكلفة . والجهاز الحكومى لم يعد قادرا على استيعاب كل الخريجين الذين التزم باستيعابهم . وسوق العمل كذلك غير قادرة على الاستيعاب سواء فى القطاع العام او القطاع الخاص ، والقطاع الخاص الذى اتسع مع الانفتاح الاقتصادى لم يستوعب أيدى عاملة كثيرة ، ولولا الهجرة لكانت



فضيحة الانفتاح بجلاجل . والهجرة نفسها ليست بلا حدود . خصوصا مع تراجع فوائد النفط وتناقص احتياجات السوق الخليجية ـ او الخارجية عموما ـ من اليد العاملة المصرية والطبقات التى استفادت من الانفتاح ـ ومنهم من يسميهم الدكتور لويس عوض « جحافل الجاهلية » ارادت ان تعيد تفصيل التعليم على مقاس ابنائها بحيث يتميزون عن بقية ابناء الامة فعادت المدارس الاجنبية والخاصة بل والعامة المتميزة عن بقية المدارس ، وعادت الدعوة لقصر التعليم العالى على ابناء الصفوة تحت مختلف المسميات وطرحت على وجه العموم فكرة انهاء مجانية التعليم ، بل وعاد الصراع حول المناهج التعليمية بين الرؤية الدينية والرؤية المدنية باختصار عادت الى ارض المعركة كل الموضوعات التى شعر المجتمع لوهلة انه قد اجتازها.

● تدهور نوعية التعليم !

والمشكلة فى هذا السياق هى ان اطراف المعركة إنما نزلت الميدان شاهرة أسلحة قديمة ومتمترسة خلف متاريس قديمة . فأنصار تعليم الصفوة يعاودون المماحكة فى مشكلة تدهور نوعية التعليم بسبب الاعداد الكبيرة ، وكذلك فى مشكلة بطالة الخريجين وضيق الطاقة الاستيعابية للجامعات ، وأخيرا مشكلة تكلفة التعليم وضرورة الوفاء بها وهو مالا تسمح به المجانية . وهذه بالطبع مشكلات حقيقية تستوجب النظر فى سبيل حلها دون أن يعنى ذلك بالضرورة سيادة تعليم الصفوة الذى هو الروح الحقيقية السارية لدى أغلب أصحاب هذه الأطروحات ممن يحتقرون الجماهير فى أعماقهم . أما أنصار المجانية وتعليم الجماهير فمشكلتهم أنهم أصحاب قضية عادلة يفترضون أنها تبرر لهم شهر كل الأسلحة مهما كانت قديمة . فتجدهم يدافعون عن الشعارات القديمة نفسها حتى دون صياغات جديدة . بل لعلهم ينشرون نوعا من الأرهاب الفكرى الذى يحول دون تغير الخطاب حتى مع بقاء جوهر الموقف من قضية التعليم .

ولئن كان من اليسير أن يحدد المرء موقفه مع أو ضد جحافل الجاهلية ، فإنه من الصعب أن يكون المرء واقفا فى معسكر أنصار الجماهير ومع ذلك تواتيه الشجاعة لانتقاد هؤلاء الأنصار . فسلاحهم فى الدفاع عن الجماهير ـ بغض النظر عن نجاحهم فى إقناع الجماهير بالدفاع عن نفسها ـ هو رفع نفس الشعارات التى طالما خلبت لب الجماهير . لكن الزمن غير الزمن ، ومن الضرورى أخذ التطورات الواقعية فى الاعتبار والمواءمة بين الزمن والشعار .

خذ مثلا شعار مجانية التعليم . إنه كشعار تحرير الأندلس الذى جعلته التطورات الفعلية كلاما نظريا مجردا . فمعركة المجانية قد خسرها أصحابها منذ زمن وعليهم أولا الاعتراف بذلك . فالتعليم لم يعد مجانيا . وجميع الجماهير وجميع أنصار المجانية يدفعون تكلفة يومية للتعليم . ربما بقيت المصاريف المدرسية عند رقم الصفر أو بلغت بضعة جنيهات ، وبالتالى فهى بقيت رمزا لاستمرار المجانية التى يخشى أنصارها من

سقوطها مع كل جنيه زائد فى المصاريف المدرسية . لكن هذه المصاريف نفسها لم تعد تساوى شيئا بالنسبة لما تتكفل به الأسر لتعليم أبنائها . أن الدروس الخصوصية المدفوعة أصبحت هى بديل المصاريف الكاملة . والجميع يلجأ لهذه الدروس التى تكلف بعض الأسر ما لايقل عن ثلث ميزانيتها . فإذا أضفنا اليها تكلفة الانتقال والغذاء والكساء المدرسى لأصبح أى حديث عن المجانية أضغاث أحلام . إن التعليم فى مصر أصبح مدفوع الثمن ولم يعد من المجدى الحديث عن مجانيته فالأصح إذن هو الحديث عن هذا "الثمن" من يدفعه وكيفية توزيعه وما المقابل له .

أى البحث عن "العدل" فى دفع الثمن ومعالجة ما به من اختلالات ، لكن هذا معناه الأقرار أولا بمبدأ النفقة التعليمية ثم الدفاع عن طريقة أكثر عدلا فى توزيعها . وهو ما يعنى باختصار التحول عن شعار "المجانية" المطلقة والمعممة إلى شعار "العدالة فى توزيع النفقة التعليمية" .

أى أن يدفع الناس لكى يتعلموا لكن أن يدفعوا حسب درجات استطاعتهم . وهو ما يعنى عمليا أن دفع مبلغ مقداره صفر ـ أى المجانية ـ سيكون فقط من حق الفئة الأدنى فى السلم الاجتماعى . أما الباقون فلابد أن يدفعوا من جنيه الى الف حسبما تحدد القواعد المحققة للعدالة والتى يمكن الاتفاق عليها سياسيا فى إطار التراضى الوطنى . وبالمناسبة فهذا هو الاتجاه فى العالم كله بما فى ذلك العالم الاشتراكى الذى لم يخجل من الحديث عن تكلفة

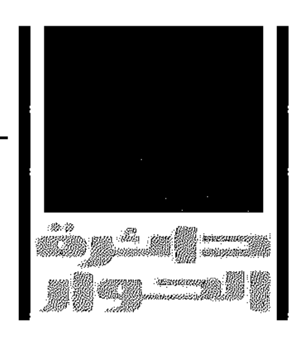


لويس عوض

الخدمات العامة وضرورة مساهمة المواطنين مباشرة فى دفعها بعد أن كانت الدولة تنوب عنهم فى ذلك .

● تعليم الصفوة وتعليم الجماهير

ولئن خجل أنصار الجماهير من الاعتراف بالتطورات العالمية ـ على افتراض علمهم بها ـ خشية أن يضطروا لمواجهة جماهيرهم بالحقيقة المرة على غير ما اعتادوا ، فأن الأدهى هو موقف المسئولين عن التعليم المتراوح بين فكرتى تعليم الصفوة وتعليم الجماهير وطريقتى التعليم بالمجان والتعليم بالفلوس . وفى هذه المراوحة لايفتح النظام حوارا حقيقيا للوصول الى التراضى الوطنى الضرورى فى موضوع التعليم ربما أكثر من أى موضوع آخر . فعدم التراضى حول القواعد التنظيمية معناه من باب أولى عدم التراضى حول المضمون الذى يمس ثقافة الأمة نفسها . فالتعليم هو الباب الذى يدخل منه صغار



أبناء الأمة ويخرجون منه أبناء لأمة واحدة أو لعدة أمم وما يفعله النظام بشأن التعليم هو مجرد "الطبطبة" على أكتاف أنصار الصفوة وأنصار الجماهير فى نفس الوقت حيث يستعير شعارات هؤلاء وأولئك فى خطابه الرسمى أما فى الواقع العملى فهو يترك الأمور تسير فى أتجاه موازين القوى الاقتصادية والسياسية فتكون الغلبة فى تحديد شكل ونوع التعليم للطبقات الجديدة وأبنائها . حيث يغلب على تناول النظام لموضوع التعليم "الاهمال" بل والتبلد من حيث الاهتمام بمستوى التعليم (بما فى ذلك مستوى المعلمين الذين تدفعهم مرتباتهم الضئيلة الى أستكمالها بالدروس الخصوصية) .

كما يغلب عليه "التردد" بل وفقدان الاتجاه فيما يتعلق برسم السياسات كذلك ميل الحكومة لرسم هذه السياسات وحدها إذا قررت رسمها فتجدها تتخذ الخطوات المفاجئة التى تمررها رغما عن أنف الجميع بسياسة لوى الذراع (مثال ذلك موضوع الجامعة الأهلية ، وموضوع إنقاص سنة من الفترة الابتدائية) . وحين تجد وزارة التعليم نفسها "مزنوقة" فى تحمل أعباء التعليم لايكون أمامها سوى شعار "المشاركة الشعبية" و "الجهود الذاتية" و "مبادرات الجماهير" لكى يتحمل الناس عنها بعض العبء وهو أيضا شعار يعكس ضرورات حقيقية لكنه يتخذ صورة الحق المراد به باطل حين يشكل مجرد مهرب للحكومة .

إن فى مصر مشكلة حقيقية بشأن التعليم شكلا ومضمونا ، وهدفا ووسيلة . وتكلفة وعائدا ، ومن الطبيعى أن تدور حول هذا الأمر معركة وأن تختلف رؤى وأساليب المتعاركين . لكن المزعج فى الأمر هو ألا تدرك أطراف المعركة الجوانب المشتركة التى يجب أن تتبناها جميعا فيما يخص العملية التعليمية .

وأهم هذه الجوانب هو ما يتعلق بكفاءة العملية نفسها من حيث عائد الانفاق - وأيا كان مصدر الانفاق - وما يتعلق بمضمون العملية من حيث ضمان الوحدة الثقافية للأمة وارتفاع الحد الأدنى لمستوى تعليمها . لكن إدراك ذلك إنما يستلزم إدراكا أكبر لأهمية الحوار الديمقراطى بما يشمله من صراعات واتفاقات شأن هذا الموضوع الخطير فالمسألة التعليمية أخطر من أن تترك لتسير بالبركة وأخطر من أن نفتقد درجة من التراخى الوطنى حولها وهى آخر ما يحتاج الى الفهلوة فى فن الادارة . أو الى السلفية الفكرية التى تميز القوى السياسية المصرية بشعاراتها العتيقة .

إن معركة التعليم إنما تستلزم بالتعريف جنودا متعلمين وعالمين وقابلين للتعلم .



التغيير في شكل النقابة ووظائفها في المجتمعات الحديثة

بقلم: حافظ أحمد أمين

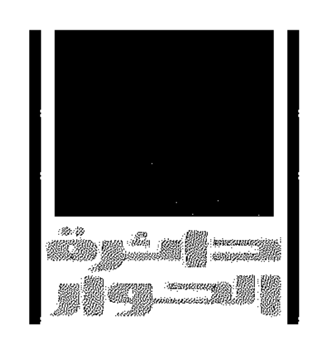
"النقابة" اسم نطلق على مجموعة من الأفراد، يختصون بمتابعة مشاكل حرفة معينة، ومشاكل الممارسين لها، ويحاولون علاجها. كما يطلق ايضا على البناء الذى يجتمعون فيه لتداول أمورهم وإنجاز أعمالهم

● وأعمال النقابة هذه، لم تكن شيئا ثابتا طوال التاريخ، فقد كانت الوظائف الرئيسية للنقابات فى غرب أوروبا فى العصور الوسطى ـ مثلا ـ تتركز على الاشراف على مستويات الجودة فى الأعمال، وتدريب الصبية، وتحديد أسعار السلع لحماية المستهلكين، ثم تغيرت وظائفها بعد الثورة الفرنسية إلى رعاية مصالح العمال، والمطالبة بحقوقهم، وخاصة بالنسبة للأجور، وساعات العمل، وظروفه، وبالنسبة لضمان أجر كاف لمن يتعطل عن العمل، بسبب المرض أو الاصابة أو تخفيض العمالة.

● صراع مستمر

وكان أصحاب الأعمال ـ فى الأغلب ـ يقفون فى وجه المطالبة المستمرة من النقابات بالمزيد من حقوق العمال، والمزايا التى يتمتعون بها، وقد سئل أحد المديرين مرة عن رأيه فى وظيفة النقابات، فقال: "طلب المزيد"، ذلك أن معظم أصحاب الأعمال يعتبرون النقابات جماعات منحازة، تخلق ـ فى كثير من الأحيان ـ صراعات ليست فى صالح أحد.

ومع ذلك فهناك الكثير من المفكرين



الذين يمتدحون وظيفة النقابة ـ وخاصة أن لم تبالغ فى طلباتها ـ فيعتبرونها جماعات تعمل على تحسين ظروف العمل ، وعلى تنبيه الادارة بمشاكل العمال لعلاجها قبل استفحالها .

وفى السنوات الأخيرة ، ظهر مفكرون يقولون بأن شكل النقابة ووظائفها لابد أن يتغير ، مع التغيرات السريعة فى التكنولوجيا ونظم الادارة ، ويستدل أصحاب هذا الرأى على صحة ما يقولون . بما نلاحظه هذه الأيام من تناقص مستمر فى نشاط اعضاء النقابات ، وفى التحمس للاشتراك فيها ، وما نلمسه من صراعات عنيفة داخل جدرانها ، تنتقل أحيانا إلى ساحات المحاكم ـ وأحيانا إلى الشوارع ، وسط حصار شديد من قوات الأمن .

● بين التماثل والتميز

المعروف أن النقابات ـ بأشكالها الحالية ـ وغيرها من التنظيمات التى تضم أفرادا متشابهين فى المهنة ، أو فى الرأى ، أو فى غير ذلك ـ كالأحزاب السياسية ، والجمعيات النسائية ، ونوادى الشباب .. الخ ـ بدأت فى الانتشار ، بأشكالها الحديثة ، منذ بداية الحضارة الصناعية . كما أن المعروف أن الفلسفة من وراء قيام هذه التنظيمات تتلخص فى الاعتقاد بأن القوة تنتج من اتحاد الفئات المتماثلة ، فى مواجهة الفئات المنافسة ، وفى الايمان بأن تماثل الفرد مع غيره يرفع من درجة كفاءته وفاعليته ، وأنه ـ لو عمل مع نظرائه داخل تنظيم واحد ـ اكتسب قوة ومكانة لهذا كان مفهوم "الحجم الكبير" ، خلال الحضارة الصناعة ، دليلا على الكفاءة والقوة .

وبعد الحرب العالمية الثانية ـ وربما بسبب شدة مآسيها ـ انقلبت بعض قيم الحضارة الصناعية رأسا على عقب ، فبدأت فى الظهور ـ مثلا ـ دعوات تنتقد التماثل والنمطية ، وتهاجم بشدة فكرة التنازل عن المميزات الشخصية من أجل خلق كيانات كبيرة قوية ، وانتشرت فلسفات تنادى بأهمية التميز والتفرد من أجل حياة أكثر بهجة وإنسانية .

وقد أدت هذه الدعوات والفلسفات إلى ظهور تكنولوجيات جديدة ، كما أدى ظهور هذه التكنولوجيات الجديدة الى إمكانية تحقيق ما تنادى به هذه الدعوات والفلسفات ، فكما أن الحاجة أم الاختراع ، كذلك يشبع الاختراع الناجح حاجات الناس ويزيل توتراتهم .. وهكذا خلقت التكنولوجيا الحديثة حضارة جديدة تماما ـ هى حضارة المعلومات والخدمات ـ عمادها التعاون والتساند ، بدلا من التصارع والتخاصم ، ذلك لأن تبادل المعلومات والخدمات لا يفقد المعطى ما يعطيه ، على عكس تبادل السلع ، زراعية كانت أم صناعية .

كانت نتيجة لذلك أن خفت الصراعات بين العمال وأصحاب الأعمال ، وبانتشار المنشآت الجديدة ، التى تقوم الأجهزة الحديثة فيها بكل الأعمال غير الابداعية ، أصبحت مصلحة كل فرد متداخلة مع مصلحة كل فرد آخر ، ومتكاملة معها ، وزاد احساس العامل ـ الذى أصبح

مبدعا ـ بأهمية بذل الجهد من أجل نجاح المنشأة التى يعمل فيها ، كما زاد إحساس صاحب العمل الحديث بأهمية توفير الرعاية الكاملة لكل من يعمل معه ، نتيجة توفيره لأحدث الأجهزة ، وبسبب التغير فى التنظيمات الادارية ، وأصبح الفرد يضحى بحاجته إلى أن ينتظم داخل كيان كبير يضم زملاءه فى المهنة ، ويفضل عليها الاحتفاظ بحريته وتميزه ، خاصة بعد أن أصبح دوام الفرد فى مهنة واحدة أمرا نادرا فى زماننا .

وكما تغير شكل النقابة وتغيرت وظائفها عندما أنتقلت المجتمعات الزراعية الى الحضارة الصناعية ـ كما رأينا فى بداية المقال ـ نلاحظ الآن حيرة القائمين على شئون النقابات ، وإرهاقهم العنيف ، وهم يتعرضون لضرورة تغيير أشكالها ووظائفها ، نتيجة لانتقال المجتمعات الحديثة من الحضارة الصناعية الى الحضارة الجديدة ، بل لعل أكثرهم لا يدرك هذا التطور العنيف ، فيفسر الأزمات الحادة ، والفشل المستمر تفسيرات بعيدة جدا عن الحقيقة .

كذلك أصبح اهتمام الحكومات ـ فى زماننا ـ بعلاج مشكلة البطالة ـ سواء بالتدريب أو الاعالة أو غير ذلك ـ من أهم العوامل فى تخفيف الصراعات التى كانت قائمة بين العمال وأصحاب الأعمال .

من هذا يقترح بعض المفكرين الكبار ـ وخاصة فى البلاد التى تتزايد فيها المنشآت المتقدمة ـ أن تتحول وظائف النقابات ، من رعاية مصالح المشتغلين فى مهنة معينة ، إلى اشتراك العاملين فى أية منشأة ـ مهما اختلفت وظائفهم ـ مع الحكومة ومع المديرين فى عمل الدراسات اللازمة لرفع إنتاجية الأعمال ، ونشر المناخ المبهج داخل العمل ، ورفع كفاءة التدريب وتوفير فرص العمل ، وتحسين العلاقات .. وما إلى ذلك من نشاطات تؤدى إلى رفع الكفاءة وتحقيق إنسانية الفرد وزيادة التعاون ، أو كما قال أحد رؤساء النقابات فى الولايات المتحدة الأمريكية : "لقد أصبحت الادارة أخطر من أن تترك للمديرين وحدهم" .

من هذا نستخلص ثلاثة أمور على درجة عالية من الأهمية :

● أن الأزمات التى تمر بها النقابات الحالية ـ بما فى ذلك سخط المشتركين ، وعدم حماس الأخرين فى الأشتراك ـ أمور طبيعية فى وقتنا ، مادامت هناك تغيرات فى شكل النقابة ووظائفها ، وأن هذا الأمر يجب الا يزعجنا أو يصيبنا بالاحباط ، أو يوقعنا فى تفسيرات سطحية لا علاقة لها بأصل المشكلة .

● **أن الشكل الجديد لأية نقابة ، لن يكون تنظيما يضم المهتمين بمشاكل مهنة معينة ـ كالتجاريين أو المهندسين او المحامين أو الممثلين .. الخ ـ وإنما سيكون تنظيما يضم العاملين فى منشأة معينة ، مهما اختلفت وظائفهم .**

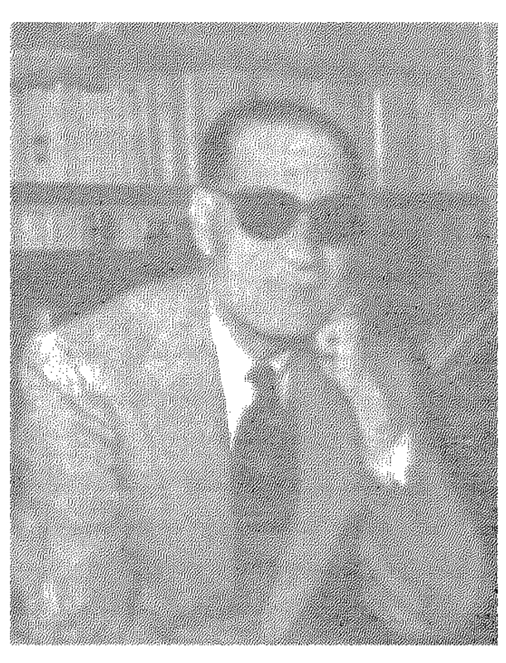
● أن مشاكل للعمل والبطالة فى أيامنا ، لن يحلها تصعيد الصراعات بين العاملين وأصحاب الأعمال ، أو بين العاطلين والحكومة ، وإنما سيحلها تخطيط ذكى ، يشترك فيه الجميع ، ويؤدى إلى أن تتأقلم كافة الأطراف مع متطلبات الحضارة الجديدة ، وما تفرضه هذه الحضارة من مهارات وسلوكيات وعقائد .

عودة إلى النقد

بقلم: د. شكري محمد عياد

لابد مما ليس منه بد . خمس سنوات او اكثر وانا اكتب لقارىء الهلال في اى شيء الا النقد ، وانا معدود ـ صوابا او خطا ـ بين النقاد . ولا اكتب بصورة منتظمة فى غير الهلال . . والقصاصون والشعراء ـ ولا سيما الشبان ـ يتحدثون عما يسمونه (ازمة النقد) ، ولعل لهذه الازمة فى اذهانهم اكثر من معنى واحد ، ولكن من ابرز هذه المعانى ـ على ما اظن ـ ان المساحة المقسومة للنقد في الصحف والمجلات ـ حتى المجلات الثقافية كالهلال ـ اقل مما يجب وهم محقون في هذه الشكوى ، او على الاقل هذا ما يعتقده رئيس تحرير الهلال ويحاول ان يتلافاه : وأن يحملنى جانبا من المسئولية عنه . والحق اني لم ازل احاوره واداوره منذ شهور حتى استمتع بالكتابة عن الاقتصاد وعن التعليم ، وعن الحب ، وعن كل ما يعرف الناس جميعا انى لست من اهله ، وانى خلو منه ، وكانى ارى ان اقحام نفسي في هذه الموضوعات ، وهى مليئة بالاشواك ، اقل ضررا من السير فوق اشواك النقد .

فللنقد اشواك : اولهـا ايذاء ان المنقود لن يرضى عنك ابدا . واعجاب الانسان بشعره (او كتابته) وبولده ضعف بشرى لاحظه الجاحظ من قديم فكيف يمكن أن يرضى عنك وانت تنظر الى هذا الشعر او هذه الكتابه بعين غير عينه ؟ ونحن نقول بان مهمة الناقد هى أن يفسر لا ان يحكم . ولكن التفسير ايضا درجات . فاذا فسرت قصة او رواية فقلت مثلا انها تعبر عن



د . طه حسين

عقدة أو ديب ، وقارنتها بالاخوة كارامازوف ، فقد أعطيتها درجة أعلى من أختها التي فسرتها بتفكك الاسرة في واقعنا المعاصر ، ولم تقارنهـا بشيء ، ولـكنها أقل من تلك التي تشرحها بإستخدام الدوائر والمعادلات الجبرية وتقول عنها انهـا تلخص ـ وحدها ـ ما حدث من تطور في الرواية العربية خلال ربع القرن الاخير • واذا حللت قصيدة فقلت انها تسـير على نهج شوقي أو حافظ او ابراهيم ناجي أو انها متأثرة بالاغنية الشـعبية او بالنزعة الواقعية فانت تعني انهـا لا ترقى الى مستوى القصيدة الاخرى التي قلت عنها فيما سبق انها غنيـة بالرموز أو انها تحكي بشكلهـا الفني صورة الكون • وهكذا ترى انك ايها الناقد لن تستطيع أبداً ان تخـدع الشاعر أو الروائي • وسيجزيك مكرا بمكر ليقول عنك ان قراءتك محدودة ، أو انك لا تفهم من تقرأ ، ومعنى ذلك انك اثبت عجزك عن صناعة النقد كما اثبت من قبل انك فنان عاجز •

● المبدعون .. وداء الغيرة !

واذا كتبت مرة عن فلان القـاص او فلان الشاعر وسر بما كتبت عنـه فسيتوقع منك أن تكتب عن كل عمل جديد يصدره ولو كان قصة في مجلة وسيطمع بعد قليل في أن تخصه بكتاب كامل ، وكانك اصبحت تابعـا من تابعيه أو وكيلا لاعماله • وسيغضبه وقد اظهرت اعجابك به ـ ان تـكتب عن غيره باعجاب مماثل • فالمبدعون مبتلون بداء الغيرة مثل النساء ، فلا يستريح احدهم الا اذا تسنم القمـة وحده ، كما تحب المرأة الجميلة ان يكسف بهاؤها بهاء كل من في الحفلة • ولابد لك اذا أردت الا تغضب أحد الكتاب أو احدى الجميلات من أن توزع اعجابك بحصافة وذكاء على الجميع •

يريد الروائي او الشاعر من الناقد أن يرصد كل خطواته ، وان يتنبأ بمـا يهجس به فكره ، وأن يقف خاشـعا امام « معاناته » ، وان يـكون كاتب وحيه يتلقاه بالتسـليم المطـلق ، ولا يريد ـ ان لم يكن هو نفسه ناقدا ـ ان يفكر في « معاناة » النـاقد ، فالناقد ، لا يجد من السهل دائما ان يضبط موجته على موجة الـكـاتب ، فاذا نجح في تلقي الرسالة ، وتمييزها من الضوضاء الـكثيرة او القليلة المحيطة بها ، فان تفسيرها يتطلب منه حبها لحل رموزها ، ونحن نسـلم بأن لكل كاتب لغته الخاصة ، ولكننا قلما نتنبه لما تنطوي عليه هذه الحقيقـة بالنسبة للناقد ، فعليه ان ينفـذ الى

خصائص هذه اللغة حتى يستطيع ان يترجمها الى لغة القرب لتفهم العام وربما وجد نفسه حائرا ، مثل حيرة شمبليون امام حجر رشيد . والادهى ان حل رموز لغة طبيعية يمكن ان يجرى علىقواعد مستقاة من القوانين اللغوية العامة ، ولكن لغة الكاتب لها قانونها الخاص ، بل ان لكل عمل من أعماله قانونه الخاص ، فالناقد امامه مهمة جديدة في كل عمل جديد ، ولا سلاح له الا خبرته السابقة ، التى يجب عليه أن يستخدمها بمرونة وذكاء ، ولابد له بعد ذلكمن ان يعتمد على الحظ !

والناقد قارىء أولا ، ولكنه حين يقف امام العمل الذى سبقت له قراءته ، لينقده ، أو بالاحرى ليفسره ، يشعر انه يقرؤه لاول مرة . فالقراءة العادية لا تعنى اكثر من أن دائرة وعى القارىء تماس دائرة وعى الكاتب ، وربما قاطعتها عند وتر صغير . أما القراءة النقدية فتعنى أن الدائرتين تتقاربان حتى لتوشكان أن تتطابقا ، ولكن دائرة الناقد تسبغ على دائرة الكاتب لونها الخاص . ومع ذلك فان الناقد الامين يحاذر أشد الحذر أن يعمق هذا اللون بحيث تبدو الدائرة الجديدة (الناقصة) مختلفة عن الدائرة الاصلية اختلافا أساسيا .

ليس الناقد ـ اذن ـ حاسوبا بشريا تدخل فيه الكتاب فيخرج لك نقده على صفحة بيضاء ، ولكنه مبدع يجمع الى خيال الاديب أمانة العالم ودقته . ولذلك لا يمكنك أن تطالبه بنقد أى كتاب تريده أنت ، فيجب ان يكون هذا الكتاب قادرا على أن يثير تطلعه العلمى أولا ، وشهوته الابداعية ثانيا . والنقد شىء والتعريف بالكتب الجديدة شىء اخر .

وكما أن القاص والشاعر قلما يرضيان عن عمل من أعمالهما بعد أن يتماه ، فكذلك الناقد قلما يرضى عن نقد يكتبه . فهو يعلم علم اليقين أن العمل الادبى ـ الجدير بهذا الاسم ـ لا يمكن أن يسلم نفسه اسلاما كليا للناقد ، مهما تكن قدرة هذا الناقد . والناقد يعلم انه مقدم على مغامرة في الفهم يمكن أن تخطىء الهدف ، كما أن الروائى او الشاعر يعلمان ان تجربتهما الابداعية يمكن أن تسقط ، ولذلك فهو ـ مثلهما ـ يضع يده على قلبه ، ويسلم نفسه للحظ .

● موقف الكاتب من الناقد

ولا شىء أشد ازعاجا للناقد من ذلك الكاتب الذى يتوهم أن مهمة النقد هى الترويج لاعماله ، الا ذلك الكاتب الاخر الذى يتوهم أن النقد يضع الموازين لهذه الاعمال . هذا وهم ساعدت على تثبيته المسابقات الادبية (ونحن خارجون لتونا من احدى هذه المسابقات !) ولكن نتائج المسابقات الادبية تتقرر دائما باراء مجموعة من النقاد ، وفي هذه الحقيقة نفسها دليل كاف على أن رأى الناقد الواحد لا يمكن ان يكون حكما للعمل الادبى أو عليه ، واذا اختلف حكم الثلاثة أو الاربعة عن حكم الواحد فما ادرانا أن حكم السبعة أو العشرة لن

يكون مختلفا عن حكم الثــــلاثة أو الاربعة ، أو عن حكم سبعة او عشرة اخرين ؟ وما ادرانا ان حكم اكثـر النقاد غدا سيكون مطابقا لحكم اكثر النقاد اليوم ؟ ونحن نعلم ـ مثلا ـ أن ترجمة فتزجرالد لرباعيات الخيام بقيت مهملة سنين طويلة ، ثم أتيح لها من يشيد بهـا فاذا هى درة من درر الشعر الانجليزى تطبع منهـا الطبعات الفاخرة ليتهاداها الناس فى المناسبات !

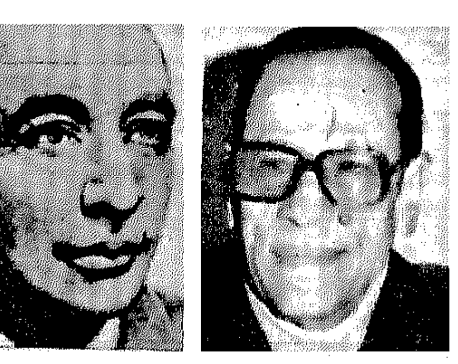
ان الناقد لا يدعي لنفسه منـــزلة القاضى • وكم يضيق بعمله ، ويود لو طلقه طلاقا بائنا لا رجعـة فيـه ، حين يسمع أن كاتبا (ولاسيما اذا كان شابا) اطلع على شيء ، من هذا النقد لعمل من أعماله ، فرأى فيا اجحافا ، لا بهذا العمل وحده ، بل بموهبة الكاتب ، فلم يحمل هــذا الحكم على أنه اجتهاد من الناقد ، يمكن أن يكون مخطئا ، عن عمـل واحد ، يمكن الا يكون موفقا ، بل اخذ القضية على أنها حكم محكمة ، لابد لها من استئناف ، أو طعنة مسمومة من عدو حاقد ، يجب أن ترد اليه •

***

هذا كله ، ولم تنته أشواك النقد •

فقد بقيت الشوكة العظمى ، التى لا تقى من شرها الا عناية الله •

لا يمارى أحد فى أن الفن تعبير غير مباشر ، وبما أن مهمة الناقد هى تفسير الفن (حتى ان كان هذا التفسير تمهيدا للحكم له أو عليه) فمن واجبه أن يترجم المعانى غير المباشرة الى معان واضحة ، أى الى معان مباشرة



نجيب محفوظ   ابراهيم ناجى

هذا ان كان أمينا فى القيام بوظيفته، وله بالطبع أن يختار الطريق الاخر ، فيتناسى تماما أن الفن يعبر عن شيء ما ، ويحاول أن يشغل قراءه ، وقراء العمل الادبى بشكل هذا العمل ، ولا بد له أن يربكهم بقضية فلسفية مثل « أن الشكل هو المضمون » بدون أن يخوض كثيرا فى الفلسفة •

فاذا كان ناقدا نصــف أمين ، فسوف يتحدث عن هذا المضمون ، ولكن بعـد أن يجرده تمـاما من شوائب الزمان والمكان،كما يستخلص المعدن النفيس من شوائبه الخسيسة واذن فسوف يكون المضمون معنى انسانيا مجردا ، تعاوره الكتـاب والشـعراء على اختلاف الاصـقاع والاجيـال (هذا يتفق تمـاما مع الشكلانية) ولا علاقة له بشـئون الحياة اليومية التى يشتغل بها عامة الناس •

فاذا أبى الا الامانة (وهو ظلوم جهول) فلابد أن يعتبر بأن المبدع هو واحد من البشر ، يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ، ويظمأ ويضحى ويجوع ويعرى ، وربما ضرب وأهين، وأن هذه الاحوال كلها لابد أن تؤثر

فى نفسه (وهو امرؤ حساس) حتى اذا جلس ليكتب لم يستطع أن ينساها تماما لكى يحلق فى سماوات الفن الصافى · وسيجد الناقد الامين أن كتابات هذا المبدع تنطق ، بل تكاد تصرخ ، بتأكيد هذه الحقيقة البديهية، بل أكثر من ذلك ان هذه الكتابات (يا للهول !) كثيرا ما تحث على تغيير الواقع المظلم ·

واذن فماذا يمكن ان يصنع الناقد الامين ؟

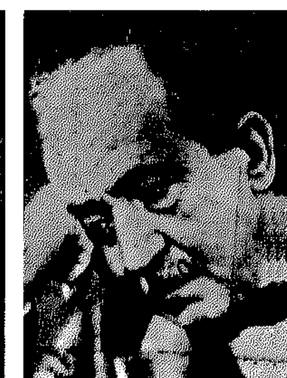
المبدع قال ما قال مستترا وراء التعبير غير المباشر · فلم يلحقه اذى ، فهل يقدم الناقد على كشف ما كان مستورا من المعانى ، فيقذف، مع صاحبه فى النار ؟ ·

شيخى وأستاذى وعميدى طه حسين واجه هذا الموقف الصعب ، فماذا تظنونه فعل ؟ كان التعبير غير المباشر فى الرواية يرقص بشدة على حافة التعبير المباشر · وكان المعنى المقصود ــ والذى لا يحتاج الى ذكاء كبير لاستخراجه ــ كفيلا بأن يجر على كاتبه أشد البلاء ، وأراد طه حسين أن يدفع عن الكاتب الشاب « ظن السوء » ــ وكان يكتب سلسلة من المقالات عن الرواية المعاصرة فقدم تفسيرا فاحش الخطأ لرواية ذلك الاديب الشاب ·

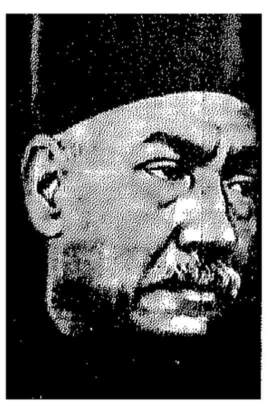
وطه حسين هو فى ذلك الوقت الشيخ الجليل ، عميد الادب العربى ، ذو الشهرة العالمية ، والمكانة الدولية، وهو ناقد أمين بغير شك ، ولكن الضرورات تبيح المحظورات ·

فماذا أصنع أنا ، وانا ــ كما تعلمون ــ لا فى العير ولا فى النفير ؟ لعل الوقت قد اصبح مناسبا لكى ادلى باعتراف ·

حينما ظهرت «السمان والخريف» فى أوائل الستينيات ، أعجبت بها أيما اعجاب · وكنت قد كتبت قبل ذلك مقالتين عن أدب نجيب محفوظ · ولكننى حرت : كيف يمكن أن أكتب عن هذه الرواية بالذات ؟ بطل الرواية ــ لعلكم تذكرون ــ شاب وفدى أخذ يشق طريقه الصاعد فى الحزب والدولة ، ويستعد لزيجة باهرة ، واذا بحركة الجيش تقوم وتحول المستقبل أمامه الى طريق مظلم · فى ضياعه يقيم فترة فى الاسكندرية ويعاشر فتاة فقيرة تحمل منه ويهرب منها · ربما كان لهذه الفتاة نفس الدلالة الرمزية التى لخادمة البنسيون « ميرامار » ولاسيما انها تنجب طفلة وتستقيم حالها وتصبح مالكة لدكان · ربما كانت بها دلالة أسطورية أيضا تشير الى أساطير الخصب التى لا يكاد يخلو منها فلكلور أى بلد (كما أراد أن يفهمها صلاح عبد الصبور) ولكن ما دلالة هذا الحديث الذى يتبادله البطل مع الشاب الشيوعى وهما جالسان عند قاعدة تمثال سعد زغلول ؟ وأهم من ذلك ! ما دلالة العنوان ، والرواية نفسها (ان لم تخنى الذاكرة) تخلو خلوا تاما من ذكر السمان ، أو العلاقة بينه



احمد شوقى



حافظ ابراهيم

وبين الخريف ؟ وان كان قد ورد ذكر عارض لهما ، فما علاقتهما بموضوع الرواية ؟

لا أظنني كنت محتاجا الى ذكاء كبير لكى افهم هذه الدلالة ، ولكننى كنت الى شجاعة المجانين كى اكتب عن هذه الدلالة . وما اظن ان نجيب محفوظ ـ الذكى الحريص ـ كان يمكن ان يخف لنجدتى لو فعلت . فكل من يعرف شيئا عن صيد السمان فى الاسكندرية يعرف ان هذا الطير يهاجر اسرابا فى فصل الخريف ، قادما من مواطنه الباردة الى شواطئنا الدافئة ، فاذا وصل الى الشاطىء وهو فى اخر رمق ، بعد رحلته الطويلة عبر البحر ، وجد الصيادين يتلقونه بالشباك .

ولكن ما علاقة هذه الحكاية بقصة هذا الشاب الوفدى ، او بذلك اللقاء الاخير عند تمثال سعد زغلول ؟ اليست العلاقة هى علاقة العام بالخاص ، تعليق الكاتب (او لنقل تعليق الرواية!)

على المناخ السياسى الاجتماعى الذى سبق قيام حركة الجيش ، و ـ ايضا ـ على حركة الجيش نفسها ؟

كان الشعب مجهدا من رحلته الطويلة طلبا لدفء الديموقراطية والعدالة الاجتماعية ، فتلقته شباك الصيادين ، ولنقل انهم اولئك الانتهازيون الذين احاطوا بحركة الجيش واستغلوها لتحقيق ماربهم

علينا ان نقول وعليكم ان تعربوا ! لم يطالب احد نجيب محفوظ بتفسير لعنوانه . ولكن لو تطوع ناقد فصيح بتقديم هذا التفسير ـ انذاك ـ لاخذ بجريرته وحده . وقد سألنى مرة صحفى او صحفية ـ على الهاتف ـ اليست الحرية شرطا ضروريا للابداع؟ فأجبته : كلا ! الادب الروسى فى العهد العنصرى قمة من قمم الابداع . رغم قسوة الرقابة واضطهاد الاحرار . فالفن يستطيع أن يعيش مهما كبلته القيود . الفن قد تعوزه الحرية ، ولكنه يصنع الحرية . اما الذى يختنق ان لم يتنسم هواء الحرية فهو الفكر ، وهو النقد على وجه الخصوص .

ليس للفنان عذر ان صمت . اما الناقد فقد يضطر الى الصمت ولا تثريب عليه ، لانه ان تكلم ضاع ولم يسمعه احد .

وقد سكتنا عن كثير ، فعسى ان نتمكن اخيرا من الكلام فى النقد ، كما تكلمنا فى غيره ، ولو قفزا على الاشواك !

نتائج مسابقة الهلال للقصة القصيرة

بعقلية شاب يافع يبلغ من العمر الثامنة والتسعين ويتطلع نحو المستقبل اقامت مجلة الهلال مسابقة « القصة القصيرة » من أجل اكتشاف ادباء التسعينات بشكل خاص ، والمستقبل بشكل عام ..

وفور أن اعلنت المسابقة ، توافد الى المجلة كم كبير من القصص راح اصحابها من الشباب يأتون بها او يرسلونها عبر البريد .. وفى كثير من الاحيان سعت المجلة الى ادارة حوار مع هؤلاء الشباب والتعرف عليهم ..

وقد تعمدت المجلة ان تجرى المسابقة للشباب الذين هم دون الثلاثين باعتبار ان الكثيرين من المبدعين الذين تخطوا هذا السن قد وجدوا فرصة للنشر والوجود فى الساحة الادبية داخل وخارج مصر ..

وأهمية هذه المسابقة تجىء فى المقام الأول فى أنها كشف عن مبدعين جدد من ناحية ، وعن حماس متدفق لدى الشباب لتقديم ابداع متميز .. وعلى سبيل المثال فقد حضرت الى المجلة سيدة صغيرة السن وملأت المكان بحماسها وتدفقها . وهى تحمل فى يدها اليسرى ابنتها الوليدة قبل أسابيع . وفى اليد اليسرى قصتها القصيرة التى « ولدتها ايضا قبل ايام »

وقد كان امام اللجنة والهلال ، مشكلة واضحة وهى ضمان ان المشتركين التزموا ببنود المسابقة . فهى مصنوعة اساسا للشباب الذين لم يتجاوزوا الثلاثين كما لم يكن من السهل معرفة ما اذا كانت القصص المرسلة قد سبق نشرها ام لا .. خاصة أن بعض المشتركين ارسل منسوخات من قصصه ، وليست الاصول .. ولذا اختارت المجلة ان تقدم الفائزين الثلاثة الاوائل . ثم تنشر تسعة اسماء من الفائزين باعتبار ان اعمالهم جيدة وتستحق النشر ، ويمكن للمجلة ان توالى نشر بعضها فى حدود المساحة المسموح بها .. وعلى سبيل الاحتياط اختار المحكمون كاتبين يمكن تصعيدهما فى حالة اكتشاف أن ايا ممن سبقوهم فى الترتيب ، يتعارض مع شروط المسابقة .

ولايسع الهلال سوى تهنئة الفائزين فضلا عن أنها ترجو ان يكونوا من ابرز كتاب التسعينات ، فالهلال دائما هى مكتشفة المواهب الأصيلة ، وأول من يقدمها الى الساحة الادبية .. طوال ٩٨ عاما وهى عمر الهلال .

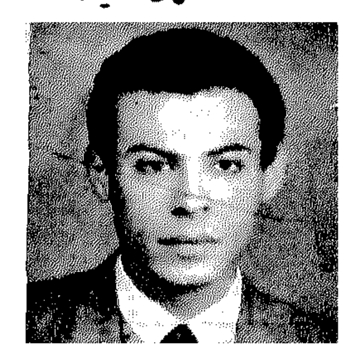
المحكمون





د . شكرى عياد — د . امين العيوطى — سليمان فياض

الفائزون







خالد السروجى (الاول) — منار فتح الباب (الثانى) — خالد عزت (الثالث)

١ ـ خالد السروجى (الاسكندرية) عن اقصوصة « رؤيا الايام السبعة »
(٣٠٠ جنيه)
٢ ـ منار فتح الباب (القاهرة) عن اقصوصة « زهرة البستان » .... (٢٠٠ جنيه)
٣ ـ خالد عزت السيد (القاهرة) عن اقصوصة « الموت فى اسكندرية »
(١٠٠ جنيه)

وفيما يلى اسماء القصص التى تتسم بفنية متميزة :

١ ـ « زوجى العزيز » تاليف زكريا محمد عبدالغنى .... (اسيوط)
٢ ـ « ديسمبر » تاليف اسامة عزت على اسماعيل .... (القاهرة)
٣ ـ « عودة السامرى » تاليف حسين علام عبدالواحد .... (سوهاج)
٤ ـ « دوائر الماء والنار » تاليف فيرونى البينايني .... (تونس)
م ـ « قبل أن يزوى ضوء الشموع » تاليف ميرفت احمد السنوسى .... (القاهرة)
٥ ـ « شمس منتصف النهار » تاليف سوزان فوزى رسلان . (العباسية الشرقية)
٦ ـ « طقوس قتل غير معلن » تاليف خالد السروجى .... (الاسكندرية)
٧ ـ « ذات ليلة باردة » تاليف منذر أبو حليم .... (الاردن)
٨ ـ « اللافتات » تاليف مجدى مصطفى القوصى .... (القاهرة)
٩ ـ « احلام » تاليف حسن حسن متولى .... (المحلة الكبرى)



بقلم :
خالد السروجى

اليوم الاول

عدت الى المنزل لاجد حالة من الذعر تسوده ·· تساءلت بنظرى لترد على شقيقتى :

ـ « جدك » ···

خفق قلبى بشدة ·· دخلت بسرعة الى غرفته لاجدها خاوية ·

عاجلتنى شقيقتى مشفقه .

ـ لقد خرج رغم اوامر الطبيب !

خرجت مسرعا ·· ساقتنى قدماى الى قهوة المعلم « صالح » ، فعلمت انه لم يستقر بها طويلا ، وتركها فى اتجاه عم « حلمى » البقال ·· وهناك كان جدى يجلس على كرسى امام المحل ، هادئا مهيبا حليقا ، يلمع شاربه الابيض فى ضوء النهار ·· كان انيقا كما لم يكن منذ عدة سنوات ، فى جلبابه السكروته « والبالطو » الشاركسين الابيض ·· اخر قطعة من قماش الشاركسين الاثير لديه ·· الجيب به المنديل ، والعروه تنزل منها الساعة الذهبية ، ومن حوله كانت الارض الترابية ندية ، رشت عليها المياه اعلانا للحفاوة البالغة ··

كان سعيدا وازدادت سعادته عندما لاحظ لهفتى ·

قال وابتسامته تتسع :

ـ سوف تعيشون حياتكم عبيدا للاطباء ·

اشار الى بالجلوس ، فجلست بعد ان حييت عم « حلمى » الذى كان منشغلا بعميل ·

قال عم حلمى كالمعتذر :

ـ « ضاعت حياتى فى صرف الشاى والسكر والزيت »

فى اثرى جاء عمى ·· سلم بارتباك ·· وظل واقفا ·

قال مخاطبا جدى :

ـ « حان وقت الغداء ، فرأيت ان احضر لاصطحبك » ·

ضحك جدى وقد ظهرت فى وجهه امارات العناد :

ـ « وما شانى بطعامكم ·· هل حصلت لى على تصريح من الطبيب لاشارككم طعامكم اللذيذ » ·

ـ « ولكن يا ابى ·· »

ـ « تفضل انت الان ·· وسوف احضر مع هذا الفتى العاقل » ·

ابتلع عمى الملاحظة ، ووقف فى تسليم ليعد نفسه للانسحاب ·

وقال عمى قبل ان يغادر المكان :

ـ « لعلك ـ يا أبى ـ لا تطيل البقاء حتى الليل ، فالجو بدأ يميل الى البرد »

قال جدى لعم «حلمى» بعد ان انضم الينا :

ـ شيء مؤسف أن تتعرض قهوة المعلم « عبد الغنى » لهذا الحادث ! •

ـ كاد المعلم ان يلقى حتفه لولا ستر الله •

ثم استرسل قائلا :

ـ تصور يا حاج •• عربة « تريلا » تداهم القهوة فتحيلها اثرا بعد عين •

قال جدى :

ـ لقد استبدت بى اللهفة لأرى ما حل بالمقهورة •

كانت آثار الدمار بادية على القهوة •• الجدران متصدعة ، وبعض المناضد مفككة الاوصال •• ولكن الاهم من ذلك كله الشجرة العتيدة •

وقف جدى ومن انضم اليه من المعارف ، الناس من عدة اجيال ، ووقفوا معه ينظرون بأسى وحسرة الى الشجرة ••

قال جدى :

ـ «تحت هذه الشجرة غنى سيد درويش •• وجلس أمير الشعراء أحمد شوقى فى أثناء جولته لتأييد صديقه الدكتور محجوب ثابت فى الانتخابات » •

قال عم « بيومى » :

ـ « وكان يجلس هنا ايضا ـ نسيم ابوخضر يوم ان انتصر على حسن القط » •

انفجر البعض ضاحكا

قال شاب من جيلى ساخرا :

ـ لم سمع بهؤلاء القادة العسكريين » •

وعلق آخر :

ـ لعلك لا تقرأ التاريخ •

قال جدى مطيبا خاطر عم بيومى :

ـ لا تلق بالا يا بيومى •• انهم لا يعرفون من هو نسيم ابو خضر •

ثم التفت الينا :

ـ كان نسيم أبو خضر اديبا زجالا ، من ظرفاء عصره ، اشتهر بحضور البديهية وطلاقة اللسان فى النكت والقفشات •• وكان من أبرز فرسان فن القافيه •• وكان فن القافية فى زمنه موضع اهتمام العامة ، يتتابعون معاركه بين أساطينه •• وكان نسيم ابو خضرقد طبقت شهرته الافاق ، فكان يعقد الجلسات فى هذه القهوة ، يستقبل فيها كل من يتحداه ، وتحت هذه الشجرة كانت كل جلساته •• وتراجع منافسوه ، الواحد تلو الاخر ، فلم يبق له ليتربع فوق عرش هذا الفن الا ان ينتصر على حسن القط فارس القافيه فى بحرى، وكان الاخر يعمل حسابا لليوم الذى يلاقى فيه نسيم ابو خضر •

حتى كان ذلك اليوم• فازدانت قهوة المعلم عبد الغنى بالرايات والثريات، وفرش الرمل ، واصطفت الكراسى ، وحضر الزجالون والرواد •• وعقدت جلسة القافية •• وعند الفجر كان لواء الزعامة قد انعقد لنسيم ابو خضر ، فصحا اهل الحى على هياج ابنائه يعلنون انتصار نسيم وكان ذلك من ايام الحى المشهوده •

أدركنا عم « وهبه » ونحن نتهيأ للعودة ، وكان يجد فى السير معتمدا على عكازه •• عانق جدى وهو يقول :

ـ لا تقلق من ناحية الشجرة •• لقد كان الدكتور عبد الله بن الحاج جباره هنا •• لقد أصبح مدرسا بكلية الزراعة •• انه يقول : أن الجذور سليمة وسوف يوجد حل لهذه الشجرة •• الحاج حسن الجناينى حضر وقال ان كلام الدكتور صحيح »•

قال جدى :

ـ الامل باق طالما سلمت الجذور •

اليوم الثانى

صحوت على صوت الجدل الدائر بين والدى وعمى •• كان عمى

يعترض على قيام والدى بتهيئة الحجرة بالدور الارضى لفراش جدى .

قال عمى معترضا :

- انك تساعده بذلك على الخروج والاستهانة بأوامر الاطباء .

قال والدى :

- لا فائدة من هذا الجدل .. فوالدنا سيخرج فى اى وقت يراه .. لقد راى فى منامه أن طيرانه بعد اسبوع ، ولا داعى لاغضابه .

مرت لحظة سكون ، قطعها عمى قائلا باستغراب :

- أكلمك عن أوامر الطبيب ، فتكلمنى عن الطيران .

قال والدى :

- ان الطيران فى عرف اهل التصوف يعنى الرحيل عن عالمنا .

قال عمى فى اضطراب

- أهو قال ذلك ؟!

قال والدى :

- نعم .. افتراه يتوقف عما اعتزم لمجرد ان الاطباء يرون الزامه الفراش .

سكت عمى ، ثم عاد يقول :

- وأمينه هل نتركها بغير علم .

- لقد كلمنى هو من نفسه فى استدعاء أمينه

احسست بالاسى يعتصر قلبى .. تمنيت لو أكون حالما .. ولكنها الحقيقة .

الجد يرى رحيله فى المنام ، ورؤيا الجد لم تكذب من قبل .. يقولون انه بلغ مرحلة الكشف .. بدأت الحقيقة تزداد وضوحا .. تفسير تصرفات الجد بالامس لا تعنى الا شيئا واحدا، هو انه يشعر بقرب الرحيل..اشياء صغيرة بدأت تتجمع أمام ناظرى: العصا العاجية ذات التلبيسة الفضية التى توارثها اجداده .. والمسبحة الكهرمان التى لا يخرجها الا فى شهر رمضان ليترحم بها على والده : لماذا خرجت فى غير اوانها ؟ !

لم يبق الا ان احرص على الاقتراب من الجد « السروجى » لاخذ من انفاسه الطيبة ما أمكن ذلك .

عندما حضرت عمتى « امينه » ، كان كل شيء واضحا فى وجهها .. دخلت غرفة جانبية واخذت تبكى وتلطم بصوت خفيض ، وعندما



تمالكت روعها دخلت عليه والقت نفسها بين يديه وهى تقبلهما وتبكى:

- أهكذا هنت عليك يا ابى .. لو عاشت المرحومة لشكوت اليها .

- وهل كانت ترضى بما فعلت ! .. كدت تقتلين المفتى بتسترك عليه .

- خشيت عليه من بطش ابيه .

الاب يجب أن يعلم بالانحراف فى الوقت المناسب .

- الله ستر .. والولد صلحت حاله .

- كيف حال ابنتك ؟

- سعيدة مع زوجها وتنتظر مولودا .

ابتسم جدى وهو يقول :

- عال .. عال .. بارك الله فى ذريتها .

على الفور قالت عمتى :

- « سمير بالخارج .. هل تأذن له بالدخول .. انه يؤدى الفرائض ومنتظم فى الجامعة .

اشار الى جدى باحضاره

كان اليوم شبيها بالايام السعيدة التى كانت تمر على البيت قبل رحيل الجده ، لولا ظل من الحزن لاحساسنا بقرب رحيل الجد ، واحساس الجد بالافتقاد للجده . وفيما عدا ذلك سار اليوم فى مثل روتين ايام التجمع فى البيت .. تخلل ذلك صراعات بريئة بين

أطفال الاقــارب الذين جاءوا للزيارة ، وكان الجد يفصل فيها بحنان·

وفي بعض الاحيــان يحدث ما يترقبه الجميع ·· الذكريات ·

ذكريات الحــج الى بيت الله الحرام وزيارة أهل الله ·· ثم تهفــو نفسه الى مناسبات حضر فيها «محمد عبد الوهاب» و « ام كلثـــــوم » و « يوســـف وهبى » و « نجيب الريحانى » ، و « محجــوب ثابت » واللقاء مــــع امير الشعراء « شـــوقى » و « سيد درويش » ·

كانت ذاكرة الجـــد حديدية وهو يتذكـــر أصدقاء كل مرحلة من مراحل العمر ·

·· وعندمـــا زال التوتر ، قامــت عمتى « امينه » بمــا كانت تقوم به من مشاغبات ، بسؤال الجد عن بعض تواريخ الحــوادث ، وميلاد بعض الاشخاص، وكـان الجـد كعهده فى الذاكرة ·· دقيقـــا لا يخطىء ·

اليوم الثالث

لم اكــد انتهى من افطارى ، حتى دعيــت لمقابله الجد ·· قربنى اليه باسما :

ــ هل لديك محاضرات اليوم ؟

قلت لاســهل عليه الامــر :

ــ لم ندخل بعــد فى الجد ·· والاستاذ المهم مسافر للخارج ·

قال :

ــ تهيأ للخروج معى·

قلت :

ــ ولكن ··

قال بلهجه حازمة :

ــ ليس هناك لكن ·· لاتذكر شيئا عن الاطباء

قلت مستسلما :

ــ الى اين يا جدى ؟

ــ سنذهب الى المرمة

ــ المرمة ؟! ··

ــ نعم ·· المرمه هى ورش وابورات السـكه الحديد التى كنت أعمل بها وكان اصلاح وترميم الوابورات يتم بها ·

تنهد جدى قائلا :

ــ كم رأت المرمة من رجال افــذاذ ·· كان السائق والعطشـــجى رجالا من ذوى العزم ، فالوابورات كانت تسير بالبخار ، وكان الوقوف أمام فرن القطار عمــل فوق طاقة الرجــــال العاديين ·· رحــم الله « السيد رمضان » ··

قاطعته :

ــ جد « حازم » زميلى

قال :

ــ نعم جد « حازم » كان عملاقا يتغــــدى بشاه ، وكانت قــوته خارقة ، لم يستخدمهــا فى الشر أبدا ، وانمــا كانت قوته فى نصرة المظلومين ·· كــم ادب الجنود الانجليز الــذين كانوا يتعرضون للنساء ·· وهو الـــذى أوقف « الهريدى » عند حده ·

قبل أن أسال ، استرسل جدى :

ــ كان « الهــريدى » فتوة « القبـــارى » ·· بنى لنفســـه دولة من الارهاب ولكنه لم يفـكر يوما فى تهديد الاعراض حتى كان اليوم الذى رأى فيه «نعمت بنت الكودية» ذات السته عشر ربيعا ، اية من ايات الجمـــال والترفع ، فجن جنونه · وزاد كلفه بها لتعاليهــا على كل الشباب وتمردها على كل من يحـــاول اخضاعها ·· كانت تنظر اليهم جميعا ·· بمـــا فيهم « الهــريدى » ·· على أنهم صبيان يحومون حولها ·· توسل اليهــا باللين تارة وبالتــرهيب تارة ، ولكنه لم يحـرك فيها ساكنا ·· ويومــا عاد الهريدى مخمورا ، فتهجم على الحـــارة مناديا على « نعمت »· وخرج « السيد رمضان» من بيته على الصراخ ، وكانت الموقعــــة التى لا تنساها « القبارى ·· وقف « الهـريدى ينظر اليــه بهـــزؤ وسخرية ، وسلط عليـه بعض الاتبــاع ، وانتهى الامر بالصـــدام بين الاثنين ·· صــــراع الجبابره ·· انتصر فيه الخير على الشـــر ··



وخرج « الهريدى » من الحاره الى الابد ·· وانفتحت مغاليق قلب « نعمت » للسيد رمضان ، لتعيش معه زوجة صالحه حتى اخر أيامه ، لم يسمع انهما تمردت عليه يوما ، حتى ووري التراب ، فأدت فريضة الحج عنها وعنه » ·

مضيت مع الجد الى ورش الوابورات ، وكان حديث الطريق مليئا بالابهار عن ذكريات رفاق العمل « السيد رمضان » ، « ومحمد عمر » ، « والمصيلحى» كانوا جميعا فحولا ، حتى تلاميذ الجد ، ومنهم من خرج على المعاش ·· كانوا صوره للرجولة والشهامة ·· ورأيت منهم من بقى فى الخدمة ، نهم لحه من جيل الجد ، ورأيت منهم اكبارا له عزز انطباعاتى عن علاقات الجيل الذى عاشه جدى · كان جدى يرى فى كل ركن من أركان الورشة ذكرى عزيزه ·

هنا كان يجلس « محمد عمر » وهذه هى حجرة المصيلحى حينما اصبح رئيسا للمساجين بعد تشريكه لضعف الابصار ·· وهذا مكتب المهندس الانجليزى « سبنسر » ·

وفى طريق العودة كان جدى ، يبحث ببصره عن شيء فى الحديقة ·

قلت :

ـ هذه حديقة حديثه يا جدى !

ـ أعرف ذلك ··

استقر نظره على صخره كبيرة بين الاشجار ·

قال جدى :

ـ لم يستطيعوا أن يحركوا هذه الصخرة ، ولكن « السيد رمضان » استطاع تحريكها عشرة أمتار وحده ·

قلت لجدى :

ـ وهل كان للجميع قصص حب مثلما كان « للسيد رمضان » ؟

ضحك جدى وقد فهم قصدى :

ـ بالنسبة لى ، لم تتح لى فرصة الحب الذى تعرفونه ، فقد عرفت الحب ساعة أن رفعت خمار عروسى ـ جدتك ـ فى كوشة الزفاف ·· كانت يدى ترتجف وأنا أرفع الخمار ·· كنت اتمنى وادعو الله أن أراها جميلة · وخفق قلبى لرؤية وجهها ·· كان كالقمر وقت تمامه ، وزاد من جماله هالات الحياء التى كست وجهها

اما قبل ذلك ، فلم اكن استطيع ان ارفع نظرى عن الارض ، وانا امر بحارتنا · كان سلطان ابى ـ رحمه الله ـ قويا ،وكانت شخصيته مهيبة ، حتى ليكاد قلبى يكف عن الخفقان عندما اسمع صوته ينهرنا · كان يخبرنى وانا صغير بأن العصافير تقول له كل شيء ، وعندما كبرت أصبحت اظن انه يستطيع ان يكشف عن خبايا نفسى من أول نظرة دون حاجه الى العصافير ·

كان ابى شيخا من اهل الطريق ، وكان معروفا بالصلاح ، والزمنا صيته ان نلزم طريق الرشاد ·

صمت جدى برهه ثم استطرد وكان صوته يأتى من واد سحيق :

ـ لقد شـاء الله أن يأتى يوم جدتك قبـل يومى ، فلم تكن لتتحمل يوما واحدا بعد رحيلى

اليوم الرابع

لم يكن لخروجنـا اليـوم ما يبرره .. فالجد قد اراد مفاجاة الاسـطى « رجب » الحلاق فى دكانه وكان الاسطى « رجب » قـد تعود ان يأتى الى المنزل فى مواعيد حلاق الجد ، فلم توقفه توسلات الجد بأن يخفف عن نفسـه المشقة بارسال صبيه .. كانت الصداقة بينهمـا وطيدة ، وكان الاسـطى رجب يتعمد الاطالة مـع الجد ويحرص على البقاء معه اطول فترة ممكنه ، والجد مستمتع لا يـدع لحظة تفـوته دون ان يجتر معه ذكريـات عزيزه .. فاذا انتهـى الامر بكلمة « نعيمـا » قالها الاسطى « رجب » بحب صادق ، وتلقـاها الجد بأسارير منبسطة ، وكانها ليست الفاظـا روتينيه .

كنت قد قضيت مساء الامس ـ حينما خلـوت الى الجد ـ اسـتزيده من قصص الفتوات التى بهرتنى،وجاء فى الحديث ذكر الاسطى « رجب » عدة مرات باعتبـاره شاهد عيان على الكثير من حوادثهم .. وخيل الى ان ذلك هو الـذى شحذ فى نفس الجـد الرغبة فى زيـارة دكان الاسـطى « رجب » او لعله ايضا الحنين الى دائرة المـكان الذى يتوسطه الدكان .

كان الدكان بجـوار بورصة البصـل والتى اشتهرت بقهوة الاجريجى وكانت ملتقى جميـع الطبقات ، من تجـار البصـل وتصـدير الحاصلات ، وعمـال السكة الحديد الـذين يهربون من اعمـالهم . وفى المساء كانت ملتقى المـوظفين والمثقفين ، وكان كبار الخواجـات فى الماضى يستخدمونهـا لابرام عقودهم والقيـام بأعمال البورصـة . وكانت بجوارها قهـوة المعلم « ابراهيم عطية » التى اضمحلت واقتطعت منها أجزاء كبيرة تحولت الى « بوتيكات » بعد ان مات صاحبها .

القى الجد عليهـا نظرة رثاء وقال :
ـ كانت هذه القهـوة مقصدا لكبار المعلمين ، وكان صاحبها ـ رحمه الله ـ فريدا فى رجولته كلمته لا تنزل الارض ».

عندما اقتربنـا من محل الاسطى « رجب »، توقف جدى قليلا ، ثم اشار بأصبعه :
ـ هنا قتـل الرومى وهو يهم بقتل الحـاج « محمد حموده » .
سكت قليلا ثم قال :
ـ عمك «رجب» شاهد الحادثة .
تساءلت :
ـ وهل كان الحـاج « محمد حموده » فتوه؟



قال جدى :

ـ الحاج محمد حموده كان رجلا صالحا .. كان مقاولا وكان يفتح بيوتا كثيرة .. كان يعمل بالميناء مقاولا من الباطن مع احد الخواجات ، وعندما اختلف معه لانه لص وانسحب من العمل .. توقف العمل تماما فى رصيف الفحم .. واضطر اصحاب المصلحه ان يتعاملوا معه مباشره خاصة بعدما علموا حقيقة الخلاف .. ولكن الخواجه لم يسكت .. دبر للانتقام من الحاج « حموده » ، فاتفق مع الرومى على قتله .. وتربص الرومى للحاج « حمودة » .. وعندما رفع يده بالسكين لقتله لمحه الحاج « حموده » وضربه بسرعة خاطفه بعصاه الثقيلة ، فأراده قتيلا .

اليوم الخامس

ـ تأهب للخروج .

قالها جدى بلهجه امرة صارمة .

تساءلت :

ـ الى أين اليوم يا جدى ؟

قال بحزم :

ـ ستعرف عندما نذهب .

وفى الطريق همس الى جدى كانه يفضى بسر خطير :

ـ سنزور شيخى .

كنت تواقا لرؤية الشيخ .

كان الطريق طويلا وشاقا ، ولكن جدى كان يزداد تألقا وقوة مع اقتراب موعد النبوءة

عندما وصلنا الى مكان الشيخ ، اقترب جدى من خلوته على اطراف الاصابع وفعلت مثله ـ نقر جدى على الباب بهدوء ، حتى اتاه الاذن .

ـ السلام عليك يا مولاى .

حياه الشيخ بابتسامه انارت وجهه واشار الينا بالجلوس .

ـ معذرة للتطفل عليك يا مولاى .

ـ لا عليك يا ولدى

صمت الشيخ هنيه ، ثم عاد يقول لجدى :

ـ احان الوقت ؟ .

ـ بعد الغد أطير .. ان شاء الله ..

اشرق وجه الشيخ وهو يتمتم :

ـ مبارك لقاء الحبيب .. طوبى لك .

استطرد الشيخ وكانه يحدث نفسه :

ـ أوحشنى مولاى « عبد الله » والاحبة

ـ يصل سلامك يا مولاى .

سأل الشيخ جدى :

ـ أتزودت ؟

ـ بخير الزاد يامولاى

قرأ الشيخ :

ـ « وتزودوا فان خير الزاد التقوى »

بكى جدى .

قال الشيخ :

ـ أنادم على فراق الدنيا ؟!

ـ ابكى ذنوبى .

ـ كيف ترى الدنيا ؟

ـ كل ما عدا الحبيب زيف .. وكل ما مر فى غير طاعته باطل

ـ الا بورك فيك وفى ذريتك

سادت فترة من الصمت الجليل .. تشاغلت بالعبث فى قش « الحصيرة » التى نجلس عليها .. نهرنى جدى

قال الشيخ باسما :

ـ دعه .. لقد فعلت مثل ذلك فى أول لقائى بمولاى .. سيكون هذا ان شاء الله صالحا .

أسعدتنى نبوءة الشيخ..

قام جدى مستأذنا .. عانق شيخه .

قرأ الشيخ :

ـ « يا أيتها النفس المطمئنه ... » .

وقرأ :

ـ « أن الابرار لفى نعيم » .

خرجت من عند الشيخ ، وكان شيئا قد انار بداخلى .

اليوم السادس

استدعانا جدى الى حجرته الارضية .

واصر ان يدخل علينا

جميع العائلة لا ينقصه فرد واحد . تحلقنا جميعا حول سرير الجد .. صامتين وقفنا .. كان الصمت يضفي على الموقف جلالا ورهبة وكأن الجد ينظر الينا نظرة المستزيد من شيء يحبه قبل الرحيل .

لم يكن احد ليستطيع قطع هذا الصمت ، حتى يقطعه الجد بكلماته . وكنا جميعا ننتظر بلهفة ما سينطق به الجد ، وعيوننا تتعلق بشفتيه الساكنتين .

قطع جدى الصمت الجليل قائلا :

ـ أوصيكم بطاعة الله واحذروا الشقاق .

بكت عمتى « امينه » فنظر اليها جدى لائما ، فتوقفت عن البكاء .

تناول جدى عصاه العاجيه ذات التلبيسة الفضية ، وناولهــا لوالدى .

قال جدى :

ـ هذه عصاى ، عن ابى ، عن جدى ، نتوارثها منذ ازمان بعيدة .. هي لك فانت أكبر الابناء ثم لابنك اكبر الاحفاد من بعدك ... هذه العصا هي كل ما تركه ابى لى ، وهى كل ما اتركه لكم .. حافظوا عليها واحذروا ان تضيع منكم .

قال لى ابى ـ رحمه الله ـ قبل أن يرحل : « اذا ضاعت منكم هذه العصا ضعتم » ، ولم اكن افهم كلامه وقتها .. والان افهمه جيدا .. هذه العصا هى ارثكم الحقيقى » .

سكت جدى ، ولم ينبس أى منا بكلمه ، فكأن الطير قد حط على رءوسنا .

قال جدى بصوت متهدج :

ـ تستطيعون الان ان تنصرفوا .

خرج الجمع متثاقلا حزينا ، وكنت اخرهم .. قبل أن أغلق الباب ورائى ، ناداني جدى . قال :

ـ ناولنى المصحف ..

واغلق الباب وراءك ولا تدع أحدا يدخل على

ناولته المصحف ، ثم خرجت مغلقا الباب ورائى .. تسمرت بجوار الباب لا ادرى ماذا افعل .. تناهى الى سمعى صوت جدى متهدجا بالبكاء ، وهو يرتل القران ، كأحلى ما سمعت من ترتيل

اليوم السابع

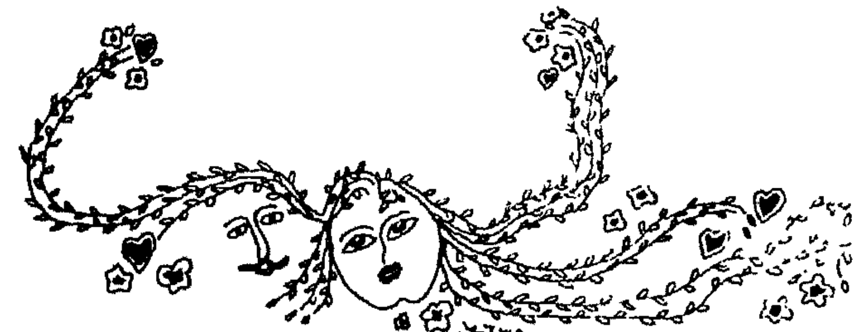
لم انم ليلتها .. استولى القلق على كيانى .. اتكون النهاية؟ .. احقا سيموت جدى ؟ .. فى الصباح يبدا اليوم الاخير .. اخترق أذان الفجر مسامعى .. اوقف سيل الخواطر المتدفق فى راسى .. احسست بنشوة غريبه وانا اسمع صوت تحركات جدى وهو يستعد لصلاة الفجر .. سمعت صوت باب المنزل يفتح ويغلق .. لقد ذهب اذن الى المسجد .. خطر ببالى ان اذهب خلفه ، ولكننى لا اعرف لماذا تقاعست أو خفت .

صليت الفجر فى المنزل ، وظللت انتظره .. سمعت باب المنزل يفتح ويغلق ثانية .. لقد عاد استولى على القلق ثانية .. ظللت فى خواطرى حتى فاجانى ضوء الشمس .. تسللت الى غرفة جدى .. وبدات اطرق الباب ..





شعر: حسين علي محمد



عن الاطيار ، والاشعار ، والاسفار تسالني
تحاصر صوتها الانداء ، تدنيني وتبعدني
وجرح الغيم في اعماق اوهامي يعذبني
واعشاب السهول الخضر في الوديان تذكرني
فصول بكارة كانت ربيعا ظل يغمرني

***

وبيتي كان من عشب وانت الدفء والشعر
واسال : كنت ابصرها سحابا ضمه الزهر
واعصارا يزلزلني احب ذاك أم جمر ؟
دهاليزي مهللة لجمر بات يستعر
ودمعي كالبروق بدا لجرح ظل يستتر !

***

أطيفك جاء وقظني اينسيني مساءاتي
ايغرقني بامواج ايبحر بي للجنات
وسوسنة الشموس مضت والقتني الى ذاتي
افتش في مجاهلها وفي صحراء سوءاتي
عن الماضي الذي ولى عن المقدور ، والآتي !



رأى فى الثقافة

• المثقفون والارهاب الفكرى

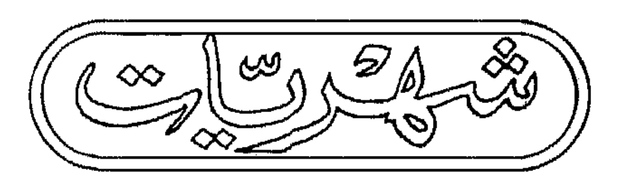
ظاهرة غريبة نشاهد ونرى ونحس تجلياتها العديدة هذه الأيام ، يمكن إجمال ملامحها الأساسية تحت عنوان « الإرهاب الفكرى » الذى يبدو أنه يجد مرتعا خصبا له فى جو التخلف العام الذى يعيشه مجتمعنا ، وعدم قدرة المثقفين وعجزهم عن الانتظام فى شكل من اشكال التجمع ، التى تبعث الحالة الثقافية من سباتها ، وتدفع حركة المجتمع فى اتجاه التنوير لتصد قوى الظلام التى تزحف وتزحف حتى تكتسب كل يوم أرضا جديدة .

فى مجال النشر نجد العديد من الكتب والمطبوعات الدورية وغير الدورية التى .. وهذا هو مربط الفرس .. لاتتجه بهجومها الى الأبنية الرسمية وحدها كما كان فى السابق ، بل تتجه للهجوم على المثقفين والثقافة نفسها .

نجد هذا فى مجالات النشر ، كما نجده فى المنتديات والمناقشات التى تدور فى أوساط دعاة الظلام ، كما نجده فى أشكال أخرى ، رسائل عديدة تصل للأدباء والمثقفين ، لا لتناقشهم بل لتهددهم ، وخطب نارية يلقيها البعض مطالبا برقاب المثقفين ورقبة الثقافة ، ليبقى لنا السؤال : اين هم المثقفون ؟ ألم يشبعوا من الانقسام ، ومن النِّم ... ضد بعضهم البعض ، الا يتحركون بشكل ايجابى من أجل حتى انقاذ وجودهم وتأثير أعمالهم نفسها فى المجتمع الذى يعيشون فيه ؟

إن هذه النزعة الفردية التى شاعت سنوات طويلة بين المثقفين يجب أن تنتهى ، ولننظر حولنا لنجد الحلقة تضيق وتضيق ضد الثقافة والمثقفين ، وبعض مظاهر الفرح التى عشناها لايجب ان تغمض عيوننا عما يحاك لنا فى هذا البلد ، والا فاننا سنستيقظ ذات صباح لنجد الا وجود لنا ولا تأثير لأعمالنا خاصة على جيل الشباب الذى يجد من دعاة الظلام جماعات منظمة تدفعهم فى اتجاههم ، وتبعدهم عن كل ثقافة متنورة ، والحالة العامة سند لازدياد الضغط والفرار الى أى جماعة بحثا عن دفء واهم فليستيقظ المثقفون من سباتهم ، فهذه قضيتهم ، أم أنهم ينتظرون ان تخوض لهم الأجهزة الرسمية معركتهم أيضا !

عبده جبير



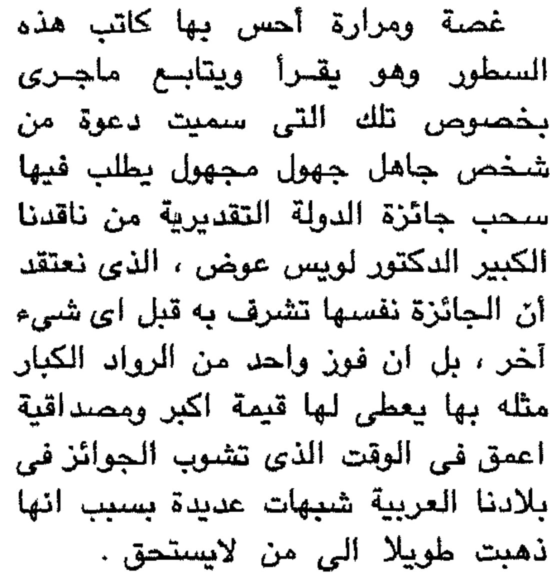
اشارات ثقافية

• ثلاث قضايا لها وجه واحد




د . لويس عوض

١ ـ لويس عوض والوجه القبيح



غصة ومرارة أحس بها كاتب هذه السطور وهو يقرأ ويتابع ماجرى بخصوص تلك التى سميت دعوة من شخص جاهل جهول مجهول يطلب فيها سحب جائزة الدولة التقديرية من ناقدنا الكبير الدكتور لويس عوض ، الذى نعتقد أن الجائزة نفسها تشرف به قبل اى شيء آخر ، بل ان فوز واحد من الرواد الكبار مثله بها يعطى لها قيمة اكبر ومصداقية اعمق فى الوقت الذى تشوب الجوائز فى بلادنا العربية شبهات عديدة بسبب انها ذهبت طويلا الى من لايستحق .

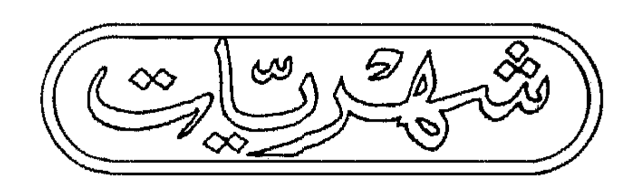
لويس عوض كان يستحق هذه الجائزة منذ سنوات طويلة ، وما نريد أن نسجله هنا ليس مجرد عرض مبسط لهذه القصة ، ولكننا نسجل أننا لانقصد ان ما جرى بهذا الخصوص هو عمل فردى لشخص مجهول ، بل هو جزء من مخطط كامل تنسج خيوطه جيوش الظلام ، بكل عمد وقصد ، وهى فعلة لاتتجه للويس عوض وحده بل لكل المثقفين وللثقافة نفسها اذا أحسنا النظر .

٢ ـ ترجمة ماريو فارجاس يوسا

ضمن هذا التوجه يأتى ايضا هذا القرار الغريب الذى صدر عن مجلس كلية اللغات والترجمة الفورية التابع لجامعة الأزهر باحالة الدكتور حامد أبو أحمد لمجلس تأديب بسبب ترجمته لرواية من قتل موليرو "لكاتب بيرو" المعروف ماريو فارجاس يوسا التى كانت قد صدرت فى فبراير من العام الماضى ١٩٨٨ عن الهيئة المصرية العامة للكتاب .

والمعروف ان حملة شعواء كانت قد شنت على هذه الرواية من بعض الاقلام التى لاتعرف لها قدرا من الثقافة يؤهلها للحكم على عمل فنى ، ولكن المثقفين تصدوا للحملة فى حينه ، ثم وبعد نوم دام عاما كاملا ، تستيقظ الحملة مرة أخرى ، لتؤكد تصورنا بانه مخطط منظم يقوم به اعضاء اوركسترا جيوش الظلام .

والغريب ان المذكرة المرفوعة الى رئيس الجامعة تعرضت للقيمة الأدبية للرواية ، وللروائى نفسه ، ومن قبل من لم تعرف له من قبل أى مجهودات ثقافية تؤهله لهذا الحكم ، واذا كنا قد تعرضنا لهذه القضية في حينه بالرد على مثيريها



اشارات ثقافية

بالرأى ، فاننا نقدم هذه المرة للجنة التحقيق عدد ملحق الكتب لجريدة الواشنطن بوست الصادر فى ٢٩ اكتوبر (١٩٨٩) وعلى غلافه صورة ماريو فارجاس يوسا ومعه دراسة متخصصة عن أحد أعماله الجديدة ولعل الأخوة من كلية اللغات والترجمة وهم متخصصون فى اللغات ، يستطيعون العودة اليه ، ليعرفوا القيمة الأدبية الكبيرة التى يحتلها هذا الكاتب ، وهم يعرفون طبعا ، أن غلاف ملحق الكتب لجريدة الواشنطن بوست لايخصص لأى شخص ، ولأى كاتب ، وهى ورقة رابحة فى صالح حامد ابو احمد نضيفها لملف قضيته ، لعل البعض يعقل ويعرف .

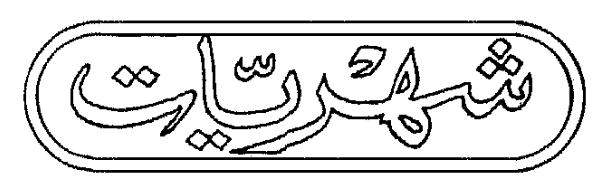
٣ ـ كلمتنا فى الرد على أولاد حارتنا .

عمل مريض من شخص مريض .. هذا هو التفسير الوحيد الممكن لما جاء فى هذا الكتاب الضخم (٣٥٠ صفحة من القطع الكبير) لمؤلفه عبد الحميد كشك ، خصصه كله لقضية واحدة : هى الهجوم على كاتبنا الكبير نجيب محفوظ ، هجوما يتضمن علاوة على سلاطة اللسان اقوالا من الجهل الخالص ، فالكاتب الخطيب لا فض فوه ، لايعرف الفرق بين الاشتراكية ، التى يؤمن بها نجيب محفوظ ، والاشتراكية العلمية التى يقول بها الماركسيون ، لذا فانه يضع كاتبنا الكبير مع أصحاب الماركسية ، وهكذا ، ودليله على ذلك كلام كان قد قاله نجيب محفوظ عن العدالة الاجتماعية ، وهو لايعرف وهذا ما يجعلنا نضع كتابه ضمن مخطط جيوش الظلام ، اتهام نجيب محفوظ فقط بتهم اقلها الالحاد ، بل هو يتهم العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم هذه التهمة التى سيظل يحمل وزرها .

قال (ص ٣٦) وقد تعجب عندما اغفل الكاتب نجيب محفوظ ذكر سلامة موسى وهو صاحب الأثر العميق فى فكره ، فقد ذكر العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم لحظة اعلان فوزه بالجائزة ... وهى اسماء فخمة تخفى الدلالة الالحادية الوثيقة بها .

● لم تشفع كتابات العقاد ودفاعه المجيد عن الاسلام ـ ولا كتابات طه حسين وتوفيق الحكيم التى يعرفها اطفال المدارس عن الموضوع ، وراح يكيل لهم هذه التهمة التى اعطى لنفسها حق رفعها فى وجوههم دون سند ولا دليل ، الا اعتبار اى منتوج ثقافى يصب فى بحر الالحاد الذى رمى فيه الجميع .

إن قراءة هذا الكتاب لتؤكد لنا انه واحد من أعمدة الجهل والظلام التى ترعاها جهات مشبوهة ، نرى ضرورة تصدى المثقفين أنفسهم لها بكل الحزم والقوة ، لتبيان مناطق الجهل الخالص التى تشيعها بادعاءات تحسد عليها ، والدليل واضح فى هذا الكتاب الذى يتعسف فى تفسيرات لا علاقة لها بالموضوع ويتعرض لقضايا لايعرف عنها شيئا .



اشارات ثقافية



• معرض القاهرة الدولى السادس لكتب الأطفال

فى الفترة مابين السادس والعشرين من نوفمبر الماضى وحتى ٨ ديسمبر أقامت الهيئة المصرية العامة للكتاب المعرض السادس لكتب الأطفال الذى افتتحته السيدة سوزان مبارك حرم الرئيس . أقيم المعرض هذا العام فى ساحات وقاعات تقع فى المركز التعليمى (دار الأوبرا) الواقع فى قلب القاهرة الأمر الذى دفع به الى أن يكون أكثر حيوية ونشاطا من الأعوام السابقة التى أقيم فيها فى أرض المعارض بمدينة نصر ، نظرا لقربه من الأحياء السكنية المختلفة .

شارك هذا العام اكثر من ١٢٠ ناشرا عربيا وأجنبيا فى المعرض ، من ٢٧ دولة مختلفة عرضوا بزيادة ٩ دول عن العام الماضى ، وبعدد وصل الى ٣ ملايين كتاب بزيادة نصف مليون كتاب عن العام السابق .

ضم المعرض ايضا نشاطات ثقافية مختلفة من عروض سينمائية ومسرحية وشرائح مصورة وناطقة ، ومسرح عرائس ، وندوات عديدة ناقشت كتب الاطفال ، والقضايا العديدة التى تتفرع عنها .

فى هذا العام يقدم المعرض خطوات ايجابية محسوسة ونرجو له أن يقدم المزيد فى الأعوام القادمة .



نجيب محفوظ

• أعمال نجيب محفوظ للأطفال

أحسنت دار الشروق وهى تقدم هذا المشروع الثقافى النابه الذى يسعى الى تقديم اعمال كاتبنا الكبير نجيب محفوظ مبسطة وميسرة للأطفال فى طبعة فاخرة وأنيقة ، قام بكتابتها ابراهيم المعلم مدير الدار ، ورسمها الفنان مصطفى حسين .

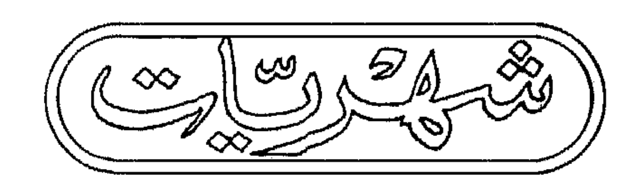
حرص ابراهيم المعلم على أن يبدأ بالأعمال التاريخية لكاتبنا الكبير لتعرف منها الأجيال الجديدة مسيرة تاريخها ، وما صنعه الاجداد من حضارة كما حرص على الحفاظ على بناء وأحداث وشخصيات الروايات التى صدر منها بالفعل ثلاثة كتب هى "عجائب الأقدار" فى جزئين ـ كفاح طيبة ـ كفاح أحمس ، وأمام العرش .

وتنوى الدار اصدار باقى أعمال نجيب محفوظ تباعا .

• مجـــلات

• ثلاث مجلات لثلاثة إتحادات للكتاب

بين أيدينا ثلاثة أعداد هامة لمجلات يجمع بينها إنها صادرة جميعها عن



اشارات ثقافية

ثلاثة إتحادات من اتحادات الكتاب العرب .

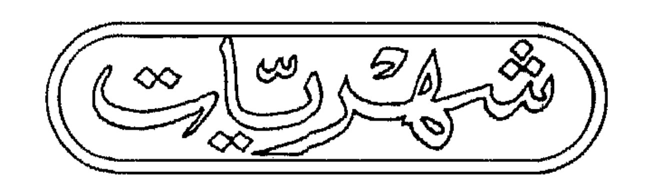
الأول هو العدد الثالث من مجلة ٤٨ التى يصدرها إتحاد الكتاب العرب فى فلسطين المحتلة ، وهى مجلة فصلية نابهة ، خصص جزؤه الأكبر لكتاب مصريين جاء فى مقدمتهم عبد الحكيم قاسم وجمال الغيطانى ، ويوسف القعيد وعبده جبير وغيرهم .

والملف إن دل على شيء فإنما يدل على أن اتحاد الكتاب العرب فى فلسطين المحتلة الذى يرأسه الشاعر سميح القاسم يقول بالفم الملآن ، أن الثقافة العربية واحدة ، وأن الأدباء العرب فى فلسطين ، يجدون إمتدادهم الطبيعى فى كتابات زملائهم فى الأقطار العربية الأخرى ، وفى مقدمتها مصر ، كما يقول أنه على الرغم من الظروف القاسية التى يعانيها أبناء فلسطين فى الداخل ، الا أنهم قادرون على العطاء ، مستمرون فيه ، لاينام لهم جفن ، دائما مستيقظون لحقيقة ان الثقافة العربية هى سلام فعال فى مجال تحقيق حضارة عربية مستنيرة فاعلة ومؤثرة فى مجتمعها .

الثانى هو العدد الجديد من مجلة آفاق الفصلية التى يصدرها إتحاد كتاب المغرب وهو الاتحاد الأكثر نشاطا وحيوية منذ زمن طويل ، يقف فى طليعة المؤسسات الثقافية المستقلة الفاعلة فى ساحة الثقافية العربية ، بنشاطاته العديدة التى تمتد - هى أيضا - لتلامس الساحة الثقافة العربية ، خاصة بالندوات التى تعقدها بشكل منتظم بمشاركة العديد من الفعاليات الثقافية العربية على أرض المغرب الشقيق .

يضم هذا العدد المؤرخ (صيف ١٩٨٩) قصائد للشعراء محمد بن طلحة ، محمد الأشعرى (رئيس إتحاد الكتاب) محمد عزيز الحصينى ، محمد عبده يوزوبع ، محمد بن عمارة ، وقصص لكل من محمد محمد الهراوى ، إدريس الحدادى ، خليل الدمون ، محمد زهير ، عبد الغنى أبو العزم ، ودراسات لـ مليحة العروس ، بشير القمرى ، محمد العمرى ، وحوار أعده محمد الدغمومى مع عبد الفتاح كيليطو ، بالاضافة الى نص من النقد الروائى المغربى من الأربعينات أعده للنشر أحمد بوحش وهو دراسة كان قد كتبها عبد الرحمن الفاسى لرواية "دمعة يزيد" للأديب اللبنانى كرم ملحم كرم .

الثالث هو العدد التاسع من مجلة شئون أدبية التى يصدرها إتحاد كتاب الامارات ، وهو العدد الذى ضم كشافا تحليليا لأعداد المجلة التى صدرت منذ عام ١٩٨٦ وحتى هذا العدد ، ومنه نتبين ان هذه المجلة الشابة قد استوعبت العديد من الكتاب العرب ،



اشارات ثقافية

من خارج الامارات حتى شملت كتابات من اغلب البلاد العربية ، وهى بهذا تعد نافذة حقيقية وجادة ومفتوحة ليس فقط لأعضاء الاتحاد الذى تصدر عنه ، بل لكل كاتب عربى ، يمد يده بالمساهمة فيها .

وميزة هذه المجلة الجادة أيضا أنها توزع فى مختلف الأقطار العربية وعددها هذا يصل عدد صفحاته الى ٣٦٤ صفحة من القطع الكبير ، ومن ناحيتنا ندعو الى قراءتها فهى واحدة من المجلات العربية الجادة والجديدة والتى تستحق المتابعة .

ولانجد فى هذا المقام الا همسة نوجهها لاتحاد كتاب مصر : صحى النوم وغير ولاتحسد .



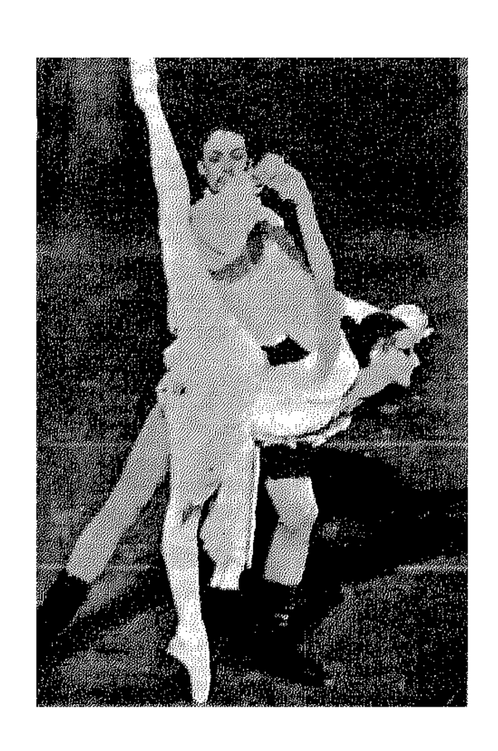
● ترويض النمرة ●

ابتدأت دار الاوبرا موسمها الثانى بعرض "لترويض النمرة" عن مسرحية شكسبير من تصميم واخراج "جون كرانكو" ، قدمته فرقة باليه شتوتجارت خلال ايام ثلاثة لاتزيد

ويالها من بداية رائعة ، تبقى على شاشة الذاكرة لاتنمحى .

من المعروف ان تلك الفرقة من اكثر فرق الباليه الكلاسيكى تميزا وفورانا بروح مرحة وتعبير درامى ومستوى اداء قل ان يكون له نظير .

وكل ذلك بفضل "كرانكو" (جنوب افريقيا) الذى لم يرحل بالموت فجأة (١٩٧٣) ، الا بعد ان كان قد نجح فى ان



راقصتان من فرقة شتوتجارت

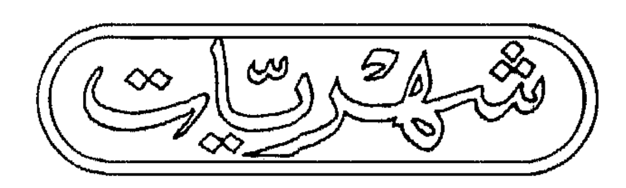
يمزج فى تآلف وانسجام مواهب راقصيها وراقصاتها الذين اتوا الى شتوتجارت من كل فج عميق .

ولقد انتقل مشعل الفرقة من بعده الى مصمم الرقصات "جلين تيتلى" الذى سرعان ما سلمه الى راقصتها "مارسيا هايدى" البرازيلية المولد .

وهى تشغل مركز مديرة الفرقة حتى يومنا هذا ، وترقص ماتزال ، وآية ذلك قيامها اثناء حفلة الفرقة الاولى بالقاهرة باداء دور الابنة الكبرى الشرسة "كاترين"

ولن اقف عند حبكة الباليه الذى كان متاعا للاذن والعين

فالجميع يعرفها ، اذ هى لاتعدو ان تكون ترجمة امينة لمسرحية شكسبير المرحة التى مدارها ترويض "كاترين"



حتى تصبح زوجة هينة ، لينة ، حبوبة ، تدين لشريك حياتها بالطاعة والولاء .

وحتى نكتشف مع تلك النهاية السعيدة ، ان النساء لايظهرن دائما ما بداخلهن ، فنقتنع بحكمة شكسبير القائلة "لاتحكم مطلقا على كتاب من غلافه"

وانما اقف قليلا عند اللمسات التى اضافها اولا : اعداد الموسيقار المعاصر "كيرت هينز شتولز" لعدد من سوناتات "سكارلاتى" للبيانو (١٦٨٥ - ١٧٥٧)

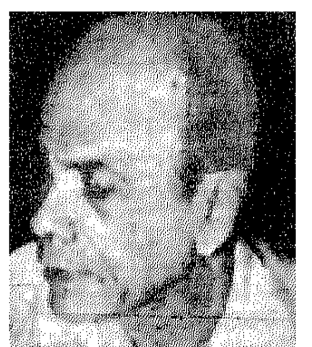
ثانيا : التصميم المذهل للرقصات ، وذلك التناسق بين الحركات وفق نظام ثابت قائم على الالهام .

اقف عندها لاقول انها قد اضفت على معانى شكسبير مزيدا من التحديد والوضوح والجمال .

• ندوات •

على الراعى يعرف بقصص أديبة بحرانية

فى أتيليه القاهرة وبتاريخ (١٢/١٢) الماضى عقدت ندوة كان على رأس المتحدثين فيها الناقد الكبير الدكتور على الراعى الذى قدم ضيفة الندوة القاصة البحرانية "فوزية رشيد" معرفا بها وبقصصها جموع الحاضرين ، مؤكدا على ضرورة التواصل بين

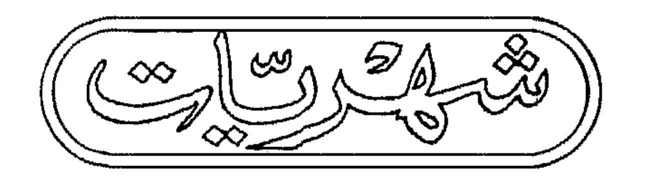

د . على الراعى

المبدعين العرب ، وعلى الالتفات بقوة لما يصدر فى البحرين الشقيقة من أعمال ابداعية ، وعلى ان قصص "فوزية رشيد" هى نموذج حى ضمن هذا النتاج يستحق التأمل ، خاصة لأنها تتبنى قضايا مجتمعها الحيوية فى أعمالها ، وتكتب بتلقائية وصدق مع ذاتها ، مما يجعل أعمالها أشبه بالشهادة على مايجرى من تحولات فى واقعها .

شارك العديد من الحاضرين بالتدخلات كان منهم الناقد ابراهيم فتحى والناقد سيد البحراوى والدكتور مدحت الجيار وغيرهم .

• مصر فى أدب القرن العشرين

وفى كلية آداب القاهرة وفى الفترة مابين ١٨ الى ٢٠ ديسمبر الماضى نظم قسم الأدب الانجليزى ندوة علمية تحت عنوان : « مصر فى أدب القرن العشرين » دعا اليها الدكتور حسنين ربيع عميد الكلية لفيفا من النقاد العالميين على رأسهم الناقد الانجليزى



اشارات ثقافية

الشهير تيرى ايجلتون (من جامعة اكسفورد) والدكتور مالكوم هيورد (جامعة انديانا الامريكية) والدكتورة هيلدا سبيرا (جامعة دادى ـ اسكتلنده) والدكتورة باربرا هيلى (جامعة ترينتي ـ ايرلندا).

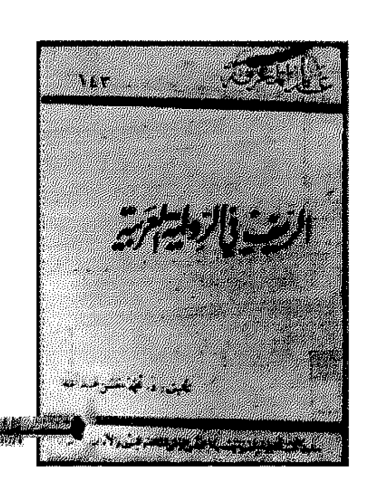
وشارك فى الندوة من النقاد واساتذة الأدب المصريين كل من الدكتور مجدى وهبة، ود. لطيفة الزيات، ود. سمير سرحان، ود. محمد عنانى. ود. أنجيل سمعان، ود. فخرى قسطندى، والمشرفة على اللجنة المنظمة للندوة الدكتورة هدى الجندى رئيس قسم الأدب الانجليزى.

مكتبة الهلال

الكتاب : الريف فى الرواية العربية

تأليف : د. محمد حسن عبد الله

الناشر : عالم المعرفة، الكويت ٣٥٦ص، ٥٠ ف : ك



يحدد مؤلف هذه الدراسة الأدبية، موضوعه بالموقع والبيئة والشكل الفنى متناولا الرواية التى اتخذت من الريف وأهله ومشاكلهم بالتحليل والتأريخ وقد قسم دراسته الى بابين :

الأول : يتناول فيه بالتحليل رؤية الكاتب وموقفه الفكرى من الموضوع حيث بدأت روية الكاتب بشكل رومانسى، ثم بدأت الرواية تتجه الى الواقعية، ثم الواقعية الاشتراكية ثم الريف الرمزى من موقع التأمل الفلسفى.

الثانى : يتناول فيه العلاقات التبادلية بين الريف والمدينة، ثم الريف والبادية، كما أفرد فصلا خاصا لرمز الأرض فى الرواية الفلسطينية لأهميته الموضوعية، وفصلا آخر للريف السودانى لتميزه الفنى.

اختار الناقد بشكل انتقائى نماذج من رواية الريف، وان كان هذا قد جعل عنوان الدراسة بعيدا عن واقع الدراسة الفعلى، فهى فى الحقيقة بعيدة كل البعد عن أن تكون دراسة عن "الريف فى الرواية العربية»، وإنما دراسة عن بعض روايات الريف فى مجال الرواية العربية لدى اسماء بعينها.

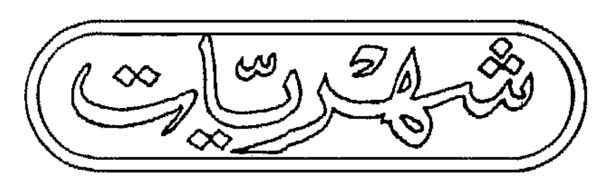
الكتاب : أمريكا .. الجينز والسكين مغامرات صحفى مصرى فى سجون وشوارع أمريكا!

تأليف : محمد حسن الألفى

الناشر : محمود الجداوى

٢١٦ص، ٣ ج. م

كتاب يحمل روح الرواية، وتكثيف القصة



مكتبة الهلال



القصيرة ، وبنيان المقال الأدبى . يضم أربعة عشر فصلا ، تحكى تجربة مثقف مصرى ، فلاح حتى النخاع ، يحمل براءة ابن البلد ونخوته وتعطشه للسفر ، تقذف به روح المغامرة الكامنة تحت جلده الاسمر ، الى بلاد غريبة الأطوار والمزاج النفسى والمعمار . الانسان فيها يتعامل مع البيئة والمجتمع والناس من خلال مستوى واحد على الصعيد اللغوى والسلوكى . جيث لاتوجد المساحات المألوفة للمرونة اللغوية والسلوكية الموجودة فى شرقنا العربى .

والكتاب تجربة متميزة فى مجال الكتابة لأدب الرحلات ، وأدب المغامرات والسياحة النفسية ، الذى يقوم على التشويق ، والرشاقة اللغوية .

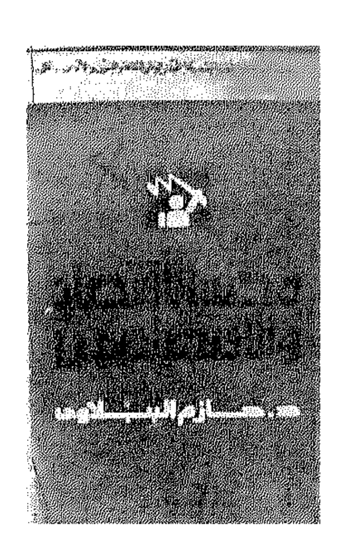
من عناوين فصوله : « ليلة زفاف الأشباح - خذ ٥٠ الف دولار - فى بطن الحوت - رؤساء دول من الفضاء الخارجى - فى ورشة الساحرة الجميلة - قابلت الكونت دراكيولا - الجينز والسكين - تذكرة الى سجن الكاتراز - شركات خطف الأطفال - فى غرفة الاعدام - محاولة خلق طفل - حرب القاهرة واشنطن » .

وهو فى مجمله اضاءة للنفس الأمريكية ، وجنون المادة ، والعطش الدائم للعلم والتطوير ، والأنماط النفسية والاجتماعية الشاذة والغريبة ، إنه مغامرة مثيرة فى الغابة الأمريكية .

الكتاب : محنة الاقتصاد والاقتصاديين
تأليف : د . حازم الببلاوى
الناشر : دار الشروق
٢٨٨ ص ، ٩ ج . م

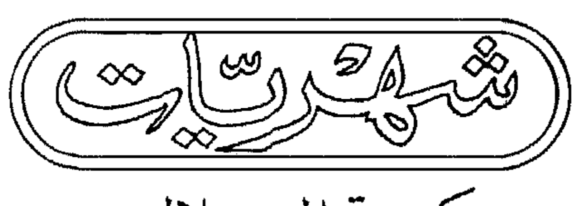
يتناول هذا الكتاب بالدراسة والتحليل عددا من القضايا الرئيسية التى تتعلق بالسياسة والاقتصاد المطروحة للنقاش على الساحة المصرية .

والمؤلف يرى ان



الاقتصاد يطرح المشاكل والخيارات والسياسة تحسمها ، وماله دلالة فى هذا الاطار انه يرى ايضا ان القرارات السياسية ، وهى تحسم الخيارات المطروحة كثيرا ماتكون طاغية وساحقة ، فالسياسة لاتسمو فقط على الاقتصاد وتحكمه ، ولكنها قد تسحقه ، إذن هو يرى ان محنة الاقتصاديين فى غير قليل من الأحوال هى أيضا مسئولية السياسيين .

كتبت مقالات وأبحاث هذا الكتاب فى الفترة ما



مكتبة الهلال

بين عامى ٨١ و١٩٨٩، وتضم تسجيلا لملخص مقابلة مع الرئيس السادات كانت قد جرت نتيجة لمقال نشره الكاتب بعنوان «الاقتصاد أخطر من أن يترك للاقتصاديِّين».. بالاضافة الى بحث آخر عنوانه، «مستقبل دور الدولة فى الوطن العربى فى ضوء المتغيرات الاقتصادية والتكنولوجية».

وقد قسمت الدراسات والمقالات تقسيما موضوعيا إلى ثمانية أقسام، هموم الاقتصاد المعاصر، المستقبل والحتمية، إدارة الدولة الاقتصادية، مفاهيم شائعة، الأموال الهائمة، مارأى الدين، رسائل قصيرة، حوارات.

ويمكن بنوع من الاجمال رد هذه الموضوعات الى محورين رئيسيين هما الدولة ودورها الاقتصادى من ناحية، والحقائق الاقتصادية المستجدة على واقعنا وما ارتبط بها من مفاهيم.

الكتاب : أشجار الاسمنت، قصيدة لا.
تأليف : أحمد عبد المعطى حجازى
الناشر : مركز الأهرام.
الأول : ١٢٠ ص،
والثانى : ٢٥٢ ص.

دفعة واحدة صدر للشاعر الكبير احمد عبد المعطى حجازى كتابان عن مركز الأهرام للترجمة والنشر، الأول : بعنوان

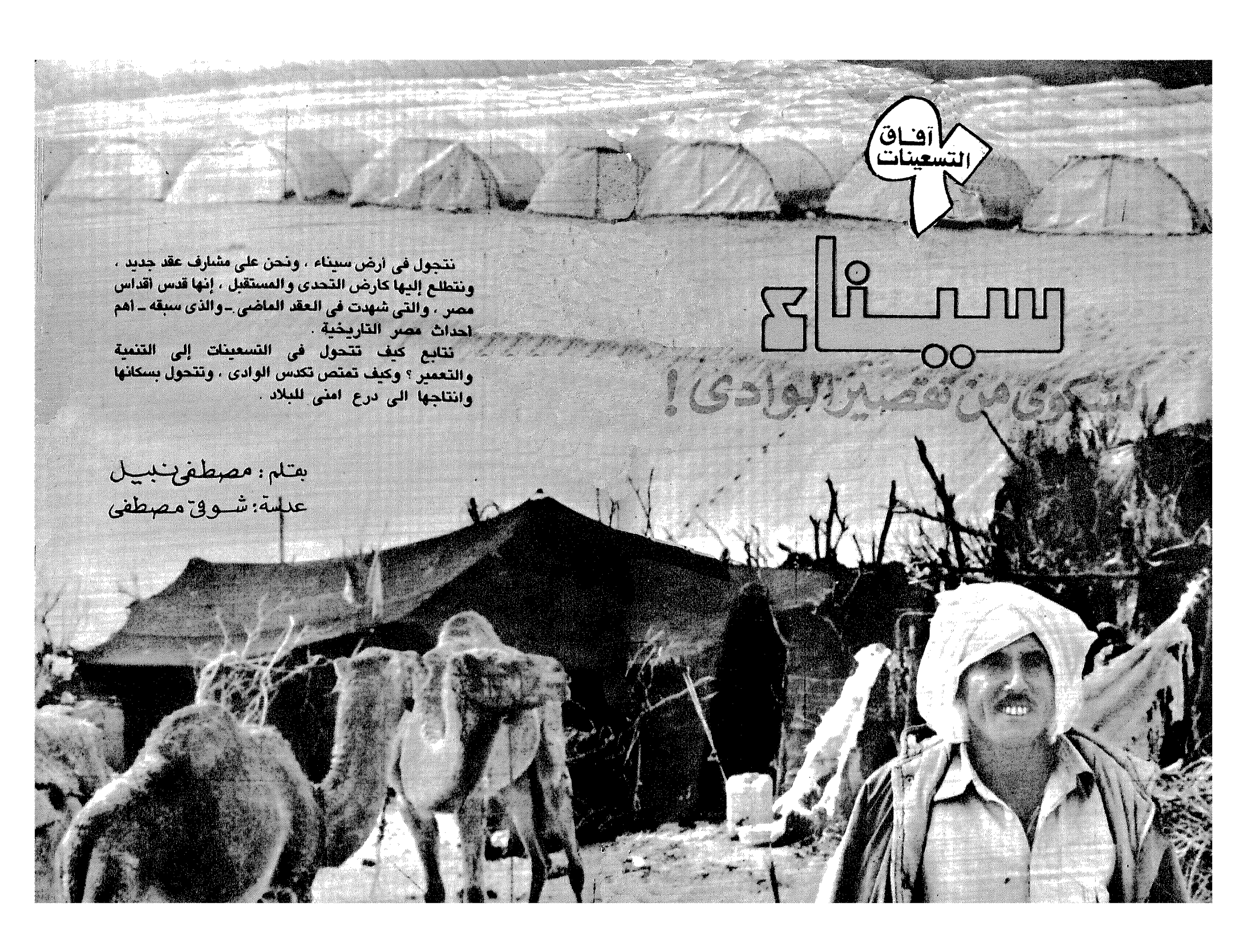


أشجار الأسمنت وهو ديوان شعرى جديد والثانى : مجموعة دراسات ومقالات عن موضوع قصيدة الرفض

يضم الديوان ست عشرة قصيدة كتبت فى الأعوام المتحلقة حول عامى ٧٩، ٨٩، أى خلال عشر سنوات كاملة، ضمنها قصيدته الرائعة العودة من المنفى التى كان قد كتبها بعد أن قرر العودة الى مصر بعد غياب طويل ويقول فيها :

لما تحررت المدينة عدت من منفاى.
أبحث فى وجوه الناس عن صحبى.
فلم أعثر على احد،
وأدركنى الكلال
فسألت عن أهلى، وعن دار لنا فاستغرب الناس السؤال.
وسألت عن شجر قديم.
كان يكتنف الطريق الى التلال
فاستغرب الناس السؤال.

أما الكتاب الثانى فيضم مجموعة من المقالات التى يقول عنها المؤلف انها كانت من الأولى أن تكون كتابين، فهو يدور حول محورين مختلفين الأول يتخذ مادته من الشعر القديم، والآخر من الشعر الحديث، والمحور الأول يختار من الشعر القديم جانبا مجهولا أو يكاد، فهو يلتفت لقصيدة الرفض والتمرد، قصيدة الصعلوك والخارجى، والفاتك، والماجن.



آفاق التسعينات

سيناء

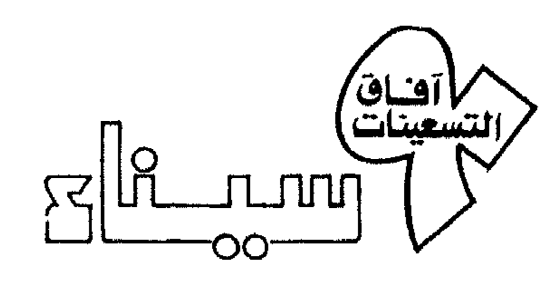
تشكو من تقصير الوادى !

نتجول فى أرض سيناء ، ونحن على مشارف عقد جديد ، ونتطلع إليها كارض التحدى والمستقبل ، إنها قدس أقداس مصر ، والتى شهدت فى العقد الماضى ـ والذى سبقه ـ أهم احداث مصر التاريخية .

نتابع كيف تتحول فى التسعينات إلى التنمية والتعمير ؟ وكيف تمتص تكدس الوادى ، وتتحول بسكانها وانتاجها الى درع امنى للبلاد .

بقلم : مصطفى نبيل

عدسة : شوقى مصطفى



● وصلت الى ارض سيناء فى يوم شتوى مطير .

انتقلت اليها عبر المعدية من مدينة القنطرة ، يتقاطع طريق المعدية مع الملاحة الدولية التى تصل بين البحر الابيض والبحر الاحمر ، تتقاذفنى المعدية فى نقطة تقاطع على مياه القناة بين افريقيا وآسيا ، وفى هذا المكان تتزاحم الخواطر وتتلاحق الصور ، فامامك القنطرة شرق التى شهدت أعنف معارك التحرير ، يقفز الى ذهنك مشهد العبور المهيب فى حرب اكتوبر ، فيض من الصور والذكريات عن تلك الايام التى ينبغى ان تعيش فى ذاكرتنا ووجداننا ، فمازلنا نحتاج الى عمق اللحظة ومشاعرها لكى يمدنا بطاقة من اجل تعمير وتنمية سيناء .

نمضى فى فضاء شاسع على طرق معبدة ، ونلتقى بالعديد من التجمعات السكانية المتناثرة ، بعد ان تركنا وراءنا مدينة القنطرة القديمة ومبانى مدينة القنطرة الجديدة التى لم تجذب اليها سكان المدينة القديمة الذين ترتبط اعمالهم بالقناة ، ومضت السيارة تقطع التلال والوديان فى الدرب التاريخى القديم الذى اطلق عليه قديما « درب الشام » والذى شاب عليه الزمن ومرح فى اعطافه التاريخ ، والذى خطت المياه معالمه ، وما اكثر ماتفصح عنه سيناء بعمق صمتها ، وروح الخلود التى تحيطك

توقف قطار السكك الحديدية ، وانتزعت فلنكاته وبقيت المحطة ، ومازالت تنتظر فى صبر عودة القطار



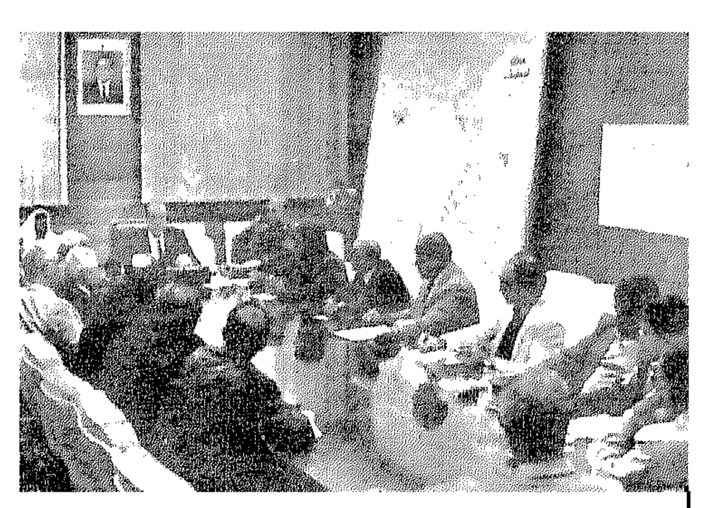
امامنا المياه الزرقاء والسماء الصحوة والشمس الدافئة المشرقة فى عز الشتاء .

اتحرك على الدرب الذى يبدأ عند الفرما (بالوظة) وينتهى برفح ، مرورا بالبردويل وراس العبد والعريش والخروبة والشيخ زويد وهو ذات الدرب الذى مرت عليه الكثير من الحملات والذى حمل بعضها غصن الزيتون والبعض الاخر السيف والمدفع ، وهو عند المؤرخين .. ساحة المعركة الدائمة بين الشرق والغرب . وهو بالنسبة لأهل مصر ، العقبة الكأداء التى ينبغى على اى جيش ان يتغلب عليها ـ كما يؤكد الدكتور جمال حمدان ـ فقد عبرته الجيوش منذ فجر التاريخ . وقدم لنا التاريخ على ارض سيناء اهم عبره واحكم دروسه ، ويعنى التاريخ تراكم الخبرة الانسانية ورصد التفاعل الدائم بين الانسان والمكان .

وقد شهدت هذه الأرض ما لا يقل عن ٥٠ حربا كبرى ، من الهكسوس حتى الاسرائيليين وامتزجت رمال سيناء بالدم المصرى ، فى قائمة طويلة من شاروهن الهكسوس ، وقادش تحتمس الى قرقميش البابليين ، وحطين صلاح الدين ، وعين جالوت قطز ، ومرج دابق الغورى ، وعكا نابليون ، وحمص ونصيبين محمد على .

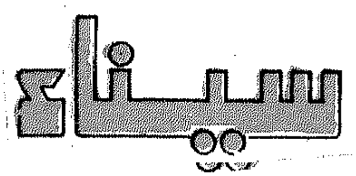
فهو الدرب الذى يصل الى قلب مصر ، كما عبرته جحافل الغزاة عبره الانبياء والصالحون ، وتحفل الكتب المقدسة بذلك ، ومر على أرض سيناء وباركها النبى ابراهيم ويعقوب ويوسف ، وموسى وهارون والعائلة المقدسة .

وليس غريبا ما ذكره بعض المؤرخين انه كان لمصر سور عظيم ، يبدأ من العريش ويتجه الى القلزم ، (السويس) ثم يتجه مع شاطىء النيل الشرقى الى الجنوب وأن سيزوستريس هو بانى هذا السور .


اجتماع فى المحافظة على مشارف التسعينات ، وعود على بدء يناقشون ضرورة توفر المعلومات ووجود خطة محكمة للتنمية الشاملة .

وتفصح ارض سيناء عن الكثير لزائرها ، وكل ما حولك يقول . انه حان الوقت لكى تشهد سيناء تغييرا نوعيا فى اساليب التنمية والتعمير ، وتصل الى تصور شامل لتنمية كل طاقاتها وتعبئة كل احتياجاتها . بافكار جديدة عصرية ، وان يكون هذا التصور جذابا وملهما ، وان يتجنب ـ على هذه الارض البعيدة عن الوادى ـ وطأة البيروقراطية وامراض الوادى المستعصية ، وان ننقذها من مسالك الروتين الحكومى المعقد وتنازع الاختصاصات بين جهاز تعمير سيناء والوزارات المختلفة والحكم المحلى ، مستفيدين من كوننا نقيم مجتمعات جديدة ، ومستغلين ماتتمتع به ارض سيناء من تنوع ومصادر مختلفة فى الانتاج . فيجتمع فيها معظم انواع التكوينات الجيولوجية وطبقات الأرض والصخور وتنوع النشاطات الاقتصادية من زراعة ومعادن ورعى وصيد ، والقيام بعمل جماعى خلاق يستخدم مختلف فروع المعرفة ويشرك مؤسسات اتخاذ القرار





ورسم البرامج من اجل تلك النقلة .

ويكفى ما قمنا به فى ظل اندفاع له مايبرره ، وتعطش هذه الأرض المحررة الى الرعاية والاهتمام ، وليكن ماقمنا به من شق الطرق واقامة المدن الجديدة وبناء المدارس والمستشفيات ووصول الكهرباء والماء لكل تجمع بدوى ، هو البنية الاساسية الضرورية للعبور منها الى مشاريع التعمير والتنمية والامن جميعا .

على ان يكون المؤشر الجديد هو الزحف الانتاجى على مراكز الثروة الجديدة . فمثلا تقول تجربة التنمية فى الصين ، انه بعد تحديد موقع الانتاج ينتقل العمال الى هذا الموقع ويعيشون فى الخيام ، ثم يقومون ببناء بيوتهم ، وبعد الانتهاء منها يشرعون فى بناء مصنعهم وهكذا يعم وينتشر التعمير .

وليست صيحة الاتجاه الى الجنوب والى الافاق الجديدة ، فى تعمير الولايات المتحدة ببعيدة وهى تقدم العديد من الدروس والتى كانت تدور حول مواقع الثروة ومد خطوط السكك الحديدية اليها .

وكل هذه تجارب هامة فى التعمير والتنمية لابد ان توضع امام مؤسسات صنع القرار .

● بساتين النخيل

ونمضى فى رحلتنا على ارض قدس الاقداس ..

ونصل الى العريش كبرى مدن الصحراء وعاصمة محافظة شمال سيناء والمدينة التاريخية التى تطل على البحر ، وتلحظ على الفور حركة التعمير الواسعة ، الفنادق الفخمة ، العمارات السكنية الجديدة ، القرى السياحية الجديدة ، رغم انه لاتتجاوز شهور السياحة هنا شهور الصيف الثلاثة ، وتفزعك تلك الغلظة التى اقتلعت بها بعض اشجار النخيل ، وزرعت بدلا منها الشاليهات التى تحجب البحر عن الرؤية واتساءل .. الى متى يقوم التعمير على حساب الجمال والذوق ؟

ان مدينة العريش هى المدينة المؤهلة لكى تتحول الى مركز حضارى لكل سيناء ، تشع على كل ما حولها ويصب فيها الفائض البشرى من الوادى . وكثيرا ماوصف الرحالة مدينة العريش ، ووقفوا امام بساتين النخيل وتغنوا بالخضرة وسط الصحراء ، ووصفوها « بانها مدينة ذات حصون ، كانت اسوارها قائمة ازاء البحر حتى القرن السابع الهجرى » .. واذا قلبت اوراق فتح العرب لمصر تجد مايذكره الواقدى ان عمرا « ترك الصحراء وجعل الحصون التى فى طريقه الى مصر عن يمينه ، وهى حصون رفح والعريش وحتى الفرما (بالوظة) وينقسم السكان بين المدينة وبدو رحل مبعثرين حولها .

وساحل سيناء الشمالى الذى تشكل العريش مركزه ، بامطاره ومياه كثبانه ورماله وقطعانه وزراعاته ومدنه الجديدة ، ترى فيه بدايات كبيرة للاستثمار والتعمير فهو فى الاساس ساحل زراعة ووجد فيه الكبريت الذى تستخرجه شركة فريبورت الامريكية وساحله الممتد غنى بأسماكه ، وهنا اهم مناطق الزراعة فى شريط من الأراضى الرملية الطينية التى لاينقصها سوى موارد المياه الجديدة . ولكل مزرعة



حتى فى الصحراء البعيدة ، تفرض الأساليب الحديثة نفسها على الحياة ، والمطلوب الوصول الى المعادلة الصحيحة بين القديم والجديد

هنا بئر خاصة وتنتشر الصوبات والزراعة المغطاة ، وتستخدم المياه بصورة اقتصادية بالتنقيط او الرش ، ولكل من هذه المزارع سور ، بسياج نباتى ، وتنتشر فيه اشجار الزيتون والفواكه .

وشريط الساحل يزداد خضرة كلما اتجهنا شرقا فى اتجاه الشيخ زويد ورفح ، وفى بعض وديانه تكاد ترى غابة من الاشجار وخاصة السنط الى جانب النخيل .

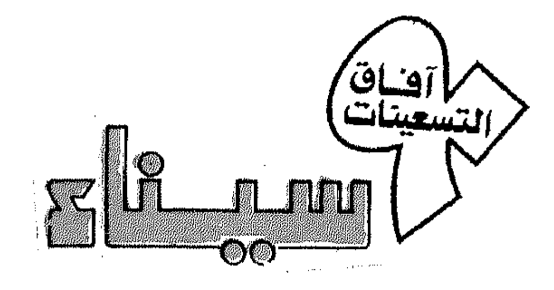
ويؤكد الخبراء غنى سيناء الشديد بالانواع النباتية المختلفة ويقدرون ان فيها ما يزيد على ٥٢٧ نوعا من النبات وجزءا كبيرا منها لاوجود له فى اية منطقة اخرى من الوادى وهذا يؤهلها لزراعة العديد من النباتات الطبية .

وتقوم الكثير من الهيئات الدولية بالمساهمة فى التنمية فلدى اليونيسيف مشروع حفر ١٢ بئرا على عمق الف متر بتكلفة ٨ ملايين جنيه فى كل من نخل والحسنة ، ويقوم الايطاليون بدورهم بحفر ٢٥ بئرا جنوب العريش لزراعة خمسة الاف فدان .

ووجد الخبراء الى جانب المشروع الايطالى مساحة تصل الى ٢٠ الف فدان ، ظهر فيها نبات يشبه القمح ، وكان الكشف عنه بالمصادفة وبدأت الابحاث لتحويل المنطقة الى زراعة القمح وتحويلها إلى محمية .

ان استثمارات الخطة الخمسية الثانية





فى سيناء تصل الى ٦٦٣ مليون جنيه . بالاضافة الى ٥٠٠ مليون جنيه فى الخطة الخمسية الأولى التى ركزت على الهياكل الاساسية وهذا يعنى ان الوادى لايبخل على سيناء ، وقامت فى العريش كلية للتربية واخرى لعلوم البيئة تتبعان جامعة قناة السويس ، وعندما زرت مكتبة الجامعة فى العريش لم اجد فيها ايا من الكتب الرئيسية عن سيناء مثل كتاب نعوم شقير وكتاب الدكتور رشدى سعيد عن جيولوجية سيناء ، فكيف تقوم جامعة بيئية لايكون اول مهامها جمع الكتب الرئيسية عن سيناء .

وقدمت العديد من مراكز الابحاث كل فى مجاله العديد من الدراسات الهامة ، ولكنها مازالت متفرقة ، وتشمل ابحاثا عن مصادر المياه ، وتطبق الهندسة الوراثية فى الزراعة للوصول الى بذور تتحمل نقص المياه وملوحتها ، ودراسات لاستخدام الطاقة الشمسية وسرعة الرياح لرفع مياه الابار الجديدة ، وهناك مركز للمعلومات داخل محافظة سيناء يستخدم الكومبيوتر ويرتبط بمركز المعلومات التابع لمجلس الوزراء ، ويبقى ان تتصل كل هذه المحاولات فى خطة واحدة حاكمة حتى تصبح التنمية والانتاج والامن الضابط لايقاع العمل كله .

● خطة حاكمة

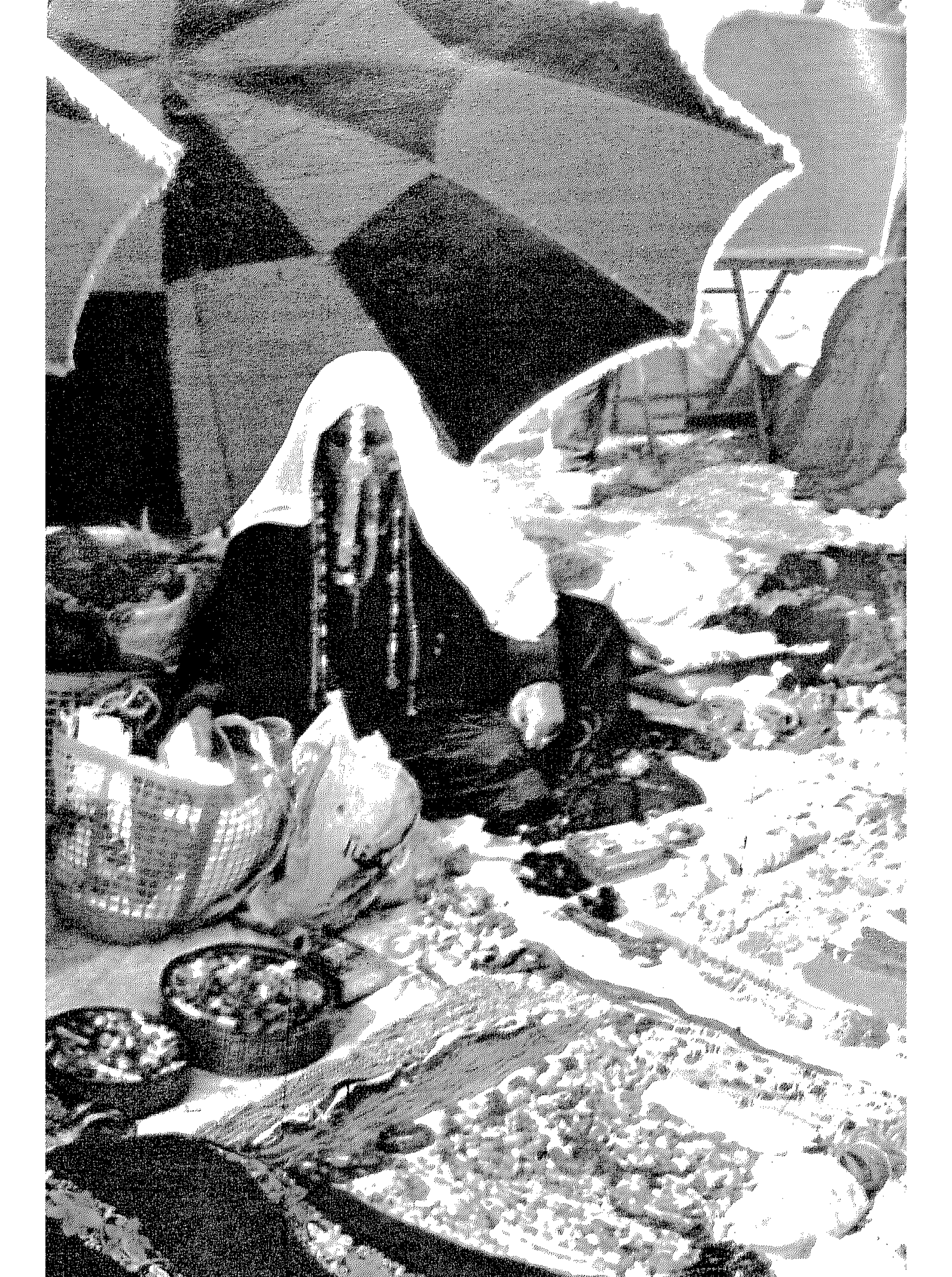
فنقطة البداية نحو المستقبل ، وجود « خطة حاكمة » يضعها خبراء فى كل المجالات وتصب لديهم كل المعلومات والدراسات ، وتوائم هذه الخطة بين الاهداف العمرانية والامنية ، على ان تحدد هذه الخطة بصرامة الأولويات واشكال التمويل المختلفة ، ويشرف عليها هيئة مستقلة لها صلاحيات كاملة ، فهى مشروع لايقل عن مشروع اقامة السد العالى اهمية وتأثيرا ، وبذلك يتجنب المجتمع الجديد تنازع الاختصاصات بين الحكم المحلى وجهاز تعمير سيناء والوزارات المختلفة . ويتجنب تضارب المعلومات وتوزعها وتتوفر له القدرة على اتخاذ القرارات السريعة .

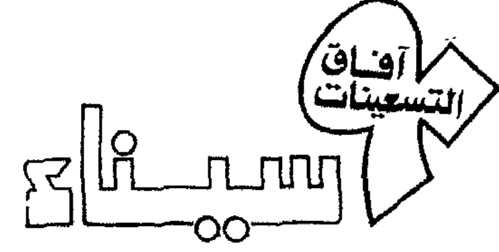
● العزلة والاتصال

واذا كانت « ارض » سيناء التى تبلغ ١/١٦ من ساحة مصر ، والغنية بارضها الصالحة للزراعة الا انها مطوقة من كل الجهات بالمياه ولها ثلاثة سواحل يبلغ طولها ٧٠٠ كم تطل على البحر الاحمر والبحر المتوسط ، ولايوجد فى سيناء نقطة تبعد عن البحر الا قليلا .

وبرزت عقبتان رئيسيتان تعطلان التنمية والتعمير ، هما العزلة وندرة المياه . واذا مثلت قناة السويس التى حفرت منذ ١٢٠ عاما اداة اتصال هامة بين البحرين الابيض والاحمر ، فانها شكلت فى نفس الوقت اداة فصل بين شبه جزيرة سيناء والوطن الام ، واقامت عازلا مائيا بين الوادى وسيناء .

ولم تعد تلك العزلة تستعصى على اصحاب الخيال الذين ياخذون بمنجزات العلم الحديث ، وبالانفاق والجسور والطائرات والقاطرات والعبارات يمكن انهاء هذه العزلة .





وبالفعل اقيم نفق الشهيد احمد حمدى عند مدينة السويس ، واقيمت ثلاثة منافذ نقط للعبور بالمعديات فى كل من الاسماعيلية والفردان والقنطرة ، واقيمت المطارات شمال وجنوب سيناء . ويتوقف مطار العريش عن العمل فى فصل الشتاء .

ورغم انه سبق وأعلن عن مشروع انشاء ثلاثة خطوط للسكك الحديدية ، الأول هو خط الساحل القديم الى رفح ، والثانى على محور الوسط من الدفرسوار الى ابو عجيلة ، والثالث يربط بين الاثنين بطول شرق القناة ثم يمتد جنوبيا حتى الطور . الا ان ما هدمته الحرب لم يشرع فى بنائه بعد ، رغم ان السكك الحديدية تلعب دورا رئيسيا فى عمليات التعمير .

واذا كانت الطائرات والعبارات التى اقيمت كافية اليوم ، فهى لاتكفى لمشروعات المستقبل ، ولايجوز ان تقاس الجدوى الاقتصادية لها فى الزمن القصير ، بل من خلال المستقبل البعيد ، وما ستجذبه العمليات الانتاجية من اولئك الذين مازالوا يلتصقون بالوادى ، وتظهر من خلال هذه النظرة المستقبلية اهمية اعادة خط السكك الحديدية ويغدو ربط ميناء العريش بميناء بورسعيد بالعبّارات السريعة جزءا هاما من خطة شاملة ذات جدوى اقتصادية عالية .

● ماء الحياة

واذا كانت المياه هى ضابط الحركة فى سيناء فهى ايضا سقف تنمية المستقبل . واذا كانت ارض سيناء غنية بالابار والعيون وهى اغزر صحارينا بمياه الامطار . فاننا لانملك حتى اليوم خريطة دقيقة تحدد كمية المياه الجوفية ودرجة ملوحتها ، وهذه الخريطة هى الخطوة الأولى فى اتجاه الزراعة الكثيفة ويؤكد محافظ سيناء اللواء منير شاش .. « انه منذ سبعة اعوام وهو يلح على الجهات العلمية للحصول على خريطة مائية لسيناء ، ولامجيب » رغم وجود معهد بحوث تنمية الموارد المائية ، وفى عصر الاقمار الصناعية والاستشعار عن بعد وبعد حفر العديد من الأبار ! .

ويتركز المستقبل فى نقل مياه النيل اليها ، وقبل عام ١٩٦٧ اقيمت اول سحارة تنقل مياه النيل عبر القناة امام مدينة الاسماعيلية بطاقة محدودة ، وبدأت الدراسات بعد تحرير سيناء لاقامة مشروع رئيسى لنقل مياه النيل . ويذكر محافظ شمال سيناء « لقد وصلت جهودنا فى التنمية الى نقطة فاصلة فاذا لم تتوفر المياه فلن نقدر على استمرار شروعاتنا الزراعية او الصناعية . ويستطرد قائلا : لقد قطع مشروع ترعة السلام مرحلة كبيرة ، ووصلت الترعة من فارسكور الى قرب قناة السويس ، واقيمت السحارة ـ بمشروع يابانى ـ التى ستنقل المياه الى سيناء والمشروع فى طريقه الى الاستكمال وقطعت المفاوضات مع صندوق التنمية الكويتى مرحلة كبيرة من اجل التمويل وبقى تحديد مسار الترعة وهل تمر على محور الوسط وتصل الى مثلة ونخل ، ام يكون مسارها قرب الساحل على « درب الشام » حتى لاترفع المياه بالمضخات لكى تجتاز المرتفعات فى الوسط ؟



المبانى الجديدة فى الشيخ زويد ، كجزء من عمليات التعمير
الواسعة ولكن ليس بالمسكن وحده يحيا الانسان

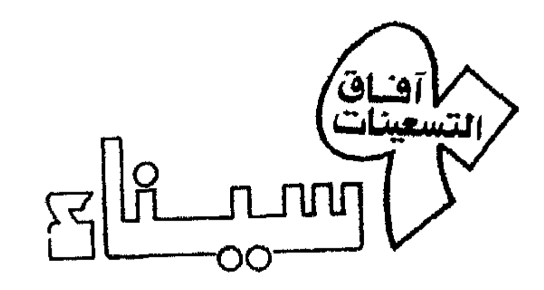
ورغم تسليم المشروع باهمية ان يكون المسار فى الوسط واهمية ان يتركز فيه المشاريع الانمائية والسكان ، ولاسباب اخرى استراتيجية وامنية ، ولكن بقيت مشكلة رفع المياه كمشكلة فنية تزيد من تكاليف المشروع .

وقد سجلت وجهة نظر المحافظة فى هذا الخلاف . مؤيدا ان يكون مسار النهر فى الوسط ، لكى نتجنب تفريغ الوسط من السكان ، وهو الذى يعانى اكثر من نقص المياه » .

وعندما تصل مياه النيل الى سيناء ستصبح سيناء جزءا من حوض النيل .

● مصاعب العمران

وبقى من اجل اقتحام التسعينات ان نعالج بعض الصعوبات الرئيسية التى واجهت التنمية الشاملة ، وأول هذه الصعوبات تعدد سلطة اتخاذ القرار ، وغياب التنسيق بين الاطراف المختلفة . فمثلا لدى المحافظ مشروع كبير لكى



يصبح ميناء العريش ، ميناء دوليا ، ولكن الميناء نفذته وزارة التعمير ، ولاتوافق وزارة المواصلات سوى على ان يبقى مجرد ميناء للصيد ، رغم انه من الممكن ان يصبح ميناء دوليا تصدر منه منتجات سيناء ، أو يغدو ميناء محليا تصل اليه احتياجات المحافظة مثل الاسمنت وحديد التسليح والبترول والقمح .

اما ثانى هذه الصعوبات فهو غياب التحديد الدقيق للأولويات ، وقيام هذا التحديد على فكر واضح ، فهل تكتفى الدولة باقامة البنية الاساسية والخدمات ، ام ان هناك دورا مميزا لتغيير وجه الحياة على ارض سيناء ؟!

ومن هذه الصعوبات ايضا ماتقوم به المكاتب الاستشارية الاجنبية ، فقد حصل مكتب خبرة امريكى على خمسة ملايين دولار ، لقيامه بدراسة حول سيناء وتنميتها ، ولم تستفد منه التنمية فى

اخر حدود مصر مدينة رفح المقسمة

شيء ، فأعطى الأولوية للسياحة في شمال سيناء ، رغم ان السياحة في شمال سيناء تقتصر على ثلاثة شهور في السنة ، وقررت الدراسة عدم صلاحية شمال سيناء للزراعة وتم زراعة ٢٥٠ الف فدان بالامكانيات الأولية ، وكل الذى قامت به الدراسة هو تجميع المعلومات المتوفرة لدى الادارات المختلفة واعادة تقديمها فى شكل جداول ودلالات .

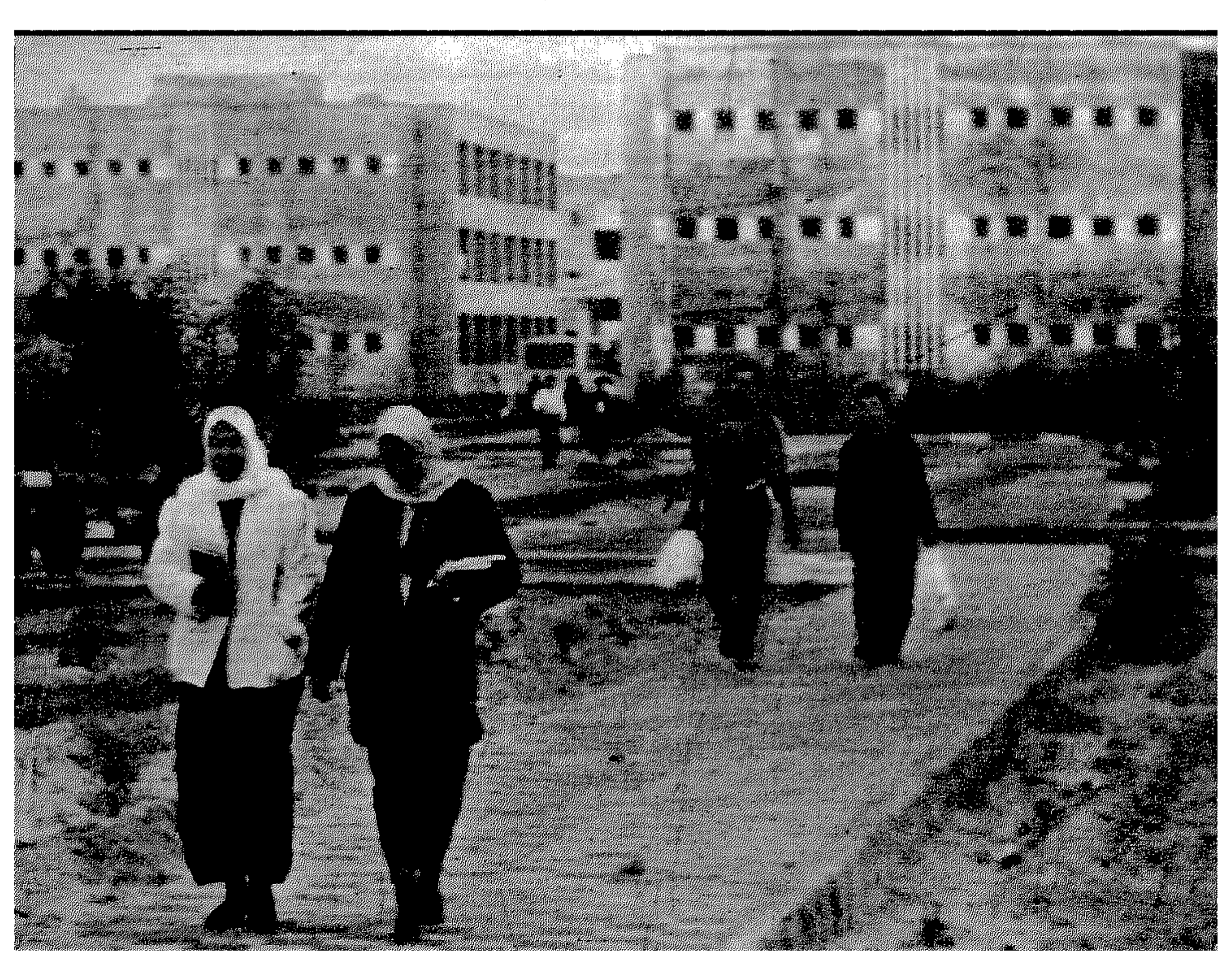
والاجدى ان يستفاد من الامكانيات المحلية والجامعات والاكاديمية ومعاهد البحث المختلفة بدلا من هدر المال العام !

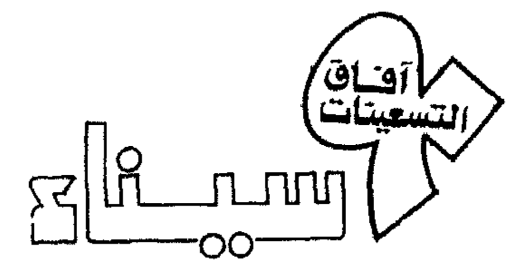
● الشيخ زويد

وصلت الى مدينة الشيخ زويد يوم سوق الثلاثاء ، ووجدته مثل اى سوق فى اى قرية مصرية يضاف اليه المشغولات اليدوية الخاصة بسيناء ، والتى تقوم فيه المرأة البدوية بالدور الرئيسى ، فهى التى تقوم بتصنيع كل احتياجات الاسرة .

وتشعر فى مدينة الشيخ زويد بحيوية وضرورة اعادة اكتشاف التراث الثقافى الحضارى لسيناء ، ومعرفة قيمته كقوة دافعة للتطور ، والبعد المفقود فى اى خطة

خطـــوات هامــــة فـــى طريـق التعميـر . اقامة كلـية للبيئة





شاملة للتنمية وتتبين ذلك عندما يجهدك البحث عن طراز معمارى يعبر عن البيئة المحلية . فكل المبانى الجديدة عمارات خرسانية لاتناسب البيئة .

ولم يعد مقبولا ان يشعر سكان سيناء بالغربة معع ابناء الوادى ، وستستمر الغربة اذا لم يتفهم كل طرف الطرف الاخر ، ويعرف اعرافه وتقاليده وطرق حياته ، كما تظهر هذه الغربة . عندما يترك البدوى البيت الاسمنتى الذى اقامه له جهاز التعمير أو المحافظة ويبنى الى جواره بيت الشعر ، الذى يسكنه كما تظهر من ذلك البدوى الذى سمعته يطلب الدواء من الصيدلى قائلا : « لقد اختجنا الدواء عندما سكنا فى تلك البيوت المغلقة التى فصلتنا عن السماء » ان هذا الفهم المتبادل هو الذى يخلق الاتصال الحقيقى بين ارض سيناء والوطن الأم .

● بحيرة البردويل

وفى طريق العودة زرت بحيرة البردويل التى احمل لها ذكريات عطرة .

ويمضى بنا الطريق .. تبدو الصحراء الشاسعة للوهلة الأولى غير مسكونة ، فلا ترى سوى القليل النادر من اوجه الحياة فتجمعات البدو فى كل مكان ولكنهم يتوزعون فى ارض سيناء فى بقع خضراء ، ينصبون خيامهم ـ بيت الشعر ـ حيثما وجد المرعى ، وجوههم حادة ، لباسهم وفنونهم مميزة ، يشعرون من يلتقى بهم فى جوف الصحراء بحدبهم وكرمهم وننتقل الى قرية الصيادين ، وتدهش وتتساءل كيف تتغير العادات من مجرد تغيير المهنة ، فالقيم السائدة تختلف عن تلك السائدة بين البدو ، ويكفى ان تعرف ان البدوى ، لايتعامل مع البحر ولا سمكه .

وبحيرة البردويل بحيرة واسعة تصل مساحتها ١٦٤,٥٠٠ فدان ، تقع غرب العريش بنحو ٥٠ كيلو مترا ، يفصلها عن البحر لسانان وبوغازان ، وهى من اكثر المناطق جاذبية ومن اكثر المشروعات نجاحا ، فقد تم تصدير ماقيمته ١٦ مليون دولار من سمك البحيرة خلال عام ١٩٨٩ . والسؤال الذى تطرحه هذه البحيرة لماذا لاتنتشر قرى الصيد على طول الساحل سواء البحر المتوسط ، أو خليج السويس ، وبعد ان اكدت الدراسات ان المنطقة من رفح الى بورسعيد غنية بالسمك على عمق ٥٠ مترا ، وهذا يحتاج الى وسائل صيد حديثة ، لامجرد قوارب الصيد التقليدية وهو مايحتاج الى شركات ضخمة او جمعيات تعاونية لكى نضيف مصدرا جديدا للثروة والانتاج وقد طلبت الصيد فى هذه المياه كل من فرنسا ، ايطاليا واليونان وقبرص .

● التقصير

وكان الشعور الذى لم اتمكن من مغالبته طوال الطريق ، وكلما سمعت معاناتهم الطويلة فى ظل الاحتلال هو الشعور العميق بالتقصير ، تقصير ابناء الوادى ، وهو تقصير امتد طويلا ، وتزايد مع شق قناة السويس ثم مع الاحتلال البريطانى الذى اختار احد الضباط البريطانيين حاكما عاما لسيناء واخذت العزلة تتزايد والتقصير يتصاعد واخذ كل جيل يرث تقصير الجيل السابق ، ولم يعد يدخل ابناء الوادى الى ارض سيناء الا

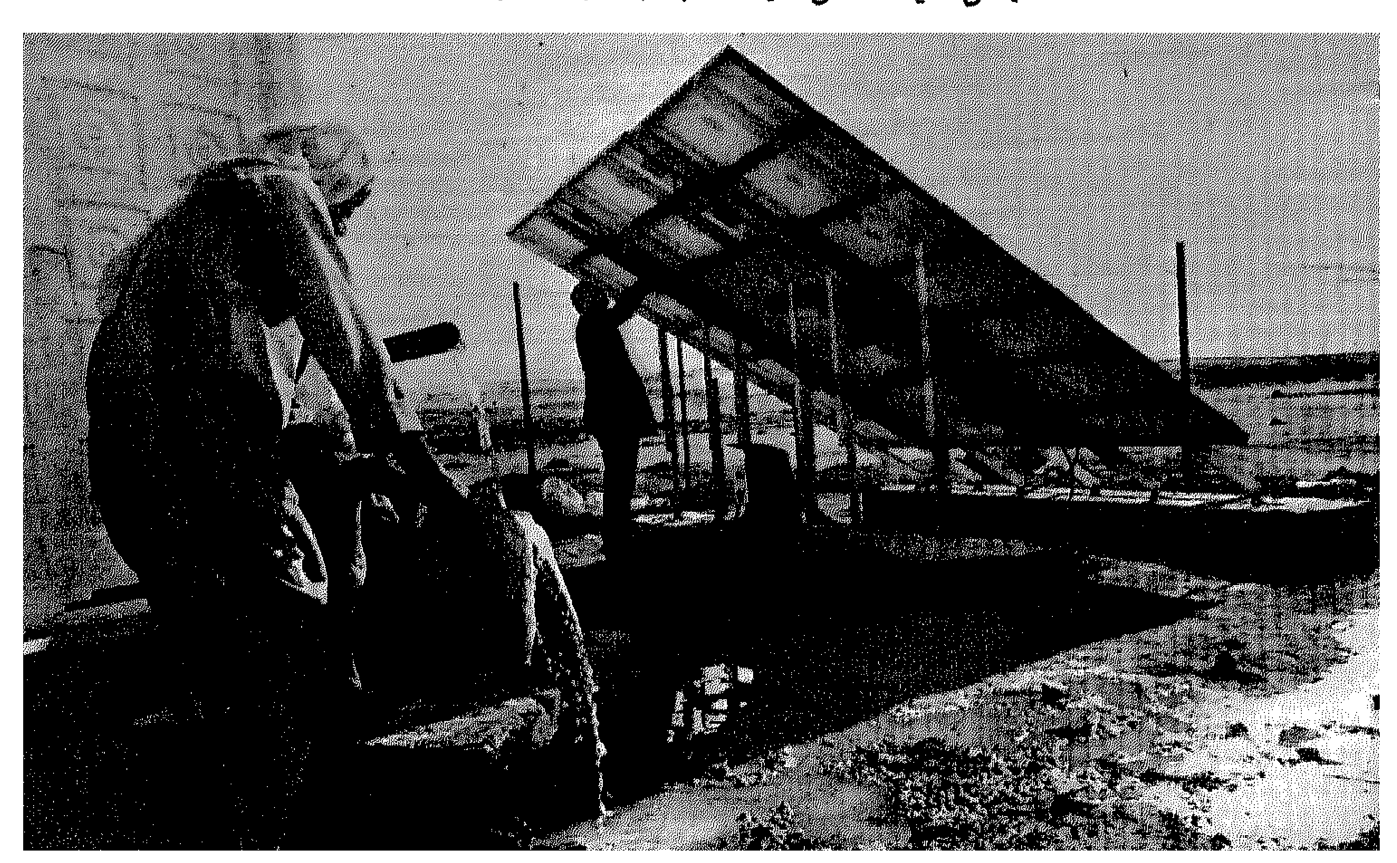
بتصريح خاص ، ويفطن الكثيرون للخطر بعد حرب ١٩٤٨ وحرب ١٩٥٦ ، ويطالبون بتعمير سيناء كعمل استراتيجى بالغ الخطورة ولكى لاتترك اطراف مصر فراغا ومرتعا فالحدود الآمنة هى الحدود البشرية الكثيفة الصلبة ، وتمر الأيام ولايتحقق سوى القليل .

وقد اثارت زيارة البردويل ذكريات سوداء قديمة ، عندما وجدت نفسى امام هذا التقصير فى احد الايام التى اعقبت حرب عام ١٩٦٧ .

وسارعت الى السفر الى بورسعيد والتقيت هناك بعدد من الشباب المتطوع ، وعدد من القيادات مازلت اذكر منهم السيد عبد الفتاح ابو الفضل والمهندس عاطف زيد ، وعددا من الاطباء المتطوعين ، وكان الجميع ينتظرون هجوم اسرائيل على بورسعيد وقد ساهموا فى معركة رأس العش التى اوقفت تقدم القوات الاسرائيلية الى بور فؤاد وبدأت اقامة شبكة اتصالات مع اهالى سيناء قبل احكام السيطرة الاسرائيلية على الأرض المحتلة ، وكان هدفهم مساعدة فلول الجيش المنسحب فى الخروج من ارض التيه ، واقاموا مركزا متقدما على بحيرة البردويل ، يقدم فيه الاطباء الاسعافات الأولية لاولئك الذين ارهقهم العطش فى الصحراء ، وادمى اقدامهم السير لمسافات طويلة ، وبعدها ينقلون بزوارق الصيد الى بورسعيد ، وبمساعدة بدو سيناء وصيادى البردويل ، وقدم البدو اعمالا بطولية ، ودهش الاطباء من ارتفاع نسبة الامراض فى بدو سيناء بسبب سوء التغذية .

وشعرت بعمق التقدير والعرفان نحو هؤلاء البدو الذين وقفوا مع الوطن فى محنته رغم تقصير ابناء الوادى فى حقهم ايام عزهم .

الطاقة الشمسية هى المستقبل ، ومهما زادت التكاليف ، فهى قليلة فى الزمن البعيد ، وتتجنب التلوث





بيت الشعر وبيت المسلح .. ومابينهما

السوق

لقد تركزت تجمعات السكان حول بئر او خدمة طريق ، وحول الواحات القليلة المتناثرة على الطريق ، تتزايد التجمعات السكانية كلما اتجهنا شرقا ، ينصبون خيامهم حينما يوجد مرعى لقطعانهم ، وهؤلاء البدو يجيدون التعامل مع الطبيعة القاسية ، يعرفون الدروب بالنجوم وحركتها وذوو خبرة فى تقصى الأثر ، يعرفون الوقت بلا ساعة ، ويرصدون هبوط الامطار دون ارصاد جوية ، ويعرفون اتجاه الريح ، ومازالوا يعيشون بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة .

وتشغلنى دائما ظاهرة لافتة للنظر ، وهى ان السكان الذين يقطنون فى اطراف مصر وعلى حدودها ، يديرون وجوههم الى خارج الوادى ، « اولاد على » على حدود مصر الغربية والبشارية والعبابدة على حدود مصر الجنوبية ، وبدو سيناء ليسوا بعيدين عن هذه الظاهرة فتمتد عشائرهم الى الاردن والجزيرة العربية . صحيح ان كل هذه القبائل تمتد متخطية خط الحدود ، ولكن الصحيح ايضا انه فى الوادى اكثر المجتمعات استمرارا وتأثيرا .

وظنى ان ذلك يعود الى عدم تفهم الوادى لهم ، وغياب اى مراكز حضارية

كبيرة ومؤثرة خارج الوادى ، ولعل مدينة العريش تقوم بهذا الدور وهى المؤهلة له ، وخاصة بعد ان بدأت فيها كلية للبيئة ، ومع حركة العمران الواسعة التى تشهدها ولايكفى ان ميزانية الثقافة فى كل سيناء لاتتجاوز ٦٠ الف جنيه ، فالدور الثقافى ليس مجرد قصائد حماسية او اعمال تشكيلية انما المساهمة فى خلق نسيج ثقافى وحضارى متماسك ويساهم فى خلق هذا النسيج الثقافى الواحد ، الاهتمام ومتابعة المجالس المحلية المنتخبة ، وبذل الجهد الكبير فى انجاح هذه المجالس التى تؤثر فى حياة الاهالى بدلا من مجرد تبادل المصالح ، وهذه المجالس هى المؤهلة لكى تكون حلقة الوصل بين الادارة والاهالى .

وفى سنة ٢٠٠٠ سنحاسب لا على ماقمنا به ولكن على ما لم نقم به ، وحان الوقت للحفارات التى تعمل والجرارات التى تدور ، والمبانى التى تقوم ان تكون كلها جزءا من خطة شاملة تقوم على فكر اصيل ونظرة مستقبلية . لكى تتحول هذه الاندفاعة التى نراها الى حركة مخططة واهداف محددة . فمازالت سيناء تشكو من اهمال الوادى !!



حوار بين ثلاثة معارض

جاء افتتاح مجمع الفنون الجميلة بالزمالك ، في نوفمبر الماضي ، إعلانا حقيقيا عن بداية الموسم التشكيلي ، وقدم سلسلة مختارة من المعارض رفيعة المستوى ، جمعت بين كبار الفنانين المصريين والأجانب ، وجعلت من أماكن العرض ساحات للحوار بين ابداعات متمايزة ومتميزة ولاشك أن تقديم تلك العروض المقارنة بين ابداعات مصرية وأجنبية ، بتلك البراعة .. أمر صعب ، والأصعب أن يتم عبر شبكة « البيروقراطية » المعطلة - بطبيعتها - لأى تقدم .

لقد قدم المجمع خلال شهرى نوفمبر وديسمبر ستة من المعارض الهامة هي : معرض الفنان الفرنسي (الهولندى الاصل) « كورني » ومعرض الفنان المصرى الراحل « فؤاد كامل » ومعرض فناني « شتوتجارت » للفن الحركي البنائي . ومعرض الفنان النمساوى جوزيف ميكيل . كما قدم معرضا للفنان الكبير « منير كنعان » والفنان « عبدالله صبره » .. أما في قاعة المركز المصرى للتعاون الثقافي الدولي فقد عرضت الفنانة « منى زعلوك » - المقيمة حاليا في باريس - آخر أعمالها ، وهو معرض يستحق وقفة تامل ، وقدّم أتيليه القاهرة بعد فترة من الاضطراب في عروضه ، أفضل معارض موسمه ، حتى الآن ، للفنان « جميل شفيق »

• جميل شفيق .. والنحت المصرى القديم •

أقام الفنان « جميل شفيق » ـ ٥١ عاما ـ معرضه الأول بأتيليه القاهرة ، فى مجال الرسم بالحبر الصينى ، فقد أقام معرضه الأول ، والمفاجىء ، بعد انقطاع استمر منذ تخرجه فى كلية الفنون الجميلة .. لم يحرص خلال تلك الفترة على الاشتراك فى معارض خاصة ، بل منح نفسه للعمل الصحفى رساما ومصمما ، لذا اختار لمعرضه الأداة والمجال الذى أتقنه .

إن المتلقى يستطيع ، على الفور ، اكتشاف خطوط الاتصال بين الرسوم المعروضة وملامح المنحوتات الفرعونية ، فقد بدت رسومه أقرب إلى النحت البارز ، وجعله هذا يميل إلى إغفال التفاصيل والاهتمام بما يحفل به النحت المصرى القديم من كتل نقية ، فظهرت الوجوه بلا ملامح ، أو بعين واحدة ..

وكما أسقط من حسابه التفاصيل واكتفى بالقليل من العناصر .. احتلت « السمكة » البطولة فى لوحاته ، وهى تارة تتجلى رمزا للخصوبة ، وتارة تبدو مجرد « غذاء » للانسان والحيوان .. خاصة « القط » .

إن عالم لوحاته بسيط ، ومتفائل ، وهادىء ، يحتفل بالكليات وبالبناء والضوء الثابت ، وتكشف لوحاته أيضا عن نوايا « تطبيقية » وفى كثير من لوحاته مايصلح للتنفيذ الجدارى والميداليات التذكارية .

لوحة للفنان : جميل شفيق





• كورنى .. وأغنياته البريئة •

أقيم معرضه بالقاعة رقم (١) بالمجمع ، وضم لوحات متوسطة الحجم ، ومطبوعة بالشاشة الحريرية ، وهو أحد جماعة (الكوبرا) التى تكونت بعد الحرب العالمية الثانية ، من بين شعراء وفنانين تشكيليين .. بلجيكيين ودانماركيين وهولنديين . وإسم « الكوبرا » ليس وصفا للثعبان الشهير ولارمزا له .. بل على حد تعبير « كورنى نفسه » اسم بلا معنى ولا

تصوير: للفنان كورنى

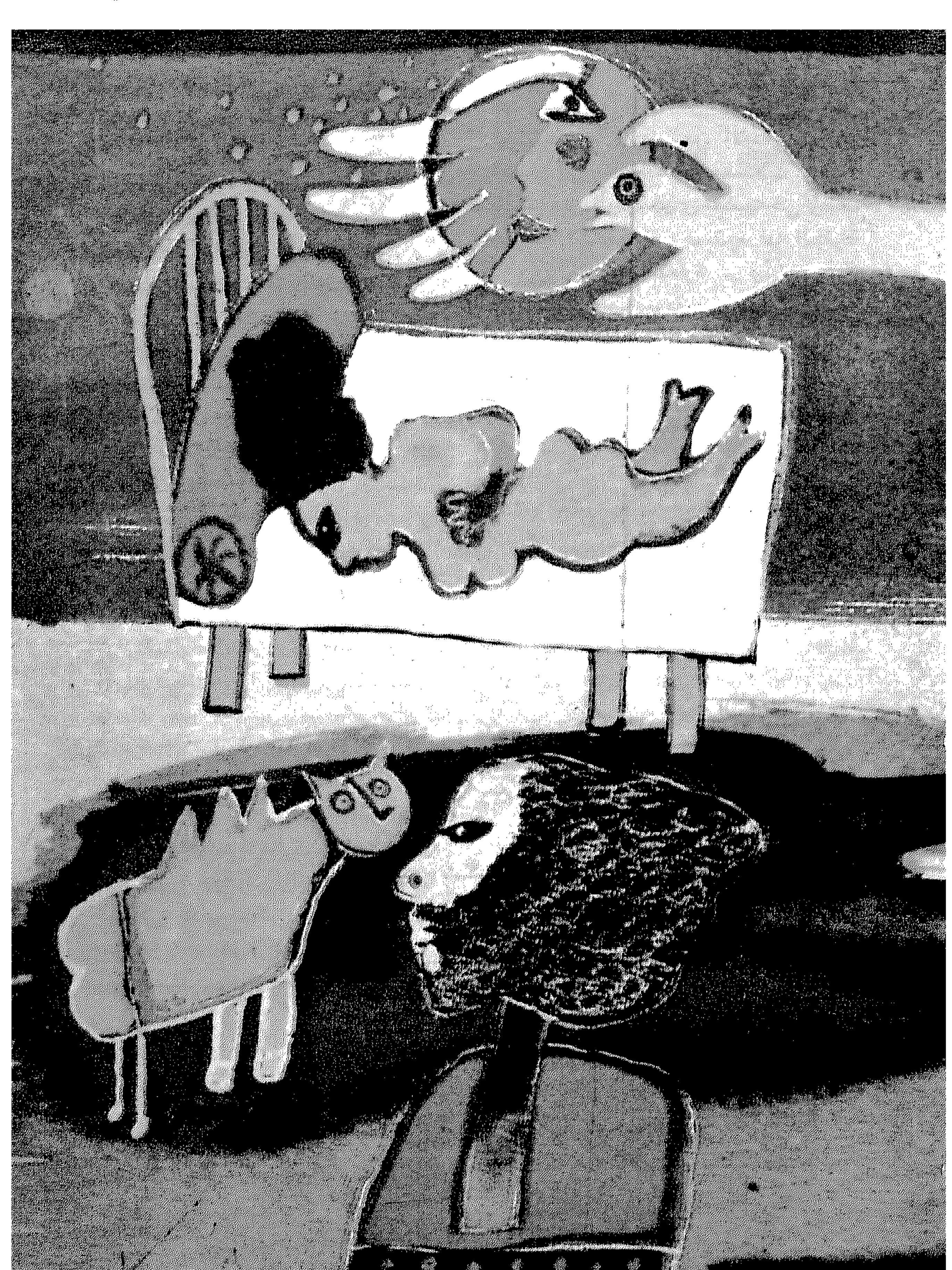


رمز . مجرد اسم اشتق من الأحرف الأولى للعواصم الأولى الآتية : « كو ـ بنهاجن ، بر ـ وكسيل ، أ ـ مستردام » ! وانضم إليها فنانون من المانيا وتشيكوسلوفاكيا والولايات المتحدة ، وسعت إلى مباركة فنانين ذوى شهرة عالمية امثال « جياكومتى » .. ورغم ذلك لم تصمد اكثر من ثلاث سنوات تبددت بعدها .. (من ١٩٤٨ حتى ١٩٥٠) اما سيرة « كورنى » قبل « الكوبرا » وبعدها فيمكن تلخيصها فى الآتى :

ولد عام ١٩٢٢ فى « بلجيكا » من اسرة هولندية . درس الرسم والجرافيك فى الاكاديمية الملكية الهولندية بامستردام بين الاعوام : ١٩٤٠ ـ ١٩٤٣ ، واقام معرضه الأول عام ١٩٤٦ ، ثم جاءت جماعة « الكوبرا » وبعد تفككها قام برحلات متعددة إلى المغرب وافريقيا الوسطى وجزر مايوركا وأمريكا الشمالية والجنوبية . اقام منذ عام ١٩٥٠ إقامة دائمة فى مدينة باريس .. وهو يقيم معرضا سنويا ـ تقريبا ـ منذ معرضه الأول حتى الآن !

وقد أجاب « كورنى » على تساؤل لى عن الأساس النظرى والفكرى لجماعة « الكوبرا » بما معناه انها جاءت لتواجه ثلاثة أعداء : العدو الأول هو الحرب وما أحدثته من بشاعات مادية وروحية فى الانسان . ثانيها : ضد الفن الذهنى والرياضى والذى يتبدى فى لوحات « موندريان » حيث يتلاشى العنصر الانسانى ، وفى نفس الوقت ضد الفن الذى يُظهر الانسان مقهورا . دميما .

حلم للفنان : كورني





ثالثها : ضد المؤسسات والأحزاب وطابعها الدعائى .. وكان سلاحها فى تلك الحرب هو الدعوة إلى البراءة . العودة إلى الطفولة . الفطرية . البهيجة . وعندما سُئل عن المشابهة بين فنه وبعض جوانب فن « ميرو » نفى ذلك وأجاب بأن طفولة « ميرو » و « بول كلى » طفولة فيها تصنع ، وهى طفولة خائفة .. بينما الطفولة التى ندعو إليها هى الطفولة المرحة البهيجة . وعندما سُئل : هل من الممكن أن نظل ابرياء ، أطفالا ، فى زمن الاجتياح ؟ .. أجاب إجابة طريفة : إذا لم يكن بمقدورنا أن نبدأ من عالم الطفولة فهل الأصح هو أن نبدأ من عالم الشيخوخة ؟!

وعندما سُئل عن رأى النقاد فى فنه وفى فن جماعة « الكوبرا » أجاب بأنهم ، كالعادة غير راضين عن شىء .. أما الجمهور .. فهم يقدرونه بدليل أنه يحيا من فنه حياة كريمة !

ومهما كان الرأى فى فلسفة تلك الجماعة ، فقد شاركت فى طوفان الاساليب الفنية فى التعبير عن المناخ النفسى الذى خلقته حربان طاحنتان بسلاح واحد هو : البراءة !

● عن المعرض ●

ضم المعرض مستنسخات مطبوعة بواسطة الشاشة الحريرية ، بدرجة عالية من الاتقان ، وقد علق « كورنى » على اختياره نوعا واحدا من الابداع .. بأنه اضطر إلى ذلك لتفادى مشكلات النقل . وللحق فإن الوقت الذى نقضيه فى رحاب معرضه لاشك ممتع ، فستجد فيه الطفولة – وإن كانت مستعارة – وستجد فيه التلقائية – المحسوبة رغم ذلك – وتألق الصراحة اللونية ، وحيوية اللمسات . وهو يقنع بعالم الطفولة فى سنواتها الأولى .. حيث لا ترابط فى وحدة المكان أو وحدة التكوين . ويترك لروح الشعر الكامنة فى اللوحات أن تقوم بهذا الدور .

إن طائره العجيب . المسيطر على مجمل لوحات المعرض .. هو لحنه الأساسى .. الذى يوحد بين مايتبدى فى اللوحات من شتات طفولى . كذلك يلعب الخط المتموج ، والاقواس .. دورا رئيسيا آخر فى توحيد طابع نغمى . بصرى .. وتأتى الالوان الصريحة لتسهم اسهاما فعالا فى هذا الدفء ، وفى تشكيل عالم خاص ، مصاغ بعين الرضا ، فى مواجهة عالم حقيقى شرس ، وقد لاتفلح هذه النظرة الباسمة فى مواجهة حقيقية .. ومع ذلك فإنها على الأقل تمنحنا الأمل فى القدرة على ذلك !

.. ومع ذلك فإننى أرى أن ابداع « كورنى » قد تأصل فى المدرسة الفرنسية بشكل خاص .. بما تتميز به من أناقة ورقة وبهجة وإقبال على الحياة .

●●●●

• معرض اتجاهات الحركة البنائية .. لفنانى شتوتجارت •

اما هذا المعرض والذى أقيم بقاعتى « ٢ » و « ٣ » فجاء مناقضا لكورنى ، وفؤاد كامل معا ، فإذا كان اسلوب كل منهما مشبعا بالعواطف والتلقائية ، فإن المعرض الثالث يرتكز على أساس العقل وتجلياته فى الرياضة والهندسة المعمارية ، والحركة المبرمجة ، وأناقة المعادن البراقة ، والمصنوعة ، والانشاءات المبهرة التى لاهدف لها إلا الجمال . ولقد جيء بهذا اللون من الوان الفن التشكيلى إلى مصر فى أواخر الستينات ، وأقيم له معرض تحت عنوان الفن الحركى ، وفى حين اقتصر المعرض الحديث - كما هو واضح فى العنوان - على الحركة . الهندسية . المعمارية . فقد اشتمل المعرض السابق على نوع آخر من الحركة وهو « الحركة العضوية » المستلهمة من كيانات حية حيث جاءت حركاتها أقرب إلى حركة التنفس .. إلى غير ذلك من الايماءات العضوية لكن على الرغم من اختفاء البوح العاطفى المباشر ، واختفاء الانسان بهيئته المألوفة .. فإننا نلتقى بأشعار جديدة . مرئية ذات كتل نقية . وملامس مصقولة .. حتى من يرد أن يكتشف إيماءات إنسانية ، أو أصولا فى الواقع فسيجد بغير عناء . فمن من المشاهدين لايستطيع اكتشاف البعد الموضوعى المباشر لمجموعة « ماكس شميتس » التى تشبه إلى حد بعيد جماعة أو مجموعة من الموسيقيين ؟ .. غير أن الفنان لايكتفى بهذا البعد الوصفى بل يريد لنا أن نعيش لحنا ، تتوحد فيه الآلة والعازف واللحن ..

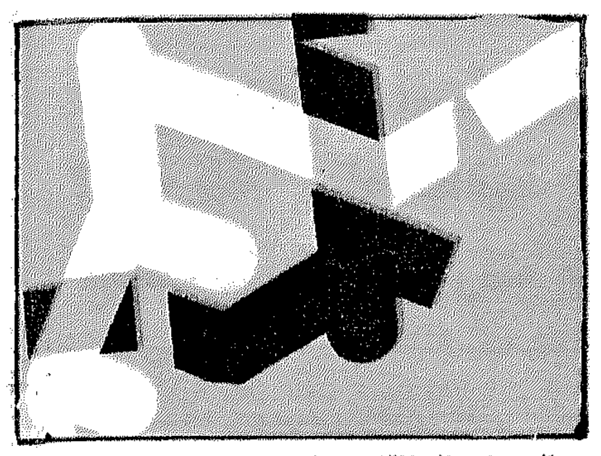
ويطمع فيما هو أكثر بالطرق على وجدان وذاكرة المشاهد .. يستنهض من كل ذات لحنها الخاص . أليس فى هذا عودة إلى الشعر ، والوجدان ، والعواطف .. لكن بطرق مغايرة لما اختاره « كورنى » و « فؤاد كامل » ؟! .. لقد وضعنا « ماكس شميتس » أمام شفرة يسهل فضها . فأعطى لكل شكل فى فرقته الموسيقية اسما وظيفيا ، يسهم مع بقية الاسماء فى ميلاد اللحن .

أعطى لعازفيه التسعة تلك الاسماء : رأسى . فى الركن - الايقاع - ديناميكى - متماسك - أفقى - لولب - اختراق - ستاتيكى .

أما أكبر العارضين سنا وهو الفنان « شتانكوفسكى » فقد قدم مجموعة بديعة من رسومه الهندسية والملونة بألوان الاكليريك ، ومن اجمل لوحاته لوحة بعنوان « أشياء » لوحة مربعة ، مقسمة إلى مربعات متساوية ، يشكلها بأشكال هندسية مغايرة تتكامل وتشكل فيما بينها نغمة لحنية أخرى .. يتجاوز بها حدود المربعات المتجاورة ، ويشكل من « الحركة النمطية » للمربعات و « الحركة المتجاوزة » لها لحنا بصريا ممتعا .

إن « ماكس شميتس » و « انطون شتانكوفسكى » مجرد نموذجين من عشرة نماذج وكلهم يستحقون وقفة متأملة ومتأنية ، وربما الذى دفعنى إلى





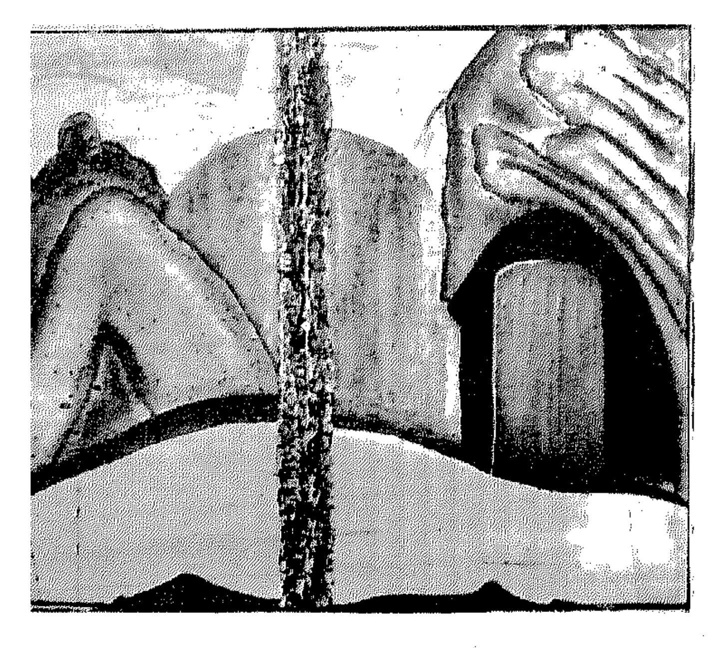
الرموز والعلاقات للفنان : هوست كونرت

اختيارهما ، ليس فقط الاعجاب بما قدماه ، أو لأنهما يقدمان مايختلفان به اختلافا عميقا مع « فؤاد كامل » « وكورني » ..

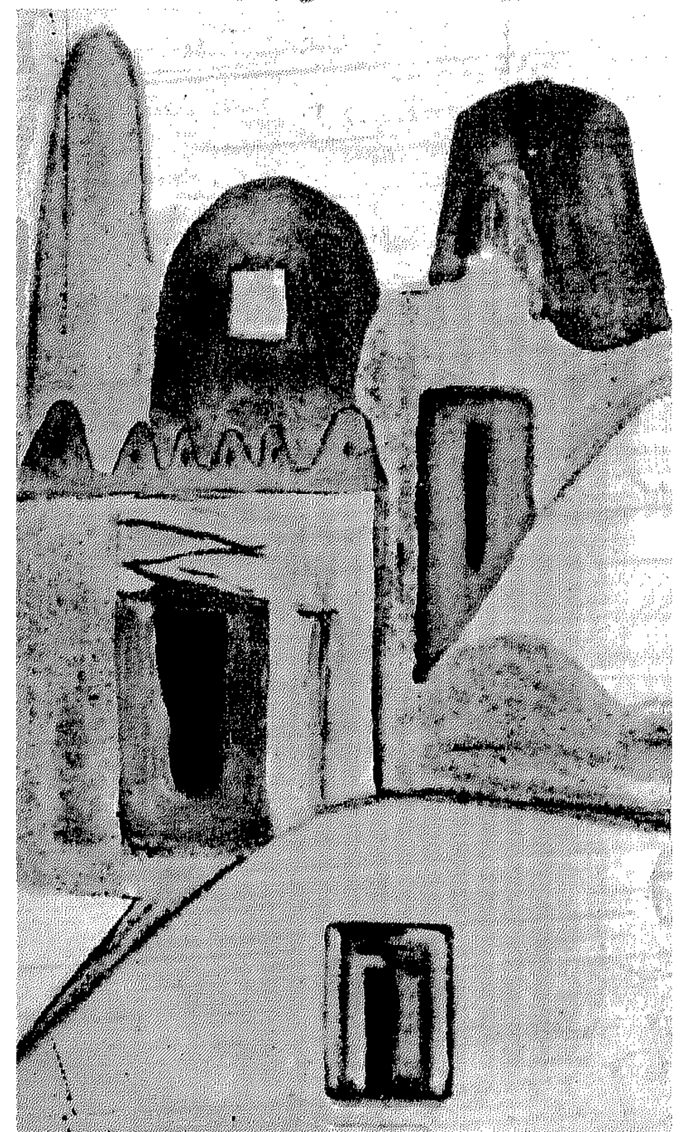
ولكنني اخترتهما لاسباب لاتخلو من دوافع شخصية ، فأولهما دارس لعلم المصريات وتاريخ الفن والفلسفة بجامعة ميونخ ، والآخر ناقد فني !

اشياء .. للفنان شتانلوفسكي

● منى زعلوك .. والعمارة الفطرية ●



العمارة الفطرية .. للفنانة : منى زعلوك



اقيم بالمركز المصرى للتعاون المصرى الثقافى الدولى معرض للفنانة « منى زعلوك » المقيمة حاليا بباريس وتطالعنا كل بضعة أعوام بمعرض جديد لها . إن اللافت للنظر أن موضوعها المفضل ـ سواء عندما كانت فى مصر أو باريس الآن ـ هو العمارة الفطرية ، التى تجمع ملامحها من بيوت القرية المصرية ، والضوء الاستوائى ، واللون الافريقى ، وشيئا من المذاق الجوجانى . وعمارتها تبدو للوهلة الأولى خالية من البشر .. لكن ماتكاد تتجول ببصرك فيها .. حتى تكتشف أن أبوابها وجوه تطالعك فى صمت مبهم ، وخطوطها القوسية . اللينة . تذكرك بكيانات انثوية انسانية .. غير انها لاتتركك لاسترسال الخطوط اللينة ، بل تفاجئك بخطوط رأسية .. خشنة . وحاسمة كما تفاجئك بضوئها الاستوائى المعترض لمساحات أشكال البيوت . وهى تلغى التجسيم .. ثلاثى الأبعاد ، دون أن تسقط من حساباتها الايحاء به ، لأنها لاتريد لنا أن نتوقف عند البعد الوصفى . الوظيفى . لعمائرها .. بل أن نتوقف عند حوار الأضداد :

الضوء الباهر ومساحات الأشكال الداكنة ـ الخطوط اللينة والخطوط العمودية أو المعترضة فى مواضع غير متوقعة ـ الملامس الخشنة والملابس الرقيقة . الخطوط العفوية الفطرية .



والخطوط ذات الطابع الهندسي . مع الاحتفاظ بجرأة لاتخطئها العين .. فى لمسات الفرشاة .

الجديد فى معرضها هذا هو القراءة الشعرية التى قدمتها الشاعرة الفرنسية « جنيفييف كلانسي » لأعمال « منى زعلوك » فى نص مطبوع وزع على زوار المعرض ، كما القته الشاعرة فى حفل خاص أقامه المستشار الثقافى .. وأحب ان أحيط القارىء بمقطع صغير من قصيدتها الطويلة ..

تقول :

الصمت العميق علق على الابواب ..
ينادى الصحراء !
ويبتهل إلى الظلال ..
ان تكشف النور .. للجراح والجذور .
وينادى بلاد الضوء المتالق .. والأبدية
ذات المعابد العذراء .

● تكريم فؤاد كامل ●

أقيم فى القاعة رقم « ٤ » معرض للفنان الكبير الراحل « فؤاد كامل » بمناسبة مرور سبعين عاما على ميلاده ، ويشبه « كورنى » فى كونهما قد شاركا فى تأسيس جماعة فنية ، وقد شارك « فؤاد كامل » فى تأسيس اكثر الجماعات المصرية تأثيرا وهى جماعة « الفن والحرية » كما ينتميان لجيل واحد ، وشغلتهما أحداث الحرب .. وفى الوقت الذى انتمى فيه « كورنى » إلى الجناح المتفائل ، انتمى « فؤاد كامل » إلى جناح السيريالية المتشائم .. لكن لم تلبث الجماعة أن انصرفت عنه ، بعد أن فجعت فى قائدها الشاعر « أندريه بريتون » بعد أن أيد حملة بيع أعمال فنية من أجل إقامة دولة صهيونية فى فلسطين . انصرف « فؤاد كامل » إلى اسلوبه الذى تألق به ، بعد تأثره بالفنان الامريكى « جاكسون بولوك » لهذا نجد بعض المشابهات القشرية بينهما ، وأقول قشرية عمدا ، إذ أن العالم الذى يقدمه « فؤاد كامل » له مذاق خاص . روحى . أحب الا افسد على القارىء الطريق إليه .. بل أترك « فؤاد كامل » يقدم لنا عالمه الخاص بكلماته العميقة . الصادقة . الشعرية .

يقول :

أجل ، إن صورى مهما كبر أو ضؤل حجمها ، عشق وعجب ومغامرة .
اتخطى بها عالم المرئيات ،
وأفصل مادة الفن عن صورته ،
كيما اقيم فوقها الشكل المطلق ..
استكشف به عالم المجهول ،
يتراءى لى
وأنا أول من أدهش له

وعندما أخلع نقاب الزركشة وأحطم اليقين الرياضى والبناء الهندسى ، أجد نفسى واجما أمام قدر متربص وكون صامت ، لكنى أقترب من سرداب مطمورة كامنة فى الأغوار البعيدة ، من قوى طاردة عاملة على التشعب والتناثر ، ومن قوى جاذبة عاملة على التلاقى والتجمع .



الفنان فؤاد كامل فى حالة الرسم

ذلك الصراع بين الذات الحرة والعالم
الخارجى ، يتولد منه نسيج لوحاتى
نسيج النفس واشتهاءاتها
نسيج المجرات والفضاء المزدهر
بالنجوم ، والتعرجات عندما تتقمص بذرة
الحياة الأولى
وتبعث الدفء والنور فى شظايا الصخور
البلورية
فى حبيبات الرمل والطين
فى رذاذ المطر
فى عروق الرخام وجذوع الجميز والسنط
فى أرض مصر التى سعفتها رياح الصيف
وفى شواطئها التى صفقت بصخورها
رياح الشتاء فى الجرانيت المكسو بطمى
النيل ، فى حجارة المآذن القديمة ونقوش
القباب التى يزحف عليها لون كامد أغبر ،
فى حواشى البرونز التى تكسو الابواب
الخشبية العتيقة ، فى غدير النور ، فى
طائر الرمال ، فى شجرة اللهب ، فى زهرة
الصخر ، فى سعفة الرماد .. وكأنما تجتاز
ممرا سحريا تختفى فيه خطوط الارض
والافق إلى الابد . وقد يختفى الضوء
أيضا ، فيختفى معه الشكل وظله تماما .
وأصل إلى مايشبه المأزق ، لا أبرح أن
أستلهم من القوة والعنف ، ومن الهدوء
والارتخاء من ثنايا تبدلات الاشكال ، بل
انتفاضاتها ، شيئا ما يفجر الطاقة الراقدة
فيها ...

نظرة طائرة على

بدا مهرجان القاهرة السينمائي الثالث عشر بداية متواضعة كل التواضع ، غريبة كل الغرابة .

فلقد استهل عروضه ليلة الافتتاح بدار سينما مترو لا بفيلم من افلام الافتتاح الضخم مثل (الطريق الى الهند) و (الارنب روجرز) ، وانما بفيلم قصير اقرب الى التسجيلى منه الى الروائي ، لم يمكث عرضه سوى دقائق معدودات وفوق هذا له من العمر خمسة وسبعون عاما او يزيد .

فما هو هذا الفيلم القصير ، القديم الذى اجنح بمهرجان القاهرة الى الخروج الاكيد عن التقاليد ؟


نجوم الامريكى العجوز


المغنية التى اسقطت حكومة المحافظين

مهرجان السينما بالقاهرة

بقلم :
مصطفى درويش



الأنيق المعدم لحظة تحول

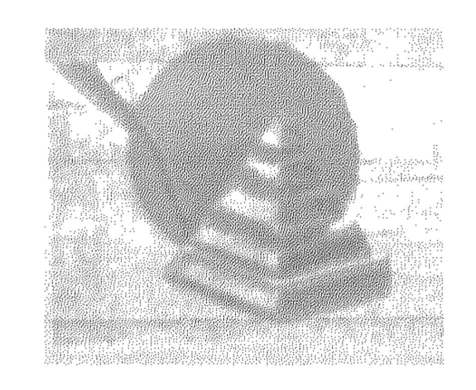
● انه « سباق عربات الصغار في فينيس » ، ذلك الفيلم الذى جرى تصويره في احدى الضواحي « لوس انجلس » .

وهو ثانى فيلم يمثله شارلى شابلن ، واول فيلم يظهر فيه مرتديا زى المتشرد الخالد .. السروال المنتفخ ، السترة الضيقة ، الحذاء الضخم المترهل ، القبعة الصغيرة المستديرة ، العصا الخيزران الملتوية، فضلا عن الشارب الاسود القصير الوقور .

وسباق السيارات هذا ، انما كان سباقا حقيقيا توجه اليه شارلى شابلن مع المصور « هنرى لهرمان » استجابة منهما لأمر صادر اليهما من « ماك سينيت » صاحب « ستديو كيستون » باستغلال هذا الحدث وعمل فيلم سريع منه . يتيح للاستديو فرصة تنفيذ التزامه بتسليم دور العرض كل اسبوع ثلاثة افلام من بكرة واحدة لا تزيد .

ومما يميز فيلم الافتتاح الذى صور السباق المشار إليه عن غيره من الافلام ، هو ان اشهر شخصية سينمائية ابتدعها خيال الانسان قد بدأت مشوارها به .

وبدأته واقعيا فى سباق حقيقى ، وليس فى عالم مصنوع قوامه الايهام فالمتشرد الخالد ذلك الكائن الذى من صنع الخيال ، انما يظهر بلحمه ودمه لأول مرة وسط جماهير حقيقية



مقتحما سباقها ، مسجلا ذلك الاقتحام على فيلم ، لينتقل فور ذلك ، والى الأبد ، فيما يعده من أفلام الى عالم الاطياف القائم على محض الخيال ·

ولعلها المرة الأولى والوحيدة فى تاريخ السينما التى نشاهد فيها كيف أصبح جمهور نظارة اثناء حدث عام شاهدا ومكتشفا لميلاد اسطورة

وغني عن البيان ان اختيار ذلك الفيلم الفريد كي يكون فيلم الافتتاح، انما يرجع الى جنوح المهرجان الى تكريم شارلى شابلن بمناسبة احتفال العالم بميلاده قبل مائة عام · وبالتحديد في الخامس عشر من شهر ابريل لعام ١٨٨٩ ·

ولم يكتف المهرجان بتكريم شابلن المتشرد الخالد ، بل كرم الى جانبه ممثلنا ومخرجنا « نجيب الريحانى » ، وكذلك كلا من المخرج البولندى « كافالوروفيتش » صاحب فيلم « فرعون » الذى شارك فيه مخرجنا الراحل « شادى عبد السلام » بالديكور ، والمخرجة التشيكوسلوفاكية « فيراشتيلوفا » والمخرج الفرنسى « رينيه كليمان » والمخرج الاسبانى « جوزيه لويس بوراى » والمخرج الامريكي « بوب رافلسن » الذى شارك في المهرجان بثلاثة من افلامه اخرها « ساعي البريد يقرع الجرس دائما مرتين » (١٩٨١) تمثيل « جاك نيكلسون » و « جيسيكا لانج » و « انجيليكا هوستون » ابنة المخرج الراحل « جون هوستون » ·

ومن ضمن ما ابتدعه المهرجان تكريم النجمتين الايطاليتين الساحرتين « ستيفانيا ساندرلى » و « كلاوديا كاردينالى » ·

فضلا عن اقامة عرض بانورامي للسينما الافريقية ، وذلك بمناسبة انتخاب حسني مبارك رئيسا لمنظمة الوحدة الافريقية ·

وعرض للسينما التونسية منذ البداية والى هذه الساعة ·

وفوق كل هذا عرض للافلام التى من ابداع نساء مخرجات ·

وكما هو الحال فى العامين السابقين ، كان للسينما الامريكية نصيب الاسد من الحضور والاقبال والاهتمام ·

ولو فكرنا تفكيرا هادئا فى افلام المهرجان ، لانتهى بنا الأمر الى القول بان اهمها انما يعرض لمحنة المرأة من خلال العلاقات المشوهة المفروضة عليها باعتبارها سلعة تباع وتشترى

وهنا ، وقبل تناول هذه الظاهرة بالكلام ، أرى من المناسب أن اذكر أن السينما العربية ، انما تأخذ بخناقها أزمة ابداع حادة ، وأية ذلك انها لم تستطع أن تتقدم لعروض المهرجان الرسمية بفيلم يرقى الى المستوى اللائق بحضارة لها من العمر الاف السنين ·

واستثنى من هذا الغم فيلما واحدا الا وهو « سمع ·· هس » رائعة المخرج المصرى الواعد « شريف عرفة » ·

ومن عجب أنه فى الوقت الذى لم تتميز فيه السينما العربية خارج مصر باى فيلم ، تميزت السينما الافريقية الشابة بفيلمين احدهما « الاختيار » للمخرج « ادريس اودراجو » الذى اثار ضجة كبرى بفيلمه الاخير « بابا » (١٩٨٩) ، وهو من مواطنى بوركينا فاسو ·

اما الفيلم الثانى « الضوء » فصاحبه المخرج المالى « سليمان سيس » ·

ولعله أول فيلم من افريقيا السوداء يكتب له أن يفوز بجائزة لجنة تحكيم مهرجان كان (١٩٨٨) . وقصته تدور حول الصراع بين القديم والجديد من خلال عرض يكاد يكون تسجيليا للطقوس والتقاليد .

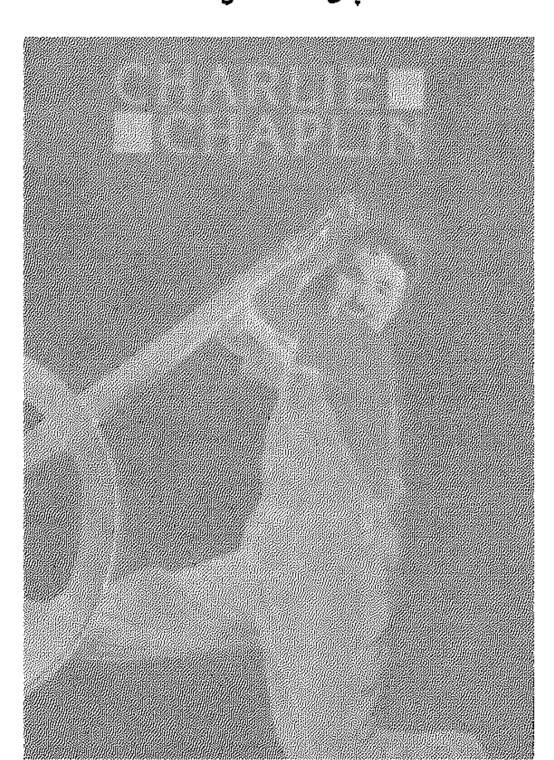
● سينما الملايين

ومرة أخرى ، وقبل الكلام عن الافلام التى تعرض لمحنة المرأة على مر العصور ، قد يكون من المفيد أن نشير اشارة عابرة الى خمسة اقلام ضخمة أنفق على انتاجها ملايين الدولارات وهى « فوق السطوح » ، و « الازرق العظيم » و « روزالين والاسود » و « الامريكى العجوز » و « ثورة » .

وأولها « فوق السطوح » للمخرج الامريكى « روبرت وايز » صاحب قصة « الحى الغربى » و « صوت الموسيقى » .

وموضوع الفيلم لا يعدو أن يكون تكرارا لقصة الحى الغربى المستوحاة من مأساة روميو وجولييت مع افتعال نهاية سعيدة .

شابلن .. متشرد خالد



ولو رايت « فوق السطوح » دون ان تكون على علم بان مبدعه مخرج مخضرم فى طريقه الى الخامسة والسبعين ، لذهب بك الظن الى ان الفيلم من صنع شاب فى مقتبل العمر . فهو عمل سينمائى موسيقى صاخب ، لاهث الإيقاع ، يشع حيوية وانطلاقا .

اما الفيلم « الازرق العظيم » فقد تركز عليه كثير من الترقب واللهفة ، لكثرة مديح الصحافة الفرنسية له ، ولافتتاح مهرجان كان (١٩٨٨) به . وهو من اخراج « لوك بيسون » .

هذا وقد تركز ترقب واهتمام المولعين بالسينما الفرنسية لا على « احذر يمينك » اخر فيلم يبدعه المخرج الرائد المجدد « جان لوك جودار » وانما على « روزالين والاسود » لصاحبه « جان جاك بينيكس » ذلك المخرج الشاب الذى بهر العالم بجرأة تناوله للموضوعات ، وحسه السينمائى العالى المستوى .

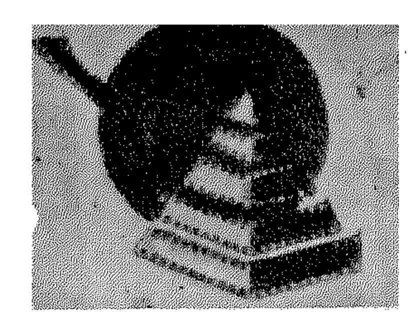
ولقد جاء فيلمه الرابع « روزالين » مخيبا لآمال المترقبين المهتمين لخلوه من اية مشاهد جنسية فاتحة للشهية ، هذا فضلا عن ان موضوعه لا يتصف بالجدة والابتكار .

ومع ذلك فهو يعتبر واحدا من اجمل افلام المهرجان لوصول حرفة السينما فيه الى ذروة عالية من البراعة ، وبخاصة فى مشاهد « روزالين » (ايزابيل باسكو) ، وهى داخل القفص تروض الاسود .

● رحلة غريبة

فاذا ما انتقلنا الى « الامريكى العجوز » فسنجد أنفسنا أمام فيلم طموح مستوحى من قصة الاديب المكسيكى المعاصر «كارلوس فوينتس» التى بنفس الاسم .

والامريكى العجوز هو « امبروز بيرس » الاديب والصحفى المعروف الذى امتطى حصانا ، وسافر به الى



المكسيك اثنـــاء ثورة « بانكوفيلا » (١٩١٤) حيث اختفى دون أن يترك اثرا ٠

و « فوينتس » فى روايته لماســا ذلك الاديب الذى ذهب الى المكسيك ولم يعد ، انما يعرض لها من خـــلال تخيل لحالته النفسية ، بالقيام برحلة داخل عقله الذى شك فى جدوى كل ما كتب ، وكل ما آمن به ، حتى انتهى به الأمر الى الظـــن بانه قد خـــان رسالته فى الحياة ٠

● الاجل المحتوم

فكان ان سافر وحيدا الى المكسيك التى كانت وقتذاك تموج بثورة رأى فيها انعكاسا لما كان يعتمل داخـــله من شد وجذب واضطراب ٠

وهناك فى صحبة عانس امريكية (جين فوندا) وثورى شاب (جيمس سميتس) يسترد الثقة بنفسه ، يجد لحياته معنى جديدا ، وذلك الى ان يجيئه الموت برصاصـــات تنطلق من غدارة هذا الشاب ٠

ولقد لعب « جريجورى بك » (٧٣ سنة) دور هذا الاديب الصـــحفى المتأزم نفسيا ، الباحث عن الذات ٠

ومن مزايا الفيلم تصـــويره فى أماكن احداث الثـــورة ، اى على ارض المكسيك ، بمجموعات حاشدة ، من المكسيكيين المقيمين جنوب نهـــر الريوجراند ، مما اسبغ عليه طابعا مكسيكيا أصيلا ، نجده مفتقدا فى الافلام الامريكية الاخرى التى عرضت لثورة المكسيك مثل « يحيا زاباتا » .

يبقى فيلم « ثورة » وهو عن الثورة الامريكية وأحداثها الجسام قبل مائتى عام ٠

ومخرجه هو « هيو هدسون » الذى سبق أن رأينـــا له « جرى ستوك » أحدث افلام طرزان و « عربات النار » الفائز بجـــائزة اوسكار احسن فيلم (١٩٨١) ٠

ولقد اختير لاداء الادوار الرئيسية فيه نجوم لامعـــة فى مقدمتهـــا « آل باشينو » و « دونالـــد سوذرلاند » و « ناستسيا كينسكى » و « جـوان بلاورايت » زوجة الفنـــان الراحل « لورانس اوليفييه » ٠

كما حشد لمشـــاهد المظـــاهرات والمعارك الحربية الزاخر بها مئـــات الكومبارس ، ممـــا أسبغ على تلك المشاهد واقعية ومصداقية اخاذة ٠

ومع ذلك فهو يعتبر كارثة فنية من البداية وحتى النهـــاية ولعل ضعف السيناريو هو الذى ادى الى عـــدم الارتقـــاء به الى المســـتوى اللائق بمخرجه وممثليه ٠

والان الى اهم الافلام التى عرضت للعـــلاقات التى تفســـد بين المراة والمجتمع ٠٠ أعود ٠٠

هى ثلاثة أفـــلام « المتهمـــة » و « العلاقات المخطرة » و « فضيحة »

● امتحان قاس

واولها يعرض لحادث اغتصـــاب فتاة عاملة فى مكان عام ، وعدم اخذ القضاء شهادتها مأخذ الجد ٠

ومن هنا اضطرار المحققة « كيللى ماكجيليس » الى اســـقاط تهمـــة الاغتصاب ، وبدلا منها توجيه تهمـــة تهديد الارواح والاموال الى الشبان الثلاثة المغتصبين ٠

وهذا ما اغضب الفتاة المغتصبة « جودى فوستر » ، وذلك لانها كانت تتوقع ان تنتصف لها العدالة اذا ما حكت ماساتها تفصيلا امام المحكمة ، وكانت ترى فى ذلك خير تعويض لها مما وقع على جسدها من اعتداء اثم مهين ٠

ولم يكن امام المحققة ، حتى تستطيع اعادة المحاكمة استجابة لرغبة المجنى عليها التى بدأت تتعاطف معها ، سوى حل وحيد ، هو توجيه الاتهام الى رواد المكان العام (وهو بار) الذين شاهدوا الاغتصاب ، وكأنهم متفرجون يستمتعون باستعراض حى مثير ·

● دغل الجنس

اما « العلاقات الخطرة » فهو عندى اكثر الافلام الامريكية جرأة وهو مستوحى من قصة الاديب الفرنسى « كودرلو دى لاكلو » (١٧٨٢) ، تلك القصة التى احدثت ضجة كبيرة عند نشرها قبل قيام الثورة الفرنسية بقليل ·

ومما يقال فى حقها ان الملكة « مارى انطوانيت » كانت تحتفظ بنسخة منها سرا ·

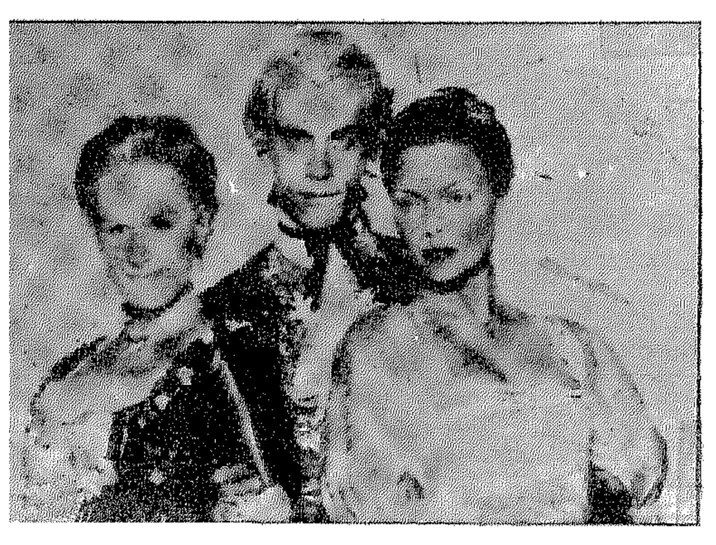
والفيلم الذى ابدعه المخرج الانجليزى « ستيفن فريزر » ليس ماخوذا مباشرة عن تلك القصة ، وانما من مسرحية مستوحاة منها الفها الاديب الانجليزى المعاصر « كريستوفر هامبتون » ·

وبطولة الفيلم يتقاسمها متآمران « الماركيزة دى ميرتى » (جين كلوز) أما المتآمر الاخر الكونت دى فالمونت (جون مالكوفيتش) ·

والفيلم يبدأ بهما يتآمران ·

فهى تطلب اليه باسم حبهما القديم أن يوقع الصغيرة العذراء « سيسيل دى فولانج » فى شباك الحب ، لا لسبب سوى انها فى سبيلها الى الزواج من الشاب الوجيه « المسيو دى باستيد » أحد عشاق الماركيزة المغيظة من انه على وشك الافلات من قبضتها التى لا تلين · ولكن « فالمون » اكثر طموحا ·

وسرعان مايتفق الاثنان ـ الماركيزة



العلاقات الخطرة .. فيلم خطر

والكونت ـ على لعبة مزدوجة جوهرها التآمر والخيانة والاغراء ·

● فضيحة القرن ●

يبقى فيلم « فضيحة » الذى يعرض لعلاقات الغانية « كريستين كيللر » مع « بروفومو » وزير حربية انجلترا فى حكومة المحافظين تحت رئاسة « هارولد ماكميلان » (١٩٦٤/٥٧) والملحق البحرى السوفييتى «ايفانوف» وغيرهما من الرجال ·

وكما هو معروف انتهت تلك العلاقات الاثمة باستقالة الوزير ، وبسقوط حكومة المحافظين ، وبانتحار « ستيفن وارد » (جون هيرت) رسول الغرام بين الغانية والوزير ، وبسجن « كيللر » عدة أعوام ·

ولو خيرت لاخترت « فضيحة » واحدا من احسن الافلام التى تناولت واقعة من واقعات التاريخ المعاصر · فهو اية فى الصدق والاتقان ، يروع بدقة البحث والاستقصاء ·

وعرضه للفضيحة وتصاعد احداثها ، انما يتصف بالفهم الواعى لماسى الغانيات ، باعتبارهن ضحايا علاقات مشوهة تقوم على استبداد القوى بالضعيف ·



العالم في سطور

أمستردام

□ فان جوخ : رجل عام ١٩٩٠

سيكون الفنان الهولندى فان جوخ هو احد أشهر الشخصيات فى عام ١٩٩٠ . ليس بالطبع بسبب إضطراد أرقام مبيعات لوحاته التى وصلت إحداها الى ستين مليون دولار . بل لأن كافة الاوساط الفنية ودور النشر واصحاب المعارض . يستعدون للاحتفال بالذكرى المئوية لوفاته ..

وايمانا بان فان جوخ هو أحد عباقرة الزمن فى الفن التشكيلى ، الذين جاءوا فى الزمن الخطأ ، حيث عاش فى فقر مدقع ، وبيعت لوحاته بأبخس الاثمان فى حياته . فان عشاق الفن التشكيلى الذى صنعه جوخ يرون ان الاحتفالات الضخمة التى ستقام بهذه المناسبة ليست سوى محاولة لتكريم الفنان الذى أثر ، بشكل واضح ، على كافة مدارس الفن التشكيلى المعاصر ..

لقد اشتهر فان جوخ بعشقه الشديد للعمل . فكان يرسم اللوحة تلو اللوحة فى شوق جارف .. وقد أثر هذا على عقله . فاصابه بجنون حاد فى اواخر ايامه ، وقد بدا هذا فى الرسالة التى تركها فى ملابسه عقب انتحاره فى عام ١٨٩٠ « فى عملى اخاطر بحياتى ، كاد يذوب عقلى بكامله » .

وفى الثلاث سنوات الاخيرة من حياة جوخ ، انجز العشرات من اللوحات التى تعتبر بمثابة قنابل موقوتة من الالوان المتناسقة . وقد عشق الضوء بشكل خرافى فصنع منه ملهاته ومأساته .. وقد عبر عن ذلك فى احدى رسائله الى اخيه ، والتى عثر عليها فى علم ١٩٣٧ حيث قال :

« ان الفن التشكيلى كما هو عليه الآن ، يعد بان يصبح اكثر دقة وبراعة . اكثر موسيقى واقل نحتا . وهو فن مجنون بالالوان » .

« اود ان ارسم رجالا ونساء بشىء ما ابدى ، كرمز هالة من الضوء تشع منها الالوان فى حالة متموجة »

فان جوخ

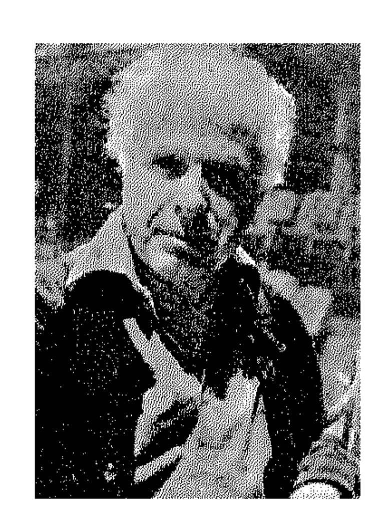


جوهانسبرج

□ ١٩٩٠ : عندما يعود السيد المسيح

عندما يصبح المسرح ضرورة . لاتعد هناك ضرورة ..

مثل هذا القول الغريب يردده المخرج المسرحى البريطانى المعروف بروك بين وقت وآخر ، خاصة عندما يكون فى حالة عمل



بيتر بروك

وبروك يجد نفسه في حالة عمل متواصل منذ ان احترف الفن قبل ثلاثة وثلاثين عاما . فهو شخص يجد نفسه دائما في عمله . عندما يخرج للمسرح ، او يكتب عنه ، وعندما يكتب سيناريوهات سينمائية ويقوم باخراجها ..

« ووزا البرت » هو عنوان المسرحية التي يخرجها بروك الان ، ليس في لندن التي ولد بها ، وليس في فرنسا التي اختارها مقر اقامته منذ سنوات . ولكن في جوهانسبرج ، بجنوب افريقيا .. وكالعادة فلابد لهذه المسرحية ان تكون من تاليفه ، واخراجه وان يضع موسيقاها ومن الطبيعي ان تكون عن التفرقة العنصرية

وفي مسرحية « ووزا البرت » يحكي بروك حدوتة اسطورية اخلاقية حول امكان عودة بعث السيد المسيح عليه السلام الى الارض مرة اخرى . فهو سيتوجه الى جنوب افريقيا ، وسيجد نفسه يواجه السلطات الحاكمة التي ستقف ضده بكل ماتملك من قوة .

الجدير بالذكر ان مسالة عودة ظهور السيد المسيح في القرن العشرين كانت مصدر الالهام للعديد من الكتاب والسينمائيين ورجال المسرح . وخاصة الكاتب اليوناني كازنتزاكيس في مسرحية « المسيح يصلب من جديد » .

وقد علق بروك على تجربته المسرحية الاخيرة قائلا : « رجال المسرح محكوم عليهم ان ينجحوا دوما . كما ان عليهم دائما ان يبدأوا من جديد » .

باريس

□ الجوائز الادبية . خيبت الظنون

الجوائز الادبية التي اعلنت في باريس اخيرا خيبت الكثير من الآمال لدى المهتمين بمواسم الجوائز الادبية الذي يبدأ في الاسبوع الاخير من نوفمبر كل عام .

لم يكن ذلك بسبب ان الذين نالوا الجوائز من الكتاب الأقل شهرة ، بل لأن أحدا لم يكن يتوقع بالمرة ان يفوز جان فوتران بجائزة جونكور ، ولا فيليب دومنك بجائزة ميدتشي .. فاعمالهما لم تطف قط على السطح في كل التنبؤات باسماء الروايات او المؤلفين الذين يمكن لهم الحصول على اى من الجوائز .. فالاعمال التي حققت الفوز هذا العام لاتتسم باهمية ادبية خارقة تجعلها تنال هذا الشرف الذي ناله من قبل الطاهر بن جلون ومرجريت دوراس ، واندريه مالرو ، وهنرى ترويا ..

واثارت الصحف ، ربما لاول مرة زوبعة حول قيام اعضاء الاكاديميات الادبية بمحاباة دور النشر وذلك لأن اغلب هؤلاء الاعضاء متعاقدون لنشر اعمالهم



فيليب دومنك

في كبريات دور النشر ، ولذا تم توزيع الجوائز الادبية بالتساوى بين هؤلاء الناشرين حتى ولوجاء ذلك على حساب أهمية العمل الفنى ..

من المعروف ان جان فوتران قد فاز بجائزة جونكور عن روايته « خطوة كبيرة نحو الله » وهو كاتب قليل الانتاج . فلم يقدم للمكتبة طوال ستة عشر عاما سوى ثلاث روايات فقط وفى كتابه الاخير تناول حكاية نورماندية تدور وقائعها نهاية القرن التاسع عشر ..

اما فيليب دومنك فقد فاز بجائزة ميدتشى عن روايته « مائدة الجنوب » .. وهى ايضا تدور فى اجواء تاريخية فى المنطقة البحرية الواقعة بين فرنسا والمغرب ، ومالطة . وهى المنطقة التى شهدت كبريات مغامرات القراصنة لقرون عديدة ..

وقد استفاد دومنك من تجربته كضابط بحرى عاش بين الجزائر والمغرب والولايات المتحدة وافريقيا ، وصادق البحر .. وسمع الكثير من حكايات القراصنة .



□ عربى .. فى صقلية

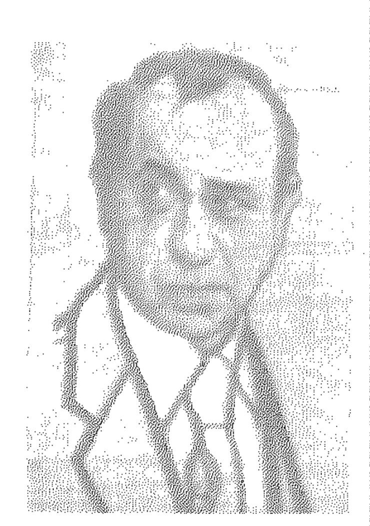
مات ليوناردو شاشا .. اكثر ادباء القرن العشرين استشرافا للمستقبل . ليس المستقبل البعيد .. بل البالغ القرب .. فقد ارتبط ، أدبه بما يدور فى ايطاليا ، وصقلية بصفة خاصة ، وراح يتوقع مايمكن ان يأتى للبلاد فى الغد القريب من خلال رواياته السياسية .

ولد شاشا فى عام ١٩٢٠ بباليرمو فى جزيرة صقلية . فى عائلة ذات جذور عربية ، وبدا حياته الادبية فى سن متأخر نسبيا ، حيث نشر روايته الاولى « اعمام صقلية » عام ١٩٥٨ . وتوالت اعماله التى من اشهرها « يوم اليوم » و « لكل مصيره » و « البحر بلون النبيذ » و « القرين » و « تودو مورو » .

وفى هذه الرواية الاخيرة ، التى تعتبر حدثا فريدا ، تنبأ شاشا باختطاف الزعيم الايطالى الدو مورو ، وقد نشر الرواية لاول مرة عام ١٩٧٤ إبان تولى مورو لرئاسة الوزارة .. وكان بالغ الوضوح فى الاشارة الى ان مورو يمكن ان يكون ضحية العنف السياسى فى ايطاليا . وبعد اربع سنوات من نشر الرواية ، قامت عصابة الالوية الحمراء بخطف مورو .. واحتبسته رهينة لعدة اسابيع ثم قتلته .

وقد ارتبط شاشا بمورو بعد ذلك ، بشكل واضح ، فكتب عنه رواية تحمل عنوانه « قضية مورو » سجل فيها روائيا ، كافة الوقائع التى حدثت فى ايطاليا المتعلقة بخطف ومقتل مورو ..

كما جاءت أهمية



ليوناردو شاشا

ليوناردو شاشا ايضا فى انه كرس قلمه من اجل جزيرته صقلية . فكتب عن انشطة عصابات المافيا ، وكتب عن الادباء الذين عاشوا فى الجزيرة واحبوها ، سواء من ابنائها مثل بيراندللو ، وكونصولو ، او سواء الذين اختاروها لفترة من حياتهم مثل الكاتب الفرنسى ستندال ..



ولدت فى الربع الاول من القرن العشرين (١٩١٢) وماتت بالسرطان قبل ايام عن



مارى ملكرثى

عمر ناهز السابعة والسبعين .

جمعت لنفسها من مزايا هذا القرن ماجعلها ابرع نساء الولايات المتحدة ادبا ، واكثرهن ذكاء واشدهن سخرية واعتراضا وانتقادا .

هى « مارى ماكرثى » التى كن مولدها ونشأتها قبل وخلال سنوات الحرب العالمية الاولى القاتمة

ادركها اليتم طفلة فى السادسة من سنيها ، وذلك عندما اصاب وباء الانفلونزا والديها الموسرين فى مقتل .

وعن سنوات اليتم هذه كتبت « ذكريات شباب فتاة كاثوليكية » (١٩٥٧) حيث وصفت نشأتها على ايدى اقارب قساة خلقت قلوبهم من حديد .

ولم ينقذها من هذا الجحيم الا هروبها الى منزل جديها اللذين بادرا بالحاقها باحدى مدارس الراهبات

ولقد عرفت اثناء سنوات الدراسة ، وبخاصة ماكان منها فى كلية « فاسار » بحدة الذهن ، وذلاقة اللسان وجراة البيان .

استهلت « ماكرثى » حياتها ابان عقد الثلاثينات بكتابة المقالات والنقد الحاد فى مجلة « البارتيزان ريفيو » ذات النزعة التروتسكية

اما القصة فلم تبدأ فى كتابتها الا فى بداية الاربعينات اى عندما اصبح اسمها على كل لسان فى دوائر المثقفين من اهل اليسار .

وعلى كل فهى لم تكتب طوال حياتها سوى سبع قصص طويلة ، لعل اكثرها شهرة « الجماعة » (١٩٦٣) التى جرى ترجمتها الى لغة السينما قبل عشرين عاما او يزيد .

وهى تدور حول فتيات كلية فاسار فى زمانها ، وكيف كن مؤمنات بالتقدم حتما مقدوراً .

حكايات قديمة

الملك عقة والبحر

بقلم: فاروق خورشيد ريشة: حلمى التونى

تحكى قصة قديمة عن ملك احدى موانىء البحر ، اشتغل بالحكمة وحب المعرفة ، وكان فخورا بما لديه من علم ، وماحصل من معرفة ، اذ امتلأت خزائنه بالكتب تأتيه مع كل سفينة تدخل ميناءه الذى تتقدمه منارة مضيئة ليل نهار تهدى إليه السفن ، وتعلن ترحيب المدينة بالوافدين بالتجارة والمال ، والمزيد من الكتب والمخطوطات والحكمة ... ولكن مع كل اشتغال الملك بالحكمة والمعرفة ، ومع حرصه أن يزور سكان المدينة كلما رست سفينة جديدة بالميناء ، مكتبته الضخمة ومتحفه الكبير ، كان الجميع يتحدثون عن الشيخ الفيلسوف الذى يقطن فى كوخ متواضع الى جوار البحر ، ولاينطق الا بالحكمة ، ولايتحدث الا بصوت المعرفة ... وكان زوار المدينة من التجار بعد ان يزوروا المكتبة والمتحف يتركون المدينة ومنازلها ومبانيها الى كوخ هذا الشيخ الفيلسوف يزورونه ويجلسون أمامه فى إنصات ويعودون ليتحدثوا من جديد عن حكمة الشيخ الفيلسوف ، وعميق معرفته ، وبالغ علمه ..


حلمي التوني

حكايات قديمة

● وتحكي القصة القديمة ان الملك كانت تنتابه الحيرة كلما ذكر له زواره امر الشيخ الفيلسوف متجاهلين ما ملأ حديثه به من اسماء الكتب النادرة ، واوصاف التحف الثمينة ، وقطع الفن عالية القيمة التي يقتنيها ويدفع فيها من المال مايدفعه غيره في متع الحياة العابرة .. وتحول الامر من حيرة الى غيرة .. فهذا الشيخ لايقتني في كوخه الحقير المتهاوى تحفة واحدة من روائع الفن ، ولايضع فوق جدران كوخه المتاكلة صفا واحدا من نوادر المخطوطات ، وبدائع الكتب ... ولايعرف من اسماء المفكرين والكتاب مثل مايعرف ، ولايحفظ من كلماتهم التي تسرى مسرى الامثال والحكم مثل مايعرف ، وليس عنده من مهرة العازفين والراقصين والممثلين من يجسدون له تحف الابداع ، وعطاء الفن ...

حقا كان الشيخ الفيلسوف لايملك كل مايملكه الملك ، ولكنه كان يملك شيئا لايستطيع الملك ان يملكه ، ذلك هو سمعته كفيلسوف حكيم ، تفيض منه الحكمة ، وتقطر منه المعرفة ..

وجاء اليوم الذى لم يستطع فيه الملك ان يقاوم فضوله ، ولا ان يكبح جماح غيرته وغضبه ، فقرر ان يذهب بنفسه ليرى هذا الشيخ الفيلسوف ، ويجادله ، ويقارن علمه ومعرفته وتذوقه بعلم هذا الرجل المنعزل الى جوار البحر يدعى ويدعى له الناس مالا يمكن ان يقارن بما عند الملك ... اما المعرفة والتذوق فقد كان الملك واثقا انه لاوجه للمقارنة ابدا بينه وبين الشيخ العجوز المنعزل عند حافة البحر ... لايرى من متع العالم الا كوخه الحقير والصحراء حوله ، ثم البحر امامه ، تكسوه سماء لاتتغير ، وترفرف حوله طيور متوحشة لاتانس ولا تستانس ..

وصل الموكب الملكي الفخم تتقدمه الموسيقى وتتبعه الحاشية ، وحولهم وامامهم وخلفهم الحرس ، وامتلات الساحة امام الكوخ بمجاميع من المخبرين في زى الصيادين والبحارة والبدو يصفقون في حرارة ، ويرفعون اصواتهم بالدعاء للملك منبع الحكمة ، ومنارة المعرفة ، وموئل العلم ، والملك يتهاوى من عربته الفاخرة ويقف عند باب الكوخ ، ويتقدم ناحيته في تؤدة وهو يرفع يديه رادا تحية جماهير المصفقين والهاتفين والداعين .. ولكن الشيخ الفيلسوف لم يخرج من كوخه ، ولكن الكوخ صامت مقفر لاتؤثر فيه صيحات الجماهير ولا تصفيقاتهم . وكانه يعرف انهم جماهير مزيفة ، لا صدق في اصواتهم ، ولاحرارة في تصفيقاتهم ... ولكن البحر يرسل موجه الى الشاطىء عارما عنيفا فاذا ماقارب الشاطىء تكسر في ضعف ولين ، ومضى يهمس مابقى فيه من زمجرة وعنف في نغم هادىء متوسل ، يحاول ان يكون فيه معنى الرقة والهدوء ، وماتبقى فيه من ضراوة مكبوتة تفشى سره ، وتفضح عنف امره الذى يكتم ويظن انه دون الوجود - خبىء -



وتدور راس الملك مع صفقات الموج على الشاطىء ، ومع عويل الريح تدور حول الكوخ في ياس ان تصيب شيئا يتحداها ، ويحتمل ثقل حركتها العنيفة العنيدة ... وتدور في نفس الوقت عينا الملك بحثا عن مدخل الكوخ او الى جواره ، عن الشيخ الفيلسوف ، ساكن الكوخ ، ومواطن الشاطىء المهجور ...

وبعد حين خرج كبير الحاشية من الكوخ وهو يرتجف خوفا من غضب الملك اذا ماأخبره بالحقيقة ، ولكنه تمالك نفسه آخر الامر ، وكتم خوفه ، ونظر الى الملك فى استعطاف مستاذنا اياه ان يسمح له الكلام فى حضرته السنية ، وامام طلعته البهية .. واذن له الملك فى تبرم وضيق وقد بدات وقفته امام الكوخ تملأ نفسه بالضيق وتحجب عنه صيحات التهليل والتعظيم .. وازداد تبرم الملك وضيقه حين اخبره كبير الحاشية وعظيم الحجاب ان الشيخ الفيلسوف يقضى وقته على شاطىء البحر بعيدا عن الكوخ ليتامل ويفكر ، واستاذن الملك فى ان يذهب ليحضره ويعود به الى معيته الملكية ..

ولكن الملك كان قد سئم صراخ الجماهير الماجورة ، وتملق الحاشية المبهورة ، وابهة الموكب والزينات المنصوبة ... فرفع يده يهزها فى تبرم .. ومضى على قدميه ناحية شاطىء البحر ، وحين اراد الجمع ان يتبعه اشار بيده فتوقفت الاقدام ، واطرقت الرءوس ، وانحنت الجباه ، ومضى وحيدا وئيدا يمشى على مهل مبتعدا عن كل ضجة ، وكل الصخب ، ومنحدرا تدريجيا نحو عالم من الهدوء لا صوت فيه الا لحفيف الهواء وهدير موج البحر الذى يزداد تعاليا كلما اقترب منه الملك فى مشيته الهادئة المتمهلة .. وهناك عند حافة البحر تماما ، حيث يمتزج ماء البحر المتهالك من نهاية الموجات برمال الشاطىء المبتلة ابدا بحركة مد الماء وجزرها المستمرة الابدية ، كان الشيخ الفيلسوف يجلس مقعيا وقد تدلت لحيته فوق صدره تهتز مع حركته اذ يواجه البحر حينا ، ثم يعود لتهتز مع حركته اذ يواجه البر حينا آخر ... وتعجب الملك من هذه الحركة المنتظمة التى كانت تشبه حركة رقص غامضة لاله مجهول يؤديها الشيخ الفيلسوف جالسا او مقعيا عند حافة البحر ... وكاد الملك يضحك ، وكاد الملك يظن فى الرجل الجنون ، لولا ان لاحظ ان الشيخ العجوز يحمل فى يده شيئا صغيرا يتحرك به فى حركته الرتيبة بين البحر والرمال فى جدية وانهماك ،

حكايات قديمة

وكأنه يقوم بعمل بالغ الخطورة شديد الأهمية .. ولولا أن عاد فتذكر ماتحكيه الناس من أهل البلاد من الاغراب والسياح عن علم هذا الرجل ومعرفته الواسعة ، وحكمته التى سار بذكرها الركبان .. فكتم الضحك فى نفسه ، وتمالك الفضول الذى سيطر على فكره ووجدانه معا ، ومضى يقترب من الشيخ الفيلسوف فى هدوء ووقار ..

وأفاق الملك من تأملاته على صوت الفيلسوف الشيخ يأتى هادئا عميقا ويقول :

- مرحبا بك ايها الملك العالم المطلع الذواقة ..

وسر الملك من كلمات الشيخ التى تحمل له المعانى التى يتوق أن يسمعها من غيره ولا يجد بدلا منها الا كلمات الشجاع والعادل والقوى .. كما سر الملك من صوت الشيخ الهادىء الذى لايحمل خوفا أو رهبة ، ولا يشى بتواضع او انصياع .. ولم يملك نفسه الا ان ازداد اقترابا من الشيخ الفيلسوف والا أن يسأله :

- كيف عرفت بمقدمى ايها الشيخ الفيلسوف .. ؟

قال الشيخ الفيلسوف :

- اعلنت عن مقدمك البوقات والموسيقى ، وافصحت عن مكانتك الصيحات والتحيات والهتافات للعادل العارف الشجاع القوى المانح المانع المحسن الكريم ، ومن تهتف له الأبواق بكل هذا فهو ملك يرهبه الناس ، ويرجوه الناس ، ويتملقه الناس .. وليس غير .

ابتسم الملك وهو يقول :

- ولكنك اسميتنى العالم المطلع الذواقة فهل عن رهبة أو رجاء أو ملق .. ؟

صمت الفيلسوف ومضى يمد يده الى البحر بشىء فيها ، ثم يعود بها الى البر مرة أخرى ، وجاء للملك صوته الهادىء وهو يقول فى تؤدة وأناة :

- ولكنك ايها الملك تقرأ اندر الكتب فانت عالم ، وانت ايها الملك تأتيك أخبار كافة الأمم فانت مطلع ، وانت ايها الملك تقتنى اجمل اللوحات والتماثيل ، وتعزف فى قصرك أبرع فرق العزف ، وترقص فى باحتك أمهر فرق الرقص ، فانت ذواقة .. فلا رهبة ولا رجاء ولا ملق .

قال الملك فى حيرة :

- فلماذا توصف أنت بالحكمة ولا أوصف أنا بها رغم اننى العالم المطلع الذواقة كما تقول .. ؟

فى بطء شديد نصب الفيلسوف الشيخ قامته ، ووقف امام الملك الذى

راعه طوله ونحول جسده وبياض لحيته ولمعان عينيه اللتين كانتا فى صفاء زرقة السماء ، ومد يده بما يحمل الى الملك قائلا :

- اتعرف ما هذا ايها الملك ؟

نظر الملك الى مايبد الفيلسوف الشيخ ثم صاح مندهشا :

- ولكن أيها الشيخ هذه ملعقة .

ابتسم الفيلسوف الشيخ وقال :

- انقل بها ماء البحر من البحر

صاح الملك :

- البحر لايفرغ مهما نقلت منه ايها الشيخ

ازدادت ابتسامة الفيلسوف الشيخ اتساعا وهو يقول :

- وأصب ماءها فى الرمل

فعلا صوت الملك وهو يصيح :

- ولكن الرمل يشرب ماء البحر ولا يغرق ..

قال الشيخ الفيلسوف

- هذا أيها الملك معنى الحكمة ، تاخذ من بحر المعرفة ، وبحر المعرفة لاينتهى ، وتصب فى رمال وجودنا ، ورمال وجودنا لن تغص بالمعرفة ابدا .. وكلما نقلنا من ماء البحر عرفنا اى عجزة نحن عن استيعاب كل مابه من ماء ... ونفوسنا المتشوقة الى المعرفة ، كلما نقلنا اليها الجديد من قطراتها لم تغص ولم تمتلىء بل تتشرب هذه المعرفة وتمتصها ولاتشبع منها ابدا ... ولن تتحول الرمال الى بحر ابدا ..

اطرق الملك براسه وهو يقول :

- ولن يتحول البحر الى رمال ابدا ..

ابتسم الفيلسوف الشيخ وهو يقول :

- لم يغرك الملك ايها الملك ، ولا السطوة ولا السلطان ، فلا يدرك مثل هذا المعنى الا من تجردت نفسه الى حب المعرفة ..

ابتسم الملك ابتسامة شاحبة وهو يقول :

- تريد أن تغرف ماء البحر بملعقة ، فلا البحر ينتهى ولا الرمال ترتوى ..

وعقب الفيلسوف الشيخ قائلا :

- ما اقصر العمر واعجز الأداة ..

وابتسم الملك من جديد وهو يطرق وهمس :

- لا العمر يكفى ، ولا البحر ينتهى ، ولا الرمال ترتوى .. صدقت ايها الشيخ - فما عرفت رغم كل ماحوت مكتبتى ومتاحفى وبلحاتى شيئا .. وما كنت لأعرف حقيقة اننى لا أعرف لولا ان جئت اليك هنا .

قال الشيخ الفيلسوف :

- وما ان جئت الى هنا ، حتى كنت تبدأ طريق المعرفة ..

همس الملك فى حزن :

- امسك بملعقة ، واقعى الى جوارك ، واحاول ان اغترف من البحر بها ، واحاول ان أروى الرمال من ماء البحر ... صدقت ياسيدى ... صدقت أيها الشيخ ...

● ● ● ● ●

قيل ان الحاشية ظلت تنتظر الملك دهرا ، وان الهاتفين بحت اصواتهم فسكتوا ، وان العازفين بالأبواق كفت لهاتهم عن الحركة فصمتوا .. وان الحاشية ظلت تنتظر الملك حتى وثب الى العرش ملك جديد فهرعت اليه .. ولكن هذا الملك لم يعد من حافة البحر الى جوار الكوخ العتيق ابدا .



ومعاركه الفكرية

أولى المعارك الفكرية

بقلم: د. محمد عمارة

لقد جاء "المشروع الفكرى" للشيخ محمد الغزالى - والذى تجسد فى خمسين كتابا - جاء شاهدا على مجموعة المعارك الكبرى التى واجه بها شيخنا ابرز التحديات والمخاطر التى واجهت وتواجه طموح الأمة الإسلامية فى النهوض والتقدم والانعتاق، وحاجة الفكر الإسلامى الى التجديد، كى يكون قادرا على الوفاء بمتطلبات هذا التقدم المنشود بالنسبة للمسلمين ..

واذا كان المقام لا يسمح باستقصاء هذه المعارك الكثيرة، التى تجسدت فى هذا المشروع الفكرى، فاننا سنختار منها .. أولاها واحدثها.

قد يستغرب البعض - وخاصة من اصدقائنا واخوتنا ذوى المرجعية الفكرية التغريبية، غير الملمين بموقف الإسلام وتراثه من القضية الاجتماعية، ومذهبه فى الاموال والثروات، قد يستغرب هؤلاء ان تكون اولى معارك هذا الشيخ الأزهرى خريج كلية اصول الدين، والذى يحترف "الوعظ والدعوة" فى مساجد وزارة الاوقاف والذى لم يدرس الاقتصاد ولم يتفقه فى النظريات الاجتماعية الغربية - قد يستغربون ان تكون اولى معاركه الفكرية فى ميدان الاقتصاد والاجتماع، وان يكون هذا هو حجم اسهامه المبكر فى هذا الميدان.

والحقيقة ان هذا الموقف يثير قضية "الجهل - والتجاهل". لإسهام الإسلام والإسلاميين فى ميدان الفكر الاجتماعى، كموقف دائم وصارخ واصيل !!

والا فمن يعرف ان حسن البنا - والاخوان المسلمين - كانوا اسبق الحركات السياسية والتيارات الفكرية بمصر، التى طالبت بتحديد ملكية الأرض الزراعية، ونزع الاملاك الزائدة عن الحد الاقصى، من كبار الملاك، وتوزيعها - هى واملاك الحكومة - على الفقراء والمعدمين من الفلاحين ؟! من يعرف هذه الحقيقة "التاريخية - الاجتماعية" من الكتاب العلمانيين ؟!

ان المطالبة بتحديد حد اقصى للملكية الزراعية ، وتوزيع الزائد عنه على الفلاحين قد طالب به "الحزب الاشتراكى" - حزب الاستاذ احمد حسين - بواسطة نائبه فى مجلس النواب المصرى ، الاستاذ ابراهيم شكرى فى سنة ١٩٥١ م .. اما مشروع عضو الشيوخ محمد خطاب الذى طالب بتحديد حد اقصى للملكية الزراعية ، والذى قدمه للمجلس فى ١٩٤٥/٦/٢٥ م . فقد كان يطلب ذلك فى الملكيات التى تتكون مستقبلا ، حتى تتوجه الاموال فى الريف الى التصنيع . بدلا من حيازة الاطيان ، ولم يكن يدعو الى تطبيق هذا التحديد على الملكيات التى كانت قائمة يومئذ ، والتى كان يتعدى الكثير منها الخمسة الاف والعشرة الاف فدان .. بل وحتى الحزب الشيوعى فى مصر ، فانه لم يطالب فى برنامجه "بالغاء الملكية الكبيرة واعادة توزيع الملكيات الزراعية" .

اما حسن البنا فهو الذى طالب - فى منتصف عقد الاربعينيات - أى قبل سبع سنوات من مشروع ابراهيم شكرى - باصلاح الخلل المتمثل فى التفاوت الفاحش بين الملكيات الزراعية فى الريف ذلك أن "روح الإسلام الحنيف وقواعده الاساسية فى الاقتصاد القومى ، توجب علينا ان نعيد النظر فى نظام الملكيات فى مصر . فنختصر الملكيات الكبيرة ، ونعوض اصحابها عن حقهم بما هو اجدى عليهم وعلى المجتمع ، ونشجع الملكيات الصغيرة . حتى يشعر الفقراء المعدمون بانه قد اصبح لهم فى هذا الوطن ما يعنيهم أمره ويهمهم شأنه . وأن نوزع أملاك الحكومة على هؤلاء الصغار ...!!"

كما طلب ايضا ، فى ذات التاريخ



"بفرض ضرائب اجتماعية على النظام التصاعدى - بحسب المال لابحسب الربح يعفى منها الفقراء طبعا ، وتجبى من الاغنياء الموسرين ، وتنفق فى رفع مستوى المعيشة بكل الوسائل المستطاعة" .

فهو ، اذن "الموقف الرائد" للإسلاميين فى هذا الميدان الهام .. ذلك الذى "يجهله - ويتجاهله" اخواننا العلمانيون ؟! .

واذن فلم يكن بالغريب - ولا بالعجيب - ان يبدأ شيخنا الغزالى اولى معاركه فى هذا الميدان .

صحيح أن الرجل "داعية" يحترف "الوعظ والارشاد" ، وانه لم يدرس - فى الأزهر - ادم سمث (١٧٢٣ - ١٧٩٠ م) ولا كارل ماركس (١٨١٧ - ١٨٨٣ م) ولكنه ، رغم روح الاديب فى ثقافته

واسلوبه ، وطبيعة الفنان فى نظرته الى الاشياء فقد امتلك منذ بداية حياته ، والمراحل الأولى لتكوينه الفكرى ، امتلك خاصيتين دخلتا به الى هذا الميدان من اوسع الابواب .

١ ـ امتلك الخبرة الذاتية العميقة بالابعاد الرهيبة ، واللانسانية ، لمأساة الظلم الاجتماعى التى كانت تمسك بخناق الفلاح المصرى ـ وفيه يتمثل جمهور الأمة ـ عندما نشأ فى القرية المصرية "نكلا العنب" مركز ايتاى البارود ، محافظة البحيرة ، كابن فقير لأسرة تعيش فى محيط الفقراء .

٢ ـ وامتلك الرؤية الإسلامية ، التى مثلت وتمثل عدل الله وميزان القسطاس المستقيم الذى شرعه سبيلا للخلاص من الظلم بكل ألوانه فى اى زمان ومكان .

ولذلك .. رأينا هذا "الداعية" و"الأديب ـ الفنان" الذى يحترف "الوعظ والارشاد" فى مساجد وزارة الأوقاف ،يتوكل على الله ، فيبدأ معاركه الفكرية بمنازلة الاستبداد المالى والظلم الاجتماعى واخطر اعداء الانسان !

★ ★ ★

● عندما اسمع الشيخ الغزالى الى الفنان الكبير محمد عبد الوهاب يغنى قصيدة امير الشعراء احمد شوقى (١٢٨٥ ـ ١٣٥١ هـ ـ ١٨٦٨ ـ ١٩٣٢ م) عن صمود دمشق فى معركة الحرية امام جحافل الفرنسيين الغزاة .. وتأمل تلحين عبد الهواب لقول شوقى :

وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق

تحدث حديث الناقد الفنان ، فقال : "لقد شعرت بان المغنى فشل فشلا ذريعا فى تلحينه ، كان ينبغى ان يتعاون النغم والاداء على ابراز صوت المطارق التى تهوى على الابواب الموصدة ، وجؤار المجاهدين وهم يهاجمون السجون التى قبعت داخلها الجماهير المستعبدة ، وعزائم الشهداء وهم يجودون بانفسهم فداء للحق ، وانين الجرحى ، وحداد المكابرين .. ان حشودا من الاصوات المزمجرة ، والجيوش الملتحمة كان يجب ان تبرز خلال تلحين القصيدة وعند غناء هذا البيت ذاته : لكن الملحن المغنى ليس رجل هذه الملحمة !"

انه "فنان" لكنه "الفنان" الذى يغوص بمشاعره ، وايضا بعقله الى الاعماق ..

● وفى عقد الاربعينيات من هذا القرن العشرين ـ عندما بدأ الشيخ الغزالى معركته الفكرية الأولى ضد التفاوت الاجتماعى الصارخ ، والظلم الاقتصادى الفاحش ـ كانت الثقافة السائدة ، ومعها الفن والاعلام يتحدثون عن الريف المصرى بانه موطن الجمال ، ومسرح "الماء .. والخضرة .. والوجه الحسن" "فما احلاها عيشة الفلاح .. مطمئن وباله مرتاح ؟!" .. لكن الشيخ الغزالى. يبدأ معركته برفض هذا الزيف .. ويقول "ان نظرتى للاشياء واقعية اقتصادية ، لا اثر فيها للخيال !" ثم يمضى ليكشف زيف الفكر الذى يتوهم اصحابه امكانية اصلاح احوال الناس بالمواعظ والافكار دون تغيير الواقع المادى والاجتماعى الذى يلعب دوره البارز فى فتح العقول والقلوب كى تتقبل المواعظ والافكار .. يمضى ليكشف العلاقة بين الاصلاح المادى وبين

الاصلاح الأدبى والروحى لحياة الناس ، محددا منهجه فى معالجة الادوار الاجتماعية والاقتصادية التى تعانى منها مجتمعات المسلمين « فشعوب الشرق الإسلامى - (برأى الشيخ الغزالى) - تحتاج - قبل ان تفهم الاسلام ، وقبل ان ينتظر منها اعزاز الاسلام ، الى جهود جبارة ، لرفع مستواها المادى والادبى ، اى الى تصحيح انسانيتها اولا ، اما جهود المصلحين - قبل اتخاذ هذه الخطوة فهى امواج من الماء تتدفق على صحراء من الرمال ، وهيهات ان يكون لها ثمر » .

ذلك ان "للرذائل" التى يحاربها الدين - و"للفضائل" التى جاء الدين ليحلها محل "الرذائل" لهذه وتلك اسباب اقتصادية لابد من معالجتها اذا شئنا اقامة الدين الحق فى هذه الحياة ..

يقول الشيخ الغزالى : "لقد رأيت بعد تجارب عدة ، اننى لا استطيع ان اجد بين الطبقات البائسة ، الجو الملائم لغرس العقائد العظيمة ، والاعمال الصالحة ، والاخلاق الفاضلة ، انه من العسير جدا ان تملأ قلب انسان بالهدى ، اذا كانت معدته خالية ، أو ان تكسوه بلباس التقوى ، اذا كان جسده عاريا ، انه يجب ان يؤمن على ضروراته التى تقيم أوده كانسان ثم ينتظر بعدئذ ان تستمسك فى نفسه مبادىء الايمان ، فلابد من التمهيد الاقتصادى الواسع ، والاصلاح العمرانى الشامل ، اذا كنا مخلصين حقا فى محاربة الرذائل والمعاصى والجرائم باسم الدين ، أو راغبين حقا فى هداية الناس لرب العالمين" .

● منهج إسلامى أصيل

وينهض الشيخ الغزالى فيدافع عن اسلامية هذا المنهج فى اصلاح ادواء



حسن البنا — محمد عبدالوهاب

المجتمع والناس ، نافيا الوهم الذى يحسب أصحابه ان أعطاء العامل الاقتصادى والاجتماعى حقه ، فى العملية الاصلاحية انما هو خصيصة من خصائص المنهج المادى للشيوعية والشيوعيين ، فيقول : "يتوهم ذوو الافاق المغلقة ان ادخال العوامل الاقتصادية فى الرذائل والفضائل جنوح الى التفكير الشيوعى القائم على النظرة المادية المحضة للحياة ! واستهانة بالقوى الروحية السامية .. وهذا التوهم خاطىء . فلسنا نغض من قيمة الجانب الروحى .. بيد أن ذلك لا يعنى اغفال المشاهد المحسوس ، من تولد الرذائل الخطيرة فى المجتمعات المصابة بالعوز والاحتياج بل ان الاضطراب الاقتصادى فى أحوال كثيرة جدا قد يكون السبب الأوحد فى نشوء الرذيلة وشيوعها .. والحديث النبوى الذى يلمح فيه نبى الإسلام الى ان المعاصى قد توقع فيها الضوائق المادية - حديث : ان المدين قد تلجئه قلة الوفاء الى الكذب . يضع ايدينا على طرف الحقيقة التى بدأ الناس يفهمونها الان كاملة" .

لقد تبنى الشيخ الغزالى وابرز هذا المنهج الإسلامى الاصيل ، الذى يرى ان صلاح امر الدين مؤسس على صلاح امور

الدنيا - وليس العكس - واذا كان القرآن الكريم قد نبه على ان الاستبداد والانفراد بالسلطة والسلطان - ان فى المال أو السياسة - هو المقدمة المفضية الى الطغيان .. "كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى" فلقد صاغ هذا المنهج الإسلامي . من قبل الامام ابو حامد الغزالى (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ ١٠٥٨ - ١١١١ م) عندما قال : "ان نظام الدين لا يحصل الا بنظام الدنيا .. فنظام الدين بالمعرفة والعبادة . لا يتوصل اليهما ، الا بصحة البدن . وبقاء الحياة وسلامة قدر الحاجات من الكسوة ، والمسكن ، والاقوات ، والأمن ، ولعمرى ! من اصبح آمنا فى سربه ، معافا فى بدنه ، وله قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها .. فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الامن على هذه المهمات الضرورية . والا فمن كان جميع اوقاته مستغرقا بحراسة نفسه من سيوف الظلمة وطلب قوته من وجوه الغلبة ، متى يتفرغ للعلم والعمل ، وهما وسليتاه الى سعادة الاخرة ، فاذن بان أن نظام الدنيا اعنى مقادير الحاجة ، شرط لنظام الدين" .

فهو اذن ، منهج الإسلام الحق .. تبناه كل فقهاء الإسلام العدول . عندما حكموا بان صلاة الخائف والجائع لا تصح ، فالأمن على ضرورات الدنيا ، وانتظام احوالها ، هو الشرط الضرورى لاقامة الدين فى هذه الحياة !..

ويدرك الشيخ الغزالى ان استمرار آفات الظلم الاجتماعى هو امر مخطط له ، ومستهدف ومقصود ! فالقلة التى تحتكر السلطان السياسى ، حريصة ، كى تدوم



كارل ماركس — آدم سميث

لها هذه الاثرة - على عزل جماهير الأمة عن منازعتها هذا السلطان السياسى ، وذلك بابقائها اسيرة قيود الفقر والعوز التى تشل مالديها من طاقات وامكانات ؟! اذن فبقاء كثير من الناس صرعى الفقر والمسكنة - والحق يقال - هدف اكثر الحكومات المتتابعة ، فى العصور السابقة واللاحقة . إذ أن تجويع الجماهير ، بعض الدعائم التى تقوم عليها سياسة الظلم والظلام ، ومن هنا انتشر الفقر فى الشرق وسخر الدين ورجاله لحمل الناس على قبوله واستساغته ، وفسرت نصوص الدين المتصلة بهذا المعنى تفسيرا سقيما ، نسى الناس معه حقوقهم وحياتهم ، وجهلوا دنياهم واخراهم ، وحسبوا الفقر فى الدنيا سبيلا الى الغنى فى الاخرة .

● واذا كان الإسلام بريئا من هذه التفسيرات "الخاطئة - الجبانة" لمأثوراته المتعلقة بالثروات والاموال والفكر الاجتماعى .. فان الشيخ الغزالى يفتح عقول قرائه على حقيقة فلسفة الإسلام فى هذه القضية المحورية من قضايا النهوض والاصلاح .. فالوسطية - اى العدل - والتوازن هى فلسفة الإسلام فى الاموال والثروات .. وعلى الحكومات ان تحقق هذه الفلسفة فى الممارسة والتطبيق ، وان

تسهر على اعادتها الى نصابها كلما لحق بنا خلل احل الظلم محل العدل والتوازن . والقسط ، الذى يجب ان يحكم علاقات الناس بالثروات والاموال . "ان هدف الديانات والرسالات هو قيام التوازن بين النـاس ، باقـامة العـدل الاجتمـاعى والسياسى فيهم .. وقيام الناس بالقسط والعدل ـ هو محور الارتكاز الذى لا يتغير ابدا . وقد قال بعض علماء الاصول ان مصالح الناس المرسلة ، لو وقف دون تحقيقها نص أُوِّل هذا النص ، وأمضيت المصالح التى لابد منها وللحكومة ـ من وجهة النظر الدينية ـ ان تقترح ما تشاء من الحلول . وان تبتدع ما تشاء من الانظمة ، لضمان هذه المصلحة ، وهى مطمئنة الى ان الدين معها لا عليها . مادامت تتحرى الحق ، وتبتغى العدل وتنضبط بشرع الله فيما تصدر من اقتراحات وقوانين .

ولا ينسى الشيخ الغزالى ان هناك تفسيرا من التفسيرات الإسلامية فى المأثورات المالية ـ لا يوجب اصحابه فى الأموال اكثر من الزكاة !! فيتقدم منحازا الى اغلبية العلماء الذين رفضوا هذا التفسير ، واطلقوا يد ولى الأمر فى الأموال حتى يقوم التوازن الاجتماعى وتعتدل موازين القسط بين الناس .. فيقول : "والمال الذى يكفى لاذهاب العَيْلَة ، واستئصال الحرمان . واشاعة فضل الله على عباده يجب اخراجه ـ مهما عظم ـ من ثروات الاغنياء ، ولو تجاوز تجاوزا بعيدا مقادير الزكاة المفروضة . لان حفظ الحياة حق اسلامى اصيل ـ ومقادير الزكاة ليس الا الحد الادنى لما يجب انفاقه ـ وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم "ان فى المال حقا غير الزكاة" .

بل ويؤكد شيخنا على ان فلسفة الإسلام فى الأموال ـ هذه هى التى تقوم على "التوازن ـ العدل ـ انما ترتكز على مبدأ ان الملكية الحقيقية فى الأموال ـ ملكية الرقبة ـ هى لله سبحانه وتعالى وحده ـ وان ملكية الانسان فى المال انما هى ملكية مجازية ـ ملكية منفعـة ـ باعتباره مستخلفا فى المال . وليس مالكه على سبيل التحقيق : "فالمال الذى فى ايدينا هو ملكنا على التجوز لا على الحقيقة ونحن نعمل به ، فاما حكمت تصرفاتنا لنا أو علينا والى هذا يشير القرآن : (وآتوهم من مال الله الذى اتاكم) (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا وانفقوا لهم اجر كبير) .

وانطلاقا من هذه الفلسفة الإسلامية فى الأموال والثروات ـ وفى القضية الاجتماعية كان طبيعيا ان يتقدم الشيخ الغزالى فى اول كتاب الفه ـ سنة ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٧ م كأول طلقة فى أولى معاركه الفكرية . ان يتقدم ببرنامج للاصلاح الاجتماعى والمالى ، يقترح فيه :

١ ـ تأميم المرافق العامة ، وجعل الأمة هى المالكة الأولى لموارد الاستغلال ، واقصاء الشركات المحتكرة لخيـرات الوطن ، اجنبية أو غير اجنبية ، وعدم اعطاء اى امتياز فردى من هذا القبيل .

٢ ـ تحديد الملكيات الزراعية الكبرى ، وتكوين طبقة من صغار الملاك تؤخذ نواتها من العمال الزراعيين .

٣ ـ فرض ضرائب على رءوس الأموال الكبرى . يقصد بها تحديد الملكيات غير الزراعية .

٤ ـ استرداد الاملاك التى اخذها الاجانب . واعادتها الى ابناء البلاد ، وتحريم تملك الارض المصرية على الاجانب تحريما مؤبدا .

الشيخ محمد الغزالى ومعاركه الفكريه

٥ - ربط اجور العمال بارباح المؤسسات الاقتصادية التى يعملون فيها بحيث تكون لهم اسهم معينة مع اصحابها فى الأرباح .

٦ - فرض ضرائب تصاعدية على التركات ، تنفق فى وجوه الخير ، على النحو الذى اشار به القرآن ، اذ يقول : "واذا حضر القسمة اولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا" .

ثم يختم حديثه عن هذا البرنامج بقوله : "ولو لم يبق لكل فرد من افراد الشعب الا قوته الضرورى لما جاز ان تتراجع الدولة فى تحقيق هذا البرنامج الذى تعلن به الحرب على الظلم والجهالة والاستعمار .

هذا عن اولى المعارك الفكرية للشيخ الغزالى التى خاضها ضد الاستبداد المالى ، والظلم الاجتماعى كواحد من اخطر التحديات التى تشل طاقات الأمة ، وتحول بينها وبين التقدم والنهوض والانطلاق .

● أحدث المعارك الفكرية

أما المعركة الفكرية الحديثة ، والتى أفرد لها شيخنا محمد الغزالى أحدث كتبه - وهو كتاب (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) - وهى المعركة التى يحتدم الجدل حول قضاياها منذ نحو عام - على صفحات الصحف والمجلات، وفى الكتب ، ومن على كثير من منابر المساجد ، وبواسطة "تسجيلات الكاسيت" - فهى معركته ضد "النصوصية الحرفية" و "الظاهرية الجديدة" ، و "سلفية البداوة" التى أنعشتها ، وامتدت بتأثيراتها السلبية خارج نطاقها التاريخى "حقبة النفط" فى منطقة الخليج ؟! ..

ولقد زعم خصوم الشيخ الغزالى ، ويزعمون أن معركته هذه إنما هى ضد السنة النبوية ، وضد المحدثين ؟! .. لكن حقيقة الأمر أن الرجل - ويشهد على ذلك تاريخه وعمله وكتاباته - إنما هو مجاهد ومنافح عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ضد لون من "محبى السنة" يشبه "حبهم" لها حب الدبة القاتلة ، بحبها الأعمى ، للمحبوب ؟! .. وأيضا ضد فريق من جاحدى السنة ومنكريها ...

إنه داعية الى حب السنة حبا واعيا ، على النحو الذى يجعلها - كما أرادها الله سبحانه وتعالى - "بيانا" للقرآن الكريم (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون) .. و "إراءة" ألهية لنبيه كاشفة عن مرامى التنزيل الحكيم (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) .. وهو - سواء فى كتابه القديم (فقه السيرة) أو فى كتابه الأخير (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) أو فى غيرها من الكتب التى عرض فيها السنة والسيرة - **إنما يروم تحقيق التكامل بين فقه الفقيه ورواية المحدث ، بين الدراية والرواية ، لتنتفى من ساحتها**

الفكرية أسباب الشذوذ ، التى جعلت البعض ينكر السنة جملة ويتنكر لها ، وجعلت آخرين - حتى وإن لم يعلنوا - يمارسون روايات آحاد ومرويات معلومة على النص القرآنى المحكم . الذى تعهد الله بحفظه ، والذى (لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) .

فمعركة الشيخ الغزالى هذه ، إنما هى دفاع عن السنة الحقة ، لا ضد حرفية "الظاهرية البدوية" الجديدة ، وحدها ، وإنما أيضا ، ضد الذين يستندون الى الثمرات الشاذة لهذه "الحرفية" فى إنكارهم المطلق ، والمتعسف ، لسنة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ..

وحول هذه الأبعاد لهذه المعركة ، يتحدث الشيخ الغزالى فيقول : تواجه السنة النبوية هجوما شديدا فى هذه الأيام ، وهو هجوم خال من العلم ومن الانصاف . وقد تألفت بعض جماعات شاذة تدعى الاكتفاء بالقرآن وحده ، ولو تم لهذه الجماعات

أحمد شوقى



أحمد حسين



ماتريد لأضاعت القرآن والسنة جميعا ، فإن القضاء على السنة ذريعة للقضاء على الدين كله ! .

إن محاربة السنة لو قامت على أسس علمية ، لوجب الا يدرس التاريخ في بلد ما ؟! .. لماذا يقبل التاريخ - على أنه علم - وتهتم كل أمة به ، مع أن طرق الاثبات فيه مساوية ، أو أقل من طرق الاثبات فى الحديث النبوى ؟؟! ..

وأمر آخر ، نحب أن نثيره : لماذا تدرس سير العظماء وكلماتهم ، وتعرض للناس والاعجاب ، ويحرم من ذلك الحق رسل الله ، وفى صدارتهم سيد أولئك الرسل مروءة وشرفا ، وبيانا وأدبا وجهادا وإخلاصا ؟؟! .

إن بعض البله يتصور الانبياء أبواقا لأمين الوحى ، يرددون ما يلقيه اليهم ، فإذا انصرف عنهم هبطوا الى مستوى الدهماء ، وخبا نورهم ! .. أى غفلة صغيرة فى هذا التصور ؟! ... إن الله فى كتابه ، أحصى أسماء ثمانية عشر نبيا من الهداة الأوائل ، ثم قال للهادى الخاتم : (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين) .. فإذا برز للانسانية إنسان كامل ، التقت فى سيرته شمائل النبوات كلها ، وتفجرت الحكمة على لسانه كلمات جوامع ، واستطاع - وهو الفرد المستوحش - أن يحشد من القوة ما يقمع كبرياء الجبابرة ، ويكسر قيود الشعوب ، ويوطىء الاكناف للحق

المطارد... إذا يسر الله للانسانية هذا الانسان العابد المجاهد الناصح المربى جاء غر ليقول : لا نأخذ منه ولانسمع له ، ثم يستطرد ، مخفيا غشه : حسبنا كتاب الله ! .."

ثم يعقب الشيخ الغزالى على هذا التفنيد العقلى لدعوى منكرى السنة ، فيقول متسائلا : "وهل السنة إلا امتداد لسنا القرآن ، وتفسير لمعناه ، وتحقيق لأهدافه ووصاياه" ؟ ..

ثم يشير الى مسئولية نفر من المنتسبين للسنة ـ انتسابا غير واع ـ عن هذا الشذوذ المغالى فى إنكار السنة ، فيقول فى رفق المعاتب ـ : .. **على أننا نعتب على جماعات كثيرة تنتسب للسنة ، وتظهر التمسك بها ، فإن مسلكها قد يكون وراء انصراف بعض الناس عن السنة وشكهم فى جدواها . ونأخذ على هذه الجماعات أمرين :**

أولهما : انها تخلط الصحيح بالسقيم ، ولاتدرى بدقة مايقبل ويرد من المرويات ..

وثانيهما : قصورهم الفقهى ، فليست لهم قدم راسخة فى فقه الكتاب الكريم ! ـ مع أنه الأصل ـ كما أنهم يأخذون الاحاديث مقطوعة عن ملابساتها ، ولا يضمون اليها ما ورد فى موضوعها من مرويات أخرى قد تؤيدها وقد تردها ..."

ثم يمضى الشيخ الغزالى ، فيورد عناصر المنهج الذى اتفق عليه أعلام علماء الاسلام إزاء تحقيق صدق المرويات فى السنة ، داعيا الى إحياء معالم هذا المنهج ، تنقية للسنة النبوية ، وتحقيقا لوظيفتها ـ كبيان للقرآن الكريم ، وتجسيد عملى لمراميه فى حياة المجتمع الاسلامى الأول ـ قطعا للطريق على منكرى سنة رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ..

يمضى فيورد معالم هذا المنهج ، فيقول : "لقد بذلت جهودا لم يبذل مثلها فى الوقوف على تراث بشر ، كى يعرف ما قال الرسول حقا .. وانتهت هذه الجهود بجملة حقائق محترمة :

١ ـ إن فى السنة ماهو متواتر لفظا ومعنى ، وهذا النوع من السنة يشبه القرآن الكريم فيما أتى له من أحكام ...

٢ ـ جمهور الأمة يقبل سنن الآحاد ، ويعدها دليلا على الحكم الشرعى الذى نتعبد الله بإقامته ، ومن الناس من عد هذه السنن مفيدة لليقين الذى يفيده التواتر ـ مادامت صحيحة ـ ولكن جمهور العلماء يقبل سنن الآحاد فى الاحكام العملية والفروع الفقهية ، ولاينقلها الى ميدان العقيدة الذى يقوم الأمر فيه على القطع ، ومعنى ذلك أن سنن الآحاد تفيد الظن العلمى وحسب .

٣ ـ مع اتفاق الفقهاء على أن سنن الآحاد قرينة مقبولة فى إفادة الحكم الشرعى ، فإن عددا من الأئمة يتجاوز

هذه السنن إذا كانت هناك قرينة أقوى منها فى إفادة حكم الله .

فالامام "مالك" مثلا يرى عمل أهل المدينة أدل على السنة النبوية من حديث الآحاد مهما كانت صحته .

و"الاحناف" يرون أن حديث الآحاد لاينهض على إثبات الفرضية وحده ولا ينهض كذلك على إثبات الحرمة ، ولكنه يثب أحكاما أقل رتبة .

وغالى بعضهم فجعل القياس القطعى أرجح من سنن الآحاد ..."

ثم يختتم الشيخ الغزالى حديثه عن معالم هذا المنهج ، فى اعتبار السنة بقوله : ".. ودراسة السنة علم له رجاله الخبراء ، ولايقبل فى هذا الميدان مايرسله السفهاء من أحكام طائشة ، تجعل التطويح بالسنة الشريفة أمرا جائزا ، أو تجعل تكذيب حديث ما هوى مطاعا .

إنه لافقه بغير سنة ، ولا سنة بغير فقه ، وقوام الاسلام بركنيه كليهما من كتاب وسنة .."

ذلك هو منهج علماء الاسلام ـ الذى ارتضاه الشيخ الغزالى ـ فى النظر الى قضية السنة النبوية .. ولقد رأى الرجل ـ بحق ـ أن مكمن الخطأ والخطر ـ من قبل أهل الجمود والحرفية النصوصية ـ إنما يأتى من :

ا ـ إهمال نفر من المحدثين للقرآن الكريم .. بينما الواجب هو الجمع بين القرآن والسنة على نحو يجعل القرآن هو الأصل الحاكم ، والسنة هى البيان والتفسير لآياته البينات ..

ب ـ وجود فريق من المحدثين قد حرموا من ملكة الفقه ، الأمر الذى عزل "الرواية" عن "الدراية"" .. بينما الواجب هو جمعهما واقترانهما معا ..

... إن الحكم الدينى لايؤخذ من حديث واحد مفصول عن غيره وانما يضم الحديث الى الحديث ، ثم تقارن الاحاديث المجموعة بما دل عليه القرآن الكريم ، فإن القرآن هو الاطار الذى تعمل الاحاديث فى نطاقه لاتعدوه ، ومن زعم أن السنة تقضى على الكتاب ، أو تنسخ أحكامه فهو مغرور ! .. إن حياة محمد صلوات الله عليه ، كانت تطبيقا عمليا لتوجهات القرآن ! .. كانت قرآنا حيا يغير الأرض ويصنع حضارة أخرى . ولولا هذه السنة العملية والقولية لكان القرآن أشبه بالفلسفات النظرية الثابتة فى عالم الخيال ! ...

... إننا نعتقد ـ مثل كثير من العلماء المحققين ـ أن الاحكام التى توجد فى الاحاديث الصحيحة هى مأخوذة ومستنبطة من القرآن الكريم ، استنبطها النبى ، صلى الله عليه وسلم، من القرآن ، بتأييد إلهى ، وبيان ربانى ، ولذلك يجب علينا قبولها والعمل بها بشرط ثبوتها الى النبى صلى الله عليه وسلم . وهذا الفهم والاستنباط يسمى فى اصطلاح القرآن تارة "تبيينا" وتارة "إراءة" قال تعالى : (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون) وقال جل شأنه : (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) .."

• خارطة لمورثات الانسان •

اعتمد فى الولايات المتحدة خلال العام الماضى مشروع هائل يمكن ان يضاهى برنامج « ابو للو » للوصول الى القمر من حيث التكاليف والمشروع الجديد يستهدف رسم خارطة كاملة للعوامل الوراثية المطوية فى نواة كل من المائة تريليون خلية الموجودة فى جسد الانسان .

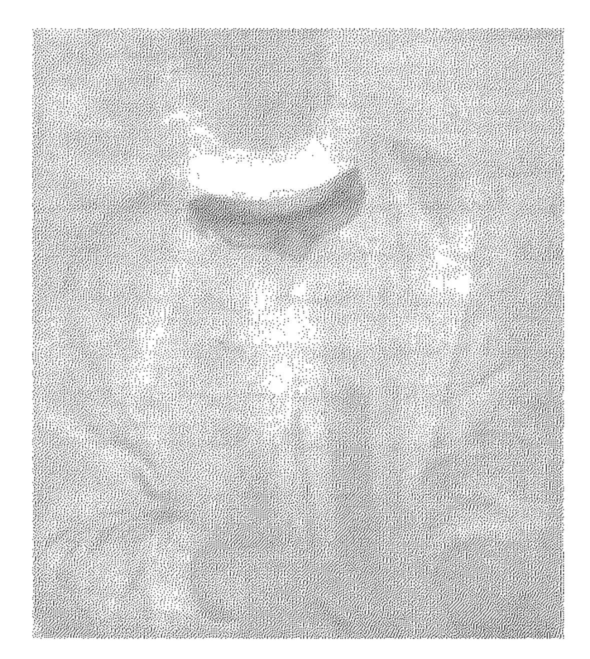
ومنذ تمكن جيمس واطسون وفرانسيس كريل من اكتشاف تركيب الحامض النووى والعلماء يعملون على حل شفرة بعض جينات الانسان .. ومن مائة ألف مورث يفترض وجودها فى نواة الخلية امكن حتى الان معرفة ٤٥٥٠ مورثا كما تم تحديد موقع ١٥٠٠ منها على الخيوط الوراثية (الكروموسومات) اما رسالة المورث فالالمام بها من الصعوبة بمكان ذلك ان كل مورث يحوى مابين عشرة الاف و١٥٠ ألفا من حروف « التكويد » ولهذا لم تفك الا شفرة عدد قليل جدا من المورثات .

لكن العمل فى هذا المجال شهد دفعة قوية مع التقنيات الجديدة ويدفع ذلك العلماء الى الاعتقاد بامكان الانتهاء من رسم خارطة المورثات خلال ١٥ سنة .. وكانت فكرة هذه الخارطة قد طرحت للمرة الأولى عام ١٩٨٥ وكانت قد اعترضت على فكرتها ـ الخارطة ـ اوساط علمية متعددة وبدت انها تمثل بالنسبة لعلوم الحياة ما مثله « المكوك » بالنسبة للانشطة الفضائية ، اذ انها ستمتص موارد ومواهب كثيرة الأمر الذى سيؤدى الى افقار مشروعات اصغر وان كانت اكثر حيوية بالنسبة للانسان ..

لكن انتصرت فى النهاية وجهة نظر المتحمسين لرسم مثل هذه الخارطة وصمت الناقدون حين اختار معهد الصحة القومى جيمس واطسون (الفائز بجائزة نوبل عن اكتشاف تركيب المادة الوراثية) مديرا لمشروعه .. بالذات وان التوصل الى خارطة للمورثات يعد مساهمة هائلة فى فهم نواميس النمو والتطور وصحة الانسان كما يفتح الباب امام طرق جديدة فى العلاج . ذلك ان الترجمة الكاملة لرسالة المورثات ستمكن من التعرف على سبب الاف من « الاخطاء » الموروثة بدنيا وسلوكيا ، مما لايزال مجهولا حتى اليوم .

• تغيير مورثات الانسان •

يعد اطباء المعهد القومى للصحة فى امريكا لزرع مورث يخص نوعا من البكتيريا فى خلايا مرض السرطان .. والمورث نفسه لاينطوى على قدرة علاجية بالنسبة للمرضى ، لكنه سيساعد الباحثين فى تحديد فعالية احد سبل معالجة السرطان كما ان التقنية التى يجرى اعدادها لزرع المورث يمكن ان تستخدم



التغيير الوراثى فى الانسان

فيما بعد ، فى علاج عدد من الامراض الوراثية .

ويقوم على تجربة المعهد القومى للصحة ثلاثة علماء احدهم خبير فى علاج السرطان ، والاخران من خبراء نقل الموروثات . وعلى امتداد سنوات كان العالم الأول يطور طريقة جديدة لعلاج السرطان باستخدام نوع من الخلايا الليمفاوية المقاومة للسرطان .. وكان يستخلص هذه الخلايـا من مريض السرطان ، ثم يعمل على تكثيرها معمليا بكميات كبيرة ليعيد حقنها بعد ذلك فى جسد المريض ، مما كان يقلص ورمه السرطانى على نحو ملحوظ .

وفى احدى التجارب على المصابين بنوع من انواع السرطان افادت الطريقة العلاجية ٦٠٪ ممن شاركوا فى التجربة وهكذا بات على الطبيب معرفة الكيفية التى تتحرك بها خلايا المقاومة التى يحقنها داخل جسم الانسان ، بالاضافة الى سبب عدم فعالية الطريقة فيما يخص ٤٠٪ من المرضى .

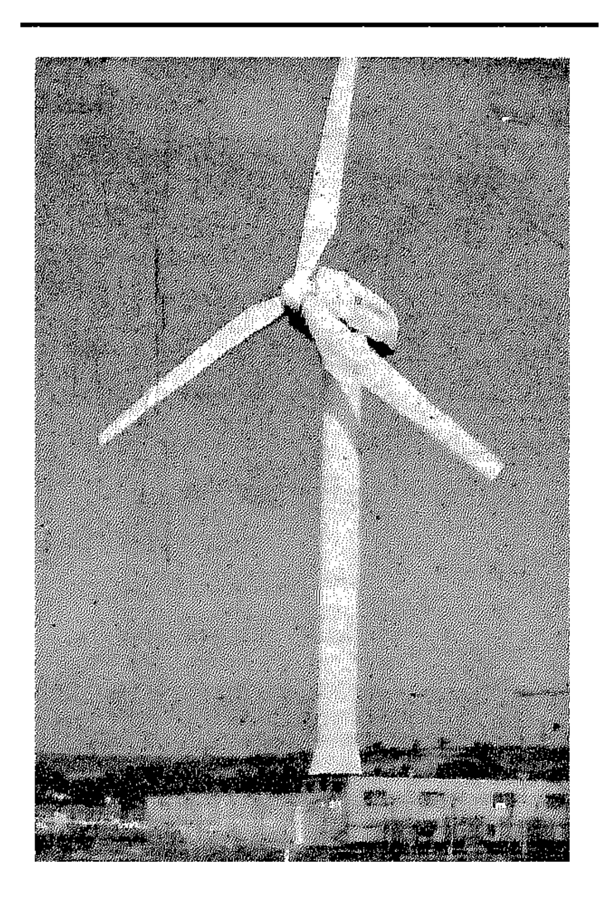
هنا خف علماء الهندسة الوراثية الى معونته وتوصلوا الى تقنية يمكن منها متابعة تقدم الخلايا المقاومة فى جسد المريض عن طريق زرع جين أو مورث يسهل متابعته .

وهذه التجربة المحدودة ليست سوى البداية اذ يخطط الباحثون فى المعهد القومى للصحة وغيره من المؤسسات الطبية لزرع جينان يمكن ان تساعد المرضى حقا فى مقاومة السرطان وغيره من الأمراض .

ويتوقع الباحثون ان تمكن التقنية المستخدمة من القضاء على بعض الامراض الوراثية بتغيير المورثات غير الطبيعية بأخرى سليمة ، ويبين هذا المشروع ان الخارطة التى اشرنا اليها فى فترة سابقة ليست مجرد اهتمام علمى محض .

وجدير بالذكر ان هذا يفتح الباب امام محاذير كثيرة فماذا مثلا اذا رغب الناس فى استخدام التقنية الجديدة ليس فى مجرد تغيير المورثات المسببة للمرض ، بل فى تحسين مايعتقدون انه متوسط القيمة (مثلما يحدث فى جراحـات التجميل) ومن يستطيع القطع بأن مورثا لايرى فيه الدارسون شيئا خاصا فى الظروف الراهنة يمكن ان ينطوى على منافع جمة وان كانت متنحية حتى تستجد ظروف تتطلب عملها .

• طاقة الالتحام النووى •



من المسلم به أن وتائر استهلاك العالم للطاقة فى تزايد مستمر كما ان الاعتماد على مصادر الطاقة التقليدية كالنفط والغاز امر مستحيل فناهيك عن محدودية الكميات المخزونة منها فان احتراقها يزيد من كمية ثانى اكسيد الكربون فى الجو الامر الذى يساهم فى امتصاص جو الأرض كميات اكبر من الطاقة الشمسية الأمر الذى يرفع حرارة الكوكب ويعمل على اذابة جليد المناطق المتجمدة ويمكن ان يؤدى الى غرق مناطق ساحلية كثيرة كثيفة السكان من عالمنا .

وليس من المتوقع ان يجرى حل ازمة الطاقة حلا ناجعا خلال السنوات العشر القادمة وان كانت خطوات اساسية سوف تنجز على طريق الاستفادة من الطاقة المتجددة مثل الطاقة الشمسية وطاقة الرياح ، وعلى طريق طاقة الاندماج النووى التى ستشكل الحل النهائى لمشكلة الطاقة بالفعل .

لقد نجح العلماء فى فك عقال الطاقة الناتجة عن انشطار نواة العناصر الثقيلة النادرة فى الطبيعة مثل اليورانيوم (القنبلة الذرية) والطاقة الناتجة عن انوية العناصر الخفيفة مثل الهيدروجين (القنبلة الهيدروجينية) ثم نجحوا بالتحكم فى طاقة الانشطار (المحطات النووية المعروفة) لكن عشرات السنين من كد العلماء فى السيطرة على طاقة الاندماج لم تفلح فى الابتعاد عن دائرة الحلم .

لكن العلماء نجحوا اخيرا فى تسخين المادة التى ستتحد انويتها لتوليد الطاقة الاسطورية الى درجة الحرارة المطلوبة لذلك ، وهى مائة مليون درجة (نقول ان الجو حار عند ٤٠ درجة مئوية) وفى مضاعفة فترة الابقاء على المادة فى درجة الحرارة هذه مئات المرات ، لكن مازال ينقصهم ثانية او ثانيتان ، لتحقيق مدة الثبات المنشودة لحدوث التفاعل ..

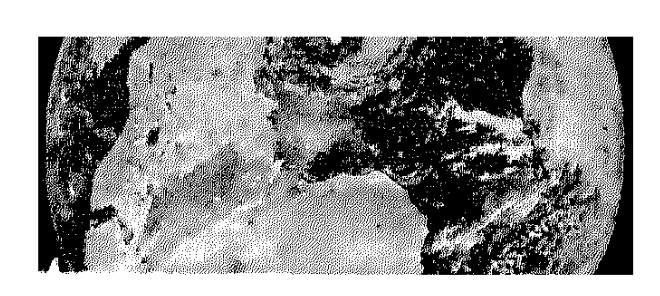
وهكذا يقف العلماء على عتبات انتاج اول وحدة تجريبية لانتاج طاقة الاندماج النووى ، والمتوقع ان يحدث ذلك خلال

العشر سنوات القادمة والمتوقع ظهور المحطات التجارية من هذا النوع عام ٢٠١٥ تقريبا . ولاتقتصر المسألة على ان الطاقة الجديدة لاتلوث الجو ولايتبقى عنها مخلفات ضارة ، ولا على ان مفاعلاتها لاتنطوى على اية مخاطر ، ذلك اننا نسد بما تنفقه فى سبيلها ـ مايقدر بمليارات الدولارات ـ بعض ديننا لاجيال المستقبل بعد أن اسرفنا فى استخدام نصيبهم من خدمات الطاقة .

● الفضاء من أجل الأرض●

بعد المباراة الحامية الوطيس بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى على غزو الفضاء خلال العقود الفائتة ، المتوقع بعد اتفاق البلدين على انهاء الحرب الباردة ، ان تتخذ الانشطة الفضائية وجهة اكثر تعاونا فى هذا المجال . مع التركيز على مايمكن ان تقدمه انشطة مثل الاستشعار عن بعد لصالح الأرض ، بعد ان كان الجانب العسكرى يستنفد كل الامكانيات التى يمكن ان توظف فى هذا المجال ، وقد بات بالامكان استخدام المعلومات الفضائية لا فى التنقيب عن الثروات الطبيعية فقط وانما فى رصد تحركات الاسماك فى المحيط مما يسهل عمليات الصيد ويرفع غلتها ، كما فى مكافحة الجراد وبعوض الملاريا و ....

من المتوقع ان تشهد السنوات العشر القادمة تعاونا بين البلدين وغيرهما من



بلدان العالم المتقدم فى انجاز عمليات صناعية على نطاق تجارى فى المحطات المدارية من طراز « مير » السوفييتية الدائرة فى الفضاء حاليا ـ ومحطة « فريدوم » الأمريكية المزمع اطلاقها فى بدايات العقد القادم .. والسلع المرشحة للانتاج قبل غيرها فى الفضاء هى انواع مستحدثة ـ من حيث المادة والحجم ـ من البلورات التى يمكن ان تحث تطور العقول الالكترونية حثا لايمكن ان نتصور اليوم ابعاده ، ثم انواع من الدواء لايمكن انتاجها على الأرض بالمرة ، او بنفس النقاء الذى ستحصل عليه فى الفضاء ، وسوف تستفيد الصناعات الفضائية من ظروف « انعدام الوزن » الأمر الذى يمكن ان يساهم فى خلط مواد لايمكن خلطها على الأرض بشكل جيد لاختلاف كثافتها ـ مثل الزيت والماء .

وهذا ويتوقع ان تساهم الازمات التى ستواجهها الأرض خلال التسعينيات فى ارجاء تحقيق احلام طموحه ، وفق امكانات البشرية حاليا ـ مثل الذهاب الى المريخ ، كما ستشهد السنوات القادمة عودة الى استخدام الاجهزة الاوتوماتيكية فى مواصلة سبر اغوار المجموعة الشمسية والفضاء من بعدها بعد نموذج جهاز « فوييجر » الذى فاق نجاحه كل التوقعات .

المائة الأعظم

بقلم: حسين أحمد أمين

الادريسى

١١٠٠ - ١١٦٦ م

صاحب خير محاولة للتقريب بين الجغرافيا الوصفية والفلكية . ورغم اننا لانستطيع ان نضعه فى مصاف العلماء المبرزين الممتازين ، فان كتابه « نزهة المشتاق فى اختراق الافاق » اكثر الكتب الجغرافية العربية رواجا وصيتا فى اوروبا . ذلك انه ليس ثمة كتاب حفظ لنا معلومات وافرة ذات قيمة كبرى عن الاقطار الاوروبية ككتاب الادريسى .

ولد فى مدينة سبتة بالمغرب وبدأ اسفاره فى سن مبكرة ، وكانت اسفاره الى مناطق لم يكن من المألوف فى ذلك العهد الاهتمام بزيارتها . فبعد ان زار لشبونة واسبانيا وسواحل فرنسا وانجلترا ، قصد اسيا الصغرى فجزيرة صقلية حيث اتصل ببلاط الامبراطور روجر الثانى فى بالرمو . وقد ظل الادريسى وثيق الصلة بروجر الى حين وفاة الثانى عام ١١٥٤ ، ثم عاد الى مسقط رأسه سبتة حيث توفى فى نحو عام ١١٦٦ . اما كتاباته عن الدنمارك والنرويج والسويد وفنلندا وروسيا واستونيا وشمال المانيا فالراجح ان مادتها مستقاة مما حصله من استجواباته النشطة للرحالة والحجاج .

ومعلوماتنا عن سيرة حياة الادريسى نزرة للغاية ، ومستمدة فى جوهرها من كتابه هو . بل اننا نجد خبيرا كبيرا بالادب الجغرافى مثل ياقوت الحموى صاحب « معجم البلدان » لايعلم شيئا على الاطلاق عنه ، شأنه فى ذلك شأن معظم علماء العرب . وقد يكون هذا الصمت من جانب العرب عن ذكره راجعا الى ان الادريسى عمل ببلاط ملك نصرانى بل واهدى اليه كتابه امتدحه فى افتتاحيته . غير ان الأرجح ان يكون حجم كتاب « نزهة المشتاق » وخرائطه المعقدة ، قد جعل من مسألة استنساخه امرا عسيرا واعاق

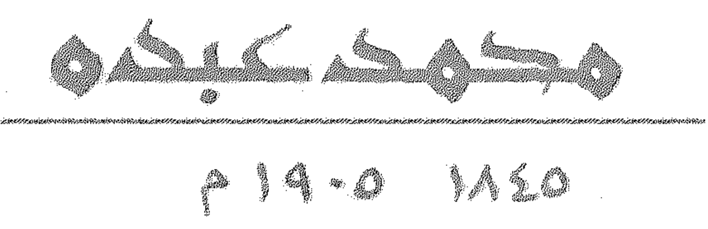


انتشار مخطوطاته فى العالم الاسلامى .

فبمدينة بالرمو اذن تقترن ذكرى انضر فترة فى حياة الادريسى . كما انه ليس ثمة مايبرر تكذيبنا لما ذكره فى مقدمة كتابه من ان الفضل فى ظهور الكتاب يرجع الى روجر الثانى الذى اوصى الادريسى بتأليف مصنف جامع فى الجغرافيا . وفى رأينا ان مجرد تكليف هذا الامبراطور لعالم عربى بالذات بوضع وصف للعالم المعروف انذاك . دليل ساطع على تفوق الحضارة العربية فى ذلك العهد ، وعلى اعتراف الكافة بهذا التفوق .

ويقدم لنا الادريسى فى البداية وصفا موجزا للأرض التى يتصورها على شكل كرة طول محيطها ٢٢٩٠٠ ميل ، ومعلقة فى الفضاء كالمح "البيضة » . وبعد وصف قصير للاقاليم والبحار والخلجان ينتقل الى وصف سطح الأرض واقطارها بالتفصيل . اما اهم اقسام الكتاب فهى التى افردها لافريقيا الشمالية واسبانيا وصقلية وسائر نواحى ايطاليا ، اذ هى تعتمد قبل كل شىء (خلافا للاقسام الاخرى) على الملاحظة الشخصية للمؤلف غير ان حديثه عن سائر البلدان الاوروبية - رغم افتقاره الى الدقة - يشتمل هو ايضا على مجموعة من المعلومات الهامة خاصة فيما يتعلق بالعلاقات التجارية ، والأوضاع الاقتصادية وبالتاريخ . اما الاقطار غير الأوروبية فان الادريسى لم يعرفها معرفة مباشرة باستثناء شمال افريقيا . ولم يعن بان يجمع عنها مادة وفيرة كتلك التى جمعها عن اوروبا بفضل اسئلته المتواصلة للحجاج والرحالة . لذلك جاءت كتاباته عن جنوب شرقى اسيا مثلا - بما فى ذلك الهند - وكذا عن الصين ، ضحلة للغاية ويشوبها الاضطراب . وقد اعتمد فى وصفه لافريقيا السوداء على كتاب بطليموس ، وان كان وصفه لمجرى نهر النيجر قد اكدت صحته الاكتشافات الجغرافية الأوروبية فى القرن التاسع عشر .

ويضم كتاب الادريسى سبعين خريطة لابد عند تحليل الكتاب من تحليل مماثل لها جنبا الى جنب مع المتن ، وتتميز هذه الخرائط بدقة الرسم ، وباطراح منهج الخطوط المستقيمة والدوائر الهندسية المعروف قبله . ويعتبر تحديده لسواحل البحر الابيض المتوسط اقرب الى الواقع من اى من الخرائط السابقة على خريطته لها ، فخرائطه اذن هى أوج فن رسم الخرائط الجغرافية عند العرب . بل لعلها اهم اثر لكارتو جرافيا العصور الوسطى على الاطلاق اما « نزهة المشتاق » نفسه فان اراء المستعربين والجغرافيين فى القرن العشرين موزعة بين اعتباره « محاولة التنظيم والترتيب على حساب الدقة والثبيت » واعتباره « افضل كتاب فى الجغرافيا وصلنا من العصور الوسطى ، سواء من الشرق او الغرب » .



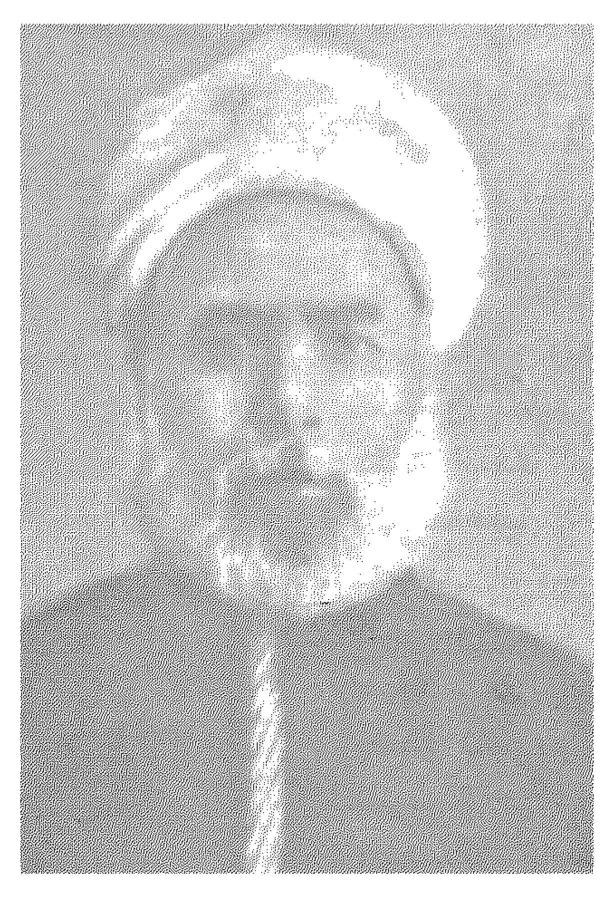
أعظم المصلحين الدينيين والاجتماعيين فى مصر فى العصر الحديث ، وداعية بارز إلى فتح باب الاجتهاد من أجل ملاءمة الاسلام مع حاجات العصر الحديث .. ومع أنه حورب فى زمنه من قبل من رأوا فى الاصلاحات والآراء التى ينادى بها خطرا على مصالحهم (وهى معارضة حالت دون تنفيذ الكثير من هذه الاصلاحات) فإن خصومه أنفسهم لم يشكوا قط فى نزاهة أغراضه ، وطهارة شخصه ، وحميته للدين .

كان يؤمن بأنه إذا أصلح الأزهر أصلح حال المسلمين ، وفى رأيه أن إصلاح الأزهر يكمن فى إصلاح الإدارة والتعليم فيه ، وتوسيع مناهجه حتى تشمل بعض العلوم الحديثة ، وتقوية وجوه الشبه بينه وبين الجامعات الأوروبية حتى يصبح منارة وهدى للمسلمين العصريين كافة .. وعنده الأزهر إما أن يعمر ، وإما أن يتم خرابه .. وقد فشل فى إقناع شيخ الأزهر آنذاك وسائر الشيوخ بالأقدام على الاصلاح .. فسعى إلى الحصول على تأييد الخديو توفيق لخططه .. ولكن دون جدوى .. فلما تولى عباس حلمى الحكم أصدر قرارا بتشكيل مجلس لإدارة الأزهر كان محمد عبده ممثل الحكومة فيه ، والروح المحركة له .. وقد نجح المجلس فى زيادة رواتب الشيوخ الفقراء من مدرسى الأزهر ، واهتم بمساكن المجاورين وظروفها الصحية ، وجدد مكتبة الأزهر التى كانت فى حال يرثى لها ، واضاف إلى العلوم التى تدرس فيه الحساب والجبر وتاريخ الاسلام ومتن اللغة وادابها ومبادىء الهندسة

والجغرافيا .. غير أن الخديو عباس سرعان ما انقلب عليه وبات يعارض إصلاح الأزهر ، مما رجح كفة المحافظين ، فاستقال الشيخ محمد عبده من مجلس الادارة وعاد الأزهر إلى مسيرته الأولى ونهجه المألوف .

أما عن عمله فى منصب الافتاء فقد ألبس هذه الوظيفة ثوبا جديدا .. فقد كان أكثر أسلافه يظنون أن المفتى مستشار دينى للحكومة ، فلا يكتب ولايفتى إلا فى المسائل التى تحيلها عليه المصالح الحكومية .. وقد تناولت الفتاوى العديدة التى أفتى بها محمد عبده الأمور الناجمة عن مخالطة المسلمين لمن يخالفونهم فى الجنس أو الدين ، والتى تمس أحوال المدنية الحديثة .. وكانت فتاواه كلها تتميز بروح من الاستقلال والتحرر من أغلال التقليد وتزخر بالرغبة القوية فى جعل الاسلام ملائما لحاجات المدينة الحديثة ، وأشهر فتاواه التى أثارت عليه معارضة المتمسكين بأهداب القديم ، الفتوى التى تحل للمسلم ذبائح الكتابيين ، وتلك التى تحل إيداع الأموال فى صناديق التوفير وأخذ الفائدة عليها ، وفتواه التى تحل للمسلمين أن يلبسوا ملابس الأوروبيين ..

وقد تأثر محمد عبده تأثرا كبيرا من جراء صلته بجمال الدين الأفغانى .. فقد فتح الثانى أمامه آفاق العالم الاسلامى ، ومشكلات العالم المعاصر ، ووجهه نحو الصحافة التى تعلق بها طيلة حياته ، مشتركا معه فى تحرير « العروة الوثقى » بباريس ومن خلال مقالاته الصحفية .. كما من خلال دروسه فى دار العلوم والأزهر ، ونشر آراءه الحرة الحديثة ، وعمل على تغذية الروح الوطنية فى المصريين ، ودعا الى العودة بالاسلام



إلى ماكان عليه فى الصدر الأول من تحرر واجتهاد ، والى النهوض باللغة العربية من كبوتها وإحياء آدابها ، ورفع راية حرية البحث فى الدين ، واستنكر انشغال الفقهاء وعلماء الدين بالتفريعات والتفاهات ، وحارب الخرافات السائدة بين العامة ، ونادى بالتسامح الدينى ، وأعرب عن ثقته بأنه لاتناقض بين الدين والعقل ، وأنه بوسع المسلمين الإفادة من التقدم العلمي فى الغرب متى ماطهروا العقيدة الاسلامية من كل ماتراكم عليها على مدى القرون من أوهام وشوائب ليست منها .. وكان يرى أن السبيل الحق لتحرير الشعوب من الاستعمار والاستبداد هو الاهتمام بالتعليم والتربية ، لا الانقلاب أو الثورة على نحو ماسعى إليه الأفغانى ، مؤمنا بالتدرج دون الطفرة .

ابن الرومى

٨٣٦ ٨٩٦ م

أشعر أهل زمانه ، وأكثرهم شعرا ، وأحسنهم أوصافا ، وأبلغهم هجاء ، وأوسعهم افتنانا فى سائر أجناس الشعر وضروبه وقوافيه وتشبيهاته ، وكما يتفق النقاد العرب ـ عكس النقاد من المستشرقين ـ على تفضيل المتنبى على أبى نواس ، فهم يتفقون على تفضيل البحترى على ابن الرومى ، فى حين يرى الغربيون أنه وإن كان البحترى أجمل لغة وأكثر صقلا ، فان ابن الرومى أكثر إخلاصا لنفسنه ، وأقل تقيدا بالقديم وأغراضه ، وأن الكثير من قصائده ، كمرثيته فى ابنه ، فيه من حرارة الشعور وعمق الإحساس مايندر أن نجده فى الشعراء غيره باستثناء أبى فراس .

يقول المرزبانى عنه : « وهو فى الهجاء مقدم لايلحقه فيه أحد من أهل عصره غزارة قول ، وخبث منطق » والواقع أن الهجاء غلب على ابن الرومى حتى شهر به ، وحتى أصبح يقال « أهجى من ابن الرومى » غير أن فى هجائه من الاحتقار المخلص والازدراء الحقيقى مايعوض عن إقذاعه المفحش ، ويظهر ابن الرومى فى وصفه قوة ملاحظة غير عادية ، ويضع لمسات سريعة منه كفيلة بأن تجعل لوصفه تأثيرا حيا ، ومن خصائص شعره اللافتة للنظر اتصال الجدل فيه وتماسكه بحيث تغلب عليه وحدة القصيدة لا وحدة البيت كما عند غيره (وهو أحد الأسباب التى دفعت عباس العقاد إلى تفضيله على غيره من الشعراء) كما نلاحظ جرأته فى صوغ تجاربه فى صورة موضوعات وألوان من الحوار ، وفى طرق التعبير التى قلما ترد فى شعر غيره من شعراء العربية فى عصره ، حتى إنه لفى الوسع اعتبار ابن الرومى مبتكرها أو مكتشفها ، إذ ليس ثمة دليل واحد أنه أخذها من غيره ولو أنها كانت تطورت على أيدى الشعراء بعده لأضافت العنصر الدرامى أو القصصى إلى الشعر العربى ، غير أن هذا التطوير لم يحدث ، ومع ذلك فإن تأثير ابن الرومى فيمن بعده ـ كالمتنبى ـ كان واضحا .

ويضم شعر ابن الرومى جميع فنون الشعر التى عرفها العرب فى عصره ، من مديح وهجاء ونسيب وخمريات ووصف



وفخر وحكمه ومراثى ، وربما كانت لغته من أكثر مايشد انتباهنا الى شعره ويدفعنا إلى الاعجاب به .. فهى لغة موجزة محكمة كثيرة الألفاظ والأسلوب سهل إلى أقصى حد بحيث يشبه العربية الأدبية فى القرن العشرين ، وبحيث يستطيع المثقفون الناطقون بالعربية فى يومنا هذا فهم شعره دون مشقة أو حاجة إلى شروح لكلمات فيما عدا الألفاظ الفارسية التى كانت فى عصر ابن الرومى جزءاً من اللغة المتداولة فى بغداد .

وقد كان ابن الرومى قادرا على نظم القصيدة الطويلة فى ساعات قليلة ، دون أن ينقحها بعد نظمها أى تنقيح .. لذلك فإن مابقى من شعره يفوق ماخلفه أى شاعر عربى آخر فى عصره بقدر كبير فهو ضعف شعر البحترى ، وثلاثة اضعاف أو أربعة اضعاف شعر أبى تمام ، وغزارة انتاجه هذه قد تكون السبب فى كثرة الأخطاء النحوية فيه ، كما انها ـ هى وبذاءة هجائه ـ حالتا قرونا طويلة دون نشر ديوانه كاملا حتى تصدى الدكتور حسين نصار لهذه المهمة عام ١٩٧٣ .

وقد جلبت بذاءة هجاء ابن الرومى عليه عداوة الكثيرين ، كان من بينهم القاسم بن عبدالله وزير الخليفة المعتضد الذى يقال انه دس السم للشاعر فى حلوى اللوزينج ، فمات وإن كان عباس العقاد يرجح أن يكون حديث السم خرافة مخترعة ، وأن يكون ابن الرومى مات من مرض السكر بعد إفراطه فى أكل الحلوى .

● الراديكالية ●

● يكثر فى هذه الأيام ترديد كلمة « راديكالية » دون أن يحاول احد ممن يرددونها ان يشرحها ، مما يجعل القارىء او المستمع لايعرف المقصود منها بالضبط ، فماذا تعنى هذه الكلمة وما المراد بها ، وهل هناك كلمة عربية بديلة لها ؟ !

محمد حسن عبد الراضى
اسيوط

● تعليق الهلال :

ـ فعلا .. ترديد هذه الكلمة كثير فى هذه الأيام بدون معنى محدد لها .. والراديكالية تعنى « الجذرية » .. أى رد الأشياء الى جذورها ، أو طلب الاصلاحات الاجتماعية والسياسية العميقة التى تحقق المساواة .. وقد ظهرت هذه الكلمة منذ حوالى مائتى عام فى انجلترا مع ظهور الطبقة الصناعية التى تتعارض مصالحها مع مصالح الأقطاعيين والنظام الملكى البريطانى فى ذلك العصر .. وقد أيد الراديكاليون الثورات فى أوربا وأمريكا ، وتكونت احزاب راديكالية تحمل هذا الاسم . ولكنها تلاشت ، وبقيت الكلمة مرادفة للتطرف السياسى والاجتماعى ، ولم يتفق اصحاب الأقلام العربية على ترجمة واحدة لهذه الكلمة ولذلك يستعملونها كما وردت فى اللغات الاوربية .

● ذقن أبى الهول ●

علامة الحزم والوقار — ومعقد العزم فى اقتدار
وزينة الوجه فى ائتلاف — ومظهر اليمن واليسار
ياصاحب الذقن كنت دوما — ترنو الى الرمل فى اصطبار
يبدو محياك فى اعتداد — فى صحبة الليل والنهار
يافكرة الحق فى ضحاها — وشامة المجد والفخار
قم وانظر الشرق مادهاه — الحرب والسلم فى دوار
عز على النيل مايراه — من فرقة الأهل والجوار
مدوا يد الحسم باتحاد — لن ينجح العرب بانتظار
هذا ابو الهول فى اعتداد — حامى حمى النيل والذمار

زفوا الـى ذقنـه التحايا لابد من عـودة المعـار

عبد العزيز بيومى على
مدير بالمدارس الثانوية سابقا

• المجلات وملاحقها •

• اين ملحق الهلال « الزهور » الذى كان يصدر معها فى السبعينات ؟ ! .. ها أنتم ترون طوابير المواهب وبالذات فى الشعر ، ومع وجود الأمية والتخلف .. فليس قراء الأدب فى الغالب إلا ادباء المستقبل .

وأخيرا رجاء - قد يكون مملا - بأن تنظروا بالرأفة الى القصيدة المرفقة فقد تكون صالحة للنشر وهى نتاج عام ١٩٨١ ، ١٩٨٩ .. تحت اسم « ليس زمن الفرسان » .

عادل عمر محمد الشيخ
مهندس زراعى - مدينة رشيد

• تعليق الهلال :

- « الزهور » لم تكن فى الأصل ملحقا للهلال ، بل كانت مجلة مستقلة فكر فى اصدارها المرحوم يوسف السباعى حين تولى رياسة مجلس ادارة دار الهلال سنة ١٩٧١ ثم قضت الظروف بجعل هذه المجلة - مؤقتا - ملحقا للهلال ريثما يتيسر لها الصدور فيما بعد مستقلة .. وبعد سنوات رئى الاكتفاء بما صدر من اعدادها . وسوق الصحافة والنشر حافلة الآن بالمجلات ولا تحتاج الى ملاحق .. أما « قصيدتكم فهى فى الحقيقة نثر لاشعر لأن الوزن ينقصها الا فى سطرين او ثلاثة منها » .. فهل كتبتموها فى الأصل لتكون شعرا منثورا او قصيدة نثرية ؟ ! ..

• المصرى وذل الاغتراب •

أيا ابن مصر العظيمة يا ذا العروق الكريمة
انعم بخير مقام تعليك خير أرومة
ولا تبال بفعل من النفوس السقيمة
فأنت أعلى واسنى فى الفضل قدرا وقيمة
وأنت تحكى وحقا من السماء نجومه

لقد سبقت بعقل
النيل انت وخوفو
هذى لعمرى اصول
فى الدين حزت امتيازا
جمعت كل فخار
وعش لمصر كريما

أسقى الجميع علومه
ويعرب والعزيمة
هى الأصول القويمة
بملة مستقيمة
فعش لمصر الكريمة
ان الكرامة قيمة

احمد قاسم احمد
قنا - شارع على بن ابى طالب

• المصرى والغربة •

مازال المصرى عظيما رغم الغربة ! .
يقتله الشوق .. يقتله الناس ..
لكن المصرى عظيم فى غربته الصارمة الوجه .
لا يحمل ذلا - لايرضى الضيم
يعمل مالا يقدر أن يعمله الناس
ويقابل كل جحود بالنسيان ! ..

وهبى عبد الله حامد
بهجورة

• إليها •

تدير « دركسيونا » فى يديها
يدا (حواء) من در مصفى
فغض الطرف ان تنظر اليها
فان صعّدن فلسوف تلقى
وسوف تراك مشدودا بعنف
ويامسكين ، سوف تصير صيدا
ومن ثمّ اعذرونى يارفاقى
فأنى شاعر ، والشعر لمح

وتلهو بالحياة ، وما عليها
وقد سأل النضار بساعديها
وقل : سبحان من سوى يديها !
بنفسك فى تضرم وجنتيها
تقبلها ، وتأكل جمرتيها !
لسهم قاتل فى ناظريها !
اذا اهديت أبياتى اليها
وقد سطرته اذ قال : ويها !!

رمضان ابو غالية
الوكيل الأول لقويسنا الثانوية للبنين

● مصيبة اللغة والأدب ●

● لقد « استئت » كثيرا جدا لانكم تنقدون اشعارى بالطريقة الجبارة التى تهدم الشعراء و « المثقفون » ولاتجعلهم « يبدئون » بداية شاعرية جيدة ، ولهذا ارسلت لكم هذه القصيدة حتى « تحكمون » « حكم جيد » على شعرى ولا « تمزقونه » ابدا ، هذا وقد اوجه شكرى لكل من دافع عن اشعارى الجيدة التى لها مذاق خاص ومتفردة عن اشعار « الكثيرون » من شعراء هذه الأيام : مع الشكر والأحترام .

وهذه هي القصيدة :

كان حين أطل من ثقب صغير يقول
كان اعطيناك الكوثر فانزعج جدا .
كانت توابيت الذكرة المبعوثة متنافرة الى حد « الانلماج »
المباشر مع الأحداث الكونية .
اخذ يغنى ويغنى ـ اراك « عاصى الدمعى »
ضحك القمر وبكت النجوم « وشهدت » على ذلك الليل الطويل
حين اطل ـ قال ـ لاتلومونى فقد .
صغت « شيى » فريدا جدا ـ رحمك من « هاذا » العذاب
ظهر الفرس فسكت عن الكلام « النباح »
ونظر الى حبيبته وابتلع كبسولة « مضادة حيوى »
ونام واستيقظ على صوت « ناعما » وهو صوت امرأته
كانت جهزت له الشاى
لم يتكلم وتركها واشعل سيجارته وقال
كان فان جوخ « فنان عظيم » جدا
انتهت اللوحة

اوفى عبد الله الأنور
سوهاج

● تعليق الهلال

ـ تجىء إلينا من سوهاج احيانا رسائل مدسوسة من بعض من لا خلاق لهم ، على بعض الأدباء لاظهارهم فى صورة من يجهل ابسط قواعد النحو والصرف والاملاء .. فاذا لم تكن رسالتك هذه مدسوسة علينا ، فانها تكون مصيبة للغة والأدب ، فكاتب هذه الرسالة لايعرف شيئا فى الأملاء ، فضلا عن النحو والصرف ،

وهو مع ذلك يتصدى لكتابة الشعر الذى لايعرف شيئا عن اوزانه بطبيعة الحال .. لقد وضعنا لك مصائب اللغة من اخطاء النحو والصرف والأملاء فى رسالتك وفى قصيدتك بين اقواس ، فاسأل عنها من يعرف هذه الأمور ، وابدأ من جديد ، محاولا ان تتعلم هذه اللغة المسكينة التى تنقرض بين ايدى اهلها !! ..

• إلى أم كلثوم فى ذكراها •

لآهاتك القلب غنى ونادى عصى الدموع
وطار ـ الى عرفات ـ يطوف
ويلثم مهد النبى الأمين
ويرجع معنى لما هو آت يسائله العاشقون
يقول : سلوا قلبى .
الناس تخرج ـ من ثورة الشك ـ سابحة فى الحنين
الى ذكريات تفيض ، فيجلو لديها الغموض
على طرق الفاتحين !!!

عبد الرحيم الماسخ
نجع الماسخ / المراغة / سوهاج

• الصنبور •

عطشانا جئت الى الصنبور فقابلنى بصفير
فعددت يدى استجدى نقطة ماء اسالها
عن سر الحب كأنى شحاذ يتجسد فيه الف فقير
نزلت فى كفّى نقطة ماء فى لون الفضة
نزلت بثياب قد صنعت بحرير
قالت : ان كنت تريد مياها من هذا النهر
زايد : واحرص ان تدفع اعلى سعر فى المهر
اما ان كنت تعانى من ظلم الفقر
فاشرب ـ ان شئت ـ من البحر

عبد العزيز الشراكى
المنصورة

● أسمهان والجاسوسية ●

● جاء في فقرة من مقالة « المطربة ورئيس الديوان » في هلال نوفمبر الماضي للاستاذ كمال النجمي مايلي :

« بدأ الانجليز يقبضون ايديهم عن اسمهان بعد انتهاء مهمتها ، وهنا هبط عليها احد وكلاء المخابرات الألمانية يعرض عليها ان تعمل لحساب الألمان وأعدت كل شيء للسفر وركبت القطار من حلب قاصدة الحدود التركية ، ولكنه لم يكد يقترب من الحدود التركية حتى توقف ودخل ضابط بريطاني وطلب إليها ان تغادر القطار وكانت في انتظارها إحدى السيارات الحربية وعادت بها الى حلب ، ولم يبين الكاتب خفايا هذه الواقعة حيث بدأت هذه الحكاية عندما تعرفت اسمهان على احد الصحفيين الأمريكيين وكان هذا الصحفي يتعامل مع الألمان ودول المحور وكان هذا الصحفي مكلفا من سفير المانيا في انقرة وقتها ـ فون باين ـ باحضارها الى تركيا حيث ستتم تصفيتها جسديا ـ اى إعدامها ـ حيث انها قد حكم عليها بالأعدام من قبل السلطات الألمانية لتجسسها لصالح بريطانيا . وبالفعل وافقت اسمهان على السفر مع الصحفي الى تركيا وفي القطار فشلت الخطة حيث اوقفت المخابرات البريطانية القطار وانزلت اسمهان بالقوة واعتقلت الصحفي الامريكي حيث انها ـ اى المخابرات البريطانية ـ علمت بالمؤامرة كلها قبل ان يتم تنفيذها بساعات قليلة لولا ذلك لكان الأعدام من نصيب اسمهان دون شك .

صلاح الشهاوى ـ طنطا

● تعليق الهلال :

ـ قبل كل شيء لاتضع همزة تحت حرف الألف الأول من اسم اسمهان ، لان الهمزة فوق الألف .. اما قصة هروب اسمهان الى تركيا لمقابلة فون بابن (الباء لا الياء) فلم نتوسع فيها اختصارا ، لأنها تستغرق وحدها عدة صفحات وقد ذكرها المرحوم محمد التابعي في كتابه عن اسمهان ولم نشأ أن ننقلها عنه وأما قولك إن الألمان كانوا يريدون إعدام اسمهان فغير صحيح ، والصحيح أنهم كانوا يريدون استخدامها في التجسس ، ولم يحكموا عليها بالأعدام ، ولا ندرى من اين جئت بهذه الحكاية غير الصحيحة ، لكن الأنجليز هم الذين كانوا سيعدمونها لأنها شرعت في خيانتهم ، ثم توسطت فرنسا في الأمر وتحولت اسمهان الى مجرد عميلة فرنسية ! ..

• مصر •

بلدى قراها جنة ... يحلو بها شم النسيم
فيها البساطة قد بدت ... والخير والخلق الكريم
اشجارها أطيارها ... تشدو لخالقها العظيم
والنيل يجرى هادئا ... يشفى برؤيته السقيم
شكرا إلهى قد حبو ... ت لمصر أسرار النعيم

وائل محمد جاويش -
تجارة القاهرة

• أنا والليل •

أبواب ..
أطرق منها
ما أعرف
كي لا أعرف ..
انى ..
مازلت غريب !!
وأهيم بكل العالم
أقرأ مالا يقرأ

استلهم
مالا يلهم !
لكانى اعرف انى ..
قد عشت العمر غريب
انا والليل صديقان
قد حرنا
من فينا .. انا والليل
تراه الشاعر



رمضان الهجرسى

● مع أصدقائنا ●

● يوسف عبد الحميد النورى - كوم الحجنة - كفر الشيخ :
- سؤالك عن الأديب الذى احبته الأديبة المشهورة المرحومة الآنسة مى ، لا جواب له لأنها لم تحب أحدا من الأدباء ولا من غير الأدباء وكل ما يزعمه الزاعمون غير ذلك ، فهو اقاويل وتلفيقات ! » .

● صلاح الدين امين حسين - المعهد الفنى الصناعى بشارع الصحافة - القاهرة .
- نحيى فيك حبك للأدب والشعر ، ونحثك على القراءة الكثيرة والتعلم الطويل ، لانك مازلت فى أول الطريق .

● رفعت عبد الوهاب المرصفى - القاهرة :
- نشكركم على ماتوافوننا به من اشعار ، ونحاول أن ننشر منها مايتاح لنا نشره .

● عبد الحميد عبد السلام شمخ - شبراخيت :
- نعم ، تستحق « الانتفاضة » أن يتغنى بها كل شاعر عربى ، ولكن قصيدتكم التى بعثتموها الينا عنها تحتاج اوازنها الى إعادة نظر !

● أشرف العنانى - العريش :
- نشكركم كثيرا على تحيتكم للهلال ، ونرجو أن تتسع الأيام لكم للتمكن من الأوزان الشعرية .

● أشرف محمود خليل - مهندس بورش المحركات - المنصورة :
- قصتكم «الكابوس » عن التعذيب فى السجون ، تتحدث بطريقة «الحدوتة » الساذجة المباشرة الخطابية .. وفيها كثير من أخطاء النحو واللغة والتعبير .. اقرأ عن فن القصة كثيرا واكتب قليلا حتى تنضج أدواتك ..

● وائل وجدى - الدقى - الجيزة :
- أقصوصتكم «براءة» المكونة من سبعة أسطر لا تدخل فى باب الاقصوصة ، لأنها مجرد خاطرة أو نظرة سريعة ..

● ونشكر اصدقاءنا السادة : ابراهيم سمير سعدة .. فتحى سلمان .. صالح السباعى .. عاصم فريد البرقوقى .. خليفة على اسماعيل .. رفعت محمد بروبى محمود عبد المجيد أحمد .. عبد العال عبد الصمد الشال .. اشرف محمد ابو العز .

المجلة الثقافية

لست أعرف وسيلة ثقافية أطول عمرا ، وأجمع أمرا ، وأطيب ثمرة ، واقرب مجتنى ، وأوجد فى مكان ، من مجلة تزين مكتبتك ، وتمدك بالمعرفة حين تحب ، وتستجيب لندائك ساعة الملل ، وتفرج عنك لحظة الكرب ، مع رخص ثمنها ، وإمكان وجودها ، وخفة حملها ، وتنوع ماتقدم من زاد ، لولاه لبطل أكثر العلم ، وغلب سلطان النسيان ، وحرمنا أكثر النفع والمتعة .

إنها مسامر لايضايقك فى حال شغلك ، ويسعدك فى لحظات نشاطك ، وزائر إن شئت جعلت زيارته غبًا ، وإن شئت لزمك كظلك ، وكان منك بعضك ، لايعاملك بالمكر ، ولا يخدعك بالنفاق ولايحتال لك بالكذب .

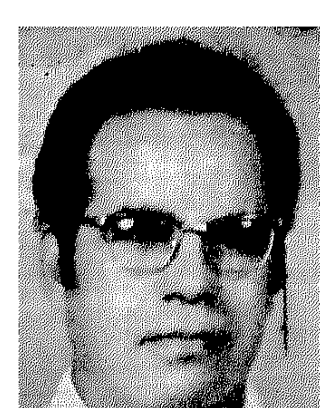
أحلم بمجلة تتسع لكل فكر جديد من ثمار العقول الرفيعة ، والتجارب الحكيمة ، والآداب المتنوعة ، وأن تعيش حاضرنا دون أن تنسى الماضى ، فمن لا تاريخ له لاحاضر له ، وألا تقف عند لحظاتنا المعاشة ، وإنما تتجاوزها إلى المستقبل ، تتنبأ وتبشر ، وتهيىء الأذهان لعالم جديد لما يزل جنينا فى ضمير الغيب .

مجلة تكون من الوضوح بقدر لايحتاج معه القارىء إلى إعمال روية فى فك طلاسمها ، أوكدح ذهن فى حل معمياتها ، فلا تتعالى عليه بالكلمة الغامضة ، أو الأفكار المعقدة ، أو العجمة المربكة ، وأن ترتفع فى الوقت نفسه عن العامية الساقطة ، فتجىء لغتها صافية مهذبة .

مجلة تسمو عن الاقليمية الضيقة ، المحلية المعوقة ، فتكون لأبناء العرب جميعا ، مهما اختلفت بهم المهابط أو باعدت بينهم الأراء يجدون فيها أمتهم فى ماضيها ، وحاضرهم على حقيقته ، ومستقبلهم الذى يأملونه ، وعلى صفحاتها يتعارفون ويتوادون

لا أعلم جارا ، ولارفيقا أطوع ، ولاصديقا ، ولامعلما أنفع ، ولاصاحبا أظهر كفاية وأقل إملالا ، من مجلة أحسنت اختيارها ، وجعلتها لك صديقا . وهى ثروة لاتدفع عليها ضريبة ، ولاتنقص مع الانفاق ، وخير المالكين من أورث بنيه مايجمع ولايفرق ، ويعطى ولايأخذ ، ويجود بالكل دون البعض ، ونعمة لا حيلة فيها لحاسد ، ولايرغب فيها سارق !

د. طاهر مكي



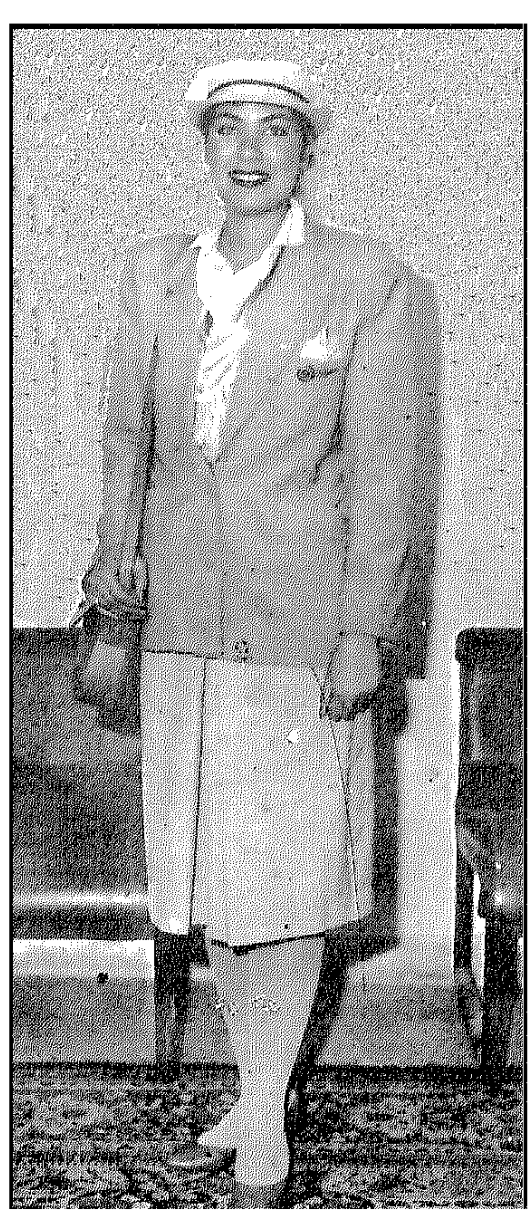


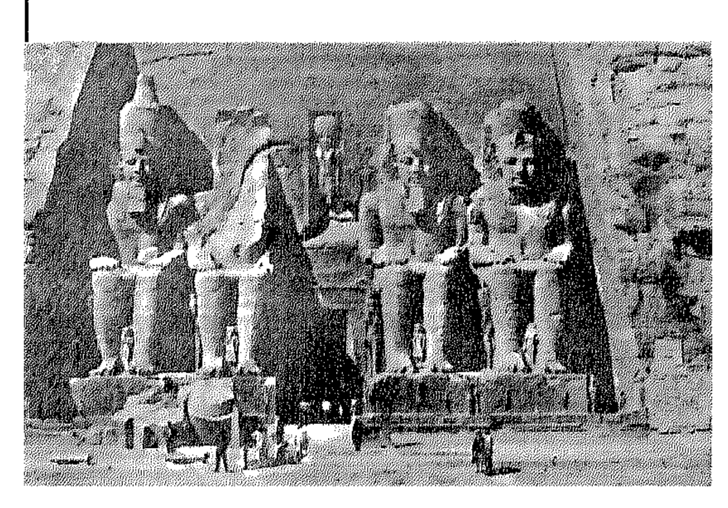
مصر للطيران

- خدمة متميزة وكرم ضيافة
- رحلات مباشرة الى البلاد العربية، ومعظم مدن العالم

مصر للطيران

أهلا بكم معنا

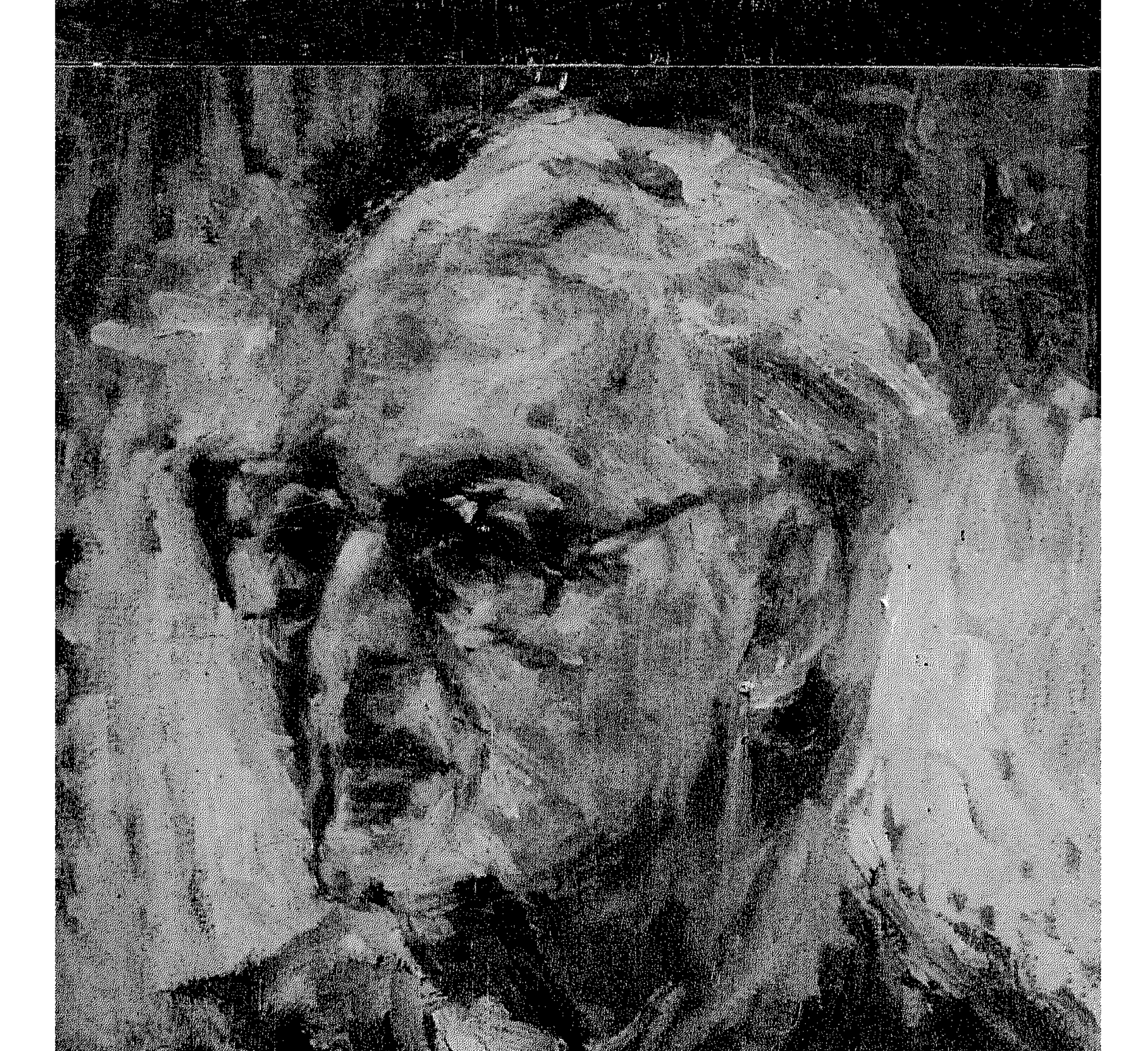


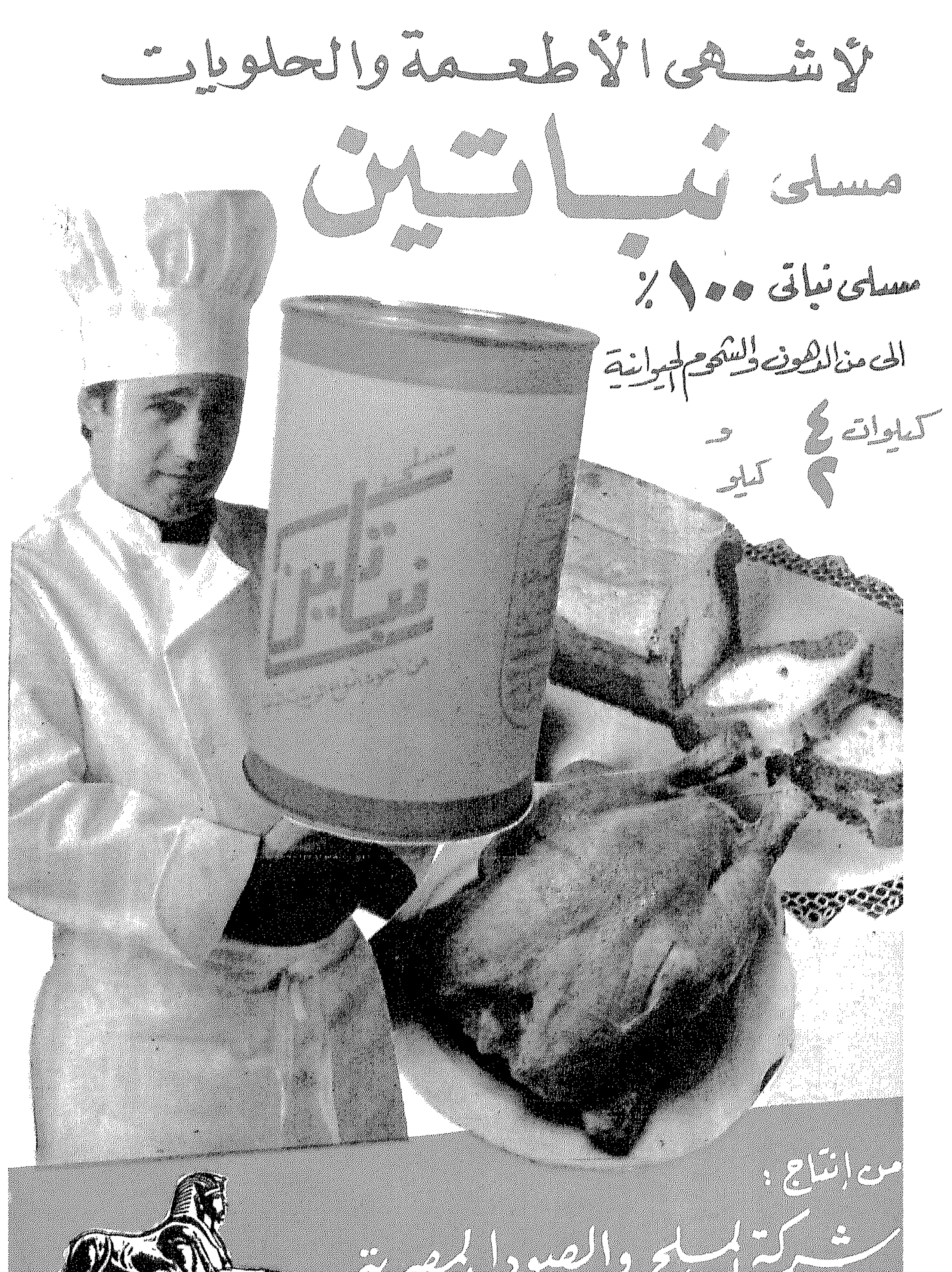


الهلال

فبراير ١٩٩٠ ● الثمن ٧٥ قرشا

احسان عبد القدوس
أمس .. واليوم .. وغدا





لأشهى الأطعمة والحلويات
مسلى نباتين
مسلى نباتى ١٠٠٪
الى من الدهون والشحوم الحيوانية
كيلوات ٤ و ٢ كيلو
من انتاج :
شركة الملح والصودا المصرية

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

نائب رئيس مجلس الإدارة
عبد الحميد حمروش

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المستشار الفني
محمد أبو طالب

مدير التحرير
عاطف مصطفى

المشرف الفني
محمود الشيخ

سكرتير التحرير التنفيذي
عيسى دياب

السنة السابعة والتسعون • فبراير ١٩٩٠ • رجب ١٤١٠ هـ

يحيى حقي ينال جائزة الملك فيصل

يقاس تقييم اية جائزة ، بمن تقدم لهم هذه الجائزة ، وللاسباب التي تقدم من اجلها الجائزة الى اديب او فنان او عالم دون غيره .

ـ وجائزة الملك فيصل في القصة القصيرة ، حين تختار يحيى حقي هذا العام ، فإنها تحقق هدفا عظيما ، هو تتويج اعمال فنان كبير .

ـ فيحيى حقي رائد من رواد القصة القصيرة العربية ، رائد بالسبق الزمني ، فقد كتبها منذ العشرينات ، ورائد بالابتكار في اشكال القصة القصيرة ، ورائد في النزعة الانسانية الصادقة .

ـ من دواعي سعادة مجلة « الهلال » ان يحيي حقي اختارها ، لينشر فيها سلسلة مقالاته تحت عنوان ثابت « قنديليات » ، نسبة الى « قنديل ام هاشم » ، احد اهم اعماله الابداعية .

كما كان من حسن حظ مجلة « الهلال » ان قدمت يحيي حقي في ندوة مع عدد من تلاميذه ومريديه ، نشرتها المجلة على امتداد عددى اغسطس وسبتمبر ٨٩ .

ـ ومجلة « الهلال » تقدم التهنئة الى الاستاذ الكبير يحيي حقي والى جائزة الملك فيصل للقصة القصيرة .

ويعد فوز نجيب محفوظ باهم جائزة عالمية (نوبل) توالت الجوائز الادبية وفاز الدكتور يوسف ادريس ومن بعده الكاتب الكبير فتحي غانم بجائزة صدام .

وجاء الوقت لكي يعود كتاب مصر الى مكانتهم في قلب الامة العربية .

اقرأ مقال يحيي حقي ص ١٦

عدد خاص

احسان عبدالقدوس :
أمس .. واليوم .. وغدا

فكر وثقافة







الغلاف : إحسان
بريشة الفنان : صبرى راغب

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار موضحة بعاليه عند الطلب .

جولة المعارض

قصة وشعر

الأبواب الثابتة

دار الهلال

١٦ شارع محمد عز العرب الرقم البريدي (١٥١١) القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط - مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١
رقم التلكس 92703 HILAL U.N




لبنان ٧٠٠ ليرة ، الاردن ٦٠٠ فلس ، الكويت ٥٠٠ فلس ، العراق ٢٠٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريالات ، جمهورية اليمن الديمقراطية ١٢٥ سنتا ، البحرين ٨٠٠ فلس ، الدوحة ٧ ريالات ، دبي ٧ دراهم ، ابو ظبي ٧ دراهم ، مسقط ٧٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة والضفة ٧٥ سنتا ، داكار ٦٠٠ فرنك ، لندن ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة ، نيويورك ٤٠٠ سنت ، الجمهورية العربية اليمنية ٨ ريالات ، كندا ٥ دولارات ، لوس انجلوس ٤٠٠ سنت



بلاغ إلى النائب العام ..

كتاب ضخم (٣٥٠ صفحة من القطع الكبير) يتضمن جريمة قذف وسب علنى متكرر على امتداد صفحاته ، والأخطر من ذلك ان هذا الكتاب ـ فى حقيقته ـ هو حيثيات حكم بالردة عن الدين ، والردة عقوبتها القتل فهل هذا مايهدف اليه صاحب هذا الحكم ؟ الذى اقام نفسه خصما وحكما ، وفتح لحسابه محكمة خاصة ، أصدر من فوق منصتها هذا الحكم مشفوعا بالسب والقذف العلنى ، ثم رمى الى المطبعة بصفحات حكمه الثلاثمائة والخمسين ونشرها على رءوس الاشهاد ، مصورا نفسه على غلاف كتابه او حكمه هذا فى شكل شيخ يمسك بعصا التأديب والتهذيب فى يمناه ، ويمسك بكتاب الله فى يسراه ، وكأنه مبعوث العناية الإلهية لاقرار الايمان على الأرض !

اما المحكوم عليه المسكين الواقف تحت عصا التأديب والتهذيب التى هى رمز لعقوبة الردة ، فهو أديب مصر والعرب العالمى الكبير الاستاذ نجيب محفوظ صاحب جائزة نوبل .

وقد اصدر الشيخ عليه هذا الحكم لمناسبة فوزه بهذه الجائزة ، وأما عقوبة الردة فقد أوقعها الشيخ عليه بسبب روايته الكبيرة « أولاد حارتنا » التى نشرتها الصحف قبل ثلاثين عاما ولم يصدرها نجيب محفوظ فى كتاب .

واما الشيخ صاحب محكمة التفتيش الذى اصدر الحكم ، فاسمه عبد الحميد كشك الشهير بالشيخ كشك ، وهو واعظ لايقبل المناقشة ، ويجترىء دائما على كرام الناس ، ويختار الهجاء المقذع اسلوبا يشفى به صدره من حقد دفين ليس له شفاء !

وحتى الان لم يتقدم نجيب محفوظ الى النائب العام ، طالبا التحقيق فى جريمة التحريض على القتل ، التى يتضمنها كتاب « كلمتنا فى الرد على اولاد حارتنا » تأليف واملاء الشيخ كشك .. ولانظن ان نجيب محفوظ سيتقدم يوما ببلاغ الى النائب العام ولا الى اية جهة من الجهات ، لانه اعتاد ان يدع الامور تجرى فى اعنتها ، ويفسح بصبره وحلمه طريقا لكل الحمقى للهجوم عليه بكل ماجبلوا عليه من جراءة عمياء !



الا ان الجهل ، تجاوز طوره فى كتاب هذا الشيخ كشك ، الذى هو ـ بدوره ـ لم يصدر تكذيبا لكتابه التحريضى ، ولم يقل انه لم يمل ماحواه من الكلام او ان المستملى لم يكن أمينا فى كتابة ما أملاه عليه !

فالشيخ كشك ـ اذن ـ قد املى هذا الكتاب بلا مراء ، وذلك المستملى قد كتبه له بخطه ثم دفعه الى المطبعة ، وهما معا يعترفان بأن الكتاب للشيخ وانه مسئول عنه حرفا حرفا .

وهكذا تثبت الجريمة النكراء على الشيخ وعلى المستملى ولكن هذا المستملى قد يكون مسكينا يقبض اجر كتابته .. والشيخ هو الذى استأجره وجزاه اجره ، فالشيخ هو المسئول اولا واخرا عن جريمة التحريض على القتل المسطورة فى الكتاب بكل صراحة !

لقد عميت بصيرة المؤلف الشيخ ، فاطلق العنان لنفسه ليثبت بكل ضراوة ان نجيب محفوظ قد اساء فى روايته « اولاد حارتنا » الى الله والانبياء وزوجات الانبياء وامهاتهم واولادهم ..

واسهب الشيخ فى سرد الادلة على وجود الله من علم الفلك وعالم الحيوان والنبات وعسل النحل والمجموعات الشمسية فى الكون اللانهائى خلال استعراض طويل لما حصله من قراءة وعلم فى الصحف والكتب .

ولو ان شخصا خولط فى عقله لما جمع فى كتاب واحد هذا التخليط العجيب من العلم والجهل والمادة وما وراء المادة ومن الشعر والنثر ، ومن الفقه والاصول والحديث ، ومن العلوم العربية والافرنجية ، ليثبت ان « أولاد حارتنا » عمل خارج عن الدين .

لقد رأى الشيخ ببصيرته الخابية ان الله تعالى هو نفسه المصور بالرواية فى شخصية « الجبلاوى » وان شخصية « جبل » هى صورة النبى موسى ، وان

شخصية « رفاعة » هى المسيح ، وشخصية « قاسم » هى محمد عليهم الصلاة والسلام !

ونقول للشيخ :

ـ دعك من جهلك بأساليب الفن الروائى وعلاقته بالتراث التاريخى والدينى ، ولكن كيف حق لك ايها الشيخ ان ترى فى الجبلاوى صورة الله تعالى ، وهل لله صورة ؟! ألم تقرأ فى القرآن « ليس كمثله شىء » وانه تنزه عن أن تكون له صاحبة او ولد ، وان الأبصار لاتراه !

ان كنت قرأت الرواية حقا ، فان الجبلاوى فيها رجل من الرجال ، يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ، وله رجلان ويدان ، وله زوجات ومطلقات ، وبنون وبنات ، ويسكن بيتا يأوى اليه من الحر والبرد وينام فيه على سرير وقد عاش ثم مات كسائر الرجال ، وتوزعت الأيدى ماتركه من مال ، فكيف رأيت ـ ايها الشيخ ـ فى هذا الانسان الواضح الملامح ، صورة الله تعالى المنزه عن ان يتجسد فى انسان ؟

اواثق انت انك موحد لله منزه له حق التوحيد والتنزيه ، وانك تربأ بايمانك ان ترى الله فى صورته التى رسمتها الاساطير الاسرائيلية وغيرها من اساطير الديانات القديمة .

فان كنت موحدا منزها غير مشبه لله ، فكيف سارعت حين رأيت الجبلاوى فامليت على كاتبك ان هذه هى صورة الله ؟! كبرت كلمة تخرج من فيك ، ان قلت الا كذبا .



ايها الشيخ .. راجع نقاء توحيدك ، فانك عكرته بتصوراتك الخاطئة التى زينها لك حقدك على صاحب جائزة نوبل ورغبتك فى الطعن عليه فجعلت لله ورسله صورا من عندك ألبستها ماتخيلته من كلمات « أولاد حارتنا » فى قراءتك غير الواعية !

ايها الشيخ .. انك انت المدعو الى التوبة مما وقعت فيه من التشبيه ، ومن اصرارك على التشبيه بتأويل كلمات الرواية واختراع صور لها من خيالك ، ولو كنت فهمت شيئا من علم التوحيد لما جرؤت ان تقول ان الجبلاوى صاحب الزوجات والمطلقات والبنين والبنات ، هو صورة الله !

صحح ايمانك بالله ، ونزهه عن كل صورة تخطر بخيالك واقرأ "رسالة التوحيد" ، للشيخ محمد عبده ـ وهى مطبوعة فى دار الهلال ـ لكى تصحح توحيدك ، وتتوب عن اسرافك على نفسك اذا جعلت لله اندادا من البشر ، وتصورته فى صورة واحد منهم ، معتسفا التأويل اعتسافا شائنا يبرأ منه كل مسلم .

ايها الشيخ .. لقد اقتحمت مجالا فى النقد والفكر ، انت فيه والعامى السائر فى الطريق سواء ، فالنقد الادبى والفنى ليس لعبة ذوى البصائر المطموسة الذين يرون الله فى صورة رجل عجوز مسكين ، ويرون الانبياء فى صورة اشخاص من عامة الناس .. ولقد ضربت بمعولك حائطا عاليا ، ونطحت صخرة ضخمة ، ولم ترجع من هذا العناء كله الا بما اقترفت يداك من جريمة التحريض على قتل مفكر مصرى مسلم ، لو أنك قدرته حق قدره لطأطأت له رأسك احتراما وعرفانا ، بدلا من ان تمسك له العصا على غلاف كتابك ، وتحرض عليه العامة ومن تخاطبهم من حشوة الناس !

وبعد ..

ان الشيخ عبد الحميد كشك صاحب السوابق الكثيرة فى التكفير والتحريض ، قد اخرج للناس كتابه هذا يحرضهم فيه على مفكر اديب مسلم مسالم هو نجيب محفوظ .

وان نجيب محفوظ فى ادبه وحياته وايمانه قد اعتاد اذا مر على الجاهلين ان يقول سلاما ، والا يشكو المتطاولين عليه الا لله ..

فهل تترك الجهات القضائية هذا الشيخ ، يقيم محكمة من محاكم التفتيش ، ويصادر الكتب ، ويحكم بالكفر ، ويشعل نار التحريض بين الملتفين حوله من العامة والبسطاء الذين يسهل التغرير بهم واللعب بعقولهم ومشاعرهم ؟

هل تترك منصة القضاء من يظن ان الدنيا قد خلت الا منه ، وان فى يده حق الحياة والموت ، أم تضرب على يده وتحاكمه ؟!

اننا نكتب هذه الكلمة السريعة ، ونعتبرها بلاغا الى النائب العام "

المحرر

شئ من الحداثة

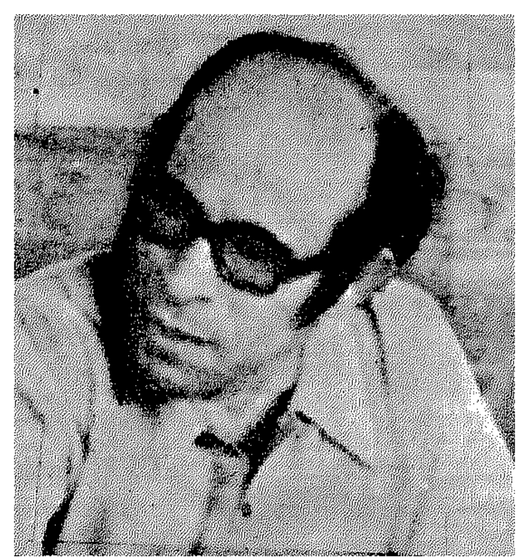
بقلم: د. شكري محمد عياد

أرجو أن يأذن لي القارىء في أن أبدأ الكلام عن الحداثة قبل أن أعرف الحداثة وليس هذا بالأمر الغريب، فالصورة الصحيحة للتعرف لاتحصل في الذهن الا بعد معرفة الشيء نفسه، ولذلك فقد يكون الطريق الأسلم للدخول في موضوع ما هو ان نضعه على خريطة، أعني ان نحاول تحديد موقعه بالنسبة الى حقل من حقول المعرفة التي نتعامل معها كشيء مالوف.

فالأدباء ـ ولاسيما الشبان ـ يتكلمون عن الحداثة باعتبارها مذهبا أو طريقة فى الكتابة أو فى الفن على العموم. وإذن فليس كل ما كتب "حديثا"، أى فى هذا الزمن الأخير، هو (حديث) بالمعنى الذى يقصدونه، ولذلك فالأولى أن نصفه بأنه (حداثى) كما نقول كلاسى ورومنسى وواقعى. وكما عرّبت هذه الأسماء الثلاثة عن اسماء أجنبية، فالحداثة أيضا تعريب لمصطلح أجنبى، وبما أنه لم يعد من المستنكر أن يذكر الناقد العربى الكلاسية أو الرومنسية، أو الواقعية فى مجال الكتابة عن الأدب العربى نفسه، فلا ينبغى أن نتلكأ فى قبول هذا المصطلح الجديد "الحداثة".

ولكن أين يقع هذا المذهب على خريطة المذاهب الفنية؟ هنا تبدأ الصعوبة حقا، فقد سمعنا عن مذاهب كثيرة ظهرت فى أوربا وأمريكا بعد الواقعية: سمعنا عن الرمزية منذ أواخر القرن الماضى، ثم تكاثرت المذاهب بعد الحرب العالمية الأولى: التعبيرية والسريالية (أو فوق الواقعية) والدادية، ثم سمعنا عن طريقة وجودية فى الكتابة، ثم سمعنا عن الرواية الجديدة أو عن مسرح العبث أو اللامعقول. فأين الحداثة من هذا كله؟

لعلنا لا نخلط بين الامور حين نقول إن الحداثة تشمل هذه المذاهب كلها، بدءا من الرمزية الى اللامعقول، فأساسها جميعا واحد، وهو التحول من تصوير الظاهر الى تصوير الباطن، أى العدول عن وصف المناظر والحركات المرئية أو المدركة بالحواس الخمس الى تسجيل حركة النفس حتى فى أخفى خفاياها. ولكن كيف يمكن أن يتم مثل هذا التسجيل؟ إن هناك، فى جهازنا العصبى، مسالك بين الحواس الخمس والمراكز العليا فى المخ تحول المحسوسات الى مدركات لتدخل هذه المدركات فى عمليات عقلية مركبة يمكن أن يدخل فيها



ادوار الخراط





بدر الديب

ما نسميه الوجدان أو ما نسميه الارادة ، ولكن النظام العقلى يظل مسيطرا من خلال اللغة التى اكتسبها الجنس البشرى ـ وهو يرتب جهازه العصبى على هذه العمليات المعقدة ـ على مدى آلاف السنين ، ولكن كيف يمكن التعبير ـ والحالة ـ هذه عما بقى مطمورا فى اعماق النفس من إحساسات ، وقفت فى منتصف الطريق بين الحس والادراك ، وتقادم بها العهد حتى ابتعدت عن أصلها فى الخارج المادى واختلطت بما لايحصى ولا يعرف كنهه من الأشواق والمخاوف والرغبات ؟ لم نكن نعرف الا طريقة واحدة للتعبير عن هذا العالم الباطنى وهى الاحلام ، وللأحلام لغة ، يصعب بل يتعذر نقلها فى أكثر الأحيان الى لغة الكلام . وإذن فليس أمام الفن الذى يحاول التعبير عن هذا الوجود الداخلى الا أن يخترع ، لغة جديدة بمعنى من معانى الاختراع . وتختلف المذاهب التى ذكرناها فى درجة هذا الاختراع ، كما تختلف فى نوع الوجود الباطنى الذى نهتم بالتعبير عنه .

● البحث عن الذات

فالروايات الوجودية لاتتجاوز الوعى وما تحت الوعى ، أو ما يسمى أحيانا هامش الشعور ، لأنها معنية ـ حسب الفلسفة الوجودية ـ بجدل المرء مع نفسه ببحثه المستمر عن ذاته أى وجوده الحقيقى ، وسط المؤثرات الخارجية التى لاتحصى ، ولا يمكنه التحكم فيها إلا بإدخالها فى هذا الوعى حتى يصبح جزءا من ذاته ، وهكذا يخلق عالمه بإرادته الحرة . ولكن على الطرف الآخر هناك "الدادية" التى تحاول أن "تخلص" اللغة من دلالاتها المحددة ، مسترجعة لغة الطفل "داداه" وهناك ـ دون ذلك ـ السيريالية ، أو مافوق الواقع ، التى تعتمد ما يسمونه "الكتابة التلقائية" ، أى إلغاء رقيب الوعى أثناء الكتابة ، حتى تصل الى لغة تشبه

لغة الاحلام . وهناك مسرح العبث أو اللامعقول ، الذى يعتمد على إجراء الحوار بين اشخاص لايعرفون بالضبط ماذا يريدون ، ولا ماذا يريدون أن يقولوا ، ولايحاول الواحد منهم أن يفهم ماذا يقول صاحبه .

وهكذا ترى أن الحداثة درجات ، ولكنها تحاول على اختلاف صورها ـ أن تبتعد عن اللغة الأدبية المعهودة ، لكي تطلق العنان لمشاعر ، وأحاسيس وأفكار ، تعود الانسان أن يهملها ، وإن كانت قائمة فى أعماقه ، تضطرب وتتصادم ، وتوجه سلوكه دون أن يدرى ، إنها مشاعر وأحاسيس وأفكار لاتشبه تلك التى تداولها الأدب القديم (أى كل أدب سبق الحداثة) . فيها كائنات مشوهة ، وحشية ، ومع ذلك فإن الكاتب الحداثى يحاول أن يصنع منها فنا جميلا .

واذا اعتبرنا المساحة العريضة التى تشغلها الحداثة فلا بد أن ندخل فيها أعمالا مثل اللص والكلاب ، وثرثرة فوق النيل ، وميرامار ، ولانقصرها على مسرحية مثل ياطالع الشجرة، فكل اديب معاصر يحاول أستكشاف عالم الانسان الباطنى ، ويطوع لغته وفنه لتصوير هذا العالم ، هو أديب "حداثى" ولو الى حد ما . ولكن هذا العتيد الأخير يعنى أن هناك أعمالا حداثية بغير تحفظ ، أعمالا تثور على كل المواصفات الادبية والاجتماعية والاخلاقية ، وتنعت كل الاعمال السابقة عليها بالزيف والتفاهة ، ومع أن هذه الحداثة مذهب (أو قل تيار) غربى كما سبقت الاشارة ، فإنه لايمكن حصره فى الثقافة الغربية ، ولابد أن تصل الى عالمنا الثالث نتف منه كما هو الشأن دائما ، ولو أن هذه النتف لا تعدو ، فى كثير من الأحيان ، اللغة المكسرة والتعبيرات الجنسية المكشوفة .

● موجات الحداثة

● لهذا نرحب بالأعمال الحداثية الجادة ، التى تتعلم من تجارب الغربيين وتستند الى فكر شبيه بفكرهم ، وتعتقد أن أدبنا الحديث ، الذى لا يزال ناشئا ، يمكنه أن يتعلم منها ، فهناك دور لناقلى المؤثرات الأجنبية يعرفه دارسو الأدب المقارن ، والقائمون بهذا الدور هم غالبا أناس مخلصون ، لايضمرون شرا للثقافة القومية ، ولكنهم ، ببساطة ـ يعيشون فى بيئات خاصة ، شبيهة الى حد ما ببيئة البلد الأجنبى الذى يقتبسون ثقافتهم منه .

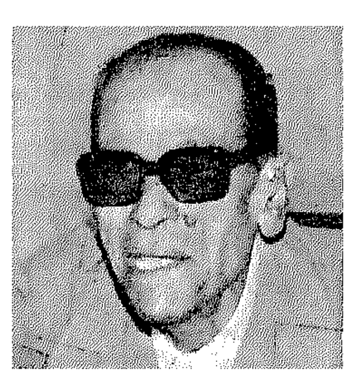
لذلك كانت بيئات الحواضر اللبنانية والمغاربية أوساطا صالحة لانتقال شىء من هذه الحداثة الى العالم العربى ، وكذلك كانت بيئة القاهرة والاسكندرية .

فقد عرفت مصر موجات ثلاث من الحداثة ، عرفها وعاشها عن قرب أديب قصاص ناقد استطاع أن يفيد منها دون أن ينغمس فيها ، وكتب عنها كتابا صغير الحجم جليل القيمة "اللامعقول فى الأدب المعاصر بقلم يوسف الشارونى» (سلسلة المكتبة الثقافية ، ١٥ أكتوبر ١٩٦٩ ـ وكم أتمنى أن تعيد هيئة الكتاب طبعه بين ما تعيده من أعداد هذه السلسلة) .

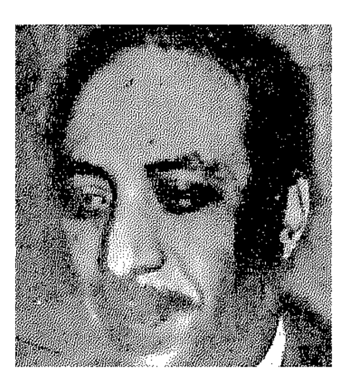
وبوعى تلقائى صائب تحدث عن ممثلى هذه الحركة فى كل من العاصمتين : تمثلت الموجة الأولى فى جماعة «الفن والحرية" التى لم تلبث ان غيرت أسمها الى "الخبز والحرية" وكانت تضم عددا من الفنانين والكتاب ، منهم رمسيس يونان ، وأنور كامل ، وجورج حنين (الذى كان يكتب بالفرنسية وتترجم اعماله لتنشر فى مجلة الجماعة "التطور") نشطت هذه الجماعة



توفيق الحكيم



نجيب محفوظ





صلاح عبد الصبور

فى أثناء الحرب العالمية الثانية ولكنها لم تعمر طويلا ، وتلتها موجة ثانية عرف يوسف الشارونى عددا من ممثليها فى القاهرة والاسكندرية وقرأ كتاباتهم التى كان معظمها غير منشور ، أو منشورا فى مجلات ضيقة التوزيع جدا ، وكان معظمهم شبابا حديثى التخرج فى الجامعة ، ولهم اطلاع حسن على الآداب الأجنبية ، من الفريق القاهرى : بدر الديب ، وعباس أحمد ، وفتحى غانم ، (لا أدرى لماذا لم يعد بينهم محمود امين العالم) . ومن الفريق الاسكندرى أدوار الخراط ، الذى كان قد أصدر مجموعته القصصية الأولى "حيطان عالية" قبل كتاب يوسف الشارونى بعشر سنوات . ولكن هذه الحركة الثانية ، أو الموجة الثانية ، لم تلبث أن هدأت مثلما هدأت الموجة الأولى ، بالرغم من أن التأثيرات الخارجية ، فى مختلف مجالات الحياة المصرية ، أستمرت فى التعاظم منذ الحرب العالمية الثانية . وكان من مظاهر هذا التأثير فى الحياة الأدبية تقديم مسرحية بيكيت "انتظار جودو" على مسرح الطليعة فى أوائل الستينيات فى القاهرة وما أثارته من اهتمام بين المثقفين ، والاعتراف الضمنى أو الصريح بالطريقة الحداثية فى الكتابة ، حين نشر نجيب محفوظ رواياته الثلاث المشار اليها فى تعاقب سريع ، منذ أواخر الخمسينيات ، وكأنه أراد أن يؤكد أسلوبه الجديد ، مع أن جماعة بدر الديب وأصحابه لم تكن غريبة عليه ، وكان بعضهم يحضر مجلسه فى "كازينو أوبرا" . وفى الوقت نفسه تقريبا اصدر توفيق الحكيم مسرحية "ياطالع الشجرة" ، "حتى لايحرم الأدب العربى من هذا النوع من الكتابة" ، وهو الذى عايش السيريالية وهى حركة فنية أثناء بعثته فى فرنسا ، ولم تثر لديه أدنى اهتمام ومن جيل الشباب ، وبعدها بقليل ، أعلن صلاح عبد الصبور تأثره بيونسكو فى مسرحياته الشعرية الأخيرة .

وكأن قصة "الفن الثورى" فى روسيا السوفيتية كانت تعاد بشكل ما . فقد ظن جماعة من الشعراء والكتاب "الحداثيين" فى بداية الحكم السوفيتى أن بينهما نوعا من التحالف الطبيعى فالثورة الاجتماعية - فى تقديرهم - كانت بحاجة الى ثورة فنية توازيها . ولكن السياسيين كان لهم رأى آخر . فلم تلبث الحداثة أن كتبت لمصلحة الواقعية الاشتراكية ، وأصبح الفنانون الثوريون تروتسكيين أو مارقين . وفى مصر حيث لم يقم حكم سوفيتى بل

وجدت أحزاب وحركات شيوعية صغيرة متفرقة وجد أصحاب الفن الثورى أنهم مطالبون بأن يختاروا بين الحداثة أو الواقعية الاشتراكية ليضمنوا تأييد تلك الحركات التى كانت ، رغم صغرها ، ذات تأثير اعلامى قوى ، فاختار معظمهم الواقعية الاشتراكية ، ولكن الحداثة رجعت تدق باب الاشتراكية نفسها ، كما جدت فى سائر البلدان الاشتراكية ، فكان ذلك مصدرا لكثير من الحيرة ، وأحيانا لاختيارات جديدة لم تكن تخطر على بالهم .

قليلون هم الذين تشبثوا ببداياتهم الحداثية ببداياتهم ، وحاولوا أن يطوروها دون أن يخرجوا عنها . أقول قليلين ، ولكن لايحضرنى فى الحقيقة غير اسمين : ادوار الخراط وبدر الديب . أما إدوار الخراط فانصرف انصرافا يكاد يكون تاما الى الترجمة ، والى عمله الرسمى فى اتحاد كتاب آسيا وافريقيا ، حيث يشهد له بالدقة والكفاءة . أما بدر الديب فعمل خبيرا للتوثيق (وهو تخصصه) فى اليونسكو مرتين : مرة أوفد فيها الى تايلاند ، ومرة الى الرياض ، وقضى بين المرتين فترة فى مصر عمل فيها مستشارا ثقافيا لدار التحرير ورئيسا لتحرير جريدة المساء ، وكان فى كل هذه الاعمال مثال الموظف النشيط المثابر .

لم ينقطع أحدهما عن الأدب (وهل هذا ممكن ؟) ولكن ابداعهما طوال الستينيات والسبعينيات تقريبا كان متوقفا . كاد إدوار الخراط يكتفى ـ الى جانب الترجمة ـ برعاية عدد من الأدباء الأصغر سنا ، وظهر مجهوده هذا فى مجموعة "جاليرى ٦٨" وفى مجلد صغير من القصص المختارة كتب له مقدمة طويلة . ولكنه أخذ ينشط من جديد فى أواخر السبعينيات فاتم عملا كان قد بدأه قبل سنين طويلة وتوقف بعد الفصل الثالث منه : "رامة والتنين" وتتابعت أعماله بعد ذلك . وأما بدر الديب فبعد عدد قليل من القصص القصيرة نشر بعضها فى مجلة الكاتب حوالى منتصف السبعينيات استطاع أن يعكف فى شتاء ٧٧ ، وهو فى الرياض ، على روايته الأولى "أوراق زمردة أيوب" لم تنشر هذه الرواية إلا سنة ١٩٨٢ ، لكن تتابعت اعماله بعدها ، وكلها ، كأعمال صاحبه ، جديرة بالاهتمام الكبير على الاقل حتى يعرف المفتونون بالحداثة من الشباب ، انها ليست مجرد تخليط وهذيان .

ولكننا ، وقد أردنا بهذا المقال أن نعرف بالحداثة : مضمونها وظروف نشأتها ، نرجىء الكتابة عن هذه الأعمال لنقصر الحديث على كتاب واحد لبدر الديب ، هو اقدمها كتابة ، وأن لم يكن أولها نشرا ! "كتاب حرف الـ ح" (دار المستقبل العربى ، ١٩٨٨) .

فهذا الكتاب بدئت كتابته حوالى منتصف ٤٧ ، وتمت فى اوائل ٤٨ ، أى أن صاحبه كتمه أربعين سنة . لعله لم يقصد ذلك ، ولو وجد من ينشره له فى حينه ، لما تردد . كان بدر الديب وقتها فى الثانية والعشرين ، هل كان يفكر فى أن يشغل الناس بكتابه هذا، كما شغلهم رامبو بشعره وهو ابن سبعة عشر ، ولكن شعر رامبو قرىء وفهم (وأستطيع أن ادعى أنى من بين من قرءوه وفهموه) أما كتاب حرف الـ ح فلا أظن أن بدر الديب نفسه أرادنا أن نفهمه . لقد كتب له مقدمة حديثة (١٩٨٥) بداها بهذه الفقرة .

● كتاب حرف !

هذا "حرف" وليس بكتاب أو موضوع أو قصة أو شعر أو حدث . (لماذا إذن حرص على أن يسميه "كتاب" حرف الـ ح ؟) وليس هذا كلاما سحريا غامضا ، ولكنه واضح وضوح

الشمس فى عز الظهيرة أو الماء الصافى فى قناة أو الثمرة التى تنشق عن نواتها . الصعوبة ـ وهى بالطبع قائمة ـ فى انه حرف ، والحرف هنا يعنى "وضعا حرا" للتجربة فى صياغة محددة ، اذا لم تقبل لايصبح التعامل ممكنا ، ولايمكن التواصل وبالتالى ـ بالطبع ـ الفهم . والحرف الذى هو وضع حر للتجربة لانه يريد أن يصل الى ماقبل الادراك الموضوع فى قالب ، ما قبل المعرفة الموضوعة فى تسلسل ، والى الحدث قبل أن يصبح تاريخا منسجما) .

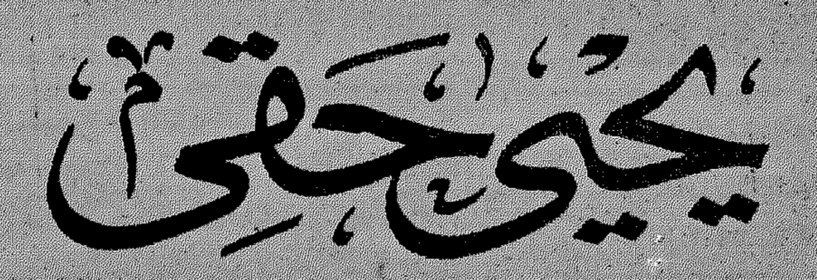
أن يكون هذا الكلام واضحا وضوح الشمس للكاتب لايعنى بالضرورة أن يكون واضحا لقارئه ، مثلا : الوضع الحر والصياغة المحددة كيف يمكن أن يجتمعا ؟ الا يستحق القارىء إشارة واحدة ـ ولو هينة جدا ـ الى الطريقة التى يمكن أن يقرأ بها هذا الكتاب ؟ أن الكاتب يعبر ـ خلال الكتاب كله ـ عن انفراده بنفسه ـ وبحرفه ـ وإن خاطب الناس ، أو اصطنع لغة تنبوية . يقول ـ مثلا ـ فى آخر القطعة الأولى "حرف الـ ح" :

ح ح ح ح ح ح
انا احبك أحبك وأحيا أحيا فيك
لقد خفت عليك العيون .. ستفتك بك الحروف
وضعتك فى صندوق صغير واسلمتك ياحرفى الى اليمّ "الكبير .
انا وحدى .. وحدى اقصك . وصندوقك الصغير يرقص رفيقا على اليم .
قد حطمت الواحى ، ونبذت اولادى ، أولادى الثلاث عشر (كذا)
سأظل وحدى .. وحدى معك ..
فى الدخان والنار
انا ادعو   انا ادعو   انا ادعو لدين .

فإذا كان قد ضمن هذه الفقرة قصة موسى الرضيع فقد قلب معناها لانه لايزال مصرا على أن يبقى وحده يرقب حرفه الذى أودعه الصندوق المغلق ، وإذن فهو كاتب مكتف بذاته ، أو هذا مايزعمه . فيم إذن عمل هذا الكتاب ، وقدمه الينا لنقرأه ؟ قد اقول ، بناء على مفهومى للحداثة ، إنه اراد بالحرف ، وهو الوحدة الصغرى للكلام ، ان يرمز الى فتات الشعور ، "ماقبل المعرفة" كما يقول . ولكن تحويل فتات الشعور الى لغة جهد شاق بالنسبة الى الكاتب والى القارىء على حد سواء . نحن نحتاج الى تدريب طويل حتى نتمكن من أن نعيش ولو لحظات ، فى تلك الحالة التى تشبه حالة المستيقظ لتوه من النوم ، ثم لكى نصنع من هذه اللحظات جمالا ، هكذا ـ على الاقل ـ اقرأ "حرف الكاف" . والقراءة هنا ـ بالطبع ـ غير الفهم ، ما دمنا قد اتفقنا على اننا نبحث عن شيء وراء الفهم .

هل يرضى الكاتب عن هذه الطريقة فى القراءة ؟ ان هذا السؤال يتضمن بالضرورة ـ ان تكون هى نفسها طريقة فى الكتابة ، وهو لم يحدثنا فى "حديثه الشخصى" عن ذلك .

وفى الكتاب ـ بعد ذلك ـ تأثيرات كثيرة من رامبو ، واليوت ، وجويس ، وما يمكن فهمه من الكتاب لن يفهمه الا من قرأ هؤلاء ومن عرف اللغتين الانجليزية والفرنسية كمعرفة الكاتب على الأقل . ففيه عناوين بالانجليزية والفرنسية ، وفيه لعب لفظى ـ على طريقة جويس ـ على الجذر العربى "دله" (الذى منه التدله فى الحب) والتعبير الفرنسى ou dela (الماوراء) فيه وفيه . ولكننا نكتفى بهذا حتى نفرغ للحديث عن اعماله الجديدة .



يحيى حقى وثورة يوليو ١٩٥٢

بقلم : محمد روميش

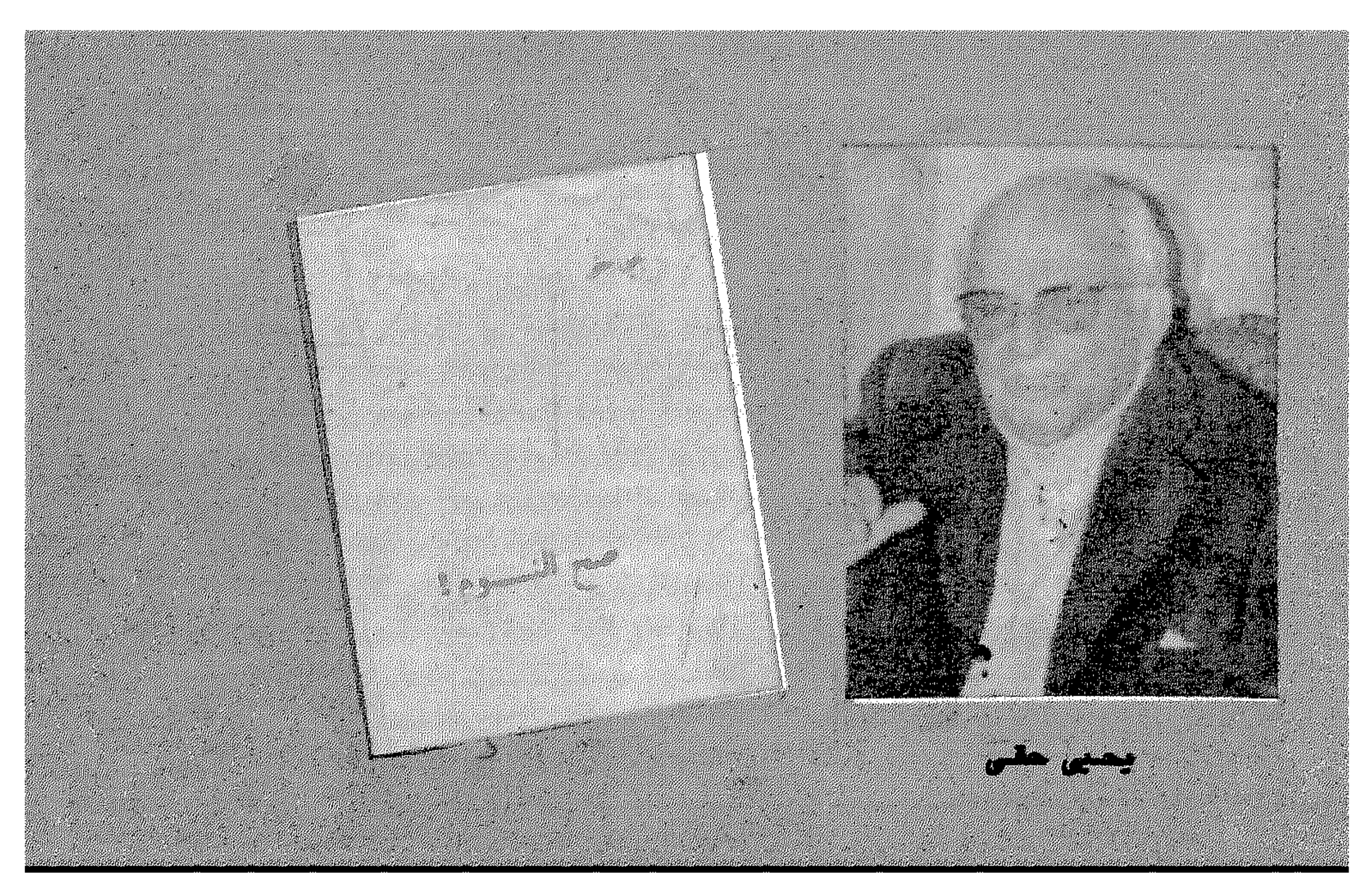
ينبهنا استاذنا الجليل يحيى حقى ، الى انه يضع فى حياتنا الأدبية ، ومسيتين ، رواية «صح النوم» كابداع ادبى ، وكتاب «ناس فى الظل» كنماذج للمقالة الادبية .

● ورواية «صح النوم» كتبت سنة ١٩٥٤ ، كان قد سبقها ، فى ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، أن زحفت طليعة من القوات المسلحة ، مختلفة المنازع والمشارب والانتماءات الأجتماعية والولاءات السياسية ، وأزاحت قمة السلطة السياسية ، وتلفتت حولها .. حزب ورث جماهيره عن ثورة ١٩١٩ ، يتسلل ، فى إصرار ، الى قيادته ، كبار الاقطاعيين ، وأصحاب رءوس الأموال الكبيرة ، وتتفرع من عند جذوره ، طلائع شعبية ثورية ، تحاول جاهدة ، أن تحفظ للحزب موقفه الليبرالى الديموقراطى .. احزاب اقلية ، تتعاون مع السراى ، والمصالح الاجنبية ، وأدارت ظهرها للجماهير .. حزب دينى قوى يحاول ان يجير ، التغييرات التى حدثت «الثورة» لحسابه .. قوى شعبية متناثرة ، تحاول منذ ما قبل سنة ١٩٤٦ ، أن تجمع اشلاء اوزيريس الممزقة .. ووسط كل هذا الاشتباك والتشابك ، استطاعت الثورة ان تصدر فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ قانون الاصلاح الزراعى ، لتقليم أظافر كبار الملاك الزراعيين ، وهو القانون الذى سمته رواية «صح النوم» ـ على ما سيجىء ـ قانون ايجار الاراضى الزراعية .

بعد قيام الثورة سكت ، معظم الادباء المضريون استكناها لما سوف تتكشف عنه الاحداث وانفرد يحيى حقى باتخاذ موقف من هذه الاحداث ، وهو يردد دائما «إن الله انقذنى من الثورة» مرتين ، مرة بعد أن كتبت رواية «صح النوم» احذر بها من الديكتاتورية العسكرية . ومرة بعد العدوان سنة ٦٧ ، اذ اعلنت ان المعركة كانت بين جيش منظم ضد جيش غير منظم .

● رواية فى ملف ميرى !

.. وقد اصدر يحيى حقى ، رواية «صح النوم» على نفقته الخاصة ، واصدرها ـ كما يقول ـ فى شكل ملف ميرى ، فالغلاف ، ورقة صفراء ، والعنوان ، بحروف المطبعة ، واسم المؤلف بالحرف الصغير ، دون اكليشيه ، ترى هل كان المقصود الا تثير الانتباه ، لقد حصلت على نسختى فى ذلك الزمن الباكر ، ليس من



يحيى حقى

مكتبة ، بل من على سور الازبكية .. وخلافا ، لعادته فى كل ما يبدعه ، فقد بدأها ـ كما يقول ـ بجملة ثقيلة «أكانت تكون بدعة ، أو خرافة ، لو مر بنا شريط السكة الحديدية ؟ إن نظرة سريعة من عل الى الخريطة ، توصل بين المدينتين كالخيط بين شقى رتق واسع ، لا تنفرج الا بمقدار شعرة لو ألمت بقريتنا الراقدة بين الغيطان ويعلق يحيى حقى على هذا كله «أصدرتها «صح النوم» كتابا مغلقا مجهول الزمان ، مجهول المكان» .

.. الرواية ذاتها قسمها المؤلف الى كتابين : الكتاب الأول ، وتحته عنوان «الامس» الكتاب الثانى ، وتحته عنوان «اليوم» . فى الكتاب الأول «الامس» يقدم لنا المؤلف «قرية» مسرحا لأحداث الرواية ، من البدء حتى الختام ، القرية بلا اسم ، وقد راجعته ، مرة إنه سماها «الجسر» فاعترض بشدة قائلا ، أنها تقع على الجسر ! وعندما يعرفها يسميها «قريتنا» ويتحدث عن أهلها اجمالا ، «اهلها معروفون فى المقاطعة بسذاجتهم ، وتوكلهم على خالق الكون ، «مقسم الأرزاق» ، و «أهل القرية اسرة واحدة» ، كبيرة معروفة بالكسل ، قليل تنقل افرادها» وإذا اختار الراوى ، أشخاصا بعينهم ، فهو يقدم «وجيه القرية» «الذى يملك اكثر اراضيها ومبانيها .. وكان هو الذى يدافع عنا ، ام تراه كان يدافع عن مصالحه الشخصية» .. وقد مات وجيه القرية ، وخلف ابنا ارسله منذ الصغر لطلب العلم . وقد عرفنا ان خط السكة الحديدية ، قد انحرف بعيدا عن القرية ، ولم يمر بها ، وخلال تعليقاتهم ، على هذه الواقعة ، نتعرف على حلاق القرية وعمدتها ، والمساح ، ومعلم الرسم ، وسائق العربة الفرد الوحيدة فى القرية ، واخيرا واعظ القرية ، وكل هؤلاء شخصيات باهتة لا تزيد عن ان تكون مجرد صفات لا ترقى ، بأصحابها ، الى مرتبة «الشخصية» ، مشهد واحد ، نذكره لانه سيتكرر ـ بنفس كلماته ـ فى آخر الرواية ـ فواعظ القرية ، معلقا على نفس الواقعة ، يخاطب العمدة ، على مشهد من الراوى واهل القرية : نعم العمل عملك ! هكذا تكون الحكمة والسياسة ، وبعد النظر كأنك ترى من وراء

يحيى حقى

وثورة يوليو ١٩٥٢

الغيب وان القرية لم تسبعد الا فى عهدك الزاهر، فانت الذى تدرأ عنها الأخطار والمتاعب، عهدك، كله بركة وخير، لا حرمنا الله منك، انى ادعو الله فى كل ركعة ان يطيل عمرك ...» وهوى على يد العمدة يصر على ان يقبلها.

● تعليق ساخر!

... بهذا عرَّفنا المؤلف على قريته، وجماعة اهلها، وسننتبه الى :

(١) الرواية، وقد اتخذت من قرية، مسرحا لها، فإن النماذج التى قدمتها، ليست بينها، شخصية فلاح واحد، عماد القرية، وإنما قدمت تعليقا جماعيا ساخرا، على لسان «ابناء قريتنا» يصفون المهندس الذى انحرف بخط السكة الحديدية، بعيدا عن القرية، أنه اما حنبليا أو مخمورا، وسترى ان هاتين صفتين، فى الرواية - احلاليتان، اى تحل احداهما محل الأخرى، فى حالة غيابها، وسنقابل هذه الفكرة على نحو اوضح فيما يلى من احداث الرواية.

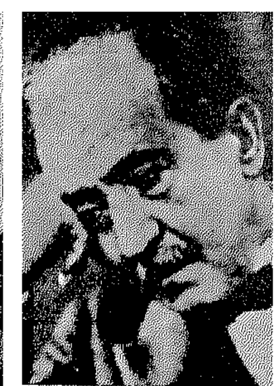
(٢) حين تتحدث الرواية عن ابناء القرية تلح على فكرة التواكل، ثم صفة الكسل، وبالتالى، فإن امكانية «الحركة» فى «قريتنا» متاحة فقط لوجيه القرية وهو تعبير مؤدب ومهذب عن الاقطاعى «الذى يملك اكثر اراضى القرية ومبانيها» والرواية تقول ان «ابناء قريتنا» فى غياب، وأن اصحاب الأراضى يديرون الأمر وفق مصالحهم الشخصية .. اى وفق مصالحهم الطبقية.

(٣) ترتبط بالملاحظة السابقة، أن فرصة «المشاكسة» بلغة الرواية معدومة، ولعل غير المؤلف يسميها التمرد، او الثورة، رغم أن قرانا، عرفت، قبل الثورة هبات فلاحية، فى عديد من القرى، مثل قرية بهوت، وقرية كفور نجم، وان كانت هذه الهبات، قد سحقت بالحزم اللازم.

... ومن حقنا ان نصُر هذه الملاحظات جميعا، فى منديل محلاوى، نلقى بها فى البحر، الذى لا يمتلىء، فمن قال ان المؤلف اراد ان يقدم لنا واحدة من قرانا التى تفرش ارض مصر الا يجوز ان تكون القرية، رمزا لشىء اكبر من مجرد قرية، رغم ان المؤلف، سبق ان افضى الىّ، بصدد حديثنا عن «قنديل ام هاشم» انه لايهمه سرد الحوادث، ولا تهمه الرمزية فى العمل الأدبى، وكون المؤلف لايهمه سرد احداث فى العمل الادبى، فهى خصيصة، اظهر ما تكون فيما نحن بصدده «صح النوم» فبعد ان قدم لنا «قريتنا» التقديم الطبقى الامين، يقدم لنا حيلة فنية، يجمع بها النماذج الانسانية الباقية فى الاداب الانسانية .. فى طرف القرية «خمارة» يسميها المؤلف «حان» لانه يريد ان يحفظ لها جلالها وأحترامها وتوقيرها، منذ البداية، ولانها، ولا تحاسب الفنان على كل ما يصرح به، تمثل، اذا لم نقل ترمز، الى الجانب الروحى فى الحياة، ولأن المؤلف يريد أن يحفظ لديك الاحساس بجسامة الخسارة بسبب الضربة التى ستصيب «القرية» حين يغلق النظام الجديد «الحان» .. «اذا اتى المساء» سواء كان القمر هلالا او بدرا، وفرغ الرجال الكادحون من عملهم تسلل بعضهم الى «الحان» حيث يشربون النبيذ ويلعبون الورق ثم يخلق المؤلف خمسة نماذج زوجية، صاحب الحان وزوجه، القصاب وزوجه، القزم وزوجه، العرجاء وزوجها، التاجر وابنه الفنان. والراوى نفسه، شخصية فاعلة، تصله بصاحب الحان وبنماذجه، العلاقة الحميمة، الخاصة، الودودة، المتعاطفة.

صاحب الحان : رجل بدين، خفيف الحركة، ضخم الرأس، قصير القامة، بشوش الوجه، يعرف الجميع ويناديهم بأسمائهم، فعل الصديق بصديقه، يسأله الراوى، لم اختار هذه المهنة ؟





احمد شوقى　　محمود شاكر

ـ .. أقول لك اولا ، إننى لا احب الهم .. الحياة خذ وهات ، إن اردت ان تَسْعَد ، فعليك ان تسعد غيرك اولا ، لا يهمنى عدد السنين التى اعيشها .. لكن يهمنى نوعها .

.. يعرض صاحب الحان فلسفته فى اختيار مهنته ، اذ تتيح له ان يرى الناس على حقيقتهم ، عراة كما ولدتهم أمهاتهم ، ثم يطلق حكمته ، أن عاهات النفوس شىء بشع ، لأنها المخلوق الوحيد الذى لا يعيش الا مخنوقا ، فإن اتحت له التنفس مات .. وفى الحان يتنفس الرواد ، ثم يعلن انه يمقت من قلبه الكذب والرياء ، والنفاق والخداع . لأنها تمسخ البشر ..

زوجه امرأة نحيفة ، بقدر ما هو بدين ، لا تتكلم كثيرا ، نغمة كلامها القليل تنزل على قلبه بردا وسلاما ، فيها تدليل ، وزجز ، وحث على الجد وترحيب مستتر بالهزل ، ورضا بالواقع ، وأمل فى قادم افضل ، وغفران لماض ، فيها الطهر والنزوة .. امرأة فاتنة لا تترك فرضها ، تكره التعرى حتى لزوجها ، لها حياء الناقة الانوف ، ليست من قريتنا ، صاحب الحان ، سافر الى العاصمة وعاد بشيئين ، هذه المرأة النحيلة .. وجرح غليظ فى جبهته ، عاشت فى عزلة ، زوجها هو عالمها ، لذلك كرهتها نساء قريتنا ، قلن مؤكدات ، انه التقطها من أزقة البغاء او من اصلاحية النساء .. بل قلن ان أحدا لا يعرف هل تعاشره فى الحلال او فى الحرام !

★ القصاب وزوجه : قصاب القرية واحد من اغنيائها ، صاحب حلقة من حلقات الحان ، الراوى يحب صحبة القصاب لمائدته ، جو خاص يسحر الراوى بمتناقضاته ، القصاب فى النهار ينطق بالقسوة ، والتجهم ، لكن هذا طلاء كاذب ، فالرجل نفسه إذا جن الليل يصير كالطفل الوديع ، طيبة وتسليما ، يقول لك ، هذه هى الحياة ، خذها كما تأتى اياك ان تظلم او تؤذى احدا . ابن عم القصاب تاجر ميسور الحال ، فى اعقاب الحرب ، افلس ومات مقهورا ، تاركا زوجه وابنه فى فاقةٍ ، رعاهما القصاب لوجه الله ، قال الناس ، ان القصاب عينه على ابنة عمه ، بغية الاقتران بها . نزل بالقرية سيرك متنقل نصب خيامه على الجسر .. ذهبت الفتاة مع امها للسيرك اول ليلة ، استرعى الفتاة ، فتى من بهلوانات السيرك ، «يصفع ويركل ، ويصب عليه الماء ، وهو يضحك ، ويقفز ويقوم والناس ترثى لحاله وتضحك» عاودت الفتاة ، ساحبة امها معها ، مشاهدة السيرك وعينها على البهلوان .. المؤلف على مهل يصنع دبيب ارتباط الفتاة بالبهلوان ، ويهىء لذلك بمهارة فنان قدير ، ابن عمها القصاب رجل طيب وامير ولكن قلبها لا يميل اليه ، المؤلف يثبت على الفتاة ، شذوذها منذ صغرها فقد كانت لا تلعب مع الفتيات بل مع الفتيان ، لكن المؤلف يتجاهل حقيقة ظروف نشأة فتاة ، مات عنها ابوها ، وتركها مع امها فقيرة معدمة ، وتجاهل المؤلف ايضا ، ثقل الاحساس بالفضل يبذله الغير ، ايا كانت الاسباب ، وأيا كان الغير ، اى ان المؤلف يأخذ بالجبلات الانسانية ، ولا يأخذ بالظروف الاجتماعية ، فى تشكيل طبائع البشر ، لذلك نحن لا نفاجأ ، أن الفتاة حين رحل السيرك ، رحلت هى مع الفتى البهلوان ، المؤلف متعاطف مع فتاته السمراء ، فيعقد عليها قران البهلوان فى القرية المجاورة ، ويتابع المؤلف تعاطفه مع الفتاة ، فيثبت ان المهرج سليل اسرة طيبة ، اخنى عليها الدهر وكأن الانسان لا يكون كذلك ، الا اذا كان سليل اسرة طيبة ، اما باقى خلق الله ، فمن سقط المتاع .. تمر



وثورة يوليو ١٩٥٢

اعوام .. يموت البهلوان . فوجئت قريتنا ، بعودة الفتاة تسحب ثلاثة ايتام . قادها سائق العربة الفرد ، الى ابن عمها «فلما دقت الباب ، خرج لها ، ورآها ، ولم يزد عن ان يقول لها :

– اهلا وسهلا ومرحبا بك ، وبأولادك» .

تزوجها القصاب ، وقالت نساء القرية انه الحب ، ومع ذلك «ظلت ساهمة النظرة منطوية على نفسها ، لا تأبه لما يدور حولها» ويحدث ان تذهب يوما مع صحبة من أترابها الى مطحن القرية ، رأت زميلاتها يتدافعن حول صبي الطحان ، وجهه وملابسه مغطاة بالدقيق ، سمعت انه غريب عن القرية ، وأنه يتيم ، وانه يقضي يومه في المطحن ، وجدت اعصابها شيئا من الهدوء في المطحن ، ترددت على المطحن ، ثم تزعم الاشاعات ، أنها تقابل صبي الطحان بالليل في غفلة من زوجها ولا تتركه الا اذا اكل ما تحمله له من طعام وفاكهة وحلوى ، لكن المؤلف يتدخل – مرة اخرى – ويثبت انه يفتقد الدليل على ان علاقتها بصبي الطحان تتجاوز حد اللقاء البرىء ، «وحدب كحدب العجائز على القطط المشردة» .. تحت جنح الليل .. تناجي ربها «يارب انت الذي خلقت القلب .. انت اذن من يهبه .. من اخون ؟ قلبي أم اولادي ؟ فارحمني واغفر لي ، واستر عليّ» .

وعلى الفور ، تذكرنا هذه المناجاة الاليمة ، من سمراء «صبح النوم» بمناجاة فتاة سمراء أخرى ، في «قنديل ام هاشم» «ألصقت جبينها على السور .. وتقول هامسة : يا أم هاشم ، يا ستارة على الولايا ، لا تغضي عينيك ، لا تشيحي بوجهك ، تمد اليك يد مسترحمة ، فخذيها .. ان الله طهرك وصانك ، وانزلك الروضة .. اذا لم يقصدك المرضى والمهزومون والمحطمون ، فمن غيرك يقصدون ، متى يمحى المقدر علي .. أيرضيك ان جسدي ليس مني .. افيطول الامد .. ام رحمة الله قريبة ..» واللغة تسمي سمراء «قنديل ام هاشم» مومسا ، وتسمي سمراء «صبح النوم» زوجة ، على ان الحياة انبل ، من المجتمع ومن اللغة ، اذ تمنحنا قديسا طيبا ، كيحيى حقي ، صاحب تجربة حية معاشة ، يريحنا ، في سطوره على الاقل ، فسمراء القنديل ، يتوب الله عليها ، بعد سبع سنوات في المقدر والمكتوب ، وتهتدي الى مأذون ، فيرتاح الجسد المنهوش والروح المعذبة ، اما سمراء «صبح النوم» فإن قلب المؤلف ، ونحن معه – يأسى من اجلها . أما القصاب ، وقد بلغته الاشاعات ، فسكت عنها ، وأخذ يمضي لياليه في الحان مع زمرة من اصدقائه ... وفي الكتاب الثاني «اليوم» من «صبح النوم» والذي تجري احداثه في العهد الجديد ، اي بعد قيام الثورة ، يتابع يحيى حقي ، قدر فتاته السمراء ، فقد هزل بدنها ، لا تنقطع عن التفكير ماذا فعلت بنفسها وبزوجها وبصبي الطحان ، تتساءل كيف الخلاص ؟ وقامت من فراشها ، ذات ليلة ، اتجهت الى فراش اولادها .. قبلتهم واحدا واحدا .. وفي الصباح ، علمت القرية ، نبأ هروبها مع صبي الطحان .. قال الناس .. عادت ريمة لحالتها القديمة .. ولم يدهش ابناء القرية ، حين رأوا القصاب يطيل تردده على المسجد .. فالعهد الجديد ، كان قد اغلق الحان .. والهروب الثاني لسمراء «صبح النوم» يتفق مع ما تأخذ به الرواية من ان سلوك البشر ابن طبائعهم وجبلاتهم وليس ابن الظروف الاجتماعية .. أم ترى ان احداث الثورة .. كانت بعد غضة .

★ **العرجاء وزوجها** : من بنات العاصمة ، ولدت لاسرة معيلة ، عاشت في كنف قريب لها غني ، اختار ان يرعاها من بين اخواتها من اجل عاهتها التي اصيبت بها في طفولتها ادخلها المدارس . كان المتوقع ان يوصي لها بوصية او ان يوقف عليها جل ماله . مات فجأة . خرجت من عنده صفر اليدين !

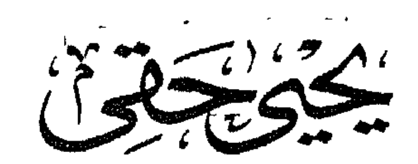
عادت الى اهلها ، وقد اصبحوا اكثر عيالا ، واشد فقرا . زوجها شاب من عشيرتنا ، ابوه من صغار الموظفين ، عاد الى قريتنا بعد تقاعد الشاب ابوه ، كان قد ارسله الى العاصمة لطلب العلم فى مدرسة الفنون والصنايع ، الى ان اوشك على التخرج .. كان الشاب يسكن الى جوار اهل الفتاة .. عقد عليها .. ارجأ زفافها حتى ينال شهادته ، خرج ذات صباح فى طريقه الى المدرسة ، فإذا شوارع العاصمة تموج بحشد من المتظاهرين ، يهتفون بسقوط الحكومة .. كان الشاب لا يحب السياسة ، لا يناصر حزبا على حزب .. وصل المدرسة راعه أنها محاطة بعدد كبير من الجند ، يحمل بعضهم البنادق .. زجره جندى وأغلظ له ، هم أن ينصرف ، فإذا بحجر يصيب رأس قائد الجند ، اذا بهم يتدفقون ويجد نفسه محمولا وسط التيار ، يصعد معهم سلم المدرسة ، يتخلف فى الطابق الأول . رأى رفيقا له مختبئا وراء باب المرحاض . لم يكد يسير بزميله ، حتى اطبق عليهما الجند . رأى واحدا منهم يهوى بعصاه الغليظة . لم ينس حتى الآن وجه هذا الجندى ، ينطق بالقسوة . سقطت العصى بقوة على رأس زميله .. والشاب فى السجن ، عرف ان زميله مات .. عاد الشاب الى قريتنا بعد ان فصلته المدرسة ، وحرمت عليه الحكومة دخول كافة معاهدها . فتح دكان نجارة . تركه .. استحوذ سلام الحقول على لبه . العرجاء تصرف على البيت من مكسبها فى خياطة الملابس . لم يتنكر اهل قريتنا للشاب ، ادركوا اخيرا ، وهم لا يعلمون ان وفاة زميله المسكين قد حطمت روحه وأن لا علاج له ، فهو طفل فى ثياب رجل .. واستقبله الحان . فهو مكانه المختار .

★ **القزم وزوجته** : يعد نفسه من ابناء قريتنا ، وماهو كذلك ، ينحدر من اسرة لا تجرى فى عروقها دماء الفلاحين ، الاسرة اقامت فى العاصمة ، واتصلت بحاشية السلطان وهو من جنس دمائها ، فاقطعها ارضا فسيحة فى زمامنا ، تجىء الاسرة مع المحصول فاذا انتفشت جيوبها عادت الى العاصمة ، يشاء ربك مالك الملك ان يخلف الآباء ابناء اضاعوا ما ورثوا . لما مات امين مخزن السماد فى قريتنا ، بذل الحفيد جهدا ليفوز بهذا المنصب المهين . زوجه امرأة ضخمة بدينة دميمة الخلقة ، لها عينان وانف وفم بعثرت فى وجه عكر .. يحتل الخد الايسر ندبة سوداء كبيرة كالزيتونة ينبت فيها فرعان او ثلاثة من شعر صلب مقوس .. هذه المرأة .. أرمل وارثة من الأسرة .. قال القزم بعد ان وضعت يدها على التركة ، اتزوجها قياما بواجبى ، كزعيم للأسرة ، فليس لها غيرى ، رفض ان تقول انها تزوجت من عاطل ، فعمل امين مخزن السماد ، لا يطيق البقاء فى المنزل ، فتتلقفه الحان . يسقى جميع الحاضرين ، جعة ، على حسابه ، اما زوجه فقد هدتها فطرتها الى بعثرة نقودها على جيرانها والمأزومين والمساكين .

★ **النموذج الاخير .. التاجر وابنه الفنان** : بعد انتصاف الليل ، ينبعث فى رواد الحان ، نشوة حلوة ، حين يدخل الفتى الفنان ، كأنه هبة نسيم ، وفى يده الكمان . هذا الفتى ابوه ، من اغنى تجار الحبوب فى قريتنا ، ليس له ولد غيره ، لكن امر الفتى عجيب ، إنه يضيق بمهنة ابيه ، يكربه ان يلح على الفلاحين ، زبائن ابيه لينتقص من ثمن قمحهم مليما أو مليمين ، ويكره ، بالداهية ـ المال ورأس المال والجمع والطرح ، ويرتجف قلب الاب التاجر ، على ابنه اشفاقا ، ان اكبر ما يسره ان يرى ابنه فى الدكان ، ولى عهد ابيه ، وانضم اغلب اهل قريتنا الى الاب التاجر واذدروا بالفتى ، وأهوائه ، وعد عندهم احمق مأفون ، اما اهل الحان فهو عندهم العزيز الاثير .

● **ملح الأرض !**

... الى هنا تنتهى النماذج الانسانية التى صاغها المؤلف على مهل ، وهى على عكس



وثورة يوليو ١٩٥٢

اهل القرية ، التى قلنا انها مجرد صفات لا ترقى الى الشخصيةوقد اعترف المؤلف انه «لم ينصف وصف اهل القرية ، فهم ملح الأرض ، يكسبون رزقهم بشق الانفس ، وليتهم بعد ذلك ، فازوا بما يقيم اودهم ، أو يستر عورتهم .. طال تساؤلهم متى تنتهى المظالم وتتعدل الامور ، ويستقيم المعوج ، ويعم السلام» .

.. ليست رواية «صح النوم» تأريخا ادبيا لثورة ٢٣ يوليو ، فلم يكن للثورة حين كتبت «صح النوم» تاريخ بعد ، كانت «حركة» لم تتشكل ، وشخصية قائد الثورة ، أو قائد الحركة ، تسميها الرواية «الاستاذ» وقد شاءت الرواية ، ان تجعل الاستاذ ، ابن وجيه القرية «الذى يملك اكثر اراضيها ومبانيها» فهل اراد يحيى حقى ان يقول ان الثورة او الحركة ، ثورة برجوازية ، وليست ثورة شعبية ، أعرف ان يحيى حقى يرفض مثل هذا النظر من اساسه ، ففى الحديث معه ، يقول ان سر اعجابه بالادب الروسى - قبل الثورة - انه أدب له رسالة روحية ، وحين أشاكسه ، واقول ، كان له رسالة اجتماعية ، فان التعبير لا يصل اذنيه ، لكن هل تفسير الاعمال الادبية رهن بموافقة مبدعيها ، لا اظن ذلك ، اكثر من هذا ، ان فى صلب الرواية ان وصول الاستاذ «الى القرية ، وهو بديل اعلان قيام الثورة ، هذا الحدث يقع فى الكتاب الاول «امس» فماذا اراد يحيى حقى ان يقول بهذا ، هل اراد ان يقول ان الثورة او الحركة ، تنتسب الى الامس ، وانها حتى تاريخ كتابة الرواية ١٩٥٤ - تنتسب الى الماضى ، بمعنى انها لم تحدث تغييرا جذريا رغم انها كانت قد اصدرت قانون الاصلاح الزراعى ، الذى وضع حدا اقصى للملكية الزراعية ، ووزع ما تم نزعه من اراض زراعية على صغار الفلاحين ، مرة اخرى ، ليس هناك من تفسير ، غير هذا ، لوضع احداث الثورة ، او الحركة فى كتاب «الامس» .

● اهتمام بالقرية

.. وصل «الاستاذ» الى القرية «فوجدنا فيه ، اهتماما بالقرية واحوالها ومالحق اهلها من ضنك وفاقة» وقد دعا الاستاذ اعيان القرية ليتحدث اليهم .. جلس الحاضرون حلقات ، خلفها حلقات . فالاعيان ايضا مقامات ، لاحظ ان الفقر والضنك من نصيب اهل القرية ، وأن الدعوة من نصيب اعيان القرية ، وقف الاستاذ ومن حوله نفر من شباب القرية ، نعرفهم بالجد والاستقامة ، وكان تشخيص الاستاذ لأس الفساد ، هو شعور المواطنين بالضعة والهوان ، وأن العلاج هو بث الشعور بالعزة والكرامة ، والشجاعة فى المطالبة بالحق ، ومع اداء الواجب ، واول ما سيرفع من مظالم هو ما يعانيه الفلاح ، وسيتم تحديد ايجار الأراضى الزراعية بمبلغ معقول ، ونلاحظ هنا أن المؤلف يضع اراءه هو وفكره ، وليس اراء او فكر الاستاذ ، والا فما معنى ان يضع على لسان «الاستاذ» فكرة تحديد ايجار الأراضى ، اذا كان قد صدر فعلا ، قبل كتابة الرواية ، قانون تحديد الملكية الزراعية ، وتوزيع الأراضى التى انتزعت من كبار الملاك الزراعيين على صغار الفلاحين ، على اى حال ، فإن الاستاذ يواصل «سيتم اغلاق الحان ، لانه بؤرة الفساد ، ويصرف الرجال عن بيوتهم» واذا ما كان الحان مقابلا للحياة الروحية ، فإن المؤلف يعبر فى وقت مبكر ، عن مخاوفه من تأثير الثورة على الحياة الفكرية والفنية والثقافية ، وكان مطلب الاستاذ الأخير ان يعم العدل والنظام ولعل هذين المطلبين يلخصان مسيرة الثورة حتى وفاة الاستاذ فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ . ثم غاب الراوى خارج البلاد الى اكثر من سنة .

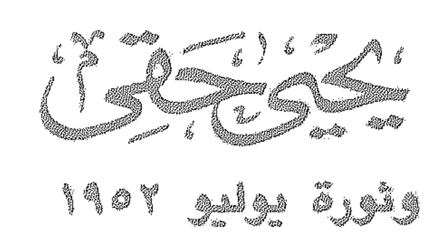


يحيي حقي في ندوة الهلال اغسطس ١٩٨٩ ناقش فيها كثيراً من القضايا الادبية

الكتاب الثانى
« اليوم »

.. يرى نبيل فرج ، أن المؤلف فى الكتاب الثانى «اليوم» من الرواية ، قد قطف القمح عشبا ولعل هذا الرأى يرجع الى ان الجزء الثانى من الرواية ، وهذا امر طبيعى ، اقتصر معظمه على وضع نهايات للنماذج التى ابدعها المؤلف فى الكتاب الاول «امس» فضلا عن اثبات التغيير الذى حدث فى القرية ، فى العهد الجديد ، فبعودة الراوى من الخارج عرف ان «الاستاذ» اصبح هو عمدة القرية الجديدة ، بعد اجراء انتخابات ولعل المؤلف يوحى الى قادة العهد الجديد ، الى وسيلة من وسائل الحكم ، فإذا كان النظام السابق قد سقط بقوة الجيش ، فان استمرار الحكم له وسيلة اخرى ، غير القوة .. تلك هى الانتخابات ، تم تحويل خط السكة الحديدية ، فمر بقريتنا مع ما صاحب ذلك من تغييرات . صاحب العربة الفرد ، وقد ألغت المحطة القروية مصدر رزقه ، جلس متسولا على باب المسجد ، ان لكل اصلاح ضحايا ، جندى المطافىء وعامل النظافة ، شخصيات جديدة ، اشاعات كثيرة عن اتفاقات غير شريفة بين مصلحة المبانى والمقاولين ! ولعلها تنبؤات مبكرة ، وحين تسجل الرواية ان أهل قريتنا دبت فيهم حياة جديدة ، ايقظهم تولى «الاستاذ» مقاليد الأمور ، واقامة القانون سواسية ، فإننا نقف على خلل فنى ، فإن التغيير الذى تم فى اهل قريتنا بقيام العهد الجديد ، لا نقابل ـ فى الرواية ـ الاشخاص الذين تمثل فيهم هذا التغيير ، فقد اكتفت الرواية ان وصفتهم انهم ملح الأرض .

ولذلك ، فان الحياة الجديدة التى دبت فى اهل القرية ، ويقظتهم تبقى ، مجرد كلمات وصفية لا تتجسد فى اشخاص احياء على المستوى الفنى ، بل ان النماذج التى قدمها الراوى فى الكتاب الاول «الامس» وتابع مسيرتهم فى الكتاب الثانى «اليوم» نفتقد فى مسيرة هذه النماذج ، ما يشير الى اليقظة التى بعثها العهد الجديد ، اعنى اليقظة التى اشاعها «العدل» فصاحب الحان ، وهو الذى يحب ان يرى الناس على حقيقتهم ، وقد مات تربى القرية ، اسرع وقبل الحلول محله . ويثير فى تأملاته قضية ميتافيزيقية ، أعنى ملاحظته ، صمت الطبيعة فى مواجهة الانسان ، وفتاتنا السمراء ، فى طريقها القدرى المرسوم ـ كما رأينا ـ فى هروبها مع

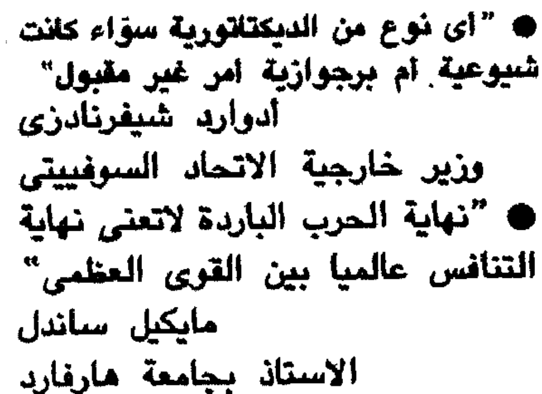


صبى الطحان، بالدقيق يغطيه ، لعله بهلوان اخر ، والقصاب استبدل المسجد بالحان ، العرجاء فى طريقها تقيم بيتا ، فلازالت تعمل فى خياطة الملابس وكثر قصادها من العمال . أما الشاب الذى اعطيه العهد الماضى ، فقد اصلحه العهد الجديد نسبيا ، اذا استرده من جولات الحقول وعمل امين مخزن .. التغيير الذى تم مع القزم وزوجته فلم يذق الخمر منذ اغلاق الحان ، وهو زوجه على تصميم ان يستردوا الأرض الزراعية التى باعها الاباء ، وتتساءل ترى هل هى صحوة البرجوازية فى استرداد وعيها ، أما الولد الفنان ، فقد عاد الى متجر ابيه ، يواصل مسيرة الاب ويرعى ولى عهده ، ويحدث نفسه لقد كان اسيرا للموسيقى لم لا تكون الموسيقى اسيرته .. وكانت نهايته هذه اثر من اثار اغلاق الحان .

.. فى الرواية ، مشهد اخير ودال ، ذلك هو لقاء الراوى «بالاستاذ» فقد تلقى الراوى دعوة من الاستاذ للقائه .. اثناء اللقاء جاء وفد من القرية على رأسه واعظ القرية هذا الذى سبق ان قابلناه بالامس ، لقد اعاد نفس الخطبة امام «الاستاذ» بنفس كلماتها وهوى على يده يصر على تقبيلها .. التفت «الاستاذ» الى الراوى : بلغنى خبر جولاتك فى القرية ، للقاء اصدقائك القدامى ، وبلغنى انك تكتب مذكرات وقد اطلعت عليها ، وقد فوجىء الراوى ، أما «الاستاذ» فقد عاد فطلب من الراوى ان يؤدى واجبه ، وها قد فعل الراوى فكتب رواية «صح النوم» فى سنة ١٩٥٤ ، وصدرت فى ١٩٥٥ ، دون ان يلتفت اليها احد .

.. ونحن نصدق يحيى حقى ، حين ينفى عن نفسه ، انه كاتب سياسى ، لكن الكاتب ، الذى تشيع فى طفولته للحزب الوطنى المصرى القديم ، وشارك شابا فى مظاهرات ثورة ١٩١٩ ، وعمل بوزارة الخارجية ربع قرن عايش فيها الحكم الثيوقراطى فى جدة ـ ١٩٢٩ ـ والديكتاتورى فى تركيا والفاشستى ، فى ايطاليا وتذوق طعم الحياة الحرة فى فرنسا ، وعمل بالادارة الاقتصادية ومديرا لمكتب وزير الخارجية المصرى قرابة ، عشر سنوات ، وهو فوق ذلك فنان ومثقف لابد ان يقف طويلا امام احداث هامة فى وطنه ، تلك هى واقعة استيلاء الجيش على الحكم والرواية كتبها فنان وسياسى ، الفنان قدم النماذج الانسانية الباقية ، والسياسى قدم البيئة القرية التى تعيش فيها النماذج الانسانية وبقدر تميز النماذج الانسانية بقدر تميع القرية ، ولقد اراد المؤلف لروايته فى بعض اوجهها ان تكون طلقة تحذير ، ويحيى حقى لديه قناعة تامة ، لا ينى يرددها ، ان رواية «صح النوم» تحذير من الديكتاتورية العسكرية وهى قناعة ، قد لا تجد سندا قويا ، صريحا من احداث الرواية ، الا ان الرواية فعلا تضمنت ان قائد الحركة ، او العهد الجديد ، أو الثورة ، سمح لأجهزته ان تقتحم منزل الراوى فى غيابه وتحمل اليه مذكراته ، وهى واقعة خطيرة ذات دلالات ؛ أن العهد الجديد لا يرعى حرمة المسكن ، ولا يرعى الحرية الشخصية ، ولا بد ان ذكريات حكم الفرد وطغيانه فى تركيا وايطاليا ، كان يقض مضجع المؤلف .. وسواء حذر يحيى حقى من الديكتاتورية العسكرية أو من حكم الفرد أو من عدوان اجهزة الأمن على المواطن ، ومدح الثورة بما يريده منها الا وهو نظام الانتخابات ، إلا أن رواية « صح النوم » لم تستشرف ، لأسباب عديدة ، آفاق العدالة الاجتماعية ، التى بشر بها ، قانون الاصلاح الزراعى ، تلك العدالة ، التى ظلت ، هدفها نبيلا ، دؤوبا ، تحققه الثورة قدما ، حتى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، حين توقف قلب الثورة ، وبقى منها الانقلاب .





● "اى نوع من الديكتاتورية سواء كانت شيوعية، ام برجوازية امر غير مقبول"
أدوارد شيفرنادزى
وزير خارجية الاتحاد السوفييتى

● "نهاية الحرب الباردة لاتعنى نهاية التنافس عالميا بين القوى العظمى"
مايكل ساندل
الاستاذ بجامعة هارفارد


ادوار شفرنادزة


البرتو مورافيا

● "جائزة نوبل تمنح لاسباب خارجة عن نطاق الادب"
الاديب الايطالى البرتو مورافيا

● "الخطيئة الكبرى فى مهنتنا هى الاملال"
الممثلة النرويجية "ليف اولمان"

● "سنجد انفسنا فى مناطق كثيرة من العالم الثالث فى حالة تنافس وتعاون مع اليابانيين، وليس مع السوفييت".
جيوفرى كمب
عضو بمجلس ادارة مؤسسة كارنيجى الأمريكية

● "أمريكا ملك العالم، وليست ملك الأمريكيين وحدهم"
المخرج الايطالى سيرجيو ليونى

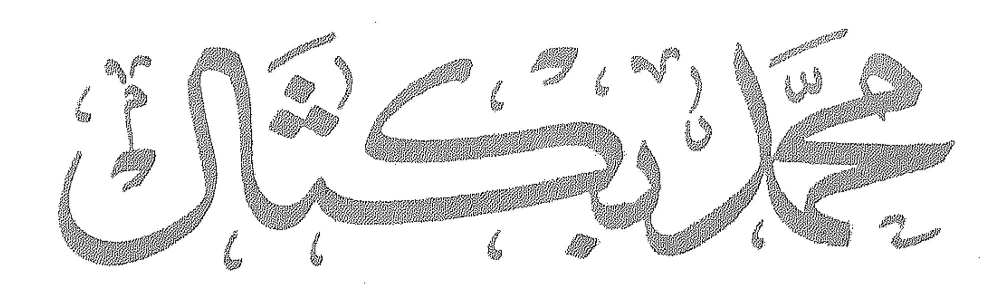
● "قالوا ان الشعب ليس مهيئا للديمقراطية البرلمانية، والآن يقولون انه مهيا للديمقراطية الفيدرالية، وهى اكثر تعقيدا وخطرا"
الاديب السودانى الطيب صالح

توفيق صالح


● "فى السينما لا احد يعرف اى شىء"
الاديب الأمريكى ويليم جولدمان

● "لكل مرحلة رجالها وانا غير موجود"!
المخرج توفيق صالح

● "الاقتصار على قول الحقيقة لايكفى الآن"
المخرج السوفييتى الكسى جيرمان



البريطانى المسلم الذى ترجم معانى القران

بقلم : د . عبدالمنعم عبدالمجيد

يلجا الكثير من الأدباء والشعراء الى ايجاد الأساليب الادبية كالأقنعة الفنية المختلفة من اجل الانتشار وتجنب الاضطهاد من حاكم او اتجاه نقدى او للتغلب على ظروف سياسية او اجتماعية اقوى منهم . الا ان الاديب والكاتب محمد مرمادوك بكثال (١٨٧٥ ـ ١٩٣٦) لم يكن من هذا النوع ، فقد كان يتمتع بشجاعة حباه بها الله

فعل ذلك قبل ان يعلن اسلامه عام ١٩١٧ . وكان وجدانه وحدسه يتجهان دوما الى الصدق مع النفس سواء كان الشكل الأدبى هو القصة القصيرة او الرواية او المقالة او الكتاب .

ولا عجب ، فقد ظلم النقاد الانجليز هذا الكاتب حيا وميتا ، فقد اهملوا رواياته وكتبه ومقالاته حتى طواها النسيان وذلك فور اعلانه اسلامه . وفى هذا المقال يحاول الباحث القاء الضوء على الانتاج الادبى المتنوع لبكثال بهدف انصافه

واليوم يذكر بكثال فى الغرب فقط كمترجم لمعانى القرآن الكريم وهى اول ترجمة ظهرت بقلم مسلم بريطانى المولد والجنسية اعتنق الاسلام واخلص له . الا ان بكثال كتب ايضا العديد من الروايات والقصص والمقالات والخطب الجديرة بالدراسة . وقد حار بعض النقاد المعاصرين فى الاسباب التى ادت الى إهمال اعمال بكثال وحرمانه من البقاء فى دائرة الضوء التى تسلط على غيره من الكتاب الذين عاصروه . وقد ذكرت الكاتبة آن فريمانتل ابنة عمه وصاحبة الكتاب الوحيد حول سيرته الذاتية والذى نشر فى عام ١٩٣٨ ان من بين الاسباب التى ادت الى اهمال بكثال كان دخوله الاسلام ودفاعه عنه فى اوربا فى سنوات الحرب العالمية الاولى والتى كانت بريطانيا تعتبرها حربا ضد تركيا المسلمة او الدولة العثمانية رمز الخلافة الاسلامية . ولعل هناك بعض الوجاهة فى هذا الراى .

★ د . عبدالمنعم عبدالمجيد ـ جامعة المنوفية





مصطفى المراغي



اللورد كرومر

احمد عرابي

● رحلة حياة وعلم

ولد محمد مرمادوك بكثال (وكان اسمه وليم مرمادوك بكثال قبل اعتناقه الاسلام) في مقاطعة سافوك شرقي انجلترا حيث قضى طفولته . وعقب تخرجه من الجامعة سافر الى العالم العربي مع بعثة للتبشير ، الا انه سرعان ما تغير مسار حياته تماما برفضه التعاون مع البعثة وبدأ في تعلم اللغة العربية وتعاليم الدين الاسلامي ، وبعد اعتناقه الاسلام سافر الى الهند عام ١٩٢٠ واستقر في حيدر اباد وعمل بالتدريس فترة ثم عمل بالصحافة وظل يكتب عن الاسلام حتى وفاته في عام ١٩٣٦ .

وعندما ذهب بكثال الى الشرق الاوسط وخاصة الى فلسطين ولبنان وسوريا ومصر وجد نفسه تواقة الى نهل المزيد من سحر الشرق والتعرف على الدين الاسلامي .. ويروى انه اراد ان يعتنق الاسلام مباشرة بعد ان عرف تعاليمه لولا ان احد اصدقائه من المسلمين اخبره بضرورة التريث والتدبر في الامر حتى لا يدخل الاسلام مبهورا مما قد يؤدى الى عواقب غير محمودة لكنه . بعد سنوات من المزيد من القراءة والمعرفة اعلن اسلامه عام ١٩١٧ وكان يلقى خطب الجمعة كل اسبوع في الحدائق العامة الكبرى في لندن خاصة حديقة هايدبارك وريجنت بارك كما تجول في معظم المدن الكبرى في انجلترا لمدة ثلاث سنوات يخطب في المسلمين ويحث السلطات البريطانية على منحهم المزيد من الحريات والحقوق . وقد كتب العديد من المقالات يشرح فيها ويفسر الشئون الاسلامية والقضايا التي تغمض على القارىء الغربي ويرد على المستشرقين . واستمر في بريطانيا حتى عام ١٩٢٠ ثم ذهب للعمل في الهند حيث عمل لمدة خمس سنوات رئيسا لتحرير جريدة (بومباى كرونيكل) كما عمل مديرا لمدرسة ثانوية اسلامية للبنين في حيدر اباد من عام ١٩٢٥ وبعدها تفرغ لترجمة معاني القرآن الكريم التي نشرت في كتاب عام

محمد بكثال

١٩٣٠ . وقد ظل بكثال فى الهند حتى عام ١٩٣٥ .

وقد اثارت ترجمة بكثال لمعانى القرآن الكريم ضجة كبرى فى حينها . علاوة على انها كانت بالنسبة لبكثال بمثابة التحدى الاكبر ، فقد قال ردا على من شككوا فى قدرته على ترجمة معانى القرآن انه على علم بان القرآن وهو المنزل من لدن عزيز حكيم لا ياتيه *الباطل* من بين يديه ولا من خلفه وذكر فى احدى مقالاته : (انه لايمكن لاحد أن يترجم القرآن وتلـك هى العقيدة الراسخة لدى جمهور الفقهاء فى الامة الاسلامية ولدى العبد الفقير مترجم معانى القرآن) وذهب الى القول بان (القرآن فعلا وحقا ليس كمثله شىء على وجه الارض وسوف يظل معجزة المعجزات للعالمين) . ولما كان بكثال قائما بعمل امام المصلين فى مسجد لندن لم يكن راضيا تماما عن التراجم المنشورة حول معانى القرآن لذلك كان دائما ما يستبدل هذه الترجمات بترجمة من عنده . وقد كان بكثال يؤمن بان لابد وان يكون القرآن متاحا لكل المسلمين باختلاف السنتهم ولغاتهم .

وقد سافر بكثال الى مختلف بقاع الأرض ليتمكن من اخراج ترجمة متقنة لمعانى القرآن الكريم ـ ففى عام ١٩٢٧ سافر الى اوربـا ليستشير بعض العارفين من علماء الترجمة فى هذا الشان . لكنه اراد ان يحصل على موافقة الأزهر فى مصر على ترجمته لأنه كان المنبر الرئيسى لحفظ القرآن وتعليمه فى ذلك الحين وفى عام ١٩٢٨ توسط اللورد لويد المندوب السامى البريطانى فى مصر لدى شيخ الازهر لكى يستقبل بكثال وقد تم هذا اللقاء بينه وبين الشيخ مصطفى المراغى شيخ الجامع الازهر فى عام ١٩٢٩ . كما التقى بكثال برجال الفكر والدين فى مصر فى ذلك الحين امثال لطفى السيد ورشيد رضا وطه حسين. الذى كان يعترض على الترجمة كما اعترض عليها بعض مشايخ الازهر ، الا انه بعد تنفيذ بكثال للمقترحات التى اقرها الأزهر فى اجتماع لمجلس شيوخه سمح الازهر بنشر ترجمة معانى القرآن لبكثال عام ١٩٣٠ .

● الإبداع الأدبى

ويأتى بكثال ككاتب روائى انجليزى فى مصاف العديد من الروائيين الذين لم ينالوا شهرة د . هـ . لورانس وفرجينيا وولف وجيمس جويس و ا . م . فورستر وارنولد بينيت وهم جميعا من معاصريه . فقد كتب بكثال حوالى

محمد على



لطفى السيد



اثنتى عشرة رواية كانت اشهرها على الاطلاق روايات (سعيد الصياد) و (ابناء النيل) و (دار الاسلام) و (نساء محجبات) وغيرها . اما رواية (سعيد الصياد) فهى من أرقى الروايات التى ابدعها محمد بكثال فهى توضح قدرته على الملاحظة وحبكة قصته فى رواية جيدة المستوى . وقد عالج فيها الحكايات الشعبية والعادات والتقاليد والظروف الاجتماعية والسياسية فى بلاد العالم فى أواخر القرن التاسع عشر .

وقد استقبلت رواية (سعيد الصياد) استقبالا حافلا حين صدورها عام ١٩٠٢ ، ولاقت نجاحا شعبيا لدى القراء لدرجة انه اعيد طباعتها اربع عشرة مرة حتى عام ١٩٢٧ - وقد اعتبرها المستشرقون من امثال ستانلى لين بول ود . س . مرجليوث تحفة فنية كما حازت اعجاب كل من ا . م . فورستر وهـ . ج . ويلز وارنولد بينيت ود . هـ . لورانس الذى كتب مراجعة جيدة عنها فى كتابه (انلفى) .

وتدور احداث القصة حول الشاب سعيد الصياد البالغ من العمر الثالثة والعشرين وقد تزوج من حسنة ولم يرزق منها باولاد . وكان يمارس الصيد على شاطىء فلسطين بالقرب من حيفا ، الا انه يترك مهنته ويتوجه الى دمشق ليعيش هناك حياة الكفاف وذلك فى صيف عام ١٨٦٠ . وفى تلك الاحيان كانت تدور فى دمشق مشاحنات بين المسلمين والمسيحيين والدروز - وبالطبع كان هناك ايضا الامير عبدالقادر الجزائرى الذى كان منفيا فى دمشق . ويتعرف سعيد على سليم الخادم فى قصر احمد باشا والى دمشق - وتجرى حوادث شغب فى دمشق - وبعدها يهرب سعيد مع فتاة مسيحية تدعى فريدة ويتزوجها فيما بعد ويرزق بابن منها . لكنه سرعان ما يدب الخلاف بينهما وتخونه فريدة وتسلبه ممتلكاته . هكذا بعد ان خسر كل شىء حتى اصدقائه يهرب الى لبنان ثم الى لندن مفلسا ومنبوذا . ثم يذهب بعد ذلك مع جماعة للتبشير بالمسيحية الى مصر لكنه يهرب ويتنكر مدعيا الجنون حتى عام ١٨٨٢ عندما يقتل فى المظاهرات ضد انجلترا فى مصر . ويصور بكثال سعيد على انه الصعلوك المتشرد الذى يتسم سلوكه باقصى مراحل القسوة والصرامة ، وهو كذلك الحاسد الحاقد الذى يقبل مواقف غير مقبولة اخلاقيا - كل تلك الصفات تجعل من سعيد شخصية يصعب نسيانها . وعلى النقيض يقدم لنا بكثال شخصية سليم (الشاب المسلم الصالح الذى يتبع السلوك القويم فى عمله وخلقه) وهو بذلك يمثل الضمير الحى لشخصية سعيد - فهو ذلك المسلم المتحضر الطيب بغير ضعف والفاهم للنفس البشرية الضعيفة والامارة بالسوء والذى يطوع نفسه للبعد بها عن الانحراف .

أما روايته الثانية (دار الاسلام) والتى نشرت عام ١٩٠٦ فقد جاءت اضعف كثيرا عن سابقتها من الناحية الفنية والاسلوبية . وتدور احداث الرواية فى القدس اثناء القرن التاسع عشر وتعرض لاسلوبين مختلفين فى الحياة لاخوين فلسطينيين يدعى الاول

محمد بكثال

ملحم اما الاخر فيسمى شمس الدين . وتبدا احداث الرواية فى مدينة القسطنطينية بتركيا حيث يعمل ملحم موظفا لدى الدولة العثمانية بينما يعمل اخوه بالتجارة وبعد ذلك ينتقل ملحم الى القدس كما ينتقل اخوه الى الاردن ليعيش فى مدينة بترا الاثرية القديمة مع جماعة من الشراكسة الذين استقروا هناك بعد الحرب الكريمية (١٨٥٣ - ١٨٥٦) . وهناك يكرس حياته لخدمة الدين والدعوة الاسلامية واشتهر بالتقوى . وكان لشمس الدين ابنة تدعى عالية اقعدها المرض وتأتيه النصيحة بان ياخذها للعلاج لدى طبيب افرنكى فى القدس ، فيذهب الى هناك بصحبة حسن زعيم عصابة من الشركش . وفى الطريق تجرى بعض المغامرات التى تهدف الى الاثارة وتستهلك الجزء الأكبر من الرواية ، لكنها جاءت فجة و غير مقنعة .

لكن بكثال برع فى وصف المكان الذى جرت فيه الأحداث وهو القدس فقدم وصفا جميلا للمدينة بأسوارها وشوارعها النظيفة المنسقة وحياة الناس فيها المرتبطة باصولها الموغلة فى القدم . انها صورة رومانسية للمدينة التى احبها بكثال نفسه - فلا غرو فانه اثناء فترة بقائه فيها من قبل ابدى رغبته فى اعتناق الدين الاسلامى الذى دخله عن اقتناع بعد ذلك .

وفى عام ١٩٠٨ نشرت روايته (ابناء النيل) التى جاءت نتيجة لزيارة بكثال لمصر عام ١٩٠٧ . وهى تمثل اسهام بكثال فى الجدل الذى كان يدور حينئذ حول احتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢ ونتائجه والذى انبثق عن استقالة اللورد كرومر المندوب السامى البريطانى فى مصر عام ١٩٠٧ ونشر كتابه عن مصر بعنوان (مصر الحديثة) . وقد سجلت رواية بكثال كما سجل من قبله ويلفريد بلنت و اللورد كرومر فى كتبهم التغيرات الاجتماعية التى طرات على المجتمع المصرى فى القرن التاسع عشر .

وتتناول القصة الاحداث التى جرت فى القاهرة والاسكندرية ودلتا النيل فى السنوات التى سبقت معركة التل الكبير فى سبتمبر ١٨٨٢ عندما انهزم جيش احمدعرابى نتيجة لخيانة الخديوى مما ادى الى احتلال بريطانيا لمصر . وتدور احداث القصة حول شخصية البطل مبروك ابن احد العمد فى قرية مصرية بالدلتا والذى كان يدرس الطب فى القاهرة الا انه انصرف عن دراسته الى قراءة القصص الرومانسية المترجمة عن الانجليزية والفرنسية ...وتجرى احداث الرواية فى ثلاث اماكن ففى البداية نرى مبروك يقضى طفولته فى قريته حيث انشغاله فى المنازعات العشائرية وتعامله مع الفتوات وقطاع الطرق ، فقد انتشرت فى مصر ظاهرة البلطجة والفتوات فى السبعينيات والثمانينيات من القرن التاسع عشر . يدور الجزء الثانى من الرواية فى طنطا ايام مولد السيد احمد البدوى . اما الجزء الثالث فتدور احداثه فى احدى الوحدات العسكرية الوطنية فى جيش عرابى حيث يلتحق مبروك ضابطا عاملا

فيها . ويصور بكثال الاحداث والمظاهرات التى سبقت معركة التل الكبير تصويرا مفصلا .

ويحاول بكثال فى هذه الرواية التاريخية تجنب التعرض المباشر لاسماء الشخصيات التاريخية المعروفة فى ذلك الحين فهو يصور التاييد الشعبى الذى حظى به جيش عرابى وكيف ان الفلاحين ومختلف طبقات الشعب المصرى سارعت بالانضمام الى عرابى وتاييده ضد الانجليز والخديوى الفاسد ، كما يصور حال الاجانب فى مصر حينئذ وكيف انهم تارجحوا فى تاييدهم لعرابى والخديوى حسبما اقتضت مصالحهم .

وتتعرض رواية (ابناء النيل) الى ظاهرة الالتزام الادبى بشكل واضح ، فنحن نرى بكثال الكاتب الملتزم سياسيا واسلاميا بتعاطفه الواضح مع المصريين المسلمين ـ كما تظهر فى الرواية معرفته العميقة بطبيعة الدين الاسلامى والتى تبشر باقتراب قناعته الكاملة باعتناق الاسلام .

وفى رواية (وادى الملوك) التى نشرت عام ١٩٠٩ ياخذ الفن الروائى عند بكثال منعطفا اخر حيث تمثل الرواية بالنسبة له شكلا جديدا ومضمونا جديدا فهو يتعرض فيها لظهور القومية العربية فى الشرق الاوسط . وتحكى الرواية قصة اسكندر الذى ينتمى الى عائلة فلسطينية مسيحية والذى تلقى تعليمه على ايدى مبعوثى الارسالية المسيحية الاوربية . لكنه اثناء وجوده بالمدرسة يقع فى غرام احدى الراهبات ويغرر بها ويهرب



د . طه حسين

من المدرسة بصحبة صديق له يدعى امير ويذهبان الى وادى الملوك اى الى مدينة بترا بالاردن بحثا عن الذهب . لكن اسكندر يقع هناك فريسة للمرض فينبذه صديقه ويلقى به الى قارعة الطريق ليموت . وتاتى اهمية هذه الرواية فى انها تناولت بعض الموضوعات والثيمات الحساسة بجراة وجسارة غير معهودتين فى ذلك الحين ـ وقد ادى الجدل الذى دار حول الرواية الى مزيد من اهتمام بكثال بالموضوعات المثيرة للراى فى رواياته التالية .

ففى روايته (نساء محجبات) التى نشرت عام ١٩١٣ يتعرض بكثال الى مسالة تعدد الزوجات فى الاسلام ـ وتحكى الرواية قصة مارى المربية الانجليزية التى تذهب الى مصر للعمل لدى عائلة مصرية من اصل تركى وسرعان ما تنشا قصة حب بينها وبين الابن الاكبر للعائلة ويدعى يوسف فيتزوجا . وتنقسم احداث الرواية الى جزءين يتناول الأول احداث فترة الخطوبة بين يوسف ومارى ويدور الجزء الثانى بعد ذلك بسنوات عديدة اى فى ايام ثورة عرابى . وفى الجزء الاول تحدث العديد من المفارقات حين

محمد بكثال

تشعر مارى بالملل من حياتها مع الاسرة المصرية فتخرج فى النقاب الى الشارع مما يؤدى الى اثارة المشاكل حيث تكثر الاقاويل والاشاعات حول اسباب خروجها الى الشارع والتى تراوحت من ان وراء خروجها كان لقاء حبيبها الانجليزى الى القول بان السبب الرئيسى وراء خروجها كان نتيجة لإصابتها بالجنون . لكن مارى التى تزوجها يوسف والتى اصبح اسمها بركة بعد ان اعتنقت الاسلام تتقبل الحياة كواحدة من النساء فى بيت الاسرة الكبير . ويعرض بكثال للحياة المعقدة التى كانت تعيشها الحريم حينئذ وقواعد التعامل بينهن ويروى كيف انه حين مرضت بركة (او مارى) جاءت قريناتها اللائى كن يؤمن بالسحر والخرافات بعناقيد الثوم وعلقنها على باب غرفتها وبعد ذلك احضرن عدة دجاجات سوداء لعمل (الزار) لها حتى يخرج العفريت الذى تقمص روحها ويتركها لحال سبيلها . يضع بكثال ذلك





رشيد على رضا — عبدالقادر الجزائرى

موضع المقارنة مع معتقدات مارى التى عاشت طفولتها الاولى فى انجلترا . ويقدم بكثال فى روايته ايضا التغييرات التى حدثت فى مصر نتيجة لاتصالها بالثقافة الانجليزية وبداية التغيير فى العادات والتقاليد بالنسبة للنساء والرجال .

يقدم ذلك عن طريق اجيال ثلاثة من الأسرة المصرية التركية الأصل ـ فيقدم جيل الاب الذى صعد الى الثراء ايام الوالى محمد على ، وجيل الابن الذى يتزوج المربية الانجليزية واخيرا جيل ابنائهما وخاصة الابن الذى انخرط فى سلك الجيش مبهورا بشخصية عرابى وثورته وهو دون الخامسة عشرة من عمره .

لكن الموضوع الرئيسى للرواية يدور حول وضع المراة فى الاسلام حيث يقدم بكثال دفاعا ضد هجوم المستشرقين على موقف الاسلام من المراة بطريقة موضوعية وقد اتهمه بعض النقد بالمباشرة فى دفاعه لكن ذلك غير صحيح لمن يقرا الرواية بتمعن وتعاطف . ولاريب فان الرواية تلقى مزيدا من الضوء على موقف بكثال بشكل عام من الاسلام دينا وعقيدة

ثم جاءت بعد ذلك رواية (دار الحرب) عام ١٩١٦ والتى تناولت احداث الشغب والمشاحنات بين المسلمين والمسيحيين فى إحدى قرى الشام كمثال لما جرى خلال الحرب العالمية الأولى التى يعتبرها بكثال حربا بين تركيا المسلمة والغرب المسيحى . وتدور احداث الرواية حول الفتاة الانجليزية (السى وايلدنج) وعمتيها اللتين كانتا تديران احدى

مدارس ارساليات التبشير المسيحية في احدى القرى السورية وقد كانت العلاقة بينهن وبين المسلمين هناك جيدة خاصة مع الحاكم التركي حسن باشا ـ وتبدأ المشاكل حينما تريد السي افتتاح مدرسة تبشيرية جديدة في قرية اخرى ـ وتدور بعض المفارقات حول شخصية السي ومحاولتها الاختلاط بالرجال وينتج عن ذلك اتهامها باهانة المسلمين وتنشا المظاهرات نتيجة لذلك ، الا انه في النهاية تقع السي في غرام صديق لاخيها وتتزوجه وتترك القرية . ويتضح من معالجة بكثال تعاطفه الشديد مع المسلمين والدين الاسلامي ومعاداته لحملات التبشير في دار المسلمين .

اما روايته التالية والتي جاءت بعنوان (فرسان العرب) ونشرت عام ١٩١٧ قبل اعتناق بكثال الاسلام بشهرين فقط فقد كانت كل شخصياتها من المسلمين ـ وتدور احداثها في اليمن في القرن الحادى عشر الميلادى ـ وقد استقى بكثال مصدر قصته عن كتاب حول تاريخ اليمن في العصر الوسيط من تاليف نجم الدين عمارة الحكمى (١١٣٥ ـ ١١٧٢) . وتميل الرواية الى الاسلوب الملحمى في الروى على غرار قصص سيف بن ذى يزن وابو زيد الهلالى والزير سالم . وفي اجزاء متفرقة من الرواية يحاول بكثال شرح بعض الأمور المتعلقة بالدين الاسلامى والتى يصعب على القارىء الاجنبى فـهـمـهـا كـمـارد عـلـى افـتـرا ت المستشرقين .

اما آخر رواية كتبها بكثال فكانت بعنوان (الفجر او ساعات الصباح الاولى) نشرت عام ١٩٢١ وهي الرواية الوحيدة التي كتبها بعد اعلان اسلامه ـ وتدور احداث القصة في تركيا حول شخصية قمر الدين الذى يعانى الكثير بسبب المحن والصـراعـات التى صاحبت الحرب الاولى وظهور كمال اتاتورك ـ وتظهر في الرواية بعض ملامح تسجيل السيرة الذاتية ، فهناك العديد من نقاط الشبه بين بكثال وشخصية قمر الدين فمن خلاله يقدم لنا المؤلف الكثير من وجهات نظره في العديد من القضايا الهامة الدينية والحياتية . وتتميز اللغة في هذه الرواية بالبساطة والسلاسة على عكس العديد من رواياته الاولى . فقد كتبها بكثال باسلوب الخطاب الذى تبناه وروج له في مقالاته العديدة التي دافع فيها عن الاسلام . فمنذ اعلانه اسلامه كرس بكثال حياته لخدمة هذا الدين القيم .

وخلاصة القول ان محمد مرمادوك بكثال كان من الكتاب القلائل الذين اغترفوا من معين واحد ودافعوا عن قضية واحدة وبدرجة عالية من الجودة والاتقان ـ فعلى حد قول الناقد والروائى ا . م . فورستر : (ان بكثال من الروائيين القلائل الذين اجادوا الكتابة حول موضوعات واماكن بعيدة احس فيها بكثال انه وسط اهله وعشيرته) كما قال عنه ايضا (ان زوايا رؤيته ظلت ثابتة من رواية الى اخرى) . لذلك فالاحرى بنا ان نهتم بهذا الكاتب الذى ظلمه النقاد الاجانب لمجرد اعتناقه الاسلام .

حقوق الإنسان المسلم

بين العدل والاستبداد

بقلم : د. خلدون حسن النقيب

يمثل المقال القصير الذى نشره أحد الكتاب فى الصفحة الأخيرة من جريدة القبس الكويتية بعنوان «أموى عند الرشيد وست منافع» نموذجا مثاليا للتفكير الاعتذارى للاستبداد ـ الفكر يجد الأعذار والمبررات للحاكم المستبد ونظام حكمه الاستبداى . فى هذا المقال يحاول الكاتب أن يجد ست منافع فى واقعة تتلخص عناصرها فى : ـ

(ا) «كان فى الشام رجل من بقايا بنى أمية» .

(ب) «كبير الجاه مطاع فى بلده» ، (وهنا مربط الفرس)

(ج) ولكن الوشاة أدخلوا فى روع هارون الرشيد «أنه لايؤمن جانبه»

● وقبل أن يتأكد الرشيد من كيف أن الرجل لايؤمن جانبه ، أو يطلب من الوشاة إقامة الدليل على صدق اتهامهم للرجل ، أمر بأن :

(ا) يحضر إليه فى بغداد فورا .

(ب) على أن يحضر مقيدا .

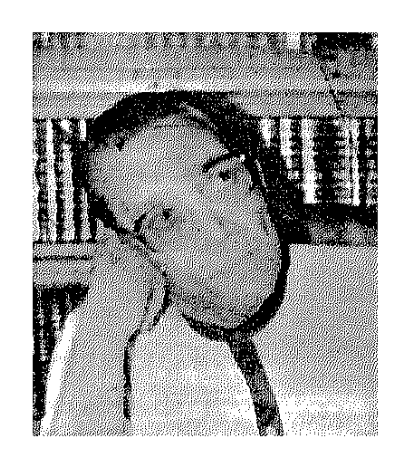
(ج) وأن يحضر مهانا ، بأن يركب على جمل واحد مع خادم الرشيد والذى عليه أن يسجل كل كلمة يقولها الرجل .

هذا الأسلوب فى التعامل مع الوشايات هو أسلوب الحكم الاستبدادى الذى يتعامل مع المواطنين لا من حيث هم مواطنون لهم حقوق مثلما عليهم واجبات ، وإنما من حيث هم مذنبون (قبل أن تثبت إدانتهم) حسب قاعدة خذوه فغلوه : فى غياهب السجن أو سلموا رقبته للجلاد ..

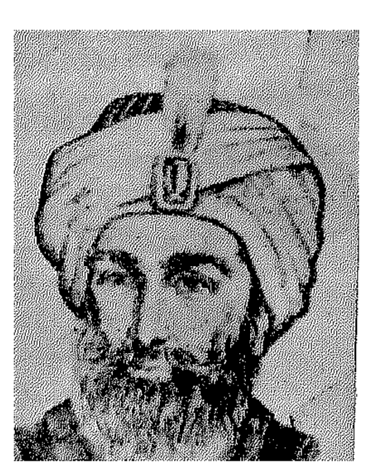
أين يجد كاتب متنور منفعة واحدة فى هذه الواقعة فما بالك بست ؟

نسوق إليك هذه المنافع الست حسب منطق كاتبنا ملخصة :

د . خلدون النقيب ـ جامعة الكويت



خالد محمد خالد



هارون الرشيد

المنفعة الأولى : أن الوشاية سببها الحسد ، والحسد مذموم ، وفى هذه عبرة لمن يعتبر .

المنفعتان الثانية والثالثة : أن الثقة بالله عظيمة ، فلمّا كان الرجل بريئا واثقا من براءته ، تسلح بالإيمان والشجاعة (وعدم الخوف من السلطان) ، فأنجته شجاعته . ولم يُخِفْهُ وجوده فى حضرة سلطان يمكن أن يأمر بقطع رأسه وقتما شاء .

المنفعة الرابعة : بالرغم من كون أمر الاعتقال اعتباطيا أتخذ بناء على وشاية إلا أن «المسئول الأمنى» ! أى خادم الرشيد ترفق بالرجل ولم يبادره بإبلاغه أمر اعتقاله إلا بعد أن فرغ المسئول الأمنى من الطعام والصلاة وانصراف الناس وفى هذا حس حضارى غلب على الحس الأمنى أو على ماقد يدعو جلاوزة السلطان وزبانيته إلى الرعونة المنتظرة منهم .

المنفعة الخامسة : كان خادم الرشيد امينا فى كتابة «تقريره الأمنى» ! فلم يزد عما رأى وسمع ولم يتقول على الرجل أو يتزيد .

المنفعة السادسة : أن السلطان رجع عن الخطأ عندما اكتشف براءة الرجل (وكان ماء الحياء باديا على وجه الرشيد ، ولكن الكاتب لايخبرنا كيف اكتشف الرشيد براءة الرجل) ... ولعله رجع إلى (مصادره) ... ليتأكد من مصداقيتها !

● التفكير الاعتذارى

وأصارح الكاتب أننى كنت وأنا أقرأ كلمته أغالب مع نفسى من الابتسام ليس سخرية وإنما حزنا واشفاقا ، لأن هذه الواقعة تمثل نقصا مزمنا ومحزنا فى التراث السياسى للدولة العربية الإسلامية . ولو كان الأمر طبيعيا يخضع لحكم منطق الأشياء الاعتيادى ولو كان الحكم مبنيا على مبدأ العدل وسيادة القانون لكفانا هارون الرشيد مغبة البحث عن منافع متخيلة إلا منفعة واحدة ، وهى المنفعة الأخيرة (السادسة) ، أى لو أنه رجع إلى مصادره أولا ، أو أنه طلب من «المسئول الأمنى» الحقيقى ـ وهو واليه على الشام وعامله وليس خادمه الخاص ـ أن يتحقق من الأمر حسب ما هو مشروع من الإجراءات ومشرع له ، مع حفظ كرامة الرجل وعدم ترويع أهله بغير داع .

اقول لو انه فعل ذلك لما كان لهذه الواقعة من معنى ، ولما تكررت الوشايات واستمرت ، ولما أصبحت المصادرات المبنية عليها واعتداءات الأمراء على أملاك التجار والمواطنين عرفا ومصدرا واسعا لدخل الأمراء واثرائهم ، ولما اختلت دائرة العدل . ولمن يريد أن يتأكد من سعة انتشار ظاهرة المصادرات هذه فى تلك الفترة من تاريخنا ما عليه إلا الرجوع إلى كتاب (أحد أفاضل المؤرخين العرب المعاصرين) عبدالعزيز الدورى عن تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى .

ولكن الأشياء لم توضع دائما فى نصابها الحقيقى وغابت فى كثير من الأحيان مقومات العدل : مبدأ المواطنة والانتماء ، مبدأ سيادة حقوق الإنسان (كفالة الحريات وخاصة حق اختيار الحكام ومحاسبتهم) ومبدأ سيادة القانون ، مبدأ المساواة أمام القانون ، مبدأ استقلال القضاء . أما الفكر الاعتذارى الذى يحاول تبرير استبداد الحاكم فيلجأ إلى تسمية الأشياء بغير مسمياتها . وهذا الفكر الاعتذارى ليس مقصورا على العرب والمسلمين وحدهم ، فرئيس أكبر دولة فى «العالم الحر» وهو ريجان رئيس الولايات المتحدة يصف عصابات الكونترا (المكونة من قطاع طرق ومرتزقة بانسين - والتى اشتركت عدة دول إسلامية فى تمويلها) بالمجاهدين فى سبيل الحرية «فريدوم فايترز» .

وفى مقطع من افتتاحية جريدة الايقاظ (عدد ١٥ ، ٨ آب - اغسطس ، ١٩٠٩) نرى إلى أى درجة من الخلل يمكن أن يؤدى إليه التفكير الاعتذارى ، عندما كتب سليمان فيضى (الذى قدر له أن يصبح فى سنى الاستقلال الأولى أحد قادة الحركة الوطنية فى العراق) فى تعريف الحرية :

الحرية - هى إطاعة الملة جمعاء للحضرة السلطانية لأن هذه الطاعة فرض على المسلم بقوله تعالى : «واطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» ..

الحرية - هى كما يلزم على الأمة الاطاعة التامة للحضرة الملوكية كذلك واجب عليها الاطاعة والانقياد لأوامر الحكام والمأمورين العادلين وهيئة الحكومة المجموعة ...

الحرية - هى انقياد العساكر واطاعتهم لجميع قوادهم ومحافظتهم على الضبط والربط ..

الحرية - هى هذه لا كما يذهب اسرى الاغراض وحب الذات يؤولونها خلاف حقيقتها ....!!

بعد هذا ليس بمستغرب إذن أن يجد كاتب متنور من أمثال كاتبنا منافع فى الحكم الاستبدادى وفى قرارات غاية فى التعسف تتخذ بناء على وشايات يستثمرها نظام الحكم ويستحلبها الى اقصاها . رحم الله عمر بن عبيد الذى قال عندما رأى سارقا تقطع يده بأمر من السلطان «لا إله إلا الله سارق العلانية يقطع سارق السر» (فى المستطرف فى كل فن مستظرف)

أن مبادىء العدل سالفة الذكر والتى تعتبر الآن روح العصر وميثاقه تمنعنا من أن نجد منافع من النوع الذى يستخلصه كاتبنا من الحكم الاستبدادى . بل أذهب إلى أبعد من هذا إلى حد الاستغراب كيف أن بعض الدول العربية تملك قوانين عصرية ولكنها تتجاوزها إلى حد تصفية

المواطنين جسديا بمجرد سماع وشاية من النوع الرشيدي . وكيف أن بعض الدول العربية الأخرى لاتملك قوانين عصرية بالمرة وبالتالي لاتملك قوانين تنظم إجراءات الأدلة الجنائية ، فهى فى هذا مازالت تتبع قانون ! : خذوه فغلوه .

فى ورقة قدمتها إلى منتدى التنمية فى الخليج العربى فى ندوته السنوية التى عقدت فى الكويت فى يناير ١٩٨٨ بعنوان : المواطنة وأزمة الدولة القطرية ، استنتجت أن النموذج التراثى للمواطنة ولنظام الحكم لايمكن الرجوع إليه فى بناء الدولة الحديثة ، أى أنه لايصلح أن يكون إطارا مرجعيا إلا بعد معالجة مواطن النقص والقصور التالية :

أولا : أن الفهم التراثى للمواطنة فهم دينى خالص ، يفتقر إلى مبدأ الحقوق والواجبات : ليس للإنسان فى هذا الفهم حقوق ، فمالك الحقوق هو الله ، وما الإنسان إلا مكلف بالمحافظة على نعم الله . وهذا التكليف مبنى على مبدأ الفرض والوجوبية ، أى الواجبات المفروضة على الأفراد وهى أما فروض عينية (القيم السامية الملزمة للجميع) أو فروض كفاية مبنية على فكرة الاتابة كالامامة والقضاء والجهاد (انظر لمزيد من التفاصيل محمد عمارة : حقوق الإنسان فى الإسلام . سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٥) . ولذلك لم يجد عبدالله النفيس فى ملاحظاته حول النظام العام للتنظيم الدولى لجماعة الاخوان المسلمين (جريدة القبس ، ١٩٨٩/٩/٢١) اى ذكر فى هذا النظام لحقوق الأعضاء إزاء تنظيم الأخوان المسلمين بينما يحفل النظام بذكر حقوق التنظيم ازاء الأعضاء . فهذا امتداد عميق لموقف تاريخى فى صلب النظام السياسى للدولة العربية الإسلامية .

ثانيا : مع أن الدولة العربية الإسلامية كما ظهرت فى عهد الخلافة بنيت على مبادىء أربعة أساسية (كون السلطة للجماعة - كون الامامة واجبة بالشرع والعقل لإقامة العدل - كون الحاكم مسئولا أمام الأمة عرضة للتقويم والخلع - كون حماية الرعية وصون حريتها فرضا على الأمام) إلا أن هذه المبادىء لم تحترم فى الحقب اللاحقة . لأن مصدر السلطة تحول من الأمة إلى القبلية السياسية (أى قبلية التحالف والاتحاد وليس قبلية الدم والنسب) . فقد استلهمت الرموز القبلية فى الحضارة العربية الإسلامية لتخدم ثلاث وظائف : كمصدر لتماسك الجماعة (العصبية والنعرة : عدنانيون قحطانيون .. إلخ) ، وكاطار للعضوية فى الجماعة (مسلمون ، موال ، ذميون ، مستأمنون .. الخ) . وكرابطة موحدة الغرض (أنظر بحثى عن بناء المجتمع العربى ، مجلة المستقبل العربى ، عدد ٧٩ ، ١٩٨٥) .

ثالثا : افتقرت الدولة العربية الإسلامية إلى تحديد أسلوب مؤسسى لاختيار الحاكم ، فقد انتهت الحال بأن أصبحت امارة الاستيلاء (بالقوة والغلبة) هى القاعدة فى أغلب الدول العربية والإسلامية ، وليس امارة الاستكفاء ذات الشروط المحددة شرعا وعرفا . كما تعددت أساليب اختيار الحكام من النمط الجمهورى إلى النمط السلالى إلى النمط القبلى . وقد ادت تخريجات الفقهاء إلى اضفاء شرعية شكلية (لم ترض بها الجماعة) على هذا النوع من الإمارة وعلى جواز امامة المفضول مع وجود الأفضل

(كما عند الماوردى فى الأحكام السلطانية وقوانين الوزارة) .

رابعا : وترتب على هذا عدم تأسس أساليب محاسبة الحاكم فى حالة الجرح بعد التهم . مما جعل تطبيق مبدأ السلطة للجماعة من باب المستحيلات فى البيئة التقليدية . واختلف الفقهاء والمفكرون فى حدود الطاعة . والصبر على الحاكم الجائر ولذلك لم يهتدوا إلى الشروط الواجب توافرها فى الثورة على الحاكم الجائر أو قواعد خلعه . وقد قاد التيار السلفى المحافظ إلى اضعاف التوازن بين الحاكم والمحكوم وسمح أو تغافل عن أساليب كثيرة ممكنة للاستبداد كما فى استغلال مبدأ المصالح المرسلة . فأجاز هذا المبدأ للحاكم التصرف غير المقيد فيما لايحصل فيه اجماع بين الفقهاء فى أمور السياسة .

خامسا : وقد أدى ذلك كله إلى شخصانية الولاء فى الدولة العربية الإسلامية ، أى أن الولاء والطاعة كضرورة واجبة هى للحاكم لشخصه وسلالته وليس للجماعة باعتبارها مصدر السلطة فى المجتمع . وتأصل هذا المفهوم فى الحضارة العربية الإسلامية إلى درجة أن مصطلح الدولة فى التراث وكما استعمله ابن خلدون يعود إلى حكم سلالة الحاكم (دولة بنى أمية ، دولة الحمدانيين ، دولة المرابطين .. إلخ) . فازدهر الحكم السلالى فى الحضارة العربية الإسلامية مستغلا عدم وضوح هذا الجانب فى عقد الأمامة ، وبخاصة البيعة المشروطة بإقامة العدل .

سادسا : ويتضح من كتابات الفقهاء والمفكرين (وخاصة ابن المقفع فى رسالة الصحابة ، والماوردى فى مشروع الدولة الميمونية .. الخ) أن نظام الحكم السلالى المركزى فى إدارة الحكم وشئون الدولة لم يعد يتلاءم مع التعددية الكبيرة فى صلب الحضارة العربية الإسلامية ، لأن المركزية الأموية والمركزية العباسية فيما بعد لم تأخذا بعين الاعتبار «العصبيات» الجديدة التى بدأت بالظهور (العصبية الشامية ، الكوفية ، الخراسانية ... الخ) فى ظل تفجر نمط الإنتاج المركنتالى العربى الإسلامى وارتفاع مستويات الإنتاج والتحضر ، وبالتالى ارتفاع مستويات المعيشة ، مما خلق تناقضا محوريا أدى بالإضافة إلى عوامل أخرى الى تمزق الدولة وتشتتها . ولذلك حصر ابن خلدون فرص بقاء نظام الحكم السلالى فى السلطة فى حالة عدم قيام ظرف استثنائى بأربعة إلى خمسة أجيال .

وفى الحقيقة فان هناك ثمرة خير يمكن أن تجنى من أن الفهم الدينى للمواطنة فى التراث يفتقر إلى مفهوم حديث للحقوق والواجبات عندما يجتهد فى تفسيره وتخريجه من صدق عزمه وواتته الشجاعة فى قول كلمة الحق ، كما فعل بعض علماء المسلمين وأساتذة القانون الذين كتبوا «الإعلان الإسلامى العالمى لحقوق الإنسان» الذى أعلنه أمين عام المجلس الإسلامى فى مقر اليونسكو فى جلسة مهيبة بتاريخ ١٩٨١/٩/١٩ ، وأحسب أن قلة من المسلمين خارج أوربا علمت بتفاصيله حتى الآن والإعلان لايبتعد كثيرا عن الإعلان الثورى لحقوق الإنسان الذى أعلنته الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .

فقد استنبط هؤلاء العلماء الرؤية العامة

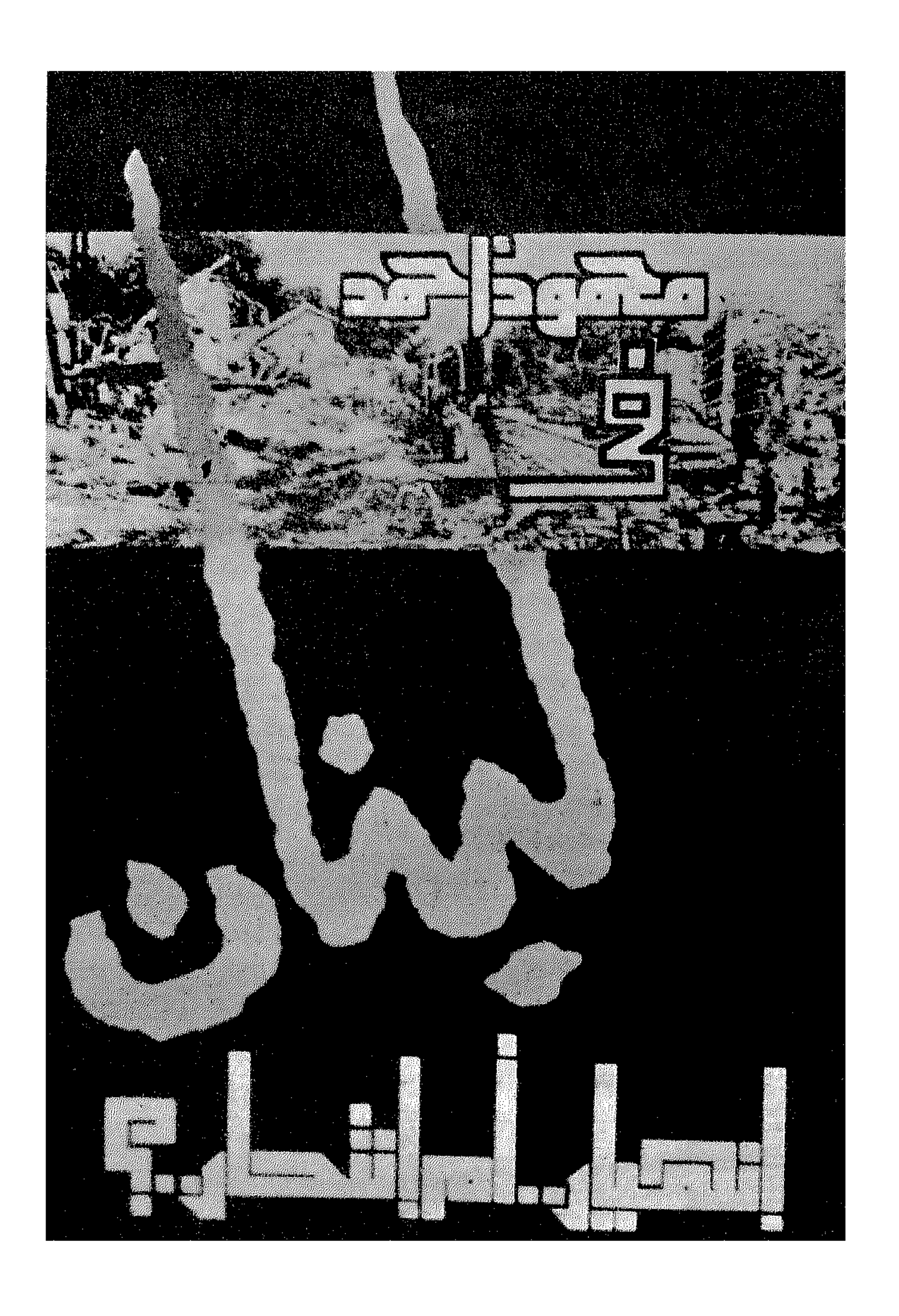
لحقوق الإنسان فى الإسلام من القناعة الراسخة بأن الله عز وجل هو وحده مؤلف القانون ، وأصل كل حقوق الأنسان (كما ورد فى الفقرة أولا ، ص ٤ أعلاه) ، ولما كان للقانون أصل إلهى لايمكن لأى زعيم سياسى أو حاكم أو أى مجلس نيابى أن يلغى أو ينتهك أو يغير حقوق الإنسان فى الحرية والكرامة والأمن وغيرها ، التى وهبها الله له ... ومن هذا المنطلق فان نقطة الضعف فى الفهم الدينى للمواطنة يمكن أن تتحول إلى نقطة قوة بحيث يصبح للحضارة العربية الإسلامية قانون مثالى لحقوق الانسان .

ولكن المعضلة الرهيبة كما يقول محمد أركون تكمن فى أن التطبيق بخلاف المثال النظرى يصطدم بواقع أنكر على مدار أربعة عشر قرنا هذه الحقوق وشوهها ، بحيث اختلطت الأصول الالهية للقوانين عامة بتخريجات الفقهاء واجتهاداتهم ، واصبح كل مايدخل فى الشريعة قدسيا ، أى أنه حتى تخريجات الفقهاء واجتهاداتهم أصبحت مقدسة يخاف اشجع العلماء من أن يخضعها إلى منطق العقل ومتطلبات العصر والواقع . وكلنا يعلم مصير العالم الجليل على عبد الرازق الذى استنتج ، وكان على صواب ، بان ليس للخلافة ولا للدولة فى الإسلام أساس دينى الهى قدسى . ليأتى بعد نصف قرن من هذا الإنجاز الكبير من ينادى بالحاكمية ويشرع للتعصب والإرهاب ، باسم الدين وباسم الله .

واردنى مضطرا للاتفاق مع محمد اركون فى أن المسلمين عموما والعرب خصوصا لايجهلون فقط عملية التطور التاريخى للمجتمعات الأوربية المواجهة لهم ، وانما يجهلون انفسهم أيضا وتراثهم الابداعى المنتج فلو انهم فعلوا لوجدوا نقاط ارتكاز صلبة ينطلقون منها بثقة للإسهام فى الحضارة الإنسانية المعاصرة المتطورة النامية على الدوام (انظر خلاصة النقاش فى الندوة الثالثة التى نظمتها الأكاديميـة الفرنسيـة للعلوم الأخلاقية والسياسية فى باريس بتاريخ ١٩٨٩/١/٢٣ عن الإسلام وحقوق الإنسان ، المنشور فى مجلة الفكر العربى المعاصر ، عدد ٦٢ ـ ٦٣ ، مارس ١٩٨٩ ، ص ١١٠ ـ ١٢٢) .

وتأسيسا على ما تقدم فاننى اتوجه الى المتنورين من دعاة الحل الاسلامى والى الذين يتبعونهم او يهتدون بهديهم بمطلب سبق ان قدمه خالد محمد خالد ـ من العلماء ـ فى كتابه "مواطنون .. لا رعايا" فى مارس سنة ١٩٥١ وهو ان : اطلقوا سراح العقل .. "ان العقل فى بلادنا . مشرد تطارده الحكومات ، وتطارده ايضا الجماعات .. ان الخوف والتقليد هما اللذان يلفان عقولنا فى الظلمات .. وهؤلاء الذين يثيرون العواصف امام العقل باسم الله جد مفترين ! (ص ٩٤ ـ ٩٥) .

لقد زهدنا فهذه المنافع التى تاتينا من الاستبداد فنحن مواطنون لنا حقوقنا مثلما علينا واجبات : «المواطنية هى المحور الذى نختاره لننظم حوله شتى قيمنا وكافة معاييرنا .. ان المواطنية .. هى الا تعيش فى بلادك محايدا ـ بل مجاهدا .. هى ان تحترم حقوقك ، وتمارسها حقا .. هى ان تدوس مصالحك الخاصة ـ عندما تصبح مصاير بلادك فى كف القدر .. وهى ان تعامل الدولة اعضاءها باعتبارهم مواطنين ـ لا رعايا .. وان توقظ فى ضميرها معانى الانسانية والكرامة» .. (ص ١٦٦ ـ ١٦٨) .



شاهد دون محاكمة

بقلم: مصطفى الحسيني

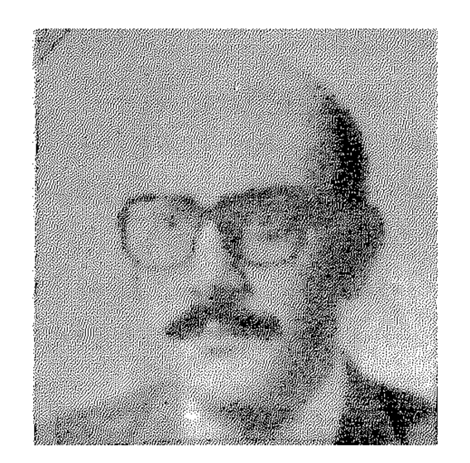
عنوان الكتاب يستحق التوقف : « لبنان : انهيار .. أم انتحار ؟» فهذه ثنائية تخلو من التفضيل . ثنائية تجمع بين ويلين ، فلا فرق كبير بين الانهيار والانتحار سوى شبهة عنصر الارادة او الحماقة الذى يتضمنه الانتحار ، ولاشك ان مؤلف الكتاب زميلنا محمود احمد ، قد تعب كثيرا ، وقدح فكره طويلا قبل ان يتوصل الى هذا العنوان ، ولعل مشقة اختياره ، كانت اشد كثيرا من مشقة ابداع الكتاب ذاته ، لذلك جاء العنوان ناطقا بحيرة المؤلف امام « الأزمة اللبنانية » التى يفصح كتابه عن انه يعرفها جيدا ، وانه قد استوعبها بعمق ، تعبر عنه هذه السلاسة التى يعرض بها وضعا يتميز بتعقيد فريد ، وبحركة متدافعة تصعب متابعتها ، وحتى من يقدر على متابعتها يستعصى عليه ان يدرك لها منطقا يقبله العقل .

● ومع ذلك فان محمود احمد ، وقد استطاع ان يقبض على عناصر هذه الازمة ، وأن يستجمع عواملها ، وأن يستوعب مجرياتها ويهضمها الى الحد الذى جعله قادرا على عرضها بهذا الوضوح النادر بين ماكتب عنها ، ومازال كما ينبئنا العنوان : حائرا أمامها !

ولعل من دلائل التعقيد ـ الذى يصل حد الشذوذ ـ فى هذه الأزمة اللبنانية . ان « محمود أحمد » بالذات حتى وهو يكتب هذا الكتاب ، مازال يجد فيما شاهد ، أو بالاحرى فيما عانى من احداث لبنانية ، مايستدعى منه الدهشة والاستغراب !

لماذا نقول : « محمود احمد » بالذات ؟

لأنه عاش فى لبنان عشر سنوات ، صحافيا يتميز باليقظة والدقة والتحفظ ، وبالقدرة على ان يرى الحدث من داخله ، ثم يعيد النظر اليه من خارجه ، اى انه عاش تلك السنوات العشر فى لبنان صحافيا كما يجب ان يكون الصحافى : شاهدا يلتزم صرامة الامانة ، دون ان « يتحلى » ببراعة « المراقب المحايد »



محمود احمد

● كتاب فريد !

ولأنه بعد هذه التجربة باعد بينها وبين الادلاء بشهادته فى هذا الكتاب بما يقرب من السنوات الخمس ، وكأنه عمدا يتجنب انفعالات الشاهد ففى الانفعال منزلق الى الشطط .

لكن دهشة المؤلف واستغرابه اللذين يردان صراحة فى أكثر من موضع فى متن الكتاب ، وحيرته امام « منطق » مايجرى فى لبنان كما يعبر عنها العنوان لم تمنع ان يكون الكتاب فريدا بين الكتب الكثيرة التى تناولت موضوعه ووجه ذلك ان الكتاب

يعرض الازمة اللبنانية على نحو يساعد غير اللبنانيين بالذات على فهمها ، ولهذا اهمية خاصة .

هذه الاهمية هى ان مجرى ما دار ويدور فى لبنان منذ مايقرب من خمس عشرة سنة ، قد استعصى على فهم غير اللبنانيين (دون ان يستثنى هذا كثيرا من اللبنانيين) والمعنيين منهم بهذا الذى يجرى ، بحيث شاع استسهال التخلص من مسئولية الاهتمام به إما بنعته بالجنون ، وإما عن طريق تبسيطه تبسيطا مخلا يؤدى بمن يقعون فيه الى استنتاجات تترتب عليها مواقف خطيرة من قبيل : القاء العبء على الايدى الاجنبية او المؤامرات الخارجية او التسوية بين مطالب الاطراف ومواقفها او الوقوع فى شرك المعادلة ـ مثلا ـ بين الوجود العسكرى السورى والاحتلال الاسرائيلى ، أو هزّ الكتفين تعبيرا عن عدم اهتمام او يأس .. وهذه مجرد امثلة ..

ومافعله الكتاب هنا هو ان يفرز ـ الى حد بعيد من الدقة والتوفيق ـ بين المعقولية والمبالغة وبين المشروع وغير المشروع فى مواقف الاطراف اللبنانية وغير اللبنانية ومطالبها .

ومن هذه الزاوية تكون للكتاب اهمية اضافية هنا فى مصر ، حيث يوجد من العوامل الموضوعية مايجعل من الصعب على المصرى ان يفهم ماجرى ويجرى فى لبنان ، عوامل موضوعية ابرزها صعوبة ان يفهم ابناء المجتمعات المتجانسة ـ بسيطة التركيب ـ مجتمعا مركبا مثل المجتمع اللبنانى بطوائفه (١٧ طائفة) وبمناطقه المتقاربة المتلاصقة بالجغرافية ، والمتفاوتة بالتاريخ وبمستويات النمو ، وبما يشيع فيه من ولاءات ترجع الى المناطق والعشائر ، التى تتجمع كلها فى رقعة بالغة الصغر ، ومع ذلك فان لها من الامتدادات او التطلعات الى امتدادات اقليمية ودولية ، مايجعل بلدا بهذا الصغر ، يبدو اكبر من حجمه بكثير ، بحكم هذا التنوع وارتباطه بما يحيط به فى اكثر من دائرة متتابعة الاتساع .

● الطوائف ولبنان

وللتوضيح ، فان المسلمين السنة فى لبنان مثلا ، لايعتبرون انفسهم مجرد جزء من الاغلبية المسلمة السنية فى بلاد العرب ، بل ولا حتى يعتبرون انفسهم امتدادا لهذه الاغلبية انما هم بالاحرى يعتبرونها امتدادا لهم ، وبالتالى يعتبرون ان مكانهم فى لبنان : مجتمعا وسياسة ومؤسسات يجب ان يعكس ثقل هذه الاغلبية السنية العربية . بينما المسلمون الشيعة يرون « امتدادهم » من بلاد العرب الى تخومها فى العالم الاسلامى الاوسع ، فيتطلعون الى مركز فى « التركيبة » اللبنانية ، لايعبر فقط عن ثقل هذا الامتداد ـ وهو ثقل تمثله ايران بالذات ، فى عهد الشاه كما فى عهد الجمهورية الاسلامية ـ انما يعبر ايضا عن موقع « الشيعة » فى التاريخ الاسلامى بما يحمله من خلاف ، وقهر واستخفاء واحزان . كذلك فان المسيحيين الكاثوليك الموارنة ، يتطلعون الى فرنسا ـ التى اعلنت نفسها منذ قرون حامية للكنيسة الكاثوليكية ـ يتطلعون اليها ليس باعتبارها مجرد « الام الرءوم » حسب تعبيرهم المفضل ، وانما يستندون اليها فى المطالبة بمركز فى لبنان يعبر عن ثقل فرنسا فى العلاقات الدولية ، وفى المقابل فان المسيحيين الارثوذوكس اللبنانيين ينظرون الى انفسهم باعتبارهم ابناء

الكنيسة التى ادخلت المسيحية الى روسيا ، وسواء كانت روسيا قيصرية تتعامل مع الارثوزوكسية بما تستحقه من اجلال ، او شيوعية تنكر الكنيسة ، او « جورباتشوفية » تتصالح معها ، فان وزن روسيا لابد ان يضاف الى وزنهم داخل لبنان .. وهكذا بقية الطوائف او الأدق اغلبها ، تستقوى بما تعتبره « امتداداتها » الخارجية ، ربما باستثناء الطائفة الدرزية التى لايكاد يكون لها امتداد خارجى يتعدى الجوار المباشر فى سوريا وشمال فلسطين ، انما لايعوزها هذا الى ماتستقوى به ، ففى لبنان « المركز » الدرزى الاكبر ، وفى تركزها فى منطقة الشوف ، الموقع الحاكم بين الاقاليم اللبنانية المتعددة ، وفى توحدها التاريخى الغالب مع وجهة حركات الاغلبية العربية ـ سواء ابان حركة الجامعة الاسلامية ، او مع صعود القومية العربية ، مايوفر لها من الرصيد مايعينها ايضا على الاستقواء .

هذا التصور اللبنانى المميز ، للصلة بين الطوائف اللبنانية وبين ماترتبط به من قوى خارج لبنان ، يكسب هذا البلد الصغير ، بعض مميزات الدولة الكبرى فى تصور ابنائه ، كما انه فى الوقت نفسه يفتح بابا « مشروعا » لأدوار مؤثرة للقوى الخارجية فى اوضاع لبنان ، وفى تفاعل العلاقات داخله .

هذا العنصر ، من بين العناصر التى تجعل فهم لبنان صعبا على ابناء المجتمعات المتجانسة ـ والمصريين منهم ـ يضم فى الحقيقة عنصرين : التركيبية الشديدة التنوع ، والتفاوت الكبير بين الحجم الفعلى للبلد ، وحجمه فى وعى ابنائه .

وامانة للكتاب الذى يتناوله هذا المقال ، فانه لم يلمس هذا العنصر ، او هذا البعد منه صراحة ، وان كان بعرضه الواضح للتركيب الطائفى اللبنانى قد اقترب منه .

● الأقضية الأربعة !

يضاف الى هذا العنصر ، عنصر آخر ، يزيد من تعقيد التكوين اللبنانى ، وبالتالى صعوبة فهمه ، وهذا هو التمايز بين مايعرف فى التاريخ اللبنانى بانه لبنان الصغير ولبنان الكبير ، وهو عنصر تناوله الكتاب بامتياز فحتى ١٩٢٠ ، كان القائم هو « لبنان الصغير » اى ذلك الذى يضم المنطقة الجبلية من لبنان : اقاليم كسروان والمتن بقسميه الشمالى والجنوبى والشوف ، وكان « لبنان الصغير » اقل تعقيدا فاغلبية سكانه تنتهى الى طائفتين : الموارنة والدروز ، لكن فرنسا عندما تحقق لها « الانتداب » على لبنان بقرار من عصبة الامم ضمت اليه مايعرف باسم « الاقضية الاربعة » طرابلس (عاصمة الشمال) وبيروت (التى اصبحت عاصمة البلاد) وصيدا (عاصمة الجنوب) وبعلبك (مركز البقاع وان لم تكن عاصمته الرسمية ، بدلا منها زحلة) هذه الاضافة هى التى انتجت هذا التركيب المعقد الذى تعرفه الان .. فكل من طرابس وصيدا يسودهما المسلمون السنة ، على ان الجنوب يضم الى سنة صيدا اغلبية شيعية طالما اعتادت النظر جنوبا باتجاه فلسطين ، ومازال بعض ابناء الجنوب يقولون ان جنوب لبنان هو شمال فلسطين ، اما بيروت فيتقاسم الغلبة فيها المسلمون السنة والمسيحيون الارثوذوكس وفى البقاع يغلب المسلمون الشيعة الى اعداد غير قليلة من المسيحيين الارثوذوكس والروم

الكاثوليك ، اضافة الى موارنة فلاحين (يتمايزون عن موارنة الجبل فى عكار) وعشائر فى الهرمل تتمايز ثقافتها القبلية الفرعية ، سواء عن ثقافة المسلمين السنة او المسيحيين الارثوذوكس والموارنة الجبليين حملة تقاليد التجارة وثقافتها . او عن جماهير الشيعة المشتغلة بالزراعة ، كما ان محافظة طرابلس تضم جيبا مارونيا حصينا ، لم تؤثر فيه رياح « الثورة التجارية » التى اصابت سواهم من الموارنة ، وعلى مايبدو فى ذلك كله من تنوع وتعقيد ، فان التفاصيل اعقد من ذلك بكثير ، وهو الامر الذى ادى الى جعل التمايز بين « لبنان الصغير » و« لبنان الكبير » بقدر كبير من التعقيد ، انما دون اخلال بأن هذا التمايز يتلخص فى ان « لبنان الصغير » كان منغلقا على ذاته ، ويمد بصره فى الوقت ذاته الى ماوراء جواره العربى : الى فرنسا من جانب الموارنة والى بريطانيا من جانب الدروز (حتى يوازنوا النفوذ الفرنسى طبقا لما كانت تمليه قواعد الصراع الدولى فى ذلك الحين ، بينما كانت المناطق التى اضيفت لتشكل لبنان الكبير اكثر ارتباطا والتصاقا بالمحيط العربى ، سواء من جانب المسلمين السنة الذين يتطلعون الى الاغلبية السنية العربية ، او من جانب المسيحيين الارثوذوكس الذين وان تطلعوا الى روسيا التى تبقى فى نظرهم ارثوذوكسية بغض النظر عن تقلبات النظام السياسى ، فانهم كانوا يعتبرون انفسهم هم الاصل والمرجع فى الارثوزكسية ذاتها ويستوعبون تاريخا من التداخل والتمازج بين الاسلام والمسيحية الارثوذكسية ، او من جانب الشيعة ، الذين وان تطلعوا الى ايران كمركز للقوة الشيعية ، فان افئدتهم كانت تهفو الى النجف الاشرف فى العراق مركزا للفقه الشيعى تتبعه حتى ايران ذاتها ، ويعتزون بمنطقة « جبل عامل » فى جنوب لبنان كمعقل للثقافة الشيعية لم ينقطع التبادل بينه وبين النجف الاشرف .

● مهمة صعبة !

هل يسهل على ابناء المجتمعات المتجانسة ـ والمصريين منهم ـ ان يستوعبوا كل هذا القدر من التعقيد ؟ هل يسهل عليهم ان يفهموا ان الطائفة ليست مجرد مذهب دينى وان الطائفية مركب اكثر تعقيدا من ذلك بكثير ؟

بدون العرض السهل ، السلس ، المبسط دون كبير اخلال ، الذى يقدمه هذا الكتاب تكون مهمة فهم هذا ، وفهم لبنان وماجرى فيه ومايجرى اصعب بكثير .

يؤدى الكتاب هذه المهمة الحيوية بامتياز ، وبذلك يجيب على احتياج كان قائما الى ان صدر هذا الاحتياج هو ان يفهم العربى العادى ـ فضلا عن المهتم والمعنى ـ جوهر « الأزمة اللبنانية » دون عصبية ودون تعصب ودون تأفف وهذا الفهم الذى يوفره الكتاب كفيل بان يكون مؤثرا مهما فى التعامل العربى ـ الرسمى والشعبى على السواء ـ مع لبنان ومأساته ، كما انه كفيل ايضا بان يفتح العيون والمدارك على مخاطر عديدة ، تبدأ من الانغماس فى الوعى الطائفى ، الى الاستنامة الى يسر الكسب وراحة العيش فى اقسام من المجتمعات العربية ، الى اغماض العين على التفاوت المستقر بين الفئات الاجتماعية وهو تفاوت ضارب الجذور فى كثير من المجتمعات العربية ، خصوصا عندما يرتبط هذا التفاوت باسس طائفية او مذهبية او اقليمية الى

مخاطر غياب تبلور مفهوم « الوطن » وهو ماكان ولايزال يميز لبنان ، ومابدأ يتسرب (يتسرب فقط ؟!) الى غير قليل من المجتمعات العربية .

ولايعنى هذا ان الكتاب قد جمع فأوفى ..

فمن مزايا هذا الكتاب وفى الوقت ذاته من عوامل نقص تمامه ، ان مؤلفه محمود احمد قد التزم - عمدا - بالتمييز بين منصة الشهادة وسدة القضاء .. فوقف امام الاولى دون ان يتوهم انه يتربع على الثانية ، كما انه التزم وبالقدر ذاته من التعمد والصرامة بالتمييز بين امانة الشهادة وبين مهمة المؤرخ فالتزم الاولى ولم يقع فى ادعاء الثانية ، حتى عندما رأى ان شهادته تحتاج الى بعض الخلفيات التى تلقى الضوء على مارأى وما عايش وماكابد فى لبنان ، وتساعد على توضيح مغزى الشهادة ، قصر انغماسه فى هذه الخلفيات على ماحدد لنفسه من غرض : ان يكون شاهدا مفتوح العين والادراك .

ولعل هذا الالتزام المفهوم بمهمة ذات حدود ، هو مرجع مالقد يكون غائبا من الكتاب ، فالأزمة الاجتماعية فى لبنان لاتمس الا مسا خفيفا ، والبعد التاريخى يتناول هيكل الاساسيات والسياق الاقليمى للازمة اللبنانية لايتناول سوى اللاعبين المباشرين ، المرئيين والسياق الدولى مجرد اطار لما رأى .

وليست هذه مآخذ على الكتاب فلاشك ان المؤلف لم يقع فى غرور ان كتابه هو الوحيد فى موضوعه ، او انه يخرج على الناس بالكلمة الاخيرة ، انما هو يؤدى شهادة فى غير محاكمة ، لذلك نراه يعترف للاطراف كلها بما لها ، ويأخذ عليها ماعليها ، ويفعل هذا كله برفق انيس ، فاللبنانيون كان هو معهم ، وفى ماعانوا من ويلات المأساة كان منهم ، مثلهم عاش بين السكين والجرح ، ان لم يصبه حد السكين اصابه نثار الدم ، واحس الم الجريح ، وشارك فى الحزن على الشهيد والقتيل والضحية ، فاستطاع ان يميز التمييز الضرورى بين الظلم والظالم ، وبين الحق والمظلوم ، فاستطاع ان يرى من المأساة وفيها تلك الرابطة الخفية التى تجمع القاتل والقتيل . وربما كان هذا لانه احب الناس اللبنانيين الذين عرف ، فكان بمقدوره ان يفهمهم كما هم - بفضائلهم وعثـراتهم - دون استعـلاء عليهم ، بالتقييمات والاحكام ، انما دون ان يبررهم او يعتذر عنهم ، فاستطاع ان يرى فى عمق المأساة اسبابها فى مايتميز به تكوين لبنان من تشوه ، ومايحيط بلبنان من اطماع ، ومايحفل به البلد وفئاته المتميزة من شهوات ومايتصارع عليه من مصالح .

ولقد عايش كاتب هذه السطور اربعا من سنوات « محمود احمد » الغنية والعسيرة فى لبنان ويقر هنا علنا انه لم يكن بامكانه ان يكتب عن لبنان كتابا له هذه الفائدة ، ويوفر ايضا هذه المتعة فى القراءة ، وهو يسجل هذا بريئا من الغيرة والحسد ، انما يعلنه بامتنان

ذلك اننا - نحن المصريين - ذوى التجربة اللبنانية - ان كانت ثمة جماعة يمكن ان توصف هذا الوصف ، كنا نحتاج الى هذا الكتاب ، فهو على الاقل يريحنا من الاجابة على اسئلة تعترضنا كثيرا ، تطلب الينا ان نفسر ماجرى فى لبنان ومايجرى ، والان اصبح بين ايدينا مرجع نستطيع ان نحيل اليه السائلين .

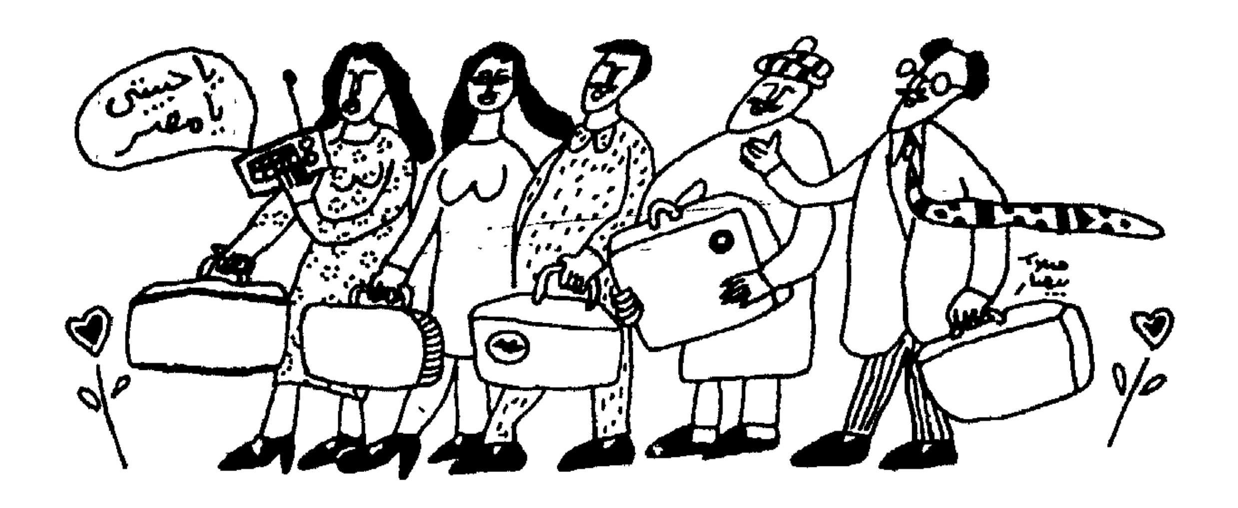
أزمة الانتماء

بقلم : د. أحمد عبد الله

«إن الحصول على الإجابات الصحيحة يستلزم أولا طرح الأسئلة الصحيحة . تلك قاعدة من قواعد المنطق التى صارت من قبيل الحكمة السائرة . واعمالا لهذه الحكمة يتوجب علينا فى البداية ان نطرح سؤالا حول وجود أزمة للانتماء فى سياق مجتمع قومى معين ، وليكن فى هذه الحالة المجتمع المصرى الذى يطرح فيه هذا السؤال مرارا على ألسنة الكثيرين هذه الأيام . والإجابة اليسيرة هى نعم . هناك حقا ازمة انتماء فى هذا البلد .

لكن لنتفاهم أولا حول معنى الانتماء ذاته . ولنقل بادىء ذى بدء أن هناك مفهوما فلكلوريا للانتماء هو فى جوهره عكس المعنى الصحيح للكلمة . وهو بذلك يصلح لتعريف الانتماء تعريفا سلبيا على طريقة الحكمة العربية : «وبضدها تتميز الأشياء» والمقصود بهذا هو الانتماء اللفظى الذى يتردد بكثرة فى أغنيات الراديو والتليفزيون على شاكلة «ياحبيبتى يامصر» وهى أغنيات يتصور من يستمع إليها أن العلاقة بين المواطن وبلده فى غاية التمام وأنه ليست هناك أزمة انتماء ولايحزنون . ومايشبه الأغنيات هو المانشتات التى تعج بها الصحف راسمة صورة وردية لاتختلف عن كلام الأغانى وإلى حد مزعج يوجب الصدح بقول أحد الشعراء : «ياأهل المغنى دماغنا وجعنا .. دقيقة سكوت لله !» إن مفهوم الإنتماء الذى تبثه الأغنيات والمانشتات فى بلادنا هو مفهوم سطحى لوطن كل مافيه يبرق ويلمع ولمواطن يتغزل فى هذا الوطن فى جميع الأحوال على طريقة : «بلادى وإن هانت علىّ عزيزة .. وأهلى وإن ضنوا علىّ كرام» . إنه باختصار مفهوم شعرى قد يعكس قدرا من حقيقة العلاقة بين الإنسان ووطنه ، لكنه لايحكى لنا قصة الحب فى إمكانات تأججها وخبوها مثل كل قصص الحب الإنسانى . إن الانتماء الذى تقدمه لنا الأغنيات والمانشتات هو باختصار شىء أقرب إلى مايقصده أولاد البلد بقولهم : «زى الوز .. حنية بلا بز» ! فلنسمه إذن انتماء الأوز .

أما عن إنتماء البشر فمسألة أخرى . صحيح أن إنتماء غمار الناس هو أقرب



إلى الحالة الوجدانية أى المشبعة بعواطف حب الإنسان لمكان نشأته وترعرعه . إلا أن هذه الحالة يمكن أن تعتريها أعراض التقلب الوجدانى حين تضيق بالناس سبل العيش فتجدهم يضربون أخماسا فى أسداس ويلعنون اليوم الذى ولدوا فيه على هذه الأرض . وبذا تجدهم تواقين للهجرة ومستميتين فى السعى إليها . حتى إذا هاجروا فعلا تجدهم عادوا أدراجهم فى حالة حنين إلى الوطن . فإذا عادوا إليه فعلا فى أجازة أو ماشابه تجدهم قد ضاقوا مرة أخرى بصور للمعاملة أصبحت سيئة بمقاييس ماقد يرون خارج بلدهم . وهكذا يسير المنحنى صعودا وهبوطا مع وجدان اللحظة ، وإن بقى الإطار الوجدانى الأعم هو علاقة الحب التى تربط الإنسان بوطنه والتى يسميها الناس الانتماء .

أما صفوة الناس من أهل الفكر والعلم والثقافة والسياسة فتجد مشاعرهم قد تطعمت بشىء من المنطق العقلى جنبا إلى جنب مع ميول الوجدان . وقد يقبع هذا المنطق فى آخر خلفية العقل فيكون أقرب إلى اللاشعور ، أو قد يكون بارزا منطوقا فيكون أقرب للمفهوم المعلن . وأساس هذا المنطق هو أن الانتماء إنما هو عملية أو عملة ذات وجهين . الأول هو وجه عطاء الإنسان للوطن . والثانى هو وجه أخذ الإنسان من الوطن . وللعطاء قائمة مفصلة مثلما أن للأخذ قائمة . وقد تكون قائمة العطاء لانهائية من حيث أنها تشمل التضحية بالنفس فى سبيل الوطن بجانب العمل بذمة والأداء الجاد فى مجال الإنتاج

أما قائمة الأخذ فقد تكون محدودة من حيث أن الإنسان قد لايطلب من وطنه تتويجه ملكاً وجعله أغنى المليونيرات . لكن لهذه القائمة حدها الأدنى الذى تصبح بدونه قائمة صغيرة ليس فيها أى أخذ أو قائمة أحادية فيها العطاء وحسب . ولعل أفضل تحديد لهذا الحد هو ماتشير إليه الآية الكريمة القائلة : «فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف» . ولعل هذه الآية تحتوى تعريف الوطن نفسه مثلما تبين أن الطعام والأمان هما الحد الأدنى المفترض أن يتوافر للإنسان على أرض وطنه . وإلا فأى وطن هذا ذلك الذى لايتيح لأبنائه لا طعاما ولا



أمانا ؟ وهل تجدى فى أفتعاله وطننا ألف أغنية ؟

● الطعام والعدل

وحديث الطعام والأمان إنما ينقلنا من المجرد إلى العينى . حيث لايصبح الوطن قيمة مجردة وحسب ، وحيث لايصبح تراب أرضه فقط هو جنة محبيه التى قصدها الشاعر بقوله : وطنى لو شغلت بالخلد عنه .. نازعتنى إليه فى الخلد نفسى . بل ترتبط قيمة الوطن بماينشده أهله من قيم إنسانية تحدد تضاريس حياتهم الاجتماعية التى لاتقل أهمية عن تضاريس تراب الوطن . وعندئذ يرتبط الطعام بقيمة العدل ، كما يرتبط الأمان بقيمة الحرية . حيث لايكون الأمر متعلقا بكم ونوع الطعام وإنما بمقدار العدل فى توزيع ثروة الوطن صغيرة كانت أم كبيرة . كما لايكون الأمر متعلقا بنصوص الدساتير المقدسة للحرية وإنما بممارسة شعائرها حقا فى الميدان . ولأن العدل فى توزيع الثروة يستلزم ضغوطا من أصحاب المصلحة ، كما أن ممارسة الحرية تستلزم نوبات حراسة من قبل الممارسين ، فإن الإطار المنطقى لاستيعاب هذا وذاك إنما يكون إطار المشاركة الشعبية أو الديمقراطية .

إن الديمقراطية هى منطقة تقاطع جانبى الأخذ والعطاء المكونين لمفهوم الانتماء العقلانى والوجدانى معا . ففى هذه المنطقة يمكن أن يحاسب المواطنون على عطائهم للوطن (الواجبات) كما يحاسب الوطن بصفته نظاما اجتماعيا على عطائه للمواطنين ماهم جديرون بأخذه (الحقوق) . وليس معنى غياب الديمقراطية أن يغيب الانتماء . فالكفاح من أجلها هو صورة من صور الانتماء المعمق وربما المكلف كما أن توافر الديمقراطية ليس معناه أيضا إقبال المواطنين على الوطن بصورة تلقائية . فقد يتضمن تاريخ الوطن وواقعه من العوامل مايجعل علاقة الإنتماء باردة من خلال مرض اللامبالاة . فماذا فى مصر ياترى من هذا وذاك ؟ هل انتماء متزايد مع مقدار الديمقراطية الوليدة ، أم عوامل معرقلة للانتماء والديمقراطية معا ؟

● ازمة الانتماء

الإجابة تدور بالطبع حول عوامل العرقلة ، وإلا لما قلنا فى البداية أن فى هذا البلد أزمة انتماء فهناك إرث التاريخ البعيد الذى جعل من النظم السياسية فى مصر نموذجا للاستبداد . فهل تزيل سنوات الحرية القلائل ميراث استبداد آلاف السنين ؟ وهل يتجاسر الناس بسهولة على أن يكونوا فلاحين فصحاء يواجهون الحاكم ؟ لقد جرت فى النيل حقا مياه كثيرة منذ تلك العهود البعيدة . لكن من قال أن آثار الأصول تزول ؟ وهناك أيضا إرث التاريخ القريب حيث الحرية بلا عدل عبر ثلاثة عقود من الزمان فيما بين ثورة ١٩١٩ وثورة ١٩٥٢ ، ثم بعد ذلك ثلاثة عقود أخرى أولها عدل بلا حرية وآخرها حرية بلا عدل . وهناك النموذج السيىء للانفتاح الاقتصادى الذى عرفته مصر فعلم الناس السرقة والتربح بلا عمل ، ومعه أختل أكثر توزيع الثروة أى اهتز أكثر جانب الأخذ المحقق للانتماء .

من جماع كل هذا تتبدى أمامنا مظاهر ناطقة لأزمة الانتماء ، أى ضعفه على المستوى الجماعى وكذلك ضعفه وانعدامه

على المستوى الفردى . فهناك المظاهر الهروبية الحادة مثل الرغبة فى الهجرة بأى ثمن ، وإنتشار تعاطى المخدرات ، واحتداد صور الجريمة ، والعنف اليائس لدى بعض الجماعات السياسية . وهناك الإضراب اليومى الصامت عن العمل وفقدان الرغبة فى الإنتاج أو فى أحسن الأحوال الإنتاج «على قد فلوسهم» . وهناك الانفعال القاطع بين الخاص والعام ، حيث عناية المواطن بكل ماهو خاص وإهماله الشديد وربما تخريبه لكل ماهو عام حتى أن أنظف الشقق توجد فى أقذر الشوارع دون أن يثير ذلك لدى المواطن إحساسا بالتناقض وهناك ضعف الرغبة فى المشاركة فى الحياة السياسية بل والحياة العامة ، فهو غير مصدق للعبة الديمقراطية من الأصل . وقد يكون معه بعض الحق فى هذا ، دون أن ينفى ذلك واجب المواطن فى تحويل اللعبة الشكلية إلى عملية حقيقية . لكن بلادة الإحساس إزاء التناقض بين الخاص والعام إنما تضارعها الرغبة فى الهروب من ربط الحق بالواجب .

لهذا كله لايكون غريبا أن تنتشر بين المصريين ظاهرة الانتماء للآخرة دون الدنيا وظاهرة الانتماء للماضى دون الحاضر أو المستقبل . ورغم أن المعروف عن المصريين انهم أهل توسط يبحثون دائما عن نقطة التوازن بين الأطراف ، إلا انهم فى حالة انعدام الوزن الناجمة عن أزمة الانتماء إنما يتجهون إلى الأطراف . حيث تتجه الأقلية إلى العنف ، بينما تتجه الأغلبية إلى اللامبالاة . وبين هؤلاء وأولئك يقف النظام السياسى متعنتا مع ممارسى العنف لكن خائفا من اللامبالين خشية أن يبالوا يوما . وبهذا يقدم النظام نموذجا لعدم الانتماء حيث يخرج على القانون وهو يطبق القانون على ممارسى العنف وحتى ممارسى الكلام أحيانا ، وحيث لاتتوافر لديه رغبة حقيقية فى المشاركة الشعبية الواسعة ، وحيث تغيب عن تصرفاته روح الإحساس بالمستقبل والمسئولية عن الأجيال القادمة بإعتبار اكتفائه بإدارة البلد من يوم ليوم بأى طريقة ، وحيث تثبت بعض عناصره الفاسدة أن غاية ضمان مستقبلها الخاص تبرر وسيلة نهب المال العام .

إن أزمة الانتماء فى مصر حقيقية حيث الاهتزاز قائم فى جانب الأخذ وجانب العطاء معا . والعملة التى تحتوى الوجهين لاتحتمل قيام عوامل التعرية بمسح هذا الوجه أو ذاك ؛ لأن فى ذلك مسحا لتضاريس الوطن نفسه من حيث هو مكان للسعادة المشتركة إن لم يكن مكانا على الخريطة ومع ذلك فليست الصورة فى مصر قائمة بمقدار قتامتها فى بلدان أخرى قد لا يقدر مواطنوها على مجرد فتح الموضوع خشية القتل بلا دية . ففى مصر بصيص أمل من حرية تعبير وألف باء ديمقراطية . وفيها مناط أمل من رجال منتمين ومهمومين بهموم الوطن . والمهم فى الأمر أن يثبت هؤلاء قدرة أكبر على التفكير وطاقة أعلى فى ضخ الحماس . وإذا كان بين صفوف هؤلاء النسبة الملائمة من أبناء الجيل الشاب المسئول عن المستقبل والذى تتجسد فيه اليوم أزمة الانتماء ، فإن تجاوز الأزمة ممكن بالفعل . بل ربما جاز اعتبارها ضارة نافعة استفاق عندها المصريون فدقوا أبواب المستقبل بكل يد مضرجة .

الاساطير تحيا وتتحرك

الرقص الكلاسيكي الهندي

بقلم: إحسان قاسم

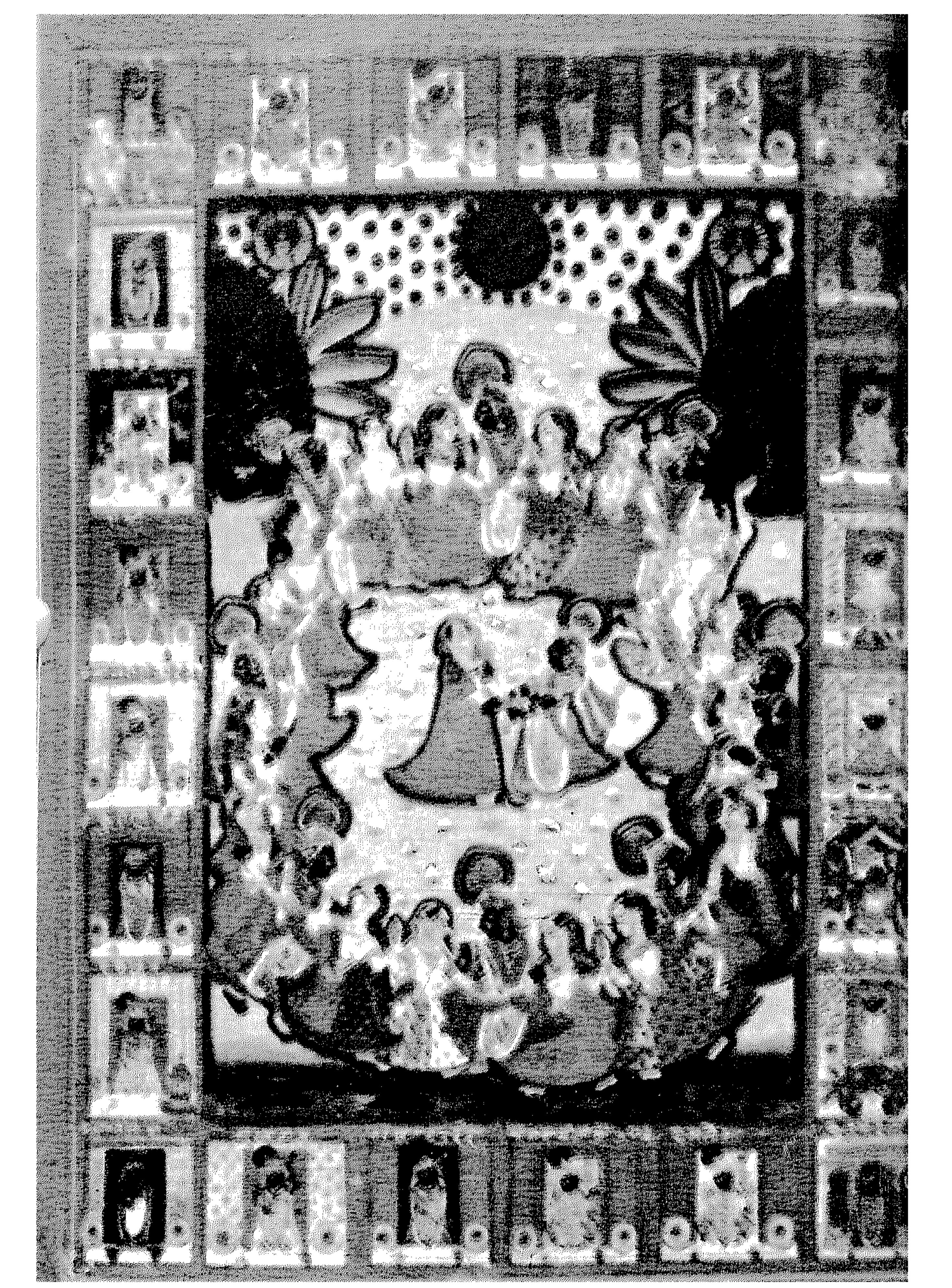
تام تام ديجى تاى ديجى .. إنبعث الايقاع الصوتى الحماسي المتوتر صاعدا على نغمات الطبلة والسيتار . وانشقت خشبة المسرح المعتمة عن كتلة ضوء متحركة .. حورية جميلة علا صوت خلاخيلها ودقات اقدامها العارية الملونة بالحناء تتوقد اشتعالا ايقاعيا .. بدت لحظتها كاحد الألهة الجميلة التى تغطى جدران معابد اوريسا برقصاتها الحجرية ... وبلغة الايقاع الجسدى وبتفسيرات مستفيضة من حركات الاصابع والكفوف قصت الحورية على الجمهور فصلا من اسطورة كريشنا إله العشق الذى يعزف على الناي الحانه المقدسة .

حينما وصلت الى بلاد السحر والجمال .. بلاد الاساطير والماضى العريق غصت فى بحار لا متناهية من الفنون الرفيعة . وما بين النحت والتصوير مرورا بالغناء والرقص وصلت لشاطىء الاساطير والملاحم والحواديت الخرافية لتلك الحضارة العريقة .. وتوقفت طويلا أمام روائع الفن الهندى وبدأت أغترف منه وكلما حاولت



صورة للاله كريشنا فى رقصة الراسليلا والتى كان يرقصها مع حبيبته رادها وفتيات اللبن .

ويتمتع كريشنا بشعبية كبيرة فى بلاد جنوبى شرق اسيا وغرب اوربا وهو احد تجسيدات الافيشر عضو الثالوث الهندوسى الكبير براهما ـ فيشنو ـ شيفا



الرقص الكلاسيكي الهندي

الفهم إزدادت المسألة تعقيدا .. فمازالت الاساطير القديمة تسيطر وتهيمن على الشارع الهندى ومازالت الآلهة الأسطورية تتحكم فى تشكيل العادات الاجتماعية .. حيث يؤمن ٨٢٪ من افراد الشعب الهندى بعقائده الهندوسية القديمة ومازالت الطقوس القديمة تؤدى يوميا فى المعابد المنتشرة على اتساع شبه القارة الهندية ، كما أن التظلم الطبقى العتيق لم يفقد سطوته بعد ومازال يحكم العلاقات الانسانية والاجتماعية المعاصرة بين الهنود .

وهناك بعض المعطيات الاساسية الأخرى مثل اختلاف الأصل العنصرى . فأهل الشمال ينحدرون من عنصر آرى وأهل الجنوب من عنصر دراڤيدى .. ناهيك عن تعدد اللغات واللهجات فى ربوع شبه القارة الهندية .. فالدستور الهندى يعترف بخمس عشرة لغة رئيسية وهناك عشرات اللغات واللهجات الأقل انتشارا ..

وكان فن الرقص الكلاسيكى من اوائل الفنون التى استمتعت بها خلال اقامتى الطويلة بالعاصمة الهندية نيودلهى .. فقد تصادف أن عرضت فرقة باليه أوبرا باريس فى نيودلهى رقصة بديعة مستوحاة من الرقص الكلاسيكى الهندى .. ومن هنا بدأت اتابع الأصل .. وأصبحت لغة الرقص الكلاسيكى هى اللغة الوحيدة التى افهمها فى بحر اللغات المتلاطم بالهند ..

كانت أول تجربة لى فى مشاهدة الرقص الكلاسيكى الهندى هى حضور مهرجان الرقص الأوديسى فى مارس ١٩٨٥ على أحد المسارح الهامة بنيودلهى ... وقد لاحظت أن جمهور المشاهدين ضم صفوة من المثقفين ومن الطبقات العليا فى السلم الطبقى الذى يضم أربع طبقات أساسية تتفرع منها هى الأخرى عشرات الفئات .

وعلى مدى ساعتين استمتعت برقصات منفردة تميزت بعذوبة خالصة وبقدرة فائقة على التعبير ، تفوق قدرة أى باليه عالمى سبق لى أن شاهدته .

فقد حكت الراقصات مقتطفات من الملاحم الاسطورية تتناول حياة الاله كريشنا - إله الحب الشهير - وقد تميزت الرقصات القصيرة ، فأطولها قد استغرق عشرين دقيقة - بقدرة فريدة فى استخدام فن التمثيل الصامت (Pantomime) استخدمت عدة لغات منها لغة العيون ولغة الاصابع والكفوف والاقدام الحافية بإيقاعها السريع والبطىء مصحوبا بصوت الخلاخيل الفضية الى جانب لغة التعبيرات الحركية المركبة الأطراف والجذع والاكتاف بمصاحبة موسيقية صوتية يؤديها صوت رجالى يتلو مقاطع اللحن "تلم تلم ديجى تلم .. تلم" وخلفية من آلات عزف موسيقية والشعر الغنائى وأكمل الوجبة الدسمة استخدام رائع للملابس بألوانها الدافئة والحلى المتمتمة والتجميل وطرق الزينة المغرقة فى شرقيتها الأصيلة ...

وأتيح لى بعد العرض لقاء مع احدى الراقصات فتبينت من حوار معها انها تنحدر من اسرة عريقة من اقليم غرب البنغال الذى مازال يعد مركزا متميزا للثقافة الهندية الأصيلة .. فهو منبع فنى أصيل ومن اشهر ابنائه طاغور والمهاتما



لورد شيفا : الناتراجا .. أحد الالهة الثلاثة الكبار فى الديانة الهندوسية .. ويعتقد الهندوس انه ساعد الحكيم بهاراتا فى صياغة قواعد الرقص الكلاسيكى فى كتابه الناتياشاسترا

غاندى ، واخبرتنى الراقصة أنها بدأت التدريب على الرقص فى سن الرابعة على ايدى المتخصصين . أما تعليمها العاى فقد وصل الى درجة الدكتوراه فى علم الحيوان من الولايات المتحدة الامريكية .

● الرقص فى الميثولوجيا الهندية

يعد الرقص أحد الموضوعات الرئيسية للفنون القديمة إلا أنه يكاد يكون أهمها فى الحضارة الهندية .. فنحن لم نر الآلهة الاسطورية الراقصة إلا فى الميثولوجيا الهندية .. ولا نستطيع أن نفهم فكرة الكون الهندوسية بدون رقصة الإله شيف Siva الناتراجا Natraga شيفا هو إله الدمار ويدين بديانته جانب كبير من الهندوس .. وهو أحد أعضاء الثالوث الإلهى : المؤلف من براهما الخالق وفيشنو الحافظ وشيف المدمر ..

كما أن إله كريشنا Krishna إله العشق والحب له رقصة شهيرة هى الناتافارا Natavara وكريشنا إله يتمتع بشعبية كبيرة فى الهند وفى بلاد غرب أوروبا ايضا .. وهو أحد تجسيدات الالهة فيشنو الحافظ الذى تجسد للآن فى تسعة أشكال ومازال هناك تجسيد عاشر له لم يظهر بعد ..

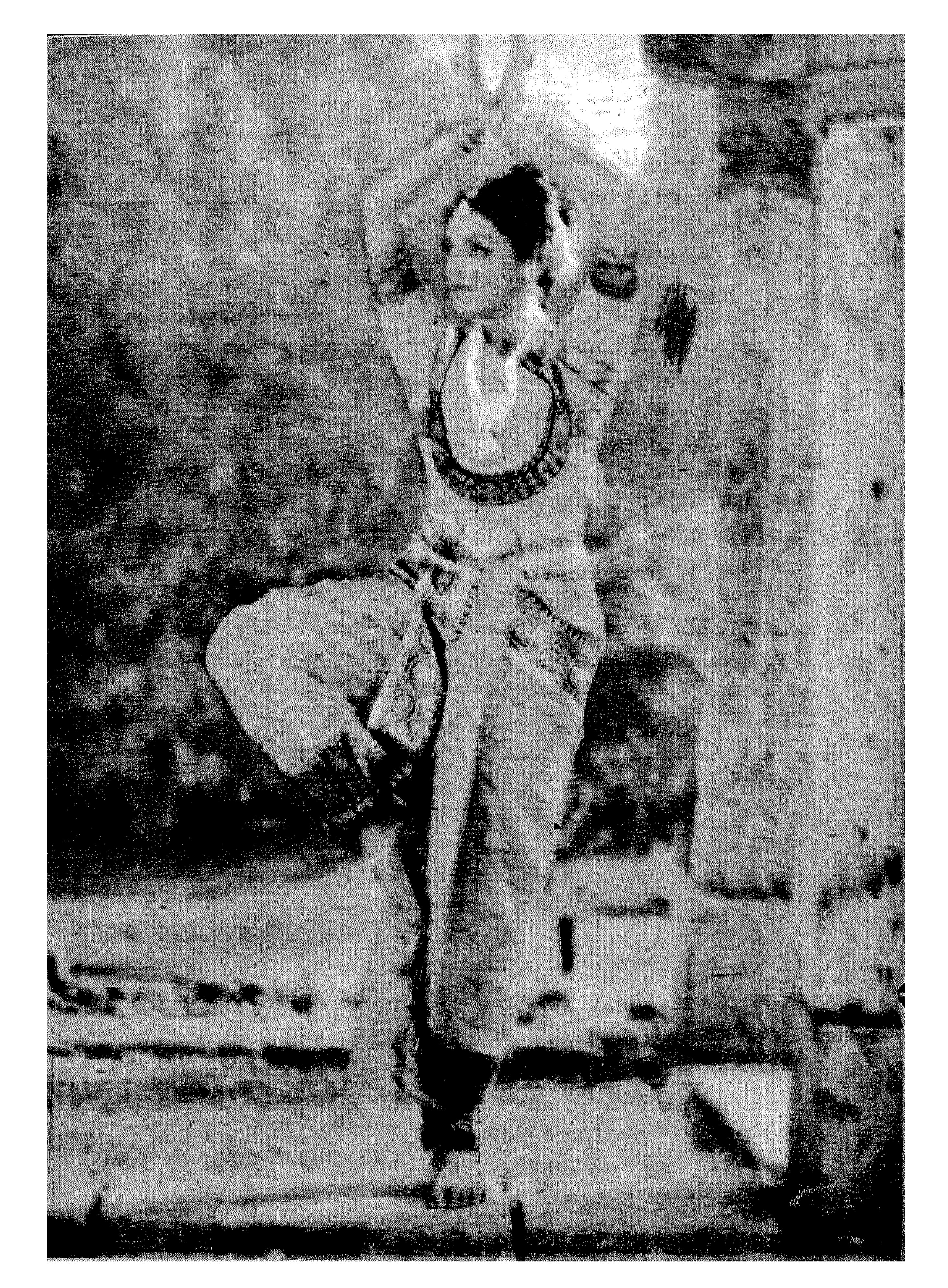
ويستمد الرقص الكلاسيكى الهندى عدته من الملاحم والاساطير الدينية الهندوسية ... وهو أحد الشعائر المقدسة فى المعبد الهندوسى منذ القرن الأول قبل الميلاد .. "أو ماقبل ذلك"

ويذكر بنيامن ووكر Benjamin Walker فى كتابه "عالم الهندوس" أن قواعد الرقص الكلاسيكى الهندى قد تم تصنيفها لأول مرة فى القرن الثالث قبل الميلاد حين قام الحكيم بهاراتا Bharata فى كتابه الشهير Natya sastra بتقنين فنون الدراما والموسيقى والرقص ... ويقول الكاتب أن اسم المؤلف وهو بهارات مكون من ثلاث مقاطع وهى تعنى على التوالى : Bhava العواطف و Raga اللحن و Tala الايقاع ..

وطبقا للاساطير فإن شيفا هو مبتكر وخالق فن الرقص حين رقص رقصته الكونية التاندافا ورقصت زوجته بارفاتى اللاسية ويعتقد الهندوس أن الاله شيفا

راقصة هندية فى وضع راقص ويمكن ملاحظة ثراء الملابس وجمالها والحلى الكلاسيكية سواء القلادة وحلى الجبهة والخلاخيل والاساور وتزيين الشعر بالزهور الطبيعية





الرقص الكلاسيكي الهندي

وزوجته بارفاتى Parvati هما مساعدا الحكيم بهاراتا فى كتابه شرحه المستفيض للقواعد الاساسية للرقص الكلاسيكى الهندى ..

ومن رقصة شيفا اشتقت رقصات الرجال المعروفة باسم التاندفا وهى تتميز بقوة الحركة وعنفها وتطلب لياقة بدنية عالية ..

● اهتمام خاص بالراقصين

فى القديم كانت هناك طبقة أو فئة خاصة ينحدر منها الراقصات والر قصات وتسمى المهاريس Maharis تعيش حياتها تخدم فى المعابد ولا علاقة لها بالمجتمع خارج المعبد ويذكر الرحالة الفرنسى Dubois دبيوا الذى عاش فى الهند ما يزيد على ثلاثين عاما من ١٧٩٢ الى ١٨٢٣ متنقلا فى ربوعها مسجلا كل مشاهداته فى كتابه العادات والتقاليد والاحتفالات "الهندوسية" يذكر أن راقصات المعبد يأتين فى المرتبة الثانية بعد الكهنة . وكان يطلق عليهن اسم Devadsis ومعناها خدم أو عبيد الاله .. الا أن العامة يطلقون عليهن اسما سوقيا هو "العاهرات" ... وكانت مهمتهن الرسمية هى الرقص والغناء داخل المعبد مرتين يوميا فى الصباح والمساء ... وكان لكل معبد كبير فرقة مكونة من ثمانية الى اثنتى عشرة راقصة .. كما انهن كن يشاركن فى الاحتفالات الدينية والاحتفالات العامة .. ويقول ديبوا أن الراقصات كن النساء الوحيدات اللاتى تلقين تعليما مختلفا عن بقية نساء الهند فقد كن يتعلمن القراءة والرقص والغناء ... ويقول انهن كن يحصلن على مرتب ثابت عن اداء واجباتهن الدينية فى الرقص والغناء فى المعبد .

ولم يكن من الغريب فى تلك الفترة أن تهب امرأة ابنتها للمعبد ومن هنا كانت هناك بعض الراقصات ينتمين للفئات العليا فى صفوف راقصات المعبد ... حيث اتين له كأحد نذور أمهاتهن للآلهة ...

ويذكر كتاب "كريشنا العاشق الالهى" Krishna the Divine lover أن القرن الثامن عشر كان فترة تدهور سياسى واجتماعى عامة وانحطاط لطبقة المهاريس بوجه خاص فقد كانت تلك الطبقة تخدم فى المعابد ولاتنتمى للمجتمع العادى .. بل كرست كل حياتها للرقص الدينى فقط . الا انها فى فترة التدهور تلك بدأت الرقص فى قصور الملوك والاثرياء ثم انضمت لصفوفها والمحظيات مما جعل الشعب ينظر اليهن بازدراء .

ويعود الفضل لمحامى شاب فى العشرينات من هذا القرن فى تنقية صورة الرقص الكلاسيكى مما شابه من سوء السمعة .. فقد عمل المحامى ا . كريشنا اير باستعادة المهابة لفن الرقص الكلاسيكى حيث قام بشرح جماليات هذا الفن الكلاسيكى وقدم عدة عروض حازت اعجاب النقاد الهنود والأوربيين .. وبدأت مدارس الكلاسيكى فى الانتشار حيث تم احياء هذا الفن العريق ، ولكن خارج المعابد ... واعتمدت هذه المدارس فى تطوير فنها على استلهام حركات الالهة التى تغطى معابد أوريسا وكاجوراهو الخ

وغيرهما من المصادر مثل المخطوطات القديمة ... وتبدأ الدراسة في هذه المعاهد من سن الرابعة وتستمر ... وهى تشبه مدارس الباليه الأخرى فى العالم وتسمح لطالباتها اللائى عادة ما يأتين من قمة السلم الطبقى بتلقى التعليم العلمانى سواء للعلوم أو الفنون ... وانتشرت فرق الباليه الهندى الكلاسيكي والتى تعد من اهم الفرق التى تشارك فى مهرجانات الهند فى أوربا والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي .. وقد زار مصر فى عام ٨٦ ثنائي راقص كوتش يوتشى وفرقته فى افتتاح الأوبرا ...

الاله كريشنا النانتوا «اى الراقص» وكريشنا هو احد تجسيدات الاله فيشنو وتلاقى اسطورته قبولا واسعا سواء فى الهند وبلاد شرق اسيا او فى اوروبا وهو اله الحب والعشق العازف على الناى «الفلوت»



مدارس الرقص

تتنوع مدارس الرقص الكلاسيكى الهندى .. وسواء كانت من الشمال أو الجنوب فكلها تستلهم الاساطير القديمة والملاحم الدينية ... وتتبع القواعد الكلاسيكية للناتياشاسترا التى كتبها بهاراتا .. الا أن لكل منها خصائصها المميزة سواء فى الملابس أو الاقنعة أو الحلى . كما أن هناك اختلافات فى الموسيقى والشعر الدينى المصاحب ايضا ...

وأهم مدارس الرقص الكلاسيكى الهندى هى :

١ - البهاراتا ناتيام Bharate Natyam وهو الاسم الحديث للراقصات القديمة التى كان موطنها جنوب الهند حول منطقة تانجور Tanjure .. وهى رقصة نسائية معبدية وظلت مرتبطة لقرون عديدة بالديفادسيس Davadasis أو عاهرات المعبد اللاتى كن يؤدينها أمام تماثيل الالهة .. وفى القديم كان هناك اربعة عوامل تختار على اساسها الراقصة "فيجب أن تكون شابة فى مقتبل العمر ممشوقة القوام لها عيون واسعة ونهود مستديرة واثقة من نفسها ، خفيفة الدم حاضرة النكتة ، ممتعة ولديها احساس طيب للتوقيت" .

وتعد البهاريتا ناتيام فن قص درامى للرقص وعادة ما تؤديه راقصة منفردة وتقوم بأداء أكثر من دور فى رقصتها مستخدمة الايماءات وفن التعبير الصامت وقد تم تسجيل اوضاعه الراقصة بالنحت



البارز على جدران معبد تشيدامبرام Chidandaram .

٢ ـ الاوديس Odissi وهو فن الرقص الكلاسيكى الذى تم احياؤه فى ولاية أوديسا فى شرق الهند وتقع جنوب ولاية البنغال .. وقد قام الباحثون باستلهام تقاليده من النحت البارز الذى يغطى جدران معبد جانات فى مدينة بورى الساحلية Puri حيث كانت تؤديه راقصات المعبد فى الصباح والمساء أمام المعبود الهندوسى ... وعندما تم احياؤه فى الاربعينات من هذا القرن وخرج لأول مرة من داخل المعبد الى خشبة المسرح ... واعتمد المدربين على صالة الرقص فى معبد كاريكا Karanaka حيث توجد مئات الاوضاع الراقصة للنساء تم حفرها على جدران هذا المعبد .. وتتميز هذه الرقصات بأنها مبسطة وعنيفة وغير معقدة ويرى بعض الباحثين انها انقى أنواع الرقص الدينى الهندى وابسطها وبالتالى يمكن أن تكون اقدمها ...

واقدم دليل على وجود الرقص كمهنة للمحترفين من النساء داخل المعبد وجدت فى كهوف اوديجيرى وخاندا جيرى Khandagiri بالقرب من عصمة ولاية اوديسا فى القرن الأول قبل الميلاد ... وفى تقاليد الرقص الأوديسى يقوم الكاهن Curu بقيادة الراقصات مستخدما زوجا من الصحائف المعدنية يضرب بأحدها على الاخرى Symbal .

٣ ـ الكاتاك : Kathak .

ومعناها "القصة" وهى نسق من الرقص الكلاسيكى الهندى يرجع للقرن الخامس عشر الميلادى فى شمال الهند وله شعبية كبيرة فى البنجاب أوتاربراديش وموضوعاته مشتقة من الملاحم للاله كريشنا وكان الكاتاك فى الاصل رقصة منفردة ويقوم الراقص فيها باداء ادوار رادها وكريشنا (رادها Radha هى حبيبة كريشنا وعادة ما تظهر معه فى التصوير الهندى وهما يرقصان او يمارسان الحب) وتتميز الرقصة باسلوبها الفنى الغنائى المفعم بالعواطف الرشيق الحركات ... وقد تمتع هذا النسق الراقص بعشبية كبيرة فى عصر المغول ... واصبحت تؤديه المحظيات وأصبح مثالا للفظاظة والتحلل .. وبعد هذه الفترة عاد لنقائه واسلوبه الفنى المتميز ...

وكما يعتمد كل من الأوديسى ولبهارتا ناتيام على المعابد فى تسجيل الحركات الراقصة عن طريق النحت الحجرى والتماثيل البرونزية والنحاسية فإن رقصة الكاتاك تم تسجيلها على ايدى فنانى التصوير المنمنم Miniatures وهناك مئات اللوحات الساحرة الفاتنة تصور حب رادها وكريشنا خلال رقصاتهما ...

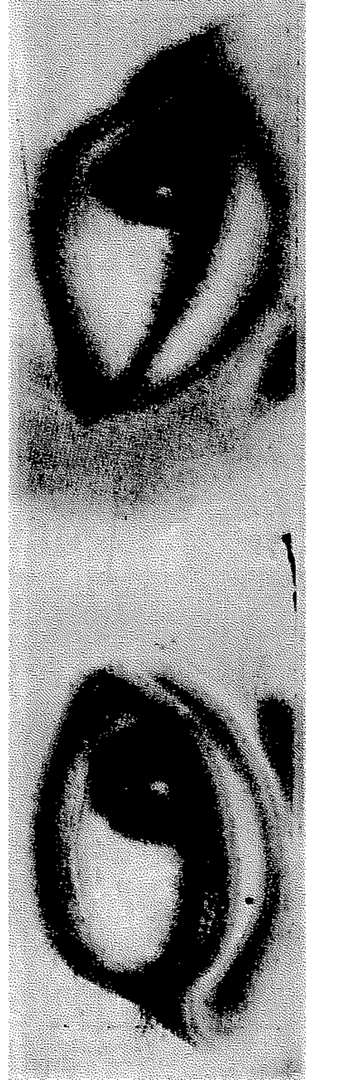
٤ ـ كاتا كالى Kartha kali رقصة درامية من اقليم مالابار Malabar فى جنوب الهند وأصبحت الان تتمتع بشعبية كبيرة فى كل أنحاء الهند ... وبدأت فى القرن الرابع عشر الميلادى كرقصة تعتمد على البانتوميم وكانت تؤدى فى الحقول ... وتتميز باستخدام الاقنعة الملونة الكبيرة كثيرها من الرموز فى هذه الرقصة المميزة وهذه رقصة رجالية ويقوم بدور



صورة تفصيلية لزينة العيون
والوجه بالماس على الجبهة



حركة الراس والعيون والاصابع فى تعبير
صامت هو اساس الانجيكا



جمال العيون كان احد المطالب الرئيسية
الأربعة التى يجب توافرها فى رائعة المعبد

النساء الاولاد صغار السن ... وهى أشهر قصة هندية من الجنوب خاصة ولاية كيرالا واشتهر اداؤها لاسطورة راما معتمدة على الكتاب الهندوسى المقدس الراماليانا Ramayana .

٥ ـ الكوتشى بودى Kuchipudi ... وهى رقصات اقل أهمية وإن كان لها أصل كلاسيكى وبعضها يرجع الى عصور قديمة ومازالت تتمتع بسحرها الأصيل وتقاليدها الراسخة و رقصة الكوتشى بودى والتى أشتق إسمها من قرية صغيرة فى أندرابراديس بوسط الهند وهى رقصة حافظت على تقاليدها طبقة البراهمية حيث تؤديها بعض الأسر البراهمية وتم توارثها جيلا بعد جيل ... وهى رقصة ثنائية يؤديها راقص وراقصة Gitlajcvimda وتعتمد على قصص الجيتا جوفيندا ..

٦ ـ المانيبورى Manipuri :

.... وهى رقصة كلاسيكية من اقصى الشمال الشرقى لشبه القارة الهندية وتعرف الولاية باسم وادى الالهة ويعتقد الباحثون أن أحداث الكتاب المقدس المهاربارانا Mahabbarata قد دارت أحداثه على تلك البقعة وقد دخلت الهندوسية للوادى فى القرن الثامن الميلادى ... وتقول الاساطير أن الاله شيفا قد زار الوادى وصب الماء فى بحيرة جميلة لكى يخلق واديا مناسبا ليكون مكانا مناسبا لرقصاته مع الالهة بارفاتى ومن ناحية الأصل العنصرى ينحدر سكان هذه البقعة من أصول تبتية من بورما ومن أهم الرقصات التى تؤديها هذه الفرق الراقصة هى الـ Rasalila وتتميز بالرقصات والغناء الجماعى وتحكى قصة كريشنا مع الجوبيز ومعناها فتيات اللبن وهى رقصة تؤدى فى شكل الدائرة وهناك أنماط مختلفة من رقصة الراساليلا يتقنها أهل مايبنور ...

وتعتمد كل هذه الرقصات أساسا على القواعد الكلاسيكية للرقص المعبدى القديم .. والرقص الكلاسيكى ـ مثله فى ذلك بقية الفنون ـ يرتبط إرتباطا وثيقا بالعواطف والاحاسيس والهدف النهائى منه هو خلق حالة نفسية معينة عند المتفرج هى حالة التعاطف وذلك من خلال

صورة رجال فى اوضاع الرقص التعبيرى الكلاسيكى الهندى وكلها مستقاة من رقصة الاله شيفا الناتراجا



إثارة المشاعر مثل الحب والعنف والاسى والمرح والخوف والحماسة والاشمئزاز والبطولة والكوميديا والمأساوية والحزن بل والخوف والشهوة الجسدية .. الخ كل ذلك من أجل الوصول الى التعاطف مثله في ذلك مثل الدراما الاغريقية القديمة والتي كانت تهدف هي الأخرى الى إثارة مشاعر التعاطف لدى المتفرج ...

وللوصول الى هذا التعاطف يعتمد الرقص على أربعة محاور رئيسية :

١ ـ الانجيكا Argika :

... وهي لب الرقص وهي الحركات المختلفة للتعبير عن المشاعر وهي تتطلب سيطرة كاملة على عضلات الجسم كلها بما فيها عضلات الوجه بل وعضلات الانف ولذلك سنتحدث عنها بعد أن نذكر بقية المحاور .

٢ ـ الفاتشيكا Vachika :

.... وهي التعبير عن المشاعر بالكلمة والشعر الغنائي .. والنصوص المستخدمة في الرقص الكلاسيكي هي نصوص دينية قديمة أو شعر كلاسيكي يتحدث عن ملاحم الآلهة الاسطورية وسيرهم الذاتية .. واغلبها مكتوب باللغات القديمة كالسنسكرتية والملايامية والماينبورية وغيرها ..

٣ ـ الاهاريا Ahanye :

.... وتشمل الملابس والحلى وطرق الزينة المتفردة التي تلجأ اليها الراقصة مثل الزهور من الشعراء والحناء في الاقدام والاصابع والحلى الفضية على الشعر والاذنين والوسط والصدر والخلاخيل ... الخ .

٤ ـ الساتويكا Sattwika :

.... وهي التعبير الخارجي الذي يعكس المشاعر الباطنية العميقة .

واذا كان الرقص في جوهره هو التناغم والانسجام بين الموسيقى وحركات الجسم فإن هذه الحركة تعرف في الرقص الهندي باسم الانجيكا وتشمل اوضاع الجسم والأطراف وتعبيرات الوجه والعلاقات بين الحركة والوقفة (السكون) وهي الوسيلة المستخدمة للوصول الى أعلى درجات التعبير الصامت والى جانب الرقص تلعب الانجيكا دورا رئيسيا في فنون مختلفة هي الدراما والنحت الرمزي وفي إقامة الشعائر الدينية والتامل Meditatian (وهو ممارسة اليوجا) وكذلك الطقوس السحرية إلا أن استخدامها في الرقص قد سبق كل استخداماتها الاخرى .

اوضاع مستوحاة من رقصة الاله شيفا الناتراجا يقوم بها بعض الرجال





الوقائع التى عاشتها بوابة مصر الشرقية !

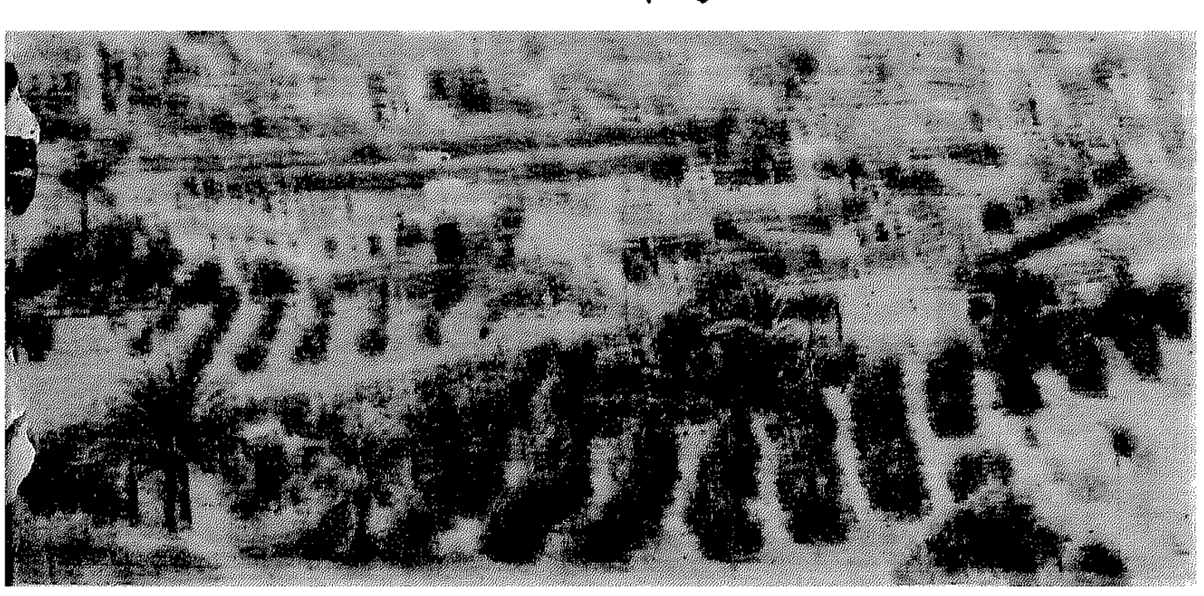
بقلم : مصطفى نبيل

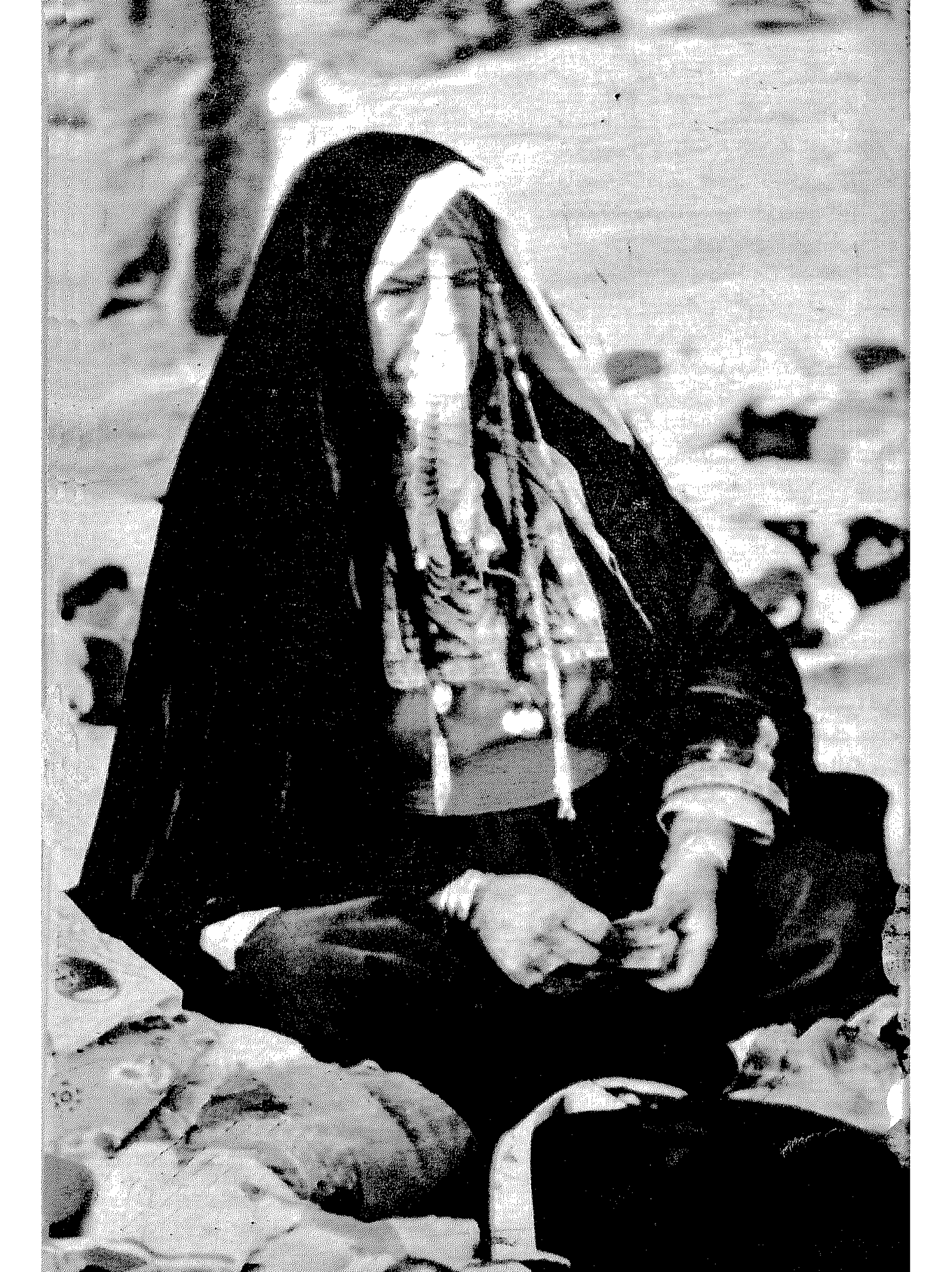
بقلم : مصطفى نبيل

« ..... الرحلة لابد منها ، فى طلب المعرفة ، واكتساب الفوائد » ، هذه كلمات العلامة عبدالرحمن بن خلدون ، وكتب بعدها بعدة قرون ت . س . إليوت يقول : « ارتحلوا فلن تكونوا ذات الأشخاص التى كانت عند بدء الرحلة » ...

دفعتنى هذه الكلمات إلى حب الترحال ، وعدم الاكتفاء بالكلمة المكتوبة كمصدر للمعرفة .

منظر عام لمدينة رفح





رفح
مدينة فى قلب التحدى

● أخذت هذه الكلمات تلح عليّ عندما توجهت إلى آخر نقطة عند الركن الشمالى الشرقى من الحدود المصرية ، قاصداً مدينة رفح ، وقطعت فى طريقى ذلك القفر الجميل المخيف سيناء المقدسة ، يصحبنى مشهد ثابت بين رمال صفراء وسماء زرقاء صافية ، تتتابع فى كثير من مواضعها أشجار النخيل والسنط ، وتلتقى بتجمعات بدوية متناثرة ، ومدن جديدة قائمة ، وكلما اقتربت من هدفى تزايد العمران ، وانتشر اللون الأخضر ...

تصل إلى رفح بعد أن تقطع نحو ٤٠٠ كيلومتر من القاهرة ، بعدها تصبح أمام بوابة مصر الشرقية ، والمنفذ الى درب الشام عند نقطة العبور التاريخية بين مصر والشام .

ويبدو أن المدن مثل البشر ، بعضها له حظ وافر وبعضها له حظ عاثر ، فبعض المدن مراكز للثقافة والحضارة ، ومدن أخرى ، مدن حدود وعبور وقتال ، ورفح ضمن مدن العبور والحدود ، شهدت العديد من فصول التاريخ الدامية ، ويحكى تاريخها الكثير من الدروس والعبر ، وما أكثر ما شهدت من صراع الأقدار وصليل السيوف ، وكان آخرها ما عانته من قوات الاحتلال الإسرائيلى .

وتحرر أهلها وخرجت من الأسر بعد ما يزيد على خمسة عشر عاما ، ويبقى ما تعانيه من سكين التقسيم الحاد ، الذى فرق بين الأب وابنه ، وبين صاحب الأرض وأرضه ، وبين الجار وجاره ، وقسمت العائلات يعيش بعضها فى رفح المصرية والبعض الآخر فى رفح الفلسطينية .

ولتكن بداية جولتنا من قلب المدينة ، من شارع صلاح الدين ، فهى مدينة الشارع الواحد ، تدور فيه أغلب نشاطاتها ، به السوق والمدرسة والمسجد والمخفر ، وتتركز به أيضا مأساتها ! .

وكل ما تراه أو تلحظه داخلها له ايحاء خاص ، عندما أطلق على الشارع الرئيسى اسم البطل صلاح الدين الأيوبى ، الذى قطعه بجيوشه فى الطريق الى تحرير القدس ، وهو الشارع الوحيد الذى يمكن الانتقال منه إلى رفح الفلسطينية ، ومازال محور حياة المدينة رغم الأحياء الجديدة والمنشآت الحديثة ، وحتى الحى الجديد سمى حى الإمام على تقديرا لمن استشهد دفاعا عن الحق ، وقامت حوله قصر الثقافة والمكتبة العامة والنادى .

وأطلق على معظم محلاته ، أسماء ذات مغزى ، منها القدس ومكة وبورسعيد .

● أحزان مدينة

وسكان المدينة بقسميها ذوى أصل واحد ، حتى لو اختلفت جنسياتهم ، معظمهم من العشائر البدوية الذين يمتدون عبر الحدود السياسية ، ويصلون الى جنوب فلسطين وجنوب الأردن وشمال الحجاز ، ويصلون عبر قناة السويس الى مدينة الشرقية وحتى ساحل البحر الأحمر ، وأبرز عشائر رفح المصرية هى زغرب ، وقد استقرت كل عشيرة فوق الرقعة التى اختارتها من الكثبان ، وقامت



سكين التقسيم الحاد الذى يقطع مدينة رفح

المدينة على التلال والوهاد ، مما أعطاها شخصيتها المميزة ، وكثير من سكانها المستقرين كانوا بدوا متنقلين ، وبعد استقرارهم ظلوا على صلة بالبدو فى سيناء وفى النقب على السواء .

تقطع الأسوار الشائكة شارع صلاح الدين ، بعد أن هدمت السلطات الإسرائيلية تلك البيوت التى اعترضته .

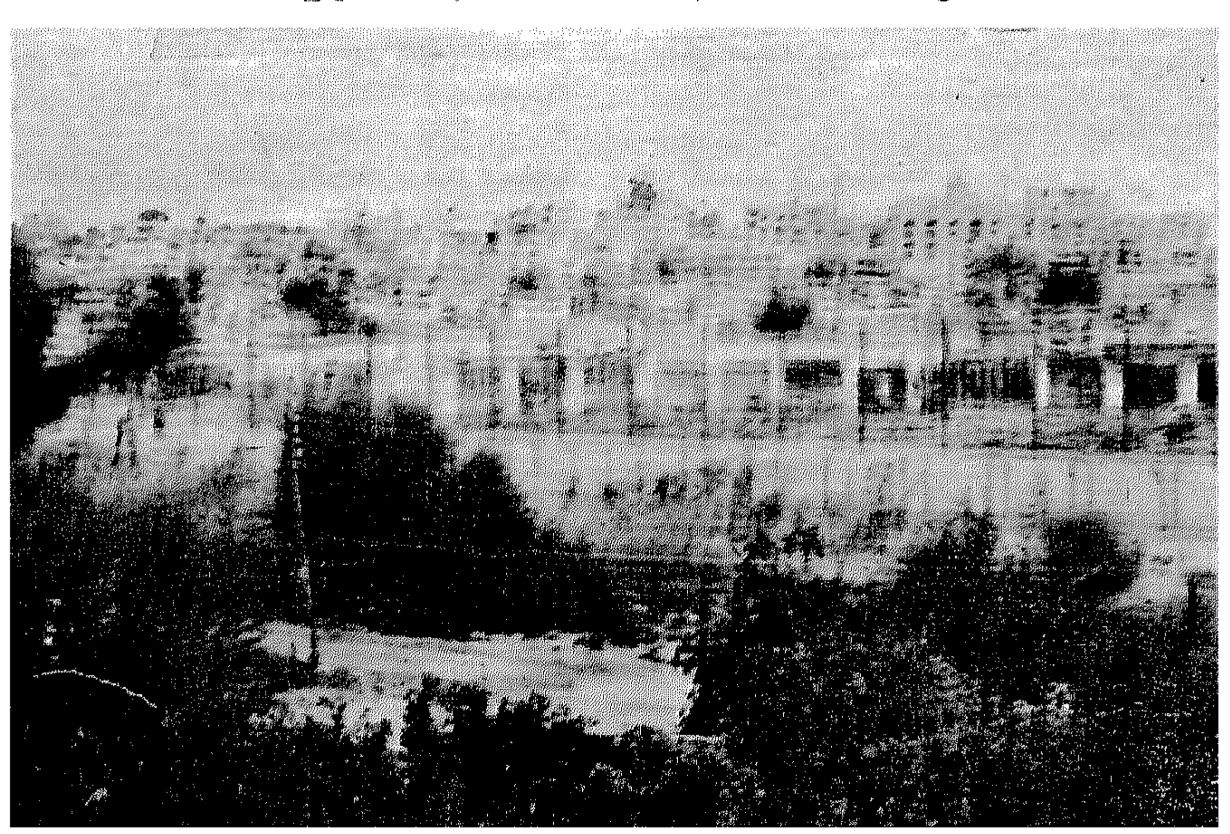
أقف أمام نقطة العبور بين قسمى المدينة ، عند المركز الأمامى الذى يرفرف عليه علم مصر ، وهو مبنى متواضع أقيم على عجل ، وبين المركز المصرى والمركز الإسرائيلى تقوم أسلاك شائكة مزدوجة وبينها منطقة عازلة ، ويضم المركز الرئيسى عدداً من الجنود الإسرائيليين لا يكف أحدهم عن ملاحقة كل مايجرى فى رفح المصرية من خلال منظاره المكبر .

ينتقل من خلال هذا المركز أولئك الذين تقوم بيوتهم وأحد جانبى المدينة وأراضيهم فى الجانب الآخر ، وأيديهم تصاريح بذلك ، والتى تتجدد كل ستة شهور ، بعضها يومى وبعضها الآخر أسبوعى وبعضها شهرى ، ويقدر عدد الحاصلين على هذه التصاريح بنحو مائتى مواطن ، وكثيرا ما تلغى السلطات الإسرائيلية هذه التصاريح دون سبب معروف .

وعند نقطة على يمين شارع صلاح الدين يصرح للأهالى بتبادل الأحاديث بين الجانبين فى ساعات محددة من

صحراء رفح ، القديم والجديد جنبا الى جنب

رفح ويظهر فيها الجانب المصرى والجانب الفلسطينى



النهار ، على أن يبتعد المتخاطبون عن السور ، ويتحول الحديث الى مليشبه الصراخ ، ويفقد خصوصيته وتختلط الأصوات ، وتلتقط من هذا الصراخ بعض المآسى الإنسانية الناتجة عن المأساة الفلسطينية ، فمع السؤال عن الصحة والأحوال وأخبار الأهل والأصدقاء ، تسمع سؤالا عن أخبار قريب مريض لا تساعده صحته لكى يراهم عبر الأسوار .

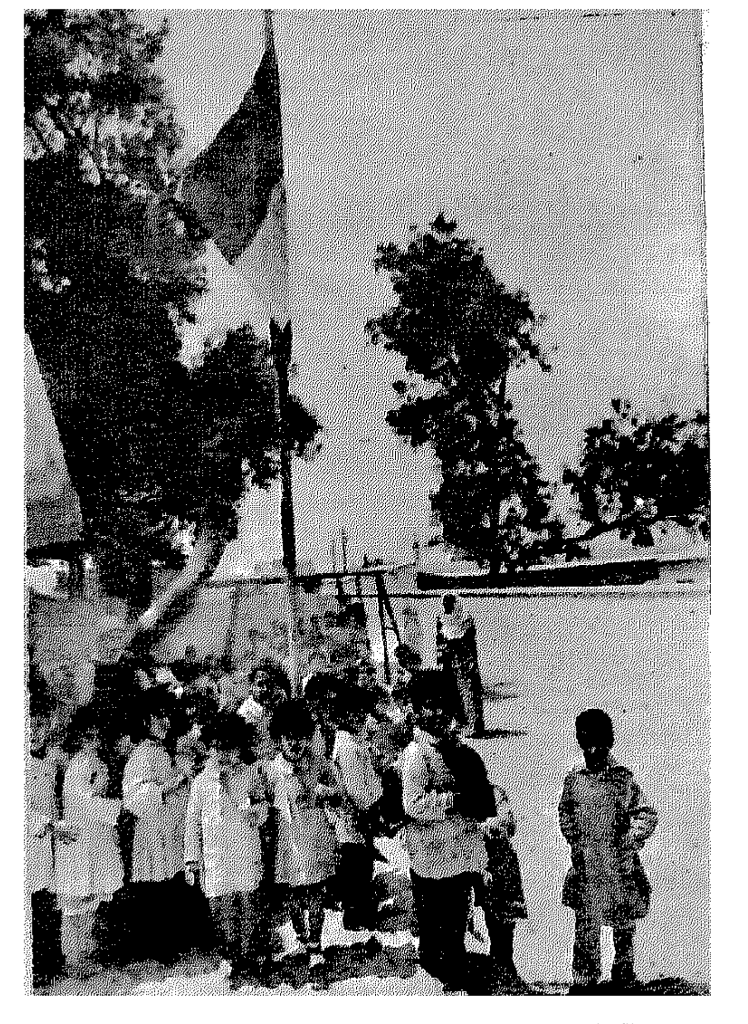
● صوت كهل يسأل بصوت مرتجف : عن أخبار سلمان ، الذى لم نعد نراه ..

ـ يرد شاب : لا أريد ان اثير قلقك ، فقد اعتقلته السلطات الإسرائيلية . يصل إلى سمعى صوت امرأة تتحدث بكبرياء عن زوجها أبوأحمد الذى ترك عمله فى الشرطة ، وانضم الى صفوف الانتفاضة ، لتحقيق هدف الانتفاضة فى استكمال العصيان المدنى ، ووقف أى تعاون مع سلطات الاحتلال .

ويأتى صوت الاخ الذى يحكى لاخيه عن أخبار العائلة ، الابن الذى يدرس فى كندا ، والآخر الذى يعمل فى الكويت والثالث الذى استقر فى لبنان .

كانك أمام احد السجون ، يتبادل الحديث فيها ، من هم داخل الأسوار مع من هم خارجها ، لقد سقط حاجز الخوف ، وغيرت الانتفاضة الفلسطينية طبيعة الأهالى ، واصبحوا اكثر ثقة و اكثر ايمانا بالمستقبل .

يروى لى أبوعبدالله .. ان أرضه على بعد ٥٠٠ متر من بيته ، ولكنه لا يتمكن من الإشراف عليها ، ولا يصل اليها وكانها فى قارة اخرى ، بعد ان سحبت السلطات تصريحه ، ولم يسترده رغم كل الشكاوى التى كتبها ! .



العلم المصرى يرفرف فى رفح فوق العديد من المبانى والمدارس

ويروى أمين الشرطة المصرى ، المشرف على العبور الى الجانب الآخر ، الحكايات الانسانية ، وكيف جاءه أحد الشباب مهرولا ، يطلب منه ان يسمح له بالاقتراب من السور حتى يتمكن من مشاهدة عروسه التى اختارتها له أسرته فى رفح الفلسطينية ، وحكاية الأم التى فاجأها المخاض وهى فى زيارة رفح الفلسطينية ، وعند عودتها مع وليدها ، رفضت السلطات الإسرائيلية السماح لطفلها بالمرور ، فليس لديه أوراق أو تصريح ! ...

ولم يكن غريبا أن تكتشف السلطات بين وقت وآخر تلك الأنفاق التى أقامها

رفح
مدينة فى قلب التحدى

البعض ، تحت الأسوار وتصل تحت الأرض بين مصر وفلسطين ، والتى أقيمت بعمق حوالى ثمانية أمتار وطول حوالى ٥٠٠ متر ، وكلما تم اكتشاف أحد هذه الأنفاق ظهر نفق جديد .

وتمضى الحياة ...

وإذا كان معبر صلاح الدين يستخدم للراجلين من سكان رفح للانتقال بين قسمى المدينة ، فقد أقيم جنوب مدينة رفح المنفذ البرى الذى تقطعه الحافلات والسيارات القادمة من اسرائيل ، ويصل معدل العبور الى مايزيد على ربع مليون نسمة سنويا ، وزرت هذا المنفذ وهو يستعد لاستقبال نحو ٢٠ ألف قادم لقضاء عيد رأس السنة فى مصر ، ويضم هذا المركز شرطة الجوازات ورجال الجمارك وسوقا حرة ..

ويعمل المعبر من الصباح الباكر حتى الساعة الخامسة مساء .

● من فوق ربوة عالية

وبعد جولتنا فى المدينة نصعد فوق ربوة عالية ، على الطريق بين رفح وساحل البحر ، تظهر بانوراما المدينة المقسومة ، وتظهر مبانيها فوق التلال ، وتقع ناحية الشرق رفح الفلسطينية وناحية الغرب رفح المصرية ، وهى تعانى مثل برلين وبيروت ونيقوسيا ، ويدفع أهلها مثل غيرها نتائج الصراع العربى الإسرائيلى ، ومن المفارقات ان مدينة رفح قسمت عند التحرير ، وان مدينة القدس وحدت فى ظل الاحتلال ، وكلاهما ينتظر الخلاص ! ...

وتبعد رفح عن ساحل البحر الأبيض نحو خمسة كيلومترات . فهى مثل أغلب المدن العربية أقيمت بعيدا عن ساحل البحر ، وهى داخلية الموقع مثل الفرما وبالوظة ورمانة ، والعريش القديمة ، ربما لأسباب أمنية أو خشية تقلبات البحر ..

وبين المدينة والبحر كثبان من الرمال ، يقوم فوقها معالم القديم والجديد معا ، بيت الشعر البدوى ، وحوله الماعز الى جانب الزراعة الحديثة المغطاة ، وترى اشجار التين والزيتون والخوخ واللوز مع اشجار النخيل التى لا تنقطع وهنا أهم مناطق سيناء انتاجا للحبوب فى الشتاء ، وسبق واقيمت مزرعة تجريبية فى رفح قبل الاحتلال تابعة لمصلحة البساتين واستطاع الأهالى تثبيت هذه الكثبان الرملية وزراعتها .

وتظهر المرأة البدوية حول بيت الشعر فى ملابسها المميزة ، وتكاد المرأة أن تقوم بالعبء الأكبر فى شئون الأسرة ، رغم أن الاناث هنا أقل عددا من الرجال ، فهى التى تبنى بيت الشعر ، وهى التى تغزل الأغطية والأخراج والأكلمة ، وتقوم بجمع الحطب وطحن الحب ، وهى التى ترعى وتحلب النياق والماعز ، وهى التى تطرز الزخارف الجميلة على ثيابها ، التى تتكون من وحدات يسمى بعضها ، دقن الباشا وحب الترمس ، والنخلة ، والمقص

● الأمن الخادع !

اقتصرت العديد من الكتابات حول مصر على الوادى ، وتجاهلت بعض

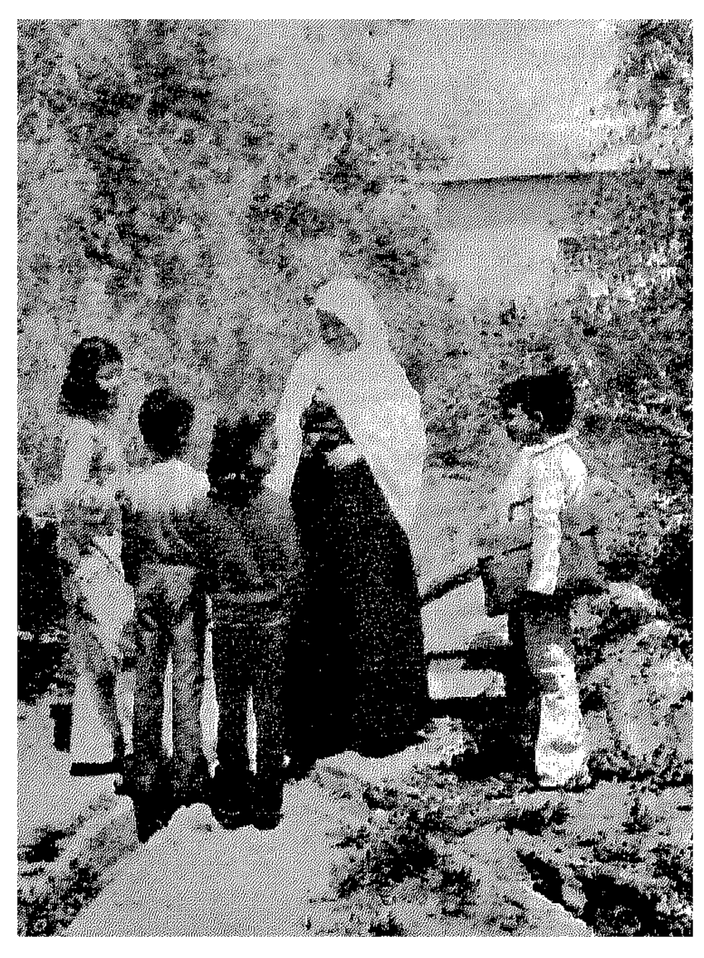
هذه الكثبان الصحارى الواسعة ، مما أعطى أبناء الوادى شعورا خادعا بالأمن . فالصحارى الشاسعة تحيطهم من الشرق والغرب والجنوب ، وقد ألغت الطائرات والصواريخ المسافات في العصر الحديث ، ولم يعد ممكنا أن يعيش سكان مصر على نحو ٤٪ من المعمور بعد أن اكتظ الوادى بالسكان ...

ورفح آخر نقطة فى الركن الشمالى الشرقى ، وهى أحد مدن الصحراء والحدود الاستراتيجية الحرجة ، وهى نقطة لقاء بين البداوة والاستقرار ، وفى الصحراء كل مدينة قلعة ، لذا فهى أقرب ما تكون إلى المدينة العسكرية بحكم وظيفتها كأحد مدن الحدود أو مخافر الدفاع .

هكذا كانت قديما فهى تقوم على انقاض مدينة (رافيا) التى شهدت عدة معارك بين مصر وقوى معادية منذ فجر التاريخ ، وكان أبرز هذه المعارك ضد الأشوريين سنة ٧٢٠ ق . م وتقع على أهم طريق حربى هو طريق حورس ، الذى استخدمه المصريون القدماء منذ غزوهم لآسيا ، وسار عليه من أتى للهجوم على أبناء الوادى عبر العصور ، وكثيرا ما استخدمه عشرات من الفراعنة يقودون جيوشهم دفاعا عن مصر .

وقد عثر الأهالى فى عام ١٩٥٢ فى رفح آخر المدن على هذا الطريق ، عند بحثهم عن أحجار البناء على بعض تلك المبانى الأثرية ، ومن بينها حمام رومانى ، وبعض التماثيل [أحمد فخرى ـ موسوعة سيناء] .

● وتقع أيضا على طريق الهجرات الكبرى ..



الصمود على الحدود

ورفح التاريخية فى كتب الأقدمين كانت دائما مدينة مصرية واحدة ، منذ ياقوت الحموى (٦٢٦ هـ ـ ١٢٢٩ م) فى كتابه معجم البلدان ، الى نعوم شقير فى سفره التاريخى عن سيناء الذى كتبه عام ١٩١٦ م ، فقدم ياقوت الحموى وصفا للدرب السلطانى الذى سلكه أكثر من مرة ، وحدده بمسيرة خمسة أو ستة أيام ، كما حدد شريانه الرئيسى وطرقه الفرعية والبديلة ، وذكر أن بدايته فى الشرق عند رفح ، وأن وادى السباع فى شرقى رفح ، ووصف ما رأى فى شمال سيناء بأنه رمال هلية بيضاء سميت برمل الجفار لكثرة ما بها من جفار ـ الجفر البئر القريبة

رفح
مدينة في قلب التحدى

الواسعة القعر يشرب منها السكان ـ ويمضى فى كتابه قائلا : « وفى الطريق بين رفح وقطية ، مواضع عامرة يسكنها قوم من السوقة للمعيشة على القوافل ، وفى كل موضع فى رفح والقس والزعقا والعريش والواردة وقطية ، عدة دكاكين يشترى منها كل ما يحتاج اليه المسافر » .....

ويصف ياقوت الحموى مدينة رفح بقوله : « .... نزل هى أول الرمل ، وقد كانت عامرة من قبل ، خرب الآن وله ذكر فى الأخبار » ... ولا يفوته أن يبين أنه زارها فى وقت دمر فيه الغزو الصليبى الكثير من المدن الساحلية ، وخرجت فيه مصر من حكم الفاطميين .. مما دفع قوافل التجارة لتأخذ طريق أيله ـ القلزم (السويس) .

وينقل ياقوت الحموى وصف من سبقه من الجغرافيين والرحالة ، ويورد وصف المهلبى لها (٥٧٥ هـ ـ ١١٧٩ م) ، مما يؤكد ما فعله الفرنجة بها ، يقول ... « إن رفح مدينة عامرة فيها سوق وجامع ومنبر وفنادق .. ومن رفح إلى مدينة غزة شجر جميز مصطف من جانبى الطريق متصلة الأغصان بعضها ببعض مسيرة نحو ميلين .... » .

هكذا وصفها ياقوت الحموى والمهلبى فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلادى ، ثم يأتى كتاب نعوم شقير ويذكر :

« بنى محافظ سيناء سنة ١٩٠٧ مركزا للبوليس فى رفح قرب عمودى الحدود .. وكان قد حضر الى رفح بعض رجال الجمعية الصهيونية ، واشتروا من أهلها بعض الأراضى بقصد تأسيس مستعمرة لهم ، ولم يثبت لرجال الجمعية من الأرض ما يكفى لإنشاء مستعمرة فوقف عملهم .... » .

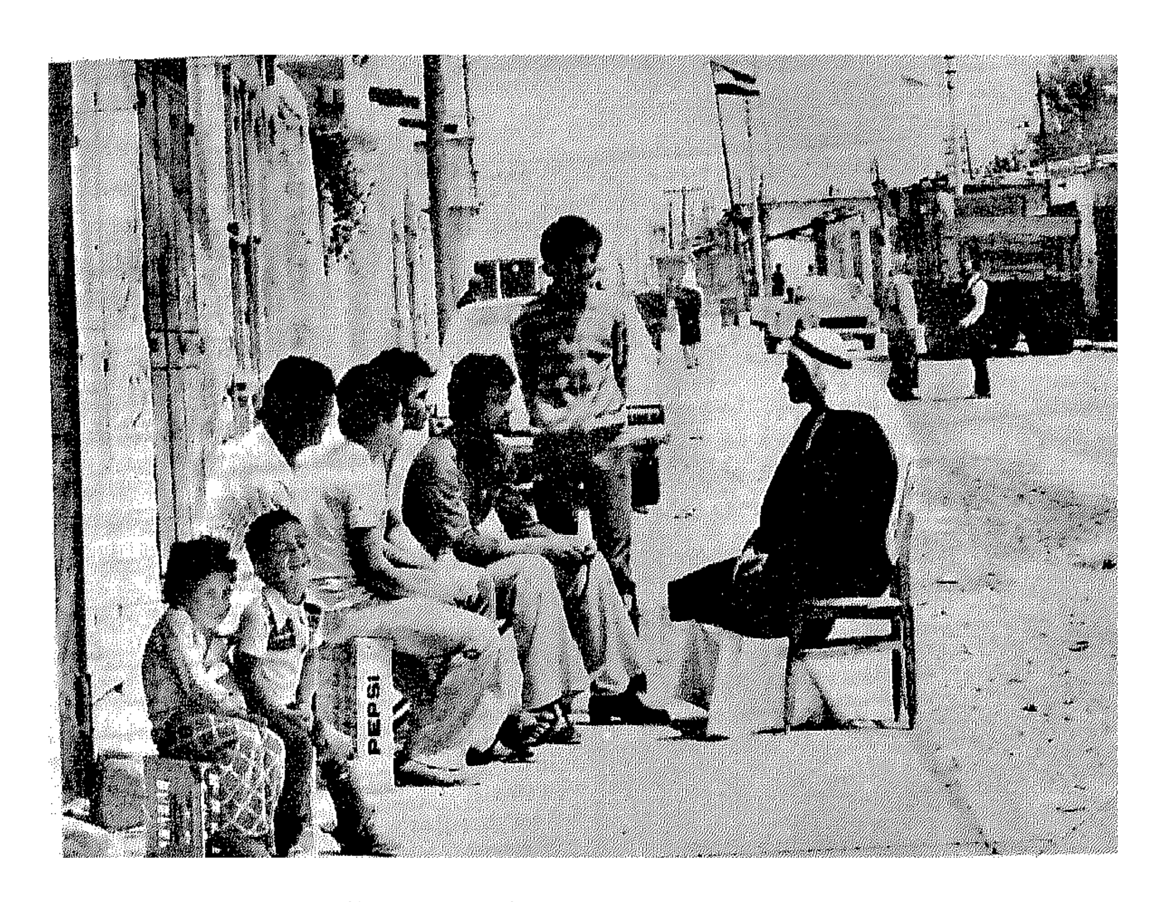
وقد زار الخديو اسماعيل رفح عام ١٨٩٨ م أى بعد مائة عام من مرور نابليون برفح قادما من القاهرة فى حملته سنة ١٧٩٩ م ، وزارها بعده الخديو عباس حلمى ، وخلال هذه الزيارة تم تحديد الحدود بين مصر والشام ، بعمود الجرانيت القائم تحت شجرة السرو القديمة .

وتم توقيع اتفاقية فى أول أكتوبر سنة ١٩٠٦ بين مصر وتركيا ، ونصبت أعمدة على طول الخط ، بحيث يرى الواقف عند عمود العمود الذى يليه ، وبلغ عدد الأعمدة ٩١ عمودا ، بنيت بالحجارة على شكل هرم ناقص ، قاعدته ١ × ١ متر مربع ، وارتفاعه متران الى مترين ونصف ، وأخر عمود بنى على تل الخرائب بساحل رفح فى ٩ فبراير عام ١٩٠٧ ، وأعطى رقم (١) .

● قصة الحدود

شهدت رفح أخَذّ صراع على خط الحدود بين مصر وتركيا ، خلال الترتيبات السابقة على الحرب العالمية الأولى ، وقد كان خط الحدود المصرية يقوم على فرمان الباب العالى بتولية الخديو عباس حلمى ، والذى يمتد من رفح الى العقبة .

ولكن فى مطلع عام ١٩٠٦ ، قامت القوات التركية بإنشاء نقط عسكرية عند



الصبية يتلقون الخبرة التاريخية من شارع صلاح الدين

كل من القسيمة والكونتيلا ، وأسرعت الحكومة المصرية بالمطالبة بازالتها ، وتشكيل لجنة مشتركة مصرية تركية ، لبحث مسألة الحدود بين سيناء وفلسطين ، وكانت مصر أيامها خاضعة للاستعمار البريطانى وفلسطين خاضعة للحكم العثمانى ..

وسعت قوات مصرية بقيادة الأميرالاى سعد رفعت الى الوصول الى خط الحدود ، فأرسل الأتراك جنودا الى رفح أزالوا الأعمدة المصرية ، وأرسلت القوات البريطانية الطراد الانجليزى منيرفا ، من بورسعيد الى رفح ، وقابلتهم فى رفح قوة مصرية من العريش ، وتقدم رؤساء القبائل بشهادتهم على وجود الأعمدة ، التى كانت قائمة من الجرانيت وعليها نقش باسم الخديو عن زيارته رفح فى عام ١٨٩٨ .

وبدأت الاتصالات الدبلوماسية أمام خطر الانفجار ، وانتهت باقرار الحكومة التركية للمطالب المصرية فى ١٤ مايو سنة ١٩٠٦ ، وبدأت لجنة مشتركة بين مصر وتركيا ، لتحديد خط الحدود على الأراضى وعلى الخرائط ، وقامت لجنة مشتركة ، يرأس الوفد المصرى فيها اللواء إبراهيم فتحى ، وصحب اللجنة عدد من مهندسى المساحة وطبيب ، ورسم خط الحدود ورسمت الخريطة بعد سير الحملة المكونة من حوالى مائة ناقة ، وبدأت رحلتها من العقبة حتى وصلوا الى رفح بعد مسيرة ٢١ يوما ، ورسم خلال هذه المسيرة خريطة تعيين نقط الحدود ،

رفح
مدينة فى قلب التحدى

وانتهت المهمة يوم ٢٨ يونيه عام ١٩٠٦ ، وتم الاتفاق النهائى فى أكتوبر عام ١٩٠٦ ، وتضمن اتفاق الحدود على أن جميع القبائل القاطنة على كلا الجانبين لها الحق فى الانتفاع بالمياه ، ويبقى أهالى وعربان الجهتين على ماكانوا عليه قبلا من حيث ملكية المياه والحقول والأراضى فى الجبهتين كما هو متعارف عليه بينهم .

وكانت مصر والشام بلدا واحدا ، منذ زيارة ياقوت الحموى ، وحتى عصر محمد على يتنقل المسافر بينهما بلا جواز سفر وبلا تأشيرات ..

ثم ترك الاستعمار آثاره ، وقبل عام ١٩٤٨ تكون على جانبى الحدود مدينتان احدهما مصرية والأخرى فلسطينية ، وقامت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، ونجت رفح وقطاع غزة من الاحتلال الاسرائيلى ، وبعدها تم الاحتلال الاسرائيلى فى اكتوبر عام ١٩٥٦ خلال العدوان الثلاثى على مصر ، واستمر احتلال رفح حتى مارس عام ١٩٥٧ ، ووقعت فى الأسر من جديد عام ١٩٦٧ .

وكان للاحتلال الإسرائيلى الذى استمر مدة خمسة عشر عاما آثارا بالغة ، فقامت سلطات الاحتلال بتوسيع شوارع مخيمات اللاجئين الرئيسية ، لأسباب امنية ، ولكى تتمكن الدوريات العسكرية الإسرائيلية من القيام بجولاتها ، وهدمت المبانى السكنية المطلة على بعض الشوارع ، ورحلت أصحابها للإقامة فى مخيم جديد أقامته فوق الكثبان بين رفح وساحل البحر ، وسمى مخيم كندا لأنه أقيم فوق أحد المعسكرات القديمة لقوات الطوارىء الدولية ، وكان يحتله القوات الكندية ، وعملت السلطات الاسرائيلية على عزل المناطق المحتلة عن الوادى ، وسمح للأهالى بزيارة اسرائيل ، وأخضع السكان لآلة غسيل المخ الإسرائيلية ، وتابع الأهالى التليفزيون والاذاعة الاسرائيلية ، ولم يكن بث التليفزيون المصرى يصل اليهم .

وتزايد شعور الأهالى بالتحدى الحضارى ، ووقعت تغيرات كبيرة ،

متى تسقط الأسلاك الشائكة !!



واندفع السكان يزرعون الصحراء ، ويستغلون كل قطرة ماء ، ويعملون على تطوير الحياة ، فليس اكثر من الخطر دافعا للتطوير والتغيير .

● الجلاء

وجاء وقت تنفيذ الاتفاقية المصرية الإسرائيلية ، وحان وقت انسحاب القوات الاسرائيلية ، واقترح الإسرائيليون الانسحاب من رفح كلها ، واصر الجانب المصرى على خط الحدود التاريخية ، ورفض فكرة اى تعديل او مساس بالحدود ، ورفض أى شبهة فى اية اطماع فى الاراضى الفلسطينية ، مع تاكيد حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى .

واكد الجانب المصرى على ضرورة إزالة اى تغييرات وقعت خلال الاحتلال ، وتم الاتفاق على تبادل السكان ، وعودة المصريين من ابناء رفح الى الجانب المصرى ، على ان يتم تبادل السكان خلال ستة اشهر ، ورحبت باستقبال كل من لديه ما يثبت جنسيته المصرية ، وتم الاتفاق على عودة اللاجئين الفلسطينيين المقيمين فى مخيم كندا ، ونجحت الدبلوماسية المصرية فى تاكيد حق العودة للفلسطينيين ، وقامت المظاهرات فى إسرائيل احتجاجا على موافقة السلطات الاسرائيلية على هذا الحق .

وبدأ الانتقال التدريجى لأبناء مخيم كندا الى مدينة جديدة هى تل السلطان ، وبين وقت وآخر يتعرقل المشروع ، وتثير إسرائيل مسألة تمويل هذا الانتقال وتكلفة إعداد المساكن والمرافق للعائدين ، وتمر الايام ، وكلما تم الاتفاق على تكاليف عودة العائلة الفلسطينية ، عادت إسرائيل تطالب برفعه لزيادة التضخم فى اسرائيل ، وقد شاركت فى تمويل عودة الفلسطينيين وكالة غوث اللاجئين ، وساهمت منظمة التحرير الفلسطينية فى إقامة مدرسة .. كما ساهم بعض السكان او اقاربهم فى إعداد بيوت لهم فى تل السلطان .

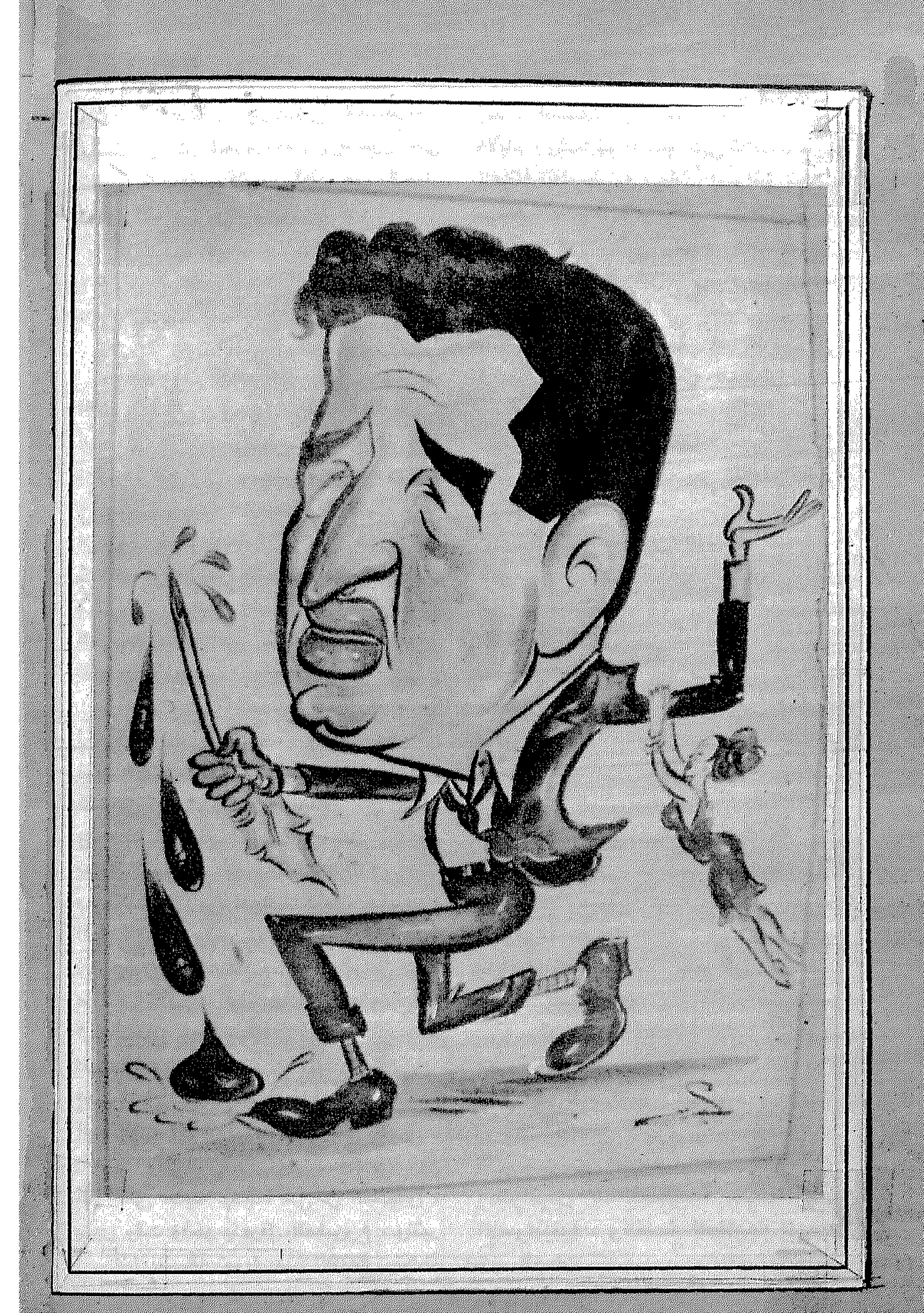
ويستمر انتقال أبناء مخيم كندا بطيئا ، وتشترط إسرائيل الموافقة الأمنية على كل عائد ، ويتراوح سرعته بين تقاعس عربى وتسويف إسرائيلى .

وتأثر مشروع العودة ، بعملية « ديمونة » التى نظمها الشهيد خليل الوزير (ابوجهاد) ، والتى استهدفت المفاعل الذرى فى ديمونة ، واتهمت اسرائيل مجموعة من سكان المخيم بالتسلل والقيام بهذه العملية فى النقب ، ولكن سرعان ما ادركت ان الاشراف الامنى على مدن جديدة أسهل منه فى المخيمات العشوائية .

وغيرت الانتفاضة الفلسطينية ، كل ماهو ساكن فى القضية الفلسطينية ، واصبح مخيم كندا مثل القنبلة الموقوتة على الحدود ، وخاصة عندما قام ابناء المخيم بمظاهرات كبيرة تاييدا للفلسطينيين وراء الاسوار .

وبدات من جديد عمليات عودة الفلسطينيين ..

وتبقى مدينة رفح المرصد الحساس تسجل كل ما يجرى حولها ، واحد الاختبارات الدقيقة لمدى تطبيق إسرائيل للاتفاقية المصرية الإسرائيلية ، والقلعة المتقدمة للدفاع عن الوطن .



إحسان عبد القدوس

أمس .. واليوم .. وغدا ..

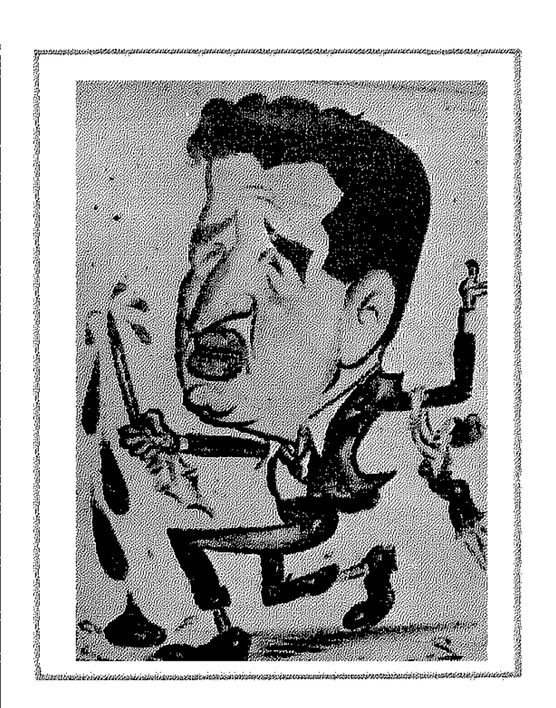
عزيزى القارىء :

مرة اخرى نلتقى بعد لقائنا فى بداية العدد ، فهذا الجزء من "الهلال" يوشك باهميته الكبيرة أن يكون عددا تذكاريا خاصا عن الصحفى والمفكر والسياسى والروائى الأستاذ إحسان عبدالقدوس رحمه الله ..

لقد عاش إحسان عبدالقدوس فترة من تاريخ بلادنا حافلة بالاحداث الجسام .. فكان شاهدا عليها بمواقفه وكتاباته المتنوعة ، وكانت شهادته ذات اهمية كبيرة . لأنه كان دائما فى قلب الأحداث والتحولات التاريخية ، يسجلها بقلمه فنا روائيا أو كتابة صحفية ، واوشك ان ينفرد وحده بهذه الميزة ، ولهذا انفرد فى الادب والصحافة بمكانة خاصة .

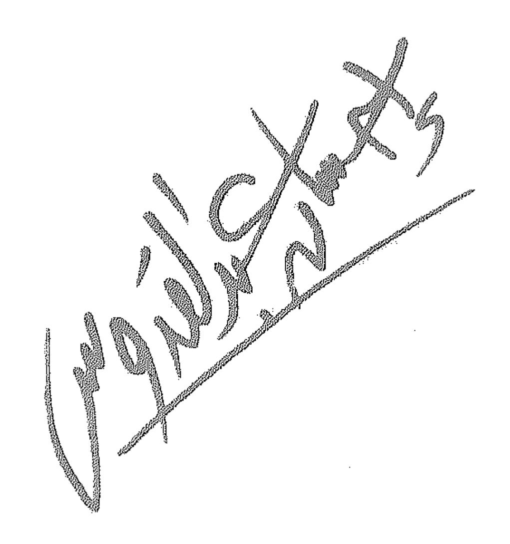
وهذا الجزء من الهلال عن احسان عبدالقدوس يرسم له صورة شاملة تراها ياعزيزى القارىء فيما نقدمه لك من المقالات التى كتبها عن نفسه ، وفيما كتبه عنه معاصروه من كبار الكتاب والنقاد ، وفى المتابعات الجديدة التى تتناول النشاطات المتعددة لهذا الصحفى الاديب الفنان المتعدد المواهب الذى استحق بجدارة مكانته الممتازة امس واليوم وغدا .







بقلم: كامل زهيري



□ بدأت مع احسان عبدالقدوس في روز اليوسف . وكان احسان اسما لامعا جدا . وكأن اسمي مجرد اسم ثلاثي في بطاقتي الشخصية . وتعلمت منه الكثير . واهم ما اكتشفته واحببته انه يؤمن بالحرية الفكرية والفنية . وانه لم يفرض رأيا . ولذلك تعلمت منه وأنا اتمتع . ومدرسة احسان هي مدرسة الكتابة في الهواء الطلق . ولايفرض فيها الاستاذ على تلاميذه استاذيته . والمتعة انه لايضع مسافة بينه وبينهم .. ولان ذكاءه من النوع العاطفي ، فهو يتسلل الى قلب تلاميذه بموهبة ولطف .. تماما كما يفعل في رواياته مع قرائه .

ولذلك لم يكن العمل مع احسان مجرد تلمذة .. بل كانت مشاركة ومتعة ولهذا دخلت مدرسة احسان اسماء عديدة ، بدأت مجرد اسماء ثلاثية او رباعية في البطاقات الشخصية أو شهادات الميلاد .. وتخرجت اسماء قوية لامعة .



دولت ابيض


فاطمة رشدى


محمد التابعى

واحسان عبدالقدوس عاطفى الذكاء . لانه فنان . مضطرم وجياش . وهو عنيد . لكنه لايعرف العنف الا فى العاطفة . واستاذيته موهبة . وهى تختلف عن استاذية الذين يحبون وضع التقديرات لتلاميذهم ، ويحبون ان يفرضوا أو يفترضوا استاذيتهم .

واحسان عبدالقدوس كان استاذا لكثيرين دون فرض او فروض طاعة وهذا هو الفارق بين الاستاذ بطبيعته والاستاذ بوظيفته . وهو نفس الفرق الدقيق بين الأنيق والمتأنق . فالأنيق ينتخب الوانه الهامسة دون أن يهجم على النظر . اما المتأنق فهو الذى يصرخ بألوانه الفاقعة أو اللافتة .

وقد تعلم اكثر ابناء روز اليوسف من احسان عبدالقدوس أثناء العمل ومن طريقة عمله . فقد كان يتخذ من روز اليوسف « محله المختار » ويجلس الى مكتبه بالساعات . ويحضر كل صباح فى الحادية عشرة حتى الثالثة . وينام القيلولة مواظبا . ثم يعود فى الثامنة ليبقى حتى الثانية صباحا . ولم ادخل عليه مكتبه الا وجدته الى قلمه ، او بين الصحو والسرحان كأنه منذ لحظة قد انتشل نفسه عنوة من العمل .

ولم يكن احسان يحاضرنا عن أهمية العمل . بل كان يعطينا القدوة ويسبقنا بالوفرة والموهبة .

واحسان كان يكره المواعظ . وهو لايجيد كثيرا الحديث . لان لسانه كان فى قلمه . وخلال عشر سنوات افشى لى ببضع نصائح قليلة . وكانت النصيحة الاولى التى قالها لى احسان قد حكاها لى فى صورة قصة قصيرة . وكان اغلب حديثه حكايات وقصصا .

قال لى ان محمد التابعى الجد الاكبر لمدرسة الصحافة الحديثة كان يشرف على المجلة . وكان احسان يعمل محررا صغيرا . وكان التابعى يدق الجرس ليطلب احسان من آخر الصالة . فيهرع احسان وقلبه يدق بعنف . يخشى ان يكون ماقدمه الى استاذه ركيكا . فيجد وجه التابعى الطويل ممطوطا .

ويقول التابعى :

ـ احسان .. لقد نسيت فى مقالك أن تضع نقطتين فوق التاء ، ونقطتين تحت الياء !





وصدقت قصة احسان .. لانني كنت أعرف خطه . وارى مقالاته قبل ارسالها للمطبعة . ولعله الكاتب الوحيد الذى كان يضع النقاط فوق الحروف بدقة . وكان اكثر الكتاب اناقة فى خطه واشدهم عناية بما يكتب .

وهذه القصة القصيرة جدا ـ مغزاها ان العمل فى الصحف ـ رغم السرعة يستلزم العناية . فالصحف ـ كالحدائق تذبل من غير عناية مستمرة . وهى كالزهور الرقيقة ، سريعة التلف ، او كالثمار سهلة العطب . والأصل ان الصحيفة ليست سلعة تبيعها لقارىء عابر . بل هى هدية لقارىء دائم يحبك ويثق فى رأيك .

★ ★ ★

وخلال عشرتى لاحسان عبدالقدوس لم احس كثيرا انه صاحب عمل . واحسست اكثر انه صاحب مدرسة موادها الاساسية الحرية والموهبة ثم الدأب .

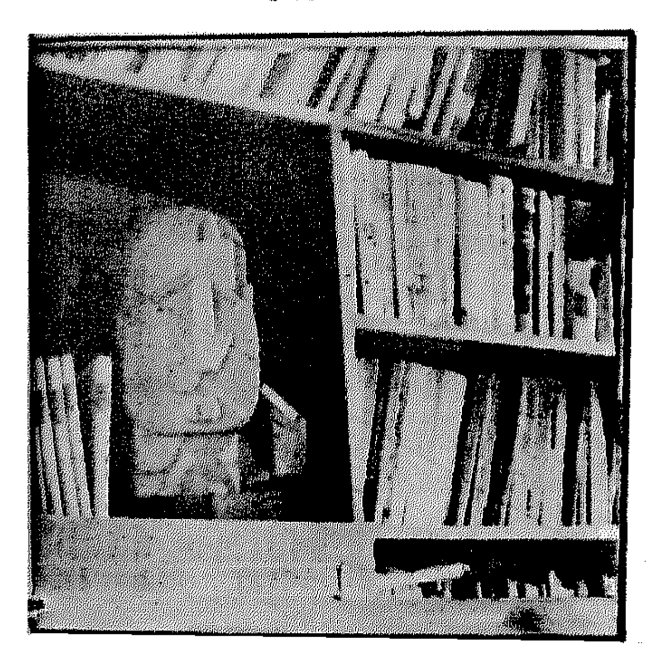
وقد يرجع ذلك الى ان روز اليوسف لم تحفل منذ انشائها ان تصبح مؤسسة رأسمالية كبرى . ولا ان تتحول الى صناعة ثقيلة . تستند الى الطباعة . وتعتمد على الاعلانات . وظلت روزا كما بدأت مجلة رأى . تعتمد على الصناعة الدقيقة . اى على النقد فى الفن أو السياسة . ولذلك اصبحت وكرا رائعا لمواهب الرسامين ، وعشا طبيعيا للموهوبين فى الرواية والقصة القصيرة ، واخرجت عددا لايحصى من كتاب المقالات والاعمدة .

وكانت روزاليوسف من ١٩٢٥ الى ١٩٥٥ ضعيفة الادارة . وكان مديرها « العام » محاميا غير متفرغ للادارة . ولم تكن فيها خزانة حديدية ، فقد كانت الخزانة المالية هى حقيبة السيدة فاطمة اليوسف واثبتت روز اليوسف خلال ثلاثين عاما معجزة ان تعتمد على القارىء اى على التوزيع . وهذا ماجعل احسان حساسا جدا لما يقوله القراء عن المجلة .

وكان يعتقد أن ثقة القارىء هى اكبر جائزة يمكن ان يحصل عليها اى صحفى .

وقد ظهرت روز اليوسف عام ٢٥ اى بعد دستور ٢٣ بعامين . وكان قد ظهر القارىء الناخب الوطنى والحزبى ـ بعد ثورة ١٩ ـ الذى يريد ان يشارك فى الحكم بصورة أو بأخرى . وان يضع « الامة فوق الحكومة والحق فوق القوة » ومع ظهور هذا القارىء الجديد ظهرت مدرسة روزاليوسف الصحفية بقيادة محمد

شغف فنانو الكاريكاتير بتصوير
احسان من زوايا مختلفة



التابعى الذى أنزل الكتابة ـ من الصحف ـ من عرش الادب والبلاغة وخلعها من السجع السياسى ، وطنطنة الخطابة ليظهر نوع جديد من الكتابة السهلة المحببة .

واحسان عبدالقدوس كان الحفيد الغنى والشرعى لهذه المدرسة الصحفية الشعبية ، وزاد عليها بفنه . ومن نصائحه القليلة قال لى ان من الكتاب من يعقد السهل .. وهناك من يبسّط الصعب .

وقلت له : ان الالمان يعقدون الفلسفة . وان الفرنسيين يسهلون الأفكار المعقدة . وانظر إلى أفكار هوسيرل وهيدجر الالمانيين واسلوب سارتر . وفرق بين التعقيد والتبسيط . قال :

ـ افضل الفرنسيين فى اسلوبهم .

وكان احسان فى الخمسينات حريصا على ان تقدم روز اليوسف وصباح الخير اعقد المذاهب وأصعب الكتب باسلوب سهل وسلس . وفى روز اليوسف قدمت « مذاهب غريبة » عن السوريالية والعدمية والفوضوية والوجودية ، وفى صباح الخير قدمت « الادب المغضوب عليه » كرواية « زيفاجو باسترناك » و « الخبز وحده لايكفى » لدودينتسيف . وكان احسان يشجعنى الى حد اننى لم اطلب فى حياتى منه علاوة . لانه كان يسبقنى بذكائه ، فيقترح الزيادة . وكان يقول معتذرا :

ـ وستأخذ بالباقى مجدا !

ولم يكن اكثرنا من ابناء مدرسة الهواء الطلق يحس ان هناك امجد من ان تكتب وتنشر فى « جوه الخاص » وحنانه الجاد .

وقد ولد احسان عبدالقدوس فى اول يناير ١٩ ، مع مطلع الثورة . ولدت مجلته عام ٢٥ بعد الدستور بعامين . ومابين الثورة والدستور ولدت مدرسة الرأى ـ قبل ان تولد مدرسة الخبر ـ وشقت طريقها رغم المصاعب المالية ورغم التعطيل والمصادرة . وبعد الدستور ايضا ظهرت مجلات اخرى مشابهة ومقلدة ، ولكنها كانت حادة اللسان ، تستخدم الشتائم والفضائح فهبطت واختفت وبقيت روز اليوسف كمدرسة للرأى . لانها آمنت ان

القبلة الأخيرة .. بين احسان عبدالقدوس .. وكامل زهيرى





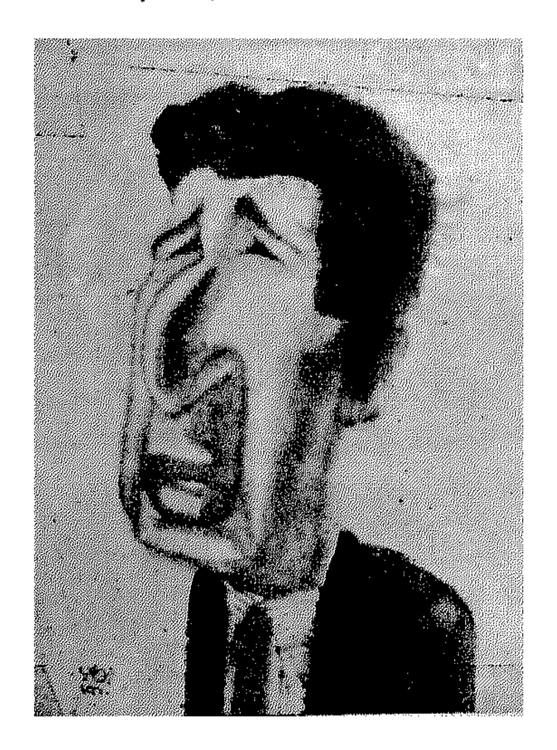
السياسة روحها فى نقدها . ولايزهق روحها غير النفاق . وكان احسان ابنا بارا لهذه المدرسة . وكان لايكره مثل النفاق السياسى او النفاق الاجتماعى . وكل اعماله الفنية شهادة على حربه الطويلة ـ التى لم تيأس ـ ضد النفاق الاجتماعى ، رغم تعرضه لأزمات الصمت المدبر او الهجوم المدبر أيضا . وأهم حملاته الصحفية ومقالاته السياسية ضد النفاق السياسى . وستبقى هذه الحملات نماذج فذة . وكان يقول لى : ان النقد فن . وآية الفن ان تقول رأيك وتنقد وان تجرح « دون ان تسيل دما »

وسيسجل مؤرخو الرأى لاحسان عبدالقدوس مقاله النارى عام ٤٥ ضد السفير البريطانى مايلز لامبسون « هذا الرجل يجب ان يذهب » وعنوانه يلخص حملته .. وقد سجن احسان من اجله . وكان السجن مسوغات تعيينه لرئاسة التحرير . وكانت حملته العاصفة قبل الثورة ضد الاسلحة الفاسدة فى حرب فلسطين رمزا للهجوم على الفساد السياسى ، ومهدت لثورة يوليو بلا نزاع . ولكن عقيدته الداخلية بأهمية الاستقلال الفكرى للفنان او الكاتب عصمته من النفاق . وانقذته موهبته الفنية ، لأنه كان فى كل أزمة يعتصم بالكتابة القصصية ، والروائية ، حتى اكتشف ان الرواية هى فن الجماهير ، وان السينما هى اوسع الفنون الجماهيرية انتشارا ، فكتب كثيرا ، حتى اصبح اكثر كتاب جيله ذيوعا ورواجا ونجاحا .

ولست اظن ان ذلك كان صدفة بحتة . بل لقد اجاب احسان عبدالقدوس على ضرورة اجتماعية ملحة فى التعبير الادبى والروائى عن نصف المجتمع ، وهو المرأة .

ويذكر اباؤنا أن الرجل فى مطلع القرن كان يعتبر اية فنانة تجرؤ على اقتحام المسرح مجرد غانية او حتى ساقطة ، ولهذا بدأ المسرح بادوار نسائية يلعبها الرجل اضطرارا . وقليل من الاصباغ والكحل وتلوين الصوت والباروكه ! ثم وفدت الفنانة الاجنبية الى المسرح المصرى . ولم يتم تمصير الادوار النسائية الا بعد ثورة ١٩ ومنذ شاركت

احسان .. بريشة : ايهاب عام ١٩٦٠



المراة فى تلك الثورة ، اخذت نصيبها وحصتها من ارباح الثورة برفع الحجاب . وتم توزيع الارباح وسط حادث هائل ، وهو مظاهرة عشرة آلاف سيدة فى شوارع القاهرة تأييدا لعودة الزعيم الوطنى سعد زغلول من المنفى .

وانتهت المظاهرة الشهيرة برفع الحجاب ، او الاكتفاء باليشمك الابيض الشفاف الذى يخفى ويظهر . ومنذ ذلك الحدث الاجتماعى السياسى اعتدل توزيع الادوار بين الرجل والمراة . ثم ظهرت ثلاث مصريات وفنانات قديرات مثل زينب صدقى ودولت أبيض وفاطمة رشدى وروز اليوسف . وانتقلت روز اليوسف من المسرح الى الصحافة . وسمى عبدالقادر المازنى المحرر الكاتب فى أول عدد لها هذه المجلة بأنها نزوة . ولكن النزوة اصبحت مجلة ثم مدرسة للرأى والفن .

وقد بلغت روزا قمة المجد حتى سماها معاصروها « سارة برنارد » الشرق . واذكر حكمتها التى قالتها لى ايام روز القديمة ببساطة :

– ان احسن لحظة للاعتزال هى قمة المجد .

وقد كانت شخصية فذة حقا .

وصفها ابنها بأنها : ام حنون مرهفة العاطفة ، الى حد انها تبكى – وهى تقبلنى ، بل ان عاطفتها تغلبها احيانا فتقبلنى امام زملائى المحررين ، وأذوب انا خجلا منهم !! بل انها تفرح باليوم الذى اقضيه فى بيتها كانها ام ريفية تستقبل ولدها بعد غياب طويل ، وتكاد تشعرنى انها ابنتى اكثر منها امى ، فأضمها بين ذراعىّ ، واسند رأسها على صدرى ...

ويبلغ من حنانها انها قبل ان اشترك معها فى العمل – كانت تخفى عنى كل مايصيبها من نكبات . وحدث ان خسرت كل ما تملك نتيجة حملة اضطهاد سلطتها عليها الحكومة حتى انها لم تستطع ان تدفع مرتبات الخدم والسائق ، فتركوها جميعا ، وكل منهم يترك دموعه فوق يدها وهو يقبلها ..

واستطاعت ان تستخلص القليل مما بقى لتضمن للمجلة استمرار ظهورها ، ثم مرت ايام لم تكن تجد فيها ثمن الطعام الذى تاكله ... وكنت فى ذلك الحين اقيم مع ابى ، واتردد عليها كل اسبوع فتعطينى عشرة قروش للذهاب الى السينما ... وفى وسط هذه الظروف القاسية التى تمر بها ، حرصت على ان تعد لى دائما هذه العشرة قروش ، وهى فى حاجة الى خمسة منها لتاكل بها ... كل ذلك حتى لا ادرى وحتى لا اشاركها همّا ، فيصيبنى اليأس قبل أن يشتد ساعدى .

وفى خلال الحرب الاخيرة مرت بها ازمة أخرى .. واضطرت ان تبيع سيارتها فى الوقت الذى كان فيه كل اصحاب الصحف يبنون الثروات ... وكانت تضطر الى ان تسير على قدميها كل صباح ساعة كاملة من بيتها فى الزيتون إلى سراى القبة لتركب الاتوبيس الذى يوصلها الى مكتبها ، ثم كانت تقول لى أن الطبيب اوصاها بالسير الطويل محافظة على صحتها ! حتى لا ادرى ولا اشاركها همها ..

كل هذا الحنان الذى لاتستطيعه كل ام ، كان يقابله قسوة لا اعتقد ايضا ان كل ام تستطيع ان تقسو بها على ابنها ..

فقد طردتنى مرة – كما قلت – من العمل ، وانا متزوج وصاحب أولاد او على الاصح تركتنى اخرج من العمل .





وظلت عاما كاملا لاتخاطبنى . وقد تلتقى بى فتتجاهلنى وأمد يدى لأقبل يدها فترفضها ... بل انها ضربتنى يوما فى مكتبى وبين زملائى عقب تخرجى فى الجامعة .. وهى الى اليوم لاتزال تقسو احيانا علىّ وعلى شقيقتى ، ويبلغ من قسوتها أننا لا نعرف لها سببا . ولكننا دائما نعرف السبب بعد ان نثوب إلى الطريق الصحيح .

وانى اعترف ان هذه القسوة كانت من الاحجار القوية فى بنائى واعدادى للعمل الذى اقوم به(١) .

وفى ظنى أن فاطمة اليوسف ـ ويشهد على ذلك كل من عرفها أو عمل معها ـ كانت شخصية نسائية فذة نادرة . وقد ظننت ان مفتاح « الاستقلال » هو مفتاح شخصيتها كما كان مفتاح شخصية احسان عبدالقدوس . وقد اقتحمت المسرح حتى وصلت الى قمة المجد والشهرة فتركته بقرار عنيد واقتحمت عالم الصحافة الذى لايقل صعوبة ، واستطاعت ـ كما يقول احسان ، وفى يديها خمسة جنيهات ، وانشأت مجلة تحمل اسما يكاد يكون اسما اجنبيا ـ وهو الاسم الذى اشتهرت به على المسرح ، فاستطاعت ان تجعل من هذه المجلة اقوى المجلات نفوذا فى الشرق . وان ترسم بها مستقبل مصر . واستطاعت ان تجعل من هذا الاسم الذى يكاد يكون اجنبيا ، علما يضم تحته كل الكتاب وانضج الآراء ولايثير عجبا فى مصر ، كما لاتثير الاهرام أو ابو الهول عجبا بين بنى مصر .

وقد كانت هذه الشخصية النسائية الباهرة اول درس فنى للكاتب الابن الذى حيرته وعلمته ان نفس المرأة عالم فسيح من الصراع الهائل . ولا أظن ان كاتبا معاصرا شغف بتشريح شخصية المرأة كما فعل احسان عبدالقدوس ولعل ماحدث فى المسرح فى مطلع القرن حدث بعده فى منتصف القرن فى ادب الرواية . فلم تجرؤ اديبة كاتبة على تصوير حياة المرأة الحميمة ومشاعرها الداخلية الخاصة وطرح قضايا المرأة وحديثها واستقلالها وعلاقاتها بالرجل والمجتمع . وباستثناء مى زيادة وملك حفنى ناصف على استحياء أو توجس ، نلاحظ أن بعض كاتباتنا اخذن يقلدن اسلوب الرجل فى الشكل والمضمون وكأنك لاتقرأ لسيدة كاتبة بل للرافعى او المنفلوطى بل والعقاد ـ رغم شاعريته الفياضة ، كتابات مرصعة بالفصحى الخشنة المليئة بالذكورة . حتى جاء هذا الروائى الجرىء احسان عبدالقدوس ففتح بابا جديدا فى الادب باسلوبه السهل والسلس والبسيط ـ الناعم أيضا ـ وساعدته الصحافة فاصبح اغلب ابطاله بطلات . وعرض مشاكل المرأة باعمارها وحكى قصص الأم التى تواجه مجتمعا بلارجل ، شرسا وطامعا ، او المراهقة المتحدية المتحررة او المطلقة المعذبة ، ولولا جرأة احسان عبدالقدوس وفنه لما استطاعت الرواية المصرية ان تسبق كل رواية بالعربية ، فتنقل نصف المجتمع الى نصفه الآخر .

وكما دوت حملاته الصحفية شقت رواياته الادبية طريقها الجرىء والجديد وصور احسان عبدالقدوس شخصيات

روزاليوسف .. الأعداد الأولى في عام ١٩٢٦





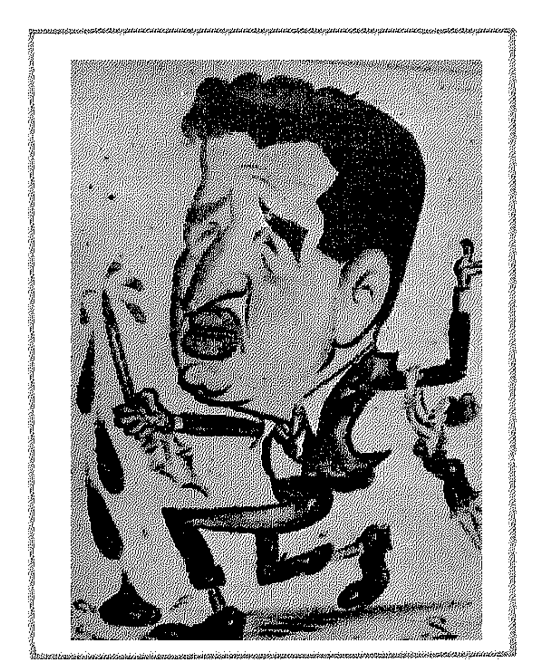
نسائية من نوع خاص ، مثل امينة فى « انا حرة » وعلية فى « اين عمرى » ونادية لطفى فى « لا أنام » وغيرها مئات الشخصيات التى تدفق بها خيال احسان عبدالقدوس . وفرضت عليه الصحافة فضلها وعيوبها . وأبدع فيما يسمى الرواية النهرية المسلسلة ، كما كان يفعل ائمة الرواية الفرنسية حين ينشرون مسلسلاتهم فى الصحف والمجلات . وكان عادة يبدأ قصته الجديدة مع شهر اكتوبر لينتهى فى يونيو او قبله أى مع بدء السنة الغنائية لام كلثوم ، وعودة المدارس ، ونهاية العطلة السنوية . وان كان قد اكتشف موسما صيفيا آخر للقراءة الصيفية . وقد يكون احسان عبدالقدوس من الروائيين القلائل الذين كانوا يختارون اسم رواياتهم ، وينتقون مانشيتا يلخص فكرتها ، وكأنه مانشيت للموضوع الصحفى . لهذا يقول مرة فى احدى رواياته .

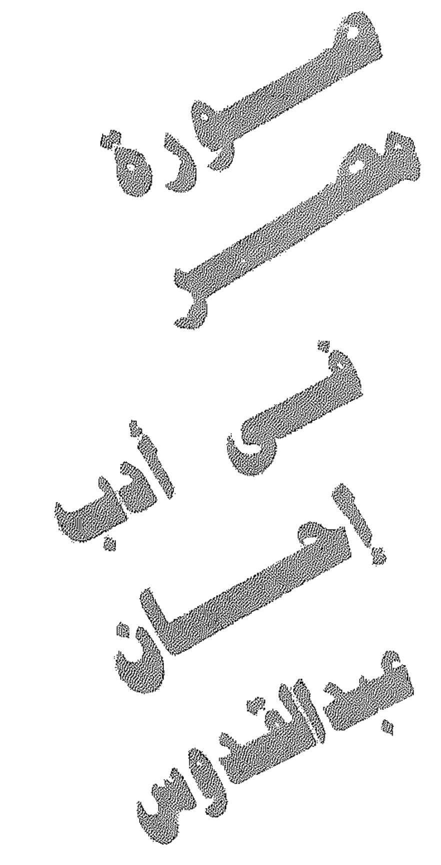
- العمر لايحتسب بالسنين ولكن يحتسب بالاحساس (فى اين عمرى)

- وشىء اسمه الحب .. وشىء اسمه غريزة التملك .. وبين الحب وغريزة التملك خيط رفيع - فى قصة « الخيط الرفيع » والغريب ان تأثير الصحافة لازم لمن عمل بها من الادباء بل الشعراء ، حتى تلاحظ فى اكثر اشعار كامل الشناوى اخبارا . وانظر الى قصيدته الشهيرة « انى رايتكما معا » وعيناك فى عينيه وهكذا افادت الصحافة احسان عبدالقدوس حين اعتصم بالفن والقصة وان كانت قد فرضت عليه هذا التقطيع الذى يفرضه عرض الرواية على اسابيع . وقد تنبه احسان عبدالقدوس إلى خطر الصحافة فى نشر الادب . فكان صاحب فكرة الكتاب الذهبى الذى قدم ادبه وادب غيره من عمالقة جيله فى الرواية ، واقترح انشاء المجلس الاعلى للفنون والآداب واقترح توفيق الحكيم رئيسا ، وكان فضل الرواية المسلسلة فى الصحافة ان خرجت بالرواية من توزيعها المحدود إلى توزيع المجلات الاسبوعية الرائجة ومن الآلاف الى عشرات الآلاف فاذا انتقل الى اخبار اليوم وصل توزيعها لأول مرة - فى عهده - إلى رقم المليون ، وهو رقم لم تعرفه الصحافة ولا قراء الآداب من قبل . وقد كان نجيب محفوظ يخشى ان يصبح حظ الرواية مثل حظ الفنون التشكيلية تنحصر فى نخبة ضيقة ، فاذا الرواية باحسان عبدالقدوس تنتقل من المجلة إلى السينما الى أوسع الجماهير ، وتصبح الرواية سببا فى زيادة القراء واقبالهم على ادب جديد تماما .

---

(١) مقدمة الطبعة الأولى، لاحسان عبدالقدوس لكتاب ذكريات فاطمة اليوسف ، ديسمبر ١٩٥٣ .







بقلم : د. الطاهر أحمد مكى

يمثل إحسان بين كل مبدعى عصره اتجاها متميزا اصيلا ، ومدرسة قائمة بذاتها ، لايمكن أن تنسبها إلى غيره ، ولا تجد من يمكن أن تضمه إليها ، ولو أن هذا لايمنع بداهة انه قرأ كثيرا ، فى آداب مختلفة ، وتمثل ما قرأ جيدا ، فجاء إبداعه فردا ، يمكن أن تلمح فيه توافقات خافتة مع غيره ، فى الظلال أو المعالجة ، ولكنه يحمل طابعه ومذاقه وصناعته .

لا أجد كاتبا تصدق عليه مقولة "الفن صورة عصره" كما تصدق على أدب إحسان ، فبين صفحات ما كتب تجد مصر المعاصرة كلها ، فى شتى صراعاتها وتناقضاتها ، الفكرية والسياسية والاجتماعية ، فى الريف والمدينة ، بين العمال والفلاحين والموظفين ، والأغنياء والفقراء ، والشباب والشيوخ ، والرجال والنساء على السواء . مصر كلها

هناك فى أدب إحسان ، تتزاحم فى الشوارع والميادين ، والمدارس والمصانع والحقول ، تعيش وتتحرك وتناضل ، تنبض بالحياة والأمل ، يتغشاها اليأس والاحباط لحظات ما ، ولكنها تتقدم نحو غايتها دائما .

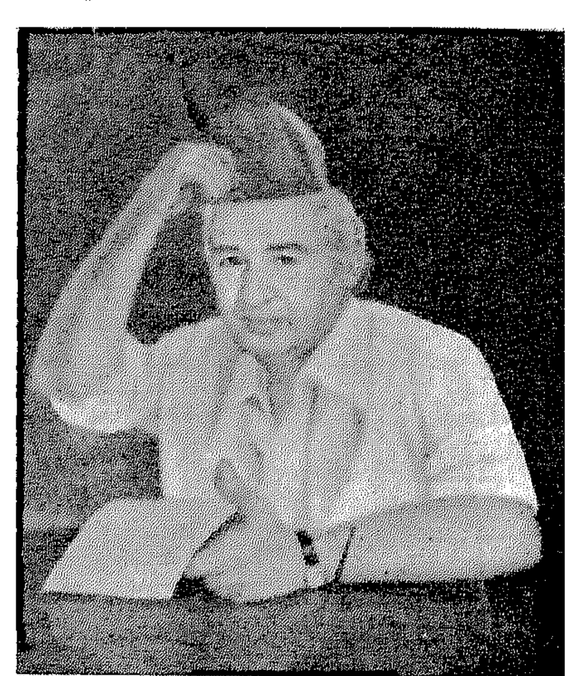
هذه الحيوية الدافقة نجدها فى كل ما كتب ، فى الرواية والقصة والمقال ، وإن اختلفت المعالجة طبقا لما تقتضيه متطلبات النوع الأدبى من تقنيات فنية ، وفيها كلها تلتقى بالصدق الفنى دائما ، والواقعى معه فى أحايين كثيرة .

● رحلة حياة

وقد تميز فى كل ما كتب بالشجاعة والصراحة ، فى تصوير الواقع وفى التعبير عن رأيه ، لا يمالىء ولا يداجي ولايزيف ، وإنما يقول الحق واضحا صريحا ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، فإذا حالت دون القيود المانعة لجأ إلى الاسقاط ، واتخذ من الرمز وسيلة ، ووجد المجال فسيحا فى الفن الروائى بخاصة .

لقد كتب إحسان القصة منذ أن كان صبيا فى الحادية عشرة من عمره ، مجرد محاولات

إحسان .. اتخذ من الرمز وسيلة



عابثة يقوم بها صبى ، وفى السابعة عشرة كتب قصصا فى أسلوب أقرب إلى الشعر المنثور ، فكانت مجرد خيال مراهق .

وفى الثانية عشرة عندما دخل كلية الحقوق توقف عن محاولات الكتابة ، وبدأ رحلة القراءة الواسعة مع الأدب العربى والعالمى .

ثم بدأ يعمل بالصحافة ، وغلبت على كل تفكيره ، وأخذت منه جهده وعواطفه ، فاتجه بقوة إلى الخبر والمقال .

وبعد أن قطع فى الصحافة شوطا عاد إلى محاولاته الأولى قصاصا ، وغلب عليه فيها طابعه الصحفى ، فجاءت قصصه الأولى والتى نشرها فى مجموعتي "صانع الحب" و "بائع الحب" ، مجرد ذكريات لشاب يزور أوربا ، وكتبها بأسلوب أقرب إلى الاسلوب الصحفى ، حتى أنه كان يقطع سياق القصة ليصف بلدا ، أو يتكلم عن شخصية التقى بها ، وفى مجموعة "النظارة السوداء" ، ونشرها لأول مرة عام ١٩٤٩ ، كان يقحم نفسه فى السياق ليكتب مقالا يدافع عن فكرة أو يعرض رأيا .

وعندما نشر روايته «أنا حرة» عام ١٩٥٢ جاءت تحقيقا صحفيا أكثر منها رواية أدبية ، وكان هذا عيبا خطيرا فى تقنية القصة أدركه ، واعترف به فيما بعد ، وأخذ نفسه على تجاوزه والتخلص منه . وساعده على ذلك أن كتابة المقال العنيف المثير الذى يشد أعصاب القراء لم يكن متاحا بسهولة بعد أن تمكنت الثورة فوجد المجال فسيحا فى القصة والرواية ، وفى اسقاطاتها ورموزها ما يتيح له أن يعبر عن كل ما يريد دون خشية من ملاحقة أو مصادرة ، فأقبل على كتابتها بجدية ، ومع المران والدربة والمثابرة والزمن أخذت شخصيته الأدبية تتطور وتنضج ، وعيوبه الفنية تقل وتذوب ، إلى أن امتلك ناصية الفن الروائى كاملة .

كان إحسان فى تطوره الروائى مرتبطا بأمرين :

نضجه فنيا من جانب ، وتطور المجتمع المصرى من جانب آخر ، وكان المجتمع فى





فترة توهج إحسان يتغير بسرعة مذهلة ، من الأحتلال إلى الاستقلال ، ومن الملكية إلى الجمهورية ، ومن الرأسمالية إلى الاشتراكية ، ومن الشمولية إلى التعددية الحزبية ، ومن الاقتصاد الموجه إلى «الانفلات » المخرب ، وشهد ست حروب ، إحداهما كانت عالمية .

وحين يجيء التطور سريعا وعميقا ، وعنيفا أحيانا ، تصبح صلة الحاضر بما كان واهية ، وصورة مصر بعد الثورة تختلف تماما عما كانت عليه قبلها ، وهي بعد هزيمة ١٩٦٧ شيء مختلف ، ومجتمع ما بعد «الانفلات » يباين في أخلاقياته وسلوكياته ما قبل ذلك تماما ، وقلة حاولت أن تتماسك ، وصبرت على المعاناة ، وأصبحت موضع سخرية "المنفلتين" . ولأن إحسانا يتميز بالحساسية المفرطة ، والشفافية المتناهية ، والالتصاق الشديد بوطنه أفرادا وأحداثا ، فقد كان شديد التأثر بما يجرى على أرضه ، ولأن مصر في تطور مستمر (والتطور قد يكون إلى الأمام أو الوراء) ، فقد جاء أدب إحسان صورة قوية وصادقة ومعبرة عن هذا التطور في كل حالاته وجوانبه ، السلبي منها والايجـابي ، المظلم والمضـيء ، الطيب والخبيث على السواء .

ومن هنا فإن بعض قصصه ، أو رواياته ، تمثل مرحلة انتهت ، أو حالة اجتماعية اقتضتهما ظروف معينة ، وكان على وعى بذلك ، فهو يقرر صراحة أن قصته "القضية نائمة في سيارة كاديلاك" ترمز إلى حالة سياسية اجتماعية معينة أحاطت بقضية فلسطين قبل حرب ١٩٦٧ ، وتصور حالة الحيرة والضياع التي كان الشباب الفلسطيني يعانيهما ، وموقف بعض الدول العربية التي كان الشباب الفلسطيني يلجأ إليها ويخدع فيها ، وقد تطور الوضع وتغير الواقع ، ولكن القصة بقيت في أدب إحسان تمثل مرحلة في تاريخ القضية الفلسطينية .

كانت أحداث اللحظة تفرض نفسها على خياله ووجدانه ، ففي أوائل عام ١٩٦٧ راودت عقله فكرة قصة جديدة هي "دمى ودموعى وابتسامتي" ، تصور عالم التجارة الـلا أخلاقي ، وتتحرك أحداثها بين أب من رجال المال ، يقوم بأعمال مختلفة ، من تصدير واستيراد ، وسمسرة بيع وشراء أحيانا ، ووكيلا لشركة أو لأحد الأثرياء ، وله مكتب صغير متواضع ، ولا يرى مانعا لكي ينمى ثروته ، ويزيد في ثرائه ، أن يغض الطرف عن مداعبات صديقه اللبناني لابنته ، ولا يرى هذا بأسا أن يزوجها لابن اخيه اسما ، ونيابة عنه ، على أن يكون هو الزوج واقعا ، أي العشيق ، ولا يرى ابن الأخ فيما صنع عمه باسمه ما يعيب ، وأعدها لتنشر مسلسلة في جريدة أخبار اليوم مع بداية عام ١٩٦٨ .

● ابداع الكاتب ●

ووقعت حرب يونية فانفعل بالموقف السياسي ، وأزاح القصة جانبا ، وتفرغ للمقال السياسي كلية ، وبعد الهزيمة كتب ثلاث قصص قصيرة تصور مناخ المجتمع الذي أدى إليها ، ثم توقف نهائيا عن كتابة القصة والرواية في تلك الفترة ، لأنه لم يكن قادرا على الافلات من الانفعال بالموقف السياسي والعسكري من جانب ، ولم يكن راغبا في أن يشد الناس بعيدا عن هذا الموقف إلى قصة عاطفية من جانب آخر ، ولم يكن راغبا في الوقت نفسه أن يصدمهم بقصص أو روايات تصور واقع الهزيمة .

لقد كان فنانا وطنيا حقا ، يدرك واعيا ، وبدقة ، الفرق بين أن تصور الفساد ونواحى القصور محتجا ، وأن تكشف عن الخلل في أجهزة الدولة ، وتعرية الفساد في مختلف

البيئات ، وبين أن يتحول القلم في يدك إلى مثبط ومحبط وداعية هزيمة ، وكان الموقف دقيقا ، ولم تكن حالته النفسية تسمح له أن يكتب أية رواية عاطفية ، لأنه عندما يكتب قصة ينفعل بها ، ويعيشها أحيانا ، أكثر مما ينفعل بها القارئ أو يعيشها ، والأدب الحق ليس إلا تعبيرا عن تجربة يمر بها الأديب .

بدأ إحسان حياته أديبا خلال الحرب العالمية الثانية ، يكتب القصة القصيرة في البداية ، ثم الرواية مع انتهائها ، ومن شأن الحروب أن تذيب ترهل الشعوب ، وأن تحدث انقلابا في الأخلاق والأذواق والأمزجة ، ومع أن مصر لم تشارك في هذه الحرب عسكريا ، لكن معاناتها وبخاصة في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لم تكن هينة ، فتدفق عليها مئات الآلاف من الجنود الأجانب من كل الجنسيات ، وعرفت السوق السوداء ، والتهريب ، والرقيق الأبيض ، والرشوة ، وتوزيع الأطعمة والملابس بالبطاقات على أوسع نطاق ، وتطلب ذلك كله أدبا جديدا يصور هذا الواقع من خلال اللحظة الآنية ، دون تحايل بالعودة إلى التاريخ أو التحدث عن الماضي .

وكان ذلك أحد معالم الرواية عند إحسان ، فهو يكتب لعصره ، ولا يفكر فيما سبق ، أو فيما سيجيء بعد ، وإنما يصور أحداثا رآها فعلا ، ووقائع عاشها ، وأبطالا شاهدهم ، وتعامل معهم ، وتشعر في بعض قصصه ، رغم التخفي ، أنها تمثل تجربة ذاتية حقا ، خبرها الكاتب فعلا ، وكان بطلها واقعا .

إجمالا نلحظ أن رحلة الفن مع إحسان مرت بأطوار ثلاثة ، ومع أن الحدود الفاصلة في عالم الفكر ليست دقيقة ولا صارمة ، إلا أننا نحكم من خلال غلبة طابع معين على إبداعه

إحسان في دمشق يشارك في الاحتفال بعيد الوحدة ..






في كل طور ، وكان الطور الأول منها متجها إلى كتابة الرواية السينمائية .

في عام ١٩٤٢ تخرج إحسان من كلية الحقوق ، وكان في البداية ، كأي شاب في مثل سنه وظروفه ، حائرا بين اتجاهات مختلفة لا يدري في أيها يسير ، ومع أيها يحقق أحلامه في المجد والشهرة ، وربما الثروة أيضا ، وكان قد بدأ عمله في الصحافة طالبا ، مخبرا ومحررا ، في دار الهلال ، وآخر ساعة ، والمصري ، والأهرام ، والجرنال دي إيجبت ، والزمان ، وعمل حتى مدير مطبعة ، ثم محاميا محترفا لمدة عامين .

وفي هذا الطور من حياته بدأ يكتب القصة السينمائية وكانت السينما في العقد الخامس من هذا القرن من الصناعات الناجحة في مصر ، وتلي صناعة النسيج في الأهمية والأرباح ، وكتب قصتين اشترتهما منه الفنانة عزيزة أمير بمبلغ مائة وستين جنيها ، وهو مبلغ كبير بمستوى تلك الأيام ولكنهما لم تريا النور أبدا ، وبعدهما ادار ظهره لهذه المحاولة وحتى لمهنة المحاماة .

عدل عن الكتابة للسينما بدءا ، وحتى عن المشاركة في كتابة حوار رواياته التي أخذتها السينما فيما بعد ، لأنه وجد العمل السينمائي جماعيا ، يشارك فيه كثيرون : المؤلف والمخرج والمصور وكاتب الحوار والممثل والممثلة ، والمنتج أخيرا ، وهو صاحب القول الفصل ، وكان إحسان يفضل أن يعيش فردا حرا عندما يكتب رواية أو قصة ، ويفضل أن يقدمها عملا أدبيا مستقلا .

وفي تلك الأيام كانت الكتابة المسرحية مزدهرة ، ويحكمها اتجاهان مختلفان ، فهناك الكاتب الذي يعني بالحوار ويتجه إلى القارىء والمشاهد معا ، وهو ما يتطلب تقنية عبقرية لا تستطيعها إلا قلة نادرة ، وهناك الكاتب المسرحي الذي يتجه إلى المشاهد ويكتب له وحده ، ليرى ما يكتبه منفذا على خشبة المسرح ، حيث يسهم الصوت والمناظر والملابس والموسيقا ، وحتى الاشارة ، في ترجمة ما يقول ، وهو لا يعير القارىء اهتماما ، ويعي أن مسرحيته تعيش حين تمثل ، وتموت خارج أبواب المسرح ، وهو اتجاه كان يشمل جل من يكتبون للمسرح في تلك الأيام وحتى وقتنا ، وكان توفيق الحكيم الوحيد من بين كتاب المسرح النثري الذي حرص على القارىء أولا ، فكتب مسرحه حوارا خالدا ، حتى لو خالف قواعد الاخراج .

وعرف إحسان بذكائه أن هذا يمكن أن يقع في مجال الرواية ، فكتب لها روايات «لايراعي فيها الأسلوب والسياق الأدبي المعد للقراءة ، وإنما هي قصص تعتمد أساسا على تحديد مجال الصورة السينمائية التي تبدو على الشاشة ، فلا تتطلب مثلا تحليل شخصية البطل أو البطلة تحليلا دقيقا بالقلم ، وإنما يترك ذلك لكاتب الحوار ، وللمصور ، ولأداء الممثل .. لأن الفرق كبير بين الانتاج الأدبي والانتاج السينمائي » .

فالأول عمل فردي يقوم به الكاتب وحده ويعتمد على تحريك خيال القارىء وإطلاق حريته ، والثاني عمل جماعي يشارك فيه كثيرون ، ويعتمد على جذب خيال المشاهد وحصره في صورة محددة ، ومن هنا كانت قصص إحسان السينمائية لا تتجه إلى القارىء ، وغير معدة للنشر ، ولكن إحسان وافق فيما بعد على نشر هذه الروايات السينمائية ، ولم تحقق نجاحا عاليا ، حتى ينفض عن نفسه الاتهام بأنه توقف عن كتابة الرواية في فترة توقض فيها عن نشر إبداعه الأدبي الذي يتجه به إلى القارىء مباشرة ،

وكانت أيضا دعوة منه لأن يتسع أدبنا العربى لما يمكن أن ندعوه الأدب السينمائى ، يقف على قدميه بجوار الأدب المسرحى .

على أن بعض الروايات التى كتبها للسينما بدءا تغلبت عليه فيها هواية الأديب ، فجاءت كأنها للقراءة لا للسينما ، اعتمادا على أن كاتب الحوار سوف يحيل النص الأدبى إلى صور مرئية .

فى الطور الثانى اتجه إلى الرواية العاطفية ، وكانت بدايته «النظارة السوداء» ، ونشرت للمرة الأولى عام ١٩٤٩ ، وتمثله كاتبا شابا جريئا مندفعا ، لا يشك ولايناقش ، وإنما يريد ، ويملى إرادته دون أن يهمه شىء ، أو يحسب لأحد حسابا ، أو يشعر بأنه مسئول عن تفسير إرادته ، وقد أحس هو فيما بعد أنه كان جامحا بأكثر مما تتطلبه اللحظة يومها ، فحاول أن يعود إلى الرواية ثانية ، وأن يصوغها من جديد فى قالب ربما أكثر رزانة ووقارا ، ويعكس اتزان الرجولة ونضج العقل ، ثم بدا له أنه فى مثل هذه الحالة يكتب شيئا جديدا مختلفا ، ففضل أن يتركها كما هى ، تحمل طابع بداية شبابه ، بكل ما فيها من تهور واندفاع .

ثم تلتها رواية «أنا حرة» ، ونشرت عام ١٩٥٢ ، وأثارت لغطا شديدا حولها ، لما اتسمت به من جرأة فى التصوير والتعبير ، ولكن إحسان لم يعر هذه الضجة التفاتا ومضى فى طريقه ، فليس هناك فنان يمكن أن يقصر إبداعه على جانب واحد ، لأن العاطفة ، والفن تعبير عنهما ، يمكن أن تتعاورهما كل الأحاسيس ، من حب وغضب وكبرياء وخير وشر ، وأشجع الرجال تراوده لحظات من التردد وحتى الجبن ، وأعظم الوطنيين قد تطوف برؤاه أشباح اليأس ، وحتى التفكير فى الخيانة ، عندما يحاصره اليأس أو الاحباط ، أو المغريات المبهرة التى يتراجع بإزائها كبرياء الضمير .

وأعظم الشعراء تغنيا بالحب هم أصلبهم فى النضال ، وأثبتهم عند اللقاء ، كذلك كان



أنا حرة .. تحقيق روائى
.. لم تحقيق سينمائى

المتنبى وأبو فراس الحمدانى ، ومحمد مهدى الجواهر ، وبابلو نيرودا الشيلى ، الحائز على جائزة نوبل ، وربما لهذا السبب اخترت عنوانا لكتابى عنه : «شاعر الحب والنضال» .

روايات هذا الاتجاه تتخذ مما يدور بين الرجل والمرأة إطارا عاما ، وتشغل هذه العلاقة حيزا كبيرا من بناء الرواية ، ويقف متأنيا أمام تصوير دقائق هذه العلاقة فى شتى جوانبها ، ولكننا نظلمه أشد الظلم إذا قلنا عن هذه الروايات إنها وقف على هذا الجانب وحده ، فالحق أنه يصور من خلالها قطاعات متعددة من المجتمع فى حركته اليومية المتغيرة ، فى دنيا السياسة أو الصفقات أو العلاقات الاجتماعية ، الشاذة والسوية على السواء ، ففى رواية «النظارة السوداء» ، وهى نموذج لروايات هذه الفترة ، نجد صورة دقيقة لعالم المتمصرين فى مصر ، جاءوا من كل بقاع الدنيا ، يعيشون فيها ، ويطعمون خيرها ، وليسوا منها ، ولا يتحملون من همومها شيئا .

أكد هذا الاتجاه عند إحسان ، وشجعه على المضى فيه إقبال القراء عليه ، وأن الفترة التى كتب فيها ، كانت مهيأة له أحداثا ومزاجا ، فقد



خرجت مصر من الحرب العالمية الثانية ، فاقدة توازنها الاجتماعى ، وانهارت فيها قيم كثيرة ، تحت وطأة الغلاء ، والأحكام العرفية ، والظلام المادى والمعنوى ، ومئات الألوف من الجنود ، من كل أنحاء المعمورة ، انتزعوا من بيوتهم ليقاتلوا لغير قضيتهم ، ويدافعوا عن غير وطنهم ، ولا يعرفون إن كانوا سيعودون إلى بيوتهم يوما أو يموتون مجهولين ، فأطلق هذا الاحساس غرائزهم المكبوتة ، ومضوا يسكرون ويعربدون ويسرقون ويبحثون عن المرأة أنثى بأى ثمن .

وفى مثل هذا الجو راجت سوق القوادة الظاهرة والخفية ، يقوم بها سفلة يبحثون عن الرزق أو الثروة ، وآخرون من طبقات غير محتاجة ، تحت شعارات براقة ، من الترفيه عن الجنود ، إلى حفلات الرقص للضباط ، وعلى الجانب الآخر كان هناك آلاف المجندات من الجيوش الحليفة ، يجتاح داخلهن نفس المشاعر التى تملأ داخل الجنود ، فهن يعملن فى الحرب ، ولكنهن أيضا يبحثن عن المتعة والاسترخاء عند من يعرفن ومن لا يعرفن ، ومن يريح أعصابهن من كابوس الدماء والقتلى ، وفى مثل هذا الجو ساد شعار : «فى أيام الحروب يجب التجاوز عن مبادىء الأخلاق » .

والحق أن الأمر لم يكن وقفا على مصر وحدها .

ولم يختف هذا الاتجاه فى روايات إحسان ، وظلت المرأة فيه واضحة على الدوام ، ولكن التفاصيل الدقيقة والمثيرة سوف تقل ، أو تختفى ، وتحل مكانها اهتمامات وأفكار من لون آخر .

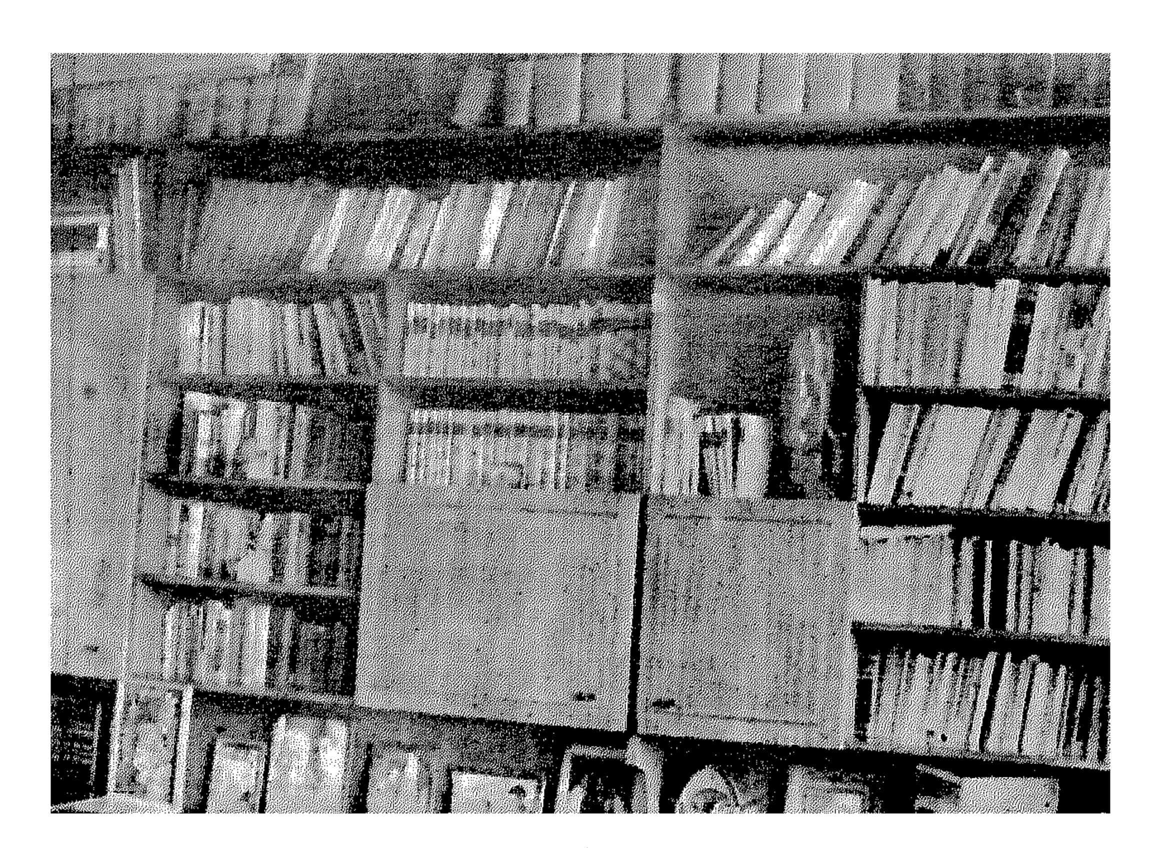
ظل الاناء من المادة نفسها ، ولكن السائل داخلها تغير لونا وتكوينا .

وجاء الطور الثالث فى أدب إحسان مع الثورة نفسها ، ولم يكن ذلك صدفة ، فقد لعب إحسان كاتبا سياسيا دورا عظيما فى التمهيد لها .

لقد وقع عليه اختيار الضباط الأحرار ليكون لسانهم فى فضح المآسى التى صحبت هزيمة العرب الأولى فى حرب فلسطين ، ومن بينهم مصر ، وحمل إحسان الرسالة فى شجاعة منقطعة النظير ، فقد كان يواجه القصر ، والمستعمر ، وحكومة الأقلية ، وكانت فرقة الحرس الحديدى قد تكونت لتغتال كل من يقف فى طريق الملك ، (وكان الضابط أنور السادات أحد أفرادها) ، واغتالت الضابط طه عبدالقادر فعلا ، ومع ذلك أقدم ، ووقف قلمه على فضح الفساد فى الطبقة العليا والحاكمة ، ويومها كانت روز اليوسف التى يكتب فيها أروج المجلات انتشارا ، وتباع بضعف ثمنها فى بعض الأحيان .

وخلال أيام النضال هذه شغل بالمقالات السياسية ، وقامت الثورة ونجحت ، ولم يكن موقف إحسان تأييدا على طول الخط ، ولا معارضة دائمة ، وأصابه مس من شظاياها ، فاعتقل ولوحق ، ولكنه ثبت .

وكان عليه فى المجال الأدبى أن يواجه حملة شديدة ، ونقدا قاسيا ، غير مبرر فى اغلبه ، تحاملا من أناس ضاقوا بنجاحه الأدبى وحسدوه عليه ، لروايته «أنا حرة » ، وقيل يومها إن إحسان لا يصلح لغير هذا اللون من الكتابة ولا يستطيع أن يتجاوزه ، وكان عليه أن يرد على هذا التحدى ، وواتته الفرصة مع حرب ١٩٥٦ ، فكتب روايته «لا تطفىء الشمس » من وحى معركة بورسعيد ، ثم كتب قصة «البحث عن ضابط» لتكون فيلما سينمائيا يسجل المعركة ، ولكن القصة



فى مكتبة إحسان وثائق بلغة الأهمية

ضاعت ، والفيلم لم ينتج ، فأعاد نشرها فى مجموعته «عمى ودموعى وابتساماتى» .

ومن هذه اللحظة تواكبت القضايا الاجتماعية والسياسية فى إبداعه ، ولم تعد المرأة وقضاياها محورها الوحيد ، فجاءت روايته «فى بيتنا رجل» ، ونشرها عام ١٩٥٦ ، وهى تصوير لاغتيال أمين عثمان باشا ، بيد حسين توفيق ورفاقه ، والفوران السياسى الذى كانت تشهده مصر ، ومع أن الرواية ارتبطت بحادث معين ، لأن كثيرا من مشاهدها لا تزال حية بيننا ، تتكرر كل يوم ، وبحسبنا الفصل الخامس منها مثلا .

فى هذا الفصل يصف المؤلف تفتيش البوليس لمنزل الأسرة ، ويقدم تفصيلات إنسانية دقيقة لما قاموا به ، ووحشية رجال الشرطة وفظاظتهم ، ولا تستطيع أن تنهى قراءته دون شعور بالاشمئزاز والحزن ، وأن تطل الدموع من عينيك ، وأنت تشهد حرمة هذه الأسرة الوادعة تنتهك وتمتهن وتستذل ، كما تستذل كثير من الحرمات فى بلادنا .

ومع الزمن والتطورات المفاجئة والمتواصلة سوف تشغل القضايا الاجتماعية والسياسية فكر إحسان ، وتحتل المساحة الأوسع فى إبداعه ، واستطاع عن طريق الرمز والاسقاط أن يكتب مالم يستطعه غيره ، عن الطبقة الجديدة ، والصفقات المريبة ، وفساد ضباط الثورة ، والعفن الذى تفشى فى غيبة الحرية والديمقراطية ، وعن شيوخ البترول والمال وشيخاته ، واليهود وطرائقهم فى التسلط والتجسس ، وغيرها .

● إحسان وتاريخ مصر ●

وفى رأيى فإن هذه المرحلة ، تضم أروع ما كتب إحسان ، وتمثل وثيقة بالغة الأهمية فى تاريخ مصر المعاصر .

يتخذ إحسان من الطبقة البرجوازية مجالا لابداعه ، ففيها يجد بغيته ، الخيرين والأشرار ، وعندها تلتقى بقية الطبقات ،





صعودا إلى العليا أو هبوطا إلى الدنيا : تاجر منيفاتورة من الموسكى ، راقصة فى ملهى ، مدير شركة ، رجل أعمال ، سيدة صالون ، تلاميذ فى المرحلة الثانوية ، أو الجامعية ، جادون ومتميزون وفقراء ، ومعظم فتياته سمراوات ومراهقات ما بين الثالثة عشرة والعشرين ، وقد تكون البطلة أجنبية تقيم فى مصر ولا تعرف العربية ، أو سائحة التقى بها صدفة .

ومعظم أحياء القاهرة تتوارد فى رواياته ، العباسية والدقى والمعادى ومصر الجديدة والروضة ، وفازت شبرا بالنصيب الأوفر ، فقد كانت فى الأربعينيات حى الطبقة الوسطى المتماسكة ، والطبقة البرجوازية الصاعدة ، وفى شوارعه تتراقص أجمل الفتيات ، وفى الصيف يتخذ من شواطىء الاسكندرية الراقية مسرحا : المعمورة ، المنتزه ، سيدى بشر وغيرها .

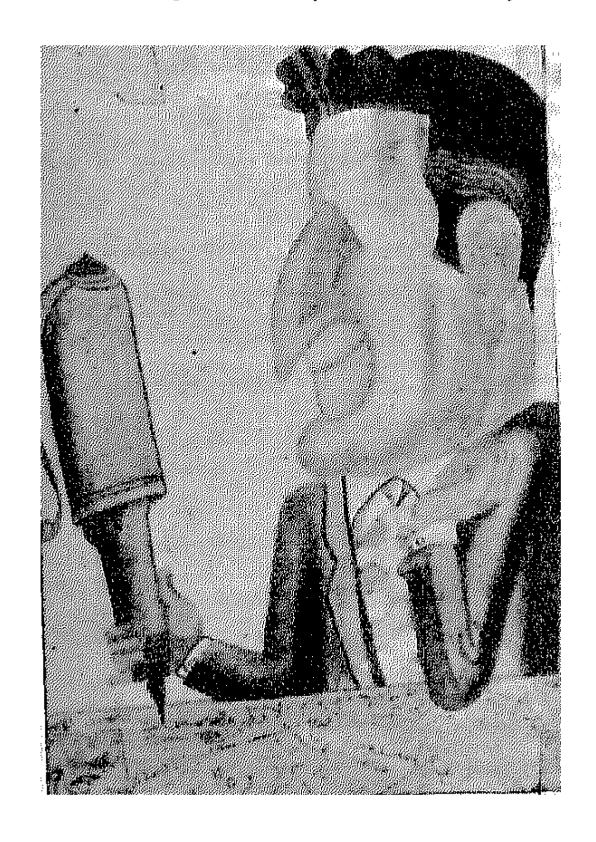
وقد يرحل إلى خارج مصر : بيروت فى لبنان ، وإذن فهناك شارع الحمراء الشهير ، أو إلى المغرب أو الكويت ، أو إلى بلد أوربى : باريس أو روما ، أو كابرى ، أو فيينا ، وغيرها كثير .

وعبر التصوير تمر بك أسماء شوارع عديدة ، لا يخطىء فى وصفها ، فحارة درب اللبانة فى القلعة يسكنها كثير من الفنانين البوهميين وأصحاب المذاهب المتطرفة الذين تطاردهم الشرطة ، ومن يؤرخ للقاهرة يوما فى تطورها المعمارى وشوارعها وجغرافيتها ، سوف يجد الكثير المفيد فى روايات إحسان وقصصه ، وهو دقيق للغاية فيما يقدم من معلومات المتصلة بحركة الأسر الاجتماعية صعودا وهبوطا ، تبعا لارتفاع أسهم الحى أو هبوطه فى التمايز الطبقى .

واسم البطل يتفق مع بيئته وطبقته ، ولكل مجتمع أسماؤه الشائعة بين أفراده ، فالشاب الفلسطينى غسان ، والعربية زين ، والتلاميذ المصريون : علاء ، وأمينة ، وإبراهيم ، وسها ، وأما عتاة المجرمين فى سجن أبو زعبل فهم : الوحش والعتر وعبدالله وحمدان . ومن الأجانب : جينى ، ولوتى ، وتشارلى ، وهانز ، وجان ، وغيرهم كثير .

وهو فى كل مكان من مئات الامكنة التى اتخذ منها مسرحا لأبطاله خبير به ، يعرف ادق تفاصيله ، وأساليب التعامل فيه ومستوى الطبقة الاجتماعية التى تتردد عليه ، واللغة التى تتكلمها ، عربية خالصة ، ذات مستوى

إحسـان .. القلم لايزال فى يدىّ ..



فصيح أو تغلب عليها لهجة عامية ، واللهجات عديدة ومتنوعة ، وقد تشوبها لكنة اجنبية ليست واحدة دائما ، ألفاظ فرنسية او إنجليزية أو إيطالية أو حتى يونانية ، ونسبتها تختلف حسب شخصية المتكلم بها وبيئته .

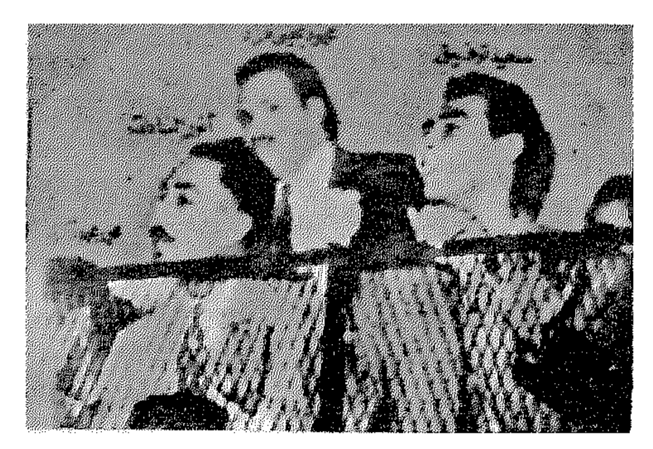
ليس لاحسان تقنية محددة فيما يكتب من قصة او رواية ، قد تجيء فى شكل تقرير صحفى كما فى «فنجان قهوة فوق حلة ملوخية » ، أو يستخدم تيار الوعى بطريقة ساذجة كما فى «القط أصله اسد » ، وقد تجيء فى ضمير المتكلم او الغائب ، أو فى شكل اعترافات ، أو شكل رسالة او رسائل موجهة الى البطل ، كما فى «سيدة صالون » .

وهو يكتب الرواية ، والرواية القصيرة ، والخطوط الفاصلة عنده بين هذه الأخيرة وبين القصة غير واضحة تماما ، وقد تقصر الرواية القصيرة عنده حجما حتى تصبح قصة من ناحية الشكل ، ولكن امتداد الزمن ، وتعدد الامكنة ، وتنوع الأحداث ، يجعلها اقرب إلى الرواية القصيرة كما فى «الله محبة » و «كل النساء » ، وربما لهذا السبب ضمها فى مجموعة إلى روايته «الوسادة الخالية »

وقد تجيء القصة عنده وصفا خالصا يتخلله حوار قصير ، كما فى «عمرنا اربع ساعات » أو مزيجا من الحوار والوصف كما فى «الله محبة » ، أو حوارا خالصا كما فى «كل النساء » .

ويختلف الحوار من قصة إلى اخرى ، يجيء أحيانا قصيرا متوترا جذابا ، وقد يطول كما فى «الله محبة » ، فيأخذ شكل خطبة بليغة ، ويفقد ديناميكيته وتوتره ، ودوره فى الامساك باهتمام القارىء وإثارته .

وهو يفجر الأحاسيس المضطربة فى أعماق أبطاله ، وهم متوترون نفسيا ، ومن ثم فهو يهتم بتحليل كيانهم مستفيدا من منجزات علم النفس محاولا أن يقدم التبريرات الكافية لتفسير سلوكهم ، غير أن عمله الصحفى ترك بصماته واضحة فى هذا الجانب ، فجاء



قضية امين عثمان .. هل حولها احسان الى رواية ؟

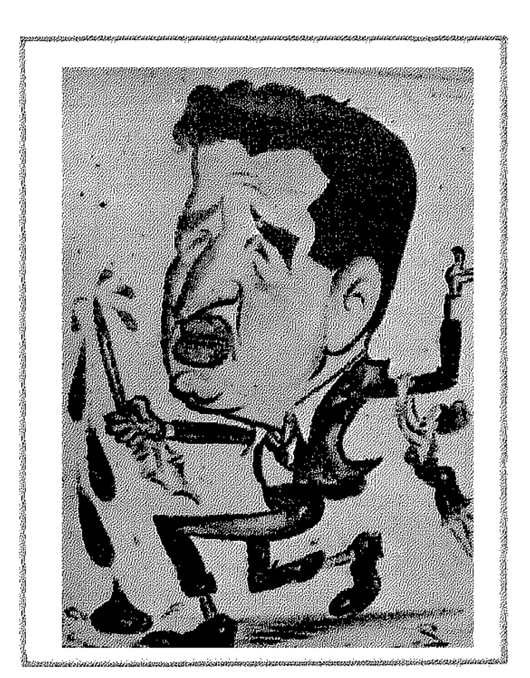
تحليله ، فى المرحلة الأولى والثانية بخاصة ، سريعا متعجلا ، كما لو كان مجموعة من التقارير .

ويكتب إحسان بلغة عربية عصرية سلسلة بدأها صحفيا ، وانتهى بها اديبا مصورا ، إلا أنه حرص على أن تجيء اللغة صورة من حديث الطبقة التى يصورها ، ومن هنا كثرت الألفاظ الأجنبية المتناثرة فى رواياته ، ما اتصل منها بأسماء الأثاث والطعام والملابس والاسطوانات الموسيقية ، وأنواع الرقص وغيرها .

وقد درج فى البدء على أن يكتب الحوار باللهجة العامية ، والوصف بالفصحى ، ثم وقعت فى يده رواية عراقية تتبع هذا النهج ، فلم يفهم من العامية العراقية شيئا ، ومن يومها ادرك خطأ هذا الاتجاه وبدأ يحرص على أن تكون روايته كلها بالفصحى حوارا ووصفا .

وكانت صورة عادية بسيطة ، فى جلها تشبيهات ، انتزع مادتها مما حوله ، وليس فيها أثر لمخزون تراثى ، وكان يكفيه أن يمد خياله إلى حياته نفسها فى حركتها وعمقها ، لتمده بما يريد ، ولذلك تجيء الصورة أحيانا دون ما يتمنى الناقد .

وخلاصة ما يمكن أن يقال فى أدبه ، أنه صورة مصر ، رسمها مصور باهر ، وفى قدرة فائقة ، للفترة ما بين عام ١٩٣٨ و ١٩٨٩ من حياتها .







● كان احسان عبد القدوس يكشف عن ذاته ويتحدث عن نفسه بشيء من الحياء والتواضع ولكن بصراحة وبلا محاولة لاخفاء شيء .. وفيما يلي مقتطفات من كتاباته ، يرسم بها لنفسه صورة دقيقة .

عانيت كثيرا من اسمي ..

ففي فترة طفولتي كنت كلما تشاجرت مع الاولاد في الشارع يجرون ورائي وهم يرددون "البنوته اهو .. البنوته اهو" لماذا ؟ لان اسمي احسان .. واحسان اسم يطلق على البنات ولهذا كنت دائما وانا صغير اسأل والدي ووالدتي :

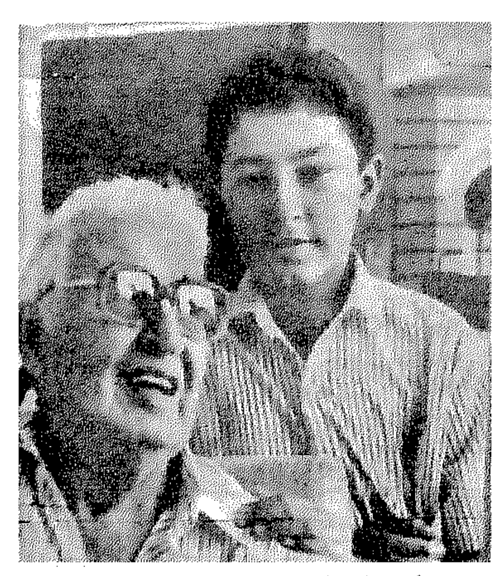
ـ انتو ليه سمتوني احسان ؟!

كانت والدتي ، روز اليوسف ، تقول لي : ان السبب في تسميتك باسم احسان هو انها اثناء الولادة وقفت بجانبها صديقتها الممثلة احسان كامل ، فاطلقت اسمها "احسان" على اول ابنائها .

لكن والدي يحكي لي قصة اخرى سبب تسميتي ، وكان يقول ان جدتي كانت تركية



فاطمة اليوسف



احسان الجد .. ومحمد الحفيد

.. واسم احسان فى تركيا يطلق على الاولاد . احسان مذكر لا مؤنث فى تركيا وجدتى هى التى اختارت لى اسم احسان

والدى ووالدتى كل منهما يريد ان يخفف على نفسى وقع اختيار اسم احسان .

لكننى فى الحقيقة اكثر اقتناعا بكلام والدتى من والدى لانه كان يحبنى جدا . ولهذا اراد ان يبرر لى اختيار الاسم ، ويخفف الصدمة نفسيا جدا من اختيار اسمى لدرجة اننى عندما بدأت الكتابة ونشرت اسمى فى الصحف والمجلات ، فوجئت برسائل كتب عليها الانسة احسان عبد القدوس .

رغم كل هذا فاننى استطعت ان افرض اسمى كرجل فلدى الاحساس دوما اننى ولدت مشهورا فكلما ذهبت الى مكان يشار على احسان . ابن روزاليوسف ومحمد عبد القدوس . لذا لم تكن الشهرة شيئا ذابال فى بداية حياتى . فابى محمد عبد القدوس هو اكبر شخص فى حياتى فلقد تأثرت به كثيرا من الناحية الفنية كان يجلس فى البيت يكتب القصص والازجال والاشعار وكتب قصة اسمها "احسان بيه" وتحولت الى فيلم سينمائى وكان ثانى فيلم مصرى بعنوان "بنت النيل" .. ولهذا فاننى دائما ما اقرب الواقع الذى اعيش فيه بخيالى .. فقد كنت اسير فى الصحراء التى كانت فى الناحية الشرقية من العباسية أسير وحيداً تنتابنى نوازع ومشاعر متباينة ، واخلو بنفسى واسرح واظل ابكى .. ولا اعرف لماذا ابكى

ليست هناك اسباب وانما هى نوازع طبعا كنت اقدر والدى . وكان والدى يكتب واجلس انا فى مواجهته واكتب أنا الآخر كتبت شعرا منثورا وزجلا ، وشعرا وقصصا . وكتبت اول مسرحية فى حياتى وعمرى عشر سنوات .. مقلدا والدى الذى كان يكتب مسرحيات .

● تعلمت العناد من أمى

هذا عن ابى .. فماذا عن امى . فانا لاادرى كيف استطاعت ان تحملنى السيدة فاطمة اليوسف تسعة اشهر وهى واقفة على خشبة المسرح تعتصر الفن من دمها واعصابها لتكون يومها اعظم ممثلة فى الشرق ولا ادرى كيف استطاعت ان تطرد عنى الموت الذى




طاف بى مرات خلال طفولتى وصباى فى حين انها كانت دائما بعيدة عنى تسعى فى طريق مجدها .

ولا ادرى كيف استطاعت ان تنشئنى هذه النشأة وان تغرس فىّ هذه المبادىء وهذا العناد وان تقودنى كطفل وكشاب فى مدارج النجاح فى حين انى لم التق بها ابدا إلا وفى رأسها مشروع ، وبين يديها عمل .

كيف استطاعت ان تجمع فى شخصها كل هذا .

واذا كانت قد استطاعته فكيف تستطيعه اية سيدة اخرى تريد ان تسعى سعيها .

انها لم تكن غنية يوم ولدتنى ويوم نشأت فى رعايتها ولا كان ابى غنيا فلم تكن لنا قدرة على استئجار مربية لتعهد بى اليها ولم تكن الحياة قد سهلت الى هذا الحد الذى نراه الآن لتيسير تربية الاطفال انما هى التى صنعتنى بيديها هى التى ارضعتنى وهى التى اعدت طعامى وهى التى بدلت ثيابى وهى التى قامت على مرضى ، وهى التى وضعتنى على فراشى وهى التى علمتنى كيف اخطو ، ولقنتنى كيف انطق .

صنعتنى بيديها كما صنعت مجدها بيديها كل يوم من ايام هذا المجد وكل حرف فيه ، وكل خطوة من خطواتها هى وحدها صاحبة الفضل فيه وليس لاحد فضل عليها .

هى التى التقطت دروس الفن ، وجعلت من نفسها سارة برنار الشرق ، كما اطلق عليها نقاد ذلك الجيل .

كنت احيانا اضع نفسى بعيدا عنها واجرد نفسى من عاطفتى نحوها ثم احاول ان ادرسها كما يدرسها اى غريب عنها ، علنى اجد مفتاحا لشخصيتها وعلنى اخرج من دراستى بقاعدة عامة لحياتها اطبقها على بنات جنسها . ولكن كنت اخرج دائما بمجموعة من المتناقضات لايمكن ان تجتمع فى انسان واحد . انها هادئة رقيقة تكاد تذوب رقة يحمر وجهها خجلا اذا ما سمعت كلمة ثناء ، ويكاد صوتها الناعم الخفيض الرفيع المنغم يشبه صوت فتاة فى الرابعة عشرة من عمرها . وهى تفضل العزلة ولها دنيا خاصة تعيش فيها . وليس لها كثير من الاصدقاء والخصوصيين رجالا او نساء ، واغلب من يعرفونها لاتعرفهم وهى تكره المجتمعات وتكره ان تقيم فى بيتها حفلا او مأدبة بل انها فى بعدها عن الناس يفوتها كثير من المجاملات ، حتى المجاملات التى يتطلبها العمل وهى بعد كل هذا قلب طيب ينشر الحب والسلام حوله . حتى تبدو ساذجة تستطيع ان تضحك عليها بكلمة ويد سخية تعطى باستمرار وتأبى ان تأخذ نظير ما تعطى .

اما الشخص الثالث الذى له شىء فى صدرى فهو جدى الشيخ احمد رضوان الذى نشأت فى بيته كان من رجال القضاء الشرعى ومن خريجى الازهر وكان متدينا له حجرة صغيرة داخل المنزل مليئة بالكتب الدينية اطلق عليها والدى المعبر خانه .

وقد رفضت فى بيت جدى امورا احذر كل شاب متدين منها وهى التقاليد التى تنسب الى الاسلام زورا وبهتانا خاصة فى مسألة المرأة وتحريم كل الحقوق الطبيعية عليها حتى الحق فى ان تطل من الشباك واعتبارها مجرد متعة للرجل وعلى العكس من كل ذلك كانت والدتى التى انفصلت عن والدى منذ وقت مبكر تتمتع بكافة حقوقها كامرأة وشاركت فى الحياة السياسية والعامة مشاركة فعالة . وقد ادى هذا التناقض بين الحياة فى بيت جدى وحياة والدتى الى ازمة نفسية عنيفة تعرضت لها فى شبابى المبكر الزمتنى الفراش ثلاثة شهور واوصانى والدى فى مرضى بقراءة القرآن الكريم بعناية .. وفعلا قرأته اكثر من مرة خلال

تلك الفترة .. ومن وقتها وانا اميل الى الاراء المجتهدة فى الدين .

عشت فى بيت جدى حتى سن الثامنة عشرة كانت "عمتى" هى التى ترعانى فى واقع الامر . وبدأت غرابة حياتى فى عمر مبكر . فعلاقة احساسى بأمى لابد ان تستوقفنى فقد كنت مرتبطا بها ، رغم انى لم اعش معها . كنت ازورها مرة كل اسبوع واعود فى آخر النهار الى بيت جدى كنتُ اتردد عليها فقط ولم انم يوما فى حضنها الا مرات قليلة تعد على اصابع اليدين ! ورغم هذا الارتباط كنت دائما فى معارك مستمرة معها . كانت حياتى مع عمتى هى التى تشعل فى نفسى الثورة عليها . ففى الوقت الذى كان محرما على عمتى ان تجالس رجلا من غير الاسرة كنت ارى امى جالسة بين عشرة رجال .. كالعقاد والتابعى وآخرين ..

كنت اتساءل ايهما على صواب امى ام عمتى ؟ وظل التساؤل يكبر معى حتى صار "حيرة" واعترف ان هذه الحيرة مزقتنى فى وقت من الاوقات .. وانتصبت العقد فى طريقى كالمتاريس ! وحاولت الانتصار على العقدة" فكانت ثورتى اننى ثائر على وضع امى . وثائرا ايضا على وضع عمتى اننى احبهما ولكن اسلوب حياة كل منهما ليس كل الصواب بل بدأت فى العمر المبكر اكتشف ان الوضعين خطأ

● ابن الست .. رجل

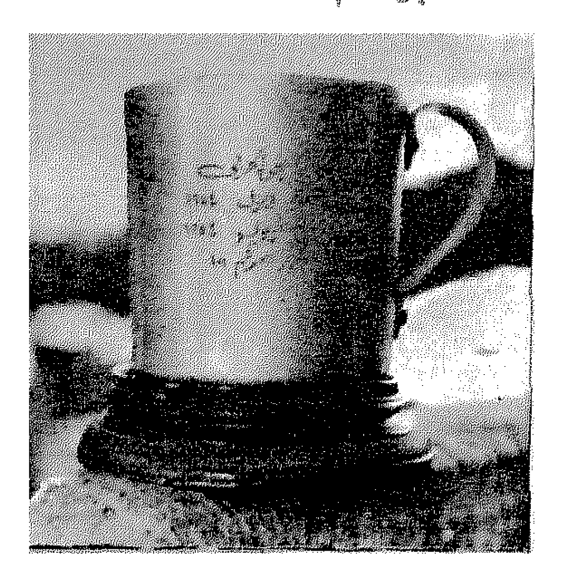
كانوا ينادونى ويقدمونى للجميع ابن "روزاليوسف" فانا منتسب لامى كنت اتساءل بينى وبين نفسى : لماذا انا فقط انتسب الى امى واصدقائى ينتسبون لابائهم ؟ ! فلا احد من الاولاد فى العباسية ابن سنية هانم او خديجة هانم وكانت هذه عقدة اعانى منها !

وبدأت التفكير فى المرأة وانا لم اصل حتى لسن البلوغ .. بدأت افكر ، لماذا انتسب لابائنا دون امهاتنا . ولماذا انتسب انا لامى .

فاطمة اليوسف .. وزوجها ..



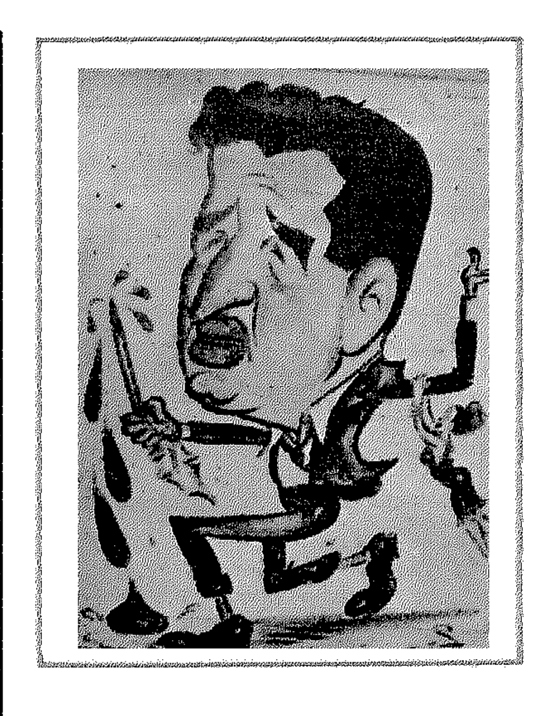
من هذا الكوب شربت كثيرا فى السجن عام ١٩٥٤ .. احسان

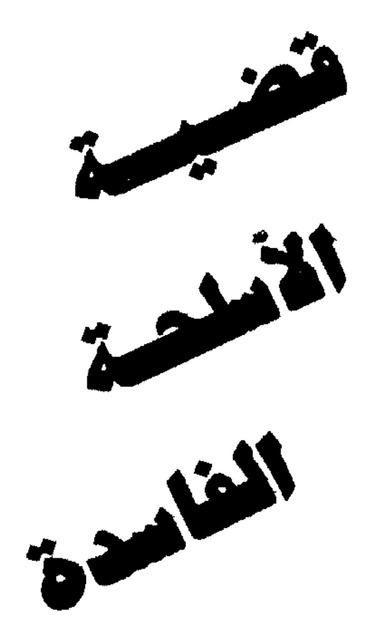


ومن هو هذا الكائن الغريب المسمى المرأة وفيم يختلف عن الرجل ؟ هل هو مخلوق آخر من يكون اذن من هما ؟

ومازلت حتى الآن ، احاول ان اجيب على التساؤلات . ربما دفعنى هذا لاعتبار المرأة عندى ، كائن مستقل يشغل بالى ، ويستفز فكرى .

ربما !





أثارت قضية الاسلحة الفاسدة اهتمام الرأى العام المصرى فى اعقاب حرب فلسطين . وكانت لها مضاعفات قوية ساعدت على انهيار النظام القائم فى مصر . واقترنت الضجة التى صاحبت هذه القضية باسم الصحفى الراحل احسان عبدالقدوس الذى نشر مقالات حادة فى مجلة روزاليوسف كان لها صدى واسع النطاق فى الرأى العام المصرى الذى تكشفت له الهزيمة التى حلت بالقوات المسلحة المصرية والتى حار فى تفسير اسبابها بعد أن لم يقتنع بالتبريرات التى قدمت له عنها .

●●●

بقلم: د. أحمد عبدالرحيم مصطفى



مقال عن الأسلحة الفاسدة .. اقام محاكمات طويلة في القاهرة

وقد مست مقالات احسان عبدالقدوس الملك وحاشيته بوجه خاص كما مست كثيرا من الشخصيات الأخرى التى قيل انها حصلت على ارباح طائلة من توريد اسلحة فاسدة قيل أنها كانت السبب فى الهزيمة ولو أن هذه الهزيمة ، كما سنرى كانت نتيجة لأسباب اخرى سنعرض لها فى هذا السياق .

فبعد قرار تقسيم فلسطين الذى اصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ استعد اليهود للحرب ضد العرب الذين ابدوا رفضهم لقرار التقسيم . وسعى ممثلو اليهود لشراء الأسلحة والعتاد الحربى فى الولايات المتحدة واوربا الغربية وتشيكوسلوفاكيا وامكنهم تهريب كميات كبيرة منها إلى فلسطين قبل انتهاء الانتداب البريطانى فى الوقت الذى عبئوا فيه الرجال والنساء للخدمة العسكرية . كما بذلت الوكالة اليهودية جهودا ضخمة لتحصيل الأموال من يهود "الشتات" وامكن جمع مبالغ طائلة وبخاصة من يهود الولايات المتحدة . وفى اوائل مايو ١٩٤٨ كانت لدى وزير الدفاع الامريكى تقديرات عن قوة اليهود استخلص منها أن القوات اليهودية فى فلسطين كانت تتفوق على كل القوات العربية مجتمعة من حيث الرجال والتجهيز والتدريب . وبعد اندلاع الحرب بقليل قدم قسم المخابرات العسكرية الامريكية الى رئيس الأركان مذكرة قدرت قوات الجامعة العربية التى دخلت فلسطين بعد انتهاء الانتداب البريطانى او وقفت بالقرب من حدودها بحوالى ٢٠ الف مقاتل مضافا اليهم حوالى ١٣,٠٠٠ محارب فلسطينى . كما قدرت القوات اليهودية باربعين الفا يساندهم





حوالى ٥٠,٠٠٠ من الميلشيا . وخلال الهدنة عزز العرب قواتهم بنسبة الثلث فاوصلوا اعدادها إلى ٣٥,٠٠٠ مقاتل فى حين أوصل اليهود قواتهم إلى ٦٠,٠٠٠ مقاتل . وفى اواسط يونيه ١٩٤٨ قدرت هيئة الاركان الامريكية المشتركة الاحتياطى البشرى لدى الطرفين المتحاربين على الوجه التالى : الحد الاعلى لتعبئة اليهود : ١٨٥,٠٠٠ والعرب حوالى ١٤٠,٠٠٠ من الجنود الذى يمكنهم الاشتراك الفعلى فى القتال . وفى نوفمبر قدر الانجليز ان القوة الجوية اليهودية بلغت حوالى ١٥٠ ـ ١٦٠ طائرة حربية يقودها متطوعون أجانب .

والحق ان الدول العربية لم تكن حتى ١٥ مايو ١٩٤٨ تصدق ان الانجليز سينسحبون من فلسطين وبالتالى فإنها لم تعد العدة للحرب ولكن الزعماء العرب ضللتهم دعاياتهم الحماسية خاصة وأن بعضهم استهتروا بقوة اليهود واعتقدوا ان هزيمتهم ممكنة ولن يعدو القتال ان يكون نزهة حربية . وقد اصاب عبدالرحمن عزام ، الأمين العام للجامعة العربيـة ، كبد الحقيقة حين صرح للسفير البريطانى فى القاهرة فى أواخر إبريل ١٩٤٨ بأن الاستعدادات العسكرية التى كانت تتظاهر بها الدول العربية كانت تستهدف انقاذ الزعماء العرب من جماهيرهم ، ولهذا فإنه حاول عبثا ان يقنع الانجليز بالبقاء فى فلسطين فترة أخرى ـ وكان رئيس الوزراء المصرى محمود فهمى النقراشى قد صرح فى مؤتمر "عاليه" الذى عقدته الجامعة العربية ان مصر اذا كانت توافق على الاشتراك فى الحشد العـربى للقوات العربية على حدود فلسطين فإنها غير مستعدة للمضى اكثر من ذلك . ورغم ذلك فإن الملك فاروق ، بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة ، اصدر امره بدخول هذه القوات الى فلسطين حتى يتمكن من إفشال مشروعات الملك عبدالله حاكم الأردن الخاصة بتوسيع مملكته تحقيقا لمشروع سوريا الكبرى ، بالاضافة إلى رغبته فى تحويل انظار الرأى العام المصرى عن المشاكل الداخلية وأن يقوى سلطته .

وعلى اى حال فقد دخلت جيوش الاردن ومصر والعراق وسوريا ولبنـان إلى فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨ وهى تجهل حالة اليهود ومقدار قواتهم ومدى تسلحهم ومناعة تحصيناتهم فى الوقت الذى كان فيه اليهود يعرفون الكثير عن هذه الجيوش . ورغم الدعايات الواسعة التى احيط بها تقدم القوات العربية فى القسم العربى من فلسطين إلا أن الواقع كان مغايرا . وكانت النتيجة هى ان القوات العربية لم تنجح فى تحقيق اهدافها ، بل لقد استولى اليهود على اراض جديدة لم تخصص لهم فى قرار التقسيم . واضطرت الدول العربية الى قبول الهدنة التى قيل انها تستهدف التمهيد لقيام سلام دائم فى فلسطين .

وقد حارت الجماهيرالعربية فى تفسير ماحدث ، حقيقة إنها خدرت بالبيانات الكاذبة ، إلا انه كان من المستحيل التكتم على الحقائق بعد عودة المقاتلين إلى اوطانهم ـ وكانت النتيجة هى اهتزاز هيئة الانظمة الحاكمة التى مالبث بعضها ان سقط بعد قليل نتيجة لانقلابات عسكرية قام بها بعض الضباط الذين اشتركوا فى الحرب . وكانت قضية الاسلحة الفاسدة أول معول وجه إلى نظام الحكم القائم فى مصر ـ وأساس هذه القضية ان الولايات

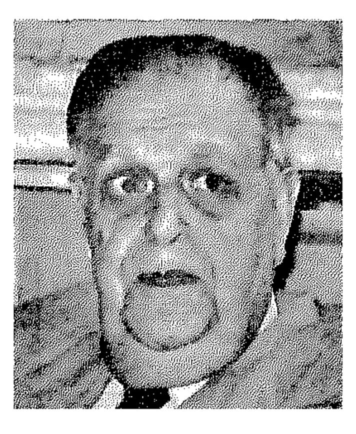




الملك فاروق



النحاس باشا



فؤاد سراج الدين

المتحدة وفرنسا وبريطانيا قد اصدرت بعد نشوب الحرب فى فلسطين بيانا يحظر تصدير الأسلحة والذخائر الى الدول التجارية . وعلى حين أن الدولة اليهودية كان لديها ما يكفيها من الاسلحة ، بالاضافة إلى ماصنع منها محليا ، فإن عمليات التهريب الى داخل فلسطين لم تتوقف . بل لقد افلحت السلطات اليهودية فى عقد صفقة اسلحة مع تشيكوسلوفاكيا وافق عليها ستالين الذى كان يسعى إلى إيجاد حالة ارتباك فى الشرق الاوسط تمهد للقضاء على النفوذ الغربى فى المنطقة . وقد تدفقت الاسلحة التشيكية على فلسطين بعد الهدنة الاولى وكان لها اثرها فى إنهاء الحرب لصالح اليهود .

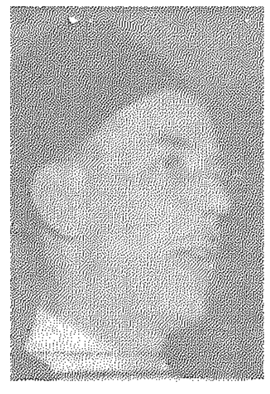
وإزاء الحظر الذى فرض على توريد السلاح الى المنطقة ، وهو الحظر الذى تحايل اليهود على خرقه فإن وزارة الحربية والبحرية المصرية سعت بعد ان كادت تنفد اسلحتها فى المراحل الاولى من الحرب الى الحصول على السلاح من السوق السوداء بأى ثمن وبغض النظر عن صلاحية هذه الاسلحة . وظهر وسطاء وعملاء استغلوا الموقف للحصول على الربح السهل . وكان الصحفى الراحل إحسان عبدالقدوس هو الذى قام بحملة صحفية مكثفة على صفحات مجلة "روز اليوسف" كشفت ابعاد الصفقات المريبة التى احاطت بتوريد السلاح الفاسد الذى قيل إن بعضه كان سببا فى الهزيمة ، ولو ان ذلك لايفسر كل الاسباب التى لمحنا إليها من قبل .

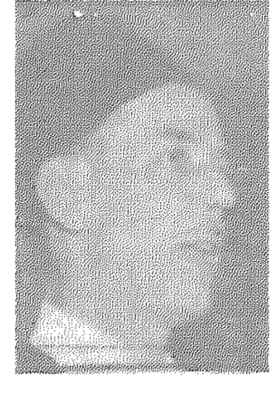
وكان هدف احسان من الحملات الصحفية التى شنها هو مهاجمة النظام القائم وتحريض الراى العام ، وبخاصة فى صفوف القوات المسلحة على الثورة .. وقد تنبه إلى موضوع الاسلحة الفاسدة اثناء وجوده فى إيطاليا التى استمع فيها إلى اخبار عن صفقات الاسلحة التى عقدها مندوبو الجيش المصرى . وفى ٢٠ يوليه ١٩٤٩ كتب مقالا عنوانه "محاكمة مجرمى حرب فلسطين" طالب فيه بتشكيل محكمة لمحاكمتهم . ورغم أن مقاله لم يثر اهتماما جديا فى البداية فإنه واصل هجومه على النظام القائم مستغلا فيه الانباء التى وصلته عن صفقات الاسلحة التى كانت تعقد فى ايطاليا وفرنسا .

ورغم المخاطر التى تعرض لها احسان ، ومنها محاولة قتله ، فانه استطاع ان يلفت الانظار الى الفئة التى سعت الى الاثراء









عبد الرحمن عزام

النقراشي باشا

باستيراد الاسلحة فاسدة وغير فاسدة . وكانت من نتيجة ذلك ان محمود محمد محمود رئيس ديوان المحاسبة ، ضمن تقريره السنوى عن الحساب الختامي للحكومة لبعض صفقات الاسلحة والذخيرة التى ايدها بالوثائق ، ولكن تقرير رئيس ديوان المحاسبة لم ينجح فى تحريك القضية بل لقد اصرت الحكومة حين تقدم للمطبعة الاميرية لطبع التقرير، على ضرورة حذف العبارات التى تشير الى وجود تلاعب فى صفقات الاسلحة ولكنه اصر بدوره على نشر التقرير كاملا . ولما لم تستجب الحكومة لطلبه قدم استقالته من منصبه ولم يقف الامر عند هذا الحد . بل اثير الموضوع فى مجلس الشيوخ على يد مصطفى مرعى العضو فى المجلس الذى استخرج من تقرير رئيس ديوان المحاسبة السابق مستندات تثبت التلاعب فى شراء صفقات السلاح التى ثبت انها كانت تتم بعلم رجال وزارة الحربية بما فيها من تلاعب وطرد مصطفى مرعى من عضوية مجلس الشيوخ ومعه كل من ايده من الاعضاء بل لقد وصل الأمر الى عزل رئيس مجلس الشيوخ الذى سمح بمناقشة الاستجواب !

وإزاء كل ذلك لم يجد احسان بدا من الاتجاه الى ضباط الجيش الساخطين على فساد النظام القائم فعقد معهم اجتماعا فى بيت احدهم ثم اجرى اتصالات مع شباب الضباط الذين اشتركوا فى حرب فلسطين واستغل المعلومات التى وصلت اليه فى كتابة مزيد من المقالات فى مجلة "روزاليوسف" ومنها مقال استفز فيه وزير الداخلية الوفدى فؤاد سراج الدين على امل ان يقدم الى المحاكمة . وبلغت الحكومة الوفدية النائب العام ضده للتحقيق معه فى مجموعة المقالات التى بدأ نشرها فى ٦ يونيه ١٩٥٠ ولكنه امكنه بمساعدة اصدقائه ان يحصل على صورة للعقد المبرم بين احد تجار الاسلحة وبين زوجة ضابط كبير . وهو العقد الذى كان ينص على قيام الشركة بينهما لتوريد الاسلحة الخاصة بحرب فلسطين وادى مانشره احسان الى تحقيق النائب العام معه ـ وتطرق التحقيق الى "النبيل" عباس حليم ـ الذى اتهمه احسان رسميا امام النائب العام بعد ان حصل من شباب الضباط على ادلة اتهامه . وبعد ان انتهى من الادلاء بشهادته نشر نداء يطالب فيه المواطنين بان يتقدم كل من لديه معلومات تتصل بالقضية للادلاء بها للنيابة مع وعد بحمايته .. ومن هذه المعلومات التى وردت اليه ما يثبت من ان احد التجار كان قد انتشل الذخيرة من البحر بالقرب من السواحل الايطالية وكانت موجودة فى سفن





الملك عبدالله

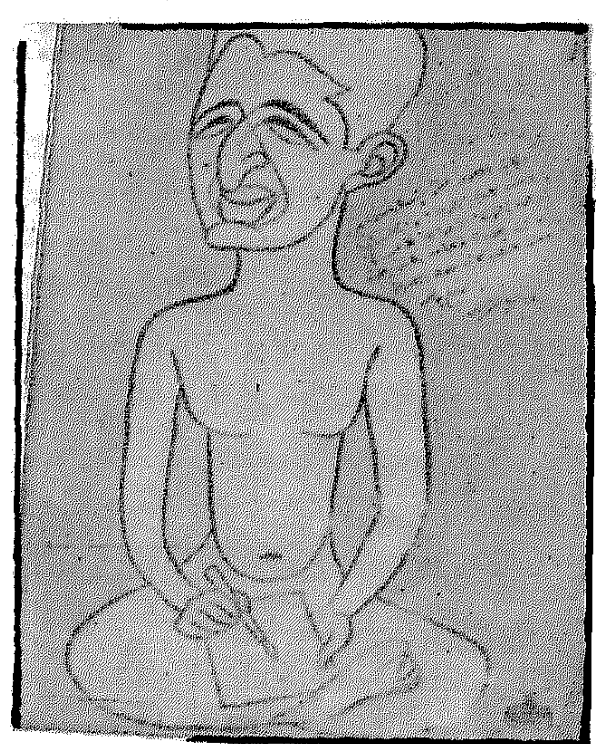


الخديو عباس حلمي

الحلفاء التي اغرقتها الغواصات الالمانية ورغم فساد هذه الاسلحة التي بقيت سنوات في مياه البحر المتوسط فإنها بيعت للجيش المصري .

وكما سبقت الاشارة كانت حملة احسان موجهة ضد النظام الملكي القائم مع الاستعانة ببعض صفقات الاسلحة التي تمت خلال حرب فلسطين . وقد ثبت تاريخيا

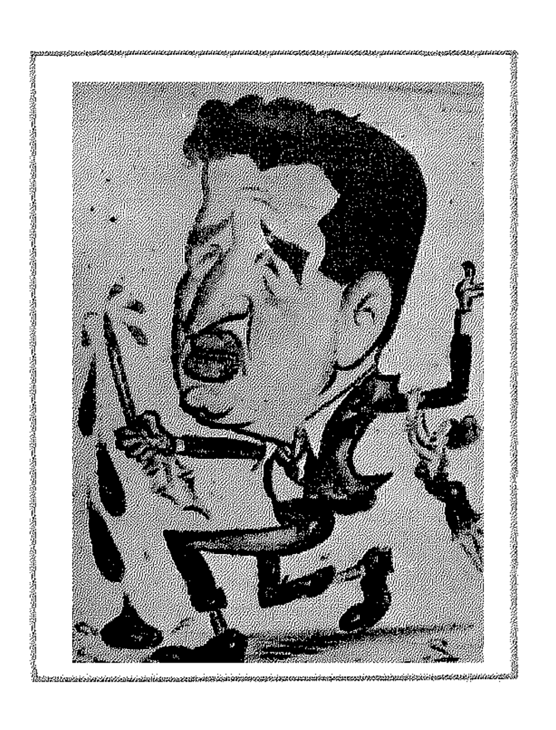
احسان عبدالقدوس .. كما رسمه صلاح جاهين عام ١٩٥٥



ان هذه الاسلحة الفاسدة لم تكن بالاهمية التي علقها احسان عليها بل ان الهزيمة في فلسطين في عامي ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ كانت مرتبطة بعجز النظام القائم في مصر وضحالة معلوماته عن قوة اليهود واستعداداتهم وتدخل السراي في سير المعلومات الحربية وعدم كفاءة القائد العام ـ حيدر باشا الذي كان لجهله قد زين للملك فاروق النصر وشيك ـ هذا في الوقت الذي مني فيه عبد الرحمن عزام الملك بتبوؤ زعامة العالم العربي كله وزين له ان انقاذ فلسطين سيتحقق بسهولة خلال ثلاثة اسابيع ، وسيكون الخطوة الاولى التي تقوم بها الجامعة العربية ، تحت زعامة مصر ، لضمان حرية ليبيا اولا ثم بقية شمالي افريقيا !

وعلى اية حال فقد اصدر النائب العام في ٢٨ مارس ١٩٥١ قرارا بحفظ التحقيقات بالنسبة لأفراد الحاشية الملكية جاء فيه ان كل ما اسند اليهم تبينت عدم صحته ، كما اعتذر رئيس الوزراء الوفدي ـ مصطفى النحاس ـ للملك عما حدث من تحقيقات في قضية الاسلحة الفاسدة من بعض افراد الحاشية الملكية . وبعد قيام الثورة ١٩٥٢ اعادت النيابة التحقيق في القضية وانتهت الى حفظها من جديد ، بعد ان لم تقدم مدنيا او عسكريا الى المحاكمة ، ورغم كل ذلك فإن هذه القضية قد نجحت في المساس بهيئة النظام القائم الذي فشل في مواجهة مشاكل البلاد وإيجاد حلول لها فشله في الحرب الفلسطينية التي اشرك فيها الجيش المصري دون اى استعداد .

وفي ختام هذا المقال لابد ان نشيد بجرأة إحسان عبدالقدوس ووطنيته في تناول هذه القضية التي كادت تهدر حياته . ورحمة الله على هذا الكاتب الذي طالما هز ضمائر جيلنا الذي كان متفتحا لقضايا بلده ومستعدا لخوض الصعاب في سبيل رفعته وتقدمه .





ذكريات مع إحسان عبد القدوس

بقلم: د. عبد العظيم أنيس



رأيت احسان لاول مرة فى المدرسة ، مدرسة فؤاد الاول الثانوية ، كان هو فى السنة الخامسة او الرابعة - لااذكر بالضبط - وكنت بالنسة الاولى ، وكانت هذه السنة - ١٩٣٥ - هى سنة المظاهرات ضد الانجليز وكان حزب الوفد فى مقدمة المحرضين على هذه المظاهرات . لكن مشكلة مدرستنا ان كان على رأسها ناظر اتسم بالحزم والشدة (اسماعيل القبانى) فلم يكن يتردد فى فصل اى تلميذ يراه يهتف بالشعارات السياسية فى فناء المدرسة ، وكان من الطبيعى ان يكون « الهتيفة » من تلاميذ السنة الرابعة والخامسة .

● ولما زاد عدد المفصولين من تلاميذ الصفين الرابع والخامس ، تفتق ذهن الباقين منهم ، عن حيلة حتى لايستطيع الناظر ان يرى المسئول عن بدء الهتافات ..

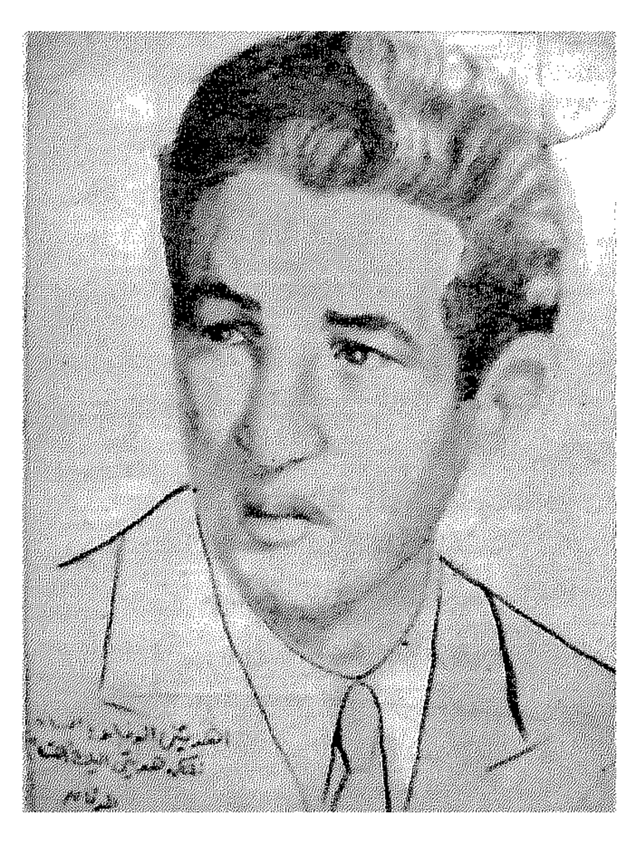
وتتلخص الحيلة فى ان يبدأ واحد من تلاميذ السنة الاولى من القصار بالهتاف على ان يحيط به تلاميذ الصفين الاخيرين من جميع الجوانب ويقتصر دورهم على ترديد الهتاف وراءه فلايستطيع احد معرفة من الذى بدأ الهتاف فى المدرسة ، وتطوعت وغيرى من تلاميذ السنة الاولى لاداء هذه المهمة ، وخرجنا الى الشارع وعندئذ اصطدم البوليس بنا واطلق بنادق الرش علينا فقمنا برميه بالطوب وكانت معركة انتهت بالقبض علىّ فى المساء من منزلى بينما نجا احسان مع انه كان فى مقدمة المظاهرة !

ودخلت السجن لاول مرة فى حياتى وقضيت اربعا وعشرين ساعة مابين حجز قسم الوايلى وتخشيبة محافظة القاهرة ، ولم يفرج عنى الا بسبب صغر سنى اذ كنت فى الثامنة عشرة من العمر وعندما عدت فى اليوم التالى الى المدرسة استقبلت استقبالا حماسيا من التلاميذ .

* ولابد ان احسان كان قد تابع هذه الاحداث وتيقن من شكلى المميز تماما ، ولاننى عندما قابلت احسانا بعد الثورة فى مكتبه بروزاليوسف بعد سبعة عشر عاما من هذه المظاهرات وجدته يذكرنى بها وبحادث القبض علىّ لمدة يوم كامل .

كان احسان ـ تلميذا مرموقا فى المدرسة فأمه السيدة روزاليوسف الصحفية المشهورة ووالده الاستاذ محمد عبد القدوس الممثل المعروف ، بينما لم يكن احد يعرفنا ، ومع ان احسان لم يكن انذاك يعرفنى شخصيا الا اننى كنت اعرف عن طريق اقاربى من عائلة امى القاطنين فى حى العباسية الكثير عنه . فقد كنت اعرف انه يقيم مع عمته فى شارع رضوان شكرى (حيث كان يقيم نجيب محفوظ) سنين طويلة ، وانه ظل يقيم مع عمته السيدة نعمات رضوان الى ان انهى دراسته الثانوية والتحق بكلية الحقوق فانتقل الى منزل والدته .

وظللت اتابع من بعيد احسانا فى عمله الصحفى ومقالاته النارية عن قضية الاسلحة الفاسدة دون ان نلتقى الى ان عدت من البعثة بعد حصولى



بورتريه بريشة طوغان



على الدكتوراه من جامعة لندن فى سبتمبر سنة ١٩٥٢ ، وتم تعيينى مدرسا بقسم الرياضة البحتة بكلية العلوم جامعة القاهرة ، وبدأت اكتب مقالاتى فى الادب فى صفحة يوم الاحد بصحيفة المصرى واذكر اننى كتبت مقالا عن « الادب الواقعى » تعرضت فيه بشكل جانبى لقصص احسان ورأيى السلبى فيها . واذا باحد الاصدقاء من العاملين مع احسان فى روزاليوسف يتصل بى تليفونيا ويبلغنى انه يريد ان يرانى فلما ذهبت اليه فى مكتبه فوجئت به يعرض علىّ الكتابة بانتظام فى روزاليوسف . وهكذا بدأت صلتى من جديد باحسان وبالمجلة ، وظللت اكتب فيها حتى نهايات عام ١٩٥٤ واذكر اننى قمت بتحرير باب « ادب » فى المجلة بعد انتقال فتحى غانم الى اخبار اليوم .

● موقف لن انساه

لكن حدث فى نهايات عام ١٩٥٤ ان اصدر مجلس قيادة الثورة قرارا بفصل



احمد بهاء الدين

٤٢ من اساتذة الجامعات الذين عارضوا النظام بسبب قضية الديمقراطية ، وكنت واحدا من المفصولين ووجدت نفسى بلا عمل فجأة وانا صاحب اسرة . ولم يمض وقت طويل حتى عرضت علىّ وظيفة مدرس باحدى كليات جامعة لندن فقبلتها على الفور وسافرت الى بريطانيا .. ومن هناك اخذت ارسل مقالات فى قضايا ثقافية فيقوم احسان بنشرها فى المجلة مع انه يعلم اننى من المغضوب عليهم من جانب السلطة .. وفى احد الايام وصلنى منه خطاب يقول فيه انه حزين لاننى اعمل فى خدمة جامعة بريطانية بينما تحتاج مصر الى من هم مثلى ، ورددت عليه قائلا اننى ساكون اسعد انسان اذا استطاع ان يدبر لى اى عمل فى مصر .. وبعد وصول خطابى كتب



كامل الشناوى

احسان مقالا طويلا فى روزاليوسف عنوانه (الرجل الذى سرقه الانجليز) قال فيه عنى كلاما طيبا قد لا استحقه ودعا الحكومة الى اعادتى الى جامعة القاهرة .

وبعد نشر المقال بايام كان احسان فى طريقه الى باندونج فى صحبة جمال عبد الناصر ، الذى سأله عن المقال وعنى فشرح احسان وجهة نظره بالكامل . لكن عبد الناصر ختم حديثه قائلا : ان الشيوعيين يضحكون عليك يستخدمونك يااحسان ! وبقيت فى بريطانيا حتى اعلن عبد الناصر تأميم القناة فى يوليو سنة ١٩٥٦ فقدمت استقالتى على الفور من الجامعة وقررت العودة الى مصر ، وكان احسان واحدا من اسعد الناس لعودتى وتوثقت صلتنا من جديد خصوصا اننى بدأت اعمل فى صحيفة « المساء » بالقاهرة كمحرر للشئون العربية واصبحت متفرغا للعمل الصحفى .

● مقال اغضب روزاليوسف !

ولعل هذه الوقائع التى سردتها توضح كيف كان احسان مستنيرا واسع الافق وشجاعا فى الوقت نفسه فى الدفاع عن رجل لايشاركه قناعاته السياسية . وثمة مثال اخر يوضح كيف كان واسع الافق حتى عندما يتعلق الامر بانتاجه الادبى : اذكر مرة اننى دعيت للاشتراك فى ندوة بالاذاعة بالبرنامج الثانى فى عام ١٩٥٧ لمناقشة قصته (الطريق المسدود) وكان زميلاى فى الندوة هما احسان وكامل الشناوى . وكنت قد اعددت ملاحظاتى النقدية لكى استفيد منها فى الندوة لكننى احسست ان كامل الشناوى قد استهلك وقت الندوة كله فلم يدع لى فرصة لتوضيح وجهة نظرى وهكذا كتبت مقالا عن القصة ونشرته فى صفحة الادب بصحيفة المساء وكان هذا المقال هو الوحيد الذى نشرته فى النقد الادبى ابان عملى فى المساء وكان مقالا قاسيا شديد الوطأة على ادب احسان كله ، وهاجت السيدة روزاليوسف وماجت عند نشر المقال ، وشتمت كل المحررين اليساريين الذين كانوا يعملون فى روزاليوسف انذاك مع انهم



لاذنب لهم فيما نشرته انا من اراء . لكن احسانا ظل على صداقته لى ولم يفاتحنى فى كلمة ممانشرت

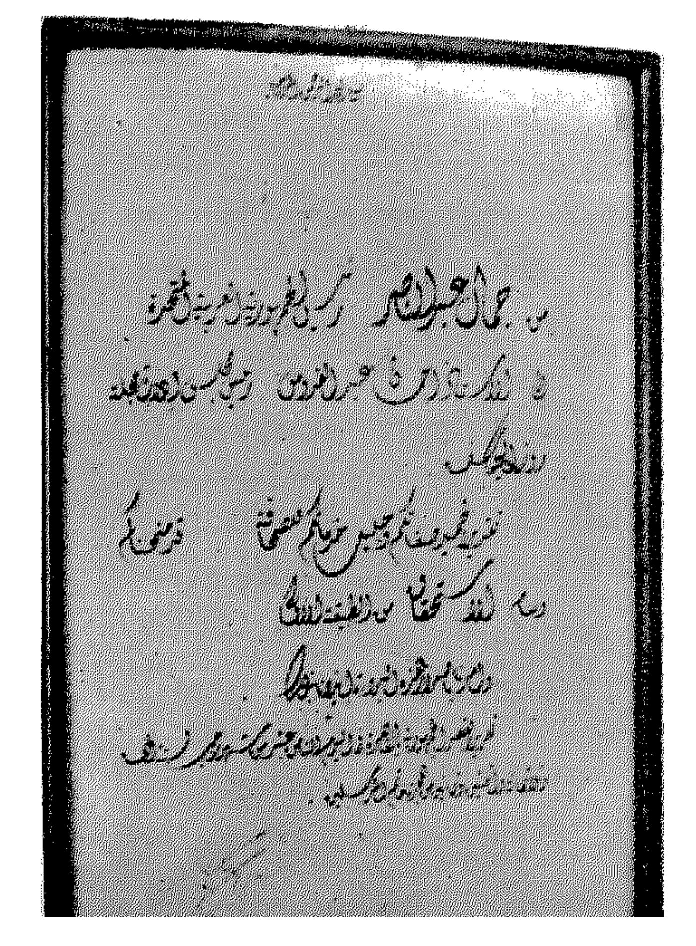
ولقد ظلت سنوات عملى فى صحيفة « المساء » هى ايضا سنوات ارتباطى الوثيق باحسان وكامل الشناوى وكنا عادة نلتقى مساء كل يوم خميس فى صحيفة الجمهورية فى مكتب كامل الشناوى وننتظر حتى تصدر الطبعة الاولى من جريدة الجمهورية ثم نخرج نحن الثلاثة للسهر حتى الصباح تقريبا فى فندق مصر الجديدة وكان يشاركنا هذه السهرات احمد بهاء الدين او فتحى غانم احيانا . وعندما رشحت نفسى فى يوليو ١٩٥٧ للانتخابات النيابية عن الدائرة السادسة (الوايلى والعباسية) لم يتردد احسان هو وكامل الشناوى فى التوقيع على بيان الكتاب والفنانين الذى دعا الشعب الى انتخابى ، هذا رغم علمهم ان بعض اجهزة السلطة فى مصر لم تكن راضية عن ترشيحى وكانت تسعى سرا وعلنا الى اسقاطى فقد كنت مرشح اليسار الوحيد فى هذه الانتخابات وكان نجاحى سابقة لها مابعدها .

فى أول يناير ١٩٥٩ بدأت الحملة الامنية ضد قوى اليسار فى مصر ، واعتقل اكثر من مائتين فى اليوم الاول كنت واحدا منهم . وكان الخلاف قد بدأ حول قضية الوحدة مع سوريا وشكلها وقضية الديمقراطية ثم تداعت الاحداث الى حملة معادية للشيوعية استمرت سنوات .

وبقيت فى معتقلات مصر خمس سنوات وثلاثة شهور ، هذا على الرغم من اننى قدمت للمحاكمة امام مجلس عسكرى فى نوفمبر سنة ١٩٥٩ واصدر المجلس حكما ببراءتى !

وعندما افرج عنى فى ابريل سنة ١٩٦٤ اتصل بى احسان عبد القدوس

شهادة تقدير من جمال عبدالناصر



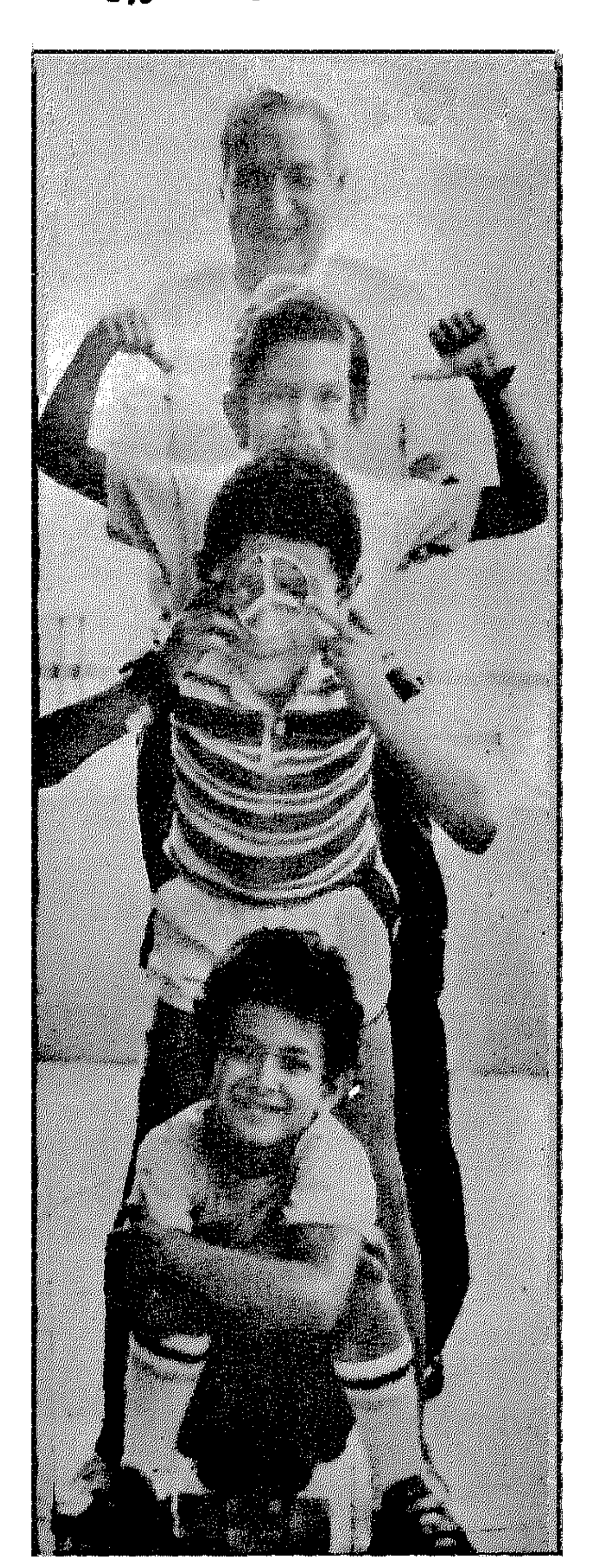
ودعاني الى الكتابة في روزاليوسف وبالفعل عدت للكتابة من جديد فيها الى ان انتقل الاستاذ احمد بهاء الدين الى دار الهلال فانتقلت الى الكتابة في مجلة المصور معه .

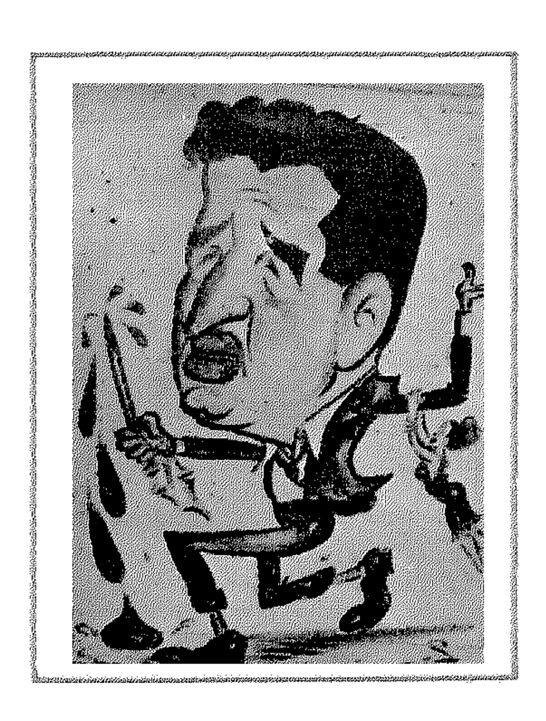
ولقد ترددت كثيرا على منزله في الستينات ومازلت اذكر لقاءنا مع جيفارا في منزله الحالي في الزمالك والنقاش الذي دار انذاك حتى الصباح تقريبا وفي هذه اللقاءات كنا نتفق ونختلف ولم يؤثر الاتفاق او الخلاف على مودتنا المتبادلة .

الا ان الايام باعدت بيننا بعد ذلك . فقد توفيت زوجتي عام ١٩٧٥ وبدأت اسافر كثيرا ، فقضيت في بريطانيا اكثر من عامين ونصف استاذا زائرا في السبعينات وعملت مع الامم المتحدة بالكويت اربع سنوات بين اواخر السبعينات واوائل الثمانينات ولم التق مع احسان طوال هذه السنوات ، لكني كنت حريصا دائما على ان ابعث له تحياتي وتمنياتي له بالصحة والعافية كلما قابلت نجله الاكبر محمد ولاشك ان مرضه في السنين الاخيرة قد اثر على اتصالاته باصدقائه القدامى ، كما ان للشيخوخة احكاما !

وعندما ذهبت للمشاركة في تشييع جنازته احسست انني احمل على ظهري ذكريات خمسين عاما من النضال والاتفاق والخلاف ، ولم استطع ان اكتم دموعي ونحن نودعه الوداع الاخير !

هؤلاء الاشبال .. من ذاك الرجل ..







بقلم : إحسان عبد القدوس
ريشة : الفنان حلمى التونى



القراءة جنون .. والاستغراق فى شخصية البطل بعد مطالعة الرواية اكثر جنونا .. اما مطاردة المؤلف وحصاره بسياج من الافتتان والحب والهيام فهذا يتطلب تدخلا سريعا من علم النفس وكل علوم الطب .. هذه مقالة كتبها الراحل احسان عبد القدوس ونشرت عام ١٩٦٢ فى الهلال .

● انا مقتنع بان هناك نوعا من الجنون احب ان اسميه : « جنون القراءة » .

والجنون هو ان تفقد شخصيتك وتعيش فى شخصية اخرى ، قد تكون شخصية تاريخية ، او شخصية خيالية .

والقراءة ـ خصوصا قراءة القصص ـ تساعدك على هذا الجنون .. لانها تنقلك من شخصيتك الى شخصية البطل او البطلة التى تقرأ عنها ..

وكلنا مصابون بهذا الجنون .. بل اننا لانقبل على قراءة القصص الا لاننا نسعى


حلمي التوني





الى الجنون .. نريد أن نستريح من الشخصية التى نعيش فيها ، وننتقل الى شخصية اخرى يخلقها لنا مؤلف ..

وهذا الجنون الذى يصاب به القارىء له انواع : جنون مؤقت ، ينتهى بانتهاء القصة التى تقرؤها ، ويفقد ابطالها تاثيرهم عليك بمجرد ان تطوى الكتاب .. وجنون دائم ، يستمر معك الى مابعد انتهائك من قراءة القصة . وتبقى متأثرا بابطالها شهورا ، وربما سنين .. وقد تدخل مستشفى المجاذيب !!

وانا مصاب بهذا الجنون ..

حياتى كلها .. جنان !!

عندما كنت فى الثانية عشرة من عمرى ، بدأت اقرأ روايات « روكامبول » .. وهى روايات مخيفة غامضة .. وكنت اقرؤها وقلبى يرتعد من الخوف .. ثم كنت ارتعش من الخوف فعلا .. اطرافى كلها ترتعش .. ثم كنت ابكى .. ابكى بدموع حقيقية .. ورغم ذلك لاالقى بالكتاب واستريح .. بل اظل اقرأ من خلال دموعى .. وفى مرة صرخت من الفزع ، ودخلت خادمتنا « ام نبوية » على صرختى ، فتوسلت اليها ان تبقى بجانبى وانا اقرأ .. وبقيت بجانبى .. جلست على الأرض ، وانا اقرأ فوق السرير .. عيناى تنطلقان فى رعب وراء السطور .. واصرخ بين كل صفحة واخرى « الحقى يام نبوية .. حوشى يا ام نبوية .. وهى تنظر الىّ كأنها تنظر الى مجنون وتمصمص شفتيها قائلة :

ـ ياابنى مالك ومال الهم ده .. ماتسيب الكتاب ، وتنام يأه !

ولكنى لم استطع ان اترك الكتاب .. وظلت روايات روكامبول مسيطرة علىّ حتى بعد ان انتهيت من قراءتها .. عشت شهورا طويلة فى خوف .. اخاف من الظلام . واخاف من الوحدة .. واخاف من خيالى !!

الى ان قرأت رواية الفرسان الثلاثة واصبحت بارديليان !

اصبحت اسير دائما وفى يدى عصا صغيرة بمثابة سيف بارديليان .. واعود من المدرسة فاخبط على باب بيتنا وانا اصيح « افتح باسم الملك !» وتفتح لى ام نبوية فاضع طرف سيفى فوق قلبها واصيح « باسم الملك .. هاتى لى آكل »!!

وفى مرة قررت ـ بصفتى بارديليان ـ الاستيلاء على البيت .. بيت عمتى الذى نشأت فيه .. واعلنت الحرب على اولاد عمتى .. ولكن عمتى تدخلت بنفسها فى الحرب واستطاعت ان تنتصر على بارديليان .. ضربته علقة بالشبشب !

ثم اصبحت ارسين لوبين ... اللص الشريف !!

وسرقت من جيب ابن عمتى ـ الاستاذ احمد سعد الدين ، مدير مكتب وزير الارشاد الان ـ قرش صاغ واحدا ، لاعطيه لابن جار فقير ، ليشترى به دندرمه .. وضبطنى ابن عمتى واخذ منى القرش .. وحتى اليوم لايزال يأخذ منى قرشا كلما قابلنى .. وربما كان هذا هوالسبب فى انى لا اقابله كثيرا !

وكل هذا الجنون مرّ بى فى صباى المبكر ، فلم يترك فى نفسى اثرا كبيرا .. كنت اشفى منه بمجرد انتقالى الى قصة اخرى .. ولكن هناك فترات من الجنون لاتزال اثارها عالقة فى اعصابى ، تسيطر



جانب من مكتبة احسان
وبعض مقتنياته من الصور

على فكرى وعلى شخصيتى ، حتى اليوم ..

عندما كنت فى السادسة عشرة من عمرى مررت بفترة تدين عميق .. قرأت القرآن وادمنت الصلاة ، كنت اصلى التراويح ايضا .. وفى هذه الفترة ، قرأت تاريخ اخناتون اول من دعا الى التوحيد ..

وسيطرت علىّ شخصية اخناتون .. اصبحت اخناتون نفسه !

اصبحت اعتزل الحياة فى غرفتى ، كما كان يعتزلها اخناتون فى معبده .. واصبحت مقتنعا بان رسالتى فى الحياة هى توحيد الاديان .. لماذا ينقسم الناس الى مسلمين ، ومسيحيين ، ويهود ، وبوذيين .. والاله واحد .. لماذا .. لماذا .. وجننتنى كلمة « لماذا » .. واحترت .. وعذبتنى الحيرة .. فكنت اخرج الى صحراء العباسية – التى تقع خلف بيتنا – فى الليالى القمرية .. واسير طويلا فى جوف الليل ، وانا رافع رأسى الى السماء ، ابحلق فى القمر ، واسأل الله : لماذا .. لماذا .. واشعة القمر تحرق عينى ، وتذيب منهما الدموع .. فابكى .. وابكى .. الى ان اقع مغشيا علىّ .. ثم يأتى اهلى ، بعد ان يكتشفوا غيبتى ، ويعودوا بى الى البيت ..

وقد مرت هذه الفترة بسلام بعد ان بدأت اشترك فى ثورة عام ١٩٢٥ .. ولكنها تركت فى اثرا لم استطع ان اتخلص منه .. وظلت شخصية اخناتون تشع فى عقلى بين الحين والحين .. وعندما بدأت اكتب القصص ، كتبت اكثر من عشرين قصة ، كلها من افضال اخناتون .. الله محبة .. منتهى الحب .. انا والسماء .. و.. و.. قصص كلها تتساءل عن سر اختلاف الاديان والله واحد !

وقصة اخرى جننتنى .. وظل جنونها عالقا بى حتى اليوم ..

قصة حياة توسان ..

و .....

المهم ....

ماهى مسئولية المؤلف عن هذا الجنون الذى يصيب القارىء ؟

انا نفسى لم اكن احس ان المؤلف مسئول .. لم اعتبر مؤلف رواية الفرسان الثلاثة مسئولا عن ضربى علقة .. من المستحيل ان يتصور هذا المؤلف ان بعد خمسين سنة من كتابة قصته ، سيظهر صبى فى حى العباسية يعتبر نفسه باردليان .. ويتصرف تصرفات باردليان ، الى ان يضرب علقه .

الى ان اصبحت انا نفسى مؤلفا ..

واذا بى اكتشف عالما كاملا من المجانين ثم اذا بى اكتشف حقيقة اخرى ، وهى ان البنات اقرب الى جنون القراءة من الاولاد .. وربما لان فراغ وقت البنات يتسع للجنون .. وربما لان شخصياتهن اضعف من ان تقاوم الشخصيات التى تحاول ان تفرض نفسها عليهن .. وربما لان خيالهن ارق من خيال الاولاد .





واكتشف حقيقة ثالثة .. وهى ان المؤلف فى خيال القارىء هو بطل قصته .. فاذا كتب طه حسين قصة بطلها لاعب كرة ، فطه حسين نفسه فى خيال القراء هو لاعب الكرة .. وقد يرسل له نادى الزمالك خطابا يرجوه فيه ان يتولى تدريب فريقه !!

واذا كان توفيق الحكيم قد كتب مائة قصة حب .. فمعنى ذلك فى خيال القارىء ان توفيق الحكيم نفسه قد احب مائة مرة .. وان فى حياته مائة امرأة !!

ثم حقيقة رابعة .. وهى ان الجنون - جنون القراءة - اكبر بكثير مما كنت اتصوره .. انه يصل احيانا الى حد الخطر .. الى حد المرض .. الى حد مستشفى المجاذيب .. وان هذا الجنون يقع دائما على راس المؤلف !

واسمعوا بعض ماحدث لى ..

بعد ان كتبت قصة « اين عمرى » بشهور ، اتصل بى احد الاشخاص بالتليفون ، وقال لى بلهجة حادة :

- انا فلان ..

ولم اعرفه ..

وعاد الرجل يصيح بصوت اشد حدة :

- لا ياشيخ .. بأه مش عارفنى .. طيب انا جوز فلانة !..

ولم اعرفه ايضا ..

وصرخ الرجل ..

- اسمع .. ماتحاولش تهرب منى .. اذا ماكنتش حاقابلك دلوقت حالا .. مش حايحصلك طيب !

ورفضت ان اقابله والقيت بسماعة التليفون من يدى .

وبعد نصف ساعة جاء الى مكتبى احد الاصدقاء .. وقال لى انه صديق الرجل الذى كان يحادثنى منذ برهة .. وان من الخير لى ان اقابله .

قلت :

- ليه ..

قال الصديق :

- مسألة كبيرة .. مسألة خصوصية .. واحسن تقابله وانا معاك ، من انك تقابله لوحدك .. المسألة فيها قتل !!

وتعجبت ..

ولكنى ازاء الحاح صديقى ، ذهبت معه الى بيتى على ان يلحقنا الرجل هناك ..

وجاء الرجل .. رجل محترم .. فى حوالى الخمسين من عمره .. تنطلق النار من عينيه ، وقال وهو يرتعش :

- مراتى حكت لى على كل حاجة ..

قلت فى دهشة :

- على ايه ..

قال :

- على كل اللى بينكم ..

وصرخت :

- انا ماعرفش مراتك .. عمرى ماشفتها .

قال :

- ماتحاولش تخبى .. مافيش لازمة تخبى .. انا فكرت كثير .. فكرت اطلقها واخرب بيتى بسببك .. وفكرت اقتلها .. انما اعترافها لى خلانى ماقدرش اقتلها .. فكرت اقتلك انت .. ولسه حاسس انى لازم اقتلك .. انما القتل خسارة فيك وعدت اصرخ :

- والله العظيم انا لااعرف حضرتك .. ولا مرات حضرتك اللى قال لك كده غلطان ..

قال فى حدة :

- هى اللى قالت لى .. وانت اعترفت بكل حاجة فى القصة اللى كتبتها ..

قلت :

- اية قصة ؟

قال :

- ابن عمرى .. يعنى مش عارف .. اسمع .. اذا كنت فاكر انك دون جوان ، انا دون جوان ادك الف مرة !

وهدأت .. لا ادرى لماذا .. فلم تكن هذه هى اول مرة ، اسمع فيها ان فتاة او سيدة ، تدعى انها بطلة قصة .. بطلة رغم انفى .. كانت خطابات كثيرة تصلنى وكل منها يحمل حكاية بنت تدعى انها مرت فى نفس الحوادث التى ذكرتها فى قصة !

وبدأت اناقش الرجل فى هدوء ..

بدأت احاول ان اقنعه بان زوجته قد تاثرت بالقصة الى حد تخيلت نفسها بطلتها ، تخيلتنى بصفتى المؤلف انى البطل ..

وعاشت فى هذا الوهم الى ان اعتقدت انه حقيقة .. وضاقت بهذه الحقيقة المزيفة الى حد ان اعترفت بها لزوجها .. وقلت له انه لو كان مؤلف القصة هو كامل الشناوى لكان الان يفكر فى قتل كامل لا فى قتلى .. وقلت له عن الخطابات التى تصلنى وتعبر عن نفس الحالة .. بل اطلعته على بعض هذه الخطابات .

وهدأ الرجل مع هدوئى .. وبدأ يميل الى الاقتناع بان زوجته فى حالة وهم .. وخرج بعد اربع ساعات طوال ، وانا اتحسس رقبتى لاتاكد انها مازالت فى مكانها ..

وقد اكتشف الرجل فعلا ان زوجته ليست فى حالة طبيعية ، واضطر الى نقلها الى مستشفى بهمان ..

وشفيت .. شفيت من القصة ..

واصبح الزوج صديقى .. وكان يتعجب من ان يكون لقصة مثل هذا الاثر على زوجته .. ولكنى اقنعته بانه لابد ان يكون فى حياة زوجته دافع اخر لهذا الجنون .. دافع للهرب من حياتها ومن شخصيتها ، الى ان هربت من حياتها فى قصة وهربت من شخصيتها الى شخصية بطلة خلقها مؤلف من خياله .

وراح الزوج - وهو انسان مثقف - يبحث فى نفسية زوجته عن السبب الاخر ووجده ..

و ..

وحكاية اخرى اكثر غرابة .

فوجئت يوما - منذ سنوات - بخطاب من قارئة .. عدد صفحات الخطاب بلا مبالغة خمس وعشرون صفحة فولسكاب ..

ولم تكن السيدة صاحبة الخطاب تقرأ قصصى وحدها .. بل كانت تقرأ كل ماكتبه .. وكل ماينشر فى جميع الصحف والمجلات وتسمع كل برامج الاذاعة .. وكان خطابها تعليقا على كل ماقراته وماسمعته فى يومين اثنين .. تعليقا خفيفا مرحا ، لاتفهم منه شيئا ، الا انه مجرد دردشة خفيفة الدم ..

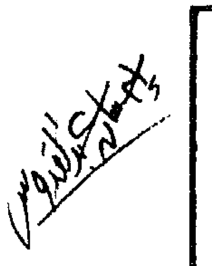
وبعد ثلاثة ايام جاءنى منها خطاب اخر .. من خمس وعشرين صفحة فولسكاب ايضا ..

واستمرت الخطابات .

كل اسبوع ثلاثة خطابات منتظمة لا يقل عدد صفحاتها عن خمس وعشرين ..

وبدأت الحظ فى هذه الخطابات شيئا غريبا .. انها تعتقد ان كل ماكتبه وانشره فى روزاليوسف هو رسالة خاصة اكتبها اليها ..

ثم بدأت الحظ انها تفسر كل ماكتب على انه كلام غزل موجه اليها .. حتى ما

اكتبه فى السياسة .. فاذا كتبت « ان على بريطانيا ان ترضخ لمطالب مصر » نزعت هذا السطر من المجلة ، ولصقته فى خطابها الذى ترسله الى ، وكتبت تحته « انا رضخت خلاص ياحبيبى .. بس قول لى انت عايز ايه »!

انها اعتبرت نفسها بريطانيا ..

وانا مصر ..

ثم ..

جاءت القارئة صاحبة هذه الخطابات لزيارتى فى مكتبى .. ودهشت .. انها عاقلة .. ليست مجنونة كما كنت اتصور .. حديثها كله هادىء متزن ، وآراؤها كلها معقولة .. وقبل ان تهم بالانصراف نظرت الى من خلال رموشها وقالت :

ـ مش حانتكلم بأه ..

قلت :

ـ نتكلم فى ايه ..

قالت :

ـ فى حكايتنا ..

وبدأ الجنون ..

انها تعتقد ان لنا حكاية .. وحكاية قديمة .. وتعتقد ان كل ماهناك انى مكسوف ان اصرح لها بحبى !!

قالت وهى تتنهد :

ـ ماتتكسفش .. انا كمان كنت مكسوفة زيك .. لكن قلت ان مش ممكن نضيع حياتنا فى كسوف !

وتخلصت منها ..

ولكنها عادت ..

وحاولت ان اساعدها .. حاولت ان اعرف سر جنونها .. مأساتها .. وعرفت المأساة .. مأساة كل زوجة عاشت حياة طويلة مع زوج لاتحس به .. وحاولت ان اكشف لها مأساتها لعلها تحل عقدتها كما يقول علم النفس ..

ولكنى فشلت ..

واشتد بها الجنون .. جنون القراءة .. اصبحت تعتقد ان اية كلمة تنشر فى اية جريدة سواء كتبتها انا او كتبها غيرى من الكتاب ، هى رسالة موجهة منى اليها .. فاذا كتب الاستاذ التابعى فى جريدة الاخبار ان سعر الكوسة قد ارتفع ثلاثة قروش .. وان وزير التموين يجب ان يتدخل .. اعتقدت انى طلبت من الاستاذ التابعى ان يكتب هذا الكلام ، وانى اريد ان اقول لها ان حالتى سيئة واريد منها ان تتدخل .. فتقص هذه السطور وتكتب تحتها « انا بجانبك ياحبيبى مهما ارتفع سعر الكوسة »!! واذا اذاع الراديو اغنية شادية « حبيبى اهه .. خطيبى اهه » اعتقدت انى اتصلت بالاستاذ حماد مدير الاذاعة وطلبت منه ان يذيع هذه الاغنية .. وكتبت الى : « طيب ما انا عارفة »!!

ثم ...

وقع الحادث الاليم ..

كتبت قصة عن فتاة طلقت زوجها لتتزوج حبيبها .. فاذا بها تطلب الطلاق من زوجها .. المستشار .. وتصر على الطلاق .. الى ان تتطلق فعلا .. ثم ترسل لى تزف الى النبأ السعيد .. وتوقع خطابها بامضاء : « زوجتك المخلصة »!!

واصبحت انا المجنون ..

وخطاباتها لاتنقطع .. كل خطاب خمس

وعشرون صفحة !

وتأتى الى روزاليوسف .. وارفض ان اقابلها .. فتصر على مقابلتى .. وتبقى فى انتظارى ساعتين .. ثلاثة .. وكل محررى روزاليوسف يعرفون قصتها ، ويحاولون علاجها . ويفشلون !

وفكرت ان اسلمها للبوليس ..

لقد اصبحت حالتها خطرة ..

ولكنى اشفقت عليها من البوليس .. انها مريضة .. فى حاجة الى طبيب لا الى البوليس .. ولكنها ترفض ان تذهب الى طبيب ..

ولم تيأس القارئة العزيزة .

بدأت تطوف على كبار الكتاب تشكونى اليهم .. ذهبت الى مصطفى امين ، وعلى امين ، وفكرى اباظة .. و و وكلهم اكتشفوا جنونها ، ماعدا الزميل العزيز صالح جودت !!

وكان يمكن ان تسبب لى فضيحة .. لولا ..

لولا ان القارئة العزيزة فى الستين من عمرها ..

شفاها الله ..

* * *

وبعد ..

هل لكل قصة اكتبها بطلة معينة ، او بطل معين ؟

لا اظن ..

انى اعتقد ان كاتب القصة ، يختزن فى خياله كثيرا من معالم الشخصيات التى صادفته فى حياته .. ثم اذا بدأ يكتب قصته .. لم يفكر فى البطلة اولا .. ولكنه يبدأ اولا التفكير فى الموضوع .. ثم يبدأ فى خلق بطلة يمكن ان تعبر عن هذا الموضوع .. يخلقها من معالم الشخصيات التى اختزنها فى خياله . فيأخذ انف خديجة .. ويركبه على فم فاطمة .. وعلى عينى امينة .. وعلى قوام ست الدار وهكذا .. ليس فقط فى معالم الشكل بل ايضا المعالم النفسية ..

وربما كان هذا هو السبب فى ان كل قصة يظهر لها دائما اكثر من بطلة ..

وعندما كتبت « لا انام » فوجئت بثلاث بنات يقفزن امامى ، وكل منهن تدعى انها البطلة .. وتثور علىّ لانى كتبت قصتها !

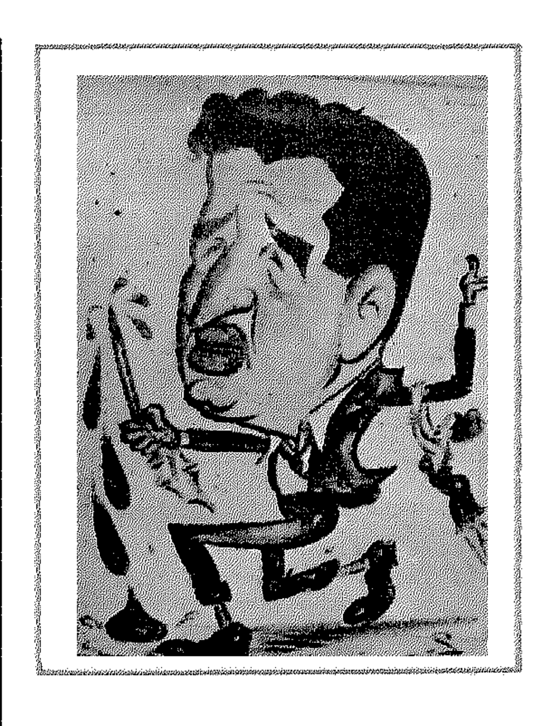
وعندما كتبت « لاتطفىء الشمس » ظهر لها اكثر من عشرين بطلا وبطلة .. بل ان فى هذه القصة شخصية كنت اعتقد انها شخصية خيالية .. وهى شخصية الاستاذ امين عبد السيد المعيد فى الجامعة .. ولكنى فوجئت بفتاة تقول لى فى التليفون .

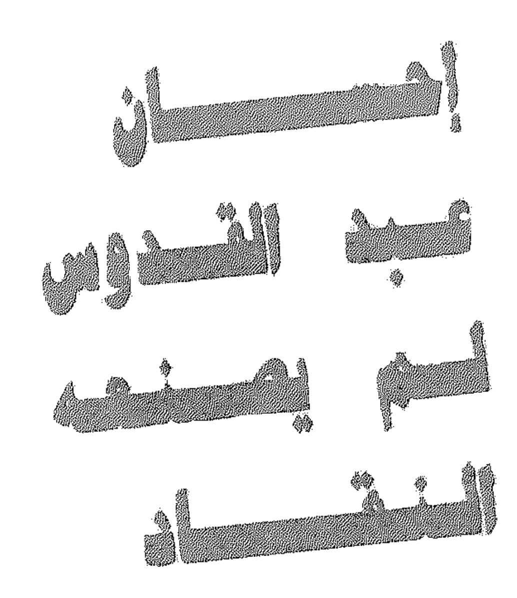
ـ اخص عليك كده تكتب عن بابا !!

إحسان بريشة صاروخان





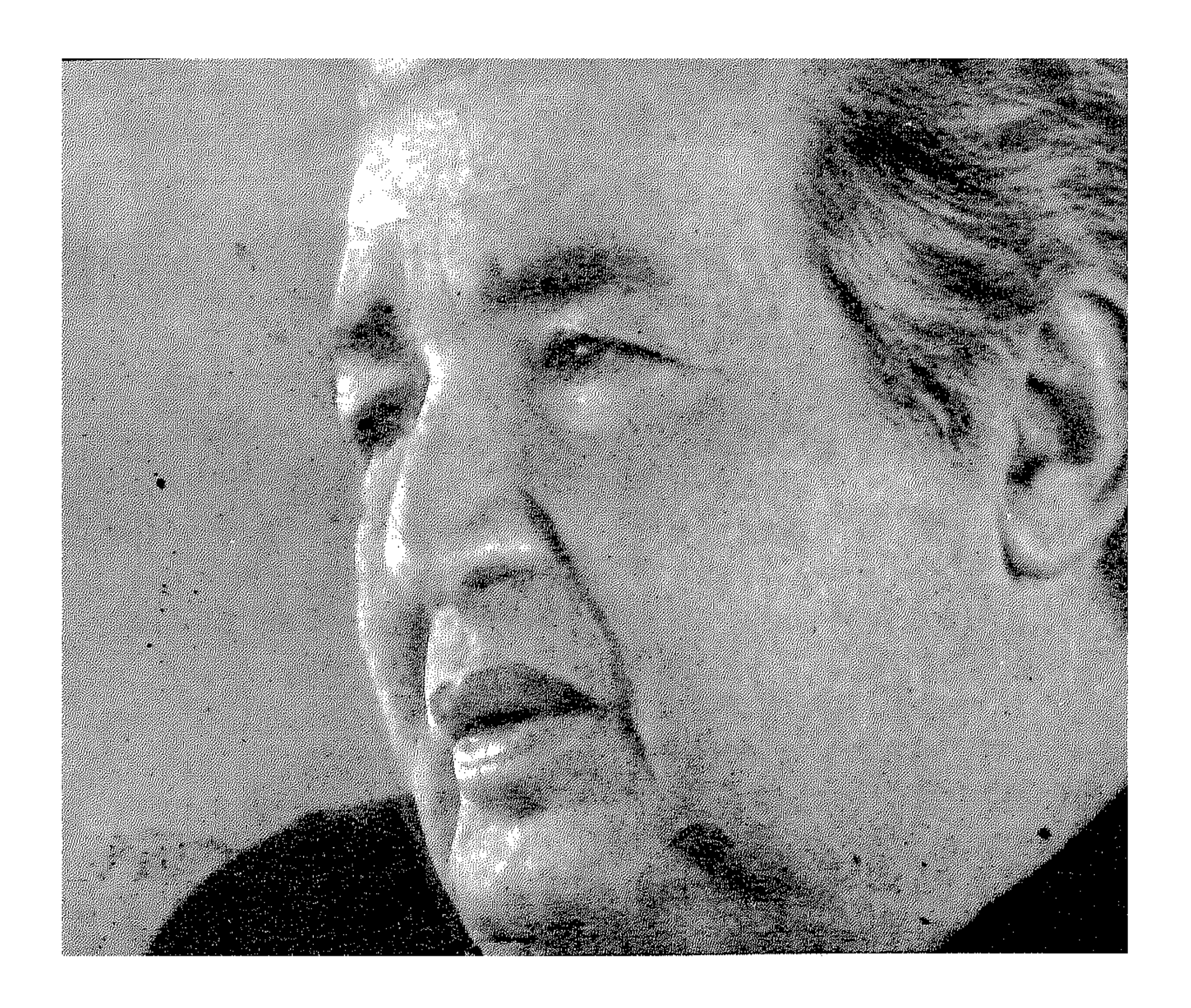




كتب : عادل عبد الصمد

يستطيع النقاد ان يقيموا ضجة حول هذا الكاتب أو ذاك ، وأن يتجاهلوا كاتبا معينا فلا يكتبوا عنه كلمة واحدة وهم يظنون انهم يقذفون به إلى الظلام ، ولكن الحقيقة أن النقاد لا يستطيعون بضجتهم ان يصنعوا كاتبا ، ولا يستطيعون بالتجاهل ان يئدوا كاتبا آخر .. ولاشك فى أن إحسان عبدالقدوس قد صنع شهرته بيديه بلا مساعدة من النقاد الذين كادوا يجمعون على التزام الصمت حول أدبه .. ولكن إحسان كان ـ مع ذلك ـ موضع إعجاب الكثيرين من الكتاب والصحفيين والأدباء ، كما تدل على ذلك السطور التالية :

● محمود تيمور : ليس فى أدب إحسان ما يعيبه ، فصاحبه قد التزم بمقومات الفن الإنسانى الأصيل ودواعيه الحقة .. إن أدب إحسان لا يرقى الشك إلى انه أدب فنى ، أدب الشباب يخاطب



وجدانه ويبسط نوازعه ، وهو صفحة صادقة من المجتمع الراهن بما يحويه من شخصيات وقضايا ومفاهيم ..

مجلة الجديد ١٥/٤/٧٣

● **محمد التابعي** : إحسان عبدالقدوس قصصى موهوب .. كانت روزاليوسف تشكو لى كثيرا من أنه لعبى وكان يقول لها اننى لعبى مثل التابعى ، ولكنى أعتقد ان شعوره بالمسئولية بعد وفاة والدته (ابريل ١٩٥٨) سيبطل عنه هذه الصفة ، انه يتقدم فنيا سنة بعد سنة ، فقصصه عام ١٩٥٩ أفضل بكثير من قصصه عام ١٩٥٣ والفرق واضح جدا فى الأسلوب والحبكة وهو يعرف بالضبط كيف يلتقط الحوادث العادية فى حياة الأفراد العاديين ويجعل منها مادة لقصصه ، فقصصه فى الواقع صور متعددة للحياة بين مختلف طبقات الشعب عندنا .

المصور ٢٢/٥/٥٩

● **مصطفى أمين** : « إحسان قصاص من الطراز الأول ، استطاع أن يشق طريقه فى الصخر واستطاع أن يصل إلى الصفوف الأولى بجهد وعرق ودم .. انه صحفى جرىء وقصاص أكثر جراءة .. »

الإذاعة ٢٠/٦/٥٩

● **د . زكى نجيب محمود** : إحسان عبدالقدوس هو أقدر من كتب فى المرأة وصور نوازعها ومشاعرها بدقة بالغة .

حواء ١٥/١/٨٣

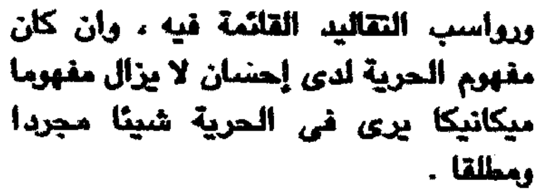
● **لطفى الخولى** : إن إحسان يعالج قضية الحرية لدى المرأة المصرية التى انطلقت منذ زمن يسير من ياسار الحريم وتساوت مع الرجل فاصطدمت بالمجتمع








محمود تيمور — محمد التابعى


ورواسب التقاليد القائمة فيه ، وان كان مفهوم الحرية لدى إحسان لا يزال مفهوما ميكانيكا يرى فى الحرية شيئا مجردا ومطلقا .

المساء ١٥/١/٥٩

● **رجاء النقاش** : رواية « فى بيتنا رجل » لإحسان عبدالقدوس تعتبر من أجمل الأعمال الأدبية التى تكشف المعانى الانسانية فى البطولة .. بطريقة فنية ناجحة .. إلى جانب انها تصور مرحلة حية من تاريخنا قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وفى هذه الرواية يتخلص إحسان عبدالقدوس من العناصر التى كانت تسبب ثورة النقاد عليه ، وعلى رأس هذه العناصر عنصر الجنس الذى كان إحسان يعتمد عليه كعنصر أساسى فى رواياته .. ولكن فى هذه الرواية والروايات التالية يتخلص من هذا العنصر فيبدو ثانويا فى كتابته أمام تصويره للعواطف والعلاقات البشرية الأخرى ..

مجلة الشهر مارس ١٩٦١

● **د . لويس عوض** : دعت مؤسسة روزاليوسف فى يوم الأحد الموافق أول يناير سنة ١٩٨٩ الأستاذ إحسان عبدالقدوس الذى يوافق ذلك اليوم عيد ميلاده الذى يلغ فيه سن السبعين .. وقد احتفلت مؤسسة روزاليوسف فى نفس اليوم بإطلاق اسم إحسان عبدالقدوس على قاعة كبيرة فى المؤسسة تسع ١٥٠ فردا ، وفى هذه المناسبة قام كثير من زملاء إحسان سواء داخل المؤسسة أو خارجها بإلقاء كلمة بهذه المناسبة ، من ضمنهم أحمد بهاء الدين ، كامل زهيرى ، والفنان عبدالغنى أبوالعينين ، لويس جريس ، سميحة أيوب ، نادية لطفى .. نبيلة عبيد ، عبدالعزيز خميس وغيرهم .. وسأختار من بينهم الأستاذ لويس عوض .. الذى القى كلمة كان لها اكبر الأثر ، فى نفوس المستمعين .

قال لويس عوض : سأحاول أن أكون مختصرا جدا .. وسأتكلم عن إحسان الذى انتصر على النقاد .. إحسان الذى عرفته منذ عام ١٩٤٠ وكان فى بداية حياته لا يزال طالبا فى كلية الحقوق ، وبعد ذلك مزاولا للعمل الصحفى .. لاحظنا أنه كان هناك عدة فرسان نذكرهم بالاسم إحسان عبدالقدوس ، ويوسف السباعى ، وأمين يوسف غراب ، ومحمد عبدالحليم عبدالله ، ولو نظرنا إلى إحسان عبدالقدوس نجد أن نقاد الأدب هو ليس مدينا لهم أو لأحدهم بشىء ، ظلوا يتجنبونه .. فهم لا يستطيعون أن يتجاهلوه كظاهرة أدبية ، ولكنه كان فى كتاباته




مصطفى امين


د . زكي نجيب محمود


لطفي الخولي


رجاء النقاش

محرجا لهم .. لأنهم لا يعرفون كيف يبوبون عملهم وهم بطبيعة الحال تعودوا القوالب والمدارس .. ومع ذلك فقد كان انتشار إحسان عبدالقدوس انتشارا جماهيريا ، تم انتشاره عن طريق السينما ثم انتشاره الذى وضعه فى قمة العمل الصحفى ، كان خير دليل على أن دور النقاد فى حياتنا المصرية دور ثانوى .. وأنا أعتقد ربما كانت هذه أحسن تحية يمكن أن تساق إلى إحسان عبدالقدوس .

المحررة :

وتأكيدا لكلام الدكتور لويس عوض اذكر أن الأستاذ إحسان أدلى بحديث لمجلة الإذاعة بتاريخ ١٢/١٢/٧٠ للصحفى عبدالمنعم صبحى والسؤال الموجه الى الكاتب ، هل لدينا نقد فى بلادنا ؟ .

الأستاذ إحسان عبدالقدوس : « ليس تماما فمعظم ما أقرأ من نقد ، غير مدروس ، وهو أميل الى الهجوم ، والمجاملة ، أكثر من دراسة وتقييم وتأمل .. »

صباح الخير أول يناير ٨٩

● **يحيى حقى :** لو أقيم عندنا معبد للحب لكان الأستاذ إحسان عبدالقدوس ـ رغم شبابه ـ حقيقا بأن يكون كاهنه الاكبر ، إليه يصعد بريد القلوب ، فيلقى عليه نظرة فهم واشفاق ، ثم يستخلص منه عن ابناء هذا الجيل وبناته صورة يكفيه أنها عنده صادقة ، وليس غير الصدق فضيلة تجمل الخير ، وتستل من الشر مكمن الخطر فيه ، خفاؤه وخبثه ونفاقه ، وقد يضيف إليها قصصا توحى بأنها مستمدة بلا طلاء من تجاربه فى الشرق والغرب ، فمن شأن أسلافه من قديم أن ينزلوا هم أيضا إلى الميدان ، لا حبا فى المشاركة فى اللعب ، حاشا لهم ، بل ليعرفوا الأمور حق المعرفة ، لا يضللهم عنها وسيط مخادع أو مخدوع ، وهل ينكر إنسان أن أنجح الدواء هو ما وصفه لك من خبر فى نفسه داءك ؟ .

وكاهن المعبد يعانى من جراء بريده وتجاربه هما ثقيلا ، إياك أن تحسبه سعيدا ، فالسعادة طير مفزع بطبعه ، هيهات أن يقتنصه صاحب رسالة تقتضيه أن يترك نفسه تتناهشها وتتناهبها أنات الأرواح ووجائع الاكباد ، فهاهو ذا يصارحنا تحت قناع من السخرية بالنفس « الكتاب ص ١١٩ » أن سر شقائه فى الدنيا أنه « يعتقد فى نفسه انه مبعوث




العناية الالهية لاسعاد البشر واصلاح حالهم » .

جدران هذا المعبد من زجاج ، ونوافذه مفتوحة على مصراعيها ، لأنه مستند الى دعامة لو قنع المجتمع بها وحدها لقام عليها كل بناء جميل مستو لا عوج فيه ، يعمه النور والهواء الطليق . فشكوى المجتمع غير المنكورة من أن مبانيه خليط من عمالقة وأقزام ، وحسن وقبح ، وانها معتمة أو مظلمة ، مخنوقة الأنفاس ، وأنها مخلخلة آيلة للسقوط ، لا يجد فيها ساكن غذاء روحه من الطمأنينة والهدوء ، فمرجعها عند أشياع المعبد أن المجتمع يصر – بسبب عقائده وتقاليده الموروثة – على أن يضيف إلى هذه الدعامة دعائم أخرى تختلف عنها طولا ومتانة .. هذه الدعامة الوثقى هي الإيمان المستند الى الواقع والتجربة ، لا إلى الأمل والمثل الأعلى ، بأن الضرر الذى قد يصيبنا على مدى الزمن من العلم والصراحة ومواجهة الحقائق فى مسائل الحب والغريزة والجنس ، هو أخف فى مجموعه بكثير من الضرر المحقق الواقع بنا فعلا ، المتكرر ، أو المتزايد جيلا بعد جيل ، من جراء احاطتها بالكتمان والتستر ، وتفسيرات خاطئة أو مكذوبة .

الرسالة الجديدة ديسمبر ١٩٥٥

● عباس محمود العقاد : « إنه صاحب أدب الفراش» وتجاهله ككاتب صحفى .. وقال عنه بعض النقاد انه « رائد مدرسة الأدب العارى فى مصر .. »

● د . جابر عصفور :

فى أدب إحسان هذه النظرة الرحبة الى العالم ، وهى نظرة تحاول أن تلتقط مختلف الجوانب المعقدة والممنوعة والمتنوعة فى الحياة الانسانية .

النظرة الشجاعة فى تحليل العلاقات الانسانية من منظور الرجل والمرأة وبطريقة لم يعرفها الأدب العربى من قبل ...

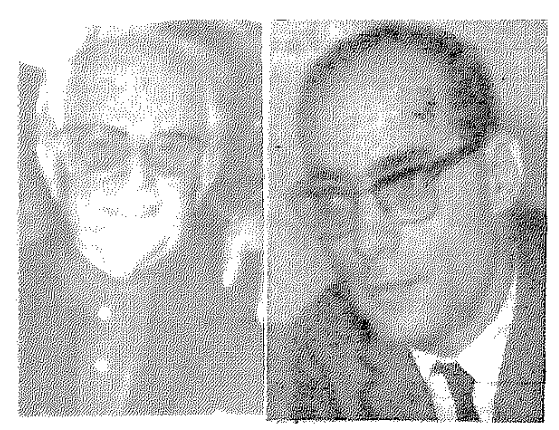
● محمود أمين العالم :

هناك سؤال لابد أن يتبادر الى أذهان الكثيرين من المعنيين بقضية الأدب فى مصر :

لماذا يختار إحسان كل أبطال قصصه أفرادا فى طريق الهاوية الى الانحلال الخلقى والتعفن النفسى وتدهور الضمير ؟ لماذا كانت الدعارة وبيع الأجساد بالمال موضوعا عاما فى انتاج إحسان الأدبى ؟ .

إن إحسان يجيبنا ، لا أستطيع غير ذلك ، هذا هو الواقع ، ومن المسلم به ان ابطالا من هذا الطراز موجودون أحياء فى مصر ، وانه يستطيع ان يجدهم متى ذهب اليهم وقضى معهم بعض الوقت فى ملاهى عماد الدين أو سهرات الأوبرج أو نوادى السباق أو حفلات الطبقة (الراقية) فمثل هذه الأماكن مملوءة بالأرواح الميتة التى لا تعرف هدفا لوجودها مملوءة بالنفوس التى حطمها الضجر والخمول وشراء الأجساد بالمال وتعاطى المخدرات وموت الضمير .

ولكن هل صحيح أن مصر كلها على هذا الطراز ؟


د . لويس عوض   يحيى حقى

إن هناك مصر اخرى ، مصر التى يعيش فيها ملايين من العمال والفلاحين والطلبة والموظفين يعملون فى المصانع والحقول والمعامل والدواوين ، مصر التى يتصارع فى ضميرها القلق والأمل ، مصر التى حاربت فى القنال ومازالت تصارع دفاعا عن استقلالها وشرفها وحريتها ...

وبالاختصار هناك شعب بأسره يضطرب بالحياة والقلق والتطلع الى المستقبل ، ومثل هذه الحياة ، مثل هذه الملايين من أبناء الشعب ، تستطيع ان تزود الفنان بمادة حية لفنه لو شاء هو أن يختار ...

إن من المعترف به أن إحسان يتناول فى قصصه الواقع ولكنه رغم ذلك ليس من أنصار المدرسة الواقعية لأن الواقع الذى يتناوله محدود ، وهو بمثابة خبرة بشرية ضيقة ... وحتى هذا الواقع المحدود لا يتناوله إحسان فى إطار عام من فهم صحيح للواقع الكلى للمجتمع المصرى ، ولا بالأسلوب الذى يقتضيه هذا الفهم ..

« فى الثقافة المصرية » ١٩٥٥

● عبدالرحمن ابوعوف :

يستحق إحسان عبدالقدوس من جيلنا كل التقدير والاحترام ايا كانت اختلافاتنا معه حول مفاهيم ونوعية فن الرواية والقصة والتحليل السياسى لاكثر من سبب ربما ابرزها فى اعتقادى صدقه مع تكوينه الفكرى والسياسى وتماسكه عبر كل المراحل التى يرز من خلالها قلمه المميز المقدس لحرية الرأى سواء فى ظل النظام الملكى أو النظام الجمهورى بكل اشكاله التى تتابعت حتى الآن .

والكتابة عن إحسان عبدالقدوس فى هذا المجال المحدود صعبة فهو كاتب رواية يحتاج إلى دراسات تفصيلية حاولنا القيام بها فى مجلات متخصصة ربما لأن احسان عبدالقدوس الروائى والكاتب السياسى وحدة محيرة للناقد تجعله يحتاج الى رصد كل أشكال كتاباته ، والتى بالتأمل والحيطة والاتزان يمكن اكتشاف سماتها وهى التنوع والوحدة والخبرة العميقة بكل أشكال الحياة الاجتماعية البسيطة والمركبة فى المدينة البرجوازية ، تبدأ بتأمل وتصوير وتحليل العلاقات الاجتماعية من وحدة الأسرة حتى العلاقة مع الطبقة والسلطة .

● د . لطيفة الزيات :

الانسان الحر هو ذلك الإنسان الذى تنبع أفكاره ومشاعره وافعاله من ذات مستقلة عن الآخرين ، ويتحول هذا الانسان الى شىء مسلوب الارادة والذات اذا ما صدر عن فكر غير فكره ، وعن رغبات غير رغباته تقوده بالضرورة الى افعال غير افعاله وان صدرت عنه ، والانسان يتحول الى شىء اذا ما استسلم لهذا المصير سواء وعى هذه الحقيقة أو لم يعيها .

والمجتمع الذى نعيش فيه يشرع جميع أسلحته لسلب الإنسان حريته بهذا المعنى ، أى لفرض وعى زائف على الانسان يفقد بمقتضاه القدرة على الفكر




المستقل والرغبة المستقلة والفعل المستقل ، والمعركة التى يشنها المجتمع الطبقى على الانسان فى هذا الاتجاه تبدأ من المولد الى الممات . وفى مجتمع طبقى مغلق يفتقر الى الحرية والديمقراطية ، ترمى التربية التى يتلقاها الطفل فى البيت ، والصبى فى المدرسة ، والفتى فى الجامعة والمواطن فى الحياة العامة ، عن طريق الجريدة اليومية والإذاعة والسينما والتليفزيون وأحيانا عن طريق الكتاب والتفسيرات المتعسفة للأديان والتراث والتقاليد العفنة والأعراف ، الى تزويد الانسان بوعى زائف غير وعيه الناتج من تجربته ، وبفكر زائف غير فكره الناتج من حاسته النقدية الفاحصة ، والى تحويله بالتالى إلى شىء متوائم مع أسرته ، ومتوائم مع مجتمعه ، يصدر عما تريده له الأسرة أولا ، ويصدر عما تريد له السلطة ثانيا ، وهو يتوهم أنه يصدر عن ذاته ، والانسان حر بمدى ما يحافظ على ذاته الحرة ، وعلى ارادته الحرة ، وبمدى ما يفسد كل مخطط لتزييف فكره ومشاعره وفعله ، واذا كانت محاولة تشيىء الانسان تمارس ضد الرجل فى مجتمعنا مرة ، فهى تمارس ضد المرأة مرتين ، ويساهم فيها الرأى العام والرجل أبا وأخا وزوجا ، والمرأة أما وأختا وصديقة وجارة تحت تأثير الايديولوجية الطبقية المسيطرة ، ويتمخض عن كل هذا منظور للمرأة يتبناه الرجل فى كل الطبقات بلا وعى ، وتتبناه المرأة فى معظم الأحيان ، ويتحول المنظور الى وعى زائف يكرس وضعية مجتمع يرتبط فيه الاضطهاد الطبقى باضطهاد الذكر للأنثى ، والمرأة فى ظل هذا المنظور لا وجود لها فى استقلال عن الرجل وهى موجودة بمدى ما تدخل فى علاقة مع الرجل كأم أو أخت أو ابنة أو عشيقة الخ ... وهى بالنسبة للرجل « الآخر » أى الموضوع لا الذات المستقلة القائمة خارجا عنه ، والمجتمع الطبقى يصنع المرأة بوعيه الزائف ويحبسها فى قوالب نمطية مستهلكة فى ظل هذا الوعى .

وإذا كان الفكر والفعل الصادر عن الذات الحرة المستقلة يشكل السمة الأولى من سمات الحرية الانسانية فهو ليس بالسمة الوحيدة ، بل لعل مثل هذه الحرية تبقى محصورة فى نطاق ما يمكن أن نسميه بالحرية السلبية ، التى تبقى معبرا الى حرية ايجابية أكثر رحابة ودلالة ، والانسان الحر فعلا هو الانسان الذى يتفاعل بذاته الحرة مع المجتمع والناس من حوله من خلال أفعال خلاقة وعلاقات حميمة تستوعب الفكر والمشاعر معا ، العقل والجسد معا ، الشعور والحس معا ، والانسان الحر هو الذى يعيش ويعمل معيدا صياغة ذاته ومجتمعه ، والانسان الحر هو الذى يمارس الحياة كإنسان كلى بمجمل ملكاته الانسانية والكلية ، واختزال الوجود الانسانى الى بعد واحد يطيح لا بحريته فحسب ، بل بانسانيته ، ويحول هذا الانسان الى شىء .

وقد يكون التوصل الى مثل هذه الحرية مطلبا عزيزا فى واقعنا العربى ، ولكن

تتبقى حقيقة ان التطلع الى الحرية ضرورة وأن الحرية درجات وأن انسانيتنا تتبدى فى أكبر قدر من الحرية ننتزعه من مجتمعنا ، وبأكثر قدر من الحرية نغنى به مجتمعنا ، ونملك أن نحققه فى ظل الواقع الموضوعى لهذا المجتمع .

من كتاب « صور المرأة فى الروايات العربية »

● محسن محمد :

فى بعض الصحف ، والمجلات هذه الأيام حملة قوية على إحسان عبدالقدوس لانه بدأ أخيرا فى نشر قصة جديدة مسلسلة ، بعض الكتاب قال عن إحسان انه يشغل الناس بهذه القصة عن الاهتمام بأمور أجدى واهم والبعض الآخر قال إن هذه القصة ككل قصص إحسان جنسية او معظمها أدب جنسى وقال البعض إن نشر هذه القصة هو مصيبة المصائب وكارثة الكوارث وانها هى التى ستؤدى الى انحلال الشباب وانحرافه وانا لا اكتب هنا دفاعا عن إحسان .. هذا ليس قصدى ولا الدفاع يعنينى فإحسان لديه قلمه ولديه لسانه وهو لاشك أطول وإنما يهمنى هنا الدفاع عن حرية الأديب ، سواء أكان إحسان أم الكتاب والنقاد انفسهم الذين هاجموه وحملوا عليه ويريدون أن يحملوه من الآن وزر كل جريمة يرتكبها شاب خلال فترة نشره القصة المسلسلة فإذا صح مثلا ان هذه القصة أو غيرها تشغل الناس عن الاهتمام بأمور مجدية فيجب تطبيقا لهذه القاعدة أن نمنع الاذاعة والتليفزيون من أن يذيع كل المسرحيات والتمثيليات والأفلام المصرية والاجنبية فكلها بغير استثناء تعرض قصصا عن الحب وزوجة خائنة وطفل غير شرعى .. وتطبيقا لهذه القاعدة أيضا يجب منع ترجمة كل الكتب



د . لطيفة الزيات   محمود امين العالم

العاطفية أو نشر كل انتاج مؤلفى المسرح وكتاب القصة لأن قصصهم أو معظمها تدور حول العاطفة وفى كثير منها مواقف غير بريئة لا تتفق مع الدعوة لنوع معين من الأدب ليست فيه قبلة محرمة أو فاكهة محرمة ...

لماذا يستثنى إحسان وحده ولماذا يطالب دون غيره بألا يكتب قصة لماذا وفى كل مجال الانتاج الفنى تكتب وتنشر وتذاع على الناس قصص كثيرة فيها مواقف كتلك التى يكتب عنها إحسان . وان من حق كل كاتب وكل ناقد مثلا أن يهاجم اسلوب قصص احسان أن ينتقد فكرة القصة ... أن يقول إن الفكرة لا تتضمن جديدا أو أنها مسروقة أو مقتبسة أما هذه المناقشات فماذا أقول إلا أنها تساهم ربما عمدا أو بغير قصد فى الدعاية للقصة المسلسلة الجديدة » .

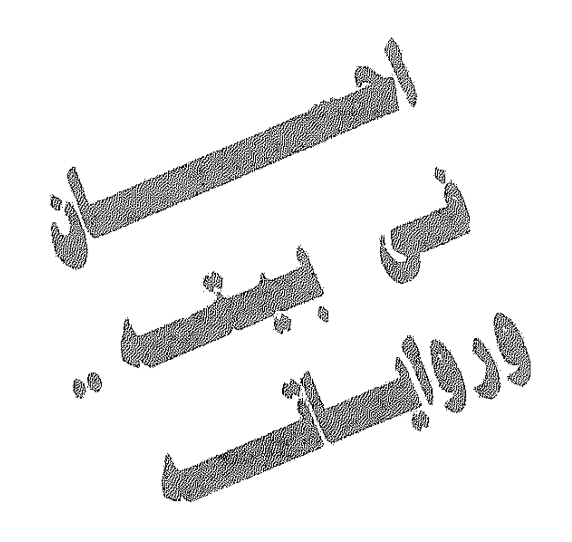
الجمهورية ١٩٦٢/٢/٢٨

● انيس منصور : إن إحسان عبدالقدوس هو طبيب العلاقات الاجتماعية ومهندس العلاقات السياسية ، ذلك أن الفن القصصى عنده لا ينطوى على ظاهرة ، « تشكيل بشرى » فحسب بل هو ينطوى كذلك على ظاهرة « تشكيل اجتماعى » .

١٩٨٩/٨/١٣

احسان عبد القدوس





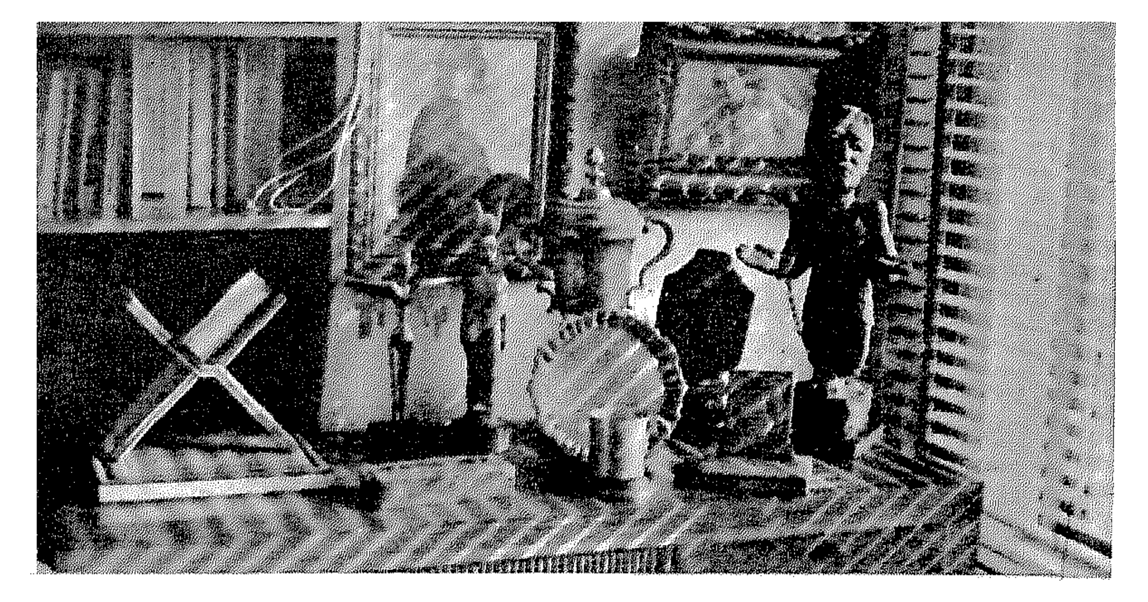
كتبت : نجوى صالح

منذ اربع سنوات تعرفت باحسان عبد القدوس وزوجته عن طريق صديقتى نرمين سكرتيرته الذى يسميها (نصف عقلى) ، وكان اللقاء الأول لمناسبة عيد رأس السنة الذى يوافق يوم عيد ميلاده .. كان واضحا عليه الاجهاد ، ولكن ارتسمت على وجهه ابتسامة تنم عن سعادته بمن حوله وبما حوله .

وحينما تزور « احسان » فى بيته تلاحظ الحرص الشديد على انتقاء كثير من الأعمال الفنية من لوحات وتماثيل لفنانين مصريين ، واختيار قطع من الأثاث ذات ذوق خاص .

وهناك الحب الذى يملأ البيت والتراحم بين أفراد الأسرة .

وقد شدتنى نظرة زوجته لولا اليه .. الى ذلك « العجوز » القابع على كرسيه ، وكأنها تقول اليه : « أحببتك .. والآن .. حبى لك مشوب بالخوف عليك » لقد رأيت



تمثال وميداليات وكاس تقديرا لأعمال إحسان الأدبية والسينمائية

زوجته متيقظة لكل حركاته وسكناته .. وكان يعانى من مرضه الأخير .

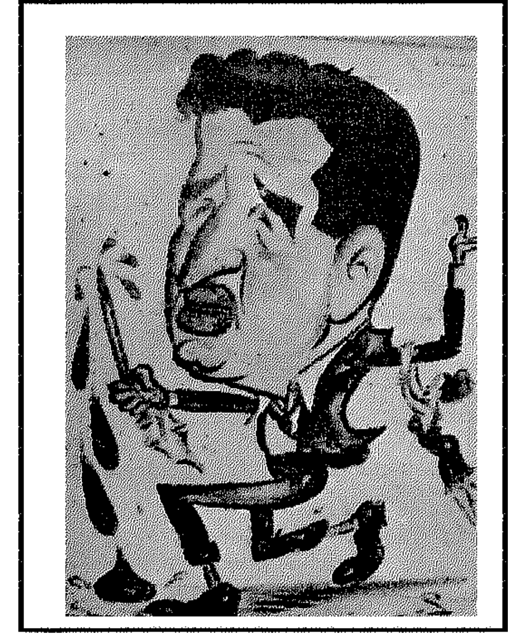
واذا كنت رأيت احسان عبد القدوس فى سنواته الأخيرة ، فإن صلتى بأدبه قديمة .. فقد كنت فى الثامنة عشرة من عمرى حينما بدأت أقرأ لهذا الكاتب المتميز البديع الاسلوب وكنت متزوجة فى ذلك الوقت ، وتوالت قراءاتى له وتعلقت بشىء ما فى قصصه ، لم أستطع أن اتبينه جيدا ..

إلا أنه خط خفى عن قضية الثواب والعقاب .. وهاهو أجد فى كتاب الكاتب الكبير (يحيى حقى) خطوات فى النقد يفسر ما كنت أشعر به فى مقال بعنوان « الوسادة الخالية » لاحسان عبد القدوس .. قال « يحيى حقى » لأن الاستاذ احسان .. قد حصن نفسه من النقد بفطنة وذكاء منبعثين من روح سمحة طيبة تهفو الى الخير والفضيلة فهو يدير فى الواقع كل قصصه فى اطار من القيم الأخلاقية ، فأنت تراه يؤكد أن الزواج لن يقوم على الخطيئة او الجريمة ، ويحمل حملة شديدة على البغاء الرخيص .. فيقول عن بعض الشبان : « يحاولون أن يكونوا رجالا على حساب امرأة مسكينة تطعمهم بجسدها المتعب ويظلمونها بأجسادهم الفتية » .

وهو قوى الأيمان بالخير ، وان الانسان مفطور عليه فيقول :

« ليس فى الدنيا رجل شرير وامرأة شريرة ، فانك لو بحثت فى نفس كل رجل وامرأة لوجدت منفذا من النور تستطيع أن تصل منه الى قلبه ، وتثير أرقى عواطفه » .

وهو بعد ذلك متفائل ، لايكربه مايصادفه الفتى والفتاة من تجارب وزلات فى مستقبل الصبا ، لأن الزمن كفيل بأن يهديهما سواء السبيل ، فيجد ان عنده السعادة والطمأنينة ، وهذه قصة (الوسادة الخالية) . أصدق مثال على هذا الاتجاه المحمود ، فليس فى قصص الاستاذ احسان ، اعتراف بأن الشر والرذيلة ، عنصران ثابتان فى طبيعة الانسان ، وليس فيها انجذاب مقبل على القبيح والتلذذ بعرضه ـ والتمرغ فيه ، بل هناك ظاهرة واضحة .. وقفت أتأملها طويلا .. أحاول أن أفهم دلالاتها ، وهى أن سطور الاستاذ احسان .. محشوة بذكرى الجنة ، واجنحة الملائكة ، والطهر والعفاف ..




احسان عبد القدوس



بقلم: د. يوسف خليف

تبدو المرأة المحور الأساسى الذى تدور عليه اكثر اعمال إحسان عبد القدوس الروائية ، او الشخصية المحورية فى اكثر رواياته . وهى ظاهرة طبيعية فى الفن الروائى . بل فى كل الفنون الأخرى ، وإن تكن هناك شخصيات محورية اخرى تظهر احيانا معها فى طائفة منها . ولكن المرأة فى أعماله الروائية تختلف فى ملامحها المميزة لها عن المرأة عند غيره من الروائيين العرب .

انها ليست « المرأة المثال » التى تتراءى خيرا خالصا ولا « المرأة الأفعى » التى تتراءى شرا

مطلقا ، ولا "المرأة التاريخ" التى تتراءى صورة للذكرى معلقة على جدار ، وهى ايضا ليست المرأة الريفية بنت القرية . ولا المرأة الشعبية بنت البلد ، ولا غيرها من النماذج النسائية التى نراها فى رواياتنا ، ولكنها "المرأة الجديدة" التى تعكس ما حققه مجتمعنا المعاصر من تطور نتيجة اتصاله بالدنيا المتحضرة من حولنا التى انفتحت حياته عليها ، أنها بنت هذا المجتمع الجديد بكل ما أتاحه لها من حضارة وثقافة وحرية وانطلاق فى عالم مفتوح بعيدا عن عالم القيود والسدود ، إنها المرأة الجديدة التى وجدت نفسها ، وحققت ذاتها ، وأثبتت شخصيتها ، وخرجت من "عالم الأنوثة" .

وعالم إحسان الروائى من هذه الزاوية

بورتريه لإحسان
للفنان صبرى راغب

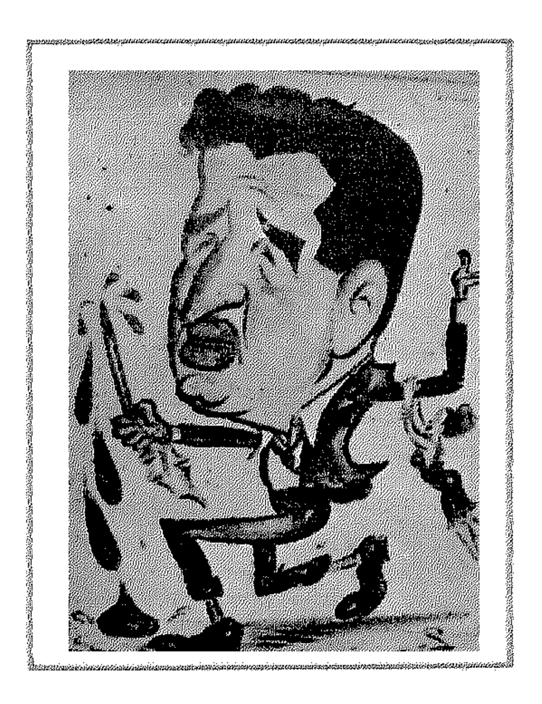


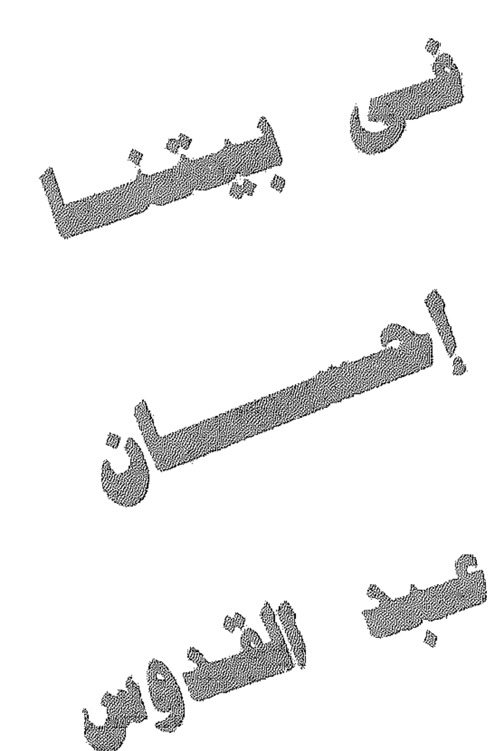
يتشابه فى كثير من جوانبه مع العالم الشعرى لشاعر الغزل الاكبر فى تاريخ الشعر العربى عمر بن أبى ربيعة الذى انفرد بين شعراء العربية بلون متميز من الغزل لم يستطع شاعر عربى غيره على امتداد رحلة الشعر العربى الطويلة أن يكون صورة أخرى منه . لقد استطاع عمر أن يرسم فى شعره صورة دقيقة صادقة للمرأة الجديدة المعاصرة له التى ظهرت مع المجتمع الحجازى الجديد فى العصر الأموى بكل ما تمثله من تطور حضارى لم تشهده المرأة العربية فى أى مجتمع آخر فى هذا العصر ، وما أتاحه لها من انفتاح على الحضارات الأجنبية التى قد تدفقت عليه مع موجات الفتوح الاسلامية .

وقد أتاحت لعمر هذا اللون المتميز من الغزل الذى استطاع أن يرسم فيه هذه الصورة الدقيقة للمرأة الجديدة المعاصرة له نشأته الأولى وحيدا لأمه التى أحاطته بكل ما تحيط به أم وحيدها الصغير ، وأتاحت له فرصة نادرة لتصله بالجو النسائى الذى كانت على صلة به أتاحت له بدورها فهما دقيقا لنفسية المرأة وخبرة بعواطفها وأحاسيسها ، وما يدور فى أعماقها من رغبات ونزعات ، وما يسيطر على حياتها من دوافع وأهواء ، وما يجرى على لسانها من عبث ودلال . ومن خلال الأسلوب القصصى الذى اعتمد عليه فى بناء قصائده تحول ديوانه الى مجموعة قصصية تدور كلها حول المرأة على قدر كبير من البراعة فى رسم الشخصيات النسائية وادارة الحوار بينها من ناحية وبينها وبينه من ناحية أخرى .

هكذا كان عمر فى عالمه الشعرى ، أو لم يكن كذلك إحسان فى عالمه الروائى ؟

● ● ●





بقلم : محمود قاسم



احسان عبد القدوس هو احدى المرايا التى رأى فيها الكثير من الناس انفسهم طوال نيف واربعين عاما ، حيث راح يجسد احلامهم ، وافكارهم ، وتمردهم بإيقاعه الخاص .

وقد نجح الكاتب ان ينقل غالبية كبيرة من الناس الى حيث القصور الفخمة ، والابنية التى يسكنها ابناء الطبقة الراقية ، فراح يمزق ، بمبضعه وقلمه ، حشايا هذه الطبقة تارة ، وراح يرتق تمزقاتها تارة اخرى .

● كانت السينما هى الحقل الخصب لبنات افكار احسان عبد القدوس . فالسينما المصرية بشكل عام ، تميل الى تلك الحكايات الملتهبة التى راح يرويها فى رواياته واقاصيصه ، وكان على السينما

ان تتخلص من حكاياتها الميلودرامية المتكررة ، والجامدة كى تجسد روايات احسان ، ولتتعامل معها بشكل مكثف جعل منه الكاتب الاكثر تعاونا ، من خلال النصوص المأخوذة عنه ، مع السينما .

ويمكن ان نرصد علاقة ادب احسان بالسينما من خلال مجموعة من السمات نوجزها بما يتناسب واهمية هذا الموضوع .

- استطاعت روايات احسان ان تصبغ كل مخرج عمل معه بصبغة خاصة . وفى خلال الاعوام الخمسة والثلاثين الماضية شهد كل الذين عملوا مع احسان بما يسمى « بالمرحلة الاحسانية » فعلى سبيل المثال فان صلاح ابو سيف اختار ان يتوقف عند روايات الكاتب ، وقدم نوعا جديدا من الافلام يختلف تماما عن الافلام الواقعية التى اشتهر بها سميت بالمرحلة الرومانسية . واخرج لاحسان ثمانية افلام من اهمها « الطريق المسدود » ، « لاأنام » ، « انا حرة » « ولاتطفىء الشمس » وغيرها بين عامى ١٩٥٧ و١٩٦١ .. ثم توقف عن العمل فى هذه الروايات الى ان عاد مرة اخرى ولمرة واحدة ليقدم فيلم « وسقطت فى بحر العسل » عام ١٩٧٦ .

نفس الشىء حدث مع كمال الشيخ . فبعد ان قدم « بئر الحرمان » عام ١٩٦٩ . قدم فى العام التالى رواية « شىء فى صدرى » وكان قد سبق ان قدم فى عام ١٩٦٦ اسكتشا فى فيلم « ٣ لصوص » تحت عنوان « سارق عمته » .. اما حسام الدين مصطفى فرغم انه حقق نجاحا متميزا مع « النظارة السوداء » عام ١٩٦٣ الا انه لم يعد الا بعد عشر سنوات من خلال « غابة من السيقان » وقدم له على



الخيط الرفيع .. فصل
بين فاتن ومحمود ياسين

سنوات متتالية افلاما مثل « الرصاصة لاتزال فى جيبى » و« انا لاعاقلة .. ولامجنونة ».

ويعتبر حسين كمال المخرج الاقرب الى روايات وادب احسان عبد القدوس فى السنوات الاخيرة .. بدات هذه العلاقة عام ١٩٦٩ من خلال فيلم « ابى فوق الشجرة » الذى استوحاه الكاتب من قصة تاييس لاناتول فرانس . وقد حقق الفيلم نجاحا مميزا .. وعرض قرابة عام باكمله فى دور العرض ، مما دفع بحسين كمال ان يقدم فى عام ١٩٧٢ فيلمين لاحسان هما « امبراطورية ميم » و« انف وثلاثة عيون ». وقد تعامل المخرج مع هذه النصوص المكتوبة بشغف شديد ، وبوجدانية دفعته ان يكرر التجربة على فترات متقاربة للغاية ، ومن اهم هذه الافلام « دمى ودموعى وابتسامتى » عام ١٩٧٣ ، و« لاشىء يهم » ١٩٧٦ . ثم « بعيدا عن الارض » فى العام التالى . وفى النصف الاول من الثمانينات بدا كأن المخرج قد امتزج اكثر بكيان الكاتب




فاخرج له « العذراء والشعر الابيض » و« ايام فى الحلال » ثم « ارجوك اعطنى هذا الدواء » وهى افلام تتمتع باهمية فنية خاصة فى السينما المصرية .

● المرأة التى جرحتها الثورة

انجذبت السينما الى النموذج الانسانى الذى يصنعه احسان ، خاصة نموذج المرأة ، ورغم ان هذا النموذج قد تكرر واصبح نمطيا ، الا ان السينما راحت تستهلكه . تضيف اليه . وتقص منه كما تشاء ، وهذه النماذج تدور فى أطر محددة حول الخيانة الزوجية ، والملل ، والبحث عن الرجل المناسب .

والطموح فى هذه الافلام ، هو سبب كسر كل العلاقات الانسانية فهو طموح ميكافيلى . يمكن لصاحبه ان يدمر كل القيم من اجل اعتلاء المكانة التى يسعى اليها : كوثر فى « لاأنام » . وأمينة فى « انف وثلاثة عيون » وفايزة فى « ولايزال التحقيق مستمرا ».

واذا كانت بعض النساء الارستقراطيات يمارسن الهوى فى اعماله الروائية والسينمائية بدافع الشبق ، فان العاهرات غالبا مايكن ساقطات رغما عن انوفهن ، مثل سوسن فى « اختى »، فهى تضطر الى ممارسة الدعارة من اجل تربية اخوتها . وهى تهب جسدها للمهندس لانه يحبها ، وهى تأبى ان تنتقل معه الى كفر الزيات كى يعاملها نفس المعاملة .

وهذه الشخصية تختلف تماما فى الاقصوصة التى كتبها احسان ، فهى مجرد عاهرة يعيدها عشيقها الى المدينة عندما تحوم الشبهات من حولهما . اما شخصية منى فى « الخيط الرفيع » فهى عشيقة لرجل واحد من اجل الضمان الاجتماعى .. وهى تتحول كثيرا بعد ان يدخل فى حياتها رجل اقل خبرة بشئون النساء .. وبعد ان يكبر الرجل اجتماعيا يفكر ان يترك حبه من اجل مستقبله .. مما يدفع بها ان تعود الى عشيقها القديم .. ثم الى رجل ثالث .

ويتعمد احسان ، فى رواياته ان يصور الكثير من هؤلاء النساء على انهن غير مصريات .. مثل شخصية ماجى فى « النظارة السوداء » ويولندا فى « الخيط الرفيع » فهى من أم ايطالية واب مالطى ..

وفى اقصوصة « محاولة انقاذ جرحى الثورة » التى صورت فى السينما تحت عنوان « آه ياليل يازمن » تفضل فاتن البلتاجونى العمل مع بنات الليل فى الغربة عن العودة الى مصر ، التى هربت منها بعد قيام الثورة ، وعندما تعود الى مصر من اجل فتح صفحة جديدة يصدمها الواقع الاجتماعى الذى يحوط بها ، فتقرر العودة مرة اخرى من حيث جاءت .

● أخت .. وكيل النيابة

ليس صحيحا بالمرة ان احسان قد جعل فقط من المنحرفات ، والنساء الشبقات بطلات لرواياته فهناك العديد من



بيت احسان عبد القدوس .. وطني .. ومتبين

النساء اللائى يتمردن على العالم الذى حولهن ، ويسعين الى تحقيق طوبوية خاصة ، رغم مايتعرضن له من عقبات ، ومايوضع امامهن من عراقيل ، مثل شخصية فايزة فى « الطريق المسدود »، فهى فتاة مثالية ، حالمة تعيش فى اسرة ينخرها الفساد ، فتهرب الى الريف لتعمل هناك كمدرسة . فتصطدم بسلبية الناس . وشرورهم ، وخاصة الشاب الذى ارتكنت اليه . ثم المؤلف الذى تعجب بمؤلفاته عن المثالية .

وهناك ايضا سميحة فى « الوسادة الخالية » التى تقرر ان تقطع كل علاقتها بحبها الاول العابر ، طالما انها اصبحت زوجة لرجل مرموق .. وتمسح تماما كل هذه الصفحة التى لايمكن للرجل ان ينساها . اما امينة فى « انا حرة » فهى تمر بحالة تمرد من اجل البحث عن كينونة خاصة ، الى ان تلتقى بعباس الذى يوجه هذا التمرد ناحية وجهته الصحيحة ، نحو الايمان بتحرر المرأة ، وقضايا الكفاح الوطنى .. كذلك هناك ماجى فى « النظارةالسوداء » التى تشهد تحولا ملحوظا فى حياتها بعد ان تعرفت على المهندس المناضل من اجل حقوق العمال .. والتى تسعى فى الفيلم لاعادته الى حظيرة الالتزام مرة اخرى بعد ان كاد ان يهوى الى القاع ..

وفى « كرامة زوجتى » الذى اخرجه فطين عبد الوهاب ، راحت الزوجة توهم زوجها انها تخونه مثلما يفعل حتى تعيده مرة اخرى كانسان ملتزم رغم كافة الاغراءات التى تتعرض لها فى العمل ، والنادى ، كامرأة جميلة . وقد تكرر هذا




النموذج فى « دمى ودموعى وابتسامتى »، فرغم ان الزوج قد اقترن بالمرأة من اجل مالها .. ورغم انه يخونها .. ويحاول ان يتاجر بجسدها ، الا انها تقاوم كل هذه الرغبات الشيطانية بكل مالديها .

غيرت السينما الكثير من الاحداث والوقائع عندما حولت ادب احسان الى الشاشة . فبطل اقصوصة « امبراطورية ميم » هو رجل كل ابنائه من الذكور ويسعى كل منهم الى اثبات انه يفكر بالطريقة المثلى ، مما يدفع بالاب الى اجراء انتخابات عائلية ، وقد قدم الفيلم الذى اخرجه حسين كمال الفكرة المتعلقة بالانتخابات فقط . وحول الاب الى ارملة تتولى تربية بناتها وابنائها .

وفى فيلم « اضراب الشحاتين » الذى اخرجه حسن الامام فى تجربة فريدة من نوعها ، حيث جعل الحوار كله غنائيا ، تحولت شخصية التاجر المحسن الى وزير يود ان يقيم لنفسه دعاية انتخابية خلال عشرينات هذا القرن ، والغيت شخصية زعيم الشحاذين ، واستبدل بها علاقة حب بين شحاذة حسناء « لبنى عبد العزيز » واحد العمال الذين جاءوا من منطقة اخرى .

وفى فيلم « اختى » لهنرى بركات تبدلت وظيفة رجل القانون الى مهندس زراعى . ففى الاقصوصة يعمل محمود بك وكيلا للنيابة فى احدى المدن الصغيرة . ويقرر ان يحضر سعدية من الاسكندرية لتعيش معه على انها اخته ، وهذه الاخت المزعومة تدور بين أسرة الرجال ، وتدور الاقاويل .. فالرجال يفخرون انهم على علاقة باخت الوكيل .. مما يدفعه ان يردد « اختى ليست مومسا . اختى ليست سعدية » . وعندما يكتشف امره يقرر ان يقدم استقالته .. وفى الفيلم تكون المرأة فقط من اجل المهندس الزراعى .. ولكنها تسبب له المتاعب عندما يجىء الشباب ليخطبوها منه .. فيقرر ان يغادر المدينة .

● ملكة جمال .. وامرأة بدينة

تغيرت نهايات الافلام المأخوذة عن قصص احسان عبد القدوس كثيرا عن النهايات الواردة فى اعماله الادبية ، فقد تزوجت امينة من عباس فى فيلم « انا حرة »، ويدخل السجن بتهمة الكفاح الوطنى ضد الاستعمار . اما فى الرواية فقد اختارت ان تعيش مع عباس الذى علمها كيف تكون العبودية والخضوع للرجل ، وتقيم معه فى شقته دون ارتباط شرعى ولايفكران فى ممارسة هذا القانون السماوى . اما فى « النظارة السوداء » فقد كان على المهندس ان يختار الطموح الاجتماعى على حساب علاقته بماجى .. بينما نجحت المرأة فى استعادة حبيبها فى الفيلم ، وبينما صوره حسام الدين مصطفى مهندسا فان احسان قد اختار لصاحب هذه الشخصية ان يكون رجل سياسة .. وهذا الرجل يرى طريق النضال السياسى مفتوحا امامه يلتفت وراءه بينما صور الفيلم ان المهندس سعى للترقى الادارى من خلال علاقته بابنة رئيس الشركة التى يعمل فيها .



الابن عبد الحليم حافظ وحبيبته تحت الشجرة ..

وفى « كرامة زوجتى » تم الطلاق البائن بين الزوجين .. اما فى الفيلم فقد اختارت الزوجة ان تعود الى زوجها بعد ان غفرت له ذنبه .. وقد صنع كمال الشيخ ثلاث نهايات لفيلمه « بئر الحرمان » قبل عرضه على الجمهور ثم اختار نهاية مفتوحة .

ومن ابرز النهايات تلك التى اختارتها ماسى فى القصة الاولى من « البنات والصيف » حيث فوجئت ، وهى ملكة جمال الشاطىء لعام ١٩٥٨ ، ان حبيبها يعشق امرأة بدينة . فى حجم الجاموسة لمجرد انها تذكره بامه .. ولاتتصور ماسى ان يدى حبيبها اللتين تتحسسانها ، يمكنهما ان تلمسا هذا الجسد المترهل بنفس الشغف ، لذا تقرر ان تنهى علاقتها به .. اما ماسى السينما فى فيلم « وسقطت فى بحر العسل » فقد اختارت ان تغفر لحبيبها ابو بكر هذا الخطأ .، وان ترتمى بين ذراعيه مثلما فعل فطين عبد الوهاب ببطلته فى نهاية « كرامة زوجتى »

هذا هو بعض من جوانب العالم الرحيب الذى صنعه احسان عبد القدوس فى ادبه .. ثم نقلته السينما .. الجدير بالذكر ان احسان لم يقترب قط من كتابة ادبه سينمائيا .. ولم يعمل فى كتابة السيناريو مثلما فعل نجيب محفوظ فى الفترة بين عامى ١٩٤٥ و١٩٥٨ ، الا ان لاحسان عبد القدوس تجربة رائدة وفريدة .. حيث الف النص السينمائى على انه نص ادبى ، وراح ينشره فى مجلة صباح الخير قبل ان يقدمه للمنتجين .. وتم نشر هذه التجارب فى كتب .. وذلك اسوة بما يحدث فى العديد من دول العالم المتقدم سينمائيا .. حدث هذا فى السبعينات مع « هذا احبه وهذا اريده » ثم « بعيدا عن الأرض » وقد تحولت التجربتان فيما بعد الى افلام سينمائية .



رأى فى الثقافة

معلومات لكتاب مصر

فى حديث اجراه الزميل فتحى العشرى ونشر فى لندن مع الكاتب السوفييتى فلاديمير سيداروف مدير معهد جوركى ، وسكرتير مجلس إدارة اتحاد الكتاب السوفييت ، جاءت هذه المعلومات والأرقام الهامة التى نسوقها لمن يهمه أمر الثقافة فى مصر ، التى لم نكف عن ترداد أنها « أم الثقافة »

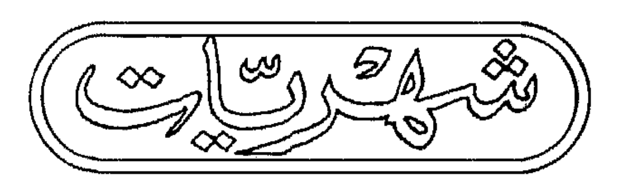
● يضم اتحاد كتاب الاتحاد السوفييتى عشرة آلاف عضو يتمتع اعضاؤه بحقوق عدة منها : أن تصدر كتبه من اكبر دار نشر فى الاتحاد السوفييتى (دار الكاتب السوفييتى) . يكفل له الاتحاد راتبا شهريا يكفيه لحياة كريمة ، يتمتع بالحصول على دار من دور الابداع للاقامة المؤقتة أو الدائمة ، يتبع الاتحاد معهد جوركى والدراسة به جامعية (٥ سنوات) فضلا عن حلقات دراسية حرة مع الأدباء المشهورين يصدر الاتحاد فى كل الجمهوريات ٨٨ مجلة ، و ١٥ جريدة (تحقق أرباحا ولا تخسر) . تطبع من الجرائد اربعة ملايين نسخة ، ومن المجلات مليون وربع مليون نسخة ، ومن مجلات الشباب ثلاثة ملايين ونصف مليون نسخة (المجموع = ٨ ملايين وثلاثة أرباع المليون نسخة) .

هذه هى الأرقام والمعلومات ذات الدلالة التى نسوقها ونحن نتساءل : إذا كان سكان الاتحاد السوفييتى يبلغون نحو ٢٧٠ مليون نسمة ، وسكان مصر يبلغون ٥٥ مليون نسمة (حسب آخر احصاء) فكم نسخة كان من المفروض أن يطبعها اتحاد كتابنا من الصحف والمجلات ؟

مجرد سؤال نوجهه الى الزملاء الكتاب .

وكل سنة وانتم بخير .

عبده جبير



اشارات ثقافية

ايام فلسطين الثقافية

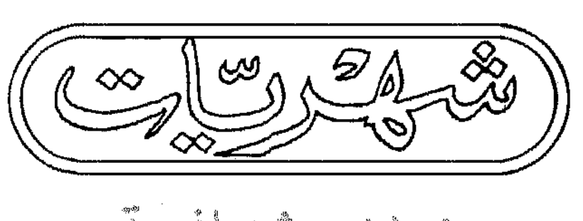


في الفترة ما بين التاسع والسادس عشر من يناير الماضي اقيمت بالقاهرة تظاهرة ثقافية وفنية تحت عنوان « ايام فلسطين الثقافية والفنية ، احتفالا باليوبيل الفضي لانطلاقة الثورة الفلسطينية والذكرى الثانية للانتفاضة الفلسطينية في الأرض المحتلة .

قام بتنظيم التظاهرة « دائرة الثقافة التاسعة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بالاشتراك مع الاتحاد العام للفنانين العرب ـ مصر » وجرت أحداث افتتاحها في مبنى جامعة الدول العربية بالقاهرة .

فعاليات هذه التظاهرة شملت معرضا للفنون التشكيلية اقيم بقاعة النيل بمشاركة ٥٦ فنانا فلسطينيا ، و ٢٧ فنانا مصريا ، كما شملت معرضا للملصق الفلسطيني (١٠٠ ملصق) تحكي تطور احداث الثورة الفلسطينية ، بالأضافة الى معرض لتراث الشعب الفلسطيني الفني والمتنوع .

كما كان في بؤرة فعاليات الأيام عددا من الندوات الثقافية جرت حول قضيتين ، الأولى تحت عنوان : « الثقافة العربية والمسالة الفلسطينية » وجاءت أوراقها الأربعة مقدمة من الدكتور محمد برادة ، والناقدة المعروفة خالدة سعيد ، وحسام الخطيب ، والناقد مدحت الجيار .



القضية الثانية جاءت تحت عنوان : « فلسطين فى السينما الروائية العربية » ، حيث عرض كل من الناقد كمال رمزى ورقته عن السينما المصرية الروائية والقضية الفلسطينية ، والباحث حسين العويدات عن السينما السورية الروائية والقضية الفلسطينية .

بالأضافة الى ذلك جاءت أمسيتان شعريتان لتكريم شعراء فلسطين :

فدوى طوقان ، توفيق زياد ، هارون هاشم رشيد ، وحسن البحرى ، وسلمى الخضراء الجيوسى ، بالأضافة الى قصائد من محمود درويش ، وأدونيس ، وسميح القاسم ، ونزار قبانى ، وأحمد عبد المعطى حجازى .

كما شملت التظاهرة عرض مسرحيتين من الأرض المحتلة « المتشائل » لاميل حبيبى ، و « عنتر بالسلحة خيال » ، من تاليف وأداء راضى شحاته ، بالأضافة الى أوبريت « الحجر فى مطرحه قنطار » الذى قدمته الفرقة القومية للفنون الشعبية الفلسطينية وهو من تاليف عبد اللطيف عقل واخراج حسين الاسمر .

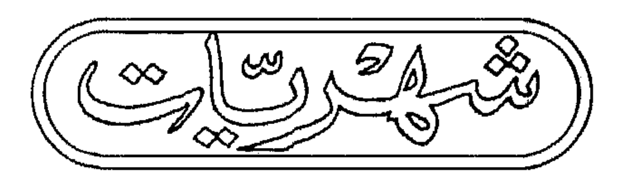
كما قدمت فرقة كورال فلسطين عرض « عباد الشمس » و عرضا آخر بعنوان « طلق ـ طلق ـ طاقية » من تاليف صلاح الحسينى ، وموسيقى مهدى سردانة

غالب هلسا والرواية المصرية


غالب هلسا

الذين رأوا غالب هلسا فى أيامه الأخيرة وجدوه حزينا ، مكتئباً ، يردد انه يحس بالأختناق لأنه بعيد عن مصر ، وعن أصدقائه وعن الأجواء التى عشقها وعاشها وتشرب منها فى أهم فترة من فترات حياته ، فترة نضوجه التى بدأت منذ دخل مرحلة الشباب حتى بداية الكهولة .

فقد قضى غالب هلسا واحدا وعشرين عاما من عمره فى مصر شكلت فترة تكوينه الاساسية ، واعطى خلالها ما يمكن أن يعد حجر الزاوية فى أعماله الروائية والنقدية التى بلغت سبع روايات هى « الخماسين » ، « الضحك » ،



« البكاء على الاطلال » ، « السؤال » .. ثم رواياته التى كتبها خارج مصر « ثلاثة وجوه لبغداد » وصياغة أخرى لرواية كان قد بدأها فى مصر لكنه غير من بنيتها وهى التى عرفناها مخطوطة بعنوان « الخادمة » ثم بعد اعادة صياغتها نشرها فى دمشق بعنوان « سلطانه » ثم آخر اعماله رواية « الروائيون » .

بالأضافة الى مجموعتى قصص هما « وديع والقديسة ميلاده وآخرون » و « زنوج وبدو وفلاحون » بالأضافة الى كتابين احدهما يضم دراسات عن جبرا ابراهيم جبرا ، وحنا مينا ، وأميل حبيبى ، والآخر بعنوان « العالم مادة وحركة » وهو دراسة عن الفلسفة الاسلامية .

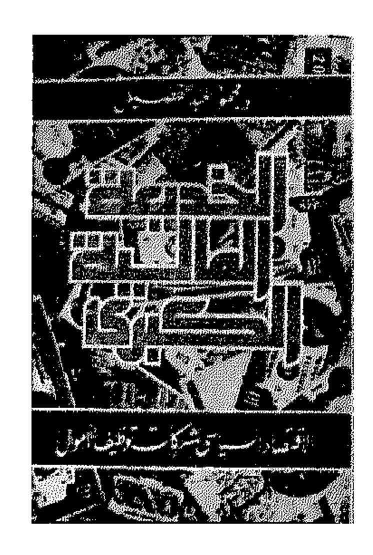
واذا قلنا أن غالب هلسا الكاتب الأردنى الأصل (ولد فى قرية ماعين ـ الأردن ١٩٣٢) والذى تلقى تعليمه فى الجامعة الأمريكية ببيروت قد تشرب بأجواء القاهرة وكان يرى أنه كاتب « قاهرى » فإننا لانخالف الحقيقة من واقع أعماله نفسها ، فجل اعماله تدور احداثها فى القاهرة ، واغلب ابطاله هم من مثقفى القاهرة ، بل ان الحوار فى اغلب هذه الأعمال يدور بالعامية القاهرية ، وتشتم منه رائحة ام الدنيا .

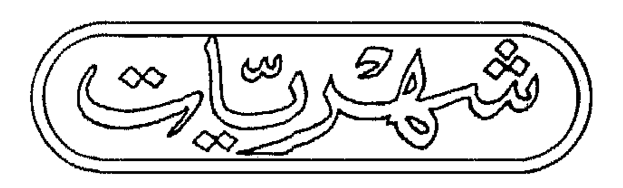
وغالب هلسا الذى رحل عن دنيانا فى الثامن عشر من يناير الماضى فى دمشق ستثبت الأيام القادمة مدى اهميته ككاتب روائى جاد وضع حجرا أساسيا فى اعمدة الرواية العربية الجديدة .

والدعوة الآن موجهة للدارسين والنقاد ليعيدوا دراسته من جديد .

شركات توظيف الاموال وسيل من الكتب

يصدر هذا العدد من الهلال ومعرض الكتاب هو الحدث الثقافى الاكبر الذى تعيشه مصر كلها ، واذا نظرنا الى ما صدر من كتب فى الفترة التى شارفت افتتاحه وجدنا صبغة جديدة من النشر صبغته بطابع جديد ، نعنى صبغة





اشارات ثقافية

« كتب الساعة » التى تتناول القضايا والمشاكل الساخنة التى تمر بها بلادنا .

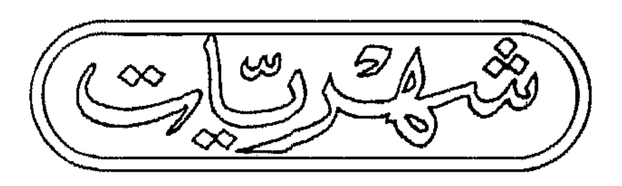
على راس هذه الظاهرة مجموعة الكتب التى تناولت قضية شركات توظيف الأموال ، التى تاتى كلها تقريبا ، باستثناء كتاب يعمل صاحبه دوما على السباحة عكس التيار ففى كتاب « الناصريون قادمون : مذبحة شركات الأموال » لصاحبه محمد جلال كشك .. باستثناء هذا الكتاب نجد سلسلة لخرى من الكتب تناولت الظاهرة من منطلق آخر يحللها بشكل علمى ككتاب الدكتور محمود عبد الفضيل الباحث الاقتصادى البارز الذى تناول قضية الاقتصاد السياسى لهذه الشركات من زاوية البحث فى « نشاة وتطور ظاهرة شركات توظيف الأموال » وتشابكاتها داخل المجتمع المصرى ، بهدف استخلاص الدلالات التاريخية والاجتماعية للحدث ، اذ أن البعد الاقتصادى لظاهرة شركات توظيف الأموال لايمثل سوى البعد الظاهر (أو المرئى) لجبل الثلج ، بينما الابعاد الخطية تكمن فى جبهة الأجتماع والسياسة .. وسيكلوجية الجماهير .

أما بدر عقل خيرى مهمة كتابه المعنون « توظيف الفساد » تتلخص فى انه وهو يرصد ظاهرة شركات تلقى الأموال ، ويشرح بداياتها ويضع يده على عناصر الخداع ، والتلاعب فيها ، فإنه ـ وهذا هو الأهم يركز على المناخ



السياسى والأجتماعى والتاريخى والدينى الذى وجدت فيه ، والذى دعمها وشد ازرها ، ثم سارع بالتخلص منها ، وسحقها بحثا عن بديل آخر ..

أما فرج فودة فيرى المسالة باعتبارها ملعوبا (هكذا يعنون كتابه) وهو كما يقول : تعبير اصطلاحى يحمل معنى الخدعة ، ويوحى فى ذات الوقت بأن الخدعة معدة سلفا وليست من وحى الخاطر ، كما أنها متقنة الصنع وليست تلقائية التكوين ، وهو أيضا لفظ يوحى بالطرافة ، ويدفع الى القبول ، فالملعوب لكى يكون ملعوبا ، لابد وأن يكون مرغوبا ويستحيل ان يكون شرا كله ، بل منطقيا ان يكون به قدر من الخير ، قل أو كثر ، كما أن الملعوب يعنى الاخراج المقبول لفكرة



اشـارات ثقـافيـة



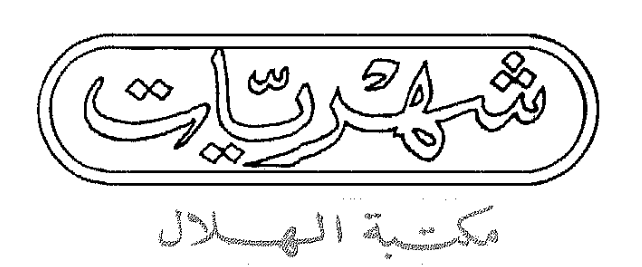
قد تكون صحيحة وصائبة وقد لاتكون ، واللفظ بهذه الايحاءات شديد الدلالة ، واضح الايحاء بما نتصور انه قد حدث .. فنحن هنا نختلف عن غيرنا ممن أوحوا بنشأة العملية كخداع فى خداع من البداية لأن مبررات النشأة لم تكن تحتمل المقامرة أو المغامرة ولكنه الملعوب .

ثم ياتى كتاب جمال الشرقاوى « حقيقة اوضاع شركات توظيف الأموال » ليقدم مجموعة نصوص هامة للغاية سجلها كاقوال حية مع عدد من كبار اصحاب هذه الشركات لياتى التحليل الذى قدمه بجدية بالغة مستندا الى هذه الأقوال نفسها ، وليكون بحق تحقيقا جريئا لهذه الظاهرة .

وضمن هذه السلسلة ايضا ياتى كتاب الأهرام الاقتصادى (عدد يونيو ١٩٨٨) المعنون « شركات توظيف الأموال : الاسطورة ـ الانهيار ـ المستقبل وهو يضم مجموعة من المقالات والدراسلت التى كتبها باحثون ونشرتها المجلة فى اعدادها السابقة ، وجلها يصب فى تحليل هذه الظاهرة ، ويبين دلالات ظهورها ، وانعكاساتها السلبية على المجتمع .

ويأتى كتاب عبد القادر شهيب المعنون « الأختراق : قصة شركات توظيف الاموال » ليحكى بدأب حقيقى القصة التى يقول عنها انها ستعيش الى ما بعد القرن الواحد والعشرين ، فالضحايا الذين جردتهم هذه الشركات من اموالهم سيظلون يندبونها حتى القرن القادم ، وبعدهم سيظل يندبها الورثة ، فالأسرار والخبايا والاشخاص ومخابىء الأموال فى مصر والخارج ستظل موضوع مسلسل بوليسى محلى ودولى الى ما بعد نهاية القرن الحالى بكثير .. ومادة مثيرة للصحافة والكتابة .

وبالفعل فإن عبد الستار الطويلة فى كتابه « شركات توظيف الأموال والمستقبل الغامض » يقدم جزءا من هذه المادة المثيرة ، فنجده ينقل على لسان احدهم قوله : « ما الخطأ فى أن يثق الناس فى جماعة فاعطوهم أموالهم لتوظيفها بطريقة حلال لفائدة المجتمع الاسلامى .. الا يوجد منذ القدم وحتى الآن نظام الجمعيات التعاونية بين الأفراد والجيران ولا يعلم بها احد (كذا !) إلا ضابط الثقة والقائمون عليها » ..



مكتبة الهلال

الكتاب : كارثة الأدمان
تاليف : ابراهيم نافع
الناشر : مركز الأهرام للنشر
٢٤٠ ص ، ١٠ ج م .



الحملة التى بدأها الاستاذ ابراهيم نافع رئيس مجلس ادارة مؤسسة الأهرام ورئيس التحرير عن « كارثة الأدمان » بعدد من المقالات ، وتتالت بعدها تلصيات المتخصصين واصحاب الراى حول المشكلة . هذه الحملة جمعها ابراهيم نافع فى هذا الكتاب الذى جاء من ناحية أخرى ، وقد استكمل جوانب القضية بفعلين جديدين هامين الأول ضم الملف العلمى الشامل للمخدرات التى عرضها الانسان ، والثانى يحكى قصة الانسان المصرى ومشوار خمسين قرنا مع المخدرات .

يقول المؤلف : « لم اكن اتصور يوما ان الأدمان قد انشب مخالب الموت فى عنق المجتمع المصرى الى هذه الأعماق الدامية ، كأنه دراكيولا الرهيب مصاص دماء البشر يدمر ما شاء له التدمير ، ويقتل ما شاء له القتل ، ويطلق فى سمائنا غربان الشر ، تنوح بالخراب للبيوت الآمنة ، وتحرم الأمة من أعز ما تملك : شبابها ..

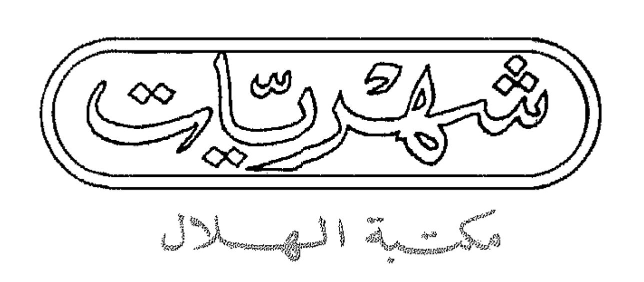
رصيدها فى بنك المستقبل .. واملها فى غد مشرق بسام .

ويشير الى نقطة غاية فى الخطورة حين يقول : وهكذا تجرى عملية تدمير المجتمع المصرى من الداخل ، من خلال مخطط اجرامى تشارك فيه مافيا المخدرات التى تحكم عالم الظلام فى الدنيا كلها ، وترسل زبانية الشيطان الى مصر فى صورة مهربين وتجار باعوا ضمائرهم لابليس » .. وهم لايدرون او يدرون لا فرق .. انهم يدمرون جيلا مصريا بكامله أصابه الأدمان فى مقتل ..

الكتاب : الموساد واغتيال المشد
تاليف : عادل حمودة
الناشر : سفنكس للنشر
٢٥٨ ص ، ٨ ج م .



مساء يوم الخميس الموافق ١٣ يونيو ١٩٨٠ اغتيل عالم الذرة المصرى النابغة يحيى المشد ، وكان فى زيارة عمل للاتفاق على معدات جديدة للمفاعل الذرى العراقى الذى كان يعمل به اثناء اغتياله .



مكتبة الهلال

ومنذ حادثة الاغتيال والكاتب الصحفى عادل حمودة يتابع القضية يفتش في وثائقها يجمع اسرارها ، يحاور الاطراف المختلفة من شهود العيان ، والمقربين اليه من افراد اسرته وعلى راسهم زوجته ، اولئك الذين عرفوه اثناء عمله في جامعة الاسكندرية من زملائه العلماء ، حتى اكتملت الرواية ، ليؤكد ان قاتل العالم المصرى هو جهاز المخابرات الاسرائيلى « الموساد » .

لكن عادل حمودة لم يكتب بسرد قصة الاغتيال وانما راح يعرض لقضية الصراع العربى الاسرائيلى من زاوية عمليات اسرائيل الرامية الى التخلص من اى امكانية لدى اى طرف عربى تعمل على ان يدخل العرب العصر الذرى ، سواء كان ذلك عن طريق تدمير المفاعلات الذرية العربية وهو ما فعلته مرتين بالمفاعل الذرى العراقى ، او بقتل اى عقل يؤدى وجوده الى ان يمتلك اى طرف عربى للقنبلة الذرية ، ولو فى المستقبل غير المعروف .

الكتاب : شخصية العمدة في المسرح المصرى
تأليف : د . نجوى عانوس
الناشر : شخصى ، ١٤٤ ص
٣٢٥ ق . م

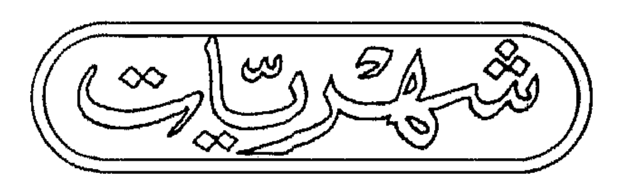


. يتناول هذا الكتاب جانبا واحدا ، او لنقل موضوعا نوعيا من موضوعات المسرح المصرى منذ الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ الى عام ١٩٥٢ ، هى قضية شخصية العمدة في المسرح المصرى في الفترة المذكورة .

تقول المؤلفة : ان شخصية العمدة قد استرعت انتباهها فى المسرح المصرى لذيوعها فى العشرينيات متمثلة فى شخصية « كشكش » عمدة كفر البلاص التى جسدها الريحانى حتى تخصص فى تمثيلها .

وتقول : ونظرا لارتباط هذه الشخصية بمتغيرات اجتماعية وسياسية واقتصادية متتابعة فقد دفعنى ذلك الى تقسيم البحث تقسيما زمنيا متعدد الفترات والمراحل من الناحية السياسية والتاريخية والفنية ..

لذلك فقد تعرضت بشكل تفصيلى لشخصية العمدة فى المجتمع المصرى ، وموقف العمد السياسى عقب الاحتلال ، كما تعرضت لوضعه الاجتماعى كشريحة من الطبقة الرأسمالية والبرجوازية وارتباطه اقتصاديا واجتماعيا بالاقتصاديات « القطن » ذلك المحصول الوحيد الذى اعتمد عليه الاقتصاد المصرى .



اشارات ثقافية

وقفة مع الشاعرة : سعاد الصباح

بقلم : جليلة رضا

سعاد الصباح شاعرة بأدق معاني الكلمة ، استطاعت ان تثبت وجودها على امتداد سلحة الشعر العربي الحديث ، بجدارة واقتدار .. ولم يحل لقبها ومركزها - كأميرة - بينها وبين مراقي الابداع ، وقد قدمت للمكتبة العربية دواوينها الرائعة :

١ - أمنية   ٢ - إليك ياولدي   ٣ - فتافيت امراة ..

وبالنسبة لديوانها الثاني ، فإني اردد دائما معها ، بعد ان اجتزت تجربة اليمة مثلها ، بفقد الابن الوحيد :

كلماتي مُرَّةٌ كالصبر   حرى كدموعي
منذ ان جارت   يد الموت على اغلى شموعي

وكم يستوقفني عنوان ديوانها الأخير المثير (فتافيت امراة) .. فاتساءل : - هل يمكن حقا أن تتحول امراة ما - كإنسان - الى مجرد .. فتافيت ؟! ولماذا لا نقول مثلا : بقايا امراة ، أو حطام امراة .. مثلا ، مثلا ؟ اتراها تعني بالفتافيت مجرد شيء ينكسر ويتهشم ، ولايصلح أن يجتمع مرة أخرى ، ويعود الى أصله ، أو قريب من اصله .. ولكن ، ترى ما الذى يمكن أن يدمر الانسان ، والانسان الشاعر على الأخص ؟ فيصبح كاوراق الشجر التى تتساقط وتتلوى وسط هوج الرياح الخريفية ، ثم تتبدد وتصبح كالهباء المنثور ..

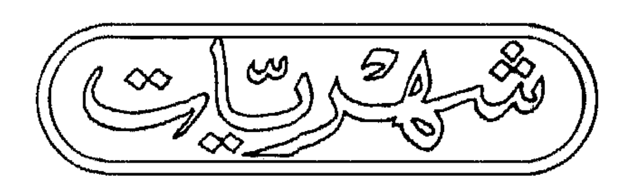
إن الحياة ليست الا مراحل متعددة ، تحفل ببعض الصراعات بين الحين والحين ، وتستلزم ، بالتالى ، بعض المواقف المصيرية الحازمة ، وقد يدمر الانسان نتاج هذه المواقف ، أو ربما هذه المواقف نفسها ، بما قد تزخر به من صخب وعنف ..

ولكن شاعرتنا المبدعة تتميز بامتلاكها لرصيد وفير من السماحة والحب ، للحياة والناس ، وللوطن ، وللمجتمع .. وللرجل .. الرجل الحق الذى تجد لديه المشاركة الوجدانية الحقة ، والذى لا يلفته اليها مجرد اللحاء ، أو القشرة الخارجية المبرقشة لذاتيتها .. ونتبين ذلك بجلاء ووضوح ، حين تتهدج مصرحة فى ابياتها التالية :

إننى أحتاج احيانا لأن امشي على العشب معك
وانا احتاج احيانا لأن اقرأ ديوانا من الشعر معك
وانا كامراة .. يسعدنى أن اسمعك
فلماذا - أيها الشرقى - تهتم بشكلى ؟
ولماذا تبصر الكحل بعينى ، ولا تبصر عقلى ؟

وهكذا تكاد نلمح بصيصا من الضوء ، يجلو لنا غياهب حيرتها التى املت عليها اختيار عنوان ديوانها الأخير ، فى لحظة يأس واحباط ..

فخيبة املها فى (الرجل الشرقى) ، وموقفه منها - وهى من هى - : الشاعرة ،



اشــارات ثقــافيــة

الرقيقة ، المفكرة ،الحساسة ، العربية ، الخليجية ..
كل هذا جعلها في واد ، وهو في واد آخر ..
فما اشد فجيعتها فيمن تقول فيه :
ياأميرى .. انت اطهر من طين البشر !
انت يانغمة نور من إله مقتدر
ياملاكا ساحر الطلعة ، فتان الغرر

وحينما تصدم بموقف (الرجل الشرقي) وتتبين محاولته اتخاذها دمية ، تشبه دمية ابسن في مسرحيته المشهورة ، تصلى هذا الرجل الشرقي شواظ من لهب في (فتافيت امراة) ، بحيث تستحيل هذه الفتافيت الى شبه صاروخ مدمر ، يتخفى بين دفتي ديوان ، ليحدث دويا هائلا ، بعد ذلك ، في الأعماق .. فنلمس في كل كلمة من كلماته ، تمردا وعنفا وإباء ، وقوة عارمة تنطلق بتدفق ، كما لو كانت نافورة غضب ، تلمس برذاذها عنان السماء ، سماء الرجل المتغطرس ، وتنساب في حنايا الكيان الانسانى ، لتغسل كل الأدران العالقة به ..

وكم تبدو رائعة حقا ، وشامخة حقا .. حينما تخرج من نطاق الذاتية الضيقة ، إلى رحاب الموضوعية الفسيحة ، لتشارك ابناء امتها العربية همومهم واهتماماتهم ، حين تنفعل وتختلج ، هاتفة :

إننى بنت الكويت .
كلما مر ببالى ، عرب اليوم .. بكيت
كلما شاهدت عصفورا بروما
او بباريس يغنى
دون أن يشعر بالخوف بكيت
كلما شاهدت طفلا عربيا
يشرب البغضاء من ثدى الاذاعات
بكيت ..
كلما استجوبنى بوليس قطر عربى
عن تفاصيل جوازى
عُدْتُ .. من حيث اتيت .

الشاعرة سعاد الصباح

إيه ياسعاد ! لقد اصبت بابياتك تلك المحز ، بحيث يخجل التعبير لن يعرض لها بالشرح والتاويل .. الا ليتك تستمرين في السير على هذا الدرب ، وتزيدينى من هذه النوعية .. حتى يتعبد طريق العرب نحو المستقبل الاسعد ، والوئام الأمثل .. وحسب الشعر ما ظفر به من ابداعك العاطفى الوجدانى في السنين الماضيات ..

فالوطن العربى لحق بحبنا الأكبر ، والتفاتنا الأعمق .. وما اشد واعظم توفيقك في رائعتك : (إننى بنت الكويت) ..

حقا إنك ابنة بجدة العربية ، وام عذيرتها بحق وصدق



مباراة

بين الكاميرا والريشة والأزميل !

اقيمت ـ بالمصادفة ـ ثلاثة معارض ، في مجال التصوير الضوئي .. ففي القاعة المستديرة بنقابة التشكيليين كان معرض الفنان «عصمت داوستاشي » ، وفي قاعة المركز المصرى للتعاون الثقافي الدولي اقيم المعرض المشترك للفنانين صلاح شكري ومحمود صالح ، واقامت الفنانة «منال كمال » معرضها الأول بأتيليه القاهرة . وبهذه المعارض ، وبما سبقها من معارض ، وما سيلحقها من معرض عام يضم كل المبدعين ، وبما سمعناه من نوايا إلى إقامة «بينالى » دولي في القاهرة للتصوير الضوئي ..

● يحرز هذا الفن نصر الاعتراف به من صناع القرار .. وصناع الكلمة الناقدة ، ونستطيع ان نقرر ان هذا الاعتراف كان لابد منه .. بعد ان انخفضت الحرب التقليدية بين الكاميرا والريشة ، في العالم ، إلى مستوى التنافس الشريف ! .. في البدء كانت الحرب . بادرت بها «الكاميرا » . واستهدفت الازاحة ، والنفي للمنافس ، واستطاعت في جولاتها الأولى ان تصيب ما يتفاخر به الرسام من قدرة على نقل الواقع بسهلم قاتلة ، واضطرته إلى الانتقال إلى مناطق اخرى للتعبير ، غير ان فنان الريشة استطاع ان يبدع ما تفوق به عليها ، واضطرها إلى منافسة جديدة .. غير ان كليهما ـ فنان الكاميرا وفنان الريشة ـ اكتشفا ، مع الزمن ، انهما يتكاملان من اجل خدمة عيون وحواس الانسان ، وان مهمتهما واحدة ؛ هي اسعاد وتثقيف تلك العيون والحواس !

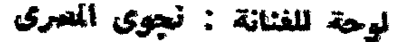
على الرغم من ان من بدهيات آلة «الكاميرا » نقل الواقع ، وان تلك الآلة المحايدة كانت الأداة الوحيدة للفنانين

خير بلدنا .. للفنان عصمت داوستاشى

ايقاعات بصرية .. للفنان محمود صالح



الأربعة ، فقد قدم كل فنان من الفنانين الأربعة ما يختلف به عن زميله فى موقفه الجمالى والتعبيرى .. ففى حين ركزت «منال كمال» ـ بالاسود والابيض ـ على وجه الانسان ، وبالذات وجوه الاطفال العاملين فى الفواخير ، والكشف عما يعانونه من بؤس وفاقة .. رغم الابتسامات العارضة التى تفرضها ظروف وجودهم امام آلة التصوير . فى حين اختارت «منال» تلك الزاوية اختار «صلاح شكرى» زاوية معكوسة : اتسمت مناظره الليلية ، والنهارية ، بـالاضـاءات الهمسيـة . الانيقـة (المُفَلْترة) والمحسوبة ، واخلا لوحاته من البشر ، حتى لا تعكر صفو هذا الجمال الخالص الذى يستنطقه من الطبيعة ـ على حد تعبير «كروتشه» بينما يتجول «محمود صالح» فى الاسواق ليختار لنا بشرا فى إيقاعاتهم اليومية ، وفى حوار اجسادهم مع الضوء الذى (يفلتره) حتى يتسق مع الغرض التعبيرى والجمالى .. ولأن داخل كل مصور «صياد» ، يترقب صيدا معبرا وجميلا ، فإنه لا يكف عن ترقب لحظة الانقضاض .. حتى عندما تضطره الظروف الى عدم مغادرة بيته ، فإنه يوجه حاسة القنص صوب ابسط الاشياء واقلها إثارة ، بالنسبة للمشاهد العادى ، ويستخرج منها عجائب .. كما فى لوحة «بلْيه» لمحمود صالح ، كما يتعين عليه ان يكون صبورا ، فلكى يصور «محمود صالح» رأس نعامة صادقها اولا ، وكان يزورها يوميا بحديقة الحيوان ، ويطعمها .. حتى وافقت اخيرا على الوقوف امامه هادئة ! .. أما الفنان الشامل «عصمت داوستاشى» فقدم لنا حصاد جولاته من عام ١٩٧٥ حتى يونيو عام ١٩٨٨ فى ربوع الوطن . يتسع عالمه للانسان .. وآثاره على الجدران ، وعلى عربات «الكارو» ، كما يتسع للحيوان والجماد . يتجول فى الاسواق الصاخبة ، والشواطىء الساكنة ، والاطلال الرامزة إلى زمن انقضى . يتجول بنا بعين محبة . رقيقة .


لوحة للفنانة : نجوى المصرى





اختارت «منال كمال» الاسود والابيض ـ كما اشرت من قبل ـ واختار الآخرون الالوان .. وحسنا فعل الجميع ! .. فالاسود والابيض قد ساعد على التركيز على التعبير والغرض الدرامي .. وهو غرض تحريضي ، يوقظ انتباهنا إلى حقائق مؤلمة .. على امل ان ننحاز للدفاع عنها ، واتسم اسلوبها بالبساطة .. ولوحاتها في مجملها ، وفى طريقة اخراجها اقرب إلى شكل «الريبورتاج » الصحفي . ويشترك معها «داوستاشي » فى البساطة ، ويختلف معها في نظرته المتفائلة . المحبة . وهي نظرة يشاركه فيها زميلاه الآخران !

• غائبون حضروا ! !

استضافت قاعات مجمع الفنون بالزمالك اعمال ثلاثة من الفنانين الذين غابوا عن الساحة التشكيلية المصرية ، لأسباب مختلفة ، وهم : «محمد هجرس » المثال المعروف الذى غاب عن مصر فترة تقترب من العشرين عاما ، انفقها بين لبنان وسوريا والعراق بحثا عن مصدر رزق .

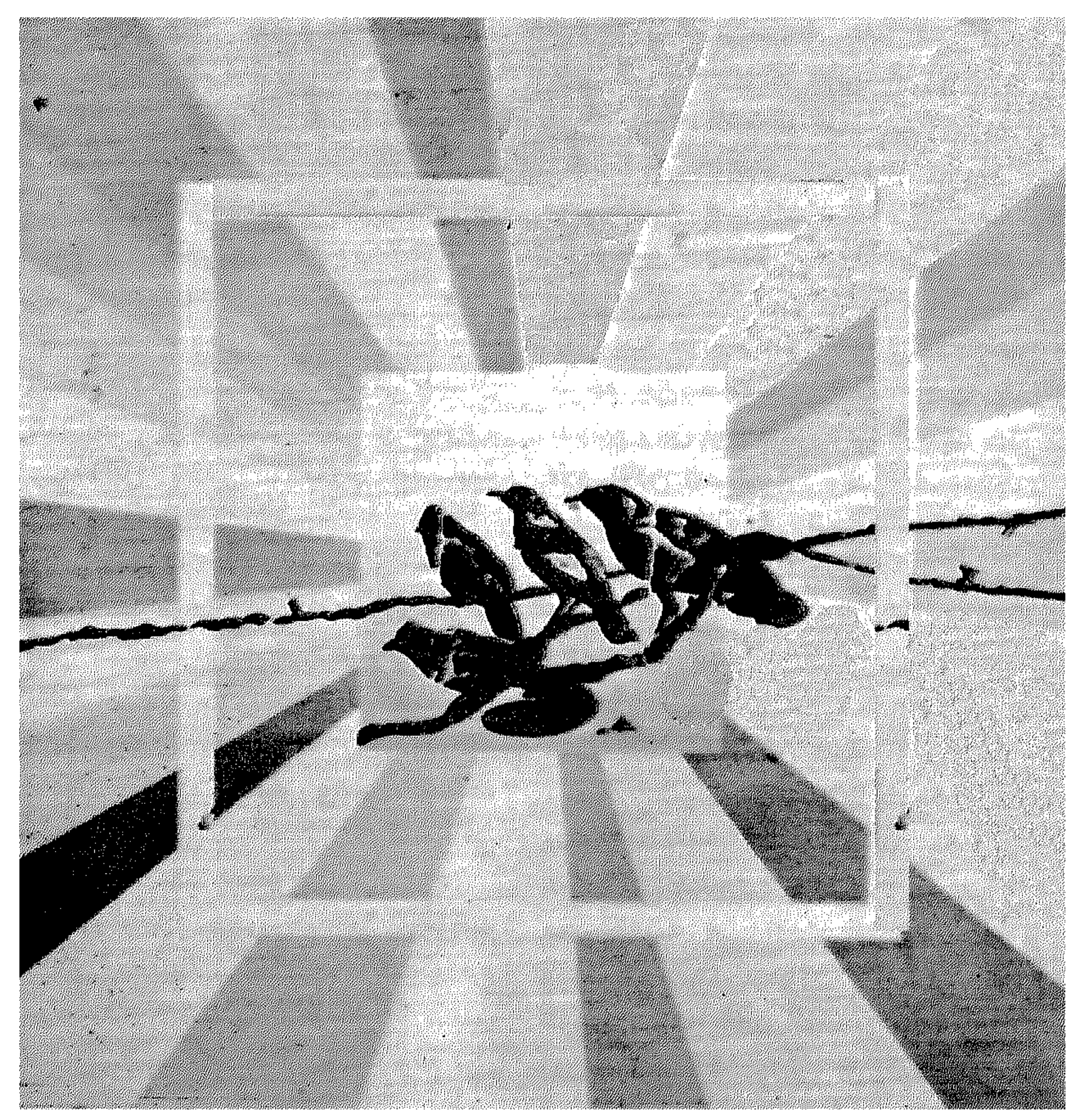
«مصطفى كمال » استاذ «الجرافيك » بكلية الفنون التطبيقية الذى غاب فى الخارج لأسباب «أكاديمية » . «مدحت شفيق » الذى هاجر إلى «ميلانو » منذ اكثر من عشر سنوات بحثا عن الذات !



جزيرة الحب للفنان : محمود صالح

● المثال «محمد مجرس»

قدم منتخبات من مراحل مختلفة ، يفصل بين أقدمها وأحدثها نحو ربع قرن ، لهذا جاءت منحوتاته متنوعة ، ومتفاوتة فى درجة اقترابها من مألوفات الاشكال الواقعية ؛ فهى تقترب اقترابا واضحا من الواقع المرئى فى منحوتات الستينيات ، وتتباعد عنه شيئا فشيئا ـ فى مرحلة الغياب ـ الى ان تقف عند مشارف التجريد . ورغم التنوع فى الاسلوب والخامة فإن منحوتاته تكشف بوضوح عن انتماء الى فنان واحد ، يحتفل بتوتر السطح ، وحركة الاطار الخارجى ، وبمفاجآت الجوانب غير المتطورة (للمشاهد الثابت) . كتلةُ ،



طيور وأسلاك : للفنان مصطفى كمال

ايضا ، توحى بانها على وشك ان «تفعل» شيئا عنيفا : تندفع فى الفراغ فى شكل قفزة انتحارية (كما فى منحوتة «حارس المرمى») او تغوص الى القاع كما فى منحوتة «الجوع» .. او تجذب بعناء «حمولة» ثقيلة لانراها ولكنا نشعر برد فعلها على ثلاثة رجال ـ كما فى منحوتة (المراكبية) . إن منحوتاته ، فى تجلياتها المختلفة ، تصطرع فى الفراغ المحيط والفراغ البينى ، وتكشف فى نفس الوقت عن صرخات إنسانية .. صريحة احيانا كما فى منحوتته الحجرية . البديعة : «صرخة الذئب» ، او تقف احيانا عند حدود الايحاء ، وتكشف «شفرتها» الخاصة عبر تقلبات السطوح المتوترة ، والمسطحات الحادة .

إن معظم منحوتات «هجرس» ، تتميز



بالمذاق التعبيرى اللاذع ، وبالحركة .. التى تدفع عن مشاهدها مشاعر الاسترخاء ، وهى حركة «درامية» .. تصطرع مع الفضاء ، وتحرك فى وجدان المشاهد ، او توقظ داخله ، او تذكره - على اقل تقدير - بالام انسانية مشتركة .

إن منحوتاته - على مستوى الشكل - تكشف عن درجة اختياراته من انجازات الفن المعاصر والقديم ؛ فهو يأخذ من «التكعيبية» ولنقل ايضا من المنحوتات المصرية القديمة .. مسطحاتها الصريحة والتى ازدادت صراحة مع تراجع الشكل الواقعى فى مرحلة ما بعد السفر .

لقد قدم «هجرس» فى معرضه خامات مختلفة .. تعاطفت من بينها مع منحوتاته الخشبية ، المتفردة ، بين مبدعى النحت بهذه الخامة ، ولم تزل منحوتة «جذع» الخشبية والتى نفذها قبل السفر .. من اكثر من منحوتاته تميزا .. وبشكل عام .. فقد تعاطفت مع مرحلة ما قبل السفر .. وبمعنى ادق .. ما قبل الغياب !

● الرسام «مدحت شفيق»

(اكتب كلمة «رسام» عامدا لأن كلمة «مصور» و «تصوير» قد توحى بالتصوير الفوتوغرافى ، ولم يتفق النقاد المصريون على تعبير دقيق يصف ذلك المجال من الابداع)

الفنان «مدحت شفيق» واحد من عشرات الموهوبين الذين حال نظام «المجموع» دون التحاقهم بكلية الفنون الجميلة ، وقد حال هذا النظام العجيب دون ظهور مواهب .. وعلى الرغم من صرخات النقاد ضد هذا النظام ، من اول ظهوره ، فلم يجد حتى الآن الأذن الصاغية . وقد اعاد «مدحت شفيق» الثانوية العامة على امل الالتحاق بالفنون الجميلة دون جدوى .. فاضطر الى السفر إلى شقيقه بميلانو ، والتحق بكلية الفنون الجميلة ، وحصل على نفس الشهادة التى يحصل عليها المبعوثون من كلية فنون القاهرة ، وهى شهادة يسمونها فى القاهرة «دكتوراه» ! .. غير انه لم يكن فى حاجة الى الشهادة بل فى حاجة إلى ان يجد نفسه فى الفن الذى احبه ، واستطاع خلال سنوات قليلة ان يشق طريقه ، وهو احد الفنانين المعروفين الآن هناك .. واخيرا قرر ان يقيم معرضه فى القاهرة ، أملا فى تواصل كان يتمنى الا ينقطع .

يدور المعرض حول موضوع محورى هو «السيرك» ، واختار من بين جوانبه الجانب الصاخب ، واحتلت «الخيول» البطولة الأولى . لوحاته مليئة بالحركة ، وإن لم تكن حركة وصفية : اى خيول تنطلق فى مكان ثلاثى الابعاد ، وانما الحركة عنده هى حركة سطح اللوحة ، ونسيجها الصاخب باللون ، وخطوطها المرسومة

، تارة بالالوان ، وتارة بالة حادة تزيل اللون .

لافاصل بين مقدمة وخلفية ، بل الكل يتداخل فى الكل !

ورغم هذا التفاعل المحموم فإنك تستطيع أن تتبين معالم الاشكال ، والأهم من ذلك انك تستطيع أن تكشف انك أمام رسام بارع ، لا يبتعد عن المنهج الاكاديمى هروبا بل اختيارا . وتشارك لمساته الجسورة . المتنوعة . فى تشكيل اسلوب تعبيرى مشرق .. على انه لم يكتف بتقديم موضوع السيرك ، وربما أراد لزائر معرضه المصرى أن يتأكد من أن مصر لا تزال

صائمات للفنانة : نجوى المصرى



فى وجدانه ، فظهرت الاهرام صريحة فى مشهد صحراوى ، وظهرت على استحياء ، وعلى بعد فى لوحات أخرى .

● فنان الجرافيك مصطفى كمال

قدم الفنان «مصطفى كمال» معرضا .. هو الاول بالنسبة له ، فلم يسبق لى أن شاهدت شيئا . وهو معرض يدعوك الى الاستمتاع والتأمل كما يحرك فيك الحس النقدى . لولا هو يدعوك الى المتعة لما يتمتع به من رهافة لونية ، وأناقة هندسية ، وبراعة فى الرسم ، ويدعوك ثانيا الى تأمل تلك العلاقات التى تجمع بين العابر والمألوف .. وبين الهندسى والمجرد ، وتدعوك إلى النقد لاكتشاف الخط الواصل بين متناقضات متطورة . ولقد حدد لنا الفنان من البداية أغراضه ، والطريق الذى نسلكه ، فوصف معرضه بأنه «بحث» جمالى ، وأن «الشفرة» التى يتعين علينا فضها هى ثنائية : البعد الثالث والبعد الثانى ، وعنون معرضه بـ ٣×٢ ، إذن علينا أن نسقط من حساباتنا موضوعاته الاليفة والرقيقة : الطيور والفراشات واشكال خيال الظل ، وأن نتأمل فقط تلك العلاقات الشطرنجية بين ما يسميه بالبعدين الثانى والثالث .. والواقع أن البعد الثالث لا وجود له فى لوحاته الا عن طريق الايحاء النظرى لا الحسى ..

عبر شرائح هندسية ، تلتزم ، أحيانا ، منظورا هندسيا .. على أننا لو



تجاوزنا الطريق الضيق . المسدود الذى اراد لنا الفنان ، بكلمته ، ان يختاره .. فسنجد نقاطا إيجابية فى معرضه ، فالمعرض شانه شان كثير من الاعمال الناجحة تكشف عن ضرورة وجود «حوار» بين عناصر اللوحة المختلفة والمتكاملة ، ولوحاته مؤسسة على ثنائيات : رسوم مطبوعة لطيور وحيوانات وايد ، ومساحات هندسية ملونة بدرجات لونية متناغمة لامتصادمة + ثنائية الشكل العضوى والشكل الهندسي . وفى تقديرى ، انه رغم تلك الثنائيات المنظورة فإنها لم تشتبك فى حوار «دينامى» ، بل وجدت فى حالة تراكم وصفى «ستاتيكى» لهذا لم يكن من المستغرب ان يرسم طيوره وحيواناته فى حالة سكون واقرب إلى الرسوم التوضيحية .

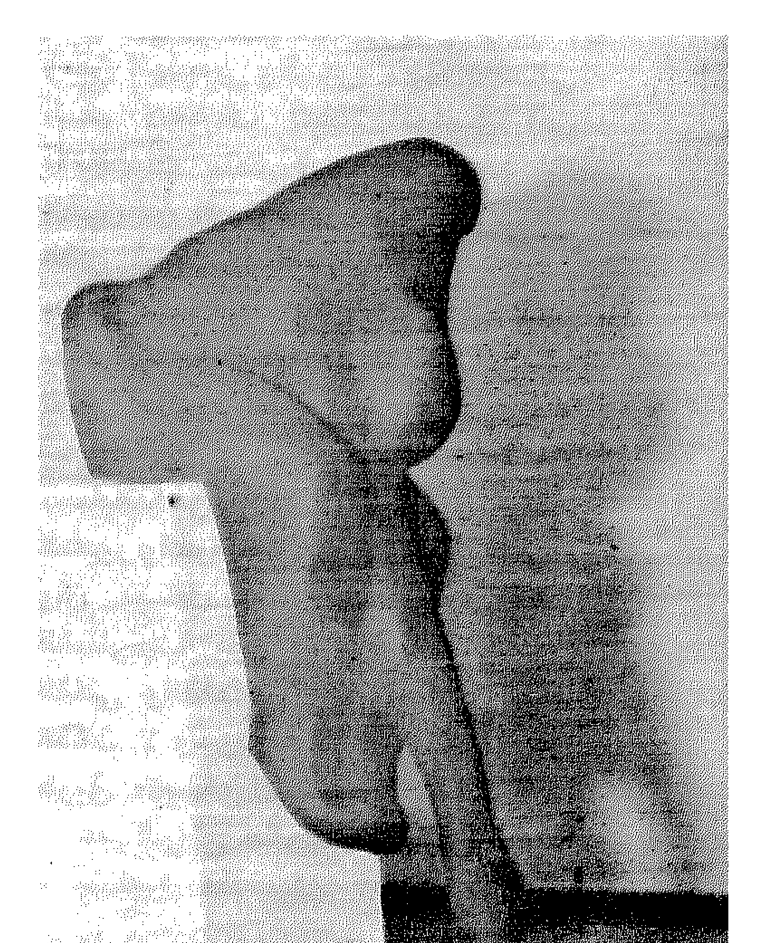
إن تلك التحفظات لاتقلل من دعوة المعرض الجادة إلى ضرورة الاجتهاد فى التنظير الفنى ، والدعوة إلى الاتقان .. وما أشد الحاجة إليه فى مصر .

● مولد فنانة جديدة

اتابع باهتمام الفنانين الشباب الذين اشتركوا فى مسابقة صالون الشباب التى نظمها المركز القومى للفنون ، وتنتابنى مشاعر السعادة او الحزن ، مع ما يصيبهم من اصرار على النجاح او تراخ فى العزيمة .. لهذا سعدت بمعرض الفنانة «نجوى المصرى» الذى اقامته باتيليه القاهرة ، واكدت به تفوقها على نفسها .. فقد فازت فى فرع الرسم فى صالون الشباب واختارت لمعرضها الأول مجال الرسم بالحبر الصينى .

وفن الرسم بالحبر الصينى او الرصاص كان ينظر إليه ، فيما مضى ، باستخفاف .. على اعتبار ان مجاله الوحيد هو الاعداد والتحضير للوحات ، ومثلما حققت «الكاميرا» انتصارا باعتبارها فنا من الفنون الرفيعة .. فعل

الجوع .. تمثال للفنان : محمد هجرسى



فن الرسم ، وظهرت معارض ، ووجوه مرموقة فى هذا المجال .. منها : احمد نوار . محمد ابراهيم عبدالسلام . سيد سعد الدين .. عصمت داوستاشي . حامد صقر . محمد ابو طالب . مصطفى عبدالمعطى . محمد شاكر . عبدالله صبره . إيهاب شاكر . جميل شفيق . سمير تادرس .. وغيرهم كثيرون .. مما دعا وزارة الثقافة الى تخصيص جائزة فى الرسم ضمن جوائز الدولة

السيرك .. للفنان : مدحت شفيق



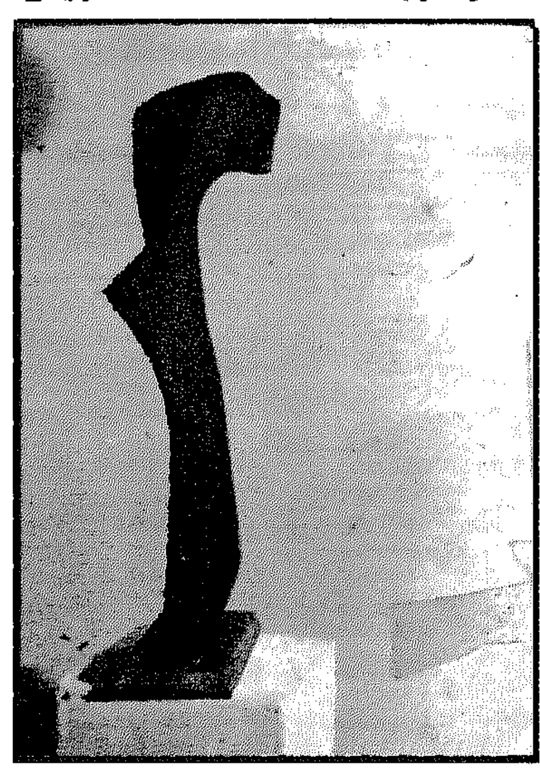


التشجيعية .. وتدخل الفنانة «نجوى المصرى» فى سياق المبدعين فى هذا المجال الذى يحتاج ـ على عكس ما يظن ـ الى قدر كبير من البراعة .. لأن اى خطأ صغير يعنى فشل اللوحة . اختارت لمعرضها موضوعا محوريا هو «المراة» .. لكن .. اى امراة واى

للفنان صلاح الدين شكرى



شكل مجرد .. للفنان : محمد هجرسى



نساء ! ! ؟ .. كتل هلامية ، لا تعرف لها بداية من نهاية ، معلقات كالذبائح مسوخ لا حول لها ولا قوة .

هل هى مذكرات تعيسة عن موقع المراة فى مصر ، أم هى عذابات ذاتية ، أم كلاهما معا ؟ ربما هى كل هذا ، والمهم انها لمست أوجاعنا .. ايضا .. نحن المشاهدين .

أما عن مستوى ادائها فلابد من الاعتراف بأنها تتمتع بقدر كبير من الصبر والمهارة . وهى تلاحق سن «الرابيدوجراف» على مسطح الورق الابيض ، وتصنع من الوف اللمسات نسيجا أشبه بالنسيج النحتى ، ولتاكيد هذا المذاق النحتى فإنها قد تركت المسطحات الورقية المحيطة بالاجسام بيضاء .

سيمفونية طائر

شعر : عباس محمود عامر

ايقظتنى نداءات عينيك
تبدو طقوس النهار
وترقص عصفورة الحلم
فرحى
على ايكة الغيب
تنشد اغنية للبشارة
فى موكب للرفيف
وتسفر لى رؤيتى
بعد عودتها من دوار الأفول
فاهجر كل بروج ، « الأنا »
واحلّق فوق الغمام
وعبر الشمال اليك
فتبدين انت بهذا البهاء
بهذا الضياء
مليكة كل الكواكب
يامن قرأتك فى آية الشمس
اسما لذاك الوطن
اتصفح قلبى وذاكرتى
فأراك تجوبين عشقا بنهرى
نقوش جنون
على جسد الوعى .. لم تنعدم
اتصفح كونى
تكونين راية نصر
ترفرف رغم المطر
واحوم كصقر لاجلك
تاركا الاغنيات
ودفء الشجر
لانك انت بلادى
خلودا
وجودا
يضم البشر



زهرة البستان

القصة الفائزة بالجائزة الثانية

بقلم : منار فتح الباب

ريشة الفنانة : سميحة حسين

لم أكن اعتقد انه سيأتي يوم اجدني فيه استكشف ضيقا فى مقلتى ينعكس على أنوف المدعوين والمختارين لصحبتى ، فأهتم بأبعاد عويناتى والمسافة بين المقلتين إذ تنقل اليّ تفاوت حركات شفاههم الجرداء .. متجعدة .. قوية .. جوفاء .. كقلم خشبى قديم لا يكتب .

أراهم يقبلون على بعضهم بينما تتسع بطونهم وتستطيل اعناقهم وتنحل . وتكبر الشفاه فى غير مكانها .. ومع كل فجر جديد تنتقل الى مكان .. فأعرف سر الألوان .

«إننا نشهد مع علماء الغرب أن ما يحيط بنا ليس هو الواقع . وإنما الواقع هو ما خلف مشاهداتنا ... ولهذا ، فإنه يجرى البحث دائما عن منهج جديد للبحث عن .. عن .. آسف !!

كانت بركة صغيرة من المياه قد أثارت خيالاتى ، فتعثرت فيها قدماى لأجد نفسى بين هؤلاء الجالسين .. يبتسمون ابتسامة مريرة نحو الأسفل .. يشدون على مقاعدهم وآذانهم لعلهم يقوّمون عوج ظهورهم . وأنوفهم .

كنت زمن طفولتى أهوى اجادة الشجار ، فلم افلح .. ولهذا ظللت اعتقد ان تصوراتى هى السبب .. وكان اولها إصرارى على ان أنوف البشر كلها ذات طراز واحد لعلى الآن قد عرفت ، بعد اشتداد أزمات عصبيتى ، أنها مختلفة .

وغفلت عن نفسى يوم كنت اغدق الوقت فى الزهو باختلاف احجام النمل ، والحيرة بادية فى مقلتى من تشابك اطرافه .. أهى افواهه أم انوفه .. أللشجار ام للهو أم للتعاون المثمر حتى لا يجوع فرد .. وكيف كانت تشرد واحدة منهم .. أغاضبة .. ضائعة .. عابثة .. ؟ أم مضحية من أجل الجميع .. وأجريها بأصبعى فتفزع .. وتهرب ثم انساها ، فقد كانت ذاتى تتضخم الى عملاقة امام الكائنات

زهرة البستان : القصة الفائزة بالجائزة الثانية

الصغيرة .. ترى اين تذهب في الظلام ؟ أثمة عرش في الكرة السوداء ، وكم من طبقة تمتد حتى العرش . وهل ينهب كل القوت لنفسه . هل نسيتنى النملة ؟ اتحسس الليل والفجر ؟ .. لماذا لا تكبر ؟

قررت فى نفسى ان انوية خلاياى سوف تتضاءل وانى سأصبح فى حجم نصف ثانية صغيرة لشعاع شمس يضاعف زمن الموت المتخبط فى أحداق البشر الصفراء .. الصفراء .. تلك الاشجار فى الاقاصيص الرومانسية .. يا انت كم انت شريدة .. جميلة .. حدثينا قبل ان ندعوك الى زاوية المقهى الادبى عن موضوعات قصائدك .. هل تكتبين ؟ .. ثمة كرسى فاخر من اجلك . حسنا .. حدثينا عن التوت فى (أمرأة آرق) .

وكنت قد تسلقت شعرة بيضاء عجوزا مجعدة من رأس احدهم ..

- زهرتنا الصغيرة .. قولى شيئا .

ولم اكن قد قلت شيئا يوم ولدت .. وكان هذا الجيش الهائل من جياع العالم قد تآلف فى دائرة من الواقع دون ظل .. الشكل موحد الأفواه .. مفتوحة .. مفتوحة فى الفضاء .. الصياح كالدخان .. وأنا وحدى امام المرآة . اتأمل البقع الصغيرة التى تحجب تشكل انفى واستدارته هو وخصرى ..

لست الا لغطا .. سيلا من دموع نمل .. او لوحة نحل جفت ازهاره وصارت كالسياط ..

دخان السيجار يملأ المتقطعة بين الزفير المتخم ، وأتجاهل عواء قطة جانبية .

هاهم يتحولون الى كلمات تنطبق على بعضها صدأ . وتطل عيونهم فوقى فى عين واحدة تسطع فى ظلال قاعدة منشور من اجسامهم سطوع المرآة الكاذب . وأنا وحدى التى اجمع نشاراتها فى هذا العالم .. مادمت قررت ان اتضاءل ولا اسمع شيئا سوى صوت التنفس .. ذراعاى زجاجتان ترفرفان فى الهواء الضئيل .. ودمائى قد جفت وآل جفافها صفائح رقيقة متقشرة .

- عطشنا جميعا .. ألا يوجد شراب ؟ .. ذهبت ليلات السفر !

كنت اهوى قديما مشاهدة قصدير القطارات المتآكلة وأحلم ان لى فيها بيتا جرسه نفير . بيتا من أعواد قصب ملونة تلوح للشمس .. اعبئه بزجاجات زيت ادلك بها

بشرتي فتنعم وأحلق في الأفق .

– فلنشرب في نخب ايام النضال والقضبان والطوابير .. صغيرتنا تبدع قصيدة من جمال الصمت ..

حاربت وعيي كي أعرف هل يتكلم النمل بينما يعمل في طوابيره .. اثمة مجال لهذا الصمت . أم هو صمت لوحتي .. مشاهدتي .

وكنت اعتقد - انه ، وبعد قراري الهائل العنيف ، لا تزال توجد بعض الطاقة كي اتخذ قرارا آخر بشأن صمتي . ولعلني يوم أفهم سر الصمت تكون حاسة النطق قد دمرت ايضا .. بينما تدق مقلتاي اسوار ثقيلة حول خصري بغية الانزلاق تحت أضواء العتبة السفلية للغموض الأسود .

ولم أكن قد اكملت بعد مناجاتي القديمة للنمل ، عندما انشغلت بالبحث عن مكان القي فيه بنشارات قلمي الرصاص ، وقد بدت مراوح صغيرة قررت ان اقرر انني اطير .. واكلم الموجودين بصدى الصوت الرخيم .. دون انف .. دون مكان .. دون ملامح .. فقد ذكرت نفسي انني اتضاءل وأن الزمن الباقي لجلسة صحبة قد صار أنا .. وقد تعامدت مع عمود النور دون ظل .. كانت الاضواء شاحبة صامتة .. والليل كالفجر يستبق على ندائه ديكان بمنقار واحد .. وأبخرة (علاقات التبادل) تهيم في (نسق الابتية اللاشعورية) .

لحظة ان اكشف امامهم ابخرتي هذه ستكون الاسئلة عن التفجير النووي قد تمزقت ، ودمرت اسواق القوت اليومي ، وتخلو الشوارع .. سأكون في طريقي الى منزلي .. بل الى التضاؤل .. قد ترتفع السماء يومها لتترك للأرض مكانها .. جنة وردية لكل فرد .. في حجم نملة صغيرة سوداء .. سوداء .. وليست بنية فجة شقراء .

كنت قد قطعت برهة قصيرة من قراري ان اتضاءل وتخيلت نفسي النور حول «محوري» الصغير وارى الجالسين من الخلف وقد طالت الانوف وتورم خط حدودها ثم مالبثت ان عادت لمكانها .. واستوت بينهن المسافات الداخلية للهمس الالدغ فتحولت الى عيون اشبه بعيون الثعالب الهاربة .

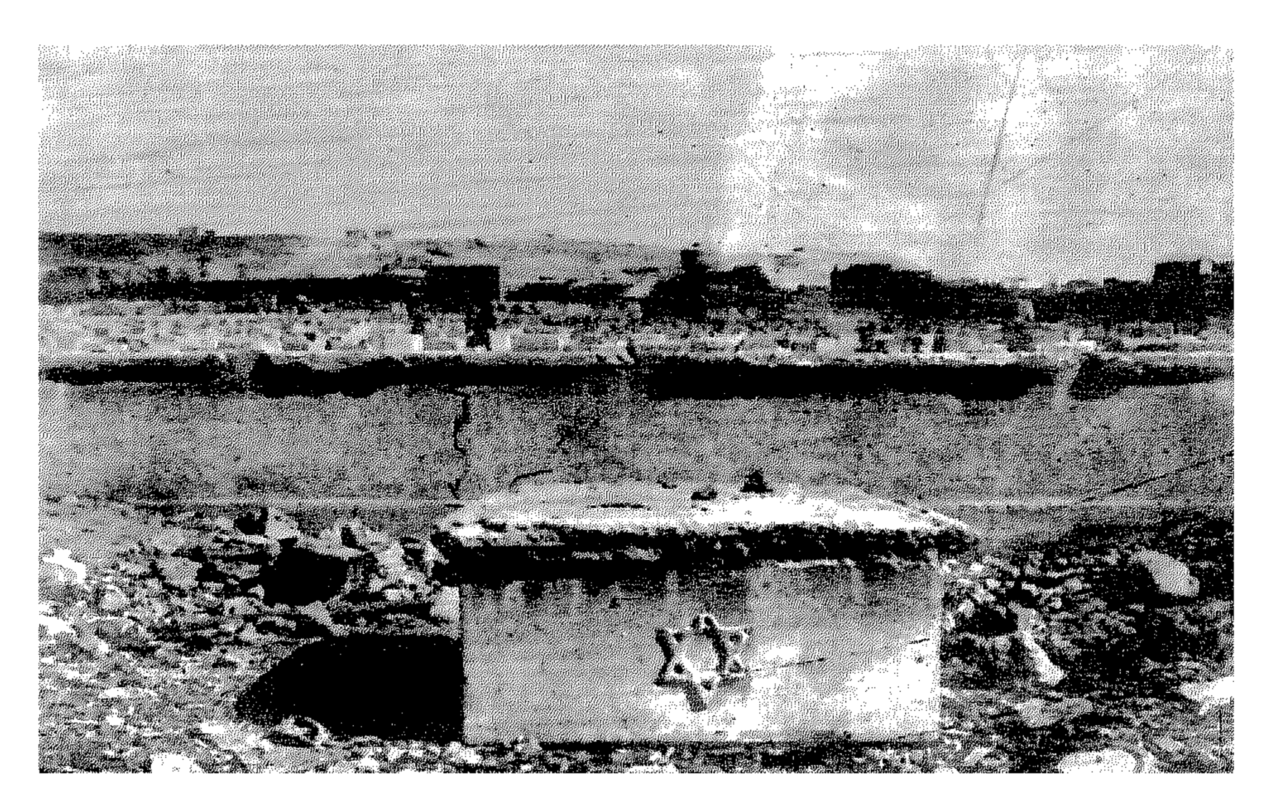
وعلا صوت الفم المتثائب مفتوحا :

– ها هي الجلسة تحلو عند اقتراب الفجر .

في طفولتي كنت افسر حلول ضوء الفجر بانكشاف عروش طبقات السماء السبع . وتحركها تدريجيا على نحو احادي . ومع هذا اجد تلك الانوف مستقرة لا تتحرك ..

– زهرتنا الصغيرة .. قولي شيئا .

ولم اقل .. كنت قد ذكرت نفسي بمناجاتي للنمل .



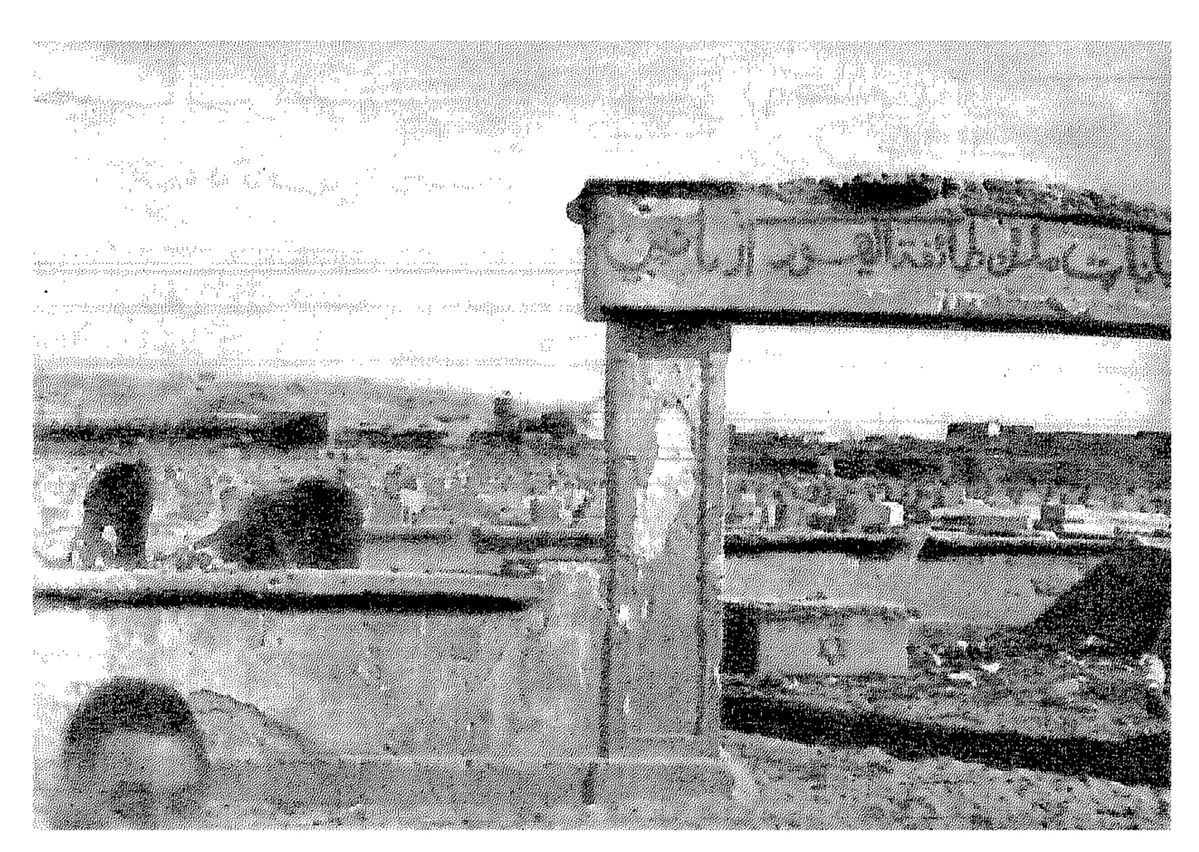
منظر عام لجبانات اليهود

مقابر اليهود وتهريب

بقلم : عرفه عبده على

ليهود مصر عدة مقابر فى القاهرة (البساتين والمعادى) وفى الاسكندرية والبحيرة والمنصورة والمحلة والمنيا ودمياط ..

وبين هذه المقابر جميعا ، تتمايز (مقابر البساتين) باهميتها العلمية والتاريخية ، والتى حظيت باهتمام مكثف من الباحثين والمؤرخين الاسرائيليين تحت اشراف - المركز الاكاديمى الاسرائيلى بالقاهرة -



بوابة متهدمة لجبانات اليهود الربانيين

وثـــائق الجـنيزة

ـ وقد رفضت محكمة القضــــاء الادارى ، الدعوى التى اقامهـــا مجلس الطائفة اليهودية بالقاهرة ،التى يطالب فيهابوقف انشاء الطريق الدائرى الجديد حول القــاهرة ،والذى سيتعارض ـ كمـــا تنص الدعوى ـ مع بعض اللحود الخاصة بمقابر اليهود فى تلك المنطقــــة ، وتستند هذه الدعوى الى ان نزع ملكية المقابر يتعارض مع (الشريعة اليهودية) ، وان نقل رفات اليهودفى تلك المقابر لايتماشى مع عقيدتهم !

مقابر اليهود وتهريب وثائق الجنيزة

وفي اول ديسمبر الماضى ، اخطرت وزارة الخارجية المصرية ـ د. شيمون شامير ـ السفير الاسرائيلى بالقاهرة ، انه لايمكن استثناء مقابر اليهود من الازاله بسبب اعتراضها الطريق الدائرى حول القاهرة ، وابلغته أنها عرضت الامر على الجهات المعنية : وزارة التعمير، محافظة القاهرة ، ورئاسة الجمهورية ، فاتفق الجميع على أن الازالة ستشمل مقابر للمسلمين والمسيحيين ولايمكن استثناء مقابر لليهود .

وتردد ان بعض الاثرياء اليهود والجالية اليهودية الامريكية ، قد عرضوا مبلغا قدره ٥٠ مليون دولار ـ كتعويض مؤقت ـ لتغيير مسار الطريق بعيدا عن مقابر اليهود ، الا أن هذا العرض قوبل بالرفض ..

فما قصة هذه المقابر التى اشتهرت باسم (مقبرة البساتين) عندما نتتبع الجذور التاريخية لهذه المقبرة ، نجد ان ـ احمد ابن طولون ـ مؤسس الدولة الطولونية بمصر (٢٥٤ هـ ٨٦٨ م ـ ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م) حين شرع فى تشييد ميدان فى قلب عاصمته الجديدة (القطائع) أمر بتدمير مقابر اليهود فى هذا المكان .. وكان ان خصص لليهود المكان الحالى بحى البساتين لدفن موتاهم ، على مساحة مقدارها ١٠ هكتارات .

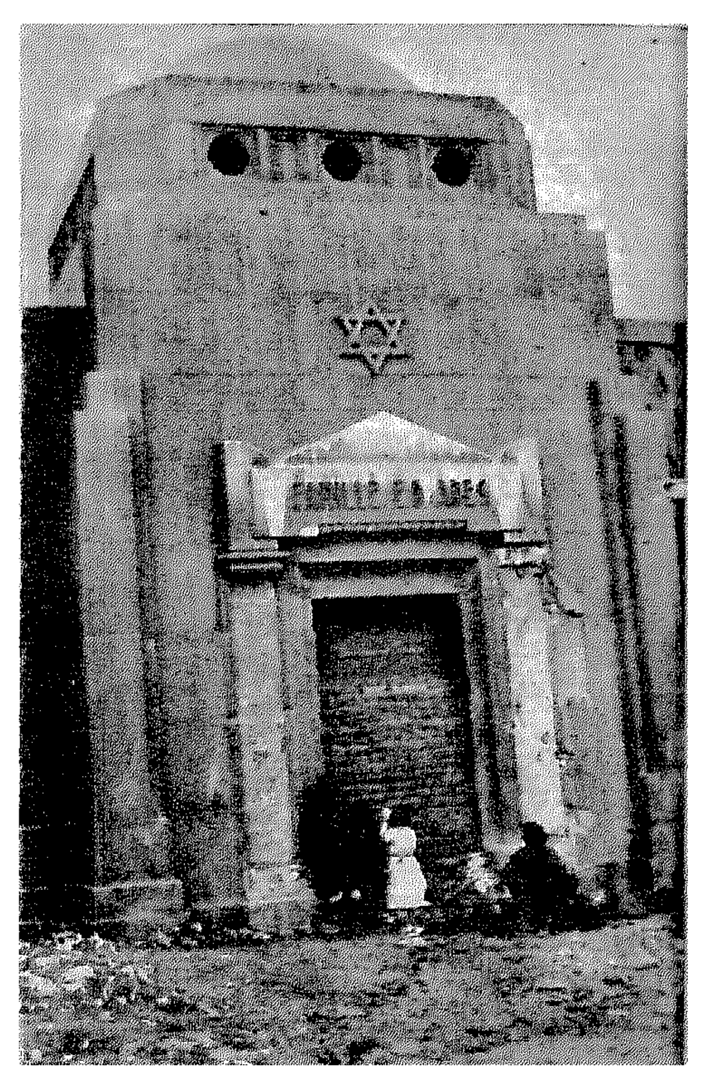
ذهبت فى جولة استطلاعية لتلك المقبرة الشهيرة ولاحظت اتساع العمران فى مواقع المقابر والاحواش ، الامر الذى تتعرض له أثار مصر ومعابدها ومقابرها ومساجدها التاريخية ! ..

المنطقة تزدحم بالبشر وتضيق . المحاجر وورش الرخام والباعة الجائلين ورائحة التراب . مررت بشارع ضيق تحيط بى وجوه الناس .. الى اليمين حوش عائلة (قطاوى) والى اليسار حوش عائلة (عدس) .. ثم انحرفت يسارا حيث واجهت مقبرة عامة لليهود الربانيين ، مازالت بقاياها قائمة الى اليوم ، وامامها صف من احواش العائلات اليهودية الشهيرة منها : حوش موصيرى ، حوش ليفى ، ضريح للحاخام الاكبر حايم ناحوم ، حوش البرت سابريل ، حوش ميشيل سابريل ، حوش يوسف عوباديا الدمشقى ، ضريح راب حايم كابوتشى ..

اجول ببصرى فتطالعنى (نجمة داود) على الجدران الحجرية

والابــواب الخشــبية وشــواهد القبور ، انتزعت الواح الرخــام والمرمر التي كانت تغطى معظــم هذهالقبور ! ومعظم هذهالاحواش يقطنها اسر فقيرة من اهل المنطقة

حوش عائلة إميل داود عدس



دون ســند قانوني ! . تحلــق حولى مجموعة منالاطفال يريدون التصوير بالحاح !

ترتبط اهمية مقبرة البسـاتين بقصة اكتشاف وثائق (الجنيزة)، ويطلق هذا الاسم فى ــ التقاليد اليهودية ــ على مستودع الاوراق الباليــة من الكتــابات العبــرية المقدسة التى لايجــوز ابادتهــا ، وذلك لما يفترض من ورود اسم الله فى ثناياها ، ثم توسع يهود مصر كثيرا فى تفسيرهم لتحريم ابادة الاوراق المكتوبة ، ليشــمل كل ماكتب بالحرف العبرى بتنوع اغواضه ، وقد جرت العادة على (تخزين) هذه الاوراق فىحجرة خاصة بمعبد (ابن عزرا) بمصر القديمة ، ومن حين لاخر ، يتم تفريغها من محتوياتها لتنقــل ــ بطقوس خاصــة ــ الى مقــابر البسـاتين حيث تدفن نهائيا ..

وحجرة الجنيزة بمعبد ابــن عزرا او (كنيس الياهــو) كمــا كان يطلق عليه ، تقع باعلى المعبد فى نهاية بهو النســاء ، وتبلــغ قياسـاتها ٥ × ٢ × ٥ر٢ م

ولا مدخل لها سوى نافذة او كوة عالية يمكن الوصــول اليهــا بسلم متنقل ، اذ كان المقصــود فقط ان يلقى فيها النــاس بتلك الاوراق بعد صعودهم اليها .

واول من علم بوجود الجنيزة، الرحالة اليهودى (سيمون فــون

مقابر اليهود وتهريب وثائق الجنيزة

جلدرن) الذى زار كنيس الياهو عام ١٧٥٣ (والقى نظرة على الجنيزه) كما ذكر فى يومياته ، وفى عام ١٨٦٤ زار القاهرة رحالة يهودى اخر هو (يعقوب سفير) وبالرغم من حصوله على اذن من المسئولين اليهود فى التعرف على الجنيزة ، الا انه لم يدرك اهمية مكنوناتها !

ثم اتى (ابراهام فيركوفتش) اليهودى الروسى ، فى منتصف القرن الماضى ، والذى نجح فى الحصول على الاف المخطوطات من مقابر البساتين ، وهى التى تكون مجموعة الجنيزة بالمكتبة العامة فى لننجراد .

حوش ميشيل سلبريل وعائلته



فى عام ١٨٨٨ قام تاجر الكتب اليهودى البريطانى (الكان ادلر) بزيارة معبد ابن عزرا ، وزار ايضا مقابر البساتين .. ثم عاد مرة اخرى فى عام ١٨٩٦ ، وقاده الحاخام الاكبر الى غرفة الجنيزة حيث ولج عبر الكوة ليمكث نحو ٤ ساعات ، ويخرج محملا بالاف المخطوطات ، والتى كونت مجموعة باسمه فى مكتبة السمنار الثيولوجى اليهودى فى نيويورك .

وفى ديسمبر عام ١٨٩٦ ، جاء الى القاهرة (سلومون شيختر) استاذ التاريخ اليهودى بجامعة كمبردج ، محملا برسائل توصية من الحاخام الاكبر فى انجلترا الى زعماء الطائفة اليهودية بالقاهرة ، وبالفعل حصل على تعاون المسئولين اليهود فى القيام بالتنقيب المنهجى الطويل فى حجرة الجنيزة بمعبد ابن عزرا ومقبرة البساتين ، حيث تمكن من استخلاص نحو مائة واربعين الف ورقة من المخطوطات الثمينة ، وأرسلت الى مكتبة جامعة كمبردج مكونة اكبر واهم مجموعة جنيزة فى العالم .

بعد ذلك قام اليهودى المصرى (جاك موصيرى) عام ١٩١١ بتمويل جهود بعض الباحثين الاوربيين والامريكيين فى التنقيب بمقبرة البساتين ، اسفر عن اكتشاف نحو اربعة الاف مخطوطة

جنيزية ، تستقر الآن بالجامعة العبرية فى القدس تحت اسم (مجموعة موصيرى) .

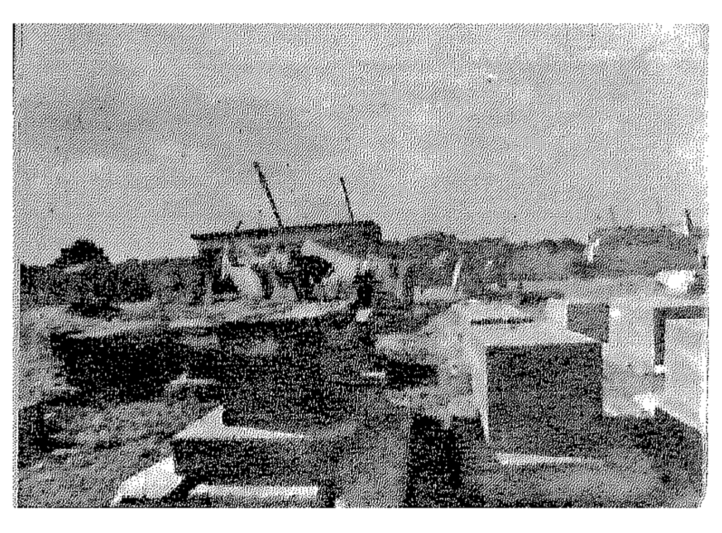
● نهب وتهريب وثائق الجنيزة

عقب معاهدة السلام بين مصر واسرائيل ، لوحظ ان الوفود الاسرائيلية التى تقاطرت الى القاهرة ، والتى ضمت باحثين ومستشرقين واساتذة متخصصين فى تاريخ مصر والتاريخ اليهودى راحوا يجرون عمليات بحث وتنقيب فى (مقبرة البساتين) ومعبد (ابن عزرا) ونهب ماتبقى بهما من مخطوطات الجنيزة .

وكانت وحدة البحوث الاسرائيلية بجامعة عين شمس برئاسة (د. ابراهيم البحراوى) قد تقدمت بمشروع بحث الى الجامعة عام ١٩٨١ ، بعنوان :

(بحث حماية المخطوطات اليهودية المصرية من النهب والتهريب) .. والتوصية بتكوين فريق من الباحثين يشرف على التنقيب عن هذه المخطوطات ، وحفظها ، وفهرستها علميا ، لتحقيق هدفين :

١ ـ منع احتمالات تزييف التاريخ من جانب المستشرقين والباحثين الاسرائيليين ، الذين اذا امتلكوا هذه الوثائق ، حجبوا منها مالايروق لهم وروجوا لما يناسبهم ، وزيفوا حقائق التاريخ فى اطار (التوظيف السياسى) لاغراض البحث العلمى !



بعض مقابر اليهود الربانيين ويشاهد ضريح الحاخام الاكبر حاييم ناحوم

٢ ـ الحفاظ على ماتبقى من المخطوطات المدفونة فى مقبرة البساتين ، قبل ان تمتد اليها يد النهب ، ويكون مصيرها التهريب الى خارج مصر ، كما حدث للمجموعات الموجودة فى جامعات : كمبردج (أهم مجموعة جنيزة فى العالم) واكسفورد ونيويورك وفيلادلفيا وواشنطن ولندن وباريس وميونخ وفيينا وبودابست والقدس .

وتم بالفعل تشكيل فريق العمل برئاسة د. البحراوى ، وبعد سنة كاملة من الدراسة التحضيرية ورسم خرائط التنقيب، وتحديد (حوش موصيرى) و (حوش قطاوى) ليكونا اول مناطق التنقيب ، تبلور المشروع فى ـ ورقة عمل ـ قدمت الى اللجنة الدائمة للاثار بتاريخ ٢٦ مارس ١٩٨٣ .

مقابر اليهود وتهريب وثائق الجنيزة

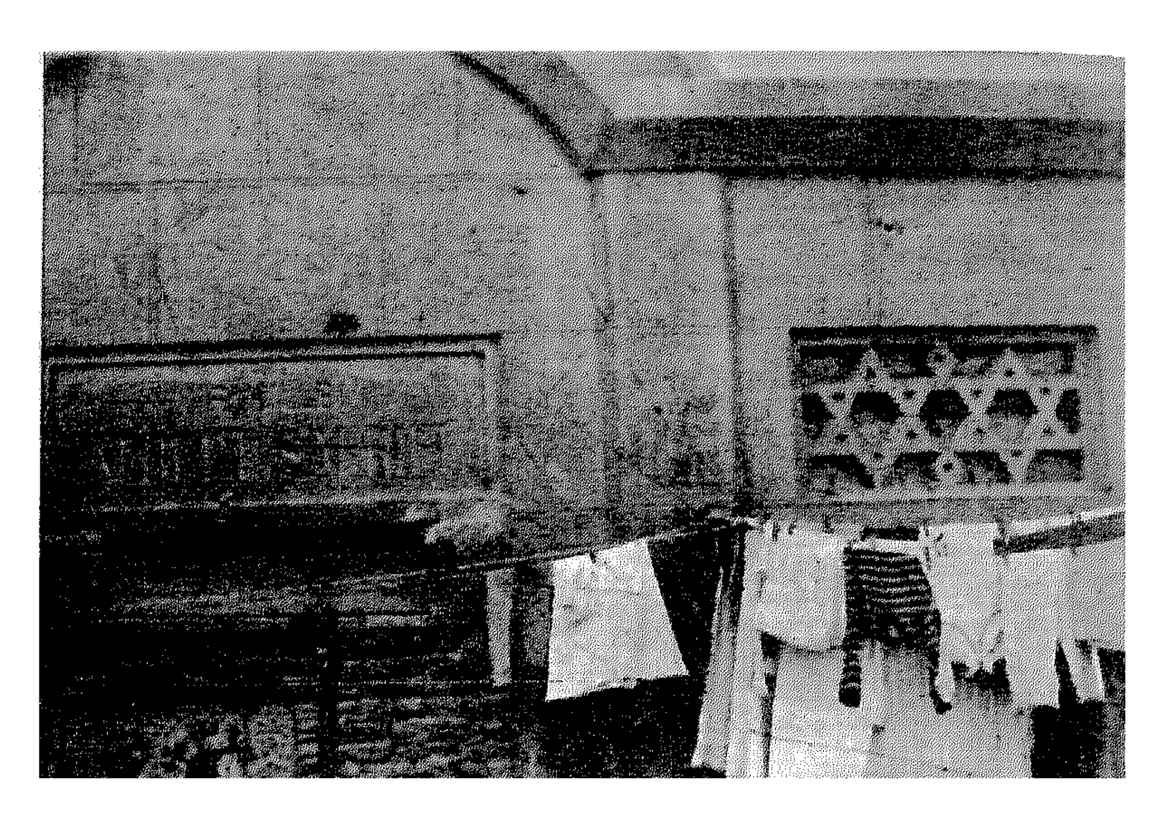
هنا ادركت .اسرائيل عن طريق ـ المركز الاكاديمى الاسرائيلى بالقاهرة ـ ان هذا المشروع المصرى ، يقطع الطريق على عمليات النهب الجارية لوثائق ـ الجنيزة ، فسارع د. شيمون شامير مدير المركز ـ فى ذلك الوقت ـ والسفير الاسرائيلى الحالى ، الى صياغة مشروع بحث (طبق الاصل) عن مشروع بحث جامعة عين شمس وقام بتقديمه الى هيئة الاثار المصرية باسم البروفيسور (مارك كوهين) الاسرائيلى الامريكى استاذ تاريخ الشرق الاوسط بجامعة برنستون الامريكية، بهدف أن تظل الهيمنة على هذه المخطوطات الهامة ملكا لهم !

وبعد محاولات لتمرير المشروع الاسرائيلى الذى تموله جامعة برنستون ، صدر قرار اللجنة الدائمة للاثار باستبعاد ذلك المشروع (المشبوه) ومنح امتياز البحث والتنقيب لجامعة عين شمس .

لم يستسلم الجانب الاسرائيلى فقرر د. شيمون شامير اللجوء الى سلاح الضغط بالجالية اليهودية الامريكية ، فاستدعى احد زعمائها وهو البروفيسور (برنارد لويس) استاذ تاريخ الشرق الاوسط بجامعة برنستون وزميل مركز البحوث الامريكي بالقاهرة ، وذلك لفرض مشاركة الجانب الاسرائيلى فى مشروع جامعة عين شمس !

ثم قام د. شيمون شاميربزيارة وكيل كلية الاداب ، وعبر له عن استيائه واستياء زعماء الجالية اليهودية الامريكية ! وقرارهم بتفويض د. لويس بشأن اشراك المركز الاكاديمى الاسرائيلى فى مشروع جامعة عين شمس ، كما اوضح له انه فى حالة رفض هذا الاقتراح ، فان الطائفة اليهودية المصرية سترفض قيام الجامعة بالتنقيب فى مقبرة البساتين ، باعتبارها منطقة دينية لهاحرماتها الخاصة !

وعلى اثر ذلك ، اعلنت جامعة عين شمس رفضها لتهديدات د. شيمون شامير ولاى محاولات للانتقاص منسيادتنا على ثروتنا التاريخية ، وتم بالفعل تحديد الثانى والعشرين من ابريل ١٩٨٤ موعدا لبدء العمل الميدانى ، غير ان هيئة الاثار ـ ممثلة بمراقب عام المعابد اليهودية ـ قامت باخطار مجلس الطائفة اليهودية فى خطاب رسمى بموعد العمل ، فاجاب مجلس الطائفة بطلب مهلة ثلاثة شهور لحين : (استفتاء الحاخام الاكبر فى اسرائيل حول مشروعية هذا العمل) !!



حوش عائلة البرت سابريل

وللاسف وافقت هيئة الاثار على ذلك وتم تأجيل بدء العمل الميداني ، وبالطبع لو كان المشروع الاسرائيلي بتمويله الامريكي هو الذى اقرته هيئة الاثار لما اعترض مجلس الطائفة اليهودية !

فى اول يناير ١٩٨٥ ، أرسل رئيس الطائفة اليهودية خطابا الى هيئة الاثار يتضمن الفتوى التى اصدرها الحاخام الاكبر الاسرائيلي ونصها ، (ممنوع اخراج اى سفر او اى شىء جنزى وفقا للشريعة اليهودية ، الا اذا كان هناك سبب معقول ! .. وعليه يتوجب ارسال ثلاثة من الحاخامات الذين لهم دراية فى هذا الموضوع اليكم ، للكشف على المنطقة المعنية ، واتخاذ القرار فى تحديد المكان الذى يمكن اجراء الحفر فيه ، وبعدها يصنفون مايجوز اخراجه من المخطوطات والاسفار الجنزية، وكيفية اعادة مايجب دفنه مرة اخرى) !

وهكذا ظل المشروع مجمدا ، على الرغم من كل مابذل من جهود ليخرج الى حيز التنفيذ والحفاظ على ثرواتنا التاريخية من النهب والتهريب ، كما سيظل موضوع (وثائق جنيزة مقبرة البساتين) مثالا صارخا لمحاولات التدخل الاسرائيلي فى ابحاث الجامعات المصرية !



العالم في سطور

براغ

● الكاتب .. اصبح رئيسا للبلاد

هل يمكن للأدباء ان يحكموا العالم في المستقبل ؟

ذلك هو السؤال المثار حاليا في عواصم عديدة من العالم بعد ان تولى الكاتب المسرحي فاكلاف هافل مقاليد رئاسة الدولة في تشيكوسلوفاكيا عقب التغيرات الديمقراطية الاخيرة .. وبعد ان اعلن الكاتب البيروني المعروف ماريو بارجاس يوسا عن نيته ان يرشح نفسه في انتخابات الرئاسة الاخيرة في بلاده .

تجيء أهمية السؤال في ان البعض يرى ان الكاتب هو في اغلب الاحيان ثوري سلبي ، يجيد الكلام والتنظير والاعتراض . لكنه لايستطيع ابدا ان يدير دولة بمؤسساتها المختلفة ، ذلك لانه شخص حالم بيوتوبيا ، والسياسة تتعارض تماما مع الطوبوية .



فاكلاف هافل

لكن من. هو فاسلاف هافل الذي استطاع ان يؤكد ان المثقف يمكنه ان يصبح ايجابيا ، فيتمكن من الوصول الى اعلى مقاليد السلطة بعد ان يعترض لسنوات ، ويعرف جدران السجن وقسوته ويطارد كلماته التي الفها كي تصبح حقيقة واقعة يمكن ان يطبقها على الملأ ، وامام ملايين الناس ، سواء كانوا من قرائه ، او من الذين لايعرفونه ؟

ولد هافل في الخامس من اكتوبر عام ١٩٣٦ في مدينة براغ وفي بداية حياته العملية سعى ان يكون كيميائيا في احد المعامل التقنية ، والتحق فعلا باحد المعامل طوال الفترة من عامي ١٩٥١ الى ١٩٥٥ ، وفي تلك السنوات كان يواصل دراسته الثانوية في مدرسة قواعد اللغة .. وفي عام ١٩٥٥ التحق بكلية الاقتصاد في براغ . لكنه لم يستكمل دراسته وبعد عامين التحق بالخدمة العسكرية لمدة عامين .

وعقب تسريحه من الجيش في اواخر الخمسينات عمل هافل كمصمم مناظر في المسرح .. ثم اصبح مسئولا عن مراقبة الدراما .. ثم مساعد منتج .. واخيرا تحول الى كاتب .

وكان على هافل ان يدرس المسرح الذي وجده اكثر اقترابا منه من كل المهن التي مارسها فانتهى من دراسة فن الكتابة للمسرح بأكاديمية فنون الموسيقى ببراغ عام ١٩٦٧ وبعد عام اصبح عضوا في نادي الحيادين ، وكان اعضاء النادي من

الاشخاص غير الملتزمين بسياسة الحزب الشيوعى التشيكى ، ثم اصبح رئيسا لاتحاد الكتاب المستقلين واتجه نشاطه فى الكتابة الى السياسة . وصدر قرار بمنعه من الكتابة بعد ربيع براغ حين احتلت القوات السوفييتية مدينة براغ ، بعد حركة الاصلاح فى عام ١٩٦٨ .

كان على هافل ان يترك المسرح ، كموظف ويذل كل مساعيه لنشر كتبه ومسرحياته التى منعت من التمثيل على خشبة المسرح وفى عام ١٩٦٩ مارس العديد من المهن الصغيرة من اجل توفير لقمة العيش .

وعرفت سنوات الستينات بالنسبة للكاتب بانها سنوات السجن ، حيث قضى خمسة اعوام داخل الجدران خلال ثلاث مرات ، وفى عام ١٩٧٧ اصبح مسئولا عما عرف بميثاق ١٩٧٧ ، ثم اصبح عضوا فى العديد من المؤسسات التى تنادى بالديمقراطية وحرية الانسان .

وترجمت اعمال الكاتب الى لغات عديدة فى فرنسا ، والسويد ، وسويسرا ، والنمسا وفى عام ١٩٨٣ حصل على جائزة اولف بالم فى السويد ثم على جائزة السلام فى معرض الكتاب بفرانكفورت .

وقد جاءت اهمية وشهرة هافل انه احد الكتاب الذين آمنوا ونادوا بحقوق الانسان ، وقد نادى بذلك من خلال اشخاص مسرحياته التى بلغ عددها ست عشرة مسرحية ، ومن بين هذه الاعمال « الترس الكبير » و« رسالات الى اولجا » و« البروتوكولات »

ولهافل شعبية كبيرة ليس فى بلاده فقط ، بل فى اوربا ، حيث راحت المؤسسات المختلفة تمنحه العديد من جوائزها لتكريمه ، اخرها جائزة الحرية لعام ١٩٨٩ .

كان على هافل ان ينتظر واحدا وعشرين عاما كى يجنى ثمار افكاره ، وافكار زملائه من خلال تلك الثورة الهادئة التى شهدتها يوغسلافيا فى نوفمبر الماضى ، وكان عليه ان يعيد الديمقراطية لبلاده بعد ان تم انتخابه كرئيس دولة فى التاسع والعشرين من ديسمبر الماضى .

السؤال المطروح هو هل يمكن لفاكلاف هافل ان يصنع طوبويته فى بلاده ؟ وهل يمكن ان ينتقل ببلاده فعلا الى ماكان ينشده ؟ .. وترى الى اى حد يمكن ان يفعل ذلك ؟

طنجة

طنجة صامتة بعد ليلة القدر



الطاهر بن جلون

يوم الصمت فى طنجة ..

عنوان الرواية التى صدرت اخيرا للكاتب المغربى الطاهر بن جلون . وهو اول كتاب ينشر للكاتب بعد روايته « ليلة القدر » التى فازت بجائزة جونكور عام ١٩٨٧ . والتى باعت فى طبعتها الفرنسية مليونى نسخة .

تدور أحداث الرواية الجديدة ذات شتاء فى مدينة طنجة . هناك رجل وحيد فى منزله المحاط

بالبرد . رجل يصارع المرض والوحدة والشيخوخة .. يروح يحصي عدد اصدقائه الذين اصبحوا في عداد الموتى . ويتذكر مغامراتهم ، وحيواتهم ، واحلامهم . وامالهم التي رحلت معهم .

لقد كان ترزيا يوما ما في مدينة فاس . وعاش حياة هنيئة سالمة ، لكن الزمن يصيب الناس دائما ، يأتيهم بالمرض والشيخوخة . وهاهو مصاب في الحنجرة . وفي صدره بمرض عضال يأتيه بالازمات .

الغريب أن بن جلون قد اختار ان يتحدث عن عائلة مغربية يهودية أخرى ، وعن منزلها وعن الطيبة التي تتمتع بها . وعلاقتها القوية مع الاسر الاخرى .

ويقول الكاتب في مجلة لوبوان في ٨ يناير الماضي « لقد فكرت دوما في ابي الذي عاش دوما في طنجة ، وانا اكتب هذا النص الذي لم اكن اتصل به الا بصعوبة فهذا الكتاب ليس سوى وسيلة لطرح المشاكل ، ان لم يكن لحلها »

وتقول المجلة ان هذه الدراما لايمكن ان تجد نهايتها الا بالموت ، فالراوية يحس بالمتعة وهو في قمة كسله .

بلغات

● الشاعر الاخرس والعزف على الكلمات

كرستوفر نولان هو اول شاعر اخرس في العالم .. فرغم انه لايتكلم .. الا انه يجلس امام مكتبه اكثر من اربع ساعات يوميا ليكتب رواياته واشعاره ، كما يجلس الى جهاز الكومبيوتر كي يدون ، ويحفظ كتاباته التي ينشرها منذ اكثر من سبعة اعوام ، اي عندما كان في الخامسة عشر من العمر .

لكن المشكلة التي يعانيها نولان انه بطيء في الكتابة ، فهو يكتب الكلمة في ربع ساعة تقريبا ، ولذا فهو يمكنه ان يصوغ فقرة في ثلاث ساعات تقريبا .. ولذا يحس انه لايؤلف ، بل انه يلاعب الكلمات حتى يحصل عليها ، ويرتبها الواحدة وراء الاخرى من اجل أن تخرج مليئة بالحياة ، والنبض الصادق .

وقد نشر نولان ، اخيرا ديوانه الاول تحت عنوان



كرستوفر نولان

« وقائع الاحلام » وهو يضم مجموعة القصائد التي كتبها وهو بين الحادية عشرة ، والخامسة عشرة ، وقد كتب احد النقاد البريطانيين ان نولان يستخدم الكلمات كأنه يخلق لها جسدا متأججا بالحياة .

كما نشر ايضا لنولان سيرته الذاتية التي تحمل عنوان « تحت عيني الساعاتي » والتي ترجمت الى اثنتي عشرة لغة عالمية ، والبطل في هذه السيرة يدعى كرستي ، يلعب مثل المؤلف مع الكلمات يغير الحروف كي تتغير معانيها وتتضاد ، وهو يرى ان اجمل الالعاب في الدنيا هي لعبة ترتيب الحروف في الكلمات .

باريس .

● محنة سينما

تعانى السينما الاوربية من طغيان افلام مصنع الاحلام فى هوليوود .

وفى محاولة لانقاذها من طوفان هذا الطغيان اقيم فى باريس قبل ايام اول مهرجان للسينما الاوربية .

وكان من بين اعضاء لجنة تحكيم هذا المهرجان « استفان زابو » المخرج المجرى صاحب « مفيستو » الفائز بجائزة اوسكار لاحسن فيلم اجنبى .

اما رئاسة تلك اللجنة فقد انعقدت للممثلة النرويجية « ليف اولمان » ونجمة بعض روائع المخرج السويدى « انجمار برجمان »

ورغم الدعاية التى صاحبت ايام المهرجان وحفلة توزيع الجوائز التى منحتها تلك اللجنة الى الافلام الفائزة ، فليس ثمة فى الافق مايدل على ان السينما الاوربية على وشك الافاقة من حالة الغيبوبة التى تعانى منها .

ونظرة سريعة على جنسية الافلام التى رخص بعرضها خلال عام ١٩٨٨ فى بلد اوربى كفرنسا تكفى لتاكيد صحة هذا التشخيص .



ليف اولمان

ففى حين رخص بعرض مائة وأربعة افلام امريكية ، لم يرخص بالنسبة للسينما الاوربية الا بستة عشر فيلما . موزعة كالاتى سبعة افلام لايطاليا وثلاثة افلام لهولندا ، وفيلمان لالمانيا الغربية ، وفيلم واحد لكل من بلجيكا والدنمارك والنرويج وبولندا .

واذا كان ثمة اثنا عشر فيلما آخر مرخص بها - وهى لبريطانيا - فان ذلك لايغير من الامر شيئا ، لان معظمها فى حقيقة الامر ، انتاج امريكى جرى تصويره فى استديوهات انجليزية .

وانخفاض هذه الارقام لايرجع الى قلة انتاج الافلام الاوربية .

حقا قد هبط الانتاج الاجمالى الاوربى بنسبة خمسة وعشرين فى المائة خلال الاعوام العشرة الاخيرة .

غير ان مجمل انتاج اوربا من الافلام يزيد رغم ذلك عن مجمل انتاج الولايات المتحدة .

ولامر ما لاتثير هذه الافلام شهية اى موزع خارج البلاد المنتجة لها .

وكأية سلعة ، فان قلة العرض للافلام الاوربية كان لابد وان يؤدى الى انخفاض الاقبال على ماقد يتاح منها للمشاهدة فعندما كانت السينما الايطالية فى اوج مجدها كان نصيب افلامها المعروضة فى فرنسا حوالى خمسة عشر فى المائة من عدد المتفرجين .

والان لايتجاوز هذا النصيب الثلاثة فى المائة الا بالكاد .

ولما طلب الى عضوى لجنة التحكيم « اولمان » و« زابو » ان يدليا برأيهما فى هذه المحنة ، ارجعاها الى استسلام النقاد واجهزة الاعلام الجماهيرية لسحر السينما الامريكية وانبهارهم بكل ماتنطوى عليه من سطحية وابتذال فضلا عن ادمانهم لالاعيب ابطالها الكاريكاتوريين امثال رامبو وانديانا والوطواط .

هل إنتهى التاريخ ؟

بقلم : د. السيد أمين شلبى

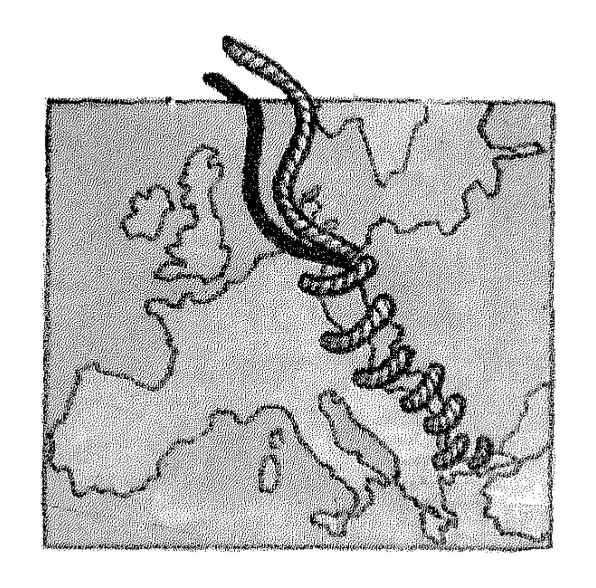
عرضنا فى العدد الماضى ما ساد الحياة الثقافية والفكرية والأمريكية والاوربية خلال العام المنصرم ، وهى القضية التى حركتها المدرسة التى بشرت وتنبات بانقضاء ثلاث ظواهر من حياة الأمم : ظاهرة الحرب الباردة التى حكمت الوضع الدولى منذ انتهاء الحرب الثانية ، وظاهرة الحروب وخاصة بين الدول الصناعية الديمقراطية ، أم النبوءة الثالثة لهذه المدرسة والتى كانت مركز الجدل والحوار ، فهو توقعها ليس فقط انقضاء حقبة معينة من التاريخ ، وإنما انتهاء التاريخ ذاته ببلوغه نقطة حاسمة ونهائية من تطور البشرية الايديولوجى انتصرت فيها الليبرالية الديمقراطية الغربية كشكل نهائى من اشكال الحكم .

وقد تناولنا بالتفصيل النقاش الذى دار حول انتهاء الحرب الباردة ، ونعرض اليوم لتصورات هذه المدرسة وتوقعها لاختفاء ظاهرة الحروب ، وعن فكرة نهاية التاريخ ، ولدوائر النقاش التى حركتها .

● هل ستنتهى الحروب ؟ !

ويستند توقع هذه المدرسة لانقضاء ظاهرة الحروب بين الدول الديمقراطية الى الانتشار الملحوظ للنظم الديمقراطية منذ منتصف السبعينات ، وأنه تاريخيا كانت ظاهرة الحرب بين النظم الديمقراطية قد غابت منذ نشوء هذه النظم فى القرن ١٩ ، والى ان حالات النزاع المسلح التى نشأت منذ هذه الفترة قد قامت بين النظم الديمقراطية وتلك التى تتبنى نظما شمولية ، كما استمدت هذه المدرسة منطقها من أن غياب الحروب بين النظم الديمقراطية يبدو متسقا مع طبيعة الديمقراطية التى تساعد وتسهل الحل السلمى للمنازعات من خلال التفاوض ، والتراضى والحلول الوسط ، ومن خلال تأثيرات الرأى العام ، وعمليات الانتخابات والتصويت ، وأنه فى النظم الديمقراطية يشعر الزعماء أنهم مسئولون امام شعوبهم على ان يستنفدوا كل الوسائل السلمية لحل المنازعات وقبل اللجوء الى القوة المسلحة . وتذكر هذه المدرسة بأنه منذ نهاية الحرب الثانية مثلا ، فإن عددا من الصراعات التى كان يمكن أن تؤدى الى الحرب بين أقطار قد اتجهت الى التضاؤل حين تتحول هذه الاقطار الى الديمقراطية . وضربت على

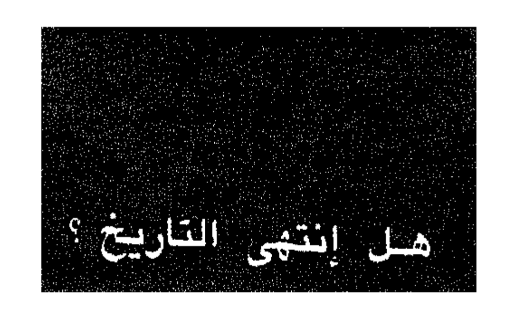
ذلك مثلا الصراع بين بريطانيا والأرجنتين وبين جواتيمالا واسبانيا ، حيث خف هذا الصراع حين تحولت الدول الثلاث (اسبانيا ، والأرجنتين وجواتيمالا) الى الديمقراطية ، كما تنبه هذه المدرسة ايضا الى أن الصراع بين تركيا واليونان بدأ يخف ، بعد ان أخذ كلا البلدين بالديمقراطية .



وتستمر هذه المدرسة فى افتراضاتها حول اختفاء ظاهرة الحروب أنه اذا ما استمرت هذه العلاقة بين غياب ظاهرة الحرب وبين النظم الديمقراطية واذا ما استمرت الديمقراطية فى الانتشار ، فإن الحروب سوف تصبح اقل فى المستقبل عما كانت عليه فى الماضى ، وما يبدو مبشرا فى هذا الشأن أنه منذ عام ١٩٧٤ . بدأت النظم الديمقراطية تكتسب مواقع فى عدد من الاقطار بلغت العشرين تقريبا ، على أن هذه المدرسة ان كانت قد اعتبرت أن الحرب اصبحت امرا لا يمكن التفكير فيه بين الدول المتقدمة سواء كانت رأسمالية أم اشتراكية ، الا ان توقعها هذا لا ينسحب على البلدان النامية حيث توقعت ان الحروب ستظل ملازمة لعلاقاتها .

وقد تصدى بعض المفكرين لهذا التصور بالتحليل والتفنيد وقدموا عددا من الملاحظات على هذا التوقع ، اولها ، اعتبار ان الديمقراطية مازالت اقلية فى نظم العالم ، فبين ١٦٧ دولة فإن النظم الديمقراطية فيها وفقا لمعايير الديمقراطية الصارمة ـ هى ٦٠ دولة فقط وعلى هذا فثمة امكانيات متعددة للحروب ــ بين ١٠٧ دول التى لا تتمتع بنظم ديمقراطية وبين الدول الديمقراطية . والملاحظة الثانية انه اذا كان عدد الدول الديمقراطية حقا فى نمو الا انه نمو غير منتظم . وعلى نمط خطوتين للامام وخطوة للخلف .

ويؤكد سجل التطور نحو الديمقراطية هذا النمط ، فقد حدثت موجة كبيرة من الديمقراطية فى القرن ١٩ اعقبها تراجع الى النظم الشمولية ما بين ١٩٢٠ ـ ١٩٣٠ . كذلك حدثت موجة ثانية من الديمقراطية بعد الحرب الثانية اعقبها انتكاسات فى الخمسينات والستينات ، تلاهما موجة ثالثة منذ عام ١٩٧٤ حيث تحولت مابين ١٥ ـ ٢٠ دولة الى الديمقراطية . فاذا ما استمر هذا النمط السابق فإن بعضا من هذه الديمقراطيات الجديدة من المحتمل ان تتحول الى الشمولية ، ومن ثم فإن ظاهرة الحروب يمكن ان تزداد اكثر مما تقل فى المستقبل . أما الملاحظة الأخيرة فهى ان السلام بين الدول الديمقراطية قد يكون راجعا الى عوامل عارضة جاءت عن طريق الصدفة لا الى الطبيعة الديمقراطية ، ففى القرن ١٩ مثلا كانت الحروب تقع بين الدول المتجاورة جغرافيا ، فى هذا الوقت كانت الدول الديمقراطية قليلة العدد ونادرا ما كانت تتجاور ومن ثم فإن غياب الحرب يمكن أن يكون نتيجة غياب القرب الجغرافى .



● نهاية التاريخ ؟

حدث ان محرر مجلة ناشيونال انترست THe NATIONAL INTERST وهي منبر التيار المحافظ المتشدد الذي عرف بـ NeW Congeuation وهو التيار الذي نما واشتد في السبعينات وكان له دور بارز في اسقاط جيمي كارتر وفي تكوين رؤى وتصورات ريجان وخاصة في العامين الاولين من حكمه - كان يبحث عن موضوع كبير «يربط التاريخ بالتقاليد العظيمة للفكر السياسي» وقد عثر على ضالته في محاضرة كان قد القاها اخيرا مفكر شباب امام جامعة شيكاغو هو فرانسيس فوكوياما (٣٦ عاما) وهو امريكي من اصل ياباني ، درس وتعلم في جامعات بيل وهارفارد وباريس وعمل بعد دراسته في مؤسسة راند ، واستعارته ادارة التخطيط بالخارجية الأمريكية في بداية الثمانينات ، ثم عادت فاستدعته أخيرا كنائب لمدير هذه الادارة . وكان فوكوياما قد شعر انه يريد ان يقدم شيئا يتجاوز به معالجاته الجزئية للاحداث ، وأن يقدم مسحا للمسرح الدولي يعالج من خلاله «المسائل الكبيرة» فكانت هذه المحاضرة التي قدمها في جامعة شيكاغو ، ونشرتها المجلة في عدد صيف ١٩٨٩ ، وأثارت ومازالت تثير كل هذه الضجة والتعليقات والمناقشات في الدوائر الاكاديمية والفكرية وعلى المستوى الأمريكي والأوربي . فما الذي قاله فوكوياما في محاضرته او مقالته .. ؟

يعتبر فوكوياما ان القرن العشرين قد بدأ والعالم المتقدم يخوض صراعا عنيفا بين الليبرالية الديمقراطية وبين بقايا الحكم المطلق ثم مع النازية والبولشفية ، ثم انتصف بما تنبأ به البعض من عملية تلاقي أو تقارب بين الراسمالية والاشتراكية غير أن القرن ينهي دورته بالنصر الواثق لليبرالية الاقتصادية والسياسية . ويرى فوكوياما ان هذا النصر يبدو اولا وقبل كل شيء في .. «الاستبعاد الكامل لأي نظم بديلة لليبرالية الغربية تكون صالحة للحياة ..» ويستدل فوكاياما على هذا بما حدث في الحقبة الماضية في اكبر قوتين شيوعيتين هما الاتحاد السوفييتي والصين ومن حركات اصلاحية لم تقتصر فقط على القضايا السياسية الكبرى وانما انتشرت لتصل الى اساليب الحياة والثقافة الغربية ولكي تشمل قطاعات الفلاحين وعلى هذا يستخلص فوكوياما أن ما نشهده «.. ليس مجرد انتهاء الحرب الباردة ، وانقضاء فترة من فترات ما بعد الحرب ، وانما نهاية التاريخ نفسه ، ووصوله الى نقطة نهائية في التطور الايديولوجي للبشرية ، ولعالمية الديمقراطية الغربية . كشكل نهائي من أشكال الحكم ..» غير أن هذا لا يعني في نظر فوكوياما « . انه لن يكون ثمة احداث تعلق عليها الدوريات المتخصصة في الشئون الدولية ، ذلك ان انتصار الليبرالية قد تحقق في الدرجة الأولى في عالم الافكار او الوعي ، وهو لم يتحقق بعد في العالم الواقعي والمادي . ومع هذا فإن هذا لا ينفي ان ثمة اسبابا قوية تدعو الى الاعتقاد ان المثالي هو الذي سيحكم العالم المادي في المدى الطويل ..»

ولم تكتسب مقالة فوكوياما قيمتها من مجرد تحليلها للوضع الدولي او لتنبؤاتها

حول مستقبله ، وانما ايضا من الاساس التاريخى والفلسفى التى استندت اليه ، فهو يعتقد ان فكرة نهاية التاريخ ليست جديدة وانما يرجعها الى كارل ماركس الذى اعتبر ان اتجاه تطور التاريخ كان دائما اتجاها هادفا حكمه التفاعل بين القوى المادية ، وأنه سوف يصل الى نهايته فقط باليوتوبيا الشيوعية التى سوف تحل فى رأيه بشكل نهائى التناقضات السابقة ، ويضيف فوكوياما ان مفهوم التاريخ كعملية ديالكتيكية ذات بداية ووسط ونهاية قد استعارها ماركس من فردريك هيجل الذى اعتقد ان التاريخ يبلغ ذروته عند نقطة مطلقة وهى اللحظة التى ينتصر فيها نهائيا بشكل عقلانى من اشكال الحكم والمجتمع . وعلى هذا الاساس الفلسفى اعتبر هيجل ان التاريخ قد بلغ نهايته عام ١٨٠٦ فى انتصار نابليون فى معركة يينا ولأنه عند هذه النقطة فإن «طليعة البشرية» قد حققت مبادىء الثورة الفرنسية .

وقد يبدو انتهاء التاريخ عند النقطة التى تنتصر فيها الليبرالية الديمقراطية الغربية امرا يدعو للابتهاج بالنسبة لفوكوياما الا انه يعتبر ان الزمن المقبل هو زمن حزين يدعو الى الملل . لماذا ؟ « ..

هيجـل



مانسـفيلد

لان الصراع من اجل اثبات الذات ، واستعداد المرء للمخاطرة بحياته من اجل اهداف مجردة والصراع الايديولوجى العالمى الذى يدعو الى الجسارة والاقدام ويثير الخيال والمثالية سوف تحل محله الحسابات الاقتصادية ، ومحاولات حل المعضلات التكتيكية ، والاهتمام بشئون البيئة ، والرضا بإشباع الحاجات الاستهلاكية المتقدمة ..» ويذهب فوكوياما ابعد من هذا فى تصور عصر ما بعد التاريخ «.. فلن يكون هناك فن او فلسفة مجرد رعاية لمتحف التاريخ الانسانى ..» وهووضع يجعله يشعر ، ويرى الآخرين من حوله يشعرون «.. بحنين قوى للزمن الذى كان التاريخ قائما فيه ، ومثل هذا الحنين فى الواقع هو الذى سيظل يحرك المنافسة والصراع حتى فى عصر ما بعد التاريخ ..» .

● عاصفة من النقد :

وقد اثارت نظرية فوكوياما ردود فعل عارمة ، وتناول نفس العدد من المجلة التى نشرت مقالته فقط عشرة تعقيبات من فلاسفة ، ومؤرخين ، وساسة ، واساتذة علوم سياسية ، تناولها بالنقد والتحليل ، وكان من ابرز هذه التعقيبات ما قدمه الاستاذ صامويل هنتجتون مدير مركز الدراسات الاستراتيجية فى جامعة هارفارد الذى سجل الملاحظات التالية على نظرية فوكوياما . كانت أولى ملاحظاته ، أن تراجع مجموعة من المثل والافكار لا يعنى اختفاءها نهائيا فقد تعود الى الظهور بقوة متجددة بعد جيل او جيلين ، وضرب مثلا على ذلك ان التيار الذى سيطر فى الاربعينات والستينات على الفكر الاقتصادى كان هو المفكر

الكينزى حيث دولة الرفاهية والديمقراطية الاجتماعية والتخطيط ، وكان من الصعب ان نجد مثل هذا التأييد لليبرالية الكلاسيكية التى عادت الى الظهور بشكل مدهش ، فالاقتصاديون والمؤسسات التى كانت تركز على «الخطة» فى الخمسينات ، عادت تركز على سياسات السوق فى الثمانينات ، وبشكل مشابه فإن علماء الاجتماع الذين جادلوا فى الحقب التى أعقبت الحرب الثانية بأن الدين والوعى القومى سوف يختفى بالتقدم الاقتصادى والتحديث ، الا انه فى الثمانينات رأينا الانبعاث الدينى كظاهرة عالمية . أما الملاحظة الثانية التى اوردها هنتجتون فقد انصبت على أن انتصار عقيدة ما لا يعنى انتفاء وعدم توقع ظهور خلافات داخل صفوفها ، فتاريخ الايديولوجية هو تاريخ الفرق والانشقاقات الايديولوجية كما ان الصراع بين هؤلاء الذين يقدمون تفسيرات مختلفة للايديولوجية الواحدة غالبا ما تكون اشد قسوة من الصراعات بين هؤلاء الذين يتبنون ايديولوجيات مختلفة تماما ، فبالنسبة للمؤمن فإن المرتد يعتبر اسوأ من غير المؤمن ، وتقف الخلافات التى نشأت تاريخيا داخل الديانات المختلفة وكذلك بين اصحاب العقائد العلمانية دليلا على ذلك اما الملاحظة الثالثة فهى ان انتصار ايديولوجية ما لا يعنى تجمد التطور الايديولوجى وعدم ظهور ايديولوجيات جديدة وسوف تتعرض اهداف البشرية فى الرفاهية والسعادة لتحديات مستمرة تدفع المجتمعات الى ان تطور مفاهيم ومذاهب جديدة لمواجهة هذه التحديات .

ويعتبر هنتجتون ان نظرية فوكوياما تعانى من وهم خطير وهو تصورها لامكانية التنبؤ بالتاريخ ومسيرته ، ذلك ان سجل «التنبؤات» هو سجل غير مشجع ، ثم من الذى كان يستطيع ان يتنبأ بعمق وشمول التحولات التى حدثت فى العالم الاشتراكى اما الوهم الذى تعانى منه نظرية نهاية التاريخ فهو انها تميل الى تجاهل ضعف ولاعقلانية الطبيعةالبشرية ، وهى تفترض ان البشرية سوف تتصرف دائما على اساس عقلانى ، فمادامت ترى انه من الحكمة التركيز على رفاهيتها الاقتصادية فلن تتورط فى حروب غير مجدية أو فى صراعات ايديولوجية جوفاء ، الا ان حقيقة الأمر ان البشر يتصرفون احيانا بشكل عاقل وكريم وخلاق ، ولكنهم غالبا ما يتصرفون بشكل احمق واناني .

كما كان من بين من تحدوا نظرية فوكوياما فى اسسها الفلسفية والتطبيقية هو جرترود هملفارب الاستاذ بجامعة نيويورك فقد اعتبر أن هيجل لم يقل ابدا ان التاريخ سوف ينتهى بالمعنى الحرفى ، ذلك ان التاريخ عملية مستمرة تظل فيها حركة الديالكتيك لا تنتهى ، وبشكل يبقى على دراما التاريخ قائمة ، ويتساءل هملفارب « .. وماذا عن الفقر الاسود ، وفقر الطبقات الدنيا ، وحيث يموت الشبان السود كل ليلة فى الخطوط الامامية لحرب المخدرات ، ان التاريخ بهذا المعنى لايبدو قد انتهى ، بل ربما يبدو انه قد بدأ فعلا ..»

ويستشهد بما ذكره مفكر امريكى

محافظ هو ارفنج كرستول من أن «قد نكون قد كسبنا الحرب الباردة ، وهذا شيء جميل ، ولكن هذا لا يعني ان العدو الان هو نحن وليس هم» .

كذلك اخذ عدد من الذين عقبوا على فوكوياما تسرعه فيما استخلصه عن نهاية التاريخ ، فعندهم ان التغيرات التي حدثت في الاتحاد السوفييتي ولم تستقر بعد بشكل نهائي ، ولا يستطيع احد أن يتنبأ بما سيحدث اذا ما فشلت اصلاحات جورباتشوف ، وعلى المستوى الأوربي لا يمكن التنبؤ بما يمكن ان تطلقه الوحدة الالمانية من تنافس بين الأمم الاوربية وكذلك الوحدة الاقتصادية التي تخطط لها المجموعة الاوربية مع عام ١٩٩٢ ، كما يضيفون الى هذا ان صراعات القوى الكبرى لم تنبع دائما من الايديولوجية فالاحرب العالمية الاولى ، والحرب الفرنسية الروسية ، والحرب البروسية اليابانية من الصعب القول أنها كانت حروبا ايدلوجية .

كذلك اثارت نظرية فوكومايا جدلا على النطاق الأوربي ، وكان من بين من تعرضوا لها بالنقد الكاتب البريطاني بيتر مانسفيلد الذي وصف النظرية بأنها تبسيط مخل للأمور ، فعند مانسفيلد ان التطلع لمزيد من الديمقراطية والحرية الفردية قد يأخذ اشكالا مختلفة كذلك يمكن الوصول اليها من خلال اساليب مختلفة ايضا . فإذا كانت اليابان تتبنى الديمقراطية والرأسمالية الا ان ديمقراطيتها وراسماليتها مختلفة جدا عن الراسمالية والديمقراطية الأمريكية ، كما أن الاتجاهات الأوربية الان تؤكد ان اوربا لا يمكن ان تتبنى راسمالية الولايات المتحدة . ويستشهد مانسفيلد بالعالم



جورباتشوف في طفولته .. من كان يفكر انه سيغير العالم ؟

الاسلامي ويعتبر انه رغم ان قطاعا من مجتمعاته تعتقد بوجوب الاخذ بالتكنولوجيا واسلوب الحياة الأمريكي ، فإن هذا لا يعني انهم يريدون ان يكون دستورهم . ونظمهم الاجتماعية والاقتصادية نسخة من الدستور او النظم الامريكية ، فأكثر المسلمين ميلا الى الغرب لا يعتقدون ان هذا يمكن ان يحدث يوما ما ويريدون ان يقيموا نظمهم المتميزة .

● فوكوياما يرد :

ازاء هذه العاصفة او «هيستيريا» النقد والتعليقات ، وبعد ما اسماه فوكوياما «جالونات الحبر التي سكبت على مقالته» كان لابد له أن يقدم رده عليها ، حيث اعتبر بداءة ان الانجاز الحقيقي الذي حققه هو هذا الاجماع العالمي الفريد الذي ضم اقصى اليمين واقصى اليسار لا حول الوضع الراهن لليبرالية وإنما حول اثبات مخطيء وان التاريخ لم ينته بعد . ثم يعتبر فوكوياما بعد هذا ان سوء الفهم المشترك بين نقاده هو فشلهم في فهم وقبول استعمال هيجل لكلمة «التاريخ» فكثير من الناس يشعرون بالانزعاج حين يعجز فرد في استخدام التعريف التقليدي

هل ينتهى التاريخ

للتاريخ كتعاقب عشوائى للاحداث حيث ليس هناك محاولة للتمييز بين ماهو اكثر واقل اهمية ، ولهذا فإن فكرة أن التاريخ قد يأتى لنهايته انما تدهش فقط هؤلاء الذين ليسوا على دراية بالتقاليد الماركسية الهيجلية ، فالتاريخ بالنسبة لهيجل يمكن ان يفهم بالمعنى الضيق لتاريخ الايديولوجية او تاريخ الفكر حول المبادىء الاولى بما فيها تلك التى تحكم النظام السياسى والاجتماعى ، فنهاية التاريخ ، تعنى ليس نهاية الاحداث العالمية وانما نهاية تطور الفكر البشرى حول هذه المبادىء الاولى . ويذهب فوكوياما ان قراء مقالته لم يكونوا اول من ادهشتهم فكرة نهاية التاريخ ، فقد اثار هيجل نفسه صيحات احتجاج باعلانه نهاية التاريخ فى بداية القرن ١٩ وخاصة من جانب ماركس الشاب الذى يشعر ان مظاهر عدم عدالة المجتمع فى زمنه يكذب تاكيدات هيجل «ان كل شىء حقيقى هو شىء عقلانى» والواقع ان ماركس قد صرف حياته يحاول ان يظهر ان هيجل كان مخطئاً ليس حول امكانية انتهاء التاريخ وانما حول اعلان هيجل أن النهاية قد حلت بالفعل .

ويجادل فوكوياما نقاده بالقول انه لكى يرفضوا افتراضه فإنه لا يكفى القول بأن المستقبل يحمل فى جمعيته احداثا كبيرة واسعة ، وإنما على المرء ان يظهر ان هذه الاحداث مدفوعة بفكرة متماسكة حول العدالة السياسية والاجتماعية التى تدعى انها يمكن ان تحل محل الليبرالية ، «فوقوع حرب نووية بين الهند والباكستان رغم رعبها بالنسبة للبلدين الا انها لن تكتسب اهمية الا اذا أجبرتنا بشكل ما على ان نعيد النظر فى المبادىء الرئيسية التى تميز نظامنا الاجتماعى .»

ويرد فوكوياما على النقد الذى اشترك فيه معظم من تناولوا مقالته وهو أنه تسرع فى استبعاد الاشتراكية كقوة فى العالم او كفكرة ، وعلى ما أشاروا اليه من عدم اكتمال ورهافة عملية الاصلاح الجارية فى الاتحاد السوفييتى واوربا الشرقية والصين ، فيقول انه اول من يعترف ان الاصلاحات الجارية اليوم فى العالم الاشتراكى لم تكتمل بعد ، وأن القهر الذى حدث فى بكين فى يونيو الماضى قد انتكس بقضية الحرية لعدة سنوات ، وسيكون المرء أحمق اذا ما تجاهل ان مثل هذا الارتداد لن يحدث فى احد البلدان التى تجرى فيها عملية الاصلاح الان ، ومع هذا فإن فوكوياما يشك فيما اذا كان مثل هذا الارتداد اذا حدث سوف يعيد بشكل كامل الاتحاد السوفييتى الذى عرفه الغرب وخشى منه خلال الاربعين عاما الماضية ، وعنده ان التهديد السوفييتى التقليدى للغرب لم ينبع فقط من القوة العسكرية والمصادر المادية ، وانما من حقيقة اعتبار الاتحاد السوفييتى انه يجسد فكرة وعقيدة عالمية معادية لمثل الغرب واسلوبه فى الحياة ، مثل هذا الاحساس بالرسالة التبشرية هى بالتحديد ما يعتبر فوكوياما انه اقل احتمالا ان يبعث من جديد .

كذلك يعتقد فوكوياما انه حتى لو عاد نظام محافظ جديد للاتحاد السوفييتى فإنه من المستبعد ان يعود الى اساليب القهر القديمة فى محاولة منه لاستعادة السلطة المعنوية للحزب او اصلاح مشاكل الاقتصاد الملحة .

• حمام لضغط الدم

منذ قديم الزمان يشيع على نطاق واسع الحديث عن التأثيرات العلاجية للمياه المعدنية ، وذلك رغم عدم وجود تفسير علمي واضح وقاطع لذلك ·· لكن آليات مثل هذا التأثير بدات تتكشف خلال الفترة الاخيرة ·

فالمعروف أن الغطس فى المياه المعدنية يؤثر على الجسم تاثير العقارات المدرة للبول ، فبعد قضاء وقت فى السباحة يحس المرء بالرغبة فى التبول الأمر الذى ينشط خروج الاملاح - ذائبة فى المياه - من الجسم ·

وفى الوضع العادي للجسم تهبط كمية من الدماء الى الجزء الاسفل بتاثير الجاذبية ، لكنه عند الوجود فى الحوض يعود الدم الى وسط الجسم فيرتفع ضغط الدم وتتمدد جدران القلب الامر الذى يحفز الهرمون المتسبب فى امتصاص كثير من الاملاح وافرازها مع البول ·· هذا كما أن فقدان الجسم لبعض سوائله يقلل الدم فيهبط الضغط ·

ونفس التاثير يتعرض له ملاحو الفضاء عند وجودهم فى حالة انعدام الوزن ·· وهكذا توصل العلماء الى الى امكانية علاج ضغط الدم العالى باستخدام نفس الهورمون لكنه تبين أن تناوله على شكل اقراص لن يجدى لانه عبارة عن بروتين يتحلل فى الكلى بسرعة ، ومن هنا جرى السعى الى مركب كيميائى يزيد من نسبة الهرمون الطبيعى او يؤدى وظيفته ·



ولقد أمكن التوصل بالفعل الى عقار يبطىء من تحلل الهورمون فى الكلى مما يساعد على اتمام آلية افراز الاملاح والمياه لوقت اكبر مما يقلل ضغط الدم ·· وهكذا بات بالامكان علاج ضغط الدم العالى بالاستلقاء فى حوض مملوء بالماء الدافىء بضع ساعات يوميا ··

العلاج فى المنجم !

الربو من أمراض الحساسية المعضلة التى يستغرق علاجها بواسطة الادوية وقتا طويلا رغم أن عدد المصابين به فى تزايد مستمر حتى أن نسبة انتشار أمراض المسالك التنفسية تتضاعف كل ١٠ سنوات

نتيجة تزايد تلوث المحيط الجوى فى المدن بالدرجة الاولى ..

وقد لوحظ منذ وقت بعيد أن لمناخ الكهوف الطبيعية (والترسبية منها على وجه الخصوص) تأثيرا مواتيا ومطردا على مرضى الربو ، ومن هنا جرى التفكير فى استخدامها لاغراض العلاج ونشأ المفرع الطبى الخاص بالعلاج فى الكهوف • وفى اطار هذا الفرع وضعت طرق فعالة لعلاج الربو فى مناجم الملح •

والعوامل العلاجية الاساسية فى هذه الطريقة هى تشبع الهواء بعوالق كلوريد الصوديوم وتأثير الهواء النقى تماما ، وانخفاض نسبة الرطوبة وثبات درجة الحرارة فى حدود مريحة للانسان (٢٣ — ٥ر٢٣ درجة مئوية) والهدوء غير المألوف ..

واستفادة من هذه العوامل العلاجية شيد فىسولوتفينو (اوكرانيا) مستشفى ملحى لعلاج امراض الحساسية يتبع معهد المصحات للأبحاث العلمية فى أوديسا .. والمستشفى يتكون من عدة ممرات بنيت على عمق ٣٠٠ متر وفق تصميم خاص ، ويبلغ طولها الاجمالى ٦٠٠ متر •

والطريف أن متانة الكتلة الملحية فى المنطقة كبيرة للحد الذى لا تحتاج معه سقوف الفجوات مهما بلغت الى ركائز ، وتحوى هذه الممرات عيادات الاطباء ومختبرات الفحص وردهات النوم وغرف الاستجمام وقاعة الاجتماعات ويتسع لعلاج ٢٥٠ من مرضى الربو دفعة واحدة •

وتستغرق دورة العلاج زهاء ٣٠ يوما يقوم خلالها المريض المقيم فى المنطقة بـ ٢٤ ـ ٢٦ هبوطا الى دروب المنجم حيث يتراوح الوقت اللازم للشفاء هناك بين ١١٠ و ٢٠٠ ساعة

• السفن الطائرة



أعلنت اليابان عن مشروع بناء سفينة القرن العشرين « ياماتو ـ ١ » الفائقة السرعة والتى تعمل دون ضوضاء .. ويقوم عمل محرك السفينة على امتصاص ماء البحر ثم طرده بقوة باستخدام قوة المجال المغناطيسى الذى ستكون وحدات كهرمغناطيسية قوية ، استخدمت فى صناعتها المواد الحديثة الفائقة التوصيل ـ ومن المنتظر أن تصل سرعة السفينة ١٨٥ كيلومترا فى الساعة وأن يجرى تدشينها خلال العام القادم •

ومن الجدير بالذكر أن مهندسا سوفيتيا قد نال براءة ابتكار هذا

النوع من المحركات عام ١٩٥٥ ، بيد أن الاتحاد السوفييتى عجز عن تطبيق هذه الفكرة ..

ومن جانب اخر انتجت احدى الشركات الالمانية نموذجا لسفينة جديدة محمولة على وسائد هوائية ، ومصنوعة أساسا من اللدائن (٧٦ × ١٢ مترا) ، وتصل سرعتها ١٩٠ كيلو مترا ، وهى تستطيع مقاومة الاحوال الصعبة والامواج التى يصل ارتفاعها الى ٦ امتار ، كما تتميز هذه السفينة بانخفاض الضجة الصادرة عن صوت محركاتها ، ويساهم محركان فيها فى ملأ الوسائد الهوائية مما يساعد على طفو السفينة بنسبة ٨٥٪ .

وبسبب السرعة الكبيرة للسفينة سيكون على الركاب المكوث فى حجراتهم جالسين ، تماما كما يحدث فى الطائرة ، ولامكانات هذه السفينة الضخمة سوف يشيع استخدامها فى رحلات أعالى البحار ..

● بنك لروائح المجرمين

من المعروف أن الروائح التى تستخلص من مسرح الجرائم تساعد الكلاب البوليسية فى العثور على المجرمين .. ومن هنا فكرة رقيب يعمل فى بوليس روتردام يدعى يان دى برون فى انشاء بنك لروائح المجرمين هو الاول من نوعه فى العالم ..

وفى مركز بوليس مدينة روتردام لا تقتصر الاجراءات اليوم عند اعتقال كبار المشتبه فى اجرامهم على تصويرهم فوتوغرافيا والتقاط بصماتهم اذ يكون على المشتبه فيه أن يقدم ايضا عينات من رائحته وفق تقنية خاصة يحمل فيها قطعا من القماش الخاص لمدة خمس دقائق ..

هذا كما يستدعى دى برون ، عند وقوع جريمة خطيرة ، على عجل حيث يقوم بتغليف ما يعثر عليه فى مسرح الحوادث مما يمكن أن يحمل رائحة المجرم فى قماش قطنى معقم ثم يضعه فى صندوق تهوية واسع من مادة البلاستيك ومجهز بمروحة كهربية وعندما يتحرك الهواء فى الصندوق تتبخر ذرات الرائحة فيمتصها القطن وبعد ٣٠ دقيقة ينقل القماش الى اناء محكم الاغلاق مخلخل الهواء يحمل تاريخ أخذ العينة ومكان وقوع الجريمة ويخزن فى مركز الوحدة ..

ويمكن لمثل هذه العينات ان تستخلص من اصغر متعلقات المشتبه فيه فهناك عينات أخذت من قفازات واخرى من ولاعة سجائر ، و ..

وقد شكلت العينات التى استخلصها دى برون المدير الفنى للوحدة التى تتولى الكلاب البوليسية فى روتردام والذى كرس ما يزيد على ١٢ سنة لاتقان عملية جمع الروائح وتخزينها شكلت اضافة فريدة للملفات وسجلات المجرمين فى روتردام رغم انها تكلفت ما يزيد على ٧٠٠ الف دولار فقد باتت قوات البوليس فى سائر انحاء هولندا تشعر بالحسد من بنك روتردام ، ذلك بالاضافة الى ماأحدثته

الاساليب المتبعة فى انشاء هذا البنك من وقع قوى على خبراء الكلاب البوليسية فى العديد من البلدان الاوربية والامريكية .. وقد يبدى العلماء اعجابهم بعمل دى برون الذى يقولون انه قد يؤدى الى توفير ادلة حيوية فى التحقيقات الجنائية ، وقد صرح الكيميائى المتخصص فى الروائح الذى يستشيره برون بان اساليب الرجل الفنية حديثة الى درجة كبيرة وقد تكون عظيمة الفائدة بالنسبة للبوليس

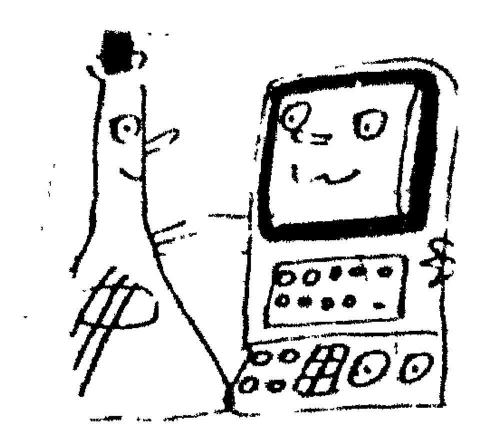
وقد اظهرت الاختبارات التى اجريت ان الكلاب استطاعت ان تتعرف بدقة على اشخاص من خلال عينات لروائحهم اخذت قبل ٣ سنوات ، ويعتقد دى برون ان مثل هذه العينات يمكن ان تحافظ على فعاليتها مدة اطول من ذلك بكثير

والجدير بالذكر ان دى برون كان قد اتهم فى المراحل الاولى بالجنون لمحاولته التوصل لمثل هذا النظام

• الايدز من اللعاب

كشف المهندسون السوفييت المتخصصون فى الطب عن صنع جهاز خاص لتحليل المحاليل يمكن ان يساعد خلال ربع ساعة على تشخيص كل الامراض الخطرة ، حتى فى المرحلة المبكرة للاصابة بها !!

ولاجراء التشخيص يكفى ان يعطى المريض تحليلا واحدا فقط لاى من سوائل الجسم ، وليس مهما ان يكون الدم او البول او المخاط .. فالجهاز يعتمد فى عمله على اختبار وجود الاجسام المضادة (التى يفرزها جهاز المناعة) ، عن طريق تسجيل التغييرات



التى تطرا على الخواص الكهربائية للمحلول الذى يجرى تحليله لحظة رد الفعل المناعى ..

والجهاز الجديد من النوع المحمول وهو فى حجم جهاز التسجيل ، ويمكن ان يستخدم فى تشخيص العدوى ، بالسالمونيلات والدوسنتاريا والسل والسرطان والايدز . وللجهاز وفق ما ذكر عنه ، مزايا كثيرة اولها السرعة اذ يجرى تشخيص الاصابة بفيروس الايدز ، على سبيل اللعاب والبول والدموع ، كما نوهنا - المثال ، خلال عدة دقائق . وثانيها دقته العالية .. ذلك ان اخطاء افراد الكادر الطبى غير ذات موضوع ، وثالثها اقتصاديته حيث تستخدم فيه نفس الكواشف الاختبارية المستخدمة حاليا ولكن بكميات قليلة جدا ، اذ تكفى الكمية التى يستهلكها تحليل واحد للاجسام المناعية المضادة فى ظل الاسلوب الحالى لاجراء الف تحليل مع الجهاز الجديد ..

ولعل اهم مزايا الجهاز الجديد ان طريقته امنة تماما فيما يخص المفحوص لانها تتيح امكانية عدم اخذ دم منه ذلك ان الفحص يمكن ان يتم على اى مادة بيولوجية سائلة من الجسم

٤ قصوصة

بقلم
عبد الحكيم قاسم

صاحبة المنزل!

تسكن في الطابق الأول ، والغرف اللاتي على الأرضى تؤجرها مفروشة لطلبة الجامعة ، أما في الصيف فيعمرها الأتون ينشدون الطراوة وريح البحر . نحن الآن في عز الشتاء ، وهموم الطلبة . تنزل كل يوم في الصباح تنظف وتروق ، وتنظر فيما حصل من تلفيات ، وتؤنب الساكنين على النظام ، وهي في ذلك مسلحة بسلاح الإسكندرانية من الشخط والنطر ، وكل مايبلي الغريم بالخرس والذهول في عينيه وبما يفغر فمه خيبة وتعساً .

والولد الساكن في غرفة تحتية يقول لها : "حاضر ..! طيب .. حاضر ياستي ..!" وتفكر الولد في أمر السيدة ، إنها إمرأة عجوز ، أهرمها السن ، فليس لها من الطلبة الساكنين إلا فلوس الإيجار ، ثم تصعد لشقتها بعد التفتيش اليومي لزبائنها من النساء المومسات . كلهن جئن إليها يشربن قهوتها ، ثم إن المعلمة تشوف لهن الفنجان ، وتقول للواحدة منهن أربع كلمات حسان

طيبات . إذن تطلع علب السجائر ، والعزائم ، وبالقطع الفضية ، وورقات النقود ، وكل واحدة من ضيفاتها تبقى عندها ردحاً من الزمن ، وتذهب بعد ذلك لشغلها ، وتبقى السيدة وحدها مشغولة بصداعها .

ثم تبكّر لجولتها اليومية تفتش على غرفها . والولد ينتظرها . قال فى نفسه إنها إمراة هرمة ، لكنها بقى لها بهاء فى الوجه ، يتورد إذا ضحكت .. آه ياسلام .. وهى قالت فى نفسها إنه الولد الذى سكن عندها اخيرا له عليها عين . تحذر عينه . تدور وتلف ، والولد قاصدها ، أردافها وصدرها ، يلطسها لطساً ببسطة كفه ، يلمس ويمسك ، وكلما ارادت ان تفر قبض على يدها يستبقيها . بذلك وقعت فى الناصية ، إنبهرت ، وبهرت انفاسها ، واقتمّ اللون الوردى فى وجناتها . ثم صعدت لزبوناتها من النساء المومسات جلست معهن شاردة ، لا تستطيع ان تفتيهن فى أمرهن شيئا .

وفى ثانى يوم وجدته ينتظرها ، يزنقها ، تحاول أن تفلت بكومة لحمها ، لكنها لا يطاوعها جسمها ، ان تشخر فيه ، تصغره وتلزمه الادب ، إنفرطت منها عدتها الإسكندرانية . ان تصرخ فيه ، فخانها صوتها .. وحاولت ان تفر ، وكانت سبقت إرتبكت فى شباكه . قالت له : "ماذا تريد منى ياولد ؟"

قال لها : "أريدك انت ..! أريدك كلك ..! اكلك ..!" صعدت إلى مسكنها وهى ترتجف إرتجافاً .

حتى المومسات جئن يتضاحكن . رفعت عينيها فيهن ، وتحت الطلاء بأساء المهنة . قالت فى نفسها ، إنهن عندهن الرجال من كل نوع ، ثم ياتيننى ينشدن حظاً عند الوحيدة . قالت لهن : "بالإذن ياأخواتى ، أروح لزيارة أمى !؟" فخرجن كلهن ، وهى نزلت إلى الطابق الاسفل .

قالت للطالب وهى تدخل غرفته وتغلق الباب وراءها : "ياولد ..!" وفى صوتها كل الهزيمة . قبض على ذراعها وضمها إلى صدره ولف ذراعيه على ظهرها وقبلها فى شفتيها فخرت منهارة على السرير .

وهو واقف يغالب تقززه من سوء طعم ريقها وإرتخاء شفتيها قالت له دائخة : "الا .. لا .. ليس هنا .. سيكون ذلك عندى ، قبلها تقسم على المصحف الا تفضحنى ..!؟" تامل الكومة الهرمة على السرير . رد عليها كالمخدر : "نعم .. أجيك .. واحلف ..!" وصعدت السيدة صاحبة النزل إلى مسكنها .

إستحمت ، صففت شعرها . وصبغت خدودها . ولبست قميص نوم حريرى أحمر كان عندها من زمان . نظرت فى المراة . إرتجفت . قامت تنشد المصحف الشريف وجدته . فردته على حجرها . لا تعرف القراءة . أغلقته . نظرت فى المراة ففزعت . هتفت : "الولد لم يات ..!" تقطع الشقة بخطوات متسرعة ملهوجة ثقيلة والمصحف تحت ذراعها اليمين ، فتحت باب شقتها وإنطلقت تعدو الدرجات النازلة للغرف . تصفق باب الولد بيدها اليسرى ولا من مجيب . تصفق . تصفق . وتصفق ثم نطحت الباب براسها ، وصرخت ، وسقطت ، والدم ينبجس من جبينها .

● زكى نجيب محمود فى الخامسة والثمانين

● فى هذا الشهر ـ فبراير ١٩٩٠ يبلغ الدكتور زكى نجيب محمود الخامسة والثمانين من عمره المديد ، وقد أمتع عالم العرب خلال الستين عاما الماضية بفيض من المؤلفات والبحوث التى ساهمت فى نهضة ادبنا العربى المعاصر ، فضلا عن استاذيته فى الفلسفة للجيل الحالى من أساتذة الفلسفة فى الجامعات المصرية والعربية .

ولد فى فبراير سنة ١٩٠٥ فى بيت الخولى عبدالله بمحافظة الدقهلية ، وفى التاسعة من عمره انتقل مع ابيه الى الخرطوم ، حيث تلقى تعليمه الابتدائى وجزءا من تعليمه الثانوى ، وبعدئذ استأنف دراسته فى القاهرة ، حتى تخرج فى مدرسة المعلمين العليا ، واشتغل بالتدريس سنوات ، ثم اتيحت له الفرصة للسفر الى انجلترا للحصول على درجة جامعية فى الفلسفة ، والدكتوراه فى الفلسفة من جامعة لندن ، وعاد ليدرس الفلسفة فى كلية الاداب بجامعة القاهرة ، بدأ ينشر كتاباته الادبية والفلسفة والنقدية منذ سنة ١٩٢٧ وقبل تخرجه فى مدرسة المعلمين العليا فى سنة ١٩٣٠ فى مجلات السياسة الاسبوعية والبلاغ ومن بعدهما الرسالة والثقافة .

وفى الثلاثينيات شارك المرحوم الاستاذ أحمد امين فى تأليف قصة الفلسفة اليونانية ، وقصة الفلسفة الحديثة ، ومن خلال ترجمته لمحاورات افلاطون ومساهمته فى كتابيه السابقين كان له دوره الريادى فى صياغة المصطلحات الفلسفية التى تستخدم فى اللغة العربية كتابة وتأليفا وبحثا فى الفلسفة .

كانت دراسته فى المعلمين العليا هى التى وضعت له أساس التحصيل العلمى الغزير ، وهى التى امدته بمجموعة من الاصدقاء كانوا عالمه الصغير ، وهى التى بذرت فى نفسه تذوق الادب والفن . وكانت هذه المرحلةبمثابة المرحلة التحضيرية لمستقبله كله قارئا وكاتبا . وقبل ذلك كان قد قرأ الاجنحة المتكسرة لجبران خليل جبران ، وليالى سطيح والبؤساء تأليفا وترجمة لشاعر النيل حافظ ابراهيم ، والعبرات للمنفلوطى . ويواصل قراءاته لكتابات أحمد حسن الزيات ، وعباس محمود العقاد ، وطه حسين ، ومحمد حسين هيكل ، وأحمد أمين . وتأكيدا للمنهج العلمى والتجريبى فى حياتنا الفكرية أصدر الدكتور زكى نجيب كتبه الثلاثة فى الخمسينات : المنطق الوضعى وخرافة الميتافزيقا ونحو فلسفة علمية لتكون أساسا قويا للأمة العربية فى نهوضها العلمى والفكرى والثقافى ، ومنهجا فى مجال النظر العلمى يضبط القول ضبطا يصونه من الانزلاق فى سيال اللفظ الذى يلهينا عن المعنى ومضمونه .

وفى نهاية الستينات وبداية السبعينات أصدر ثلاثيته «تحديد الفكر

العربى» و «المعقول واللامعقول فى تراثنا الفكرى» و «ثقافتنا فى مواجهة العصر» ، اراد بها الدكتور زكى نجيب محمود ومحاولا ان يوجد صيغة ثقافية تلتقى فيها اصولنا الموروثة مع ثقافة العصر الذى نعيش فيه . ولم تكن دعوته الى الجديد الا وصلا للماضى الاصيل بالحاضر المشهود .

عاد الدكتور زكى من بعثته العلمية فى انجلترا قرب نهاية الاربعينات واصدر كتابه «جنة العبيط» ثائرا فى مقدمته وصفحات مقالاته على اسلوب المقالة الادبية فى مصر وكيف انها لاتعدو ان تكون فصلا من بحث او بابا من كتاب من كتب التاريخ أو الفن أو الاجتماع أو الاقتصاد ، ثم نراه فى صفحات الكتاب يحمل حملة شعواء على القيم الاجتماعية فى المجتمع المصرى التى تقسم الناس الى سادة وعبيد ، ويدعو الى تعديل القيم فى حياتنا بما يحقق احترام انسانية الانسان وكرامته .

ويصدر الدكتور زكى نجيب محمود كتابه قصة نفس كترجمة ذاتية نفسية ـ فى سنة ١٩٦٥ ـ له تسبر أغوار ذاته ، والعوامل التى ساهمت فى تكوين شخصيته ، من النواحى النفسية ، وتمثل تحليلا وتشريحا للنفس الانسانية من خلال عملية استبطان ذاتى ، وفى اطار فنى وكمرض ادبى يتوافر فيه جل عناصر العمل الادبى والفنى الناضج من زوايا مختلفة ، وتشكل هى وشقيقتها قصة عقل نموذجا للابداع الادبى فى ادبنا العربى المعاصر .

عمرو عبدالمنعم حمودة

● الشيخ ●

حزين كطفل يضل الطريق — كئيب كليل انتظار الغد
غريب وكل همـوم الـزمان — تسافر عبر خطوط يدى
ضلالات هذا الزمان العجيب — تلوح على وجهى المجهد
يحاصرنى الخـوف انىَّ اتجهت — وينشب أظفاره فى غدى
قطعت الصحارى وخضت البحار — وقد طال بحثى ولم أهتد
اتيتـك رغم احتضار خطـاى — (واتعبنى السير ياسـيدى)

محمد عبدالقوى الشباسى
الاسكندرية

● أمثال وأشعار ●

● يقول المثل العامى : «ما ضاقت الا مافرجت» ويقول آخر : تبات نار تصبح رماد» وفى هذا المعنى قال الشاعر :

دع المقادير تجرى فى أعنتها ولاتبيتن الا خالى البال
ما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال الى حال

ويقول المثل العامى : «خير تعمل شر تلقى» وفى هذا المعنى قال الشاعر :

عانيت من شر الصداقة ما كفى وشربت كأس الغدر من كف الوفا
فلذا خشيت اذى عدوك مرة فاحذر صديقك مرتين اذا صفا

ويقول آخر :

وحدة الانسان خير من جليس السوء عنده
وجليس الخير خير من جلوس المرء وحده

ويقول المثل العامى : «ايش قلتم فى جدع لاحب ولا اتحب قالوا يعيش حمار ويموت حمار»
وفى هذا المعنى قال الشاعر :

اذا كنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فانت وعير الفلاة سواء

وقال آخر :

اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا

محمد أمين عيسوى الاسماعيلية

● العقاد فى ذكراه ●

ليس من عادتى امتداح الرجال غير مدح «الامين» أهل الكمال
لكن الحق يفرض المدح فرضا لجليل من الرجال غالى
ليس من بلدتى ولكن نماه طيب العرق بالصعيد العالى
ذاك «عباسنا» وليس عبوسا باسم الفعل ، فائق فى الخصال
يعقد القول محكما ومتينا يرفض النقض رغم كر الليالى
ليس كالآى فى «الكتاب» فمهلا خارج الحكم قول «رب الجلال»
فى رحاب الصعيد مجد عريق ودماء موهوبة للنزال

ليس للضيم عندنا من مكان
نحن جيش لمصرنا ، قد وعينا
وتبدى «الامير» .. اهدى الينا
وحبانا من المعارف كنزا
نحن اهل الصعيد من ذا يبارى
فكرُ «عقّادنا» يفوق سِواه
ياكرام الضيوف فى خير حفل
لاتعيبوا انا فخرنا وقلنا
انتم العين أن إردنا اجتلاء
قد شرفنا بسعيكم وانتشينا

يعلم الضيم بأسنا فى القتال
أن هذا الجنب صنو الشمال
فرق ما مر .. إمرأة فى المقال
فاق فى القدر غاليات الآلى
قد اصبنا من الأمور العوالى
مثلما فاق مجدنا فى الأوالى
هو فى الحق نصرة للمعالى
إنما الفخر من طباع الرجال
أنتم القلب فى صدور غوالى
فلتعودوا بعود كل هلال

أحمد قاسم أحمد

المدير المركزى السابق للتعليم الثانوى
بمحافظة قنا

• تداعيات •

أول الحرف بحر ..
مداه اشراق ونار
وتلعثم الآهات ..
فى اللغة المدار ..
صمت يعذب فى حشاه
الكائنات حنين وابتهال
زهـــــرة ..
شفتاها الرمـــال
عيناها العمر المحال
فـاســتكن ..
واجعل جراحك مسرحية
ايها البطل المعلق من لسانه



رمضان الهجرسى

● الحظ والجهل ●

سألت الحظ : كيف نأيت عني ؟! فقال الحظ : لاتسأل ، ودعني
فليس الحظ حظ العلم ، إنى   أحب الجهل ... إن تجهل فخذني
فقلت : الجهل ؟! ويحك !! ليس هذا   هو الانصاف .. قال : إليك عنى
إذا أمسكت بالانصاف .. عمرى   يموت الجاهلون .. وذاك تعنى ؟!
وهم قوم لهم حق علينا   أنعميهم ، وبين الناس نضنى ؟!
ألم تعلم بأن العلم كنز ؟!   إذن .. يكفى .. قطاف العلم تجنى !
ألم تعلم بأن العلم نور ؟!   وآن العلم عن دنياك يغنى ؟!
فكيف اليوم ترجونى عطاء ؟!   ترَيث : فالعطاء اليوم .. منى ..
لمن فى الجهل قد عاشوا ، ويكفى   بأن الجهل أعماهم .. فغنٍّ :
« ذكاء المرء محسوب عليه   وجهل المرء .. تحقيق التمنى !!

رمضان أبو غالية
الوكيل الأول لقويسنا الثانوية

● الرقص على السلم ●

تُحيّرنى ياأنا ..
يناديك صوت البعيد البعيد
فتمشى اليه ببطء شديد
فيغضب منك ، ويغلق باب القبول أمامك
فتبقى على بابه فى انتظار نداء جديد
فمالى أراك تحب الوقوف البليد ؟
وتبقى هنا ..
تحيرنى ياأنا ..
فلا أنت أحجمت حين وجدت الطريق يضيق
ولا أنت أقدمت لمّا دعتك المنى
بربك لاتُرْجِىء الحسم إنى مللت الجمود
فإماً النزول .. وإماً الصعودْ ..
فرقص السلالم لاشىء منه علينا يعودْ
فإمّا النزول ... وإماً الصعودْ ..

عبد العزيز الشراكى
المنصورة

● مع الأصدقاء ●

● ابراهيم البسيونى ـ الجيزة ـ السنطة غربية

ـ نرحب بكم صديقا كريما .. وأما قصيدتكم «ذكرى وأمل» فلا تفتقر الا الى تصحيح وزنها ، فاذا استقامت لكم الأوزان فيما بعد ، رجونا لكم مستقبلا حسنا فى الشعر .

● حنان حسن محمد عبدالعال :

ـ نحن نشجع إصرارك على التقدم فى مجال الشعر ، ورأينا أنك إذا تمكنت من الأوزان ، فستصبحين شاعرة ممتازة

● محمد محمد السنباطى ـ شبراخيت :

ـ تقول انك تنشر انتاجك فى ثلاث عشرة مجلة فى البلاد العربية والأوربية ، فكيف تحافظ على مستوى انتاجك مع هذه الكمية غير العادية ؟! .

● رشاد جاب الله على ـ مصر القديمة :

ـ كلمتكم عن الزعيم التونسى المرحوم الثعالبى كلمة طيبة ، ولكنكم اخذتموها ـ كما تقولون ـ تلخيصا من إحدى المجلات العربية ، ولهذا نكتفى بانها نشرت من قبل فى تلك المجلة ونشكركم ..

● ممتاز محمد ممتاز الحنفى ـ محلج شربين :

ـ نرجو لكم حظا حسنا مع الشعر ، ونرى أن معرفة الأوزان واجب على كل شاعر ، فحاول أن تقرأ الشعر الجيد الموزون المقفى لتتعلم الأوزان من الشعر نفسه لا من كتب العروض ..

● على عبد الرازق الدالى ـ كلية الآداب بالمنصورة :

ـ خطبة طارق بن زياد عند فتح الاندلس مشهورة متداولة ، وكانوا قديما يدرسونها فى المرحلة الابتدائية ، ولم تتلق بحثكم حول هذه الخطبة ولانعرف عنه شيئا ، ولو وصل الينا ورأينا فيه شيئا جديدا لنشرناه ..

● صالح عبد الكريم بشير صالح ـ المدينة المنورة :

ـ ليس صحيحا ـ مع الأسف ـ ما سمعتموه من اننا نعيد طبع مجلدات الهلال القديمة الآن ، ولكن ربما فكرنا فى ذلك مستقبلا ..

● ونشكر إخواننا واصدقاءنا الأعزاء السادة : ابو بكر محمد محمد حسانين .. ناصر السيد طه .. عبد المقصود السعيد عبد المقصود .. إيمان محمد على احمد فياض .. رمضان عبد اللطيف حامد .. ناصر البحراوى .. عبدالحميد عبد السلام شمخ .. عبد الناصر عبدالرحيم احمد .. زارع عبد الراضى رضوان .. عبد الشفيع وهبى مطر ..



الصديق الذى فقدناه !

اننى حزينة كل الحزن على إحسان ، ويعز علىّ ان اكتب فى هلال هذا الشهر عن احسان عبد القدوس الاخ والصديق .

ولاشك ان حزنى اكبر على الصداقة التى فقدتها ، وحزنى على فقدان زميل عزيز ربطتنى به صداقة طويلة وممتدة .

وحزنى على الخسارة الفادحة التى اصيبت بها دنيا التأليف والابداع . لقد عالج إحسان عبد القدوس جميع مشكلات مجتمعنا ، وكتب ألوانا لا اول لها ولا اخر من الابداعات ، ولذلك فانه فاق كثيرين من الكتاب العظماء فى كم وجودة هذا الانتاج .

وبضياع هذا الكم الذى يتميز عن بقية الأقلام بذخيرة وفيرة من الفكر الذى برع فى وصف وتحليل شخصية الشباب حتى لنظن انه واحد منهم فى كل ماكتبه .

احسان عبد القدوس كان له طابع مميز ، وكان له اسلوب جميل ، هو اسلوب السهل الممتنع فضلا عن بساطة تحليلاته التى يستفيد بها كل ذهن وكل عقل على مختلف المستويات ، وهذه قلما توجد فى شخص واحد .. لقد كان احسان عدة مبدعين فى مبدع واحد .

اننى أنعى الاخ الحبيب والكاتب العظيم ، وارجو من الله ان يسكنه النعيم وان يعوضنا خسارتنا فيه ، بانتاج اخوتنا من كتاب القصة الحاضرين .

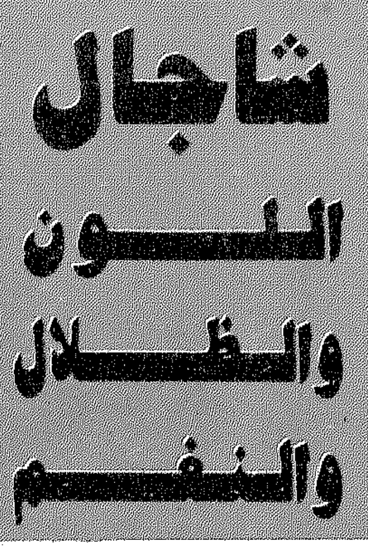


مارس ١٩٩٠ ● الثمن ٧٥ قرشاً



النيل

في السجلات والخرائط





□ العرافة في التاريخ المصري

□ العلم والروح عند نجيب محفوظ

د . لويس عوض ..
والابداع الفكرى

الدكتور لويس عوض شعلة متوهجة دائما فى حياتنا الثقافية وله بصمات واضحة فى عالم الفكر والمعرفة وهو نافذة نطل منها على عالم جديد دائما بالافكار والقيم والمشاعر .

نشا فى شارونة مركز مغاغة محافظة المنيا فى ١٩١٤/١٢/٢٠ .

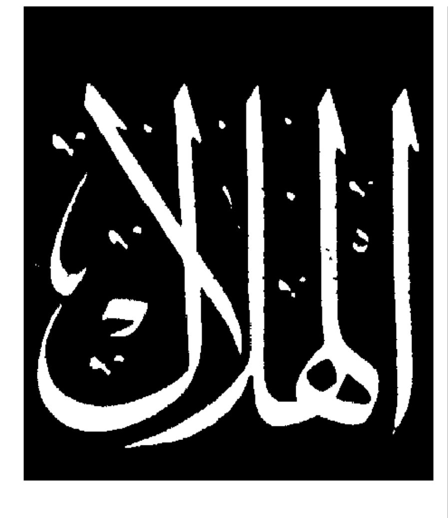
تخرج فى الجامعة فى عام ١٩٣٧ ، وحصل على الماجستير من كامبريدج ، والدكتوراه من برنستون وكان اول استاذ ورئيس مصرى لقسم اللغة الانجليزية بكلية الآداب عام ١٩٥٤ ، يجيد اكثر من لغة منها الانجليزية والفرنسية والـلاتينية ، والانجلوسكسونية ، الايطالية ، اليونانية القديمة ولذا كانت اهتماماته متعددة وتغطى اكثر من مجال .. كتب فى الشعر والنقد والرواية ، كما كتب ابحاثا نظرية كثيرة فى عدة مجالات : ـ سياسية ولغوية وفكرية عامة .

وتتناول كتابات د . لويس عوض ثقافتنا المصرية الحديثة منذ الحملة الفرنسية على مصر ، وبصفة خاصة الادب المصرى المعاصر الذى ارتبط بثورة ١٩٥٢ .

ومن يتابع هذه الكتابات التى تمثل جانبا من اهتمامات اشمل بالتراث العلمى يلحظ بجلاء حرص لويس عوض على نشر المعرفة ، بحيث يقف القارىء من خلال اتجاهه التفسيرى فى النقد على الحقيقة الكامنة وراء الظواهر ، ويلمس ابعادها وتطوراتها الموضوعية .

إقرا مقالا للدكتور لويس عوض ص ٥٧

السنة السابعة والتسعون • مارس ١٩٩٠ • شعبان ١٤١٠ هـ



مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجى زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

فكر وثقافة

كتاب الشهر



الغلاف تصميم الفنان :
محمد ابو طالب



قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار موضحة بعاليه عند الطلب .

● جزء خاص عن الكمبيوتر ●

● فنون ●

قصة وشعر

الأبواب الثابتة

دار الهلال

١٦ شارع محمد عز العرب الرقم البريدى (١٥١١) القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط ـ مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١
رقم التلكس 92703 HILAL U.N




لبنان ٧٠٠ ليرة ، الاردن ٦٠٠ فلس ، الكويت ٥٠٠ فلس ، العراق ١٠٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريالات ، عدن ١٢٥ سنتا ، البحرين ٨٠٠ فلس ، قطر ٧ ريالات ، الامارات العربية المتحدة ٧ دراهم ، سلطنة عمان ٧٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة ٧٥ سنتا ، انجلترا ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة ، الولايات المتحدة الامريكية ٤٠٠ سنت ، الجمهورية العربية اليمنية ٨ ريالات ، كندا ٥ دولارات .

مكتبة الاسكندرية

تاريخ الانسانية ومستقبلها

اهتم العالم كله بالاحتفالات التى أقيمت فى "أسوان" إيذانا ببدء تنفيذ مشروع مكتبة الأسكندرية الجديدة التى سوف تكون امتدادا لمكتبتها القديمة ذات الشهرة العالمية العظيمة منذ ثلاثة وعشرين قرنا من الزمان ..

وقد كانت إقامة هذه الاحتفالات فى "أسوان" ذات دلالة موحية ، فإن أشهر فلاسفة المدرسة الجامعة القديمة فى الأسكندرية خلال العهد البطلمى ، وهو الفيلسوف "أفلوطين" كان من أبناء مصر العليا ، وقضى بعض شبابه فى الأقصر وأسوان ، ثم رحل الى الاسكندرية ليتعلم الفلسفة فى مدرستها الجامعة ، ويطالع الذخائر العلمية فى مكتبتها ..... ثم غادر أفلوطين الأسكندرية إلى فارس والهند ، ثم إلى أوروبا حيث استقر فى روما وملأ أوروبا بفلسفته وأفكاره التى جاء بها من الاسكندرية ....

إن الصبغة العالمية لمدرسة الاسكندرية الفلسفية ومكتبتها العظيمة قد تحققت منذ أكثر من ألفين ومائتى عام ، وكان جوهر فلسفة أفلوطين هو "الخير" و"الواحد" الذى من معانيه « التوحيد » فى الصياغة الدينية ، فكان أفلوطين عظيم الأثر فى اللاهوت المسيحى الأوروبى ، كما التفت اليه فلاسفة المسلمين ، وامتد اثره إلى عصر النهضة فى أوروبا ، وعلى أساس فلسفته نشأت جماعة الأفلاطونيين الجدد فى جامعة كمبردج البريطانية .

هكذا امتد شعاع مكتبة الأسكندرية عبر الزمان الطويل ، وامتد اثر الفيلسوف الأسوانى الصعيدى أفلوطين خلال الأجيال ، ودل ذلك على الأهمية الكبرى التى كانت لهذه المكتبة وبيئتها الثقافية والعلمية فى العالمين القديم والوسيط ، وعلى مايمكن أن يتجدد لها من الأهمية فى عصرنا الحاضر إذا تم إحياؤها على نسق يحقق هذا الهدف الرفيع ..

ولاشك أن الاسكندرية تستحق لقب « مدينة المكتبات الكبرى » ... فمنذ العهد البطلمى كان أبرز ما فى قصور الأسكندرية مكتباتها العظيمة ... وقد انتبه أمير الشعراء أحمد شوقى إلى هذه الحقيقة حين كتب مسرحيته الشعرية "مصرع كليوباترا" التى جرت حوادثها الدامية فى الأسكندرية فى خاتمة العهد البطلمى ، ولهذا جعل شوقى الفصل الأول من مسرحيته يبدأ فى مكتبة قصر كليوباترا بالأسكندرية ، حيث يردد المغنون نشيدا يقولون فيه :

صارت الأسكندرية
هى فى البحر المنار

ولها تاج البرية
ولها عرش البحار
وتدخل كليوباترا المكتبة فتسأل عن كتاب تقرؤه فيقول لها "زينون" أمين المكتبة :
عندى ..... يامولاتى
روائع الآيات
تسعون ألف سفر
قد كتبت بالتبر
من كل رق عجب
فى العلم أو فى الأدب
ويقفز مضحك الملكة فتهوله كثرة الكتب فيقول ساخرا لكى تضحك الملكة وتتسلى :
إذا كانت الكتب فى شرعكم
نظير الجواهر كفء النضار
فما الكتب قوتى ولا منزلى
فما أنا سوس ولا أنا فار

إن أمير الشعراء بقريحته الثاقبة قد جعل الفصل الأول من مسرحيته الرائعة يدور فى مكتبة كبرى بقصر كليوباترا تضم تسعين ألف كتاب ، لأن "المكتبة" هى الرمز الخاص للأسكندرية عاصمة مصر فى العهد البطلمى ومايليه إلى نهاية العهد الرومانى ... وهذا الرمز الخاص ـ رمز المكتبة ـ كان يميز الأسكندرية عن غيرها من مدن العالم فى العصور الماضية ، فما أحراه أن يعود فى العصر الحديث لكى يتوهج على جبين الأسكندرية من جديد ..

لقد تغيرت الدنيا بطبيعة الحال خلال القرون الطوال ، واندثرت مكتبة الاسكندرية وصارت مدرستها العالمية مجرد كلمات وذكريات فى التاريخ ، ولكن ها هى ذى مصر ترى من واجبها أن تنبه العالم المتحضر إلى اهمية إحياء ذلك الرمز الحضارى العالمى العريق المتمثل فى مكتبة الأسكندرية ذات الأسم الباقى على الدهور ..

إن المكتبة الجديدة سوف تكون رمزا لما أنجزته البشرية كلها فى العلم والتقدم والتحضر خلال أكثر من ألفى سنة ، وسوف تربط مصر والعالم العربى كله بمسيرة الموكب العالمى المندفع فى عصرنا بخطوات سريعة نحو الحرية والديمقراطية والتقدم والعدالة الاجتماعية والوفاق والسلام بين الشعوب جمعاء ، بلا تفرقة بين الألوان واللغات والأديان ..

وإن مساهمة الشعوب فى مشروع مكتبة الأسكندرية سوف تعزز المسيرة العالمية الحاشدة فى هذا العقد الأخير من القرن العشرين لكى تدخل الشعوب من باب القرن الواحد والعشرين متماسكة الأيدى ، فى سبيل عالم جديد سعيد ، تفتح أبوابه مكتبة الأسكندرية ، رمزا للتاريخ ، ورمزا للمستقبل ...

« المحرر »

عالم مارك شاجال

عبقرية اللون ..

والبعد الرابع فى فنون القرن العشرين

بقلم : عبدالغنى داوود

« يطاردنى الخوف دوما اثناء النقش ، او الرسم . واتساءل دوما .. هل ساكمل عملي ام ساخربه . واظل اعمل دون أن اجرؤ على التنفس . وبحركات سريعة أضع خطوط الوجوه والملابس والزهور والزخارف بغية أن تكون خطوطها خفية وحية .. »

هذا هو مارك شاجال ، الفنان التشكيلي الذى تحل ذكراه الخامسة هذا الشهر حيث رحل عن عالمنا فى الثامن والعشرين من مارس عام ١٩٨٥ .

ولد شاجال فى السابع من يوليو عام ١٨٨٧ بمدينة فتسيك الروسية الواقعة على الحدود بين الاتحاد السوفيتي وبولندا . ثم سافر إلى بطرسبورج . والتحق بمدرسة (ليون باسكا) واشترك في رسم لوحات ديكورات اعمال الفنان (سيرجي دياجليف) الذى إشتهر في ميدان فن الباليه - وبعدها سافر (شاجال) إلى فرنسا فعشقها وعاش فيها ، وعاد إلى روسيا ليتزوج (بيلا) الفتاة التى احبها . ويعود بها الى باريس فتموت هناك . مما يترك اثرا كبيرا فى أعماله التى من ابرزها لوحة « عيد الميلاد » ١٩١٥ - ثم عاش شاجال بعد ذلك فى الريفييرا الفرنسية فى بقعة رائعة الجمال .. حتى وفاته .

هذا الفنان الذى اكتسب شهرته من خلال اعماله الفنية مثل لوحته المعروفة « التعذيب » ١٩٤٠ - حيث نجد الشخصية الرئيسية فيها هى الانسان المصلوب والمراة الجاثية عند قدميه ، وحيوان خرافى مكون من نصف بقرة . ونصف إمراة .. أو يبدو كعصفور على هيئة ديك ، ويزين اللون الأصفر المصلوب بتقطيعه لقميصه



مارك شاجال

المكون من المراة الباكية وقميصها .. وتسود الألوان السماوية والبرتقالية والبنفسجي والزهرى والأزرق .. وكأن هذه الألوان اشبه بممثلين يقوم كل واحد بدوره فى تلك الماساة .. ولذلك فهى تظهر منفصلة عن الخلفية التى يظهر عليها منظر القرية بالوانها الرمادية المحايدة والتي تعلوها سحابة ذات دخان داكن .. لذا فالقالب التشكيلي ، هنا ، لا يتوخى تمثيل موضوعية الواقع .. لكنه يمثل إيحاءات ترمز الى ما يتعرض اليه الانسان من عذاب لذلك وقف بعض النقاد يشيدون به لانه شارك فى الترويج لفكرة اضطهاد اليهود وتعذيبهم ..

● رفض الانتماء

ولقد ساهم النقاد فى تضخيم حجم (شاجال) .. وقالوا عنه : إنه وقف وحيدا متشبثا برؤيته الخاصة .. رافضا الانتماء لأية مدرسة فنية - فهو على النقيض من جميع الفنانين فى المضمون والأسلوب والمعالجة والحلم .. لذا فإنه يختلف عن سلفادور دالى كبير السيرياليين الذين توسلوا اليه أن ينضم اليهم .. لكن (شاجال) رفض لأن (دالى) ينبع حلمه ورؤيته من منطق التناقض ، ويختلف كذلك عن الفنان المعاصر فرانسيس بيكون الذى ينفجر حلمه من قوة الاندهاش .

فلا تعترف لوحات شاجال بفارق المسافات بين الأزمنة والامكنة ، ولا بحاجز بين الشعور واللاشعور .. إذ هو مخلص لأرض احلامه ، ولفولكلورية وطنه الأصلى روسيا .. فلوحاته لا تنتمى الى التجريد أو السيريالية او التكعيبية .. وإن كانت تستفيد من هذه الاتجاهات جميعا بقدر وبتعقل .. فهذا الرفض للتجريد والمنطق والتشريح جعل النقاد يعجبون بدفء رؤيته .. فهو فنان دافىء القلب يرسم من قلبه ، وبصراحة بليغة ، وبغنائية جعلت بينه وبين الموسيقى والشعر تماثلا .. ويقولون عنه أيضا : إن (شاجال) واقعى بطريقته الخاصة .. فهو واقعى انفعالى او نفسى .. إذ يتمنى ان تحدث لوحاته ما يشبه الصدمة النفسية .. فالأشياء عنده تبدو حقيقة لكنها تاخذ اوضاعا جديدة تبرز معناها وتجسده . فهو لايخضع إلا لشعوره .. إذ نجد كلا من اللون الأخضر والأحمر والأزرق والبنفسجي فى لوحة « إناء الزهور المزين بالأناناس » يكاد يغسل عذاب الحياة اليومى ، ويمحو القلق والتوتر لأنها تحتفظ ببراءة مثالية .. فهو - إذن - يقبل الواقعية التقليدية لكى يبنى عالما آخر ، عالما ينبعث من داخله بتقنية جديدة .. فالطبيعة عنده لايمكن أن توجد بدون الميتافيزيقا ، لذلك تحررت أعماله من قوانين الواقع وحواجز العناصر .. فقد اكتشف تعبيرية اللون .. كما اكتشف القيمة التعبيرية لمسخ الخط ، واستطاع أن يجسد التشبيه .. ويحقق حرية الشكل دون أن يتردى فى مهلوى التجريدية أو السيريالية او التكعيبية .. كذلك استعلن هذا الفنان باسلوب التضخيم



مارك شاجال



العسكرى رسمها
شاجال عام ١٩١٢

والمبالغة لتاكيد الشىء كان تنمو باقة زهر كما لو كانت شجرة عريقة ويرى النقاد أن الأبعاد تتحول على يدى شاجال الى ابعاد نفسية ، وان (شاجال) يرى أن هذا التحرر فى الشكل يعطى للشىء معناه .. وعندما ظن البعض أن هذا تهريج لم يولهم الاهتمام واستمر فى دربه ، واوغل فى تحرره لدرجة أنه من الممكن للمتفرج أن يمسك بإحدى لوحاته بالمقلوب فيجد فيها أشياء معتدلة .

ويفسر (شاجال) عالمه الغريب هذا قائلا :

أريد أن انشىء عالما كل شىء فيه .. وأى شىء فيه ممكن .. فالرسم فى نظرى مادة معطاه تصور أشياء ومواد وحيوانات ، وكائنات بشرية وفقا لنظام معين .. لا اهمية فيه للمنطق والمطابقة ، واريد ايضا ان اضمن لوحاتى صدمة نفسية ، وبعدا رابعا .. كى يكف الناس عن الكلام عن الحكايات الأسطورية وعن الأشياء الغريبة ، وعن (شاجال) الرسام الطائر ..

و(شاجال) فى رسومه يستعمل ايضا طريقة الحفر الجاف مع إظهار التفاصيل الدقيقة ، وله رسوم فى الكتب المصورة والمحفورة والمطبوعة عن القالب الخشبى .. فرسم لوحات لتزيين « الكتاب المقدس » ، وبعض الكتب الادبية .. لذا نجد أن هنك فارقا ـ فى الأسلوب أو الطابع ـ بين لوحاته

مارك شاجال

الملونة ، ورسومه بالأبيض والأسود فى الكتب - فرسوم الأبيض والأسود تحتضن كل الوان المنشور ، ومن اشهر ما قدمه (شاجال) فى هذا المجال - رسومه لسقف اوبرا باريس الذى تبلغ مساحته (١١٥٣) قدما مربعا ملأها برسوم راقصى الباليه والطيور الغريبة .

● عذوبة الخط المنحنى

ومن سماته ايضا التى تحدث عنها

يوم السبت .. رسمها شاجال عام ١٩١٠





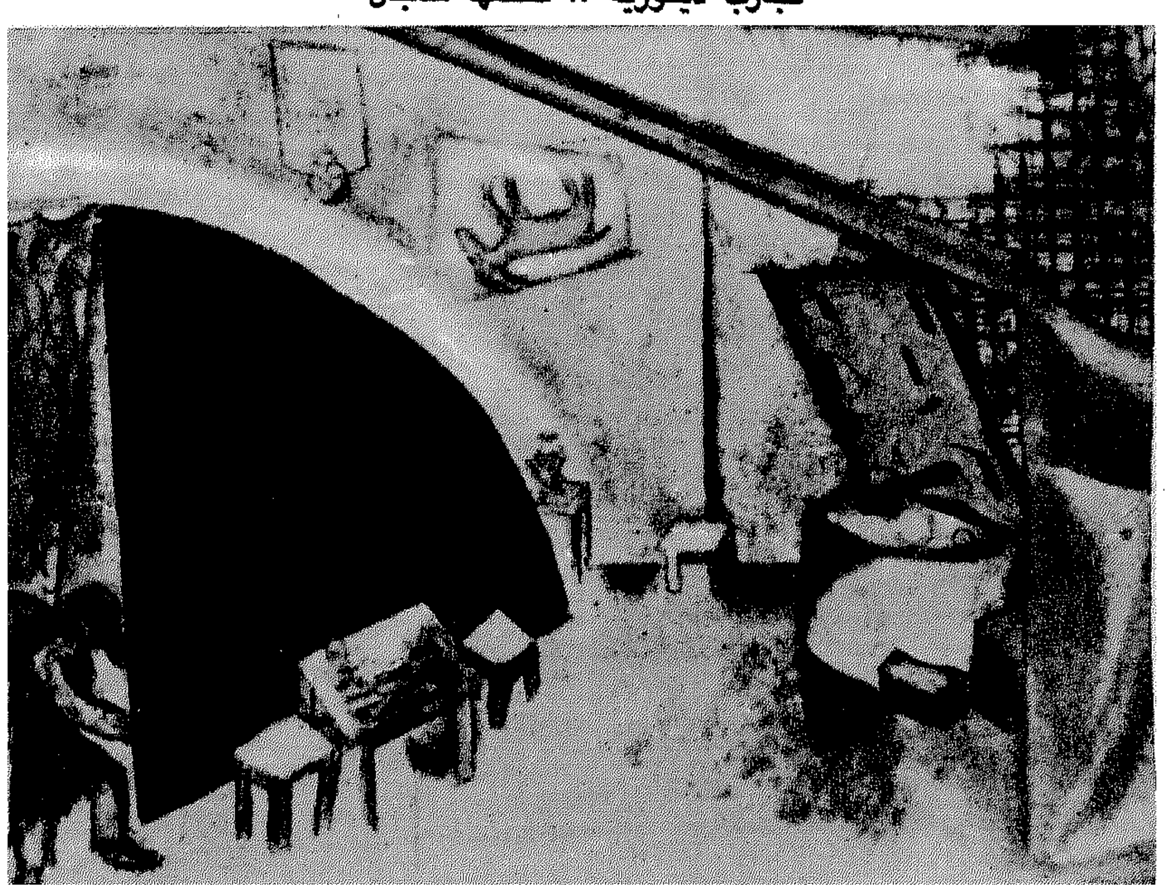
مارك شاجال

النقاد ـ فى مجال التصوير أن الخط المنحني والدائرى عنده ـ يجسد العذوبة ـ فقد رسم هذه الأشخاص الطائرة أو الدائرة حول نفسها أو المنقلبة راسا على عقب .. لكنها مع ذلك تفيض بالبكارة .. ويقول النقاد إن (شاجال) اغترف بجراة تصويره .. مبرزا إدراكه لطبيعة الألوان حين قال ربما كان في أعمالى روح متوجهة ، روح زرقاء تلتمع فوق لوحاتى) .. لذا ـ يلاحظ النقاد ـ انهم انفسهم لا يكادون يميزون فارقا كبيرا فى ـ الأسلوب ـ بين لوحات التصوير ولوحات الحفر فى اعماله .. ويرى البعض انه استطاع ان يحقق فى لوحات الحفر نفس اللون الشاعرى السحرى .. بل إنه يحقق المزاوجة السعيدة بين اللون والشكل ، ويتجلى (الموزايكو) فى لوحاته وتصميماته داخل الكنائس ، وترميماته للنوافذ القديمة فى أوربا .

ومن الجدير بالذكر أن (بيكاسو) قال عن (شاجال) :

(عندما يموت (ماتيس) سيبقى (شاجال) الرسام الوحيد الذى يفهم ماهو اللون حقا) .. قال بيكاسو قبل منتصف هذا القرن .. وبعدها مات (ماتيس) (١٨٦٩ ـ ١٩٥٦) ومات (بيكاسو) نفسه ١٨٨١ ـ ١٩٧٣ ، وظل شاجال بعد وفاتهما بسنوات طويلة

تجارب ديكورية .. صممها شاجال



حتّى وافاه الأجل فى ٢٨ مارس منذ خمس سنوات .

لقد استطاع شاجال ان يجعل من اللون عنصرا سماويا ، ومن خلاله راح يحقق رؤياه من خلال ما يتصوره من احلام ورؤى .. فاللون ـ عنده ـ يجب ان يكون عميقا لدرجة تجعلك تحس انك تسير فوق سجادة وثيرة كما يقول ..

وفى الحق أن الوان (شاجال) تتلالا من بعيد كالسحر .. كأنها تاتى من عالم الأساطير ، ارض البراءة السعيدة والأحلام ! ! ، مما اكسبه شهرة لدى البسطاء من الناس .. لدرجة ان العاملات العاديات فى باريس يعرفنه ويقلن عنه : (إنه الرسام الذى يرسم الأبقار التى تطير) .. ففى لوحاته كنائس وأبقار وأسماك وسكاكين وزهور .. لكن هذه الأشياء لا تستقر فى اوضاعها المألوفة . إذ تقف ابقار (شاجال) فوق اسطح البيوت المثلثة ، اما رجاله ونساؤه فيطيرون فى الهواء ، وبعض بيوته تقف على سقوفها بينما قاعدتها تواجه السماء .. وفى لوحاته لا ينفصل الرجل ـ ابدا ـ عن المراة ماديا ـ وتشكيليا ـ فالعلاقة بينهما علاقة عشق .. فقد يرسم شفاه واحدة لرجل وإمراة معا ، أو يرسم رجلا أو امراة يطيران معا طيران طائر محلق واحد ، ونصف وجه الانسان فى لوحاته لايطابق ابدا النصف الآخر .. بل انه يذهب الى حد تلوين إحدى العينين بلون ويختار لونا مختلفا تماما للعين الأخرى ، ويذهب الى حد رفع احدى العينين من مكانها قليلا .. لعله يريد ان يقول إنه ليس للانسان وجه واحد وان الوجه عملة لها وجهان او جانبان ، وفى لوحاته إهتمام كبير بالأصابع البشرية ـ اصابع اليد .. والدلالة على إهتمام (شاجال) بالأصابع انه كثيرا ما يرسم اصابع الأشخاص اكبر من هؤلاء الاشخاص انفسهم .

ونذكر هنا فناننا المصرى الراحل (جمال محمود) ١٩٢٤ ـ ١٩٧٨ الذى اولى إهتماما كبيرا بالعيون .

كذلك نجد باقات الزهور عند شاجال سخية ومثمرة وتنمو نمو الاشجار .. بل وتبلغ حجم الأشجار وتتجاوز الأبعاد الطبيعية لها . وتحفل لوحاته بآلة الكمان يمسك بها عازف او يمسك بها حصان كما فى لوحة « السيرك » ، ورءوس الحيوانات فى اعماله لها فم مدبب ويكاد الوجه ان يكون مثلثا راسه الفم .. ودائما ما نجد فى لوحاته سقوف بيوت مثلثة ، ومعابد .

● للفنان .. نقيصه

إن شاجال الفنان والانسان ـ مثله مثل كثير من الفنانين اليهود وغير اليهود ـ خدعته فكرة الصهيونية فوقعوا فى اسرها ، وعاشوا فى اوهامها .. فافسدت نقاء إبداعاتهم ، وزيفت مالديهم من موهبة ، وإن تحليلا واعيا لاعمال (شاجال) الفنية يكشف عن كثير من الملامح الصهيونية فى اعماله .. وهى ملامح لا يستطيع ـ كما يبدو ـ ان يتخلص منها .. خاصة إذا إنجرف بعاطفته لتسخير فنه للايديولوجية الصهيونية .

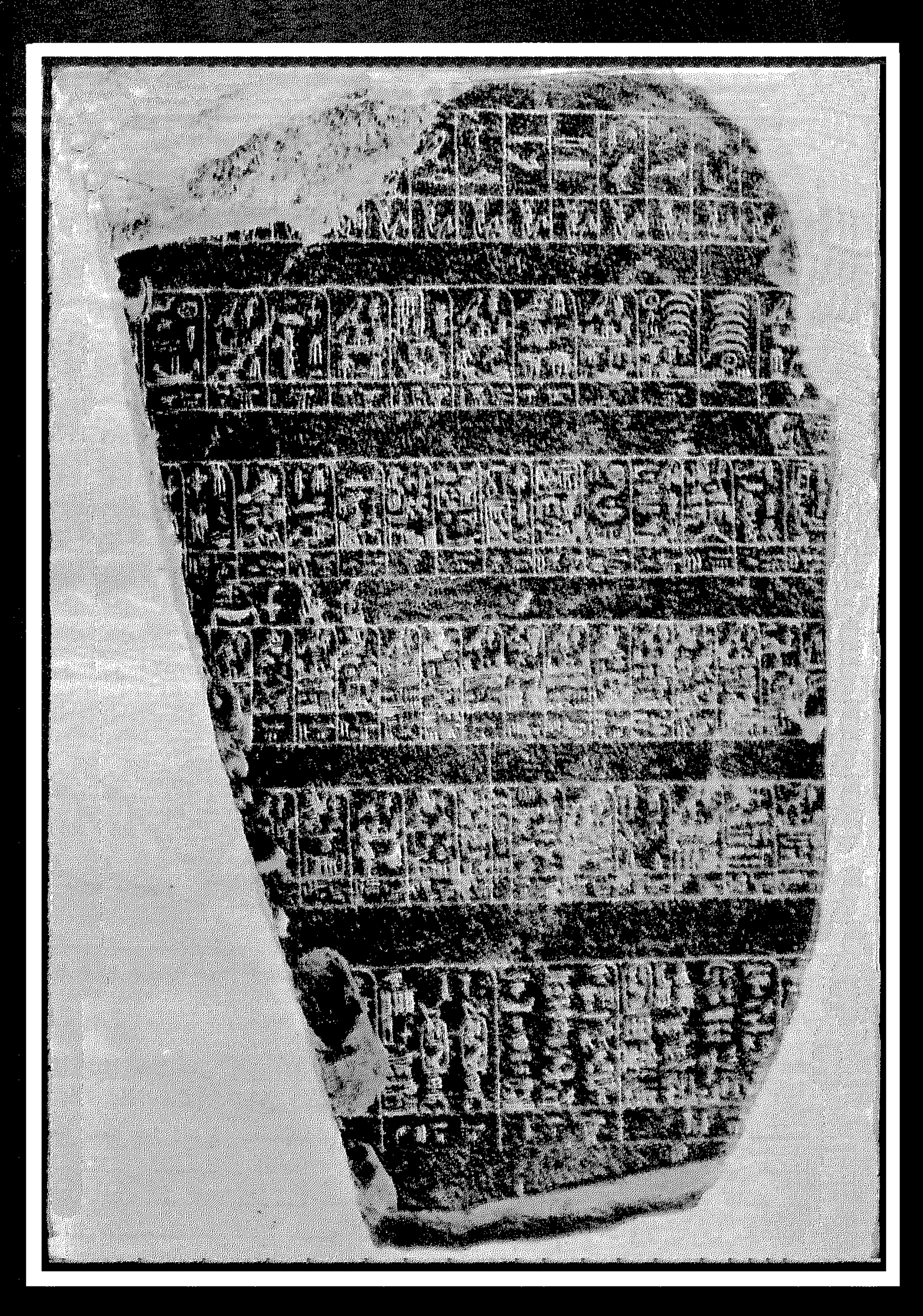
أقدم سجلات النيل

بقلم : د . رشدى سعيد

درج المصريون منذ اقدم الازمنة على تسجيل منسوب النيل على طول السنة ، وعند فيضانه فى فصل الصيف . فقد كان فى بلوغه الارتفاع المناسب لكى يغمر الاراضى أهمية كبرى للزراعة ورخاء البلاد بل ولجمع الضرائب والخراج كما كان لقصوره عن الارتفاع الى هذا المستوى المناسب أوخم العواقب - سبب للبلاء - ويعتبر نهر النيل واحدا من انهار الدنيا القليلة ذات النظام الرتيب تزيد مياهه فى صيف كل عام حتى تفيض فوق جنباته فيغرق الاراضى . ويخصبها بمياهه وبالطمى الذى يحمله معه فيحييها بعد موات ويعطيها القدرة على اجذال العطاء ولايقاع النيل طقوس كما أن قياس منسوبه امر يسجل فى السجلات الملكية ويعتبر من الوثائق الهامة للدولة .

وكان تسجيل ارتفاع النيل يجرى فى عصر المملكة الحديثة فى مصر الفرعونية وفى العصر البطلمى بداخل المعابد التى كانت تبنى على جسر النيل وفى بئر تتصل بالنهر بشق او انفاق على احد جدرانه مقياس مدرج - وكانت مياه الفيضان عند اول وصولها تعتبر بعد الصلاة عليها ماء مقدسا يرش للبركة - على جموع المصلين - ويكاد لا يخلو معبد من معابد هذه الفترة من تاريخ مصر من مقياس للنيل - وفى اغلب الظن أن قياس منسوب النيل فى عصر المملكتين القديمة والمتوسطة من مصر الفرعونية كان يتم خارج المعبد كواحد من الطقوس الدينية الهامة وكان تسجيل منسوب النيل يتم على حوائط المعابد الخارجية أو على الصخور التى تحيط

د . رشدى سعيد من احد العلماء المصريين بعد حالياً دراسة فى معهد الدراسات المتقدمة ببرلين وهذا المعهد يختار ٠ : عالما من كل انحاء العالم ويضع بين ايديهم كل الامكانيات لاستكمال الابحاث التى يختارونها





● خريطة قديمة للنيل كما رسمها الانجليزى هرمان هول عام ١٧٣٠ م

بالنيل كما كان تسجيله يتم ايضا بواسطة مقياس متنقل يحفظ بداخل المعبد طول العام ويستخدم فى مناسبة الفيضان لتسجيل ارتفاعه .

وأقدم سجلات مناسيب النيل هى تلك المنقوشة على حجر بالدمو الشهير الذى نحت خلال الاسرة الخامسة (عام ٢٤٥٠ قبل الميلاد) والمحفوظ الآن بمتحف هذه المدينة بجزيرة صقلية بايطاليا منذ عام ١٨٨٧ ميلادية عندما انتقل اليه من أسرة ثرية كانت قد اقتنته من مصر ـ ولا يعرف بالضبط



النيل .. في الخرائط القديمة

المكان الذي يوجد به هذا الأثر وان كان من شبه المؤكد انه من مدينة منف القديمة اذ انه يشبهه من حيث المادة والنقش والنظلم قطعا اخرى وجدت فيما بعد بهذه المدينة وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري .

والحجر عبارة عن لوح من صخر الشست الأخضر سمكه حوالي ٦ سم وارتفاعه حوالي ٤٠ سم عليه نقش على وجهيه ويبدو انه كان منصوبا على قائم بأحد معابد منف لكي يقرأ من وجهيه . ويحمل الحجر اسماء ملوك مصر من الاسرة الأولى حتى الاسرة الخامسة (بين عامي ٣٠٥٠ و٢٤٥٠ قبل الميلاد) ابتداء من الملك جر في صفوف افقية قسمت بواسطة خطوط الى اقسام في كل قسم منها اسم الملك واسم امة وتحت كل قسم صندوق مستطيل كتب عليه منسوب نهر النيل في زمن هذا الملك مسجلة بالذراع والشبر والكف والاصبع - وقد وصف الحجر عالم المصريات الشهير سيثر علم ١٩٠٢ كما سجل مناسيب النيل العالم هلك علم ١٩٦٦ في محاولة لمعرفة اعياد مصر القديمة وتاريخها .

وترجع اهمية الحجر الى انه احد السجلات الهامة لمعرفة سلسلة ملوك الدولة القديمة بمصر الفرعونية ويبدو ان ناقش الحجر كان من الامانة والدقة حتى انه ترك دون رصد بعض مناسيب

اقدم سجلات النيل

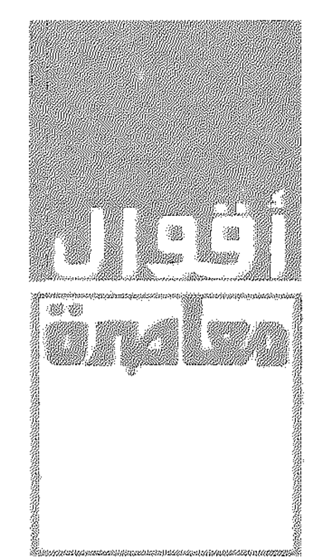
الفيضانات عندما لم يستطع ان يجد سجلاتها ، وعلى الحجر ٦٣ منسوبا للنيل قمت بتحويلها الى القياسات المترية على اعتبار ان الذراع يساوى ٥٤,٢ سم وأنه مقسم الى شبرين او سبعة كفوف أو ثمانية وعشرين اصبعا ـ وقد وجدت أن منسوب النيل اخذ فى التناقص تدريجيا من منسوب بلغ فى متوسطه ٢,٨ متر خلال الأسرة الأولى إلى منسوب بلغ فى متوسطه ٨ر١ متر فى آخر الاسرة الخامسة .

● تسجيل ارتفاع المياه

ولايعرف بالضبط مكان تسجيل هذه المناسيب او الارتفاع المطلق لنقطة الصفر فى مقياسها او الطريقة التى تم القياس بها ان كانت على حائط بئر متصلة بالنيل أو بواسطة مقياس متنقل ـ على أن نظرة فاحصة لهذه القياسات تجعلنى اعتقد انها كانت تسجيلا لارتفاع مياه النيل فى حوض منف عند البدرشين بعد ان يغطيه ماء الفيضان قبل زراعته ـ وكان ارتفاع الماء فى هذا الحوض قبل ادخال نظام الرى المستديم فى اوائل هذا القرن يتراوح بين المتر الواحد والمتر وربع خلال معم سنى القرن التاسع عشر والتى ليس لدينا عنها أية سجلات وقد وصل ارتفاع الماء بهذا الحوض الى ٨, متر فى عام ١٨٧٨ الذى سجل فية النيل اقصى واعتى فيضاناته المرصودة عندما بلغت كميته ١٤١ بليون متر مكعب (بالمقارنة بمتوسط للفيضان يبلغ ٨٤ بليون متر مكعب فقط خلال المائة وعشرين عاما الماضية) .

ويمكن من ذلك أن نستنتج ان النيل قد قل حجمه فيما بين عامى ٣٠٥٠ ، ٢٤٥٠ قبل الميلاد تدريجيا حتى وصل الى حجم فيضان عام ١٨٧٨ العالى فى اخر هذه الفترة وعند نهاية الاسرة الخامسة ـ اما حجم النيل فى الاسرات الاولى فكان اكثر من هذا الفيضان العالى بحوالى النصف اى انه كان فى حدود ٢٠٠ مليون متر مكعب .

وفى ظنى ان هذا الاستنتاج يتمشى مع مانعرفه عن مناخ مصر فى هذه الحقبة من تاريخها فقد كانت تمثل آخر سنى العصر المطير الذى بدأ فى مصر حوالى سنة ٨٠٠٠ قبل الميلاد بعد تراجع الجليد فى اوروبا والذى استمر حتى نهاية الاسرة الخامسة وقد تسببت امطار هذه الفترة التى غطت شمال السودان والنوبة والجزء الاكبر من صحراء مصر الى تزايد كمية المياه التى يحملها النيل ـ كما تسبب انتهاء امطار هذه الفترة فى تغيرات كبيرة ليس فقط فى كمية المياه التى يحملها النيل بل وفى تغير المناظر الطبيعية وفى نوعية الحيوانات والنباتات التى كانت تنقش على جدران المقابر فى مصر القديمة كما أدت الى نزوح اعداد غفيرة من بدو الصحارى الى مصر التى بدأت تظهر فى مصر بشكل واضح خلال الاسرة السادسة كما انتمى من الصحارى تلك النقوش الكثيرة التى كانت ترسم على الصخور .



● « قرار الافراج ليس منحة من احد »

الزعيم الافريقى نلسون مانديلا

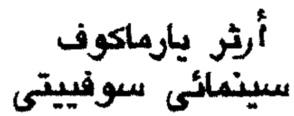
● «لابد من صياغة رؤية جديدة لمصر قبل ان يطردنا التاريخ

نلسون مانديلا

الكاتب محمد حسنين هيكل



● « تخلصنا تماما من الرقابة »



أرثر يارماكوف
سينمائى سوفييتى

محمد حسنين هيكل

● « نفر من الادباء السوفييت يرى ان الطريق الى استوكهلم يمر اولا بتل ابيب »

الاديب السورى حنا مينا

● «أعتقد ان قدماء المصريين كان لهم تأثير كبير على اليهود »

الاديب الامريكى نورمان ميللر

● «من الخطأ ان ترسم امريكا سياستها على اساس وجود رجل واحد فى الاتحاد السوفيتى »

هنرى كيسنجر
وزير خارجية الولايات المتحدة سابقا

هيلموت كول

● «حياد المانيا غير وارد »

هيلموت كول
مستشار المانيا الغربية

مكتبة الاسكندرية وإحياء تراث الانسانية

تراث الشرق والغرب في مكتبة واحدة !

بقلم: د. مفيد شهاب

● فجميع المكتبات القائمة فى مصر حاليا ، العامة منها والجامعية ـ لاتفى بمتطلبات البحث العلمى الجاد

وسعيا وراء سد هذا القصور ، وضع مشروع إحياء مكتبة الاسكندرية القديمة موضع التنفيذ . ولاشك أن المشروع طموح ، ولكنه خطوة بالغة الأهمية فى الاتجاه الصحيح نحو الاستعداد للتعامل الإيجابى مع الثورة التكنولوجية دائمة التطور فى أرجاء العالم .

ولعل واحدا من أبرز معالم المعرفة الحديثة هو عالميتها ، فكثير من مجالات البحث العلمى وتطبيقاته تتخذ ابعادا تشمل الكون بأسره ، وان نظرة واحدة إلى محتويات عدد من أكبر مكتبات العالم لكافية لإظهار ذلك الجانب العلمى للمعرفة الحديثة ، ولكن صفة العالمية للمعرفة الإنسانية ليست حقا مقصورا على العالم الحديث . فلقد سبق أن تم إدراكها وممارستها بدرجة عالية من الشمول والاتساع فى الاسكندرية القديمة منذ أكثر من ألفى عام .

وما من شك فى أن مدينة الإسكندرية تعتز بأنها كانت مقرا لأكبر مكتبة عرفها العالم القديم . تمت أول محاولة إنسانية لتضم مكتبة واحدة تحتوى على كتابات جميع الشعوب ، ونظرا لموقعها المتميز على البحر المتوسط عند نقطة التقاء خطوط المواصلات والتجارة العالمية ، استطاعت هذه المدينة أن تحقق واحدا من أحلام الإسكندر الأكبر ، وهو أن تكون بوتقة تنصهر فيها أرقى الحضارات ، وهى حضارات اليونان ومصر والشرق الأدنى فليس غريبا إذن ، أن تطمح اسكندرية المستقبل إلى استعادة الدور الحضارى القديم ، وأن تعمل على تحقيقه عند هذا المنعطف الحاسم من تاريخنا الحديث .

● عروس المتوسط

نعود بالذاكرة إلى القرن الرابع قبل الميلاد ، يوم ان فتح الأسكندر مصر عام ٣٣٢ قبل الميلاد ، واقام الإسكندر إمبراطورية امتدت من مصر غربا إلى الهند شرقا ، وكان يريد أن يمزج بين حضارة الأغريق ، وحضارة الشرق ، والتى عرفت فى التاريخ القديم بالحضارة الهلينستية واختار فى مصر مكانا لمدينة

شرعت مصر خلال السنوات القليلة الماضية في الاستعداد للحقبة التاريخية الجديدة ، التى تبدأ مع سنة ٢٠٠٠ فعقدت عدة مؤتمرات قومية ودولية ، لدراسة بعض مشاكلها الملحة مثل الإسكان والنمو العمراني والتلوث ، والانفجار السكاني والتقدم العلمي وإصلاح نظم التعليم ونحوها . كما قامت جامعة الإسكندرية من جانبها بالمشاركة في هذا النشاط القومي ونظرت للموقف من وجهة نظر خاصة ، فرأت أن سرعة التقدم الهائلة في مجال العلم والتكنولوجيا تمثل التحدى الحقيقى لقدرتنا على المشاركة الايجابية مع آفاق المعرفة الحديثة ، متابعة واستيعابا وإسهاما .

سمو الشيخ زايد والرئيس مبارك وميتران والسيدة سوزان مبارك والملكة نور جاءوا من اجل احياء مكتبة الاسكندرية



تحمل اسمه ، ولتكون عاصمة امبراطوريته ، وهى مدينة الأسكندرية التى خططها المهندس دينوكراش ، وجاءت على شكل رقعة ، الشطرنج يحدها البحر المتوسط من الشمال ، وبحيرة مريوط من الجنوب ، وتتقاطع شوارعها مع بعضها عموديا

وقد توفى الاسكندر قبل استكمال المدينة ، والتى دفن بها . واستكمل بناء المدينة فى عهد بطليموس الثانى ، حيث استغرق بناء المدينة مدة تقارب الثمانين عاما .

وتتألف المدينة من خمسة أحياء كان

تراث الشرق والغرب فى مكتبة واحدة

أهمها وأجملها الحى الملكى أو البروكيوم ، وفى مواجهة هذا الحى وعلى صخرة مرتفعة شرقى جزيرة فاروس أقام بطليموس الثانى لهداية السفن ، منارة الاسكندرية احدى عجائب الدنيا السبع .

وكان الحى الملكى يشمل معبد السرابيوم وهو اسم مشتق من الاسمين أوزوريس وابيس .

● أول اكاديمية

وفى هذا الحى الملكى كانت الأكاديمية أو الموسيوم ، والتى شكلت مكتبة الأسكندرية جزءا منها ، وقد أنشأ بطليموس الأول الأكاديمية والمكتبة بتصميم من ديمتريوس الفاليرى احد تلاميذ الفيلسوف اليونانى ارسطو ، وكان المتحف أو الأكاديمية عبارة عن مركز ابحاث ، يشتمل على قاعات للمحاضرات وغرف للدراسة واروقة فسيحة بها اعمدة وقاعات مشتركة للطعام ، كما وجد مرصد فلكى وحديقة حيوان لإجراء بعض التجارب العلمية ، والحديقة التى خصصت لدراسة علم النبات وتضم الأكاديمية ، المكتبة والتى أصبحت سمعتها تفوق سمعة الأكاديمية .

● مكتبة الاسكندرية

ومكتبة الاسكندرية هى المكتبة الرئيسية والتى تشكل جزءا من الأكاديمية ، حيث توجد مكتبة أخرى ، عرفت بالمكتبة الصغرى وانشئت فى معبد سرابيس ... والمكتبة الكبيرة هى التى اسسها بطليموس الأول عام ٢٨٥ ق . م .

وتولى امرها مجموعة من الشعراء والعلماء الذين جاءوا إلى الاكاديمية ... أما مصادر الكتب وتزويد المكتبة بشكل منظم ، فقد عمل ملوك البطالمة على اثراء المكتبة بالكتب من شتى بقاع العالم ، وبوسائل متعددة ، واساليب يمكن أن توصف بالتعسف ، مثال ذلك أن بطليموس الثالث فرض على جميع المسافرين الذين يصلون الاسكندرية وبحوزتهم بعض الكتب تسليمها إلى المكتبة حتى تنسخ ، ثم يبقى على أصول الكتب بالمكتبة وتسلم النسخ المنسوخة لأصحابها .

وكان التزويد يتم عن طريق الشراء ، أو عن طريق مندوبى المكتبة المنتشرين فى آسيا واليونان .

● إحياء لمشروع ثقافى حضارى

واليوم ومن أرض عربية ـ اسوان ـ يأتى النداء للعالم للمشاركة فى احياء مكتبة الأسكندرية التى لعبت دورا أساسيا فى العالم القديم .. الدعوة لبناء المكتبة الجديدة لتقوم بنفس الدور فى عصرنا الحديث ، تثير فى العالم الماضى الحضارى المشترك للإنسان ، للوصول إلى صيغة حضارية أكثر عدلا وأكثر إنسانية .

وان الهدف المباشر فى انشاء مكتبة الاسكندرية الجديدة هو أن تكون مثل سابقتها القديمة ـ مكتبة عامة للبحث العلمى قادرة على أن تساعد المنطقة بأسرها على استعادة سمعتها السابقة فى مجال البحث العلمى ، على أسس حديثة ، والعزم منعقد على أن المكتبة الجديدة سوف تحتوى فى النهاية على كل ماأنتجه

العقل البشرى ، فى أية صورة متاحة من شتى الحضارات واللغات . وسوف تزود بكافة الأجهزة والأدوات اللازمة للمكتبات الحديثة بالاضافة إلى هذا الهدف العام ، يعمل هذا المشروع على أن يكون للمكتبة ملامح خاصة بها تميزها عن غيرها من المكتبات الكبرى ، فسوف يكون هناك اهتمام خاص ، وعناية كبرى بالدراسات التى لها اتصال مباشر بالأسس التاريخية والجغرافية والثقافية للاسكندرية ومصر والشرق الأوسط فمن المتوقع أن تصبح مكتبة الأسكندرية الجديدة مركزا لكل الدراسات التى تهتم بالمنطقة بأسرها .

انجازات الحركة العلمية الحديثة كما أنه من المناسب أن يلحق بالمكتبة متحف للعلوم .

● سوف يلحق بالمكتبة قاعة لعرض القبة السماوية مزودة بمتحف لعلم الخرائط وتاريخها .

● تخصص قاعة لعرض تاريخ الكتابة وأدواتها ووسائلها .

● إقامة مكتبة للاسطوانات والأفلام ، ارشيف للصور وشرائح تصويرية للشخصيات والمعالم ذات الأهمية فى المنطقة .

ويمكن تحقيق ذلك باتخاذ الخطوات التالية :

● الحصول على كل ماهو متاح على هيئة كتب أو دوريات أو مخطوطات مما له صلة بالتراث الثقافى والفكرى للبحر المتوسط والشرق الأوسط

● الحصول على الدراسات الخاصة بالحضارة المصرية فى جميع العصور وتجميع المنشورات البردية والنقوش الكتابية فى اللغات المختلفة والمصرية القديمة واليونانية واللاتينية والأرامية والقبطية والعربية .

● الحصول على المخطوطات أو مصوراتها باللغات العربية والفارسية والتركية والعبرية والسريانية واللغات الشرقية الأخرى التى تقدم سجلا بالانجازات الفكرية للعالم الإسلامى .

● تكوين مجموعة خاصة بالدراسات الأفريقية

● الحصول على جميع الأعمال والدراسات المتعلقة بتاريخ العلوم والطب .

● الحصول على مكتبة شاملة بجميع

● إقامة قاعة مشاهير الخالدين من رجال الفكر والعلم والتاريخ .

وسيتم تصميم المكتبة لكى تتسع فى سعتها القصوى لحوالى ٤ ملايين مجلد ، من كافة عناصر المعلومات المطبوعة او الالكترونية بأشكالها المختلفة فى الموضوعات التالية :

● الحضارة المصرية فى عصر البطالمة حتى العصر الحالى .

● التراث الاثرى فى العصور اليونانية والرومانية .

● التاريخ القبطى والدراسات القبطية والتراث الحضارى لقبطى فى مصر .

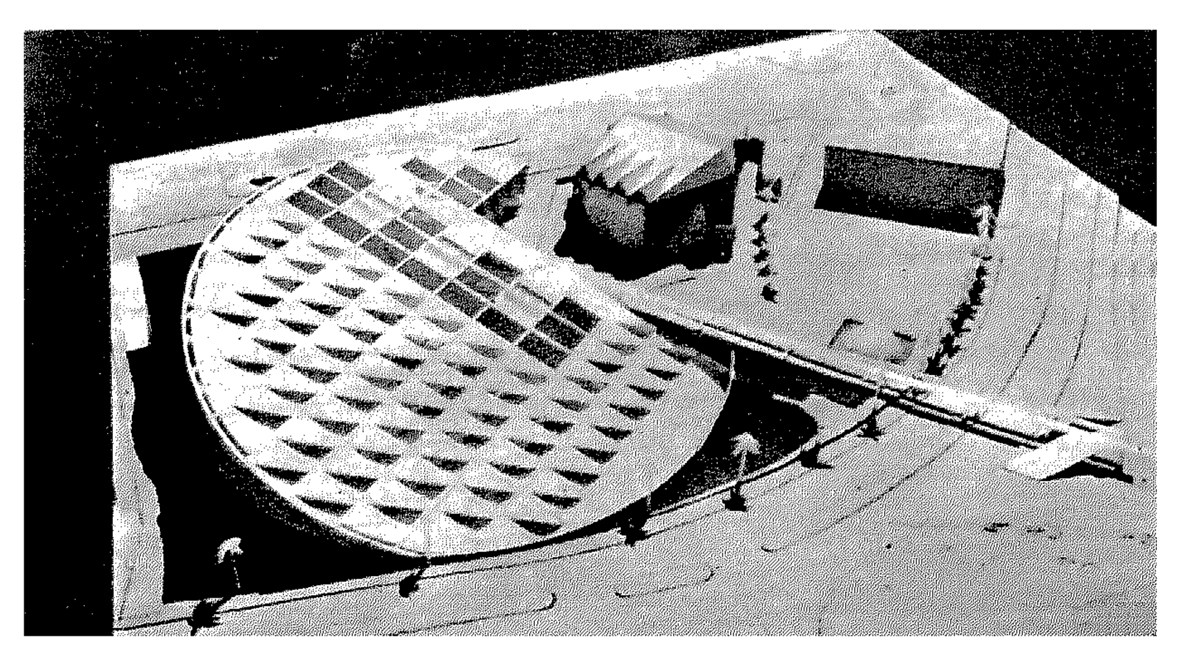
● تاريخ وحضارة الشرق الاوسط وحوض البحر المتوسط .

● الحضارة الاسلامية فى مصر والدراسات العربية والثقافية واللغوية .

● تاريخ العلوم والطب فى العالم القديم والقرون الوسطى .

● التاريخ الحديث والمعاصر لمنطقة البحر المتوسط .

● مجموعات عامة تهم عموم فئات السكان .



الحياة الثقافية والاجتماعية فى الاسكندرية قبل ٤ آلاف سنة

كانت ارضها مرصوفة وشوارعها مضاءة ، وكانت لها شرطة تحمى اهلها ، وكانت تمد بالماء النقى ولكن الاسكندرية بالذات كانت تستمتع بنظام حديث لم يعهد له مثيل من قبل .

هذه هى مدينتنا الاسكندرية التى تسعى الى استعادة وجهها الحضارى الجميل والنضر من خلال ماكتبه وول ديورانت فى « قصة الحضارة » الذى يتحدث عنها قائلا ان المؤرخ استرابون قد وصفها فى القرن الاول بعد الميلادى بانها كانت تبلغ اكثر من ثلاثة اميال فى الطول وميلا فى العرض ، ويقدر بلينى طول اسوارها بخمسة عشر ميلا ، وقد اختط المدينة دنقراطس المهندس الروسى واستراتس النيرى على شكل مستطيل فى وسطه شارع رئيسى يبلغ عرضه مائة قدم يخترقها من الشرق الى الغرب ، ويقطعه شارع اخر فى مثل عرضه من الجنوب الى الشمال ، وكان هذان الشارعان الرئيسيان واكبر الظن ان شوارع غيرهما يضاءان ليلا وتظللهما اثناء النهار اميل من الاعمدة وكان الشريانان الرئيسيان السابق ذكرهما

يقسمان المدينة اربعة احياء ، ابعدها نحو الغرب حي ركوتس وكانت كثرة سكانه من المصريين وكان الحي الشمالي الشرقي حي اليهود والجنوبي الشرقي او البركيوم يحتوى على القصر الملكي ، واهم الهياكل اليونانية وكثير من الحدائق الفسيحة وكان لاحدى هذه الحدائق مدخل كبير . وكانت حديقة اخرى تحتوى على مجموعة الحيوانات الملكية .. وكان في وسط المدينة مباني الادارات والمخازن الحكومية ومدرسة الالعاب الرياضية والف حانوت وسوق .

وكان في خارج الابواب الكبرى ملعب رياضي وميدان للسباق ومدرج ومقبرة عظيمة تعرف بمدينة الموتى ، وكانت تمتد على طول شاطيء البحر مقاصير للاستحمام والاصطياف . وكان يصل المدينة بجزيرة فاروس جسر يسمى الهستريوم وكان طوله يبلغ قرابة اربعة الاف قدم ، وكان المرفأ مرفأين . ويقع خلف المدينة بحيرة مريوط . وتستخدم مرافيء ومخارج للسفن النيلية وفي هذه البحيرة كان البطالمة يحتفظون بقوارب التنزه ، ويقضون ساعات الراحة من عناء الاعمال .

وكان سكان الاسكندرية في عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد خليطا من اجناس مختلفة كما هي حال سكان العواصم في هذه الإيام .. وكانت عدتهم تتراوح بين أربعمائة الف وخمسمائة الف من المقدونيين واليونان ، والمصريين واليهود ، والفرس واهل الاناضول والعرب والزنوج . وزاد انتشار التجارة عدد افراد الطبقة الوسطى ـ الدنيا ، وملأ العاصمة المختلطة السكان بطائفة نشيطة وثرثارة متشاحنة من اصحاب الحوانيت والتجار لاتغفل لهم عين عن اقتناص اية فرصة لعقد الصفقات التجارية غير مراعين في ذلك شرفا او امانة ، وكان على راس هذه الطوائف السالفة الذكر المقدونيون واليونان . يعيشون عيشة بلغت من الترف حدا ادهش السفراء الرومان الذين عينوا في بلاط ملوك مصر عام ٢٧٣ . ويذكر اثنيوس اصناف الاطعمة الشهية التي كانت تثقل موائد هؤلاء السادة ومعداتهم .

ويقول عنهم هيروداس ان الاسكندرية هي بيت افروديتي وان الانسان ليجد فيها كل شيء ثروة ، وملاعب وجيشا كبيرا وسماء صافية . ومعارض عامة وفلاسفة ومعادن ثمينة وشبانا ظرفاء وبيتا ملكيا طيبا ومجمعا للعلوم وخمرا لذيذة ونساء حسانا .

وكان شعراء الاسكندرية قد اخذوا يكشفون ما للعذارى من قيمة ادبية وسرعان ماجعلهن كتابها القصصيون موضوعا لكثير من قصصهم كما جعلوا سقوطهن خاتمة تنتهي بها هذه القصص غير ان المدينة قد اشتهرت بسماحة نسائها وبكثرة مافيها من فتيات المتعة ، حتى لقد شكا بوليبيوس من ان اجمل البيوت الخاصة في الاسكندرية تمتلكها العاهرات وكانت النساء من مختلف الطبقات يسرن بكامل حريتهن في الشوارع ويبتعن حوائجهن من الحوانيت ويختلطن بالرجال وكان منهن اديبات وعالمات مشهورات . وكانت الملكات المقدونيات وسيدات بلاطهن من ارسينوئي زوجة بطليموس الثاني الى كليوباتره يقمن بدور هام في الشئون السياسية ، ويقترفن جرائمهن خدمة للاغراض السياسية لا للحب ، ولكنهن قد احتفظن بما يكفي من الجمال والفتنة لاثارة الرجال لاعمال من الشهامة والبطولة

لامثيل لها من قبل فى عالم الشعر والنثر على الأقل ان لم يكن فى واقع الامر وقد ادخلن في مجتمعات الاسكندرية عنصرا من الظرف والرشاقة النسوية لم يكن معروفا فى بلاد اليونان ايام مجدها .

ويؤكد وول ديورانت ان المصريين واليونان قد اعتادوا جميعا وحدة الدين والدولة ولم يكن يرضيهم استقلال اليهود الثقافي عن سائر البلاد يضاف الى هذا ان منافسة الصانع ورجل الاعمال اليهودى كانت ثقيلة الوطأة عليهم ولم يكونوا يطيقون نشاطه وصبره وحذقه ولما أخذت روما تستورد الحبوب من مصر ، كان تجار الاسكندرية اليهود هم الذين ينقلون هذه البضاعة فى اساطيلهم .

● وفي حديثه عن الوضع الاجتماعي فى الاسكندرية القديمة يؤكد الدكتور لطفى عبد الوهاب فى كتاب "تاريخ الاسكندرية" انه يمكن تقسيم سكان المدينة بوجه عام الى خمسة عناصر تمثل خمس طبقات من ناحية الوضع الاجتماعى فى المدينة اول هذه العناصر هم الاغريق الذين كانوا يتمتعون بالحقوق المترتبة على المواطنة الكاملة فى كل المجالات سواء منها السياسية او الادارية او الاجتماعية الى جانب تمتعهم بامتيازات اخرى مثل الاعفاء من اعمال السخرة ومن بعض الضرائب .

اما طبقة انصاف المواطنين فقد كانوا عادة من اليونان المقيمين بالاسكندرية ولكنهم لم يسجلوا بعد فى قوائم الاحياء التى كانت تنقسم اليها القبائل .

ولكن العنصر الثانى يمثل المقدونيين الذين يمثلون طبقة ممتازة من ناحية حقوقهم ، او وضعهم الاجتماعى حيث كانت هذه الطبقة تضم الرتب العسكرية العليا فى القوات الضاربة للبطالمة .

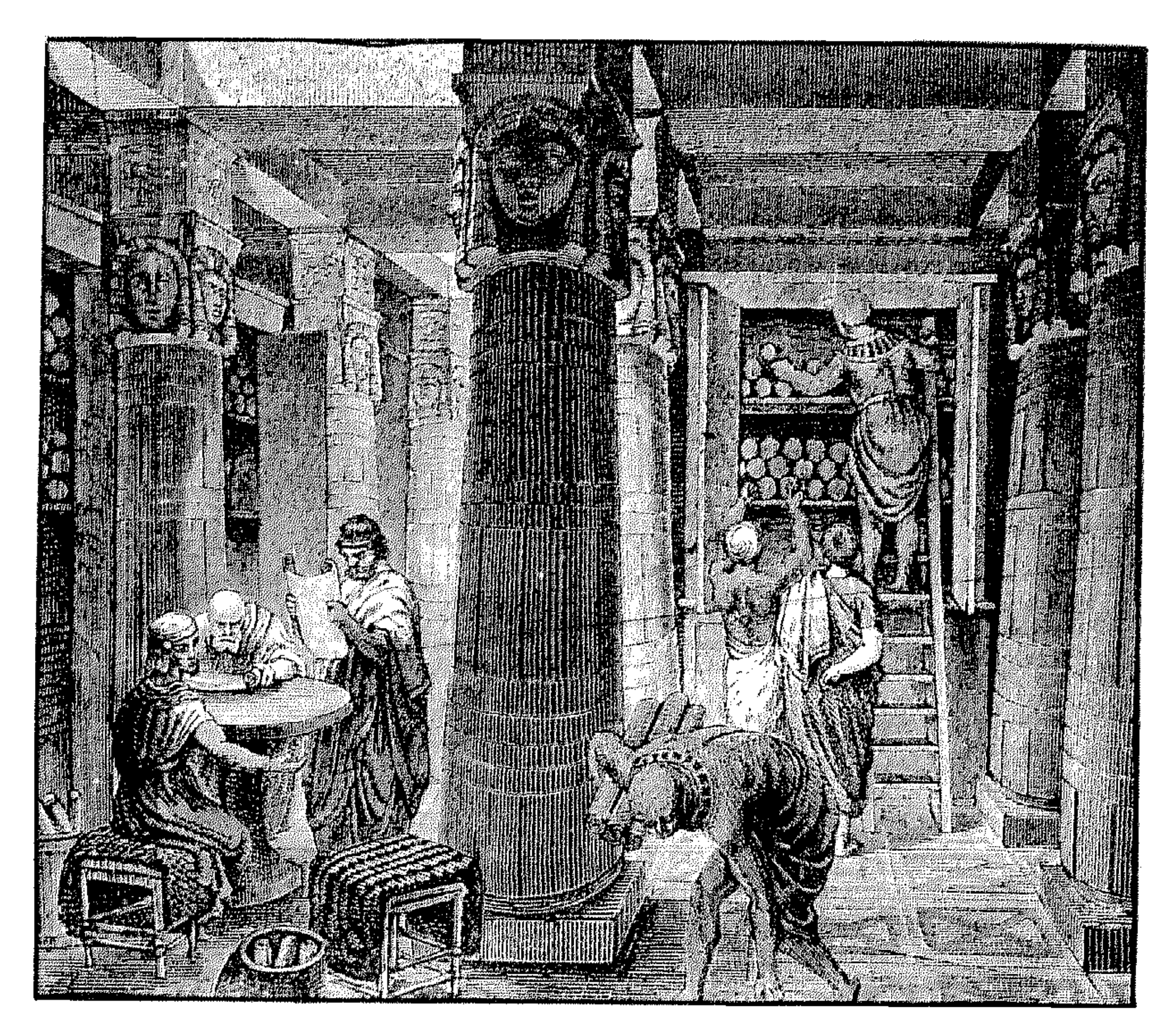
وقد شكل اليهود فى المدينة اعدادا كبيرة منذ بداية حكم البطالمة .

اما المصريون فقد كانوا عادة من اصحاب الحرف الصغيرة ، كما كان منهم من يعملون فى صفوف بعض كتائب الجيش وهؤلاء ظلوا فى مجموعهم محافظين على صبغتهم الوطنية بعيدا عن المؤثرات الاغريقية .. لم يكونوا يتمتعون رغم عددهم الكبير ، بحقوق المواطنة ، وان كان بعضهم مثل الكهنة القائمين على عبادة سرابيس قد وصلوا الى مركز اجتماعى ممتاز ، كما كان منهم كذلك من شغل بعض وظائف البلاط الملكى فى الشطر الاخير من حكم البطالمة .

وسط هذه السمات الاجتماعية والحركة الحضارية المتدفقة كانت مكتبة الاسكندرية تلعب دورها كمنارة للثقافة المعاصرة انذاك ترشد البشر الى التنوير والمعرفة مثلما ترشد اضواء منارة المدينة السفن العابرة الى الطريق الصحيح .

● قالوا عن مكتبة الاسكندرية

وكانت هذه اهم الاقوال عن مكتبة الاسكندرية ..



مكتبة الاسكندرية ـ لوحة جرافيك مرسومة فى القرن ١٩

● فنيكا الفيلسوف والشاعر الرومانى :

عاش من ٤٠ قبل الميلاد حتى ٦٥ ميلادية من مقال بعنوان « راحة البال » مافائدة امتلاك كتب ومكتبات لا حصر لها لايستطيع اصحابها طوال سنين عمرهم سوى ان يقرأوا بالكاد عناوينها .

لقد احترقت في الاسكندرية مكتبة تضم اربعين الف كتاب فلم يمدح شخص اخر غيرى هذه المكتبة على انها انبل مبنى فى الممتلكات الملكية .

● **يقول د . مصطفى العبادى فى كتابه « مكتبة الاسكندرية القديمة »**

كان للانتاج الادبى والمسرحى فى الاسكندرية رواج كبير فى هذا العصر ولا نعرف مكتبة من المكتبات اكتسبت من الشهرة أو شغل بامرها رجال الفكر والعلماء واهتم بمصيرها الدارسون والمثقفون عموما كما حدث لمكتبة الاسكندرية القديمة فلقد اعتبرها القدماء اكبر مكتبة فى العالم القديم على الاطلاق كانت مشعلا للحضارة ومعهدا للبحث والأساس الذى قامت عليه جامعة الاسكندرية القديمة وظلت كذلك طيلة سبعة قرون حملت فيها الاسكندرية لواء الثقافة العالمية فى ذلك الوقت .

● يقول : « الفرد هيسيل » فى بحثه «تاريخ المكتبات» كانت مصر مصدر مادة الكتابة القديمة على اوراق البردى وكان للمصريين انتاج وافر من الكتابات فى ميادين العلم والادب ولعل الكتابة لم تنتشر فى تلك الايام فى اى مكان كما انتشرت فى ارض النيل . وكان يوجد ايضا فى

مصر نظام ممتاز للمحفوظات والسجلات العامة يقوم عليها امناء كثيرون ولكننا لم نسمع شيئا عن وجود مكتبات يمكن ان تقارن بمكتبة الاسكندرية .

● نص إعلان أسوان عن مكتبة الاسكندرية

فى بداية القرن الثالث قبل الميلاد شهدت مدينة الاسكندرية القديمة التى كانت ملتقى للشعوب والثقافات .. انبثاق فكرة مشروع عظيم لبناء مكتبة تكون امتدادا لمدرسة ارسطو وتتحول فيها أحلام الاسكندر عن ارساء صرح امبراطوريته الى سعى حثيث من اجل الاحاطة بشتى جوانب المعرفة .

وعلى مشارف الالف الثالثة بعد الميلاد تعمل حكومة جمهورية مصر العربية تحت رعاية الرئيس محمد حسنى مبارك ، بالتعاون مع اليونسكو وبدعم مالى من برنامج الامم المتحدة للتنمية ومصادر اخرى عامة وخاصة عن احياء مكتبة الاسكندرية القديمة من خلال بعث التراث العالمى لهذه المكتبة فى اشكال حديثة .

ان مكتبة الاسكندرية ستقوم شاهدا على لحظة حاسمة فى تاريخ الفكر البشرى تتمثل فى محاولة تشييد صرح للمعرفة وتجميع كتابات شعوب العالم قاطبة . وستكون هذه المكتبة دليلا على مشروع فذ اصيل اصبح بفضل احتضانه للتجربة الانسانية بمختلف جوانبها منطلقا لروح جديدة قوامها التمحيص النقدى ، واساسا لتصور ارقى للمعرفة وركيزة لاكتساب المعرفة من خلال الجهود المتضافرة .

ان مكتبة الاسكندرية القديمة والمتحف الملحق بها قد بعثا حركة فكرية جديدة ، اذ ارسيا من خلال احتواء كل ما لدى الانسان من مصادر للمعرفة وتنظيم هذه المصادر لاغراض الدراسة والبحث العلمى ، الدعائم التى قام عليها المفهوم الحديث لمعاهد البحوث والجامعات .

ففى هذا الصرح العلمى المهيب ، ازدهرت الفنون والعلوم والبحوث طوال مايربو على ستة قرون من الزمان ، ذلك ان عملية تصنيف وتسفير قواعد الادب الكلاسيكية قد شحذت قريحة كاليماخوس الشعرية والهمت ثيوقريطوس اشعاره الرعوية ، كما ادت دراسة نظريات اعلام الفكر اليونانى بفضل ماشاع فى الاسكندرية من روح جديدة فى ميدان التمحيص النقدى والتجريبى الى تعمق افكار اساسية واحراز تقدم كبير فى المجالات العلمية المقترنة باسماء اقليدس ، وهيروفيلوس وايراطوستينيس واريستارخوس وبطليموس وستاربو وارشميدس وهيرون .

وقد كان للانجازات التى حققها العلم فى الاسكندرية والتى افتقدها الغرب طوال مايزيد على الف عام قبل ان يستعيدها جزئيا عن طريق القسطنطينية والثقافتين العربية والاسلامية دور فعال فى حث النهضة الاوربية على استكشاف عوامل

جديدة . أن مكتبة الاسكندرية القديمة تبقى فى هذا الاطار وبوصفها وسيلة لنقل الحضارة اليونانية عموما . حلقة وصل حيوية فى سلسلة متصلة من التراث النابض بالحياة .

وستكون مكتبة الاسكندرية الجديدة بعد انشائها فى موقع قصر البطالسة القديم ، تعبيرا حديثا عن الجهود التى بذلها القدماء ، وقد تم اختيار تصميم عصرى رائع للمكتبة فى مسابقة معمارية دولية ، واعدت تصميمات تفصيلية للمكتبة ومرافقها التى ستضم احدث التطورات فى تكنولوجيا الحاسبات وستكون بمثابة مكتبة عامة للبحث وتقصى المعرفة وأن هذه المؤسسة التى انبعثت فكرتها فى اطار العقد العالمى للتنمية الثقافية وصممت بفضل المساندة الدولية ستفتح ابوابها للباحثين القادمين لا من بلاد البحر المتوسط فحسب بل من شتى انحاء العالم ، اما مجموعاتها المتخصصة فسوف تتعلق بالحضارة المصرية وسائر حضارات الشرق الاوسط والحضارة اليونانية ونشوء المسيحية القبطية والتراث الاسلامى مع التركيز بوجه خاص على تاريخ العلم وعلى المصنفات التى كان يرجع وجودها فى المكتبة القديمة وسيتسع نشاط المكتبة فى مرحلة لاحقة ليشمل فروعا وتخصصات اخرى وفقا لرسالتها العالمية . وبذلك ستسهم فى تنمية المنطقة التى ستنشأ فيها فضلا عن تمكين شعوب العالم من الاطلاع على شئون تلك المنطقة وفهمها .

وستكون مكتبة الاسكندرية ـ بما تمثله من ارتباط بالماضى واستشراف للمستقبل ـ فريدة من نوعها بوصفها اول مكتبة بهذا الحجم يجرى تصميمها وتشييدها بدعم يقدمه المجتمع الدولى من خلال منظمة الامم المتحدة .

ونحن اعضاء اللجنة الدولية لاحياء مكتبة الاسكندرية القديمة ، التى تعقد دورتها الافتتاحية فى اسوان فى فبراير/ شباط ١٩٩٠ تحت رئاسة السيدة سوزان مبارك ، نتعهد بان نقدم اقصى مانملك من دعم ومساندة لهذا المشروع ونؤكد لهذا الغرض النداء الذى وجهه المدير العام لليونسكو فى عام ١٩٨٧ .

ونناشد الحكومات والمنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية والمؤسسات العامة والخاصة ، ووكالات التمويل وامناء المكتبات والمحفوظات وشعوب العالم قاطبة ان يشاركوا من خلال تقديم المساهمات التطوعية بمختلف انواعها فى الجهود التى تبذلها الحكومة المصرية لإحياء مكتبة الاسكندرية وتكوين مجموعاتها وصونها وتدريب الموظفين اللازمين لها ، وتشغيلها وادارتها

ونناشد العلماء والكتاب والفنانين والمشتغلين بالاعلام عن طريق الكلمة والصورة ، ان يساعدوا على اثارة الاهتمام بالمشروع الدولى لاحياء مكتبة الاسكندرية وتوفير المساندة لهذا المشروع التاريخى .

واخيرا ، نهيب بجميع الحكومات ان تهدى مكتبة الاسكندرية مالديها من مصنفات من شانها ان تسهم فى تكوين مجموعات المكتبة وتعزيزها ، وذلك اعترافا منها بمكتبة الاسكندرية القديمة من فضل سابغ على تراثنا المشترك .

بقلم : د. شكري محمد عياد

القفز على الأشواك

يحيى حقي

فى قصصه القصيرة

خرجت لجنة جائزة الملك فيصل الادبية هذا العام على مألوف عادتها ، فخصصتها للأعمال الابداعية بدلا من الدراسات الاكاديمية ، وحددتها بالقصة القصيرة فكان الفائز بها شيخنا يحيى حقى .. وهذا كله توفيق من أصحاب الجائزة وحكّامها .. لا اقول ذلك انكارا لقيمة الدراسات الاكاديمية ولا بخسا لاقدار من فازوا بهذه الجائزة من قبل ، فكلهم علماء اجلاء ، وبعضهم من أصحاب الصوت المسموع فى حياتنا الثقافية بوجه عام ، كالاستاذ محمود محمد شاكر ، والدكتور شوقى ضيف ، والدكتور عبدالقادر القط ، والدكتور احسان عباس ، والدكتور ناصر الدين الاسد ..

واذا كانت هذه اللجنة قد فاتها ، حين اقتصرت على البحث الادبى وتحقيق التراث ، ان تكرم عالما جليلا كالمرحوم الدكتور طه الحاجرى ، واذا كانت قد استبعدت دراسات ادبية مهمة لاسباب لا علاقة لها بالثقافة الحقة ، فتلك آفة الجوائز الادبية كلها ، (ولكل جائزة افة من جنسها !) .. انما الامر الذى بقى غائبا عن وعى اللجنة حتى هذا العام هو ان للجوائز الادبية بالذات صدى عند جمهور المثقفين ، وان هذا الجمهور يعنى بالأعمال الابداعية اضعاف عنايته بالدراسات الاكاديمية ، فاذا اقتصرت جائزة ما على الدراسة دون الابداع ضعف تأثيرها فى الجمهور ، وبطل – من ثم – الغرض منها .

فالابداع الادبى الجاد – وهو يضارع الابداع العلمى البحت فى صعوبته وقدرته – يحتاج الى التنويه به حتى يصل الى الجمهور العريض ، ويعادل – ولو الى حد ما – التأثير المفسد للادب الرخيص . والمبدع الادبى الجاد يتعفف ويكره أن يعرض نفسه فى السوق ، ويرضى ان يعيش عيش الكفاف ، ولكن القضية اجل خطرا من ان تكون تحية تهدى الى اديب منزو قانع ، يجد السعادة كل السعادة فى ممارسته لفنه دون انتظار لجزاء من احد .. انها قضية ثقافة الامة فى عصر



وسائل الاعلام الجماهيرية (الماس ميديا) التى لاهم لها الا وضع ابطال الكرة الكبيرة والصغيرة ونجوم الشاشة الكبيرة والصغيرة فى بؤرة اهتمام الناس .. ولا بأس بهذا كله (وليته يؤخذ دائما بالجد الواجب) ، ولا مفر ايضا من وجود ادب رخيص (معنى ومبنى) يحاول اصحابه ان يختطفوا قدرا من "النجومية" ولو قليلا بالقياس الى ما يحظى به نجوم الرياضة ونجوم التمثيل والغناء . ولكن الثقافة القومية لا تقوم بشىء من الاشياء ولا بها مجتمعة ولو بلغت الغاية من الاتقان فستظل دائما مادة هلامية لاقوام لها اذا خلت من عمودها الفقرى وهو الادب الرفيع .

اذا زهد المبدعون الحقيقيون فى الشهرة والمال فيجب ان يدفعوا اليهما دفعا حتى تظل قيم الثقافة الحقة قائمة فى بلادنا .. لهذا نحرص على أن تبقى الجوائز الادبية وان حرصنا دائما على التنبيه الى أخطائها .. انها الوسيلة الكبرى "لتسويق" الانتاج الرفيع .. وارجو الا تستنكر كلمة "التوسيق" فى هذا المقام .. فالانتاج الادبى يشتمل على كتب .. والكتب بضاعة تباع وتشترى ، وكل بضاعة تحتاج الى توسيق يناسبها .. والضجة العالية فى بلادنا على الخصوص ، ولو من حين الى حين ، امام صوت هادىء رزين ..

وجميل ان تمنح جائزة الملك فيصل للاستاذ يحيى حقى عن ابداعه فى القصة القصيرة ، وجميل ان اكتب عن هذه القصص التى انتشرت على مساحة أكثر من ستين عاما ، فهذه القصص - على قدر علمى - لم تدرس حتى الان دراسة نقدية شاملة "ولعل فى هذا بعض العزاء لكتّابنا الشبان والمكتهلين ، الذين يشكون - ولهم كل الحق - من اهمال النقد لاعمالهم" .

وجميل الا احتاج الى الكتابة عن "صح النوم" التى سمعت يحيى حقي يصفها بانها "وصيته الى الكتاب من بعده!" فقد تكفل بهذه المهمة صديقنا الاستاذ محمد روميش ، وهو ممن سمعوا وصية الاستاذ يحيى ، ولا ادرى أعملا بوصية الاستاذ ام تحللا منها كتب مقالة فى العدد الماضى عن "يحيى حقى وثورة يوليو ١٩٥٢" ، وان كان نقده اللماح المغلف بأدب شديد يدعونا الى ترجيح الاحتمال الثانى ، اما انا فلا اجد بدا من ان اقول لاستاذى الجليل ، بكل رفق ومحبة : ان "صح النوم" تجربة باهرة فى خداع النفس فالاحسن ان تنساها ، وانا لا اقول هذا من منظور خاص لثورة ٥٢ وقائدها (وهو على كل حال مختلف عن منظور الصديق محمد روميش) ولكن لان الفنان الكبير حين اراد ان يلبس الواقع ثوبا جميلا من التجريد ، ظلم الواقع (ولا اقول خانه) وجاء ثوبه التجريدى شفافا مهلهلا لم ينجح فى اخفاء قبح الجسم الهزيل .

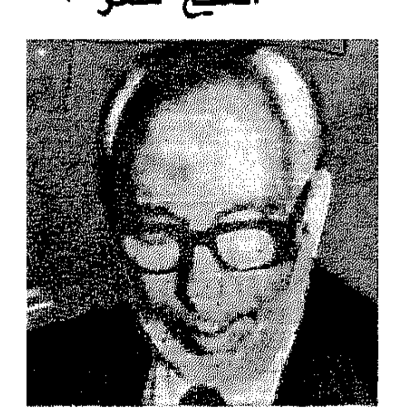
* * *

يحيى حقى مثال للفنان الذى لا يمكنه - حتى لو اراد - ان يخون فنه . وقد عرفه عامة المثقفين العرب من خلال مجموعته القصصية الاولى "قنديل ام هاشم" التى صدرت قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية ، مع انه بدأ يكتب القصة وينشرها قبل اكثر من عشرين سنة ، اذ كان عضوا نشيطا فى تلك "المدرسة الحديثة" التى حدثنا عنها فى كتابه "فجر القصة

المصرية" .. ولكن يحيى حقى ظل يتجنب الشهرة ، وكأنه يخشى ان نغفل ابداعه ، فلم يهتم بنشر كتاباته القصصية والنقدية فى الصحف واسعة الانتشار (لا يزيد ما نشر له فى الاهرام واخبار اليوم عن خمس قصص) ، وكان يؤثر بها مجلات ثقافية مثل "الكتاب" او صحفا محدودة التوزيع نسبيا مثل "المساء" ، وذلك بعد ان استقرت مكانته الادبية - والاجتماعية ايضا - واصبح الوصول الى المنابر الكبرى هينا عليه .

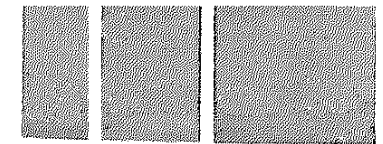
والحق ان قصصه القليلة التى نشرت فى الاهرام واخبار اليوم تحمل الكثير من خصائص الكتابة الصحفية : المبالغة ، النهاية غير المتوقعة ، الدعاية الواضحة مع شىء من الفضح .. الخ .. ولا تحرص على التعمق فى التحليل او الوصف قصة "امرأة مسكينة" مثلا .. التى نشرت فى الاهرام ٢١ مارس ١٩٦١ ، (مجموعة "الفراش الشاغر" ج ١٩ من الاعمال الكاملة) ، تقدم صورة امرأة عادية الجمال ، يصاب زوجها بمرض عصبى يستلزم بقاءه فى المستشفى لمدة طويلة ، فتستغل عطف زملائه ورئيسه حتى تتولى عملا "يُخلق لها خلقا" فى الشركة التى يتبعها ، ثم لا تلبث ان تستقوى وتربط مدير الشركة بعلاقة معها . واقرب من ذلك الى الكتابة الصحفية قصة "عقرب افندى" «اخبار اليوم» ١٩٤٥/٧/٢١ ، مجموعة "ام العواجز" ج ١٠ من الاعمال الكاملة ، وهى صورة لمدرس شديد القسوة ، يظل تلميذه - راوى القصة - يذكره دون سائر معلميه ، ويتفق له ان يلتقى باحد زملاء الدراسة وقد اصبح طبيب استان ، فيروى له كيف انتقم من "عقرب افندى" ، هذا حين لجأ اليه لعلاج اسنانه ، فخلعها له كلها وتعمد الا يحقنه بكمية كافية من المخدر .

هذا نوع من الكتابة جرّبه يحيى حقى فى مطلع حياته الادبية فى قصص مثل "فلة ، مشمش ، لولو" ، "محمد بك يزور عزبته" ، "عبدالتواب افندى" .. "السجان" ، "الوسائط يا افندم" "الخزنة عليها حارس" "الفراش الشاغر" . ج ١٩ من الاعمال الكاملة ، وهى قصص تعتمد على حادثة طريفة ، او شخصية فيها شىء ، من الشذوذ ، وكأنما هى "نادرة" تحكى بشىء من التطويل ، ولكن الشاب يحيى حقى جرب ايضا نوعا من الكتابة الجادة ، التى تقترب من الميلودراما ، "دنيا .. فى الفراش الشاغر" ، او من الخواطر الحزينة المتشائمة "القلب المسموم" ، والموت


الشيخ شاكر ؟


د . شوقى ضيف

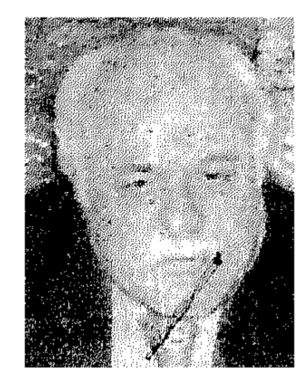

د . عبدالقادر القط



والتفكير فى "الفراش الشاغر" .. كما جرب ان يكتب قصة الخيال والرعب على طريقة ادجار الان بو "السخرية او الرجل ذو الوجه الاسود" فى الفراش الشاغر ، وقد صرح بهذا التأثر فى سطر وضعه بين قوسين تحت عنوان "بعد قراءة ادجار الان بو" .. ولكننا نلاحظ ايضا ان اسلوبه الموغل فى الذاتية ، والذى يصور نفسا معذبة مضطربة ، يمكن ان يكون متأثرا بكتاب "الاعتراف" لعبد الرحمن شكرى .

ان هذه الاعمال المبكرة التى اعيد نشرها ضمن مجموعة الاعمال الكاملة تكشف عن البذور الاولى لفن يحيى حقى ، سواء منها ما كان راجعا الى مزاجه الشخصى او مستمدا من قراءاته الخاصة ، وماكان متأثرا بالمحيط الاجتماعى العام او الخاص .. ونعنى بالمحيط الاجتماعى الخاص تلك "المدرسة الحديثة" التى كان يحيي حقى اصغر اعضائها المعروفين لنا سنا .. لقد كان المحيط الادبى العام اقرب الى النزعة الرومنسية بينما كانت تلك المدرسة تدعو الى الواقعية .. يقول يحيى حقى عن تلك المدرسة انها "بقيت عند اسفل السلم لم تتجاوزه الى ما فوقه" فقد اقتصر اغلب انتاجها على الوصف الفوتوغرافى ، الاشخاص مرسومة من الخارج لا من الداخل ، لم تبد منها محاولة جادة ، تدل على ثقافة ذهنية وروحية ، لاعطاء تفسير او مغزى فلسفى للحادثة ، انها سريعة فى النقاط الحادثة ، سريعة فى تسجيلها على الورق فى شكل قصة قصيرة ، تكتب فى جلسة واحدة ، انها لم تعرف الاجترار ثم التخزين ثم التعبير بل النضج على نار حامية .. لا عجب ان "شاطت" الطبخة احيانا كثيرة ، والكاتب اما مغرق فى الخيال والافتعال ـ اذا لم يتخلص من لوثة النزعة الرومنسية ـ واما يضع اولا الهدف مفصلا له القصة على قده ، محاولا ما امكنه اقتباس حوادثها واوصافها من الواقع .. ومع ذلك فقد اقتصر اهتمامهم على الهموم المعاشية الارضية وتصوير العلاقات الاجتماعية بين الناس ، او وصف انماط شاذة مضحكة من البشر ، فلا تجد فى انتاجهم اثار القلق ازاء لغز الوجود وقدر الانسان والصراع بين الخير والشر ، وحاجة النفس الى الوصول للطهر فى محراب الجمال" ، (مقدمة "سخرية الناى" لمحمود طاهر لاشين ، طبعة الدار القومية ١٩٦٤) .

د. احسان عباس



ناصر الدين الأسد



فى هذه الكلمات التى كتبها يحيى حقى بعد أن بلغ قمة نضجه الفنى ، تصوير لمسيرته هو ، بادئا بامشاج من الصور الواقعية السطحية والخيالات السوداوية المفزعة والاعترافات العاطفية المغرقة فى الكآبة والتأملات التى تتعلق بأذيال الفلسفة ، ومنتهيا الى شاعرية مثقفة مرهفة تغوص فى اعماق النفس البشرية وتكشف مخبآتها فى دقة لا تعرف

المراوغة ، ورفق لا مجال فيه للفضح او السخرية ، انما هى دعابة رقيقة ملؤها الحياء ، تمنع القارىء من الانغماس فى الحدث حتى لا تغيب عنه دلالته .. لم يعد يحيى حقى يبحث عن الغريب والخيالى والشاذ ، ولكنه يجعل الخيال مطية الى اكتشاف كل ماهو غريب فى طبائع البشر العاديين ، او من هم دون العاديين .. ومما تجب ملاحظته ان يحيى حقى سلك هذا الطريق الطويل الشاق بمفرده .. فقد كانت التغيرات التى طرأت على القصة القصيرة العربية خلال الاربعينيات والخمسينيات بعيدة عن النموذج الذى تخيله فى تأملاته السابقة ، ولكنه استطاع بعد جهد ان يحقق فى فن القصة القصيرة مزج الخيال الشعرى بالدقة الشمولية والعمق الفلسفى ، واستطاع بهذا المزاج الجديد ان يعبُر من جيل الى جيل ، بل ان يصبح رائدا لجيلين بعده .

ولكى نحصل على لمحة اولى من هذا التقدم الوئيد الدءوب نقارن بين قصة من عصر التلمذة واخرى من قلم الاستاذ يجمع بين القصتين ان الابطال الحقيقيين فى كلتيهما من الحيوانات الاليفة .. ويحيى حقى شديد العطف على الكائنات الضعيفة المهانة فى هذه الدنيا .. انه عميق الاحساس بشقاء العالم الذى يحط به ، ولذلك فابطاله دائما ـ فى هذه المرحلة من انتاجه ـ صغار مأزومون او مهزومون ، وان كانوا فى اكثر الاحيان غير شاعرين بالهزيمة او الازمة .. انه يوحى الينا ، فى وقت واحد ، بقوة الحياة وقسوتها ، ويثير فى نفوسنا معنى اكبر من التألم او الاشفاق : معنى اقرب الى الخشوع امام لغز الوجود ، معنى فيه الكثير من روح التدين .

فى القصتين كلتيهما شعور باختلاف حظوظ هذه الحيوانات ، حسب اختلاف حظوظ اصحابها .. ففى القصة الاولى "فلة ، مشمش ، لولو" منزل ذو ثلاثة طوابق ، تقيم فى الطابق الاول سيدة تركية متقدمة فى السن ، لا تؤنس وحدتها الا قطتها الاليفة "فلة" وقد عودتها سيدتها الادب والنظافة ، فهى هادئة كسيدتها ، لا تألف غيرها ، تبادلها الحنان وتعكس شعورها بالقناعة والرضى . ويسكن الطابق الثانى موظف صغير مع زوجته واطفاله الثلاثة ، وهم بنتان وولد ، والولد ـ كما يجب ان نتوقع ـ مدلل لا يجرؤ احد فى البيت على اغضابه ، وله قط التقطه من الشارع وهو مثله مدلل فاسد ، لانه يحتمى به كلما ارتكب جريمة ما .. اما الطابق الثالث فغرفتان صغيرتان تقيم فيهما سيدة رومية مع زوجها الذى لا يكاد يراه احد ، فهو يخرج مبكرا ويعود عند منتصف الليل .. ولهذه السيدة بدورها كلب ضئيل ، له جرس صغير فى رقبته ، يصاحب نباحه النحيل بجلجلته كلما جرى نحو باب الشقة لشعوره بشخص قادم ، ولكنه لا يجرؤ على الخروج من هذا الباب ابدا .

تقوم هذه القصة على السرد والوصف ، يتخللهما حوار قليل .. والحادثة التى تجمع اطرافها الثلاثة هى ان مشمش خطف احد صغار فلة ولم يستطع احد منعه من افتراسه .. فالقصة اذن تعرض من خلال علاقة الانسان بالحيوان شخصيات ، او بالاحرى نماذج متباينة ، ترسم لنا سلوكها الظاهر بكثير من الدقة ، ولكنها لا تتعمق تلك العلاقات ، ولذلك فقد تنجح فى رسم ابتسامة على فم القارىء ، ولكنها لا تترك اثرا يبقى فى وعيه ووجدانه

اما القصة الثانية "عنتر وجولييت" فقد عنون بها يحيى حقى إحدى مجموعاته ، وكتب مقدمة للمجموعة هى فى الواقع مقدمة لهذه القصة بالذات . يستشهد يحيى حقى بنص طويل من "الدكتور زيفاجو" لبوريس باسترناك "وقد اشترك يحيى حقي مع اخرين فى ترجمتها" ، وصف فيه ذلك الكاتب الروسى ـ وهو شاعر قبل ان يكون روائيا ـ كيف كان بطله ينظم ما تضمنته الرواية من شعر واهم ما فى هذا النص هو تأكيد فضيلة الايجاز اى حذف فضول الكلام والاعتماد على الايحاء اكثر من الاشارة الصريحة .. يعلق يحيى حقى على هذا النص قائلا : "هذا هو الاسلوب الذى اومن به ، ولا أكف عن الحض عليه ، وسيجد الكاتب فى هذه المجموعة قصة "عنتر وجولييت" مكتوبة على نحو جديد حاولت فيه ان اكسر ما امكن من مطالب السرد حتى تتحرر الفكرة من سيطرة التركيب اللغوى ، وعسى الا يكون الحكم على هذه التقليعة الجديدة انها تقليد مفضوح للشعر المنثور .."

ان قيمة هذه التجربة ترجع اولا الى كونها تجربة ، فليس من المألوف ان يجرب كاتب اسلوبا جديدا حين يكون قد ناهز الستين او تجاوزها ، ولا سيما اذا انطوت هذه التجربة على نوع من التدريب القاسي يأخذ به الكاتب نفسه ليحقق ما يراه المثل الاعلى فى الكتابة .. ولكنها فى الحقيقة لا تعد طفرة فى اسلوب يحيى حقى .. وليس فى مقدور احد ان يحرر الفكرة من التركيب اللغوى ولا ان يحرر القصة من السرد .. ان التجديد الذى حاوله يحيى حقى فى هذه القصة ينحصر فى الاعتماد على وحدة الجملة بدلا من وحدة الفقرة ، فهو يفرد الجملة بسطر ، واحيانا يقسمها على سطرين (ولهذا لم يبعد حين اشار الى شبه هذا الاسلوب بالشعر المنثور .. اما السرد فباق فى القصة كعهدنا به ، لولا ان الكاتب يدخل ضمير المتكلم فى ثنايا القصة بعد ان يكون قد بدأها بضمير الغائب ، فكأنه يعطى القاص حقا خصصته التقاليد الادبية للشاعر .. والى جانب السرد هناك وصف كثير ، اما الحوار فيكاد يكون معدوما .. ولكن خاصية السرد والوصف فى هذه القصة هى انهما انطباعيان ، يعبران فى آن واحد عن الواقعة ومعناها فى وعى الشخصية وانعكاس هذا المعنى فى شعور الراوى .. والمقابلة الانسانية والاجتماعية بين الست كوكب "الفقيرة كثيرة العيال" وكلبها عنتر من ناحية ، وبين اجلال هانم "الغنية العاقر" وكلبتها جولييت من ناحية اخرى تعبر عن نفسية الكاتب التى تهش لنقاء الفطرة ورحابتها وتنقبض من التصنع الاجوف ..

الفرق بين القصتين اذاً ـ ويمكن اعتباره مثالا للتطور فى فن يحيى حقى ـ لا يكمن فى تحرير اللغة من السرد بل فى ان رؤية الكاتب لم تعد تقف عند الاشكال الخارجية ، مكتفية بدلالتها المتعارفة عند الجميع ، بل اصبحت رؤية خاصة تمزج الظاهر بالباطن ..

فى القصة الاولى يصف الكاتب معاملة السيدة التركية لقطتها على النحو التالى :

تتوسد فلة المقاعد وتنام معظم النهار وتسهر الليل ، واصبحت عند سرنديل هانم كاولاد الذوات من حيث التنعم وظهور

نتائج التربية الصحيحة ، فهى لا تعرف باب البيت ولا تتخطاه ، لانها ليست كقطط الحوارى الذين لا مأوى لهم ولا مسكن ، وقلما تدخل فى عراك مع قطط اخرى .

لذلك فهى قطة أليفة لا تعرف من العالم سوى سيدتها . فتراها – اذا جلست سرنديل هانم – تأتى اليها وتضع رجليها الاماميتين على ركبتها ، وتمد بفمها الى فم سرنديل هانم ، ثم تمسح رأسها على ذقنها مرة واخرى . هل تبحث عن قبلة ؟ وهل تعرف القطط القبل ايضا ؟ فتمر سرنديل هانم بيدها على ظهرها مرة اخرى ، وتكلمها برقة فتموء القطة وتعتمد على ركبتها وتظل تلعب بذيلها جذلة فرحة .. "الاعمال الكاملة ج ١٩ ص ٥ – ١٩" .

هذا وصف دقيق ، وفيه تعبير دقيق عن الالفة بين القطة وصاحبتها ، ولكنه لا ينبىء عن شىء اكثر من ذلك ، واذا قورن بوصف جوليت بين يدى اجلال هانم تبين المدى الذى بلغه الكاتب فى اغناء الوصف الخارجى بالدلالات الانسانية العميقة ..

جوليت تعرف كثيرا من الالعاب .

تقف على ساقيها وتهز يديها .

اذا امرتها اجلال هانم ان تقفز لحجرها اطاعت

ان تنزل عن المقعد فورا .

لم تتلكأ .

تذكرنى بكلاب السيرك .

بعض حيوانات السيرك لا يبرع فى اداء ادواره الا بعد ان يصيبه على يد مدربه اشد العذاب .. من تجويع ، وضرب ، وكى ، وخلع اضراس .

اذا كانت جوليت لم تضرب ابدا فان الضرب عندها كان اهون من صراخ اجلال هانم .. (الاعمال الكاملة ، ج ١٣ ، ص ١٠٨ – ١٢٦) ، وقد تكون الحادثة فى "عنتر وجوليت" اهون منها فى "فلة . مشمش . لولو" فهى لا تعدو ان عربة الكلاب التقطت الكلبين من الطريق ، فاصبحا جارين حقا لاول مرة .. ولكن الحظوظ التى جمعت بينهما فى السجن لم تلبث ان فرقت بينهما فى الاطلاق ، فاجلال هانم ابت ان تنام الا بعد ان تسترد كليتها ، فبقى محجر الكلاب مفتوحا بعد الدوام الرسمى الى ان تسلمتها ، اما الست كوكب فبعد طواف طويل بالشوارع وسؤال مثابر للجيران علمت انها لن تسترد عنتر الا اذا دفعت الغرامة ومقدارها جنيهان أو ثلاثة ، وهى لا تملك هذا المبلغ ولا تعرف كيف يمكنها الحصول عليه .. ولكن هذه الحادثة التى تبدو تافهة فى حد ذاتها تعمق شعورنا بالمفارقات الانسانية والاجتماعية ، التى تجعل الحياة صعبة وشائقة فى جانب وسهلة وخاوية فى الجانب الاخر .

الفارق الزمنى بين القصتين تسعة وعشرون عاما .. اعتمادا على تاريخ النشر (١٩٢٦ و ١٩٥٥) ، لم يكف يحيى يحقى خلالها عن التجربة ، ولم يكف بعدها عن التجربة ايضا .. وقد تمخضت هذه التجارب عن اعمال باهرة قد لا يكفى لتأملها واغراء القارىء بها مقال او مقالان .. هنا عطاء سخى لا يقتصر على التجديد فى الشكل بل يقدم – من خلال الشكل الجديد وبواسطته – رؤية فنية عميقة للوجود والمصير ..

فإلى لقاء

الخرافة

بقلم : د. سعيد اسماعيل على

فى حوار علمى بينى وبين مجموعة من الطلاب ، كان الحديث يدور حول التوجيهات العامة الحالية فى التفكير عند شبابنا وخاصة فى الجامعات ، فاذا بواحد من الباحثين طلاب الماجستير يقول انه يشعر بكثير من الأسى لما أسماه بـ (الرِّدة العقلية) التى لاحظها على شباب جامعاتنا ، فلما استفسرته عما يقصده بذلك أجاب بأنه يقصد شيوع الغيبيات والتفكير الغيبى بينهم ، فى عصر ، المفروض فيه ، انه ذو نهج علمى جعله يحدث تفجرا معرفيا وثورة علمية تكنولوجية أتت بنتائج تجاوزت فى بعض الأحيان أحلام وخيالات المفكرين والفلاسفة .

إن هذا القول يعكس خطأ فى التعبير يقع فيه البعض بحسن نية ، اذ يقصدون فى أغلب الأحوال ما يسمى بـ (التفكير الخرافى) و (الخرافات) بحديثهم عن (التفكير الغيبى) و (الغيبيات) ، وهو الأمر الذى يستلزم ايضاحا للفروق ورسما للحدود حتى لاتختلط الاوراق ، ويقع هؤلاء فى المحظور .

إن الايمان (بالغيب) شرط أساسى من شروط الإيمان فى العقيدة الاسلامية ، وتبلغ أهميته الحد الذى صورته الآيات الاولى من سورة البقرة ، حيث قال عز وجل : "ألم . ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) الآيات : ١ ـ ٣ ، والإيمان بالغيب هنا كما يقول صاحب تفسير المنار "هو الاعتقاد بموجود وراء المحسوس" "وشرح ذلك يأتى فى الآية الرابعة : "والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون" فالغيب هنا يتعلق بالايمان بالله وبما أنزله على رسله والايمان بوجود عالم آخر .

الحديث عن الايمان بالغيب أذن هو حديث عن الايمان فى النطاق الدينى الالهى ، لكن الحديث عن الخرافة والتفكير الخرافى ، فهو ينصب على نهج معين فى الحياة البشرية يتعلق بالربط غير المنطقى وغير العلمى بين ظاهرتين او أكثر كالقول ـ مثلا ـ بأن زيارة ضريح من أضرحة الأولياء من قبل سيدة عاقر يمكن ان يزيل

التاريخ المصرى!



الدكتور محمد القصاص

عنها العقم فتحمل وتلد ، فظاهرة الحمل والولادة لها متطلباتها وشروطها وأسبابها التى ليس من بينها على وجه الاطلاق ، زيارة ضريح فلان او حمل تميمة او حجاب .

● معجزات الأنبياء

ولاشك ان حياة الانبياء والرسل تروى العديد من الأمثلة التى تظهر إمكان اقتران بين ظاهرتين ليس بينهما إرتباط سببى ، فوجود ابراهيم عليه السلام فى نار ، ومع ذلك فانه لايحترق ، واقعة تتنافى مع التفسير العلمى الذى يوجب احتراق الجسم البشرى اذا وضع فى النار ، وهكذا الشأن بالنسبة لما كان يقوم به السيد المسيح عليه السلام من معجزات ، ومسألة الاسراء والمعراج بالنسبة للنبى محمد صلى الله عليه وسلم . لكن هذا كله لايمكن ان يدخل فى باب (التفكير الخرافى) ، لأننا هنا نخرج من النطاق البشرى الى النطاق الالهى ، فالمجال البشرى تحكمه سنن وقواعد ، يستحيل ان تكون هى نفسها التى تحكم الفعل الالهى ، ومن هنا فاذا اعتقد واحد من الناس انه يمكن أن يضع نفسه فى نار ثم لايحترق ، فاننا نصف هذا بأنه تفكير خرافى ، لكنه عندما يجىء رواية عن نبى او رسول ، يكون (غيبا) لابد من الايمان به ، هذا طبعا بالنسبة للمؤمنين بوجود الله .

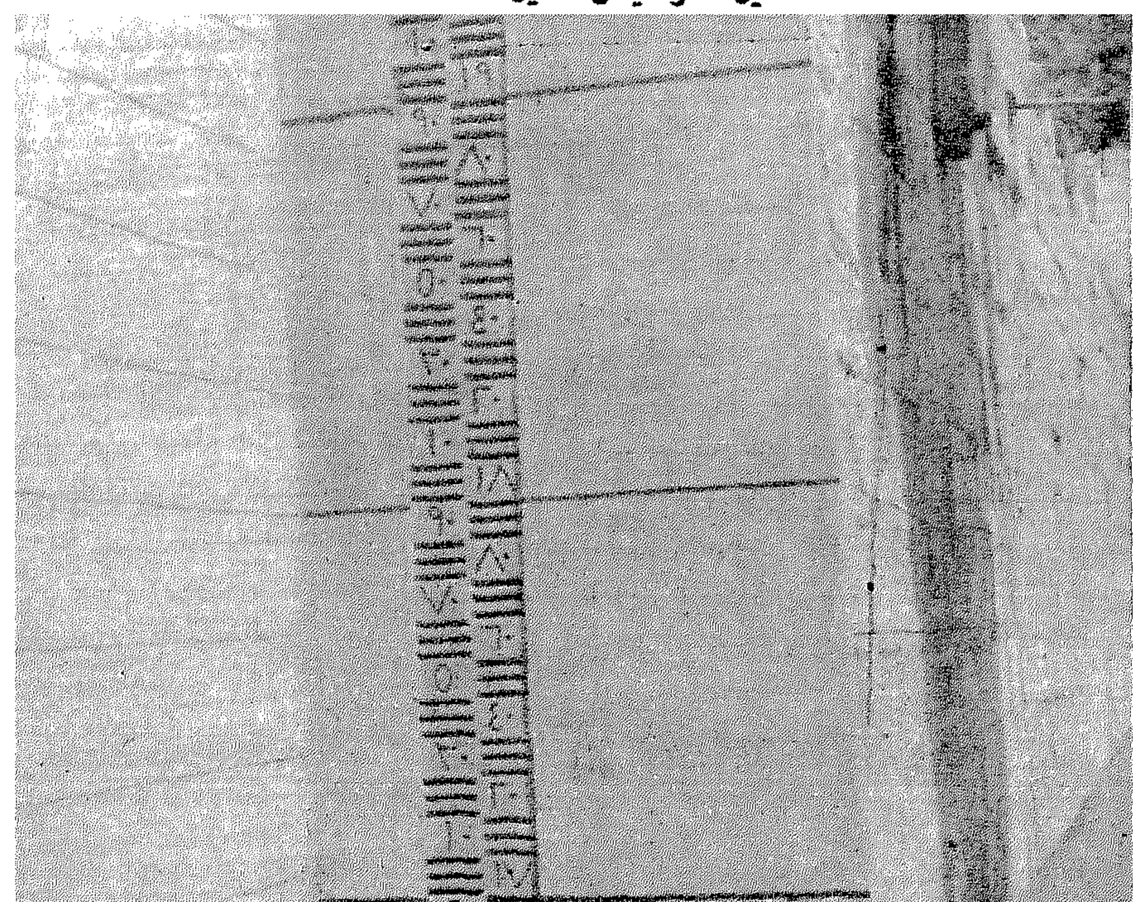
والتفكير الخرافى سمة من سمات (البدائية) حيث يكون التطور العلمى والمعرفى عند أدنى مستوياته ، اذ يكون الانسان جاهلا بما بين الظواهر من علاقات ، وتعوزه الادوات التى تمكنه من ثمّ بالتحكم فى هذه الظواهر وتسخيرها لصالحه . والانسان فى حالة العجز هذه ، يمتد بخياله الى تصور (قوة) غير مرئية تعاديه عن طريق هذه الظواهر اذا كانت مضرة ، فيسعى الى محاولة استرضائها بتقديم القرابين والهدايا . وترتب على هذا ظهور (طائفة) من (المنتفعين) الذين لعبوا دور الوسطاء بين الناس وبين هذه القوى فيحصلون على (سلطة)

ويحصلون على (مال) يجعل منهم طبقة متميزة .

وللعالم الفرنسى (ليفى بريل) كتاب ضخم هام ترجمه الدكتور محمد القصاص بعنوان : (العقلية البدائية) ـ بدون تاريخ ـ يشتمل على العديد من المظاهر والحالات التى صورت طريقة التفكير عند مجموعات بشرية متخلفة غاية التخلف ، وكيف ان هذه الطريقة قد افتقدت العديد من شروط التفكير العقلى المنطقى ، وقد لاحظ بريل ان الفروق التى تميز العقلية البدائية وعقلية الجماعات المتحضرة عديدة جدا ولكن فرقا واحدا من بينها هو الذى استرعى انتباه عدد كبير من الباحثين الذين توفروا على دراسة الجماعات البدائية فى خير الظروف الملائمة لهذا البحث ، أى قبل ان يؤثر فيها الاحتكاك الطويل بالاوربيين ، فقد لاحظ هؤلاء الباحثون ان البدائيين ينفرون أشد النفور من الاستدلال العقلى ، ومما يسميه المناطقة بالعمليات المنطقية للتفكير ، كما لاحظوا أيضا ان هذا النفور لايرجع الى قصور أصيل أو عجز طبيعى فى إدراكهم ، بل بالأحرى الى مجموعة العادات العقلية التى درجوا عليها ، أى الى طريقتهم فى التفكير .

وإذا رأى العقل البدائى نفسه أمام شىء يهمه او يقلقه او يخيفه ، فانه لايسلك تجاهه نفس المسلك الذى يسلكه عقلنا ، بل يسير على الفور فى طريق مختلف عن طريقنا ، وذلك لأن حسنا الدائم بوجود الضمان العقلى قد بلغ درجة

النيل .. ومقياس النيل



من الاستقرار لاتجعلنا نتوهم امكان اختلاله . فاذا فرضنا ان ظاهرة لانعرفها قد ظهرت أمامنا بصورة مفاجئة وان اسبابها تخفى علينا فى بادىء الامر لخفاء تاما ، فان ذلك يزلزل اقتناعنا بان جهلنا أمر مؤقت وان هذه الاسباب موجودة بالفعل ويمكن اكتشافها ان عاجلا أم اجلا . وهكذا يمكننا ان نجزم بأن الطبيعة قد أصبحت فى الوسط الذى نحيا فيه موضوعا للتأمل منذ البداية ، وانها نظام وعلة كالعقل الذى يفكر فيها ويجول فى مضمارها . ويشير نشاطنا اليومى فى أتفه تفاصيله الى ثقتنا التامة فى عدم قابلية القوانين الطبيعية للتفاوت . (العقلية البدائية ، صـ ٢١) .

أما مسلك العقلية البدائية فمختلف عن ذلك المسلك كل الاختلاف ، لأن الطبيعة التى تعيش فى أحضانها تمثل أمامها فى مظهر مختلف تمام الاختلاف ، فجميع الأشياء والكائنات التى تتضمنها متشابكة مختلطة بأمور خفية . ومن هذا التشابك يتكون بناؤها ونظامها ، وهوالذى يبدأ بالظهور أمام انتباه البدائى ويستوقفه ، فاذا استرعت اهتمامه احدى الظواهر ولم يقتصر على ادراكها بطريقة سلبية خالية من رد الفعل ، اتجه ذهنه فورا وبما يشبه ان يكون حركة عقلية عكسية الى وجود قوة خفية غير مرئية ، وجعل تلك الظاهرة مظهرا من مظاهرها .

● أسباب للتخلف

والدارس للتاريخ المصرى وخاصة فى اواخر العهد المملوكى وأيضا العهد العثمانى ، يستطيع ان يلمس ، كيف أدت قسوة الظروف الاقتصادية ، والتخلف الصارخ فى كثير من جوانب الحياة المجتمعية والقهر والظلم والاستبداد الذى أحاط بجموع المصريين فى صباحهم وفى مسائهم من قبل حكام الفترة ومن قبل الفئات المستغلة المتعاونة مع القوى الحاكمة المستفيدة منها .. كل هذا ادى الى ان يشعر كثير من المصريين بحالة من العجز الفعلى أمام المحن المحيطة وفراغ اليد من المقومات الاساسية التى تمكنهم من مواجهتها ، فوقع منهم من وقع فريسة للتفكير الخرافى حيث يتوهم ان ما عجز عن تحقيقه فى عالم الواقع يمكن ان يتحقق (بمعجزة) عن طريق هذا او ذاك من (المنتفعين) بانتشار هذا الوباء العقلي المفزع .

وليس شيوع ظواهر القهر والاستبداد والفقر هى وحدها المكونة للتربة التى ينمو فيها التفكير الخرافى ، فقد لايكون هناك قهر واستبداد أو فقر ، لكن يشيع الجهل وتخبو انوار المعرفة وتذبل براعم الفكر ، فها هنا ايضا يجد هذا الميكروب العقلى فرصة لاتعوض للتكاثر والانتشار ، وأمامنا فى كتابات المؤرخين لتاريخ مصر كم كبير من المظاهر والأمثلة الدالة ، ومن ابرز هذه الكتابات الكتاب الهام لابن إياس المسمى (بدائع الزهور فى وقائع الدهور) ، طبعة الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، المختصرة الى حد ما :

فقد نقل ابن اياس عن جامع السيرة الطولونية قوله :

"كان بمدينة عين شمس ... صنم من الكذان الأبيض على قدر خلقة الانسان

المعتدل ، وكان محكم الصناعة يكاد ان ينطق ، فقصد الأمير أحمد ان ينظر اليه ، فنهاه عن ذلك بعض الكهان وقال له : أيها الأمير لاتنظر الى هذا الصنم فما نظر اليه أحد من ولاة مصر الا عزل عنها فى سنته ، فلم ينته الامير أحمد عن ذلك وركب وتوجه الى مدينة عين شمس ، ولم يزل حتى رأى ذلك الصنم ، فأمر باحضار القطاعين فكسروه قطعا ولم يبق له اثر . فلما رجع الأمير أحمد الى داره ، لم يقم بعد ذلك سوى عشرة أشهر ، ثم مرض وتسلسل فى المرض ، فاضطربت مصر بسبب مرضه وخرج الناس قاطبة الى الصحارى وفعلوا مثل ما يفعلون فى الاستسقاء ، فخرج الناس حفاة وعلى رءوسهم المصاحف ، وخرج اليهود وعلى رءوسهم التوراة ، وخرج النصارى وعلى رءوسهم الاناجيل ، وخرج الأطفال من المكاتب وعلى رءوسهم الألواح ، وخرج سائر العلماء والصلحاء وهم يدعون الله تعالى له بالعافية والشفاء .

لكن ابن طولون استمر فى المرض حتى مات سنة ٢٦٩ هـ فكأن المرض هنا المؤدى للوفاة لم يكن لعلة ميكروبية ، وانما لقوة خفية فى هذا (الصنم) الذى نرجح ان يكون أحد التماثيل الفرعونية وخاصة فى منطقة عين شمس والمطرية . ويبدو ان المسألة لاتقف عند حد (المستوى المعرفى) القائم ، فنحن قد قرأنا عن غربيين على درجة عالية من التعليم ، ومع ذلك فقد اعتقدوا بصحة ما قيل عما سمى بـ (لعنة الفراعنة) التى يبدو ان ابن طولون قد اصيب بها .

ومن العجيب انه فى فترة الانتصار والعزة التى تبدت فى عهد صلاح الدين الايوبى ، ان يروى مؤرخون عن حوادث تنطق بالخرافة الصارخة مما يدل على ضعف التدقيق والتحقق من قبل المؤرخ الذى يروى مثل هذا ، وان كنا لانستطيع ان نخصه هو باللوم ، اذ يبدو ان (مستوى التفكير) كان يقبل مثل هذا ولا يرى فيه غرابة

● خوارق فى الماضى والحاضر

فمن ذلك ما نقله ابن اياس عن (المسبحى) انه بعد رحيل الافرنج عن دمياط توجه صلاح الدين الى الشام فأقام بها مدة . قيل ، لما دخل صلاح الدين الى دمشق ، نزل بالميدان الكبير فجاءت اليه ارباب الملاعب من المصارعين والمتأنقين وغير ذلك ، وكان فيما جاء اليه رجل أعجمى فتكلم معه بأن يريه أعجوبة فى صنعة الشعوذة فأذن له فى ذلك ، فنصب خيمة فى الميدان بين يدى السلطان صلاح الدين وأخرج من كمه (كبة خيط) فربط طرف ذلك فى يده ، ثم حذف تلك الكبة الخيط فى الهواء ثم تعلق بها وصعد حتى غاب عن الأبصار ، ثم سقطت بين الناس احدى رجليه وصارت تزحف على الارض حتى دخلت الى الخيمة ، ثم سقطت احدى يديه ودخلت الى الخيمة ، ثم سقطت اليد الأخرى ودخلت الى الخيمة . ولم تزل أعضاؤه تتساقط عضوا بعد عضو حتى سقط الرأس وصار يزحف على الارض حتى دخل الخيمة ثم بعد ساعة خرج ذلك الرجل وهو سوى كما كان يمشى على أقدامه فقبل الارض بين يدى الملك الناصر ... فبهت الناس من ذلك . ثم ان الرجل دخل الخيمة ثانية امام الناس

فقال رفيقه للحاضرين : ادخلوا الخيمة فتشوا فيها ، فدخلوا الخيمة وفتشوا فيها فلم يجدوا أحداً ، ثم فكوا الخيمة ونصبوها فى مكان آخر فخرج منها ذلك الرجل وهو يمشى على قدميه كما دخل !!

صحيح ان شيئا مثل هذا ـ والقياس مع الفارق ـ نشاهده فى ايامنا هذه فى بعض البرامج التى تعرض بالتليفزيون ، لكننا مهما بلغنا من درجات الدهشة ، نفسره دائما بأنه (خفة يد) لكن الامر كان يختلف فى تلك الحقب حيث كان الناس يفسرون ما يحدث ، بامتلاك هذا الشخص وذاك قدرة خارقة تتيح له ان يخرق سنن الطبيعة ونواميسها ، ولايرون ذلك يتنافى مع العقيدة الدينية التى تجعل القدرة الالهية وحدها هى التى لها الفعل على غير هذه السنن والنواميس .

واذا كان (الدعاء) معروف فى الاسلام ، بل ومأمور المسلم به ، لكن كثيرا من الناس قد أساءت استخدامه ، اذ فهمت أنه يمكن أن يؤدى الى تحقيق المراد من غير اتخاذ الاسباب المرتبطة ارتباطا علميا بنتائجها ، كمن يتصور من الطلاب ، امكان النجاح فى الامتحان بمجرد الدعاء الى الله بدون بذل الجهد فى التحصيل والتعلم ، فهذه صورة اخرى من (الخرافة) لأنها تنسب لمجرد الكلام ، قدرة على تغيير الواقع ، وخاصة عندما يكون كلاما لايخرج عن حدود التلفظ به او كتابته .

ومن هنا فقد رأينا فى مناسبات عدة ، أمراضا وأوبئة خطيرة تهجم على الناس



الجبرتى

فى مصر ، وتحصد فيهم حصدا ، فلا يجدون ما يمكن ان يواجهوا به هذا الا مجرد الدعاء ، ومن ذلك ما جاء فى حوادث عام ١٣٤٨م ـ ٧٤٩هـ ايام الملك الناصر ابو المحاسن ، وهو السابع من اولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ذلك "ان الفناء وقع بالديار المصرية وعم سائر البلاد ، فكان يخرج من القاهرة فى كل يوم ما ينوف عن عشرين ألف جنازة . وقد ضبط فى شهر شعبان ورمضان فبلغ عدة من مات فيهما من الناس ، فكان تسعمائة ألف انسان .

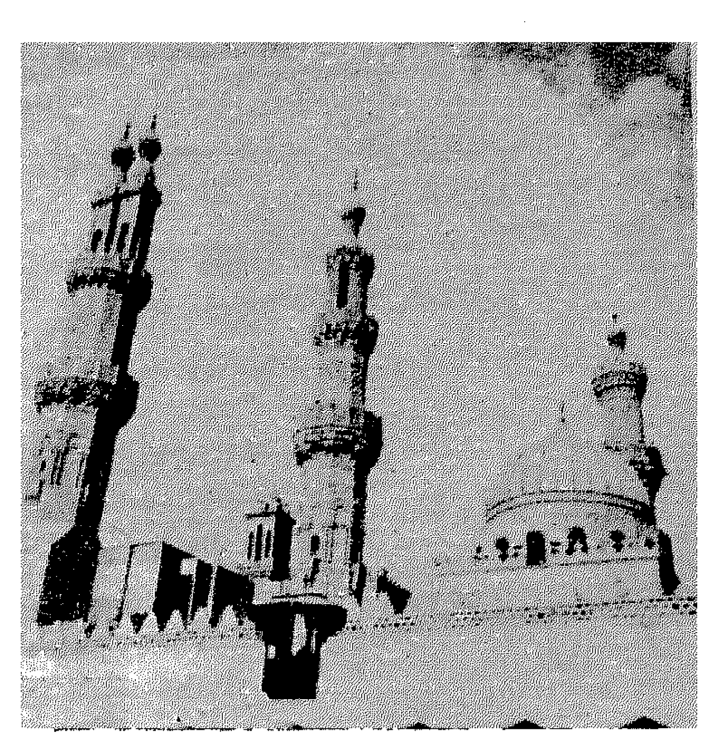
واذا كان القارىء قد لايصدق مثل هذه الأرقام الا انه سيتخلى عن شكه اذا أضفنا الى معلوماته ان هذا الوباء سمى بـ (الموت الاسود) الذى اجتاح المعمورة فى منتصف القرن الرابع عشر للميلاد . وقد بدأ فى أواسط آسيا ، ثم انتقل الى شبه جزيرة القرم ، ومنها نقلته

احدى السفن الى جنوا وسائر انحاء اوروبا . وانتقل من ارمينيا الى انجلترا عام ١٣٤٨ ، فقضى على نصف سكانها وقضى فى الصين على ثلاثة عشر مليونا .

وهجوم ضار مثل هذا الهجوم المرضى ، لم يكن لأحد قدرة بطبيعة الحال على مواجهته ، فماذا كان العمل ؟

قيل : لما زاد أمر هذا الطاعون بالديار المصرية ، أمر بعض العلماء بأن الناس يخرجون قاطبة الى الدعاء برفعه ، فخرج الناس قاطبة الى الصحراء وفعلوا كما يفعلون فى الاستسقاء ، فلم يفد ذلك شيئا ، بل زاد أمر الطاعون حتى عم سائر البلاد ودخل الى مكة ، ولم يعهد هذا قط فى سوى هذه السنة ... "نقل ذلك ابن حجر فى كتاب" (بذل الماعون فى أخبار الطاعون) .

الجامع الأزهر



وتدفع وفاة تيمور لنك الخيال العام الى تصور أمور انما تعكس فى جملتها مدى الكراهية التى كان المصريون يكنونها له ، ففى سنة ٨٠٤هـ ـ ١٤٠١/١٤٠٢م ، وان ذكر البعض انه مات عام ٨٠٧هـ ، تجىء الانباء بمرض تيمور لنك بمرض خطير لايشفى منه تمثل فى "حمرة" طلعت فى جسده ، فمات فيعلق القاضى تقى الدين المقريزى محتسب القاهرة فى ذلك الوقت " وعجل الله بروحه الى النار" كما قد قيل :

زبانية النيران تكره وجهه
ومنه استعاذت مذ رأته جهنم

وتتعدد القصص والروايات حتى لقد نقل ابن اياس انه قيل انه لما دفن كان يسمع عواء فى قبره مثل عواء الكلاب . وقد قال بعض السواح انه شاهد الدخان يطلع من قبره . وقيل انه لما دفن لم تقبله الارض ، فصنعوا له صندوقا من الخشب ووضعوه فيه وعلقوه بين السماء والارض !!

ونحن نذكر منذ عامين تقريبا كيف كنا نتتبع مقياس النيل بكل خوف وهلع حيث كان فى انخفاض مستمر ، رغم ما بلغناه فى العصر الحاضر من مظاهر التطور والضبط العلمى وتعديد مصادر الثروة ، فما بالنا بمشاعر المصريين فى قرون سابقة حيث الاعتماد الرئيسى على الزراعة وحدها وبالتالى على النيل ؟ ففى سنة ٨٦٦هـ ـ ١٤١١/١٤٦٢م انحسر النيل انحسارا شديدا "وحصل للناس الضرر الشامل لقلة الزيادة .." ، فماذا كان رد الفعل الرسمى .

ورسم السلطان للقضاة الاربعة

والمشايخ والعلماء بأن يتوجهوا الى المقياس ، ويبيتوا به ويتلوا هناك القرآن والحديث الشريف ويدعوا الله تعالى بزيادة النيل . فتوجه القاضي يحيى المناوى والسيد الشريف بن حريز المالكي وجماعة من العلماء فأقاموا فى المقياس اياما ورجعوا ولم يزد النيل شيئا ، فأرسل السلطان إلى الشيخ أمين الدين يحيى الأقصرائى يستفتيه فى ذلك ، فقال الشيخ أمين الدين : (اجمعوا بنى العباس من الرجال والنساء ، من صغارهم لكبارهم ثم يضعون فى أفواهم شيئا من الماء ويمجونه فى اناء ثم يصبونه فى فسقية المقياس) .. ففعلوا ذلك ، فكانت فيه البركة .

هكذا يظن (علماء الامة) فى بقايا بنى العباس الهاربين الى القاهرة تلك القدرة الخارقة التى تجعل من ماء ينزل من افواههم فى مقياس النيل سببا فى زيادة مياه النيل ، وهى غفلة ما بعدها غفلة ، وشطحات تفكير تردى الى جب الخرافة الى درجة تبعث على الأسى والألم حقا .

فاذا قفزنا قرونا ثلاثة بعد ذلك لنجىء الى القرن الثامن عشر الميلادى ، فسوف لانجد تحسنا فى مستوى معيشة الناس ولا فى مدى تمتعهم بالحقوق الأساسية ، مما يستتبع استمرار النهج الخرافى فى التفكير ، ولكننا من جهة اخرى نلاحظ هنا أمرين هامين ، أولهما ان المؤرخ لهذه الفترة وهو عبد الرحمن الجبرتى يتميز بقدر كبير من الوعى والتفكير الناقد الذى يستطيع ان نلمسه فى روايته لقصص الخرافات ، فهو يرويها غالبا بلهجة السخرية . والملاحظة الثانية أن جماهير الناس ، عندما تجد من ينير امامها الطريق ويحقن عقولها بالاتجاه المستنير ، تلتف حول هذا الاتجاه ، على عكس القوى الحاكمة المستبدة التى يهمها بالدرجة الاولى ان يستمر الناس فى جهلهم وزيف وعيهم حتى يمكن لهم استمرار استغلالهم .

فمن حوادث رمضان عام ١١٢٣هـ ـ اكتوبر ـ نوفمبر ١٧١١م جلس رجل رومى يعظ الناس بجامع المؤيد ، فكثر عليه الجمع ، وازدحم المسجد ، ثم انتقل من الوعظ وذكر ما يفعله اهل مصر بضرائح الاولياء ، وايقاد الشموع والقناديل على قبور الاولياء ، وتقبيل اعتابهم ، "وفعل ذلك كفر يجب على الناس تركه ، وعلى ولاة الامور السعى فى ابطال ذلك" . وذكر ايضا قول الشعرانى فى طبقاته ان بعض الاولياء اطلع على اللوح المحفوظ "انه لايجوز ذلك ، ولاتطلع الانبياء ـ فضلا عن الاولياء ـ على اللوح المحفوظ ، وأنه لايجوز بناء القباب على ضرائح الاولياء والتكايا ، ويجب هدم ذلك ..

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تعداه الى التحرك العملى والسلوك التطبيقى كما فعل انصار محمد بن عبد الوهاب فى شبه الجزيرة العربية ، يذكر الجبرتى : "فلما سمع حزبه ذلك خرجوا بعد صلاة التراويح ، ووقفوا بالنبابيت والأسلحة ، فهرب الذين يقفون بالباب ، فقطعوا الجوخ والأكر المعلقة وهم يقولون : أين الاولياء ؟

● الازهر والتنوير

واذا كان علماء الازهر لهم الدور

الاساسى فى تعليم الناس وتنويرهم ، الا ان الظلام المطبق على المجتمع ، فيما يبدو ، قد شملهم ، فاذا بالعلم الذى عندهم يوظف فى غير هذا الطريق واذا بهم يدعمون الوعى الزائف . فلقد ذهب بعض الناس الى العلماء بالازهر واخبروهم بقول الواعظ الرومى وكتبوا فتوى وأجاب عليها الشيخ احمد الخليفى (توفى عام ١٧١٥م) والشيخ احمد النفراوى (توفى عام ١٧١٢م) ، بأن كرامات الاولياء لاتنقطع بالموت ، وان انكاره اطلاع الاولياء على اللوح المحفوظ لايجوز ، "ويجب على الحاكم زجره عن ذلك" ، انهم يستعدون السلطة على الرجل ولايكتفون باصدار هذه الفتوى !!

وأخذ بعض الناس تلك الفتوى ودفعها الى الواعظ الرومى وهو فى مجلس وعظه ، فلما قرأها غضب وقال : ايها الناس ، ان علماء بلدكم افتوا بخلاف ما ذكرت لكم ، وانى اريد ان أتكلم معهم واباحثهم فى مجلس قاضى العسكر ، فهل منكم من يساعدنى على ذلك وينصر الحق ؟

الرجل اذا لايلقى الكلام على عواهنه ، وانما بحث ودرس وقرأ واقتنع ، ولذلك فهو لايفرض رأيا وانما يريد اتباع النهج العقلى ، الحوار والمناقشة مع أصحاب الرأى الآخر . وهو لايريد (ارستقراطية الفكر) بحيث تنحصر المسألة بين عدد من العلماء ، وانه يسعى الى المشاركة الشعبية ، اذ ما وظيفة العلم ان لم يوظف لصالح الجماهير ؟ وما جدوى ان يكون بالمجتمع بضع عشرات او حتى مئات وهناك ملايين الناس تتمرغ فى وحل الوعى الزائف والجهل البغيض ؟

وانفصل الناس بجدية الواعظ وحماسه ، فسرت عدوى الحماس والجدية اليهم ، فاذا بهم يسارعون الى التجمع حوله شادين من أزره ، ويلتف حوله المئات والمئات فى حركة شعبية عجيبة الشأن ليست ككثير من الحركات سعيا وراء لقمة عيش او كسب رزق او رفع ظلم ، وانما سعيا الى المعرفة الصحيحة وجهدا لازالة الغشاوة من على العيون :

"ومر بهم من وسط القاهرة الى ان دخل بيت القاضى قرب العصر ، فأنزعج القاضى ، وسألهم عن مرادهم فقدموا له الفتوى وطلب منه احضار المفتين والبحث معهم ، فقال القاضى : اصرفوا هؤلاء الجمع ثم نحضرهم ونسمع دعواهم . فقالوا : ما تقول فى هذه الفتوى ؟ قال : انها باطلة ، فطلبوا منه ان يكتب لهم حجة ببطلانها ، فقال : ان الوقت قد ضاق ، والشهود قد ذهبوا الى منازلهم ، وخرج الترجمان ، فقال لهم ذلك فضربوه ، واختفى القاضى بحريمه ، فما وسع النائب الا انه كتب لهم حجة حسب مرادهم .

ولم يكن ذلك عن قناعة من أصحاب السلطة فى الفتوى والقضاء ، وانما هو جبن السلطة الشهير امام الحركة الشعبية ، ومحاولة معروفة لامتصاص الغضب بصفة مؤقتة حتى يتم التفكير فى الالتفاف حولها بعد ان يظن الناس ان السلطة قد استجابت لهم . وهكذا عندما ذهبوا فى يوما آخر الى جامع المؤيد لسماع الواعظ لم يجدوه .. لقد ذهب وراء الشمس كالعادة !!

فى البداية ، كان عدم حضور الواعظ ، لأمر سلطانى يمنعه عن الوعظ ، لكن الجماهير لم تسكت فقد ذهبوا الى القاضى الذى اصيب بالرعب من اعدادهم الغفيرة وأجبروه ان يذهب معهم الى (الباشا) بالقلعة ، وكان مطلب الجماهير ، أن يأتى الشيخان صاحبا الفتوى للتباحث معهما فإن اثبتوا دعواهم نجوا من ايدينا وإلا قتلناهم وحصلوا على امر بذلك من الباشا ، فأتوا بالواعظ الى الجامع وأصعدوه الى الكرسى فصار يعظهم ويحرضهم على الاجتماع فى غد بالمؤيد لشهود المناظرة الكبرى المنتظرة ، لكن الباشا اثناء ذلك كان يدبر مكيدته الكبرى ، اذ راح يبعث الى امراء ، المماليك محرضا اياهم ومحذرا من هذه الانتفاضة الشعبية الفكرية ، وقبل ان يجىء اليوم المنتظر ، كان قد تم القبض على القيادات ويتم اخماد ما اسموه بـ (الفتنة) ليستمر الجهل مخيما على العقول ويستمر هذا النفر من الحكام فى غيهم واستغلالهم وظلمهم !!

وأشيع فى الرابع والعشرين من ذى الحجة عام ١١٤٧ هـ - ١٧٣٥/٥/٨٧م فى مصر بأن القيامة قائمة يوم الجمعة سادس وعشرين من ذى الحجة ، وفشا هذا الكلام فى الناس قاطبة حتى فى القرى والارياف ، وودع الناس بعضهم بعضا ويقول الانسان لرفيقه : (بقى من عمرنا يومان) !! وخرج كثير من الناس والرقعاء الى "الغيطان والمتنزهات ويقول لبعضهم البعض : دعونا نعمل حظا ونودع الدنيا قبل ان تقوم القيامة !! ومن الناس من

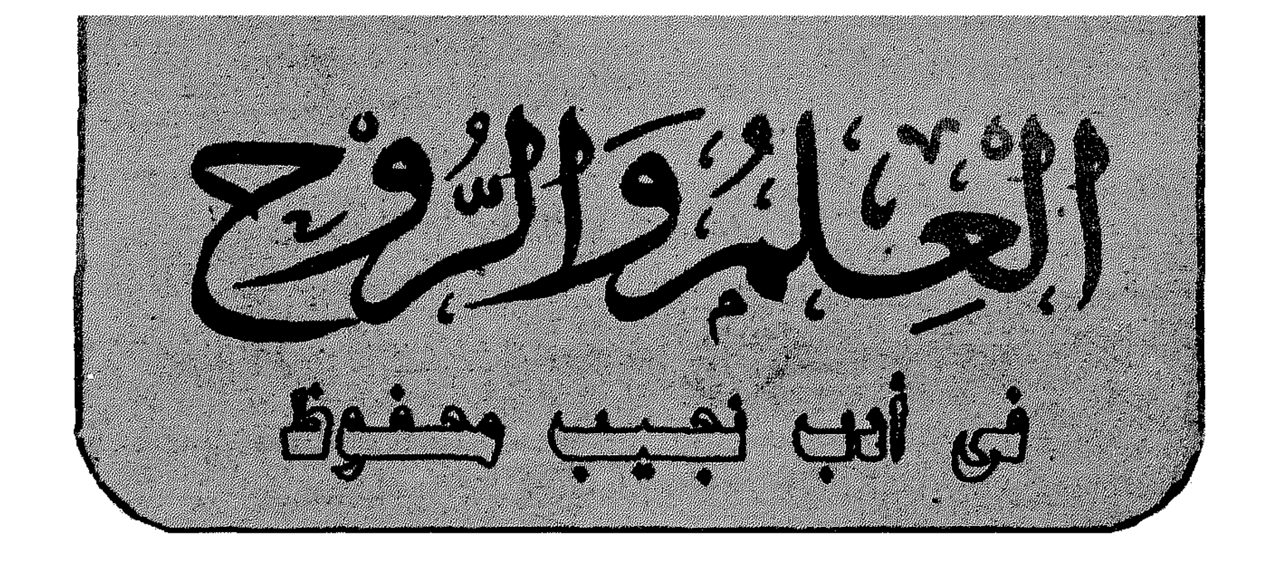


الناصر صلاح الدين

داخله الهم والحزن ومنهم من أخذ يعلن التوبة ويبتهل ويصلى واعتقدوا ذلك ووقع صدقه فى نفوسهم ، ومن قال لهم خلاف ذلك او قال : هذا كذب ، لايلتفتون لقوله ويقولون هذا صحيح .

فلما جاء اليوم الموعود ولم تقم القيامة ، واصبح يوم السبت لم يظهر الناس تكذيبهم للاشاعة وانما حرصوا على اظهار المزيد من غفلة التفكير ، فاذا بهم يفسرون عدم مجىء القيامة بأن "فلان العالم قال ان سيدى احمد البدوى والدسوقى والشافعى تشفعوا فى ذلك وقبل الله شفاعتهم ، فيقول الآخر : اللهم انفعنا بهم فاننا يا اخى لم نشبع من الدنيا وشارعون نعمل حظ ونحو ذلك من الهذيانات !!

واستمر نهج التفكير الخرافى سنوات طويلة ، طالما استمر القهر والاستغلال وتزييف الوعى ...



العلم والروح في أدب نجيب محفوظ

بقلم : د . صلاح خليل

نحاول هنا إظهار كيفية تعرض نجيب محفوظ لهذه القيمة الفكرية ، قيمة « العلم » في مرحلتين من انتاجه ، وعلى وجه التحديد ـ في مرحلتي الواقعية والميتافيزيقية مما يبين بوضوح ان الايمان بالعلم الحديث يكاد يكون احدى القيم المحورية لفكره ، ويتجلى ذلك اما بطريقة مباشرة على لسان ابطال رواياته ، واما من خلال أحداث تلك الروايات كما يتأثر أسلوب اظهار « قيمة العلم الحديث » بالطابع الغالب على المرحلة التى يظهر فيها هذا الانتاج .

ان « انبهار » نجيب محفوظ بالعلم الحديث ، والذى يتجلى فى روايات المرحلة الاولى لانتاجه ، قد تطور الى ادراك اكثر للابعاد المختلفة لدور العلم فى حياة البشر فى المرحلة الثانية لهذا الانتاج ، ففى روايته غير العادية « اولاد حارتنا » والتى تنتمى الى المرحلة الثانية ، يظهر نجيب محفوظ انه يعتقد ان العلم وحده ليس كافيا لتحقيق السعادة بين البشر ، ويرى ـ فى هذه الرواية ـ ان « سيطرة العلم » فى غياب الايمان بالقيم الروحية يؤدى الى اختلال قيمة هامة اخرى وهى العدالة .

وقد ذيل المقال بمقارنة مختصرة بين رؤية « نجيب محفوظ » لكيفية تحقيق الاتزان بين القيم الاساسية التى تحكم حياة البشر وكبح جماح « العلم » وطغيانه ، ورؤية احد كبار العلماء المعاصرين لكيفية مواجهة الاختلال فى العلاقات بين البشر والذى قد ينشأ من التقدم العلمى وسيطرة العلم والتكنولوجيا على حياتنا .

المرحلة الأولى : طبقا لاراء العديد من الدارسين والنقاد ، فان المرحلة الواقعية والتى تنتهى بظهور اخر جزء من الثلاثية ، تعتبر المرحلة الاولى لانتاج « نجيب محفوظ » وذلك باستثناء رواياته التاريخية الثلاث الاولى ، ومن روايات هذه المرحلة : القاهرة الجديدة وزقاق المدق وبداية ونهاية والثلاثية ، وقد جاء تعبير نجيب محفوظ عن اهتمامه بالعلم فى هذه



نجيب محفوظ

المرحلة بطريقتين : الاولى بطريقة مباشرة على لسان ابطال رواياته ، مثل ماجاء على لسان احد ابطال روايته « القاهرة الجديدة » « الايمان بالعلم بدل الغيب هو مايحتاجه جيلنا » ، والثانية بطريقة غير مباشرة من خلال نسيج رواياته وبناء احداثها وشخصياتها والمواقف التى يتعرضون لها « وتعتبر الثلاثية اكثر اعماله نضجا فى هذه المرحلة » وسوف نتناولها كمثال لاثبات مقولة ان العلم يمثل احدى القيم المحورية لفكر نجيب محفوظ ، وانسحاب هذه المقولة على انتاجه فى هذه المرحلة علما بان هناك امثلة اخرى متفرقة فى اعماله فى هذه الفترة لايتسع المجال لعرضها هنا .

● الثلاثية ١٩٥٦/ ١٩٥٧

تتجلى قدرة نجيب محفوظ فى هذه الرواية على صياغة وعرض افكاره بحيث تنتقل الى قارئه حية مجسمة ، الا انه ايضا ـ فى هذه الرواية قد لجأ الى الحوار المباشر ولكن باسلوب ذكى ممتع ، وفى كل الحالات ، فالى جانب تحميل رواياته وابطاله لافكاره وقيمه التى يهتم بها ، فقد نجح ايضا فى تحقيق كل هذا من خلال اطار فنى ، يبدو فيه كمن يقدم صورة حية صادقة لقطاع من المجتمع المصرى ، وذلك من خلال نسيج ادبى راق دقيق البناء ، وقد بلغ فى دقته احيانا دقة العالم المؤرخ الذى لاتفوته ادق التفاصيل .

ينتمى ابطال الثلاثية ، الى الطبقة المتوسطة الصغيرة ، والتى تتمسك بالتقاليد وتتقيد بالعرف وتهتم بصورتها فى المجتمع ، وقد عبر نجيب محفوظ ـ عن اهتمامه بالعلم وقيمته ، وذلك من خلال تسجيله ، لاحد الاهتمامات الاساسية لهذه الطبقة من المجتمع فى ذلك الوقت ، فيعتبر العلم والتعليم من اوليات اهتمام ابناء هذه الطبقة ، لاسباب سياسية واجتماعية واقتصادية ، ويصبح التعليم عند ابناء هذه الطبقة غاية ووسيلة فى نفس الوقت لتحقيق طموحاتهم للحاق بالطبقة العليا فى المجتمع ، ويصور نجيب محفوظ ، باسلوب **غير مباشر** كيفية اهتمام « السيد احمد عبد الجواد » البطل الاول فى الثلاثية ـ بتعليم ولديه ـ فهمى وكمال ـ وهو التاجر الذى لاينتمى الى اهل العلم والثقافة ، وينقل لنا من خلال الحوار الذكى الممتع كيف يحتل تعليم ابنيه جزءا من حياته البعيدة كل البعد عن عالم الفكر والثقافة ، وعلى الرغم من ذلك فهو يطمع ان ينال ابناؤه من التعليم مايؤهلهم للوظائف العليا فى المجتمع ، ومن الملامح الهامة لهذه الرواية ايضا ، هو مايسجله نجيب محفوظ ـ ببراعة ـ منقطعة النظير ـ من تطور وجهة نظر المجتمع المصرى الى العلم والتعليم ـ من جيل الى جيل ـ



فى أدب نجيب محفوظ

وتحوله من احترام للعلم والمتعلمين (جيل السيد احمد عبد الجواد) الى الانبهار بالعلم نفسه (جيل ابنه كمال) واذا كان كاتبنا يسجل فى هذا المقام احدى خصائص المجتمع المصرى عموما ـ وهى اهتمام الاجيال على تعاقبها ـ بتعليم اولادهم ـ كما يسجل ايضا احترام المصريين للعلم والمتعلمين ، فيصبح التعليم جواز مرور من طبقة لاخرى ، وفى ذلك يبرع نجيب محفوظ مرة اخرى ، حيث لايصيغ هذه القيم بطريقة مباشرة ، او بعبارات انشائية ، ولكنها تجيء من خلال نسيج رواياته .

يقول فى السكرية على لسان احد الادباء (الاستاذ عدلى كريم) :

« لاتدهش ان يصارحك بهذا الرأى رجل معدود من الادباء فالعلم اساس الحياة الحديثة ، ينبغى ان ندرس العلوم وان نتشبع بالعقلية العلمية ، الجاهل بالعلم ليس من سكان القرن العشرين ولو كان عبقريا ، وعلى الادباء ان ينالوا حظهم منه ، لم يعد العلم وقفا على العلماء ، اجل لهؤلاء التضلع والتعمق والبحث والكشف ، ولكن على كل مثقف ان يضيء نفسه بنوره وان يعتنق مبادئه ومناهجه ويتملى بأسلوبه ».

وفى موقع اخر من السكرية يقول نجيب محفوظ على لسان أحد ابطال روايته : « ادرس الأداب كما تشاء واعن بعقلك اكثر ماتعنى بالمحفوظات ولاتنس العلم الحديث »

ثم يستطرد كاتبنا العظيم فى نفس الرواية :

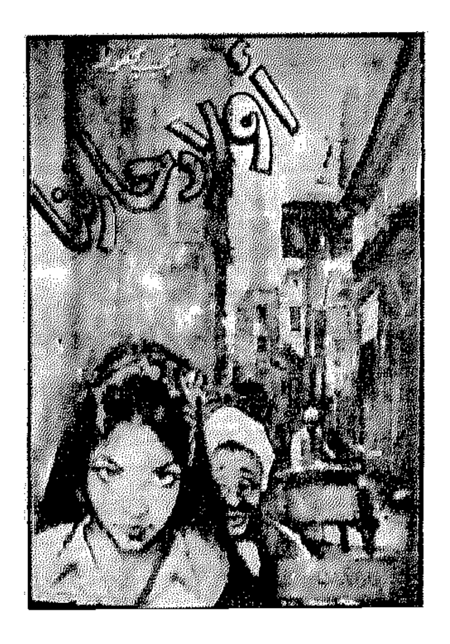
« ينبغى ان نذكر ان لكل عصر انبياءه وان انبياء هذا العصر هم العلماء » ثم يتغزل برقة فى العلم فيقول :

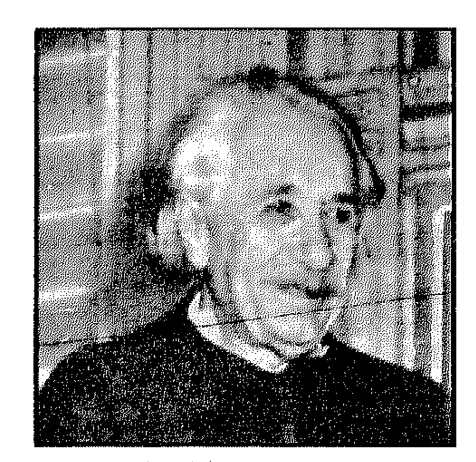
« العلم سحر البشرية ونورها ومرشدها ومعجزتها » السكرية ص١٢٧

المرحلة الثانية : تبدأ هذه المرحلة برواية « اولاد حارتنا » (١٩٥٩) وتنتهى برواية « ثرثرة فوق النيل » (١٩٦٦) وتشمل ايضا : اللص والكلاب ، والسمان والخريف ، الطريق ، الشحاذ ، وقد ترجمت معظم هذه الروايات الى اللغات الاجنبية المختلفة

وطبقا لاراء النقاد والدارسين ، فقد ارتفع الاسلوب فى هذه الروايات واعتمد على الرمز فى كثير من الاحيان ، وغلب الطابع الميتافيزيقى على روايات هذه المرحلة ، وعلى الرغم من ضرورة دراسة كل رواية على حدة وتحليلها كوحدة قائمة بذاتها ، فإنه يكاد يكون هناك اتفاق بين النقاد على ضمها كمجموعة واحدة لها سمات مشتركة .

وكما احتوت روايات المرحلة الاولى على مؤشرات تؤكد اهتمام « نجيب محفوظ » بقيمة العلم وقد عبر عنها اما ضمنيا من خلال نسيج رواياته او مباشرة على لسان ابطال هذه الروايات نجد ان هذا الاتجاه يتكرر ايضا فى انتاج هذه المرحلة مع ما اكتسبته وسائل التعبير فى هذه المرحلة من ارتفاع الاسلوب والاغراق فى الرمز وغلبة الحوار احيانا والجدير بالذكر ان هذه المرحلة من انتاجه تتضمن رواية « اولاد حارتنا » وفيها يلعب العلم دورا اساسيا ويحتل مساحة كبيرة من





البرت اينشتاين

الرواية على خلاف اية رواية اخرى ، سواء فى المرحلة الاولى او الثانية من انتاجه ولقد اخترنا روايتين من هذه المرحلة للتدليل على ان العلم يعتبر احدى القيم الفكرية الاساسية التى يهتم بها نجيب محفوظ فى انتاجه ، وهاتان الروايتان هما اولاد حارتنا (١٩٥٩) والشحاذ (١٩٦٥) تلك الرائعة التى تحتاج الى دراسة خاصة بها .

● اولاد حارتنا (١٩٥٩)

تمثل هذه الرواية اتجاها متفردا فى انتاج « نجيب محفوظ » عند مقارنتها بانتاج المرحلة السابقة بل تعتبر فى ذاتها نسيجا قائما بذاته فى انتاجه ، وقد اشاد النص الرسمى لحيثيات منح « نجيب محفوظ » جائزة نوبل فى الآداب بهذه الرواية مشيرا اليها بانها الرواية « غير العادية » لنجيب محفوظ .

ويتمثل الرمز فى هذه الرواية فى بنائها الكلى ، ويلعب فيها العلم دورا اساسيا متجسدا فى شخصية « عرفة » والذى يرى فيه نجيب محفوظ مستقبل البشرية (راجع ماجاء عن العلم صراحة فى السكرية فى الفقرة السابقة)

الا انه من الجدير بالذكر هنا .. ملاحظة ان انبهار نجيب محفوظ بالعلم والذى يتجلى فى انتاجه المبكر ، قد حل محله الادراك الاكثر نضوجا لذوى العلم فى حياة البشر والرؤية المتكاملة للوجه الاخر للعلم ومدى خطورته وتأثيره على العلاقات والقيم الانسانية .

فنجيب محفوظ ـ فى هذه الرواية وان كان لايزال يرى انه فى العلم يكمن مستقبل البشرية ، الا انه يظهر ـ وببراعة كالعادة ـ ان « سيطرة العلم » فى غياب « الايمان بالقيم الروحية » انما تؤدى الى طغيان العلم وتسلطه ، واختلال ميزان العدالة بين البشر ، ولكن نجيب محفوظ يثير قضية معقدة هنا عن العلاقة بين العلم والايمان بالقيم الروحية وهل يكون العلم هو الطريق او الوسيلة الى ذلك الايمان ، اذ انه على الرغم من انه يرى ان العلم قد لايكون كافيا لسعادة الانسان إلا انه ، لايزال يحس ان العلم قد يمهد الى ذلك .

وعلى الرغم مما اثارته هذه الرواية من جدل ، فإن هناك شبه اتفاق بين العديد من

العلم والروح
فى أدب نجيب محفوظ

الدارسين والنقاد، شرقيين وغربيين ومستشرقين - وهم نادرا مايتفقون - ان نجيب محفوظ - يكاد يصيح فى هذه الرواية :

ان العلم وحده ليس السبيل الى سعادة البشر، وانه لاسعادة للانسان الا بالايمان بالقيم الروحية الى جانب العلم الحديث .

● الشحاذ (١٩٦٥)

على الرغم من ان المحور الاساسي لهذه الرواية ، يعتبر « سيكلوجيا » أو نفسيا - حيث يعالج فيه نجيب محفوظ ، مايطلق عليه علماء النفس « بازمة مرحلة منتصف العمر » عند الرجال Middle age crisis الا ان هذه الرواية تحتوى على مؤشرات مباشرة وواضحة تؤكد الحاح العلم وقيمته على فكره ، ويصور نجيب محفوظ ، فى هذه الرواية رحلة بطل الرواية « عمر الحمزاوى » باحثا عن معنى لحياته بعد تكوينه لاسرته ونجاحه المادى فى عمله ، وتوجد بالرواية ايضا ، مقارنات خفيفة بين الفن والادب والعلم ، ففى احد المواضع يقول « نجيب محفوظ » على لسان احد ابطال الرواية :

« قديما كان للفن معنى حتى ازاحه العلم من الطريق وافقده كل معنى » .. ثم يقول فى موضع اخر ..

« اقرأ اى كتاب فى الفلك او فى الطبيعة او فى اى علم من العلوم وتذكر ماتشاء من المسرحيات او من دواوين الشعر ثم اختبر بدقة احساس الخجل الذى سيجتاحك » ص ٢٣ ومابعدها .

ثم فى فقرة تالية :

« هذا الشعور المخجل لايعانيه الا الفنان المنبوذ من الزمن »

فنجيب محفوظ ، يربط العلم بالزمن برباط مباشر فمن لايتطور بالعلم ومع العلم ، يصبح منبوذا من الزمن ، ترى هل يشعر نجيب محفوظ بشعور مقارب لذلك لانتمائه الى فئة الادباء ، فى عصر - يطلق هو نفسه عليه - عصر العلم والعلماء ؟ سؤال مفتوح موجه اليه .. بعد فوزه بجائزة نوبل فى الاداب .

ويستمر نجيب محفوظ فى قدح زناد فكر قارئه باثارة القضية تلو الاخرى فى الحوار ، ويستطرد فى نفس الرواية مقارنا بين الفن والعلم والقانون على لسان احد ابطال الرواية .

« **لقد مات القانون قبل الفن وتغير مفهوم الفن ونحن لاندرى ، عهد الفن قد مضى وانقضى وفن عصرنا هو التسلية والتهريج ، هذا هو الفن الممكن فى زمن العلم ويجب ان نتخلى للعلم عن جميع الميادين عدا السيرك** »

ثم فى موضع اخر فى نفس الرواية :

● العلم وحده ليس كافيا لتحقيق السعادة بين البشر .

« بل قضى العلم على الفلسفة والفن »

وتزداد الجرعة عن العلم فى هذه الرواية ، فتظهر مرة اخرى بطريقة شبه مباشرة فى الحوار بين « عمر الحمزاوى » بطل الرواية وابنته التى تهوى الشعر ، فيقول لها وكانه جيل مضى يخاطب جيلا جديدا :

« هل اطمع ان تعدينى بالا تفرطى فى دراستك العلمية ؟ يمكن ان تكونى شاعرة وفى ذات الوقت مهندسة .. مثلا »

ثم يقول لابنته بعبارات قوية تشى بمكنون نفسه من اقتناع بالعلم وايمان به :

« لا احب ان تنتهى يوما فتجدى نفسك فى العصر الحجرى على حين يعيش من حولك عصر العلم »

وبعد .. الا تتفق معى - عزيزى القارىء - ان كاتبنا العظيم يكن تقديرا للعلم يفوق كل حد ؟

● بين رؤية عالم ورؤية أديب

ربما يكون غريبا - مقارنة رؤية عالم برؤية اديب ، حيث ان السائد ان العلماء يهتمون عادة بالجانب العلمى لتخصصاتهم الدقيقة ، دون النظر الى تأثير التقدم فى هذه التخصصات على البيئة والمجتمع من حولهم ، ولكن اذا كانت هذه سمة معظم العلماء فانها بالقطع ليست سمة « العلماء الحقيقيين »ذوى الرؤى المتكاملة للكون من حولهم ، ومثال ذلك « البرت اينشتين » وهو غنى عن التعريف ، ونيلز بوهر (احد علماء الذرة الاوائل) ، ونوربرت فينير (ابوعلم السبيرنطيقا) وغيرهم فالقارىء لهؤلاء العلماء يستطيع بوضوح ادراك انهم الى جانب براعتهم فى تخصصاتهم الدقيقة فانهم يملكون رؤى واضحة لتأثير اكتشافاتهم على المجتمع من حولهم وعلى العلاقات الانسانية وبدون الاسترسال فى هذا الاتجاه فقد كتب احد هؤلاء العلماء ، وهو الدكتور « نوربرت فينير » مكتشف علم السبيرنطيقا Cybernetics فى مقدمة كتابه عن هذا العلم - مايشير الى رؤيته لتأثير هذا العلم على العلاقات الانسانية ، ومن الغريب ان هذه الرؤية تقترب كثيرا من رؤية اديبنا الكبير نجيب محفوظ لدور العلم فى حياة البشر فى روايته اولاد حارتنا - مع اختلاف الاقتراب والتناول لكل منهما لهذه القضية ولنتأمل ماكتبه العالم اولا ، ثم نقارنه بما كتبه الاديب .

يقول نوربرت فينير بالحرف الواحد ..

« ان التوصل الى اكتشاف هذا العلم (يقصد السبيرنطيقا) قد فك احتمالات كبيرة لقوى هائلة للخير والشر .. ثم يستطرد قائلا : « ان الامل واه جدا فى استخدامه لخير البشرية حيث ان القوة عادة ماتتركز فى ايدى اشد الناس استهتارا »

● سيطرة العلم فى غياب الايمان بالقيم الروحية يؤدى الى اختلال قيمة العدالة ..

العلم والروح

فى أدب نجيب محفوظ

ان القارىء لهذه الكلمات يرى بوضوح ان هذا العالم الجليل - يقرر ان للعلم وجهين وجها خيرا واخر شريرا ثم بقوله ان القوة عادة ماتتركز فى ايدى اشد الناس استهتارا ، انما يعنى ببساطة - مدى اقتناعه بتغلب الشر على الخير فى هذه الحالة ، لقد تنبأ هذا العالم - فى مقدمة كتابه الاول عن هذا العلم والذى كتبه عام ١٩٤٨ان التطور الهائل الذى سينشأ من تطور علوم السبيرنطيقا ، لن يؤدى فقط الى استخدامها فى تطوير اسلحة ووسائل الدمار ، بل انه أيضا سيؤثر على وسائل الانتاج وشكل المجتمع كما انه سيؤدى إلى اتساع الهوة بين الدول المالكة للتكنولوجيا والدول المتخلفة ، وقد استطرد هذا العالم فى رؤيته فتنبأ بما حدث اليوم - من اختلال فى العلاقات الاقتصادية بين الدول الغنية والدول المتخلفة حيث لاتجد الاخيرة حاليا ماتقايض به الدول الغنية ، وقد اقترح د . فينير حلا لهذا الموقف ، ان على العالم ان يجد قوانين اخرى تقوم على اسس انسانية لتنظيم العلاقات الاقتصادية بين الدول الغنية والفقيرة .

اذن فان رؤية هذا العالم يمكن تلخيصها ببساطة ان للعلم وجها اخر قبيحا وان التقدم العلمى ان لم تحكمه قواعد اخلاقية سوف يؤدى الى اختلال فى العلاقات الانسانية .

أليس هذا قريبا مما اراد نجيب محفوظ ان يقوله للقارىء فى روايته « اولاد حارتنا » فالعالم والاديب قد اتفقا على ان العلم يحمل الشر كما يحمل الخير ، فشخصية عرفة التى استخدمها نجيب محفوظ لتجسيد العلم فى اولاد حارتنا تحمل الكثير من الشر ، فقد جعله يقتل الجبلاوى رمز القيم الروحية فيختل ميزان العدالة بين الناس .. اذن فطغيان العلم فى غياب القيم الروحية سوف يؤدى الى اختلال العدل بين البشر وهى قيمة هامة لسعادة البشرية ولكن نجيب محفوظ فى روايته اولاد حارتنا يترك الناس فى انتظار عودة الجبلاوى حتى تكتمل سعادتهم اى انه يرى ان سعادة البشر لاتكتمل الا بعودة الايمان بالقيم الروحية .

اذن فقد اتفق الرجلان العالم والاديب ان للعلم وجهين وجها خيرا واخر شريرا ، وان طغيان العلم ، سوف يؤدى الى تعاسة البشر ، وانتشار الظلم وغياب العدالة .

ولكنهما اختلفا فى الحل الذى يريانه لعودة السعادة والعدالة الى البشر واعادة الاتزان فى العلاقات بينهم فبينما يرى العالم د . فينير ان الحل يكمن فى محاولة تغيير القواعد الاقتصادية للتعامل بين البشر (وقد ثبت فشلها حتى الان ، ثم فلنتساءل ما الذى يدفع الاقوياء الى ذلك ؟) فان نجيب محفوظ يقدم رؤية اكثر شمولا حيث يرى ان الايمان بالقيم الروحية هو الطريق لتحقيق سعادة الانسان واعادة الاتزان الى حياته وخلاصه من ازمته .

وبلاشك - فلو آمن الاشرار بالقيم الروحية لما استخدموا العلم فى القتل والتدمير ، ولما قايضوا الفقراء من البشر ، على مبادئهم وحرياتهم وهل هناك اقوى من الايمان وسيلة لكبح جماح الشر فى نفوس البشر ؟

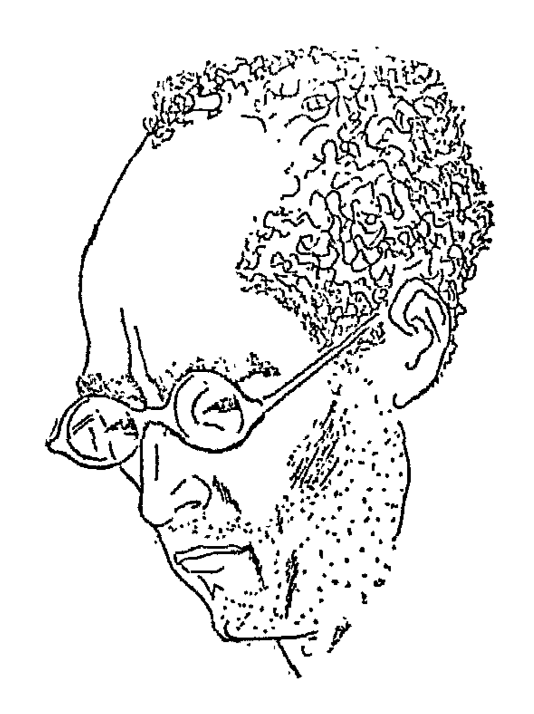


للويس عوض

بقلم : د. جابر عصفور

كتابة السيرة الذاتية عملية تنطوى ـ فى غير حالة ـ على إحساس دافعى بأزمة متعددة الأبعاد ، أزمة تتضمن مايهدد الذات المبدعة ، ويعرقل حركتها فى الحاضر ، ويقطع خطوها صوب المستقبل ، فترجع الذات المبدعة إلى تاريخها ، تتأمل إنجازها ، منقسمة الانقسام الذى يجعل منها ذاتا متأملة وموضوعا للتأمل . وبقدر ماتتطلع هذه الذات إلى نفسها كما لو كانت تتطلع إلى مرآة ، فإنها ترقب الموجب والسالب فى وعيها ، وترصد نقاط القوة والضعف فى حياتها ، مؤكدة الموجب ، مبرزة نقاط القوة ، متحركة بوعيها عبر مهاد غير ثابت من الزمن ، يبدأ من لحظة البداية التى تحمل بشارات النهاية .

بعبارة أخرى ، تضطر الذات ـ بضغط من الواقع ، وفى آلية دفاعية ازاء عدوانيته ـ إلى الدخول فى عالم الذاكرة ، واحة الذات المشتهاة وقلعتها الدفاعية ، وبمقدار ماتتيح الذاكرة لهذه الذات سفرا دائما هو انعتاق من أسر الحاضر فإن الذاكرة تنفى حدة اغتراب الذات فى واقعها بتعقل مكونات مستودع وعيها الذى يتضمن لحظات ومواقف وأفكارا وانجازات ومؤلفات وألوانا من السلوك أعطت لحياة الذات مسارا ومعنى ، وجعلت منها ماهى عليه ، من حيث هى ساحة لصراع ورمز لقيمة وهدف لهجوم فى حاضر يغترب عنها وتغترب فيه . ولاتتباعد الذات عن هذا



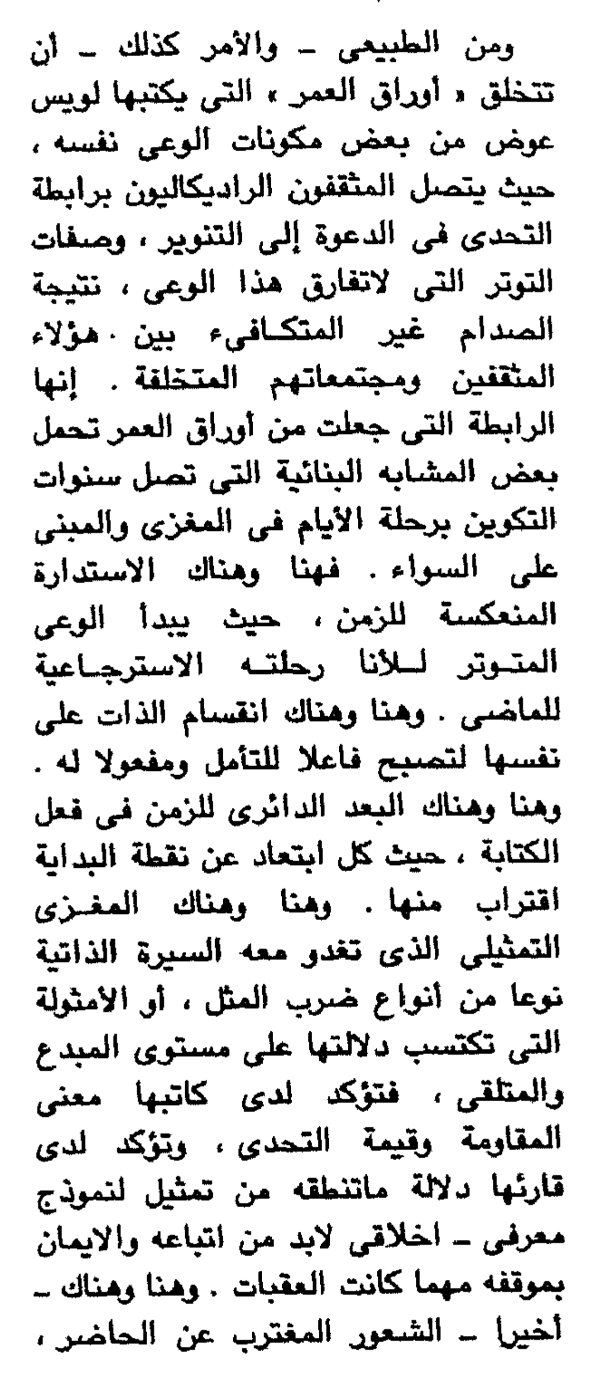
الحاضر فى الزمان أو المكان إلا لتعود إليه ، ملحة على مافيه بطرائق مباشرة أو غير مباشرة ، فهذا الحاضر هو العنصر المهيمن الذى تتحدد بإشاراته الخفية مناطق التوقف فى رحلة وعى الذاكرة لمكوناتها عبر الزمان والمكان ، حيث تبدأ الرحلة ببعديها الزمانى والمكانى من نقطة واحدة تعود إليها ، فى حركة دائرية تبدأ من حاضر الكتابة وتنتهى به مهما تباعدت عنه مشيرة دائما إلى مايؤكد قدرة الذات على تجاوز أزمات موازية لأزمة الحاضر ، فى إلحاح تؤكد دلالته الضمنية رغبة الذات فى استعادة تكاملها إزاء عدوانية واقعها .

هذا هو المعنى الأساسى الذى تضمنته « الأيام » لطه حسين ، حيث رحلة الفتى الذى واجه عجزه ، وتحدى تخلف مجتمعه ، وانتصر على عوامل الضعف داخله ، والذى عاد إلى واحة الذاكرة ، فى أحرج لحظات حياته (عام ١٩٢٦) فى ذروة أزمة كتاب « فى الشعر الجاهلى » فكانت هذه العودة إعادة بناء لماضى الذات ، واجتلاء خلاقا لعناصر القوة التى حققت معجزة الفتى فى الماضى ، واغناء للامكانات التى تفجرت عنها قرارات الفتى نفسه فى مواجهة أزمات العشرينيات ، ومن بعدها أزمات الثلاثينيات والأربعينيات ، وغيرها من الأزمات المقدورة على كل من ينذر نفسه للحلم الجليل الذى يبشر بانتقال مجتمعه من مستوى الضرورة إلى مستوى الحرية .

● رسالة التنوير

هذا المعنى هو ماتنطوى عليه سيرة لويس عوض ، تلميذ طه حسين ، وحامل رسالته التنويرية إلى أقصى مداها ، وذلك فى الجزء الأول الذى صدر منها بعنوان رئيسى هو : « أوراق العمر » وعنوان فرعى هو « سنوات التكوين » حيث يستعيد لويس عوض البدايات التى تضمنت النهايات ، وأومأت إلى حتمية حصاد « أوراق العمر » كلها .

صحيح أن أوراق العمر للويس عوض لاتبدأ من وعى درامى متوتر ، يواجه أزمة مباشرة ، حادة عنيفة ، مثل تلك التى واجهها طه حسين عام ١٩٢٦ ، فكانت دافعا لرحلة الوعى المعاكسة فى الزمن ، حيث بدايات « الأيام » ولحظة المواجهة الأولى بين الذات ومايعوق انطلاقها فى آفاق المعرفة ومن المؤكد أن لويس عوض لم يصدر كتابا أثار المؤسسات التقليدية وأهاجها واستعداها على نحو مافعل كتاب فى الشعر الجاهلى . ولكن فى « أوراق العمر » مايصل بينها وبين الأيام التى عاناها طه حسين . إن التلميذ يذكر بأستاذه فى تحدى المؤسسات التقليدية للمجتمع ، ويذكر بأستاذه فى بعض الوقائع الحياتية الدالة . وإذا كان طه حسين قد طرد من الجامعة عام ١٩٣٢ (تحديدا فى ٣ مارس) وكان طرده مفتتح تدخل السلطة السياسية فى البطش باستقلال الجامعة فإن لويس عوض كان على رأس الموجة الثانية من صور هذا التدخل ، حين طرد من الجامعة مع أكثر من خمسين أستاذا ومدرسا بقرار من مجلس قيادة الثورة فى ١٩ سبتمبر ١٩٥٤ (ووافق مجلس الوزراء على ذلك فى ٢١ سبتمبر ١٩٥٤) . وإذا كان طه حسين قد عانى عنت حكومة صدقى باشا فأن لويس عوض قد عانى



متاعب الوجه غير الديمقراطى للناصرية ، حين اعتقل عام ١٩٥٩ ، وظل معتقلا قرابة عام إلى أن أفرج عنه عام ١٩٦٠ . وإذا كان طه حسين ظل هدفا للاتهام بتهم العمالة والتبشير والكفر والالحاد والانحلال والاقليمية فإن التهم الظالمة نفسها تصل بين التلميذ والاستاذ ، وتفصل فى الوقت نفسه بين دعاة التنوير ودعاة الاظلام .

ومن الطبيعى ـ والأمر كذلك ـ أن تتخلق « أوراق العمر » التى يكتبها لويس عوض من بعض مكونات الوعى نفسه ، حيث يتصل المثقفون الراديكاليون برابطة التحدى فى الدعوة إلى التنوير ، وصفات التوتر التى لاتفارق هذا الوعى ، نتيجة الصدام غير المتكافىء بين هؤلاء المثقفين ومجتمعاتهم المتخلفة . إنها الرابطة التى جعلت من أوراق العمر تحمل بعض المشابه البنائية التى تصل سنوات التكوين برحلة الأيام فى المغزى والمبنى على السواء . فهنا وهناك الاستدارة المنعكسة للزمن ، حيث يبدأ الوعى المتوتر لـلأنا رحلتـه الاسترجـاعية للماضى . وهنا وهناك انقسام الذات على نفسها لتصبح فاعلا للتأمل ومفعولا له . وهنا وهناك البعد الدائرى للزمن فى فعل الكتابة ، حيث كل ابتعاد عن نقطة البداية اقتراب منها . وهنا وهناك المغـزى التمثيلى الذى تغدو معه السيرة الذاتية نوعا من أنواع ضرب المثل ، أو الأمثولة التى تكتسب دلالتها على مستوى المبدع والمتلقى ، فتؤكد لدى كاتبها معنى المقاومة وقيمة التحدى ، وتؤكد لدى قارئها دلالة ماتنطقه من تمثيل لنموذج معرفى ـ اخلاقى لابد من اتباعه والايمان بموقفه مهما كانت العقبات . وهنا وهناك ـ أخيرا ـ الشعور المغترب عن الحاضر ،



طه حسين — عباس العقاد

والألم المصاحب للاحباط المتولد عن تخلف الواقع وعدوانيته ، ومايرصفه من قيـود تسجن الخطى وتعرقـل تقدم المعرفة .

● تحدى الواقع

وأنا أتحدث عن الألم الذى يعرفه قراء طه حسين ، حين يشير إلى الحاضر الذى يجعل الحر شاحطا فى بلاد ليس فيها متسع ، خصوصا « حين يكثر من حولك الأعداء ... ويسعى بك الساعون ، ويكيد لك الكائدون » إنه الحاضر نفسه الذى يتحول فى الزمان ، ويقسو فى الملامح والقسمات ، فيجعل التلميذ الشيخ ، لويس عوض ، يردد فى أوراق العمر عبارات تذكرنا بعبارات استاذه ، خصوصا حين يتحدث عن أعدائه الأقوياء ، ولكن الشعور الممض بالحزن الذى تنطقه أوراق العمر لافت للانتباه فاقع فى الدلالة . لايوازيه سوى نبرة الاصرار على تحدى الواقع المتخلف للحاضر ، على نحو يولـد احساسا مضادا موجبا يواجه سلب الاحساس الأول ويقابله كما تتقابل الاضداد . وإذا كان الاحساس السالب يدفع إلى التساؤل الضمنى عمّا إذا كانت الرحلة كلها تستحق مابذل فيها ومن أجلها ، خصوصا حين تتداعى صور الغلظة والتخلف الانسانى والجهالة على

المستوى الفردى ، وصور الظلم الناتج عن سخط المؤسسات التقليدية وتسلطها الارهابى على المستوى العام ، فإن الاحساس الموجب يواجه سلبية نقيضه وينفيه بالاجابة التى تؤكد قيمة الهدف من الرحلة . وذلك فى دلالة متكررة الرجع ، تصل إلى ذروتها الختامية فى الصفحة قبل الأخيرة من « أوراق العمر » حين نقرأ الأسطر التالية :

وأنا الآن على بعد خمسين عاما من هذه الأحداث التى استرجعها فى **تأمل حزين ورغم خمسين كأسا من العلم جرعتها حتى الثمالة** ، لست نادما على اختيارات حياتى ، مع أنى أقترب من القبر ولا أملك شيئا من متاع الدنيا غير لقمتى وسترتى ووفاء الشباب من قرائى على تعاقب الأجيال . ولو عدنا إلى الوراء لبدأت كل شىء من جديد ، حتى حماقات حياتى » (ص ٦٢٥ ـ ٦٢٦) .

إن "التأمل الحزين" فى هذه الأسطر يدفع إلى التساؤل عن أسبابه ، وعن المبررات أو العوامل التى جعلت من الخمسين عاما السابقة على لحظة التأمل خمسين كأسا من العلقم . ولهذا التساؤل أولويته البالغة ، ونحن نتحدث عن لويس عوض على وجه الخصوص ، فنحن نتحدث عن مثقف من نوع متفرد . أثمر فى الدراسات الأدبية مايربو على عشرين كتابا من الكتب العلامات ، ابتداء من "فى الأدب الانجليزى الحديث" (١٩٥٠) ومرورا بالمؤثرات الأجنبية فى الأدب العربى الحديث (٦٢ ـ ١٩٦٣) والاشتراكية والأدب (١٩٦٣) والبحث عن شكسبير (١٩٦٥) ونصوص النقد الادبى (١٩٦٥) وعلى هامش الغفران (١٩٦٦) والثورة والأدب (١٩٧٠) وأسطورة أورست والملاحم العربية (١٩٦٨) .. والقائمة طويلة بالغة الثراء . ولقد انتج فى الفكر السياسى والاجتماعى مايزيد على عشرة كتب اشكالية ، تصل ما بين دراسات فى النظم والمذاهب (١٩٦٢) والجامعة والمجتمع الجديد (١٩٦٤) والحرية ونقد الحرية (١٩٧١) ودراسات فى الحضارة (١٩٨٨) لتؤصل وضعا يوجه ثقافتنا فى مفترق الطرق (١٩٧٤) ويحدد موقفا من أقنعة الناصرية السبعة (١٩٧٦) على نحو يظل الهدف النهائى متجها دائما لمصر والحرية (١٩٧٧) وأضف إلى هذه القائمة ما أثمره لويس عوض فى الترجمة ، حيث قدم مالايقل عن ثمانية أعمال تأسيسية لكل من اسخيلوس وهوراس وشكسبير وبن جونسون وشيللى وأوسكار وايلد . وأبدع فى المسرحية والشعر والرواية والسيرة الذاتية ، ابتداء من "بلوتولاند" التى كانت ارهاصا بحداثة القصيدة العربية (١٩٤٧) وانتهاء بأوراق العمر (١٩٨٦) . ولن يغيب عن البال لويس عوض المؤرخ الذى اقتحم تاريخ الفكر المصرى الحديث (١٩٦٩) بالجرأة نفسها التى كانت وراء الأطروحة الأساسية فى كتاب مقدمة فى فقه اللغة العربية (١٩٨٠) الذى تمت مصادرته .

● تأصيل المنهجية

وإذا أضفنا الى هذه الكتابات الأدوار التى قام بها لويس عوض الأستاذ الجامعى فى تأصيل معنى الجامعية والمنهجية بالنسبة لتلاميذه ، والمفكر الذى لم يتردد فى اقتحام حقول ألغام الواقع تأكيدا للاستنارة ومعنى حرية الفكر ، والناقد الادبى الذى لم يكف عن الدعوة اللاهبة إلى الجديد وتشجيعه ومتابعته عبر الاجيال المتلاحقة من

الثلاثينيات إلى السبعينيات ، إذا أضفنا إلى الكتابات الأدوار أدركنا أننا إزاء آخر الموسوعيين من التنويريين الذين يتمسكون بقيم العقل والعلم والتطور والحرية والعدل والديمقراطية تمسكهم بنسمات الحياة نفسها ، بل ازاء اقصى ماوصل اليه التنوير العربى من آفاق راديكالية ، قرنت اسم لويس عوض وحضوره وانجازه بالدعوة الدائمة للجديد والعداوة الضارية للقديم ، لأكثر من نصف قرن .

هذا المثقف المتفرد الذي صار بإنجازه وأثره عنصرا أساسيا ومكونا فاعلا فى استنارتنا المعاصرة وفكرنا الحداثى وطموحنا الاجتماعى السياسى وتذوقنا الأدبى ، هذا المثقف بدل أن يشعر بالفخر والزهو وأكاليل الغار والفرح بما انجز وبما مثله ويمثله من قيمة ، يسترجع حياته فى تأمل حزين ، وشعور ممض تتحول معه السنوات الخمسون من الصراع إلى خمسين كأسا من العلقم ، نتجرعها معه ونحن نتساءل عن سر هذه التعاسة التى لاتفارق . المثقف الراديكالى فى هذا العصر والتى تصل إلى أقصى مداها فى أورواق العمر .

هذا التساؤل تردنا إجابته إلى طبيعة عصر لويس عوض واختلافه عن عصر أستاذه طه حسين من ناحية ، وإلى طبيعة الفارق بين فكر جيل طه حسين الليبرالى والفكر الأكثر راديكالية لجيل لويس عوض من ناحية ثانية ، وإلى تغيرات وعى الاقلية التى لاتخلو منه كتابات لويس عوض من ناحية ثالثة . لقد طرد طه حسنين من الجامعة فى اوائل الثلاثينيات غير انه عاد إليها محمولا على أكتاف طلابه بعد ثلاث سنوات أو أقل (تحديدا فى ديسمبر ١٩٣٤) . أما لويس عوض فقد طرد من الجامعة فى الخمسينيات ولم يعد اليها الى الآن ، ولو حتى على سبيل الدعوة إلى القاء محاضرة عامة (محاضرة واحدة فحسب) فى القسم الذى أسهم فى تأسيس مافيه من قيم علمية . ولقد وقع طه حسين تحت طائلة المساءلة القانونية فى العشرينيات ، ولكن التهمة حفظها وكيل نيابة مستنير ، ودافع عنها وزير معارف مستنير (كان الوزير وفديا هو على الشمسى وطه حسين من اعداء الوفد ، أى الاحرار الدستوريين) ، أما لويس عوض فقد ألقى به فى المعتقل ، حيث واجه الاهانة والتعذيب ، مع مئات من مثقفى مصر ، وخلاصة وعيها ، دون تحقيق قانونى ، أو تهمة حقيقية ، فى مختتم الخمسينيات .

وإذا كان الجيل الليبرالى لطه حسين والعقاد وهيكل قد تحول عن جذريته العلمانية إلى اصلاحية مهادنة بعد معاهدة ١٩٣٦ التى كانت بمثابة "الحل الوسط الكبير" فإن لويس عوض ظلت راديكاليته قرينة منظور لايقبل المهادنة أو الهوادة ، حتى بعد أن تجاوز الخامسة والسبعين ، فهو ـ كما يصف نفسه بحق ـ "تقدمى فى الفكر والأدب ، تقدمى فى السياسة والاقتصاد ، تقدمى فى القيم الاجتماعية ، تقدمى فى المفاهيم الدينية" .

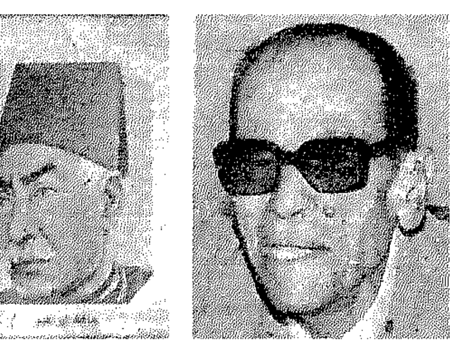
ولقد كان الجيل الليبرالى ، اخيرا ، يعيش اللحظات التاريخية الصاعدة لوحدة شطرى الامة مع المد الزاهر لثورة ١٩١٩ وفى أعقابها ، فى الوقت الذى كان يعيش مناخا من التسامح الاعتقادى جعل من شاعر مثل حافظ ابراهيم (صفى الامام محمد عبده شيخ الجامع الازهر العظيم) لايتردد فى رثاء الدكتور شبلى شميل عام ١٩١٧ بقوله :

إيه شبلى قد أكثر الناس فيك الـ
– قول حتى تفننوا فى عتابى
قيل : ترثى ذاك الذى ينكر النو
ر ولايهتدى بهدى الكتاب ؟!
قلت : كفوا فإنما قمت أرثى
منه خلا أمسى طويل الغياب
كان حر الآراء لايعرف الختـ
– ل ولا يستبيح غيب الصحاب

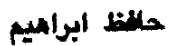
أما جيل لويس عوض والجيل اللاحق فقد عاش عصرا مختلفا ، واكتوى بالثمار التى خلفتها هزيمة ١٩٦٧ ، وما صاحبها من ظهور اسلام النفط والتطرف الدينى وانفلات النغمات الشائهة التى تحول اى خلاف الى اتهام دينى او غمز فى المعتقدات ، وذلك فى تصاعد ارهابى قمعى يوازى تصاعد الثروات النفطية ومصاحباتها الانفتاحية ، على نحو غدا معه كل تراثنا التنويرى العظيم وحضوره الحى مهددا بارهاب فعلى اداته الرصاصة لا الكلمة . وانتقلنا من استنارة الخطاب الأدبى لحافظ ابراهيم الى خطاب مخالف ، تسلطى ، قمعى ، صار معه لويس عوض (أجاكس عوض) الدمية التى تلهو بها أصابع هيئات التبشير ودوائر الاستعمار لتؤدى مايراد منها ، فلا ترى او تنطق الا بتسبيح اليونان والروم والصلبان والجنرال يعقوب ؟! . وحتى عندما يحصل هذا التنويرى العظيم على جائزة الدولة التقديرية ، بعد أن تجاوز الخامسة والسبعين ، وبعد أن حصل عليها من هم أقل شأنا من تلامذته ، تتعكر الفرحة المتأخرة بنعيب الطائفية والتعصب الجهول .

هذه الدوال التى تشير الى متغيرات التاريخ تتحول إلى مدلولات تبرز نبرة التأمل الحزين لصوت لويس عوض فى أوراق العمر بالقياس الى غيرها من ايام الجيل السابق . وهى دوال تشد أوراق العمر إلى منطقة المذكرات التى توازى بين الوعى التاريخى والتوثيق المرجعى فى نوع من الكتابة ، يصل بين السيرة الذاتية من حيث هى نوع أدبى والكتابة التاريخية من حيث هى تأمل فكرى ، فى فعل متحد يسعى إلى أن يكتشف العلة ويتعرف الاسباب الكامنة وراء تحولات المجتمع وتقلب أوراق عمره . وأول ما تتجلى لوازم ذلك لغة فى ضمير الخطاب الذى ينطق أوراق العمر ، حيث تختفى الأنا الفردية ، الطاغية فى حضورها المصاحب للخاصية الشعرية والوظيفة الانفعالية التعبيرية للكلام ، وتحل محلها أنا أخرى مثقلة بوعيها التاريخى ، ومتميزة بلغتها الوصفية ذات الوظيفة الاشارية الغالبة . ومن خيوط التاريخ ، تتشكل خلفية المشهد الذى تتحرك فوق مهاده هذه الأنا ، فى علاقات اجتماعية تبرز ابعادها الطبقية ، وعلاقات سياسية لها طبيعتها الصراعية . وذلك على نحو يلتقى معه تسجيل ماهو خارج الأنا وتصوير ماهو داخلها ، فى خطاب متباين المكونات ، متعدد الوظائف ، يصل بين التأريخى الوثائقى والأدبى الانشائى .

ولكن علاقة الخارج بالداخل لافتة للانتباه فى أوراق العمر ، فالتركيز على الخارج أكثر من التركيز على الداخل ، والأنا تبدو كأنها مغرمة بالفرار من ذاتها أكثر من الحديث المباشر عن نفسها . وسواء كان ذلك من الخصال النفسية للشخصية او محاولة للفرار من انفعالات التأمل الذاتى الحزين أو نتيجة مباشرة




نجيب محفوظ



حافظ ابراهيم

لطبيعة الوعى التاريخى فإنه يجعل من أوراق العمر تشكيلا متميزا على المستوى الأدبى للسيرة الذاتية . أعنى تشكيلا ينطبق عليه ماقاله اليوت من أن الشعر (ومن ثم الكتابة) فرار من الشخصية وليس تعبيرا عنها . وأوراق العمر من هذا النوع من الكتابة . إنها تتكون من تسعة عشر فصلا . ثمانية منها عن الأحداث السياسية والشخصيات والنماذج النمطية الدالة على الواقع السياسى الاجتماعى ، ابتداء من ريا وسكينة وأدهم الشرقاوى ومارجريت فهمى ، مرورا بالعنف السياسى والانقلاب الدستورى الأول (أحمد زيور) والانقلاب الثانى (محمد محمود واليد الحديدية) والانقلاب الثالث (اسماعيل صدقى وأصحاب المصالح الحقيقية) وانتهاء بمولد الفاشية المصرية . وثلاثة فصول عن العائلة ، تشير إلى ماقبل الذكريات وبروفيلات الاقرباء ، وأربعة فصول عن الأساتذة والزملاء ، حيث العمالقة الثلاثة (طه حسين والعقاد وسلامة موسى) وزملاء كلية الآداب الذين يمثلون لوحة شرف الجامعة المصرية التى ينبغى أن تكون موضع فخار الأجيال المتعاقبة من أبناء كلية الآداب ، عسى أن تدفعهم إلى العمل على استرداد المجد الذى كان . ولايبقى خالصا للذات سوى أربعة فصول فحسب ، عن اليقظة المبكرة وسنوات التكوين وذكريات المدرسة الثانوية وبدايات الرحلة . وحتى هذه الفصول تحدق العين فيها صوب الخارج أكثر من الداخل ، وتبدو الذات وكأنها تنفر من كل ما هو شخصى حميم ، فالقرار الفاشل للذهاب الى امريكا فى سن الرابعة عشرة على سبيل المثال ، والتجربة الجنسية الأولى والقصيدة الأولى وتفاصيل العلاقة الحميمة بالأصحاب ـ كل ذلك يمر سريعا كاللمح ، كما لو ان الأنا التى تقص السيرة تذكرة لاستكمال عناصر المشهد ، وذلك مقابل التأنى ازاء مايقع فى الخارج ، التأنى الذى يصل الى حد التوثيق والعودة إلى صحف العصر ومؤلفاته فى الكتابة عن ريا وسكينة أو مرجريت فهمى أو أدهم الشرقاوى (وللاختيار دلالة الامثولة فى هذا المقام) .

وبقدر مايلمح دارس الفكر ملامح الوعى التاريخى الذى يسيطر على أوراق العمر فان الناقد الأدبى يلمح نزوعا كلاسيا موازيا . واذا كان اليوت الذى استشهدت به يعد نموذجا للاحياء الكلاسى ، فإن لويس عوض نموذج لنزعة كلاسية من نوع مقارب . هذه النزعة هى التى جعلته يميل الى الأدب العقلانى الواقعى ، والنقد التفسيرى التاريخى ، وينفر من العبثية والسريالية فى الأدب ، وعلم المعانى الجديدة (السيمانطيقا الجديدة) عند أوجدن ، ومن البنيويات الاحدث بمعناها الشكلى او التوليدى فى النقد الأدبى . إنها النزعة التى تبحث عن السببية المنطقية فى فهم تشكل المعنى الادبى للعمل وعن البيئة الاجتماعية فى تفسير تولده وهى نفسها الوجه الأدبى لمكونات الوعى التاريخى الذى تنطقه أوراق العمر وتتأسس به .

والحرص على منطق السببية التوليدية هو المسئول عن مجموعة من الأوراق الدالة الكاشفة فى سنوات التكوين من أوراق العمر ، سواء بالمعنى الأدبى او الاجتماعى أو حتى اللغوى . والمقارنة التى عقدها لويس عوض بينه وبين نجيب محفوظ لافتة فى هذا المجال ، وهى التيمة الأساسية فى الفصل الرابع كله عن اليقظة المبكرة . هنا ، نواجه المغايرة فى التنشئة الاجتماعية ، وهى مغايرة تتجسد خلال ذكريات ١٩١٩ التى يعكسها نجيب محفوظ **(وهو أكبر من لويس عوض بثلاثة أعوام فهو من مواليد الجمالية فى ١١ مارس ١٩١١ ولويس عوض مواليد المنيا ٥ يناير ١٩١٤) على مرايا شخصياته وأحداث روايته "بين القصرين"** ، حيث تتوارى ثورة ١٩١٩ فى خلفية الأحداث إلى حد أن البصر لايرى منها شيئا ، سوى أن أحد أبناء السيد أحمد عبد الجواد قد قتل مصادفة برصاصة فى ظهره من بنادق الانجليز ، فى آخر يوم من أيام الكفاح الوطنى .. أما صدارة الأحداث فهى مخصصة تماما للسيد أحمد عبدالجواد ، نموذج تجار الغورية من الأثرياء التقليديين الذين لم تتعمق الصورة وعيهم ، والأرجح ـ فيما يقول لويس عوض ـ أن نجيب محفوظ رسم نموذج السيد عبدالجواد من تجربة واقعية مباشرة ، فقد كان أبوه ، فى مرحلة من مراحل صباه يدير محلا لبيع النحاس فى الجمالية .

وعلى النقيض من ذلك الشريحة الاجتماعية التى ينتمى اليها لويس عوض ، بأنماطها الثقافية التى تتمتع بحظ وافر من التعليم والعلمانية من ناحية ، وبوعى الأقلية الطائفية من ناحية ثانية .. واذ يشكل ذلك بذور بدايات اليقظة ويرويها فانه يتجه بأوراقها الى الوفد فى الانتماء السياسى الباكر ، حيث تكتمل العقيدة الوفدية (الوطنية والديمقراطية) مابين عام ١٩٢٢ تاريخ عودة الأب الموظف حنا عوض من السودان وعام ١٩٢٧ تاريخ وفاة سعد زغلول .. ويظل الوفد طوال صفحات اوراق العمر ممثلا للعلمانية والوحدة الوطنية ووحدة المواطنة لاينازعه فى ذلك حزب آخر .. بل تزداد عقيدته تأسيسا بتعرف الفكر الماركسى فى مرحلة الجامعة ويلفتنا هذا التكييف المتميز للوفد الى بدايات الوعى السياسى بالمسألة الطائفية ، حيث يلتقى النفور من الحزب الوطنى بدعوته القائمة على إلهاب الشعور الدينى والهجوم على السير ايلدون جورست (خليفة كرومر) بسياسته التى قامت على التودد الى الرأى العام الاسلامى واثارة الفتنة لتعطيل الحركة الوطنية .

وفى بعض ذلك مايلقى الضوء على الأسباب التى تغدو العلمانية نتيجة لها ، حيث يتضافر الوعى السياسى بالمسألة الطائفية مع عمليات المثاقفة والتنشئة الاجتماعية داخل الشريحة الأسرية والطبقية ، وتتشكل قيمة العلم بالنسبة لأسرة تقدس التعليم وتتضامن لاتمامه الى أقصى مستطاع أو متاح ، فهى أسرة تجد ملاذها فى العلم ماظلت لاتشتغل بضبط المجتمع أو انضباطه .. والهوية العلمانية لافراد هذه الأسرة تعبير (مباشر أو غير مباشر) عن وضعها الاجتماعى والطائفى ، ودلالة صورة الأب كاشفة فى السياقات التى تجسده وهو يشرح لابنه

دور رجال الدين فى منع نهضة تركيا ومصر والبلاد العربية ، وفى تعطيل بناء الدولة العصرية فيها على غرار الدولة الأوروبية .

هل كانت بدايات الوعى السياسى بالمسألة الطائفية قرينة التوجه التعليمى من ناحية والدعوة الى العلمانية من ناحية ثانية ؟ ان أهمية الحرص على اكتساب لغة الآخر (الغرب) والتفوق فيها ، والتسليم بأن اتباع نموذجه الثقافى (ومن ثم الحضارى والسياسى) هو السبيل الى الخلاص من التركيبة السياسية الاجتماعية الفكرية المتدنية أمر لاتخطئه العين فى أوراق العمر ، خصوصا حين نعود الى نموذج الأب والأعمام وابناء الأعمام ، حيث ثقافة الآخر ولغته وآدابه وعلمانياته هى الطريق السريع لاكتساب حضارته ، وحيث حضارته (فى بعدها غير الاستعمارى غير الاستغلالى) دعوة الى انسانية تتجاوب مع علمانية الوفد التى تقرن الوحدة الوطنية بالنزوع الهيومانى لوحدة المواطنة الانسانية فى الحضارة .

هذه الدائرة هى التى يتسرب منها كل مايخل بالحياد البارد لمنطق السببية التوليدية فى التفسير الاجتماعى ، فيفسح المجال لمتفجرات دلالية شعورية ، وآليات دفاعية لاتفارق عمليتى العقلنة والتبرير بمعناهما المستخدم فى التحليل النفسى ، خصوصا حين تدخل الانا فى علاقة تضاد مع نقائضها على المستوى الاجتماعى او السياسى او الثقافى الذى يلتبس بالمستوى الدينى أو يومىء اليه . عندئذ ، يهتز الحياد التحليلى الواصف مفسحا المجال للسخرية أو الاشارة اللاذعة ، وفى سياقات تبدو معها الذات كما لو كانت قد ملت الفرار من وطأة انفعالها ، وقررت مواجهة الجميع : الأصدقاء الذين يهادنون ، والرفاق الذين ينكصون ، والزملاء الذين يتراجعون ، والاعداء الذين يسفون . ويتجاور فى هذه السياقات الشعر "السخيف" لأحمد شوقى مع الاشارة الى كبار المستنيرين الذين يعادون الثيوقراطية و"لكنهم يدورون ويناورون فيما يكتبون خوفا من الغوغاء والكهنة" . وفى الوقت نفسه ، تتجاور "السوقة والغوغاء" مع "الرجعية العربية" ، ويتراصف كلاهما مع "بعض المثقفين المصريين" الذين فتحوا دمل التعصب الدينى فطفح مافيه من قيح على السطح .

ولعل رواسب النزعة الفرعونية التى لم تبن عن نفسها سوى مرة واحدة فى أوراق العمر ، وفى عجلة منبترة ، هى رد الفعل المصاحب لأزمة الوعى القبطى عند لويس عوض ، وآليته الدفاعية التى يضطر اليها مرغما عندما يجد نفسه هدفا لهجوم كاسح ، ظالم ارهابى ، باسم العروبة مرة والاسلام مرات . عندئذ ، يمكن أن يحس أفراد العوضية ... احساسا عميقا ليس فقط بفرعونيتهم ولكن أيضا أنهم من نسل ملوك مصر القديمة (ص ٥٥) .

ومن المؤكد أن لويس عوض يعرف أن العرب ليسوا كلهم أعرابا ، وأن فرعونيته لاتتناقض مع عروبته بل تتكامل معها ، وأن عروبته مكون أساسى من ثقافته واسهامه . ومن المؤكد أيضا أن كتاباته وانجازاته أضافت إلى العروبة والعربية مالم يضفه الكثيرون ممن يتشدقون بالعروبة وينافحون عن العربية .

جواهر لال... وكمالا

بقلم: محمد عودة

وأضيفت القصة إلى تراث أساطير الحب الهندية

يقام احتفال كل عام فى بيت آل نهرو فى نيودلهى يشارك فيه خمسون شخصا فقط، هم الذين كانوا أحب الناس وأقربهم إلى قلب انديرا غاندى، طوال حياتها وحتى استشهدت سنة ١٩٨٤.

ويجرى الاحتفال فى حديقة المنزل، ويمضى الجميع اليوم فى تلاوة الصلوات «الهندية» وإنشاد الأغانى الوطنية وينتهى الاحتفال بزيارة النصب المقام حيث تم إحراق جثمانها وفق الطقوس التقليدية.

وتميز احتفال هذا العام بأن وقع «راجيف غاندى» وكان لايزال رئيس الوزراء النسخة الأولى ووزع الكتاب الجديد الذى كانت أمه تحلم بكتابته والذى تقرر أن يتحول إلى فيلم أيضا وكانت أمنية عزيزة على نفس انديرا غاندى أن تكتب قصة حياة أمها «كمالا»، وكان يحزنها أنها عاشت وماتت بطلة مجهولة مغبونة وقد رحلت سريعة فى ذروة شبابها، ولم تنل حقها من التاريخ والتكريم وقد احتل آل نهرو «مكانهم المناسب» سواء بما كتبوه أو بما كتب عنهم، وبقيت واحدة فقط هى أمها «كمالا» فى الظل!

وقد كتب الأب جواهر لال القصة فى فصول من كتابين شهيرين له، الأول فى قصة حياته والتى أهداها إلى التى ذهبت قبل أن تقرأ فصوله الأخيرة.. والثانى فى «اكتشاف الهند» والذى روى فيه النهاية التراجيدية.. ولكن انديرا كانت مصممة على أن تكتب «سفرا» مستقلا يروى قصة الزوجة والأم والمناضلة التى أنكرت ذاتها وقدمت حياتها تضحية للهند، وبدأت ذلك فعلا ولكن لم تمكنها مهامها ومسئولياتها، ولهذا عهدت بالمهمة إلى كاتبة وصحفية صديقة لها هى «برد ميلا كالهان» من صحيفة الهند وستان تايمس. وصدر الكتاب ولم تقرأه انديرا!!

وقد شهد هذا العام وخلال الذكرى المئوية لنهرو سلسلة من الكتب عن حياته

لم يكن نهرو بطلا وطنيا أو رجل دولة او أحد صناع تاريخ هذا العصر فحسب ولكنه كان فنانا عاشقا أحب امرأة واحدة حتى العبادة .. وحينما رحلت مبكرة وتركته وحده ظل وفيا لها ثلاثين عاما ولآخر حياته .

وعاش على ذكراها مكتفيا برعاية ابنته الوحيدة منها .. انديرا ..

صورة التقطت فى جينيف علم ١٩٢٧ تبدو فيها
كمالا نهرو وكريشنا وجوال لال وانديرا وفيجايا لاكشمى



وكفاحه وانتج أيضا عدد من الأفلام التسجيلية والدرامية ولكن رؤى أنه لابد من استكمال حياة نهرو بقصة حبه الكبير والوحيد والذى أصبح أحد «اساطير » الحب العصرية فى الهند ولم تبدأ القصة مع هذا «رومنسية » ولكن بالزواج والذى تم تقليديا عائليا وفق الطقوس والمراسم «الهندوكية » الصميمة !

وحينما اقترب موعد عودة «جواهر لال » من بريطانيا بعد أن أتم دراسته فى كلية هارد جامعة كمبريدج قرر والده أن يختار له زوجة «صالحة » لتكون فى انتظاره .

وكان الأب «موتيلال » قد ارسل ابنه الوحيد إلى بريطانيا ليعود ويعمل معه فى المحاماة أو ليلتحق بأحد مناصب «الخدمة المدنية الهندية » وكانت أرفع المناصب مقصورة على ابناء الارستقراطية الهندية والبريطانية وبشروط خاصة ولكى يؤتمنوا على إدارة الامبراطورية !

وكانت المرشحات كثيرات ولكن وقع اختيار الاب على فتاة صغيرة فقيرة من حى شعبى فى دلهى القديمة كانت براهمية كشميرية من أسرة عريقة ولكن بفارق شاسع واسع فى الثروة والثقافة والمكانة .

وكانت المفاجأة أن الشاب العائد من هارد وكمبريدج بارك الاختيار ، وانطلقت شرارة حب ربطت بينهما من النظرة الأولى ، كانت هندية صميمة جميلة على الفطرة . وكشميرية ذات كبرياء كان الفارق كبيرا بينهما أولا فى السن ـ كانت فى السابعة عشرة من عمرها وكان فى السادسة والعشرين وثانيا فى الثقافة ، إذ لم تتلق أى تعليم مدرسى أو عصرى ، وثالثا فى طريقة الحياة والإنتقال لحياة القصور من الأحياء الشعبية ، ولكن بدأ أيضا أنها لا تخاف أو تهاب !

وقرر أن يأخذ بيدها ويساعدها وأدهشته بأن تأقلمت مع الحياة الارستقراطية وفرضت شخصيتها على الأسرة «المتعالية » ثم تفتح عقلها واستجابت سريعا للآفاق العالية التى كان يحملها اليها .

وقد عاد نهرو من بريطانيا متأثرا بمبادىء الاشتراكيين «الفابيين » ومهموما لهذا بمشاكل الهند ، وقد اعتذر لأبيه ، عن العمل بالمحاماة أو الالتحاق بمنصب فى الخدمة المدنية ووجد ملاذا ومهربا فى الزواج السعيد ثم فى ثمرته وكانت طفلة سميت « أنديرا » .

وذات يوم التقى جواهر لال فى أحد النوادى الخاصة بقديس هائم بدا أنه دخل خطأ إلى النادى وكان يجول الهند طولا وعرضا يبحث لها عن طريق خلاص .

وعرف أنه كان محاميا تعلم فى بريطانيا مثله ، ثم ذهب إلى جنوب أفريقيا للدفاع فى قضية خاصة ، واكتشف هناك قضية عامة أكبر هى اضطهاد الانسان الملون وتحول للدفاع عن « المجنى عليهم » ، وابتدع أساليب مقاومة سلمية « روحية » هزمت الطغاة .. ثم عاد إلى وطنه الهند وخلع روب المحاماة وارتدى ثياب فلاح فقير وبدأ رحلة البحث الطويل .

وتقرر مصير جواهر لال بعد ذلك اللقاء ، ووجد ما كان يبحث عنه وقامت العلاقة

التى قادت الهند إلى الحرية .

واستجابت الملايين «المسحوقة» وانتفضت وراء غاندى ونهرو ، وأصبحت «حقوقها» قضية حياته الأولى والأخيرة .. ولا قضية سواها ، وارتد الحب والبيت والزوجة والابنة بعيدا إلى الخلف ..

لم يكن يعود الا نادرا .. واذا ما حدث كان مرهقا مكدودا ، ولكن كان يجدها كما تعود أن يراها فى «الماضى» سعيدة باسمة وكانت تغمره بحبها وحنانها وتجدد حيويته وثقته .. وايضا تخجله وتثقل على ضميره ..

أخذ يضنيه ويعذبه أنه لم يعد يملك ازاءها شيئا ، وأنه لا يستطيع أن يمنحها شيئا من حقوقها ، وأن الهند استولت عليه واستغرقت كل حياته .

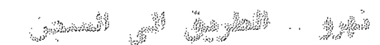
ثم بدأ عناء وعذاب جديد وعصيب ؛ فتحت سجون الهند أبوابها وازدحمت بعشرات الآلاف من الرجال والنساء وكان أولهم ، وطليعتهم واللذين انصب عليهما أشد العقاب والتنكيل هما غاندى ونهرو .. وهيىء للسلطة أنهما لو اعتقلا وأبعدا ، سوف ينتهى «الشغب» .

وأصبح السجن مقرا لايخرجان منه الا ليعودا إليه ثانية ، ولم يعد يرى كمالا ولكن أصبحت خطابات «كمالا» هى عزاءه فى السجن ، والتى تبدد وحدته الثقيلة الوطأة فى الزنازين المنفردة .. وأدهشته قدرتها على الكتابة .. «ولم يكن هناك أجمل من اللحظة التى يصل فيها خطاب منها»

ودفعت خطاباته بها مرحلة أبعد وأعمق ولهذا قررت أن تدع دور زوجة «البطل» التى تنتظر عودته لتجدد ثقته ، وقررت أن تشترك ، وأن تنزل إلى المعركة ، وأن يكون لها دورها الخاص .. إلى جواره !

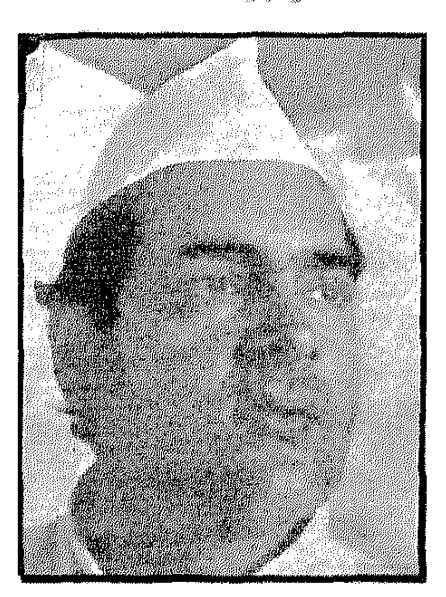
وكانت حياة الأسرة قد انقلبت رأسا على عقب ، اعتزل الأب المهنة وتبرع بكل الثروة ووهب القصر المنيف ليكون بيت الشعب وانضم الى «المهاتما» وطرحت الشقيقتان حياة الترف والرغد وجلستا تحت اقدام أخيهما الأكبر !

ولكن فاقت «كمالا» الجميع وانطلقت إلى القرى والأحياء الفقيرة لتعبىء وتثير


نهرو .. الطريق الى السجن



راجيف غاندى

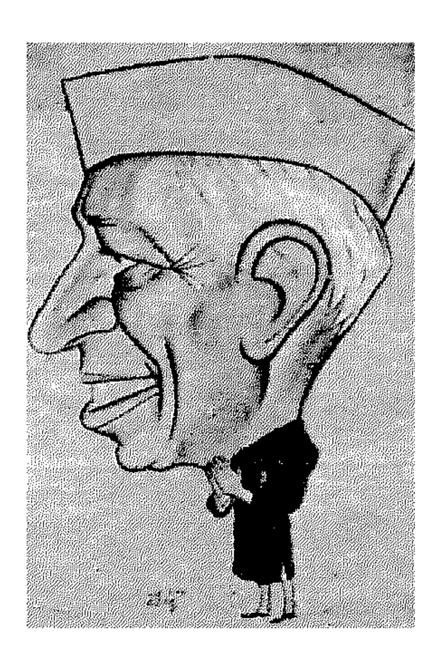


الفلاحات والعاملات ، وتنظم المظاهرات ، وتقود الاعتصامات والصدامات ، ومالبثت أن بهرت الجميع ـ لشجاعتها وقدرتها ، ونصبت بالاختيار العام زعيمة النساء فى « الله أباد » عاصمة الوطنية حينذاك

وذات يوم اعتقل كل الرجال فى المدينة ولم يبق منهم أحد ـ وهبت «كمالا » لتنظم أكبر مظاهرة احتجاج وتقود الصدام وتجاوب صدى الحدث كل الهند ووصل نبأها إلى «المهاتما » ونهرو ، فى السجن .. وشعر نهرو بالفخر كما لم يشعر به فى اى وقت أخر «اذهلنى ما يكمن فى ثنايا كمالا الرقيقة من مواهب «ومعجزات » ولاشك ان هناك ثنايا أبعد وأعمق لم تكشف عنها بعد وكان لابد وأن تنتهى كمالا » إلى المصير المحتوم فى السجن وأخذا يتبادلان الخطابات كل منهما من سجنه ! ! ولم تقو مع هذا على الاستمرار وكان عليها أن تتوقف وتسرب إليها ميكروب « السل » وزحف على كيانها الرقيق وبدأت رحلة عذاب مرير فى التنقل بين المستشفيات والمصحات .. بعد السجون ! !

ووصل النبأ إلى جواهر لال .. وأحزنه حزنا بالغا ولكن ظل يثق أنها سوف تشفى وتهزم المرض ، وتتمخض عن «كرامة » أخرى .

ولكن ذات يوم استدعاه مأمور السجن وأبلغه انه تقرر الافراج عنه مؤقتا لكى



نهرو .. وانديرا .. أكلة هنيئة



يتمكن من زيارة زوجته المريضة وشدد على أن الافراج مؤقت ولهذا السبب «الانساني » فقط .

ووجدها ممددة فى سرير المرض مجرد شبح لكمالا التى كان يعرفها ، نال منها المرض تماما وحاولت جاهدة ان تبتسم وأن تتماسك وأن تعبر عن سعادتها برؤيته ، ولكن كانت الحقيقة أثقل من أن تخفيها وقرر بينه وبين نفسه أن يتفرغ للعناية بها ورعايتها ، ان يكفر عن الذنب الكبير الذى ارتكبه باهمالها والتقصير فى حقوقها ، ولابد أن يغمرها بكل الحب الذى يفيض به قلبه نحوها . ويحيطها بكل الحنان الذى افتقدته ويعبر بها هذه اللحظة الحرجة من حياتها ... وبذل كل ما يستطيع .

ودهش الأطباء للتقدم المضطرد فى صحتها ولتدفق الحيوية فى أوصالها والابتسامة التى عادت لتضىء وجهها ولاستجابتها للعلاج .

ولكن لم يطل ذلك أكثر من عشرة أيام وفجأة جاءت «الحكومة » لكى تستعيده وتخبره أن المهلة انتهت وتجلدت وهى تودعه ، وطمأنته على نفسها وأنها سوف تستأنف الكتابة اليها !

وتدهورت صحتها بعد رحيله وانتابه أرق دائم ، «لقد اصبحت كل شىء فى حياتى ولم يعد ممكنا أن أفكر في الحياة بدونها ، أصبح كلانا يعتمد على الآخر فى كل شىء .. وبعد ثمانية عشر عاما من الزواج ، استقر فهم كل منا للآخر فهما كاملا »

وكتب أيضا : « كانت الآلام أشد مما احتمل لم يسبق ان عانيت هذا القدر من العذاب بل وبدأ الفزع والرعب يتملكنى أحيانا مما عساه أن يحدث لكمالا » .

ومرت بضعة اسابيع ، ثم استدعاه مأمور السجن مرة أخرى وأبلغه أن الحكومة قررت نقله إلى أحد سجون الشمال ليكون قريبا من مصحة جبلية نقلت اليها زوجته للعلاج فى مناخ مناسب ، وأضاف المأمور أن الحكومة رعاية لحالته سوف تسمح له بزيارتها مرتين فى الاسبوع .

وتم ترحيله ووجد نفسه السجين السياسى الوحيد فى سجن موحش بعيد وكان له أن يزورها مرتين في الأسبوع ولساعات قليلة ، ولكن يقضى الوقت كله الليل والنهار على السواء فى عذاب متصل . «فى كل مرة أزورها ، يطاردنى شبح رهيب أن لا أجدها ، ورعب أشد وانا اغادر خشية أن تكون المرة الأخيرة التى أراها »

وكانت تبذل جهدا شاقا فى كل زيارة لكى تبدو افضل وأحسن ، وتخفف عنه قبل أن يسرى عنها ، ولكن كان واضحا أن حالتها تسوء .

وذات يوم جاء من أخبره أن الحكومة على استعداد لان تلغى الحكم وأن تفرج عنه نهائيا لكى يتفرغ لرعاية زوجته فى حالتها الحرجة ولكن بشرط واحد هو أن يتعهد بعدم الاشتغال بالسياسة طوال فترة الحكم ..

«وكان ذلك يعنى خيانة صريحة لنفسى ولمبادئى ولرفاقى ولكل شىء قامت عليه حياتى ولكن ساورنى أيضا احساس أليم ، أليس من حقها أيضا أن أضحى من أجلها .. فى هذه المحنة أليس لها نصيب فى حياتى وقضيت كل أيامى يمزقنى هذا

العذاب ويشل قدرتى على الاختيار » .

وخلال الزيارة التالية نادتنى وطلبت الىّ ـ على غير عادتها ـ أن اقترب منها لأنها تود أن تهمس فى أذنى .

وقالت بصوت خافت .. وحاسم ..

ـ ما هذا الذى يقال عن أنك سوف تتعهد للحكومة بشىء من أجلى اياك أن تفعل «وأزاحت الهم الثقيل ، وتنفست الصعداء .. « عائدا الى السجن » ومضت عدة اسابيع أخرى واستدعاه مأمور السجن ليبلغه أن قرارا صدر بالإفراج عنه نهائيا وأنه سوف يسافر على الفور إلى الخارج لأن زوجته نقلت للعلاج فى مصحة فى ألمانيا .

وانتقل من السجن إلى «الغابة السوداء » فى المانيا وفاضت السعادة بكمالا حين وجدته أمام سريرها ، وأنه سوف يبقى طوال الوقت معها ..

وحقق له ما كان يحلم به وأن يتفرغ للعناية بها وبلا شروط واستأجر غرفة فى فندق مجاور وكان يقضى اليوم بطوله معها ، ويقضى الليل وحيدا فى غرفته ، ولم يكن يريد أن يعرف بوجوده أحد فى المانيا الهتلرية .

واستعادت «كمالا » اشراقها وأضاء وجهها وبدأ الاطباء يدهشون للتقدم .. وكان أحد اسباب تقدمها أن تعرفت إلى صبى ايرلندى صغير كان يعالج فى المصحة ، ونشأت بينهما صداقة حميمة ، كان يتردد عليها ويجمع لها الزهور فى الصباح من الحديقة وازداد الأمل يوما بعد يوم فى شفائها ..

وصدم الجميع ذات صباح بوفاة الغلام الايرلندى فجاة وحاول بكل الطرق ان يخفى النبا عنها ، ولكن تسرب اليها وانتابتها نكسة حادة .. وطلبت وهى تبكى أن لا تبقى فى المصحة ، وان تنقل منها على الفور ..

وانتقل بها إلى مصحة شهيرة فى لوزان بسويسرا وهناك بدا ان الدعوات الحارة قد استجيبت وان قوة خارقة خفية قد تفجرت من داخلها وبدات ترد لها كل ما سلبه منها لمرض .. معجزة اخرى توشك ان تحدث استردت صفاءها وذكاءها واقبالها على الحياة وبدات تمرح وتضحك ، وتجادل وتناقش .

واستبشر الجميع وكان اشدهم تفاؤلا الأطباء ، والذين وجدوا أن شفاءها التام وعودتها للهند قد لا تكون بعيدة .

وبدا التفكير فى العودة وقرر أن يسبقها إلى هناك ، ليعد لاستقبالها وبحث الأمر مع الأطباء ووافقوا ، وحجز مقعده على الطائرة ..

وفى صباح اليوم الذى تحدد لسفره استدعاه الطبيب وطلب اليه ان يؤجل سفره .

وفى صباح اليوم التالى ذهب لزيارتها كالعادة .. وكانت الفاجعة فارقت كمالا الحياة وتقرر وفقا للطقوس الهندية احراق جثمانها ، وان يحمل الرماد ليعود به وينثره فى نهر المحبة "المقدس"

فى دقائق تحول الجسد الرقيق الذى كان مضطرما بالحياة والوجه الوديع الجميل ذو الابتسامة الدائمة الدامئة .. تحول إلى رماد . "وحملت الصندوق الصغير الذى يحويه وتاملت هذا كل ما تبقى من كمالا .."

شتاء العام

شعر: جليلة رضا

شتاء ضيّق الانفاس دمّاع وبكّاء
يطلّ على الورى جهما كأن الناس اعداء
ويحجب شمسه عنا ويسكب حزنه فينا
فرفقا ايها المغرور هلا ترعوى حينا
على من انت غضبان ؟ وممن انت مستاء

● ● ●

شتاء وارم الاشداق ملتحف بغيماته
تباكى ثم ابكانى .. وارهقنى بأناته
طريد الكون صعلوك ، طفيلى ومجهول
اشلّ الخطو ، معلول ، وفوق الصدر محمول
ولاشىء به يمشى سوى دقات ساعاته

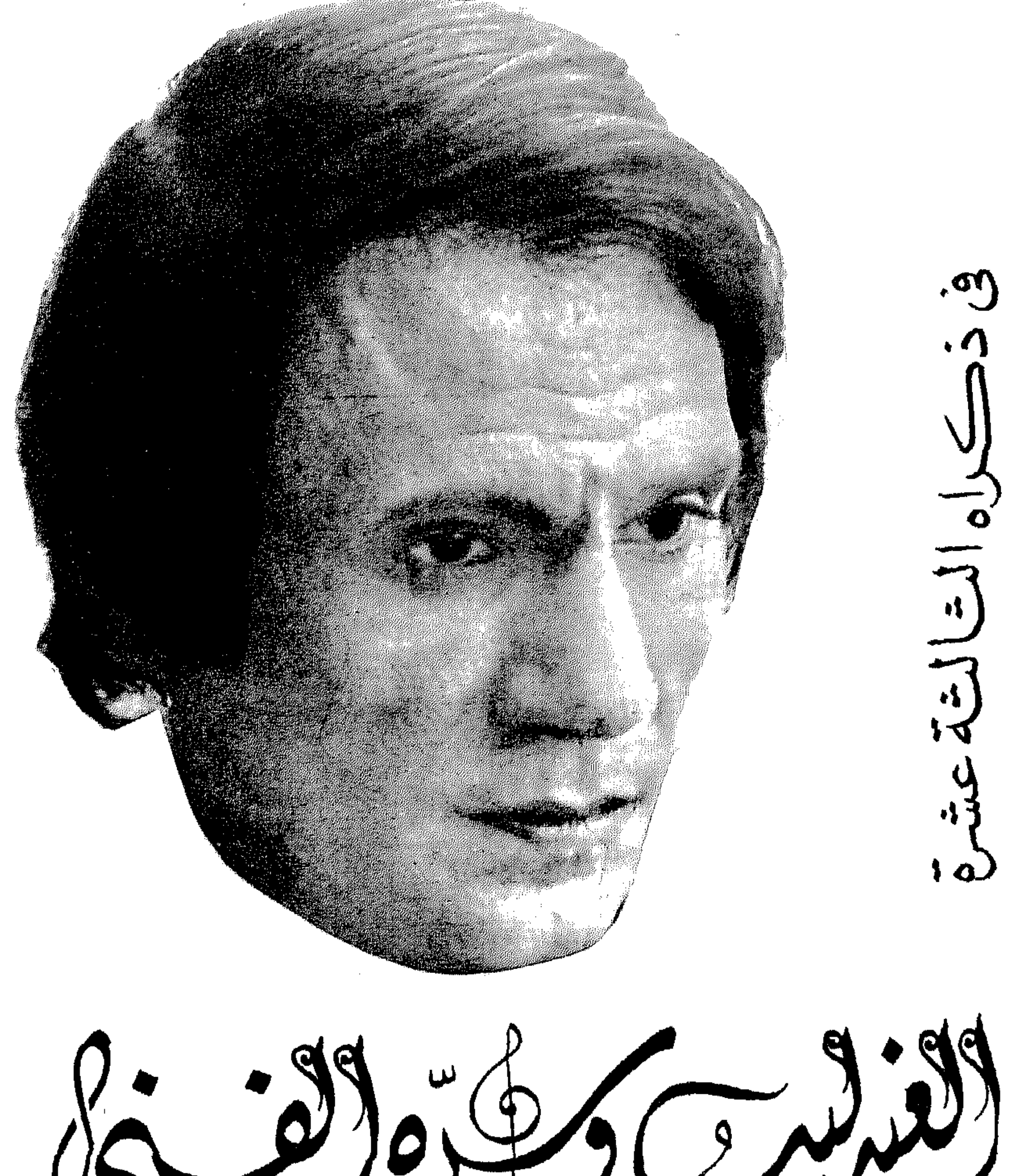
● ● ●

اتدرى ياشتاء العام كم انقصت من قدرى
انا فى الصبح منديل قديم ماج بالعطر
انا كالطائر الصيفى يشدو للورى حبه
على جدر مهدّمة وفوق سقائف خربه
انا فى الليل قنديل بلا زيت .. ألا تدرى

● ● ●

ولكن .. كيف قنديل بلا زيت ولا نار
وهذا الدفء فى روحى وفى اغوار اغوارى
وهذا الخافق الوثّاب يملأ عالمى قوّه
ويفرى البرد اوصالى فاسخر منه مزهوّه
ولى قلمى .. وقرطاسى ، ولى فى الليل اشعارى





في ذكراه الثالثة عشرة

العندليب وسره الفني

بقلم: كمال النجمي

في هذا الشهر تمر الذكرى الثالثة عشرة لأشهر ظاهرة فنية غنائية في النصف الثاني من القرن العشرين ... ظاهرة عبد الحليم حافظ أو العندليب الأسمر الذي احتفظ بمكانته وشهرته بعد رحيله كما كان يحتفظ بهما في حياته ! ..... إن التحليل الفني والعلمي يكشف سر العندليب في الغناء العربي المتقن المعاصر ، وهو سر بسيط ولكنه يستعصى على التقليد والتزييف ! .

قاعدة ذهبية بسيطة جدا كانت السبب فى ارتفاع عبد الحليم حافظ إلى مكانته الفنية التى لم ينازعه فيها أحد طوال حياته ، وهى نفس القاعدة الذهبية التى كانت السبب فى عظمة ونجاح سى عبده الحامولى قبل عبد الحليم بعشرات السنين !.

ولا يحتاج المستمع للتبحر فى علوم الغناء والموسيقى ليعرف أن هذه القاعدة الذهبية الفنية اسمها "الجاذبية".

وتكوينات هذه الجاذبية يمكن تحليلها بالأجهزة العلمية الجديدة الدقيقة ، ولكن عمل هذه الجاذبية الفنية فى القلوب والجوانح لا يعرف سره إلا الله !...

إن عبد الحليم حافظ لم ينجح بقوة حنجرته ، ولا بكثرة مقامات صوته ، ولا بانسجام جواب صوته فى أعلى طبقاته مع قراره فى أكثر طبقاته انخفاضا ، وإنما نجح بالجاذبية الكامنة فى المنطقة الخصبة من مقاماته .... وكان عبد الحليم يعرف أن هذه المنطقة الخصبة من مقاماته الصوتية ليست أكثر عدداً ولا أوسع مساحة من مقامات الأصوات الأخرى ... ولكنها أكثر منها نضارة وغزارة وتعبيراً وإحساساً ...... وجاذبية للقلوب والأسماع .....

وقد دهش بعض المطربين ذوى الأصوات الواسعة المساحة ، القوية العضلات من نجاح هذا الصوت الخافت الصغير الحجم ، وتساءلوا وهم يضربون كفاً بكف : لماذا نجح هكذا .. واكتسحنا ، وخلفنا وراءه بعد أن كان مجرد نافخ "أوبوا" فى الفرقة الموسيقية بالاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية حتى بداية الخمسينيات ؟



ام كلثـوم

كأنما جهل هؤلاء المطربون أو نسوا القاعدة الذهبية للفنون الموسيقية والغنائية ، ولكل الفنون الإنسانية : الجاذبية !

إن نجاح الصوت لا يقوم على ضخامته ولا اتساع مساحته بل يقوم قبل كل شيء على جاذبيته ، وهى كلمة مبهمة فضفاضة ، تبدوكأنها غير علمية ... لكنها هى الكلمة السحرية والقاعدة الذهبية التى تفتح أبواب النجاح ، وهى فى التحليل النهائى كلمة علمية وعملية !

قبل خمسين عاما كانت منيرة المهدية سلطانة الطرب فى مصر ، وكان لها صوت كبير الحجم ، واسع المساحة ، ذو بحة كأنها أرغول عميق ساخن النبرات متعدد النغمات ، حتى لقد صرخ كمال أتاتورك ديكتاتور تركيا الأسبق عندما سمعها خلال رحلة لها فى تركيا منذ حوالى ستين عاما : أيها الناس ... إن هذه المطربة المصرية تغنى بحنجرتين فى وقت واحد !

ولكن صوت منيرة المهدية الهائل ،

انهزم فى أسرع وقت ، كأنه جيش فقد روحه المعنوية برغم كثرة أسلحته ..... وانتصر عليه صوت الشابة الصغيرة أم كلثوم التى جاءت من الريف تغنى لسكان العاصمة .

فقد كان هذا الصوت الجديد الشاب يحمل من الجاذبية وسحرها العجيب أضعاف ما يحمله صوت السلطانة ذات الأرغول والحنجرتين !

● الصوت الجذاب ينتصر

وقبل ستين عاما ايضا انتصرت جاذبية صوت المطرب الشاب الناشىء محمد عبد الوهاب على شهرة معاصريه الكبار ، فأحالهم إلى التقاعد ، ولم يصمد منهم فى الميدان إلا بعض من اعتصموا بحائط مبكاهم الفنى ، يغنون على اطلاله للذكريات !

وأثبت نجاح أم كلثوم وعبد الوهاب أن قاعدة "الجاذبية" لا تخطىء أبداً فى حكمها ، فالصوت الجذاب ينتصر ، وغيره يذهب مع الريح ... وحكمها دائماً نهائى !

وتطبيقا للقاعدة نجح عبد الحليم حافظ ، وسينجح كل صوت جديد يتقدم إلى المستمعين بجاذبيته لا بزعيقه ، ولا بتقليده لعبد الحليم أو لعبده الحامولى !

إن الصوت الذى سيكتب له النجاح هو الصوت الذى سيكون جديداً جذاباً مختلفاً عن صوت العندليب الأسمر ، وكل عندليب آخر من أى لون !

ولكن تلك القاعدة الذهبية السحرية التى لايعرف سرها الحقيقى غير جمهور المستمعين ، ليس معناها أن الأصوات ذات المساحة الواسعة والقدرة الفائقة على الأداء تتخلف أو تسقط فى الامتحان ، فى حين تتقدم الأصوات الضيقة أو الخافتة !

إن صوت أم كلثوم هو أعظم الأصوات جاذبية وسحراً ، ولكنه فى الوقت نفسه أوسعها مساحة وأكثرها مقدرة على الأداء ، وكذلك كان صوت عبد الوهاب الذهبى القديم قبل التغيرات التى طرأت عليه .

ولكن هاتين الحالتين ـ أم كلثوم وعبد الوهاب ـ جاءتا لتضيفا شيئا إلى تلك القاعدة الذهبية لا لتلتمسا مجرد تطبيقها عليهما ... وكان ذلك فتنة تملكت ألباب الناس ، وكلنا يعرف كيف كانت أم كلثوم ومازالت ... وكذلك عبد الوهاب .

ولعب "الميكروفون" دوراً حاسماً فى تطبيق قاعدة الجاذبية الذهبية على الأصوات ، فلولاه لما سمع الناس الصوت الملائكى ، صوت الشيخ محمد رفعت ولا سمعوا صوت عبد الحليم حافظ ، فإن عبد الحليم تفاهم مع الميكروفون إلى الحد الذى استطاع معه إبراز نبراته الخافتة الهامسة مجسمة القسمات والسمات فى أسماع الناس وأمام عيونهم !

ومع ذلك تختلف الجاذبية فى أذواق الناس ، فتتعايش الأصوات النادرة المعدن مع الأصوات الصفيح وكل يغنى على ليلاه ، ويكسب بعض ذوى الأصوات النكراء فى شوارع الملاهى ويجمعون الملايين ! .

ونحن نتحدث هنا عن الغناء والمغنين وعن القاعدة الذهبية فى نجاحهم ولكننا نذكر ايضا أصوات الملاهى التى هى أنكر الأصوات تسجيلاً لواقع الحال فى دنيا الغناء بعد رحيل ام كلثوم وعبد الحليم !

ولقد كان حتى للقبح و« الوحاشة » فى

الغناء المصرى قبل ثلاثين عاماً قواعد محترمة ، فكان المرحوم عزيز عثمان أقبح أصوات المطربين بلا منازع ، ولكن لايمكن أن نغض الطرف الآن عن أدعياء الغناء الذين يرتزقون من فساد أذواق بعض الناس ، ومن محاولاتهم إفساد أذواق جميع الناس !

وليس معنى الترحيب بالأصوات الجديدة أن نهلل ونكبر للأصوات المجهولة والمعروفة ، والشابة والشائخة ، المنهمرة علينا كالمطر من كل مكان بين المحيط والخليج !

لقد كان عزيز عثمان صاحب "أوحش" صوت في مصر ، ولكن المستمع كان يحيى فيه اجتهاده الغنائى فى مصارعة فن الأداء ، وانتزاع النغمات من براثن نبراته الخشنة الحادة كأسنان المشط الردئ ... ومقدرته بعد ذلك على مواجهة المطربين ، فضلاً عن مواجهة المستمعين بعد أن رماهم بأدواره وطقاطيقه من وراء أسوار الإذاعة الحصينة ! .

وبهذا وذاك أصبح لعزيز عثمان لون غامض غير مفهوم ولا معترف به من ألوان الجاذبية ، يبعث لدى المستمع بعض الابتسام الساخر من صوته ، وبعض المرح أو الاستمتاع مع اليأس من محاولاته المستميتة للأداء بذلك الصوت الذى تربع على عرش قبح النبرات بلا منافس !

ولكن هذا القبح كله كان قبحاً فى الفن وليس فناً فى القباحة كالذى نراه الآن من مطربى كباريهات شارع الملاهى ! إن هؤلاء المغنين الصعاليك المفاليك يقدمون إلى الناس قبحاً خالصاً يمثل الزمان والمكان وواقع أحوال الانسان الآن ! .



عبد الحليم وعبد الوهاب زمن العمالقة

وهكذا تبدو "الجاذبية" كلمة مترامية الأطراف لكنها ليست كلمة مبتذلة بأى حال .. وقد سقط عبد الحليم أمام لجنة الاستماع فى الإذاعة ، أول مرة لأنهم لم ينتبهوا إلى جاذبيته ، ولكنه بمثابرته وموهبته وصحة جاذبيته استطاع أن يثبت لهم وللناس هذه الظاهرة الفنية الخفية التى اسمها عبد الحليم حافظ والتى تحولت بسرعة إلى اشهر ظاهرة فنية ثم انطفأت فى سمائها كما ينطفىء الشهاب !

والجاذبية ككل شىء فى الحياة ، تحتاج إلى عمل وموهبة وعلم ، لإثباتها وضمان ثباتها واستمرارها وقد جمع عبد الحليم كل اولئك فصنع لصوته جاذبيته الدائمة ، مقيماً وراحلاً ..... وهاهو ذا بعد رحيله بثلاثة عشر عاما يعيش فى أسماع الناس ، ويخالط وجدانهم ، ويبرهن على أن الجاذبية الفنية هى سر كل فنان تتعلق به الجماهير ... ولايمكن أن تقوم جاذبية الفنان على خداع ولا شعوذة ، فهى فى تحليلها النهائى حقيقة فنية وعلمية تستعصى على المخادعين والمشعوذين ! ...

الكاتب والرصيد

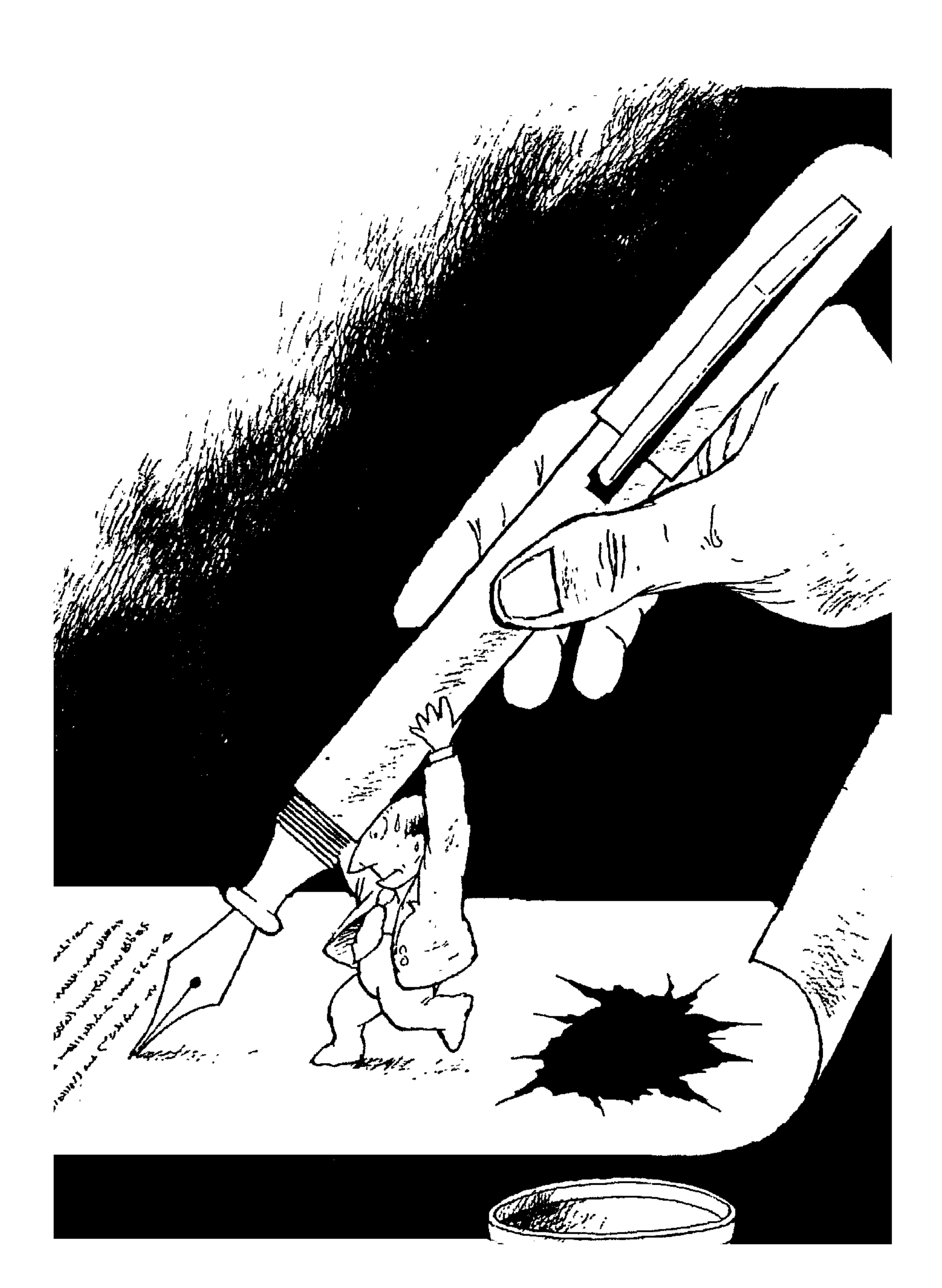
بقلم : فاروق خورشيد

في رواية شتاينبك الرائعة (مراعى الجنة) شخصية تلعب الدور الرئيسى في الفصل الثالث ، وان كانت تلعب ادوارا جانبية وهامشية فى باقى الفصول ، كما هو الحال بالنسبة لكل شخصيات هذه الرواية ، التى تلعب فيها كل شخصية من شخصياتها الرئيسية دورا رئيسيا فى فصل ثم تشارك كشخصيات هامشية وثانوية فى باقى الفصول .. الشخصية التى اتحدث عنها والتى استوقفتنى لفترة طويلة ـ اذ اننى انتهيت من قراءة هذه الرواية منذ عشرين سنة على الأقل ومع هذا ظلت هذه الشخصية تلح علىّ ، وتعيش فى ضميرى وعقلى الباطن الى ان فرضت نفسها الان .

هذه الشخصية هى شخصية (ادوارد ويكسى) أو (القرش) كما كان يسميه سكان الوادى .. (ادوارد ويكسى) ـ كما يصفه شتاينبك له وجه مريح وعينان باردتان صغيرتان تكاد تكونان عاريتين من الرموش ، وكان يعرف بأنه أكثر أهل الوادى (حداقة) .. فهو دائما ما يعقد صفقات مستعصية ، ولايستريح ابدا الا اذا استطاع ان ينتزع بضعة سنتات ثمنا لمحصوله أكثر مما يحصل عليه جيرانه ....

ولنصاحته هذه فقد اكتسب احترام مجتمعه ، وعلى اية حال فقد كان يتظاهر وقتها بأنه يودع أمواله فى مشروعات ناجحة ، وكان فى اجتماع مجلس ادارة المدرسة يسأل النصيحة من الاعضاء الآخرين حول الأسهم المختلفة ، ومدى امكانيات الكسب العاجل من وراء استثماراته المتعددة ، ولهذا لقبه سكان الوادى باسم «القرش» وكانوا يقولون (شارك) هذا ، انه يساوى حوالى عشرين الفا وربما أكثر ، فليس شارك بالأبله قطعا ـ هو يعرف كيف وأين يستثمر أمواله ، وهو دائما ناجح حيث يفشل الاخرون .

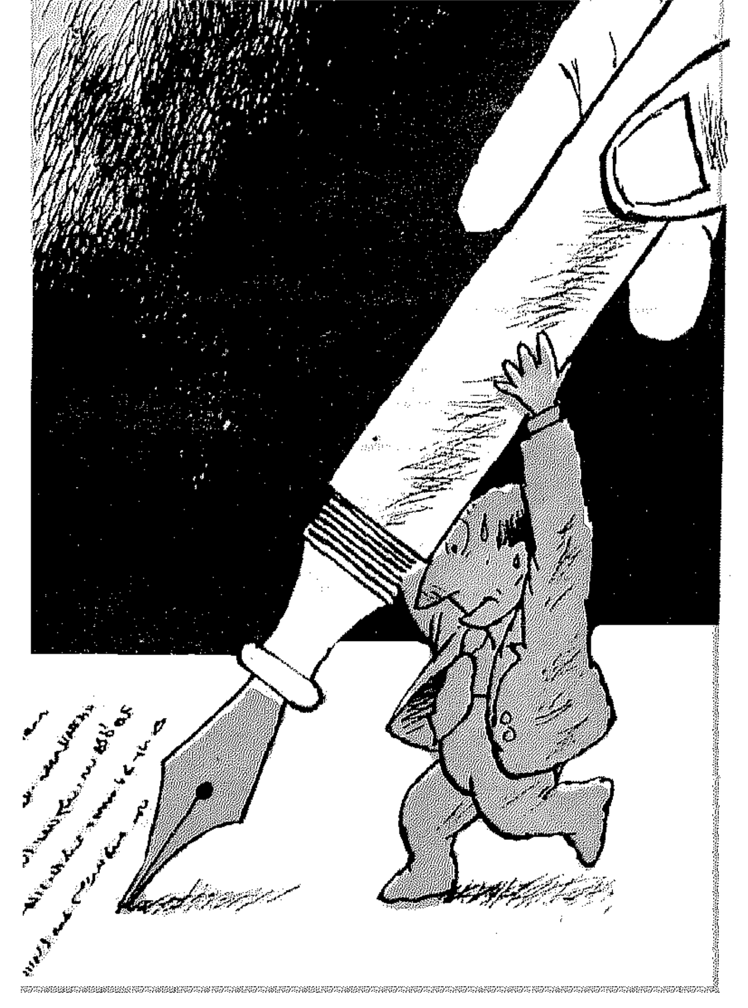
ولكن الحقيقة أن شارك أو القرش لم يستثمر فى حياته قرشا ، وما كان يمتلك أبدا أكثر من خمس مائة دولار فى حياته ـ ولكن القرش أو شارك كان يجد متعته الكبرى فى نظرة الوادى اليه باعتباره رجلا ثريا ، وقد كان يستمتع بهذا الاحساس بالفعل بحيث أصبحت هذه الثروة الموهومة شيئا حقيقيا بالنسبة له ،





حتى لقد حدد ثروته المتخيلة بمبلغ خمسين ألف دولار ، واحتفظ بدفتر حسابات يحسب فيه ارباحه من استثماراته العديدة المتخيلة ، وكانت عملية الحسابات هذه هى أمتع ما فى حياته كلها ..

وتمضى هذه الشخصية تلعب دورها فى قصة شتاينبك هادئة فى حياتها فى الوادى ، مغلقة على نفسها فى حياتها وسط الحسابات الوهمية التى تتزايد فيها الارباح يوما بعد يوم ، مستكينة الى ما يحوطها من دعاية ان صاحبها هو القرش أو الشارك الذى يعرف من أين تؤكل الكتف ، ويستمتع بطاعة زوجته الهادئة كاترين التى كانت تعيش حوله فى صمت واقتناع وتقديس ، وشخصية كاترين نفسها تحتاج الى وقفة فهى فى ظله آمنة ومستكينة لاتفتح فمها باعتراض ، ولاتستطيع ان تخالف أوامره مهما كانت الظروف والأحوال ، ولم تخرج عن هذه القاعدة ابدا الا مرة واحدة حين سمحت لاليس ابنتها أن تذهب الى حفلة الرقص أثناء غيابه ، وحين عصت أمره كانت هذه هى سقطة البطل ، فأليس كانت جميلة كما لايحلم أب لابنته ان تكون .. وكانت مع هذا غبية كما لايريد أب أن تكون ابنته . وكانت اليس هى ثروته الحقيقية التى يخاف عليها أكثر عشرات المرات من مزرعته وزوجته وحساباته الوهمية .. لقد كان حرصه عليها يدفعه الى أن يسأل امرأته كل شهر ، هل تمت لها الدورة الشهرية أم توقفت ـ سؤال مرعب ومخيف ومحير للأم التى كانت تثق فى براءة ابنتها وفى براءة زوجها ايضا ، ولكنها حين سمحت لابنتها ان تذهب الى حفلة الرقص التى يحضرها جيمى مونرو ، الفتى الذى يشيع عن نفسه أنه فاتك بين الفتيات ، وان مغامراته عديدة وانه يعرف منهن ما يفوق أحلام الوادى كله ـ والفتى الذى يخشاه القرش أكثر من خشيته لأى شىء فى الوادى واى انسان ، فهو يخشى هذا الفتى على كنزه الثمين البرىء «اليس» وحين سمحت كاترين لاليس ان تلتقى بالفتى الفاتك فى غياب الزوج والاب ، وحين سمحت اليس لهذا الفتى الذى ملأ احلامها لكثرة تحذيرات أبيها لها من عبثه بعقول الفتيات ، ان يقبلها بحيث يراها عجائز الوادى ، وبحيث يتناقلون فى همس وفى علن أمر هذه العلاقة المفاجئة ، يحمل القرش سلاحا وضعه القدر امامه بالصدفة ويسرع وهو فى قمة الغضب الى منزل والد جيمى مونرو .. والى هناك يسبقه نائب المأمور وكبار رجال الوادى ليمنعوا جريمة مؤكدة ، ويسلم القرش سلاحه ويحكم عليه بغرامة مالية لتهديد حياة مواطن بالسلاح .. ولأن المشهور عن ادوارد ويكس انه ثرى بدرجة فاحشة فقد حكم عليه بمبلغ كبير .. وانهار ادوارد ويكس ، وانهارت احلامه ، وانهار الستار الوردى الذى كان يحيط به حياته ، حين يضطر الى الاعتراف بفقره وبأن ثروته زعم ووهم ، وأنه كان يكذب على الوادى كله وعلى نفسه .. ويضطر بعد هذا الى أن يجمع زوجته وابنته وما تبقى له من مال من ثمن بيع المزرعة بعد دفع الغرامة ، ويغادر الوادى الى الابد ..



ومنذ قرأت رواية شتاينبك هذه ، وشخصية ادوارد ويكسى الشارك أو القرش مخزونة فى ذاكرتى لاتبرحها ابدا ـ ذلك الرجل الذى يدعى الثراء ويعلنه على الناس ، ويعلن عنه فى كل محفل ويروح يدون فى دفتره رصائد الربح المتراكم من نفقات وهمية وأسهم وسندات اشتراها فى خياله ولم تخرج الى حيز الفعل والوجود ابدا ـ وباستمرار وعندما يلح اسم كاتب من كتاب الوهم على أخبار الصحف والمجلات وندوات الاذاعة والتليفزيون ، أسأل نفسى ، أليس هذا الكاتب واحدا ممن يدونون أرصدتهم الموهومة ليلا فى دفتر حسابات لايراه احد الا هم ، وأليس ما يخرجون به الى الناس من ادعاء عريض شبيه بما كان يفعله القرش فى مجتمع مراعى الجنة ..

يعيش الكاتب فى عالم لاينتهى من الاحلام والرؤى التى لابد ان تخرج الى حيز الوجود ، إن توفر له الوقت والعمر والقدرة .. فكل يوم جديد اضافة جديدة الى عالم الكاتب الداخلى ، وكل إنسان جديد يعرفه يفتح امامه كنوزا من الأحلام والتصورات ، واعادة تقدير العلاقات ومعناها ، واضافة جديدة لحسه بالانسان والكون ، وفلسفة الحياة ومغزاها ـ وكل كتاب جديد يقرؤه مفتاح لعالم ورؤى جديدة تضيف الى ثراء وجدانه وعقله ، وتضيف الى دنيا تصوراته السحرية ـ وليس من كاتب يعيش الا وعيونه مفتوحة وأذانه مفتوحة ، وحواسه مرهفة ، وعقله فى حركة دائبة بين المعرفة والاستيعاب والتوليد ، وخياله يجمع كل هذا ويفصله حينا ، ويفرق كل هذا ويلملمه حينا اخر ... ومن كل هذا تتولد كل يوم أفكار جديدة ، ورؤى جديدة وانفعالات متجددة تريد ان تفرض وجودها على قلم الكاتب ووقته وحياته ، ولاتهدأ ولاتكف عن إلحاحها الدائم عليه حتى تخرج كلمات فوق الورق ، أخذت القالب الذى تريد ، والشكل الذى تحتمه على قلم الكاتب واسلوبه .. والكاتب يعيش غالبا ودائما حياة القلق والتوفز ، بين موضوع يكتب وموضوع ينتظر ، وموضوع ثالث يلح بأفكاره وعواطفه وانفعالاته .. وجزء هام من عمل الكاتب هو تنظيم جهده بين عمليات الابداع الفعلية وبين العمليات التى تسبق الابداع نفسه من تنظيم للافكار ، وترتيب للرؤى ، والاستعداد للحظة الكشف التى تفرض الموضوع على القلم فرضا ، وبين عملية التحصيل الدائم والاستيعاب المستمر. فالكاتب فى الحقيقة قارىء بالدرجة الأولى ، لن يكف عن القراءة والتحصيل الى النهاية وهو

الكاتب والرصيد

فاحص للحياة والناس . متأمل فيهما ، ولن تكف عمليات الفحص والتأمل عند الكاتب حتى النهاية، فالامر اذن عناء فى عناء .. ومن هذا العناء الدائم يكون رصيد الكاتب الذى هو ثروته الحقيقية فى دنيا الفكر والأدب .. ولنسأل انفسنا ونسأل العديد ممن يتصدرون مجالس الادب والفكر دعاية واعلاما ، وكتابة هينة متسرعة بين الحين والحين – اين أنتم من كل هذا العناء ؟ وما هو حقيقة رصيدكم فى دنيا القلم؟ ثم أليس فيكم من هو هذا (القرش) الذى رسمه شتاينبك بحق فى ادوارد ويكسى الشارك .. ؟ لاعناء ولاجهد ولابذل ، اللهم فى اتقان الدعاية واحتراف الاعلان والادعاء ، وفى الليل يضيفون الى دفاترهم أرصدة وهمية لأعمال يتخيلون انهم كتبوها ، ولايهم ان تكون قد كتبت بالفعل ، وإنما المهم ان يظن الناس أنها قد كتبت ، والمهم ان تزداد امام الناس ارصدتهم من الاعمال التى يخدعون أنفسهم بتصوراتهم أنهم انجزوهـا ، ويخدعون الناس بإعلانهم عنها ، ويضمها أمامهم الى رصيدهم الوهمى .. وهناك من الأعمال المطروحة للقراءة ما هى وهم فى ذاتها .. اى انها ليست حصيلة معاناة حقيقية ، أو نتيجة تجربة فنية صادقة أو هى نتيجة قراءة واعية وجادة .. هى اشباه الاشياء ، وليست الاشياء نفسها .. ولعل الجرأة على الامساك بالقلم دون موهبة ودون استعداد ودون دراسة ودون عناء ، هى السبب فى هذه الظاهرة فى الارصدة المزورة عند الكثيرين من اصحاب الموضوعات المكتوبة والمنشورة ، سواء فى مجالات النشر أو فى الكتب على السواء ، فالكتابة قد أصبحت بحكم المتغيرات العجيبة التى تمس عالمنا . مهنة وتدر ارباحا هائلة على من يجرؤون على مطاوعة المد ، والسير مع التيار الذى يزيف ويركب الموجة ، ويقدم التفسيرات والتعليلات ويستعمل القلم ليركب عنق المتلقين من جماهير الناس ، دون ارتباط ما يقضيه او موقف أو فكر ، أو حتى ارتباط بمعنى مسئولية حمل القلم والكتابة أصبحت تدر أرباحا مخيفة على من يتواقحون فيزورون التاريخ ، ويتحكمون فى رؤية الواقع ويلوون عنق الحقائق لتساير منطق من يملكون ويقدرون ، ولايبالون بمستقبل الشعوب ولابصحتها ، ولابقدرتها على البقاء والمقاومة والمشاركة فى ركب العالم المتحضر .. دون ان تطرف لهم عين ، أو يهتز لهم ضمير ، أو يرتجف لهم قلم – دون احساس ما بأهمية هذا القلم وخطورته فى ترجمة آلام أمه ، ورسم طريق شعب ، وتحديد مستقبل القادمين على الطريق من أصحاب الفكر ، وصناع القرار ..

وبعضهم عميل يعرف انه عميل ، وهذا خطره واضح ومقاومته واجبة ، يدخل فى اطار واجب الادباء والمفكرين الى جوار واجب الأجهزة المعنية بسلامة المواطنين وامر تفكيرهم ، ولكن بعضهم عميل ولايعرف انه عميل ، وهذا هو الخطر الداهم والهم المقيم – فهو يندفع وراء مجموعة من الافكار الثابتة قد صنعتها فى ذهنه مجموعة من الظروف والمتغيرات ، الى جوار ضغط اعلام واع بفكرته

السياسية والتي يريد ان يحققها من خلال الكاتب ، ، في البيئة النتصسة التي تعيش التخلف والانقراض .. وهذه الافكار الثابتة تجعله يحارب كل ما هو تقدم ، وتجعله يقف بكل ثقله وراء كل ما هو تخلف ، فهو من اصحاب المال ضد الفقراء ، وهو مع اصحاب القرار ضد من يتخذ بشأنهم القرار ، وهو مع اصحاب السلطة ضد كل ما ينتقض من هذه السلطة او يقلل من شأنها ، وهو مع اصحاب الثبات ضد كل تغير ، ايا كان هذا التغير ، وأيا كان اتجاهه وتطلعه .. ولايعرف في استغراقه الشخصي في قضاياه الآنية معنى المستقبل ولامعنى الغد ، وهو يعيش لحظته بكل ما تعطيه من عظمة وانتشار ووجود ، وهذا يكفيه ، ومن اجل هذا ينسى معنى الكلمة ، وكل معنى المثل وكل معنى ما عاهد نفسه عليه من كلمة حين بدأ الطريق في تطلع الشباب والحلم والصراع من اجل تثبيت القيم والمثل .. هذا كاتب مخدوع عن نفسه وعن وطنه وعن شعبه ، وعن مستقبل هذا الوطن وهذا الشعب ، استهواه انه نجح في ان يحتل مكانا مرموقا في دنيا النشر ، فهو ينشر حيث تنشر العمالقة من الجيل الذي سبقه ، وهو يكتب في المكان الذي تبوأ فيه هؤلاء العمالقة اغلى امجادهم واعظمها ، ويستقر في ذهنه ونفسه ان ما يفعله هو النجاح وانه اصبح كهؤلاء سطوة وعظمة ، وانه كهؤلاء وجودا في الحياة الادبية وكيانا ، ويعلم الله انه سقط بالمكان والمكانة الى ادنى ما يمكن ان يسقط اليه مكان ومكانة ، فلا هو اصاب شيئا ولا المكان استمر على احترام الناس له .. ولا اسماء الاعلام التي ملأت المكان يوما ، ردت حقيقة الحديث عنه ، او عن الحيز الذي يشغله الا بالرثاء والتحسر والذكرى التي تتمنى التغيير ، وربما تغني العودة الى ما سبق ، والتي لاتجد الا الصمت عما هو قائم واعتباره كأنه ما قام ولا كان وكل هذا عدم وضياع .... واذكر كاتبا صديقا كان يتحدث معي ذات ليلة حين قال : لقد كتبت ما يملأ من الارض الى السقف من الاوراق لو رصت فوق بعضها ، ولكني لست أعرف انني كتبت شيئا .

هذا الصديق بالقلم كان في وعيه الكامل ، فكلماته هذه تحمل المأساة ، مأساته ، ومأساة الكلمة العربية اليوم في آن ، وهي تحمل باقي قصة القرش ، الذي يبحث عن ثروته الغالية ، عن الماس وعن احترام الناس له ككاتب ومفكر ، ويجد ان هذا الاحترام قد انتهكه مجيمي موبروء آخر هو الصرامة والصدق ، وازال عنه الوهم فتعرى .. والانتشار على حساب الصدق والاصالة والاجتهاد والتحصيل معناه ان الكاتب سيصحو يوما ليجد أن حقيقة رصيده قد غدت معروفة عند الناس ، وأن ثروته من العطاء الفني كانت وهما وتكون وهما ، ولن تكون ابدا الا الوهم ، فاما ان يحمل عصاه ويرحل عن دنيا الكلمة _ واما ان يظل مكانه مكشوف الستر ، مفضوح القيمة مزيف الرصيد .



رياح الحرية ورسائل الإنذار

بقلم د. مصطفى سويف

يتضاعف شعور الكاتب فى خضم الأزمات الكبرى بمسئوليته ، ويتأكد لديه ثقل الأمانة التى يحملها فى عنقه ، نحو صورته أمام ذاته ، وصورته أمام الآخرين ، ونحو الآخرين أنفسهم .

فأما مقومات الأمانة ففى مقدمتها أن يروى مايشهد ، فلايكتم الشهادة مختارا . وأن يروى صادقا مع نفسه ، فتكون روايته مطابقة لرؤيته . وألا يتوقف عند حد الرواية القاحلة الجرداء ، بل يشفعها باستخلاص الدلالات وماتوحى به من هاديات ، لاستشفاف مستقبل الأحداث .

● تدور فى الذهن هذه الأفكار وأمثالها ، وفى ثناياها يبرز من حين لآخر تساؤل غير محدود المعالم حول معنى الأزمة العالمية فى صورتها الراهنة . ويستمر حوار الأفكار فى الذهن ، ويتصل إلحاح السؤال وإن تعددت صياغاته وتبلورت حول نواة مركزية مؤداها كيفية الإفادة من المعنى أو جدوى هذا التحديد . وتظل الإجابة على هذا السؤال ومايتولد عنه من أسئلة فرعية غائمة لاتشفى غليلا . ومع ذلك لايستطيع الكاتب أن يعفى نفسه من أداء الأمانة التى حملها مختارا .

مشاهد الأزمه تتوالى فى تعدد وتباين يوما بعد يوم ، ومع ذلك فالواجب الأول أن يقدم الكاتب منظوره عما يجرى . هو لن يستطيع القيام بتحليل تاريخى أو إجتماعى ، أو اقتصادى أو سياسى للأحداث ، ولن يستطيع أن يقدم أيا من هذه التحليلات بصورة منضبطة فى ذات اللحظة إذ لابد من مرور وقت كاف حتى تقع أحداث لاحقة تكشف عن الدلالة الحقيقية لأحداث سابقة ، وفى ثنايا هذا الوقت تظهر وثائق تكشف عن وقائع كانت خافية على غير المشاركين فى صنع الأحداث فتتغير الدلالات من وجهة إلى وجهة . كل هذا صحيح ، لكنه لايعفى الكاتب من تقديم منظوره عن مشاهد الأزمة وأحداثها ، بل ولايعفيه من مطلب الموضوعية فى المنظور الذى يقدمه ؛ ذلك أن الموضوعية أرحب وأشمل من تفصيلات التحليل التاريخى أو السياسى .

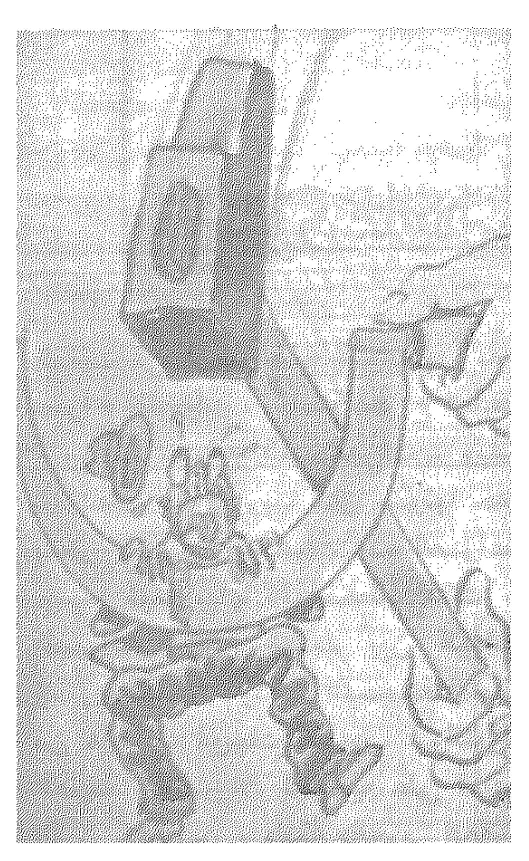
● أبعاد الأزمة الراهنة

المشهد الأخير فى الأزمة العالمية

الراهنة هو انهيار الجليد فى أوروبا الشرقية . ولكن هذا هو المشهد الأخير فقط ، فلا هو أول المشاهد ولا آخرها . ومن حيث هو كذلك فهو نقطة غليان ، أو عنوان على نقطة حرجة فى مسار تغيرات متلاحقة بدأت قبل ذلك بكثير . وقد تعلمنا فى صبانا أن مافى التاريخ من دروس وعبر إنما نفيد منه بقدر مانعلم عن المبتدأ والخبر . لذلك يتعين علينا أن نجتهد فى معرفة أين المبتدأ لما حولنا من أخبار ، فإذا أصبنا فبها ونعمت ، وإذا أخطأنا فلنا أجر الاجتهاد من قبل ومن بعد .

منهج التراجع التاريخى قد يفيدنا فى هذا الصدد . وربما كانت فضيلته الكبرى انه يمدنا بأسلوب منظم للقيام بتحليل تاريخى مؤقت ، إلى أن تتاح أدوات التحليل التاريخى الأكثر دقة وصدقا ، فتسمح لأهل الاختصاص بأن يقولوا كلمتهم . أما وجه الضرورة فى القيام بهذا التحليل التاريخى المبسط فيتمثل فى أن نتائجه مهما تكن مؤقتة فى قيمتها فإن لها وظيفة بالغة الأهمية ، فهى وسيلتنا إلى أن يكون لنا توجه على درجة لابأس بها من النضج نحو هذه الأحداث الجسام ، وأن يستقيم لنا هذا التوجه بسرعة تلائم وإن لن تطابق سرعة الأحداث فى جريانها .

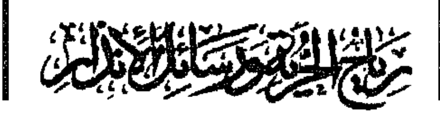
جوهر الأزمة الراهنة أن العالم كله فى حالة مخاض إيذانا بمولد نمط جديد من تنظيم العلاقات الاجتماعية والسياسية على جميع الأصعدة ، الوطنية والإقليمية والدولية ويأتى هذا المخاض كتصعيد جديد لسلسلة من التحولات البالغة الخطر أخذت شكل موجات عاتية ، تتسع رقعتها أحيانا وتضيق أحيانا أخرى ، وتشتد سرعتها لتأخذ شكل العاصفة الهوجاء



المطرقة والسندال .. هل تغيرت الصورة

حينا ، وحينا آخر تهدأ السرعة فيبطىء بعض الشىء تلاحق الأحداث . وربما أصاب الموجة التفتيت فى بعض الحالات ليكون لها بؤرات متعددة ، وفى حالات أخرى تتجمع طاقتها لتتفجر فى بؤرة واحدة أو فى عدد محدود من البؤرات . هذا هو جوهر الأزمة الراهنة ، مخاض يعقب سلسلة من التغيرات المتلاحقة والمتصاعدة ، التى لم تكد تترك مجتمعا واحدا على وجه الأرض فى حالة ركود . هذا منظور ينتمى إلى فلسفة التاريخ ، أكثر مما ينتمى إلى علم التاريخ كما عرفناه فى صورته التقليدية .

أما عن بداية هذا المنظور فى الزمان فيخيل إلينا انها الحرب العالمية الأولى . انقضى القرن التاسع عشر فى إقرار الكيانات السياسية الكبرى ودعمها . ومع قدوم القرن العشرين كانت عدة أجنة قد



تخلقت في أرحام هذه الكيانات ، باسم صراع القوميات ، وباسم صراع الطبقات ، وباسم صراع المستعمرات ، وباسم صراعات اخرى ربما كان صوتها خافتا بعض الشيء . واختلطت هذه الصراعات جميعا فيما بينها ، واختلطت كذلك مع الصراعات التى تولدت بين الكيانات الكبرى نفسها . وكانت المحصلة النهائية من هذا كله موجات الحروب ، والثورات العنيفة ، والثورات السلمية على امتداد القرن العشرين ، بادئة بالحرب العالمية الأولى ، أول حرب بهذا المقياس فى تاريخ البشرية ولم تتوقف هذه الموجات أبدا طوال القرن العشرين . بل إن الأمر تعدى مجرد الاستمرار إلى التصاعد كما وكيفا ، فقد كانت الموجات فى مسارها عبر السنوات والأقطار ترسم خطا صاعدا نحو مزيد من الشمول والإصرار ؛ وكأنما كل خطوة تالية تشهد بمزيد من تراكم الخبرة ، وشحذ الهمة . وفى أحداث بولنده على امتداد العقد الأخير نموذج يشهد بصحة هذا التصوير . قارن بين حركة تضامن وقد وئدت فى أوائل العقد وحركاتها وقد نححت فى أواخره . ولتعميق دلالة هذا المثال قارن بين حركة تضامن فى هذا العقد سواء فى أوائله أو فى أخرياته وبين ثورة العمال فى مدينة بوزنان فى الستينيات ، ولمزيد من التعميق أكثر من ذلك قارن بين هذا الذى حدث فى بوزنان ومقدمات حدثت فى بولنده أيضا فى الخمسينيات وفى أعقابها قبض على جومولكا الزعيم البولندى الكبير وأدخل السجن فلم يخرج منه إلا ليحتوى أحداث بوزنان . أى تحليل تراجعى على هذا النحو فى أى بقعة من بقاع العالم الساخنة الآن يكشف لك عن صحة المنظور الذى نقدمه ، فى خطوطه الكبرى .

فى حدود هذا المنظور تبدو أبعاد الأزمة الراهنة ممتدة فى الزمان عبر عقود القرن العشرين حتى أوائله ، كما أنها تمتد فى المكان لتشمل الكرة الأرضية أو تكاد ، وكذلك تمتد عبر نظم الحكم بأشكالها المختلفة ، من الشمولية الاشتراكية ، إلى الليبرالية الرأسمالية ، إلى الديكتاتوريات بأقنعتها المتباينة . بل وتمتد عبر مستويات التقدم والتخلف على تعددها ومابينها من تفاوت .

● فى أعقاب المشهد الأخير :

طريق محفوف بالمخاطر فى استخلاص الدلالات أن يجعل الكاتب نقطة انطلاقه هى المشهد الأخير فقط من بين مشاهد الأزمة الراهنة ، هكذا دون أن يدخل فى حسابه عناصر المنظور الأخرى . وفى يقيننا أن هذه العناصر ، بما ذكرناه ومالم نذكره منها ، لاتقل خطرا وإن كان بعضها بلا ريب أقل جلبة وضوضاء من مشهد انهيار الجليد فى أوروبا الشرقية :

القاعدة التى نبدأ منها قراءة الدلالة تجمع بين هذه المشهد الأخير بكل هديره وعنفوانه ، وبين تحرك الدول الأوروبية الغربية حركة وئيدة نحو الاندماج فى صورة كيان أوروبى موحد ، دولة أوروبية عظمى ، أيا كان تركيبها الداخلى الذى سترتضيه خلال المستقبل المنظور . هذا

التحرك جاء منظما ومحسوبا فى معظم خطاه ، وقد بدأ منذ أواخر الأربعينيات ، على أثر انتهاء الحرب العالمية الثانية كان مشروعا يتقدم حسب خطة متكاملة ، وفى الوقت نفسه كان مشروع الرفض والثورة يتقدم فى دول أوروبا الشرقية حسب ردود افعال لاتبدو وراءها خطة مقصودة ولكنها كانت متكاملة فيما بينها تكاملا أقرب إلى العفوية أو إلى الخطط المتعددة قصيرة المدى . وكان المقام المشترك بين المشروعين هو الإصرار .

المشروعان معا ، رغم أوجه الاختلاف العديدة بينهما ، لابد من أخذهما فى الاعتبار عندما نصوغ استنتاجاتنا ، أو تنبؤاتنا . وليس هذا فحسب . فأوروبا الشرقية والغربية ليستا كل العالم ، وإن كانتا مركز إشعاع الأحداث المؤثرة أقوى الأثر ، فى الوقت الراهن أقل تقدير لايمكن إغفال أمريكا بكل مايحدث فيها من اتساع والتهاب للمناطق الساخنة ، وخاصة فى أمريكا الوسطى . ولايجوز تجاهل آسيا بما يقع فى الصين وفى الدول المتاخمة لها ، فيتنام ولاوس وكمبوتشيا . ولا أفريقيا بأحداث الجنوب والشرق والشمال . ولا كذلك مسرح الصدام فى الشرق الأوسط .

وبعد ـ فماذا عن الدلالات ، والتوقعات ، ومايمسنا منها ؟

التوقع الذى يكاد يبدو مؤكدا هو أن المشهد الأخير ، مشهد ذوبان الجليد فى أوروبا الشرقية لن يكون آخر المشاهد . أما ماذا يأتى بعد ذلك فليس بالضرورة أن يكون وجها مشرقا للحرية والديمقراطية . لكنه سوف يتحدد على أساس عدد من العوامل لاتزال تتفاعل فيما بينها . وربما كان من أبرز هذه العوامل الدعوة والدفع إلى توحيد ألمانيا بشطريها . وليس المهم هنا هو التوحيد نفسه ، لكن المهم هو القوى الفاعلة فى التوحيد وبلورته . وقد أتت الأنباء أخيرا بوجود تنظيمات يمينية متطرفة عبرت من ألمانيا الغربية إلى الشرقية ، وأنها نشطة فى الدفع إلى التوحيد . ومعنى ذلك أن التحرك إلى التوحيد قد لايكون بشير استقرار وديمقراطية بقدر ماهو نذير بكابوس مزعج ، لأوروبا وللعالم بأسره ، يقوم على تصفية حسابات قديمة ، ومواصلة السير من حيث أجهضت المسيرة السابقة مع نهاية الحرب العالمية الثالثة . ربما !!

وثمة عناصر أخرى داخلة فى التفاعلات فى أوروبا الشرقية ، ففى بلغاريا ورومانيا كان من بين البؤرات المبكرة فى الظهور والمؤثرة فى مسار الثورة متاعب تتعلق بالأقليات ، وفى بوتقة هذه المتاعب كانت تختلط عناصر عرقية ودينية وسياسية ومثل هذا جرى ولايزال يجرى فى بعض الجمهوريات السوفيتية فى آسيا الوسطى . وتبدو نتيجة التفاعل هنا مفتوحة لاحتمالات متعددة ، منها مايدعم أحلام الحرية والديمقراطية ، ومنها مايخنق هذه الأحلام .

ويمكننا أن نضيف فى هذا السياق مزيدا من التحليلات التنبؤية بما يحتمل أن يقع فى الصين بعد وفاة نجوم المجموعة الحاكمة فى الوقت الحاضر . وقد يفيد أن نذكر هنا أن هذه المجموعة نفسها ، وبأشخاصها ، قفزت إلى الحكم فى منتصف السبعينيات باسم الحرية والديمقراطية فى مواجهة عصابة الأربعة !!

وقد نضيف كذلك مايحتمل أن يحدث فى مجموعة الدول المتاخمة للصين



ومايبدو أن اليابان مقبلة عليه من تغيير دورها فى السياسة العالمية ، وقد فرغت من تشكيل هذا الدور فى الاقتصاد العالمى . يخيل إلينا أنها تستعد الآن للقيام بمهمة الدول العظمى على الصعيد السياسى .. وسيكون لهذه المهمة أبعاد معينة نحو آسيا فى المقام الأول . ونحو أوروبا فى المقام الثانى . ويغلب علينا الظن بأن هذه الأبعاد لن تعنى مزيدا من الحرية والديمقراطية والسلام فى جميع الأحوال .

وتحليلات وتوقعات أخرى عن أمريكا اللاتينية ، وأفريقيا السوداء ، ومنطقة الشرق الأوسط العربى .

ولكن خارج هذه الدائرة ، تقوم علامات تنبىء بأمور أخرى ، وآخرها الغزو العسكرى الأمريكى لبنما . وبغض النظر عن كل الشوائب الإعلامية التى أحاطت بهذا الغزو ، لتلميع وجه الغازى ، وتلطيخ صورة المغزو ، فقد نرى فيه رسالة إنذار مبكر ، هذا الإنذار موجه إلى أية دولة أمريكية صغيرة بسوء المآل إذا سولت لها نفسها الخروج على الإرادة الأمريكية . ويكتمل معنى الرسالة بل وتزداد بلاغتها إذا أضيف لها الفيتو الثلاثى من أمريكا وانجلترا وفرنسا ضد مشروع قرار مجلس الأمن بوقوف الرأى العام العالمى ضد هذ الغزو . هذا الفيتو إنذار مكثف لمن يستطيع أن يتذكر فتنفعه الذكرى ؛ فقد قامت فرنسا وإنجلترا من قبل بغزوتين مماثلتين ، فرنسا فى جزر القمر منذ بضعة أسابيع ، وإنجلترا فى جزر الفوكلاند منذ بضع سنوات . وبذلك تتحول الرسالة إلى إنذار مبكر موجه إلى أية دولة صغيرة حيثما كانت ، إذا ماحاولت هذه الدولة أن تثور على سادتها الكبار فى الغرب مثلما تحاول دول أوروبا الشرقية على سادتها الكبار فى الشرق .

وثمة رسائل إنذار مبكر أخرى . فمنذ أسابيع قليلة جرى حوار عربى أوروبى يشبه أن يكون مشروعا تمهيديا لتنظيم العلاقة بين العرب وأوروبا الموحدة بعد عام ١٩٩٢ .

وكان من أهم المطالب العربية فى هذا الحوار طلب بتيسير الحصول على التكنولوجيا المتقدمة وكان السيدة مارجريت تاتشر أن هذا المطلب شديد الطموح ، وأن المجموعة الأوروبية لن تستطيع أن تستجيب له . وقبل ذلك ببضعة شهور ، أثناء احتفال فرنسا بعيد الثورة الفرنسية فى ١٤ يوليه الماضى ، حدثت محاولة هادئة بصورة غير رسمية ، قام بها وفد محدود من عدد من حكام العالم الثالث لجس النبض مع عدد محدود من حكام العالم الأول . وكانوا جميعا ضيوفا على الحكومة الفرنسية ، وكان الموضوع هو مستقبل المديونية واقتراح أسلوب للتفاوض بشأن تيسير إجراءات السداد .. ورفض الاقتراح صراحة وبلا أدنى تردد . وكان على رأس الرافضين الرئيس جورج بوش .

ثم هناك فئة أخرى من رسائل الإنذار المبكر ؛ وتتمثل فى مسارعة الوجوه الجديدة فى السلطة فى عدد من دول أوروبا الشرقية إلى إعلان استعادة العلاقات الدبلوماسية الكاملة مع إسرائيل ، بعد توقفها منذ حرب عام ١٩٦٧ . وفى

هذا الوقت بالذات !!
والسؤال الآن

كيف نفهم هذه الرسائل ؟ ماهى الدلالات التى تنطق بها فى إطار الأزمة العالمية الراهنة ؟

فى ظننا أن الرسالة الأولى ، وهى موجهة إلى كل من يهمه الأمر ، تقول إن رياح الحرية لاتعنى سوى التحرر من سلطان الحكم الشيوعى ، أو الاشتراكى ، أو الديمقراطى الشعبى ، أيا كانت الأسماء والألقاب المتداولة فى هذا الفلك . وانها تلقى الترحيب والتشجيع المعنوى والمادى من القوى الفعالة فى العالم الغربى مادامت محصورة فى هذا النطلق وحده . وأن من يتصور غير ذلك يرتكب خطأ فلحشا لن يلوم عليه إلا نفسه . وسيكون مصيره مصير بنما ، وجزر القمر ، والفوكلاند ، وخليج سرت على السواحل الليبية .. إلى آخر هذه الأحداث التى توالت طوال عقد الثمانينيات .

وفى ظننا كذلك أن الرسالة الثانية ، وهى مكتوبة بالدرجة نفسها من الوضوح الذى كتبت به الرسالة الأولى وإن لم تكن بالقدر نفسه من الإسهاب ، تقول إن شعوب شرق أوروبا وهى تفتح النوافذ لرياح الحرية تولى وجهها شطر غرب أوروبا فحسب ، فالأوروبيون يتحدثون إلى الأوروبيين ، والمقام المشترك بين الفريقين هو «الأوربية» (أو الأورو ـ أمريكية) . وبالتالى فإذا تصور الناس فى بلادى أن الثائرين فى شرق أوروبا إنما ينادون بالحرية هكذا ، باعتبارها مطلبا إنسانيا أساسيا لاينفصم عن العدل ، أو باعتبارها مضمونا لمستوى جديد من الوعى السياسى العام يستوعب ماقبله ويستشرف مابعده ، وباعتبارها خطابا موجها إلى الإنسان حيثما كان وايا كان عرقه ولسانه ، فهذا رأى موغل فى الخطأ . إنما هم يثورون طلبا لطراز من الحرية يمكن أن تسميه الحرية الأوروبية .

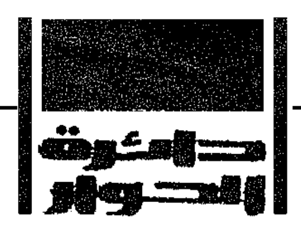
ومن ثم فلا وزن ، ولامعنى ، بل ولا وجود لشىء من قبيل الانتفاضة الفلسطينية فى وجدانهم ، ولا فى حساباتهم . وهم لايرون أى تناقض بين ثورتهم على طغيان حكامهم وبين دعمهم المتعجل لصورة إسرائيل فى العلاقات الدولية .

خاتمة :

هاتان رسالتان لالبس فيهما ، تحمل كل منهما إنذارا واضح المعنى والمبنى . تأتى إحداهما من الغرب ، والثانية من الشرق . وتلك من المصادفات السعيدة فى الحياة لأمثال شعوبنا ومناط السعادة هنا أن يأتى الدرس بهذا الوضوح ، وبهذا التكثيف فى هذا الزمن القصير .

ومع ذلك فلا يجوز لرسائل الإنذار هذه أن توهن من عزائمنا .

لايجوز لها أن تثنينا عن الإقبال على رياح الحرية ، ولا عن استخلاص الدروس والعبر ، تلك التى تخصنا ، من جريان الأحداث بين المبتدأ والخبر . وربما كانت عبرة العبر فيما كان ويكون ، هى فى استخلاص أن سلطان الحاكم على المحكوم ، مهما يكن التبرير ومهما تكن الشعارات المواكبة له ، يجب أن تقترن به وتكافئه رقابة المحكوم على الحاكم . وأن مستقبل الكرامة الإنسانية إنما يكمن فى ابتكار أفضل صيغة لهذه المعادلة ، وأكثرها استعصاء أمام عاديات الزمن .



مستقبل الاشتراكية

بقلم: د. فوزى منصور

فى القرن التاسع عشر ، قرن الحلم الاشتراكى ، كانت الاشتراكية وخاصة كما صورها ماركس ورفاقه ، ينظر إليها على أنها النتاج الطبيعى والحتمى لتطور التناقضات الداخلية التى تحفل بها المجتمعات الرأسمالية المتقدمة : تظهر الاشتراكية فى هذه المجتمعات واحدا بعد الآخر لكى تملأها عدلا بعد أن ملأتها الرأسمالية جورا ، ولكى تحقق وفرة تفوق ماكانت الرأسمالية العالية التطور قد حققته بالفعل .

كانت الاشتراكية المرتقبة ثمرة التقدم الرأسمالى والبانية على إنجازاته فى كل المجالات : فى مجال تطوير قوى الانتاج وفى مجال الممارسات الديمقراطية والحريات الفردية ، وفى مجال التحرر الفكرى والتقدم العلمى ، وفى مجال الازدهار الثقافى ، لكنها إذ كانت ترث هذه الانجازات وتبنى عليها كانت تنشيء فى الوقت ذاته مجتمعا جديدة يختلف كيفيا عن سابقه ويفضله من كافة النواحى :

فقوى الانتاج سوف تتطور بمعدلات أعلى تسمح بالوفاء المتزايد بحاجات الانسان المادية والمعنوية بفضل القضاء على التناقض القائم فى المجتمع الرأسمالى بين ملكية الرأسماليين لوسائل الانتاج وبين الطابع الاجتماعى للعمليه الانتاجية ، ويتم ذلك عن طريق تحويل هذه الملكية الخاصة التى تزداد تركزا فى يد عدد اقل فأقل من الرأسماليين الى ملكية اجتماعية .

وبزوال الملكية الخاصة لوسائل الانتاج - هكذا كان التصور - يزول انقسام المجتمع إلى طبقات مستغلة وأخرى مستغلة تتناحر مع بعضها البعض ويزول معه القهر الطبقى الذى تمارسه الأولى على الثانية من خلال سيطرتها على سلطة الدولة وأجهزتها ، وينفسح المجال للممارسات الديمقراطية والحريات الفردية التى تشمل الجميع ولاتقتصر على فئات محدودة متميزة ، والتى تمتد إلى مكان العمل وكافة نواحى الحياة الاجتماعية بدلا من أن تقف محدودة بحدود صندوق



الميليشيا تواجه صراع القوميات فى الاتحاد السوفييتى

الاقتراع الضيقة ، ويتحرر الفكر الانسانى من كافة القيود التى كانت مهمتها ـ تاريخيا ـ تكريس ظاهرة الاستغلال الطبقى والتنظير له ، وتصبح الثقافة ملكا للبشر ونتاجا لهم جميعا لا لفئة محدودة منهم .

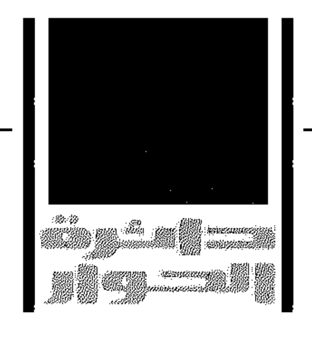
ومع انتشار الاشتراكية السريع من بلد رأسمالى عالى التطور إلى آخر يماثله ستنتفى أيضا التناقضات بين الشعوب وتنتفى الحاجة إلى الجيوش وترسانات الأسلحة . تتحول السيوف الى محاريث وتتحول الدولة من أداة للقهر الطبقى والتناحر الأممى إلى مجرد لجنة تنفيذية تنوب عن المجتمع الديمقراطى فى إدارة الاشياء .

(٢)

على أن الاشتراكية التى تحققت فى القرن العشرين على يد خلفاء ماركس لم تظهر حيث كان ماركس يتوقع لها الظهور : فى بلدان المغرب لكى تحل تناقضات التقدم وتتجاوزها وإنما ظهرت فى المشرق حيث التخلف الاقتصادى والاجتماعى والثقافى .

وفى مرحلة أولى ظن خلفاء ماركس أن الاشتراكية التى ظهرت على أيديهم فى غير موطنها الطبيعى لن تلبث أن تصحح هذه المفارقة التاريخية وتنتقل إلى المغرب بادئة على الأرجح بألمانيا لكنها مضت فى إصرار عنيد تنتقل من بلد متخلف إلى آخر أكثر تخلفا . وتعين البحث لها عن أساس نظرى يختلف بعض الشىء عما قاله ماركس .

من هنا كانت مقولة ظهور الاشتراكية فى أكثر حلقات النظام الرأسمالى ضعفا : حيث تبلغ التناقضات الداخلية أقصى



درجات الحدة ، وتعجز الرأسمالية المحلية (الناشئة ، أو الوليدة ، أو الجنينية) عن القيام بالمهام التاريخية التى أنجزتها فى الغرب ، وتصبح مهمة الاشتراكية اختزال مرحلة الرأسمالية المتهافتة (فيما سمى بإنجاز مهام الثورة البرجوازية الديمقراطية أو الثورة الوطنية الديمقراطية) ثم التحول السريع إلى مرحلة البناء الاشتراكى . **ولم يكن هناك بد أن تظهر آثار اختلاف الموطن والظروف (عما كان يتوقعه ماركس) على هذا النبت الجديد الذى ظل مع ذلك ينتسب إلى الاشتراكية :**

أ ـ فظهور الاشتراكية فى بلد ضعيف نسبيا (روسيا القيصرية) وتوقفها طويلا داخل حدود هذا البلد أغرى البلدان الرأسمالية التى كانت تسيطر على باقى العالم بمحاولة وأد الظاهرة الوليدة ، ثم تحطيمها ، ثم تضييق الخناق عليها بكافة السبل . من هنا كان تدمير الرأسمالية العالمية للقوى الانتاجية فى الاتحاد السوفييتى مرتين على نحو لم يسبق له مثيل منذ أيام هولاكو : مرة فى حروب التدخل التى أعقبت الثورة ، وأخرى على يد جحافل النازية ، ثم الحصار الاقتصادى الذى لاتزال بعض آثاره قائمة حتى اليوم .

ومن هنا أيضا كان اضطرار الاتحاد السوفييتى لاعطاء اولوية اولى لكل مايتصل بالدفاع ، بكل مايترتب على ذلك من حبس للموارد الاقتصادية الطائلة فى اتجاهات غير منتجة ، وتركيز مبالغ فيه على الصناعات الثقيلة واسراع فى عمليات التجميع الزراعى .

يضاف إلى ذلك أن شعوب الاتحاد السوفييتى تحملت تضحيات اقتصادية وعسكرية لم يشهد لها التاريخ مثيلا من قبل لمساندة التحولات الاشتراكية وحركات التحرر الوطنى فى بلدان أخرى .

ب ـ وقد كان على البلدان التى سارت على طريق الاشتراكية أن تبنى الهياكل الاقتصادية الأساسية التى كانت شديدة التخلف أو شبه معدومة فيها جميعا باستثناء بلدين أو بلدين فى أوربا الشرقية ، وأن تقوم بعمليات التراكم (أو الاستثمار) اللازمة لتطوير قوى الانتاج المتخلفة فيها بالاعتماد على قواها الذاتية ، كما كان عليها أن تركز هذه العملية الشديدة التكلفة والبطيئة (بالنسبة لبلد متخلف) بالاعتماد على قواها الذاتية وفى فترة تاريخية كانت صعبة بقدر ماكانت قصيرة . وتمشيا مع تطلعاتها الاشتراكية كان عليها أيضا أن توفر الموارد اللازمة لتقديم الخدمات الاجتماعية والتعليمية والثقافية والصحية لمجموع الشعب لا لطبقات متميزة منه ، وبشمول يفوق ماوصلت اليه بعض البلدان الرأسمالية العالية التطور حتى الآن .

باختصار : كان عليها أن تحقق فى بضعة عقود ماوصلت إليه البلدان الرأسمالية المتقدمة فى عدة قرون ، ووصلت إليه ـ فى نهاية المطاف ـ بفضل الاستغلال الرأسمالى البشع لطبقاتها العاملة على نحو مكثف لم تعد ظروف العصر الحديث تسمح بتكراره فى أى بلد رأسمالى أو اشتراكى وبفضل الاستغلال الأكثر بشاعة

للثروات وعمل شعوب البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة (العالم الثالث) التى كانت وظلت حتى الآن الاحتياطى الرئيسى للرأسمالية عالية التطور

ج - وبالاضافة إلى تخلفها الاقتصادى ، كانت البلدان التى حاولت بناء الأشتراكية متخلفة أيضا - بكل مقاييس العصر - من النواحى السياسية والفكرية والثقافية . فعادات الانضباط والنظام والمواظبة والدأب والدقة واحترام التكامل فى العمليات الأنتاجية وغير ذلك من القيم التى فرضها التطور الرأسمالى - وخاصة نظام المصنع - على شعوب العالم المتقدم لم تكن قد تأكدت بعد لدى الطبقة العاملة الوليدة القريبة من أصولها الريفية .

ولم تكن الممارسة الديمقراطية فى النقابة أو الحزب أو البرلمان جزءا من التراث المتراكم ، ولم يسهم تطور بورجوازى طويل فى ارساء قيم الحرية الفكرية وغيرها من الحريات الفردية على نحو ماحدث فى الغرب .

ولفترة طويلة سار الظن - أو الوهم - أن « ديكتاتورية البروليتاريا » يمكن أن يكون لها وجهان دكتاتورية الطبقة الجديدة المنتصرة فى مواجهة الأعداء الطبقيين للنظام الاشتراكى الجديد ، تمارسها كضرورة تاريخية على نحو مافعلت فى الماضى بكل الطبقات المنتصرة - بما فى ذلك البورجوازية نفسها - فى لحظات انتصارها الثورى ، والوجه الآخر هو ديمقراطية الطبقة العاملة التى لاتلبث أن تتحول إلى ديمقراطية الشعب العامل تمارسها الطبقة العاملة الحاكمة داخل

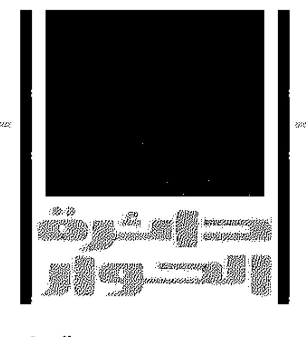



ماركس لينين

صفوفها . كذلك كثر الحديث الرومانسى أو العاطفى عن القيم الجديدة للطبقة العاملة التى سوف تحل محل قيم البورجوازية المتحللة ، وعن فكر الطبقة العاملة ، وثقافتها وفنها .. الخ وربما لو كانت الاشتراكية قد بنيت ابتداء فى المجتمعات الرأسمالية . العالية التطور وفى ظروف الرخاء والارتخاء النسبى لأصبح لكل هذه المفاهيم مضمون حقيقى متقدم يبنى على تراث طويل ويتجاوزه .

لكن محاولة بناء الاشتراكية قد جرت كما رأينا فى مجتمعات متخلفة فى كافة النواحى وتحت ضغوط اقتصادية داخلية وخارجية هائلة . ومن هذه المفارقة التاريخية نبتت مفارقة تاريخية أخرى لاتقل غرابة هى تحول الماركسية التى يفترض انها خلاصة ثمار تسليط التفكير العقلانى العلمى على قضايا المجتمع ، تحولها فى هذه البلدان إلى عقيدة جامدة تفرض بقوة الدولة على كل نواحى الحياة الفردية والاجتماعية والفكرية .

وقد كان لهذا الغرض نتائج فادحة . فبدلا من ان يساعد الفكر العلمى الحر على الوصول إلى الحلول السلمية لقضايا البناء الاشتراكى فى بلد متخلف



او على الأقل على تقليل وتقبل صعوبات هذا البناء ، أضاف الجمود والفرض بقوة السلطان إلى هذه الصعوبات فى كثير من الأحوال . وعلى كل المستويات أدى ذلك وخاصة فى العقدين الأخيرين إلى قدر كبير من اللامبالاة وانعدام الثقة فيما تردده أجهزة الاعلام والتثقيف الرسمية حتى ولو كان صحيحا فى ذاته .

على المستوى الشعبى انتشرت الخرافة والفكر اللاعقلانى ، على النحو الذى يصدم الآن من يتابع بعض ماتنشره وسائل الاعلام السوفييتية .

وبين المثقفين تعددت الاتجاهات ، ابتداء من الترديد الممل غير الخلاق لمواقف السلطة « الفكرية » عن اقتناع أو غير اقتناع إلى الوقوع فريسة سهلة فى أحابيل العلوم الاجتماعية البرجوازية . وكاتب هذه السطور لن ينسى دهشته عندما تبين ، أثناء مناقشة جرت مع أساتذة قسم الاقتصاد السياسى فى مدرسة الحزب العليا فى براغ فى عام ١٩٦٧ (التى كانت تعتبر قلعة الفكر الماركسى) أن آخر قناعاتهم الفكرية هى نظريات المدرسة الحدية فى الاقتصاد البرجوازى وبعض أفكار كينز التى كان قد عفا عليها الزمن .

افتتنوا بها لأنهم لم يكونوا قد تعرفوا عليها إلا من فترة قصيرة عندما وقعت فى أيديهم بعض الكتب الأجنبية . وفى أوائل الثمانينات كان كبار المسئولين فى الصين يرسلون إلى واشنطن لحضور دورات تدريبية فى واحد من أكثر معاهد العالم تخلفا من الناحيتين الفكرية والتكنولوجية (حتى بالمقاييس البرجوازية) هو معهد التنمية التابع للبنك الدولى ، كما أن أساتذة هذا المعهد كانوا يستقدمون الى الصين لاعطاء دورات مكثفة فى وسائل وأهداف إدارة الاقتصاد القومى ! وفى الاتحاد السوفييتى الآن يقدم « طلائع المثقفين » المدرسة البنيوية ووسائل استطلاع الرأى العام على الطريقة الأمريكية على أنها الصيحة الأخيرة فى علوم الاجتماع التى كانت غيبتها سببا فى تخلف المجتمع السوفييتى ، وعجزه عن تطبيق الديمقراطية .. تطبيقات متعددة من أماكن متفرقة لظاهرة واحدة : هى أن الجمود الفكرى المفروض بواسطة السلطة والانعزال عن كافة التيارات الثقافية (حتى المعادية منها) يصيب المثقفين بمرض انعدام المناعة الفتاك ويجعلهم تحت رحمة أى وافد غريب يأتى من الخارج .

(٣)

والآن ونحن نقف على مشارف القرن الواحد والعشرين ، ماذا سوف يحمل للاشتراكية هذا القرن ؟

فى البلدان التى تنتسب إلى الاشتراكية ، هل ستنجح سياسة المصارحة الجديدة وبوجه أعم الممارسة الديمقراطية الشاملة ، فى شق طريق جديد خلاق للماركسية يدفع بها إلى تجاوز التخلف والانطلاق نحو البناء التدريجى للاشتراكية الحقة ، أم سيثبت أن ماسمى فى الماضى بمرحلة بناء الاشتراكية لم يكن سوى انعطافة مؤقتة ، وأن الطريق

الجديد الذى تقود إليه المصارحة وإعادة البناء هو طريق التطور الرأسمالى الذى يصعب اختزاله ؟

● هل ستبقى البلدان الرأسمالية عالية التطور قادرة فى الظروف الجديدة وبوجه خاص ظروف غيبة « العدو » المشترك الذى كان وجوده يسهم فى تحقيق تماسكها الداخلى ، على التجاوز المستمر لتناقضاتها ومتابعة النمو والتوسع ، أم إنها كما كان ماركس يتنبأ لن تجد الخلاص فى تناقضاتها المتزايدة إلا بانتهاج طريق الاشتراكية التى كان يتصورها : اشتراكية الوفرة والعدالة والحرية معا ، إما من خلال الطريق الثورى الذى تفرضه عليها ازماتهـا المتصاعدة أو عن طـريق التحولات التدريجية ، لكن الأكثر حسما مما يحدث الآن – على سبيل المثال – فى بعض بلدان أوربا الشمالية ..

● ثم هذه المنطقة الواسعة التى يطلق عليها بلدان العالم الثالث : اى الطرق سيبقى مفتوحا أمامها ؟ طريق التطور الرأسمالى تطوقه مقتفية – على مسافة قرن أو قرن ونصف من الزمان – آثار البلدان الرأسمالية العالية التطور الذى قد ينتهى الى الاشتراكية ؟ أم انها وقد سد أمامها هذا الطريق سوف تبتدع لنفسها أشكالا أكثر ملاءمة وأكثر صدقا وفعالية للتحول السريع إلى الاشتراكية أو ستشق عبر الصخور طرقا خاصة . يصعب الآن تصور معالمها وقد يفضى بعضها إلى نهايات مسدودة ؟

هذه الأسئلة جميعا واردة بالنسبة لاى تسـاؤل يتقصـى مستقبـل الاشتراكية . لكنها فى تقديرى ستبقى قاصرة بل وقد تكون مضللة إذا لم توضع فى إطارها الصحيح : اطار التساؤل عن تطور ومصير النظام الاقتصادى العالمى فى مجموعه وفى ظنى أن غيبة هذا الاطار هى السبب الرئيسى فى وقوع ماركس فى خطأ التنبؤ باولوية – واقتراب – ظهور الاشتراكية فى المجتمعات الرأسمالية عالية التطور كما كانت هذه الغيبة أيضا مسئولة عن توهم بعض خلفائه انهم قادرون على بناء الاشتراكية فى مجتمعات متخلفة ، محدودة القدرة بالمقارنة مع النظام الرأسمالى العالمى وغير محصنة ضد مؤثراته ، بينما الذى كان يبنى فى الحقيقة شىء مختلف عن الاشتراكية حتى وان تشابه معها فى بعض سماتها .

ولو أن الوحدة الأساسية للتحليل عند ماركس وخلفائه كانت منذ البداية ، كما ينبغى أن تكون ، هى النظام الاقتصادى العالمى ، النظام الرأسمالى العالمى ، والتناقضات الرئيسية التى تعتمل فى داخله ، بدلا من التركيز على التناقضات الداخلية لهذا المجتمع الرأسمالى أو ذاك ، لربما كـانت رؤياهم بـالنسبة للاشتراكية من إمكانات وأماكن ظهورها قد اختلفت عما أذنوا للناس به .

لكن ماركس – ككل مفكرى أوربا المفتتنين بها فى القرن التاسع عشر – كان معقود الرؤية بأوربا وما قد يحدث فيها : راى فقط ذلك الجزء الأكثر تقدما من النظام الراسمالى العالمى وانشغل به عن ذلك الكل الذى كان يتشكل تحت سمعه وبصره كما لم يتشكل من قبل عبر تطور الراسمالية الطويل . وحتى لينين الذى

رأى أن الظاهرة الامبريالية هى امتداد طبيعى للنظام الراسمالى وأعلى مراحله تطورا لم يخط الخطوة الحاسمة التى تتمثل فى دراسة النظام الرأسمالى العالمى كنظام متكامل تستوعب تناقضاته الرئيسية تناقضات البلدان الرأسمالية وتحكمها فى النهاية .

وكالعادة - تلك لعبة يلعبها التاريخ دائما معهم - كان على التاريخ أن يصحح أخطاء المفكرين ويعدل رؤاهم . وقد فعل ذلك - بالنسبة لموضوعنا الحالى - مرة أولى فى منتصف القرن العشرين عندما انتقل « العالم الثالث » من الكواليس الخلفية إلى مقدمة المسرح لكى يعلن ، بوجوده ومشاكله وبمائة حرب وحرب تحريرية ، أن الانقسام الحقيقى الرئيسى والطويل المدى هو انقسام العالم الرأسمالى إلى قسمين : البلدان الرأسمالية المركزية أو المتقدمة أو العالمية التطور والبلدان الراسمالية الطرفية أو التابعة . وها هو التاريخ فى أواخر القرن العشرين يؤكد إعلانه الأول عندما يظهر أن التناقضات التى ظلت قائمة دهرا بين البلدان الرأسمالية العالية التطور والبلدان الاشتراكية قابلة للحل بشكل أو آخر طالما أن البلدان الاشتراكية تقبل أن تفك التحالف الذى كان قائما بينها وبين شعوب العالم الثالث على أمل أن يقبل انضمامها إلى قافلة الرخاء التى يقودها المركز الرأسمالى .

(٤)

ماهو اذن موضوع هذه « الاشتراكية » التى ظهرت على خلاف المتوقع كما رأينا فى عدد من البلدان المتخلفة وكان التصور انها هى المناهض الرئيسى والدائم للرأسمالية ، ثم مامصير هذه الاشتراكية التى تبدى الان استعدادها المتزايد للتهادن بل وللتوافق معها على كل المستويات على اساس قواعد جديدة لمثل « الاعتماد المتبادل » و« توازن المصالح »؟ ذلك يتطلب الوقوف لحظات للتأمل فى تطور النظام الرأسمالى العالمى وطبيعة التناقض الرئيسى الذى يتفاعل داخله منذ بداية ظهوره .

ان الاستقطاب بين « الشمال » و« الجنوب » ليس وليد القرن الحالى ، وانما بدأ ظهوره منذ حوالى خمسة قرون مع ظهور الرأسمالية كنظام قومى فى البلدان الرأسمالية المتقدمة ، وفى الوقت ذاته كنظام عالمى يشمل هذه البلدان ويشمل ايضا - فى الطرف الاخر - المستعمرات وأشباه المستعمرات التى اخذت الرأسمالية المتقدمة تستولى عليها تباعا وتستغلها لصالح المزيد من التطور الرأسمالى فيها دون ان تسمح لها بتطور رأسمالى شامل ومستقل .

لقد حاربت رأسماليات البلدان المركزية فى القرون السابقة على القرن العشرين ظهور الرأسمالية المستقلة فى المستعمرات واشباه المستعمرات وماتسميه الان البلدان الطرفية بوجه عام (والتى تكون فى مجموعها الجزء الاخر من النظام الرأسمالى العالمى) حاربتها بقدر ماحاربت ظهور الاشتراكية فى القرن العشرين والسبب واحد فى كلتا الحالتين : قدرة كل من الرأسمالية المستقلة

والاشتراكية على تطوير قوى الانتاج الداخلية على نحو يمنع خضوعها لمختلف اشكال الاستغلال الاستعمارى يضاف الى ذلك ان تطور الراسمالية المستقلة فى البلدان الطرفية (مع ماهو معروف عن الراسمالية بوجه عام من حرصها على التوسع الخارجى) يخلق منافسا جديدا للراسماليات المركزية على الاسواق وعلى اسلاب المستعمرات هى فى غنى عنه . وحتى القرن العشرين لم ينجح من الافلات من هذا الحصار المضروب على البلدان الطرفية سوى اليابان التى ساعدتها ظروف خاصة على الفكاك منه .

ورغم كل ماكتب عن تطور الراسمالية فى روسيا قبل الثورة فقد كان اقتصادها اقرب الى اقتصاد المستعمرات واشباه المستعمرات التى تسيطر عليها الراسماليات المركزية وكانت هذه الاخيرة حريصة على ان تسد عليها افاق التطور المستقل وقادرة على ذلك .

ولست اشك فى مدى اخلاص قادة الثورة البلشفية للمثل الاشتراكى او فى اقتناعهم بانهم يقومون ببناء الاشتراكية . لكن الاحداث التاريخية الكبرى لاتفسر - كما نعرف - وفقا لرؤى قادتها او القائمين بها ، ولكن وفقا للنتائج الموضوعية التى تترتب عليها فى المدى الطويل . وفى تقديرى فى ضوء صعوبات بناء الاشتراكية فى بلد متخلف التى اشرت اليها فى مستهل هذا المقال وفى ضوء معرفتنا بالتطورات اللاحقة التى حدثت داخل المجتمع السوفييتى ان ماكان يبنى كان شبيها - فى مضمونه الحقيقى - لما حاوله محمد على فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر (مع اختلاف العصر والنتائج) بناء اقتصاد حديث مستقل فى ظروف سدت فيها الراسمالية العالمية سبيل التطور المستقل الذى يعتمد على نموذج الراسمالى التقليدى وذلك بالالتجاء الى طرق غير تقليدية هى فى حالة روسيا التاميمات والزراعة الجماعية والتخطيط .

ومع تطور التجربة الروسية تولى قيادتها ليس الطبقة العاملة او حتى قيادتها الطليعية لكن طبقة جديدة يمكن تسميتها بالبورجوازية البيروقراطية تضم خليطا من القيادات الحزبية والسياسية وقيادات جهاز الدولة الاقتصادية وينضم اليهم فريق من « المثقفين » الذين شاركوا هذه الطبقة امتيازاتها وتكفلوا بالدفاع عنها والتنظير لسياساتها .

وقد تمكنت هذه الدولة بالفعل من تحقيق مهمتها التاريخية : بناء الاقتصاد المستقل والدفاع عنه وتحديثه فى اتجاهات متعددة وذلك بالالتجاء الى اساليب لم يكن يفلح غيرها - فى الظروف التاريخية التى واجهتهم - فى تحقيق هذه المهمة لكن

خروشوف ستالين



هذه الاساليب بدورها لها حدودها خصوصا اذا كان المجتمع قد وضع نصب عينيه ادراك وتجاوز معدلات وانماط الاستهلاك السائدة فى المجتمعات الراسمالية المتقدمة (وان تكن هذه اهداف لاشأن لها - فى رأيي بتحقيق الاشتراكية) ومن ثم يأتى الوقت الذى يتعين فيه اعادة النظر فى هذه الاساليب .

وقد اتى هذا الوقت مرات عديدة فى خلال العقود الثلاثة الاخيرة وفى كل مرة كان الامر ينتهى بازمة مجتمعية ولم يكن ذلك لصعوبة الوصول الى حلول جديدة فليس هناك على سبيل المثال ، وعلى خلاف مايروج دعاة علم الاقتصاد المبتذل من يقول ان الاشتراكية يحرم عليها ان تلجأ الى استخدام الحوافز او استخدام جهاز الثمن والاسواق وانما الخلاف هو فى مدى الحوافز التى يمكن السماح بها وكيفية قياس دواعيها وفيما اذا كان جهاز الثمن والاسواق تصبح الوسيلة الرئيسية لادارة الاقتصاد القومى ومن ثم المسيطرة على اختياراته الرئيسية ام انها تستخدم كأدوات تابعة لضمان الرشاد والكفاءة فى تحقيق اهداف المجتمع الرئيسية التى تتحدد على اسس سياسية واجتماعية

والخلاف حول هذه الخيارات ليس خلافا نظريا او فكريا ولكنه خلاف حول مصالح طبقية محددة ترتبط بكل خيار ، وهو من ثم موضوع لصراع اجتماعى محدد صريح أو مستتر ، ولن يتسع المجال الان للدخول فى تاريخ او حقيقة هذه الصراعات لكن يبدو من ظاهر الامور ان المرحلة الحالية يدور فيها الصراع بشكل خادع بين جناحين فى داخل البرجوازية البيروقراطية الحاكمة الجناح المرتبط مباشرة باجهزة الانتاج وبالتقدم العلمى والتكنولوجى والاكثر انفتاحا على اساليب العمل والتفكير الغربية وذلك فى الاغلب هو الجناح الذى يمثله جورباتشوف والجناح الاكثر ارتباطا باجهزة التوزيع وبالقيادات الادارية للدولة وقيادات القوات المسلحة ، وهو الجناح الاكثر ميلا الى المحافظة على نظم العمل واجهزته القائمة التى ترتبط بها امتيازات هذا الجناح المقننة او غير المشروعة .

وانتصار الجناح الاول يعنى اعطاء ديناميكية جديدة للاقتصاد السوفييتى قد يصحبها ارتفاع مستوى المعيشة فى المدى الطويل لفئات واسعة لكنه يعنى ايضا زيادة الفوارق الاجتماعية وتأكدها كفوارق طبقية وظهور البطالة الصريحة لا الدائمة او المؤقتة واضعاف الضمانات والحقوق الاقتصادية والاجتماعية للمواطن العادى وغير ذلك من شرور التطور الرأسمالى . اما انتصار الجناح الثانى فيعنى استمرار حالة الركود المتوطن ومايصاحبها من شرور اجتماعية وخلقية .

وفى المستقبل العاجل يبدو ان تطور مشكلة القوميات هو الذى سيرجح بين الجناحين ويقدم تفجر المشكلة على هذا النحو المروع دليلا اخر على عدم دقة وصف المجتمع السوفييتى بالمجتمع الاشتراكى فالتطور الاشتراكى يعنى - ضمن مايعنى - التطور المتكافىء لمختلف الاقاليم والقوميات وحل مشاكل تعدد

القوميات بشكل دائم ومستقر وهو مالم يحدث فى الاتحاد السوفييتى .

والارجح فى المدى الطويل ان يمر المجتمع السوفييتى بمرحلة من عدم الاستقرار يتناوب فيها كل من الجناحين السلطة ، فيرجح جانب الجناح النازع الى تحديث الاقتصاد عن طريق اطلاق قوى السوق عندما تزداد سلبيات النظام القائم وضوحا وتعلو الشكوى منه ، ثم يحل محله الجناح الاخر النازع الى تغليب التخطيط الشامل واعطاء اولوية للضمانات الاجتماعية والاقتصادية لمجموع العاملين عندما تتضح الشرور المصاحبة لطريق التطور الراسمالى الطليق . ويستمر التناوب على هذا النحو الى ان تفرز القوى الشعبية قيادات تستطيع ان تفرض - عند مستوى عال من التقدم التكنولوجي والثقافي - مسارا اشتراكيا متكاملا .

امام هذه الخيارات المتعددة فان كل من يتعاطف مع نضالات الشعب السوفييتى وتضحياته الكبرى ودوره فى مناصرة قضايا التحرر الوطنى لايملك الا ان يرجو ان يصبح طريق الصلاح الديمقراطى المفتوح بكل ضماناته ووسائله هو الطريق الوحيد الذى تتحدد من خلاله الخيارات ، ايا كانت فى هذه المرحلة او تلك .

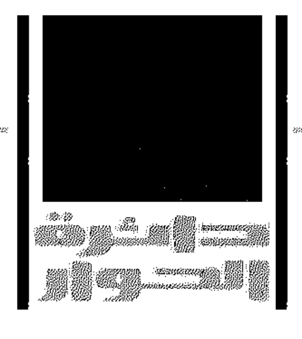
وبالنسبة للصين فمن المحتمل ان يكون مسارها قريب الشبه بمسار الاتحاد السوفييتى وهى بالفعل قد مرت بظاهرة « التناوب » التى اشرت اليها من قبل وان كنت ارجح ان تكون الصين اقل اخذا بمنطق سيطرة اجهزة الثمن والسوق والحوافز من الاتحاد السوفييتى ، من جهة لان تخلف قواها الانتاجية يجعلها اكثر عرضة لسيطرة الراسمالية العالمية لو انها اوغلت فى هذا الطريق ومن جهة اخرى لان الام التطور الراسمالى تصبح اكثر بروزا فى شبه قارة ضخمة فقيرة مثل الصين .

اما بالنسبة لاوربا الشرقية فالارجح ان تتجه تباعا (وبعضها قد اتجه بالفعل) الى السير على طريق التطور الراسمالى التابع للغرب فيما يتعلق بالبلدان الاكثر تخلفا مثل رومانيا وبولندا والاكثر استقلالا بالنسبة للبلدان صاحبة القوى الانتاجية المتقدمة نسبيا مثل تشيكوسلوفاكيا والمانيا الشرقية (اذا لم تنضم هذه الى المانيا الغربية وتصبح جزءا من الراسمالية المركزية العالية التطور) ويصعب التنبؤ بما سيحدث بعد ذلك عندما تصحو الطبقات العاملة فى هذه البلدان على فقدان الامتيازات الحالية التى تتمتع بها ، وضياع احلامها فى الانضمام السريع الى « الرخاء الغربى » الباهر للانظار والقائم فى جزء كبير منه على اسلاب سيطرة استعمارية سابقة او حالية لم ولن تشارك فيها .

(٥)

ماذا عن مستقبل الاشتراكية فى البلدان الراسمالية العالية التطور ، مركز النظام الراسمالى العالمى ، وبلدان العالم الثالث التى تكون اطرافه ؟

فى الماضى القريب فى عقود الانتصار المتتابع لثورات التحرر الوطنى وارهاصات اقتراب التحرر السياسى بانتصارات متتالية على طريق التحرر الاقتصادى كان



يبدو لى ان ذلك هو الطريق الدائرى لانتصار الاشتراكية فى البلدان الرأسمالية عالية التطور ذاتها ، وكان منطقيا فى ذلك ان اسلاب الاستغلال الاستعمارى هى التى ارست التحالف الموضوعى الذى قام (رغم اختلاف التسميات الحزبية) فى البلدان الرأسمالية المتقدمة بين الطبقة الرأسمالية والطبقات الشعبية والذى كان اساسه اقتسام هذه الاسلاب بدلا من التصارع على الفائض الذى يحققه الانتاج الرأسمالى داخل كل بلد (وساعد على هذا التحالف ايضا بطبيعة الحال التقاليد الديمقراطية التى كانت قد تكونت فى هذه البلدان ومرونة وبعد نظر الطبقات الحاكمة فيها) كان ذلك اذن هو السبب الرئيسى فى عدم قيام الثورة الاشتراكية التى تنبأ بها ماركس فى تلك البلدان لكن مع تحقيق بلدان العالم الثالث لاستقلالها الاقتصادى ـ هكذا كان يبدو الامر فى الخمسينات والستينات ـ فسوف تجف منابع هذه الاسلاب وتوضع الطبقات الشعبية فى البلدان المتقدمة وجها لوجه امام تناقضات الرأسمالية المتزايدة الحدة وتصبح الفريسة الواضحة لهذه التناقضات . عندئذ لن يبقى امامها ـ وهى الاغلبية المثقفة سياسيا ـ سوى ان تمسك بزمام السلطة وتقود عملية التحرك الاشتراكى والتى اصبح المجتمع المتقدم مهيأ لها من الناحية الموضوعية وقادرا على تقنينه باقل التضحيات .

لكن الاسباب متعددة تختلف من منطقة لاخرى ، عجزت بلدان العالم الثالث عن تحقيق الاستقلال الاقتصادى الذى يتكلف وحده بوضعها على قدم المساواة فى التعامل مع البلدان الرأسمالية المتقدمة ويسد تدريجيا منافذ الاستغلال التى يتسرب منها الفائض من الاولى الى الثانية . وعلى العكس اصبحت غالبية هذه البلاد اكثر اندماجا من موقع التبعية حتى مما كانت عليه فى ايام الاستعمار مع مراكز الاقتصاد الرأسمالى العالمى

لقد تضخمت مصادر تسرب الفائض القديمة واضيف اليها مصادر جديدة : التبادل غير المتكافىء بين منتجات العالم الثالث والعالم الاول ، فوائد الديون الضخمة التى كبل بها العالم الثالث ارباح الشركات المتعددة الجنسية ، عوائد براءات الاختراع وحقوق الملكية الفنية والادبية والقاب بيوت الخبرة الاجنبية ثمن السلاح والخدمات المصرفية والتأمينية والترفيهية واتجهت الطبقات الموسرة فى اغلب بلدان العالم الثالث الى تهريب رءوس الاموال الى البلدان المتقدمة كما اتجهت الكفاءات العلمية والفنية الى الهجرة اليها وترتب على ذلك جميعه ازدياد تدفق الفائض من العالم الثالث الى العالم الاول واسهم فى تحقيق رخاء العالم الاول بقدر ما اسهم فى افقار العالم الثالث واستمرت تناقضات الرأسمالية فى العالم الاول خفيفة الوقع بقدر مازادت حدتها فى العالم الثالث .

بعبارة اخرى لقد صدرت بلدان العالم الاول الى العالم الثالث تناقضات


جورباتشوف


ماوتسى تونج

التطور الراسمالى على المستوى العالمي : الافقار المطلق والنسبى ، وجيش البطالة الدائم المتزايد العدد ، والنتائج الاكثر تدميرا للازمات الدورية وزادت عليها مضاعفات جديدة يختص بها العالم الثالث ، مثل تحطيم القوى الانتاجية التى كانت تتعيش عليها شعوب بعض هذه البلدان وتحويل الاراضى الزراعية الى مراع او صحار فى افريقيا أو تهميش ملايين الاشخاص الذين فى سن العمل خارج العملية الانتاجية والاجتماعية .

لم تختف اذن التناقضات التى تنبا بها ماركس ولم تتمكن الراسمالية من حلها كما يزعم دعاتها وانما انتقلت من المستوى القومى فى الراسماليات المتقدمة الى المستوى العالمى فهل يترتب على ذلك انتقال النتائج التى تنبا بها ماركس : ضرورة الحل الاشتراكي وحتميته من المستوى القومى الى المستوى العالمى ؟ هل اضحت وحدة التحليل الاساسية بالنسبة لمستقبل الاشتراكية هى الاقتصاد العالمى فى مجموعه كما اصبح هذا الاقتصاد العالمى هو وحدة التحليل الاساسية بالنسبة لتطور النظام الراسمالى ؟ وعلى النحو الذى اضحى يوحى به تعدد ظهور المؤسسات والنظم التى تعمل على النظام العالمى فى مختلف المستويات مثل صندوق النقد الدولى والبنك الدولى واللجان والمشروعات المتعددة الجنسية فى المستوى الاقتصادى ، ومثل الامم المتحدة بمجلس امنها التنفيذى وجمعيتها العمومية « الاستشارية » على المستوى السياسى ؟ ومثل محاولة فرض قانون دولى جديد للعلاقات الاقتصادية (يحاول كل طرف من طرفى التناقض ان يشده الى جانبه) بنظمه ومؤسساته التشريعية والقضائية فوق القومية ، ومثل السيطرة الفكرية والثقافية والاعلامية ـ ومن ثم الايديولوجية التى تتاكد تباعا للعالم الاول على نطاق العالم باسره ؟ ذلك فى تصورى ، هو موضوع البحث الرئيسى فى مستقبل الاشتراكية فى القرن الواحد والعشرين وهو موضوع قد اعود الى طرقه فى مستقبل قريب .

شاب مغمور ينشر مقالات قديمة في معظم المجلات الثقافية !!

بقلم: محمود قاسم

كان لابد من ظهور العديد من السلبيات نتيجة لانتشار الصحف والمجلات العربية بهذا الكم الهائل في العشرين عاما الأخيرة .. فقد استدعى ذلك ظهور عدد كبير من الكتاب لم تكن ساحة الكتابة في حاجة اليها بالمرة .. ودخل الى عالم الصحافة جمع غفير من الذين لا علاقة لهم بالكتابة سوى عملية فك الخط ..

شهادة من الدكتور محمد دسوقى

السكرتير الاسبق للدكتور طه حسين

وبعد فقد قرأت فى عدد ديسمبر من الدوحة الغراء مقالا تحت عنوان « طه حسين الانسان والشاعر » بقلم الدكتور نبيل سليم ، وقد راعنى أن كاتب المقال نقل مقالا لى كنت قد نشرته فى صحيفة الأسبوع الثقافى التى كانت تصدر فى طرابلس بليبيا فى الذكرى الثانية لوفاة عميد الأدب العربى سنة ١٩٧٥ ، لقد نقل المقال حرفيا فى النصف الأول من المقال المنشور فى الدوحة ، وقد بعثت اليكم مع هذه الرسالة بصورة المقال الذى سطا عليه الدكتور نبيل ونسبه إلى نبيل ، لأنه ذكر أنه [illegible] وفاته بخمس سنوات ثم أورد فى نهاية كلمته أن العميد حدثه يوم حصوله على قلادة النيل بعد أن قرأ له خبر منحه هذه القلادة .. ولم يكن الدكتور الفاضل قارئاً للعميد ، وكان منح هذا الوسام فى عام ١٩٦٥ ، أى قبل وفاة العميد بنحو ثماني سنوات ، وفى صدر مقال الدكتور نبيل أنه التقى طه حسين قبل وفاته بخمس سنوات ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

دكتور محمد الدسوقى

فى حياتنا الثقافية

ولأن صفحات هذه الدوريات البيضاء يجب أن تجد مادة تملؤها كلما تصدر واغلبها يصدر بصفة منتظمة فقد دفع ذلك العديد ممن لا علاقة لهم بفن الكلمة ان يجدوا فى هذه الصحف والمجلات حقلا خصبا للغاية ..

وقد زادت اعداد أشباه الكتاب عاما وراء اخر لعدة اسباب منها بالطبع ان هذه الدوريات تدفع لمن يكتبون فيها مبالغ كبيرة قياسا الى الاجور العادية التى يمكن ان يحصلوا عليها فى وظائفهم التى يعملون فيها . كما ان الكثير من المؤسسات الصحفية قد اقامت مكاتب لها فى العديد من المدن العربية بينما بقت العلاقة بين بعض المؤسسات وكتابها مقطوعة الا من خلال المراسلات البريدية .

وفى احيان عديدة كانت الدوريات تميز بعض كتابها سواء من حيث قيمة المكافآت الممنوحة لهم عما يكتبون او من حيث طريقة نشر المقالات . كأن تقدم عن كاتب ما نبذة تعريفية . او تنشر صورته الى جانب المقال .. وكان لاساتذة الجامعة تميز خاص فى بعض البلدان العربية عن غيرهم من الكتاب الذين لا يعملون فى الجامعة .. او بالدقة ممن لا يحملون شرف حرف الدال .. ولم يتصور المسئولون عن هذه الدوريات انه يمكن ان يظهر شخص يجرؤ ان يضيف حرف الدال الى اسمه دون ان يكون له الحق فى ذلك .

فى هذا الجو ظهر الدكتور نبيل سليم ، احد اشهر الكتاب واكثرهم غزارة فى السنوات الاخيرة واحد الذين اثاروا حولهم الكثير من اللغط والحديث .. نظرا لما احيط بهم من غموض .. ونقاشات ، وايضا العديد من الفضائح المتعلقة بالكتابة ..

يهمنا اولا ان نشير انه قد جاء وقت على عالم الكتابة ، والكتاب ، انك لو وددت ان توصم كاتبا ، او فنانا ، بسمات قد تعرقل مسيرته ان تتهمه بتهم اخلاقية .. اى بما يعنى انه لا خلقى .. حيث من المفروض ان يكون الفنان مثاليا واخلاقيا فى المقام الاول .. ولم نسمع عن شخص ما انه اتهم ، ككاتب ، بأنه موظف فى عمل يتنافى مع عمله ككاتب .. فكل ما يهم بالنسبة له هو الكتابة .. ماذا يكتب والى اى حد هو موهوب .. فالكتابة ليست وظيفة .. ولكنها موهبة فى المقام الاول ..

وفى هذا العالم قد يكون هناك شخص ما موهوب فى الكتابة اكثر من عشرات الاشخاص الذين حصلوا على درجات علمية عالية وسافروا الى انحاء متعددة من العالم للاستزادة من المعرفة ..

اما انه فى حالة "الدكتور" نبيل سليم لا يهم بالنسبة للقارىء ان يكون المؤلف حاصلا على دكتوراه .. او حتى على شهادة علمية اقل .. المهم هو ما يكتب .. وعندما ظهر نبيل سليم فى الاسكندرية فى

اواخر السبعينات واوائل الثمانينات لأول مرة كان كثيرا ما يدهش الحاضرين بلباقته ، وثقافته واتقانه الخاص للغة الانجليزية . وحماسه المتقد ، وطموحه الشديد . كان يكتب الشعر . وشغوفا بالرسم . وتردد اسمه كثيرا فى الأوساط الثقافية فى الثغر على انه شخص مثقف وموهوب ، وكان كثيرا ما يقدم نفسه على انه "الدكتور" نبيل سليم .. ومع ذلك فان لحدهم همس يوما فى أذن جاره انه ليس "دكتـورا" اى ليس حـاصـلا على الدكتوراه .. وايضا ليس طبيبا .. اى لم يتخرج من كلية الطب كما يقال ..

ورغم ان هذه الشائعات كانت تسرى خجلة بين الالسن ، فإنها سرعان ما كانت تخرس فقد كانت لباقة "الدكتور" كافية ان تسكت من ينطق بها وكان احيانا ينسحب ن هذه النقاشات بلباقة شديدة وينهيها نبل ان تبدأ ..

● فرخة .. للمجلات العربية ●

ومع بداية سنوات الثمانينات ، راح الدكتور" يكتب الى المجلات العربية لختار موضوعات تتناسب مع دراسته لاستاذ فى الطب .. فراح يكتب فى لعلوم ، والطب . وكان يختار الموضوعات لظريفة ويكتبها بجاذبية شديدة جعلت أبواب المجلات والصحف العربية تفتح له بأوسع مصاريعها .. لم يكن هناك من يكتب فى هذا المجال سوى الدكتور عبدالمحسن صالح . الذى تربع فى هذا المجال بلا منازع سنوات . وكان الدكتور أحمد زكى قد سبقه بسنوات الا ان المنية وافته فى السبعينات .

ولأن المجلات تعانى عجزا فى هذا النوع من الكتابات . فان نبيل سليم . اقصد الدكتور نبيل قد اصبح الفرخة التى تبيض كثيـرا للعديـد من المجلات العربية .. وأصبح من الكتاب البارزين فى هذا الميدان .. ولاقت هذه الموضوعات استحسان العديد من رؤساء التحرير .. وبدأت الخطابات تتبادل بين إدارات المجلات ، وبين الكاتب .. وقد كتب له رئيس تحرير احدى المجلات العربية الكبرى يوما "اننى ارى فيك شبابى" .

كان من الموضوع من خلال هذه الموضوعات ان الكاتب يتمتع بثقافة علمية موسوعية ، وانه يرجع الى العديد من المراجع الحديثة والمتطورة . ولذا لم يتسرب الى هذه المؤسسات الاعلامية يوما اى شك ، او حتى تساؤل ، حول القيمة العلمية التى يملكها الكاتب .

الى ان جاء اليوم الذى اراد الكاتب ان يغير جلده ..

اراد ان يؤكد لهذه المجلات انه ليس نقط الاستاذ فى الطب وتبسيط العلوم . بل هو ايضا الشاعر والباحث والناقـد والرسام .. وفى أواخر عام ١٩٨٤ نشر أول مقال أدبى له فى مجلة "الدوحة" القطرية . وليته ما فعل .. فسرعان ما انكشف امره .. لقد انكشف انه ليس سوى شخص ينقل بالمسطرة وبالحرف الواحد مقالات سبق نشرها وانه ليس كاتبا بقدر ما هو "نقال" مقالات يكتبها اخرون

ليس دكتورا

●● الاخ : محمود عبدالصمد زكريا - مصر
● أرفق برسالته قصاصة من الزميلة مجلة (العربي) الكويتية ، تميط اللثام عن سرقة اقترفها الدكتور نبيل سليم في العدد ٣٣١ من

وينسبها الى نفسه . ولم يكن اكتشاف الامر بالشيء السهل ، لعدة اشياء .. انه لا حيلة لمن تنادى فاغلب هذه المقالات منشور في مجلات طبية قديمة لا يقرؤها احد .. اما المقالة الادبية الأولى التي كتبها فلم يكتشفها أحد قط سوى صاحبها .. اى كاتب المقال الأصلي ..

● دكتور .. فوق الشبهات ●

ففي عدد شهر فبراير ١٩٨٥ من مجلة الدوحة نشرت على لسان الدكتور محمد الدسوقي ، السكرتير الأسبق للدكتور طه حسين ، خطاباً جاء فيه أن "نبيل سليم" نقل مقالا لى كنت قد نشرته فى صحيفة الأسبوع الثقافي التي كانت تصدر في طرابلس بليبيا في الذكرى الثانية لوفاة عميد الأدب العربي سنة ١٩٧٥ . لقد نقل المقال حرفيا في النصف الأول من المقال المنشور في الدوحة . وقد بعثت اليكم مع هذه الرسالة بصورة للمقال الذى سطا عليه الدكتور نبيل ونسبه الى نفسه .

"انها مأساة فكرية ان ينقل كاتب يحمل درجة الدكتوراه مقالا بنصه وفصه دون ان يشير الى المصدر الذى اخذ منه وقد خان التوفيق الدكتور نبيل ، لأنه ذكر انه لقى العميد قبل وفاته بخمس سنوات ثم أورد في ثنايا كلمته ان العميد حدثه يوم حصوله على قلادة النيل بعد أن قرأ له خبر منحه هذه القلادة .. ولم يكن الدكتور الفاضل قارئا للعميد ، وكان منح هذا الوسام في عام ١٩٦٥ ، اى قبل وفاة العميد بنحو ثماني سنوات . وفي مقال الدكتور نبيل انه لقى طه حسين قبل وفاته بخمس سنوات .

الدكتور نبيل سليم !!!

كشف هذا الخطاب انه بالفعل لا حيلة لمن تنادى في المؤسسات الثقافية والعلمية في الوطن ، وانه رغم كثرة المطبوعات الدورية ، فان الصلات متقطعة فيما بينها : أول هذه الجهات هي جامعة الاسكندرية التي يكتب الدكتور نبيل للمجلات بأنه يعمل بها مدرسا في كلية الطب وانه نال فيها درجة الدكتوراه عام ١٩٨٢ - مثلما جاء في عدد شهر نوفمبر ١٩٨٩ من مجلة الفيصل .

● ظاهرة خطيرة في حياتنا الثقافية

كما لم يقم واحد من العلميين أو المثقفين الباحثين عن الحقائق في العالم العربي بتحرى هذا الموضوع ، لا بالدفاع عمن يحملون الدكتوراه . أو كشف حقيقة نقل المقال بالمسطرة .. مر كل شيء بهدوء شديد .. وكل ما حدث ان مجلة الدوحة قد منعت نشر مقالات جديدة "للدكتور" نبيل سليم . بل اصابتها وسوسة شديدة ، فراحت تمنع نشر اى مقالات تجيء عبر البريد من مدينة الاسكندرية باعتبار ان ذلك كاف لمنع آية شبهات .

أما المجلات العربية ، فقد بدا انها لم تقرا قط ما حدث في الدوحة .. أو لعلها طالعته وتناسته ولعل بعضها قد اعتبر ان الأمر لا يتعدى ان يكون نكتة سخيفة ، أو مكيدة من شخص قد لا يحبذ النجاح للاخرين ..

ولانه لا حياة لمن تنادى في هذا العالم . ولأن كل شيء مر بهدوء شديد فان "الدكتور" قد راح يتابع نشر مقالاته في مجلة "العربي" الكويتية .. وكان يمكن للأمور ان تسير على ما يرام ، لولا ان جاء للمجلة ، في العدد المنشور في نوفمبر ١٩٨٦ ان "الدكتور" نبيل سليم قد سرق مقالا منشورا في "العربي" من مجلة "طبيبك" التي كان يرأس تحريرها المرحوم الدكتور صبرى القبانى العدد ١٦٣ الصادر في مارس ١٩٧٠

● ياعزيزى .. كلهم حاقدون ●

في هذه المرة جاءت الملحوظة من قارىء في اغادير بالمغرب وكتبت المجلة "فوجئنا مثلك بأن المقال منقول بشكل يكاد يكون حرفيا من المجلة المشار اليها . وقد اردنا ان نتابع الموضوع اكثر فوجدنا ان هناك مقالات اخرى لنفس الكاتب مع الأسف ..

ورغم كل الاسف .. فان الأمر قد مر بهدوء .. وبدون اى متاعب للكاتب .. كل ما حدث ان "العربي" منعت نشر مقالات "الدكتور" الذى كان عليه ان يستمر ، في جرأة يحسد عليها ، متابعة النقل حرفيا .. ومن جديد انكشف مدى ما تعانيه المؤسسات العلمية والاعلامية من سلبية واستكانة .

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد .. فراح "الدكتور" ينشر مقالات مجددة في مجلات عديدة . وقد نشرت المجلة العربية التي تصدر في الرياض رسالة من القارىء محمود عبدالصمد زكريا اكد فيها ان "المذكور ليس طبيبا" وأكد على دوره فيما اسمته المجلة بظاهرة السرقات الأدبية ..

الطريف في كل هذه الحكايات ان الكاتب كان يرسل ردودا فياضة الى المجلات يدافع فيها عن نفسه مؤكدا ان العلم مشاع ، وانه لا جديد فيه . وان من يحاول ان يكشف هذه السرقات ليس سوى شخص يفرغ حقده وتشهيره ارضاء لشهوة نفسية ، وانه "يبتعد عن اصول النقاش وادبه لانه لا يعرف النقد والحوار المهذب الذى هو الطاقة المحركة للتقدم في كافة معارف الحضارة" وذلك مثلما جاء في رده الى المجلة العربية

والطريف ان "الدكتور" نبيل يرسل مع خطاباته العديد من البطاقات التي تؤكد

انه عضو هيئة تدريس بكلية الطب . وانه عضو نادى اعضاء هيئة التدريس بالاسكندرية . وقد شاهد كاتب هذ السطور بيعنى راسه قبل سنوات بعض هذه البطاقات ، وهى مغلفة ، وتبدو جديدة وليس فيها أية شبهة تزوير .. وقد اثار هذا حيرة وريبة .. ففى اعضاء هيئة التدريس تفاجأ ان البعض يؤكد ان نبيل سليم ليس "دكتورا" وايضا ليس طبيبا .. وفى كلية الطب تسمع التأكيدات انه لا يوجد دكتور يحمل نفس الأسم بينما يؤكد الاخرون ان نبيل سليم ليس سوى شخص يعمل مساعدا فى قسم الأشعة ..

وايمانا بأن ما يكتبه نبيل سليم ينم عن ثقافة ومعرفة موسوعية ولعدم التعرض للاتهام بأن من ينتقده شخص حاقد . فقد توارى الكثيرون عن التصدى لهذه الظاهرة الغريبة فى حياتنا الثقافية العربية ، ويبدو أن الكاتب مؤمن بأنه لا حياة لمن تنادى .. وان كل ما حدث مسبقا لم يكن سوى زوبعة فى فنجان ، فقد راح ينشر فى مجلة الفيصل ، فى العدد السابق الاشارة اليه ، صورته مرفقة ، ببيانات يؤكد فيها انه حاصل على درجة الدكتوراه فى الجراحة . وانه يجيد الانجليزية والفرنسية والالمانية وانه عضو فى نادى اتيليه الاسكندرية ، هو بالمناسبة الجهة الوحيدة التى تصدت له ، فاصدرت قرارها بفصله فى العام الماضى ، وان له دراسة عن تاريخ السينما الالمانية .

وكانت هذه هى المرة التى تنشر مجلة كبيرة صورة شخصية الكاتب . بعد ان ترددت الاقاويل انه شخصية وهمية ، او انه شخص ينشر باكثر من اسم ، وهذه ليست حقيقة بالمرة فالحقيقة انه ينشر باسمه الثنائى والثلاثى وراح يقدم دراسات موثقة فى مجالات متعددة ، ليست فى مجال تبسيط العلوم فقط فى الاعداد الأخيرة من مجلة الشاهد ، والوحدة . والدفاع .

ترى لماذا استمرت هذه الظاهرة ، هل لأن الصحف والمجلات تتعامل مع الحاصلين على الدرجات العلمية الاعلى بشكل افضل من غير الحاصلين عليها ؟ وهل يمكن هذا ان يدفع الكثير الى الصاق حرف الدال باسمائهم فوق المقالات التى يرسلونها الى مجلات تصدر فى اوطان بعيدة لا يمكنها ان تتحرى ، على طريقة المخبرين السريين ، عن شخصية الكاتب . واعتقد ان هذا ليس دور المجلات . أم ان الامر يمكن ان يزداد تعقيدا ويرسل الكاتب صور شهاداته موثقة . أو ان يرسل شهادة من اثنين موظفين بحسن السير والسلوك وبأنه حاصل على حرف الدال .. ؟ وهل ما يحدث يعكس صورة من شكل الحياة الثقافية فى الفترة الأخيرة .. أم ان كل هذا سوف يمر بشكل هادىء ، ويؤكد بالفعل انه لا حياة لمن تنادى ؟

١٥ سنة على رحيل :



قيثارة العصر ..

بقلم : عاطف مصطفى

تقاس عظمة الإنسان بما قدمه في مجال الإبداع ، وتظل أعماله خالدة تشهد بنبوغه ، كما تعطى المثل والقدوة لمن يسير على نفس الدرب .. هكذا كانت أم كلثوم ، والتى مر على رحيلها خمسة عشر عاما ، ومازالت الصوت الأثير .. الذى يتربع على عرش الغناء فى عالمنا العربى .

● إحتفلت محافظتها الدقهلية بذكراها ، وشارك في الاحتفاء عدد كبير من الشعراء والأدباء من بينهم محمد التهامى وابراهيم عيسى ود . محمد عبدالمنعم خفاجى ود . عبدالعزيز شرف وحياة أبوالنصر ، واقيمت ثلاثة معارض فنية من وحى أغانى أم كلثوم ومشوار حياتها الفنية واسهامها فى قضايانا القومية ، الأول اشترك فيه الفنانون التشكيليون من أبناء الدقهلية وضم ٥٠ لوحة فنية ، والثانى ضم المقتنيات التذكارية لأم كلثوم واكسسواراتها الخاصة والملابس التى ظهرت بها فى حفلاتها فى مراحل مختلفة من حياتها ، ثم معرض صور نادرة للفنان سعد سويلم الذى رافق أم كلثوم حفلاتها ورحلاتها

خارج مصر ، ومشوارها الذى أسهمت من خلاله أثناء حرب الاستنزاف .

كانت المفاجأة ثلاث فتيات من أبناء الدقهلية قدمن أغانى أم كلثوم منهن فتاة عمرها تسع سنوات ، يحتجن إلى رعاية خاصة لنرى من جديد أم كلثوم من ريف المنصورة .

جاءت الندوات كلها تتحدث عن الصوت المعجزة ، وكيف قدمت أم كلثوم على مدى نصف قرن عطاء يصل إلى حد الإعجاز .

● منهج تواصل الأجيال

وتكريم أم كلثوم وإحياء ذكراها كل عام كما يشير اللواء محمد حسين مدين محافظ الدقهلية ، يعتبر تأكيدا لمنهج تواصل الأجيال ، وتأصيلا للقيم وعلى رأسها قيمة الوفاء لمن شاركوا فى صنع الحياة الفنية والفكرية والثقافية على أرض مصر ، ومن خلال أعمالهم العظيمة ، التى تعتبر وساما على صدر كل مصرى .

فلقد شهد عام ١٩٢٠ أم كلثوم وهى تبدأ رحلتها مع الفن فى قريتها طماى الزهايرة ، وبعد سبع سنوات ظهرت أم كلثوم تصاحبها الآلات الموسيقية وهى تجوب مديريات مصر ، واستمرت فى تطوير فنها حتى استطاعت أن تواصل طريقها فى الفن بين الأسلوب الشرقى القديم والأسلوب العصرى الحديث ، كما استطاعت أن تشارك الشعب المصرى فى أفراحه منذ قيام ثورة يوليو ، كما شاركت فى آلامه طوال فترات كفاحه ، واستطاعت أن تحمسه لمواجهة التحديات المختلفة التى كان يواجهها خاصة فى حروب ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، وأيضا وهى تبعث فيه



روح الإصرار والنضال أثناء حرب الاستنزاف .

وفى عام ١٩٧٥ ترحل أم كلثوم إلى جوار ربها بروحها ، ويشارك فى وداعها كل أبناء مصر والعالم العربى ، فكان يحق وداع الزعماء والمناضلين ، فهى التى جعلت قيمة الغناء الحقيقى فى ارتباطه بأحداث وطنه ومعايشة قضاياه ، قبل أن تكمن فى موهبته ، وبهذا كانت زعيمة أكبر تجمع جماهيرى عربى ، ظهر فى النصف الثانى من القرن العشرين .

وهى ركن من أركان الموسيقى العربية ، ورمز العطاء فى الوطن العربى ، فقد استطاعت أن تصنع مجدها وخلودها وأن تكتسب تقدير المستمعين وإعجابهم بفنها

الرفيع طوال ٥٠ عاما ، فعاشت أسطورة وماتت أسطورة وستظل أم كلثوم أبد الدهر أسطورة حيث ألهمت وحدة الوجدان بصوتها العربى الأصيل

يقول الشاعر محمد التهامى فى أبيات عنها :

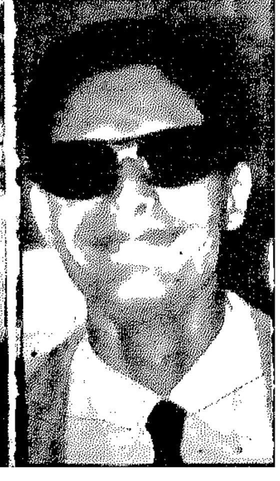
إن من عد أم كلثوم فردا
فهو غر أو حاسد يتجنى
إنما فن أم كلثوم خفق
وحياة جاءت تعمر كونا
إنما فن أم كلثوم سحر
قد أحال النهار والليل فنا
إن أطعتم بأم كلثوم لفظا
لم تحيطوا بأم كلثوم معنى
ليت إذا أفرد السماء نبوغا
أغرم الكون بالنبوغ فثنى

إلى أن يقول:

أسمعتنا الأنغام حتى انتشينا
وسقتنا الأنغام حتى سكرنا

ويقول الشاعر ابراهيم عيسى من بين قصيدة له فى مهرجان الاحتفال بذكراها

ياأم كلثوم .. ياكل الغناء .. ويا
نهرا جرى للعلا كم رق منهله
زرعت فى كل قلب حبة فربت
واهتز بين حنايا الوجد جدوله
....
غنيت مصر التى فى خاطرى أملا
فأسترجع المجد يوم النصر جحفله
وغبت كالشمس لكن فى جوانحنا
نورا نهدهده شوقا ونمهله
فغردى فى سماء الخلد واستبقى
فى عالم الروح حشد اشف محفله
لو أصبح الكون عصفورا وأغنية
فأنت آخر مايشدو وأوله



سيد ابو حطب غنى لام كلثوم

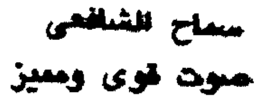


نيللى الشافعى

● علم الثقافة بالمنصورة

وقد أعلن محافظ الدقهلية أن عام ١٩٩٠ هو عام الثقافة ، كما أعلن حسين مهران رئيس الهيئة العامة لقصور الثقافة عن خطته فى تطوير وتحديث قصور الثقافة ، ليلتقى هذان القراران فى محراب مناسبة الاحتفال بذكرى أم كلثوم .. كما تبدأ مديرية الثقافة بالدقهلية بإصدار سلسلة كتب المبدعين من أبناء الدقهلية ، يصدر أولها خلال هذا الشهر بعنوان « أوراق فى مشوار أم كلثوم »، ويتم تخصيص سلسلة الكتب هذه للكتاب الأول للمبدع ، تشجيعا لتفتح المواهب ودعمها





سماح الشافعى
صوت قوى ومميز

ورعايتها ويتم دراسة إقامة ندوة شهرية باسم «ندوة المنصورة الثقافية» ، يثريها أعلام الثقافة والفكر فى مصر ، وتتناول الموضوعات والقضايا الفكرية .

وفى مناسبة الاحتفال بذكرى أم كلثوم الخامسة عشرة ، فقد أطلق اسم الفنان المثال مختار على قاعة المتحف التشكيلى بقصر الثقافة بالمنصورة ، واسم رائد الرواية العربية الدكتور محمد حسين هيكل على قاعة نادى الأدب بقصر الثقافة ، واسم الدكتور فاروق الباز على قاعة نادى العلوم ، واسم الفنانة فاتن حمامة على قاعة الفيديو .

كما أعلن عن إقامة مسابقة فنية سنوية باسم ميدالية أم كلثوم ، يتم منحها على المستوى القومى ، لصاحب عمل متميز فى مجال الموسيقى والغناء والكتابة فى مجال الفن .



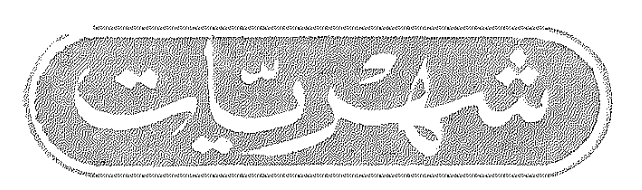
اللواء محمد حسين مدين
يفتتح معرض صور أم كلثوم

إن لدينا كما أشار حسين مهران الإنسان القادر ولدينا الوسائل والأدوات المتطورة ، ولدينا منهج العمل ، والنوايا الصادقة ، ولدينا جميعا مانمتلك من الحس الوطنى والشعور القومى ، ولدينا الحماس لمقومات الانتماء .. ويبقى لنا أن ننصهر جميعا فى بوتقة واحدة ، وأن نتكاتف من أجل مصر .

إن ذكرى أم كلثوم ليست ذكرى فنان أعطى فنه كل حياته ، بل هى مناسبة للدرس الوطنى وللعمل القومى ، ومناسبة لتفجير الطاقات الإيجابية .

....

ليت أجهزة الإعلام ومن بينها التليفزيون ، تحرص على تلك المهرجانات الفنية والثقافية ، فهى مليئة بالمواهب التى تحتاج إلى إلقاء الضوء عليها فهى فى رأيى أفضل بكثير من برامج لسنا فى حاجة إليها ، فيكفى أن هناك مواهب فنية ظهرت فى حفل أم كلثوم فى ذكراها بالدقهلية ووجهت الدعوة للتليفزيون ولم يحضر أحد .. !



رأى فى الثقافة

استطلاع الهلال

هل الكتاب العربى فى أزمة ؟

إعداد : عادل عبدالصمد

مضى معرض القاهرة الدولى الثانى والعشرون للكتاب كتظاهرة ثقافية ضخمة احتشدت بها أسماء عديدة من كتابنا العرب الذين اتوا من كل البلاد العربية تقريبا .

● « الهلال » التقى بالعديد منهم ليستطلع رأيهم حول وضع الكتاب العربى فكانت هذه الحصيلة من الآراء المتنوعة .

● سميح القاسم : ما ازمة الكتاب ؟


الشاعر سميح القاسم

قال الشاعر الفلسطينى الكبير :

يبدو لى ان هناك نوعا من الهوس بألفاظ وتعابير تتكرر من حين لآخر . وكثيرا مايكون هذا الهوس بالمعنى الموضوعى لاسلبا ولا ايجابا ، كثيرا مايكون على قدر من الافتعال ..

ويبدو لى ان كلمة ازمة مثلا ، هى من الكلمات الاكثر رواجا فى حياتنا الثقافية ، الأمر الذى يستدعى التوقف والتأمل واعادة النظر ، لأنه يتم باستمرار خلط عشوائى بين ماهو حقيقى وبين مايشكل جزءا من مخاوفنا ، وهناك خلط بين الأزمة وبين "الاشكال" وخلط بين "الاشكال" وبين الصعوبات .

وثراء اللغة العربية يجب الا يفقدها التخصص ، فكل لفظة تتحدث عن وضع

معين ، عن حالة معينة .. ونحن كثيرا مانهجم على أقصى التعابير ، للدلالة المحدودة ، فى حيز محدود ، وفى زمن محدود ، فكل عمل جميل يطلق عليه خرافة ، كل قصيدة نسميها ابداعا ، كل حادث طرق نسميه كارثة .

بهذا الأسلوب نحن نفقد اللغة قدرتها على التجاوب مع حياتنا، بالمستويات المعقولة والمطلوبة ، والتى كانت اللغة أصلا من اجلها ...

وهذه المقدمة ليست الا محاولة لتحجيم المشكلة ، واقول ان الكلمة العربية ليست فى ازمة ، والتأزم كثيرا مايكون نابعا من ذواتنا من داخلنا ، نحن نسقط ازمة فردية على مجتمع ، على الثقافة ، على اللغة .. واعطى مثالا هنا من تجربتى الشخصية ، "انا تعودت على الكتابة بقلم الحبر السائل" اللون الأسود ، وعلى ورق مصقول ... فاصبح لدى نوع من الشجن حين اسمع حفيف لسان القلم على الورق ، واحب الكتابة بهذا الشكل ..

وبمرور الوقت نشأت امكانية بأن يكتب الشاعر او الكاتب على الآلة الطابعة او الكتابة عبر الكمبيوتر .

الآن فى الولايات المتحدة يقرأ الانسان رواية كاملة على "تيب بوردر" ويستطيع السائق ان يسمع الرواية كاملة فى سفرياته الطويلة ، ويستطيع الشاعر ان يسجل قصائده واشعاره ، على "راديوتيب" ..

انا شخصيا مارست هذا الاسلوب من الانتشار والوصول الى الجمهور من خلال "راديو تيب"

وهناك مشروع الآن لاعداد "فيديوتيب" كاستات لقراءات شعرية ولا أرى ان ذلك يسبب اى ازمة ، بل هى محاولة لتحديث اساليب وادوات ايصال الكلمة الى الجمهور .

والبعض يحاول مرة اخرى تضخيم مشكلة ، هى مشكلة حقيقية ، مشكلة المنافسة بين الكتاب والتليفزيون والفيديو ..

قد يكون فى هذه المنافسة مكان للتأزم لدى كاتب اعتاد ان يرى انتاجه مطبوعا فى كتاب ويوزع فى المكتبات ، ويقرأ فى المكتبات العامة ..

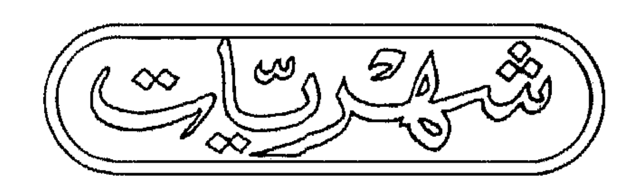
واعتقد اننا مطالبون بالتحفظ من تضخيم الاشكاليات المبرر منها احيانا وغير المبرر احيانا اخرى من اساليب الايصال الحديثة ..

ومن قال ان القراءة بطريقة امساك الكتاب هى الطريقة الوحيدة ؟

اعتقد انه اذا كانت القراءة تعتمد على العينين ، فهناك قراءة تعتمد على السمع ، وقراءة تعتمد على اللمس .. لذلك لا اخشى كل هذه التطورات المرئية فى الأفق والمرئية فى حياتنا اليومية .

وانا اعتقد ان الاستماع للقصيدة عبر الكمبيوتر لايقل تأثيرا او امكانية للتأثير ، عن قراءة الكتاب بالبصر والسمع واللمس ، وقد يأتى يوم نقرأ فيه كلمة حامض بلساننا من يدرى ؟!

الانسان غير محدود ويجب ألا يحد نفسه ، ويجب ان ينطلق بشكل عاصف نحو الآفاق التى مازالت مغلقة لأنه دون تجديد الحياة ، ودون تجديد الانسان قد نتحول الى ديناصورات ... وكما تعلم ان انقراض الديناصور كان بسبب عجزه عن التكيف مع البيئة ، ومع الزمن والمناخ ، ونحن نختلف عن الديناصور باننا قادرون



على صياغة ذواتنا بشكل ارقى ، من زمن الى زمن ومن مكان الى مكان ومن عصر الى عصر .

اننا قد اخترنا الحياة ، وليكن هذا الخيار غير قابل للتردد والتراجع .. وبهذا المعنى نحن مطالبون بالتهيؤ الكامل لكل ماهو جديد .. لكل مايبدو مدعاة للاشكال للعراقيل وللتأزم ايضا .

● هناك ظاهرة يعرفها كل الناشرين تؤكد أن هناك انحسارا مايتم على ساحة توزيع الكتاب ، واعلم أيضا من تجربتي وهذا ليس سرا ، انني احد الشعراء الاكثر رواجا في الوطن العربي .

وادرك ان زملائي الشعراء الاكثر انتشارا ، هم ايضا يحسون بان هناك انكماشا في سوق الكتاب .

هذه المسألة لاتتعلق فقط بمسألة الكتاب والفيديو والتليفزيون ولكن هناك ايضا جانب اقتصادي .. الكتاب الذي يساوي ثمنه دخل عامل في بلد معين طيلة النهار ... لايمكن ان يأتي قبل الرغيف ..

قد يكون هناك قراء يعتبرون الكتاب من الضروريات ، ولكن أقول وهذا اعتراف مني انني اذا خيرت بين الكتاب للقراءة وبين قميص لأحد اطفالي ، سأختار القميص اولا ، وهذا أمر مشروع وانساني .

أما عن تقلص الكتاب العربي فهو ليس تقلصا تراجيديا ، فقد رأيت في معرض الكتاب مشاهد رائعة لشبان ونساء وشيوخ واطفال ، يخرجون بأكياس البلاستيك محملة بالكتب .

وهذا المشهد البهيج لم اشاهد له مثيلا في أوربا ، والولايات المتحدة ، أو في أي مكان في العالم .

ولا أجد كلمات للتعبير عن الاحساس الذي رأيته في عيون الكتاب والشعراء والمثقفين والفنانين والجمهور في تظاهرة حضارية عظيمة في زمن يشاع وصفه بالقبح وبالرداءة وبالتخلف .

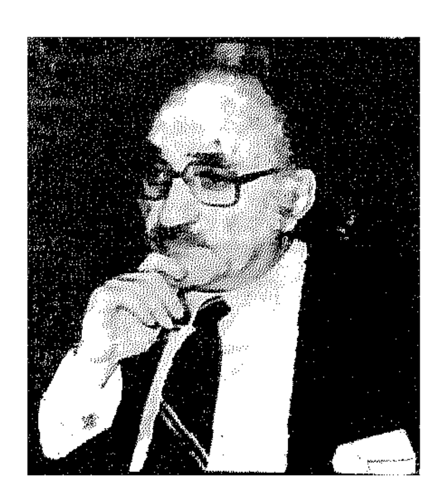
هنا تنبثق نقطة ضوء أرجو لها ان تصبح شمسا حقيقية في غد قريب .

● بلند الحيدري : الكلمـــة تتطور

الشاعر العراقي بلند الحيدري يقول :

لا مناص من أن نعترف بأن اللغة ، وكأي كائن حي ، يمرض ويهزل ويموت وقد يبعث حيا في كينونة أخرى ويؤثر في اشكالات متعددة ، وقديما قيل : تبلبلت الالسن في بابل فجاءت على حياتها ، وعرفنا من قبل كيف ان اللغات الأوروبية قضت على أمها . فهناك دوما أزمات ، واللغة العربية كغيرها من اللغات قد ناشها الكثير من هذه الأزمات ، وكان ان خرجت منها بشيء من عافيتها ، وكان للقرآن الكريم ما مدها بكل ما شد أزرها فانتصرت بذلك على مناوئيها .

واذا كنا نقول اليوم بتخلفها عن استيعاب العصر فلابد من ان نقول بأن تخلفها كان من بعض تخلف اهليها ، واذا صدقنا الاحصائيات القائلة بأننا نزداد



الشاعر العراقي بلند الحيدري

امية عاما بعد عام فعلينا أن نصدق بكوننا لن نستطيع أن نتعامل مع اشكالات عصرنا وتطلعاته إلا من خلال المستوى الأدنى من لغتنا ..

وهكذا استضمر قدراتها الهائلة عاما بعد عام ، ويتراخى الزمن اكثر فاكثر مابينها وبين امكانيات استيعاب منجزات عصرها .

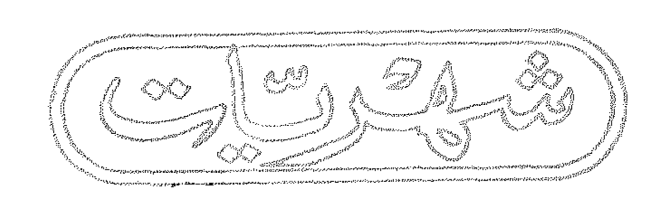
ومن بعض ازماتها الأخرى شيوع العامية وتفادى بعض مثقفينا الى استبدال الفصحى بها .. وكذلك من بعض ازمات لغتنا شيوع اللغات البديلة وفى غير قطر عربى ، ويعانى الكتاب العربى كوسيلة تعبيرية فى حدود قسرية تأخذ اشكالا متعددة ، سياسية واقتصادية واجتماعية ، مما سينعكس حتما على مستوى اداء دورها فى هذا القطر او ذاك .

ومما لاشك فيه ان للمذياع الذى دخل كل بيوتنا ، وللتليفزيون الذى اصبح من اكثر وجبات طعامنا فى تناولنا اليومى للثقافة ، دورا مهما فى محاصرة الكتاب اليوم ، وهى محاصرة ذات ابعاد مختلفة من حيث الزمن الذى يطول ، الزمن الذى كنا نفرده للقراءة ، ومن حيث مستوى مايمكن ان يفرزه المنهج الثقافى الذى يحمله المذياع ، والتليفزيون الينا وهى على العموم ثقافة معلوماتية وسطحية ، تمر بسرعة على ذاكرتنا الذهنية والعينية ، وانها بذلك دون مايحمله الينا الكتاب ، وعلى الأخص الكتاب القائم على ثقافة عميقة ودقيقة ، ومن بعض مخاطر هذه الثقافة انها تخلق قراءة على هذا المستوى الذى ليس له الا ان يعلمنا بما ينجز فى العالم ، ودون ان يمكننا من التفاعل والتعامل معها ، وبما يخرج بنا من مرحلة الانبهار الساذج بها الى مرحلة ادراكها فى صميمها ، وعبر ما يمكن ان يؤكدنا فى خصوصيتنا القومية .

اللغة كوعاء للفكر لا يمكن ان تموت ، والوسائل المطروحة فى عصرنا لايصال الافكار من خلال الاذاعات والتليفزيونات هى فى ذاتها تعزيز للغة ، وما نأخذه على هذه اللغة هو مستواها الذى لاتعالج فيه غير الظواهر المسطحة من اشكالات ثقافة عصرنا وانجازاته ، وضمن فترات قصيرة جدا .. فالمشكلة ليست فى هذه الوسائل ، ولكن فى كيفية تعاملنا معها وكيفية استخدامها لتعزيز العمق الثقافى واتساع ابعاد اللغة وامكاناتها .

● محيى الدين فارس : الكلمة سيدة الموقف

أما الكاتب المعروف محيى الدين فارس فيقول : منذ ان كانت اللغة صوتيات قبل ميلاد الحروف .. الكلمات فالمكونات الاولى للمقاطع والجمل كانت تحمل مضمونا اجتماعيا يعكس ما كان يعتمد فى صدر العالم البدائى ، وهذه الصوتيات كانت تؤدى المعانى من خلال التلوين



الصوتى الذى يحذر القبيلة من الحيوانات الضارية الشرسة أو يعلن لها الاشارة عن نبأ سار ، كاصطياد حيوان ضخم يؤمن للقبيلة امنا غذائيا يوما او بعض يوم وفى المتروك التراثى لاجدادنا الأوائل ، سواء أكان رسومات على واجهات الكهوف القديمة أو مخلفات اثرية لمكتشفات الانسان تجد فى كل ذلك بريدا مرسلا الينا عبر القرون والأزمنة .

واذا تأملنا محتويات ذلك البريد نلمح فكرا مصبوبا فى أوان تتأبى على الزوال كالآثارالحجرية والمستعملات اليدوية .

واذا تأملنا واقع أمتنا العربية ومشاكلها المركبة وازماتها المتوالية ، وصراعاتها الخفية ، والواضحة للعيان ، فى الوقت الذى تسعى فيه اوربا للوحدة والتماسك نجد ان الكلمة قد لعبت دورا كبيرا فى تعميق الخلافات ولكن هذه الكلمة التى تدمر صرح الوحدة والتماسك العربى تقابلها الكلمة الشريفة التى تؤدى دورها التاريخى فى بث الوعى والدعوة الى الوحدة .

فالعالم من حولنا أصبح قرية صغيرة . وفى هذا الحيز الضيق والواسع معنا لابد من بناء الذات والكينونة وايجاد القالب الذى يحفظ لامتنا العربية وجهها الحضارى المشرق وفى مسرح التسعينات المتسم بالايقاعات السريعة والمتلاحقة والنتائج غير المتوقعة والتى اصبحت امامنا حقيقة مادية وملموسة تدرك ان العالم القديم يدخل دائرة


الشاعر السودانى
محيى الدين فارس

المحاق ، فقد هزت شجرته العجوز رياح التغيير المفاجئة ، والانتقال من العالم القديم الى العالم الجديد .

وقد لعبت الكلمة الشريفة دورها ولاتزال فى صياغة الانسان العربى صياغة تواكب الزمان وتماشى اسلوب التطور ، ومما يساعد على ذلك وعى القارىء العربى القادر على غربلة الافكار والتمييز بين الفكر المعوق والفكر البناء الا ان هناك شيئا يجب ان نشير إليه وهو غموض اللغة وضبابية العقل فى بعض نماذج الشعر الحديث مع ان الشعر هو فن امتنا الاول ، تأتى بعده القصة والرواية .. وبما انه يحمل الشفرة السرية فى تخصيب العقل الجمعى فان مافيه من غموض جميل ولغة جديدة يجب ان يفضى فى نهاية المطاف الى شىء . وترهل جسد القصيدة ونموها العشوائى يفسد هذا الفن الجميل ، ويبطل مفعول رسالته النبيلة .

ولعل ترجمات بعض المذاهب والتى

ماتت فى مواطنها الاصلية كالبنيوية واللسانيات التى تحول القصيدة الى معادلات رياضية جافة وغيرها لعل كل ذلك وغيره شيء مقصود لاقامة حواجز وعوازل بين المبدع والمتلقى ، وكما ان المسرح كما قال ارسطو يدعو الى تطهير النفس من الداخل ، فان الشعر وهو خبز الملايين عندنا يجب ان تكون قنواته مبرأة من تصلب الشرايين . فالكلمة ستبقى سيدة الموقف وقادرة ابدا على الاسهام فى بناء المدينة الفاضلة ويوتوبيا الجماهير .

● حسن عبد الله القرشي : صبـاح الكلمـة الحـرة

الشاعر السعودى حسن عبد الله القرشى يقول :

حرية القلم هى الأساس فيما يكتب الكاتب ، وفيما يصور الشاعر ، وفيما يعرض الصحفى ، وفيما يناقش الناقد .

وحينما يفتقد القلم حريته ولايجد صاحبه نظاما يحميه من سلطة حاكم او بطش متسلق أو سيطرة مستبد . تنشأ ازمة الكلمة وتستحكم ..

ولا تنفصل ازمة الكلمة المكتوبة عن ازمة الكلمة المنطوقة ، وما اكثر ماتعرض الكتاب والشعراء والفلاسفة لإيذاء الطغاة ، سواء بالضغط على مصدر الرزق او حتى بالسوط ، بالسيف والمقصلة .

ان الفكر لايزدهر مادامت الكلمة مختنقة ، ومادام مجال القول ضيقا . فالازمة اذن ماضيا وحاضرا ومستقبلا ـ هى ازمة الحرية .

وإذا كانت المعارضة ـ الفكرية او السياسية محترمة ، ومعترف بها فى البلاد التى قطعت شوطا كبيرا من التمدين فانها فى اكثر ـ ان لم أقل فى سائر ـ بلاد مايطلق عليه الآن العالم الثالث مضطهدة بل مداسة احيانا ، ولاسيما حينما تتسلق على الحكم حفنة جاهلة ، أو غبية تمالؤها فئات منافقة ، همها الارتزاق والسيطرة ، وبعيدة عن اهدافها ـ كل البعد ـ مصلحة الشعب ورقى الامة .

وها نحن نشهد اليوم محنة الحرية فى كثير من هذه البلدان ، ومن قبل فرقاء استولوا على خيرات بلاد اخرى وامتصوا مواردها ، واذلوا شعوبها ، كما هو الحال مثلا فى جنوب افريقيا وفى اسرائيل وغيرهما ..

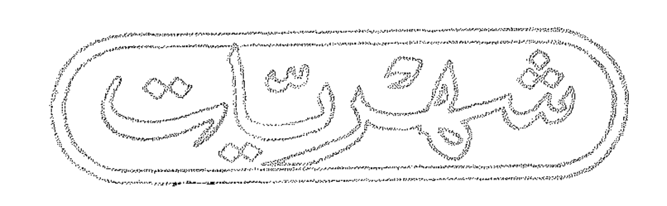
فقدان الحرية اذن هو سر الأزمة ولبها واساسها . وحينما تتاح لأصحاب الرأى والفكر والقلم حرية القول والكتابة ، ستتلاشى هذه الازمة وتندثر وينبلج صباح الكلمة مكتوبة او منطوقة .

وحينما يملك المصلحون ان يرفعوا اصواتهم وان ينتقدوا ويوجهوا حينئذ يقوى ساعد الامة ويزدهر اقتصادها ، وتترسخ اقدامها ، وتستطيع ان تحمى ذاتها وتدافع عن سواها عند الحاجة .

● عبد الرازق عبد الواحد : مـن الـورق الـى الوعـى



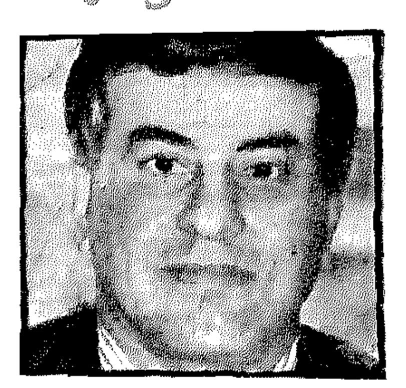
الشاعر العراقى عبد الرازق عبد الواحد



ويقول عبد الرزاق عبد الواحد الشاعر العراقى المعروف إن مايحدث هو أزمة فى الورق ! وأزمة فى القلم .. ! وأزمة فى الهواء .. ! وأزمة فى الوعى .. وأزمة فى اللغة بين المنطوقة والمكتوبة .

ولا أدرى ، بعد ذلك ، كيف تحافظ الكلمة المكتوبة على تواصلها مع الناس ، وعلى فاعليتها .. هذا اذا كتب لها ان تكون مكتوبة !

عبد الرحمن مجيد الربيعى
الكلمة فى أزمة



الروائى العراقى عبد الرحمن مجيد الربيعى

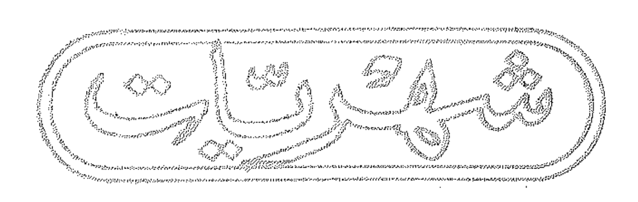
يقول عبد الرحمن مجيد الربيعى حول أزمة الكلمة المكتوبة : هناك أزمة فى الكلمة المكتوبة فى عالمنا العربى ، إن الأدب العربى فى سنواته الاخيرة خلا من الاعمال المميزة الكبيرة ، كما خلا من الاسماء الكبيرة ايضا ، ويخيل الى ان العمالقة الاحياء ، أو بقايا العمالقة الاحياء هم آخر سلالة المبدعين الكبار فى الأرض العربية التى ضاقت بمبدعيها الأصلاء ولم تحتملهم ، ومثلما يعين الوزراء والمدراء العامون بأوامر صار الأدباء يعينون بأوامر ايضا ، وتمنح كل الفرص للبعض لمنصبه وموقعه الوظيفى لا لابداعه ، وقد وصل الرياء ببعض المؤسسات الثقافية العربية ان ترى الأدب فى اولئك الذين يجلسون وراء مكاتب فخمة وتتصدر اسماؤهم ألقابهم الوظيفية الكبيرة . فالثقافة العربية الآن قد دجنت بالكامل والأدباء صاروا مصفقين فى جوقات السلطان ولن نحلم بولادة عقاد آخر أو طه حسين آخر ، أولئك الذين كانت السلطة تحسب لهم حسابا .

انها المحنة العربية ، كأن هذا الاذلال مطلوب .

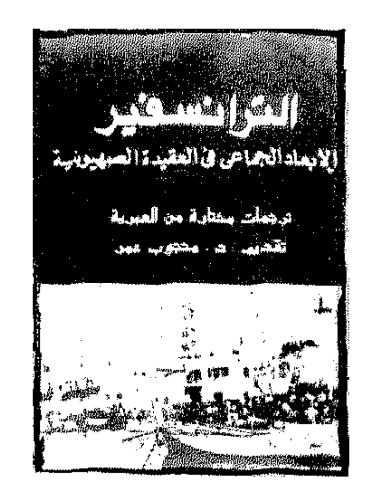
أما الأعمال الشابة المتميزة فانها تحاصر ، وقد لاتجد فرصتها فى النشر ، يوما ما كانت بيروت مساحة أوسع ، ولكن اغتيال دور بيروت جعل هذه الأعمال سجينة أدراج كتابها .

فالناشرون يفضلون الأدباء الرسميين لأنهم إن نشروا لهم ضمنوا بيع وتوزيع كتبهم فى اقطارهم ، أما الآخرون من غير الرسميين فقد يكونون غالبا مثار اشكالات كبيرة .

ان مساحة اللاحرية فى الوطن العربى تتسع ، وسلطة القمع تقوى وتشتد ، والخوف من الكلمة الحرة اكبر الآن مما كان عليه فى يوم مضى وحوصلة أجهزة الرقابة ضاقت حتى أصبحت بحجم حوصلة عصفور .



مكتبة الهلال



الكتاب
الترانسفير
ترجمات مختارة
من العبرية
تقديم :
د . محجوب عمر
الناشر :
دار البيادر

٣١٦ ص ، ٥ ج . م

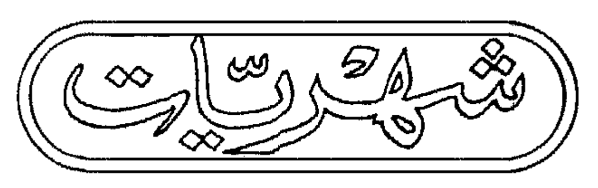
« الترانسفير » في العقيدة الصهيونية يعني عملية تهجير العرب من فلسطين إلى خارجها ، وهذا الكتاب عبارة عن ترجمات من اللغة العبرية إلى اللغة العربية ، تبلغ تسعة عشر مقالا مأخوذا من الصحف الإسرائيلية في الفترة التي شهدت بداية إندلاع الإنتفاضة الفلسطينية وحتى الآن ، بإستثناء المقال الأخير الذي كتبه إسرائيل شاحاك .

وقد جمعت هذه المقالات فور صدورها تقريبا ، إذ لفت النظر إليها احتلالها واحتلال مقولة الترانسفير مساحات متزايدة من الصحافة الإسرائيلية ، في الوقت الذي كانت الإنتفاضة الفلسطينية فيه تفاجيء العالم كله والإسرائيليين بوجه خاص ، بحيث أثارت عشرات الأسئلة .

الإسرائيليون تساءلوا جميعا عن المخرج ، وعن كيفية مواجهة الإنتفاضة ؟ وهنا جاءهم الجواب على لسان عدد من القادة الصهاينة ، يذكرونهم بما كانوا قد نسوه ، عندما صدقوا انفسهم ودعايتهم ، وتصوروا أن إسرائيل دولة ديمقراطية متحضرة بالفعل ، والحل كان عند هؤلاء القادة مختصرا في كلمة واحدة يعرفها الإسرائيليون جيدا هي الترانسفير .

يقول أحد القادة الإسرائيليين : إن فكرة الترانسفير ، أو نقل العرب الفلسطينيين إلى خارج أرض إسرائيل بإرادتهم ليست فكرة جديدة ولاتؤيدها جماعات هامشية في إسرائيل ، إن الاستفتاءات العامة واستطلاعات الرأى تظهر أن الكثير من الإسرائيليين يؤيدون هذه الفكرة ويؤمنون بها .





مكتبة الهلال

الكتاب : طبيعة ومشكلات الحكم فى مصر
تأليف : أسامة خالد
الناشر : دار ثابت
٢٤٠ ص

يرى مؤلف هذا الكتاب أنه يتوجه بعمله هذا إلى لكثرية القراء الذين لم يختاروا إتجاها سياسيا أو راية ينتظمون تحتها ، مثلما يتجه به للذين لاترضيهم الأحزاب الموجودة . ويبحثون عن إطار جديد ، أو شكل جديد ، أو فكر جديد ، مثلما هو متجه للعاملين فى الأحزاب والمنتديات الفكرية القائمة فعلا . يقول المؤلف أيضا أن القارىء ربما سيشعر ببعض التعالم خاصة فى الفصل الذى يتناول قواعد ومفاهيم عامة يحسبها غائبة عن حياتنا السياسية أو صراعاتنا الفكرية ، ولذا فهو يقدم العذر بين يدى القارىء لأن التعالم أو استعراض المعرفة هما أكثر بعدا عنه فمؤلف الكتاب يرى أن الحقيقة لاتوجد فى إتجاه واحد أو حزب أو فكر واحد أو سلة واحدة ، وأنها موزعة بين قوى مختلفة يمكن استخلاصها وتجميعها خلال الحوار الديمقراطى الحر شرط أن يجرى على أسس واقعية ومن زاوية عملية .

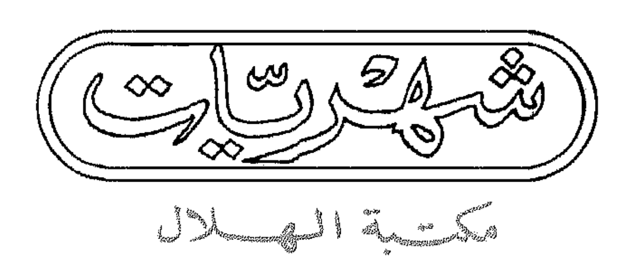
لهذه الأسباب إقتصر المؤلف على كشف الحقائق بطرق الإثبات العلمية وتتبعها حتى نتائجها المنطقية التى تحددها عواملها الذاتية والعوامل المحيطة بها ، ولذا فلا يوجد أثر من حب لاتجاه بعينه أو كره لإتجاه آخر .



الكتاب : الجيش والديمقراطية فى مصر
تأليف : نخبة من المؤلفين .
الناشر : سينا للنشر
٢١٢ ص ٦ ج . م

هذا الكتاب هو تجميع لعدد من الأوراق العلمية المنشورة وغير المنشورة حول موضوع الدور السياسى للعسكريين فى مصر ، سواء من ناحية الخلفية التاريخية المرتبطة بثورة يوليو ١٩٥٢ ، أم من ناحية الوضع الآن .

ويرى الدكتور أحمد عبدالله محرر الكتاب أن «أحد أشكال الممارسة الديمقراطية وتوسيع نطاق المشاركة الشعبية هو نقل الإهتمام بالقضايا العامة - ومنها بالطبع قضية الدور السياسى للعسكريين ، من دائرة الصفوة الضيقة المهتمة بالسياسة ، إلى الدائرة الأوسع من المواطنين على الأقل بدءا

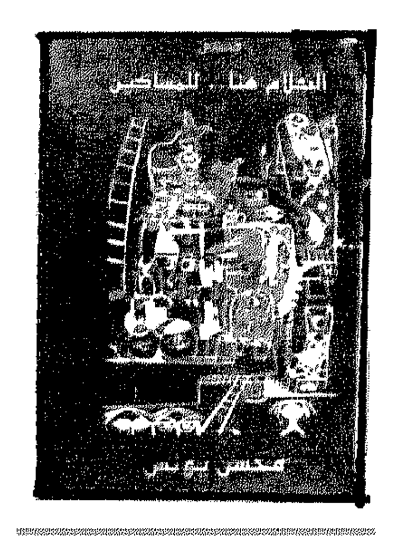


من دائرة المهتمين بالقراءة .

ولأن الجدل حول قضية الدور السياسى للعسكريين هو موضوع قديم اتخذ يوما شكل الهمس ثم شكل المظاهرات فالجديد فى الأمر ـ يقول المحرر ـ أنه يتخذ اليوم شكل الحوار الديمقراطى المفتوح .

شارك فى الكتاب أيضا كل من د . مجدى حماد الذى كتب المؤسسة العسكرية والنظام السياسى المصرى ١٩٥٢ ـ ١٩٨٠ ـ والدكتور جهاد عودة الذى كتب عن المؤسسة العسكرية والسياسة الخارجية فى فترة الرئيس مبارك ١٩٨١ ـ ١٩٨٧ ، والدكتور روبرت سبرنجبورج عن الرئيس والمشير : العلاقات المدنية العسكرية فى مصر اليوم .

بالإضافة إلى دراسة أحمد عبدالله المعنونة ، القوات المسلحة وتطور الديمقراطية فى مصر ملحق توثيقى يضم متابعات صحفية للقضية فى الصحف المصرية .



الكتاب : الكلام هنا .. للمساكين
تأليف : محسن يونس
الناشر : دار الغد
٢١٢ ص ، ٢ج م

تضم هذه المجموعة الجديدة لمحسن يونس أربع عشرة قصة قصيرة تدور حول أجواء الحكايات للكاتب التى يصفها الناقد إبراهيم فتحى بأنها تقدم الفرد كله داخل الحياة الاجتماعية فى لقطة واحدة .. فأمامه خيارات وفرص محددة وعليه أن يلعب كل شىء وفقا لرمية واحدة للفرد ، وتميل حياته نحو أن تأخذ مظهر القدر ، أى مظهر حكاية تروى ، فلدينا تاريخ طبيعى فى مسار مستقيم ، وتماثل بين رؤية الحياة الاجتماعية والحياة الطبيعية ، وقد تبدو بعض الأحداث وكأنها تتحرك مؤقتا وعرضا ـ بدون حتمية للإثارة والتشويق ، ولكنها لابد أن تستوعب داخل منطق صارم وأن تؤكد بتباينها ذلك المنطق الصارم .

ويقول الخراط أن محسن يونس يبدأ من قصته الأولى المنشورة بمغامرة بهيجة فى اللغة ، بين الفصحى وعامية الريف الساحلى بالتحديد .

ونحن نعرف أنه من عائلة صيادين بدمياط ، ولكننا نعرفه على الأخص من خلال هذه اللغة التى ينحتها ويروضها ويسلسها لتجعل من عالمه النص كيانا متفردا وحضورا قويا .

كتاب جديد

فى الثــورة والدبلوماسية

تقديم : مصطفى نبيل

يتناول كتاب « فى الثورة والدبلوماسية » ، مشاهدات وذكريات كاتبه جمال منصور ، وهو أحد ضباط ثورة يوليو ، وأحد الدبلوماسيين اللامعين الذين وصلوا إلى أرفع المناصب الدبلوماسية .

وفى تناوله للإعداد للثورة تحكم نظرته السياسية ووجهة نظره كل الوقائع التى سردها ، وسنتخذ من هذا الكتاب مجرد « تكأة » لمعالجة المنهج الذى تكتب به بعض من هذه المذكرات ..

فإذا كان التاريخ قابلا لإعادة التشكل ، مع ما تكشف عنه الأيام من وقائع ومعلومات ، تبقى الموضوعية التاريخية ، مسألة نسبية ، تتحدد بمدى تجرد الكاتب وتحريه الدقة فيما يعالجه من موضوعات .

جاء على لسان الكاتب الكبير عباس محمود العقاد ..

« ويل التاريخ من المؤرخين .. لأن الناس لايعرفون من يعيش بينهم فى قيد الحياة ، ومن يسمعهم ويسمعونه ، ويكتب له ويقرأونه . فكيف يعرفون من تقدم به الزمن ، ولم ينظر إليهم قط ولم ينظروا إليه » .

ألحت على ذهنى هذه العبارة عند متابعة سيل المذكرات التى تصدر عن ثورة يوليو ، التى مازالت على قيد الحياة العديد من الذين عاشوا أحداثها وشاركوا فى معاركها .

وبين وقت وآخر يخرج علينا كاتب يفيد الوقائع ويطمس الحقائق ، وبدلا من أن يلقى الضوء على خلفياتها ، يزيد هذه



مجلس قيادة الثورة



جمـال منصـور



الوقائع غموضا ، ويساهم فى ان يختلط الحابل بالنابل ، امام الاجيال التى لم تشهد هذه الاحداث .

صحيح ، طالما قرأنا من يلح على شهود احداث التاريخ مطالبا ان يسجلوا شهاداتهم للكشف عن هذه الاحداث ، او تقديم ابعاد انسانية لها ، وحتى يكسوها اللحم والدم . ولكن بدلا من ذلك خرجت علينا المطابع بفيض من المذكرات تتفاوت فى قيمتها العلمية واهميتها التاريخية . الكثير منها لايمت لوقائع التاريخ بصلة ، تشغلها تصفية الحسابات وتضخيم الذات ، ونلمس عند قراءتها رائحة التحيز وتبرير الأخطاء وانتحال الادوار وتشويه الخصوم . إلا القليل النادر الذى يلقى مزيدا من الضوء على تلك الاحداث ..

كتاب جديد

فى الثورة والدبلوماسية

وأخطر ما يصاحب هذه المذكرات ظاهرة عدم احترام الواقعة التاريخية ، والخلط بين الواقعة والرأى ، فالواقعة التاريخية ليست ملكا لأحد ، أما الرأى فهو ملك صاحبه ، له حق الاجتهاد ، وله رؤيته الخاصة ، ومن الطبيعى أن يتأثر بتحيزاته الفكرية وتجربته العملية ومعاناته اليومية ..

وكثيرا مايلاحظ المتابع لهذه المذكرات اغفال أصحابها الوقائع التى لا تناسبهم . مع أن قسم الشهادة المعروف فى المحاكم ينص على قول الحق وينص أيضا على كل الحق ، فمابال الذى يقدم شهادته فى محكمة التاريخ ..

وهذا الذى يستخدم مذكراته كسلاح فى صراعه السياسى ، فيلوى عنق الحقيقة ويشوه حقائق التاريخ ..

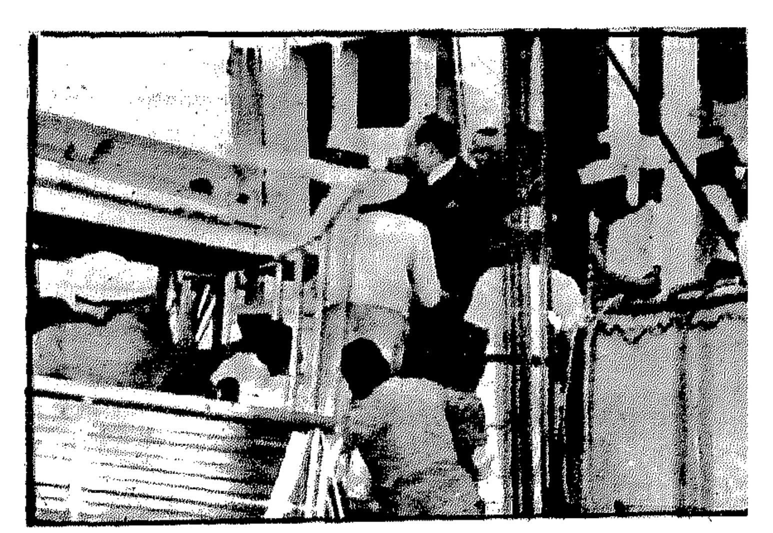
ومما زاد من خطر هذه الظاهرة زهد الكثيرين فى التصدى لهذا التشويه ، ممن شارك فى تلك الأحداث ، ويتسلل بالتدريج إلى قاموس تاريخنا وقائع مزيفة تشوه مسار التجربة المصرية ، وتفوت على الأجيال الجديدة إدراك دروسها الحقيقية ، وغالبا لانسمع سوى تصفيق مدرسة تشويه التاريخ ، التى تستخدم هذه المذكرات لخدمة اهدافها السياسية !

والمدهش حقا أن بعض الذين يكتبون مذكراتهم ، لايكلفون انفسهم الاطلاع على ماسبق كتابته ، والاضافة اليه أو تصحيحه ، وكأنهم يكتبون فى فراغ ، ولا يوجد من يعرف الحقائق سواهم ، لايناقشون ولايصححون ، ما سبق نشره ، وأيا كان ما وراء هذا الموقف .. سواء كان تأففا أو تعففا فهو لايخدم الحقيقة التاريخية .

وأخطر ما نلاحظه ، اتفاق عدد كبير من كتاب المذكرات ، على اغفال دور القوى الاجتماعية فى الأحداث التى يعالجونها ، والاقتصار على الظاهرة السياسية ، وكأنها معزولة عن حركة المجتمع، وعن الصراعات المحلية والاقليمية والعالمية من باب الاستسهال احيانا ، ومن باب إلقاء المسئولية على الغير ، ويامحبذا إذا كان غائبا ، فيستريح الجميع ، وتنزاح المسئولية ، وغالبا ماتنتهى عند جمال عبد الناصر رمز ثورة يوليو ومفجرها .

وليكن صحيحا مايرويه البعض عن سلبيات ثورة ٢٣ يوليو فقد كانت بحق ، عظيمة الانجاز وعظيمة الأخطاء ، على أن

عندما خرج الملك



يكون مرشدنا في البحث عن تاريخها وضع ايدينا على مايجب تغييره او تصحيحه ، فالحياة حركة دائمة ، وحركة الشعوب مثل التجديف الدائم ضد التيار ، ولتتحمل الاجيال الجديدة مسئولية استكمال ما بدأته ثورة يوليو او تصحيحه ، فلا يكفى تبرئة الذات وتشويه الغير ، وشرط هذا المنهج ان تبدأ بالحقائق التاريخية ، وليس من انطباعات غامضة شوهتها الاغراض السياسية ، مما لايقود سوى إلى التيه والضياع .

وما أسهل إلقاء مسئولية الأخطاء على الغائب وكل غائب وما ايسر ان يتسلخ الورثة عن ماضيهم ، ويلقوا تبعة الماضي والحاضر على سواهم ، ويحملوهم وحدهم مسئولية كل فشل .. ! ..

● نواة اول تنظيم

هل طالت المقدمة ، قبل الوصول إلى كتاب جمال منصور ، والوقوف امام تجربة عريضة وخصبة ، امام خبرة سياسية واسعة ، عاش صاحبها سراديب الثورة وعرف اسرارها ، وانتقل بعدها إلى المحافل الدولية والحياة الدبلوماسية ، وانتهى به المطاف مديرا للغرفة التجارية بنابولى فى ايطاليا ..

إنها حياة خالية من الاخفاق ، تزخر بالنجاح والتألق .

ويدعى صاحب المذكرات انه كان نواة اول تنظيم سرى فى الجيش ، وانه الذى كتب المنشورات السرية ، وطبعها وتولى توزيعها ، وهو الذى اطلق اسم الضباط الاحرار على التنظيم ، وانه هو الذى وضع وصاغ المبادىء الستة ، ولكنه نسى ان يقول لنا اين كان يوم ٢٣ يوليو ، يوم قيام الثورة ، وما دوره يومها .. !

ويذهب بعيدا عندما يذكر انه اسس .. « الجماعة التأسيسية لسلاح الفرسان » .. التى تتكون من مصطفى نصير وسعد عبد الحفيظ وجمال الدين منصور ، وعبد الحميد كفافى ومحمد حلمى ابراهيم .. لأن حركة « الضباط الاحرار » ، لم تنضوِ تحت هذا الاسم منذ نشأتها ، ومرت بمرحلتين ، المرحلة الأولى من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٤٩ ، وكانت تسمى فى هذه المرحلة باسم « ضباط الجيش » ثم انتقلت بعد ذلك إلى العمل تحت اسم « الضباط الأحرار » .

ودفعة ١٩٤٤ من سلاح الفرسان كانت النواة الأولى » .. وانطلقت المجموعة الأولى بأفرادها الخمسة تسعى إلى الجيش بأسلحته المختلفة .. وجاءت فكرة طبع المنشورات من اجل الوصول بأفكار الثورة الى قاعدة اعرض فى الجيش .

وانتهى الأمر الى تكليف موظف فى السكة الحديد بطبع المنشورات واسمه محمد شوقى عزيز ، والذى كتب اول منشور على الاستنسل وطبعه على « الرونيو » فى مكان عمله فى السكة الحديد » ..

« ... كان علينا ان نقوم بالعمل من بدايته الى نهايته ، من الاتفاق على النقاط التى تأتى فى المنشور ثم صياغتها فى اسلوب مقبول ، ثم كتابتها وتوزيعها على عناوين مساكن الضباط .. واذكر ان اكبر اجتماع كان يضم حوالى ٣٠ ضابطا من مختلف الأسلحة ، وكان فى منزل عبد الفتاح ابو الفضل فى السطوح فى شارع البرامونى ، خلف قصر عابدين » .

« ... اما عن علاقة التنظيم الذى كان نواته جمال عبد الناصر ، فقد قامت بعد حرب فلسطين ، بواسطة خالد محيى

كتاب جديد

فى الثورة والدبلوماسية

الدين » .. وكانت مجموعة جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين تضم خمسة اعضاء فقط هم : عبد الناصر وعامر وخالد وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم .. ثم « انضم اليهم البغدادى وصلاح سالم » .

ويضيف .. « .. ويتضح من ذلك ان مجموعة عبد الناصر لم تبدأ فى التشكيل إلا فى نهاية صيف ١٩٤٩ ، فى حين ان مجموعة الفرسان (مجموعته) قامت عام ١٩٤٥ » .

وخلاصة ما جاء على لسانه ان عبد الناصر اختلس الثورة لنفسه مستغلا سذاجة زملائه .. وقلة حنكتهم . ومثاليتهم المفرطة ! ..

ولدى جمال منصور مرارة من ثورة يوليو ، لم تستطع الأيام التخفيف من حدتها ، ويرى ان الثورة تاكل ابناءها ، وانه نال مع الكثير من زملائه هذا المصير بعد أن قال فى احد الاجتماعات بسلاح الفرسان .. « إننا لم نخلع فاروق ونأتى فى مكانه بـ « ١٣ فاروق » » ، وكان اعضاء مجلس قيادة الثورة ثلاثة عشر ، ومن يومها لم يعد له مكان فى صفوفها ، ولم يجن مكاسبها ، وكان يدرس العلوم السياسية ، ونال شهادتها ، ودخل مثل غيره مسابقة وزارة الخارجية ، وبدأ عمله الدبلوماسى من أول السلم ، وما حققه فى عمله الدبلوماسى ليس له اية علاقة بدوره فى الثورة وانما تم تعيينه بنفوذ عمه د . صبرى منصور الذى كان وزيرا للمالية فى مطلع الثورة ، والذى قدمه أيامها للدكتور محمود فوزى .

وما يلقى الضوء عليه فى المرحلة الأولى ، هو تخلص عبد الناصر ممن يطلق عليهم الصف الثانى والذى يعتبر نفسه واحدا منهم ، ولا يلقى بالا للحجة التى قيلت يومها ، من أن على الثوار أن يختاروا بين العمل فى السياسة وبين العمل فى الجيش ، وإلا تحول الجيش إلى قوة انقلابية ، ويفوته ايضا أن البعض قد استمر فى صفوفها حتى النهاية ، وأن البدايات ليست دائما مثل النهايات ، إنما يجب الحكم عند نهاية الشوط ، ولعله فيما نقله عبد المنعم عبد الرءوف عند عبد الناصر فى مذكراته ما يلقى الضوء على هذه المسألة ، يقول عبد الناصر « انه كان يضم الى صفوف تنظيمه من يتميز بالجسارة والكتمان » ، وليس كل من يتصف بهما يقدر على المساهمة فى بناء الدولة بعد نجاح الثورة .

وتتكرر ذات المحاولة ، والمتمثلة فى السعى إلى التقليل من دور عبد الناصر خلال الأعداد للثورة او يوم قيامها ، عند العديد من كتاب المذكرات ولم يكتب لهذه المحاولة النجاح ، ولم تنل من الدور الحيوى لجمال عبد الناصر ، ومن مكانته كمحرك رئيسى للتنظيم ، وصاحب الدور الأول يوم ٢٣ يوليو .

● الحرس الحديدى

وأهم ما تتناوله المذكرات ما جاء عن الحرس الحديدى ، وينقل جمال منصور عن سيد جاد احد ضباط الحرس الحديدى ، قوله .. « إننى لو استعرضت أعضاء الحرس الحديدى لوجدت أن بينهم أنور السادات الذى تلقاه د . يوسف رشاد طبيب الملك الخاص ورئيس الحرس

الحديدى بعد خروجه من السجن فى قضية امين عثمان ، ولاطفه برعايته واعطاه مبلغ الف جنيه ، وأصبح السادات عضوا فى الحرس الحديدى له نفس مميزات باقى الاعضاء (مرتب ٨٠ جنيه شهريا وعربة صغيرة) .

ثم حسن التهامى ، الذى كان عضوا جريئا فى الحرس الحديدى وقام بإطلاق الرصاص من مدفع رشاش على رفيق الطرزى .. تنفيذا لتعليمات السراى بسبب منافسته الملك على إحدى الراقصات » ..

ويضيف كاتب المذكرات ، انه فى لقاء مع جمال عبد الناصر روى له القصة التى رواها له الضابط سيد جاد .. وكان تعليق عبد الناصر عليها .. « كنا نعلم بعض هذه المعلومات عن السادات ، وكنا لانريد أن نصدق انفسنا ، وكان الشك ينتابنا احيانا .. اما وقد عرفنا كل هذه التفاصيل ، فلم يعد هناك مجال للشك .. لكن انا حعرف إزاى اكشفه » !

ومن الطبيعى أن يثير هذا الجزء ، الكثير من الجدل ، وأن ينال عناية المهتمين بالتاريخ ، ويسعى المؤرخون الى إزاحة الستار عن كل حقائقه ، ولايجوز ان تبقى علاقة الضباط الأحرار بالحرس الحديدى يكتنفها الغموض والتأويل ، فيرى مرتضى المراغى آخر وزير داخلية ايام الملك ، أن الحرس الحديدى كان غطاء لنشاط الضباط الأحرار مما ساهم فى نجاح الثورة ، والذى أرجحه أن الضباط الأحرار اخترقوا التنظيم الذى اقامه الملك ، وليس العكس ، وإلا لنجح الملك فى تصفية تنظيم الضباط الاحرار قبل قيام الثورة .. وهى مسألة مازالت تستحق عناية



جمال عبدالناصر

المؤرخين ، وعليهم جمع تلك المادة المتناثرة فى العديد من الكتابات ، ثم تحقيقها مع اولئك الذين على قيد الحياة ، قبل أن تطوى هذه الصفحة من التاريخ .

● نقطة البداية

وإذا قلبنا بعض أوراق الثورة ، لمعرفة نقطة البداية فى قيام تنظيم الضباط الاحرار ، فسنجد أن الجيش ازدحم بالتنظيمات السرية خلال الحرب العالمية الثانية ومابعدها ، وأن عبد الناصر قام بالدور الرئيسى فى توحيد بعض من هذه التنظيمات فى تنظيم الضباط الأحرار ، وهو التنظيم الذى نجح فى القيام بالثورة واعلان الجمهورية ..

● فمثلا يقول عبد اللطيف البغدادى فى مذكراته .. « مع بداية الحرب العالمية الثانية ، وبعد تنحية عزيز المصرى .. رئيس الاركان .. كانت هناك مجموعة من اربعة ضباط برتبة ملازم طيار تقيم معا فى شقة بمصر الجديدة ، ويعملون معا فى

كتاب جديد

فى الثورة والدبلوماسية

مطار الماظة ، وهم أحمد سعودى ابو على وحسن عزت ووجيه اباظة وعبد اللطيف البغدادى ، وقررت هذه المجموعة عمل تنظيم سرى بين ضباط الطيران والجيش لمقاومة الاحتلال .. ولم يكن عمر أحد منهم يتجاوز الأثنين والعشرين عاما .. ويستدرك قائلا .. وليس هذا التنظيم هو تنظيم الضباط الأحرار ..

ثم كانت حرب فلسطين ، وكان جمال عبد الناصر هو الذى تحرك وبدأ الاتصال ببعض الضباط الوطنيين قبل نهاية عام ١٩٤٩ من أجل لم شملهم فى تنظيم واحد » ..

● ويذكر عبد الفتاح ابو الفضل فى كتابه .. « كنت نائبا لرئيس المخابرات » .. « سنه ١٩٤٦ تم تكوين اول تنظيم سرى للضباط ، وكان الأجتماع الأول فى منزلى ٦ شارع البرمونى بعابدين .. ثم يضيف . « لا أدعى ان هذا التنظيم هو نفس تنظيم الضباط الأحرار ، لكن بعد عودتنا من فلسطين استمر التنظيم فى عقد اجتماعاته ، فى الوقت الذى كان فيه تنظيم الضباط الأحرار يتكون ، ودخله بعض الأعضاء من تنظيمنا وانشق من هذا التنظيم تنظيم الحرس الحديدى ، وكان اغلبنا معارضين لتكوينه ولتعاونه مع الملك .. والبعض الآخر انضموا الى تنظيم جمال عبد الناصر وزكريا محيى الدين وكمال حسين ويوسف صديق » .

● وفى زحمة المذكرات وفى هذا الفيض او الفيضان من المذكرات ، نجد ان ثورة يوليو اخوانية عند الأخوان ، وماركسية عند الماركسيين !

يقول حسين حموده فى كتابه « اسرار حركة الضباط » ..

« التقينا بمنزل عبد المنعم عبد الرءوف بالسيدة زينب فى مطلع عام ١٩٤٤ ، عبد المنعم عبد الرءوف ، وجمال عبد الناصر ، وكمال الدين حسين ، وسعد حسن توفيق ، وخالد محيى الدين ، وصلاح الدين خليفة ، وحسين حموده ، ومحمود لبيب ..

وشكلنا تنظيما تكررت اجتماعاته طيلة سنوات ٤٤ ـ ٤٥ ـ ٤٦ ـ ٤٧ ـ ٤٨ وانقطعت فى مايو عام ١٩٤٨ ، وخلال هذه الفترة اتسع التنظيم الذى يعمل تحت لواء الأخوان .

... وبعد حرب فلسطين وفى اوائل عام ١٩٥٠ ، فاتحنى عبد الناصر فى اعادة تكوين التنظيم السرى للضباط قائلا .. « إنه بموت البنا ومحمود لبيب انقطعت صلة الأخوان بالتنظيم السرى لضباط الجيش ، وانه يرى لدواعى الأمن قطع الصلة بعبد الرحمن السندى ـ مسئول التنظيم الخاص للأخوان ، واضاف عبد الناصر قائلا : ان التنظيم الجديد لن يتم ـ كالتنظيم السابق ـ على اساس المعرفة والصداقة ، فتلك كانت مرحلة تحضيرية لابد منها ، اما التنظيم الجديد ، فسنحاول أن نجد لنا فى كل كتيبة او وحدة من وحدات الجيش خلية من الضباط الأحرار حتى يمكن السيطرة على الجيش عند قيام الثورة » .

● أما عبد المنعم عبد الرءوف فيقول فى مذكراته عن النشأة الأولى مايلى : « استطعت فى شهر اكتوبر عام ١٩٤٢ ان

ادعو ضابطا هو النقيب جمال عبد الناصر حسين لحضور درس الثلاثاء بدار المركز العام للاخوان ، ثم اتبعته بضابط ثان هو حسين حموده ، ثم دعوت ضابطا ثالثا هو كمال الدين حسين الذى كان منزله قريبا من منزلى بحى السيدة زينب ، ودعا حسين حمودة شقيق زوجة سعد توفيق كما دعا صلاح الدين خليفة الذى دعا بدوره زميله فى سلاح الفرسان خالد محيى الدين ، واكتمل عددنا سبعة عام ١٩٤٤ ، وواظبنا على الاجتماع اسبوعيا » .

● هل نبعد كثيرا عن مذكرات جمال منصور ، عندما نستمر فى تقليب الأوراق ، ونتابع ما كتبه احمد حمروش فى كتابه قصة ثورة يوليو ، والذى يقول فيه : « استطاع قسم الجيش فى (حدتو) احد التنظيمات الماركسية ، ان ينجو من ارهاب الحكومة عام ١٩٤٩ .. وكان فى كل سلاح ضباط لحقتهم يد السياسة ، ولم يكن ممكنا لهم ان يتخلصوا منها بعد هزيمة حرب فلسطين ، وفى هذه الفترة كان عبد الناصر وكمال الدين حسين قد تركا الاخوان مع عدد ملحوظ من الضباط .. وكان هناك وطنيون لهم اتجاهات فكرية مختلفة بعيدا عن اية صلات تنظيمية .. ولعب عبد الناصر دورا رئيسيا فى تجميع الضباط من مختلف الاتجاهات ..

وجمال عبد الناصر اللجنة التاسيسية التى كان يتصل بها فى اواخر عام ١٩٤٩ ، وكانت مشكلة من خمسة هم عبد الناصر وحسن ابراهيم وخالد محيى الدين وكمال الدين حسين ، وعبد المنعم عبد الرءوف .. ولم يكتمل الشكل التنظيمى إلا مع مطلع عام ١٩٥٠ ، عندما زاد عدد اللجنة بانضمام صلاح سالم وعبد اللطيف البغدادى وعبد الحكيم عامر وانور السادات وجمال سالم ، وتم فى هذا الوقت انتخاب عبد الناصر رئيسا للجنة التنفيذية » .

● اما ثروت عكاشة فيؤكد ان جمال عبد الناصر هو مؤسس التنظيم ، وبالتالى لاصحة لما رواه بعض اعضاء هذا التنظيم ويذكر انه تشكل عام ١٩٤٩ » .. ويصف جمال عبد الناصر بقوله « فما شهدنا عليه إلا نزاهة مسرفة فيما يفعل .. وتضحيته من اجل الغير .. وانسانية فياضة ، وحرصا على اغاثة كل من تنزل به نازلة مادية كانت ام معنوية ، وبذلا لجهده وماله ووقته فى سبيل قضية مصر .. فضلا عن حنكته السياسية ودرايته العسكرية وتجرده المثالى .. »

هذا بعض من الذكريات التى توضح على ما جاء فى مذكرات جمال منصور ..

اما ما جاء فى مذكراته فى اروقة الدبلوماسية ، فلا يعدو ان يكون حكايات خفيفة ، باستثناء الجزء الاخير عندما كان سفيرا فى دمشق ، ووصف اللقاء الاخير بين الرئيس انور السادات والرئيس حافظ الاسد ، قبل زيارة القدس ، وشهادته حول طرد الخبراء السوفييت عندما كان مساعدا لوزير الخارجية .

ويدهش قارىء هذا الجزء لتناوله موضوعات هامة فى العلاقات الدولية ، ولاتغريه بكشف ابعادها المختلفة .. واكتفائه بالحكايات الطريفة .

ومازلنا فى انتظار القصة الكاملة لثورة ٢٣ يوليو .. ●●



بقلم: محمود بقشيش

أيام فلسطين الثقافية والفنية

فى سياق التظاهرة الثقافية الهامة التى أدارتها "دائرة الثقافة" التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية .. تحت عنوان: "أيام فلسطين الثقافية والفنية"، اقيم معرض بقاعة النيل بالجزيرة .. ضم أعمال نخبة من الفنانين الفلسطينيين بالاشتراك مع عدد من الفنانين المصريين. وكنا نأمل ان نشاهد ابداعات كل الفنانين الفلسطينيين، الموجودين فى كل البلدان العربية، لولا أن فروع "دائرة الثقافة" ـ ومقرها الرئيسى الآن فى تونس ـ لم تمتد إلى كل البلدان العربية، بل إلى عدد قليل منها وهى بالتحديد: الأرض المحتلة، الكويت، لبنان، سوريا، الامارات، قطر .. كما كنا نأمل ان يُصاحب المعرض مطبوعات تلقى الضوء على حركة الفنون التشكيلية الفلسطينية، وتساعد الباحث، والقارىء العادى، على تمثلُ صورة تلك الحركة الفريدة فى تكوينها.

اتسم المعرض بالتنوع .. وضم إلى جانب الرسوم بخامات مختلفة ـ أو ما يصفه نقادنا بمصطلح "التصوير" ـ الملصق الفلسطينى منذ ربع قرن. بالاضافة إلى نسجيات من التراث الشعبى الفلسطينى .. كما شارك الجانب المصرى بالنحت والتصوير .. والمدهش فى هذا اللقاء ان المشاهد العادى أو حتى المتخصص .. يظن للوهلة الأولى أن المعرض لفنانين ينتمون إلى وطن واحد وثقافة واحدة .. بل إلى اسلوب فنى واحد، هو: الاسلوب الرمزى .. وحتى عندما تنقشع لحظة الدهشة الاولى كاشفة عن منطلق البحث والتأمل .. فإن الناقد يتأكد من انطباع اللحظة العابرة، فأكثر العارضين قد درسوا الفن فى القاهرة والاسكندرية، وبصمات بعض اساتذة الفن من المصريين قد تركت آثارها عليهم .. غير ان هؤلاء الاساتذة لم يفرضوا على هؤلاء الفنانين اسلوبا بعينه، كما لم يتفق الفنانون بين بعضهم والبعض على أن يتخذوا من "الرمزية" اسلوبا ينتهجونه فى التعبير عن قضايا الواقع الفلسطينى، بل إن طبيعة هذا الواقع، بمشكلاته وأحلامه المستقبلية هى التى تدفع إلى ميلاد شكل فنى، تتفاعل فيه "الكلمة" و "اللون" و "الخنجر"، يكون ممتعا لكونه فنا، وحافزا لفعل تغييرى فى الواقع .. لكونه



الانتفاضة للفنان
اسماعيل شموط



حافظا لرسالة . واختلف الفنانون ، بطبيعة الحال ، فى التعامل مع هذا الاسلوب .. فمنهم من استعار لرمزيته ملمحا من "السيريالية" ومنهم من اقترب بها من الواقع اليومى ، أو دخل بها إلى عالم الزخارف الشعبية ، أو أغراه طابع الاعلان ببساطته ووضوحه . منهم من جذبته الرمزية إلى منطقة الحسابات الرياضية ، ومنهم من انجذب إلى حرارة التعبير ، مضحيا بأناقة الأداء ، ومنهم من انجز لوحاته بعيدا عن أعين حراس المعتقل الاسرائيلى مثل : "زهدى العدوى" و "محمد الركوعى" . ولأنهم جميعا يتعاملون مع رموز موضوعية ، لا لبس فيها ، مثل الحمامة والبندقية والقضبان الخ ... فقد انتشرت تلك المفردات فى مجمل لوحات المعرض .. لهذا كانت "الملصقات" هى أكثر لوحات المعرض إثارة والتصاقا بأهداف الثورة ، من حيث التعبير والتأثير معا .. فاللوحة المؤطرة مآلها إلى غرفة مغلقة على غير الحال مع الملصق .. فهو يستطيع أن يتجاوز الحدود الثابتة إلى الشارع .. وإلى البشر فى كل مكان .. وفى تقديرى فإن هذا الفن ـ فن الملصق ـ هو أنسب الفنون إلى الثورة .

تكوين للفنان برهان كركتلى



مع داڤيد ڤايس وبيتر فيتلى .. بعد الظهر الهادىء !

عندما اعلم ان هناك اثنين أو ثلاثة من الفنانين المصريين ، اجتمعوا بالارادة الحرة ، فى معرض مشترك .. يتحرك داخلى فضول مترقب لما سيحدث بينهم من سلوك اخلاقى يتسم بالانانية ، وقصر النظر .. مع أمل لم يتحقق بعد ـ فى تغيير الصورة السوداء التى ترسبت فى الذاكرة .. لهذا سعدت بهذا الثنائى السويسرى ، فقد نجحا فى التوحد فى عرض فنى لايستطيع الناقد ـ مهما كانت قدرته ـ على التقاط خيوط الاستقلال والاختلاف بينهما .

أقيم هذا المعرض بالقاعة رقم (٢) بمجمع الفنون بالزمالك ، واطلقا على معرضهما عنوان : "بعد الظهر الهادىء" .. ولم يقدم الثنائى معرضا لفن اللوحة أو المنحوتة .. بل قدما اشكالا مناسبة لأغراضها التعبيرية . و هما يقدمان علاقات جديدة لعناصر يومية مألوفة .. مثل : المقاعد والزجاجات والاحذية الخ .. ويقيمان منها علاقات تتسم بالتوازن البهلوانى ، لايربط بينها مسمار أو حبل أو غير ذلك من وسائل الربط .. وتتعرض عند الاحتكاك بها إلى انهيار عنيف ! وهما لايكتفيان بتلك العلاقات التى لامفر من عودتها إلى فوضاها الأولى .. بعد لحظة او لحظات .. أو يدفعاننا إلى التعلق باللحظة الخاطفة



من اعمال الثنائى السويسرى

التى تسبق السقوط ، وهى اللحظة التى يصفها أحد نقادهما بأنها أكثر اللحظات جمالا .. غير أنهما يعمدان إلى استنطاق ذلك التوازن الفريد ، والمؤقت ، موقفا تعبيريا يستدعى إلى الذاكرة تداعيات روائية ، وبالتالى فإنهما يحرصان على وضع عناوين وصفية ـ منها على سبيل المثال : "اقصى مدى للتطور" ـ "إساءة استعمال الوقت" ـ "كرسى الاعتراف" "السيدة" "بير" تحضر لزوجها قميصا مكويا للذهاب إلى الأوبرا .. إن تلك العناوين هى أوصاف دقيقة لعلاقات روائية كوناها من أدوات الاستعمال اليومى .



جـولـة مـع كـامـيرا نـاقـد !

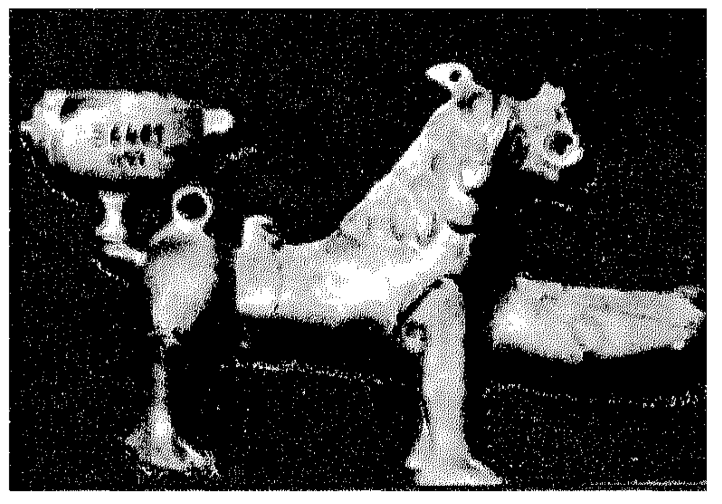
اقام الناقد المعروف "صبحى الشارونى" معرضا لفن التصوير الفوتوغرافى بأتيليه القاهرة ويأتى هذا المعرض فى سياق سلسلة من معارض هذا الفن الذى أكد وجوده فى الساحة التشكيلية المصرية

دار المعرض حول موضوعين ، اولهما : "شواهد الهَوّ" بالصعيد وثانيهما قلعة «شالى» الطينية بسيوة التى اندثر معظمها الآن بفعل أمطار : غزيزة مفاجئة ذوبت الاملاح بها .

إن كاميرا "الشارونى" تجمع بين صفتين يحرص عليهما معا ، وبنفس القدر ، وهما : التوثيق والجمال لهذا تكشف لوحاته المصورة عن معلومات يمكن الاستعانة بها فى البحث العلمى دون ان يسقط من الحساب الزاوية المعبرة والجميلة ، للمشهد المراد تصويره .. وفى هذا يختلف عن كثيرين من مبدعى هذا الفن فى مصر ؟

ففى شواهد "الهو" يقدم لنا ما ترمز به اشكال المقابر المختلفة فمنها ما هو خاص بالرجال او النساء أو الأطفال ولوحات "شالى" تصور لنا أبنية فطرية ، اندثر معظمها ، ولم يعد لدينا غير صورها الفوتوغرافية وينتمى "صبحى الشارونى" إلى اتجاه فى التصوير الفوتوغرافى يرى ان جماليات التصوير الفوتوغرافى والتصوير السينمائى تختلف اختلافا كبيرا فالأولى طابعها "سكونى" والثانية طابعها "حركى" ولأنه نحات ـ سابق ـ فإنه يحتفل بالكتلة ويؤكد رسوخها بمقابلات النور والظل الكثيفين ، كما يحتفل بالملمس . وبشكل عام فإن لوحاته تتسم بالبساطة والوصول إلى كل المتذوقين والباحثين على كافة مستوياتهم .

من مقتنيات المتحف القبطى
قلعة شالى الطينية



ومقابر الهو .. بعدسة صبحى الشارونى



القرية المصرية .. تصوير صبحى الشارونى



چورج البهجورى والوجوه الأقنعة !

منذ عرفته الساحة التشكيلية المصرية ، ومنذ غاب عنها وأقام فى باريس ، وعودته المتقطعة إلى القاهرة .. ووجه الفيوم لم يفارقه كمثير جمالى وتعبيرى ، وقد تجلى هذا الوجه فى صور مختلفة ، وأصابه ما أصاب الفنان من تغيّر . فى المرحلة القاهرية أخرج "چورج" هذا الوجه من المتحف وجال به فى حوارى القاهرة ، وألبسه وجوه أطفالها الفقراء ، الكادحين ، التائهين فى أزقتها .. كما جعله قناعا للجميع وكان ميله إلى التجسيم والزحام ، ووضوح معالم الشخوص مؤكدة .. ومنذ ترك القاهرة تبدل حال اللوحة وحال الوجوه ، وظهر هذا التغيير واضحا فى معرضه الأخير بقاعة "زاد الرمال" بالزمالك ، فقد اكتفى "بالوجه / القناع" الذى ملأ به مسطحات لوحاته كبيرة المساحة . وتخلى عن مبدأ التجسيم وصار أقرب إلى طيف يجاهد ضد سطح مقاوم ، وجه متحفى يحاول ان يتخطى حاجز الزمن ، وبمعنى ادق : بقايا اقنعة من زمن غابر تستجدى سطوح اللوحات المغطاة بشرائط ورقية .. أن تتيح له ان يتجسد ، وأن يخاطب مشاهديه او يتسلل إلى قلوبهم .. لهذا ترتفع القيمة الملمسية فى لوحات معرض "البهجورى" على ما عداها من قيم فنيةً .

قال "البهجورى" فى خطاب قديم أرسله إلىَّ من باريس ما يؤكد ذلك ـ قال : "تبدأ عملية الخلق عندى أولا بالبحث عن ملمس . يتحول ملمس الورقة إلى بشرة إنسان أو تفاحة أو وردة .

إن حاسة اللمس عندى تسبق حاسة النظر !

أخترت لنفسى ملمس الورق الملىء بالتضاريس : كقلب الاشجار النابضة بالحياة ، أو القماش الخارج لتوه من النباتات ، كالكتان مثلا .. ربما اشبه هذا الفنان المصرى القديم فى تعلقه بخامة الكتان اول الامر . اكره الملمس الصناعى كالصلب ، والحديد ، والالومنيوم ، والفورمايكا ، والزجاج .. لهذا اخترت الماء بدلا من الزيت لأننى كنت احب المطر فى طفولتى (!) .. كما تعلقت باللون الابيض ، وانفقت عشر سنوات من عمرى فى البحث عن معنى هذا اللون(!)

إننى أبدأ بالملمس كما قلت ، لهذا اختار نوعا معينا من الورق يتميز بملمس يشبه ورق البردى او ورق الالوان المائية المضغوط : "النشاف" كما عثرت على نوع من الورق اليابانى مصنوع بطريقة "البردى" فى محلات الفنون الجميلة فى باريس ، وهو مصنوع من فروع وسيقان الارز ، حيث تبدو فى خلاياه خيوط دقيقة جدا تشبه بشرة الانسان ، وعندما اسيل لونا مائيا فى هذه الخيوط .. عندئذ تتجلى امامى بشرة الانسان ، تجرى فى شرايينها الدماء وكثيرا ما أضيف على سطح الورقة مساحيق بيضاء من الزنك الابيض الترابى وأشعر وقتها اننى

"ماكيير" اقوم بصبغ الممثل قبل ان يدخل حلبة السيرك او خشبة المسرح ، إلا أننى لا اكتفى بهذا بل اننى احوّل اللوحة إلى "خرقة" مبللة ، أمزقها ، واختار من بين المزق الجزء الذى انفعلت به اكثر من الآخر وأهمل الباقى (!)

عبدالرحمن عطية
وجه من كفر الشيخ

أقام "عبد الرحمن عطية" ـ أحد فنانى كفر الشيخ المرموقين ـ معرضه الأول بالقاهرة باحدى قاعات عرض الاتيليه . وتخرج فى فنون الاسكندرية ودرس على يد الفنان الكبير "سيف وانلى" ويعُد الآن رسالة "ماجستير" عن خصوصية ملامح فن التصوير المعاصر بمدينة الاسكندرية . وحتى يتعرف عليه جمهور القاهرة فقد قدم مرحلتين من مراحل انتاجه الفنى ، مثلت الأولى مشروع تخرجه ، والثانية مثلت آخر انتاجه . فى لوحاته الأولى بدت آثار الاسلوب الاكاديمى واضحة وتكشف المرحلتان معا عن نقاط اتفاق ونقاط اختلاف بينهما . يأتى الاختلاف من محاولات الخروج على الاطار المدرسى . الثابت . فى اللون والتكوين ، مع الاحتفاظ بمفردات بعينها وبجو مشحون بالاضطراب والقلق والجهامة . من بين مفرداته مفردة : القماش . التى انتقلت من دور مساعد إلى دور محورى ، ويحدثنا فى بيانه عن تلك المفردة ـ بما معناه :

عندما يولد الانسان فإن أول شىء يصافح جسده هو "القماش" وعندما يغادرهما يكون القماش فى وداعه ، وبين البداية والنهاية يتألق رمزا للزينة ، أو يسود رمزا للحزن .. الايدعونا هذا إلى التأمل العميق ؟

إن القماش ، بأشكاله وملامسه المختلفة ، ظل ملهما لمئات الفنانين .. منذ الكلاسيكيات الاغريقية والرومانية حتى يومنا هذا ، وتجلى فى صور ورموز مختلفة لدى عدد من الفنانين المصريين البارزين ، فقد ظهر "غنائيا" "راقصا" على عذراويات "بيكار" ، ومأساويا فى لفافات "احمد نوار" ووردیا فى عالم "نعيمة الشيشينى" ، وغامضا فى رمزية "صبرى منصور" وسيريالية "محمد رياض سعيد" .. أما عند "عبد الرحمن" فالقماش يبتعد عن كونه غطاء ، ويصبح طرفا فى صراع مع كيان حىّ . غامض . لاينتصر احدهما على الآخر ، بل يقف بنا الفنان عند لحظة الاشتباك تلك .. أو لحظة الفعل الدرامى بين نقيضين . ومعركة النقيضين تقام فى فضاء لايعترف بجاذبية الارض ولايعترف بثبات العناصر او استقرارها ، ولايعترف بكل ما تعلمه الفنان من اسس التصميم المؤسسة على وحدة المكان ، ومنطقية العلاقات .. لهذا تبدو معظم لوحاته اشبه بمقاطع مقتطعة من لوحات اكثر اتساعا وشمولا .



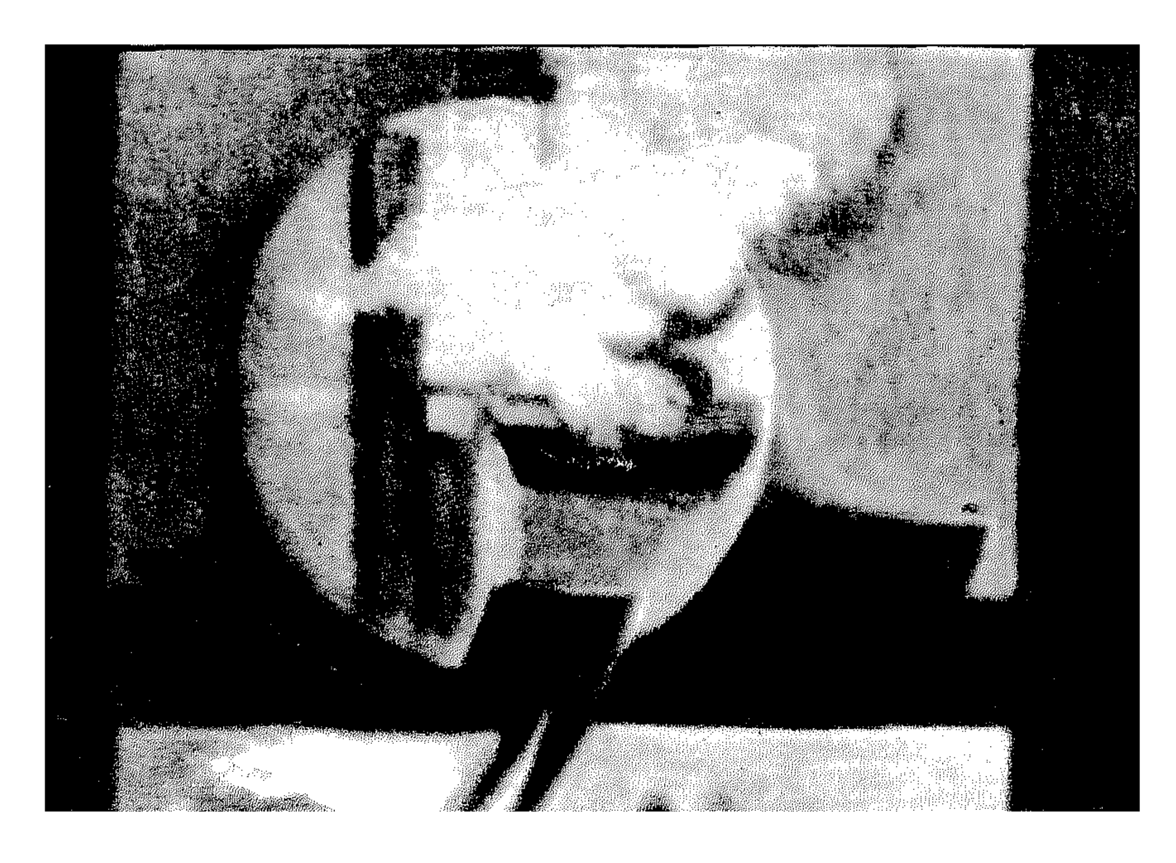


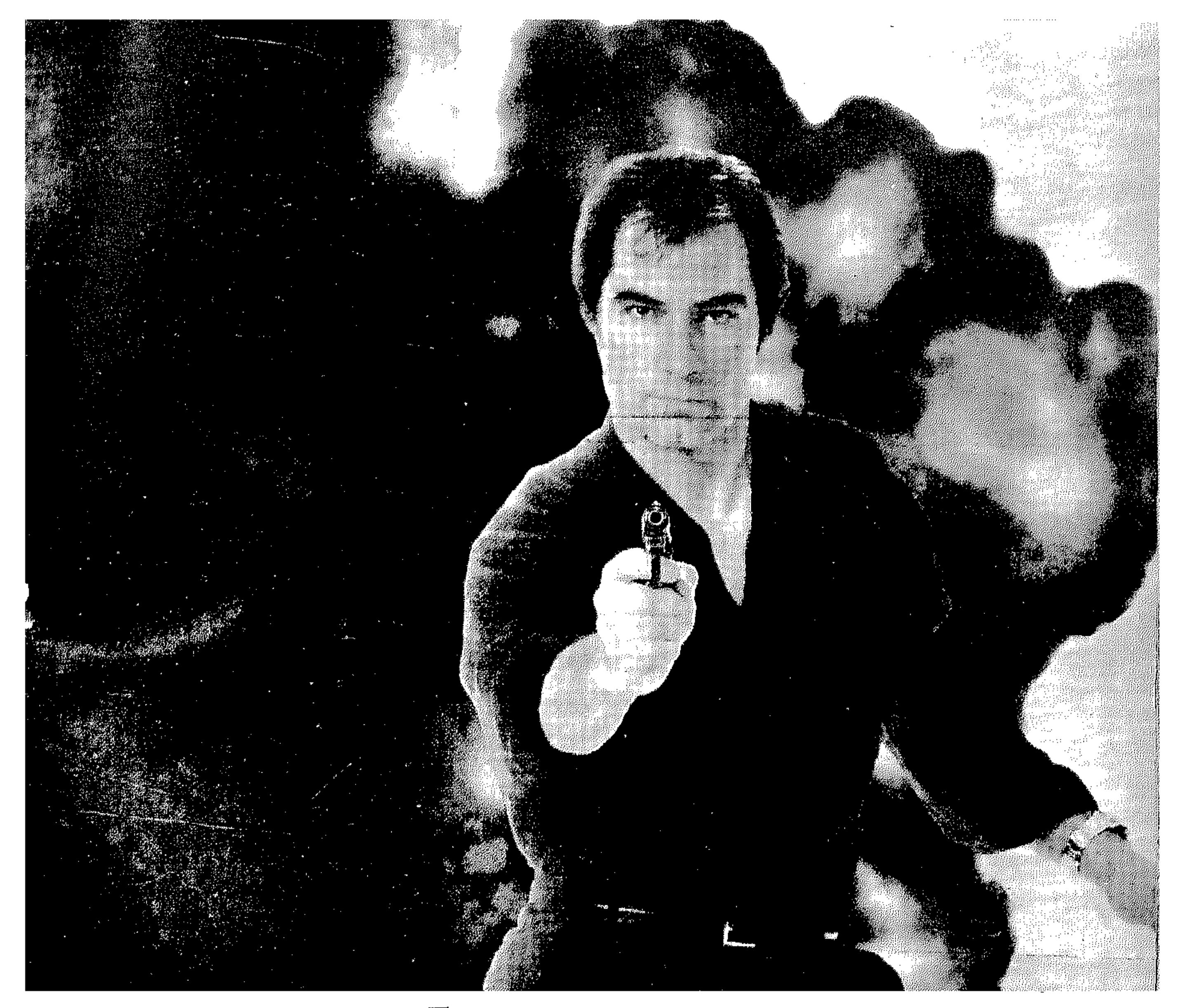
الأسرة

زيت على توال

من اعمال الفنان جورج البهجورى

لوحتان من اعمال عبدالرحمن عطيه





جيمس بوند

وغزو بنما وأسرار اخرى

بقلم : مصطفى درويش

انتهى عقد الثمانينات بجيمس بوند ، وبه بدأ العُشر الأخير من القرن العشرين .

وما ان انطوت الأيام السبعة الأولى من أول أعوام العقد الجديد ، الا وكان « الرجل الوطواط » قد ظهر فى سماء مصر محلقا ليستقر بعد تهليل وتكبير على شاشة احدث وافخم سينما فى القاهرة .

● وبينما الجمهور يتلهى ببطولات بوند والوطواط، إذا به يبشر بوليمة اخرى تخلب الابصار قوامها مغامرات منقذين آخرين للانسانية اولهما عالم الآثار «انديانا جونز» (هاريسون فورد).

وهو فى حملته الأخيرة ضد الاشرار ليس وحده، وإنما فى رفقة والده «هنرى جونز» ذلك العالم الفاضل الذى اوقد فى قلب الابن «اندى» شرارة الشغف بكل ما قد يكون له صلة بالآثار.

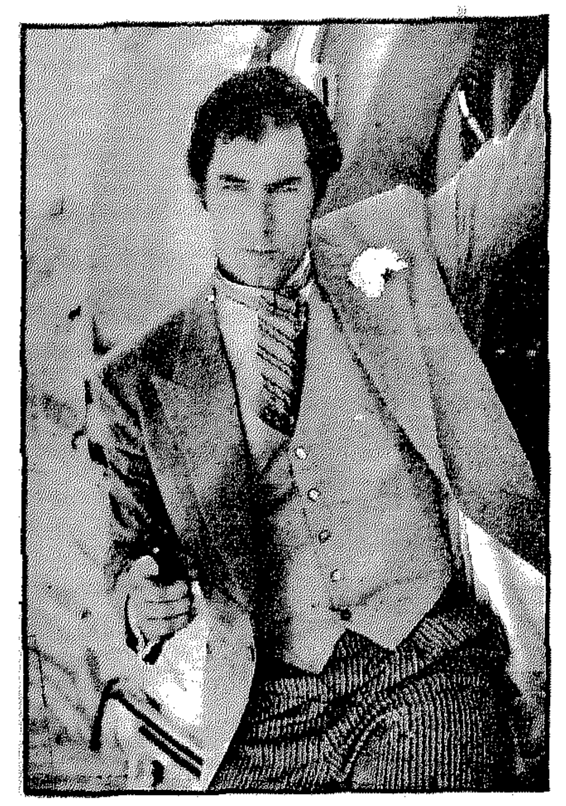
وهما معا يبلغان ذروة اللقاء سينمائيا، لاسيما أن الذى يؤدى دور الاب هو «شين كونرى»، ذلك النجم الذى مازال يختلط فى الأذهان اسمه وشكله بشخصية جيمس بوند البدايات «الدكتور نو» «جولد فنجر» و «من روسيا مع حبى».

أما المنقذ الثانى «فمارتين ريجز» (ميل جيبسون) شرطى مدينة لوس انجلوس الهمام.

أنه فى فيلمه «السلاح الفتاك» جزء ثان - امير انتقام وذلك لانه يقاتل الاشرار - وهم من قنصلية جنوب افريقيا بالمدينة - لا لسبب سوى انهم قد تسببوا فى موت زوجته ميتة بشعة فى حادث انفجار سيارة ملغومة ومن بعدها موت عشيقته الشقراء العاملة بتلك القنصلية مختنقة فى قاع اليم.

وفضلا عن ذلك لأن هؤلاء الاشرار البيض الافارقة .. انما يتهددون شعب الولايات المتحدة، بل قل، البشرية جمعاء بالسموم البيضاء.

واول ما يلاحظ على هذه الافلام الاربعة انها من توزيع مصنع الاحلام فى هوليوود، وبالتحديد اربع شركات



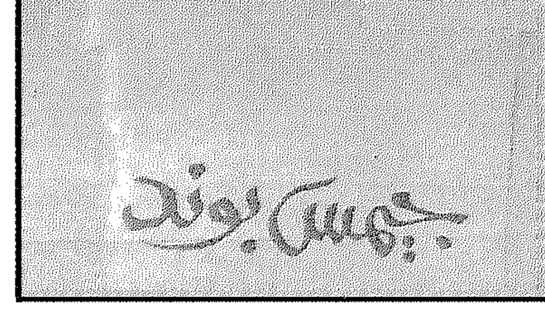
بوند بطل شعبى

كبرى لا تزيد الا وهى متروجلدوين ماير - الفنانين المتحدين، وارنر وبارامونت ذات الجلال.

● بطل فرد

اما ثانى ما يلاحظ عليها، فهو تركيزها على العنف والجنس، علاوة على اظهارها البطل - وهو انجلو سكسونى - قويا، مرتفعا فى السماء، عريضا فى الفضاء، شجاعا لا يعرف الخوف، مصمما لا يحب التردد، وحيدا لا ينهزم ابدا، قانعا لا يطمع الا فى ان يخلص العالم من الاشرار ولا يتمنى الا ان يعود من حيث اتى كى يستانف حياته فى عالم يرفرف عليه الامن والامان.

وما استطيع ان اعرض بالتفصيل لهذه الافلام الاربعة، فذلك شىء



يطول ، ومن ثم لا يتسع له المجال .

وانما اكتفى بان اقف قليلا عند فيلم واحد ، الا وهو اخر افلام عميل صاحبة الجلالة ملكة بريطانيا «لو أو سفن» المعروف للخاصة والعامة تحت اسم «جيمس بوند» اقف عنده لا لسبب سوى توقيت عرضه الذى جاء مواكبا لغزو القوات الامريكية لجمهورية بنما .

وقد يسال سائل مندهشا ما الصلة بين بوند وبنما .. وإذا كان ثمة صلة فما هى ؟

وقبل الاجابة ارى من المفيد ان نستعيد ذكريات ما كان من امر «بوند» فى دنيا الاطياف .

على امتداد ربع قرن من عمر الزمن شاهد افلام بوند التى بلغ عددها ستة عشر فيلما . واستمتع بمغامراته عدد تجاوز الالفى مليون . وهو رقم مذهل بكل المعايير . وبخاصة اذا ما أخذ فى الاعتبار ان ايا من افلامه لم يعرض فى الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية وغيرهما من البلاد المسماة بالاشتراكية .

● الكرامة الجريحة

وشهرة «بوند» بدات بشكل ملموس بين الشرائح الدنيا من الطبقة المتوسطة الانجليزية خلال عام ١٩٥٠ . اى قبل ترجمة قصص مبدعه «يان فلمنج» الى لغة السينما بدءا بـ«دكتور نو» بخمسة اعوام .

فعلم الشهرة هذا يجىء مباشرة عقب عام العدوان الثلاثى على مصر (١٩٥٦) ، ذلك العدوان الذى انتهى بفشل ذريع مهين لكبرياء امة كانت الى عهد قريب تعيش فى دفء امبراطورية لا تغرب عنها الشمس .

وفى ذلك الجو المشحون بالخزى والعار اصبح «بوند» ذلك الشخص الذى من بنات الخيال ، اصبح رمزا به يمكن وهما وقف مدّ التاريخ وتقلباته ، ودفع مسار البلاد فى اتجاه نقيض ، اى نحو مستقبل باهر فى يوم من الايام ، قريب او بعيد .

ولا غرابة فى هذا . ألم يستطع ـ و هو البطل الانجليزى لحما ودما ـ ان ينقذ وحده العالم الغربى من كارثة كبرى تتهدده ، مجسدا بذلك الوهم الذى جنح بالبعض الى الاعتقاد بان ثمة امكانية فى ان تعود الروح الى انجلترا ، فتحتل من جديد مركز الصدارة فى الشئون الدولية ، وذلك رغم انها كقوة دولية لها صوت مسموع كانت وقتذاك فى حالة اضمحلال ظاهر وانحدار سريع .

وفى الحق ، فإن سيرة «بوند» حسب راى «تونى بينيت» و«جانيت وولاكوت» الذى ضمناه مؤلفهما القيم «بوند وما بعد بوند» السيرة السياسية لبطل شعبى (٣١٥ ص . طبعة ماكميلان ايدوكيشن ١٩٨٧) . انما تنقسم الى مراحل ثلاث .

الاولى كان فيها «بوند» بطلا من ابطال الحرب الباردة ، بل قل ، بطلا نموذجيا يمثل فضائل الراسمالية الغربية المنتصرة على رذائل شيوعية الشرق .

ومما يلاحظ على الاشرار الذين كان



الوطواط في مهمة خير

يحاربهم طيلة تلك المرحلة . انهم جميعا من الروس الحمر وعملائهم المتامرين على امن وسلام العالم الحر الذى تمثله اما بريطانيا او الولايات المتحدة .

وبفضل تحلّي بوند بالذكاء والشجاعة والجلد ، وتسلحه بادوات دمار يفوق هولها كل خيال بفضل كل ذلك كان لابد للقيم المرتبطة به الا وهي قيم الغرب ـ وبالذات الحرية والفردية ـ ان يكتب لها الغلبة والانتصار على القيم المرتبطة بالاشرار الا وهي الشمولية وجمود المكتبية وما شابهها من قيم ترتبط عادة بنظام الشيوعية في روسيا السوفييتية .

● اختلاف الاشرار

واذا ما انتقلنا الى المرحلة الثانية من السيرة فستجد انفسنا امام بوند لا يحارب الاشرار الحمر المناكيد ، وانما يحارب اشرارا اخرين يتهددون الشرق والغرب على حد سواء .

والشيء الذى ليس فيه شك ان هذا لتحول في طبيعة الاشرار خصوم بوند نما يرجع الى الانفراج الدولى الذى ميز العلاقات بين الشرق والغرب حتى نهاية عقد السبعينات .

فلم يكن من الملائم في ظل هذا الانفراج ان يظل «بوند» بطلا لحرب باردة اصبحت في خبر كان .

ومن هنا فاشرار افلام تلك المرحلة « الرعد الصاعق » ، « في خدمة مخابرات صاحبة الجلالة » ، و « انت لا تعيش سوى مرتين » ليسوا شيوعيين . وإنما اشرار ينتمون الى منظمة اجرامية عالمية (الشبح) يسعى زعيمها « ستافرو بلوفيلد » الى استغلال العلاقات الهشة بين الشرق والغرب من اجل مكاسب خاصة ، قد يؤدى سعيه نحو تحقيقها الى دمار العالم .

جيمس بوند

● حرب النجوم

اما المرحلة الثالثة من سيرة بوند فهي والحق يقال لا تعدو ان تكون انتكاسة الى المرحلة الاولى ، اذ فيها تعود الحرب الباردة اقوى واعنف مما كانت فالجيش السوفييتي يجتاح افغانستان غازيا ، وجيمى كارتر يوقف العمل باتفاقية سولت الخاصة بالصواريخ عابرة القارات ويقاطع ومعه معظم دول الغرب ، اوليمبياد موسكو ، ومارجريت تاتشر تعلن الحرب على جنرالات الارجنتين من اجل استرداد حفنة من الجزر النائية القاسية البرد ، وتخرج من ساحة الوغى متوجة باكاليل الغار .. ورونالد ريجان يلعن الاتحاد السوفييتي واصفا اياه بامبراطورية الشر ، متخذا من هذا الوصف ذريعة لتبنى برنامج للفضاء مكلف استوحى له اسما من فيلم للمخرج «جورج لوكاس» عنوانه «حرب النجوم» .

فى هذا الجو المحموم كان لامناص من ان يعود «بوند» سيرته الاولى بطلا شعبيا من ابطال الحرب الباردة ، بطلا لا يريد بغيا ولا اعتداء ، وانما يريد ان ينجو بالعالم من مؤامرات الاشرار الحمر روسا كانوا ام عملاء .

ولو كان مؤلف «بينيت» و «وولاكوت» سالف الذكر قد تأخر ابداعه الى ما بعد عرض فيلم «بوند» الأخير «ترخيص بالقتل» (١٩٨٩) ، لانقسمت سيرة «بوند» فيه الى مراحل اربع بدلا من ثلاث .. لماذا ؟

لان فيلمه الاخير يختلف عن افلام المرحلة الثالثة فى أن اشراره ليسوا شيوعيين ، وإنما مهربون للسموم البيضاء وبالتحديد اشدها فتكا «الهيروين» .

ويقول الفيلم صراحة ان الاشرار مهربى الهيروين على علاقة برئيس احدى جمهوريات امريكا الوسطى عاصمتها مدينة «استموس» وترجمتها «ارخبيل» ملمحا بذلك الى مدينة بنما والى «نوريبجا» رجل جمهورية بنما القوى ، والمتهم من قضاء الولايات المتحدة بتزعم واحدة من اخطر عصابات تهريب المخدرات فى البحر الكاريبى .

بل يذهب صانعو الفيلم الى حد اظهار رئيس الجمهورية الذى قام باداء دوره الممثل المكسيكى «بدرو ارمنداريز» اظهاره في لقطة سريعة ، وهو يستلم شيكا من زعيم العصابة مقابل ما قدمه له من خدمات .

وكذلك يختلف عن جميع افلام «بوند» السابقة فى امر هام اخر ، الا وهو تمرد «بوند» (تيموثى دالتون) على رئاسته فى لندن .

فلأول مرة نراه لا يقوم بمهمة رسمية لحساب مخابرات صاحبة الجلالة .

● دائرة الانتقام

وانما يتحرك من منطلق شخصى بحت هو الانتقام لصديقه « فيلكس » (دافيد هيدرسون) من قاتل زوجته زعيم العصابة « فرانز سانكيز » (روبرت دافى) .



مايكل كيتون اجاد دور الوطواط

وذلك الصديق الذى ينتقم له «بوند» انما كان يعمل لحساب المخابرات المركزية الامريكية ، قبل ان يتركها لرئاسة مكتب مكافحة المخدرات بجنوب ولاية فلوريدا .

والفيلم يبدأ به مع «بوند» في سيارة متجهين الى كنيسة حيث سيعقد قرانه على بنت الحلال .

ولكنهما بدلا من الذهاب الى الكنيسة ، يغيران فجأة المسار استجابة لنداء الواجب ، ويطاردان المهرب « سانيكز » فى مشاهد اخاذة تنقطع لها الانفاس .

وطبعا تنتهى المطاردة المثيرة بإلقاء القبض على المهرب الخطير .

وها هو ذا « بوند » وصديقه « فيلكس » يقفزان بالبراشوت فوق الكنيسة حيث يعقد قران الأخير على « ديللا تشرشل » (بريتشيلا بيزنز) التى كانت مع المدعوين على سلالم الكنيسة تنتظر العريس الهابط من السماء وهى مرتدية ملابس الزفاف !!

ولكن سرعان ما ينجح « سانكيز » بالرشوة والخديعة فى الهروب اثناء الانتقال به الى احد السجون .

ولا يكتفى بذلك بل يكلف اعوانه بقتل العروس ، واختطاف العريس الى مكان للتعذيب حيث تركا نهبا لاسنان سمكة قرش شديدة الافتراس .

وعندما رأى «بوند» العروس جثة فارقتها الحياة ، ووقعت عيناه على جسد العريس المثخن بالجراح ، غلى الدم في عروقه وعزم على الانتقام .

وعبثا حاول رئيسه « ام » (روبرت براون) ان يثنيه عن عزمه ، باقناعه بأن إلقاء القبض على المهرب « سانكيز » ومحاكمته انما هو من اختصاص السلطة الأمريكية وحدها .

وفوق هذا يذكره بالمهمة العاجلة التى تنتظره بعيدا عن خليج المكسيك على ضفاف البسفور فى اسطنبول مدينة الاساطير .

● بطل للجميع

يبقى ان اقول ان جرعة العنف فى الفيلم ازيد منها فى اى من أفلامه الأخرى .

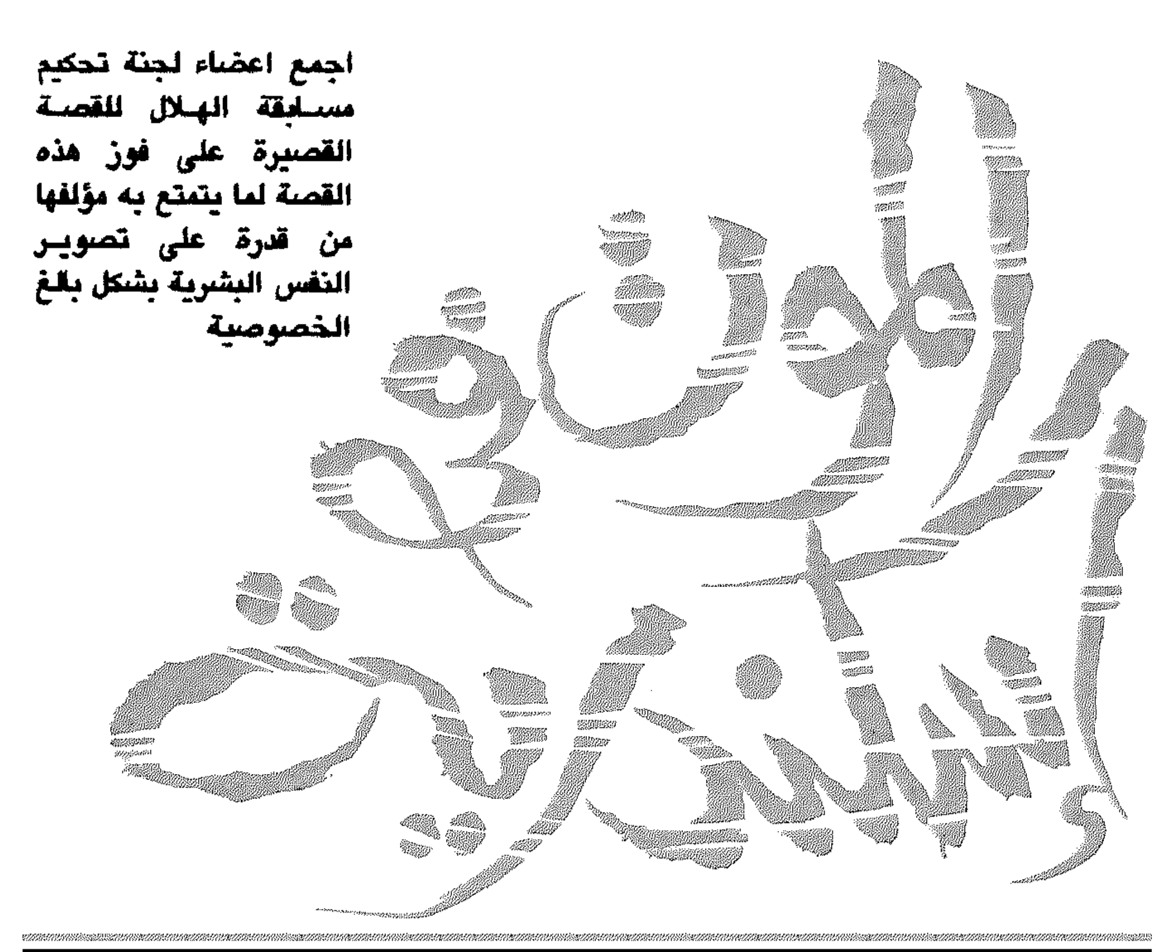
ولعل هذا هو السبب الذى حدا بالرقابة فى انجلترا الى قصر مشاهدته على الكبار .

وهكذا ولاول مرة تجنح الرقابة فى بلد البطل الشعبى الى حماية الصغار منه .

واغلب الظن ان الصغار الذين اعتادوا على عبث بوند وألاعيبه فى غضب من هذا الحرمان .

اما عندنا فالفيلم يستمتع به الصغار اسوة بالكبار لان الرقابة لم تشأ ان تحرم احدا من متعة مشاهدة البطل الشعبى وهو ينتصر للاخيار ضد الاشرار .


قصة قصيرة :



اجمع اعضاء لجنة تحكيم مسابقة الهلال للقصة القصيرة على فوز هذه القصة لما يتمتع به مؤلفها من قدرة على تصوير النفس البشرية بشكل بالغ الخصوصية

القصة الفائزة بالجائزة الثالثة ... بقلم : خالد عزت

بريشة الفنانة : سميحة حسين

(١)

ـ أنا هويت وانتهيت
وليه بقى لوم العزول .

رفعت بهيجة صوتها الخفيض المبحوح النبرة بالغناء واعقبت بتنهيدة طويلة وشاهدها وهى تمسح وجهها بظهر يدها فعرف أنها تبكى فى صمت . كانت لحظتها واقفة بجوار النافذة المسيجة معطية ظهرها العارى له ناظرة الى الخارج حيث العتمة . نظر اليها ولم يقل شيئا وظل ساكنا فى مطرحه مرتكنا بمرفقه على حافة المنضدة المستديرة ناظرا فى جوف فنجان القهوة ومتأملا الرسومات الهلامية البنية اللون فى حواف الفنجان ومتحاشيا أى كلمات تثير الحزن فى قلبينا المثقلين بهموم العيشة كما يحدث فى كل زيارة اليها والى اسكندرية تنتهى بالبكاء والصمت .

(٢)

استدارت منكسة الوجه منكسرة النظرة وجلست امامه وقالت بصوت مخنوق الشيخ سيد قالها من خمسين سنة ثم رفعت ركبتها اليسرى فانحسر قميصها عن وركها واراحت جبهتها المثقلة عليها ـ كان شعرها الاصفر الربانى المتموج متهدلا على جبهتها ويكاد يغطى عينيها الزرقاوتين ويمنع الضوء الشحيح من الوصول

إليهمـا وتبين لـونهمـا الحقيقي.

(٣)

نظر عزيز الى عينيها المغسولتين بماء بحـر اسكندرية وكـان العرق يغطى وجههـا الشاحب بالرغم من برودة حجرتها العارية واننا فى عز الشتاء ورغم هذا كانت ترتدى كعادتها القميص على اللحم سواء كان الجو حارا او باردا ولم تغير ابدا عادتها منذ رآها لأول مرة - كوم الدكة - يوم أوته فى حجرتها الارضية وأخفته عن عساكر الملك - فى ذلك اليوم الشتوى البعيد - بعد أن طردته أمه لان عساكر الملك عرفوا طريق البيت بسببه - وأنه يعكر صفو حياتها مع زوجها جرجس افندى - كل يوم والثانى - كما قالت وانها حلفت بجسد يسوع الطاهر انه لن يبيت فى البيت من هذه الليلة .

(٤)

خرج عزيز الى الشارع الخالى وكانت مـلابسه لاتزال مبتلة والصـوات الملتاث المحروق بلوعة الفقد يأتى من بيت نديم فأيقن ما حدث وحزن . وسار ناحية البحر وكان البحر باردا ولعن جسد يسوع الطاهر وكل الأنبياء والقديسين الذين حالوا بينه وبين المبيت فى البيت . فكر أن يذهب الى عبد الله الذى تركه منذ قليل ليبيت عنده تلك الليلة السوداء - حاول جاهدا ان يتقـدم ولكن الـريـاح الشديدة اعاقته وجلس على حافة الطوار واحتضن نفسه وردد اسم نديم . وبكى .

(٥)

جـاء الخبـر الـى اسكندرية بعـد ساعـة واحدة من فتح الكوبرى . عرفه من عمال شركة النحـاس وكـان يحـب الجلـوس معهم لأنهـم يقولون له أشياء لايعرفها ويذهب للقائهم فى مقهى الطرابيشى العالية بباكوس ويشرب معهم الزنجبيل الحامى . كانوا جالسين صامتين حزانى فى ضوء الشموع الشحيح والتى اشعلها صاحب المقهى بعد ان قطعت الحكومة الكهرباء عن اسكندرية كلها خوفا من قيام مظاهرة واعمال شغب يردون بها . وقال احدهم وهو يتحسس مابين فخذيه وكان يرتدى عفريتة زرقاء : انه بقى طواشى .



(٦)

عنـدمـا خـرج الى الكورنيش وسار بجانب شاطىء جليم المواجـه لمنطقة باكوس وجد ان السواد قد غطى اسكندرية كلهـا . ونزل الـدرجات الحجرية ووجده جالسا على الـرمال محتضنـا ركبتيه ويدخن فى صمت ووجهه الى البحر . وجلس امامه معطيا ظهره الى البحر وكانت الرمال مبللة لأن المـد كـان يغمـر الشاطىء المتآكل ويصل الى مجلسهـا . ويبلل مؤخرتهما دون أن يحسا . وعندما قال له رد عليه فى حزن انه عـرف وكان بإمكانه ان يرى نيران المشاعل لباعة البطاطا

المتناثرين على طول الكورنيش وهى تروح وتجيء بفعل الرياح الباردة الآتية من البحر .

(٧)

كان العسكر بزيهم الأسود الشتوى وخوذهم المعدنية وبنادقهم وبياداتهم الميرى واقفين منتظرين اقتراب جموع الطلبة الذين كانوا يتقدمون دون أن يخافوا ويهتفون للموت والحرية والمجد للذين غرقوا فى النهر وكان الميدان الفسيح المضبب قد ضاق واتسع بهم . رآهم ورأى نديم محمولا على أكتاف زملائه وصوتهم وانفاسهم الهادرة تلتحم بصوت ورائحة زفر البحر غير البعيد عن المكان وعندما اقتربوا دون ان يهابوا العسكر - كما كنا نهابهم ونحن صغار - أمر كبيرهم وكانت النجمات والازرار الذهبية تغطى صدره وكتفيه والطربوش ذو الحمرة القانية يغطى رأسه الحليقة ويركب جوادا اشهبا - بأن يطلقوا النار فى المليان فجرى عزيز وعبدالله للانضمام الى الجموع وقبل ان يصلا كانت الرصاصة الاولى قد انطلقت وراه يهوى الى ارض الميدان الاسفلتية وبدأت القنابل الدخانية تنفجر والجموع تتخبط وتتفرق وعندما اقترب منه وسط الدخان الكثيف والاجساد المتخبطة المدماة رأى الدماء قد غطت قميصه الابيض وانه كان واضعا يده على قلبه وقد ثبتت اليد ولم تتحرك وكانت عيناه مازالتا مفتوحتين ووجهه متجه الى السماء المغيمة . نادى عليه ولم يرد وعندما حاول ان يحمله شده احدهم وهو يجرى دون ان يدرى الى اين .

وعندما التفت وانا اجرى مهرولا وسط الدخان وجدت العسكر قد ملأوا الساحة الواسعة وعربات البوليس السوداء تتقدم بعد أن امتلأت صناديقها الخلفية . وعندما خرجنا الى الكورنيش وجدناهم رافعين هراواتهم واصابوا بعضنا وقذفوا بهم الى جوف العربات . فعبرا السور الى الشاطىء الصخرى وكانوا خلفهما وعندما استدار ونظر فى عين العسكرى الاسمر وكانا لحظتها واقفين فوق الصخرة العالية النازلة الى الماء مباشرة دون انحدار قال له عبدالله وهو يلهث والدموع تسح من عينيه من أثر الدخان : مفيش فايدة . ودفعه الى الماء وقفز خلفه . وبلع الماء فشرق وغاص رغم انه نزل الى الماء الف مرة ومرة فحمله عبدالله على ظهره وسبح به حتى الجزيرة الصخرية الصغيرة .

(٨)

عندما خرجا من الماء مبتلين ، كان الليل قد دخل .

ولم تنر اسكندرية انوارها . وباتت كالأمس .

(٩)

تقدم عزيز فى الزقاق الضيق المظلم متحسسا طريقه الى بيت عبد الله وسمع من خلفه وقع الاقدام الثقيلة ولمح اسفل البيت اشباحا تجرى ناحيته وفى نهاية الزقاق كانت (البوكس فورد) بجوفها المظلم ترقد هادئة فى الانتظار وعندما التفت الى الخلف نزلت الهراوة الثقيلة على جبهته ولكنه تراجع دافعا الرجل بقوة وصعد الدرجات الحجرية القديمة فى صعوبة بالغة . وكانت الاصوات والخطوات الشرسة خلفه .

وكانت الدماء تسيل من جبهته بغزارة .

(١٠)

ضحك ولكنه سعل بشدة في منتصف الضحكة ورفعت وجهها وقالت له وهي تمسح بيدها على وجهه :

- عجزت خلاص .

- لكن انت زى ما انت بهيجة .

- الله يجبر بخاطرك . دانا اكبر منك .

- سنتان .

وقامت واحضرت زجاجة براندى وفنجلنا وملأته وارتشفت منه وكانت عيناها منتفختين قليلا وبدا اسفلهما الهالات الداكنة - ولمح زجاجات البراندى الرخيص الفارغة مركونة بجوار الفراش واشعل السيجارة الوحيدة المتبقية وتبادلاها ومسحت على جبهته وقالت :

- الجرح لسه له اثر .

وقلت لها نعم لايزال له أثر وسألتنى عن يوسف ابنى . فصمت . وتناولت منها السيجارة ولم اقل لها ان يوسف معتقل مع زملائه الطلبة وان الجامعة محاطة بقوات الامن المركزى وإنه يحب فتاة مسلمة وإن اهلها يرفضون . وانني حزين لهذا جئت اليها فوجدتها اكثر حزنا .

(١١)

دفع عزيز الباب الوحيد الموجود في الطرقة الحجرية الرطبة المعتمة فانفتح الباب تحت ثقل جسده الدائخ من أثر الضربة التي تلقاها ووجد نفسه واقفا في منتصف الحجرة وكانت ترقد عارية بعد ان انتهت لتوها . وكانت الاصوات ووقع البيادات الثقيلة الباحثة عنه في جنون تسمع بوضوح خارج الحجرة في الزقاق . نهضت ونظرت اليه دون ان تخف واغلقت الباب وارتدت قميصها ونفخت في اللمبة واقتربت من خصاص النافذة ونظرت الى الخارج في حذر . وكانت الدماء اللزجة قد غطت وجهه تماما .

(١٢)

خلعت عنه ملابسه المبللة الملوثة بدمائه ونشرتها على شباك السرير النحاس ومسحت وجهه وربطت جبهته المجروحة وأطعمته بيدها وسهرت عليه ورفضت أن تستقبل زبائنها من اعيان دمنهور وكفر الدوار الذين يأتون اليها متخفين في عباءاتهم مطمئنين في عتمة الليل كما قالت له بعد ذلك . يفعلون ويمضون بعد ان اعطتهم الراحة وخلفوا لها الحزن والألم .

(١٣)

كانت جالسة بجوارى محتضنة ركبتيها وكانت قطرات الدماء تنساب في بطه على جانب وجهى وتسقط على صدرى العارى عندما سألتنى بصوتها المبحوح وعندما قلت لها سبب الجرح واننى تلميذ في المدرسة الزخرفية بالشاطبى قالت لي متألمة : انت صغير على كده .. مالك انت ومال الهم ده . شوف حالك . وقلت لها ان الحكومة فتحت على الطلبة كوبرى عباس امبارح وان نديم . وصمت . ولما سألته قال لها إنه جارى وتلميذ في الحقوق وانه يكره الملك والباشوات وانه قال لي عندما كنا نسبح داخل البير انه يحلم بالسفر الى فرنسا وعندما سألته لماذا فرنسا قال انه يحب اديث بياف المغنية والتي يسمع اغانيها في بيت الخياطة اليهودية راشيل التي تأخذه في حضنها كل ليلة جمعة بعد ان غادرها زوجها الى فلسطين وانها رفضت الذهاب معه وحلفت بايمانات المسلمين والنصارى واليهود انها لن

تترك اسكندرية واخذت تكرر له وهى تهتز وتقلد نسوان الانفوشى والازريطة وكوم الدكة :
(وحياة المرسى ابو العباس ما نسيبوها)

وانها ستحزن عليه لانه اخبرنى بانها تعشقه موت عندما كنا نحشش مع الشيخ حسونه الواعظ بجامع سيدى بشر الذى نسى وجودنا ونهض وهو يتخبط فى طرقة الربع المعتمة ودخل حجرته وسمعنا صوت اهتزاز السرير النحاس فعرفنا انه يجامع مراته الجديدة فضحكنا وأخذنا نغنى معا بصوت خافت لايسمعه غيرنا وكلانا ينظر فى الآخر .

(خايف اقول اللى فى قلبى تزعل وتعاند ويايا .
ولو داريت عنك حبى تفضحنى عينى فى هوايا) .

وصدى غنائنا ينداح ويتوغل فى فضاء الربع الخالى البارد المترب مرتدا الينا ومتكررا ونسيت فى نشوة الغناء ان اسأله ان كان احبها كما احب الذهاب الى الكنيسة صباح الاحد لسماع التراتيل وعشقها كما عشق صوت الشيخ رفعت وكان



يحب سماعه وهو سكران طينة وكنت أراه من نافذتى فى الفجر وهو عائد من خمارة اسطافينوس الجريجى مترنحا يدور ويلف حول بيته وهو يبحث عن المدخل حتى يطلع النهار ويفيق فيصعد .

.. وإنه مات النهاردة برصاصة ميرى .

وكان يقود المظاهرة

وكانت صامتة .

والتفت اليها بصعوبة بالغة وقال لها فى حزن : انه سمع عن الموت كثيرا ولكنه رآه اليوم واحس به .
نظرت اليه ولم تستطع ان تقول شيئا واحتضنته وقبلته فى فمه برغم دمائه التى عادت وتجمعت على وجهه وصدره ونسى ألمه والهراوة الثقيلة التى انزلها

العسكرى الجاحد على جبهته . وفعل . وعرف .

(١٤)

وبعد يومين صحا .

ولم تتوقف الدماء عن السيل .

ولم يتوقف الالم .

وعندما فتح عينيه وكانت الحجرة غارقة فى العتمة وجدها واقفة عند النافذة عارية تبكى بصوت خافت مكتوم فنهض متحاملا واقترب منها وعندما التصق جسده بها واحست به قالت دون أن تلتفت اليه وهى مخنوقة بالدموع : انها وحيدة وانها تحب صوت الشيخ سيد .

(١٥)

فى الفجر اخذته الى بير مسعود وسبحا معا عرايا وغسلت له جرحه بماء البحر المالح واحضنته وطلبت منه ان يفعل فامتزجا معا وذاب فى الماء . وطاب الجرح ولكنه ترك اثره فى الجبهة . والقلب وعندما قلت لها انها اول امرأة انام معها ضحكت بشدة وقهقهت كالاطفال وقالت وهى ترفع حاجبيها وتقرصنى فى فخذى وهى المرأة المجربة رغم عمرها القصير : مش باين عليك ـ

ولما سألتها وكنا سائرين على الرمال الباردة قالت : انها ابنة برنسيسة من العيلة المالكة وان السيدة التى ربتها وعلمتها المهنة كانت ترسل الى البرنسيسة العساكر الانجليز ذوى العيون الزرق لتأخذهم فى حضنها ويدفئوها فى فراشها المطعم بالذهب والعاج لان للبرنس زوج البرنسيسة كان عجوزا ولايقدر ان يفعل وحينما عرف السلطان حكاياتها الليلية امر ان تترك مصر وان تعود الى اسطنبول ولكنها كانت قد حبلت ووضعت فتركت الطفلة للسيدة واعطتها صندوقا مليئا بالزمرد والياقوت واوصتها بأن تسميها (بهيجة) على اسم الزوجة الرابعة للسلطان عبد الحميد .

وضحكت وكنت صامتا ولكننى عندما نظرت الى شعرها الاصفر المندى برذاذ الامواج الملتصق باعلى ظهرها وعينيها الزرقاوين والرقبة الشامخة المنحوتة فى الجسد الشمعى صدقت وعرفت انها لاتكذب .

وكان البحر هائجا والامواج تتكسر على الاحجار الثقيلة التى وضعت على مسافات متقاربة وهى تقفز من حجر الى آخر حافية وثدياها يترجرجان فى الثوب الابيض الشفيف الذى شغلته بنفسها وهى تضحك وتغني - حمامة بيضا ومنين اجيبها - وانا اركض خلفها وفوقنا السحب الرمادية المحمرة الحواف وضوء النهار الكابى يزحف ببطء ويغمر الشاطىء .

(١٦)

كانت زجاجة البراندى قد فرغت تماما .

فنهضت واقفة واتجهت الى النافذة واغلقتها ثم خلعت قميصها واستلقت على الفراش وقالت له بصوت خفيض : تعال .

فقام وخلع ملابسه الثقيلة واستلقى بجوارها وأخذته على صدرها وقال لها ان يوسف يحب فتاة مسلمة . فتنهدت وقالت بصوت حزين مجهد لامبال انا الاميرة بهيجة بنت الحسب والنسب . وشخرت . فتنهد وقال لها ان الزمن مضى دون ان يدروا وان الجرح لايزال يؤلمه ولم يطب . فقالت فى اسى : الشيخ سيد قالها من خمسين سنة . وأغمضت عينيها الزرقاوتين .

نهض من جانبها فى هدوء وارتدى ملابسه وخرج .

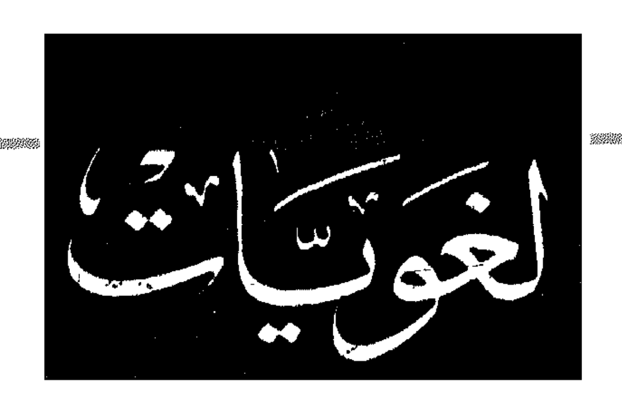
(١٧)

جلس عزيز فوق الصخور المدببة واحتضن نفسه وكان الضباب الثقيل يحول بينه وبين رؤية الافق ونهض وسار ناحية البير ونظر داخله وسمع صوت ارتطام الامواج العنيف .

وتحسس جبهته .

وجرحه .





● يوصف الديكتاتور الطاغية بأنه « جبار » اى قهار متسلط متكبر قاتل .. واصل « الجبار » فى اللغة : الطويل من النخل ، فتبدو النخلة الطويلة السحوق ، جبارة مخيفة لمن يريد ان يتسلقها .

● يقال : أنا ومن بعدى الطوفان ! اى السيل العظيم الذى يغرق الأرض وما عليها .. واصل الطوفان : شدة سواد الليل او الموت الذريع الذى لايبقى ولايذر .

● مذهب الرمزية فى الأدب والفن معروف فى العالم كله .. والرمز فى اللغة : تحريك الشفتين باللفظ من غير إبانة بصوت ، وقد يكون اشارة بالعين والحاجب .

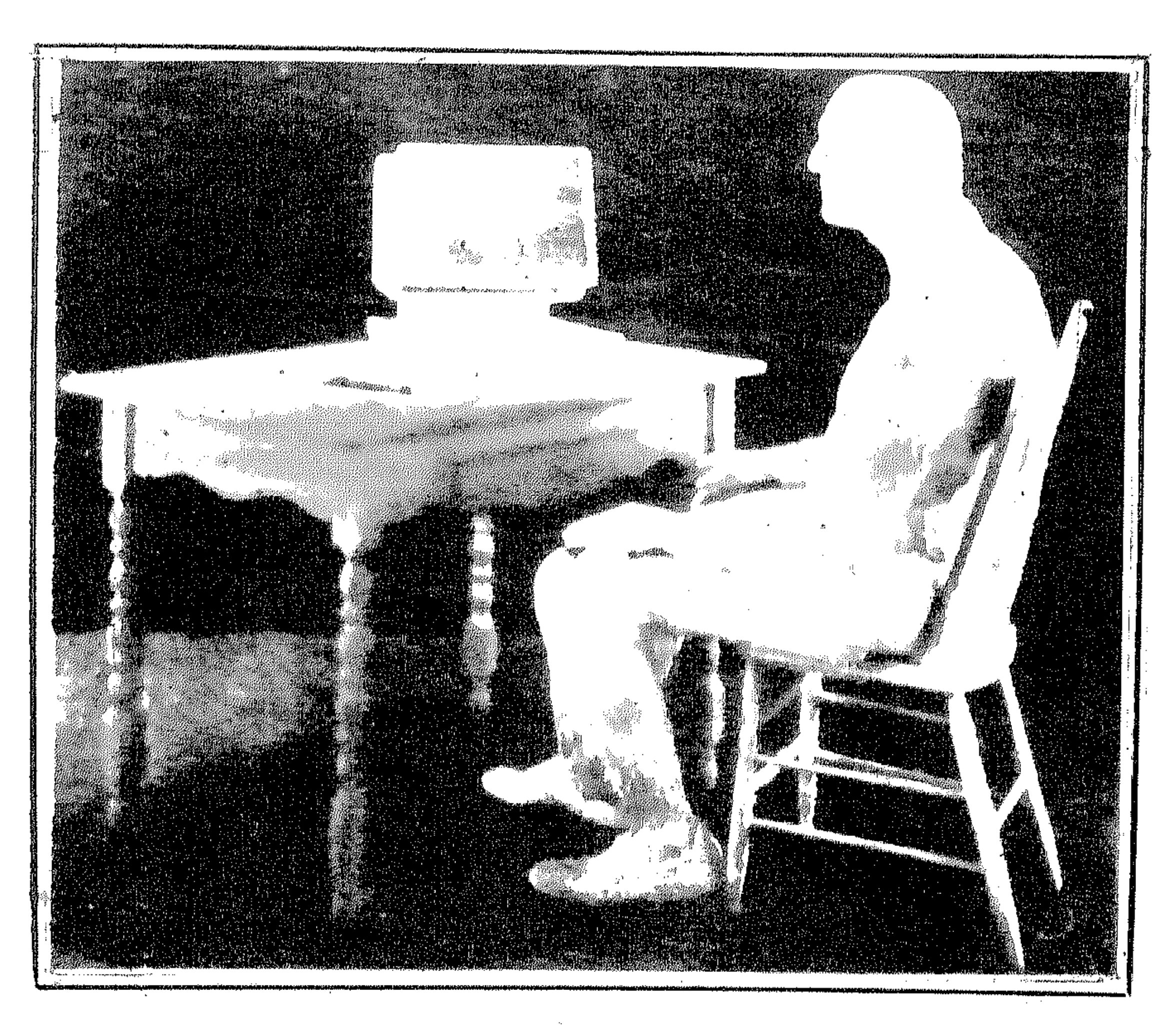
● طوبى لهم » معناها السعادة وطيب العيش لهم .. وبعض اللغويين القدماء قالوا ان « طوبى » اسم للجنة باللغة الهندية ، او اسم شجرة فى الجنة !

● كلمة « أعمه » يستعملها بعضهم لوصف من ولدته امه اعمى ، وهذا خطأ والصواب « أكمه » فهذا هو الذى ولد غير مبصر ، اما الأعمه فقد يكون مبصرا ، لكنه يركب رأسه متخبطا حائرا عن الطريق ، حائدا عن سواء السبيل !

● يهش الراعى على غنمه بعصاه .. وفى القرآن : « واهش بها على غنمى » .. اى اضرب بها اغصان الشجر ليسقط ورقها لتأكله الغنم .. ومن معانيها قيادة الاغنام وضبطها .

● عامة المصريين يقولون : هذا الحمل الثقيل يضلع الانسان ؟ وهو تعبير صحيح .. ومن كلام على بن ابى طالب : "اردد الى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب"

● يقول : فلان ذاق الأمرين فى حياته ، ولا يسالون ماهما هذان الأمران ـ بفتح الميم وفتح الراء وشدها ـ حتى صار هذا التعبير مجرد "كليشيه" .. والأمران هما الفقر والشيخوخة ، ويستعملان فى هذا التعبير بمعنى الشدة الهائلة والشر العظيم ..



أمة فى خطر

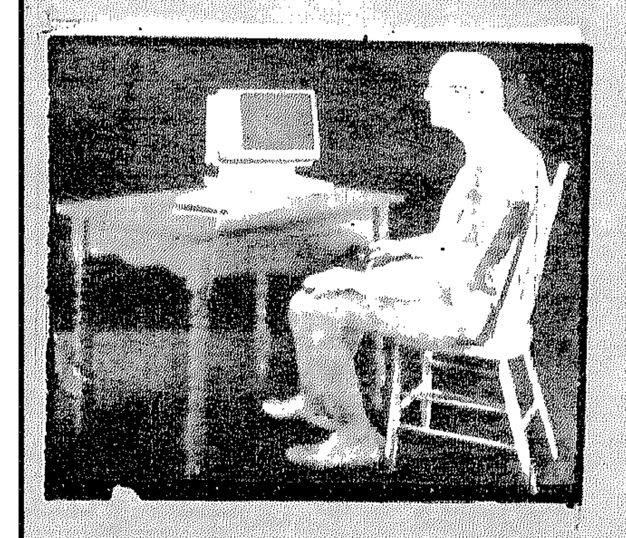
تلك التى ليس لديها القدرة على استخدام أداة العصر!

اكتسبت المعلومات اهمية كبيرة حتى اصبحت واحدة من اهم السلع الاستراتيجية ، التي يمكن لمن يملكها أن يتحكم في مصائر البشر .. وبعد القفزات الكبيرة التي ادخلت الكمبيوتر اخرى في كل مجالات الحياة ستشهد السنوات القليلة القادمة قفزات هائلة اخرى ، مع ما ستسفر عنه ابحاث «الذكاء الصناعي» ، ومع الجيل الجديد من الكمبيوتر الذي سيعتمد على هذه الأبحاث ، الجيل الذي حددت اليابان بداية التسعينات موعدا للانتاج التجارى له .. وبصرف النظر عن مدى النجاح الذي سيتحقق في هذا المجال يمكن التاكيد من اليوم على ان مجتمعنا لايمكن ان يعد نفسه مجتمعا معاصرا ما لم يلحق بهذه التطورات التي ستضاعف الفجوة بين المتقدمين والمتخلفين ..

لهذا كله تنشر «الهلال» هذا الملف الخاص بالمعلومات الذي يتطرق الى اهم قضاياها فيكتب لنا د . اسامة الخولي عن مجتمع المعلومات وكيف تشكل موردا للمجتمعات النامية ، ويكتب محمد فتحي عن التربية وثورة المعلومات ، كما يكتب الدكتور نبيل على والدكتور على فرغلي عن اللغة العربية والكمبيوتر .

• كيف يمكن أن تكون المعلومات موردا للمجتمعات النامية ؟

• ماهى حقائق إكساب الآلة الصماء نوعا من الذكاء ؟



المعلومات سلاح العصر الحديث

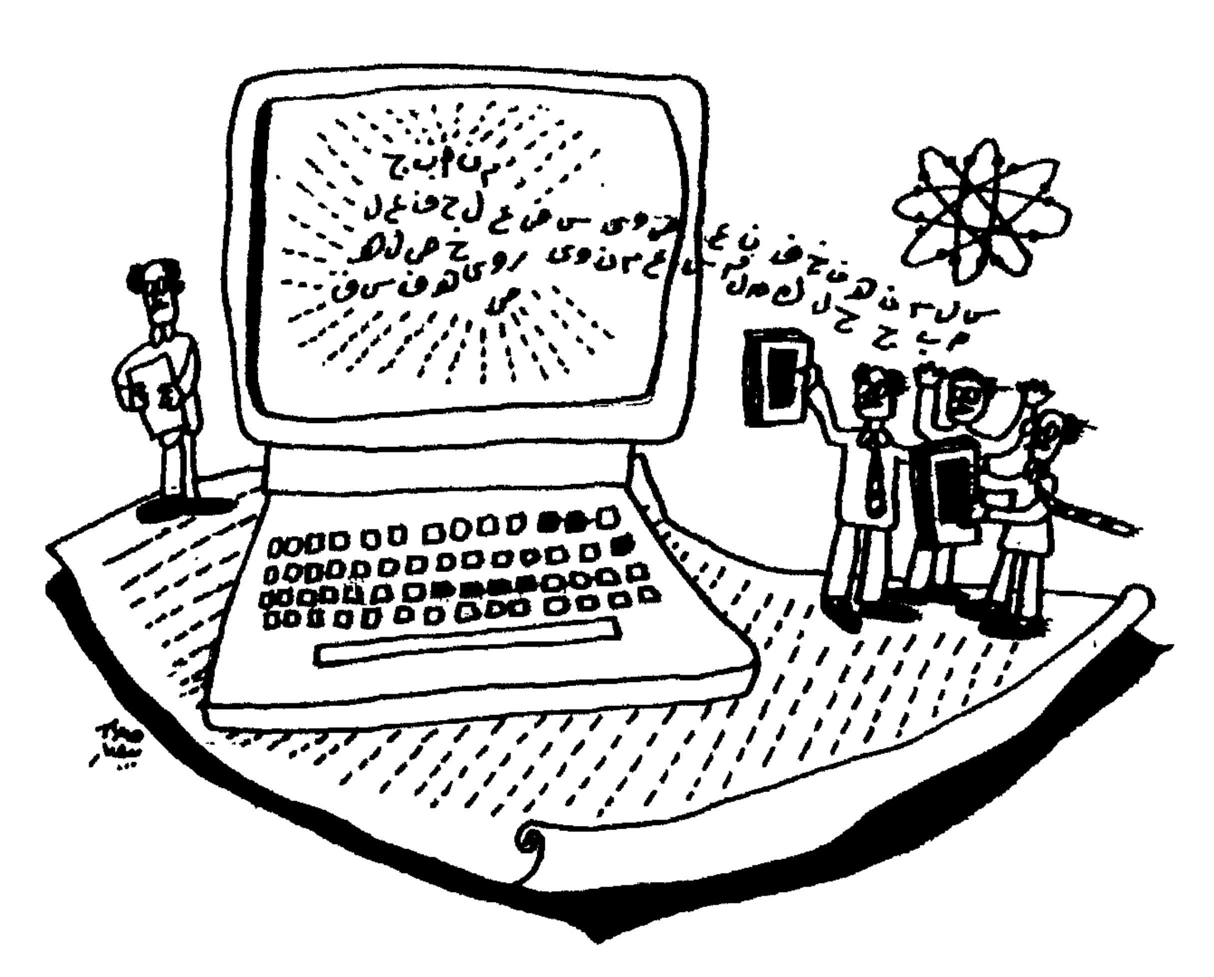
متى وكيف نستخدمه ؟

بقلم :
د. أسامه الخولى

تتعدى تأثيرات انتشار تكنولوجيا المعلومات حدود الدول وتغير موازين القوى التى تشكل أنماط التجارة الدولية وأنماط الاستثمار .. وتتمثل خطورة هذه التأثيرات فى اكتساب الانتاج الصناعي اليوم سمات عالمية لا يرتبط فيها بدولة ولا بسوق محلية فى دولة واحدة كما تتمثل فى التنافس الاقتصادى والسياسى الحاد الذى ينعكس فى كثير من القضايا الخلافية بين الدول المصنعة ، والتى لابد ان تنعكس بشكل أو باخر على الدول النامية .

● المعلومات مفهوم يحيط به قدر غير قليل من الغموض . والمصطلح يتداول فى سياقات مختلفة بمعان متفاوتة . فهو قد يشير إلى معطيات رقمية أو بيانات إحصائية ، أو إلى انباء ومقالات ، أو إلى تقارير ودراسات وكتب ، أو إلى رسومات وأشكال أو إلى براءات اختراع ومعارف فنية وأدلة أرشادية . والمعلومات تتداول سماعا أو مخطوطة أو مطبوعة أو مرئية بوسائل تطورت مع مرور الزمن بدءا بالنقش على الحجر أو الرسم عليه ، مرورا بالكتابة على الورق أو النسخ أو الجلود ، ثم الطباعة ـ وأخيرا على أشرطة وأسطوانات ممغنطة أو شاشات مضيئة للحاسبات .

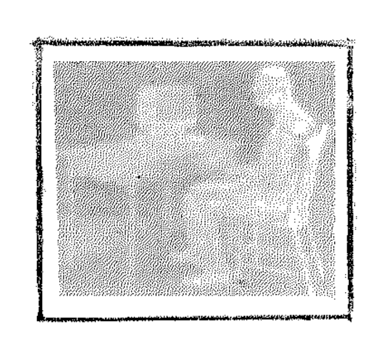
ويمكننا أن نميز بين أنواع مختلفة من المعلومات ، من حيث المضمون . فهناك فروق جوهرية بين المعلومات الخاصة



بالتراث أو العلوم الإنسانية ، وبين المعلومات العلمية ، وبينهما وبين المعلومات التقنية (التكنولوجية) . إن أى إضافة جديدة فيما نسميه العلوم الإنسانية والاجتماعية (مثل الفلسفة أو التاريخ أو الأدب ، أو فى التراث) لا تحل محل القديم ، وإن قامت بالطبع استنادا إليه ، مرتبطة به ارتباطا وثيقا . ولكن هذا يجرى فى كيان ذى علاقات فضفاضة ومرنة بحيث لا يشكل القديم مع الجديد كيانا متراصا تربطه علاقات منطقية صارمة . والأمر يختلف تماما فى المعلومات والمعارف العلمية التى هى نتاج نشاط تمارسه الأسرة العلمية الدولية فى إطار متفق عليه من القيم وأساليب العمل ، لا يتأثر الاجتهاد فيه بالجنس أو العقيدة أو اللغة أو المزاج النفسى . ومع أن المعلومات العلمية ترتكز هى الأخرى على الإسهامات السابقة ـ شأنها فى هذا شأن المعلومات والمعارف فى المجالات الإنسانية والاجتماعية والتراثية ـ إلا أن علاقة السابق باللاحق هنا علاقة ينسخ فيها الجديد القديم أو يعدله ، فيفقد السابق قيمته ويصبح أمرا فى ذمة التاريخ لا جدوى له فى النشاط العلمى المعاصر .

● المعلومات مورد اقتصادى

أما المعلومات التقنية (التكنولوجية) فهى اليوم سلعة تباع وتشترى لتحقيق هدف نهائى هو إنتاج سلعة ما أو توفير خدمة . ويجرى الحصول على هذه المعلومات مقابل ثمن يغطى تكلفة الجهد الذى بذل فى توفيرها بالإضافة إلى عائد جيد لما استثمر فى هذا الجهد من مال



ووقت وفكر. وبهذا تكون المعرفة التقنية مما يعتبره المحاسبون "الأصول"، أى أن لها قيمة ويتوقع أن يدر استغلالها عائدا. وهذا أمر لا نجده فى المعارف العلمية البحتة التى يمكن الحصول عليها من الإصدارات العلمية بلا قيود، وبثمن لا يتجاوز تكلفة الطباعة والنشر. وفى أغلب الاحوال مع ازدياد التلاحم بين العلم والتقنية نشهد تحركات نحو وضع قيود على النشر العلمى، خصوصا فيما يمكن أن يكون ذا أثر فى شئون الدفاع والأمن القومى. وفى هذا الوضع المميز للمعلومات التقنية تناقض يستحق أن نتوقف عنده قليلا. فإذا ما كانت هذه المعلومات سلعة مطروحة للبيع فى سوق، فإن المشترى المحتمل محتاج للتعرف على جوهرها كى يقدر مدى صلاحيتها لخدمة أغراضه. ولكن مجرد الكشف عن جوهرها يفقدها القدر الأكبر من قيمتها، مالم يبادر صاحبها باستغلالها فى "نافذة فرص" تضيق مع مرور الزمن وتغلق تماما عندما يتوصل آخرون إلى تحقيق نفس الإنجاز، أو ربما ماهو أفضل منه. ولقد اقتضى هذا ظهور التشريعات والإجراءات لحماية حقوق صاحب المعلومات التقنية بمثل ما يحدث لحماية حقوق المؤلف. ويعنى هذا أن آليات السوق التقليدية لتداول السلع المادية لا تسرى فى سوق المعلومات، نظرا لتعارض توجهات السوق الحرة التقليدية مع مبدأ حرية الحصول على المعلومات، والذى تحرص عليه كل المجتمعات الديمقراطية.

وأهمية قطاع المعلومات للنشاط الاقتصادى تختلف عن أهمية القطاعات التى يجرى فيها تحويل المادة أو الطاقة من شكل إلى آخر، إذ أنها تتعامل مع أشياء غير مادية فتحولها من شكل إلى آخر، أو تنقلها من مكان إلى آخر. إلا أن بين النشاطين ارتباطا وثيقا. فالنوع الأول يحتاج إلى المعارف والمهارات التى أتت من جمع المعلومات وتحليلها والتنسيق بينها وتخزينها واسترجاعها واستخلاص الدروس المستفادة منها. وفى نفس الوقت، فإن إنتاج المعلومات ومعالجتها وتداولها أمور تحتاج بدورها إلى المادة والطاقة بشكل أو بآخر وبقدر أو بآخر.

وهكذا يحق لنا أن نعتبر المعلومات موردا، بمثل ما نعتبر المادة أو الطاقة موردا. فالمعلومات هى التى مكنت الإنسان من تحويل المادة أو الطاقة من شكل إلى آخر وفاء بمتطلباته من المأكل والمسكن والتعليم والثقافة والترفيه والدفاع عن النفس. فخامات الحديد ظلت مادة بلا فائدة حتى اكتسبنا المعرفة الكفيلة بتحويلها إلى حديد وفولاذ بطرق مختلفة. وخام البوكسيت لم يتحول إلى الألومنيوم وسبائكه إلا فى مطلع هذا القرن، واليورانيوم لم يصبح مصدرا للطاقة فى المفاعلات النووية إلا منذ أقل من نصف قرن. وحتى النفط لم نستخدمه كمصدر للطاقة إلا منذ قرن واحد فقط، وكمادة خام لتشكيلة متنوعة من البتروكيماويات إلا فى هذا القرن. ولكن هذا المورد يكتسب صفات طريفة تميزه

عن موارد النوع الأول من النشاط الاقتصادى . فانتقال المعلومات من شخص إلى آخر ، أو من مكان إلى آخر ، لا ينقص رصيد المصدر منها بمقدار ما يزيد من ذخيرة المتلقى لها . والكثير منها ـ كما لاحظنا من قبل ـ "يفسد" مع مرور الزمن ويفقد قيمته ، بل قد يصبح ضارا ، بمثل ما يفسد الطعام ، فيلفظ ليحل محله رصيد جديد من المعلومات الأحدث والأكثر جودة .

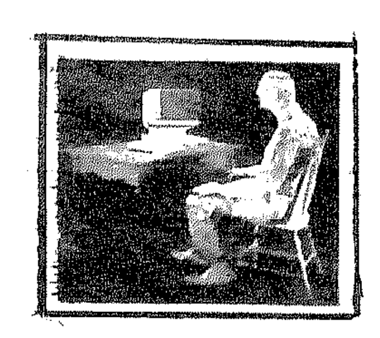
● جدوى المعلومات

وتبقى بعد هذا مسألة أخرى كثيرا ما تتناول بسطحية مع أنها فى صميم تحديد جدوى المعلومات بما يجعلنا نعتبرها موردا ، ألا وهى موقف المجتمع من استخدام المعلومات . فالمعلومات ـ شأنها فى هذا شأن الموارد الأخرى ـ لا يكفى مجرد وجودها لكى تصبح ذات جدوى اقتصادية واجتماعية ، إذ أن الأمر يحتاج إلى اكتساب الدراية باستغلالها وتحويلها إلى أشكال نافعة ومؤثرة فى حياة الفرد أو المجتمع .

والسؤال الذى يتردد ـ إن سرا أو علانية ـ فى كثير من الدول النامية يدور حول فائدة الفيض المنهمر من المعلومات الذى شهدته العقود الأخيرة ، وحول جدوى ما ينفق فى جمعه من الجهد والمال . وإذا ما كانت هذه قضايا قد حسمتها المجتمعات المصنعة على المستويين الحكومى والخاص بدليل ما ينفق على أجهزة المعلومات فى الحكومات والشركات ومراكز الأبحاث ، فإن الأمر لا يزال محل تساؤلات مفهومة ومشروعة فى الدول النامية حول مدى حاجتها لكل هذه المعلومات ، ومدى رغبتها ، أو قدرتها ، على الاستفادة منها وقد أصبحت اليوم متاحة لها . وباختصار ، يكون السؤال الآن : هل المعلومات حقا مورد للمجتمعات النامية ؟

وواضح أن الأمر يتعلق هنا بالقدرة على تحويل المعلومات إلى معارف ، أى تمحيصها لاستبعاد الزائف أو الذى يفتقر إلى مضمون له مغزى ، ثم استشفاف كنه المجدى منها والربط بينه بذكاء تتولد عنه معلومات جديدة كامنة فى المعلومات "الخام" . وهكذا ظهر فى نهاية عقد السبعينات مفهوم "الذكاء الاجتماعى" تعبيراً عن قدرة المجتمعات على استغلال المعلومات "الخام" وتحويلها إلى معارف مفيدة فى النشاط الاقتصادى والاجتماعى .

إن حسن استغلال المعلومات يفترض بداية أنها متاحة بدون قيود ، الأمر الذى لا يتوفر فى كل الدول النامية ، أو فى كل



الأحوال ، لأسباب تستحق أن نتوقف عندها قليلا .

● أهل الخبرة وأهل الثقة

كثيرا ما يتميز الوضع فى الدول النامية - على الأقل حتى الماضى القريب - بمحاولات إحداث تغييرات حادة فى نمط الحياة والتنظيم الاجتماعى وتوازن القوى فى المجتمعات ، قد نسميه "ثورة" أو "انقلابا" . وفى مثل هذا الوضع تفتقد القيادات الجديدة عادة الخبرة بإدارة شئون المجتمع ، بينما لا تثق كثيرا فى من تعاملوا مع العهد السابق من "الخبراء" الذين تتركز فى شخصهم خلاصة خبرة المجتمع المتخصصة فى مختلف مجالات النشاط الاقتصادى - الاجتماعى . وهكذا يحل محل "الحرس القديم" جيل جديد من مؤيدى التغيير ، قليلى الخبرة ، ولكنهم من "أهل الثقة" وهنا يقف صاحب القرار حائرا بين آراء "أهل الخبرة" ، التى ربما كانت تعكس تمسكهم بالفكر القديم ، وآراء "أهل الثقة" أصحاب الرؤية الثورية الجريئة . ولنا فى خبرتنا فى بعض المواقف الحاسمة فى تاريخنا الحديث رصيد طيب يستحق أن نقوم بتحليله لتعميق فهمنا بما جرى . (من الأمثلة الناجحة للجرأة الثورية قرار الاستغناء عن مرشدى السويس الأجانب بعد تأميمها) ولكن التغيرات الحادة تحتاج إلى تحقيق مساندة شعبية على نطاق واسع لا يأتى إلا ببناء الثقة بالنفس ، الأمر الذى قد يؤدى أحيانا إلى حجب المعلومات المثبطة للهمم عن غالبية الشعب حتى لا يفتر حماسه للتغيير . وقد يتمادى المسئولون فى هذا الاتجاه فيلجئون "لفبركة" معلومات غير صحيحة ، أو غير دقيقة ويتداخل مع هذا الاعتبار الحرص على عدم "الانكشاف" أمام العالم الخارجى ، من منطلق التسليم بقدرة الآخرين على استغلال المعلومات بكفاءة عالية لا تتوفر للدولة النامية . وقد يؤدى هذا إلى وقوع القيادات نفسها فريسة لدعايتها وميلا للاطمئنان إلى ما يقدم لها من معلومات من مختلف المصادر الداخلية ، والتى سرعان ما تستشعر رغبة القيادات فى حجب المعلومات غير السارة فتقوم بهذا الدور بحماس ، خصوصا وأن هذا يوفر للمسئولين على المستويات الأدنى حماية من المساءلة عن نتائج أعمالهم عندما يتبين ما فيها من أخطاء ونقائص .

لقد ساعد التطور فى نظم جمع المعلومات وتداولها بفعل انتشار الحسابات ووسائل الاتصال السريع عبر آلاف الأميال وبكلفة زهيدة جداً على "انكشاف" متسارع لكل الأنظمة الكبيرة ، سواء أكانت دولا كبيرة ، أو شركات متعددة الجنسية ، فلم يعد من الممكن الآن لأى مجتمع أن يحجب الحقائق عن مواطنيه أو عن العالم الخارجى لفترات طويلة من الزمن ، مهما حاول ذلك . ومن الواضح أنه مهما كانت النزعات الديمقراطية فى أى مجتمع فإنه يظل بحاجة لتأمين بعض المعلومات على الأقل ، وتقييد تداولها خصوصا فيما يتعلق بالأمن القومى ، أو بحرمة

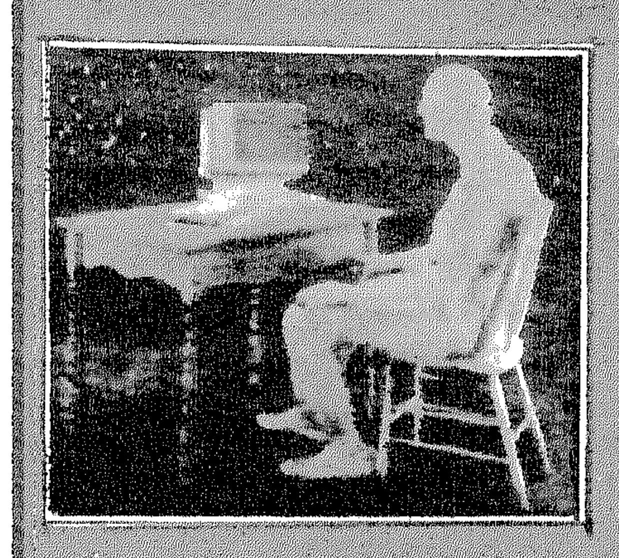
خصوصية الفرد ، أو بحدود انتقال المعلومات عبر الحدود الوطنية . وهذه كلها مسائل معقدة تجرى مناقشتها على عدة مستويات لمحاولة التوفيق بين حرية الحصول على المعلومات والمقتضيات المشروعة لتأمين المصالح الوطنية المشروعة . وأظن أننا نلمس تحولات واضحة في موقف مصر من المعلومات فى السنوات الأخيرة ، مازالت فى حاجة لترشيدها على أساس سياسة وطنية واضحة للمعلومات .

إن تأثيرات انتشار الحاسبات وتطور وسائل الاتصال يلقى اهتماما كبيرا فى الغرب لما يمكن أن يكون له من آثار عميقة على هيكل التنظيم الاجتماعى وعلى توازن القوى بين فئات المجتمع ، إذا ما تحققت أساليب جديدة للسيطرة الاجتماعية (راجع مقالنا فى عدد يناير من الهلال) .

ان هذه التأثيرات لا تقف عند حدود الدولة بل تتعداها إلى تعديل موازين القوى التى تشكل أنماط التجارة الدولية وأنماط الاستثمار . وتتمثل خطورة هذه التأثيرات فى اكتساب الإنتاج الصناعى اليوم سمات عالمية لا يرتبط فيها بدولة واحدة ، ولا بسوق محلية فى دولة واحدة ، من ناحية ، وفى التنافس الاقتصادى والسياسى الحاد الذى ينعكس فى كثير من القضايا الخلافية بين الدول المصنعة والتى لابد وأن تنعكس بشكل أو بآخر على الدول النامية . والتعرف على آثار هذه التطورات على أنماط تقسيم العمل الدولى يتطلب تحليل القوى الكامنة وراء التطورات التقنية وتطبيقاتها . ويعنينا هنا ، إلى جانب الأبعاد الدولية لهذه التطورات ، أن نشير إلى الدور الذى يمكن أن يلعبه التطور فى أساليب معالجة المعلومات فى المجتمعات النامية بالذات فى أمور مثل محاربة البيروقراطية غير الكفؤة وتنوير المجتمع بشكل عام . إن هذه الإمكانية لم تلق بعد الاهتمام الكافى لاستغلالها فى المجتمعات النامية ، لا لمجرد الإسراع بمحو الأمية أو توفير سبل التعليم المستمر ورفع كفاءة العاملين . فى مختلف المجالات مع التطورات التقنية المتوالية ، ولكن لتأكيد حق المواطن فى أن يعرف وأن يكون أهلا للمشاركة الفعالة فى اتخاذ القرار وفى التنفيذ وفى تصحيح المسار .

وإذا ما كانت هذه محاولة لنظرة سريعة وعامة على مسألة المعلومات فى العالم بشكل عام ، فإن الواضح اننا لا نملك رفاهية تجاهل ما يدور حولنا أو الهرب من مواجهة التحدى الذى تواجهنا به ثورة المعلومات . والأمر ليس أمرا يخص الفنيين أو الاقتصاديين وحدهم لأننا أمام انعكاسات انسانية واجتماعية وفكرية وثقافية فى كل نواحى حياتنا : فى العمل وفى المنزل وفى الترفيه وفى الدفاع عن هويتنا وتأمين مستقبلنا . وقضية استخدام اللغات الوطنية فى جميع المعلومات واسترجاعها لا ترتبط فقط بالحفاظ على لساننا وتراثنا وهى أمور فى صميم الكيان الوطنى ، ولكن بحصول المواطنين ـ كل المواطنين ـ على المعلومات .

إن المستقبل يبشر بثراء غير محدود فى المعرفة لمن يحس استخدام المعلومات التى تتوفر اليوم بيسر غير مألوف ، ستكون له آثار عميقة على كل ممارساتنا ، إلى الأفضل أو الأسوأ ، طبقا لما نعد لمواجهة هذا الموقف من فكر متعمق وقدرة على استغلال هذا المورد الجديد ، والمتجدد معا .



الكمبيوتر يعيد تربية الانسان !

بقلم : محمد فتحى

التعليم هو الأساس الذى يقوم عليه مستقبل الأمم .. وقصور التعليم فى امة يسهم فى تدهور مستواها ويحرم الأفراد والجماعات من التهيؤ الصحيح للتحديات التى يواجهونها ، كما يحرمهم من التفاعل مع ما يجرى فى عالمهم ، مما يوسع الفجوة التى تفصلهم عنه .. ومن هنا يعد قصور التعليم مشكلة المشاكل فهو يحد من قدرة الأمة على مواجهة مجمل مشاكلها ويبقى على استخدام قدراتها البشرية وغير البشرية فى مستويات أدنى من امكاناتها .

والعالم يشهد هذه الأيام غزوا متزايدا لمؤسساته من قبل الكمبيوتر يكرس ماصار يعرف بحضارة المعلومات ، وذلك يفرض اعداد الأجيال الطالعة للنهوض بمتطلبات هذه الحضارة ناهيك عن متطلبات الاستفادة بامكاناتها .. وامة تتعثر فى كفالة التعليم العادى لابنائها امة فى خطر لأن تعليم الكمبيوتر والتعليم بالكمبيوتر يحتاجان فى البداية الى امكانات اضخم ولأنهما يطوران فى النهاية من بنية العملية التعليمية ناهيك عن اسلوب تفكير الانسان .

فى أحد ايام الستينات المبكرة جلست أبحلق فى ورقة امتحان مادة المساحة والجيوديسيا ، وسرعان ما أغلقت عينى

ورحت أفركهما .. كانت الصورة التى نشرتها جرائد الصباح للهدف الذى فاز به الزمالك على الأهلى وأثارت كثيرا من الشجون ، تشغل الجانب الأكبر من صفحة الأمتحان ، وكان السؤال المصاحب لها : اثبت ان هذه الكرة ليست هدفا ؟ !

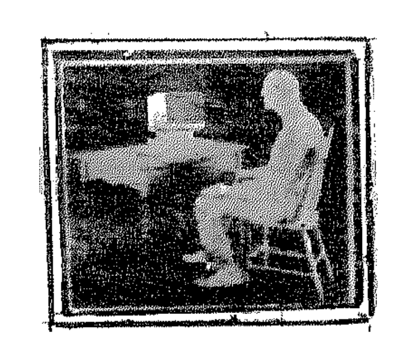
وكان أستاذ المساحة والجيوديسيا لايلبث ان يلقى من محاضرته بضع كلمات ، يصيغها على شكل تساؤل ، حتى يختار بصورة عشوائية اسما من كشف الطلاب الموجود أمامه ، ويطلب منه الاجابة (المنطقية) عن سؤاله ، ليمهد الطريق بعد أن ينتهى الطالب لتساؤل آخر ، يطلب من طالب ثان يختاره عشوائيا ، أن يجيب عنه .. وتمضى المحاضرة على هذا المنوال حتى نهايتها .

كان الأستاذ يسعى من خلال هذه الطريقة المبتدعة للمحاضرة والأمتحان إلى كسر الأسلوب المعتاد للعملية التعليمية التى يجلس الطالب فيها منصتا أو ناسخا أو مستعيدا ، وضمان تفاعل الطلاب معه .. أى ضمان مشاركتهم وتفكيرهم .

وفى هندسة الاسكندرية حيث كنت ادرس لم يكن أستاذ المساحة فريدا فى مطمحه فقد كان الدكتور ابراهيم رفعت (مترجم اوبرا لاترافياتا) يضيف من التوابل « الفنية » الى محاضرة ، الميكانيكا مايجعلها عملا آسرا حيا ، جذابا بحق ، يثير موجات متلاحقة من الضحكات .. كما كان معروفا لنا نحن الطلاب أن ورقة امتحان مادة « إنتقال الحرارة » تحوى مسألة تكفل لمن يحلها درجة « إمتياز » ، بينما لايحصل من يحل المسائل الأربعة الأخرى ، فى نفس الوقت إلا على درجة مقبول ، والفرق بين المسألة المعنية وزميلاتها أنها تختبر قدرة الطالب على توظيف ماحصله فى تفكير مبدع دون اكتفاء بالنسج على منوال المسائل التى عرضت له خلال الدرس ولم يكن ذلك إلا تتويج لغرس يستمر طوال العام يستهدف تعويد الطالب على فضيلة التفكير ومن المواقف الطريفة التى تحضرنى فى هذا الصدد انى تسلمت مرة ورقة اجابتى عن احد امتحانات اعمال السنة لأجد انى حاصل على ١٣٠ درجة من مائة ، بينما جاءت نتيجة احد الأمتحانات التالية صفر من مائة .. كان استاذ المادة يتبع اسلوب الثواب والعقاب على طريقة التفكير ، فإذا أتى الطالب بفكرة مبتدعة لابأس من أن يتجاوز الثواب الحد الأعلى للدرجات وبالمقابل لابأس من حرمانه من أدنى جزاء على جهده إن تضمن هذا الجهد خطأ سلذجا (يمكن أن يودى بحياة الناس فى النهاية سواء كان العمل تشييد كوبرى أو تصميم جهاز طبى) .

ولاشك أنه يتبادر الى ذهن القارىء تساؤل حول علاقة مثل هذه الذكريات بموضوع المقال ولابأس بعد هذا الاسهاب من اجابة مباشرة ذلك أن **الاعتبارات الاساسية لاستخدام الكمبيوتر فى التربية لايمكن أن تكون اعتبارات سياسية أو اقتصادية أو .. كما لايمكن أن يكون ظهور تكنولوجيا جديدة فى عالم الادارة أو عالم الأعمال مبررا كافيا لتجريبها فى عالم التربية ، مالم تكن تلبى احتياجات داخلية تكمن فى العملية التربوية ذاتها** .. ومجمل ماقصلناه يؤكد وجود محاولات من قبل التربويين لتلبية احتياجات نابعة من عدم كمال العملية التربوية .

والحقيقة أن « الكمبيوتر » يمثل نقلة نوعية فيما يخص التقنيات المساعدة



للتعليم تتجاوز كل ماسبق من اختراعات فهو يتيح للدارس المتعامل معه امكانات لم يسبق لها مثيل فى التفاعل ايجابيا مع المادة التى يدرسها ، وفى قياس تحصيله لها كما يمكن أن يكون قوة حفز هائلة ناهيك عن أداة تعزيز آنى لامثيل لها .

وربما ساعدنا نظرة سريعة الى انواع البرامج التعليمية الجاهزة على تصور أوضح .. فهناك برامج « التقويم » التى تشخص درجة المعارف والمهارات بهدف تحديد نقطة انطلاق الدارس .. وهناك برامج « المعلم » التى توجه الطالب على ضوء المعارف السابقة التى يمتلكها ، وتقنيات التعلم التى يفضلها ، الى تحصيل معارف جديدة .

وهناك برامج « التثبيت والتمرين » التى تستهدف المراجعة والتدعيم دون أثراء للمعارف وذلك اضافة الى برامج ، « ادارة العملية التعليمية » التى تتضمن بعض وظائف المعلم التقليدية مثل طلب تدقيق شيء ما أو البحث عن معلومات تكميلية أو ترك الكمبيوتر للنقاش مع الآخرين .

وعلى الرغم من تطرق « البرامج التعليمية الجاهزة » الى مجالات اوسع ربما كان الشق التربوى من نماذج تقويم مدى صلاحية استخدام مثل هذه البرامج هو الأقدر على تقديم صورة الصق بموضوعنا ، ولابأس من اختيار شق واحد من هذه النماذج هو الشق الذى يحدد درجة التفاعل الحوارى مع المستخدم وتتوزع التساؤلات التى تثار فيه حول بندين .

الأول : امكانات تدخل المستخدم :

- هل يستطيع الدارس الاختيار بين درجات مختلفة من الصعوبة أو التعقيد ؟
- هل تتاح له عدة خيارات فيما يخص مضمون المادة ؟
- هل يستطيع تغيير سرعة الاستغلال ؟
- هل يمكن استعمال العناصر التعليمية المختلفة وتطويرها إلى الحد الاقصى ؟
- هل يمكن استخدام انماط جديدة من الوظائف التعليمية ؟
- هل يمكن ادخال ومعالجة بيانات حقيقية ؟
- هل هناك فرصة لتعديل البيانات والبرنامج ؟

الثانى : امكان التغذية الراجعة :

- هل يقبل البرنامج أسئلة متنوعة ويقدم اجابات عنها ليحول دون اعتماد المستهلك سلوكا روتينيا ؟
- هل يتضمن وظيفة لتحليل الأخطاء بهدف مساعدة المنتفع ؟
- هل يقترح استخدام مواد اخرى ؟
- هل يشجع انشطة اخرى مستقلة عن الكمبيوتر ؟
- هل يحث التلاميذ على التعاون والعمل المشترك ؟

....

وإن كانت هناك استحالة للوقوف وقفة تفصيلية أمام هذه العناصر .. لاعتبارات المساحة - فلا بأس من الوقوف عند بعضها لتبين صلتها باحتياجات كامنة فى العملية التعليمية .

● الكمبيوتر مدرس خصوصي :

ولعل أيا منا يذكر كم تعس بالعجز عن متابعة مادة تعليمية ، ليكتشف بعد كثير من المعاناة أن التمهل لدقيقة واحدة ، بهدف إجلاء جزئية ما غمضت في حينه كان كفيلا بتحويل التعاسة إلى متعة معرفية حقيقية ، ولعله يكمن هنا مغزى الدرس الخصوصي ومغزى المدرس الذى يتمهل مع التلميذ لحظة إحتياجه ليوضح ماغمض .

والكمبيوتر يمكن أن يتيح الفرصة لوتيرة مناسبة في التعامل مع كل فرد ، وهو أمر يستحيل عمليا في حالة الاقتصار على المدرس العادى ، مع الأعداد الهائلة من الطلاب ، ذلك أن بإمكان الكمبيوتر مراعاة الفروق الفردية بين الدارسين والتزام السرعة التى تتيحها الإمكانات الذهنية والتحصيلية لكل متعامل معه .. وهو في ذلك كله يتميز بالصبر ولايحس بالتعب ـ مقارنة بالمدرس ـ مما يخفف من الضغوط النفسية التى تحيط بالعملية التعليمية فاعصابه لاتفلت مثلا أمام تكرار التلميذ لخطأ ساذج بل ويمكن أن يكون ـ دوما ـ من الحصافة بمكان ، ويعطى للمتعثر مؤشرات تدله على الاجابة الصحيحة ، حتى لايعمل من الحبة قبة ، ويتسبب في مشكلة تربوية .. هذا كما يتيح الكمبيوتر تكريس خبرة أكفأ المدرسين لخدمة اعداد أكبر من التلاميذ عند تحويلها الى برامج تربوية .. ورغم أهمية كل ماسبق فيما يخص الفروق الفردية فإن هناك ماهو أخطر ..

● بدلا من التعليم « الهش » !

إن الانسان رغم تجربته الحضارية يقف فوق نظام تربية وتعليم هش ، يمكن تلخيصه في تربية « كلشنكان » (كل شيء كان) في المنزل أو الحضانة حتى عمر المدرسة ، التى تقوم بتلقين التلميذ بالمعارف العامة المنظمة ، وفي أغلب الأحيان بعيدا عن الأهتمام بالتربية ، وتسلم التلميذ بعدها الى المعاهد والجامعات التى تقدم له معارف متخصصة .. وهذا البرنامج مفصل على مقاس المجموع « أول سايز » ذلك بينما شاء القدر أن يكون كل ابن لأدم شخصية على درجة غريبة من التفرد (من البصمة الى التفرد الخلوى المناعى ، الى تفرد الدماغ والجهاز العصبى .. الخ) الأمر الذى يحتاج حتى تتجلى إمكانات هذا التفرد بصورة كاملة إلى نظام « عمولة » على مقاس هذا الفرد بالذات والى مناهج تساعده على أن يجد عالمه الخاص وتسلحه في أبكر وقت ممكن بمناهج تعليم نفسه وتربيتها ذاتيا ، لأن ذلك هو مايتيح أقصى فرص تفتق الفردية وتجنب مضار المناهج العامة .. ولعل ماسبق من تفصيل يوضح مايمكن ان تساهم به البرامج التعليمية الكمبيوترية في هذا الصدد .

ولاتقف إمكانات الكمبيوتر عند هذا الحد فلاشك أن احدى الأمنيات التى صاحبت الكثيرين خلال تعلمهم هي تعزيز الجانب النظرى بغرض التجريب والاكتشاف بل والمغامرة .. وكلها أمور تشكل تحديا هائلا للامكانات التعليمية التقليدية بالذات مع النمو المطرد للعلم والتكنولوجيا .. ويمكن للكمبيوتر المساهمة بدور هام كوسيلة مساعدة لاجراء التجارب حال تعذر اجرائها على الطبيعة ، وللكمبيوتر ميزة لاتبارى في هذا المجال إذ يتيح موضوعات يتعذر التطرق اليها كمحاكاة العمليات الجارية داخل الجسم



(القلب والأوعية الدموية) ومحاكاة رحلات الفضاء بل وبمقدوره المساعدة على محاكاة المتغيرات التجريبية التى يستحيل على الدارس القيام بها لتكاليفها الباهظة او لخطورتها .

● التعليم من خلال اللعب

ولضافة الى أن الكمبيوتر يمكن أن يوفر للطالب فرصا عظيمة للتجريب والاكتشاف والمغامرة دون خشية أو خوف واذا اخذنا بعين الاعتبار أن التعلم يكاد يكون غريزة فى الانسان (تتبع سلوك الطفل فى هذا المجال) لادركنا أن « التعلم المستمر » وهو صيحة حديثة فرضتها ظروف تطور المعارف فى عصرنا سيجد فى الكمبيوتر وسيلة ناجعة فعالة لتحقيق أهدافه فى تطوير الحياة والمجتمع ناهيك عن الاستجابة لما فطر عليه الانسان من فضول ورغبة فى الاستكشاف بالذات والكمبيوتر يمكن أن يسلم زمام قيادة العملية التعليمية الى الطالب نفسه مما يساعد على دعم الثقة بالنفس ، وفتح المجال واسعا أمام النمو الذاتى ، ذلك أن السمة المشتركة بين البرامج الكمبيوترية هى إعتمادها على مبدا الاستقلالية أو قدرة المنتفع على الأسهام فى تعميم أهداف ومضامين نشاطه وعلى التأثير فى سيرورة التعليم .

ولاتقف مساهمة الكمبيوتر عند التعليم او التعلم المستمر بل تمتد الى كل الصيحات التعليمية المعاصرة ، وتطور نماذج مستحدثة مثل الجامعة المفتوحة إذ تقدم لها العناصر التى كانت تفتقدها مثل عنصر التفاعل بين المعلم والمتعلم وكما اسلفنا ، وعنصر المشاركة الزمنية من خلال ربط شاشة المتعلم مع مركز معالجة تعليمية رئيسى .

بقيت إشارتان اخيرتان أولاهما ان الكمبيوتر يستطيع القيام بدوره التربوى من خلال اللعبة فقد لاحظ عدد من علماء التربية أن الاطفال يتعلمون من خلال اللعب مواجهة مشكلات الحياة .. واللعب مع الكمبيوتر يحفز وينمى إلى جوار مهارة حل المشكلات مهارة إتخاذ القرار كما أنه يزيد من قدرة الطفل على التركيز ويشحذ خياله ، هذا بالاضافة الى أن الكمبيوتر يدخل عناصر العفوية والمرح والمتعة على عمليتى التعليم والتعلم ، داعما ماتوصل اليه التربويون قبلا من أن التعلم عن طريق اللعب وسيلة تربوية لها مردود ناجع .

أما الاشارة الثانية فهى ان الكمبيوتر ومن منطلق عمله كآلة حاسبة خارقة ينجز عمليات كان من المستحيل القيام بها فى الماضى ، كما أنه يتكفل بعمليات كانت تعوق التفكير عند الاطلاع بها يدويا ، ومن هنا واضافة إلى بنية عمله المنطقى يساعد الطلاب على تناول القضايا باسلوب ابداعى لانه يؤدى الى تحويل الأهتمام من آليات حل المشاكل إلى العلاقات التى تدور حولها .

ويمكن لذلك كله أن يؤدى فى نهاية المطاف الى تفكير الانسان بطريقة مختلفة نوعيا عن الطريقة التى كان يفكر بها من قبل ..

● اعتبارات اجتماعية وانسانية :

وعلاوة على أن تطور العملية التعليمية سنة من سنن الحياة فإن هناك اعتبارات اجتماعية وتربوية وانسانية كثيرة تفرض الاهتمام بالقيمة التربوية للكمبيوتر فإضافة إلى أن كثيرا من الوظائف باتت تقتضى اجادة التعامل مع الكمبيوتر بطريقة مباشرة وغير مباشرة فإن التعليم هو القناة التى تنتقل من خلالها حضارة الأجيال السابقة والحالية إلى الاجيال القادمة وبالتالى فهو يشكل مستقبل الأمة وتزيد الحاجة اليه فى حالة نقص المدرسين المؤهلين وعندما تكون المعارف الواجب تلقينها فى حالة تطور سريع .. هذا كما ان التعليم العصرى هو الذى يرفع من قيمة البشر كمورد تنموى ، لانه يجعل الانسان محور التنمية .

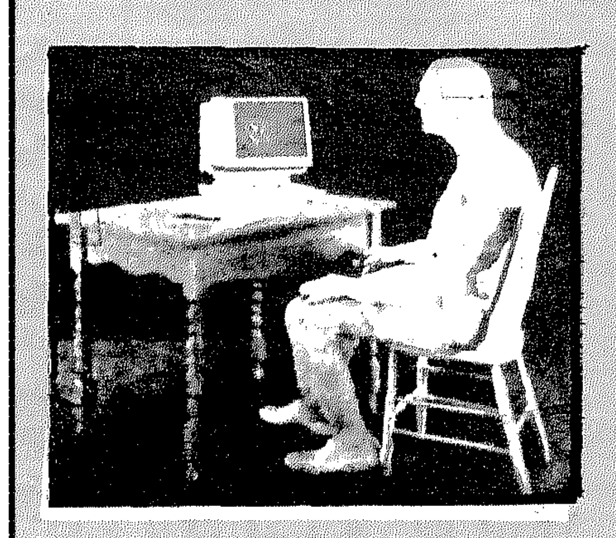
هذا وتجدر الأشارة هنا إلى أن الحمل التعليمى الاكثف مطلوب للانسان الذى يذهب الى القبر اليوم دون أن يستخدم ٩٠٪ من قدراته الذهنية .

وعلى الرغم من اننا مسبوقون فى هذا المجال بأكثر من عقدين فإن تطوير الحاسبات إختصر كثيرا من الفجوة (قلل التكاليف ، ويسر الاستخدام ، وزاد الامكانات) إلا انه تواجهنا فى الطريق إلى ذلك عقبات كأداء فهناك متطلبات فنية وعلمية وتربوية وسيكولوجيية مازالت تحتاج منا إلى جهد كبير .

وناهيك عن عدم توافر القناعات الكافية لدى عدد من صانعى القرار التربوى لعل واحدة من أكبر العقبات عدم تهيؤ المجتمعات المدرسية بالشكل الكافى لتقبل الكمبيوتر الصغير (الميكروكمبيوتر) على نطاق شامل فالمدرسين غير مدربين أو لم تتولد لديهم الرغبة والاستعداد لتفهم الكمبيوتر والتعامل معه .. كما اننا نعانى من نقص فى الكوادر والمؤسسات الفنية القادرة على إعداد البرامج التربوية المناسبة بالاضافة إلى عدم حسم قضايا معالجة العربية فى الكمبيوتر .. وإن كان ذلك كله مدعاة للتروى ونحن نسعى إلى ادخال الكمبيوتر فى مجال التربية إلا انه يجب الا يتحول إلى شماعة للإهمال ..

بقيت اشارة أخيرة إلى اننا اخذنا مصطلح التربية بمعناه الواسع الذى يتجاوز ما نألفه فى التعلم فى المدرسة إلى الأسلوب الذى نتخذه من المعرفة ، والأسلوب الذى يؤكد جانب المبادرة البشرية ناهيك عن تجاوز تعلم تقنية الكمبيوتر ذاته .

هذا ويجب الا يفوتنا هنا التأكيد على ان المعارف التى تنقلها الوسائل الكمبيوترية هى بالضرورة معارف مبسطة ومبتورة إذ لم تكتشف بعد اساليب تقوى على التعبير عن جميع الدقائق والتنوعات التى يشملها الاتصال المباشر من هنا فإن الكمبيوتر لايعدو أن يكون مساعدا فى العملية التربوية وإن كان مساعدا له قدرات جبارة .. ومن هنا يجب الا ننظر إلى الكمبيوتر وما يتفرع عنه من تقنيات على انه ترياق يشفى من كل المشكلات البشرية ولا أن نقترف الخطأ الاخطر المتمثل فى تحويل كل شىء الى صيغ حسابية . كما يجب ان نتحلى باليقظة حتى لاتتقهقر القيم الانسانية التقليدية وتتوحد انماط التعلم امام الدعاوى التكنولوجية الحسابية لأن ذلك يمكن أن يقود إلى تأحيد للفكر وهذه جريمة فى واقع سمته الاساسية هى الحركة والتطور .



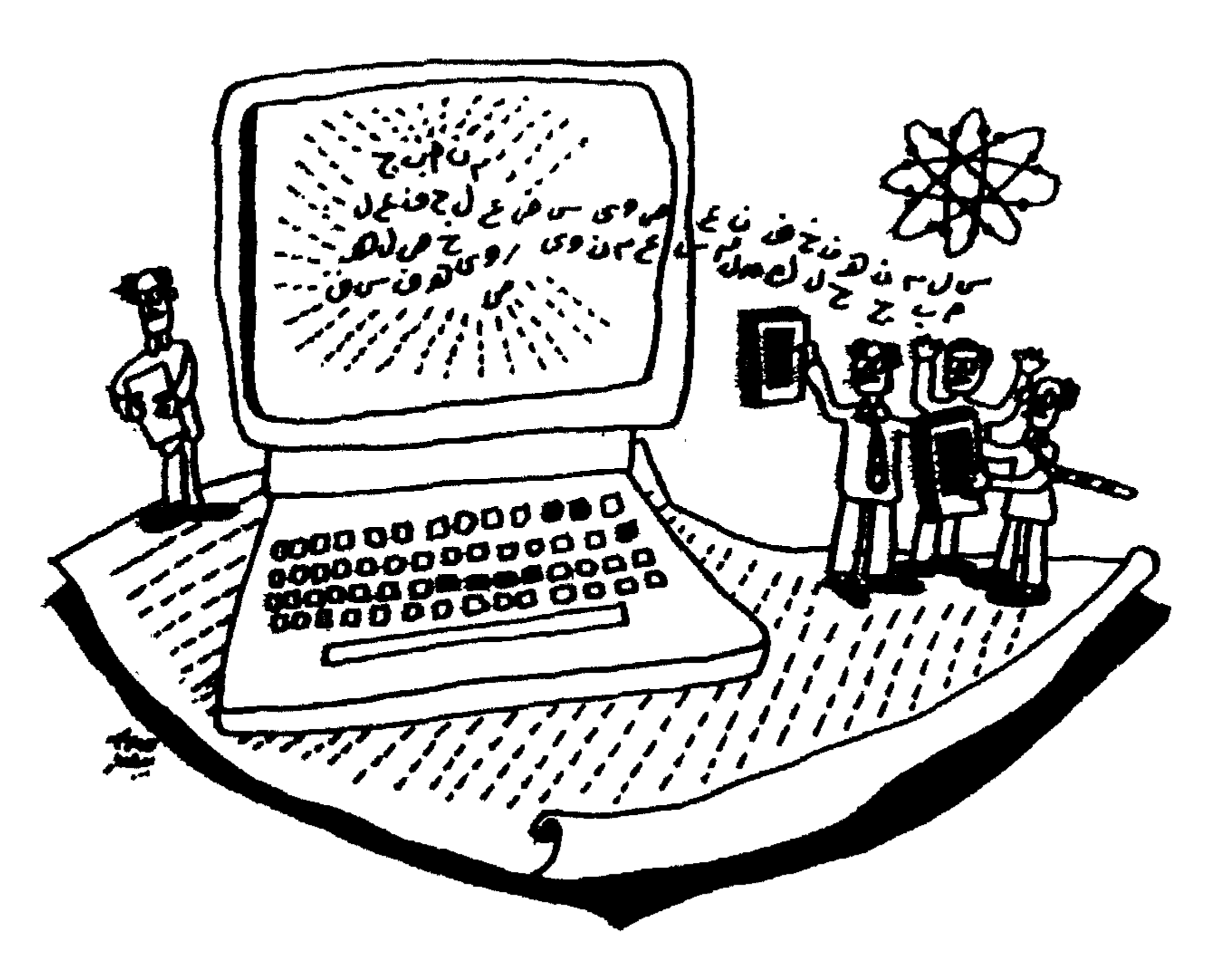
اللقاء المثير بين الكمبيوتر واللغة

بقلم: د. نبيل على

يشهد العالم حاليا لقاء مثيرا، ومثريا، للغاية بين اللغة والكمبيوتر، وهو اللقاء الذى حلم به الكثيرون منذ بداية ظهور الكمبيوتر فى أواخر الاربعينات، والذى جعل من استخدام الكمبيوتر فى مجال اللغة بصفة عامة، والترجمة الآلية بصفة خاصة، حقلا خصبا للانتهازية العلمية والعملية، حين أسرف المغامرون العلميون، بل المحتالون أحيانا فى وعودهم البراقة بإمكانية استغلال سرعة الكمبيوتر الهائلة وطاقة تخزينه الضخمة فى الترجمة مابين اللغات

● لقد تصوروا خطأ ان الكمبيوتر يمكنه أن يترجم بمجرد تخزين المعاجم الضخمة لمفردات اللغة التى يترجم منها واللغة التى يترجم إليها - أى لغتى المصدر والهدف باستخدام مصطلحات علم الترجمة عن طريق الترجمة بأسلوب « كلمة مقابل كلمة » مع إضافة بعض العمليات البسيطة لمراعاة الفروق الصرفية والنحوية بين اللغتين.

وكان لابد للنكسة أن تحدث، بعد أن بات واضحا للجميع أن كلا من الكمبيوتر واللغة غير مؤهل لهذا اللقاء « التقنى - اللغوى » فقد كانت الأجيال الأولى دون الحد الادنى الذى يؤهلها للتعامل مع اللغة بغموضها ولبسها، بحذفها وتقديرها،

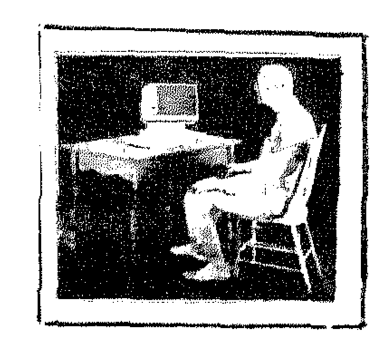


بمجازها ، وإيجازها ، وإطنابها ، بتجلياتها الظاهرية ، بمعانيها الدفينة ، بمعاجمها الضخمة وتركيباتها النحوية غير المحددة .

أما بالنسبة للغة ، فقد كانت جميع عناصر بنيتها الأساسية تفتقر إلى الحد الأدنى من الأسس العلمية والمنهجية التى تتطلبها المعالجة الآلية بواسطة الكمبيوتر ، ونقصد هنا بالبنية الأساسية اللغوية نظام القواعد (أو « الأجرومية ») ، والمعجم ، ومنهجيات تعليم اللغة ، والأسس السيكولوجية لاكتساب الطفل لها .

هذا عن الموقف فى البداية ، أما كيف تأهل الكمبيوتر للقاء اللغة الذى أشرنا إليه ، فهذا هو السؤال الذى سنحاول أن نجيب عليه هنا . أما كيف تأهلت اللغة للقاء الكمبيوتر . وهو سؤال لايقل إثارة عن سابقه ، فنتركه لأهل اللغة ـ وبالتحديد لمن يرى منهم أن لقضية اللغة أبعادا كمبيوترية تستحق الدراسة والتمحيص .

لقد رأينا أن نجيب على هذا السؤال من خلال عدد من المتغيرات النوعية التى شهدها الكمبيوتر ، ونحن نوجز هنا ، وبشدة ، بهدف إبراز المفاهيم الأساسية واستخلاص الأفكار المحورية من خضم تلك التى تزخر بها شبكة العلاقات الشائكة التى تربط بين الكمبيوتر واللغة : بين الكمبيوتر ذروة الانجاز العلمى ـ التقنى ، واللغة قمة علوم الانسانيات بلامنازع .



● الكمبيوتر .. آلة ذكية

شهدت ثقافات (تكنولوجيا) الكمبيوتر عدة نقلات نوعية تخلص من خلالها الكمبيوتر من « وصمة » الآلة ذات القدرة الحسابية الغاشمة ليتحول تدريجيا إلى آلة « ذكية » ، تقدر ـ فيما تقدر عليه ـ على محاكاة بعض وظائف الذهن البشرى ، وعلى رأسها المهارات اللغوية من قراءة وفهم وتعبير واستنتاج واستقراء .

ولنبدأ هنا بسرد قائمة النقلات النوعية قبل أن نستطرد فى تناول كل منها على حدة :

(١) من الصمامات الالكترونية إلى الدوائر المتكاملة متناهية الصغر .

(٢) من سرعة الآلاف إلى سرعة البلايين .

(٣) من « سحق » الأرقام إلى معالجة الرموز والمنطق .

(٤) من ذاكرة « صناديق البريد » إلى ذاكرة « التداعى » أو الاسترجاع الفورى .

(٥) من الأقراص الممغنطة إلى الأقراص الضوئية .

(٦) من البطاقات المثقبة إلى تمييز الكلام آليا .

(٧) من التسلسل والتلاحق إلى التوازى والتدخل .

وليس لنا القارىء بربطة سريعة لتعريف المقصود بهذه المصطلحات الفنية ومغزاها بالنسبة لمعالجة اللغة آليا باستخدام الكمبيوتر .

(١) من الصمامات الالكترونية إلى الدوائر المتكاملة متناهية الصغر : وراء كل هذا التطور فى تكنولوجيا الكمبيوتر ، عتاد HARDWARE ، وبرمجيات SOFTWARE ، يمثل سلسلة من النقلات النوعية التى طرأت على وحدة بنائه الأساسية .. فبعد استبداله الصمام الالكترونى بالترانزيستور الصغير ، جاءت الدوائر المتكاملة متناهية الصغر لتدمج فى حيز صغير للغاية مايوازى عددا هائلا من الترانزيستورات ، وهو العدد الذى يقترب حاليا من رقم المليون « خلية » ترانزيستورية فى الشذرة CHIP الواحدة .

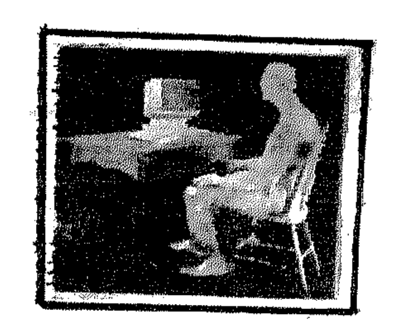
لقد أحدثت سلسلة النقلات النوعية هذه ثورة ، بل قل ثورات ، فى معمارية تصميم الحاسب وسرعة وأسلوب تشغيله وبرمجته . والأهم من هذا كله ، هو إمكانية تطوير كمبيوتر شخصى صغير ، الأمر الذى أدى بدوره الى انتشار الكمبيوتر فى المكاتب والمصانع والمنازل . ليغير نسيج المجتمعات الانسانية ويبدأ مواجهة صريحة مع اللغة ، ذلك الكيان الحديدى الذى يقوم عليه صلب المجتمع الانسانى .

(٢) من سرعة الالاف الى سرعة البلايين : كما هو معروف ، تقاس سرعة الكمبيوتر بعدد العمليات الحسابية الأولية (كجمع أو طرح رقمين أو المقارنة بين رقمين .. الخ) التى يمكن أن يجريها الكمبيوتر فى الثانية الواحدة . كانت سرعة الكمبيوتر فى البداية لا تتجاوز عدة آلاف عملية حسابية فى الثانية الواحدة . أما

الآن ، فتصل هذه السرعة إلى عدة بلايين عملية حسابية فى الثانية . وتعد السرعة عاملا حاسما فى تأهيل الكمبيوتر لمعالجة اللغة آليا ، حيث توفر السرعة العالية إمكانية تنفيذ العديد من المهام المعقدة فى وقت قصير بينما تتسم معظم التطبيقات اللغوية بتعقدها . ولننظر على سبيل المثال فى قيام الكمبيوتر بعملية الترجمة الفورية مثلا ومدى السرعة التى يجب أن يعمل بها برنامج الترجمة ليلاحق سرعة المتكلمين البشريين كى ندرك الدور الحاسم لسرعة إجراء العمليات فى تحقيق الترجمة الآلية .

(٣) من « سحق » الأرقام إلى معالجة الرموز والمنطق : تركزت تطبيقات الكمبيوتر فى البداية على التطبيقات التجارية والادارية ، وهى تطبيقات لا تتجاوز العمليات الحسابية فيها مجرد تكرار هائل لعمليات الحساب البسيطة ، أى مجرد « سحق » للأرقام التفصيلية ، من بيانات الفواتير والحسابات وساعات الأجور .. الخ ، لاستخلاص المجاميع الكلية أو المتوسطات ، والفروق ، وهلم جرا ، بينما تحتاج معالجة اللغة آليا بواسطة الكمبيوتر لما هو أكثر من « سحق الأرقام » . إذ تحتاج إلى معالجة الرموز والمنطق . ولتوضيح المقصود هنا نأخذ مثالا من اللغة العربية : إذا كان هناك مصدر منصوب ، فهو إما أن يكون مفعولا مطلقا ، أو مفعولا لأجله ، أو مفعولا به ، أو حالا ، كيف يمكن لبرنامج للاعراب الآلى أن يستنتج الوظيفة النحوية لهذا المصدر المنصوب دون تطبيق بعض القواعد المنطقية مثل : أن كان المصدر من مادة الفعل فهو مفعول مطلق ، فى مثل : « استقبل ضيفه استقبالا حسنا » ، وإن لم يكن كذلك ، وكان مصدرا لفعل من افعال القلوب ، كان مفعولا مطلقا ، فى مثل : « استغفر ربه ابتغاء رحمته » . وإن لم يكن كذلك ، فهو إما مفعول به أو حال .. وهكذا .

لقد ظهرت لغات برمجة خاصة بمعالجة المنطق مثل لغة برولوج (prolog) ، **كما ظهرت الحاجة إلى منطق أعلى رتبة من منطق لرسطو القاطع ذى الدرجة الأولى ، منطق يستطيع أن يتعامل مع النصوص اللغوية ، يتعامل مع الاحتمال والتقدير والافتراض واللبس والغموض . منطق يتعامل مع « ربما » . « وغالبا » . « وفى المتوسط » وليس فقط مع مقولات مثل « كل لغة حية لها معجم ، اللغة العربية لغة حية ، إذا**



اللغة العربية لها معجم » .

(٤) من ذاكرة صناديق البريد إلى ذاكرة « التداعي » : ظلت ذاكرة الكمبيوتر منذ نشأته تعمل بأسلوب يشابه « صناديق البريد » . كل بيان يراد تخزينه في الذاكرة لابد أن يحدد له موضع (عنوان) بها .

وعندما يراد استرجاعه من الذاكرة لابد من ذكر « العنوان » . ويعرف هذا النوع من البحث داخل الذاكرة بـ « البحث من خلال العنوان » . وهو ، كما يبدو ، ابعد ما يكون عن الأسلوب الذى تعمل به الذاكرة البشرية ذات البنية المركبة للغاية ، والتى تتداعى فيها المعلومات والمفاهيم فى فيض منهمر ، واحدة تجلب الأخرى ، أو تندمج معها لتجلب ثالثة أكثر تعقيدا وهكذا ، ويحاول علماء الذكاء الاصطناعى حاليا ، ومعهم علماء البيولوجى وعلماء اللغويات الأعصابية ، واللغويات السيكولوجية ، سبر أغوار الذاكرة البشرية . وهم يهدفون من وراء هذا إلى فهم أسلوب عمل الذاكرة البشرية : كيف تنتظم المعارف والمفاهيم داخلها بالصورة التى تمكن الإنسان من استرجاعها فوريا . إن الفهم الآلى للنصوص اللغوية يحتاج من الكمبيوتر إلى ذاكرة أكثر تعقيدا ، وبكثير ، من ذاكرة « صناديق البريد » ، رأى الذاكرة التى صاحبت الكمبيوتر عبر أجياله الأربعة السابقة .

(٥) من الأقراص الممغنطة الى الأقراص الضوئية : يتم تخزين البيانات حاليا على وسائط ممغنطة (أشرطة كاسيت أو أقراص) . ويمكن تخزين مايوازى مضمون كتاب فى ٣٠٠ صفحة من القطع المتوسط على قرص ممغنط صغير يبلغ قطره ٣ر٥ بوصة . وحدثت أخيرا نقلة نوعية فى وسائط تخزين البيانات باستخدام الأقراص الضوئية التى تعمل بأشعة الليزر . وتبلغ سعة القرص الضوئى ما يوازى ٦٠٠ مرة سعة القرص الممغنط . ويعنى هذا أنه يمكن تخزين ما يزيد على ٦٠٠ كتاب فى حجم « القرآن الكريم » على قرص ضوئى واحد . ومن المحتم أن يحدث هذا ثورة حقيقية فى تخزين النصوص اللغوية واسترجاعها . فلم يعد السؤال الآن هو سعة التخزين ، بل كيف « نبحر » داخل هذا الكم الهائل من النصوص بحثا عن المعلومات ذات المغزى بالنسبة لطالبها .

(٦) من البطاقات المثقبة إلى تمييز الكلام آليا : كما تغيرت سرعة الكمبيوتر وذاكرته ووسائط تخزينه ، كان لابد أن تتغير الوسيلة التى يتعامل بها الانسان مع آلته الجديدة ، فبعد إدخال البيانات عن طريق البطاقات المثقبة التى استخدمت فى الماضى ولوحة المفاتيح المستخدمة حاليا ، يحاول العلماء والمهندسون الآن إكساب الكمبيوتر القدرة على تمييز

الكلام المنطوق ، بحيث يمكن للانسان المستخدم التعامل معه بأكثر وسائل إدخال البيانات طبيعية ، الا وهى الصوت البشرى نفسه ، دون التقيد بحلقات وسيطة ، من بطاقات او لوحات مفاتيح او غير ذلك .

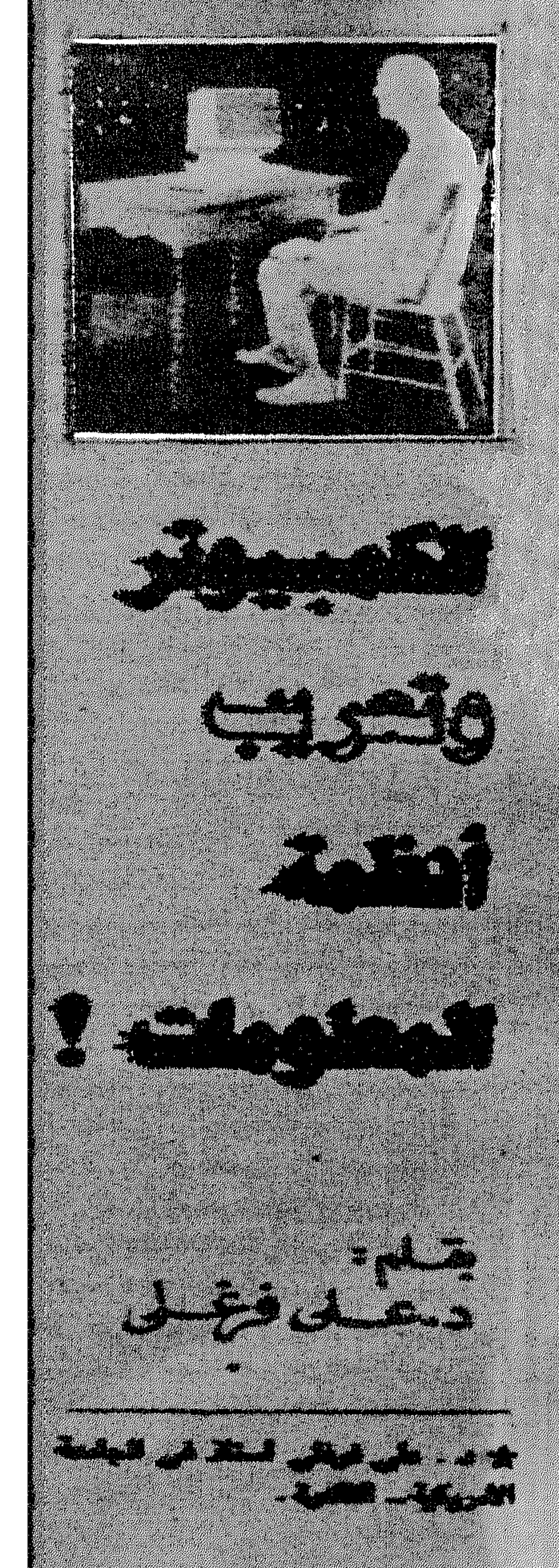
● الكمبيوتر واللغة

ولكى يمكن للكمبيوتر تمييز الكلام اليا ، عليه ان يستخلص الاشارة الكلامية نقية من التشويش ، ومن اثار الادغام ، وتقصير الكلام وتطويله ، وتنغيمه ، وبما يتضمنه كل هذا من تحديات لغوية وتقنية .

(٧) من التسلسل والتلاحق الى التوازى والتداخل : ينجز الكمبيوتر المهام المكلف بها من خلال البرنامج الذى يتضمن قائمة التعليمات المغذاة إليه بإحدى لغات البرمجة ، مثل « البيسك » او « الكوبول » او « الفورتران » . ويقوم الكمبيوتر بتنفيذ تعليمات البرنامج واحدة تلو الأخرى بصورة متسلسلة متلاحقة ، فينفذها بسرعة هائلة وبصورة تختفى معها « ظاهريا » الاثار السلبية المترتبة عن هذا الطابع التلاحقى المتسلسل لعملياته . ولننتقل بالحديث فى هذا الخصوص إلى مجال اللغة ، ودعنا نتصور ان الكمبيوتر يقوم بمهمة الاعراب الآلى لجملة معينة ، سيقوم برنامج الاعراب اولا بالمهمة الصرفيةلتحليل كلمات الجملة إلى عناصرها الاشتقاقية والتصريفية ، ليقوم بعد ذلك بتطبيق قواعد النحو لتمييز الوظيفة النحوية لكل كلمة حسب موقعها فى سياق الجملة ، ومن ثم ينتقل إلى تطبيق قيود الدلالة (او المعنى) ليرفض جملا على غرار « تتنفس الجبل الصعداء » و « بكت الصخرة وليدها » .

يتناقض هذا التسلسل والتلاحق مع طبيعة التعامل مع النصوص اللغوية ، والتى تحتاج فى فهمها ، واجلاء لبسها ، إلى تضافر جميع القرائن وإلى ان تجرى جميع المعالجات الصرفية والنحوية والدلالية بصورة متوازية ومتداخلة . إن اتجاه مصممى الكمبيوتر ومبرمجيه إلى الاسلوب المتوازى المتداخل يعد خطوة اساسية فى الاتجاه السليم لمحاكاة خاصية اساسية فى انشطة الذهن البشرى اللغوية .

خلاصة القول : ان النقلات النوعية التى حدثت حتى الآن لتاهيل الكمبيوتر للقائه مع اللغة كانت فى مجملها مجرد محاولة بدائية لمحاكاة الوظائف اللغوية المعقدة التى يقوم بها الذهن البشرى . انها محاولة لاكساب الآلة الصماء ، نوعا من « الذكاء الاصطناعى » . وهو الاتجاه الذى يرمز إليه الجيل الخامس من الكمبيوتر ، الجيل الذى انتقلت فيه السيطرة من العتاد (hardware) إلى البرمجيات (software) ، او بقول اخر « سيطرة الفكر على المادة » . نوردها هنا مقولة صريحة ، وبعيدا عن كل مجاز ودون اية رغبة منا فى المبالغة او « التفلسف » .



القدرة اللغوية هي السمة الرئيسية التي تميز الانسان عن باقي المخلوقات. فاللغة هي وسيلتنا الأساسية للتواصل والحوار وتبادل الخبرات، والتعبير عن احاسيسنا وآمالنا ورغباتنا، وقضاء احتياجاتنا الاجتماعية. وهي بطبيعتها قادرة على التعبير عن كم هائل من المعلومات المتباينة والأفكار البالغة التعقيد. ولو لم تكن اللغة لما كانت الآداب والعلوم والحضارات ونتائج ابحاث. واللغة هي اداتنا لمتابعة الشعوب الأخرى والتفاعل معها.

ومع تزايد اهمية المعلومات والمعرفة، وتضاعفها عدة مرات، واستحالة إلمام عقل الخبير البشري بكل ما يستجد في مجاله، فكان من الضروري استخدام الكمبيوتر في تخزين واسترجاع العديد من المعلومات الهامة، ومن هنا نشأت انظمة المعلومات.

وانظمة المعلومات هي برامج الكمبيوتر التي تسمح بادخال وتخزين المعلومات التي نزوده بها، وتقوم بمعالجات مختلفة لهذه المعلومات بحيث يمكنها تزويدنا بإجابات صحيحة معتمدة على المعلومات التي خزنت بها. وتمثل اجاباتها عادة إعادة تصنيف وترتيب المعلومات التي أدخلت، والاستنتاجات التي توصلت

إليها . ويطلق على مثل هذه البرامج قواعد البيانات . فمن الممكن مثلا ادخال معلومات عن جميع العاملين بوزارات الدولة الى مثل هذه البرامج ، ويمكن أن تتضمن المعلومات عن كل موظف : اسمه والوزارة التابع لها وتاريخ تعيينه ومرتبه الشهرى ووظيفته .. الخ . ثم يمكننا أن نطلب من الحاسوب إعطاءنا أسماء الموظفين العاملين بوزارة الاقتصاد مثلا والذين عينوا بعد عام ١٩٨٥ ويزيد مرتبهم الشهرى على مائتى جنيه . وفى ثوان نحصل على المعلومات المطلوبة رغم اننا لم ندخل هذه المعلومات بهذا الشكل

ولا توجد مشاكل حقيقية فى تعريب مثل هذه البرامج فقد أمكن بناء نسخ عربية من قواعد هذه البيانات تسمح بادخال مثل هذه البيانات باللغة العربية وبالتالى يعطينا الحاسوب المعلومات المطلوبة باللغة العربية أيضا .

ورغم أهمية قواعد البيانات هذه ، فان استخدامها ينحصر فى ادخال المعلومات التى يمكن التعبير عنها فى صورة بيانات محددة سواء كانت بيانات حرفية كالأسم مثلا والوظيفة والعنوان أو رقمية مثل الراتب وتاريخ التعيين ورقم التليفون ولكن هناك نوعا آخر وأهم من المعلومات يستحيل ادخاله للحاسوب بنفس الطريقة ، فكيف يمكن ادخال معلومة "أرجل ضعيفة" أو "أرجل متخشبة" كأعراض مختلفة لمريض ما ؟. ان اغلب المعلومات التى نود ادخالها للحاسوب هى معلومات فى صورة لحد اللغات الطبيعية ولابد للحاسوب من أن يفهمها قبل أن يستطيع أن يجيب على استفساراتنا بشأنها وفيما يلى بعض هذه البرامج :

١ - برامج معالجة النصوص اللغوية

وتهدف هذه البرامج لفهم النصوص اللغوية التى ادخلت اليها وقد نعرف الفهم هنا بأنه قدرة البرنامج على اجابة الأسئلة بطريقة ملائمة ، والقدرة على اعادة صياغة العبارات شارحا معناها بطريقة أخرى والقدرة على الاستنتاج ، أى اعطاء النتائج المحتملة أو الممكنة لبعض الافكار الواردة فى النص . وقد قام العالم الأمريكى "روجر شانك" بكتابة برنامج يقوم بعمل الاستنتاجات المحتملة من جمل باللغة الانجليزية وإعادة صياغتها . فهو يعيد صياغة الجملة .

فمثلا : خنق جون مارى

باعطاء الآتى :

١ - قتل جون مارى بأن خنقها .

٢ - خنق جون مارى وماتت لأنها لم تستطع أن تتنفس .

٣ - ماتت مارى لأنها لم تستطع أن تتنفس ، وهى لم تستطيع لأن جون عصر رقبتها .

كما يستطع البرنامج أن يقوم بالاستنتاجات التالية من جملة :

أعطى جون مارى حبة أسبرين .

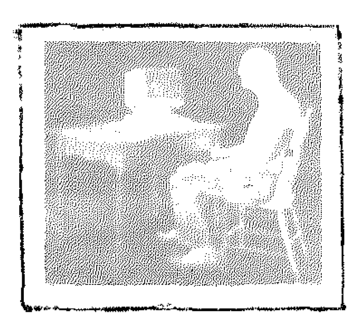
الاستنتاجات :

١ - اعتقد جون أن مارى تريد أسبرين .

٢ - لم تكن مارى تشعر بأنها على مايرام .

٣ - أرادت مارى أن تتحسن .

وتحتوى مثل هذه البرامج على محلل اللغة الطبيعية الذى يقوم بالتحليل النحوى والدلالى للجمل الداخلة ويولد تمثيلا داخليا لها كما لابد أن يحتوى على مولد اللغة الطبيعية حتى يصنع الجمل الخارجة



فى الشكل الطبيعى وطبقا لقواعد النحو والدلالة للغة الطبيعية .

٢ ـ النظم الخبيرة ، هى برامج صممت لتحاكى عمل الخبير البشرى : ولهذا يمكن اعتبارها من أنظمة المعلومات ، لاننا ندخل اليها المعلومات التى نفترض أن الخبير البشرى يستخدمها فى حل المسائل فى مجاله ، كما أننا نستفتى هذه النظم كما نستفتى الخبراء فى مجالهم . والمشكلة هنا هى تمثيل المعرفة التى نعرفها نحن باللغة الطبيعية فى شكل يفهمه ويدركه الكمبيوتر ، فنحن نستطيع ادخال جملة مثل : "ذهب محمد الى واشنطن" الى الكمبيوتر ، ولكنه لن يستطيع ان يجيب على سؤال : "من ذهب الى واشنطن ؟" إلا اذا تمكن من ان يتعرف على فاعل الجملة . وهو لن يستطيع ذلك إلا اذا ادخلنا اليه قواعد النحو العربى .

٣ ـ برامج الترجمة الآلية ، يمكن اعتبار برامج الترجمة الآلية ضمن أنظمة المعلومات لأنها تقوم بمعالجة النص اللغوى باللغة الأصلية وتقوم بترجمته الى اللغة الثانية مما يسهل علينا الحصول على المعلومات المتضمنة فى النص .

● تعريب أنظمة المعلومات

هناك شقان فى عملية تعريب أنظمة المعلومات : أولهما الشق المتعلق بالمعلومات ونعنى به ادخال المعلومات العربية عن الثقافة العربية أو المراجع أو البلاد العربية بشكل خاص فهناك مثلا برامج لفهرسة المراجع الاجنبية فى جميع فروع العلوم والآداب ، وتمكن مثل هذه البرامج الباحثين من تتبع ما ينشر فى مجالهم ويمكن أن تعطيهم فى ثوان معدودة قائمة بما نشر حول موضوع معين وتلخيص لكل بحث . وتمثل شركة ديالوج بالولايات المتحدة الأمريكية نموذجا لأنظمة المعلومات هذه ، ولكن البرنامج يعمل باللغة الانجليزية ولا تتضمن سوى المراجع المكتوبة بلغات لاتينية . وعندما نفكر فى تعريب أنظمة المعلومات لابد أن يكون اهتمامنا ايضا بجمع المعلومات العربية التى تهم المستخدم العربى .

أما الشق الثانى فى تعريب انظمة المعلومات فهو يعنى بالناحية اللغوية ، بحيث تصبح انظمة المعلومات متاحة باللغة العربية والمستخدم العربى الذى لا يكون بالضرورة مجيدا للغة الانجليزية . وهو ما سنعالجه فيمايلى :

● المتطلبات اللغوية لتعريب انظمة المعلومات

تنحصر المتطلبات اللغوية لتعريب انظمة المعلومات فى بناء برامج قادرة على تحليل الأسئلة الموجهة باللغة العربية لنظام المعلومات وترجمتها الى الشكل الداخلى الذى يمكن أن تتفهمه الآلة وذلك بتحويل الجمل العربية الى تمثيل دلالى يعبر عن المعنى ، ثم يقوم البرنامج اللغوى بعد ذلك بتحويل التمثيل الدلالى للمعلومة المطلوبة الى شكل الجمل العربية الصحيحة مما يعطى المستخدم الانطباع بأنه يتعامل مع إنسان يجيد العربية أى باختصار أن يكون البرنامج قادرا على تحليل وفهم النص العربى وتوليد جمل

عربية سليمة تشكل ردودا ملائمة على الأسئلة التى وجهت لنظام المعلومات .

ويصبح السؤال هنا عن المكونات اللغوية الأساسية التى تحتاجها مثل هذه البرامج ،وسنعرض فيمايلى وصفا لكل هذه المكونات :

● قاموس للغة العربية

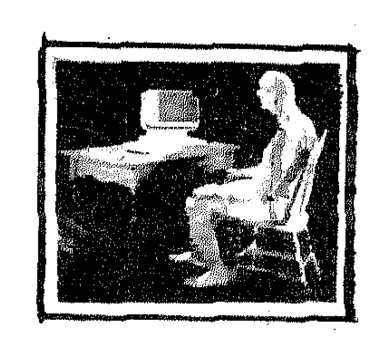
والمقصود هو قاموس للغة المعاصرة فى شكل الكترونى فلكى يستطيع البرنامج التعرف على الكلمات العربية لابد أن يكون له معرفة بمفردات العربية كما نتحدثها اليوم . ومعظم القواميس العربية الموجودة تتبع الطريقة التقليدية بأن ترد الكلمات تحت الجذور ، وهى بذلك تفترض ان من يستخدم القاموس يعرف جذر الكلمة التى يود البحث عن معناها . وهذا لا يكون صحيحا فى جميع الأحوال . كما أن القواميس الموجودة حاليا خالية من استعمالات حديثة لكلمات قديمة ، ومن الكلمات التى استحدثت فى السنوات الأخيرة نتيجة لتعاظم المعرفة والثقافات والعلوم .

واللغة العربية - شأنها شأن بقية اللغات الحية - لغة متطورة وهى تلبى احتياجات مستخدميها وتمكنهم من توليد كلمات ومصطلحات جديدة باستخدام قواعد الاشتقاق فى اللغة العربية . ولابد من تكاتف فريق من بين علماء اللغة العربية لوضع قاموس شامل لمفردات اللغة العربية المعاصرة ، على أن يُراجع كل عشر سنوات على الأقل لاضافة الكلمات الجديدة وحذف المفردات التى بطل استعمالها .

ونحن فى حاجة الى جهد جديد لوصف مفردات اللغة العربية المعاصرة .

وتطرح عملية بناء هذا القاموس العديد من المسائل أولها ما هى مدخلات القاموس ؟ هل هى الكلمة كما ترد فى الكلام المكتوب ، أم هى الجذر (الثلاثى أو الرباعى ، ... الخ) . أم هى جذع الكلمة ؟ أى هل لابد مثلا من ادخال (قال ، قالت ، قالوا ، قيل ، قلن ، قالا ، قالتا ... الخ) أم نكتفى بجذع الفعل مثل (قال) مع إدخال قواعد الصرف التى تمكن الكمبيوتر من معرفة أن (قالتا) هى كلمة مُصرفة من الجذع (قال) بإضافة التاء والألف وأنها تفيد بالإضافة الى معنى القول أى التحدث أنه فعل ماضٍ وأن فاعله مثنى ومؤنث . وقد ينادى البعض بإدخال الجذور فقط واستخدام الميزان الصرفى العربية ، بعد ادخاله للكمبيوتر وكتابة البرنامج المناسب ، للتعرف على الكلمات المدخلة اليه وارجاعها الى جذورها وميزانها الصرفى . ولابد من اتخاذ القرار فى هذا الشأن قبل بناء القاموس فاذا اخترنا ادخال جميع الكلمات بالشكل التى ترد فيه فى الجملة زاد حجم القاموس اللغوى كثيرا وزاد الوقت الذى يبحث فيه البرنامج عن الكلمات ، واذا ادخلنا الجذر أو جذع الكلمة العربية قل حجم القاموس وزاد العبء على المعالج الذى سيعمل على رد الكلمات التى تدخل البرنامج الى جذورها وجذوعها طبقا للقواعد الصرفية والاشتقاقية .

والمشكلة الثانية فى بناء قاموس اللغة العربية المعاصرة هى تحديد كافة المعانى للكلمة ، ولحصر المعانى المختلفة والاستعمالات الجديدة لكل مادة من مواد القاموس لابد من دراسة فاحصة لنصوص عربية معاصرة كى نتعرف على الكلمات



من واقع استخداماتها فى سياقات مختلفة ومواضيع ومناسبات متعددة . وبهذا يصبح القاموس تعبيرا صحيحا عن الاستعمالات الشائعة فى كافة البلاد العربية ويصبح احد اسس الثروة اللغوية المشتركة لكافة المثقفين والعلماء العرب مما يمكنهم من التحاور بسهولة فى كافة الامور والموضوعات والمسألة الثالثة فى بناء هذا القاموس هى تحديد المعلومات التى تصاحب كل كلمة عربية . فكل كلمة لها سمات نحوية ودلالية تمكننا من فهمها الفهم الصحيح ووصفها فى السياق السليم . فالسمات النحوية لفعل مثل (ذهب) تتطلب ان يتبعه جار ومجرور مثل (ذهب على الى المدرسة) ولا يجوز مثلا ان نقول (ذهب على المدرسة) بينما يمكن ان نقول (غادر على المنزل) او (غادر على الى الولايات المتحدة) . وللكلمات ايضا سمات دلالية فيمكن تحليل كلمة (صبى) كمجموعة من السمات مثل : انسان + ذكر + عمره اقل من ١٢ سنة ، + عمره اكبر من ثلاث سنوات مثلا . وهكذا يمكن ادخال السمات الدلالية والنحوية للكلمات العربية لاستخدامها اثناء تحليل وتوليد الجمل العربية .

● قواعد النحو

تحدد قواعد النحو فى برامج التحليل بنية الجملة المدخلة ، فهى يمكن ان تتعرف على الفاعل والمفعول لكل فعل كما تحدد البنية العامة للجملة فى شكل شجرة إعراب . ويمكن ايضا لهذه القواعد ايضا تبسيط تحليل الجملة باستعادة بعض المكونات المحذوفة ففى الجملة التالية :

شرب على الشاى واحمد القهوة

هناك فعل شرب محذوف من عبارة واحمد القهوة .

ويمكن لقواعد النحو تفسير الجملة على ان فاعل شرب : هو مركب اسمى مكون من (على واحمد) وليس عليا فقط . ويعتبر التحليل النحوى جزءا اساسيا فى برامج معالجة اللغات الطبيعية .

● التحليل الدلالى

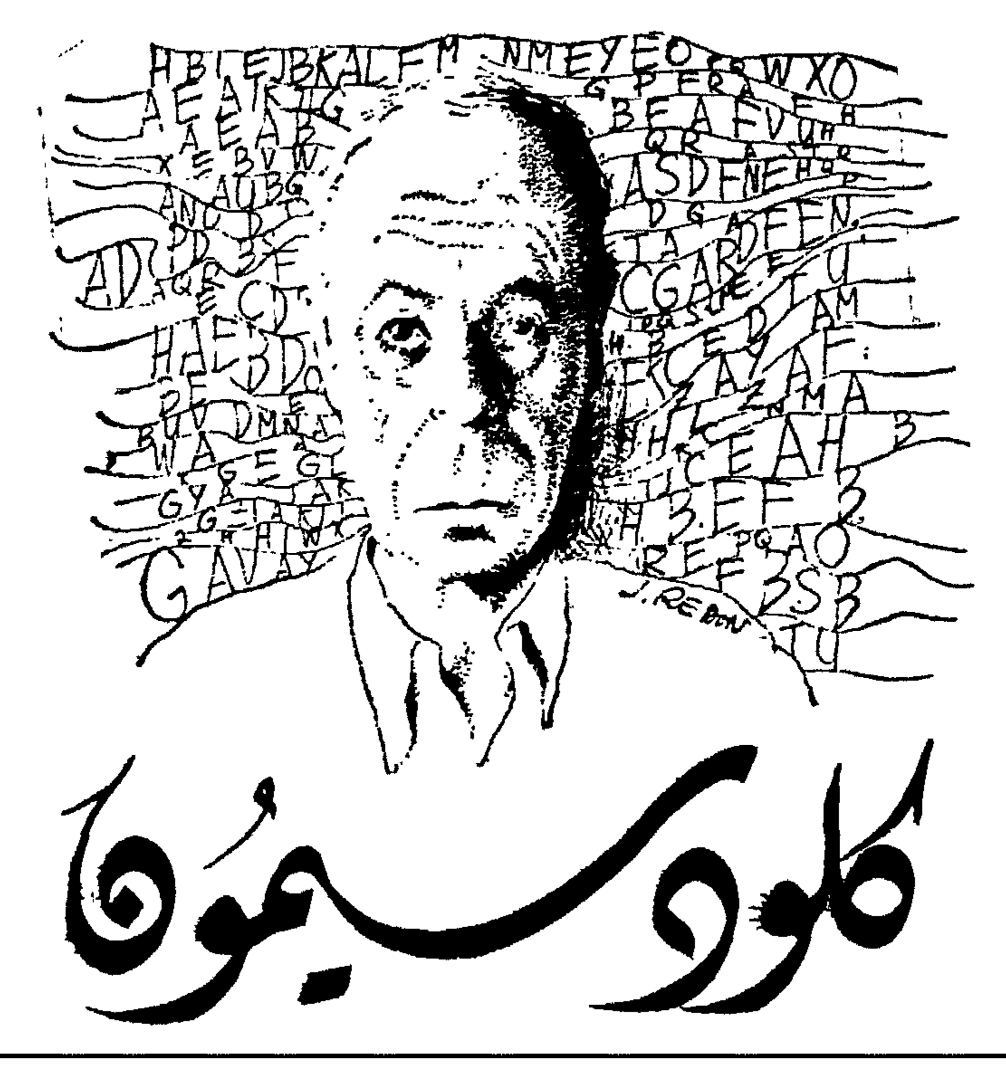
نحتاج هنا الى دراسة الدلالة فى اللغة العربية ودراسة العلاقات الدلالية بين الكلمات المشتقة من جذر واحد وتحديد الأثر الدلالية للافعال العربية وفك غموض الجمل العربية كما يلى :

١ ـ قابل على الوزير الذى انتقده . (انتقد من ؟) على انتقد الوزير أم الوزير انتقد على .

٢ ـ رأيت احمد يلعب فى الحديقة . (هل رأيت احمد وأنا فى الحديقة ، أم أن احمد يلعب فى الحديقة)

٣ ـ رأيت سيارة سعاد الجميلة . (هل سعاد هى الجميلة أم السيارة)

ونود ان نختم مقالنا بالتأكيد على الحاجة الشديدة لتعريب انظمة المعلومات فى كافة بلدان العالم العربى وان الاستثمار فى هذا المجال سيكون له مردود ممتاز لان مستقبل الامة العربية يعتمد على مواكبة الثورة العلمية المعاصرة واستخدام نتائجها فى حل الكثير من مشاكلنا المزمنة .



كلود سيمون

فن اللوحة المكتوبة

بقلم: ماجده الجندى

سألوا الكاتب الفرنسى كلود سيمون عن أحب الكتّاب إليه فاختار بروست وجويس وفوكنر ، ثم أضاف « كل من يمنحنى الكثير من الرؤية واللمس والاحساس والسمع وأعتقد أن اكثر من مسنى كان دستوفسكى ثم تشيكوف ورائعة آلان روب جرييه "الغيرة" التى ستعيش لالفى علم على الأقل » .

ولعل هذه الاجابة تقربنا من معنى الأدب عند كلود سيمون . إنه فى المقام الأول "مساحة من الفن" بمعنى البحث والعناية بالشكل "دون تفريغ المحتوى فى نهاية اللعبة" كما قال أحد النقاد عنه .

كلود سيمون

● فنسيج أعماله يسع العالم كله بل الحياة بدءا من الطبيعة والانسان وحتى الثورة والحرب .. ويستعيد للفعل قيمته .. ففي سنة ١٩٥٧ صدرت له "الريح" عن دار مينوى وبرز فى حربه ضد الموت والنسيان غازلا من ذكرياته وحياته صورة لحياة الانسان فى معنى أوسع ..

أراد كلود سيمون فى البداية أن يصبح رساما "ثم مصورا" ثم أحس بذاته فى فعل الكتابة ولذلك كانت العين أداته الرئيسية فى حفر المضمون الذى يكاد يرتبه ترتيبا مرئيا .. فالعالم كما يقدم سلسلة من اللوحات التى تشم وتحس وتستشعر الدفء أو البرودة وتسمع الصوت و"الحركة" . وصف الحركة يحتل بؤرة اهتمامه .. فى "طريق الفلاندر" قدم تجربته الشخصية ، فى الأسر أثناء الحرب وقال "لقد أردت إسماع صوت المدافع" وفى روايته "القصر"

عاش المتلقى تجربة كلود سيمون فى الحرب الأسبانية ومنح عنها جائزة ميديسيس سنة ١٩٦٧ فى "الأجسام الموصلة" و"معركة فرسال" تعيش مدينتان : نيويورك واليونان فى "الجورجيك" أو الزراعيون "يستعيد الحكاية فى كل الاحوال هو كلود سيمون الذى يقدم اللوحة المكتوبة بمفردات تكتسب أو يكسبها دلالات لغوية يمنحها الى حد القول أنه يقوم بنوع من الحفر اللغوى ليطوع الحرف فى حدقة الاحساس باللون والصوت واللمس والحركة ، لتكون الكلمة "مشعة" قادرة على توصيل "الحياة" .

● طريقتان فى الكتابة

وصفوا يوما طريقة كلود سيمون فى الكتابة بالقول انه يكتب كما يتكلم .. دون فواصل ولا علامات ترقيم متجها مباشرة نحو هدفه .. وهدفه دوما ليس تقديم فكرة أو معنى محددا "من خلال عمل ادبى ولكن توصيل "رؤية" وهكذا يحدث التماس بين ابداعه المكتوب وبين اللوحة التشكيلية .. بعد عمله الشهير "طريق الفلاندر" سألوه كيف وصلت الى هذا التكثيف فى الرؤية والبشر ولم يجد سوى القول : انه كما أن على الرسم ان يقدم فى بعدين عالما من ثلاثة أبعاد كذلك الأمر فى الأدب كيف تضمن بعدا فى اخر وتغزل زمنا فى آخر .. لتكون الديمومة !

فى قفزة واحدة تخترق اللوحة مخيلة "كلود سيمون" ومنها تولد فكرة العمل الروائى الذى قد يستغرق سنوات فى بناء تفصيلاته لكنه لابد وأن يولد كمشهد مرة واحدة "كومضة" يقول كل شىء يقفز فى وجهى مرة واحدة فالاحساس يأتى بأسرع مما يأتى الفكر .. فى طريق الفلاندر اشتغلت عاما دون أن ادرك كيف سيتم البناء ثم استخدمت افلام الألوان وجعلت لكل شخصية لونا أو لكل "تيمة" لونا وهكذا شيدت اللوحة ولنتأمل اللوحة التى تعكس امتزاج فن الحرف بفن الرسم وتلك معادلة "كلود سيمون" ، والذى يقول "إن احساسه هو ما يقوده .. فالشعور وحده له الريادة فى قلمه" .

يقول "فى الكتابة كما فى الحياة هناك



ـ نجيب محفوظ وكلودسيمون : جائزة واحدة .. واتجاهان مختلفان

أشياء تنسى" ولعل هذا هو السبب فى أن القارىء قد يحس بفجوات فى بعض سطور أعماله وعن ذلك يقول كلود سيمون هناك لحظات لا نحس فيها بشىء وأنا لا أفتعل ملأها ..

سألوه يوما : الا تضع فى حسابك حجم المعاناة التى يلقاها قارىء يجد فراغات أو فجوات فى عمل روائى فأجاب : لو أن "فان جوخ" أو "بيكاسو" قد فكرا فى رجل الشارع وفى العناء الذى يلاقيه فى تأمل أعمالهما ما قدما شيئا لذلك لا نستخدم أية علامات ترقيمية أو فواصل أو نقاط ..

● مفهومه للرواية

عندما سألوه عن مفهومه للرواية اعتبر السؤال فى حد ذاته "شيئا رائعا" وان كان فضفاضا "بعض الشىء" وبدأ اجابته بالقول بأن نفس السؤال تقريبا قد وجه لـ "موباسان" سنة ١٨٨٧ الذى قال إن النقد بعد أعمال بول وفرجينا ـ الأب جوريو ـ الأحمر والأسود ـ نوتردام دى بارى ـ مدام بوفارى .. هذا النقد الذى مازال حائرا فى ان يصف عملا بأنه رواية واخر بأنه غير ذلك ـ هذا النقد يبدو لى قاصر النظر" .

ثم أضاف "كلود سيمون" إننا لو ألحقنا بالأعمال السابقة : "عوليس" و"الأخوة كرامازوف" و"الرحلة فى نهاية الليل" فاننا سنجد "مروحة اكثر انفراجا" أو أكثر تشعبا ولكن على اية حال بامكاننا أن نجد "تعريفا" مشتركا أو ذا قاسم مشترك للرواية يكون كالاتى "شخصيات متخيلة مقادة داخل حركة متخيلة" وهنا تبدأ المشكلة أو المشاكل ، لأننا لو فكرنا فى الأمر فسنجد أن الرواية على الأقل فى فرنسا والتى تستمر بتقاليد الحكاية الشعبية للعصور الوسطى وفلسفة القرن الثامن عشر ، ليس فى مجموعها سوى معالجة للحكمة أو الأمثال بمعنى أنه بواسطة حكاية مختلقة من المتخيل يضع على الساحة شخصيات رمزية (انسان بدلا من الذئب أو الحمل أو الأسد أو الحمار) ليبرز الكاتب مقولة أو نظرية أو معنى متصورا "سلفا" .

فالرواية فى فرنسا تريد ان تكون ـ قبل

كلود سيمون

اى شىء ـ تعليمية أو مفيدة وهكذا نجد بلزاك فى مقدمة مهداة الى Cesar) Birotteau سيزار بيروتو انه يأمل ان يحوى نشر هذه الرواية ارشادا اجتماعيا ويستمر الكاتب "كلود سيمون" فى طرح وجهة نظره عن معنى الرواية بقوله انه على عكس ما يعتقد صديقه "الان روب جرييه" فى ان هذا النوع من الرواية "ولنقل الرواية التقليدية" لا يدين بشكل الى الكائنات أو الشخصيات "اللاجتماعية" فقد قدم "صاد" البرهان . وهو المدافع عن هذا العيب ـ فالرواية بالنسبة له مكان للتعليم ولتسليم رسالة .

والمشكلة بكل معنى الكلمة كما يرى "كلود سيمون" تكمن فى اننا لا نستطيع ان نمنح اعتمادا ايا كان لقيمة تعليمية أو ارشادية فى عمل مختلق أو متخيل من كاتب قد يرى لأسباب خاصة بخياله أن يحدث تغيرات فجائية فى عمله أو فى خاتمته أو عقدته والمشكلة الأكبر أن التقاليد الفرنسية جعلت الشخصيات (تحافظ على المعنى) على مدى العمل كاملا الى حد الكاريكاتير أو الى حد المبالغة بينما نرى الشخصيات لدى دستوفسكى على سبيل المثال هى فى آن واحد قد تكون الضحية والجلاد معا .. الابله والذكى أو الدنىء والكريم . ولكن لنرى شخصية مثل "اربا جون" فى بخيل موليير ـ والملاحظة هنا يسوقها "كلود سيمون" على لسان "سترندبرج" Strindberg ـ يقول : اعرف ان اربا جون شخصية كوميدية فى المقام الأول ولكن كل الرواية التقليدية الفرنسية مبنية على هذا النموذج : الكوميديا الانسانية ـ ارباجون الذى من الممكن ان يكون قاضيا جيدا أو فنانا كبيرا أو حتى طبيبا جيدا نجد ارباجون مجرد "بخيل" فما يهم فى هذا النوع من الرواية "الرمز" وهنا يستحضر كلود سيمون من "طاعون" البير كامى محاولات الكاتب والتى بلغت عشرين ليصل الى وصف "فارس" !

● حصان طروادة

أما ظاهرة "حصان طروادة" التى أطلقها "كلود سيمون" على ظاهرة الوصف فى الرواية التقليدية الفرنسية ، فنجد تفسيرها هنا حين يقول انه فى القرن التاسع عشر لاحظ ما اسماه بـ "حصان طروادة فى الوصف" والذى حمل الموت الى الرواية التقليدية فى فرنسا كيف ؟ يقول كلود سيمون انه حتى هذا التاريخ لم يكن الوصف موجودا سواء عند فولتير أو صاد أو حتى روسو عاشق الطبيعة عمليا لم تحو أعمال هؤلاء الوصف الروائى بالمعنى المفهوم كل ما تقابله لدى هؤلاء نوعا من الاكليشيهات الثابتة "كنساء جميلات لهن بشرة وردية" والعجائز دائما قبيحات هكذا ، حتى جاء بلزاك والذى تكمن عبقريته فى انه منح مصداقية وحقيقة للوصف ثم "فلوبير" الذى منح الوصف أهمية توازى أهمية الحركة (فحين تقرأ سيناريو ـ مدام بوفارى على سبيل المثال تدرك ما منحه من اهتمام لنحس رائحة المكواة الساخنة لدى حلاق النساء) **بلزاك أدخل الوصف الى الرواية وكان بمثابة حصان طروادة**



كلود سيمون

الذى هدم الحدوتة .

اننى انصت عبر كلمة "وصف" لمعنى وصف المكان والاشياء وايضا وصف الحركة والأفعال ..

● ما بين الذاتية والخيال

أما كيف امتزج خيال "كلود سيمون" بمسيرته الذاتية أو كيف تداخلت شخوصه بحياته فعن ذلك يقول : حين بدأت أو شعرت برغبة الكتابة تصورت أن علىّ أن أخلط بهذه الرغبة حكاية لها معنى أو دلالة بطريقة أو بأخرى وبالمعنى "السارترى" لم يكن لدى شىء أقوله ولم يكن لدى ابدا ! .. أنا الان عجوز .. وككثيرين غيرى عشت أوربا القديمة بعنفوانها ، كنت شاهدا ، على الثورة ، عايشت الحرب فى أوضاعها المميتة .. أسرت .. عرفت الجوع حتى الموت .. وتذوقت شقاء العمل البدنى حتى الذروة .. مرزت بتجربة المرض الذى يصرع وكنت مرات عديدة على شفا الموت سواء الموت الطبيعى أو الموت صريعا .. عرفت عن قرب اناسا عديدين شديدى التنوع قديسين وشياطين .. أغنياء وفقراء وقاسمت اللقمة مع صعاليك .. والتقيت بموهوبين وبلهاء ، ثم دخلت تلك أو مارست المغامرة الكبرى ، وهى عملية الكتابة أو محاولة الكتابة ، وخجلى الأكبر وأنا فى هذه السن المتقدمة هى أننى بعد لم أكتشف معنى

« اشارة »

ولد فى ١٠ اكتوبر ١٩١٣ وتلقى دراسته الثانوية فى باريس ١٩٢٤ ، لم يلتحق بالجامعة وإن كان قد تلقى دروسا فى الانجليزية باكسفورد وكمبردج ودرس التصوير على يد اندريه لوط .

فى ١٩٣٢ قام بعدة رحلات إلى انحاء اوربا والتحق بالجيش فى ١٩٣٤ و ١٩٣٥ ، واستانف السفر إلى اسبانيا والمانيا وروسيا وايطاليا واليونان فيما بين ٣٦ و ١٩٣٩ .

بدا كتابة اول رواياته « الغشاش » سنة ١٩٣٨ وشارك فى الحرب العالمية ١٩٣٩ واسر فى مايو ١٩٤٠ لكنه فر فى نوفمبر من نفس العام .

استكمل عمله الروائى « الغشاش » بين ٤٣ و ١٩٤٥ يعتبر عام ١٩٦٣ ـ سنة ظهور عمله المسرحى ـ الانفصال ـ تاريخا لبدء امتزاج حياته بكتاباته .

حصل سنة ١٩٣٧ على جائزة « ميديسيز » ، ثم جائزة نوبل ١٩٨٥ .

كلود سيمون

لكل هذا . وأن لم يكن المعنى هو ما قاله "برث" Barthes "لو أن العالم يعنى شيئا فهو انه لا يعنى شيئا" سوى كما هو !

لا أعرف ان كان للحياة وللمكان والألم معنى .. كل شيء يبدو لى فى آن واحد رائعا و"شنيعا" .. طيبا وشريرا ، إيجابيا وسلبيا ، وبالتالى ليس لدى المقدرة على توجيه "رسالة" ما !

فى رواية "الرياح" والتى اضطررت فيها ان احذو حذو- فلوبير واحكى حكايته - ولهذا-الخطأ .. خطأ ان يكون لديك شيء خاص لتقوله - ربما صنعت عملا جادا كما قال كثير من النقاد اعادة صياغة لابله دستوفسكى .

بعد ذلك جاءت اعمالى "اتوبيو جرافيه" فالعشب هى ذكرى احتضار عمة عجوز و"طريق الفلاندر" هى الحرب كما عشتها و"القصر" هى ذكريات ما عشته فى برشلونة أما "الجورجيك" أو الزراعيون .. فكل خيال مستبعد منها تماما .

وعما اذا كانت أعمال كلود سيمون تسير باتجاه التعبير عن واقع معاش يقول سيمون "لا" واضحة "نحن لا نكتب ابدا شيئا سبق انتاجه أو ممارسته من قبل لكنا نكتب ما يحدث لحظة فعل الكتابة ذاتها أو بالاحرى ما نحسه لحظة فعل الكتابة ، فلابد أن نضع فى الاعتبار ادراكنا الحسى وذاكرتنا وديناميكية الكتابة والتى تشكل القصد الأول .. والتى تستبعد الطموح للواقع .. وفى النهاية كما (فلوبير وتولستوى) نحن لا نقبض على الواقع الا بطريقة مجزأة !

● الكتابة مثابرة

"اننى أدرك الثمن الذى تكلفت اياه. كتبى" عبارة فقيرة مضغمة للغاية ، لكنها تفضح عما يكابده كاتب حقيقى فى مواجهة فعل الكتابة حين يوازى فعل الحياة .. يقول كلود سيمون عن كيفية عمله "اننى اعمل بكثير من الألم .. كعامل .. أو كفنان يمتهن العمل اليدوى .. بالمداومة يوميا على الجلوس أمام المكتب فى نفس الساعة أواجه الورق ولا أغادره حتى ولو لم أجد شيئا أقوله !" .

ومما يذكر فى هذا السياق أن روايته "طريق الفلاندر" أعقبها عدة لقاءات كانت محاولة لشرح كيفية غزل هذا العمل الدقيق ، كيف عمل فيه وبأى الطرق .. وهو يرى أن أى كلام فى هذا لا يوازى معاناة كاتب . فحين يقول ناقد عن عمل "انه كتب بمثابرة" يضحك سيمون فانه يستشعر نوعا من التعالى من قبل الناقد للعمل "الم ير هؤلاء النقاد عشرات المسودات المصححة لبروست أو بلزاك" .

ان عبارة الناقد المختزلة فى مواجهة عمل مغزول بالألم والضنى "كما يقول سيمون هى شيء مضحك .

فالفنان لا يتلقى وحيا من الملائكة وهو ذلك الكاتب ذو الشعر المغسول الجالس في انتظار تلقى رسالة ما .. انه الناحت بالاظافر في مداومة لا تظل ولا تعترف بالملل .. انه كائن لا يعرف سوى الكتابة وقد تكون العبارة الأخيرة جزءا من اجابة كلود سيمون عن سؤال يضحك له في كل مرة يوجه اليه وهو سؤال لماذا تكتب .. ؟ انه جزء من طراز من الأسئلة الصحفية التى يراها سيمون مسلية أو مضحكة فعندما نسأل كاتبا "لماذا تكتب" فان هذه ال "لماذا" تعترض أو تحمل فى طياتها افتراضا بتلقى اجابة عقلية تحوى اسبابا مع ان الابداع والفن ضمنا فعلا يجافى ذلك .. ان له منطقه الخاص الذى ليس هو منطق العقل أو حكمته .



كلود سيمون مع مجموعة من رفاقه

يقول سيمون بالتحديد "لا أتصور أننا نتخذ قرارا بأن نكتب أو بأن "نكرس أنفسنا للكتابة" فقد يصلح هذا للمهندس الذى يقرر أن يشيد سدا" .

فى شبابنا نجرب .. نحاول .. "نجس التربة" فى مجالات متعددة أو اتجاهات متعددة .. وانا جربت الرسم والكتابة والثورة (مثلى .. مثل الجميع) واكتشفت ان "الأمر يسير فى الكتابة" أو هكذا تصورت ..

وحين يثيرون قلقى بسؤال ـ كما يحدث عدة ـ مثل ماذا أردت أن تقول "فاننى اجبت مثل فاليرى" .. "اننى لم أرد ان اقول بالكتابة انما اردت ان افعل" ان مارلو بونتى كان محقا تماما فى تعبيره "ان الفرق بين من يتكلم ومن يكتب هو ان من يتكلم لديه اراؤه وحججه النظرية اما من يكتب فانه يحس ويعيش فى الكتابة" .

وهكذا وفى نفس الاتجاه سار نوفالى وبردست قبل ان تسقط فوق رأسنا "الواقعية" !

• حقائق عن عبد الرحمن الرافعى •

● زملاء الرافعى الذين حازوا على شهادة ليسانس الحقوق فى يونيو سنة ١٩٠٨ هم :

احمد ماهر "باشا" وكان رئيسا لوزراء مصر ، عبد الحميد بدوى "باشا" واختير قاضيا فى محكمة العدل الدولية "لاهاى" ، حسن نشأت باشا رئيس الديوان الملكى ، عبد الملك حمزة بك ، منصور اسماعيل باشا ، كامل الوكيل باشا ، محمد نجيب الغرابلى باشا ، وكان اول الليسانس عبد الحميد بدوى وكان ترتيب الرافعى الثانى والعشرين ...

اول مرة تقابل مع مصطفى كامل فى سنة ١٩٠٦ فى مقر جريدة اللواء بشارع الدواوين سابقا نوبار باشا الآن وكان مصطفى كامل رئيس تحرير جريدة اللواء . وكانت تصدر عن الحزب الوطنى الذى كان زعيمه ورئيسه ..

ازداد حب الرافعى للحزب الوطنى وعشقه لمصطفى كامل عندما وقعت حادثة دنشواى فى ١٩٠٦/٦/١٣ وحارب مصطفى كامل الاحتلال البريطانى فى شخص "كرومر المندوب السامى" للحكومة البريطانية .. فى مصر وكانت مقالات مصطفى كامل النارية التى يكتبها من باريس سببا فى نقل كرومر من مصر ..

الف الرافعى كتابا سنة ١٩٣٩ عن مصطفى كامل ونشرته سلسلة الهلال فى فبراير الماضى .

اول مقال صحفى كتبه المغفور له عبد الرحمن الرافعى فى جريدة اللواء بعنوان "تبدد الشعور الوطنى وتجمعه" ووقعه بإمضاء حقوقى ..

من اعمال الرافعى ايام كان عضوا فى مجلس الشيوخ تقديم مشروع قانون "منع تملك الاجانب للاراضى الزراعية والأراضى البور والصحراوية والعقارات المبنية والأراضى الفضاء سواء على الأفراد والشركات الاجنبية وبأثر رجعى" وللأسف الشديد عارض هذا المشروع الحكومة ومن يؤيدها من اعضاء المجلس .

واهم ما كتبه الرافعى فى كتابه "ثورة ١٩١٩" مباركة سعد زغلول باشا زعيم الأمة فى ذلك الوقت لعدوه اللدود عدلى يكن باشا عندما الف الوزارة وسميت بوزارة "الثقة" . وفى ١٢ يناير سنة ١٩٢٤ رشح الرافعى نفسه عن الحزب الوطنى لانتخابات البرلمان فى مدينة المنصورة ورشح الوفد امامه "على عبد الرازق بك" كبير اعيان المنصورة ورغم دخول الوفد بالجمعه المعركة بجانب مرشحه على عبد الرازق وقيامه بالدعاية اللازمة فاز عبد الرحمن الرافعى الحزب الوطنى

على منافسه على عبد الرازق بك الحزب الوفدى بفارق صوت واحد .
كان عبد الرحمن الرافعي طيلة حياته البرلمانية على مدى اربعة عشر عاما . يعتبر المعارضة بابا من ابواب الكفاح الوطنى .. وهذا الذى وضع للمعارضة البرلمانية قواعدها منذ كان عضوا فى اول مجلس للنواب سنة ١٩٢٤

رشاد جاب الله على
مصر القديمة

• الشيخ كشك وجريمة التحريض •

• نشرتم فى هلال فبراير الماضى دعوة إلى النائب العام لتقديم الشيخ عبد الحميد كشك إلى القضاء بتهمة التحريض على قتل نجيب محفوظ فى الكتاب الذى أصدره الشيخ كشك أخيراً عن رواية "أولاد حارتنا" .... وقد كان من الأفضل مناقشة الشيخ كشك ومحاورته بدلاً من الدعوة إلى محاكمته ..

عبد السميع رجب راضى
أسيوط

• تعليق الهلال :

ـ الشيخ كشك أدار كتابه كله حول الاتهام بالردة ، أى التحريض على القتل ، بلا إحساس منه بالمسئولية ، وكأنه لا رقيب على أعماله وأقواله ولا حسيب ، وهذه جريمة كبيرة تقع تحت طائلة القانون ، ولا صلة لها بالفكر من قريب ولا من بعيد ...... ولم يقدم الشيخ كشك فى تخليطه المسهب فى كتابه أية فكرة تصلح لحوار أو مناقشة ، فهو مندفع بلا بصيرة ولا فهم للتحريض فقط ، والفكرة الوحيدة التى تسلطت عليه كالوسواس القهرى هى التحريض ، وليس لعلاج مثل هذه الحالة إلا الوقوف فى القفص أمام العدالة لتقول كلمتها .....

• الفيلم الوهمى لأولاد حارتنا •

• ساءنى ما طالعته اليوم على صفحات مجلتكم ـ والتى كم كنت أود عرض مقالى بها ـ دونما أى تجريح لى ـ ولمؤهلى الدراسى ـ ودراساتى الراقية فى مجال مجيد وأفكار إسلامية بحتة ـ بحثا عن المزيد لاضافته

لثقافتنا الاسلامية التى ستسود العالم يوما ما . فتقضى على كل الأفكار التقدمية المستهجنة والممقوتة والملحدة .

لقد بدأت المجلة تعليقها بالتركيز على اصطلاحات جوفاء لاتجدى . الا وهى تعريب كلمة دكتوراه وماجيستير الخ . وأما بخصوص هذا التعريب . أو الفرنجه لمعنى كلمة دكتوراه فهى ليست محور حديثنا . لكن المقصود من ردى هذا أن أوضح وجهة نظرى الحقيقية .

إن حديثى لم أكن أقصد به الكاتب نجيب محفوظ ولاغيره . ولكن مايهمنى كانت الكتابة نفسها سواء أكان الكاتب محفوظ أو غيره . إن الكتابة نفسها تؤرخ للعصر . وواجب على الكاتب أن يكتب فى حيز محدد لايحيد عنه . ولا يتعداه الى امتدادات أخرى خارجة عن حدود مجتمعنا .

لقد رأيت بعين رأسى رواية (أولاد حارتنا) وهى للكاتب نجيب محفوظ وآه ياسيدى لو شاهدت هذه الرواية . وعايشت الكم الكبير الذى جاء فيها من الحديث الخبيث والمناظر الخليعة والرقصات الماجنة . والعرى . والخمر . الخ هذه الموبقات التى نهى الله عنها ورسوله . إنها دعوى للدعارة بصريح العبارة وامتهان لحرية الأديان . وإفساد لعقول الشباب . وأود أن أسألكم سؤالا واحدا هو :

— هل إستخدم العقاد مثل هذه الأساليب فى رواياته . وكتاباته ؟ والاجابة واضحة جلية : ـ كتب العقاد رواياته بعيدا عن الاسفاف . والرذيلة . حتى حب العقاد لسارة كان عفيفا بريئا بعيدا عن مثل هذه التفاهات كتب العقاد عبقرياته العديدة . عبقرية محمد وخالد وعمر والصديق . يومها لم تستطع الأقلام الموجودة إلا أن تثنى عليه وتشكره . رغم أنه كان غير محتاج لأقلامهم للشهرة ، فهو معروف عنه كتاباته المتألقة والتى تسود العالم الاسلامى كله .

أليس هنالك فرق بين العقاد وبين صاحب نوبل ؟

كان هذا مثلا واحدا للمقارنة السريعة بين محفوظ الرامز إلى ..... وبين العقاد صاحب العبقريات . وليس إنحيازى للعقاد لأنه من صعيد مصر . لا . بل من منطلق دراسة مستفيضة لكتاباته ورواياته التى تملأ مكتبتى بجوار المجلدات الفقهية والتراثية الاسلامية . علاوة على الدراسات المختلفة والتى كلها فى إطار إسلامى بحت .

أيها الاخ الكريم ـ رحمة بنا وبالمسلمين من هذا التحيز للكاتب الشهير . أم أن الدنيا إنتهت إلا من وجود مثل هذه الأقلام المستوردة . وأرجوكم مراجعة موقفكم من هذه النظرة المتحيزة . والله يوفقنا جميعا لما فيه خير الاسلام والمسلمين .

الدكتور عماد الدين ناصر حسن

● تعليق الهلال :

ـ يؤسفنا أيها الدكتور عماد الدين أن تخبط هكذا خبط عشواء فتحصب بكلماتك التى تفتقر إلى الرصانة ـ حتى بمعناها اللغوى البسيط ـ كاتبا عظيما تفخر به أمتنا ، ولاتستطيع أنت ومن تنسج على منوالهم أن تفهموا عظمته ..

إن سذاجتك يادكتور عماد قد حشدت فى رأسك مجموعة ألفاظ جوفاء عن الأفكار المستوردة والملحدة والاسلامية ، وعن الرذيلة والفضيلة ، وعن أشياء كثيرة أخرى جمعتها فى رسالتك هذه بلا رابط بينها من فهم أو علم .. ثم ذهبت فى الدعوى الباطلة إلى الزعم بأنك شاهدت بعينى رأسك رواية أولاد حارتنا ومناظرها الخليعة ورقصها الملجن وعريها وخمرها .. فأين رأيت هذه الرواية أيها الواهم الذى يتخيل مالا وجود له ؟! .. أعلى المسرح رأيتها أم فى السينما أم فى التليفزيون ؟! ..

إن أولاد حارتنا لم تصور فى السينما ولا فى التليفزيون ولا المسرح فأين رأيت مناظرها التى تتحدث عنها ؟! .. أهو التشهير بالكاتب العظيم ؟! ..

أما قولك عن العقاد وسارة فيدل على أنك لاتعرف ماتقرأ ولا تعلم عن العقاد وسارة شيئا .. وقد نشرنا لك مقارنتك بين نجيب محفوظ والعقاد ، لأنها برهان عجزك عن فهم الكاتبين الكبيرين معا ، ومع ذلك تتصدى للحكم عليهما بسذاجة منقطعة النظير .

وأنت تسأل : هل استخدم العقاد مثل أساليب نجيب محفوظ فى « رواياته » ؟! .. فاعلم أيها الدكتور أن العقاد له رواية واحدة هى رواية سارة التى تزعم أنك قرأتها وفهمتها ، وليس له « روايات » كما تتصور ، وكما تصورت أنك شاهدت فيلم « أولاد حارتنا » الذى لاوجود له .

● ملاحظة لغوية ●

● أود أن أشير إلى ملاحظة لغوية وردت فى بداية « الكلمة الأخيرة » التى نشرت فى آخر عدد نوفمبر ٨٩ ، للأستاذ حسين أحمد أمين .

فقد ورد قوله : « حديث الكافة فى مصر ... الخ » واستخدام « كافة » على هذا النحو (مضافة ومقترنة بأل) غير صحيح والدليل :

١ ـ ورد في القاموس المحيط مايلي : « وجاء الناس كافة أى كلهم ، ولايقال « جاءت الكافة » لأنه لايدخلها ال ، ولاتضاف »

٢ ـ وورد في المعجم الوسيط مايلي :

(« كافة » يقال : جاء الناس كافة : جميعا وفي التنزيل العزيز : وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ») (جزء ٢ ص ٧٩٢ . الطبعة الثانية)

محمد محمد القاضى

● من جعبة الليل ●



ليل .. قمر أخضر
ومدى تشجيه صبابات العشاق فيسهر
وبيادر شوق تتماوج .. تهدر
وجه يمرح .. يسكب نشوة صحوه
سرا فوق تجاعيده
يتودد لعيون لاترحم

يوسف عبدالعزيز على
كلية الأداب بقنا

● حبيبتى ●

اقول ياحبيبتي : حبيبتي
اقولها ....
لأن حبك العظيم حاكم قد استبد
اقولها ....
لانتي سئمت ان اسأل نفسي دائما :
إلى متى تعيش كالنمل الذى ...
يسير بيننا ولا ......
يسمع خطوه احد ؟

عبد العزيز الشراكى ـ المنصورة



● ديوان الفنان عبد الوارث عسر ●

● لم أكن أعرف أن الممثل الكبير المرحوم عبد الوارث عسر كان شاعرا كبيرا حتى قرأت كتاب "شعراء ودواوين" للباحث الشاعر

الأستاذ احمد مصطفى حافظ الذى تحدث فيه عن ثلاثين شاعراً واستشهد بنماذج من اشعارهم ، ولعل اشعار المرحوم عبد الوارث عسر الذى لم يشتهر طوال حياته بالشعر ، هى اجود ما قرأت فى هذا الكتاب من الاشعار .. ونرجو ان يتبنى الدكتور سمير سرحان رئيس هيئة الكتاب نشر ديوان عبد الوارث عسر تقديرا لذكرى هذا الفنان القدير الذى ابى تواضعه ان يظهر هذا الجانب الهام من مواهبه المتعددة فى حياته .

ثروت محمد يوسف
شارع السيدة نفيسة بالخليفة ـ القاهرة

● ثم افترقنا ●

كنا وكان الهوى فردوسنا الباقى
مشتاقة ترتمى فى صدر مشتاق
الحب فى دمنا والسعد فى يدنا
والحلم يسكن فى طيات احداق
نذوّب الوصل عطرا ثم نرشفه
سحرا تغلغل فى اعماق اعماق
الشعر قد صغته عقدا لفاتنة
من نبض قلب رقيق الحس خفاق
والافق اودعته فى خاطرى املا
ما كان ارحب آمالى وافاقى
ثم افترقنا وقد دار الزمان بنا
والدمع يصبغ بالأحزان احداقى
لو كان يرجع إلفا وجد ذى وله
لكان ارجعه وجدى وإشفاقى
لكم تعذبنى ذكرى مفارقة
فقدت فى فقدها انسى واشراقى
بالأمس كانت حياة فى مباهجها
واليوم صارت سطورا فوق اوراق
وكنت أحسد نفسى فى سعادتها
ثم انتهت الى هم واطراق

خليل فواز

• الشعر والوزن •

• ما سبب عدم نشر قصيدتى التى أرسلتها إليكم من قبل ، ولماذا تنشرون أحيانا قصائد كثيرة لشاعر واحد وتتجاهلون الآخرين ، أو تكتفون بنشر أسمائهم مسبوقة بعبارة : ونرحب دائماً بنفسات اقلام السادة ؟ .... وما هى القنوات التى تؤدى إلى النشر ، هل هى فنية أو شخصية ؟ ... كوسة يعنى ؟

إليكم أبيات قصيدتى التى أتمنى ألا يكون مصيرها قاع سلة المهملات وعنوانها "شاعر فيلسوف" :

راسخ صامت ينظر بعين ثاقب
يخترق الحجاب المحجب .....
خضما تحسبه صافيا هادئا
لكنه بجوفه بركان هائج مزبد
يحدق ويقرا ويتامل ...
ورأيه هو حد السيف القاطع

عاطف نجم محمد على
طالب بكلية اللغات بجامعة القاهرة

• تعليق الهلال :

١ ـ كلمة "نفثات" التى ذكرتموها نقلاً عنا ، تكتب بالثاء لا بالسين ...

٢ ـ الكوسة هى فى تصورك فقط ، والطريق إلى النشر هى جودة العمل الأدبى شعرا كان أو نثرا ... وأنت لم تبلغ بعد حتى معرفة الوزن فى الشعر .... مجرد الوزن ، وقد اكتفينا من قصيدتك الطويلة بهذه الأسطر التى هى نثر بحت لا وزن فيه ، وكذلك بقية هذه القصيدة التى لا تعثر فيها على تفعيلة واحدة موزونة .....

٣ ـ ليس عندنا شىء اسمه قنوات وكل الذين ننشر لهم فى هذا الباب لا نعرفهم شخصيا ، ونتلقى رسائلهم بالبريد ، وتستطيع أن تتصل بهم وتسألهم بنفسك ! .

• مع أصدقائنا •

• مها الكوراى ـ مستشفى حمد العلم ـ قطر :

ـ نرجو أن نكون قد نقلنا الاسم صحيحا لأن الخط غير واضح .. وأما الاشتراك فى روايات الهلال فتجدين تفصيلاته فى الغلاف الداخلى للمجلة أو

فى صفحتها الأولى ـ ونقصد طبعا مجلة روايات الهلال ، وتستطيعين أن تكتبى مباشرة الى قسم الاشتراكات بدار الهلال كما هو مبين بالمجلة ..

● فرحان مشحن غضيان البلوى ـ تبوك ـ السعودية :

ـ نرجو أن يكون الاسم صحيحا لأن الخط غير واضح .. ولاتوجد مجلدات للهلال معروضة للبيع ، وإذا طالعت غلاف مجلة الهلال عرفت أنها تصدر منذ ٩٨ عاما ، وهى أقدم مجلة فى العالم العربى كله .

● محمد محمد البقاش ـ طنجة ـ المغرب :

ـ نرجو أن يكون الاسم صحيحا .. وأما قصائدكم فينقصها الوزن .

● مظهر العيسوى ـ سوهاج :

ـ نحن ننشر الشعر الفصيح فقط ، أما الشعر العامى أو الزجل فتستطيع أن تنشره فى مجلات وصحف أخرى غير قليلة ، ونتمنى لك حظا طيبا .

● سحر محمد فتح الله ـ محاسبة بشركة النصر للفوسفات ـ القاهرة :

ـ نشكرك كثيرا ونرجو لك التوفيق ، وأما القصيدة التى أرسلتها فهى نثر بحت ، لا وزن فيها ، ولكن رائحة الشاعرية تفوح من سطورها النثرية ! ..

● ونشكر أجزل الشكر أصدقاءنا الأساتذة : رفعت عبد الوهاب المرصفى .. محمد محمد سعد جاويش .. صفاء عجلان .. صلاح عبد الستار محمد الشهاوى .. وائل محمد جاويش .. يوسف عبد الحميد النورى .. محمد أمين عيسوى .. عبد الصبور الصادق .. وجيه عشم مترى .. رمضان عبد اللطيف حامد .. محمد أحمد الشربتلى .. أحمد رجب شلتوت .. ابراهيم سمير البسطانى .. خالد السيد على .. عاصم فريد البرقوقى .. عبد المرضى عبد المقصود السيد .. أبو بكر محمد محمد حسانين .. عبد الجواد محمد الخضرى .. محمودعبد المجيد أحمد .. سلمى على النمرسى .. فهمى عبد الجواد الزيات ..

الكلمة الأخيرة

العلم والثقافة

أكثر من تعرض للفرق بين العلم والثقافة كان الكاتب الإيرلندى المعروف "برنارد شو" وله تعريف طريف للمثقف يقول إنه "الذى يعرف شيئا ما ، عن كل شىء ، وكل شىء عن شىء ما" فقد ضاق ذرعا بمن كانوا فى زمانه يسرفون فى التخصص الدقيق دون اية نظرة الى مكانة هذا التخصص من سائر العلوم والمعارف "فهم يتجهون الى معرفة اكثر فاكثر عن أقل واقل ، إلى ان يعرفوا كل شىء عن لا شىء" كما يقول .

والعلاقة بين العلم والثقافة اليوم تتخذ مساراً هاما لا نكاد نفكر فيه . مع انهما أساس هام في هذا العصر الذى نسميه عصر الثورة الثالثة "ثورة المعلومات" منها ما يمكن ان يبرمج على الكمبيرتر ، ومنها ما يظل من اختصاص العقل البشرى الذى لو قصدنا الى اختزان المعلومات التى يمكن للعقل البشرى ان يستوعبها فان الكمبيوتر الذى يمكننا من ذلك لابد ان يصل الى حجم الكرة الارضية .

والذى يشغل بالى كثيرا بل يقلقنى ان شيئا من هذا لا يخطر ببال اكثر من يتصدون الى وضع برامج التعليم . كم ذا يتيح البرنامج لابنائنا ان يعرفوا .. وكم ذا يساعدهم على حب الاستطلاع والرغبة فى أن يعرفوا .. وكيف يمكن لهم ان يستخدموا خزائن المعلومات من دوائر معارف الى قواميس بل الى كمبيوتر ..

هذا الجيل الذى سيواجه تغييرات ضخمة فى القرن القادم هل أعددناه علميا وثقافيا لان يبحث عن الطريق ببدايات سلمية ولا اقول حلولا ...

لم تعد الثقافة مجرد اطلاع وربما تذوق ممتاز للآداب والفنون ، ولم تعد مجرد معرفة سليمة ووفيرة لمعلومات تتعلق بموضوع ما .. وانما هى اطلاع شامل واسع متشعب . والاهم انه قابل لأن يزداد اتساعا وشمولا وتعمقا .

اننا لم نستوعب بعد (للاسف) "ثورة المعلومات" التى احدثت تغييرات جذرية فى كل الميادين منذ بداية تطبيقها الى اليوم .

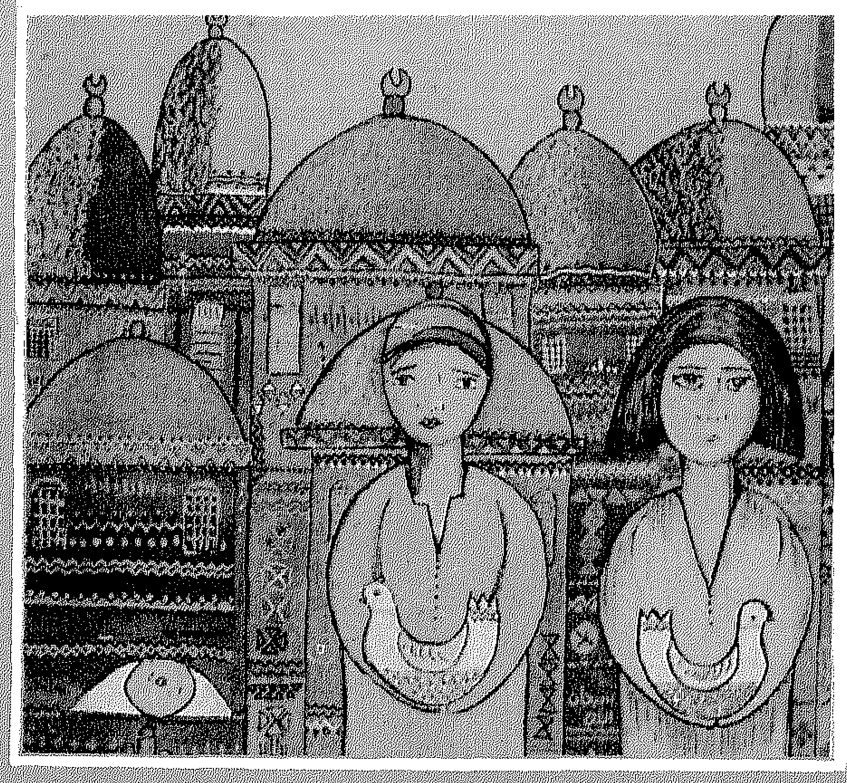
ان العلم والثقافة لا يمكن ان يتقدم واحد منهما والجناح الاخر مهيض مهمل ... ترى ماذا نحن فاعلون ومتى ، نعم متى ، تبدأ تنفيذ اولى خطوات التحديث المعرفى الحقيقى فى برامج التعليم فى كل مراحله .







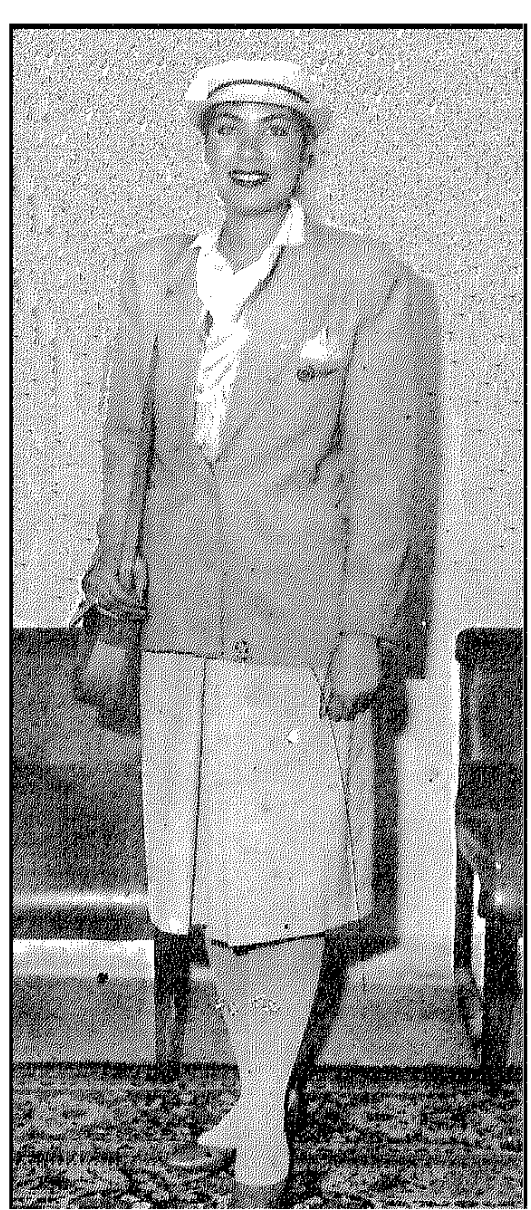
هل هلالك
شهر مبارك

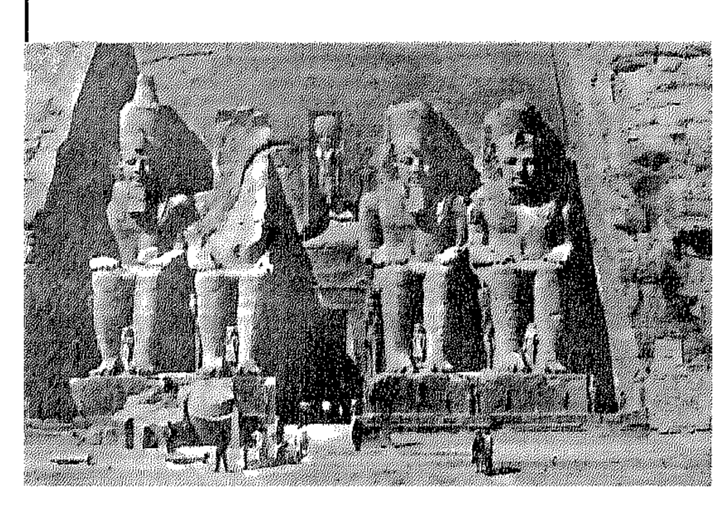


كيف يعود إلى مصر وجهها الجميل؟!

■ الكمبيوتر "بيتكلم" عربى (جزء خاص)


EGYPTAIR
مصر للطيران





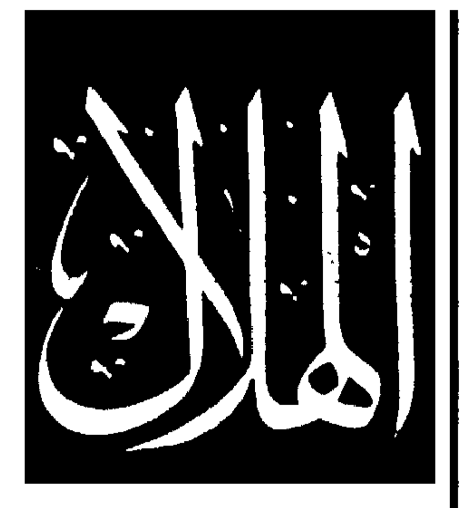


تقديم المواهب الجديدة أحد أهدافنا الرئيسية ، من أجل تواصل الأجيال ، ومن أجل استمرار شعلة الابداع .

وقد شارك الفنان محمد أبو طالب ضمن لجنة تحكيم أعمال طلبة جامعة عين شمس فى الفنون التشكيلية ، وانبهر بالانتاج الفنى الواعد للطلاب الذين شاركوا فى المعرض ، وأبدى سعادة غامرة بالمستوى الجيد الذى لايقل عن إبداع الفنانين المحترفين لسنوات طوال .

ومن بين الاعمال الكثيرة المتميزة اختارت "الهلال" غلاف هذا الشهر لفنان هاو هو الطالب محمد البوهى بكلية التربية جامعة عين شمس ، تشجيعا له ، ولكل الفنانين من أمثاله ، ومن منطلق تشجيع المواهب وحتى يكون هناك جيل من الفنانين المبدعين الذين يسهمون فى الحركة التشكيلية فى وطننا الحبيب .





مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجى زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

رئيس مجلس الادارة
مكرم محمد أحمد

نائب رئيس مجلس الادارة
عبد الحميد حمروش

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المستشار الفنى
محمد أبوطالب

مدير التحرير
عاطف مصطفى

المشرف الفنى
محمود الشيخ

سكرتير التحرير التنفيذى
عيسى دياب

فكر وثقافة

في هذا العدد

صفحة



الغلاف تصميم الفنان : محمد ابو طالب

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى ، وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار موضحة بعاليه عند الطلب .

دار الهلال

١٦ شارع محمد عز العرب الرقم البريدى (١٥١١) القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط - مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١
رقم التلكس 92703 HILAL U.N



لبنان ٧٠٠ ليرة ، الاردن ٦٠٠ فلس ، الكويت ٥٠٠ فلس ، العراق ١٠٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريالات ، عدن ١٢٥ سنتا ، البحرين ٨٠٠ فلس ، قطر ٧ ريالات ، الامارات العربية المتحدة ٧ دراهم ، سلطنة عمان ٧٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة ٧٥ سنتا ، انجلترا ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة ، الولايات المتحدة الامريكية ٤٠٠ سنت ، الجمهورية العربية اليمنية ٨ ريالات ، كندا ٥ دولارات .



ودخـول العصـر الجديـد

منذ اكثر من الف واربعمائة سنة ، يصوم المسلمون شهر رمضان .. وقد عاد اليهم هذا الشهر الكريم فى عامهم الجديد هذا ، عودته اليهم كل عام ، مبشرا بالبركة والخير ، فهل تتحقق البشرى ، ام ينقضى الشهر الكريم كما اعتاد أن ينقضى طوال العقود الأخيرة ، فيومىء إلينا بتحية الوداع ، ونومىء اليه برد التحية ، ويختفى فى الموكب الابدى للشهور والسنين ، ونطوى بساطه بما فيه كأنه لم يكن .. ثم نعود الى حياتنا فنُجريها محلولة العقال ، مطلقة العنان ، تذهب بنا أو نذهب بها فى كل اتجاه ؟ !

ومنذ أيام ـ كالعادة عند قدوم شهر رمضان من رحلته السنوية ـ اختلف المسلمون هنا وهناك فى بدايته . اكانت يوم الأربعاء الموافق ٢٨ مارس سنة ١٩٩٠ ، أم انها سبقت يوم الأربعاء بأربع وعشرين ساعة فجاءت يوم الثلاثاء ؟ !

اما القائلون بيوم الاربعاء فحجتهم الحسابات الفلكية الدقيقة والاجهزة العلمية الحديثة ..

واما القائلون بيوم الثلاثاء ، فحجتهم ما جاء فى الأثر : صوموا لرؤيته ، وافطروا لرؤيته .

ومن الوضوح بمكان ان رؤيته المنصوص عليها فى الأثر ، غير مشروطة بعدم استعمال الأجهزة العلمية ، ومن البديهى ان صيامنا لا يكون باطلا اذا رأينا هلال رمضان من خلال منظار ..

هذه هى معركة كل عام ! ..

ولكنا نحمد الله تعالى ، فقد كانت هذه المعركة فى الماضى تنشب كالنار الحامية ، اما الان ، فان المعركة بين فريق الحسابات الفلكية وفريق العين المجردة ، لا تنشب الا فى الخفاء والصمت ومن وراء ستار فلا يشعر بها احد .. ويصوم هؤلاء القوم فى هذا البلد ، قبل اولئك القوم فى ذلك البلد ، حتى ينقضى شهر الصوم ، فتتكرر فى عيد الفطر المبارك المشادة الهادئة الصامتة وراء الستار ، وينهض فريق من المسلمين فى احد البلدان مبكرين من نومهم فيؤدون صلاة عيد الفطر ، ويلبسون ثياب العيد .. بينما ينتظر فريق اخر من المسلمين فى بلد اخر ، اربعا وعشرين ساعة قبل ان يعترفوا بان الموعد الصحيح لارتداء ثياب العيد قد حان ! ..

ماذا جرى لهذه الامة الاسلامية العظيمة فتقلصت دائرة كفاحها حول معارك صغيرة تندلع كالشرر بين اطرافها المختلفة .. ومن بينها معركة هلال الصوم وهلال العيد كل عام ؟ ! ..

عزيزى القارىء .
العالم كله يموج من حولنا بتطورات عاصفة ، تنهار فيها افكار وكيانات ويقوم على انقاضها بدائل لها ، ابتغاء الاسراع فى التقدم ، بينما نحن المسلمين نتفرج بلا مبالاة كاننا نعيش فوق كرة ارضية اخرى غير هذه الكرة التى تطلع عليها الشمس نهارا ، ويطلع عليها القمر ليلا ! ..
وكبريات الحوادث تفجؤنا فنرى انفسنا وقد تدفق علينا غزاة اوربيون صهيونيون يعدون ـ كجنود الحروب الصليبية ـ بمئات الالوف ، وربما بالملايين ، فى زمن قصير جدا لا نملك معه حتى ان نلتقط الانفاس ! ..

وربما فتحنا عيوننا غداة غد فنجد يهود الخزر ، ابناء القبيلة الثالثة عشرة ، قد احتلوا قلب الوطن العربى ، واحالوا فلسطين الى فردوس عربى مفقود آخر ، بعد الفراديس الكثيرة التى فقدها العرب على امتداد الزمان ! ..
ان شهر رمضان يجىء ، بينما « جريمة العصر » ـ كما سماها الكاتب الكبير احمد بهاء الدين شفاه الله ـ قد جعلت الأرض العربية كلها مهددة بأن تصبح مستوطنة مستباحة لشذاذ الافاق من متهودى القبائل الخزرية الزاحفين كاسراب الجراد من روسيا وشرقى اوربا تحت راية حقوق الانسان الأمريكية الزائفة المهترئة ! ..

عزيزى القارىء .
ان شهر رمضان يجىء هذا العام موافقا بداية فصل الربيع الذى هو بداية جديدة لشباب الزمان بعد ذبوله فى الشتاء فهل نلتفت الى هذا المعنى فنجعل شهر صومنا هذا العام بداية جديدة لشباب امتنا التى ارهقها شتاؤها التاريخى الطويل ؟ ! وهل نجعل هذا الشهر بابا ندخل منه الى العصر الجديد الذى تدخل فيها الشعوب الآن ؟ !
سؤال متفائل وسط جو ملبد بغيوم سود كقطع الليل ، لاتوحى بشىء من التفاؤل ، ولكننا فى كل حال لانملك الا ان نتمسك باهداب الامل فانه بداية السير نحو طريق العمل ! .

« المحـــرر »

الأزهر

منارة العلم

بقلم : صاحب الفضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

تاريخ الأزهر هو تاريخ الثقافة الاسلامية منذ القرن الرابع الهجرى حتى الآن ، وتدوين تاريخ الأزهر هو تدوين لألوان الحضارة فى مختلف العصور ، وما بلغته من نمو وازدهار او صادفته من قيود واغلال .. وتلك سنة الحياة : ذبول وانغلاق ، ثم ازدهار وانطلاق فى خدمة العلم والاسلام .

● و « الأزهر الشريف » : كلمة تتردد على الآلسنة ، ويعمر صداها القلوب ، وتطرب لسماعها الآذان ، وتحتويها الأفئدة ، وما كان الأزهر جديرا بصفة الشرف التى لازمته إلّا لسمو رسالته ، وعظمة غايته ، وامتداد عطائه ، منذ كان وعلى مدار تاريخه السديد المديد بإذن الله .

فالأزهر كعبة المعرفة ، ومعقل الثقافة الاسلامية ، وحصن اللغة العربية والعلوم الشرعية ومنارة الاسلام ، ولسان أهل السنة والجماعة .

ولقد انشىء الجامع الأزهر كغيره من المساجد لاقامة الشعائر الدينية ، واقيمت فيه اول صلاة جامعة بصلاة الجمعة فى السابع من رمضان عام واحد وستين وثلاثمائة من الهجرة ، وأراد له الفاطميون أن يكون مركز اشعاع لنشر مذهبهم الشيعى ، ولكنه ما لبث أن أصبح جامعة يتلقى فيه طلاب العلم مختلف العلوم والفنون .. ففى عام ثمانية وسبعين وثلاثمائة من الهجرة أشار يعقوب بن كلس على الخليفة العزيز بالله الفاطمى بتحويل الأزهر إلى جامعة تدرس فيها العلوم الدينية والعقلية وعمل الخلفاء الفاطميون من بعده على جذب طلاب العلم إليه من كافة الأقطار الاسلامية ،



الامام الاكبر شيخ الجامع الأزهر

وتزويده بكثير من الكتب ، حتى يتيسر للوافدين عليه الأطلاع عليها ، ولقد اقبلت وفود طلاب العلم إلى الأزهر من جميع ارجاء مصر ، ومن خارج مصر ، وكانوا يقيمون بالأروقة التى اقيمت لسكناهم منتسبة إلى دولهم كرواق المغاربة ، ورواق الشوام ، ورواق الأروام أو الاتراك ، ورواق الأكراد ، ورواق الهنود ، ورواق البرابرة ، ورواق البغدادية ، ورواق السليمانية الخاص بالطلبة الأفغان وما وراء النهر ، كما كان للطلاب المصريين أروقة منتسبة إلى بلادهم : كرواق الصعايدة ، ورواق



البحاروة ، ورواق الشرقاوية ورواق الشنوانية ، ورواق الفشنية .. كما كان هناك أروقة تنتسب الى المذاهب الفقهية : كرواق الحنابلة ، ورواق الحنفية .. وهذه الأروقة تعتبر بمثابة المدن الجامعية فى الاصطلاح الحديث ، حيث كان الطلاب يقيمون فيها ويأكلون ويشربون مما يصرف لهم تحت مسمى « الجراية » .. ولقد تطورت هذه الأروقة وأنشئت مدينة سكنية للطلاب الوافدين لتلقى العلم فى الأزهر الشريف تعرف بمدينة البعوث الاسلامية .

ولقد انبثق عن الجامع الأزهر فى مسيرته المباركة معاهد علمية أخرى !.. فكان الجامع الأحمدى بطنطا مقصدا لطلاب العلم من أبناء المنطقة وما حولها .. ثم اتسع نطاق الدراسة فى الأزهر ، وأنشئت عدة معاهد أسست وفق نظم تتلاءم مع التطور فى تلقى العلم ، وكانت هذه المعاهد على قلتها زاخرة بالطلاب ، وتخرج فيها ائمة كبار ، وعلماء مرموقون .

ولقد بلغ عدد المعاهد التى انشئت على مستوى الجمهورية حتى فترة تولى الشيخ الظواهرى ـ عليه رحمة الله ـ مشيخة الأزهر وما بعدها سبعة معاهد موزعة على انحاء مصر .. فكان هناك المعهد الأزهرى بالقاهرة ، ومعهد الاسكندرية ، ومعهد الزقازيق ، ومعهد اسيوط ، ومعهد طنطا ، ومعهد دسوق ، ومعهد دمياط .. ولم يكن للمرحلة الجامعية فى الأزهر الا الكليات الاساسية الثلاث : كلية الشريعة ، وكلية أصول الدين ، وكلية اللغة العربية .

وبعد صدور قانون اعادة تنظيم الأزهر الصادر تحت رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ انشئت الى جانب هذه الكليات كليات اخرى علمية ومعملية : كلية الطب ، والهندسة ، والصيدلة ، والعلوم والزراعة والتجارة ، والتربية ، واللغات والترجمة ، والدعوة ، والدراسات الاسلامية والعربية ، والدراسات الانسانية ، وهذه الكليات منها ماهو مخصص للطلبة وما هو مخصص للطالبات ، وصارت جامعة الأزهر ممتدة الأرجاء ، لها فروع فى العديد من الأقاليم وجميع المحافظات حتى بلغ عدد كليات جامعة الأزهر احدى واربعين كلية .

● نهضة شاملة ●

كما انتشرت المعاهد الأزهرية فى جميع ارجاء مصر ، ووصلت قراها ونجوعها ، حتى بلغت المعاهد الأزهرية الابتدائية الى مالا يقل عن ١١٤٨ معهدا ، والأعدادية الى ما لايقل عن ٦٩٢ معهدا ، والثانوية إلى ما لا يقل عن ٣٨٠ معهدا ، والمعلمين ١٩ معهدا ، والقراءات ٢٤ معهدا ، بالأضافة الى معهد البعوث الاسلامية ، وهو معهد خاص بالطلاب الوافدين من غير العرب .. وهناك ايضا المعاهد النموذجية الحديثة ، والتى اتجه الأزهر الشريف الى انشائها ودعمها والأهتمام بها والاكثار منها .. وتمتاز عن غيرها من المعاهد بتعليم اللغات



ظل الأزهر كعبة للمعرفة ومعقل للثقافة الاسلامية مئات السنين

الأجنبية من مرحلة الحضانة .. حتى يتمكن الأزهر من أداء رسالته كاملة بالنسبة للدول التى لاتتكلم العربية وذلك بعد جنى ثمار هذه النوعية من المعاهد ، وتخريج دفعات منها ، وقد بلغ عدد المعاهد النموذجية التى تم انشاؤها حتى الآن ١٥ معهدا ..

وانطلاقا من عالمية رسالة الأزهر الشريف المرتكزة على رسالة الاسلام يقوم الأزهر الشريف بالأشراف على معاهد أزهرية خارج مصر ، تطبق فيها مناهج الدراسة فى معاهد الأزهر ، ويعمل فيها اساتذة من الأزهر ويحصل طلابها على كتبهم الدراسية من الأزهر .

ومن ذلك مثلا .. معاهد الأزهر فى كل من : تنزانيا ، ونيجيريا ، والصومال ، وتشاد ، وغزة ، والسودان ، وأزهر لبنان وغيرها ..

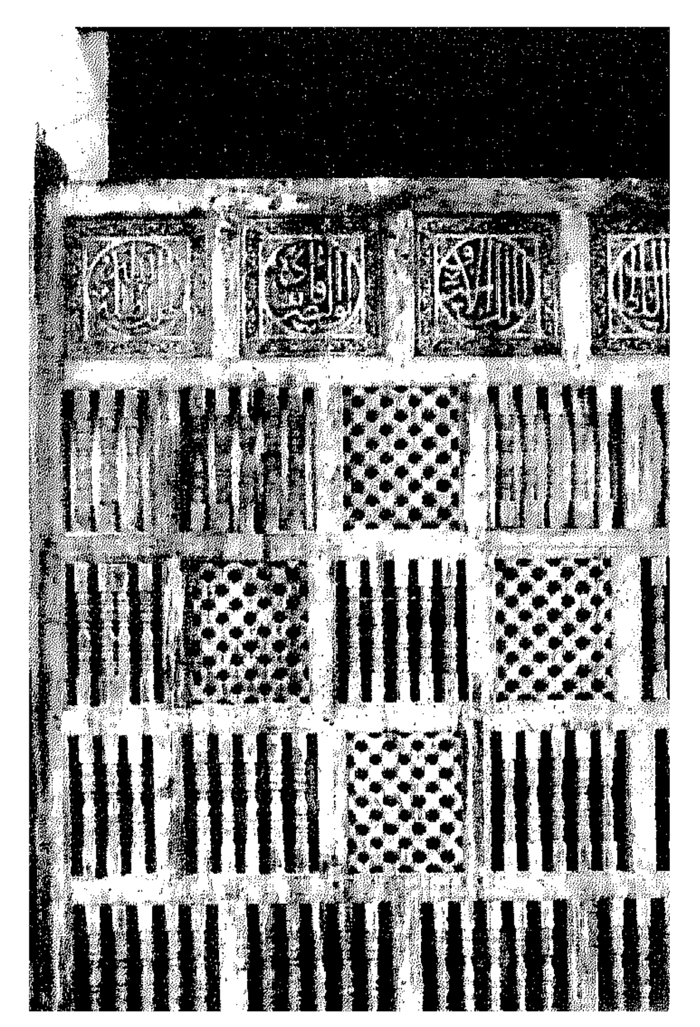
● أشهر مكتبات العالم ●

وللأزهر مكتبة تعتبر من اشهر المكتبات فى العالم ، يعرفها اهل البصر بالكتب والباحثون من شرق وغرب ، حيث يشيرون الى ما فيها من نفائس المخطوطات فى مؤلفاتهم عن الكتب والمكتبات وقد بلغ عدد كتبها اكثر من ثمانين الف كتاب تقع فيما لايقل عن اربعة وثمانين ومائة الف مجلد هذا فيما عدا ما نهبه الفرنسيون من كتبها الثمينة عند اقتحامهم للأزهر ابان



حملتهم على مصر ، وتشغل مكتبة الأزهر الآن ستة امكنة متفرقة فى داخل الجامع الأزهر وهي : المدرسة الأقبغاوية ، والمدرسة الطيبرسية ورواق الأتراك ، والرواق العباسي ، ورواق الشام ، ورواق المغاربة ، وتؤدى مكتبة الأزهر دور المكتبات العامة التى تزود راغبى الثقافات بالمواد العلمية فى جميع فروعها ، غير

حفر على الخشب . الطراز المعمارى نموذج واضح فى جامع الأزهر



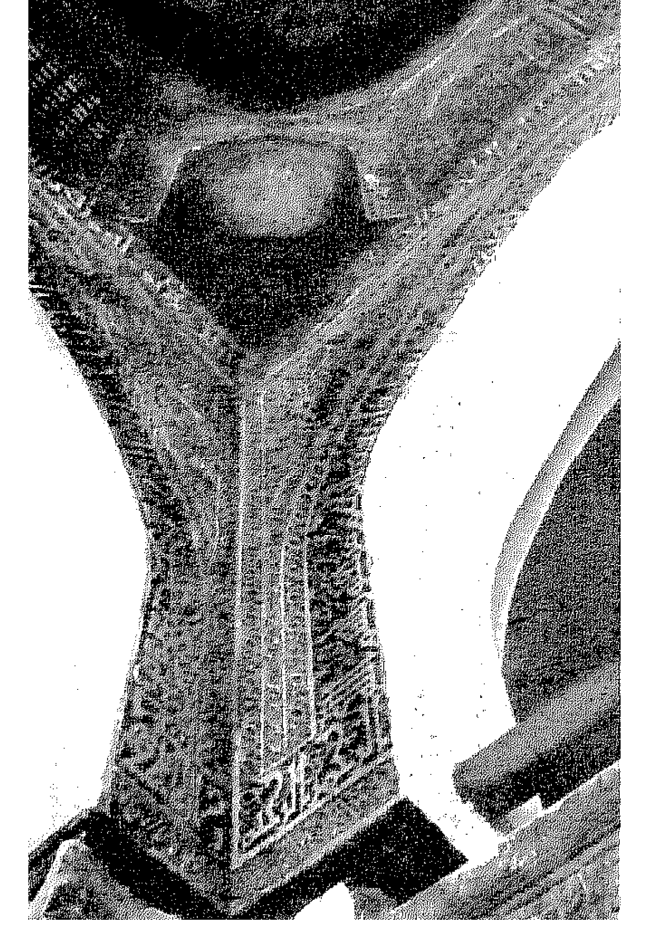
انه من الملاحظ ان أكثر روادها من الدارسين بالدراسات العليا ، والباحثين من الاساتذة ، ومن هم على مستوى كبير من الثقافة حيث يرجعون الى المصادر النادرة من المخطوطات والمطبوعات التى تضمها المكتبة والتى كثيرا مالا توجد فى غيرها . وقد تم انشاء مبنى جديد لتلك المكتبة اقيم فى حديقة الخالدين بالدراسة ، وتتوافر فيه مظاهر المكتبات العصرية ذات المستوى الرفيع واستعداداتها وعما قريب سيتم نقل محتويات المبنى القديم الى المبنى الحديث بإذن الله .

كما أنه انطلاقا ايضا من عالمية رسالة الأزهر الشريف ، يوفد الأزهر علماءه ومعلميه من سائر التخصصات العلمية الى أرجاء العالم الاسلامى وغيره للقيام بالدعوة الاسلامية ونشر الثقافة العربية ، ويصل عدد العلماء الذين يوفدهم الأزهر كل عام الى ارجاء العالم الى اكثر من خمسة آلاف عالم .. هذا بالأضافة إلى استقباله لطلاب العلم الوافدين اليه من شتى بقاع الدنيا ، وتمكينهم من الدراسة فيه وتقديم العون والرعاية لهم ، ولقد زاد عدد المنح الدراسية التى يخصصها الأزهر كل عام لطالبى العلم فيه من غير المصريين على الف منحة دراسية ، ويهدف الأزهر الشريف من وراء ذلك إلى تثقيف هؤلاء الطلاب ، وحصولهم على أوفر قسط متاح من العلوم والمعارف ، ليعودوا بعد ذلك الى بلادهم حاملين رسالة الأزهر الى ذويهم ..

ولم يكتف الأزهر بذلك ، بل إنه يقيم دورات تدريبية تستغرق كل دورة ثلاثة

شهور للأئمة والدعاة من أبناء العالم الاسلامي ومناطق الاقليات .. حيث يستضيفهم الأزهر ، ويختار لهم نخبة ممتازة من كبار علمائه المتخصصين ، ليزودوهم بدراسات ومعارف هم في مسيس الحاجة اليها . تؤهلهم لحسن الزود عن الاسلام ، ومواجهة التيارات المنحرفة والمضللة ، ومقاومة الغزو الفكرى الذى يشنه اعداء الاسلام ، وعرض الاسلام بصورته الوضيئة المشرقة ، والدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ..

وعلى هذا .. فإن الدور الذى يقوم به الأزهر الشريف دور هام ورئيسى .. ليس فى تاريخ مصر فحسب .. بل فى تاريخ الأمة العربية والشعوب الاسلامية على مر العصور والأزمان .



فى عمارة الأزهر ، تحول الخط العربى الى لوحات فنية فريدة

● دور بارز

والازهر الشريف فى مسيرته لأداء رسالته : كان له - ايضا - دوره السياسى البارز ودوره الروحى الخالد فى مقاومة تيارات الألحاد والانحرافات والمذاهب الهدامة ، وحملات التنصير ودعاة الفوضى والانحلال ، كما كان الازهر الشريف ملاذا لعامة الناس ، يهرعون اليه فى الأزمات ملتمسين من علمائه الارشاد والتوجيه ، ملقين اليهم بالقيادة الرشيدة الحكيمة ، فيجدون لديهم وعندهم مواطن أمنهم ، وتفريج كرباتهم ، وحل أزماتهم ، إذ لم يكن موقف الأزهر الشريف يوما موقفا سلبيا من الحياة العامة ، بل شارك فيها بدور ايجابى وفعال على مدار العصور .

وان كان الاستعمار - مع امده الطويل وأساليبه الملتوية - قد نجح فى أن يعوق حركة الأزهر فى النمو والأزدهار ، لكنه فشل فى صرفه عن غايته وأهدافه التى تغياها وعمل ويعمل لاستمرارها متابعة لماضيه الذى يفخر به كل مسلم ، وحاضره الذى أخذ منه وضعه العالمى فى كل انواع المعرفة .

فتحية للأجيال الكثيرة التى اسهمت فى خدمة الأزهر بمال او بفكر ، وتحية لأولى الامر الذين خدموا الأزهر عبر التاريخ ، وخدموا الاسلام به ، وتحية لشيوخه الاجلاء الذين حفظوا تراث الاسلام وطوروا فى الدراسات الاسلامية ، وانتقلوا بالفكر الاسلامى نقيا وضاء من جيل إلى جيل .



لغة الكراسى .. والطوب .. لقطة حية

كيف يعود إلى مصر وجهها الجميل ؟!

بقلم . د . مصطفى سويف .

هذا حديث قصدنا به الى تزكية المزيد من الوعى بما يكتنف حياتنا الاجتماعية من أخطار ، حتى تتضح الرؤية ، ويصح العزم على التغيير ، فنعرف من أين والى أين .

ولست أجادل فى أن مصر التى أعنيها فى عنوان هذا الحديث ، وهى مصر النصف الثانى من القرن العشرين ، طرأت على وجهها ألوان من الاحداث والتغيرات تتفاوت فيما بينها حسنا وقبحا ، أو خيرا وشرا . ولكنى أزعم أن التشوهات التى تنطوى على القبح والشر أكثر عددا وأشد وطأة من نظائرها التى تُظهر الحسن وتبشر بالخير .



وسع .. الدنيا زحمة

● وقد حاولت جاهدا أن أستقصى أنواع التشوهات لا جزئياتها ، فاستطعت أن أحدد منها خمسة أنواع ، تندرج تحتها آلاف الامثلة التى تفاجئنا كل صباح وكل مساء وليس هناك مايمنع من أن يضيف غيرى من الكتاب الى هذه القائمة أنواعا جديدة ، فلست أدعى ولا أظن أن قائمتنا هذه تقدم حصرا شاملا بآفاتنا الكبرى .

وفيما يلى نبسط هذه الأنواع الخمسة .

١ ـ التسيب الشخصى :

ونقصد به هنا السلوك غير المنضبط الذى يصدر عن فرد لايلتزم بالقواعد المرسومة اجتماعيا أو قانونيا للسلوك فى مواقف بعينها ، وهناك أمثلة لا آخر لها من السلوكيات التى تندرج تحت هذه الفئة . أنظر مثلا فى الطريقة التى يسير بها أفراد كثيرون فى الطريق . يسير هؤلاء فى خطوط متعرجة . لا لأن الشوارع مزدحمة كما هو الحال أحيانا ، ولكن حتى والشوارع خالية نسبيا من المارة . يضاف الى ذلك أنهم لايمشون بسرعة متسقة ، بل نجدهم يبطئون أحيانا ويسرعون أحيانا أخرى ، وقد يتوقفون فجأة ، أو يستديرون فجأة ليتجهوا ذات اليمين أو ذات الشمال أو الى الخلف . ويتضاعف هذا المشهد شدة وتعقدا اذا كان الشخص يسير برفقة صاحب أو أصحاب .

هذا نموذج غالب الآخر فى السير فى طرقاتنا ، لافرق فيه بين صغار وكبار . ولا بين ذكور وإناث .

● سلوك غير حضارى !

وانظر كذلك الى الأسلوب الذى يقود به الكثيرون سياراتهم الخاصة (والتاكسى) : الأساس هو السير فى طريق متعرج ليسبق السيارات الأخرى ،

والسير بسرعة جنونية ، والانحناءات المفاجئة ، والوقوف المفاجىء فى عرض الطريق ، أو على يساره ، والسير فى المساء بأضواء مطفأة ، أو بالضوء الباهر ، واستخدام البوق باسراف وربما دون أى مبرر على الاطلاق . وربما استخدم البوق لاطلاق إيقاع لاعلاقة له بالقيادة أو بالآداب العامة .

ونلمح هذا النمط نفسه من السلوك المتسيب يصدر عن اشخاص عديدين فى مواقف أخرى ، غير مواقف السير وقيادة السيارات . المؤسف حقا أن الأمر لم يعد وقفا على فئة معينة من الاشخاص دون غيرها من الفئات ، لا من حيث العمر ولا الجنس ولا المكانة الاجتماعية أو الوظيفية . ولانزال نذكر الكتابة الصحفية التى ظلت تطالعنا بها صحيفة بالغة الاحترام كل صباح لمدة ستة عشر يوما متوالية ، حول الفنانة المغربية التى وجدت جثة عارية (مقتولة) فى نهاية حفل ساهر فى بيت أحد الفنانين الموسيقيين !

٢ ـ مظهريات تنم عن فساد الذوق العام :

الأصل فى صفحة الوفيات فى الصحف اليومية أنها لافتة للاعلام على أوسع نطاق ممكن عن وفاة فلان أو فلانة ولهذه العملية أصول أجتماعية ضاربة فى أعماق التاريخ الاجتماعى للمجتمعات البشرية ، يحدثنا عنها علماء الانثروبولوجيا .

وقد أتخذت على مر التاريخ أشكالا متعددة ، كان آخرها هذا الشكل الحديث الذى يذاع فى الصحف . وكان الأمر حتى عهد قريب يسير فى إطار الاحترام الواجب نحو الموت وما يحيط به من معان وتداعيات . ولكن فى خلال العشرين سنة الاخيرة أو نحو ذلك ، بدأت التغيرات تزحف قليلا قليلا لتشوه هذا الوجه الوقور ، حتى وصلنا الى الصورة الراهنة . وفيها نوع من البهرجة ينم عن **فساد الذوق وضحالة الوجدان** . فى هذه الصورة الجديدة يبدأ العمود فى صفحة الوفيات بنعى فلان أو فلانة . وبعد أن ينتهى النعى المعتاد إذا بسيل من المرثيات ، كل مرثية تستغرق سطرين أو أكثر قليلا ، تحتها توقيع من الزوج أو الزوجة ، أو الابن أو البنت أو الاحفاد ، أو الخال أو العم ، أو أبن الخال أو ابن العم ... الى آخر مايمكن أن يتصوره المرء من دوائر الأقرباء والاصحاب فإذا نظرنا فى مضمون هذه المرثيات وجدناه يشف عن جهد لايتفق وحالة الحزن أو الهلع الذى تحاول أن تصوره ، ذلك انها كتبت بلغة مليئة بالمحسنات البديعية ، من سجع وجناس وطباق ، كما أن بينها تنسيقا على درجة لابأس بها من الاحكام ، لأنك تلاحظ أنها تتكامل فيما بينها فى تقديم صورة جامعة مانعة لمجموع الصفات الحميدة وقد اجتمعت فى شخص المتوفى ، وقلما يظهر بينها تكرار أو تنافر . هذا الى انها مليئة بالفاظ أقرب الى التدليل أو الغزل !!

والتهانى فى صفحة الاجتماعيات لاتقل فجاجة عن المراثى فى صفحة الوفيات فتجد التهنئة موجهة الى "الدكتور فلان الفلانى" بمناسبة ترقيته الى أستاذ

مساعد .. وعقبال الاستاذية ، او تجد التهنئة موجَّهة الى "الاستاذ الدكتور فلان .. لنيله درجة الاستاذية - والتوقيع" والدك ووالدتك ، أو "خالك" أو "خالتك" وتشعر فورا بأن هذه التهانى بهذه الصورة لاتليق بالمقام ، وانها تقلل من شأن من هى موجهة اليه ، وتضعه فى مستوى التلميذ الصغير الذى نفرح به ونشجعه ! وقل مثل هذا فى التهانى الموجهة الى الضابط والطبيب والقاضى .

وتنتظم تحت البند نفسه ، بند المظهريات ذات الذوق الفاسد - أشكال الافراح بليالى عقد القران والزفاف ، التى شاعت كذلك فى العقدين الأخيرين بصورة لم نشهدها من قبل ، بدءا من مواكب السيارات وما تحدثه من صخب مقصود بأبواقها ، وما قد يصحبها من اعداد كبيرة من الدراجات البخارية تطلق فرقعات لا اخر لقبح ضجيجها ، الى ما أولع به عديد من الأسر من أن تسير الزفة بالعريس والعروس على الأقدام وسط المدعوين بضع عشرات من الأمتار فى الطريق العام ، الى هذا اللون من الغناء الصاخب الذى لا يميز أى صوت آدمى ولا أى لحن موسيقى لكن يقرع أذنيك صوت الدف بصورة بالغة العنف .

وكذلك يندرج تحت بند المظهريات التى تنم عن فساد يشيع فى الذوق ما تراه من إصرار على استعمال مكبرات الصوت فى الحفلات الخاصة ، وفى الافراح وفى المآتم ، بل وفى أداء الشعائر الدينية ، وهناك إصرار على أطلاق هذه المكبرات الى خارج أسوار المكان الذى تدار فيه هذه الأمور ، ويترتب على ذلك احيانا ما يتعارض وأبسط قواعد احترام المقدسات ، فقد يحدث أن يتجاور سرادقان أو أكثر تدار فى كل منها مراسم المأتم بما فى ذلك قراءة آيات القرآن الكريم فى مكبرات الصوت ، فإذا بالأصوات الصادرة عن المكبرات تتداخل وتتضارب بصورة تتضارب مع كل جلال الموقف ، وتعبث بكل ما فى النفس من مشاعر الوقار والتوقير ، وقد شكا الكثيرون من هذه الظاهرة على صفحات الجرائد ، وصدرت عن الحكومة اوامر وقرارات لا آخر لها ، ولكن زادت الشكوى ، وتعددت الأوامر والقرارات الحكومية ، ازدادت جرأة مكبرات الصوت وأصحابها ، فتتوارى أصوات الشاكين ويبلعون شكاواهم ، وتسكت الحكومة عن تنفيذ قراراتها .

٣ - الغوغائية :

يتصف السلوك بالغوغائية كلما كان اقرب الى الهياج الانفعالى منه الى التفكير المتروى ، وأشد ميلا الى التدمير والعدوان منه الى البناء والمساندة ، وكذلك كلما اتجه صاحبه فى إدراك مواقف الحياة الى التبسيط المخل فلا يرى فيها الى الابيض والأسود ، ولا يرى فى الاشخاص الا صديقا أو عدوا ، ولا يشترط فى السلوك الغوغائى أن يصدر عن الجماعة بل قد يصدر عن فرد واحد ويكون حظه من الغوغائية كبيرا .

وقد شاعت الغوغائية فى سلوك الكثيرين جماعات وافرادا .

وربما كانت أوضح النماذج أمامنا ما يحدث فى ملاعب الكرة ونشهده على

شاشات التليفزيون ، وما يحدث كذلك فى كثير من الحفلات الغنائية العامة ، فهناك الهيـاج الانفعالى ، والمـزايدة بين المجموعات المختلفة على الانطلاق مع هذا الهياج .

وهناك نماذج أخرى لا تقل غوغائية عن هذين النموذجين ، السيارات التى تزرع طرق المدينة ذهابا وايابا ، وقد تدلى منها علم يشير الى النادى الكروى الذى انتصر ، وشباب داخل السيارة بنصف أجسامهم . والنصف الآخر يبرز من نوافذها ، وهم يصرخون بهتافات الانتصار الساحق ، وفى الوقت نفسه ينطلق بوق السيارة ليعينهم على ضبط الايقاع .

وتفصح الغوغائية عن نفسها فى أشكال أخرى أدق وأرهف مما ذكرنا ولكنها تظل غوغائية فى جوهرها .

يحتدم الجدال على صفحات الجرائد أحيانا بصورة شديـدة الغوغـائية ، فالاطراف المشاركة كلها فى حالة هياج انفعالى ، اتهامات متبادلة ، ويتجه كل طرف الى استعداء قوى معينة ضد الطرف الآخر .

ويمكن أن ينقضى المقال بأكمله دون أن تساق فيه معلومة واحدة يتعامل معها عقل القارىء . وفى هذا الاطار يسود التبسيط المخل فيما يتعلق بتشخيص موقف الطرف الآخر ، فإذا كان فى لهجته ما يشير الى قدر من التدين فهو غالبا من دعاة الجهاد أو التكفير والهجرة ، واذا كانت تشغله معانى العدالة الاجتماعية فهو شيوعى وغالبا ملحد وعميل ، واذا كان يرى أن نتيح للقطاع الخاص دورا فعالا فى الاقتصاد القومى فهو رأسمالى مأجور للغرب وغالبا للامريكان ، وهكذا وهكذا ، وفى السنوات الأخيرة لم يعد هذا الاسلوب يقتصر على الكلمة المنشورة فى الصحف ، بل أصبح يتعدى ذلك الى المحاضرات العآمة وما تستثيره من مناقشات وتعليقات .

وقد أصبحت البيئة المصرية شديدة الخصوبة فى توليد اشكال ومستويات جديدة من الغوغائية ما أظن أحدا كان يحلم بها منذ عقدين من الزمان ، والأمثلة على ذلك ما يحدث الآن فى نقابة المحامين ، وما حدث من قبل فى نقابة التجاريين وفيما بين الأثنين ما يقع فى مقار بعض الأحزاب .

٤ ـ الافتراء على الحق :

قد يكون الافتراء بالقول فيتخذ شكل الادعاء الكاذب ، وقد يكون بالفعل فيتخذ شكل العدوان العملى على الحقيقة وتغيير معالمها أو طمسها . وقد شاعت هذه الظاهرة ولا تزال تزداد شيوعا فى مجتمعنا

ومن أوضح الأشكال التى نشهدها منذ سنوات ما يمكن أن نسميه أحاديث المناسبات ، يقع حادث معين يلفت النظر لشذوذه عن المألوف ، وبعد يوم أو يومين تمتلىء الصحف بالمقالات والتعليقات التى يتصدى أصحابها لتفسير الحادث ، علما بأن أصحاب هذه التعليقات لم يكونوا من شهود الحادث ولا عرفوا شيئا عن ملابساته سوى المعلومات المحدودة

والمهوشة التى جاء ذكرها عرضا فى الجريدة التى روت الحادث . هكذا كان الحال بالنسبة لموضوع الشاب الذى قتل امه وأباه وموضوعات الزوجات اللاتى قتلن ازواجهن ، والشاب الذى قاد سيارته لاقتحام قصر رئاسة الجمهورية ومع عشرات من حالات أخرى من نفس الطراز ، وهكذا كان الحال أيضا مع إدمان المخدرات ، وسيل المقالات الصحفية الذى انهمر حول هذا الموضوع .

هذه أمثلة واضحة للافتراء بالقول .

أما الأفتراء بالفعل أو بالعمل فهناك امثلة أخرى تشهد بشيوعه أيضا ـ خذ ظاهرة الغش الجماعى فى امتحان المدارس والمعاهد ، ففى ممارسة هذه الظاهرة يتعاون الابناء والاباء والأقرباء والمعارف ، الكل يتعاونون فى عمل جماعى هدفه تشويه الحقيقة وطمس معالمها : الحقيقة أن هؤلاء التلاميذ لا يعرفون علومهم ، فليتعاون الكل إذن على تشويهها ، بل وطمس معالمها ، وبهذا الفعل الجماعى ، الغش والتغشيش ، يصبح التلاميذ وكأنهم يعرفون دروسهم .

ومثال صارخ اخر على الافتراء بالعمل : طلعت علينا الجرائد منذ أسابيع قليلة بتقرير عن نشاط مباحث شرطة السكك الحديدية ، واذا التقرير يثبت أنه فى خلال أسبوعين أثنين فقط (لعلهما الأول والثانى من فبراير)تم ضبط ١٣٨ الف راكب بدون تذاكر ، و٤١ الف طرد بدون ترخيص !!

٥ ـ اللا قانونية واللا دستورية :

تختلف هذه الظاهرة عن التسيب والغوغائية ، والأفتراء على الحق بأنها تصدر عن جهات محددة فى سلطة الدولة ، فى حين أن الظواهر سالفة الذكر تصدر عن المواطنين .

فحتى بضع سنوات خلت كانت سلطة الدولة تساعد ما كان يسمى بالفئات المستثناة فى الالتحاق بالجامعات ، الى أن وجد من يعترض ، ويشكو السلطة التنفيذية الى السلطة القضائية ، واذا القضاء يحكم بعدم دستورية هذه الممارسة .

وحتى الآن يستمر العدوان على مواد القانون المنظم للجامعات ، من جوانب متعددة فى السلطة ، وحتى الآن يستمر العدوان على القانون المنظم لتشييد المبانى والعقارات ، وهو يتم باسم جوانب محددة فى السلطة ، وحتى الآن لا تزال مجموعة القوانين المعروفة باسم القوانين سيئة السمعة قائمة مع ان كثيرا من الأصوات ارتفعت تطالب بالغائها على أساس أنها معارضة للدستور .

أما بعد :

فهذه هى التشوهات الجسيمة التى طرأت على وجه مصر ، محصورة فى الفئات الخمس التى حاولنا تحديد معالمها ، وقد أوردناها هكذا مكثفة لتشغل بؤرة انتباهنا ، عسى أن يكون فى ذلك ما يحفز الهمة نحو التغيير الى الافضل .

أما عن منشأ هذه التشوهات وأسبابها ، وكيفية تفاقمها على هذا النحو ، فذلك أمر له حديث آخر ، وأما عن الطريق الى التغيير فمسألة تحتاج الى أحاديث أخرى .

الابداع البشرى

دراسة فى أعماق « وعى الانسان »

بقلم: مجدى نصيف

● هؤلاء الفنانون والعلماء والعباقرة لم يستطيعوا الإجابة بأنفسهم على هذا السؤال . خاصة هؤلاء الذين ألغوا التحليل المنطقى والدراسة العلمية .

لذا يظل السؤال مطروحا ، وقد تجلى الاهتمام بهذه المسألة فى العقد الأخير ، وتجسد فى عدة ندوات لدراسة الابداع خصص مؤتمر منها عقد أخيرا ، لمناقشة «الادراك الفنى والعلمى» تعرض فيه فلاسفة وعلماء وفنانون وعلماء اجتماع بارزون لتقييم وتحليل القدرات الخلاقة للإنسان .

● جوته واينشتاين

كان جوته الشاعر الألمانى العظيم يقول دائما «أن الابداع الشعرى الحقيقى هو نتاج اللاوعى» وقال اينشتاين بأنه «لايشك للحظة فى أن تفكيرنا يسير متخطيا الرموز (أى الكلمة) كما أنه يتم بصورة لاواعية» (وهو يقصد هنا بالتفكير ، التفكير الابداعى الخلاق) .

فملكة الإدراك والتفكير هى سمة أساسية مميزة للإنسان ، تفرقه عن الحيوانات فى قمة المملكة الحيوانية ، وأى انجاز خلاق يحفظ فى «مخزن خبرات» الفرد وبالتالى فى «مخزن خبرات» البشرية جمعاء . من هنا ، فالمغزى الاجتماعى لعملية الخلق لايتحقق إلا إذا سهلت عملية التفاعل الواعى بين الإنسان والعالم من حوله .

هنا نصل إلى مسألة هامة : فالوعى يتبع فى عملية الابداع مبدأ «اللاتدخل» ، وهو يتبع هذا المنهج بتزمت كبير ، فما السبب وراء هذا ؟

يقول العالم باڤل سيميونوف (مجلة «العلم والحياة» العدد ١١ ـ ١٩٨٧) : «أن مخزون البشرية من الخبرات لايحتفظ الا بما تثبت قيمته عمليا ، وما يضمن التكيف الناجح مع العالم : لذا فان وعينا لا يأخذ إلا مايمكن أن نطلق عليه «الحفاظ على

منذ ظهور الجنس البشرى على سطح كرتنا الأرضية ، كانت وراء تقدم حضارته ، وصولا إلى الثورة العلمية والتكنولوجية ، حيث يظهر كل يوم اختراع ، وكل ساعة جديد .

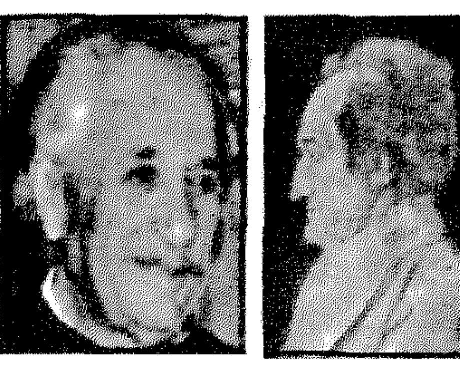
ومع ذلك ، ربما كان التفكير الخلاق هو اكثر الغاز النفس البشرية تعقيدا . فلماذا يمكن لمجموعة من الناس دون غيرها ان تقدم ابداعا فنيا ، او خلقا علميا ، او عبقرية فكرية ؟ كيف يحقق العالم والفنان والأديب والشاعر ماعجز الكيماوى عن تحقيقه منذ القدم ؟ كيف يحقق اى من هؤلاء تحويل «معدن» الانطباعات والعادات اليومية «الرخيص» الى «ذهب» من افكار جديدة واختراع مدهش ورواية مبدعة وقصيدة شعرية ؟

ماهو قائم» ويرفض مايبدو لأول وهلة أنه «لايعتمد عليه بشكل كاف» .

●●●

كان أحد العلماء يتندر دائما بالقول بأنه حين يبدأ سائق الترام فى البحث عن قضبان جديدة للترام الذى يقوده ، فسيخرج عن طريقه المرسوم ، وسيسفر ذلك عن حادث مؤسف . فوعينا لايترك «نفسه» ليتعرض لمثل هذه المواقف .

أن الوعى سيخلق بذلك مشاكل كبيرة إذا ما تسرب إلى «معمل» الابداع البشرى داخل النفس لحظة ولادة فكرة جديدة ، أنه سيدمر بذلك الجنين الذى قد يغذى الوعى ذاته ، ومعه الأفكار الجديدة المشوهة التى لم تكتمل . لذا فعندما تتدفق الأفكار والصور خلال نمو واتضاح الأفكار الجديدة ، فإنما تتدفق بعيدا عن الفوضى حتى تصل عملية الابداع إلى مرحلة من النضج يمكن لها بها أن تتعرض لفحص العين الناقدة ، فيرفض كثيرا من هذه الأفكار . أما مايقبل منها ، فيغوص داخل الوعى ليصبح جزءا من معرفتنا بالعالم حولنا .



جوته — اينشتاين

● وقد يكون هناك تفسير آخر لكون عملية الابداع عملية غير واعية فوعينا مرتبط ارتباطا لا انفصام فيه باللغة ، التى هى تعبير عن تقديرنا للواقع الموضوعى وقد ظهر الوعى واللغة فى مرحلة محددة من التطور الاجتماعى للبشرية ، ليتمكن بنو البشر من التواصل والاتصال ببعضهم البعض ، وبدون هذا التواصل يستحيل



تحقيق العمل الجماعى ويستحيل بالتالى تقدم البشرية إلى آفاق جديدة ، من هنا يشكل الوعى نموذجا للعالم حولنا ، نموذجا متكاملا ، واضحا لا لبس فيه ولا ابهام . فلا يستخلص من بين الثروة اللانهائية للعلاقات بين الأهداف ومظاهر العالم الخارجى سوى عدد صغير فحسب . مهمته تسهيل التواصل البشرى غير أن العالم الخارجى الحقيقى من حولنا أكثر تعقيدا بكثير من صورته فى عقلنا ، فما لايتطابق مع هذه الصورة ، ومالايمكن منطقيا ادخاله فيها ، يظل خارج إطار هذه الصور ولكى ينعكس تعدد اشكال العلاقات بين الظواهر وبين الأفراد ، تنشأ الحاجة إلى نموذج مختلف للتفكير ، نموذج التفكير بالصور ، بدلا من نموذج التفكير بالتركيبات اللغوية والمنطقية التى تحكم التفكير الواعى .

ويشمل نمطا التفكير استخدام الكلمات والصور لكن كل نمط يستخدمها بطريقة مختلفة عن الأخرى تمام الاختلاف ، اذ ينتقى التفكير اللغوى المنطقى عددا محددا فقط من كم العلاقات بين الصور والظواهر فيضمن بالتالى ادراكها بشكل متكامل . ومن نماذج إنتاج مثل هذا التفكير : كتابة مرجع مدرسى أو مقال علمى ، حيث لا غموض فى التعريفات وحيث يمكن التوصل بالمنطق إلى الاستنتاجات المعنية .

غير أن التفكير بالصور قد يحقق تأثيرا مماثلا ولنأخذ على سبيل المثال مايسمى فى «التصوير السينمائى» بـ «تأثير كوليشوف» وهو اعتماد التأثير الحسى عند المشاهد لتتابع الصور على المونتاج

ولنتصور وجها ثابت التعبير ، نريده أن يخلق عند المشاهد احساسا بالخوف ، هنا يضع المخرج صورة جنازة مثلا ونفس الوجه الثابت التعبير ، يمكن أن يبعث لدى المشاهد الاحساس بالجوع إذا تم تركيب صورة مائدة حافلة بأطايب الطعام مثلا .

ونحن نذهب إلى معرض للوحات الفنية لأحد كبار الفنانين ، أو قد نذهب لمشاهدة أحد الأفلام الجيدة فى احدى دور السينما ، فنستمتع بالمعرض وبالفيلم ، أيما استمتاع لكن إذا أردنا أن ننقل استمتاعنا هذا واعجابنا باللوحة أو بالفيلم إلى أحد الأصدقاء منصف ونحكى ماشاهدناه ، فان مانحكيه لايترك فى نفس الصديق أى انطباع بجمال اللوحة الفنية ، أو بروعة الفيلم السينمائى .

وهذا هو بالضبط مايحدث فى الأعمال الفنية التى هى نتاج التفكير اللغوى المنطقى .

هذا بينما يوجد هناك اختلاف فى التفكير بالصورة ، حيث أنه تسجيل لحظى لكل العلاقات الممكنة بين الأشياء والظواهر ، وبسبب التنوع اللانهائى للظواهر فى الحياة ، فإنها تكتسب صفة تعدد اللغة .

كيف يتم ذلك ؟

إن انعكاس الواقع فى «النفس» انعكاس دقيق ، انعكاس لا لبس فيه ولا غموض «فالشىء ذاته» يكتسب صفات تجعله فريدا ، أدق من أدق الكلمات ، لأن الكلمات خارج مضمون محدد الإطار تظل تعميما عاما للغاية .

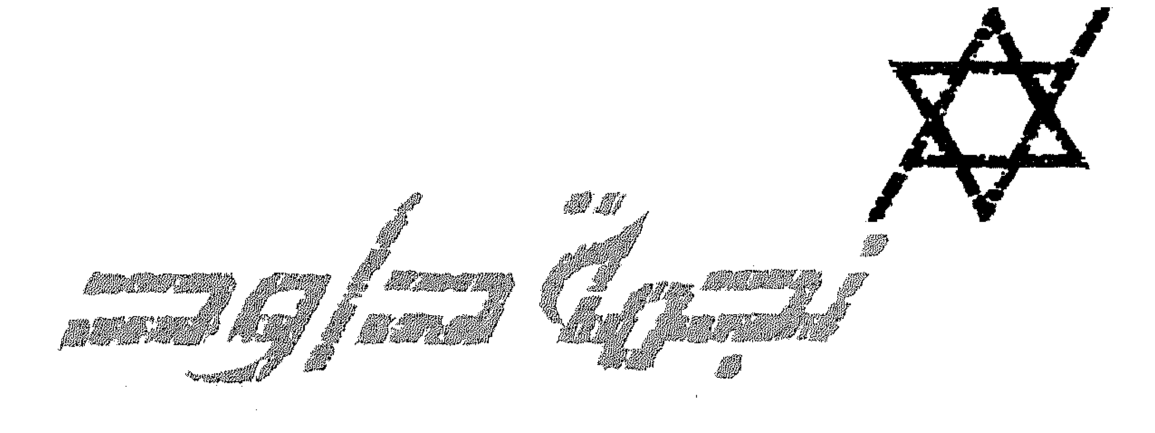
وأى صورة ، فى نفس الوقت ، «متعددة الأوجه» بوصفها نسخة من الواقع ، والمثال الواضح على ذلك هو لوحة سيزان الشهيرة عن التفاح . أن كل تفاحة فى اللوحة متفردة ، تولد انطباعا فريدا ، واحساسا مختلفا .

وفى هذا المفهوم تدخل كل الصفات اللانهائية والأوجه المتعددة للصورة فى علاقة متبادلة مع الصفات اللانهائية لاحدى الصور ، ويطرح التحليل هنا جانبا فى نفس الوقت ، فمن الواضح أن كل المكونات تكتسب صفة تعدد اللغة ، وذلك على عكس المفهوم المنطقى ـ الرمزى .

والأحلام خير مثال طبيعى على مثل هذه الصلة فنحن عندما نحلم ، ننغمس فى صورة «من الأحلام» وكأننا نعيشها خبرة حقيقية ، وحين نستيقظ ونحاول ربط احداث الصورة وأجزاء الحلم بعضها ببعض ، نفاجأ بأنها لا تثير أى إحساس لدينا سوى احساس الراوى الذى يحلم بنفسه أو لدى المستمع لراوية الحلم ، هناك عنصر هام مفتقد عند اعادة رواية الحلم ، الأكثر غرابة اننا نستمر فى أن نعيش هذه التجربة ، دون أن نستطيع التعبير عنها بشكل متماسك .

السبب فى ذلك أن صفة تعدد اللغة فى التفكير بالصور ، لاتعوق التعبير بشكل لغوى ، منطقى منظم فحسب ، وانما تعيق الإدراك أيضا . وهذا أمر يبعث على الفضول حقا ، فنحن نملك معرفة لا نعلم اننا نملكها ، وبالتالى فنحن غير مدركين لها ، ومع ذلك فان القدرة على فهم الواقع فى اشكاله الفنية المتعددة هو شرط أساسى لعملية الابداع سابق عليها .





رمـــز ديـنى أم دنـيوى ؟

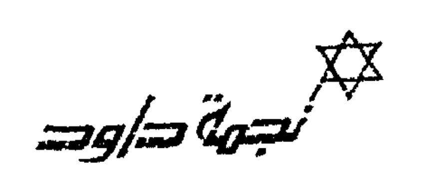
بقلم: د. عبد الوهاب المسيرى • رسم: حلمى التونى

تسمى نجمة داود بالعبرية « ماجن ديفيد » وهى عبارة عبرية معناها الحرفى « درع داود » وهو شكل مكون من مثلثين متوازييّ الاضلاع لهما نفس المركز واحد رأسه الى أعلى والآخر رأسه الى أسفل ويكونان نجمة سداسية أى نجمة لها ست رءوس تلمس كلها محيط دائرة افتراضية ويمكن دراسة تاريخ هذا الشكل على مستويات ثلاثة .

- كشكل هندسى زخرفى
- كعلامة او شارة زمنية على اليهود (كجماعة اثنية او عرقية أو اقتصادية)
- كرمز دينى فى اليهودية

وجدت النجمة السداسية فى النقوش المصرية القديمة والهندوكية والصينية وحضارات أمريكا الجنوبية ، وكانت أيضا رمز خصب كنعانى ، كما وجدت على ختم عبرانى يعود الى القرن السابع قبل الميلاد وعلى قبر عبرانى فى القرن الثالث وعلى معبد يهودى فى الجليل فى نفس القرن وفى مقابر اليهود بالقرب من روما وعلى حوائط القدس وفى أحجبة عربية فى القرن التاسع ونصوص سحرية بيزنطية وفى كتب سحر من العصر الوسيط وفى الفولكلور الالمانى وفى آثار فرسان المعبد (المسيحيين) وهو أيضا أحد شارات الماسونيين الاحرار ووجد على مبنى المدينة القديمة فى فيينا وعلى كثير من الكنائس فى ألمانيا . **كما كانت النجمة توضع على الحانات فى جنوب ألمانيا لأنه كان يقال أن اتباع فيثاغورث حينما كانوا يتسولون كانوا يستخدمون هذه النجمة السداسية لينبهوا رفاقهم أنهم وجدوا فى هذا المكان أهل سخاء وكرم ولايزال الشكل يظهر كزخرفة فى بعض المبانى وان كان هذا نادرا الآن لأن** الشكل الهندسى فقد براءته الزخرفية


حلمى التونى



واكتسب مضمونا زمنيا أو دينيا محددا .
وغني عن القول أن استخدام النجمة السداسية كشكل زخرفي ليس له مضمون يهودي أو غير يهودي .

● النجمة السداسية كعلامة زمنية

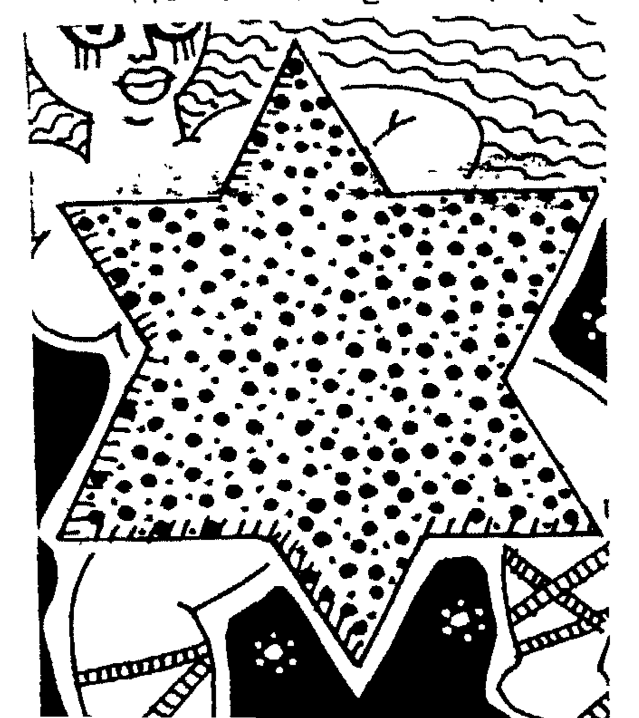
مما تقدم يمكن القول أن النجمة السداسية لم تكن رمزا يهوديا وإنما شكل هندسي وحسب ، ظهر أيضا على بعض المباني اليهودية دون أية دلالة رمزية وانما لأداء وظيفة زخرفية . ولكن في القرن الرابع عشر سمح تشارلز الرابع للجماعة اليهودية في براغ أن يكون لها علمها الخاص الذي صورت عليه النجمة السداسية ومن ثم أصبحت رمزا رسميا (زمنيا) لليهود وليس بالضرورة دينيا .
وقد اتخذه بعض طابعي الكتب اليهود في براغ علامة لهم وانتشر منها الى ايطاليا وهولندا . ويلاحظ أن النجمة السداسية حتى ذلك الوقت كانت مجرد علامة لارمزا دينيا أو قوميا . وقد انتشر استخدام هذه العلامة من براغ الى الجماعات اليهودية الاخرى وقد استخدمها اعضاء الجماعة اليهودية في فيينا في ١٦٥٥ وحينما طردوا منها حملوها الى مورافيا ووصلت منها الى امستردام وان كان يلاحظ أنها لم تنتشر في شرق أوروبا إلا مع بدايات القرن الثامن عشر وفي هذا التاريخ بدأت النجمة السداسية تتحول الى اشارة على اليهود . ففي عام ١٧٩٩ م بدأت تظهر في أدبيات معاداة اليهود كرمز عليهم وفي عام ١٨٢٢ تبنت أسرة روتشيلد في النمسا النجمة رمزا لها حينما رفعهم الامبراطور الى مرتبة النبلاء واستخدمها هاينى الشاعر الالماني المتنصر للتوقيع على خطاباته .
ولم تكن النجمة بالنسبة لكل هؤلاء تحمل أية دلالة دينية أو قومية أو أثنية (فليس لها امتدادات في تواريخ الجماعات اليهودية) ومن ثم يمكن اعتبار أنها علامة ازدادت ارتباطا ببعض الجماعات اليهودية في الغرب ولعل اختيار روتشيلد لها هو الذي منحها مكانة وشرعية خاصة .

● النجمة السداسية كرمز ديني

ويبدو ان عبارة « درع داود » لاتستخدم للاشارة للنجمة السداسية إلا في المصادر اليهودية اذ تستخدم المصادر غير اليهودية عبارة « ختم سليمان » ويبدو أن التسمية الأخيرة من أصل عربي إسلامي (كما أن النجمة الخماسية وهي المنافس الاكبر للنجمة السداسية كان يشاركها باعتبار أنها أيضا « ختم سليمان ») ولكن كيف ارتبطت عبارة درع داود بالنجمة السداسية ، يبدو أنه في الكتابات السحرية اليهودية في الاحجبة والتعاويذ كانت تذكر اسماء الملائكة ومعها النجمة ، وبالتدريج اسقطت الاسماء وبقيت النجمة درعا ضد الشرور واكتسبت النجمة السداسية هذه الصفة الرمزية كدرع ابتداء من القرن الثالث عشر ، ومع هذا استمر استخدام عبارتي درع داود وختم سليمان للاشارة لها بين القرنين الرابع عشر والسابع

عشر ، كما كانت تستخدم عبارة درع داود للاشارة للمينوراة (أى الشمعدان) ولكن بمرور الزمن اقتصر استخدام هذه العبارة على الاشارة للنجمة السداسية وحدها . وكانت النجمة تستخدم فى علاقات الباب (الميزوزاة) فكان يكتب عليها اسماء سبعة ملائكة ويصحب اسم كل ملاك النجمة السداسية . وتتحدث القبالة (كتب التصوف اليهودى) عن العالم العلوى والسفلى المتقابلين . والمثلثان واحد رأسه على أعلى والآخر الى أسفل يصبحان رمزا لهذا التقابل ولحركة الصعود والهبوط وكعلاقة عالم الظاهر بعالم الباطن . وأصبحت النجمة كذلك رمزا للتجليات الالهية النورانية العشرة (السفيروت) حينما تأخذ هيئة شجرة الحياة وهى ترمز أيضا لظهور العالم الأصغر المايكروكوزم (الانسان) من العالم الاكبر الماكروكوزم (الدنيا) .

وكانت النجمة ترمز أيضا الى ظهور الماشيح (أى المسيح المخلص اليهودى) من صدر ابراهيم (ولذا كان يشار أحيانا الى النجمة السداسية باعتبارها درع داود وابراهيم) فكانت



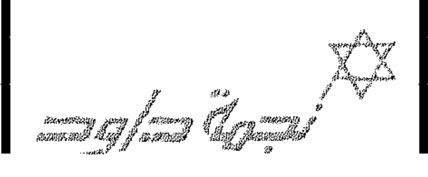
ترمز الى أيام الأسبوع الستة (الأطراف الستة) أما المركز فهو السبت وكانت النجمة أيضا رمزا ماشيحانيا تمثل برج الحوت Pisces (٢١ فبراير - ٢٠ مارس) الوقت الذى كان المفروض فيه أن يظهر الماشيح وأصبح درع داود هو رمز درع ابن داود أى الماشيح وقد استخدمه اتباع شبتاى تسفى (المسيح الدجال فى الدولة العثمانية) وأصبح رمزا سريا للخلاص . وفى الحجاب الشهير الذى أعطاه يوناثان ايبشيوتس (والذى أثار ضجة بين يهود شرق أوروبا فيما يسمى بالمناظرة الشبتانية الكبرى) كان مرسوما عليه النجمة السداسية وكتبت عليها الحروف الاولى لعبارة درع ابن داود .

ولعل اكتساب الرمز لبعض الايحاءات الدينية يفسر لم بدأ ينتشر كزخرف على المعابد اليهودية مع بداية القرن السادس عشر (فى ذات الوقت الذى بدأ فيه انتشار القبالة اللوريانية) .

ولكن لم تتحول النجمة السداسية الى رمز دينى يهودى الا بتأثير المسيحية وتقليدا لها (وهذه ظاهرة عامة بين اليهود ومعظم الاقليات - أنهم يكتسبون هويتهم من خلال الحضارة التى يوجودن فيها لا بالرغم منها)

ولعل تبنى نجمة داود مثلا جيدا على ذلك ، فاليهودية كنسق دينى (على الاقل فى احدى طبقاتها الجيولوجية الهامة والرئيسية) معادية للأيقونات وللرموز تماما مثل الاسلام .

ولكن يهود عصر العتق فى أواخر القرن الثامن عشر أخذوا يبحثون عن رمز لليهودية يكون مقابلا لرمز المسيحية (الصليب) الذى كانوا يجدونه فى كل مكان . وحينما بدأت حركة بناء المعابد

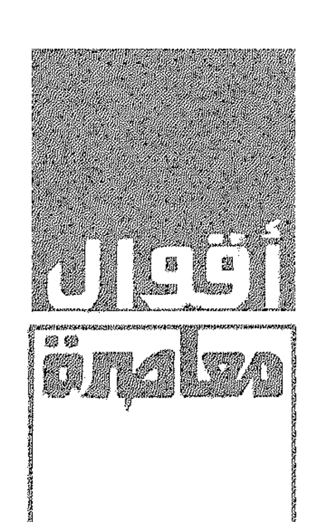


اليهودية على اسس معمارية حديثة اتبع المهندسون (الذين كانوا فى أغلب الاحيان مسيحيين) في ذلك طرز الكنائس المعمارية ولذا كان لابد من العثور على رمز ومن هنا تبنى النجمة السداسية . وبدأت تظهر النجمة على الأوانى التى تستخدم فى الاحتفالات الدينية (مثل كئوس عيد الفصح) وحيث أن النجمة السداسية كانت شائعة فى الاحجبة والتعاويذ السحرية فلم يعارض الارثوذكس فى استخدام الرمز . ومن ثم يمكن القول أن انتشار الرمز فى القرن التاسع عشر هو دليل على أن اليهودية كانت تتآكل وتفقد تماسكها الداخلى ولذا فهى كانت تبحث عن رمز حتى يمكنها أن تعيد صياغة نفسها على أسس مسيحية .

وهنا ظهرت الصهيونية أهم تعبير عن أزمة اليهودية الحاخامية وقد حاولت هذه العقيدة السياسية أن تطرح نفسها بديلا للعقيدة الدينية فتبنت النجمة السداسية رمزا لها (وظهرت على العدد الاول لمجلة "دى ولت" التى أصدرها هرتزل فى ٤ يونية ١٨٩٧ ثم اختاروها رمزا للمؤتمر الصهيونى الأول ولعلم المنظمة الصهيونية وأختيار الصهاينة للنجمة السداسية كان ذكيا ويعبر عن ابهام موقف الصهيونية من اليهودية . فالصهيونية ترفض اليهودية ولكنها فى ذات الوقت تريد أن تحل محلها وأن تستولى على الجماهير اليهودية ولأنجاز هذا الهدف احتفظت الصهيونية بالخطاب الدينى والرموز الدينية بعد أن أعطتها مضمونا زمنيا قوميا . وقد احتفظت الصهيونية بفكرة القداسة الدينية ولكنها خلعتها على الدولة وعلى الشعب وعلى تاريخ الامة - أى أن ثمة تداخل كامل بين الزمنى والمقدس . والنجمة السداسية كانت تتسم أيضا بهذا التداخل فهو رمز كان شائعا بين اليهود ، علامة عليهم ، أى أنه « قومى » ولكنه كان قد بدأ يكتسب ايحاءات دينية دون أن يكون له مضمون دينى محدد - أى أنه كان يحمل قداسة ما ولكنها قداسة ارتبطت بالرمز الزمنى . وابهام مصدر القداسة قد يكون عيبا من منظور دينى ، ولكن من منظور صهيونى فهو يشكل مصدر قوة فالصهاينة كانوا يبحثون عن رمز يجسد فكرة قداسة اليهود لا قداسة اليهودية وهذا ما انجزته نجمة داود .

وقد تبنى النازيون أيضا نجمة داود رمزا لليهود وكان على اليهود ارتداؤها رمزا للفولك أو الشعب اليهودى العضوى ولتمييزهم عن الفلك الألمانى العضوى ولذا أصبحت النجمة مرتبطة فى الوجدان اليهودى بالابادة . ويرى بعض اليهود أن العلامة التى ارتبطت فى الاذهان بذل اليهود وابادتهم لاتصلح أن تكون رمزا لهم ، بينما يرى البعض الآخر أنها لذلك أصبحت رمزا على « تاريخ الشعب » ومهما كان الامر فان الدولة الصهيونية اتخذت المينوراه شعارا لها ولا تظهر النجمة الا على العلم .

ويستخدم الاسرائيليون نجمة داود حمراء كمقابل للصليب الأحمر أو الهلال الاحمر (ويسمى بالعبرية ماجن ديفيد أدوم) وترفض منظمة الصليب الاحمر الدولى الاعتراف بالنجمة السداسية الحمراء رمزا ولذا لم تنضم اسرائيل للمنظمة الدولية .




حسنى مبارك

● «أبوالهول اثر عالمي وليس ملكا لنا وحدنا»

الرئيس حسنى مبارك

● «الجمود الفكرى وقسوة الخوف عدّوان يستدعيان منا الانتباه الدائم»

الرئيس الفرنسى فرانسوا ميتران


فرانسوا ميتران

● «نحن في بداية قصة حب بين اسرائيل وتشيكوسلوفاكيا» .

موشى ارنز
وزير خارجية اسرائيل

● «نحن نسعى من أجل تحقيق المانيا الأوربية ، وليس أوروبا الألمانية»

هانز ديتريش جنشر
وزير خارجية المانيا الغربية

● «لن نودع القرن العشرين . الا ويكون كل بيت فى الغرب وبعض اجزاء الشرق ، وقد اصبح مركزًا الكترونيا كاملا للترفيه والتعليم»

المخرج جان لوك جودار
رائد الموجة الجديدة الفرنسية

● «انا من أسرة لا مستقبل لها كالديناصور»

الدكتور لويس عوض

● «ينبغى ان نختار من البدائل الشرعية كل مايقوى فينا روح العقلانية وحرية الاختيار»

الدكتور حسن حنفى

بيريز دى كويار

● «المخدرات قنبلة موقوتة تهدد قلب حضارة العالم»

بيريز دى كويار
امين عام الأمم المتحدة

ماذا لو تصحرت أمريكا واخضرت افريقيا ؟

بقلم : عبد الرحمن شاكر

ألقى الرئيس الأمريكى جورج بوش خطابا فى مؤتمر دولى بجامعة جورج تاون فى العاصمة الأمريكية واشنطن ، وحضره أربعون من الخبراء العالميين فى شئون البيئة والأرصاد الجوية ومنهم العالم المصرى د / مصطفى طلبه السكرتير العام لمنظمة التنمية والبيئة ، والبروفيسير اوباشى مدير منظمة الأرصاد الجوية .

وطبقا للتقرير الذى نشرته الاهرام ، فقد اثار خطاب الرئيس الأمريكى ازعاج المؤتمر .

فبينما راح يتباهى بأنه أول رئيس أمريكى يحضر مؤتمرا من هذا النوع ، ويعتمد مليار دولار لأبحاث حماية البيئة ، فأنه عبر عن عناد الرأسمالية الأمريكية ، وإصرارها على التوسع الصناعى ، رغم أن مصانع الولايات المتحدة الأمريكة واستهلاكها الواسع للوقود ، فى السيارات والمكيفات وما إليها ، هى المسئول الأول عن تلوث البيئة ، فضلا عن إصرار الرئيس الأمريكى فى مجالات أخرى عن الاستمرار فى برنامجه لحرب النجوم .

● وحديث البيئة اليوم ومشاكلها على كل لسان ، مثل تآكل طبقة الأوزون ، وإرتفاع درجة حرارة الكرة الأرضية ، وذلك بسبب زيادة نسبة غاز ثانى أكسيد الكربون فى الجو ، نظرا للزيادة المستمرة فى إحراق موارد الطاقة من البترول والغاز الطبيعى والفحم والخشب .. الخ . وما ينطوى عليه ذلك من أخطار ، حيث تحولت الكرة الأرضية الى ما يشبه «الصوبة » ، أو البيت الزجاجى للنبات ، فأصبحت تحتفظ بقدر أكبر من حرارة الشمس ولاتردها ، ومن شأن ذلك إذا أستمر أن يؤدى الى تغيرات مناخية واسعة النطاق ، منها ذوبان الجليد فى المناطق المتجمدة عند القطبين . وبالتالى ارتفاع سطح الماء فى البحار والمحيطات ، مما يهدد بالغرق كثيرا من السواحل فى مختلف القارات ، وما عليها من مدن ومنشآت عمرانية ، ومنها أيضا احتمال إعادة توزيع المطر على سطح



هل ينتهى التمثيل الكلوروفيلى من العالم ؟

الكرة الأرضية بحيث تتصحر مناطق كثيرة ولاتزال شديدة الخصوبة مثل السهول الأمريكية ، وبالعكس يمكن أن تخضر صحراوات قاحلة مثل الصحراء الأفريقية الكبرى ، التى كانت الى سنوات قريبة تهدد ما جاورها من مناطق مزروعة فيما عرف بظاهرة التصحر فى افريقيا ، وماترتب عليها من مجاعات .

ويعتبر علماء البيئة أن الدفاع الطبيعى ضد تزايد غاز ثانى أكسيد الكربون فى الجو وهو الغابات مهدد بالدمار ، فالغابات الأوربية كثير منها الآن عرضة للتآكل بسبب حموضة المطر المشبع بالغازات الكيماوية من عوادم المنشآت الصناعية الضخمة التى تقدم فى مختلف أرجاء القارة الأوربية ، وغابات حوض الامازون فى أمريكا اللاتينية تتأكل بفعل الانسان ،

واضطرار الدول المدينة هناك لقطع الكثير منها وبيعها أخشابا للحصول على موارد ضرورية من العملات الأجنبية لتمويل وارداتها . وكذلك الحال بالنسبة للغابات

الاستوائية فى افريقيا ، مما جعل علماء البيئة يقولون بأن الفقر والغنى كلاهما يساهم من جانبه فى تدمير البيئة ! ودفاع الغابات ضد ثانى أوكسيد الكربون هو أن الأشجار تقوم بامتصاص هذا الغاز فى عملية « التمثيل الكلوروفيلى » المعروفة وتحوله الى مواد كربوهيدراتية ، وتطلق بدلا منه غاز الاكسجين ، مما جعل بعض المعلقين يصف غابات الأمازون بأنها « رئة العالم » .

● اخطار عادم السيارات

ويقترح علماء البيئة من أجل الحفاظ عليها ضد هذا الخطر ، أن يقلل العالم الصناعى من إحراق الوقود ، سواء ما يستخدم منه فى الاغراض الصناعية أو فى أغراض الاستهلاك مثل التدفئة والتبريد والانارة وما اليها ، بما فى ذلك ، عادم السيارات الذى له مساهمات كبرى فى تلويث البيئة خلاف إحراق الوقود وزيادة نسبة ثانى اكسيد الكربون فى الجو ، واذكر أن أول اتصال لى بقضية تلوث البيئة هذه ، كان فى هولندا فى عام ١٩٨٤ ، حيث سألت أحد النشطين سياسيا ، ممن يعتبر نفسه من « التقدميين » فى الحزب الديمقراطى المسيحى ، عمن يقصده بهؤلاء التقدميين ، وهل هم من ذوى الميول الاشتراكية فأجاب بالنفى ، وقال إن المسألة أخطر بكثير من أن تكون مجرد توزيع العائد الاجتماعى ، أو الدخول ، ولكنها على حد تعبيره : « أننا نجد فاتورة التقدم الصناعى أمامنا على المنضدة » ثم راح يشرح لى مايقصده بتلك العبارة ، فقال إن تلوث البيئة يمثل خطرا حقيقيا على أسس الحياة فى هولندا ، فقد ماتت كل الاحياء المائية فى أحدى بحيرات السويد بسبب المخلفات الصناعية والمطر الذى تذوب فيه الأبخرة الصناعية ، وخاصة تلك القادمة من بريطانيا العظمى عبر بحر الشمال ، فقد تحول الى مطر حمضى . وتسبب فى إهلاك مساحات هائلة من الغابات الألمانية ، وهو بالنسبة لهولندا يهدد محاصيلها الزراعية ومواشيها ، وأكثر من ذلك يهدد بتآكل التربة الهولندية ذاتها . ومعروف أن هولندا هى الأراضى الوطنية التى أنتزعها الهولنديون بجهودهم من البحر وأقاموا عليها بلادهم ، كان ذلك هو حديث « يانس كلوسنس » الذى التقيت بها فى هولندا ، فى عام ١٩٨٤ ، وكتبت عنه للهلال فى عدد سبتمبر من نفس العام (١) ، والآن فى بداية التسعينات يمكن أن نضيف أن هولندا كلها يهددها الفقر اذا ما أدى ارتفاع درجة حرارة الأرض الى ذوبان الجليد فى المناطق القطبية !

والحل « التقدمى » عند « يانس » هو نشر الوعى بحقيقة أخطار النمو الصناعى فى هولندا وأوربا وسائر العالم الصناعى ، والتقدمى هو من يعمل من جانبه على تقليل استهلاكه من المنتجات الصناعية ، حتى لايضاعف من أخطار الصناعة على حياة بلاده ومستقبلها ـ فإذا كان فى استطاعته أن يكتفى بسيارة صغيرة فلايسعى لاقتناء واحدة أكبر ، واذا كانت الدراجة تغنيه عن السيارة فليكتف بها ، واذا كان يستطيع السير على قدميه فلا داعى لاستخدام الدراجة أيضا ، ويوفر الطاقة المحروقة والمواد المبذولة فى صناعتها .. وهكذا .

ولكن هل يمكن أن يستجيب العالم الصناعى الى دعوات كهذه من التى تصدر عن المهتمين بشئون البيئة ؟ إن أحزاب

الخضر أى الداعين الى حماية البيئة قد أصبحت الآن قوة سياسية ملحوظة فى أوربا ، وقد نجح بعض ممثليهم فى الانتخابات التى جرت خلال العام الماضى للبرلمان الأوروبى ، وقد تحالف الحزب الاشتراكى الديمقراطى فى المانيا الغربية مع حزب الخضر ، مؤملا أن يعود ثانية من خلال هذا التحالف الى الحكم فى الانتخابات النيابية المقبلة ، مستهدفا تحقيق برنامج يدعو الى عدالة أكثر فى توزيع العائد الاجتماعى من ناحية ، ويحاول الدفاع عن البيئة ضد أخطار العصر الصناعى من ناحية أخرى .

ولكن ماذا عن « ديناصورات » العصر الصناعى ، أى الشركات العابرة للقارات والتى تعتبر نفسها وارثة العالم بشقيه ، ليس العالم الرأسمالى وحده ، التى أصبحت هى الصورة الكبرى لعلاقات الانتاج فيه ، بل العالم الاشتراكى أيضا ، الذى شرع يعدل من أوضاعه السياسية والاجتماعية ، ويستدخل آليات السوق ، ويستهدف اللحاق بالثورة التكنولوجية التى تملك مفاتيحها هذه الشركات الكبرى ؟ ومن المعروف أن التكنولوجيا الأكثر حداثة وتطورا كانت ولاتزال موظفة لخدمة هذه الشركات ولصناعة السلاح فى آن معا .

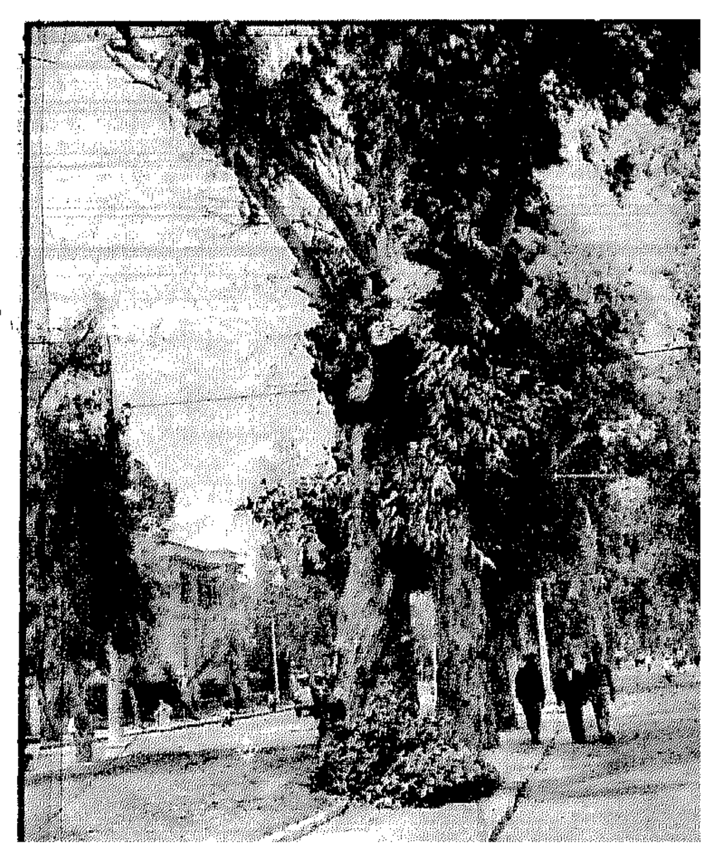
● تقلص صناعة السلاح

إن صناعة السلاح يمكن أن تتقلص الآن بكل ما كانت تمثله من أخطار على الأرض برمتها ، أو استهلاكها الواسع النطاق للموارد سواء فى ذلك الطاقة أو المعادن ، وذلك بعد انتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين حسبما أعلن جورباتشوف وبوش فى لقائهما فى أواخر العام الماضى فى مالطة ، ومعنى تقلص صناعة السلاح أن يتحول قدر كبير من رءوس الأموال الى الانتاج المدنى الذى تتصدره الشركات عابرة القارات ، ويكون فى مقدورها التوسع الكبير فيه سواء لاشباع المزيد من الطلب فى أسواقها الداخلية ، أو الاسواق الخارجية بما فيها أسواق أوربا الشرقية المتلهفة شعوبها على ما توصل اليه الغرب من تقدم صناعى ، وخاصة فى سلع الاستهلاك .

إن جرى الشركات الصناعية الكبرى وراء الربح سوف يجعلها تعرض جانبا أو تقاوم كل دعوة الى حماية البيئة عن طريق التقليل من الانتاج الصناعى واستهلاك منتجاته ، بل أن التنافس بينها سوف يزداد على الأسواق الجديدة التى سوف تنفتح أمامها بحيث تزيد من إهدار المواد الخام فى الانتاج ثم إعادة الانتاج لسلع أكثر تطورا طبقا لما تقدمه التكنولوجيا كل يوم من مبتكرات جديدة ، إلا إذا تداركتها الحكومة والهيئات الدولية بالتشريعات الملزمة بوضع سقف للنمو الصناعى واستهلاك الموارد وتدمير البيئة ، كما يدعو خبراء البيئة فى الأمم المتحدة . وهؤلاء يطالبون باعادة تخطيط الاقتصاد العالمى على نحو يكفل حماية البيئة من التدهور ، ويدعون الى استخدام التكنولوجيا المتطورة ، والفائض الذى سوف يتوفر منها بعد انتهاء سباق التسلح فى حماية البيئة بدلا من تدميرها ، وذلك عن طريق التقليل من استخدام الكيماويات الضارة وايجاد بدائل نظيفة للطاقة بما فى ذلك الطاقة النووية ، التى تسبب حوادث لها مثلما وقع فى بنسلفانيا فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وحادثة تشيرنوبيل فى الاتحاد السوفييتى فى نشوء أخطار لايدرك مداها الآن على البيئة وصحة

الانسان على حد سواء . كذلك يدعو خبراء البيئة الى تطوير الانتاج الزراعى فى الدولة النامية وتوجيه فائض رءوس الأموال اليها لهذا الغرض ، بل مساعدتها على تنمية صناعية معقولة من أجل صيانة مواردها البيئية وفى مقدمتها الغابات . ومن يتصفح التقرير الذى أعدته « اللجنة العالمية للبيئة والتنمية » التى شكلتها الأمم المتحدة فى عام ١٩٨٣ ، وانتهت من عملها وكتابة تقريرها عام ١٩٨٧ ، يجد الوف التفاصيل التى تدعو الى إعادة تنظيم الاقتصاد العالمى برمته ، على صورة تكاد تقارب إدارة « اشتراكية » عالمية لهذا الاقتصاد ! ويكفى أن العنوان الذى كتب تحته هو مستقبلنا المشترك OUR COMMON FUTURE »(٢).

عندما قصوا الخضرة ..
من اجل مخلفات الطيور



هل ستقبل الدوائر الرأسمالية الكبرى فى العالم ، هذا البرنامج « الاشتراكى » الذى وضعته لجنة كانت ترأسها « جرو هارليم برنتلاند » رئيسة وزراء النرويج وزعيمة حزب العمل بها ؟ أم أن حافز الربح سوف يكون اقوى من كل دعوات العدالة الاجتماعية على المستوى العالمى والتخطيط المعقول لموارد العالم الاقتصادية من أجل مصلحته المشتركة ؟

وعلى كل فإن التوازن البيئى لابد وان يفرض نفسه فى نهاية الأمر على صورة أو أخرى . أن معنى أن تركب الدوائر الصناعية الكبرى رءوسها وتصر على التوسع فى الانتاج والاستهلاك الصناعى بهدف الربح فحسب ، دون أية مبالاة بالاعتبارات البيئية ، قد يؤدى كما تقدم فى أول هذا المقال الى ارتفاع درجة حرارة الأرض ، بحيث تتصحر المساحات الخضراء فى الولايات المتحدة الأمريكية وهى أكبر منتج فى العالم للحبوب ، بسبب تحول المطر الى صحراوات مثل الصحراء الأفريقية الكبرى ، فتنمو فى هذه الأبخرة الغابات التى تمتص ثانى أكسيد الكربون ، وتفرز الاكسجين ، وتسمح بالتوسع الزراعى من جديد ، بعد أن كانت افريقيا لاتزال الى أيامنا هذه قارة التصحر والمجاعات « وتلك الأيام نداولها بين الناس »

(صدق الله العظيم)

● تنمية عشوائية

ولكن الأمم النامية ، ومن بينها بلادنا لاتستطيع أن ترتاح الى هذا الاحتمال وما شابهه أو تستقيم اليه ، بل عليها أن تعبىء جهودها الذاتية لاعادة تقويم اقتصادياتها على الأسس الجديدة التى تكشف عنها دراسات البيئة ، قدر ما يمكن ، فقد ورد

ذكر مصر على سبيل المثال فى التقرير المذكور للجنة البيئة والتنمية ، باعتبارها مثلا للتنمية العشوائية للمدن على حساب الاراضى الزراعية الثمينة ، والأراضى الزراعية الثمينة ، والأراضى الزراعية ليست مجرد مصدر للمواد الغذائية وللخامات المطلوبة للأغراض الصناعية فحسب ، بل إنها أيضا مصدر الهواء النقى الذى تفسده المدن الصناعية بالابخرة الكيماوية بما فيها عوادم السيارات إن الماء والهواء - كما يقول التقرير - لم تعد سلعا مجانية فى هذا العصر الصناعى ، بل أصبحت سلعا تحتاج الى جهودات بشرية منظمة للحفاظ على نظافتها وضمان صحة الانسان ، فالماء عرضة للتلوث بمخلفات الصناعة اذا جرى تصريفها فيه . وكذلك الهواء بالأبخرة المتصاعدة من الاحراق والكيماويات ومما يوضحه التقرير أيضا أن الأسمدة الكيماوية حتى ولو كانت على المدى القصير تؤدى الى زيادة المحصول ، وبالتالى تساعد البلدان النامية على زيادة صادراتها فى ظل أوضاع المبادلات التجارية غير العادلة فى التجارة العالمية ، فإن لها آثارها الضارة على المدى الطويل ، حيث أن تشبع التربة الزراعية بالنتروجين الذى تحتويه هذه الأسمدة من شأنه أن يفسدها ويقلل قدرتها على حفظ الماء والمواد الغذائية اللازمة لنمو النبات لذلك لم يتردد تقرير لجنة التنمية فى اسداء النصيحة ، للدول النامية على وجه الخصوص . بإعادة استخدام المخصبات الطبيعية وفى مقدمتها روث البهائم بدلا من الأسمدة الكيماوية وبالمثل الاعتماد على الوسائل التقليدية فى مكافحة الافات الزراعية بدلا من المبيدات الكيماوية السامة ، التى حرمت بعض البلدان المتقدمة بالفعل استخدامها بعد أن تبينت أضرارها على صحة الانسان والحيوان .

إن دورة الحضارة تدور ، واذا كان الانسان قد أمكنه إبداع وسائل جديدة للسيطرة على الطبيعة ، فإن هذه الطبيعة بدورها لها شروطها التى تفرضها ، واصبحت تفرضها الآن بشكل أكثر ضراوة يمكن أن يهدد كل ما بناه الانسان . والتقدم لايمكن أن يكون مطلقا فى اتجاه واحد ، لا بالتوسع الصناعى ، ولا فى إقامة المدن الكبرى التى يتكدس فيها الناس ويحتاجون الى عمائر ضخمة ومرافق شديدة الكلفة ، ومواصلات مرهقة مكلفة بدورها وعاملة على تسميم الهواء الذى يتنفسونه ، بل ذلك لم يعد تقدما بحال من الأحوال ، واسعد الناس من يتاح لهم أن يسكنوا مناطق ريفية ، تحيط بها الخضرة والهدوء حيث يتنفسون هواء نقيا على الأقل ويضمنون غذاء صحيا قريب التناول ، وهذا ماينبغى وضع خطط التنمية على أساسه قدر المستطاع ، وربما كان أكبر فائدة للتكنولوجيا فى هذا العصر هو مايمكنها أن تقدمه فى سبيل إعادة الانسان إلى حياة طبيعية هادئة فى الريف ، من وسائل رى متطورة ، ووسائل لاصلاح المزيد من الأراضى .

واستنبات سلالات جديدة أوفر محصولا .. الخ .. فالرعب الذى يحيط الآن بالمجتمعات الصناعية كفيل بأن يجعلها عبرة لمن يعتبر !

---

(١) فى مقال بعنوان « التيارات السياسية الجديدة فى اوروبا » .
(٢) ترجم إلى العربية ونشرته سلسلة « عالم المعرفة » التى تصدر فى الكويت .

بقلم: د. شكري محمد عياد

القفز على الأشواك

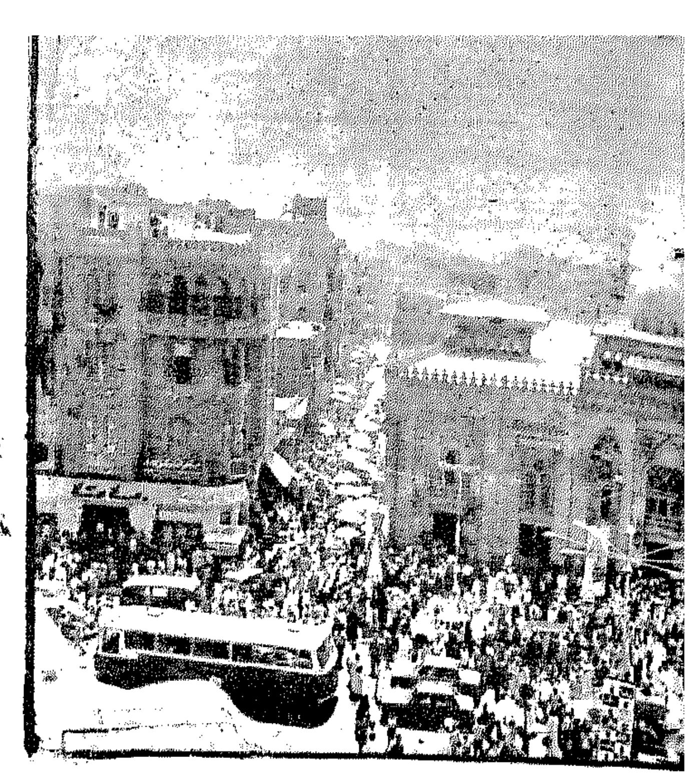


وحوار مع الحياة

يحيى حقى لا يجد الحياة المليئة الا لدى الناس البسطاء .. ربما كانت هذه الفكرة رومنسية فى اصلها ، ولكنها تتجلى عنده بما يشبه اليقين العلمى ، اليس تشبث هؤلاء الصغار بالحياة ، ولو فى ادنى مستوياتها ، استماتة فى سبيل البقاء ، هو أوضح الدلائل على قوة الحياة ؟ يبدو أن هذه الرؤية سيطرت على يحيى حقى خلال سيرته الأدبية كلها ، وفرضت عليه أن يعيد تشكيل اسلوبه مرة بعد مرة لكى يدفع بها الى أعلى مستويات التعبير الفنى . وأهم ما فى هذه الرؤية ـ وهو ما يجعل التعبير عنها نوعا من الضرورة التى تلح على الكاتب ولا تدعه يستريح ـ انه نظر اليها دائما بدهشة تتردد بين التسليم والانكار ، وقد تخف حتى تبعث الابتسام ، وقد تعمق حتى تصل الى حد الشعور بالمأساة .

● هى اذن رؤية مركبة ، وقد تبدو ملتبسة فى بعض الاحيان والألتباس ليس بعيب فى الفن ، بل ربما كان مصدر قوة حين يكون اساسه المحاكاة ، فمحاكاة الواقع الخارجى او الواقع النفسى ، فالواقع الخارجى ليس له وجه واحد ، والشعور الباطنى كذلك ملىء بالمتناقضات . ولكن العمل الفنى الذى يبنى على «مغزى» معين يصبح لذلك قريبا من النثر الفكرى ، ومطالبا ـ من ثمة ـ لا بوضوح هذا المغزى وخلوه من الالتباس فحسب ، بل بأن يكون صحيحا ايضا .

ويجب ان اعترف بأن «قنديل ام هاشم» ـ تلك القصة التى يدين لها يحيى




ام هاشم .. مدد ياسيدتى

يحيى حقى

حقى بشهرته الادبية أكثر من اى عمل آخر ، وبديهى انى قرأتها بدل المرة مرات ـ توقعنى دائما فى نوع من الحيرة ، فهى من ذلك النوع من الاعمال الادبية الذى يختلط فيه المغزى الفكرى «او لنقل الموعظة» بالفن .. لهذه القصة بطلان اسماعيل ، ابن حى السيدة زينب ، الذى بعثه ابوه ـ وهو تاجر ضعيف الحال ـ لدراسة الطب فى انجلترا ، وحى السيدة زينب نفسه ، أو بمزيد من التخصيص ميدان السيدة زينب ، أو بتخصيص اكثر جامع السيدة زينب ، وقلبه النابض وهو المقام ، بقنديله الذى يضاء بالزيت ، وكلما جدد خادم المقام زيته جاءه طلاب البركة ليمدهم بشىء ، من الزيت القديم يعالجون به عيونهم المريضة . يتحدى اسماعيل ـ الذى تخصص فى طب العيون ـ هذه الخرافات ولكنه يسقط من اول معركة ، ويعود الى ابنة عمه فاطمة وبيده زجاجة من زيت القنديل ، ويناد بها قائلا : «تعالى يا فاطمة ! لا تيأسى من الشفاء ، لقد جئتك ببركة أم هاشم . ستجلى عنك الداء ، وتزيح الأذى ، وترد اليك بصرك فاذا هو حديد» .

● الموعظة بالفن

ويقول راوى القصة بعد ذلك ، وهو لسان المؤلف :

«وعاد من جديد الى علمه وطبه يسنده الايمان» .

أتساءل دائما كلما وصلت الى هذه النقطة من القصة (وليس بعدها الا النهاية التى ترينا اسماعيل بعد ان تزوج فاطمة وأولدها خمسة بنين وست بنات ، وقد اصبح أكولا نهما ، اكرش ضخم الجثة ، مصابا بالربو من الافراط فى التدخين ، يذكره اهل الحى بالخير ويتغاضون عما اشتهر به من ولع بالنساء ، اتساءل عن هذه المصالحة العجيبة التى يعقدها

الكاتب بين «العلم والايمان» ـ هذه النوع من الايمان ـ ولا سيما بعد ان اصبح «العلم والايمان» شعارا لبعض الناس : هل الشفاء ـ شفاء هذه الامة من كل امراضها ـ لا يتأتى الا اذا بقيت على ايمانها بفضائل زيت القنديل فى شفاء العيون الرمداء ، ونحو ذلك من الخرافات ؟ ولماذا يحرص الكاتب على التنبيه الى ان اسماعيل «استمسك من علمه بروحه واساسه ، وترك التدجيل والمبالغة فى «الالات والوسائل» ، ولا يشير اطلاقا الى تصحيح الايمان وتنقيته من البدع والخرافات ؟

هل كان للزمن الذى كتبت فيه هذه القصة ـ وهو على الأرجح اواسط الاربعينيات ـ اثر فى المضمون الفكرى الذى حملته ؟ لقد بدأ الشك فى قيم الحضارة الغربية منذ الثلاثينيات ، عبر عنه توفيق الحكيم تعبيرا صريحا فى «عصفور من الشرق» ، وظهر فى اتجاه الكتاب الكبار الى التراث الاسلامى يدرسونه او يستلهمونه او يسترشدون به ، وكان لسنوات الحرب العالمية الثانية تأثير ضار فى خلخلة البنيان الاجتماعى (على عكس ما حدث اثناء الحرب العالمية الاولى) بظهور طبقة «تجار الحرب» التى اثرت من تعاملها مع جيش الاحتلال ، وظهر بين طليعة المثقفين شعور جديد بأن الحركة الوطنية فقدت قوتها الدافعة عندما ابتعدت عن الطبقات الشعبية التى بقيت فى الدرك الأدنى من حيث القدرة المادية والفكرية على حد سواء . لعل يحيى حقى اراد بهذه القصة ان يؤكد القوة التى تملكها هذه الطبقات الشعبية وهى ببساطة قوة الحياة التى غالبت المحن على مدى القرون المتطاولة ، وأن ينبه الى قيمة التواصل بين الفئات المثقفة وبين الكتل الشعبية ، فهذا كله ظاهر فى القصة ، ولكنه لا يبرر الحل الساذج الذى اقترحه : جمع العلم التجريبى والايمان الخرافى فى سلة واحدة .

من حسن الحظ أن يحيى حقى لم يقع فى هذا الخطأ ـ تضمين القصة الفنية مغزى اصلاحيا ، وساذجا ايضا ـ مرة أخرى ، كما انه لم يكرر محاولته التى اقدم عليها فى «صح النوم» لترجمة فكره السياسى الى شكل قصصى . لقد كان فى اخلاصه للفن اكثر اتفاقا مع طبيعته ، واكثر عمقا فى اكتشاف الموقف الانسانى ، وهو «المضمون الفكرى» الاسمى الذى يتطلع اليه الفن .

واذا كان المضمون الانسانى فى قنديل ام هاشم ـ وهو اقتران الحياة بالايمان واقترانهما معا بالتواصل الاجتماعى ـ قد غطت عليه فكرة اصلاحية ساذجة ، فان يحيى حقى يعبر عن هذا المضمون نفسه بصورة عكسية لكن من خلال الفن وحده ، فى قصة «الفراش الشاغر» . هنا اسرة تغازل الموت باغلاق بابها ونوافذها وسط الحى الشعبى الذى تقوم حياته على التواصل . يفر الابن الاكبر من نداء الحياة حين يستسلم للمخدر فلا يلبث ان ينفصل ماديا اذ يُحجز فى مصح عقلى ، لا يغادره الا فى زيارة خاطفة لمنزل الاسرة يجيئه اشبه بالمجنون ويغادره اشبه بالطفل بعد ان يتلقى جرعة المخدر . وتنتهى به الحال الى الموت الكامل ليترك فراشه فى المصح شاغرا .. نتوقع ان يشغله الابن الأصغر الذى عجز عن تقبل مسرات الحياة كما عجز عن النهوض

بأعبائها ولم يجد راحته اخيرا الا فى مضاجعة الموت مضحيا برجولته نفسها ..

ما ابعد يحيى حقى الآن عن النماذج الاجتماعية التى رأيناها فى قصصه الاولى : نموذج الموظف الصغير ، أو ابن الاكابر الذى لايعرف شيئا عن ممتلكاته ، أو المرأة التركية التى تخلفت من عهد الحريم واضطرت ان تعيش فى حى شعبى .. الخ .. هذه النماذج التى لاتنجو من العمومية الباهتة ولاتكتسب شيئا من القدرة على الاقناع إلاّ بفضل صفات فردية لاتغير شيئا من الخصائص الجوهرية للنموذج . الابن الأصغر فى «الفراش الشاغر» ـ على العكس ـ لا يمثل فئة اجتماعية ، إنما هو شخصية متفردة تستمد قدرتها على الاقناع ـ رغم كونها حالة متطرفة ـ من دلالتها الانسانية العامة .

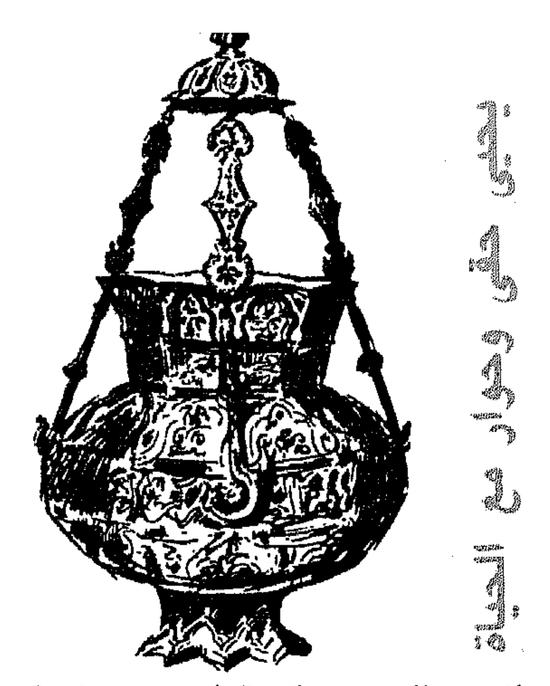
● شاعرية الراوى

« الفراش الشاغر » درة يتيمة حقا ، اذ لانعرف لها نظيرا ولا شبيهاً فى عيون الأدب العالمى . ولم يكن صاحبها ليحلّق هذا التحليق لو لم تسعفه لغة قصصية خاصة جدا لها من الشعر نصيب كبير ، اذ اننا نطلع على خبايا ابطالها من خلال الراوى الذى يتمتع ببصيرة نافذة وحساسية مرهفة بالاسلوب ، تحرص على جمال الاحتشام حتى حين تتناول ابشع المعانى . هل نسمى هذه الطريقة فى القصص سردا ؟ ربما كان اصطلاح «السرد» فى أصله الاعجمى المترجم اصطلاحا محايدا ولكنه فى عرفنا الجارى يدل على طريقة بدائية فى القص : رواية



الحوادث فى تسلسلها الزمنى الجامد . لهذا حاول يحيى حقى ان يهرب من السرد فى«عنتر وجولييت» ولكن الذى وفق اليه ، فى الحقيقة ، هو الارتفاع باسلوب السرد ، من خلال شاعرية الراوى الى مستوى عال من التعبير الفنى .

إن ما نسميه «شاعرية الراوى» هو العماد الذى تقوم عليه اعمال قصصية رومنسية رائعة مثل «آلام فرتر» و «روفائيل» و«غادة الكاميليا» ولكن هذا النوع من النثر الوجدانى اصبح مطية سهلة للمبتدئين فى كتابة القصة من جيل «يحيى حقى» وقد رأينا ان يحيى حقى حين انضم الى «المدرسة الحديثة» ـ التى كانت تدعو الى الواقعية ـ لم يفقد غرامه بتصوير الحالات الغريبة والمشاعر الدفينة وان حاول ان يتخلص من ذاتية التعبير الرومنسى . أما فى اعماله الناضجة فاننا نلاحظ نوعا من



الاستقطاب : فهناك الراوى من ناحية ، مهمته الاستكشاف وهناك الشخصية المستكشفة من ناحية اخرى . وكلا القطبين من خلق الفن . فلا يجب ان نعامل شخصية الراوى على انها مساوية لشخصية الكاتب دائما ، أو مساوية لها تماما ، وأن كنا نرى انها مشتقة او مستخرجة من شخصية الكاتب . هى بالأحرى شخصية الفنان المستكشف ، الذى يخوض مغامرة فى نفسية بطله تشبه مغامرة بطله فى الحياة ، وكاتبنا يحيى حقى يستخدم شخصية الراوى بطرق متعددة فاذا كان قد استقل بالقصة فى «الفراش الشاغر» فلم يترك مكانه الا لحظات معدودة لحكاية جمل حوارية قصيرة ، فانه فى «قصة فى سجن» يفسح مجالات كبيرا لبطله كى يروى قصته بنفسه ، وفى «دماء وطين» يخلق شخصية ثانية موازية لشخصية الراوى ، وهى شخصية المحقق ، الذى يتجاوز موقفه الرسمى ليكون صديقا للبطل ، يصغى فى صمت لاعترافاته .

ليس استخدام الراوى فى حد ذاته حيلة قصصية مبتكرة ، فقد استخدم موبسان كثيرا فى مقدمات اقاصيصه ممهدا للحدث بوصف المكان او التعريف بالشخصية ، وجعل له سومرست موم دورا فى الاحداث نفسها . ولكن الراوى عند يحيى حقى يقوم بوظيفة اهم : أنه يسبغ على القصة لونا شاعريا اذ نرى اشخاصها واحداثها من خلاله ، ومشاركة فى الحدث لا تقتصر على الحدث الخارجى بل تشمل المعاناة النفسية التى تلابسه وهذا هو الشىء الجديد والصعب . ولشرح هذه الصعوبة يجب ان نعود الى موقف الكاتب الى عملية الابداع ذاتها . فالكاتب يقسم نفسه (او على الاصح يقسم الحالة الابداعية) بين الراوى والبطل ، ليكون من حق الراوى ان يتغلغل فى المعاناة النفسية للبطل . واذا كان حقى قد احتفظ بالعلاقات الواقعية بين الطرفين فى معظم القصص التى اتبع فيها هذا الاسلوب فهناك قصتان تستوقفان النظر لان العلاقة بين الراوى والشخصية التى يدور حولها الحدث يصح ان توصف بأنها علاقة تطابق من ناحية وتناقض من ناحية اخرى ، أى انها يمكن ان تفسر على المستوى النفسى بانقسام الشخصية .. وبما ان الكاتب يحرص ـ مع ذلك ـ على اخلاء القصة من اى علامة يمكن ان يستدل منها على ان الراوى مريض نفسيا ، فإننا نحكم بأنه يستخدم هذا الشكل الفنى ليوحى بان النزعتين المتعارضتين يمكن ان تتعايشا فى نفس واحدة ، وهو معنى اخلاقى يعلم التسامح والرحمة ، وان خلت القصة خلوا تاما من اى اشارة اخلاقية .

بين القصتين المشار اليهما هنا سبعة عشر عاما حسب تاريخ النشر ، ولكننا نكاد نجزم بان الكاتب فى القصة الثانية لا يزال يحاول شيئا بدأه فى القصة الأولى

فالعلاقة بين الراوى والبطل واحدة تقريبا فى القصتين ، ولو ان الكاتب فى القصة الثانية ينسب الى ارادة الفنان ما نسبه فى القصة الأولى الى المصادفة ففى القصة الأولى «مرآة بلا زجاج» (مجموعة أم العواجز) تلقى المصادفة فى طريق الراوى بشخصية تشبهه تماما فى المنظر ـ فكأنه حين ينظر اليه انما ينظر فى مرآة بلا زجاج ـ وان كانت مناقضة له فى الجوهر . الأول انطوائى ، يتملكه احساس غامض بالذنب ، ورعب من الحياة والاحياء ؟ والثانى مقبل على الحياة بنهم لايعرف الشبع ، وارادة لا تعرف الخوف

او التردد . ويجب ان نضيف ايضا ان الراوى يتحدث عن نفسه احيانا آخرى بضمير المتكلم واحيانا بضمير الغائب ، وكأنه ضيق بنفسه ، لايريد ان يعترف بان نفسه هى نفسه ! تقوم بين الشخصيتين علاقة من نوع غريب ، اذا كان الاختلاف بينهما رغم تطابق الصورة مثار استغراب وموضوع مزاح عند الثانى ، فانه عند الأول باعث على مزيج من الاعجاب والكراهية ، وكأنه يشعر ان حياته تتسرب فى حياة الآخر ، انه اذن فى حالة دفاع عن النفس تحل له حتى القتل !

اما فى القصة الثانية «كأن» (مجموعة « الفراش الشاغر ») فالراوى يجد نفسه منجذبا الى شخصية مناقضة له تماما كما فى القصة السابقة (انسان مجهول عندى يجذبنى اليه شيئا فشيئا ، حتى اذا التصق جسدى بجسده شفطنى داخله .. أصبحت انا هو ، ماضيه ماضى وبقية عمره ستكون بقية عمرى) بهذا الشعور الغريب يقترب الراوى ـ وهو كما يحدثنا عرضا عن نفسه انسان مسالم هادىء يحيا حياة عادية رتيبة ـ يقترب من الشخص الآخر ، وهو مجرم ينتظر الحكم عليه بالاعدام ولا يطمع فى رحمة او شفقة لان جرائمه البشعة المزدوجة والمتكررة تثير عليه كل فطرة سليمة   يكون اللقاء بين الشخصيتين حين يجلس الراوى امام المجرم يوم محاكمته ، بينهما قضبان القفص ، ولكن العيون تشتبك فى صراع عنيد ينتهى بأن يستسلم المجرم ويهمس بقصته للراوى (كما يتخيل) .

فالشطر الأول من القصة يروى مغامرة الفنان حين يتدسس الى نفوس شخصياته ، ولايلبث ان يتقمص شخصية الآخر حتى كأنه يحيا فيها او تحيا فيه ، والشطر الثانى هو قصة نفس حساسة وديعة جنت عليها عفونة البيئة وقسوة الاهل حتى دفعت دفعا الى طريق الأجرام .

لعل هذه القصة تريد ان تقول ان رسالة الفنان هى ان يستخلص الجمال حتى من أعماق القبح ، وهى رسالة تتمم رؤية يحيى حقى للحياة والايمان والتواصل ، وتذكرنا بشخصية « عمى اسماعيل » فى « قنديل ام هاشم ».. فهذا الطبيب الذى درس فى اوربا لم يصبح لعلمه قيمة الا حين عاد الى حضن مجتمعه الجاهل المتخلف وقبل الحياة كما يقبلونها ، واحترم ايمانهم ولم يحاول حتى ان يشكك فى خرافاتهم ، وكذلك الفن عند يحيى حقى لا قيمة له ان لم يكن ايمانا وتواصلا ، يدفعان الحياة ويخلقان الجمال ، والامل حتى من اتعس الظروف ، بهذه الرؤية النبيلة شق كاتبنا طريقه العسير وصاغ اسلوبه المتميز .. فالقصة القصيرة عنده ليست صنعة بارعة ولا تسلية ظريفة .. انها رسالة انسانية وقومية .

مأدبة يحيى حقى
فى « صح النوم »

بقلم : محمد روميش

... هنا علينا ان نتقصى لم اختار يحيى حقى « صح النوم » لتكون وصيته الأدبية فى مجال الخلق الفنى .

● قرية ، بلا اسم ، تقع على الجسر ، اين هذا الجسر ، الذى تقع القرية ، الى جواره ، لاندرى . انها قرية على خريطة العالم ، على مبعدة يسيرة منها يمر خط سكة حديدية ، لو مر خط السكة الحديدية بالقرية ، لربطها بالقرى المجاورة . ويتندر ، من ذلك ، بعض من اهل القرية . الاشخاص الذين اختارهم الراوى من اهل القرية ، ليعلقوا على انحراف المهندس بخط السكة الحديدية بعيدا عن القرية ، تنطق تعليقاتهم بمصالحهم الفردية فالعمدة يرى فى ابتعاد خط السكة الحديدية عن القرية فائدة له ، فلن تزيد الحرائق ، وبالتالى لن تزيد ضريبة عزومة معاونى البوليس ، وجند المطافىء ، اذا هبطوا من المدينة .. أما سائق العربة الوحيدة بالقرية ، والتى تنقل المسافرين من القرية الى المحطة وبالعكس ، فقد ضمن رزقه ، وعلف جواده .. ان الرؤية تتعلق بالمصلحة الفردية ، ثم ان هناك معلم الرسم ، والمساح والحلاق ، وهؤلاء يختفون من باقى الرواية ، فلا نسمع عنهم ، وكأنهم افتتاحية السيمفونية ، تهيؤنا ، لما يليها ، وهذا دورها وكفى :

العمدة ، نسمع انه ، بالانتخاب ، قد نحى ، ليحل ابن وجيه القرية محله ، سائق العربة الفرد ، أى ذات الحصان الواحد ، بعد ان يصل خط السكة الحديدية الى القرية ، يميل به القدر ، يموت حصانه جوعا ، وهو يلتمس موقعه الجديد الى جوار باب المسجد متسولا .

● حيلة فنية

صلب الرواية ليس أحداثا تقع وتتتابع ، تجمع الشخوص ، وتفرقهم ، أحداثا تبنيها الحركة الخارجية ، للاشخاص ، تصنع لهم أقدارهم المشتركة وتتواصل خلالها وبها ، العلاقات المتشابكة بينهم ، اننا لسنا ازاء ، الشكل التقليدى لرواية ، فبعد الافتتاحية يلجأ



الراوى الى حيلة فنية ، أن يخلق ، يبتكر « حان » ثم يحدثنا عن صاحب الحان وزوجه ، ويختار بعضا من أبرز رواد الحان ، ليطلعنا من خلال سبر أغوارهم الانسانية ، على بعض ملامح النفس البشرية ، فى تشابكها وتعقدها . انه يعرض ثنائيات [القضاب وزوجه ، القزم وزوجه ، العرجاء وزوجها ، تاجر الغلال وابنه الفنان]

إذا سرنا مع صفحات الرواية ، فصاحب الحان من ناحية وكل من هذه الثنائيات من ناحية أخرى له علاقته مع صحبه ، انها علاقة « مكانية » تجمع بين كل اثنين من هذه الثنائيات ، وقد صدق الراوى ، وهو يقول ، ان العلاقة بينهم ، كالعلاقة بين الصور يضمها « البوم » ومن حق القارىء ان يتساءل عن كنه وطبيعة (رواية) لاتقوم علاقة مباشرة بين شخوصها ، وان لاتنتقل هذه العلاقات قدما بتقدم صفحات الرواية ، بل من حقه ان يتوقف ، وان يراجع ماقرأه من الرواية .

صاحب الحان تستقيم حياته بين الحان ليلا ، وفى أخر الليل ، يصعد الى سكنه ، الذى يقع فوق الحان ، زوجه امرأة صالحة تؤدى فرضها ، وتقوم بواجبات سيدة البيت ويستوقفنا أمران : تعليق نساء القرية ، ولعل الراوى ، قد استخدمهن لوظيفة الكورس حيث يرددن ان صاحب الحان قد التقط امرأته من بيوت البغاء فى المدينة ، وان احدا لايعرف ان كان عقد عليها ، ام يعيش معها فى الحرام .

الأمر الثاني : هذه المرأة ، كنص الرواية تؤدى فروض الصلاة . اعرف رجلا أجيرا ، من فقراء قريتى استأجره « سمسار » ليعزق له حقله ، وقد رفض الأجير أن يأكل من طعام السمسار ، لأن عمل السمسار ـ كما يراه الاجير ـ حرام ، وان طعامه حرام ، وقد ملأ السمسار القرية ، سخرية من الاجير الذى رفض لقمة طرية ، وليس فى بيته كسرة خبز فكيف يتأتى لهذه المرأة الصالحة ان تأكل من كسب بيع الخمور ، والرواية تزيد الامور ، ارباكا ، فهل تذهب فى الهواء ،

مأدبة يحيى حقى فى صح النوم

اتهامات الكورس ، ان صاحب الحان لايربطه بالمرأة التى يعاشرها عقد اى ان امرأة صالحة تؤدى فروضها ، وفى نفس الوقت تعاشر رجلا فى الحرام .

ان اصطفاء الكلمات ، وسلاسة اللغة ، هى فى الحقيقة فخاخ حطها الراوى ، ليصرف الانتباه عن التناقض المتعايش داخل امرأة صاحب الحان ، ام ان الامر فى حقيقته تناقض يؤرقنا معشر القراء العاديين من البشر ، الذين نعيش بدفع العادات الموروثة تحكمنا ، ام ان الرواية تقول ان العلاقات بين الناس بمخبرها ، لا بمظهرها ، وان هذا القول يندرج على العلاقة بين الرجل والمرأة .

زوجة القصاب : هى ابنة عمه ، مات عنها ابوها . رعاها القصاب مع امها ، وعلينا ان نحاول فهم سلوكيات هذه الفتاة من واقع النص الذى افرده لها الراوى فنعلم ان اباها مات مفلسا ، وانها نضجت فى بيت ابن عمها ، ونعلم من النص ان القصاب كان يميل اليها ، الا ان الفتاة لم

حملت "مجلة الهلال" عدد فبراير الماضى ، لصاحب هذه الكلمات ، سطورا عن رواية "صح النوم" للاستاذ يحيى حقى ، وفى عدد مارس من "الهلال" بدأ الاستاذ الدكتور شكرى عياد ، تناول أعمال يحيى حقى القصصية ، واشار الى سبق تناول مجلة "الهلال" لرواية "صح النوم" ولم يفته أن يثبت (تقييمه) صح تقييمه للرواية .

وعودة الدكتور شكرى عياد لمباشرة دوره الريادى العظيم ، فى تقييم الاعمال الأدبية ، على صفحات "الهلال" هو كسب عظيم لحياتنا الثقافية ، ويكاد يكون من الطبيعى ، ان يبدأ الدكتور شكرى عياد ، أداء دوره بتناول اعمال يحيى حقى ، فالاثنان رائدان عظيمان ، ابداعا ، ونقدا .

ـ وكما هو معروف ـ ليس فى النقد الادبى ، كلمة أخيرة ، فالصفحات تضيق ، لو اثبتنا حصرا ، للأعمال النقدية التى تناولت الروائى الروسى ، فيدور دستويفسكى ـ مثلا ـ وسيظل ، كتاب اندريه جيد ، عن دستويفسكى واعماله من أعمق وادق واجمل ما كتب عن هذا الروائى .

ومجلة "الهلال" إيمانا منها ، بالقيمة الأدبية والفكرية والثقافية التى يمثلها الاستاذ يحيى حقى ، وايمانا منها ، بان تقدم لقارئها ، اكثر من قراءة لاعمال يحيى حقى ، فإنها تفتح صفحاتها ، وتتيح لقارئها ، ان يقف على هذا الرأى ، وذاك ، وتكون لديه فرصته ان يشكل رأيه الخاص ، عبر القراءات المتعددة ومستقلا عنها ، اخر الامر .

وعلى سبيل المثال ، فإن رواية "صح النوم" التى تقدم عنها ، "الهلال" ـ فى هذا العدد ـ قراءة ، ثانية ، من زاوية اخرى ، سبق ان كتب

تشاركه هذا الميل ، لقد تركته وتركت امها ، وسط هذا العالم وحيدة ، لتذهب مع بهلوان يطوف القرى ، جامعا لقمة عيش ، يموت البهلوان ، وتعود الفتاة مرغمة الى ابن عمها ، ومرغمة ايضا تتزوجه ،

ويعولها مع اولادها ، كما عالها من قبل مع امها ، وقد آن لها ان تستقر ، كباقى خلق الله ، وتطمئن الى بيت وزوج واولاد . لكنها تلتقى بصبى طحان يقول النص انه يتيم ، و « هبو » الدقيق يغطى وجهه وملابسه ، انها هى الاخرى ، يتيمة « وهبو » الدقيق يشكله بهلوانا أخر . ومرة ثانية ، تترك ابن عمها مع صبى الطحان . اى علاقة تلك التى تربطها ، او تفصلها وتبعدها عن الرجل الذى رعاها من فقر وعوز ، والذى احبها والذى غفر لها خطيئتها الاولى ، ولعله لو امتدت بنا صفحات الرواية ، كان سيغفر لها خطيئتها الثانية ، هل كل هذه « الأفضال » التى كان من الممكن ، ان تولد عند بعض الناس الامتنان ، و « الاحساس بالجميل » تولد لدى البعض الآخر ، كراهية ونفورا ، وهل هذا يفسر المثل الشعبى الذى اكرهه كراهية شديدة

عنها د . ناجى نجيب ، دراسة قيمة ، انهاها بثبت للاقلام التى تعرضت لهذه الرواية بالنقد :

(١) طه حسين : صح النوم "الجمهورية" ١٩٥٥/١٢/١٠ ثم فى كتاب "نقد واصلاح" .

(٢) فؤاد دواره : صح النوم ـ ١٩٥٩ ، فى "الرواية المصرية" .

(٣) لويس عوض : "الشفق حول قصة صح النوم" جريدة الشعب (التى كانت تصدرها الثورة ثم ادمجت فى جريدة الجمهورية) فى ٥٧/٥/٥ والان فى كتاب "دراسات فى ادبنا الحديث" ١٩٦١ .

(٤) نعمات احمد فؤاد : يحيى حقى الفنان "المجلة" عدد سبتمبر ١٩٦٠ ثم فى كتاب "قمم ادبية" ١٩٦٦ .

(٥) نبيل فرج : "صح النوم" مجلة "الآداب" سبتمبر ٦٦ الآن "سبعون شمعة فى حياة يحيى حقى" ١٩٧٤ .

(٦) مصطفى ابراهيم : "يحيى حقى مبدعا وناقدا" القاهرة ١٩٧٠ .

(٧) عبد الحميد ابراهيم : "يحيى حقى .. وفيض الكريم" "الزهور" ابريل ٧٣ ثم "سبعون شمعة" .

(٨) فاروق عبد القادر : "عاشق مصر وصديق الفقراء" "الطليعة" فبراير ١٩٧٥ .

عن مجلة "فصول" المجلد الخامس / العدد الرابع .

والبقية تاتى ، مزيدا من الدراسات ، ومزيدا من وجهات النظر ، ومزيدا من الاستقلالية فى الفكر .. وفى الحياة .

مأدبة يحيى حقى
فــى صــح النــوم

« اتق شر من احسنت اليه » وهل رد الفعل الثانى ، اى الكراهية والنفور ، شذوذ ، كما حاول الراوى ، ان يوهمنا ، بإقراره ان نماذجه ، شاذة ، ام ان المسألة ، اعمق من ذلك ، اذ ان الاصل فى العلاقات بين البشر ، هو الندية ، والتساوى وان من النفوس مايسؤها ان تكون فى وضع انسانى أدنى ، واذا مافرض عليها مثل هذا الوضع المشين ، فإنها « تكره » كل مايذكرها به ، وهو فى حالتنا القصاب ، وهل مثل هذا النظر ، بعيد عن النص ، على ان الراوى « يتعاطف » مع الفتاة السمراء ، فبعد ان هجت مع البهلوان ، كان يحيى حقى حريصا على ان يثبت انها عقدت على البهوان فى القرية المجاورة على سنة الله ورسوله ، بل ان البهلوان نفسه ، عزيز قوم ذل ، اى من نفس طبقة الفتاة الاجتماعية ، وبعد ان فاحت سيرتها ، مع صبى الطحان ، تعلق الرواية ان الفتاة كانت تحنو على صبى الطحان ، حنوها على صغار القطة الشاردة . وسلوك الفتاة السمراء ، لم يكن اختيارا فلو نحينا علاقتها بالقصاب ، وهى علاقة معقدة ، لم يكن سهلا ، ان تترك امها وحدها ، فى الهروب الاول ، ولم يكن سهلا ، ان تترك أولاذها ، فى الهروب الثانى ، هى اذن تستجيب لدوافع داخلية قوية ، لادخل لها بها ، دوافع طبيعية ، جبلة ، ودوافع من وراثة ، فالاب قد مات مفلسا ، والافلاس لايكون الا لتاجر ، وقد تشترك فى افلاس التاجر ، عوامل عديدة ، منها سلوك التاجر نفسه ، وتقلبات الحياة الاقتصادية .

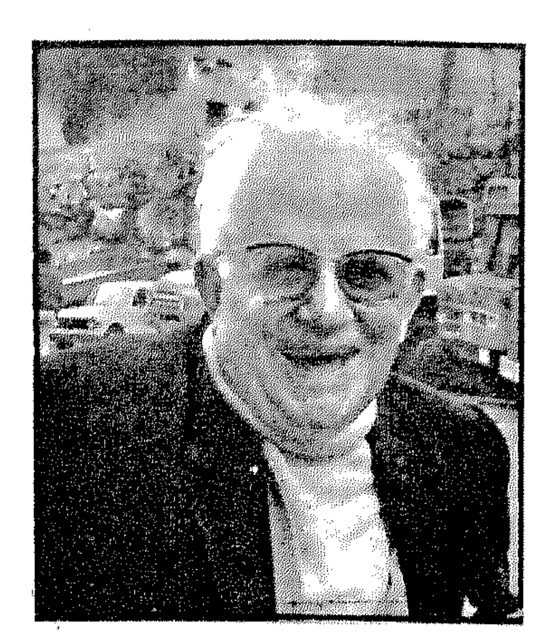
● فتاة جادة

اننا اذن لسنا ازاء فتاة هازلة ، او مستهترة ، أو طائشة او ان حبلها على ظهرها ، اننا مع فتاة جادة ، اشد ماتكون الجدية ، وقد اهتم النقد الذى تعرضت له الرواية ، بالقصاب ، الذى طاق صبره ، كل مافعلته به فتاته السمراء ، والتقبل القدرى لكل مالحقه من اساءات واهانة الى كرامته ، والرواية تثبت عليه إنه أحب الفتاة ، أى أنه فقد إرادته الحرة المستقلة ، وانه تنازل مجبرا او مختارا عن حرية الاختيار فى سلوكه اى ان هذا الثنائى يطرح علينا ، ضرورة الحرية ، وفداحة الخسارة التى يدفعها الانسان اذا سمح لموروثاته او لانبعاثاته الداخلية ، ان تقود سلوكه ، وتفقده حرية الاختيار .

الرواية ، اذن ، همها ، هو ، الانسان، كيف يسلك فى هذه الحياة ، كيف يشق طريقه ، الاخطار الداهمة التى تترصده آخر الامر ، قسوة الاختيار ، ومعوقاته .

المعاناة العاتية التى يتوجب على الانسان ان يبذلها حتى يحرر إراداته ، إن حرية الانسان ليست لقية إنها استحالة عليه ان يتجاوزها .

نموذج آخر ، تقدمه الرواية ، زوج العرجاء طالب باحد المعاهد الصناعية ، تصادف ـ ذات صباح ـ ان وجد نفسه ، فى واحدة من مظاهرات الطلبة ، يرى بعينيه ، جنديا يهوى بعصاه الغليظة ، فيقتل طالبا آخر ، يسجن يفصل من معهده ، تحرم عليه المعاهد والوظائف ، تتعطب روحه ، يفقد نفسه ، يعود الى قريته ، لا يؤدى عملا ، لم يبق امامه سوى الغيطان يهيم بين حقولها ، انه يصلح



يحيى حقى

نعشا ، ولا يصلح باب دار . اى انه انتسب الى الموت ..

زوج العرجاء ، بالصدفة وجد نفسه فى مظاهرة .. ثم تتالت عليه الاحداث الخارجية .. الاحداث التى لادخل له فيها احداث ليست من صنعه ، الا اننا وصلنا الى نفس النتيجة ، كان شلل ارادة الفتاة السمراء ، وشلل ارادة القصاب ، بأسباب ذاتية داخلية ، اما شلل ارادة زوج العرجاء ، فالاسباب خارجية ، فرضت عليه ، داهمته وفى تقصيها للاسباب التى تصيب قدرة الانسان على الاختيار ، الاسباب التى تتحكم فى مصير الانسان ، هذا الانسان الذى ألقى به فى الكون الواسع ، وعليه ان يشق طريقه ، ويصنع مستقبله ومصيره ، تقدم لنا الرواية نموذجا آخر ، ثنائى آخر ، القزم وزوجه ، الزوجة شركسية من اسرة ليست من القرية .. ماأهمية ذلك .. قد تكون هذه المعلومة ذات معنى ، فى التناول الاول ، التفسير القريب للقرية ، أما حين نخطو داخل شخوص « القرية / العالم » فهذه معلومة بلا وظيفة ونحن نترصد خطى الانسان ، الشركسية مات عنها زوجها ، لم يتبق فى الأسرة الشركسية ، من رجال سوى قزم فقير ، تحت ضغط الثروة التى فى يد الشركسية ، يعقد عليها ، وهى تحت ضغط قبحها البارز ، وتحت ضغط حقيقة ان ليس فى الاسرة من رجال سواه ، تقبل القزم بعلا ، هل نحن ازاء حالة اخرى من حالات فقد حرية الاختيار ، هل المصلحة تعمينا عن النظرة الأرحب ، هل المصلحة غشاء شغيف أو صفيق يحجب الاختيار الصحيح .

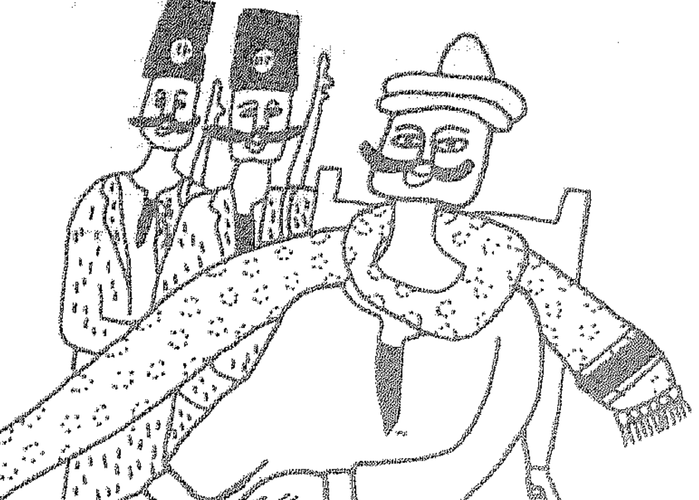
● انعدام الحوار

إن مايساند التفسير الذى اخذنا به ، من أن الرواية تخاطب مطلق الانسان هو تعمد الرواية ، ان تسقط أى تحديد ، سواء تحديد القرية التى تقع بها الحان ، أو تحديد اسماء شخوص الرواية فالرواية خالية من اسم واحد يحدد هذا الشخص أو ذاك وتعمدت ان تعرف الاشخاص بحرفتهم .

العمدة ، صاحب العربة الفرد ، صاحب الحان ، القصاب ، الفتى الفنان ، اذا ما اعتبرنا الفن حرفة ، على ان قارئ الرواية ، بعد ان يتوقف عند العلاقات الثنائية بين شخوص الرواية (صاحب الحان وزوجه .. الى آخر الثنائيات) . علاقات قائمة بذاتها ، فأهل القرية فيما أسميناه بافتتاحية السيمفونية ، لاتربطهم علاقة مشتركة ، سوى علاقة المكان ، والشخوص الثنائية فى الحان ، لاتربطهم ثمة علاقة سوى تواجدهم فى الحان . على

مأدبة يحيى حقى فى صح النوم

ان الملاحظة الأبعد ، بعد ان قلنا ان الثنائيات لايربطهم ثمة رابطة غير المكان ، سنلاحظ امرا غريبا ، هو انعدام الحوار ، داخل كل اثنين من هذه الثنائيات ، فالرواية تعرض لنا صاحب الحان وزوجه ، دون اى حوار بينهما وكأنهما سينما صامتة ، وكل الاحداث المجلجلة بين القصاب والفتاة السمراء ، تمر دون حوار .. سوى جملة واحدة « تصنع خيرا لو أتيت بالمأذون » وهى الكلمة الواحدة التى لاتعبر عن حقيقة العلاقة بينهما ، وقل الملاحظة نفسها عن باقى الثنائيات ، القزم وزوجه ، العرجاء وزوجها ، الفتى الملحن وأبيه ، ماذا يعنى هذا ؟ يعنى اننا ازاء شخصيات فردية ، شخصيات لاتقيم حوارا الا مع نفسها ، مع ذاتها ، وبالتالى فإن علاقة هذه الشخصيات ، هى فى الحقيقة ، مع ذاتها .. انها شخصيات لايربطها بالمجتمع اية وشيجة وبالتالى فإن المجتمع لايمتد داخل هذه الشخصيات وفى هذا المستوى من التفسير ، هى شخصيات معزولة ، شخصيات غير متوازنة ، وانى أخشى ان اقول انها شخصيات غير سوية ، اذا ما سمحنا للسيكلولوجيا ان تطل على هذه الشخصيات . وانت تستطيع ان تتوهم انك بمعزل عن المجتمع الذى تعيش فيه ، الا ان الرواية تصحح مثل هذا الوهم فهذه الشخوص الفردية المنعزلة ، وقع لها ، مالم تتوقعه ، فقد تغير عمدة القرية والعمدة الجديد أغلق الحان ، حدث واحد أصاب الجميع ، صاحب الحان وباقى الثنائيات ، فتغيرت اقدارهم ، وتغيرت مصائرهم ، وكأنى بالرواية تقول بالتشخيص ، تقول بالحدث ، ان الانسان لايصنع قدره بمعزل عن المجتمع الذى يعيش فيه ، وان للارادة الانسانية دورها فى مصير الانسان ، الا ان هذه الارادة بعيدا عن معوقاتها الذاتية والخارجية ، لاتعمل فى فراغ ، انها تتحرك فى رحم المجتمع ، فقد اغلق الحان ، وتفرقت العوالم المنعزلة ، اصحاب الحياة الباطنية ، دهمهم حدث غير مصائرهم ، الا الفتاة السمراء فهى حالة ميئوس منها ، تشق طريقها ، لاتلتفت الى احد ، او الى شىء ، لايعوقها حدث مهما جل الا ان هذا السلوك الاستثنائى لايقدح فى القاعدة الاجتماعية التى يقولها بناء الرواية من ان ابناء المجتمع ، ولو لم تربطهم علاقات مباشرة فإن حدثا مايؤثر فى مصائرهم ، وان الانسان اذا ماتوهم انه نفى نفسه داخل المجتمع ، فهو ليس بمنجاة من احداث هذا المجتمع ، وبالتالى فخير لكل ان يصنع احداث مجتمعه . وكأنى بيحيى حقى يقول هنا ، بالاداء الفنى ، فى سنة ١٩٥٤ ماسبق ان ردده سنة ١٩٣٤ وهو يقيم مسرحية أهل الكهف لتوفيق الحكيم ، ان الانعزالية والفردية لاتصلح لمجتمع كالمجتمع المصرى ، فلنخرج جميعا من جلودنا وليحمل كل منا فأسه ، يهدم صنما أو يزرع نبتة .



من أين تأتى فكرة المسرحية ؟

شهادة للكاتب المسرحى أرثر ميللر

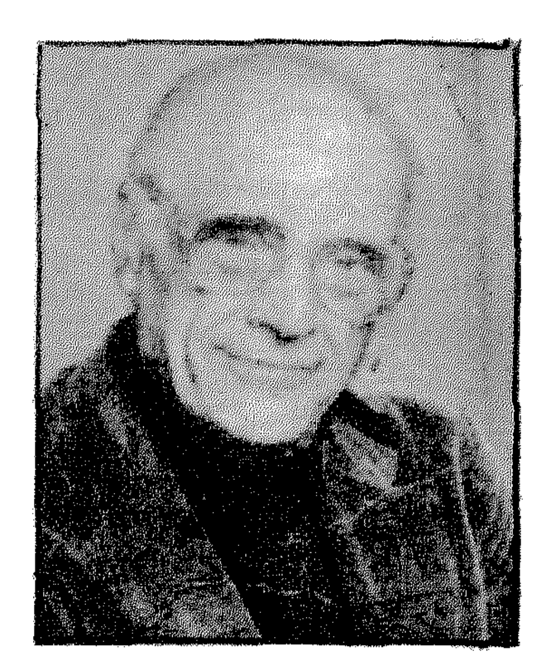
بقلم : د. عبدالعظيم أنيس

تعرض في لندن هذه الايام مسرحية الكاتب الامريكي المشهور ارثر ميللر بعنوان « الثمن » وقد كتبها عام ١٩٦٨ ، وتجرى احداثها فى غرفة علوية بمنزل فى مانهاتن بنيويورك ، وهى الغرفة التى تسمى بالانجليزية attic وتستخدم عادة فى تخزين الادوات والاثاث غير المستعمل .

● هذه الغرفة العلوية فى المسرحية مملوءة بأثاث رجل افلس خلال ازمة ١٩٢٩ ، وجاء ابنه فيكتور - رجل شرطة متواضع الحال ضحى بتعليمه العالى لرعاية والده - الى الغرفة للتخلص من الاثاث المخزون ، وهو يجرى صفقة متواضعة مع تاجر اثاث خفيف الظل يدفع الفا ومائة دولار ثمنا لما فى الغرفة .

عند هذه اللحظة يصل والتر .. الجراح الناجح شقيق فيكتور الاكبر والذى لم يره منذ ستة عشر عاما ، ان والتر نقيض فيكتور ، فقد تخلى عمليا عن اسرته وادار ظهره لها فى سبيل تحقيق طموحه فى مهنة طبية مجزية ، واذ يحاول الشقيقان اقتسام صفقة بيع الاثاث يتداعى الحوار الى تجميع اجزاء ماضى الاسرة بحثا عن مسئولية كل منهما فيما وصلا اليه ، وهكذا تجرى المواجهة وتتكشف اوهام التغطية .

ويقول بعض نقاد المسرحية ان « القيمة » الاساسية لمسرحية ميللر هى نفس « تيمة » ابسن المشهورة وهى حاجتنا الى ان نخلع عن انفسنا اكاذيب الحياة وان نواجه انفسنا كى نعرف من نحن ، ثم من الممكن ان نمد هذا المعنى



آرثر ميللر

لنرصد ايضا رغبة ميللر فى ان يقول ان على امريكا ان تكشف عن الاوهام والاساطير التى تعيش فيها ، وان تجد طريقا للتوحيد بين مثالية فيكتور الذى ضحى بنفسه وبين طاقات والتر ونشاطه .

بل يمضى اخرون من النقاد الى القول بان مسرحية (الثمن) قد غيرت مغزاها على مدار الزمن واكتسبت مغزى جديدا ، لقد كتب ميللر تلك المسرحية عام ١٩٦٨ لكنها لم تقدم على المسرح الا هذا العام ، ولذا فان والتر بدا على خشبة المسرح وكانه تجسيد لقيم مرحلة الرئيس ريجان وتناقضاتها وعفونتها .

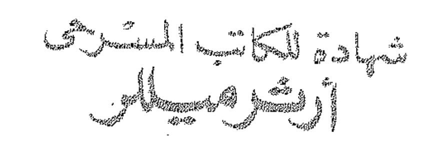
وتجد المسرحية اقبالا ونجاحا كبيرين فى لندن هذه الايام . وبهذه المناسبة كتب ميللر مقالا طريفا يتضمن شهادته عن الظروف والقوى التى دفعته لكتابتها وفى هذا المقال يقول ان الكاتب كثيرا مايوجه اليه سؤال عما اذا كانت احدى شخصيات مسرحيته هى فى الاصل شخص حقيقى وجد فى الحياة ، وان ميللر غالبا ماوجد اغراء فى ان يقول ان كل شىء فى رءوسنا هو صدى لشىء خارجها . لكن السؤال الحقيقى ـ عند ميللر ـ هو ما اذا كانت هناك اية حكمة فى معرفة الاساس الحقيقى لاى عمل فنى . فهل يكون اشتقاق العمل الفنى من الواقع يجعله فنا اعظم ؟

لو كان هذا صحيحا لكانت الافلام التسجيلية هى ارقى اشكال الفن .

إن ميللر هنا يؤكد على دور التخيل البشرى فى العمل الفنى لقد مشى الانسان على سطح القمر وهناك مئات من البشر يعيشون فى اعماق البحار فى غواصات تحمل قنابل ذرية كافية لتدمير العالم . فمن اين بدأت هذه الاشياء المذهلة الا فى خيال الانسان قبل ان يستطيع صنعها بزمن طويل ؟

ومع ان ميللر لايحب ان يرد الاشياء القابلة للتفسير الى عالم الغيبيات ، فإنه مع ذلك لايستطيع بامانة ان يصف كيف تأتى مسرحية مثل (الثمن) الى الوجود ، باستثناء ربما الاشارة الى الوعى الطبيعى بالعديد من القوى التى حفزته لكتابتها .

انه يستطيع مثلا ان يتذكر انه اراد ان يكتب عن شرطى معين قابله فى نيويورك قبل زمن كتابة المسرحية بعشرين عاما .. ومع ذلك فقد كان لابد ان تحدث تحولات تاريخية هامة فى المجتمع الامريكى ، قبل ان يذهب هذا الشرطى ـ فى المسرحية ـ الى الغرفة العلوية « attic » فى مانهاتن مستعدا لبيع الاثاث المكوم لعائلة بورجوازية كانت مزدهرة يوما ما قبل ان تسحقها الازمة الاقتصادية ، ولمواجهة فاصلة مع اخيه الجراح الذى لم يره منذ سنين طويلة .



ويعترف ميللر ، رغم غرابة هذا الاعتراف ، انه لو لم تقع الحرب الفيتنامية فربما لم يكن ليكتب هذه المسرحية على الاطلاق ، على الاقل فى شكلها الراهن . هذا على الرغم من انه ليس هناك اى ذكر للحرب فى المسرحية ، وليس هناك اى مشهد على علاقة بالاحتجاج الشعبى الذى اكتسح الولايات المتحدة خلال هذه الحرب .. ومع ذلك ـ يقول ميللر ـ فالاثنان (الحرب وحركة الاحتجاج) موجودان بشكل ماتحت السطح فى المسرحية .

● احتجاج على الحرب

لقد كان ميللر على صلة وثيقة بحركة الاحتجاج على الحرب ، فقد تحدث فى اجتماعات عديدة ضدها ، ووقع عرائض لانهاية لها لوقفها ، ومشى مع الالوف فى مظاهرات الشوارع ، ومع ذلك اكتشف ان الشيء الأدعى للاحباط هو مابدا من ضعف حساسية الحكومة والناس لحقيقة ان التضحيات البشرية الامريكية فى الحرب هى بلا فائدة على الاطلاق .

وبالتدريج وكلما مرت السنون واستمرت الحرب دون امل قريب فى وضع نهاية لها اخذ ميللر ، ابل اكثر فاكثر اناسا مؤيدين للحرب .. رجالا امناء وان كانوا مضللين . لم يكن الامر ان ميللر فى مواجهة مع اناس فاشيست .. كلا .. كان هناك شيء اعمق يفعل فعله بطول البلاد دون عرضها ومن اعلاها لاسفلها ، وان كان لايعرفه .

وشيئا فشيئا تمثل هذا الشيء الاعمق فى ذهن ميللر بانه عملية انكار ، لقد بدأت الحرب بانكار الرئيس جونسون انها حرب .. وحتى النهاية لم تعلن امريكا الحرب رسميا على فيتنام وانكرت على جنودها حقهم فى الصداقة الانسانية والشرف اللذين يقدمان عادة للجنود العائدين ، ويعترف ميللر انه عرف ضباطا من اكاديمية « وست بوينت » ـ التى تبعد عن نيويورك مسافة ساعة ـ كانوا يستبدلون بملابسهم العسكرية ملابس مدنية قبل سفرهم الى نيويورك لانهم كانوا يخجلون من الزى العسكرى ، وكانوا مستعدين لانكار انهم لبسوه فى فيتنام . اما الوحيدون الذين لم يكونوا قادرين على انكار مايحدث فهم الذين عادوا فى صناديق من هناك !

ويؤمن ميللر ان امريكا مازالت حتى اليوم تنكر مافعلته فى فيتنام ، وذلك من خلال رفض اعادة العلاقات التجارية معها او اقامة علاقات على اسس جديدة ان فيتنام ببساطة غير موجودة على خريطة العالم من وجهة النظر الرسمية الامريكية .

وهو يقول انه اتجه الى كتابة هذه المسرحية لمعالجة عملية الانكار هذه التى اخذت فى ذهنه ابعادا مفزعة ، فها هنا شقيقان علجزان عن مواجهة علاقتهما الحقيقية حتى بعد ان فصلت ازمة الاسرة بينهما وارسلت كلا منهما الى مهنتين مختلفتين تماما .. رجلان تأثرت حياة كل منهما بافعال وافكار اخيه ، ومع ذلك فهما مستميتان لانكار هذا الواقع بينما يسأل كل منهما غفران اخيه وهو مالم يتحقق فى نهاية الامر .



من حرب فيتنام .. استلهم ميللر وقائع مسرحية « الثمن ».

ولقد اعترف ميللر ان احد الدوافع الاكثر مباشرة لكتابة المسرحية هو رجل قابله فعلا وقضى معه اقل من ساعة قبل كتابة المسرحية بعلم .. تاجر اثاث يهودى خفيف الظل ، وقع ميللر فى غرام لغته الصريحة ، وهو يصفه بانه « وغد لمحت فى روحه بعض الامل فى وضع نهاية لغباء البشر ، رجل لاينكر اى شىء على الاطلاق واسمه فى المسرحية جريجورى سولومان .

انه تاجر الاثاث الذى جاء مع فيكتور لشراء اثاث الاسرة المكوم فى الغرفة العلوية !

هذه اللمحات الصغيرة عن « واقع » ميللر ليست غير بداية لتوضيح القوى العديدة التى دفعته لكتابة المسرحية ، وبعضها يعود الى وقت الطفولة .. زمن الانهيار الاقتصادى للبلاد عام ١٩٢٩ والدمار الذى اصاب العديد من عائلات الطبقة الوسطى ، فالمسرحية اذن هى بؤرة تجمع لعشرات من الاحداث والمشاهدات والمآزق الشخصية والاجتماعية التى لا رابط بينها فى الظاهر

وفى الظاهر تسألنا المسرحية الى اى الشقيقين نميل ونتعرف على انفسنا فيه .. الشرطى فيكتور الذى يبرر حياته كمدافع عن القيم بفهمه العنيد للواقع وتقديره الامين لحدوده ، ام والتر الجراح الناجح الذى كشف عن قسوة فى سبيل الوصول الى وضعه الحالى ، وادت به شهوة النجاح والامتياز الى مخاطر طبية ربما هددت بعض مرضاه وان انقذت حياة البعض الاخر ، واخيرا ربما خان اخاه فى لحظة حاسمة من حياتهما .

وقد تبدو المسافة شاسعة بين فيتنام وبين هذه المواجهة فى مانهاتن بنيويورك حيث يجلس شقيقان غريبان يوزعان ممتلكات الاسرة لكن ميللر وصل الى مانهاتن من خلال فيتنام من خلال الانكار فى القلب البشرى .

ولكن هل اعتراف ميللر هذا يهم الجالس فى المسرح يشاهد المسرحية ؟ انه ليس متاكدا من ذلك تماما !!

حكاية قديمة



بقلم: فاروق خورشيد •

فى الحارة وفى رمضان ، كان أهم شخصية عندنا هو المسحراتى .. ولم تكن هذه الشخصية هامة عندنا من فراغ ، بل كان فى الحقيقة صلب الحياة فى رمضان بالنسبة لنا معشر صبية الحارة وشبانها .. فقد كنا رغم محاولاتنا للسهر بعد الافطار والعشاء والتراويح ، واللف على الساهرين فى المقاهى والمساجد والمجالس الخاصة ، وبعد كل الزيارات الاجتماعية المتشابكة ، لابد أن ننام .. ما يأتى علينا الليل الحقيقى الا ونحن أسارى كل تعب بذلناه من المغرب الى العشاء ، ومن العشاء الى الليل ، بين مسامر السهر ، وبين مظان الأسر المجتمعة والساهرة فى حضن رمضان ، ونحن مانحن ، لايلتفت الينا أحد ـ آخر الأمر ننام فى صمت ، شئنا أم أبينا ، بحيث لاندرى مما حولنا ، ولا بما حولنا شيئا الى أن تمتد الينا الأيدى الحازمة تصيح بنا أن نقوم فموعد السحور قد حان ، ولابد لنا أن نقوم لنأكل طعام السحور ونشرب زادنا من ماء ولنواجه به النهار الجديد ، وأيا كان مانتعلل به من علل وأسباب ، فهى كلها لاقيمة لها عند الآباء والأمهات والخالات والعمات ..

لابد أن نقوم من نومنا ايا كانت درجات استغراقنا فيه ، لابد لنا أن نقوم من هذا النوم لنواجه وجبة السحور الجماعية التى لابد أن نشارك فيها ليصبح صيامنا فى اليوم الجديد شرعيا وسليما .. والكثيرون منا كانوا يأخذون كل هذا الاهتمام مأخذ العبث ، فهم يفطرون غدا من وراء ظهور ذويهم ، سواء فهموا أن الصيام صعب عليهم أم لم يفهموا .. المهم أنهم وهم ينوون الصيام بعد وجبة السحور كانوا يعرفون جيدا وفى أعماقهم أنهم سيتحايلون غدا على مظان الطعام والشراب ، وأنهم سيتظاهرون بالصيام الى حين ينتهى النهار ، ثم يحظون بأطايب مائدة الافطار ، وما عليها من مشهيات وطعام و (أطايب) ثم ما عليها بعد ذلك من حلوى ، ولعل أهمها عندهم جميعا الكنافة ، وصينيتها المحمرة السطح المليئة بالمكسرات والسمن والعسل ..





يقبلون عليها وكأن الصيام قد هدهم وامات كل مقاومة فى أجسادهم وكأن الحل الوحيد لكى يستعيدوا طاقتهم الانسانية الصبيانية العابثة ، هو هذه الصينية المعتنى بها والتى تقدم فى الافطار كشىء رئيسى وهام ، تشغل الأم نفسها بها قبل ساعات من مدفع الافطار وتحرص على أن يتناول الجميع الصينية ساخنة بعد الافطار ، وربما قبل باقى الطعام المقدم على مائدة الافطار كله ..

وكنا نكمن الى جوار المسجد قبل الافطار بدقائق ننتظر أن يخرج المؤذن بأذان المغرب ، ورغم أن كل أجهزة الراديو تملأ الحى تذيع القرآن الذى سيعقب نهايته آذان المغرب ، ولكن هذا شىء وأن نظل على انتظار دائم لمؤذن المغرب حتى نسرع صائحين الى منازلنا كأننا نحمل بشارة بأهم الاحداث ، وناقلين لأهم الأخبار وأخطرها .. وتموج الحارة بأصواتنا لدقائق ثم يهدأ كل شىء ، اذ الكل يتحلق حول الطعام فى انهماك كامل وأداء على أعلى درجة من الكفاءة .. ولن يخلو الأمر بعد دقائق من بدء عملية الافطار الجماعية هذه ، أن نسمع صراخا من شقة ، أو معركة كلامية حامية من شقة أخرى ، فلست أدرى لماذا تصبح أعصاب الصائمين على درجة مخيفة من التوتر بعد الدقائق الأولى من الافطار ، ولذلك فإن الكثير من الأباء والامهات أيضا ، كانوا يلجئون الى ترك المائدة بعد كوب العصير أو الشوربة للصلاة ، ثم يستأنفون طعامهم بعد الانتهاء من صلاة المغرب ، فقد كان هذا التقليد يبعد الفتائل عن مظان الاشتعال فى كثير من الاحيان ، ويجعل الاجساد اكثر تقبلا للطعام ، والأعصاب أهدأ كثيرا وبعيدة عن نقطة الانفجار ..

وفى الأيام الأولى من رمضان كنت أقاوم النوم بكل ما أملك من قوى لكى أظل مستيقظا حتى أسمع طبلة المسحراتى ، وصوت المعلم أحمد (برمة) وهو يصيح بأسماء سكان المنزل فردا فردا ، يبدأ برب كل أسرة ثم بأولاده وبناته الصغار ، لينتقل الى أسماء الأسرة التى تليها أهمية فى هذا المنزل ، ثم يتحرك نحو المنزل الآخر ليعيد الكرة من جديدة ، وذاكرته الحديدية لاتخطىء اسما ابدا ...

وكانت أمى اذا غلبنى النوم حريصة على أن توقظنى حين تسمع صوته من أول الحارة بحيث تنهى عملية ايقاظى - الشاقة ، قبل أن يصل الى باب منزلنا . فقد كانت تعرف أننى أحب أن أسمعه وهو يذكر اسمى بصوته المشروخ المنغم .. وقد كانت هواية المعلم أحمد (برمة) أن يعطى الألقاب لمن يحب ، وأن يمنح المهن والأوصاف لمن يريد أثناء ذكره للأسماء فى التسحير ، فهذا المعلم فلان ، وهذا الاسطى فلان ، وهذا فلان أفندى ، وكان هذا عنده هو لقب أبى ، وهذا الاستاذ فلان ، وكان هذا لقبى عنده منذ أوائل الصبا ، لست أدرى لماذا كان يصر دائما على أن يضع لقب أستاذ قبل أسمى ، وكنت مازلت طالبا فى الثانوية ، ربما لأن أولاد الحارة الذين دخلوا الثانوية ، وتعدوا مرحلة التعليم الابتدائى كانوا قلة ، وكنت رغم صغرى واحدا منهم ، فقد كان الأخرون كبارا أصحاب شوارب ، وربما

اصحاب زوجات وأولاد وبيوت ، المهم أنه كان دائما يذكر لقب أستاذ قبل ذكره لاسمى ، وكان هذا يفرح أمى كثيرا ، ويفرحنى أيضا . وكان هذا يجعلها توقظنى بكل الطرق لأسمع المسحراتى المعلم أحمد (برمة) وهو يذكر أسمى مسبوقا بهذا اللقب الشاذ ـ حينئذ ـ وسط الحارة .. فقد كانت أهم الألقاب فى الحارة هى المعلم والاسطى والافندى ، أما الاستاذ فقد كان هذا لقبا جديدا لاتعرف الحارة كيف تقيمه .. ولست أظن أن المعلم (برمة) كان يعرف له تقييما صحيحا ، ولكنه كان يحبنى ، وكان يحس ويجد اننى أمثل شيئا جديدا فى الحارة ، فكان يضفى علىَّ اللقب ، وينغمه كل ليلة بنغمة جديدة ، وهو يصيح به عندما يصل الى باب منزلنا ، وبعد أن يذكر اسم ولقب أبى مباشرة ، ثم يدق الصبى المرافق له الطبلة عدة مرات مؤذنا للانتقال من ذكر



أسماء شاغلى شقة ، الى ذكر اسماء شاغلى الشقة التالية فقد كان المعلم (برمة) لايحمل الطبلة ، وانما يسير متوكئا على عصاته ، وحاملا طرف جلبابه الطويل بين أصابع يده اليسرى ، ويقف ليذكر كل الأسماء وهو يدق بعصاته عند الباب ، ثم يتوقف ليدق الصبى الذى يحمل الطبلة دقاته التقليدية بين أسماء ساكنى شقة ، وأسماء ساكنى الشقة التالية .. ولم يكن اسم المعلم أحمد هو (برمة) .. بل كان اسمه المعلم أحمد عبد الفتاح ـ أما اسم (برمة) فهو أسم أطلقته الحارة عليه ، وأصبح يعرف به ، ولايكاد ينادى إلا به ، ولايكاد يعرف الاستجابة الى تسمية غيره .. ولم يكن هذا الأمر غريبا فى حارتنا فاسم الكنية ، أو أسم الشهرة أو الاسم المتعارف عليه بين أبناء الحارة كان يطغى غالبا على الأسم الحقيقى الموجود فى شهادة الميلاد للكثيرين من أبناء الحارة .. فكان عندنا حسن (القاهرة) ، وعلى (البرنج) ، وعباس (قوطة) ، وكمال (السريع) ، ومحمود (البرنس) ، وسيد (المشط) وسعيد (النمرة) .. وغيرهم كثيرون ـ المهم أن أحدا لم يكن يجد غضاضة فى أن يسمى بالاسم المستعار ، أو الاسم المطلق عليه ، أما لاسباب حرفية ، أو لأسباب عائلية ، أو لأسباب تتعلق باحداث حياته هو ، ولكنه أخر الأمر يظل لاصقا بصاحبه ابدا لايجد فيه غضاضة ، ولايجد الآخرون فيه سخرية أو تقليلا من قيمة صاحبه ، وبهذا فلم يكن المعلم أحمد عبد الفتاح يضجر من مناداته باسمه الكنية ، وأن لم يبح لأحد ابدا كيف حصل عليه ، ولامتى

أطلق عليه .. وفى الحقيقة لم يكن أحد يعرف شيئا عن هذا الاسم ـ فقط هو المعلم أحمد برمة ، وكفى ..

وكان الصبية جميعا فى الحارة ينظرون اليه فى دهشة حين يرونه فى الصباح ، وهو يسير يعطل فى مشيته متجها الى دكان صغير عند ناصية بين حارتين ، لاتحوى سوى منضدة خشبية ومسطبة صغيرة وعدة مقاعد .. ثم مجموعة من الأكواب الزجاجية الرخيصة ، وبراد شاى كبير مملوء دائما ، فوق الموقد المشتعل باستمرار ، يملأ منه المعلم برمة لرواده الشاى ، وهم يلعبون الورق فوق المنضدة الخشبية الوحيدة فى الدكان .. ولم تكن القروش القليلة التى يمكن أن يحصل عليها من هذه التجارة الكاسدة كافية لتقيم أود أحد ، ولكنه مع هذا كان مستورا . يلبس جلبابه الأبيض النظيف ومركوبه اللامع ، وفوق الرأس طاقية (مزهرة) .. وزوجته لاتقل فى ثيابها عن أى واحدة من نساء الحارة ، والمندرة التى يسكنها تخرج منها دائما رائحة الطعام الشهى . والفاكهة التى يحملها الى المندرة كثيرة ومنتقاة .. ولهذا فقد كان الهمس ـ ذلك الإعلامى العبقرى الساحر ـ ينتقل عبر الحارة من الكبار الى الصغار ، ومن الصغار الى الصغار ومن الصغار الى الكبار مرة أخرى ، أن المعلم (برمة) يرتزق من مصادر أخرى ، وأن الدكان مجرد مظهر خارجى لتجارته الحقيقية ، وأن رواد الدكان لايأتون لمجرد شرب الشاى وانما هم فى الحقيقة زبائن هذه اللفافات الصغيرة المفضضة التى يدسها المعلم (برمة) فى أكفهم فى صمت وحذر ، ويستخرجها من مخابئها فى الدكاكين الأخرى المجاورة له ، دكان الجزمجى والنجار والبقال والمكوجى ، الذين لايستطيعون رفض طلبه ، وإن عاشوا على ذعر وخوف من الانكشاف ، ولكن نظرات المعلم برمة الحادة الى وجوه جيرانه كانت كفيلة بأن يلبى الكل حاجته وأن يطيعوا أوامره فى صمت .. كان مرهوبا اذن ولكن كان فى الوقت نفسه محبوبا . وحين تقبل (كبسة) المباحث الى الدكان لاتجد فيه الا الشاى والطاولة الوحيدة وعدة مجموعات من أوراق اللعب والموقد ، وربما بعض الحلوى للصغار .. وهو نظيف تماما من أى أثر لأى شىء ، وابتسامته عريضة ، وصوته الجهورى الذى نعرفه فى ليالى السحور أكثر عرضا واستطالة ، ثم يستضيف المخبرين على اقداح شاى ، وكلمات ضاحكة ، والسلام عليكم .. وتنتهى (الكبسة) الى لاشىء ،

وتعود اللفائف المفضضة الصغيرة تنتقل من يد المعلم (برمة) الى الأيادى المرتجفة المتلهفة فى عرض النهار ، دون أن يجسرؤ أحد على الافصاح أو الاحتجاج .. فقد كان الهمس أيضا ينقل بين أبناء الحارة أخبار تلك المعارك التى خاضها المعلم برمة دفاعا عن الحارة وأهلها ونسائها ، أما ضد فتوات الحارات الأخرى الذين كانوا يهاجمون تجار الحارة وأهلها لمجرد اثبات تفوقهم وجراتهم ، أو ضد الأفراد الذين يخرجون عن قواعد السلوك والعرف من أبناء الحارة أنفسهم .. أما الأولى فقد كنا فى الأربعينيات نشهد آخر التقاليد القاهرية التى تربط أهل كل حارة بعصبية حادة تشد كلا منهم الى الآخر ، وتجعل مواطنتهم فى الحارة مواطنة حقيقية تستدعى التداعى عند الأحزان والمشاركة عند الأفراح ، والتساند عند الأزمات .. كما هى تستدعى أيضا نوعا من الترابط فيما يتعلق بكرامة الحارة ككل ، وهيبتها بين باقى الحارات .. والأمر يعود الى مرحلة أعمق فى التاريخ حينما كانت حارات القاهرة تتكون أساسا على قاعدة حرفية أو تجارية أو صناعية ، فهذه حارة السباكين ، وتلك حارة سوق الليمون ، والتالية حارة الغزالين ـ وكل حارة تغلق على نفسها بابا خشبيا سميكا مطعما بالحديد ، لايدخلها غريب بعد غروب الشمس ، والغريب الذى يدخلها أما ضيف ، وأما معتد . والضيف ترحب به الحارة كلها ، وتتيح له من كرمها وأشهر مأكولاتها ومشروباتها وحلواها ، مايجعل اقامته المحددة سعيدة وآمنة ، فهى أيضا مع المطعوم والمشروب والحلوى تسبغ عليه حمايتها .. أما المعتدى فهو يقابل بما يجب من رد الاعتداء وحماية حرمة الحارة وكرامتها ، وهذا الأمر يتصدى له فتوات الحارة وشبابها المعتد بقوته ومهارته فى استعمال الشوم والعصى ، وأدوات أخرى إن لزم الأمر وكان هذا يؤدى بالضرورة الى تعصب أبناء حارة المعتدى ، أو المعتدى عليه فى هذه الحالة ، ومحاولتهم غزو الحارة انتقاما لما تم من اعتداء على ابن حارتهم ، وتأكيدا الى أن انتماءه الى حارتهم وحده لايكفى لكى يعامل معاملة الضيف لامعاملة المعتدى .. وتثور معارك .. وتهجم حارة على حارة ، فتضرب كل المقاهى وكل الدكاكين ، وكل ماهو حى فى الحارة ، والكرسى فى الكلوب (وهى عبارة بدأت من هنا) فإذا الكل ظلام ..

ويشبع فتوات الحارة المعتدية ، رجال وفتيان الحارة التى يهاجمونها ضربا حتى يهرب الكل .. ويسكتون كل صوت وحس ، ويطفئون كل ضوء ، ويقضون على كل تجمع ، ثم يعودون منتصرين وهم يحملون معهم طواقى المهزومين ، وعصيهم ، وبقايا جلساتهم فى المقاهى والدكاكين ، اثباتا لانتصاراتهم وادلالا بقوتهم وسطوتهم .. وكان لابد اذن لأولاد الحارة أن يردوا على الهجوم بهجوم مثله ، وأن

يعودوا من هجومهم بالطواقى والشوم والأشياء الأخرى المختلفة التى تثبت أنهم ضربوا (الكرسى فى الكلوب) فجعلوا الحارة غريمتهم ظلاما .. وكان المعلم (برمة) هو قائد الدفاع والهجوم عن حارتنا فى زمانها السالف .. ورغم أن الزمان سلف ، وأن العمر تقدم به ، وان الحارات رفعت الابواب عن مداخلها وأن

هذا الحديث حول هجوم الحارات والفتوات قد تقلص وأوشك على الانتهاء ، فإن المعلم (برمة) ظل رمز انتصارات حارتنا - أيام زمان - على غيرها من الحارات .. وظل عند الكثيرين رمز الحارة وسيطها المدوى بين باقى الحارات فى مصر القديمة المليئة بالاسرار والتقاليد .. والهمس يقول إنه دخل السجن من أجل هذا ، أى من أجل أن يكون هذا الرمز ، فقد بقر بطن اثنين من حارة معتدية ، ودمر جمجمة ثلاثة ، وحطم معاصم وسيقان سبعة آخرين - وحكم عليه بناء على كل هذا سنوات طويلة فى سجن (قرة ميدان) ، وكانت سنوات السجن طويلة ، أكلت كل مرحلة صباه وشبابه ، ثم بدايات رجولته ، ولكنه بعد كل هذا خرج من السجن رمزا للجدعان ، رمزا للقوة والحماية والجدعنة ، ليجد أن كل هذا قد حال مع الزمن ، ولم يعد أحد يذكر عنه شيئا .. حقا السجن للجدعان ، ولكن من يعرف قدر الجدعان بعد خروجهم من السجن بعد سنوات وسنوات من العذاب يدفعونها ثمنا لهذه الجدعنة .. ؟ أيا كان الأمر فقد كان (برمة) مرهوب الجانب ، محتفظا بخوف الناس منه وأحترامهم له .. ربما لذكريات قديمة ، وربما لحكايات عما فعل فى الليمان ، وكيف طوع الرجال وأرغمهم على الاعتراف بزعامته حتى داخل السجن ، وربما لانه حين عاد ، كان مرفوع القامة عريض الصوت ، مرهوب الجانب ..

أما الثانية .. ونعنى بها الموقف تجاه الأفراد الذين يخرجون عن قواعد السلوك والعرف من ابناء الحاره ، فقد كان هذا هو الوقود اليومى لحياة المعلم (برمة) ، الرجل لايرفع عينيه الى امرأة جاره والولد لاينظر الى بنت تعيش فى البيت الذى يحتويه . والجدعان لايغشون فى التجارة والبيع والشراء ، ولافى التصليح أو التغيير المطلوب فى بيت من البيوت . الجدع لايغش جاره ولايطلب منه أجرا ، ولكن الاصول أن الأجور لها حدود ، والا شومة المعلم (برمة) هى الفيصل . وأى ولد يتبجح ويزيد عن حده ، تربيه الشومة أو اليد القاسية التى تمسك بتلابيبه وترفعه عن الأرض ، ولا يعود اليها الا وهو يسلم بانه طلب أجرا أزيد من الحقيقة ، وأن الجار له حق الشفعة ، وأنه عيب ياجدعان أن نرهق أولاد الحارة بما هو فوق طاقتهم ، وأن الصح أن يطلب كل عامل أجره الصح فقط .

الكلمة الحلوة بين الجار والجار عدل ، والكلمة الرديئة عيب ، ولابد من مجلس رجال ، فمعظم الغلط من كلام النسوان .. فإذا ما جلس الرجال وسمعوا الحكاية من كل اطرافها تمام . فلا خوف لأن كلام الرجال دائما تمام .. ومن هنا كانت معاركه مع الشباب الذى ينسى قدر من هم أكبر سنا ، يلوى أعناقهم حتى يعرفوا من فوق ، ومن تحت .. ومن هنا أيضا كانت معاركه مع كل من يخرج عن هذه القواعد المتبعة ، والتقاليد المعتمدة .. ينتظره عند ناصية الحارة ، يتحداه . ويرمى اليه بأبشع الالفاظ وأقساها . ناعتا أياه

بما لمثله من انهيار وضياع .. فإن اعتذر وتواضع وعرف مكانه ، فهو امثولة الحارة لايام ، ثم تنسى الحارة خطاه وينسى هو سلوكه المشين ، ويصبح الحال عالا .. والا فهو فريسة اليدين الصخريتين ، تتناوله يد ، لتسلمه الى يد أخرى ، وهو بين اليدين مصفوع ، مصفوع ، على الوجنتين والخدين ، والجبهة ، والوجه كله ، بحيث لايعرف من أين يأتى الصفير ، من الأذنين أم من الأنف أمن من الرئة المجهدة ، التى لايستطيع أن يلاحق حركتها فى تنفسه المجهد أبدا .. ويصرخ كفى يامعلم ، كفى ، وأنا غلطان ..

وهو يقول دائما بعد كل معركة من هذا القبيل أن الأدب فضلوه على العلم .. والأدب واجب والا ضاعت هيبة الناس وأقدارها .. وهذا المعنى كان يجعله يحكم الحارة كلها ، فهو موجود عند الناصية فى هذه الدكان الصغيرة المهملة ، ولكنه يسمع كل شكوى ، ويعرف كل افتراء ، ولايتردد لحظة أبدا فى أن يحمل نفسه مترنحا بحركته العاطلة ، ويده تمسك باقى جلبابه وفى يده عصاه الى حيث الشكوى ، والى حيث المعضلة .. وكلمات فيها ، والحق يوضع بوضوح أمام الجميع ، فإذا الكل يسمعون ويلبون ، فالحق وراءه هذه العصا ، وهذا الرجل ..

فالمعلم (برمة) إذن كان فتوة الحارة ، وكان معنى الفتوة يمتزج بالقوة والحق ، الى جوار العمل الذى



يكفل الرزق ، والعمل الذى هو خدمة لأهل الحارة .. كما كان هذا المعنى أيضا يمتزج فيه الحب والرهبة ، الى جوار الألفة والوحشية ، ويقترب الى حد الخروج على القانون ، ويعيش على هذه الشعرة الحادة الفاصلة بين ماهو شرعى وبين ماهو مخالف للشرعية ..

وكانت كل هذه المعانى تكون فى قلوبنا وعقولنا صورا مبهمة وغامضة ، كثيرا ماتختلط فى أحلامنا ، فى نومنا

القلق قبل السحور ، بالقصص والحكايات التى تحكيها جداتنا حول الشاطر حسن وجميلة والوحش ، وست الحسن والغول ، قد نتخيل الشاطر حسن فى صورة المعلم برمة ، أو قد نتخيل الوحش فى هذه الصورة ، أو قد يختلط الاثنان ومعهما الغول فى صورة واحدة ، هى مزيج من أحلام اليقظة ، وأحلام النوم ، وتلك الاحلام التى يعمل فيها الخيال واللا شعور دورا مزدوجا ، والتى تاتى مابين لحظات اليقظة والنوم .. ثم يقطع هذا كله صوت المعلم برمة ينادى أسماءنا واحدا واحدا ، والطبلة تصاحبه بايقاع رتيب بين كل اسم واسم ..

ولكن هذا الايقاع كان ينقلب الى شىء آخر مبهج وبهيج فى الأيام الأخيرة من رمضان ، أو أيام التواحيش كما كنا نسميها . فالطبلة ليست للايقاع الرتيب بين الاسماء ، وانما هى لايقاع مرح مموسق ، يصاحب الة (الاكورديون) أو موسيقى اليد كما كنا نسميها ، ومعها طبلات ودفوف أخرى ، وأصوات تغنى مودعة شهر رمضان على نغمات ملحنة ، وترديدات من مجموعات الشباب الذى يلتف حول المعلم برمة ، بعضهم يحمل عصيا مثل عصاه والاخرون يحملون (الكلوبات) المضاءة يرفعونها فوق الرءوس ، وهم يقفون على النواصى ، ليتصدر المغنى الجميع ، يردد كلمات أغنية بصوته الجميل ، والكل يردد المقاطع واللزمات وراءه ، بعضهم يصاحبهم بالرقص

بـالعصـا ، وبعضـهم يصـاحبـهم بالتصفيق المرافق للنغم ، وبعضهم يقـاطعهم بصيحـات الاستحسـان والتكبير .. ووراءهم الاطفال صبية وبنات يحملون الفوانيس الزجاجية الملونة وقد أشعلوا فيها الشموع ، يحركونها فى الهواء ، ويرددون مع المـرددين المقـاطـع واللـزمـات ، ويصيحون مع الصائحين فى فرح وبهجة . وكل النوافذ المطلة على الحارة قد فتحت ، وامتلأت بالنساء والصبيات يرقبن (الصبية) ، أو هذا المـوكب الغنـائى البهيـج ، وهن يتهامسن ويتصايحن .. وقد يستخف الطـرب والبهجـة أحـداهن فتطلق (زغرودة) فرحة ، ترد عليها واحدة بأخرى من نافذة بعيدة مازالت تنتظر أن يصل الموكب البهيج اليها .. وفى وسط هذا كله يقف المعلم برمة ممسكا بعصاه فى يد ، ورافعا ذيل جلبابه الطويل فى اليد الأخرى . يرفع عصاه فيسكت كل صوت ليردد أسماء من فى المنزل الذى يواجهه ، ثم ينزل عصاه ليبدأ الغناء وتبدأ الموسيقى مرة أخرى . ويشير بيده فيتحرك الجميع لحركته المهتزة ، ثم يشير بعصاه ، فيقف الجميع ليتقدم المنشد مرة ، والمغنى مرة ، والمنولوجست مرة ، كل يقدم ماعنده فى دوره الذى يحدده له المعلم برمة باشارة من يده ، أو هزة من راسه .. وحين يمر الموكب ، تترك النساء والصبيات النوافذ الى صالات الشقق والاحواش ، حيث يتجمعن لصنع كعك العيد ، كل نساء المنزل ونساء الجيران يتعاون فى العجن والنقش والحشو وهن يغنين ويحكين آخر حكايات الحارة .. وحين تنتهى مجموعة من (الصيجان) حيث تمتلىء بما رص فيها من عجينة الكعك ، تحملها الصبيات الى فرن الحارة ، أو فرن الحى .. أما الرجال والصبيان الذين يعودون من مصاحبة (الصهبة) أو المشاركة فيها ، أو من مجالسهم على المقاهى ، أو الزيارات فهم يتناولون السحور ، ثم يستعدون لصلاة الفجر التى يحرصون على أدائها فى (زاوية) الحارة او المساجد القريبة الصغيرة أو فى المسـاجـد الشهيـرة القـريبـة كالشعرانى أو الحسين .. وينتشر فى الحارة همس أن كثيرا من المغنين الذين اشتهروا وكانوا فى صباهم يشاركون فى هذه (الصهبة) ، ويؤكد الهمس أن الهامسين رأوا بأعينهم فلانا ، وسمعوا بأذانهم فلانا الأخر ، من المغنين المنتشـرين فى الـراديـو والحفلات والملاهى ، وهم يصاحبون هذه الصهبة ، ويجـدون فى هذه الجولات نوعا من الولاء للحارة ، والمنبت القديم .. ولايعرف أحد صدق هذا الهمس ، وأن كان أمره ليس بمستبعد فأولاد الحارة دائما يحنون اليها ، ودائما يحسون بالولاء لها ، وبالرغبة العميقة الدفينة فى استمرار هذا الولاء ، فالحارة مليئة بالذكريات والاحلام والناس .. الناس الذين عاشوا الحياة بكل صدقها وبهجتها وأحزانها كذلك .. وحين ولوا تركوا خلفهم كنوزا من الذكريات . ■



كانت الأندلس العربية قد انتقلت من أيدى «المرابطين» الذين تملكوها منذ انتصارهم على الاسبان فى معركة «الزلاقة» الشهيرة ، الى ايدى «الموحدين» فى القرن الثانى عشر الميلادى .. وكان هدف الموحدين كما كان هدف المرابطين من قبلهم حماية الاندلس من السقوط فى قبضة الإسبان وفقدان هويتها الاسلامية والعربية .. ولكن هذا الطريق الذى كان مفروشا بالنيات الحسنة من المرابطين والموحدين ، لم يؤد فى معترك التاريخ الا الى ضياع الاندلس وخروج العروبة والاسلام من هناك الى الابد ! ..



وحيد القرن .. كما جاء شكله فى كتاب منافع الحيوان لابى سعيد عبيد الله

● فى غمرة الصراع ضد الاعداء المتكالبين على الاندلس ، ظهر فلاسفة وفقهاء وشعراء ومغنون وملحنون وقادة حرب ، وملوك وأمراء وقضاة ،

وفتحت الامارات الاندلسية ابوابها للاجئين اليها من الامارات «الشقيقة» التى كانت تتساقط فى أيدى الاسبان واحدة اثر الأخرى ، فيطرد الغزاة اهلها ويرغمونهم على الحياة لاجئين فى كنف اشقائهم العرب فى اماراتهم التى لم تسقط بعد ، وان كانت هى الأخرى مرشحة للسقوط فى دورها المحتوم ! ..

وفى هذه الظروف عاش محمد بن عبدالملك بن طفيل الفيلسوف الاندلسى ، مؤلف اول رواية فى الأدب العربى والآداب العالمية وهى رواية «حى بن يقظان» ..

ليس لهذه الرواية نظير ، ولا هى منسوجة على منوال قديم ، وهى اول وآخر رواية من نوعها ومن مستواها الفنى والفكرى فى تاريخ الأدب الاندلسى



والأدب العربى كله قديما وحديثا ، ويمكن ان يقال ان فن الرواية والقصة فى الأدب العربى ، ثم فى الادب الاوربى ، قد بدأ من «حى بن يقظان» .. فلولا هذه الرواية التى ترجمها الأوربيون الى لغاتهم ، لما تنبهوا الى فن الرواية والقصة ، وحسبك ان الرواية الذائعة الصيت (روبنسون كروزو) انما خرجت من معطف «حى بن يقظان» !

قد يقال ان الأدب العربى عرف لونا رائعا من الفن القصصى فى «كليلة ودمنة» لابن المقفع ، ولكن كليلة ودمنة كانت مترجمة أو نصف مترجمة ، أو شبه مترجمة ، فأصلها العربى إذن غير خالص ، أما «حى بن يقظان» فهى الرواية العربية الوجه واليد واللسان ، قلبا وقالبا .

● الف ليلة بعد حى بن يقظان

وقد يقال ان «الف ليلة وليلة» كانت ومازالت لونا رائعا من القصص فى الأدب العربى .. ولكن الف ليلة وليلة إنما جاءت بعد حى بن يقظان ، كأنما ابن طفيل هو الذى نبه اصحاب الأقلام فى المشرق الى فن القصة الخيالية ، فجاءت الف ليلة وليلة بقصصها الخيالية الفذة الباقية على الزمان عجبا من العجب ! ..

كان ابن طفيل مبدعا موهوبا ولولا انه كان كذلك لأغراه فن «المقامة» بالنسج على منواله فى كتابة قصة حي بن يقظان ، ولكن بصيرته النافذة هدته الى اسلوب القصة بمواصفاته الفنية الاساسية وحررت قلمه من السجع الذى كان سيد الموقف فى الساحة الأدبية فى زمانه وبخاصة فى بلاد المشرق ..

وللاندلس - بوجه عام - ميزة على المشرقيين فى الأدب شعرا ونثرا ، فتجد ادباء المشرق منذ القرن الخامس الهجرى - الحادى عشر الميلادى - غارقين فى السجع ، ولا تجد ادباء الاندلس كذلك ، حتى أن ابن خلدون - وأصل أسرته من اشبيلية فى الاندلس - كتب مقدمته الشهيرة بأسلوب لا سجع فيه ، يرتقي ببلاغته ومتانة نسجه البيانى الى مستوى اعظم كتاب العربية المشارقة الاولين «وبلاغة ابن خلدون لا يستطيع ان يصفها الا ابن خلدون نفسه» .. كما يقول الأمير شكيب ارسلان امير البيان فى جيل ادبائنا الماضى .

وفى الشعر احتفظ الاندلسيون بديباجة القصيدة العربية صحيحة قوية حتى اخر رمق فى حياة الدولة العربية - او بقايا هذه الدولة - فى الاندلس المتساقطة كأوراق الخريف ..

وحسبك ان تطالع القصائد التى قيلت فى القرنين الأخيرين من حياة الاندلس ، بين سقوط قرطبة وسقوط غرناطة ، لترى عبقرية الشعر الاندلسى ومقدرته الفذة على اقامة القصيدة العربية على أصولها الذهبية العريقة ، مع ان المشارقة كانوا حينذاك قد سقطوا بشعرهم ونثرهم فى

لوحة رسمها الفنان نظامى
عن الحروب العربية ، محفوظة
فى مكتبة متحف لندن





حضيض الركاكة المملوكية المستعجمة ..

ولك ان تقرأ القصيدة التى اولها .

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا

ان الطريق الى منجاتها درسا

والقصيدة التى مطلعها :

ما بال دمعك لاينى مدراره

أم ما لقلبك لا يقر قراره

والقصيدة المشهورة لابى البقاء الرندى :

لكل شىء اذا ما تم نقصان

فلا يغر بطيب العيش انسان

والقصيدة التى قيلت فى سقوط مدينة «رندة» وكان سقوطها تمهيدا لسقوط غرناطة وذهاب دولة العرب :

احقا خبا من جو رندة نورها

وقد كشفت بعد الشموس بدورها

وقصائد اخرى كثيرة فى بكاء الاندلسيين على ارضهم فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر ! ..

فهذه القصائد الاندلسية قيلت فى عصر يوافق فى مصر عصر سلاطين الجركس ، من برقوق الى المؤيد شيخ ، الى بر سباى ، الى قايتباى ، ثم الى قنصوه الغورى اخر هؤلاء السلاطين ! ..

فما اعجب ان يكون الشعر الاندلسى فى ذلك الزمن بالغا تلك الذروة الرفيعة بينما الشعر المصرى فى عهد السلاطين الجراكسة قد مات ولم تبق حتى ذكراه ، مع أن دولة الاندلس كانت قد ماتت ، ودولة مصر مازالت حية ترزق ! .

وليس هذا استطرادا بعيدا عن ابن طفيل وقصته الرائعة التى نطالعها فى سوانح الصيام ! ..

● ابن طفيل حكيم وفيلسوف

كان ابن طفيل عربى الاصل ، اجداده من قبيلة قيس بن عيلان التى انتشرت فى البلاد العربية كلها تقريبا ومن بينها مصر .. ولد فى بلدة قادس بالاندلس وعاش ثمانين عاما ، شهد خلالها سقوط بلدته فى يد الاسبان ، فظل يهاجر من بلد الى بلد فى الاندلس ، حتى استقر آخر الأمر فى مراكش بالمغرب .

وابن طفيل محب للحكمة او الفلسفة .. قرأ ابن سينا الفيلسوف المشرقى ، وابن باجة الفيلسوف الاندلسى ، وشمل بعطفه ورعايته ابن رشد اشهر فلاسفة الأندلس .. وازدحمت فى رأسه أفكار أهل السنة والمعتزلة والاشاعرة والفلاسفة الاسلاميين الذين حاولوا التوفيق بين الدين والفلسفة .

وقصة «حى بن يقظان» ليست من وحى الفلسفة اليونانية او الاساطير اليونانية ، كما يحلو لبعض المتعصبين على العرب من المستشرقين ان يزعموا ، وهو لم يأخذ من قصة «سلامان» اليونانية الا اسم صاحبها ، ثم لم يظهره على مسرح روايته الا فى المنظر الأخير من الفصل الأخير . ولم يجر على لسان «سلامان» شيئا من الخرافة اليونانية الوثنية القديمة بل اجرى على لسانه كلام اصحاب الاديان السماوية .

ولم يستوح ابن طفيل قصته من ابن سينا وان كان قد استعار منه اسم بطل القصة «حى بن يقظان» وهو اسم ورد فى

بعض ماكان يقوله ابن سينا ،ولكن قصة ابن طفيل اخذت هذا الاسم واسندت اليه دورا جبارا لم يخطر على بال ابن سينا ، وهو دور انسان يقال انه مخلوق من الطين ، ويقال انه ابن امرأة قذفت به فى البحر ، كما قذفت ام النبى موسى به من قبل فى اليم لينجو من سيف فرعون ! ..

فابن يقظان قد يكون مثل ادم ، مخلوقا من طين ، او مثل سائر البشر مولودا من اب وام .. وهو مثل موسى بن عمران هارب من سيف السلطان ..

وللقارىء ان يتخيل هذا الانسان العجيب كما يشاء ان يتخيله ، ويختار له الثوب الروائى الذى يراه لائقا به فى خياله ! ..

وبعض النقاد يأخذون بخناق الآراء الفلسفية والعلمية التى عرضها ابن طفيل خلال قصته الرائعة .. وما نظن ذلك من العدل والاحسان الى هذا الرجل العادل المحسن ، المفكر الفنان الذى اقام فى الغابة نظاما اجتماعيا طوبويا فذاً ، جمع فيه انسانا فرداً مع الحيوانات والنباتات ، وأعلن على رءوس الاشهاد فى القرن الحادى عشر الميلادى ان الأرض كروية مع ان بعض فقهائنا فى سنة ١٩٩٠ مازالوا يصرون على تكفير القائلين بكروية الأرض ! ..

لقد جاء ابن طفيل من خياله الخلاق بطفل رضيع فاجتاز به مراحل النمو حتى بلغ الخمسين من عمره ، وأخذ بيده حتى اثبت وجود ذاته ، ووجود العالم خارج ذاته ، ووجود صانع هذا العالم وهذه الذات .

ولم يجلس حى بن يقظان فى الغابة يتأمل ذاته أو يتأمل الحيوان والنبات والبحر والكون كله ، تأملا مجردا بلا عمل ولا سعى هنا وهناك فى سبيل المعرفة والدربة ، بل اشتبك مع الغابة ونباتها وحيوانها فى صراع وعلاقـات شبه انتاجية .

الا ان هذه الشخصية الخيالية الفذة البديعة التكوين المثيرة للعطف الشديد ، توحى الى من يطالعها بان المعرفة والدربة يمكن انجازهما في غير اجتماع بشرى ، فيجلس الانسان فردا منعزلا عن الجنس البشرى كله ، ولا معرفة له البتة بوجود هذا الجنس البشرى .. ثم يرسل اشعة عقله المجردة فيجوب بها الغابة ، ويفحص عن امر الحيوان والطير والنبات والماء والهـواء ، ويتأمـل الشمس والقمر والنجوم ، ويكتسب المدركات العقلية دون ان يتحرك لسانه بلفظ واحد ، بل دون ان يشعر بحاجته الى لغة تكون وعاء لمدركات عقله ! ..

هذا مع أن مخترع صاحب هذه الشخصية الباهرة لم يقحم عليه غيبيات غير مفهومة تحركه كمعجزة خارقة ، بل جعله انسانا حقيقيا يبحث بنفسه عن كل شىء ، ويكتسب المعرفة والمهارة بالعمل والنضال والمعاناة والصراع ، لا بمجرد الاسترخاء الشاعرى تحت اشجار التفاح ! ..

ولكن المعرفة لا يمكن تحصيلها باجتهاد فرد واحد متعزل فى غابة ، يواجه الطبيعة والمجهول غير مدرك انه فرد من جنس أو جماعة .. ولا تجىء الاخلاق والخير والشر والمعرفة وغيرها الا من حياة الفرد فى جماعة ، ولا يمكن ان يكتسبها انسان فرد بوصفه ـ وحده ـ هو الجنس البشرى كله ، قائما على قدميه فى غابة تمشى كل مخلوقاتها ـعلى اربع ، حتى ليصاب بالذهول حين يرى ـ فجأة ـ



لوحة "الوداع" تعود الى القرن الثامن الميلادى

انسانا مثله يمشى على رجلين ، ولا يمشى على اربع كسائر اهل الغابة ! ..

● عمل رائع

إن لقاء ابن يقظان مع «سلامان» فى رواية ابن طفيل ، لمن اروع ما خطت الاقلام ، وبهذا اللقاء نفى ابن طفيل ان فى استطاعة فرد واحد اكتساب المعرفة الا فى حدودها الحيوانية البدائية العجماء ! ..

فعند لقاء ابن يقظان وسلامان ، لم يستطع ابن يقظان ان يتفاهم مع «سلامان» .. لأن سلامان ناطق ، وابن يقظان اعجم .. وقد زعم ابن طفيل ان الناطق والاعجم ، استدلا على وجود الله ، كل بطريقته .. هذا بالفطرة ، وذلك بالتعلم ! ..

وليس ذلك بالمستطاع فيما نظنن ، فليس فى مكنة انسان اعجم متوحد فى غابة ولا يعرف فى الدنيا بشرا سواه ان يستدل على وجود الله ، لأن الاستدلال العقلى تسوقه التجربة العملية ، ولا يمكن اكتسابه من هذه التجربة الا بنظام عقلى



لوحة مستوحاة من مقامات الحريرى رسمها الفنان الوسيطى عام ١٢٣٧ ببغداد

ينمو من خلال نظام لغوى تنضبط به الافكار والمدركات ولا يمكن لجوهر الفطرة ان يظهر ويعمل عمله الصحيح الا من خلال نظام عقلى لغوى .. وهذا هوالفرق بين الانسان الناطق والحيوان الاعجم ..

وهكذا كان لابد ان يفشل الفيلسوف الشاعر الطبيب الكاتب العبقرى ابو بكر محمد بن عبدالملك بن طفيل في الهدف الذى اراده ، وهو الاستدلال على وجود الله بمجرد الفطرة العجماء التى لا تملك حتى مجرد الصوتيات اللغوية البسيطة .

الا ان ابن طفيل تدارك ذلك فجاء من ارض بعيدة بالفتى «سلامان» الذى نشأ في مجتمع انسانى واكتسب عقله نظاما لغويا وفكريا ، فجعل منه ابن طفيل رائدا ومرشدا لحى بن يقظان الاعجم المسكين ! ..

ونعود فنقول : من الظلم لهذا العمل الادبى الفلسفى الفنى الدرامى الرائع ان ننظر اليه بغير عين الفن والادب والخيال .وليكن ما احتواه من الفكر كيفما يكون ! ..

على ان فكر ابن طفيل ـ باعتبار زمانه ومكانه ـ لا يقل عظمة عن أدبه وفنه ! ..

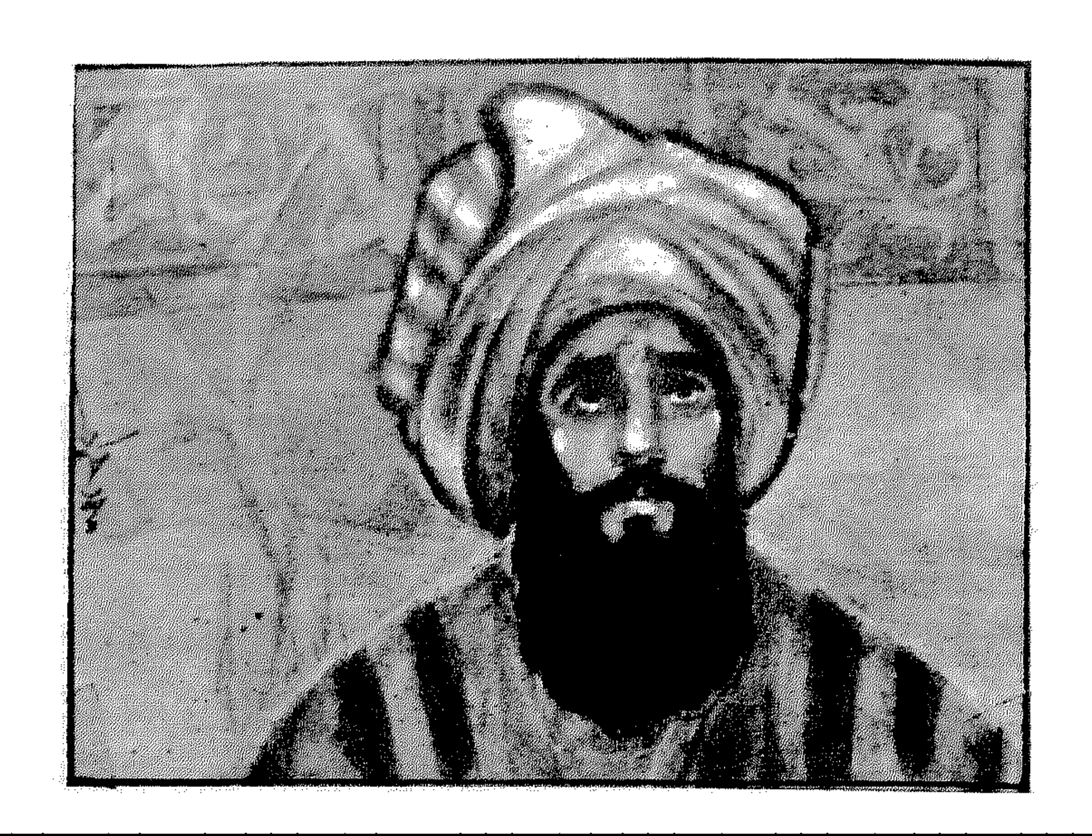
عبد الرحمن بن خلدون

ابن خلدون للقارئ!

بقلم : صافي ناز كاظم

● ولد وتوفي برمضان وبين الرمضانين ٧٦ عاما هجريا ، فقد ولد عبد الرحمن بن خلدون بتونس في غرة رمضان سنة ٧٣٢ هـ ، الموافق للعام الميلادي ١٣٣٢ ، وتوفي بالقاهرة في ٢٦ رمضان سنة ٨٠٨ هـ الموافق ١٦ مارس سنة ١٤٠٦ ميلاديا ـ إذ أنه امضى الـ ٢٤ سنة الأخيرة من عمره بمصر تحت حكم الملك الظاهر برقوق المملوكي ـ ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر في إتجاه الريدانية أو العباسية الآن .

● هذه بيانات لم تكن واضحة لدى ولا أظن انها واضحة للكثيرين ، فكم منا و عى في ذاكرته أن ابن خلدون من بين علماء العصور الوسطى في ظل حكم المماليك ، تلك العصور وذلك الحكم الذى أصبح ـ بسبب فقدان الذاكرة وخلط الأمور والجهل الشديد ـ من مفردات الشتائم التى تكال حين الحاجة للاشارة إلى أحد بالتخلف أو الظلامية أو القهر أو الاستبداد ، فيقال فيما يقال : « عودة إلى ظلام العصور الوسطى وإرتداد إلى عصر الانحطاط المملوكى » غير مدركين أن تلك العصور في دائرة التاريخ الاسلامى كانت من أنصع العصور علما وحضارة وأحد شواهدها أن ولد وتربى وتعلم وعاش وأثمر بها إبن خلدون ومعاصروه الافذاذ ، الذين وجدوا تحت حكم المماليك الأحترام والرعاية والتقدير لعلمهم وثقافتهم وتنويرهم . وكم منا يعرف أن إبن خلدون هنا بين ظهرانينا بالقاهرة في قبر ما



مجهول الآن بالعباسية حيث أسكن ، ومن الآن فصاعدا سوف أخفف الوطء وأنا اتجول فقد أكون فى حضرة إبن خلدون من دون أن ادرى وأنا أسير بالدبيب الأعمى ! ..

● مؤسس علم الأجتماع

باستثناء المتخصصين ، فمعظم الذين يذكرون اسم ابن خلدون لايعرفون عنه سوى معلومة يلفها الضباب عن انه عالم من المغرب أسس علم الأجتماع وأنه صاحب مؤلف اشتهر باسم « مقدمة ابن خلدون » .

وقد وقع فى يدى كتاب ، أو بالأحرى كُتيب أصـدرته منشـورات المتوسط ومنشورات كتابة من سلسلة « التراث العربى » يقع فى ٨٣ صفحة بعنوان « فى المعاش والكسب والصنائع » يقدم فصولا فى الاقتصاد السياسى مقتطفة من « مقدمة » عبد الرحمن بن محمد بن خلدون لتاريخه المسمى « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى ايام العرب والعجم والبربر » . هكذا جاء التنويه فى آخر صفحة فى هذا الكتيب وهو إختزال مشين لاسم الكتاب ولهذه المقدمة التى كتبها إبن خلدون فى ٦٥٠ صفحة ووصلت فى طبعة لجنة البيان ، التى إنتهى الدكتور على عبد الواحد وافى عام ١٩٦٠ من اعدادها وتحقيقها وتقديمها بدراسة شاملة ، إلى حوالى ١٢٠٠ صفحة وتقع فى ثلاثة مجلدات وتباع حاليا بمكتبة نهضة مصر . ولك أن تفهم أن ذلك الكتيب الذى وقع بيدى هو ـ على الرغم من طباعته الفاخرة ـ ليس سوى كسرة من كسرة من فرع صغير يتيم مبتور من شجرة ضخمة لايسمن ولايغنى من جوع



لوحة من الفن العربي . مرسومة عام ١١٩٩ . محفوظة في المتحف الوطني بباريس



لوحة مستوحاة من مقامات الحريرى مرسومة فى بغداد عام ١٢٣٧

عبد الرحمن بن خلدون

فهو بلا تحقيق أو تفسير أو حتى نبذة موجزة عن المؤلف وأصل الكتاب ، فهو بمثابة « نشل للتراث يشوهه ويسىء استغلاله بغية الأثراء غير المشروع من ورائه ، يتم الأغراء به ثم لا يكون إلا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، ولم يفدنى هذا الكتيب إلا فى إثارة غضبى الذى دفعنى للبحث عن الشجرة وجذب انتباهى إلى ماينقصنى من معرفة ، وكان لابد قبل الذهاب إلى الشجرة أن يحيلنى شوقى إلى دليل يأخذ بيدى ليعرفنى كيف تبدأ الرحلة ، **ووجدت دليلى فى كتاب رائع لباحث عالم يتمتع ، مع صدقه ودقته وذكاء تمحيصه وجدله وسعة علمه ، بأسلوب مشرق ودود ، جاد فى بساطة وعميق فى يسر ، واعنى كتاب « عبد الرحمن بن خلدون » للأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى الذى اصدرته حوالى عام ١٩٦٠** الأدارة العامة للثقافة بوزارة الثقافة والأرشاد القومى وطبعته مكتبة مصر تحت سلسلة « أعلام العرب » ويقع فى ٣٢٦ صفحة وكان ثمنه خمسة قروش ! ولا توجد منه نسخ متوفرة فى السوق منذ أن أمد طويل - ولا حتى مسروقة ! **لذلك اقترح أن تدرجه سلسلة كتاب الهلال فوراً فى قائمة إصداراتها للتنوير الحقيقى واشاعة الفهم المطلوب لأمة العرب والمسلمين .**

وأهمية هذا الكتاب أنه يجعل ابن خلدون « للقارىء » العام ، أى يحوله إلى موضوع شيق يخرج من خزائن المتخصصين المغلقة والطلاب والدارسين ، ليجتذب اهتمام القارىء الخالى الذى يود الاستمتاع بوقته إستمتاعا راقيا ناهضا ، **وللدكتور على عبد الواحد وافى فى كتابه وسيلته البشوشة فى الكتابة تستقطبك إلى التنقل معه عبر حياة إبن خلدون السياسية الصاخبة - التى صعد فيها إلى منصب يوازى رئاسة الوزراء ثم هبط إلى السجن والنفى والتهجير والهرب ثم صعد إلى منصب قاضى قضاة عزل منه وتولاه أربع مرات فى خلال خمس سنوات بفعل الدس والمكيدة والحسد !**

ثم حياته الانسانية العسيرة والعلمية الوارفة ، فى تلقائية وحب وجيشان دون أن تحس بوطأة أو ثقل أو تململ .

والكتاب ينقسم بعد « مصطلحات الأحالة » و « المقدمة » إلى بابين

١ - حياة ابن خلدون ، ويستغرق هذا الباب ١٣٣ صفحة ومقسم إلى اربعة فصول .

٢ - آثار إبن خلدون ومظاهر عظمته ، ويستغرق ١٩٣ صفحة ومقسم إلى تسعة فصول .

ويعرفنا الدكتور على عبد الواحد وافى فى البداية بأن هناك عدة طبعات لما تم التعارف عليه باسم :

« مقدمة إبن خلدون » ، **اولها** : : طبعة باريس التى أشرف عليها المستشرق كاترمير وظهرت سنة ١٨٥٨ م ، **وثانيا** : طبعة بولاق التى تم ظهورها سنة ١٢٨٤ هـ الموافقة سنة ١٨٦٨ م . وهى فى سبعة مجلدات ، المجلد الأول منها « مقدمة إبن خلدون » والستة الأخيرة لكتاب « العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر .. » وهو جسم

العمل الفذ الذى انجزه ابن خلدون فى أربع سنوات ثم كتب له « المقدمة » المعروفة فى زمن قياسى لم يتجاوز الخمسة أشهر .

وثالثها : طبعة التقدم التى أخرجها مصطفى فهمى الكتبى سنة ١٣٢٩ هـ أى حوالى سنة ١٩١٠ م .

ورابعها : طبعة « لجنة البيان العربى » التى حققها وشرحها وعلق عليها د . على عبد الواحد وافى وأشرت اليها فى بدء كلامى . ويذكر كذلك كتاب « التعريف بإبن خلدون ورحلته شرقا وغربا » .. وهو الكتاب الذى ذيل به ابن خلدون عمله الضخم وأسماه أولا « التعريف بابن خلدون مؤلف هذا الكتاب » ـ قاصدا كتاب « العبر » .. ثم نقحه واضاف اليه الكثير بعد رحيله الى مصر ودون به ترجمة حياته كلها منذ مولده إلى قبيل وفاته ببضعة أشهر . ويعد ابن خلدون بكتابه « التعريف » .. هذا اماما ومجددا فى فن « الأوتوبيوجرفى » أو « السيرة الذاتية » ويقول الدكتور على عبد الواحد وافى فى ذلك ص ٢٣٨ : « .... صحيح أنه قد سبق ابن خلدون فى هذا الفن كثير من مؤرخى العرب وأدبائهم ، كياقوت الحموى فى كتابه « معجم البلدان » ولسان الدين بن الخطيب .. معاصر ابن خلدون وصديقه فى كتابه ، (الإحاطة فى أخبار غرناطة) ، والحافظ بن حجر معاصر ابن خلدون كذلك فى كتابه (رفع الأصر عن قضاة مصر) . ولكن هؤلاء وغيرهم ممن تصدوا قبل ابن خلدون للترجمة عن أنفسهم قد قنعوا بتراجم موجزة . أما ابن خلدون فهو أول باحث عربى يكتب عن نفسه ترجمة رائعة مستفيضة يتحدث فيها عن تفاصيل ماجرى له ، وما أحاط به من حوادث ، من يوم نشأته إلى قبيل مماته ، ويتحدث عن كل ذلك بدقة المؤرخ الامين الحريص على الاستيعاب والشمول ، فلا يغادر شيئا مما عمله أو حدث له إلا سجله ، حتى الأمور التى يحرص الناس عادة على كتمانها لما تنم عليه من خلق غير كريم ، وبذلك تدخل هذه الترجمة من بعض نواحيها فى الفن التاريخى الذى اشتهر باسم الأعترافات ، كاعترافات الغزالى فى كتابه (المنقذ من الضلال) واعترافات جان جاك روسو فى كتابه « الاعترافات » .

وكتاب « التعريف » تتعدى صفحاته بقلم ابن خلدون المائتى صفحة وقد صدر عام ١٩٥١ بطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر التى حققها وعلق عليها العلامة محمد تاويت الطنجى وتتعدى الـ ٤٠٠ صفحة ـ ثم اندثرت هذه الطبعة كذلك ولم يبق متداولا فى السوق الآن إلا الطبعة اللبنانية المسروقة والمصورة من طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر المذكورة ، بعد أن حذف السارق مقدمة محمد تاويت الطنجى واسمه وبقيت هوامشه موجودة لاتستند إلى فاعل !

● ● ●

يقسم الدكتور على عبد الواحد وافى حياة ابن خلدون إلى أربع مراحل :

« **المرحلة الأولى** : مرحلة النشأة والتلمذة والتحصيل العلمى . وتمتد من ميلاده سنة ٧٣٢ هـ لغاية سنة ٧٥١ هـ فتستغرق زهاء عشرين عاما هجريا .. وقد قضاها كلها فى مسقط رأسه بتونس ، وقضى منها نحو خمسة عشر عاما فى حفظ القرآن وتجويده بالقراءات والتلمذة على الشيوخ وتحصيل العلوم .

المرحلة الثانية : مرحلة الوظائف

الديوانية والسياسية . وتمتد من أواخر ٧٥١ هـ إلى اواخر سنة ٧٧٦ هـ ، فتستغرق زهاء خمسة وعشرين عاما هجريا ، قضاها متنقلا بين بلاد المغرب الأدنى والأوسط والاقصى - (مايسمى الآن تونس والجزائر والمغرب) - وبعض بلاد الاندلس . وقد استأثرت الوظائف الديوانية والسياسية بمعظم وقته وجهوده فى أثناء هذه المرحلة .

المرحلة الثالثة : مرحلة التفرغ للتاليف . وتمتد من أواخر سنة ٧٧٦ هـ إلى أواخر ٧٨٤ هـ ، فتستغرق نحو ثمان سنين ، قضى نصفها الأول فى قلعة ابن سلامة ونصفها الأخير فى تونس ، وقد تفرغ فى هذه المرحلة تفرغا كاملا لتاليف « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، فى ايام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر »

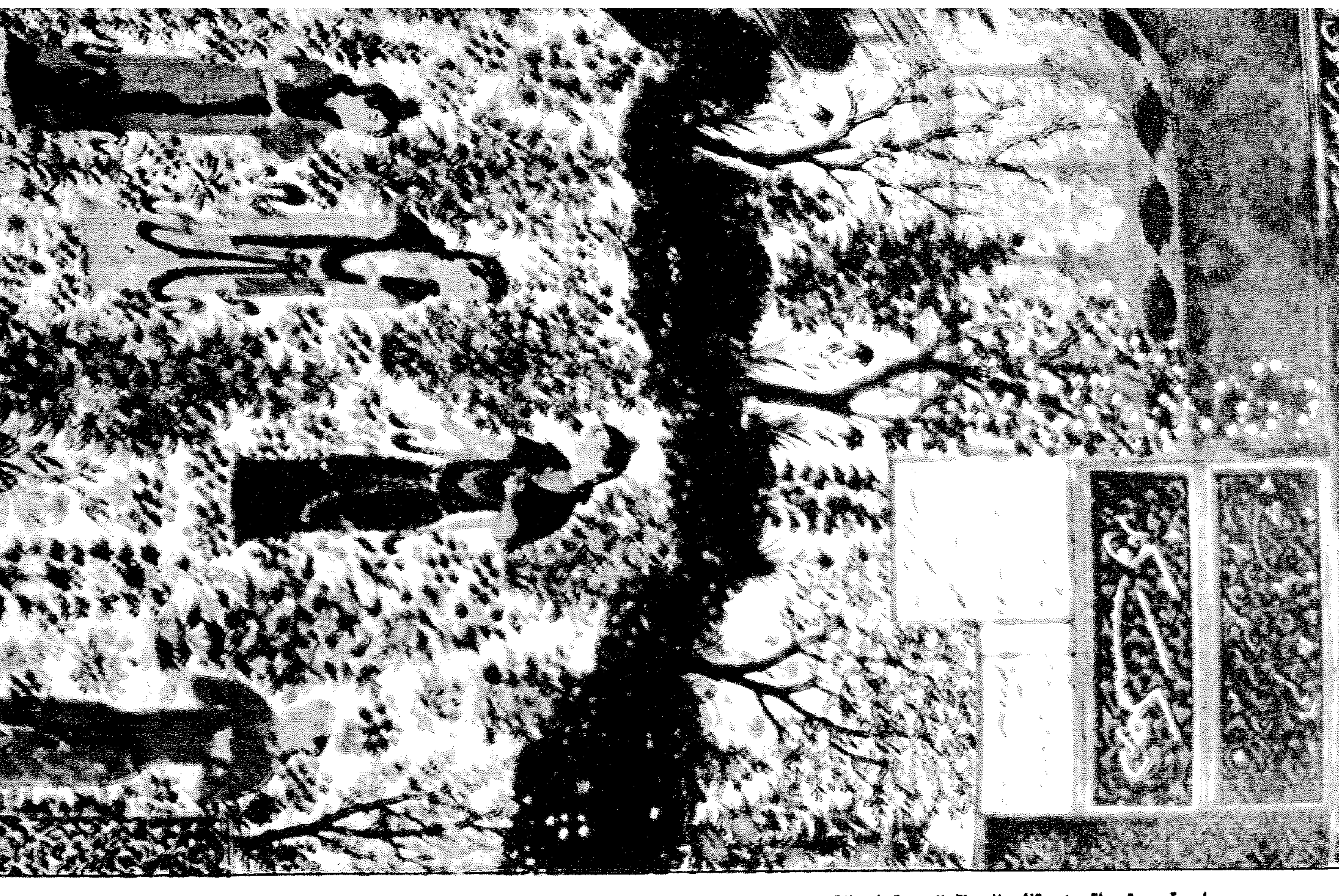
ويطلق الآن على القسم الأول من هذا الكتاب اسم مقدمة إبن خلدون وهو يشغل مجلدا واحدا من سبعة مجلدات يشغلها هذا الكتاب بحسب طبعة بولاق .

المرحلة الرابعة : مرحلة وظائف التدريس والقضاء وتمتد من أواخر سنة ٧٨٤ هـ إلى اواخر ٨٠٨ هـ ، فتستغرق زهاء أربع وعشرين سنة ، قضاها كلها فى مصر وقد استأثرت وظائف التدريس والقضاء بأكبر قسط من وقته وجهوده فى اثناء هذه المرحلة .

● حوادث مثيرة

وبعد هذا التقسيم يأخذنا الدكتور على عبد الواحد وافى فى رحلة تتوقف بنا عند كل مرحلة وقفة كافية لتحيطنا إحاطة شافية بأيام حياة ابن خلدون التى شالته وحطته فى حوادث مثيرة وملابسات عجيبة لعل أكثرها إثارة مقابلته فى دمشق

غزال شارد .. اللوحة منقولة عن كتاب "منافع الحيوان" لابى سعيد عبيد الله



لوحة مستوحاة من وقائع الحياة اليومية فى القرن الرابع عشر محفوظة فى متحف الزخرفة بباريس

« لتيمورلنك » السفاح التترى المشهور وكيف كان لطيفا دمثا معه ، والكوارث التى المت به منذ مطلع حياته حين أدى الطاعون الجارف إلى قتل والديه واصدقائه وأساتذته وهو لم يتعد الثامنة عشرة من عمره ، ثم كارثة غرق زوجته وأولاده جميعا وهم قادمون إليه فى السفينة من تونس إلى مصر عندما ضربتها الريح العنيفة عند وصولها ثغر الاسكندرية فتحطمت وماتت اسرته ومعها ضاع الكثير من ماله ومتاعه وكتبه وكان فى الخامسة والخمسين من عمره . ويقود الدكتور على عبد الواحد وافى هذه الرحلة متبينا الطريق على هدى كتاب ابن خلدون نفسه « التعريف » الذى تقرأ مقتطفات كثيرة منه أهم مالفت نظرى منها وصفه للقاهرة ـ قاهرة المماليك ! ـ حين إلتقى بها أول مرة إذ يقول إبن خلدون :

« فانتقلت إلى القاهرة أول ذى القعدة ، فرأيت حضرة الدنيا ، وبستان العالم ، ومحشر الأمم ، وتدرج الذر من البشر ، وايوان الاسلام ، وكرسى الملك ، تلوح القصور والأواوين فى جوه ، وتزهر الخوانك والمدارس بآفاقه ، وتضيء البدور والكواكب من علمائه ، وقد مثل بشاطيء بحر النيل نهر الجنة ومدفع مياه السماء ، يسقيهم النَّهَل والعَلَل سيحُه ، ويجبى اليهم الثمرات والخيرات شجه ، ومررت فى سكك المدينة تغص بزحام المارة ، وأسواقها تزخر بالنعم .

ومازلنا نحدث عن هذا البلد ، وبعد مداه فى العمران واتساع الأحوال ، ولقد اختلفت عبارات من لقيناه من شيوخنا وأصحابنا ، حاجهم وتاجرهم ، بالحديث عنه ، سألت صاحبنا قاضى الجماعة بفاس ، وكبير العلماء بالمغرب ، أبا عبد الله المقرى ..

فقلت له كيف هذه القاهرة ؟ .. فقال من لم يرها لم يعرف عز الاسلام ، وسألت شيخنا ابا العباس بن إدريس كبير العلماء ببجاية مثل ذلك فقال : كأنما انطلق أهله من الحساب ، يشير إلى كثرة أممه وامنهم العواقب .. وحضر صاحبنا قاضى العسكر بفاس الفقيه الكاتب أبو القاسم البرجى بمجلس السلطان أبى عنان .. وسأله عن القاهرة فقال : « اقول فى العبارة عنها على سبيل الأختصار : إن الذى يتخيله الانسان فإنما يراه دون الصورة التى تخيلها ، لاتساع الخيال عن كل محسوس إلا القاهرة ، فإنها اوسع من كل مايتخيل فيها . »

وقد قال إبن خلدون هذا عن القاهرة بعد أن طاف وعاش بالمغرب والأندلس وعرف الجمال والحضارة والعلم .

ويعلق الدكتور على عبد الواحد وافى بعد مقتطف كلام إبن خلدون فيقول : « .. وكانت القاهرة يومئذ ـ (فى العصر المملوكى وفى القرن الرابع عشر !) ـ موئل التفكير الاسلامى فى المشرق والمغرب ، وكان لسلاطينها المماليك شهرة واسعة فى حماية العلوم والفنون فى المدارس العديدة التى أنشئوها ، وفى الجامع الأزهر الذى أنشيء من قبلهم فى عهد الفاطميين .. فلا جرم أن يراود إبن خلدون الأمل فى أن ينال فى هذه الديار من الرعاية والمكانة ما تستأهله كفأيته ومنزلته العظيمة بين علماء عصره وخاصة

أن صيته كان قد سبقه إلى القاهرة ، وأن المجتمع المصرى كان يعرف الكثير عن شخصيته وسيرته وعن بحوثه الأجتماعية والتاريخية ، ولاسيما مقدمته الشهيرة التى أعجبت دوائر العلم والتفكير والأدب فى القاهرة بطرافتها وجدتها وروعة مباحثها وما تنطوى عليه من إبتكار فى شئون الأجتماع .. ويظهر أن مثل هذه المؤلفات كانت تنسخ منها عدة نسخ وتنتشر بسرعة فى جميع بلاد العالم الاسلامى وأنه كان للوراقين (اصحاب المكتبات) نشاط كبير فى هذه الميادين .. » . ودرّس ابن خلدون فى الأزهر الحديث والفقه المالكى وشرح نظرياته الأجتماعية التى ضمنها مقدمته .

وكانت هذه فرصته ليتألق فى القاهرة المليئة بالمتألقين ، وكان من معاصريه الذين سمعوه وخالطوه واعترفوا بعظمته المؤرخ الكبير تقى الدين المقريزى والعلامة الحافظ بن حجر العسقلانى الذى إعترف بفضل ابن خلدون رغم خصومته معه .. ويقول الدكتور على عبد الواحد وافى مستطردا فى ذكر أخبار ابن خلدون بالقاهرة : « .. وكان ملك مصر فى هذا العهد الظاهر برقوق الذى ولى مصر قبل مقدم ابن خلدون بعشرة ايام (اواخر رمضان سنة ٧٨٤ هـ) . وقد عمل ابن خلدون على الاتصال به والتقرب منه ، وكانت اخباره وشهرته قد سبقت اليه ، فأكرم وفادته ، وعنى بأمره .. ثم عينه فى اوائل سنة ٧٨٦ هـ فى منصب تدريس الفقه المالكى بمدرسة « القمحية » فشهد مجلسه الأول فى ذلك المعهد جمهرة من العلماء والأكابر والأمراء أرسلهم السلطان لشهوده .. وفى هذا يقول إبن خلدون : وانفض ذلك المجلس وقد شيعتنى العيون بالتجلة والوقار وتناجت النفوس بالأهلية للمناصب » .

وعينه السلطان برقوق بعد ذلك قاضى قضاة المالكية فارتقى بذلك إلى منصب من أرقى مناصب الدولة ، وسجل المقريزى هذا الحادث فى كتابه « السلوك » .

لكن ابن خلدون لم يستقر كثيرا فى هذا المنصب فعزل منه وتولاه اكثر من مرة ..

حين يجمل الدكتور على عبد الواحد وافى آثار إبن خلدون ومظاهر عظمته يقول :

« تبدو عبقرية إبن خلدون ويبدو نبوغه فى نواح كثيرة من اهمها مايلى :

١ ـ أنه المنشىء الأول لعلم الاجتماع .

٢ ـ أنه إمام ومجدد فى علم التاريخ .

٣ ـ أنه إمام ومجدد فى فن « الاتوبيوجرافيا » أى ترجمة المؤلف لنفسه .

٤ ـ أنه إمام ومجدد فى أسلوب الكتابة العربية .

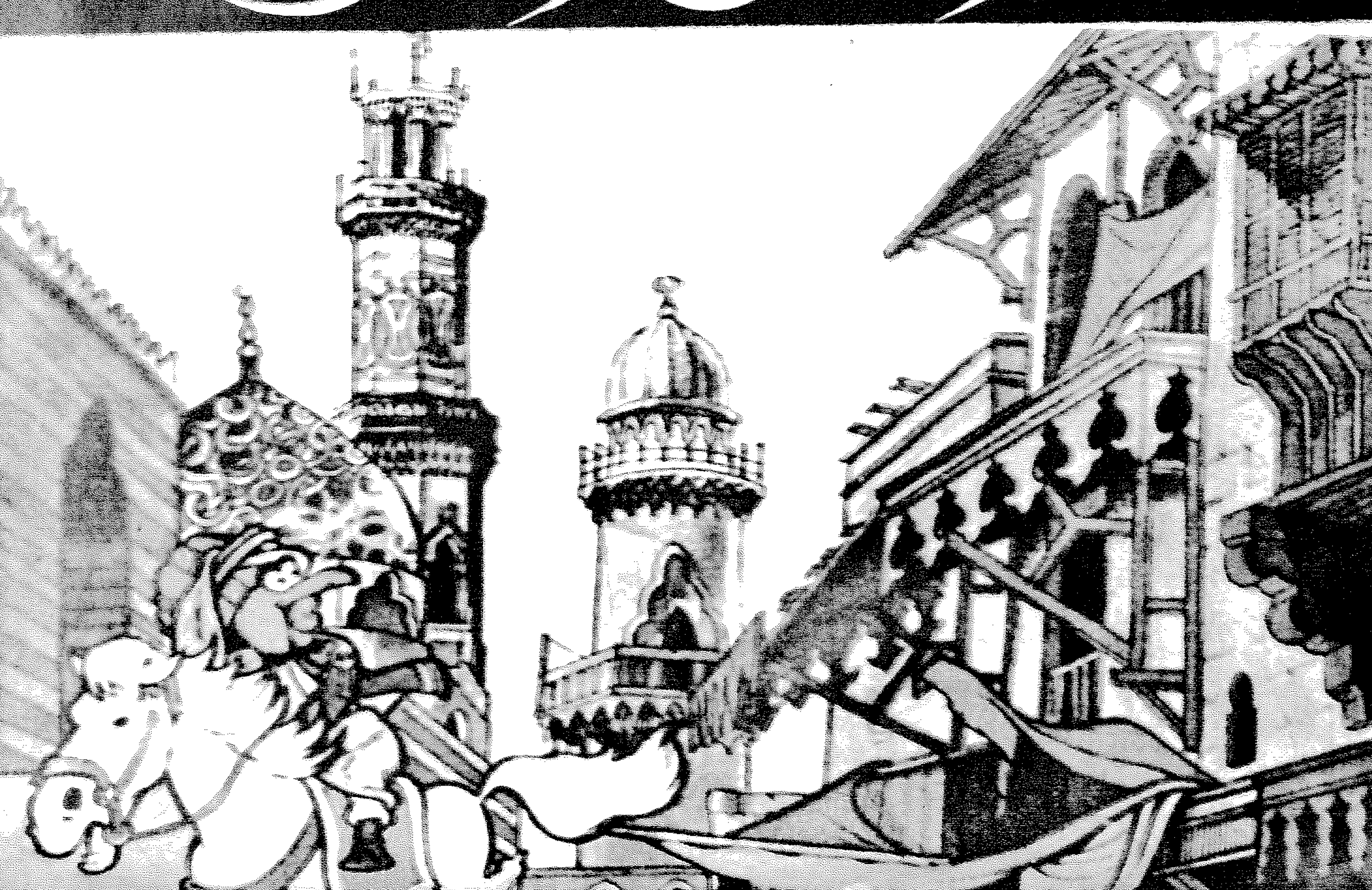
٥ ـ أنه إمام ومجدد فى بحوث التربية والتعليم وعلم النفس التربوى والتعليمى .

٦ ـ أنه راسخ القدم فى علوم الحديث (كتب الحديث ، مصطلح الحديث ، رجال الحديث) .

٧ ـ أنه راسخ القدم فى الفقه المالكى

٨ ـ أنه لم يغادر أى فرع آخر من فروع المعرفة إلا ألم بهم »

ولكل هذه الأمور تفاصيلها واسانيدها وما يوثقها لكن هذا ما اتركه ـ مع الكثير الذى لم استطع أن اذكره فى هذه العرض السريع ـ لك أيها القارىء عندما تختلى مع الكتاب لتقرأه وحدك حين يتوفر بإعادة طبعه كما نرجو ...


رمضان • زمان •



هل هلالك .. شهر مبارك

إعداد : ابراهيم حلمى • ريشة الفنان : محمد أبوطالب

بالتعبير الشعبى البسيط ، الذى يحمل فى طياته جرسا موسيقيا ذا رنين روحانى خاص ينبع ويبزغ من الوجدان الجمعى للناس ، يتم استقبال شهر الأنوار القدسية (رمضان) من كل عام ، بصيحات مهللة متشوقة مرحبة بقدوم الوافد الكريم قائلة : « هل هلالك شهر مبارك » وعلى الرغم من أن سائر الشهور العربية لها أهلة خاصة بها ، وهذه الأهلة تحدد المواقيت للناس والأزمنة والمواسم ، إلا إن هلال شهر رمضان المعظم ينفرد ويحظى بإجلال وإكبار عظيمين لدى شعوب الأمم الإسلامية كافة . سواء أكانت هذه الشعوب من قطان المشارق أو المغارب .. !

ولم لا والمسلمون يستشعرون تجاه ليلة رؤية هلال رمضان عبق السنين الضاربة بجذورها عبر الزمان أهلة الشهور العربية .

رمضان زمان

● كان المسلمون فى صدر الاسلام يتأهبون كل عام للاحتفاء بمقدم بعض الشهور العربية ، نظرا لما لها من منافع خاصة بهم وبالحجيج العاكفين والطائفين والركع السجود عند الأعتاب المقدسة لبيته المحرم ، طلبا للغفران .

فقد روى (الفاكهى) فى كتابه « مكة » أن (عمر بن الخطاب) ـ رضى الله عنه ـ كان يصيح فى أهل مكة قائلا : « ياأهل مكة أوقدوا ليلة هلال المحرم ، فأوضحوا فجاجكم لحجاج بيت الله ، واحرسوهم ليلة هلال المحرم حتى يصبحوا »

وظل الأمر على ذلك بمكة فى هذه الليلة حتى كانت ولاية (عبدالله بن محمد بن داود) على مكة ، فأمر الناس ان يوقدوا ليلة هلال رجب ، فيحرسوا عمّار أهل اليمن .

ولقد انتقل هذا الاهتمام بهذه المواسم الدينية إلى مصر أيام الدولة الفاطمية ، وعرفت هذه المواسم باسم (ليالى الوقود) وهى ليالى الأول والنصف من رجب ، والأول والنصف من شعبان ، حيث تضاء بالشموع والمصابيح والقناديل الجوامع الستة : الأزهر ، والأقمر ، والأنور ، والطولونى ، والعتيق (جامع عمرو بن العاص) وجامع القرافة بالقاهرة المعزية ، فتسبح جميعها فى هالات نورانية متألقة .

ان هذا الاهتمام بالمواسم الدينية فى المدن الاسلامية ، خاصة فى أوائل شهورها المباركة له دلالة خاصة فى عقيدة المسلم المقبل على مناسك وفروض العبادة منذ أزمنة بعيدة . وكما تحوم أقدام المسلمين وأنظارهم حول بيت الله المحرم ، حامت حفاوة الانسان المسلم حول رؤية الهلال عند بيته المحرم بكل مظاهر الاحتفاء والتكريم والتبجيل .

. من ذلك مادونه الرحالة العربى (ابن جبير) فى رحلته الى بيت الله الحرام عام ٥٧٩ هجرية ، والتى صادفت وقتها أن هل هلال شهر رمضان فى سماء مكة وهو حل بها .

قال (ابن جبير) : « وكان صيام أهل مكة له [لرمضان] يوم الأحد بدعوى فى رؤية الهلال لم تصل ولكن أمضى الأمير ذلك ، ووقع الاذن بالصوم بضرب دياديه ليلة الأحد المذكور ، لموافقته مذهبه ومذهب شيعته العلويين ومن إليهم ، لأنهم يرون صيام يوم الشك فرضا حسبما يذكر ، والله أعلم بذلك »

ويصف (ابن جبير) مظاهر هذا الاحتفال الدينى فى البيت المعمور يوم استطلاع هلال شهر رمضان قائلا : « ووقع الاحتفال فى المسجد الحرام لهذا الشهر المبارك ، وحق ذلك من تجديد الحصر وتكثير الشمع والمشاعل ، وغير ذلك من آلالات ، حتى تلألأ الحرم نورا ، وسطع ضياء »

ونفس التعبير عن مظاهر الاحتفال فى بيت الله الحرام عند ترائى هلال شهر رمضان ، نجده عند الرحالة العربى (ابن بطوطة) بنفس الألفاظ ، على الرغم من الاختلاف الزمنى بنحو قرن ونصف من الزمان فصلت بينهما .. !

ففى عام (٧٢٧ هجرية ـ ١٣٢٧ ميلادية) كتب (ابن بطوطة) قائلا : « وإذا هل هلال رمضان تضرب الطبول والدبادب عند أمير مكة ، ويقع الاحتفال بالمسجد الحرام ، من تجديد الحصر وتكثير الشمع والمشاعل حتى يتلألأ الحرم نورا ، ويسطع بهجة وإشراقا » !

كل الاختلاف فيما لاحظه (ابن جبير) و (ابن بطوطة) هو أن الأخير لاحظ فى هذه المناسبة وجود ايقاع عند أمير البلاد .

● هلال رمضان بمصر

اختلف المؤرخون فى أول من خرج لرؤية هلال رمضان من قضاة مصر ، فذكر

(السيوطى) فى كتابه « حسن المحاضرة » ان أول من خرج إلى رؤية الهلال فى مصر ، القاضى (غوث بن سليمان) الذى توفى سنة ثمان وستين ومائة ، وقيل : أول من خرج من الناس إلى مسجد (عبود) ـ وقيل (محمود) ـ بالقرافة لرؤية هلال رمضان ، القاضى (ابراهيم بن محمد بن عبدالله) وقيل : إن أول قاض ركب فى الشهود إلى رؤية الهلال ، هو (أبو عبدالرحمن عبدالله بن لهيعة) الذى تولى قضاء مصر سنة خمس وخمسين ومائة هجرية ، الموافق سنة احدى وسبعين وسبعمائة ميلادية.

قال (الكندى) : طلب الناس هلال شهر رمضان ـ و (ابن لهيعة) على القضاء ـ فلم يره أحد ، وأتى رجلان ، فزعما أنهما قد رأياه ، فبعث بهما الأمير (موسى بن رباح) إلى (ابن لهيعة) فسأل عن عدالتهما ، فلم يعرفا ، واختلف الناس ، وشكوا . فلما كان العام المقبل ، خرج (عبدالله بن لهيعة) فى نفر من أهل المسجد عرفوا بالصلاح ، فطلبوا الهلال ـ وكانوا يطلبونه بالجيزة ـ ثم تعدوا الجسر فى زمن (هشام بن أبى بكر البكرى) وطلبوا الهلال فى جنان (ابن أبى حبيش) ثم كان القضاة على ذلك ، حتى كان (ابن أبى الليث) ، فطلبه فى أصل المقطم .

وكانت قد أعدت لهم دكة خشبية ، عرفت باسم (دكة القضاة) بجبل المقطم ، وهذه الدكة كانت ترتفع عن المساجد ، من أجل الجلوس عليها عند استطلاع الأهلة .

وحدث فى العهد الفاطمى ان القائد (جوهر الصقلى) كان ينوب عن الخليفة (المعزلدين الله) أحيانا فى حكم البلاد ، وقد رأى أن العلاقات التى كانت بين أهل السنة فى كل من مصر وليبيا والمغرب وبين الشيعة فى كل من العراق والشام لم تكن على صفاء دائما ، بسبب اختلافهم على موعد ابتداء الصيام فى شهر رمضان ، فكان صيام شهر رمضان عند السنيين يبتدىء بمجرد رؤية الهلال ، سواء كان شهر شعبان تسعة وعشرين يوما أم ثلاثين . لكن (جوهر الصقلى) لم يرتض السير وفق هذه الطريقة ، التى لاتتفق فى نظره مع أحوال المذهب الشيعى ، فجاء فى سنة ٣٥٨ هجرية ، وأمر بابطال الصوم بعد اليوم التاسع والعشرين من رمضان ، وأقام صلاة العيد قبل رؤية هلال شوال ، فأدى ذلك إلى إثارة أهل مصر والمغرب واعتراضهم على ذلك بأن صاموا اليوم الثلاثين من رمضان حسب أصول المذهب السنى ، ثم جعلوا العيد بعد ثبوت رؤية هلال شوال ، واتبعوا فى ذلك فتوى قاضيهم المصرى (أبى الطاهر السنى) الذى بحث عن الهلال بنفسه ، جريا على هذه العادة ، من فوق الجامع العتيق (جامع عمرو ابن العاص) فلما بلغ ذلك الى (جوهر الصقلى) هدد القاضى المصرى بالعزل .

وقيل إنه فى هذا العهد أبطل الخلفاء رؤية القاضى لهلال رمضان ، وجعلوا الشهور الرمضانية شهرا تسعة وعشرين يوما ، وشهراً ثلاثين ، فاذا وقع رمضان فى أحدهما أمضوه كما هو ، واصبح ركوب الخليفة الفاطمى أول رمضان ، يقوم مقام الرؤية عند غيرهم ، على أن الخليفة (الحاكم بأمر الله) أباح صوم رمضان بالرؤية لمن يريد .

● العصر المملوكى

على الرغم من اهتمام مؤرخى العصر المملوكى بأحداثه السياسية المتقلبة فإنه قد وقف بعضهم باقلامهم عند عدة ليال من ليالى رؤية هلال شهر رمضان ، وذلك بعدة إشارات ووقفات سريعة ، ولكنها بالرغم من ذلك فهى تعد هذه الاشارات والوقفات هامة يمكن اجمالها على النحو الآتى :

● مكان الاحتفال بليلة الرؤية

لم يكن للاحتفال بليلة رؤية هلال شهر رمضان بمصر مكان واحد تجرى فيه ظاهرة الاحتفال وإنما كان هناك لذلك أكثر من مكان

رمضان زمان

ولقد رصد (ابن اياس) مكان الاحتفال هذا وحدده بالمدرسة المنصورية الكائنة فى (بين القصرين) خلال الأعوام ٩٢٠ و٩٢٣ ، ومن عام ٩٢٥ حتى ٩٢٨ هجرية .

ففى عام ٩٢٠ هجرية قال (ابن اياس) « .. وأما فى ليلة رؤية الهلال حضر القضاة الأربعة بالمدرسة المنصورية ، وحضر (الزينى بركات بن موسى) المحتسب ، فلما ثبتت رؤية الهلال وانفض المجلس .... »

وفى عام ٩٢٣ هجرية قال : « فلما كان ليلة الرؤية ركب الزينى بركات بن موسى المحتسب من المدرسة المنصورية ، وقدامه الفوانيس موقودة و .... »

وفى عام ٩٢٥ هجرية قال : « وفى يوم الخميس سلخ الشهر [شعبان] كانت ليلة رؤية هلال رمضان ، فتوجه قضاة القضاة إلى



المدرسة المنصورية التى بين القصرين ، وحضر القاضى عبدالعظيم المحتسب ، فلما راى الهلال وانفض المجلس »

وفى عام ٩٢٦ هجرية قال : « وفى ليلة الرؤية توجه القاضى بركات بن موسى المحتسب الى المدرسة المنصورية التى بين القصرين ، واجتمع القضاة الأربعة هناك ، فلم يثبت رؤية الهلال الا بعد العشاء » .

وقال فى عام ٩٢٧ هجرية : « وفى تلك لليلة ركب القاضى بركات بن موسى من المدرسة المنصورية بعد المغرب ، وقدامه المشاعل .... »

وقال فى عام ٩٢٨ هجرية : « وفى يوم الأربعاء سلخ شعبان كانت ليلة رؤية هلال شهر رمضان ، فلم يحضر من القضاة أحد الى المدرسة المنصورية على جرى العادة » وإذا كان (ابن اياس) قد حدد المكان بالمدرسة المنصورية بمنطقة (بين القصرين) على مدى سنين غير قليلة ، فإن (المقريزى) اشار إلى مكان آخر تراءى فيه هلال شهر رمضان من قبل تلك التواريخ التى ذكرها (ابن اياس) فى كتابه .

قال (المقريزى) فى حوادث عام ٨٩٦ هجرية : « وفى ليلة الثلاثاء - الثلاثين من شعبان - تراءى الناس هلال رمضانً ، فلم ير أحد الهلال مع كثرة عددهم ، فأصبح الناس على انه آخر شعبان ، وأكلوا إلى الظهر ، فقدم الخبر بأن الهلال رؤى ببلبيس ، فنودى بالامساك قبيل العصر »

ويؤكد لنا ذلك ماكتبه الرحالة العربى (ابن بطوطة) فقد رصد حفلا لليلة رؤية هلال شهر رمضان بمدينة (ابيار) والتى هى موقعها الآن على الخريطة مدينة (كفر الزيات) ففى عام ٧٢٧ هجرية قال عن احتفال هذا العام : « ولقيت بأبيار قاضيها (عز الدين المليجى) الشافعى ، وهو كريم الشمائل ، كبير القدر . حضرت عنده مرة يوم الركبة وهم يسمون ذلك يوم ارتقاب هلال رمضان » .

إننا نستطيع من غير شك من خلال ماعرضنا له من رصد تاريخي للمؤرخين (ابن اياس) و (المقريزى) والرحالة العربي (ابن بطوطة) - أن نستنتج أن رؤية هلال شهر رمضان في العصر المملوكي في مصر كانت تستطلع في أكثر من مكان ، سواء أكان هذا المكان في العاصمة أو في غير العاصمة .

● الاحتفال بليلة الرؤية

اتخذ مسار الاحتفال في العاصمة في العصر المملوكي دائما نقطة بداية ثابتة ، وهي المدرسة المنصورية بمنطقة (بين القصرين) - كما اشرنا من قبل - أما نقطة نهاية الاحتفال فكانت دائما عند بيت المحتسب وهو الممثل للسلطان في هذا الحفل الديني .

وعندما كان يرأس الحفل المحتسب (الزيني بركات بن موسى) فقد كان المسار يبدأ من المدرسة المنصورية ببين القصرين ، ثم إلى (الامشاطين) إلى (سوق مرجوش) إلى (الخشابين) إلى (سويقة اللبن) إلى بيت المحتسب (الزيني بركات) نفسه . نستنتج ذلك من وصف (ابن اياس) لمسار احتفال عام ٩٢٠ هجرية ، والذي قال فيه : « ... ووقدوا له الشموع على الدكاكين ، وعلقوا له التنانير والأحمال الموقودة بالقناديل من الأمشاطيين ، إلى سوق مرجوش ، إلى الخشابين ، إلى سويقة اللبن ، إلى عند بيته » أما عندما كان يتغير المحتسب بآخر ، فكان من الطبيعي أن ينتهي موكب ليلة رؤية هلال رمضان عند بيت هذا المحتسب الجديد .

وحينما تصدر القاضي (عبدالعظيم) المحتسب موكب رؤية هلال شهر رمضان عام ٩٢٥ هجرية تغير خط سير الاحتفال وانتهى الى بيته هو أيضا : « فلما رأى الهلال ، وانفض المجلس قام القاضي عبدالعظيم وركب من المدرسة المنصورية ... ومشت قدامه السقاءون بالقرب كما كان يصنع بركات بن موسى المحتسب فاستمر في هذا الموكب الحفل من بين القصرين الى بيته الذى في باب النصر .

ويختلف مكان انتهاء حفل ليلة رؤية هلال شهر رمضان في المدن والقرى عن مثيله في قلب العاصمة في العصر المملوكي . ففي المدن يرأس الحفل قاضي المدينة ، حيث يبدأ من داره وينتهي بعد طوافه بداره كذلك .

قال الرحالة (ابن بطوطة) في وصف مسار الاحتفال بليلة رؤية هلال شهر رمضان بمدينة (ابيار) - السابق الاشارة إليها ، عام ٧٢٧ هـ : « يجتمع فقهاء المدينة ووجوهها بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين لشعبان بدار القاضي ، ويقف على الباب نقيب المتعممين ، وهو ذو شارة وهيئة حسنة ، فاذا اتى أحد الفقهاء أو الوجوه تلقاه ذلك النقيب ، ومشى بين يديه قائلا : باسم الله ، سيدنا فلان الدين (!) فيسمع القاضي ومن معه فيقومون له ، ويجلسه النقيب في موضع يليق به ، فإذا تكاملوا هنالك ركب القاضي وركب معه أجمعون ، وتبعهم جميع من بالمدينة من الرجال والنساء والصبيان : وينتهون إلى موضع مرتفع خارج المدينة ، وهو مرتقب الهلال عندهم ، وقد فرش ذلك الموضع بالبسط والفرش ، فينزل فيه القاضي ومن معه ، فيرتقبون الهلال ، ثم يعودون إلى المدينة بعد صلاة المغرب ، وبين أيديهم الشمع والمشاعل والفوانيس ، ويوقد أهل الحوانيت بحوانيتهم الشمع ، ويصل الناس مع القاضي إلى داره ، ثم ينصرفون هكذا فعلهم في كل سنة »

● المشاركون في الاحتفال

يضم الاحتفال في العاصمة كلا من :

أ - المحتسب : وهو اعلى سلطة في الاحتفال .

ب - القضاة الاربعة : وهم يمثلون المذاهب الاسلامية الأربعة وهي : الشافعية

والمالكية ، والحنفية ، والحنبلية .

جـ ـ حاملى الشموع الموقدة ، والقوانيس ، والمناجنيقات ، ومجامر البخور ، وكذلك السقاءين ، ولاعبى الأكرة أو الكرة .

اما فى المدن فيضم الاحتفال كلا من :

أ ـ القاضى .

ب ـ فقهاء المدينة .

جـ ـ نقيب المتعممين .

د ـ أهالى المدينة .

كانت ليلة رؤية هلال شهر رمضان فى العصر الفملوكى ينتظرها أغلب الناس شوقا إلى مجاهدة النفس مع مشاق الصيام ، على الرغم من مكابدة الجوع الذى فرضه الحكام قهرا عليهم طوال العام .

ومن تحصيل الحاصل فى ذلك العصر أن كان الشعب المصرى المغلوب على أمره لايطيق تضارب آراء من بيدهم الأمر عند تحديد بداية شهر الصيام المعظم كان يتذمر ، ويرفض ويقلب الدنيا رأسا على عقب إذا ملحدث هذا التضارب ، وكأنما كان واقفا لحكامه المماليك (ينتظر لهم السقطة واللقطة) ـ على حد تعبير القول الشعبى الشائع .. !

وصف (ابن اياس) ارتباكا حدث فى تحديد ليلة رؤية هلال شهر رمضان عام ٨٨٢ هجرية فقال : « ... وفى رمضان وقع بعض اضطراب ، وسبب ذلك أن مضى الثلاثون من شعبان ولم ير الهلال ، فأكل غالب الناس فى أول يوم من رمضان ، فنادى القاضى الشافعى بالامساك ، فثار عليه العوام ، وقصدوا الاخراق به ، فثبت برؤية الهلال قرب الظهر ، ولكن فطر غالب الناس فى ذلك اليوم »

ولم تكن الحادثة هى الوحيدة فى تاريخ الشعب المصرى مع حكامه المماليك فى تذمره العنيف ضد مماليكه ، فقد روى كذلك (ابن اياس) حادثة أخرى وقعت فى عام ٩٢٧ هجرية ، وجاء فيها . « وفى شهر رمضان كان مستهله يوم السبت ، وكان الهلال عسر الرؤية على خمس درج ، وقيل أربع درج فى تلك الليلة ، بحيث أن الميقاتية حكموا بأن الهلال لايرى فى تلك الليلة ، فرآه بعض الناس ، وثبت ذلك على القاضى (زكريا) أحد نواب الشافعية ، فشكوا الناس فى ذلك ، وحصل لزكريا (غاية المقت) من الناس ومن ملك الأمراء . وماقاسى (زكريا) خيرا بسبب ذلك »

هذا المقت الذى حصل من الناس لزكريا ولغير زكريا من حكامه علام يدل ؟!

الا يدل ذلك على مدى حرص الشعب على صحة أداء ركن هام من أركان دينه ، وهو الصيام ، والا يمس فى شىء من عقيدته الدينية الغراء ؟

● الاحتفال فى العصر العثمانى

وصف المهندس والجغرافى والأثرى الفرنسى (إدم فرانسوا جومار) Edme Francois Jomard عضو الحملة الفرنسية على مصر فى الفترة بين سنتى ١٧٩٩ و١٨٠١ ميلادية فى الجزء الثامن عشر من الدولة الحديثة للطبعة الفرنسية الثانية من كتاب (وصف مصر) موكب ليلة رؤية هلال شهر رمضان ، فقال : « ... ويبدأ رمضان مع ميلاد هلال هذا الشهر ، ويعلن عن ذلك موكب احتفالى يسبق بداية الشهر بيومين ، ويتكون هذا الموكب من حشد كبير من الرجال ، يحمل بعضهم المشاعل وبعضهم الآخر يحمل عصى ، يقومون بأداء حركات مختلفة بها ، ويفتتح سير الموكب الآتية [جمع الآتى] يمتطون ظهور الجمال ، يضربون كُوس معدنية ، بينما يمتطى الاتية آخرون ظهور الحمير ، ويضربون كذلك على الطبل ، أو يعزفون على بعض آلات النفخ الأكثر صخابة ، والتى يمكن أن نتصورها . ويأتى بعد ذلك

رجال يرتدون لباسا أحمر وعلى رءوسهم قلنسوات عالية ، متصل بها ثوب أبيض فضفاض يسقط على الظهر ومقدمة القلنسوة مزينة بالنحاس ، وهو لباس مشابه للباس الانكشارية ، ويختم الموكب شيوخ ممتطين صهوة خيول مجللة بفخامة »

وإذا كان هكذا وصف عين الغازى الفرنسى لمراسم الاحتفال بليلة رؤية هلال شهر رمضان فى القرن التاسع عشر ، فإن عينا أخرى انجليزية استطاعت أن ترصد نفس الظاهرة بعدها بحوالى ربع قرن من الزمان على أرض مصر ذاتها

هذه العين الانجليزية هى عين المستشرق الانجليزى (إدوار وليم لين) . E . W . Lane قال (لين) واصفا : « تسمى الليلة التى يترقب فيها هلال رمضان ليلة الرؤية ، فيذهب نفر من الناس عصر اليوم السابق ، أو قبل ذلك ، ليقضوا بضع ليال فى الصحراء ، حيث يصفو الجو خاصة لرؤية الهلال الجديد ، إذ أن الصيام يبدأ فى اليوم التالى لرؤية الهلال ، فإذا تعذرت رؤيته بسبب السحب ، بدأ الصوم عندما يتم شعبان ثلاثين يوما ، وتكفى شهادة المسلم الواحد أنه رأى الهلال لاعلان الصيام »

ويصف المستشرق الانجليزى المظاهر الاحتفالية التى كانت تواكب هذا الاحتفال الدينى الشعبى ، فيقول : « فى مساء ذلك اليوم يسير موكب المحتسب ، ومشايخ الحرف المتعددة الطحانين ، والخبازين ، والجزارين ، والقصابين ، والبدالين ، وباعة الفاكهة ، ومعهم بعض أعضاء آخرين من هذه الحرف ، وفرق من الموسيقيين ، وعدد من الفقراء يتقدمهم أو يتخللهم فرق من الجنود من القلعة إلى مجلس القاضى ، وينتظرون هناك عودة أحد المرسلين لرؤية الهلال ، أو شهادة أى مسلم آخر على انه رآه ، وتزدحم الشوارع التى يمر بها هذا الموكب بالمشاهدين على الجانبين . وجرت العادة فى هذا الموكب على أن تقاد خيول مسرجة بأجمل السروج . غير أن الموكب المدنى والدينى استبدل بأكثره عرض عسكرى تافه ، ويتكون موكب ليلة الرؤية الآن من مشاة النظام خاصة . ويتقدم حاملو المشاعل كل فرقة من الجنود ويتبعونها ، لينيروا لهم الطريق عند العودة ، ويتلوهم شيخ حرفة ما وآخرون من اتباعه وعدة فقراء يصيحون طوال الطريق : (الصلاة الصلاة .. صلوا على النبى عليه السلام) ويفصل كل فرقتين أو ثلاث فاصل عدة دقائق . ويختم المحتسب وتابعوه الموكب . وعندما يصل خبر رؤية الهلال الى مجلس القاضى ، يقسم الجنود والمجتمعون الآخرون أنفسهم إلى عدة فرق ، تعود إحداها إلى القلعة ، ويجول الآخرون فى الأحياء المختلفة صائحين : (يا أمة خير الأنام .. صيام صيام) وعندما لايرى القمر هذه الليلة ، يخبر الشعب بهذا القول : (غدا فى شهر شعبان .. فطار فطار) ويقضى الناس على العموم شطرا كبيرا من الليل (عندما يعلن بدء الصيام فى الغد) فى الأكل والشرب والتدخين ، ويبتهجون كما يبتهجون عادة عندما يخلصون فى شقاء صيام اليوم ، ويضاء داخل المساجد هذه الليلة كما تضاء فى الليالى التالية ، وتعلق المصابيح عند مداخل المساجد وفوق شرفات المآذن »

واذا كانت عيون الأجانب قد استطاعت أن ترصد ظاهرة الاحتفال بليلة رؤية هلال شهر رمضان ، بعناية واهتمام فى العصر العثمانى ، فإن عينا أخرى مصرية استطاعت بدقة ومهارة شديدتين أن ترصد هذه الظاهرة الاحتفالية مرات عدة متتالية . هذه العين المصرية هى عين (عبدالرحمن الجبرتى) الشيخ المؤرخ الشاهد على عصره .

ذكر (الجبرتى) أحداث هذه الظاهرة الاحتفالية الدينية الشعبية عند أعوام ١٢١٣ و١٢١٥ و١٢١٦ و١٢١٧ و١٢١٨ و١٢١٩ و١٢٢٠ و١٢٢٢ و١٢٣٢ و١٢٣٦ هجرية ، فقال ـ على سبيل المثال ـ فى أحداث شعبان عام ١٢١٣ هجرية الموافق فبراير ١٧٩٩ ميلادية : « ... وفى سادس عشرينه نادوا

رمضان زمان

للناس بالأمان وفتح الأسواق ليلا فى رمضان حكم المعتاد ... وفيه عرض (حسن اغا محرم) المحتسب لسارى عسكر أمر ركوبه المعتاد لاثبات هلال رمضان ، فرسم له بذلك على العادة القديمة ، فاحتفل لذلك المحتسب احتفالا زائدا ، وعمل وليمة عظيمة فى بيته أربعة ايام ، أولها السبت ، وآخرها الثلاثاء ، دعا فى أول يوم العلماء والفقهاء والمشايخ والوقاجلية وغيرهم ، وفى ثانى يوم التجار والأعيان ، وكذلك ثالث يوم ، ورابع يوم دعا أيضا أكابر الفرنساوية وأصاغرهم ، وركب يوم الثلاثاء بالأبهة الكاملة زيادة عن العادة وأمامه مشايخ الحرف بطبولهم وزمورهم ، وشق القاهرة على الرسم المعتاد ، ومر على قائمقام وأمير الحاج وسارى عسكر بونابرته . ثم رجع بعد الغروب إلى بيت القاضى ببين القصرين فأثبتوا هلال رمضان ليلة الأربعاء . ثم ركب من هناك بالموكب وأمامه المشاعل الكثيرة والطبول والزمور والنقاقير والمناداة بالصوم وخلفه عدة خيالة عارية رءوسهم وشعورهم مرخية على أقفيتهم بشكل بشع مهول »

وفى عام ١٢١٥ هجرية لم يذكر لنا (الجبرتى) شيئا جديدا فى هذا الاحتفال سوى إنه تكلف خمسين ألف درهم .

وفى العام التالى ١٢١٦ هجرية يذكر لنا (الجبرتى) أنه خيف من عربدة عسكر الاحتلال فألغى من الاحتفال مراسمه الاحتفالية ، وان اقتصر على ذهاب الكتخدا ، الذى ناب عن المحتسب فى الذهاب الى المحكمة لاثبات رؤية هلال رمضان فى هذا العام ، ومن ثم المناداة بحلول شهر رمضان فى اليوم التالى .

إن القاء نظرة شاملة على ظاهرة الاحتفال بليلة رؤية هلال شهر رمضان فى العصر العثمانى ، من خلال ماسجله للتاريخ كل من الفرنسى (ادم فرانسوا جومار) والانجليزى (إدوارد وليم لين) والمصرى (عبدالرحمن الجبرتى) وبمقارنتها بمثيلتها التى سبقتها فى العصر المملوكى سيضع بين أيدينا عدة تغيرات ثقافية ألمت بالظاهرة على مدار السنين ، ومن أهم هذه التغيرات الثقافية :

١ - ظهور عنصر الموسيقا فى المواكب الاحتفالية فى العصر العثمانى الأمر الذى لم يكن موجودا من قبل فى العصر المملوكى .

٢ - مشاركة مشايخ الحرفيين فى مواكب ليلة الرؤية كل عام فى العصر العثمانى ، بشكل يشخص المهن الشعبية داخل الاحتفال ، فى حين اقتصر الأمر فى العصر المملوكى على مشاركة طوائف شعبية لها وجود لازم وحيوى فى الاحتفال ، كالمشاعلية لانارة الطريق ، والمبخرتية لاطلاق البخور على المحتفيين ، والسقاءين لإرواء ظمأ الناس المشتد عليهم عند الازدحام للفرجة والمشاركة فى طقوس الاحتفال .

٣ - دخول فرق نظامية عسكرية ضمن مكونات عروض الاحتفال بليلة الرؤية فى العصر العثمانى ، فى حين لم يشر إلى وجود مثل هذا التقليد مؤرخو العصر المملوكى من قبل ولا ألمحوا إليه من قريب أو بعيد .

٤ - الاحتكام إلى قواعد الحساب والقوانين الأجنبية فى استطلاع هلال شهر رمضان فى العصر العثمانى ، عندما تتعذر الرؤية وتتضارب الأقوال ، وكمثال لذلك ماذكره (الجبرتى) فى عام ١٢١٧ هجرية عندما قال : عملت الرؤية ليلة الأحد وركب المحتسب ومشايخ الحرف على العادة ، ولم ير الهلال وكان غيما مطبقا فلزم اتمام عدة شعبان ثلاثين يوما ، فانتدب جماعة ليلة الأحد وشهدوا انهم رأوا هلال شعبان ليلة الجمعة ، فقبله القاضى ، وحكم به تلك الليلة على أن ليلة الجمعة التى شهدوا برؤيته فيها لم يكن للهلال

وجود البتة ، وكان الاجتماع فى سادس ساعة من ليلة الجمعة المذكورة باجماع (الحساب والدساتير المصرية والرومية) على إنه لم ير الهلال ليلة السبت إلا حديد البصر فى غاية العسر .

٥ ـ كان الناس يتذمرون ويثيرون القلاقل والشغب والفوضى حينما تتضارب الآراء عند عدم ثبوت رؤية هلال شهر رمضان ، ثم الرجوع عن ذلك وثبوته فى العصر المملوكى . أما فى العصر العثمانى فلم يشر المؤرخ (عبدالرحمن الجبرتى) إلى أى تذمر من أى نوع ، تكون قد أحدثته العامة بسبب هذا التضارب ، على الرغم من حدوث هذا التضارب فى عامى ١٢١٨ و١٢٢٢ هجرية كما ذكر (الجبرتى) ولكن الأمر مر بهدوء وسلام وكان شيئا لم يكن .. !

٦ ـ كان استطلاع هلال شهر رمضان بالقاهرة فى العصر المملوكى يتم فى المدرسة المنصورية بمنطقة (بين القصرين) كما حدد (ابن اياس) ذلك ، أما فى العصر العثمانى فلم يذكر أحد مكان استطلاع الهلال سوى المستشرق الانجليزى (إدوارد وليم لين) وحده دون غيره ممن تناولوا هذه الظاهرة بالعرض ، فلقد أخبرنا بأنه « يذهب نفر من الناس عصر اليوم السابق ، أو قبل ذلك ، ليقضوا بضع ليال فى الصحراء) ، حيث يصفو الجو خاصة ، لرؤية الهلال الجديد »

ولم يفسر لنا المستشرق الانجليزى أو يوضح كنه هذا المكان الذى بالصحراء والذى كان يقصدونه من كانوا يقومون برؤية استطلاع هلال الشهر الفضيل .

٧ ـ انفصل مكان نقطة بداية الاحتفال بليلة الرؤية عن مكان استطلاع الهلال فى العصر العثمانى ، فبدلا من بدء الاحتفال من المدرسة المنصورية بمنطقة (بين القصرين) فى العصر المملوكى انتقل مكان بدء الاحتفال إلى القلعة فى العصر العثمانى ، وقد حدث هذا التغير نتيجة اظهار أن الحفل الدينى لصيق بمركز السلطة والسلطان ، فيزداد بذلك رصيد محبة أولى الأمر فى قلوب رعاياهم من المسلمين ..

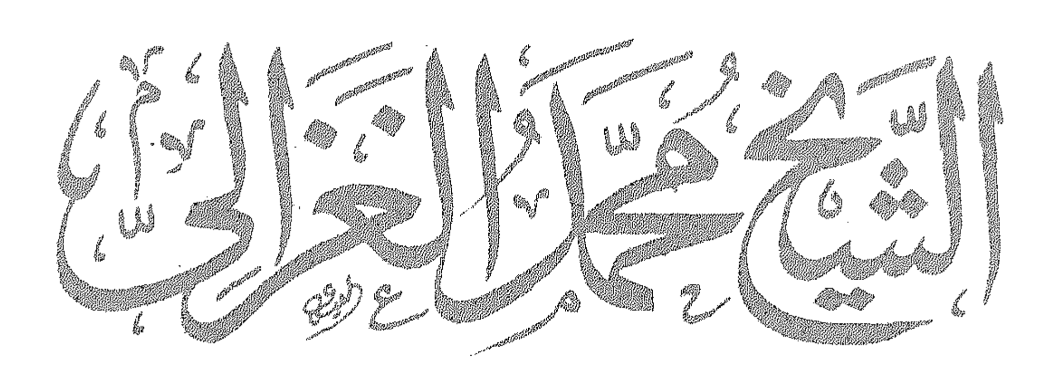
هذه التغيرات الثقافية التى ألمت بظاهرة (ليلة رؤية هلال شهر رمضان) بكل أبعادها التراثية الشعبية تعد أمرا طبيعيا لمدى مجاراة الظواهر الفولكلورية أيا كانت لمتغيرات عصورها ، وسعة أفقها ، ومرونتها المتحركة فى تلبية احتياجات جماعاتها الانسانية التى تتطلبها .

● الرؤية فى العصر الحديث

تقلص الاحتفال الشعبى والرسمى بليلة رؤية هلال شهر رمضان رويدا رويدا ، وأصبح محدودا فى صورة رسمية فى ملف أرشيف المواسم الحكومية ، وظل فترة على هذا النحو إلى أن أعادته الحكومة المصرية نابضا بالحياة فى أواخر شعبان سنة ١٣٧٤ هجرية ـ الموافق إبريل سنة ١٩٥٥ بموكب شعبى ورسمى .

ومع فعل عوامل التعرية الزمنية فى الظواهر الفولكلورية ، ولأنها ظاهرة فولكلورية تخضع لقانون الزمن المتغير ، بقى لنا من ليلة رؤية هلال شهر رمضان موكب شعبى احتفالى يطوف مرة من كل عام بين جامع (أحمد بن طولون) ومسجد (السيدة زينب) فى ليلة الجمعة الأخيرة من شعبان ، بقيت لنا كلمة فضيلة الامام المفتى عن استطلاع الهلال ، عبر سماعات الراديو وشاشات التليفزيون .. !

وأخيرا ، يبقى لنا فى موروثنا الشعبى تعبير بسيط لم يمس بعد ، نردده منغم الايقاع اللفظى : « هل هلالك شهر مبارك » مع آهة حارة تندفع من الصدر وهى تتذكر موروث الأيام الخوالى !!



الفقيه المجدد

بقلم : د. محمد عمارة

« الأَوَّاب » ـ في المصطلح القرآنى ، هو الإنسان الكثير الرجوع عن الخطأ إلى الصواب ، وعما يغضب الله إلى ما يرضيه .. أى الدائم محاسبة نفسه ، ومراجعة أعماله واقواله ومواقفه ، ونقد الخاطىء منها ، والرجوع عنه إلى الصواب ، لا مراعاة لحقوق الناس وحدهم ، أو المصالح المجردة فقط ، وإنما ـ مع ذلك كله ـ طلبا لرضا الله سبحانه وتعالى ، واستجلابا لطاعته .. ففي هذا المعنى القرآنى ما هو أكثر من المعنى المتعارف عليه عندما نقول في الأدب السياسي الحديث : « النقد الذاتي » و« نقد الذات » ! ..

ونحن نقرا ، فى القرآن الكريم ، الثناء على الانسان اذا كان « اوابا » : **[ووهبنا لداود سليمان ، نعم العبد إنه أواب]** .. ونعلم أن الله ، سبحانه وتعالى ، قد صدق وعده للأوابين بجنة النعيم : **[وازلفت الجنة للمتقين . هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ . من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب . ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود . لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد]** .

وحتى يكون الرجوع الى الحق ، ونقد الذات جزءا من خلق المسلم وممارساته الحياتية ، لابد من تربية اسلامية توقظ فيه « الضمير » ليبلغ فى « الحساسية » مرتبة « التقوى » .. عند ذلك يداوم الانسان على محاسبة النفس ، ملتزما التوجيه النبوى الشريف : « حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا » .. وتلك ـ لعمرى ! ـ مرتبة لايرقى الى الالتزام الدائم بتبعاتها إلا عظماء الرجال ! .. « فالنفس اللوامة » ، التى لاتدع صاحبها والغفلة عن مراجعة ممارساتها ، تبلغ فى رفعة المرتبة الى الدرجة التى أقسم بها

بسم الله الرحمن الرحيم

دولة قطر
وزارة التربية والتعليم
إدارة إحياء التراث الإسلامي

الرقم :
التاريخ : / /
الموافق : / /

أخي الأستاذ الدكتور محمد عمارة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد - فإن القليل الذي قرأته من [illegible] أدركت ، وجعلني أندم
على تعجلي في عدك [illegible] الإسلامي " .. [illegible] شديد للوضع الذي
رجع [illegible] عندنا هنا ... في الخليج الذي [illegible] فيه [illegible] غير
[illegible] وتناولت ناسا قرأت لهم ما لا يسر ، ولكني ما كنت قرأت [illegible]
[illegible] البعض أنك تصف الشريعة الإسلامية بأنها [illegible] ، [illegible]
[illegible] الفلسفة الإسلامية .. وما كان يليق بي أنا [illegible]
[illegible] ، ومن ثم كنت - بعد وصفك باليسار الإسلامي - قلقا في [illegible] الحكم
[illegible] مني بالنسبة لكم خاصة ..
والآن ، بعد قراءات قليلة لآثارك الأدبية [illegible] رجعت
[illegible] وقلت لهم : إن الطبيعة العقلية للدكتور محمد [illegible] بعوة النزاهة
[illegible] سعة العلم ، والتجرد للحق ... [illegible] به سيكون
[illegible] العقاد ، وعبقرياته الإسلامية [illegible] عما قلته وعند أول
[illegible] لكتابه [illegible] على [illegible]

٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٤٠٠ والسلام عليكم ورحمة الله - أخوك محمد الزفزاف

ص . ب ٤٢٢ الدوحة - قطر ، برقيا : التراث - الدوحة ، هاتف ٤١٨١٥٥ (٤) خطوط
THE ISLAMIC HERITAGE REVIVAL DEPT:
P O. Box 422 DOHA - QATAR, — Cable · HERITAGE DOHA, - Tel. - 418155 (4) LINES



حسن البنا



حسن الهضيبي

الله ، سبحانه وتعالى فى كتابه عندما قال : [لاأقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة] ؟! ..

ذلك هو مقام وخطر هذا الخُلُق من اخلاق الاسلام .. محاسبة النفس ، والاياب الى الحق ، ونقد الذات ، رعاية لمصالح الخلق وحرمة الخالق جميعا ! ..

وحتى المعصوم ، محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم .. فانه كان دائم المحاسبة لنفسه ، والمراجعة لعمله ، والعودة عما يثبت انه خطأ أو غير الأولى والأليق من عاداته واجتهاداته .. لقد كان معصوما فيما يبلغ عن الله ، لاينطق فيه عن الهوى ، إن هو الا وحى يوحى .. أما فيما هو من « العادات » أو من « الاجتهادات » فلقد كان بشرا يجوز عليه الخطأ والصواب .. وكان الوحى ينزل ليصوب اخطاءه حتى لايستن بها الناس .. وكان هو النموذج القدوة فى مراجعة النفس ، والاياب الى الحق والصواب ..

ونحن نقرأ فى سيرته ، صلى الله عليه وسلم ، أنه عندما مرض مرضه الأخير ، وحضر إلى بيت أم المؤمنين عائشة ، رضى الله عنها ، « أمر مناديا فنادى فى



المدينة : آن اجتمعوا لوصية النبى صلى الله عليه وسلم» فاجتمع كل من فى المدينة ، من ذكر وأنثى ، وكبير وصغير ، وتركوا أبوابهم ودكاكينهم مفتحة ! وخرج صلى الله عليه وسلم ، وهو متوعك ، بين الفضل من بن العباس وعلى بن أبى طالب ، رضى الله عنهما ، حتى جلس على المنبر ... » .

فماذا كانت هذه الوصية التى جمع لها كل الناس ؟! .. والتى تحامل على المرض ، متوكئا على الفضل وعلى ، حتى صعد المنبر ليفضى بها الى جمهور الناس ؟! ..

لقد كانت نقدا ذاتيا عاما لكل ما قد يكون قد حدث منه تجاه الناس ، وطلبا للقصاص أو التبرئة .. فهو قادم الى لقاء ربه ، ويريد ـ وهو المعصوم ـ محاسبة نفسه ، قبل حساب الديان ! ..

جلس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، على المنبر ، فحمد الله ، ثم قال :

« أيها الناس من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليستقد منى ، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى فليستقد منى ، ومن أخذت له مالا فهذا مالى فليأخذ منه ، ولايخشى الشحناء من قبلى فإنها ليست من شأنى » .

ثم نزل فصلى الظهر .. ثم رجع الى المنبر فعاد الى مقالته ! .. فادعى عليه رجل بثلاثة دراهم ، فأعطاه عوضها ، ثم قال :

« ألا إن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة ! » ..

ذلك هو خلق الاسلام .. وتلك هى سنة رسوله ، عليه الصلاة والسلام .. ظلت النموذج الذى يجاهد المسلمون لاحتذائه ، والنبراس الذى يستضيئون به ، والأسوة الحسنة التى يتأسون بها عبر تاريخهم الطويل ..

★ ★ ★

والأمر الذى لاشك فيه ، هو أن أهمية محاسبة النفس ، ونقد الذات ، والرجوع عن الخطأ إلى الصواب ، تتزايد شأنا وتعظم خطرا كلما تعلق الأمر بالشئون العامة ، والقضايا التى ترتبط بها مصالح الجمهور .. فمضار الأخطاء فى الشئون العامة دائرتها أوسع ، وتأثيراتها أشد .. ثم هى معرضة ـ اذا لم تتعرض للنقد والتصحيح ـ لأن تكون سنة عامة ـ سيئة ـ يحتذيها الآخرون ؟! ..

ثم إن العودة عنها ، ونقد الذات حيالها ، هو من أصعب الأمور ، لأنه يقتضى العلانية والاعلام ، وهو مايشق كثيرا على الكثير من النفوس ـ الا من رحم الله وعصم من التكبر والصلف والجمود ؟! .

فبقدر ما تكون النفوس كبارا .. وبقدر ما تكون الارادة شامخة .. وبقدر ما تكون الخشية من الله أكبر من خشية الذات والناس .. وبقدر ما تكون رعاية الصالح العام عبادة يتقرب بها الانسان الى الله .. بقدر ما تكون الشجاعة فى محاسبة النفس ، ونقد الذات ، والاياب الدائم الى الحق والصواب ..

ولقد ازدان تاريخ الأمة ـ رغم مافيه من صحائف سود ـ بالكثير من الصفحات المشرقة ، التى استضاءت بنبل العلماء والأعلام الذين غدوا معالم على هذا

الطريق .. نكتفى بالاشارة الى واحد منهم ـ هو سلطان العلماء . وشيخ الاسلام العز بن عبد السلام [٥٧٧ ـ ٦٦٠هـ ١١٨١ ـ ١٢٦٢م] ـ وذلك قبل الانتقال الى الحديث عن الرجل الأواب .. شيخنا محمد الغزالى ـ الذى عقدنا لدراسته هذه الصفحات ..

كان العز بن عبد السلام أعظم علماء عصره ـ حتى لقد انفرد بلقب سلطان العلماء ! بل لقد بلغ بالعلم ، وبالعمل به المرتبة التى غدا فيها سلطانا حتى على الملوك والأمراء والسلاطين .. تشهد على ذلك كلمات السلطان الظاهر بيبرس ـ وهو الذى قهر الصليبيين والتتار ـ ومع ذلك عاش يخشى العز بن عبد السلام .. حتى إذا ما مات العز ، ورأى الظاهر جنازته مارة بجوار القلعة .. قال ـ وهو يتنفس الصعداء ـ : « اليوم استقر أمرى فى الملك » ؟!! ..

فهذا السلطان ، الذى قدمه العلماء ، وهابته السلاطين والأمراء ، كان شديدا على نفسه فى تطبيق مقاييس الحق التى يأخذ بها الآخرين .. **ولقد افتى مرة بشىء ، ثم ظهر له أنه أخطأ فى فتياه ، فما كان منه ألا أن خرج يطوف بشوارع مصر والقاهرة ، وهو ينادى قائلا : من أفتى له العز بن عبد السلام بكذا ، فلا يعمل به ، فإنه قد أخطأ فى فتياه ؟! ..**

تلك هى سنة محاسبة النفس .. وذلك هو خلق الأوابين ، كما عرفه الفكر والتاريخ فى الاسلام ..

★ ★ ★

أما شيخنا محمد الغزالى .. فأنا أشهد انه واحد من الأوابين فى علماء العصر الذى نعيش فيه ! ..



إن الرجل لايفتا يردد ـ كلما جاء الحديث عن معاركه الفكرية ـ وبصدد نقده للذات : « إننى رجل فىّ حدة ! .. » وهو يدعو الآخرين إلى تجاوز « الأسلوب » إلى « لب الموضوع » ! .. ثم إن تاريخ الرجل ـ وهو ملىء بالمعارك الفكرية ـ بل هو معركة فكرية متعددة الحلقات ! ـ حافل بمراجعته لفكره ، وتطويره لمواقفه ، وضبطه لأحكامه ، ومحاسبته لنفسه ، وإعلانه ـ فى شجاعة عظماء العلماء ـ الأوبة الى الحق والصواب ، اذا هو تبين غير ذلك فيما خط قلمه أو نطق لسانه من آراء .. وتلك لعمرى ! واحدة من خصائص الفكر الحى للأحياء من العلماء .. فالذين لايراجعون افكارهم إما أن يكونوا أمواتا ، أو هم كالأموات ؟! ..

ولنضرب على هذه الحقيقة من حقائق الحياة الفكرية للشيخ الغزالى بعض الأمثال :

● فى بداية حقبة الخمسينات من هذا



القرن العشرين ، احتدم الخلاف بين الشيخ الغزالي وبين القيادة الجديدة لجماعة الاخوان المسلمين ، وخاصة مرشدها الثاني المرحوم حسن الهضيبي .. ولقد تناول الشيخ الغزالي أحداث هذا الخلاف ، ومواقف الهضيبي منه تناولا راجع نفسه حياله بعد ذلك فرأى فيه من الخطأ والحدة مايستوجب العودة عنه الى الموضوعية في تقدير المواقف والأحداث والملابسات .. فرأيناه يكتب في الطبعة الجديدة من كتابه [من معالم الحق في كفاحنا الاسلامي الحديث] الصادرة سنة ١٩٨٤م ـ عن خلافه مع حسن الهضيبي هذه السطور :

« من حق الرجل أن اقول عنه : إنه لم يسع إلى قيادة الاخوان ولكن الاخوان هم الذين سعوا اليه ، وأن من الظلم تحميله اخطاء هيئة كبيرة مليئة بشتى النزعات والأهواء .

ومن حقه أن يعرف الناس عنه أنه تحمل بصلابة وبأس كل مانزل به ، فلم يضرع ولم يتراجع ، وبقى في شيخوخته المثقلة عميق الايمان واسع الأمل حتى خرج من السجن ..

الحق يقال .. إن صبره الذى أعزه الايمان ، رفعه في نفسي ، وإن المآسي التي نزلت به وبأسرته لم تفقده صدق الحكم على الأمور ، ولم تبعده عن منهج الجماعة الاسلامية منذ بدأ تاريخنا ، على حين خرج من السجن أناس لم تبق المصائب لهم عقلا ! ..

وقد ذهبت اليه بعد ذهاب محنته ، واصلحت مابيني وبينه ، ويغفر الله لنا أجمعين »

ثم يعلق الشيخ الغزالي على موقفه من أحداث هذا الخلاف ، فيقول ـ في مقام أخر :

« لقد اختلفت مع المغفور له الأستاذ حسن الهضيبي ، **وكنت حاد المشاعر في هذا الخلاف ، لأني اعتقدت أن بعض خصومي أضغنوا صدر الأستاذ حسن الهضيبي لينالوا مني .**

فلما التقيت به ـ عليه رحمة الله ـ بعد أن خرج من المعتقل ، تذاكرنا ما وقع ، وتصافينا ، وتناسينا ما كان ، واتفقت معه على خدمة الدعوة الاسلامية ، وعفا الله عما سلف .

وأرى أن الأستاذ الهضيبي ، أثبت أيام سجنه أنه رجل صلب العود متين الإيمان وثيق الصلة بالله .. وقد كنت ، وأنا خارج السجن ، أنوه بثباته وتشريفه للدعوة بعدم ضعفه أو استخذائه أمام من عذبوه ، بل اتسعت دائرة دفاعي حتى شملت جميع الاخوة ، برغم ما كان بيني وبينهم من خلاف ، فكنت أشد الناس حنوا عليهم ، واسراعا الى مساعدتهم ، وانتصارا ضد أعدائهم .. »

والذين يقارنون هذا الموقف ، وهذا الحديث ، بما كتب الشيخ الغزالي من قبل عن الهضيبي ، وخلافه معه .. يدركون جيدا مدى الصدق والموضوعية في قولنا عنه : إنه رجل أواب ! ..

● وفي « المؤتمر الوطني للقوى الشعبية » ـ الذى انعقد في مايو سنة ١٩٦٢م ـ كان الشيخ الغزالي واحدا من رموز النقد والمعارضة للكثير من سلبيات التجربة الناصرية .. ولقد برز في هذا




عبدالرحمن الشرقاوى   خالد محمد خالد

المؤتمر تياران .. أحدهما ـ وهو يعبر عن قمة القيادة السياسية ـ يدفع الصيغة الفكرية للتجربة الناصرية ـ عبر « الميثاق » ـ الى اليسار ، والاشتراكية العلمية ، قريبا من الماركسية ـ مع التحفظ على ماديتها الجدلية والتاريخية ..

وثانى هذين التيارين ـ وهو الذى عبر عنه « تقرير لجنة الميثاق » ـ يدفع الصيغة الفكرية لثورة يوليو ـ عبر إبراز الفروق والتناقضات مع الماركسية ، وبواسطة الضوابط الاسلامية ـ قريبا من الفكرية الاسلامية والوطنية والقومية ، وبعيدا عن الماركسية ...

● ازالة الفوارق

وكان للشيخ الغزالى فى هذا المؤتمر حديث طالب فى ختامه بلباس موحد للرجال وآخر للنساء .. طلبا للحشمة الاسلامية الشرقية ، وازالة للفوارق الصارخة ـ فى الأزياء ـ بين الناس .. ويومها تناوله ، عدد من الصحفيين الليبراليين واليساريين بالنقد والتجريح .. بينما انتصرت له جماهير المساجد بالمظاهرات ؟!

وعندما راجع الرجل موقفه هذا ، أدرك أنه وإن لم يخطىء فى الفكر والرأى ، إلا أنه لم يوفق فى اختيار الموضوع المناسب للمقام . فالأستاذ خالد محمد خالد ، مثلا قد دافع ـ فى هذا المؤتمر ـ عن الحريات .. فأغضب دعاة الحكم الشمولى ، لكن الصحافة وأهل الفكر والثقافة ، وإن جبنوا ، فلم يدافعوا عنه الا أنهم قد تعاطفوا معه ـ وان صمتوا خوفا من السلطان ؟! ـ ..

أما الشيخ الغزالى ، فلقد كان اختياره لموضوع زى المرأة ـ وهو موضوع هامشى بالنسبة لأعمال مثل هذا المؤتمر ـ كان هذا الاختيار « ثغرة » انتهزها وقفز عليه منها الكارهون للاسلام .. كما كان « شبهة » ظن منها البعض عداء الرجل لحريات المرأة ـ وحقيقة موقفه وفكره على العكس من ذلك تماما ..

لذلك .. وجدنا الرجل ـ عندما راجع موقفه هذا ـ يتخذ موقف العالم الأواب ، فيكتب فى كتابه [معركة المصحف فى العالم الاسلامى] يقول :

« لقد جرت على لسانى كلمة تتصل بملابس الرجال والنساء ، كان الباعث على ختم الحديث بها فى (المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية) ما أحسه ويحسه الكثيرون من أن مشكلة الأزياء فى مصر سيئة ومحرجة ، وتتطلب حلا معقولا .

ومن الواجب فى نظرى خلق لباس يرتديه الرجال عامة ، ويكون التفاوت فى ثمنه وشكله ضيقا ، بحيث لاتكون سعة الثروة سببا فى الانتفاخ ، وقلتها سببا فى



الانكماش ، وبحيث لاتكون هناك ملابس دينية وأخرى مدنية .

أما ملابس النساء ، فمن الواجب ابتكار أزياء تجمع بين الفضيلة والجمال ، وتمنع التبرج والفساد ! .. هذا ما قلته ، وما فوجئت بأنه أقام الدنيا وأقعدها . أو بتعبير دقيق : ملوجده الماكرون مجالا لنقل المعركة اليه ، واختلاق قضية اخرى يدور حولها الجدل بعنف ، وتختنق فى ضوضائها قصة التشريع الاسلامى من الفها الى يائها .

ولا أدرى كيف وقعت فى هذه الحفرة ! وكيف انسقت الى هذا الموضوع الثانوى ! وسمحت لنفسى باطالة الكلام فيه ، عندما طلبت للكلام مرة ثانية ...

ولقد كان لهذا الخطأ اثران رديئان :

الأول : أنى مكنت اعداء التشريع الاسلامى من بعثرة الجهود النبيلة التى احتشدت لنصرته .

الثانى : أنى لم أعط صورة كاملة لمكانة المرأة فى الاسلام ، واكتفيت باستنكار الانحرافات الخلقية والاجتماعية التى عرضت لنهضتها الحديثة ، ففهم بعض الناس انى أريد العودة بالنساء الى عهود الجمود والجهالة التى عاشت فيها خلال القرون الأخيرة .... »

لقد راجع الرجل نفسه .. وأعاد النظر فى موقفه .. وتدبر الأمر ، فأدرك « الخطأ » الذى جعله يقع فى « حفرة » انتهزها أعداء التشريع الاسلامى ، ليصرفوا الأنظار عن جوهر القضايا الى « الهوامش » الجانبية ، وليستعدوا المرأة على موقف الشيخ من قضية الأزياء ؟! ..

ولقد كان شجاعا ، وواعيا ، فى المراجعة .. والنقد .. على النحو الذى يمثل نموذجا يجب ان يحتذى ، فيتعلم منه الكثيرون ! ..

● وهو فى مقدمة الطبعة السابعة لكتابه الأول [الاسلام والأوضاع الاقتصادية] - الذى طبع لأول مرة سنة ١٩٤٧م - فى مقدمة الطبعة السابعة - التى كتبها سنة ١٩٨٦م - .. يراجع أفكاره وآراءه ، على ضوء ما جد وما استبان من أحداث عقود ثلاثة مضت .. ويكتب فى شجاعة العالم الأواب عن تصحيح موقفه من نظم وحكام ونظريات وشعارات .. ويقول :

« .. وقد تبين لى - وانا باحث انشد الحق ولا أبتغى الا وجه ربى - أن كثيرا من مواطىء اقدامنا تحتاج الى تبيين .. وان بعض الآراء والاجتهادات ربما تحتاج الى تمحيص ، مع ما افدته من تجربة العقود الثلاثة الماضية ... ففى كتابنا هذا - خلال طبعاته السابقة - كنا قد عرضنا لبعض القضايا ... وقد جد من الحقائق مايدعونا الى أن نعود إليها بشىء من التمحيص ... فقد كان هناك شطط فى المصادر التى نقلت بعض الصور - التى اعتمدنا عليها - وبالغت فى تشويهها ... كانت الرؤية خاضعة لظروف وقتية ، فلما تكشفت الحقائق لزم تغيير الآراء (وهذا باب من أبواب الاجتهاد التى تتغير فيها الرؤى والأحكام) ... »

وهو ، هنا ، يضرب نموذجا آخر من نماذج الموضوعية فى محاسبة النفس ،

ونقد الذات ، ومراجعة الفكر ، والعودة لما يراه حقا ... وتلك ـ لعمرى ! ـ شواهد صادقة على عظمة هذا الشيخ الأواب ! ...

● وبعد هذه الاشارات إلى هذه المواقف الشاهدة على تحلى شيخنا الغزالى بهذا الخلق الاسلامى الرفيع . خلق الأواب ... المحاسب لنفسه .. والناقد لذاته .. والمراجع لفكره .. أود أن أجعل ختام هذه الاشارات الى هذا الجانب من جوانب شخصيته ، الاشارة الى شاهد آخر من شواهده ، قد كنت شاهدا فيه وعليه ، بل وطرفا فيه ؟! ..

وأنا أبادر فأقول إننى أسوقه ، فى هذا المقام ، لا لأننى كنت طرفا فيه ، وإنما لأنى قد تعلمت منه مالم أتعلم من كثير من الاعلام والشيوخ المعاصرين فى هذا المجال ، ولود أن أشرك معى فى التعلم منه كثيرين ، سواء منهم أولئك الأعلام الذين هم فى مواقع القدوة والصدارة والقيادة ، أم الشباب ، الذين هم فى حاجة الى نماذج تعيد اليهم الثقة فى الرواد والقادة والأئمة من العلماء والاعلام .. لهذه الحكمة ، ولهذا السبب ، ولهذه الغاية أسوق هذا الشاهد فى ختام هذا الحديث عن صفة الأواب فى هذا الشيخ الجليل ..



فى النصف الثانى من سنة ١٩٨٣م ، كان المرحوم الاستاذ عبد الرحمن الشرقاوى ، ينشر فى صحيفة « الأهرام » فصول « الصورة الادبية » التى كتبها عن الامام على بن أبى طالب ـ وهى التى اختار لها عنوان .. (على : إمام المتقين) .. وأخذت آراؤه وتقويماته



الشيخ محمد الغزالى

لأحداث التاريخ الاسلامى وصراعاته ، فى حقبة صدر الاسلام ، تثير الجدل فى عدد من الصحف والمجلات ، مابين ناقد ، ومحبذ ، ومعترض ، ومهاجم ..

وكان الشيخ الغزالى ، وقتئذ ، يعيش فى « قطر » أستاذا فى جامعتها .. فأدلى بدلوه فى هذه المعركة ، من موقع الناقد ـ بعنف ـ للمنهج اليسارى فى تفسير تاريخ الاسلام ..

وفى محاضرة عامة ، حول هذه القضية ، ألقاها فى قطر ، وجه هجومه الغاضب الى الذين يسمون أنفسهم بـ « تيار اليسار الاسلامى » .. وكانت مفاجأة لى عندما قرأت فى صحيفة « الاهرام » ـ ضمن مقال لعبد الرحمن الشرقاوى ، يرد فيه على الشيخ ـ الفقرة التى نقلها الشرقاوى عن محاضرته ، والتى جمع فيها اسماء كتاب اليسار الاسلامى ، الذين صب عليهم هجومه الغاضب ، كانت مفاجأة لى أن وجدت اسمى ضمن هذه الأسماء ؟! ..



لقد فوجئت ، لأن هذه ليست حقيقة موقفي الفكرى .. وفوجئت لغيبة هذه الحقيقة عن الشيخ الغزالى - الذى اعتقدت - رغم اننا لم نكن قد التقينا بعد لقاء مباشرا - أنه لابد وأن يكون ملما ولو بطرف قليل مما قدمته للمكتبة الاسلامية من فكر لايباعد فقط بينى وبين دعاة « اليسار الاسلامى » وإنما هو ينقض ويهدم - من الأساس - مصداقية ومشروعية وجود مثل هذا التيار ! ..

لقد فوجئت .. لكننى لم أغضب .. فضلا عن أننى طويت الأمر مع طيى لصحيفة « الأهرام » ؟! ..

ثم حدث أن سألنى صديق - استاذ فى جامعة قطر - عن مشاعرى حيال هجوم الشيخ الذى تناولنى فيمن تناول ؟ .. فأجبته - صادقا - : إننى على يقين من أن الشيخ الغزالى قد تناولنى وهو غاضب ، لكننى على ذات الدرجة من اليقين بأن غضبته إنما كانت لله ولدينه ، وانتصارا للحق الذى يتغياه - حتى ولو اختلفت الرؤى فى الأساليب والتفاصيل .. ولذلك ، فإن حبى للشيخ ، واعتزازى بفكره وجهاده ، لم ولن يتأثر بوضعه لى - إبان غضبته المشروعة هذه - فى الموقع الذى لا أحب ولا أرضى ؟! ..

ثم حدث أن بلغ رأيى هذا الى شاب مثقف - كان يتولى ادارة الشئون الثقافية بجامعة قطر - ليست بينى وبينه معرفة مباشرة - لكنه كان يقرأ لى - مع إعجاب وتقدير - وفى ذات الوقت كان من مريدى الشيخ الغزالى ومحبيه ... فعز عليه وجود هذا الخلاف المعلن بين الشيخ الغزالى وبينى ، مع يقينه - وهو الذى يتابع فكرنا معا - بأنه خلاف لامبرر لوجوده أصلا ... فتطوع وذهب الى الشيخ الغزالى ، وعرض عليه أن يقرأ عددا من المقالات القصيرة ، كنت أنشرها اسبوعيا فى مجلة [الشراع] - البيروتية - فى زاوية أطلقت عليها عنوان : « التراث والمستقبل » ...

حدث كل هذا المسعى الطيب دون أن أدرى عنه شيئا ! ...

وما هى الا ايام ، حتى تسلمت خطابا أثار ظرفه الانتباه ! .. فعلى الظرف عبارة : « المرسل : محمد الغزالى - كلية الشريعة - جامعة قطر » - ولم أكن من قبل قد التقيت بشيخنا الجليل .. ولا تبادلنا المراسلات وأقرب العهد به هو خبر ذلك الهجوم الذى أشرت اليه ! ..

فلما فتحت الظرف ، وقرأت خطاب الشيخ الغزالى .. كانت المفاجأة التى هزت كيانى من الأعماق .. لقد وجدتنى أمام وثيقة لايكتبها الا واحد من عظماء الرجال ... فهذا الشيخ الجليل ، الذى يقع منى موقع الاستاذ من التلميذ .. يجلس فى موقعه هذا ليراجع نفسه ، ويحاسبها ... ولينقد ذاته ، وليعلن لى عن تصحيحه لموقفه منى - لا فى إطار هذه الرسالة فقط ، وإنما علنا وعلى رءوس الأشهاد ؟! .

حقا إنه رجل أواب .. وإذا كانت رسالته هذه قد هزت كيانى من الأعماق .. فبادرت أكتب اليه قائلا : إن أمة فيها أمثالك لابد منتصرة بإذن الله ... فإن الذى تعلمته من رسالة هذا الشيخ الأواب ، أجدنى مطالبا - أمام ضميرى - بأن أيسر مصدره ليتعلم منه الآخرون ، وليقوم

شاهدا حيا على صدق هذا الذى أقوله عن هذا الجانب من جوانب خلق هذا الشيخ الجليل ...

لقد كتب فى رسالته يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

اخى الأستاذ الدكتور محمد عمارة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ـ وبعد ـ فإن القليل الذى قرأته لك أخيرا ردنى الى الصواب فى أمرك ، وجعلنى أندم على تعجلى فى عدك من كتاب « اليسار الاسلامى » .. لقد كنت فى ضيق شديد للحرج الذى وقع الفكر الاسلامى فيه عندنا هنا ... فى الخليج الذى يمرح فيه الغزو الثقافى غير خجل ولا قلق .. وتناولت ناسا قرأت لهم مالا يسر ، ولكنى ما كنت قرأت لك وإنما حدثنى البعض أنك تصف الشريعة الاسلامية بأنها من وضع الفقهاء ، وتتبنى النظرة المادية الى الفلسفة الاسلامية ... وما كان يليق بى أن أعتمد السماع فى تقدير الرجال ، ومن ثم كنت ـ بعد وصفى لك باليسار الاسلامى ـ قلقا فى عدالة الحكم الذى صدر منى بالنسبة لكم خاصة ...

والآن ، وبعد قراءات قليلة لآثارك الأدبية ايها الأخ العزيز رجعت الى من حدثونى وقلت لهم : إن الطبيعة العقلية للدكتور محمد عمارة تتسم بعمق النظرة ودقة الحكم وسعة العلم ، والتجرد للحق ... واذا مضى فى هذاالطريق فأحسبه سيكون نموذجا للأستاذ العقاد ، وعبقرياته الاسلامية ... معذرة عما قلته ، وعند أول فرصة لكتابة عامة سأنشر رأيى ، فهذا حقك الذى يفرضه على دينى .

والسلام عليكم ورحمة الله

٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٤٠٤هـ

أخـوك

محمد الغزالى[١]

تلك هى « الرسالة .. الوثيقة » .. التى احتفظت بها ست سنوات ، رافضا إلحاح كثير من الأصدقاء علىّ كى انشرها ..

فلما شاء الله ، وشرعت اكتب هذه الدراسة عن هذا الشيخ الجليل ... وعَنَّ لى أن أتناول هذا الجانب من جوانب خلقه وشخصيتـه .. محـاسبـة النفس ... ومراجعة الفكر .. ونقد الذات .. آثرت أن أشرك غيرى فى أن يتعلم مما تعلمت منه ... وأحببت أن أقيم شاهدا آخر ـ قد لايعلمه الناس ـ على تحلى هذا العالم ... المجدد ... المجاهد .. بخلق المسلم الأواب ..

ومرة أخرى .. نقف أمام آيات القرآن الكريم :

[وأزلفت الجنـة للمتقين . هـذا ماتوعدون لكل أواب حفيظ . من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب . ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود . لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد] ... [ووهبنا لداود سليمان ، نعم العبد إنه أواب] ... صدق الله العظيم .

.... مد الله فى عمر شيخنا محمد الغزالى ... ومتعه بالصحة .. وبارك لأمته فيما قدم ويقدم لها من عطاء .

---

(١) انظر صورة هذه الرسالة ، بخط الشيخ الغزالى ، مع هذه الدراسة .



أكثر من نقطة نظام

بقلم : د. غالى شكرى

من يملك حق الكلام ؟ الجواب من حيث المبدأ أن لكل إنسان هذا الحق . ولكن هذا الجواب يحتاج إلى تعديل إذا كان الأمر يخص إحدى اللحظات الحاسمة فى التاريخ خاصة إذا كان هناك فريق أو أكثر من الناس من أصحاب المواقف والتجارب ووجهات النظر التى خضعت لاختبارات الواقع فلم تثبت قدرتها على الرؤية فضلا عن الرؤية الصحيحة . حينئذ يجب أن نحتاط فى مفارق التاريخ من الرؤى غير البصيرة والرؤى الكاذبة والرؤى المضطربة ، لأنها وغيرها قد ارتبطت بمواصفات ومصالح وأفكار أمداً طويلا ، ومن ثم فانها لاتملك حق الكلام الآن ، فقد سبق لها أن تكلمت ودفعت أحيانا ثمن كلامها ، ولكن ظروفها الموضوعية وربما الذاتية أيضا برهنت على فساد هذا الكلام فى الماضى . ومن الصعب ، بالتالى ، أن يصح كلامها الجديد ، حتى ولو جاء من باب النقد الذاتى ، فالتجارب القديمة التى ساهمت بشكل أو بآخر فى صياغة الجذور السلبية للأزمة الراهنة ، لاتثمر على أى نحو من الأنحاء كلاما جديدا .

● ولكن ماجرى ويجرى فى أوروبا الشرقية دفع العالم كله - وبلادنا جزء منه - إلى كلام كثير ممن يحق لهم الكلام ومن لايحق . وبينما التزمت أجهزة الإعلام فى الغرب التعبيرات الحذرة والتوصيفات المترددة والمصطلحات التى تبحث عن المعانى . فإننا من المحيط إلى الخليج قد تسرعنا وحسمنا الأمر وصفا وتحليلا وتقييما . كانت حجة الغرب فى الحذر والتردد والبحث عن المعانى ، انهم أمام ظاهرة متشعبة شديدة التعقيد لم تكتمل بعد . أما غالبيتنا فلم تلتزم الحد الأدنى من مراقبة مايجرى ومتابعة سياقه واستطلاع آلياته واستشراف نتائجه . ومن هنا اختلط الحابل بالنابل ووقعنا فى فوضى مخيفة تحتم رفع اليد بأكثر من نقطة نظام :

● **النقطة الأولى** : خاصة بالمصطلح . لقد أسرف بعضنا فى استخدام كلمة «السقوط» ونحن نعرف من التاريخ سقوط الأمبراطورية الرومانية ، وسقوط الأندلس ، وسقوط المانيا النازية ، وسقوط إيران الشاهنشاهية . هذا السقوط يعنى انتهاء صلاحية البنية الأساسية


شاه ايران .. محمد بهلوى



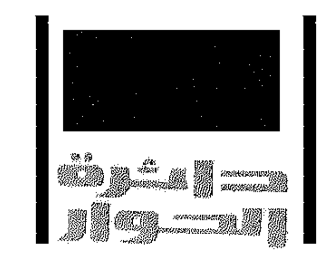


الثورة الايرانية من باريس الى طهران

للحكم وتلاشى قدرتها على القيام بمهام السلطة . ويحدث ذلك نتيجة هزيمة عسكرية أو هزيمة سياسية . وماجرى ويجرى فى أوروبا الشرقية ، بما فيها رومانيا ، ليس قضاء مبرما على البنية الأساسية للتحول نحو الاشتراكية . ليس صحيحا أن هناك شيوعية حتى نقول سقطت الشيوعية . لم يقل أحد أن النظام فى الاتحاد السوفييتى هو نظام شيوعى ، ولا النظام فى الصين . وقد ذكرت أكبر دولتين اشتراكيتين لأقول أن أحدا فيهما سواء من أنصار ستالين أو أنصار ماو لايقول بأن بلاده حققت النظام الشيوعى .. فالشيوعية مصطلح له مواصفاته وقد استخدمه الكثيرون فى غير سياقه ، لمجرد الهتاف بالسقوط . بل إن أغلب الدول المسماة اشتراكية لم تحقق النظام الاشتراكى ، وإنما هى فى الطريق إلى الاشتراكية ، أى أنها فى مرحلة التحول . وفى مراحل التحول تقع أخطاء وخطايا وجرائم . ولكننا نسينا الفظائع الوحشية لمرحلة التحول إلى الرأسمالية ، وكيف كانت جيوش من الأطفال تموت من الهزال والجوع والإرهاق المضنى . لقد احتاج الأمر إلى أكثر من قرنين لتصل الرأسمالية إلى بعض القواعد واللوائح والقوانين التى تحمى بعض مصالح العمال . أما بعضنا فيتكلم عن الأربعين عاما أو حتى السبعين عاما كأنها سبعة قرون . والذين يقولون بسقوط الاشتراكية وانتصار الديموقراطية يضمرون التناقض بين العدل والحرية .. بينما الدرس الأول مما يجرى فى العالم الاشتراكى هو أن تغييب الديموقراطية من شأنه أن يضر بالأهداف الإنسانية للاشتراكية .

● الفلسفة لاتسقط

والذين يقولون بسقوط الفلسفة الماركسية لايدرون أصلا أن الفلسفة لاتسقط ، فأرسطو لم يعد فارس الفلسفة ولكنه لم يسقط ، وديكارت لم يعد فيلسوف



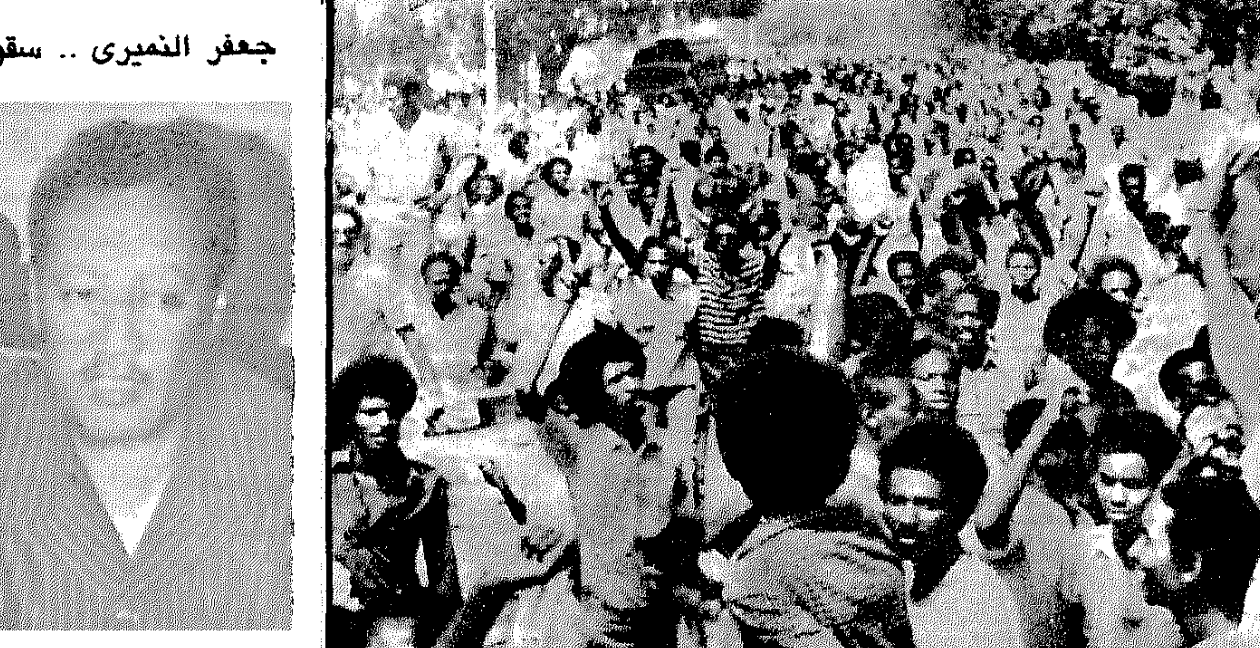
الرياضيات الحديثة ، لكنه لم يسقط . لامعنى لسقوط فلسفة أو فيلسوف . النازية ليست فلسفة بل نظام سياسى . والشمولية هى حكم «الدائرة المغلقة» على العرق أو الدين أو اللون ، فالدولة العنصرية أو الدولة الدينية ذات نظام شمولى ، لأن الحق الإلهى فى السلطة كالعرق النقى ، كالدمج بين الدولة والفرد أو بين السلطات الثلاث أو بين الحزب والشعب والقائد ، كلها أنظمة شمولية ... فالشمولية قد تحدث فى نظام رأسمالى كما كان الحال فى ظل النازية والفاشية والمكارثية ، وكما كان الحال فى المستعمرات ، وكما هو الحال فى معظم العالم الثالث . والشمولية قد تحدث أيضا فى النظام الاشتراكى . ليست هناك أية علاقة حتمية بين الاشتراكية والشمولية .

ولكن بعضنا يقول بسقوط الشمولية كمرادف لما يسمونه بالسقوط الاشتراكى . منذ سقوط الدولة العباسية إلى سقوط الخلافة العثمانية لم يقل أحد أن الذى سقط هو الفلسفة الاسلامية ولا حتى الدولة الاسلامية ، فمازال هناك إلى اليوم « عالم اسلامى» و «فقه إسلامى» .

ومنذ سقوط القسطنطينية إلى نجاح الثورة الفرنسية لم يقل احد أن الذى سقط هو المسيحية

إن التسرع فى استخدام مصطلح «السقوط» لايعنى فقط الجهل بمضمونه وسياقه ، وإنما يعنى كذلك التفكير بالامانى بالقفز على الوقائع وصولا إلى نتائج مرغوب فيها . والرغبة الايديولوجية أو العاطفية تفسد التحليل ولاتساند أى تخطيط موضوعى لاتخاذ الموقف الأقرب إلى الصواب انطلاقا من المصلحة الوطنية أو القومية أو العالمية . أما التفكير بالأمانى فينطلق من الدائرة المغلقة على الذات ، دائرة الأوهام الشخصية والمصالح الضيقة .

الثورة السودانية اسقطت نميرى



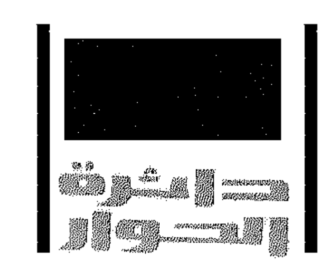
جعفر النميرى .. سقوط



● **النقطة الثانية** : خاصة بالمكبوت أو المسكوت عنه ، فالذين انفجر خزان عواطفهم ضد الاشتراكية يتكلمون كأنهم مواطنى أوروبا الغربية أو الولايات المتحدة . وهم ليسوا كذلك ، ولكنه الانفصام الذين حل بشخصية العربى حين استعار الوجه الغربى وكأنه من انصار الديمقراطية حقا . هؤلاء أعلنوا «المكبوت» وهو إيمانهم الذى لايتزعزع بأبدية استغلال الإنسان للإنسان ، وكان ذلك هو «الطبيعة الإنسانية» . إن ماركس لم يخترع الطبقات ، وإنجلز لم يخلق بينها التناقضات ، ولم ينبئنا أحد بأن لينين هو الذى تسبب فى الاغتراب . لقد ثبت أن غياب الديموقراطية لايحقق العدل . ولم يثبت أن البشرية ستتوقف عن السعى من أجل العدل والحرية معا ، أو أن البشرية ستتوقف عن الحلم بمقاومة التشوه الإنسانى . إن الهاتفين بسقوط الاشتراكية إنما يمجدون على الوجه الآخر من الأسطوانة الظلم الاجتماعى . هؤلاء لايسمون افلاس الرأسمالية منذ ستين عاما سقوطا ، وينسون ماجرى منذ وقت قصير وقد سمى «الاثنين الأسود» . ثالثة بغزو الفضاء . وكان النظام الاشتراكى بكل أخطائه هو صاحب هذه الانتصارات . وهذا النظام هو الذين حال دون تفرد الولايات المتحدة بحكم العالم . وهو الذى قاد حركة التغيير فى أوروبا الشرقية كلها ، وجعل من الممكن للقوى الحية فى مجتمعاتها أن تنطلق من عقالها . أن شعوب أوروبا الشرقية كانت تقاوم من أجل التغيير ، ولكن البرويسترويكا والقوة السوفياتية وشخصية جورباتشوف أتاحت لهذه المقاومة أن تنجح وحالت بينها وبين استغلالها أو الايقاع بها .. فليست مجتمعات أوروبا الشرقية رأيا واحدا أو طبقة واحدة أو ايديولوجية واحدة . ولأن علاقة الاتحاد السوفييتى برومانيا لم تكن كعلاقته ببقية حلف وارسو ، اتخذت الأحداث تلك الصورة الدموية المروعة . وأيضا لأن علاقة الاتحاد السوفييتى بالصين لم تكن كعلاقته ببقية الدول الاشتراكية فقد اتخذت المسيرة فى بكين لونها الدموى . ولكن الأمر فى الحالين لايختلف من حيث أن المواطن «الاشتراكى» قد رفع جورباتشوف راية وشعارا من بكين إلى برلين .

● **النقطة الثالثة** : تخص الحزب الشيوعى السوفييتى الذى أبدع البريسترويكا ، فليس جورباتشوف مستوردا ، ولا هو فرد . لم تنهزم الاقطار الاشتراكية فى حرب من أى نوع ، ولكنها استجابت لتحدياتها الداخلية ، والخارجية بثورة جديدة ، وليست ثورة مضادة . لقد انتصر الاتحاد السوفييتى على حروب التدخل التى شنتها الدول الرأسمالية بعد قليل جدا من ثورته . وانتصر مرّة أخرى فى الحرب العالمية الثانية . وانتصر مرة

● **النقطة الرابعة** : تخص الحضارة ، إذ لايجوز أن ننسى أن أوروبا الشرقية جزء لايتجزأ من الحضارة الغربية ، وأن الماركسية ذاتها جزء لايتجزأ من الفكر الغربى . والحضارة الواحدة لها سمات مميزة فى ظل النظامين . وقد كان من المثير أن بعضنا ـ من السلفيين والعلمانيين ـ قد راح يتكلم عن الدين فى أوروبا الشرقية ونسى مايلى : أن أوروبا كلها (حين لم يكن هناك معنى سياسى للشرق والغرب) قد عانت



الويلات من الكنيسة فى العصور الوسطى ، وانها دفعت أنهارا من الدماء من أجل التقدم العلمى والاجتماعى والثقافى والاقتصادى والسياسى على انقاض الكنيسة وايديولوجياتها التى تحالفت مع الاقطاع والنبلاء والخرافات حيث باع الباباوات والاساقفة والكهنة صكوك الغفران للفقراء لشراء قراريط فى الجنة . هذه الكنيسة التى احرقت العلماء وانكرت النظريات العلمية واقامت محاكم التفتيش لتفتح صدور الناس بحثا عن الايمان . وهى ذاتها الكنيسة التى لعبت دورا سياسيا إلى جانب فاشية الجنرال فرانكو فى أسبانيا والدكتاتور سالزار فى البرتغال .. كيف يفرح بعضنا إذا قامت من جديد بدور سياسى هنا أو هناك فى العالم الاشتراكى ؟ كيف يفرح العلمانيون منا إذا لعب رجال الدين المسيحى دورا ساسيا فى عصرنا ؟ وكيف يفرح السلفيون الإسلاميون لذلك ، وهم يرددون ليل نهار لعنأتهم على الصليبية ؟ الجواب : لأن هؤلاء السلفيين كأولئك العلمانيين ينسون مبادئهم فى غمار الوهم بالمصلحة الرأسمالية التى تضمهم . ولكنهم ينسون أن الحضارة الغربية التى تضم الاشتراكيين والراسماليين على السواء ، توحد بينهم اصلا فى الموقف من الدين ، من النهضة الأوروبية التى قامت قبل خمسة قرون ، ومن أهم مقوماتها الثورة على الكنيسة ، إلى عصر التنوير فى القرن الثامن عشر ، إلى الثورة الفرنسية التى فصلت نهائيا بين الدين والدولة

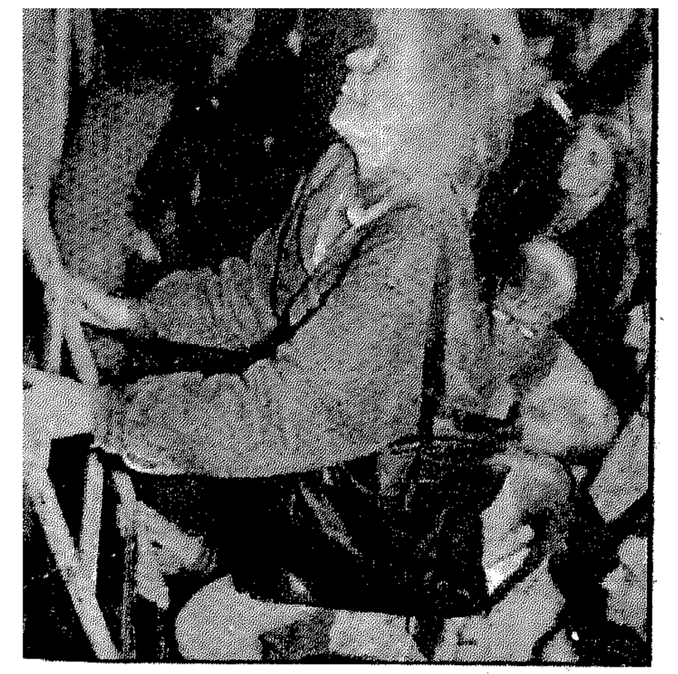
هذه أمور لايختلف فيها الأوروبى الشرقى عن الأوروبى الغربى . ان ما نسميه باللغة الشعبية «الالحاد» صدر أصلا عن الفكر البرجوازى الغربى ، قبل ظهور الماركسية بعشرات السنين . وما ندعوه العلمانية صدر أصلا عن الثورة الفرنسية . وقد تبنت مجتمعات أوروبا الشرقية هذه الأفكار والفلسفات والإجراءات قبل سلوكها طريق التحول إلى الاشتراكية . لذلك لايجوز أن نبلغ إلى حد الخطأ فى متابعة العلم والتاريخ والعالم . وإنما يجب أن ندقق فى الدور السياسى الذى يمكن للكنيسة فى أوروبا الشرقية أن تلعبه قبل أن نهلل أو نرادف بينها وبين «الايمان» .

وهناك سمات أخرى تميز الحضارة الغربية ولا تفرق بين شرق أوروبا وغربها كالموقف من حرية المرأة والموقف من الحرية الفردية واستقلال الشخصية والإدارة والتنظيم واحترام العقل والتزام الموضوعية ، وكالموقف من فكرة الحزب سواء أكان وحيدا أو متعددا وما ينبنى عليه من فكرة البرلمان والدستور ، وغير ذلك مهما كان الخلاف فى التطبيق . وهو خلاف وقع هنا وهناك . حتى فى الولايات المتحدة كانت المكارثية مرحلة سوداء فى تاريخ الحرية الأمريكية ، وقد حورب وطورد كبار الكتاب والفنانين بحجة انتمائهم درجة أو درجات إلى اليسار . وفى أسبانيا والبرتغال كان الحكم الشمولى الدكتاتورى فى ظل الراسمالية قائما على قدم وساق تتبع خطى هتلر وموسولينى .

لايجوز أن ينسى بعضنا فى ظل الادانة المؤكدة للبنية البيروقراطية

وغياب الديموقراطيـة أن المقابـل الرأسمالى شـديد السـوء والعداء لإنسانية الإنسان .. فالرأسمالية ليست فقط الديموقراطية الليبرالية ، وحتى هذا النوع من الديموقراطية ملىء بالثقوب . وإذا كانت الديموقراطية لاتعنى الليبرالية ، فان الاشتراكية لاتعنى الاستبداد . وإنما لابد من ابداع صيغة ديموقراطية جديدة من داخل النسيج الاشتراكي ذاته ، بتصفية المعوقات العمليـة التى كان لهـا انعكاسات نظرية أو لن تفرط فى أى كسب إنسانى ، ولن تتوقف عن صياغة هذا الكسب فى الإطار الديمقراطى . الحريات كالتنظيم الشمولى ليست خصيصة رأسمالية أو اشتراكيـة . ولكنها أقرب إلى الاشتراكية إذا لم تفرق العدالة بين الفرد والجماعة . إنها تسهم فى تحقيق الوجه الإنسانى للاشتراكية ، وتحميها ، لأنها تطلق قوى وطاقات أوسع للجماهير صاحبة المصلحة فيها . من الخطأ والخطر أن نرادف بين الحريات والرأسمالية .

● **النقطة الخامسة :** تخص أزدواجية الشخصية فى اتخاذ المواقف مما يعنى أحيانا الانتهازية السياسية ، فأكثر الذين يقولون بسقوط الشمولية لم يرفعوا الصوت عاليا فى أى وقت ضد القمع حين كان غيرهم فى غياهب السجون . لم يرفع أحدهم الصوت عاليا حين أرغم المثقفون والعمال والسياسيون من مختلف الاتجاهات على التعذيب البدنى والنفسى لدرجة الاستشهاد أحيانا . لم يرفع أحدهم الصوت عاليا حين أغلقت الصحف وحلت الأحزاب ، وحين استمر



القفز فوق السور عمل مشروع

تجريم الفكر ، أى حين كانت الشمولية قيد الانجاز ، وقد شارك الكثيرون من أصحاب «كلام اليوم» فى انجازها .

وهؤلاء أنفسهم هم الذين لايرفعون الصوت ضد الشمولية العربية التى تبدأ من الحزب القائد والحزب الواحد والزعيم الأوحد ، وتنتهى إلى تجريم الحزبية بمختلف اشكالها ودمج السلطات فى شخصية «تاريخية» واحدة . والمقصود بالصفة التاريخية هنا احد أمرين : أما انتسابها إلى طبقة السادة من اشراف آل البيت ، وأما قيادتها للانقلاب العسكرى أى أن شرعيتها قائمة على أساس القوة الدينية أو العسكرية ، والمسلحة فى الحالين .

لذلك فنحن لم نسمع كلمة واحدة من الهاتفين بسقوط الاشتراكية عن سقوط الخمينية فى إيران و سقوط النميرية فى السودان وسقوط ضياء الحق فى باكستان وسقوط امبراطورية الريان . ولم يقل لنا احدهم كلمة واحدة عما يربط بين كل هذا السقوط . أليست هى الدولة التى يحكم عسكريوها أو رجال الدين فيها باسم الحق



الإلهى كما كانت تفعل الكنيسة الكاثوليكية فى العصور الوسطى ؟

وهؤلاء الذين هاجموا الدكتاتورية العسكرية فى بلادنا ، وعاشت أقلامهم منذ حوالى عشرين سنة إلى اليوم تتكلم عن الديموقراطية التى أغتالها العسكر ، لماذا يسمحون لأنفسهم الآن أن يهنئوا ويطنطنوا بامجاد الدكتاتورية العسكرية فى بلاد غيرنا ، ولماذا يفتلون بكلماتهم الحبال لشنق الأطباء الأحرار أو الطلاب الأحرار ، لمجرد أن أصحاب المشانق من « الضباط الأحرار » ؟ .

كانت النكتة القديمة تقول أن مواطنا امريكيا تحدى مواطنا سوفييتيا بقوله أنه يستطيع أن يهتف بسقوط الرئيس الأمريكى أمام البيت الأبيض ، فكان يرد عليه المواطن السوفييتى : وأنا أيضا استطيع أن أهتف ضد رئيسكم أمام الكرملين . بعد الجلاسنوست (المكاشفة) تعدلت النكتة كثيرا ، فأصبح المواطن من أوروبا الشرقية يقول أنه يستطيع أن يهتف ضد الحزب الشيوعى فى بلاده ، وأصبح المثقف من البلاد التى لاتعرف الأحزاب يقول : وأنا أيضا استطيع أن أهتف ضد هذا الحزب فى بلادى .

النكتة الجديدة ترد على أولئك الذين يجرأون على السلطة حين لاتكون فى بلادهم ، حينئذ فهم الفرسان الشجعان .

وبعضهم من أصحاب الدم الخفيف يفبركون الاحلام الكاريكاتورية من سحب الدخان الغائمة ليفرضوا على خيال الأمة أوهامهم عن ناس لم يعرفوا السلطة ، ولم تعرفهم السلطة . ولكنهم ضحوا بأغلى سنوات العمر من أجل استقلال وطنهم والديموقراطية ، بينما كان الأخرون ـ كما هم الآن ـ يسبحون بحمد كل سلطة .

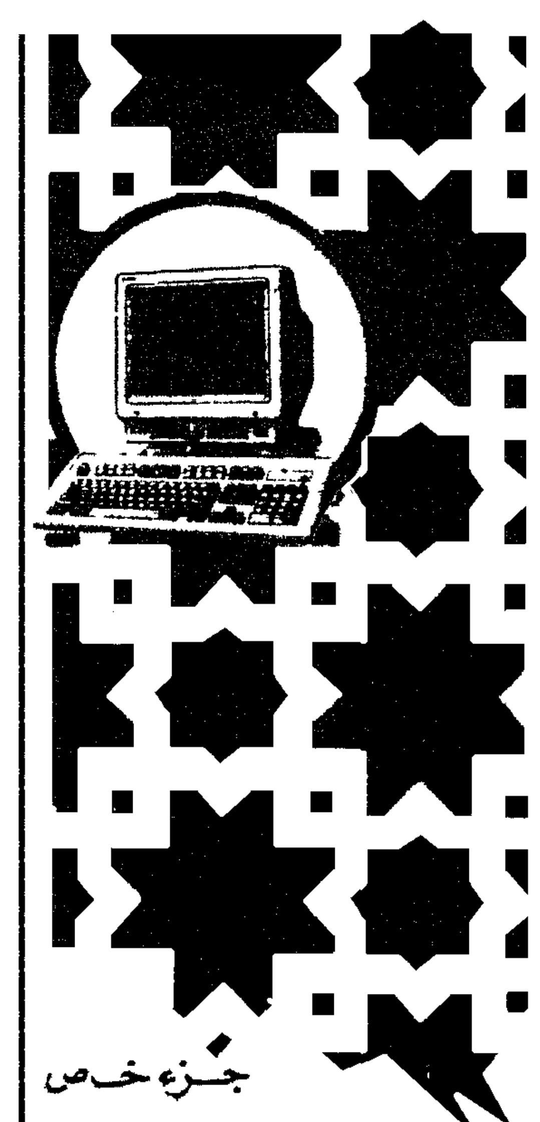
و «البريسترويكيون فى كل العصور» هم الذين برروا ونظروا لكل حاكم وكل وسائل الحكم . وبين هؤلاء بعض الماركسيين الذين يتصورون أنهم كانوا من انصار البريسترويكا قبل ربع قرن حين حلوا تنظيماتهم الحزبية بينما كانوا فى واقع الأمر من أنصار الحزب الواحد والقائد الواحد حين أعترفوا عمليا بالاتحاد الاشتراكى تنظيما سياسيا وحيدا وقبلوا أن يدخلوه كأفراد . وكرسوا بذلك غياب الديموقراطية .

كذلك ، ليس فى أدبيات الأخوان المسلمين إلى اليوم إشارة واحدة إلى التعددية الحزبية ، بل هم لا يعترفون أصلا بالحزبية . وهم حين يدخلون البرلمان أو حين يستظلون بحزب الوفد أو حزب الأحرار أو حزب العمل ، فانما يفعلون شيئا نقيضا لمبادئهم الثابتة .

□ □

هذه مجرد نقاط نظلم ، لاتعترض على «حق الكلام» لكل إنسان من حيث المبدأ ، ولكنها فى غمرة اختلاط الحابل بالنابل تطالب بالحد الأدنى من تنظيم الكلام وعلميته ومصداقته . والا فان أغلب الأصوات لاتصف بتواضع مايجرى فى بلاد غيرنا ، وإنما هى تشارك فى مظاهرة تهتف بسقوط الأخرين . وفى المظاهرات الببغائية يسقط «حق الكلام» .


الكمبيوتر
بيتكلم
عربى
جزء خاص



حتى لا نرفع الراية البيضاء

بقلم : محمد فتحى

إفتتح الدكتور عاطف عبيد مؤتمر صخر السنوى الذى عقدته الشركة العالمية فى القاهرة للمرة الأولى يوم ٤ ، ٥ مارس قائلا :

إسمحوا لى أن أؤكد على ترحيب الحكومة المصرية بكم جميعا وبرأس المال الخاص .. اهلا وسهلا به مساهما وداعما لقواعد التنمية على أرض مصر » .

وكنهج عملى لهذا الترحيب تنشر « الهلال » هذا الجزء الخاص عن الكمبيوتر والمعلومات كالتفاتة تقدير إلى قطاع الأعمال العربى الذى يعى مسئوليته الأجتماعية ، وذلك فى شخص نموذج له ، مفعم بالاحساس بالواجب تجاه قضية الثقافة والهوية العربية .. نموذج دفعه ادراكه لطبيعة العصر الى الطموح لنقل اكثر التقنيات الألكترونية حداثة إلى المجتمع العربى ، وبكفاءة تماثل تعامل المجتمعات الصناعية ، بلغاتها للوطنية مع هذه التقنية .

● ويلفتنا فى هذا النموذج ما قرره الدكتور نبيل على من سعى الى حماية اللغة العربية من أن تكون لغة من الدرجة الثانية فى عصر المعلومات ، حيث تلعب اللغة دورا أساسيا كأداة للفكر ووسيلة للمعرفة ، وحيث تشكل الوعاء الذى تنتقل منه الخبرة والحكمة الانسانية إلى الأجيال القادمة ، ووسيلة يمكن من خلالها أن تغزو مصادر المعرفة لتحيلها إلى مورد يسرع بتنمية مجتمعاتنا وتحديثها .. تلك المجتمعات التى تصنفها احصائيات اليونسكو بصفتها مجتمعات جائعة الكترونيا ومعلوماتيا ، تشكو من الأنيميا الحادة فى نظم المعلومات والحاسبات .

ولعل الأهم من السعى الذى اشار اليه د . نبيل على هو النجاح فى تخليصنا من عار الاسترخاء والفوضى اللغوية التى يعيشها المجتمع العربى ، فى جهد أصيل ومخترق يتجاوز


د . اسامة الخولى

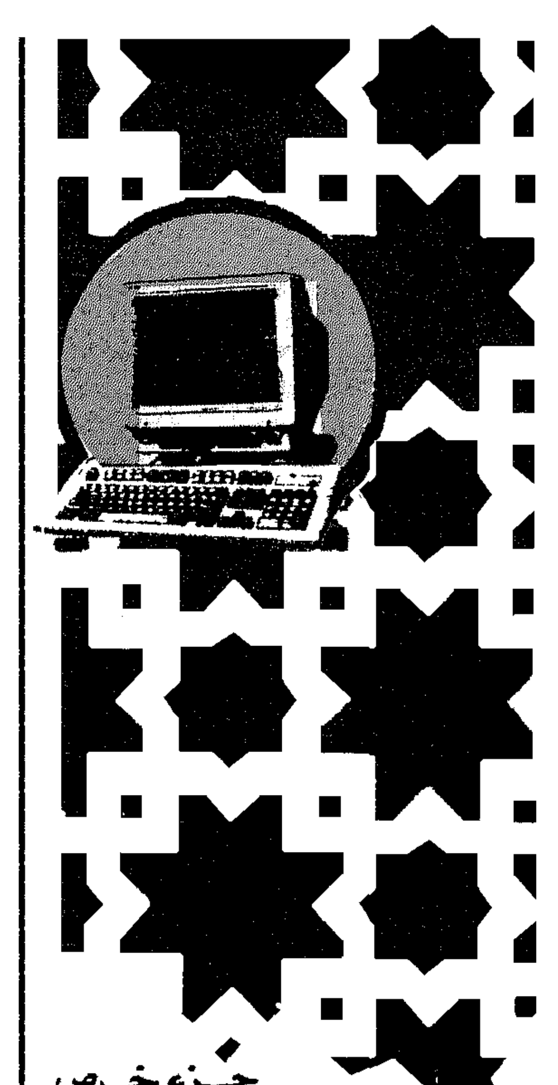

د . عاطف عبيد ومحمد الشارخ

معالجة الحرف العربى الذى وقف الباحثون عند عتباته طويلا وهو لايشكل بعدا لغويا أصيلا ، يتجاوزه الى معالجة الصرف العربى فى المحلل الصرفى المتعدد الأغراض الذى تعرض لاختبار صلاحية شاق فى برامج « القرآن الكريم » و « الحديث النبوى الشريف » ، والتى كانت إجازة الجهات الدينية لها ، اعترافا بقدرات هذا المحلل الذى يشكل إنجازا كبيرا فى حقل التعامل مع اللغة آليا .. والذى كان فاتحة لانجازات اخرى عديدة فى هذا المجال حيث استخدم فى ميكنة المعجم العربى ، الذى استخدم هو الآخر فى تطوير المدقق الأملائى للكلمات العربية ، ليكرس الباحثون جهدهم فى النهاية لصنع معالج نحوى متعدد الأغراض ، يزيل اللبس الناجم عن غياب التشكيل ، ويضع اللغة العربية بالفعل فى خضم تقنيات الذكاء الأصطناعى .

ولعل اهم مافى هذا الجهد - على عظمته - انه بداية لطريق طويل وانه أكد على أن العربية ليست لغة ميئوس من علاجها لغويا ، وأنه يمكن تطويع الآلة لمطالبها وتطويعها لمطالب الآلة .. مما يحثنا على بذل الجهد الواجب فى هذا الصدد .

ويلفت النظر فى النموذج الراهن الذى اخترناه لقطاع يعى مسئوليته الأجتماعية ، إنخراطه فى بحوث تطبيقية تتحول فى التو واللحظة إلى منتجات حقيقية نهائية تخدم المستخدم العربى وأنه ينهج سياسة فى نشر مؤسساته تكشف عن نظرة شمولية وموضوعية للتكامل الاقتصادى العربى ، وكما أنه يسعى الى التعاون مع « ارض الكنانة » و « شعب الحضارات المثالية » كما أكد صانع استراتيجيته محمد الشارخ - فى تأسيس وادى الأهرام لتقنية المعلومات والكمبيوتر .

ولابأس أن يكون آخر ما يلفت نظرنا ان يكون نشاط النموذج الذى اخترناه مدعاة لأن يطرح د عاطف عبيد للبحث - علاوة على الترحيب - قضايا



علمية هامة صاغها فى تساؤلات عدة .

● كيف نستخدم قواعد الصناعة الحالية كركيزة لصناعات مكملة يحتاجها عصر المعلومات ؟.

● ماهى المزايا النسبية للوطن العربى فى مجال المعلومات والكمبيوتر وماهى مجالات تعظيم عائد هذه المزايا ، لأن ذلك هو ما سيحدد موقفنا فى سوق المنافسة العالمية ؟

● ماهى اشكال الحوافز التى تتوقعها صناعات المعلومات العربية من الدولة والى أى مدى زمنى يجب أن تستمر هذه الحوافز ؟

● تسليما بواجب حماية حق كل مبدع وكل مبتكر ماهى التعديلات والأضافات المطلوبة فى التشريعات لتحقيق هذه الحماية ؟

● ماهى المصادر الأجنبية التى ترغب فى التعاون معنا فى اطار مصالح مشتركة مشروعة ؟

● كيف نترجم الأمال والتطلعات الى مشروعات يلتزم القائمون عليها بالتنفيذ ؟

هذا كله اضافة إلى

● المعالج النحوى

فى الحديث عن كيفية إختيار مجال العمل قال محمد الشارخ أنه توخى أن يختار أكثر ما يفتقر اليه العرب ، وأكثر ما يصنع سمه مميزة لعصرنا .. وأنه فى هذا السبيل قابلْ بقدر من المخاطرة فليس هناك عمل ناجح يمكن أن يخلو من المخاطرة . وهو على ثقة وهو يختار فى قدرات العرب .. وجاء مصداق لمنهج الاختيار وتقول المخاطرة ذلك الانجاز الذى أعلن عنه الرجل خلال المؤتمر .

من مصر يشرفنى أن أعلن إنجاز المعالج النحوى للغة العربية وهو المفتاح الأساسى لدخول العرب لعصر المعلومات ولا غرو ، فمصرى هو الذى قاد فريق العالمية لهذا الانجاز . ولاغرو فمصر تشرع فى تأسيس وادى الأهرام التقنى الذى تطمح العالمية لأن تكون من أول مساهميه .

ولاغرو ـ هذا جانب شخصى ـ أفليس الوفاء من شيم العرب .. الوفاء لمصر .. والمعلم المصرى الذى علمنى .

تحهد د . عاطف عبيد ببذل جهد متواصل لمساندة كل مستثمر جاد ناهيك عن رعاية كل مبدع ..

● الحلم والقدرة على الأختراق

أن نتراص ونرفع ايدينا فى مواجهة تعديات أمثال « فضة المعداوى » أمر ضرورى لكنه ضرورى بنفس الدرجة أن نحتفظ بقدرتنا على الحلم وجسارتنا على الأختراق والتجاوز فى عالم يتقدم بخطى هائلة ويحكم بالموت على من يبقى فى مكانه .

لقد غنينا فى الأيام الحزينة التالية على هزيمة يونيو ١٩٦٧ و « عظم اولادنا نلمه نلمه نسنه نسنه ونعمل منه مدافع ، وندافع ونجيب النصر هدية لمصر » .. كنا نغوص فى ، مستنقع الهزيمة نكاد نغرق فيه وكانت الكلمات تعبيرا عن روح رفض الهزيمة . ويومها ذهب عبد الناصر لافتتاح اولى وحدات مجمع الحديد والصلب (وحدة درفلة الشرائط) وشد على ايدى العاملين هناك وكأنه يقول لهم إننا نحتاج إلى نتاجكم حتى نسند هذه الروح بما تحتاجه من قدرات مادية ، فالأفضل أن نغنى » .. وصلب بلدنا نلمه نلمه نسنه نسنه ، وتعمل منه مدافع ، وندافع » ..

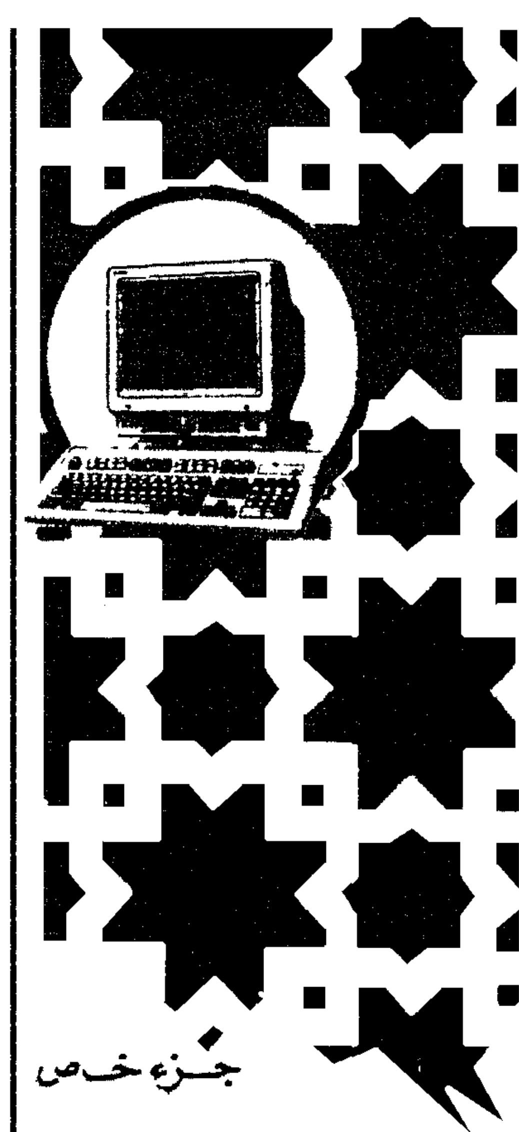
لابد لنا من فض روح الغيبوبة والانهزامية ، ولابد لنا من الحلم ، بالمستقبل ولابد لنا من الأدوات المادية التى تساعدنا على مسايرة العصر .. وادوات اليوم هى المعارف الموظفة فى خدمة الواقع ..

لهذا كله نلتفت إلى ما هو نقيض « فضة المعداوى » حتى لاتجبرنا الظروف يوما على رفع « الراية البيضاء » ..

الأرقام والمعلومات

كثيرا ما تقتصر الدوائر المعنية فى البلدان النامية بالبيانات لا بالمعلومات كان نشير الى ان منسوب مياه النيل اليوم هو ١٥٠ مترا . وهذا البيان محدود القيمة بالنسبة للمعلومات التى تقدم نفس الرقم فى اطار تطورى فاعرف مستوى مياه النيل فى مثل نفس اليوم العام السابق والاسبق و ... واستطيع ان اخرج منها باستنتاجات مختلفة ..

وحتى ما يتوفر فى الدول النامية من بيانات وارقام لانخرج منه بالاستنتاجات الصحيحة - حتى إن توفرت ارقام دقيقة - فمثلا عند بناء مصنع الحديد والصلب فى حلوان ارجع ارتفاع عدد الوفيات بمرض السل بصورة خاطئة الى وجود هذا المصنع ولم يلتفت المفسرون الى وجود مصح لمرضى السل فى حلوان وان جميع المرضى فى ج . ع . م آنئذ كانوا يذهبون الى هذا المصح وكان يسجل فى شهادات وفياتهم ان سبب الوفاة هو مرض السل ومن هنا سبب ارتفاع الرقم الخاص بحلوان مقارنة بالمدن الاخرى .. قد يكون للمصنع تاثير ضار بالصحة لكن ليس ذلك الرقم هو المؤشر الصحيح



التراث و الكمبيوتر

بقلم :
د. أحمد كمال أبو المجد

لست من المتخصصين فى علوم الحاسب الآلى .. ولست ـ فوق ذلك ـ من المتخصصين فى حفظ التراث وتوثيقه ..

ولذلك سألت نفسى عن الاساس الذى يمنح حديثى شرعيته، أو يضفى عليه مبرره .

وكان الجواب الذى وجدته ان لدىّ امرا ما اريد ان اوصله الى جمهور المشتغلين بالثقافة الاسلامية والدعوة الاسلامية على السواء .. وهذا الأمر لا يدخل فى باب البحث التحليلى المتخصص .. ولكنه فى الحقيقة تنبيه الى شىء محدد ودعوة الى شىء آخر محدد .

● انا واحد من مئات الملايين الذين يؤمنون بالله .. ويؤمنون لذلك وتبعا له بان هذا الكون الذى نعيش فيه والذى تحركه مشيئة الله وتوجهه حكمة الله .. ليس عالما من الفوضى تتحكم فيه المصادفة .. وانما هو محكوم بضوابط ونواميس .. يسميها العلماء قوانين العلم والحركة .. ويسميها المؤمنون منهم «سنة الله» ولن تجد لسنة الله تبديلا، «ولن تجد لسنة الله تحويلا»

ومن هذه السنن ان الكون محفوظ بقاعدة الهية وعلمية نستطيع ان نسميها توازن القوانين .. فاسباب الحق والنماء فى الكون تحكمها ضوابط واسباب تكامل وتوازن . والعلماء الطبيعيون وعلماء الحياة يعرفون جيدا معنى هذا التوازن .. ووظيفته الرئيسية فى حفظ البيئة .. ولذلك يحذرون من العبث بهذه البيئة عبثا يختل به اداء تلك القوانين وضمان استمرار الحياة .. والقرآن الكريم يرشد الى

ان هذا التوازن سمة من سمات الكون الذى خلقه الله .. «انا كل شيء خلقناه بقدر» ، «وخلق كل شيء فقدره تقديرا» ، «وانبتنا فيها من كل شيء موزون» «وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها» .

والجديد الذى نريد ان نعرض له ان هذا التوازن الالهى يمتد من عالم الطبيعة الى عالم الثقافة .. ويتجلى - فى مقام بحثنا هنا - فيما يمكن ان نسميه التوازن فى آثار الثورات العلمية والتكنولوجية .

● قرية اليكترونية واحدة

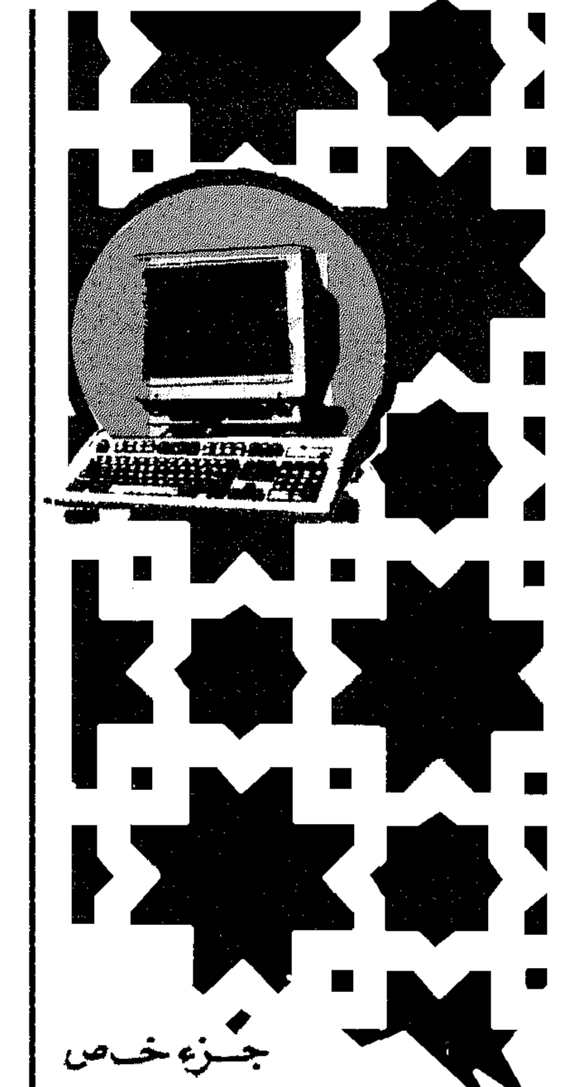
فحين تعاقبت الثورات العلمية والتقنية فى مجال الحركة والانتقال ، وفى مجال نقل الصوت والصورة وسائر وسائل الاتصال .. تهاوت الحواجز وسقطت الستر بين الشعوب والحضارات .. وطوى للناس الزمان والمكان .. ومدت الثقافات المختلفة قيمها ومعارفها واساليبها فى الحياة عبر حواجز التاريخ وفواصل حدود البلدان .. وبدأ الحديث عن ثقافة عالمية واحدة يلتقي حولها الناس جميعا .. وكان تحول العالم - كما يقولون - الى قرية اليكترونية واحدة .. خيرا فى جزء منه .. ونذيرا باخطار ثقافية وحضارية فى جزء آخر منه .. كان خيرا بما يوفره للناس من تنوع الرؤية واطلاع على الرأى الآخر .. والموقف الآخر .. والثقافة المغايرة .. وكان خيرا بما يؤدى اليه من تواصل وتبادل للخبرة ، وزيادة فرص الالتقاء على أمور عديدة لقاء من شأنه ان ينزع روح العداوة والحرب .. وهى روح تنميها مشاعر الاحساس الزائد بالتميز والاختلاف .. ومشاعر الاحساس بالنفرة والخصومة مع الغير .. فى عالم السياسة والثقافة والاقتصاد .

ولكن هذه الحركة الثقافية الكاسحة .. من شانها ان تزيد الاقوياء قوة وان تهدد الضعفاء فى صميم وجودهم .. ومن شانها كذلك ان يتحول التبادل بين ثقافات متعددة الى صيغة جديدة يؤثر فيها الطرف الأقوى تقنيا ويتاثر بها الطرف الاضعف تقنيا .. وهو ما يهدد التعددية الثقافية الحقيقية ، وينذر بتعرض ثقافات عديدة لخطر الضياع والاندثار .

ومن هنا ظهرت موجة الدفاع عن الخصوصية الثقافية فى وجه التاثير الكاسح لثقافة الدول المتقدمة تقنيا .. وترددت اصداء هذه الموجة داخل اليونسكو وغيره من المنظمات الدولية .. كما جرى التعبير عنها من خلال موجة الاعتزاز الثقافى ، والتحذير - داخل كل ثقافة - من اخطار الغزو الثقافى ..

ووسط هذه التفاعلات كلها ظهر الحاسب الآلى ، وتعاقبت اجياله وتحول





خلال سنوات قليلة الى اداة فعالة لجمع المعارف واختزانها ، وتحليلها ثم استدعائها .. وكانما كان ظهوره على قدر ليوازن الآثار الثقافية للثورة التقنية فى أدوات الاتصال ..

وتفسير ذلك ان المحافظة على الهوية الثقافية .. تقتضى اول ما تقتضى جمع مصادر المعرفة داخل ثقافة من الثقافات ، وتحقيق المصادر الاصيلة ثم اختزانها حتى لا تتعرض للتبدد والضياع ... ثم ترتيب تلك المصادر وعرضها على طالبها بطريقة فعالة وميسرة .. وهذا كله يؤديه الحاسب الآلي . وانما يبقى ان نذكر به العاملين في حقل الثقافة ، والمشتغلين بالمحافظة على التراث .

ويبقى أن نحدد بمزيد من الدقة ما نقصده بالتراث ..

وأن نحدد كذلك ما ندعو الى القيام به .. مستعينين بالحاسبات الآلية - فى المحافظة على هذا التراث ..

● رؤية محددة للتراث

ولابد قبل ذلك كله ان نقول كلمة نحدد بها رؤيتنا للتراث ، وموقفنا منه ، ذلك أن بعض الناس فى زماننا هذا قد اباحوا لانفسهم ان يتخذوا من التراث واحدا من موقفين ، لا حجة لهم فيها ، ولا سند يسندهم .. فمنهم من ربطوا التراث فى عقلهم ووجدانهم ربطا شاملا مطلقا بالتزامهم الديني .. فنصبوا انفسهم مدافعين عن كل قديم ، متمسكين بكل كلمة قالها الاقدمون .. غير مميزين بين ما يلزم وما لا يلزم . فحصروا انفسهم - والناس - معهم - فى حقبة زمانية ماضية .. وتصوروا ان حاضرهم لا يصلح الا بهذا التلبس الكامل المطلق بصيغ الماضي وأوضاعه واقوال أهله .. ومنهم من تصوروا التراث قطعة من التاريخ ، ادت وظيفتها حين كان ذلك الماضى حاضرا .. وأن لها ان تترك مكانها وان تغادر الساحة . واضافوا ان على اهل هذا الزمان ان يتخلوا نهائيا عن الاشتغال بالتراث ، وأن يتوجهوا لعلوم العصر وحدها .

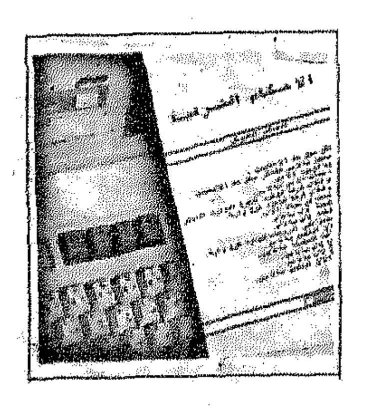
ولا نريد ان ننعطف بحديثنا الى مناقشة هذين الموقفين ، وانما نختصر الطريق لنقرر ملاحظات ثلاث :

الأولى : أن كثيرا من الاطراف الذين يتخذون هذه المواقف الجديدة لم يمنحوا انفسهم فرصة التعرف على التراث ، ومع ذلك ابلحوا لانفسهم ان يجادلوا فى شانه وان يحكموا عليه ..

الثانية : انه من غير المعقول اتخاذ موقف واحد من كل ما هو قديم ، فالبعد الزمانى وحده لا يصنع الخطا والصواب ، ولا الصلاح والفساد .

والزمان القديم . شانه شان الزمان الجديد ، قد حمل الينا نتاج عقول الملايين وتجاربهم وآراءهم .. وهى ركام ضخم منه الضار الظاهر الضرر .. ومنه النافع البين المنفعة .. ومنه دون ذلك .

والملاحظة التالية التى تعنينا هنا بصفة خاصة ان العقل المسلم والجهد العلمى للمسلمين قد انفقا قرونا طويلة فى حفظ المرويات وتحقيقها ..



ولا يزال عمل الباحث المسلم - فى ايامنا هذه - موزعا بين عمليات التحقق من النصوص .. وبين تفسيرها وتطبيقها والتحرك بها لملاقاة الظروف المتطورة للمجتمعات .. وفى كثير من الاحوال كان الجهد الموجه للرواية مستغرقا للطاقة ، وصارفا عن بذل جهد مماثل فى الدراية .. اى ان هذا الوضع فى مجموعه كان موجها «للمحافظة» على الحضارة والثقافة صارفا عن التحرك بها لخدمة المستقبل وقضاياه .

والآن .. جاءنا العلم باداة جديدة .. توفر هذا الجهد ، وتحفظ النصوص الاصيلة بتحقيقاتها المدونة فى مئات الكتب او شروحها المثبتة فى مئات اخرى من المدونات والحواشى .

ولنضرب بعض الامثلة .. لنصوص يحتدم حولها الجدل هذه الايام فى امور تتعلق بمعاملات الناس وأوضاعهم وفنونهم وآدابهم ..

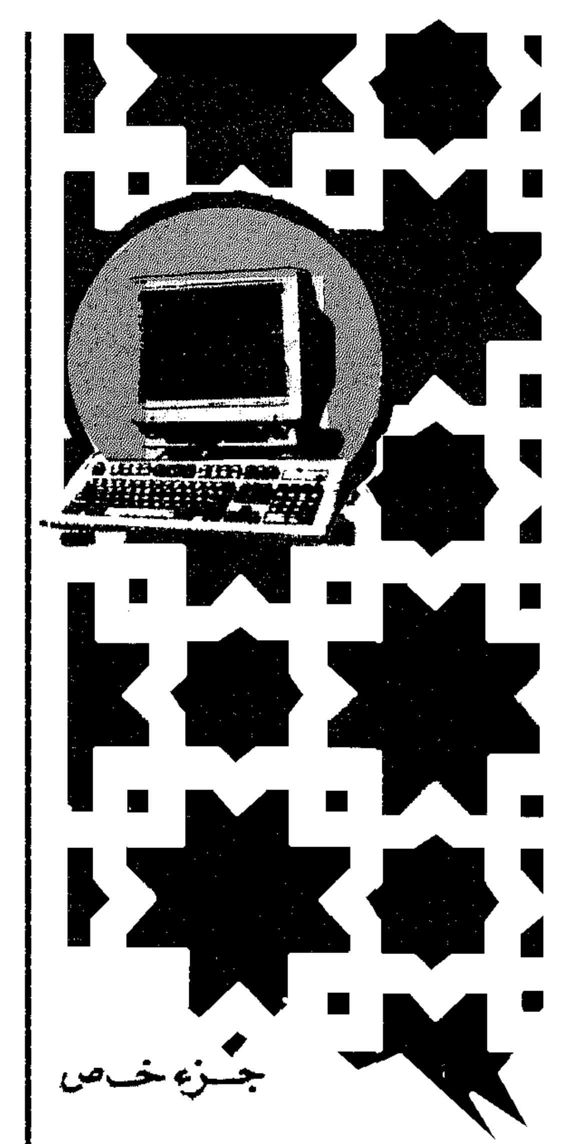
أضرب مثالا بالحديث الذى يقول : «كل قرض جر منفعة فهو ربا» .

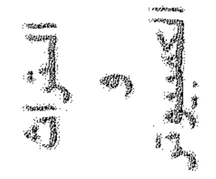
وأحاديث الموسيقى .. (ابن حزم) .

وأحاديث ازياء الرجال والنساء .

والآثار الواردة فى عقد الذمة ومعاملة غير المسلمين .

كل هذه النصوص كانت ولا تزال موضوع بحث طويل . والذين قبلوها واعتمدوا عليها توصلوا الى احكام وآراء .. والذين ردوها لسبب او لآخر لم يعتمدوا عليها فتوصلوا الى احكام وآراء تخالف ما انتهى اليه الفريق الأول .. وفى الحالتين توجه اكثر الجهد الى امور تتصل بالرواية ..





فابن حزم على سبيل المثال بدأ المناقشة فى مسألة الموسيقى والآت الغناء بقوله ان المانعين تعللوا بآثار اكثرها لا يصح ـ وما يصح منها فلا حجة لهم فيه .. ثم يمضى فى مناقشة طويلة لأسانيد النصوص النبوية التى استندوا اليها وتستغرق هذه المناقشة اكثر الصفحات التى خصصها لمناقشة موضوع الموسيقى والغناء .

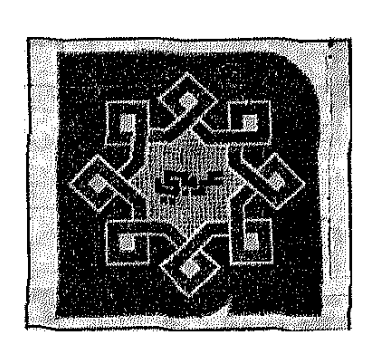
وكذلك الشأن فى حديث كل قرض جر منفعة فهو ربا .

ويحتار الباحثون المعاصرون ، فضلا عن طالب العلم فى الوصول الى رأى علمى فى كثير من هذه المسائل بسبب صعوبة اقتحام ميدان الرواية وفهم أصوله وقواعده .

والآن ماذا يستطيع الحاسب الالكترونى ان يقدم فى هذا الميدان ؟

لنضرب على ذلك مثلا بالتجربة التى اطلعت عليها والتى انجزتها الشركة العالمية فى الكويت وهى جمع صحيح البخارى على تسجيل للحاسب الالكترونى ، إن هذا التسجيل يضم نصوص الاحاديث .. وقد يسر استدعاء تلك النصوص عن طريق معرفة اى لفظ من الفاظها او اسم راو من رواتها ثم هو ييسر استدعاء نصوص تلك الاحاديث ، كما وردت فى الكتب الستة .. كما يتيح تحقيق حال الرواة واحدا واحدا وفقا لما ورد فى شأنهم فى كتب الرجال المعتمدة ، كما يتيح معرفة شروح المفردات .. كما يسر استدعاء شروح البخارى المعتمدة وهى شرح العينى وشرح ابن حجر .

وما تم فى شأن صحيح البخارى يمكن ان يتم بالنسبة لسائر



كتب الحديث .. وتفاسير القرآن الكريم .

إن الباحث المعاصر يحقق بهذا الجهد امرين كبيرين :

اولهما : حفظ اصول الحضارة في مصادرها الاساسية .

والثاني : تيسير البحث ونقل الاهتمام تدريجيا من الرواية الى الدراية .

انه يفتح افقا جديدا رحبا امام المفكرين العرب والمسلمين لابداع حضاري جديد لا يعوقه الاحساس المختبىء في الصدور بالخوف على مصادر العقيدة والشريعة من التحريف والضياع .

ان الحاسب الالكتروني يختصر امام الباحث في التراث نصف طريق البحث ويدخل على مزاجه النفسي تغييرا جوهريا يتوجه به الى اعمال عقله في الأمور الثابتة في مطويات الحاسب ..

وبقي ان نضيف ان الخدمة التي يؤديها الحاسب الالكتروني لا تقتصر على هذا الجانب من جوانب التراث العربي والاسلامي ..

● دور هام للحاسب الالكتروني

ان التراث الحضاري للعرب والمسلمين لا يقتصر ابدا على امور العقيدة والشريعة ، انما نحن امة اتسع عطاؤها الحضاري عبر القرون ليشمل الوانا عديدة من المعرفة .. منها ما يدخل في علوم الطبيعة والحياة ، ومنها ما يدخل في العلوم الانسانية .. ومنها ما يدخل في الفنون والآداب .. ومن الخطأ الكبير حصر التراث في دائرة التكليف الشرعي وتقرير الحلال والحرام .. ان ذلك البعد «التشريعي» ليس الا بعدا واحدا من ابعاد حضارة العرب والمسلمين .

والحاسب الالكتروني قادر على اداء خدماته في هذه الميادين كلها .. حتى يستطيع العرب والمسلمون ان ينطلقوا مع العالم في مساراته الجديدة ، ويسهموا - مع ذلك - بعطاء خاص يحمل سمات رؤيتهم الحضارية المتميزة .

انني انبه الى امر لا اراه يحتمل الانتظار .. اننا نحتاج الى توجيه المزيد من شباب العرب والمسلمين وعلمائهم الى تعلم لغة الخطاب الحضاري الجديد ، وهي لغة الحاسب الالكتروني .

وتحتاج الى تخصص اعداد كبيرة من هؤلاء الشباب في برمجة العلوم والمعارف العربية والاسلامية ..

كما ننبه الى ضرورة توجه الباحثين الى مزيد من الاعتماد على مطويات الحاسب الآلي ، كما اعتمدوا - قديما - على مرويات الكتب والمؤلفات .

أن هذا الفتح الجديد معلوم للدنيا كلها .. وبقي ان نستخدمه ونتوسع في استخدامه غير هيابين ولا مترددين وبهذا تكتمل حلقات التوازن الثقافي الذي يسمح لنا بالسير في موكب الثقافة العالمية التي تتقارب فيها الثقافات الخاصة .. قادرين - مع ذلك - على تقديم عطائنا المتميز لمسيرة تلك الحضارة ، وهو عطاء نعتقد ان الناس لم يكونوا - قط - محتاجين اليه ، حاجتهم اليه في هذا الزمان .



أساليب الخط العربى فى الكمبيوتر

فى بداية الاسلام كانت الكتابة تقارب شكل اسلوبين من الخط ، الاول ذو خطوط حادة وسمي فيما بعد بالكوفي ، والآخر مرن سمي بالنسخي ، واعطي هذان الاسلوبان فيما بعد كل الاساليب الاخرى ، وتعدد ظهور الاساليب يعود الى عدة عوامل منها :

- الرغبة في المحافظة على نص القرآن بنسخه فى كل أطراف العالم الاسلامي مما اعطى اساليب مختلفة وبسبب تنوع طبيعة الشعوب الاسلامية كابتكار الخط الفارسي في ايران والخط الديواني فى تركيا ، ووجود طرق للكتابة فى بعض البلدان قبل الاسلام مما اثر تقنياً على الكتابة العربية كاستعمال الفرشاة للخط في الصين مثلا .

- تطويع الخط للمساحات والمواد المعمارية ، ساهم فيتعدد الأساليب

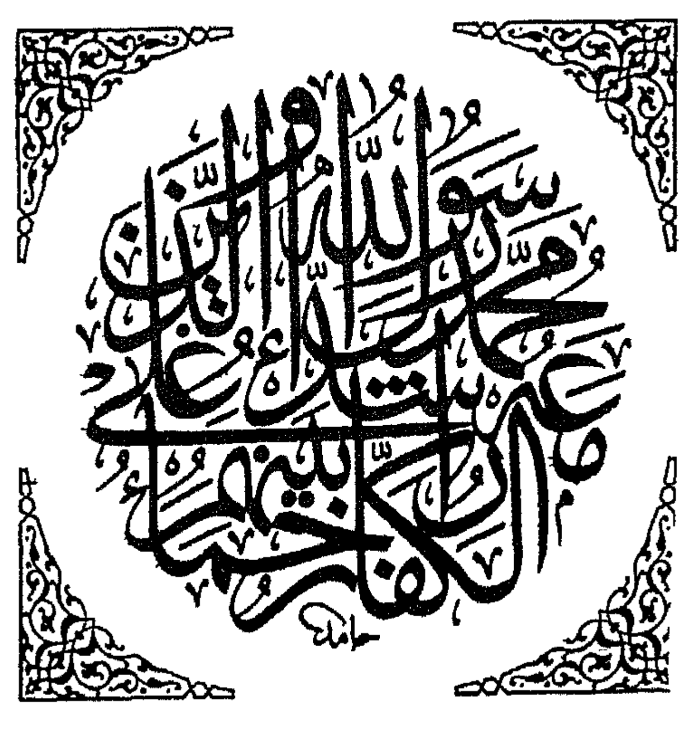
- التطور الحضارى الذى تطلب ابداع اساليب خاصة لبعض الحاجات المعينة كخطوط الدوائر للعلمة او خطوط الرسائل للملوك والخط المستعمل في رسائل الحمام الزاجل ... الخ .

وان توجد اساليب كثيرة يصعب حصرها بسبب عدم وجود دراسة كاملة فإن الاساليب المنتشرة والمستعملة بكثرة فى العالم العربى الاسلامي يمكن ان تعد بعدد الاصابع وسنذكر بعضها لاحقاً .

- بلإضافة إلى خط



الكوفى ، النسخى ، الفارسى ، والديوانى السابق ذكرهم تم إبتكار بعض التأثيرات التى يمكن إضافتها إلى الخطوط مثل التظليل والتفريغ والخط المزخرف .



برنامج القرآن الكريم

إستغل "برنامج القرآن الكريم" قدرات الحاسب للتعامل مع النص القرآنى الشريف ، فى محاولة لتسخير التقنيات الحديثة لخدمة ديننا الحنيف .

ويقدم البرنامج خدمات متكاملة فى كيفية الاستفادة من النص القرآنى فهو قادر على عرضه بالرسم العثمانى ووفقا لقواعد الضبط المتعارف عليها . وذلك اضافة الى استرجاع اى سورة أو اية بطرق مختلفة .

ويتوفر فى البرنامج إمكانات متطورة فى البحث على مستوى الكلمة أو على مستوى الموضوع ، حيث يمكنك الحصول على أى معلومة بسهولة ودقة . ويحتوى البرنامج على شرح موجز لغريب مفردات القرآن وذلك لتعريف المسلم بمعانى الآية القرآنية وفهم الحكمة من نزولها . كذلك هناك أقسام تقدم معلومات شاملة عن السور القرآنية وأسمائها ومكان نزولها ، إضافة إلى المراجع العلمية والكتب الموثقة . كما يشتمل البرنامج على قسم خاص لتسهيل تحفيظ النص القرآنى للطلاب وعلى مستويات متدرجة ويعتبر البرنامج منهلا ومرجعاً شاملاً لتثقيف المسلم وإحاطته بما يحتاج من معرفة عن القرآن الكريم .

جـزء خـاص

العـــرب فـــى عصـــر المعلـومـات

بقـــلم:
د. حازم الببلاوى

عصر المعلومات ليس اكتشافا او اختراعا جديدا، ولكنه حصيلة التطور لتاريخ البشرية وتتويج لسيطرة الانسان على بيئته.

" فى البدء كانت الكلمة " هكذا علمتنا الاديان السماوية والتى كانت ارضنا مهبطا لها، وكانت "اقرأ باسم ربك .." اول ما انزل على النبى من كتاب الله. فبالكلمة والقراءة يتصل حاضرنا بتراثنا. واذا كانت الكلمة مكتوبة ومقروءة ومنقولة هى جوهر المعلومات، فإن تاريخ البشرية كله يحكى قصة الانسان مع الكلمة حتى دان لها العالم. وقد تطورت قصة الانسان مع ظهور اللغة ثم اكتشاف الكتابة الى اختراع الطباعة واخيرا وفود عصر المعلومات بروافده المتعددة فى الاتصالات ونشر الكلمة مطبوعة ومصورة وناطقة.

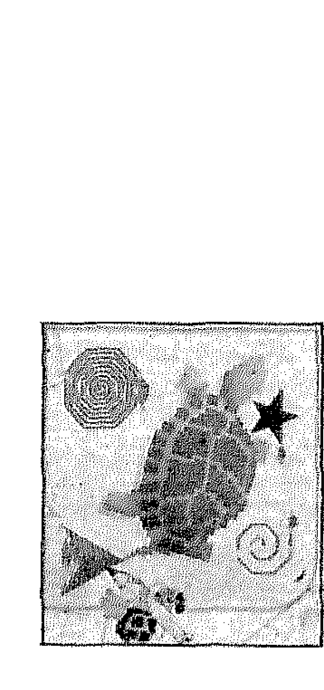
● مع ظهور اللغـة عـرف الانسـان انسانيته وظهرت الجماعات الاولى، وكانت اللغة فى شكلهـا الأول - ورغم بدائيتها وفقرها - ضرورية لحياة الجماعة فى مرحلة الصيد والقنص. ومع اكتشاف الكتابة استقرت الجماعات مع ظهور الحضارة الزراعية وبداية العمران، وبها تضاعفت ذاكرة الجماعة وتواصلت خبراتها. ثم جاءت المطبعة لتفتح الطريق امام الثورة الصناعية بعد ان مهدت لها الثورة العلمية. وها نحن ندخل عصرا جديدا للمعلومات تكاتفت عليه التطورات العلميـة والتطبيقيـة فى مجالات الاتصالات والالكترونيات والحواسب الالكترونيـة، وبها تفتح صفحة جديدة فى تاريخ الانسان لنبدأ مرحلة ما يسمى بالثورة المعلوماتية.

وليس هنـا مجـال التفصيل فيما اضفته هذه الثورة الجديدة على تطور الحيـاة الاجتمـاعيـة والاقتصادية او التعرض لجوانـب التطبيقـات المتعددة لهذه الثورة فى المجالات المختلفة وخاصة فى وطننا العربى. فهذا كله - وان كان بعضه معروفا - فإن نخبة من

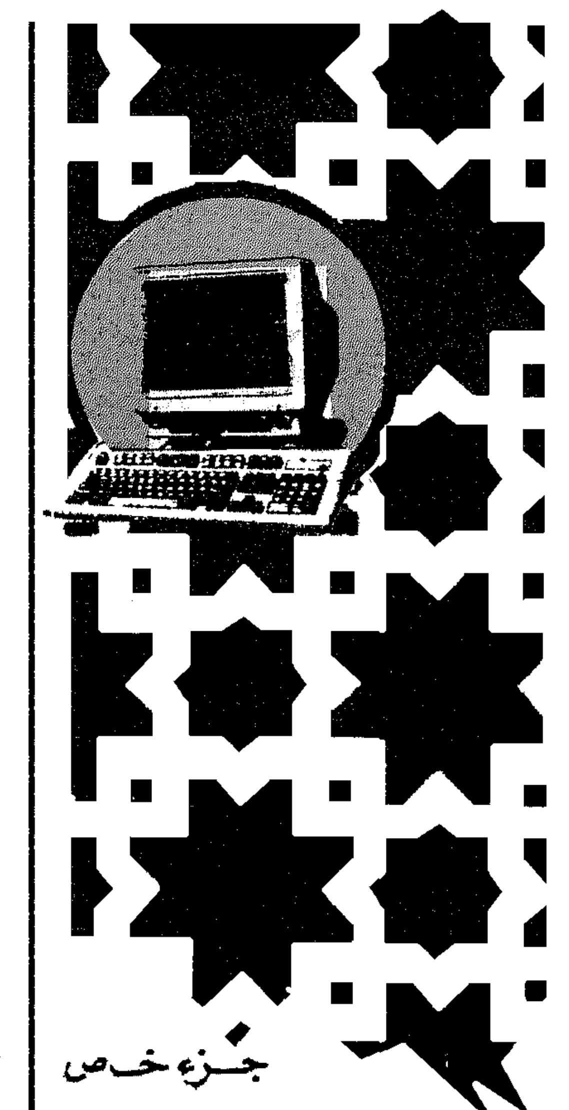
المحاضرين والمحدثين سوف يتعرضون له فيما يلى هذا من محاضرات او مناقشات . ولعلى اكتفى فى هذه العجالة بالاشارة الى اتجاهين عامين صاحبا ويصاحبان هذه الثورة المعلوماتية ، الاول الاتجاه الى العالمية وتخطى الحدود ، والثانى غلبة الفكر والخدمات الانسانية وتجاوز قيود المادة والطاقة . وبطبيعة الاحوال فإنه يرد على هذين الاتجاهين من الحدود والقيود ما يخفف من اطلاقهما ، ويظل مع ذلك الاتجاه العام صحيحا .

● ثورة المعلومات

وإذا كان ثمة اتجاه فى تاريخ البشرية ـ رغم صعوبة استخلاص قوانين تاريخية ـ فإنه يبدو ان العالم يتجه نحو مزيد من التقارب والتداخل بين مختلف اجزاء المعمورة من ناحية ، وبين مزيد من سيطرة الانسان على الطبيعة وتلاؤمه معها من ناحية أخرى . والأمران ـ فيما يبدو ـ ليسا منفصلين ، فأحدهما يستدعي الآخر ويدعمه . وقد استمر الانسان فى صراعه مع المكان يجوب الارض وتنتقل فيه البضائع من مكان لآخر ، وهو يحقق النصر تلو الآخر فى اخضاعه لسطوة المكان والزمان حتى جاءت الثورة المعلوماتية فنقلت العالم اليه ـ أو صورة منه ـ وهو فى مكانه ، وامتد وجود الفرد ـ عبر وسائل الاتصالات ونقل المعلومات ـ ليشمل المعمورة بأكملها أو اجزاء كبيرة منها ، وهكذا كاد ان يتحقق للانسان حلمه فى اخضاع سطوة المكان ، وتوفر له ـ من مكانه المحدود ـ القدرة على مخاطبة والاستمتاع ومناقشة كافة أطراف



المعمورة ، واتسع بذلك وعى الفرد وخياله فلم يعد محدودا بحدود معنوية أو سياسية ، وانما امتد لكافة المعمورة أو معظمها . وساعدت التطورات التكنولوجية الاخرى فى هذا التطور . فالصناعة خرجت من حدودها الاقليمية ، لتصبح فى الغالب من الاحوال ـ صناعة عالمية تحصل على مستلزماتها الانتاجية من مختلف اجزاء المعمورة ، وتسوق على مستوى العالم او معظمه . ولم تعد تجارة العالم مقصورة على تبادل السلع كاملة الصنع ، او مبادلة سلع كاملة بمواد اولية ، وانما اصبح الجزء الاكبر من التجارة العالمية هو لسلع نصف مصنعة أو مكونات انتاج تتداخل فى انتاج مختلف السلع على مستوى العالم . وتقاربت المواصفات الفنية العالمية . وجاءت الثورة المالية ، فتحررت النقود والاصول المالية من حدودها الوطنية الضيقة ، فتمردت النقود على طبيعتها المادية وتحررت ولم تعد اكثر من مجرد قيود للمديونية . وجاءت الثورة المعلوماتية فاعطتها قدرة هائلة على



التحرك والانتقال من دولة الى اخرى ، والقفز من عملة الى عملة اخرى عن طريق مجرد اشارات الكترونية . وبالمثل فإن تطور الاسواق المالية جعل الأصول المالية من اسهم وسندات وغيرهما من الاوراق المالية رموزا تنتقل عبر الأثير من بورصة الى اخرى ، بحيث تنتقل الثروات والمدخرات من بلد الى آخر دون أن يشعر احد وبسرعة شديدة . فلم تعد الشركات الامريكية مملوكة لأمريكيين ولا الالمانية لألمان ولم يعد من السهل معرفة اين تكمن ثروات اليابانيين ، وهكذا .

● سباق فى التقدم التكنولوجى .

وصاحب هذا التطور الى العالمية وساعد عليه ما ارتبط بثورة المعلومات من غلبة للخدمات الانسانية وتراجع لدور الموارد المادية . ولم يقتصر الامر على مجرد تراجع دور الزراعة ثم الصناعة فى الناتج القومى ونسبة العمالة بالنسبة للخدمات ، وانما ظهر ايضا فى غلبة الخدمات حتى على اعمال الزراعة والصناعة حيث ظهرت اهمية البحوث العلمية وعمليات التسويق والادارة المالية والتأمين وغير ذلك . كما أن الصناعة بدأت تتجه الى تجاوز العديد من المواد الطبيعية تستخدم بدرجة متزايدة المواد المصنعة Man-Made Materials والتى تتضمن من الفكر والعلم والمعرفة ما يجاوز بمراحل ما تتضمنه من مواد طبيعية . والثورة المعلوماتية وهى وليدة المعلومات قد ارتفعت بالمعلومات الى اغلى مراتب . الموارد الاقتصادية . حقا هناك حاجة دائمة الى تقابل المادة أو الطاقة مع المعلومات ، ولكن الجديد فى الثورة المعلوماتية هو فى الأهمية البالغة التى بدأت تحتلها المعلومات بالمقارنة بالمادة أو الطاقة . وذلك على عكس الأوضاع السابقة وحيث كانت تقدر ثروات الدول بما لديها من موارد طبيعية . والآن فإن ثروات الامم تحسب ما تملكه من قدرات بشرية مؤهلة تمكنها من حسن استخدام مواردها . ولعله ليس من الغريب أن

أكثر الدول تقدما فى العصر الحالى ، هما الولايات المتحدة الامريكية من ناحية واليابان من ناحية آخرى . الاولى تتمتع بوفرة هائلة فى الموارد الطبيعية ، والثانية تتميز بفقر شديد فى الموارد الطبيعية . وفى السباق فى التقدم التكنولوچى لا يبدو أن عجز اليابان فى الموارد الطبيعية يمثل قيدا عليها .

فى هذا العالم الذى بدأ خطواته لمجاوزة الحدود السياسية من ناحية وتخطى قيود المادة من ناحية آخرى ـ اين نقف نحن العرب ؟ هل اعددنا انفسنا لهذا العالم الجديد الذى لم يعد تحمينا منه حدود او حواجز ، والذى يمكن ـ فى سنوات ليست بعيدة ـ ان يتجاوز مواردنا الطبيعية مالم يكن لدينا حقيقة ما نقدمه فى هذا العالم الجديد . هذا هو التحدى ، ولكنها ايضا الفرص الجديدة التى تتاح لنا .

لقد عرف العرب فى الماضى عبقرية الكلمة ، فكان اسهامهم فى الفن عن طريق الشعر بلوحات من كلمات او موسيقى اللفظ ، وجاء القرآن بمعجزة الكتاب ، وكانت اضافة علماء المسلمين لعلوم الرياضة هى وضع علم الجبر او علم الرموز . وها نحن ندخل عصر المعلومات ، عصر الكلمة والرمز ، فهل يستعيد العرب مجدهم السابق ؟ هذا هو التحدى ، وهو ايضا الأمل .



للكمبيوتر القدرة على تخزين المعلومات وتصنيفها والربط بينها ، والمزاوجة بين عناصرها مهما تعددت ، والمتغيرات فيها مهما تكاثرت ، ثم استعادة هذا كله ونقله عبر المسافات دون استهلاك يذكر للزمن ، ما هو مذهل ، فى قطعة صغيرة من السبائك الرخوة تسمى « الميكروتشيب » ، وهى كلمة لم تجد لها المجاميع فى اية لغة ترجمة .

ولاتزيد مساحتها عن بضعة ملليمترات مربعة ، يمكن أن تختزن معلومات تستغرق كتابتها الاف الكلمات والأرقام ، ناهيك عن أن هذه المعلومات قادرة على اختراق بعضها البعض واختراق ماعداها مما هو مختزن على نحو مشابه ، وعلى بعد الاف الأميال والوصول الى نتائج توفرها هى الاختراقات .

لقد أصبحت المواصلات والكمبيوتر والليزر ، هى الأكثر تاثيرا فى تشكيل المستقبل .

جـزء خـاص

برامج الكمبيوتر العمود الفقري لصناعات المستقبل

بقـلـم :
عبد الإله الديوه جي
بغـداد

تقنيـة المعلـومـات « Information Technology » مصطلح حديث العهد نسبيا يشمل بمحتواه مجمل التقنيات ذات العلاقة بالمعلومات ومعالجتها وأجهزتها وترابطها الواحد بالاخر .

ولم يعد خافيا على اى مطلع ومواكب لهذه الثورة الصناعيـة الجديـدة ان البرامـج الكمبيوترية هى العنصر الرئيسى لمجموعة هذه التقنيات وهى بنية اساسية لها جميعا .

● والبـرامـج « Software » مصطلح يشمل مجموعة الاساليب والبرامج والحلول غير المادية التى يستخدمها الكمبيوتر والبرنامج ، الذى هو بالاساس الوحدة المفهومة للبرامج ، هو طريقة حل للمسألة او ما اصبح يطلق عليها الان خوارزم الحل « Algorithm » نسبة الى عالم الرياضيات محمد ابن موسى الخوارزمى الذى وضع الطريقة الوصفية لحل المسائل فى عصر الخليفة العباسى المأمون فى بغداد .

بالرغم من ادراك الكثير من المعنيين بالتقنيات الحديثة باهمية البرامج والبرمجة ، فإن هذا النشاط لم يحظ فى معظم الدول النامية بما يتجاوز التشجيع الكلامى من الافراد والمؤسسات والحكومات ، ويعود ذلك بدرجة رئيسية لانبهار متخذى القرارات فى هذه الدول بالاجزاء المادية الملموسة من تقنيات المعلومات (اى الاجهزة) لانها اقرب الى مفاهيم الصناعات التقليدية المتعارف عليها فى الاذهان

وقلة الاهتمام بالبرامج فى الدول النامية امر فى غاية الخطورة اذا ما استمر خلال عقد التسعينات ، اذ لاتوجد تقنية تضاهى تقنية البرامج فى الاهمية لانها ستكون معيارا لقياس درجة امتلاك الدول القيادة

والاستقلالية فى تسيير صناعاتها .

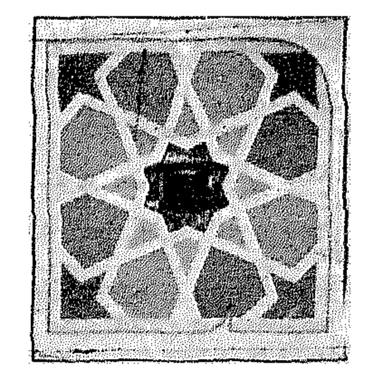
● البرمجة

البرمجة لاتزال مجموعة من المهارات التى يتتلمذ عليها « المبرمج » دون التعمق الكافى فى الاسس العلمية المطلوبة لحل المسائل . « فالمبرمج » اشبه بالحرفى الذى يؤدى عمله بمهارة عفوية مكتسبة بعيدة عن النظريات العلمية . وينقص معظم العاملين فى البرمجة الخلفية الاكاديمية النظرية ، اللازمة للقيام بالبرمجة بالشكل الهندسى المقنن ، الا ان محاولات جدية بذلت خلال السنوات القليلة الماضية لاعطاء البرمجة صيغة هندسية قد تحول المهارات البرمجية الى علم برمجى هندسى ، وقد حددت البحوث الحديثة عمل البرامج بمراحل اساسية يطلق على مجملها الدورة الحياتية للبرامج « Software Lifecycle » وتتكون الدورة من :

- تحليل الاحتياجات
- تصميم النموذج الريادى السريع
- تقويم المستفيد للنموذج
- التصميم التفصيلى
- التنفيذ
- التشغيل
- الصيانة

وقد ظهرت خلال السنوات القليلة الماضية العديد من ادوات البرمجة التى تساعد المبرمج على القيام بواجبه بانتاجية اعلى ويطلق عليها « Computer Aided Software Engineering »

وتتجه البرامج حاليا نحو انظمة التشغيل القياسية المفتوحة التى لايقتصر تشغيلها على نوع محدد من الاجهزة وكذلك بالنسبة للبرمجيات التطبيقية .

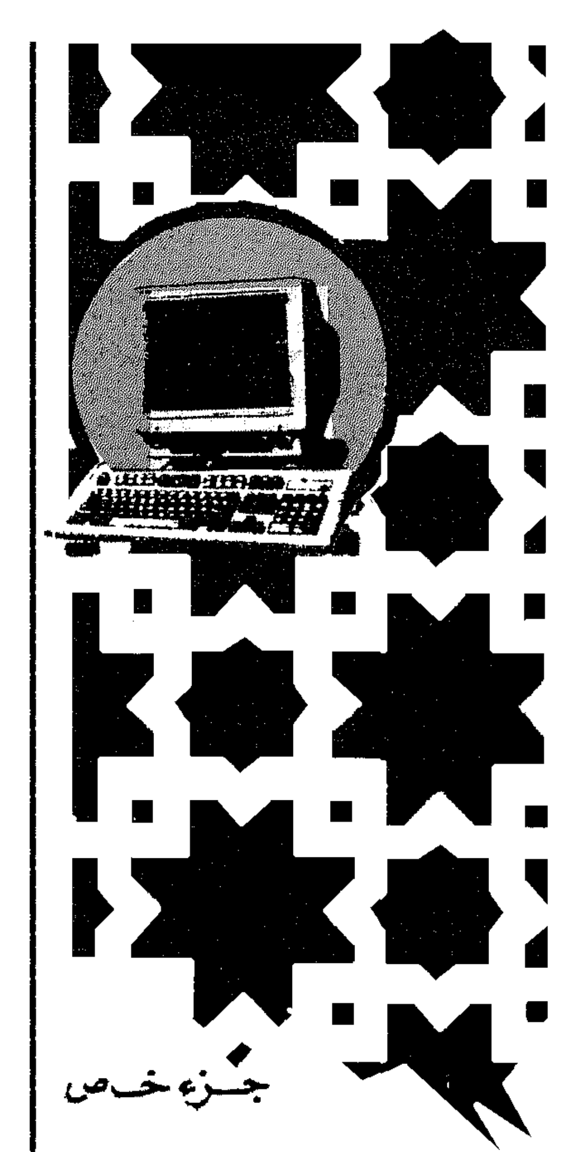


● المؤشرات الاقتصادية للبرامج

وقد بينت دراسات تكلفة المعدات الالكترونية مقارنة بتكلفة البرامج فى الولايات المتحدة الامريكية للفترة ١٩٨٠ لغاية ١٩٩٠ انه من المتوقع ان تشكل تكلفة البرامج من مجمل كلف مشاريع الحواسب اكثر من ٨٥٪ من حلول عقد التسعينات .

اذ بلغ مجموع الانفاق فى مجال البرامج فى الولايات المتحدة الامريكية بكافة قطاعاتها ١٣٠ بليون دولار عام ١٩٨٠ بينما بلغ مجموع الانفاق فى نفس هذه القطاعات ٢٢٠ بليون دولار عام ١٩٨٦ وشكل هذا الرقم ٥٪ من مجموع الدخل القومى الامريكى عام ١٩٨٦ ومن المتوقع ان ترتفع هذه النسبة الى ١٠٪ خلال التسعينات .

وقد بلغ عائد البرمجيات من مجمل صادرات الهند فى الصناعة الالكترونية عام ١٩٨٢ مايعادل ١٢٪ من مجموعها البالغ ٨٩ مليون دولار . ومن المتوقع ان تبلغ عوائد البرمجة والبرمجيات مع بداية التسعينات فى الهند



مايقارب ٣٠٠ مليون دولار .

● البرامج فى البلدان العربية

لقد تخلفت معظم البلدان النامية ومن ضمنها البلدان العربية عن ركب الثورة الصناعية وتخلفت هذه الدول ايضا عن الثورة الاولى لتقنية المعلومات التى مر بها العالم المتقدم فى الستينات والسبعينات . مهدت هذه الثورة الارضية اللازمة فى العالم المتقدم لقيام الثورة الثانية لتقنية المعلومات المتمثلة بانتشار الحاسوب الشخصى وتطبيقاته فى احصائية نشرت اخيرا عن مبيعات الحاسب الشخصى تبين ان حصة كل الف نسمة من الحواسب الشخصية فى دول مثل فرنسا وبريطانيا يبلغ اكثر من ٢٠ حاسبا لكل ١٠٠٠ نسمة وفى ايطاليا اكثر من ١٥ حاسبا لكل ١٠٠٠ نسمة ، وعلى مستوى سكان العالم يبلغ عدد الحواسب الشخصية ٣ لكل ١٠٠٠ نسمة .

مثل هذه الاحصائيات غير متوفرة فى البلدان العربية ، الا ان المتفق عليه ان المملكة العربية السعودية لها الحظ الاكبر فى انتشار الحواسب الشخصية ومن المقدر ان العدد الحالى لمثل هذه الاجهزة يتراوح مابين ١٥٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠ حاسوب فهل ياترى تصل نسبة الحواسب الشخصية فى اى بلد عربى الى ٣ لكل ١٠٠٠ نسمة ؟

ان احصائية اعداد الحواسب قد تبدو للوهلة الاولى انها مؤشر غير معبر بما فيه الكفاية عن النشاط فى مجال البرامج الا انه ليس كذلك اذا ما علمنا ان تكلفة هذه الاجهزة يجب ان يواكبها ٣ اضعافها بالنسبة للبرامج ، وان وحدات انتاجية لمثل هذه البرمجيات ليست متوفرة فى البلدان العربية بشكل واسع .

مازال نشاط البرمجة فى معظم البلدان العربية مقصورا على مراكز الحواسب التقليدية فى بعض المؤسسات الحكومية ولايوجد دور يذكر فى مجال البرامج للقطاع الخاص مثل ماموجود فى البلدان المتقدمة فالبرمجة فى

الوطن العربى لازالت حرفة عفوية وليست صناعة ومازال العمل فى مجالها رهنا بالشد مابين العرض والطلب وبدون شك فان الطلب فى المجتمعات النامية لايمثل بالضرورة حراجة الحاجة ، ويمكن مقارنة ذلك بالمريض الذى لايعلم بمرضه او المريض الذى يرفض تناول الدواء .

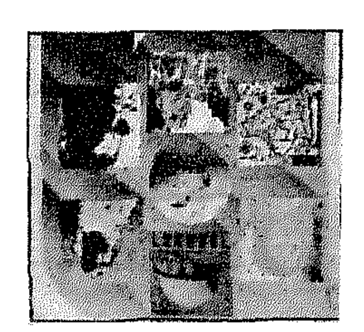
● البرامج والمستقبل

لاتوجد تقنية تعتمد على البيئة الثقافية والاجتماعية قدر تقنية المعلومات عموما والبرامج على وجه الخصوص . ذلك لان البرامج تعبر عن اساليب عمل مرتبطة بكيفية قيام الوحدات الاجتماعية والاقتصادية باعمالها بأسلوب منطقى متسلسل .

وبسبب هذا الترابط اصبيت معظم المحاولات لتوريد البرامج التطبيقية الجاهزة للنظم الادارية والحسابية وحتى الصناعية الى الدول النامية بالفشل ، اما نجاح بعض المحاولات الضيقة فى تطبيق الحزم الجاهزة فقد كان على حساب التخلى عن اسس ومعايير وسلوكيات محلية وتأتى اللغة الام فى اول قائمة التضحيات .

والبرامج عموما والبرامج التطبيقية على وجه الخصوص يجب ان تولد وتترعرع ضمن المجتمعات المتجانسة حضاريا . والوطن العربى رقعة جغرافية غير صغيرة له خصوصياته اللغوية والحضارية التى تبرر قيام وحدات انتاجية فيه لصناعة البرمجيات

من العوامل الاساسية التى تعوق انتشار صناعة البرامج فى الوطن العربى غياب الترابط المصيرى مابين هذه التقنية والحاجة الاجتماعية والاقتصادية المباشرة ، فلا يكفى ان نشجع تقنية ما لانها ظاهرة حضارية سبقتنا فيها امم اخرى .. ولايكفى للحكومات ان تخصص المبالغ الضخمة فى ميزانياتها السنوية لشراء الاجهزة والمعدات دون الانتباه الى البنى الارتكازية التى تعتمد على القوى البشرية المدربة



والبرامج اللازمة التى هى بالاساس النتاج الفكرى للعالمين على تصميم وبرمجة الانظمة .

والبرامج صناعة لاتحتاج الى استثمارات فى معدات واجهزة مستوردة باهظة التكاليف بل تعتمد على الموارد الفكرية البشرية وهذا الاعتماد يتطلب التحضير التربوى والتعليمى المسبق لجيل من الخريجين فى الاختصاصات العلمية ذات العلاقة يمكنهم التعامل مع اساليب لحلول المسائل وتصميم النظم تختلف الى حد كبير عن الاساليب التلقينية المتبعة حاليا فى (البلدان العربية) وعلى الحكومات العربية رعاية هذه التقنية الجديدة من خلال تشجيع انشاء مشاريع صغيرة ومتوسطة فى القطاع الخاص ومشاريع كبيرة متخصصة على مستوى مشاريع وطنية او عربية مشتركة بدون هذه الاجراءات من المؤكد ان تصاب محاولات الدول العربية بنفس الاخفاقات التى اصيبت بها مسيرة التنمية الصناعية التقليدية فى الوطن العربى فى العقود الثلاثة الماضية .


داخل قاعدة عسكرية للمصور جاكوب
هوفنجر (١٨١٩ ـ ١٨٩٨).



بقلم: محمود بقشيش

بانوراما التصوير السويسرى

قد لانكون مبالغين إذا قلنا إن هذا الموسم هو موسم فن " التصوير الفوتوغرافى " .. فبعد أن كانت معارض هذا الفن قليلة أو نادرة ، بلغت هذا الموسم حداً لايستطيع الناقد المتابع ملاحقته ، مما يدعونا ، من جديد ، من خلال منبر " الهلال " إلى الدعوة إلى التعجيل بانشاء مجلة متخصصة لمتابعة وتقويم الأحداث التشكيلية الهامة ، وتسجيل الوقائع الفنية فى مصر والعالم .

● وفى سياق الانتفاضة " الفوتوغرافية " أقام " مجمّع الفنون " معرضاً لفن التصوير السويسرى منذ عام ١٨٤٠ حتى اليوم ، ضم ثلثمائة صورة فوتوغرافية ، لاكثر من ١١٧ مصوراً . ونظراً لأن اللحظات الزمنية المسجلة كانت عبر نحو قرن ونصف القرن ، فمن الطبيعى أن نلتقى بكل أساليب فن الصورة " الفوتوغرافية " ؛ نلتقى بالصورة التاريخية والعلمية ، والاجتماعية ، والصحفية ، والصورة الفنية الخالصة . إن " الكاميرا " شهوانية بطبيعتها ، لاتعترف بالمحظورات .. لكن لكونها ـ فى معظم الاحيان ـ تابعة لعين فنان ، فإنها تتبع وجهة نظره ، أو فلسفته ، أو مذهبه الفنى . لهذا نلتقى فى المعرض مع الصورة الرمزية ، والتعبيرية ، والسيريالية ، والتجريدية .. و " الصورة الطائرة " ـ على حد تعبير المستقبليين ـ ولقد أبدع عدد من فنانى السيريالية فى مجال الصورة " الفوتوغرافية " ابداعات لاتقل عن ابداعاتهم فى مجال الرسم ، منهم ـ على سبيل المثال ـ الفنان "مان راى" .

إن الصورة ، لكونها سجلاً ، لوقائع



حقيقية .. تحرك فى نفس متأملها ـ خاصة إذا كانت تلك الوقائع قد صارت فى ذمة التاريخ ـ تداعيات روائية ، تتجاوز حدود اللحظة الخاطفة . المسجلة .. إلى تأمل مصير الانسان . وأحب الآن أن أقدم للقارىء الكريم قراءتى لعدد من الصور ، ولم أخترها لأنها الأفضل ، بل لأنها تركت فى نفسى أثراً عميقاً . أول هذه الصور للمصور " چاكوب هولفلينجر " ، وقد عاش فى الفترة من " ١٨١٩ حتى ١٨٩٨ " ، والتقطت الصورة عام ١٨٦٠ ، اى فى بدايات هذا الفن . وعنوان الصورة : " فى فناء ثكنة عسكرية " .. وتمثل مجموعة من السيدات والاطفال يحيطون برضيع محمول فى عربة صغيرة ، ويشكلون معاً كُتلة متماسكة صلبة ، يزيدها صلابة ذلك الاتساع الكبير للفناء الذى ينتهى بثكنات الجنود وجدتنى أتساءل : أين غابت تلك اللحظة ؟.. أين غاب ذلك الشموخ الذى

جلسة عائلية للمصوِّر " ارنست لينك " (١٨٧٤ ـ ١٩٦٣) م



يتبدى فى وجه ، ووقفة الأم ، بل أين غاب ذلك الرضيع الذى ينظر إلى " الكاميرا " ببراءة ؟!.. إن هذا الرضيع ـ أصغر الموجودين فى الصورة عمراً ـ أكبر من جدِّى !

. الصورة بسيطة التكوين ، تنتمى إلى المحاولات الأولى ، غير أن الزمن قد أعطاها بعداً جديداً ، وعميقاً ، وحتى عندما ترتفع القيمة الفنية فى الصورة ـ كما فى صورة " أسرة صاحب مصرف " ـ فإن الزمن لايتخلى عن سطوته فى التأثير . والصورة تمثل أسرة فى جلسة دافئة ، هادئة ، كل من فيها ينطق بالصحة والجمال .. كان ذلك فى اللحظة المسجلة عام ١٩١٧ للمصور " ارنست لينك " .. وتبدو آثار الاضاءة " الرمبرانتية " ـ نسبة إلى رمبراندت ـ واضحة . تساءلت معها : أين ذهبت تلك اللحظة ؟.. ما الذى حلّ بتلك الاسرة ؟!.. ماهو مصير تلك الجميلة . الصغيرة . التى تلمس يد والدها ؟!.. وينشغل المصور " ماكس ماتيس " ـ ١٩٣٢ ـ بالزمن ، وما يحدثه من تحولات ، فقدم مجموعة لحقل من الحقول ، وكما فعل الفنان التأثرى " مونيه " فى تعقب آثار ضوء الشمس على كومة من القش ، تابع "ماكس ماتيس " تحولات الفصول فى ذلك الحقل ، وكان اللون ضرورة تعبيرية ، أتاحها ظهور الفيلم الملون ، وينقلنا الثنائى " إميل سيلتيس وإميل سبوهلر " إلى مستوى من التأمل مغاير للأجيال السابقة ، فى لوحتهما المشتركة المتتابعة ، لرصد حركة الشمس عبر أربع وعشرين ساعة ، كانا يلتقطان صورة لها كل ساعة ، واطلقا على لوحتهما المشتركة عنوان " شمس منتصف الليل " !..

● ديانا جانسكى .. وموسيقاها المرئية !

تتخذ الفنانة الامريكية " ديانا جانسكى " من " الأشياء " المجردة أدوات للتعبير عن مشاعر انسانية مرهفة . موسوقة . همسية . وتضع عناوين لأعمالها الفنية أقرب ما تكون إلى عناوين قصائد مثل : " طيور على جناح الجنة " ، " ذكريات عن باتريشيا " " طيارات مارجريت " .. ومفردات ذلك العالم الشعرى والموسيقى منسوجة من مقاطع خشبية مهندسة ، ومتنوعة طولاً ومساحة ، وملونة بالاصباغ ، وتشترك الكشافات الضوئية فى تشكيل مقطوعاتها الفنية المعبرة .

إن تلك المفردات - بطبيعتها - لاتستهدف إيجاد وقائع وصفية لتلك العناوين ، بل اختارت من المفردات ما أعانها على أن يبقى التعبير فى منطقة التلميح والايحاء الخفى ، بدلاً من الاعلان الايضاحى . ورغم ذلك فقد لاحظت انها عند وصفها لتكوين من تكويناتها ، استخرجت منه تداعيات روائية ، لاتبررها إيحاءات التكوين !.. وربما كان سبب الاختلاف بين المبدع والمتلقى ، هو الالتصاق الحميم للمبدع بكل مراحل وملابسات عمله الفنى ، وينسى عند الحديث عن عمله الفنى ، الخطوط الفاصلة بين ماسمح لنا بمشاهدته - أى عمله الفنى - وبين ما أخفاه فى الذاكرة من محظورات !

على الرغم من المساحات الضخمة التى احتلتها بعض تلك التكوينات ، فإنها تتسم بكثير من الاناقة الانثوية التى لاتخلو - بطبيعة العصر - من القلق والخوف والشعور بالغربة !.. ويتضح ذلك أكثر فى رسومها الملونة بالالوان الزيتية ، وخاصة بالدور المثير الذى قام به عنصر " الضوء " .. والمغاير للضوء الكشافى . الخارجى . الذى استخدم مع " المجسمات " .. فالضوء فى لوحاتها كان ضوءاً بركانياً . عاصفاً . تواجهنا تباشيره ، وآثاره .. فى الحوافى الذى تلامسه . وهى تقف بنا عند لحظة البداية ، وتترك لنا توقعات مقلقة لما ستصنعه تلك البراكين مع تلك الكثبان القاتمة ، وغير المأهولة !

إن الفنانة " ديانا جانسكى " فنانة متجولة ، ومتنوعة الثقافة ، فقد درست الموسيقى الكلاسيكية على آلة البيانو ، كما درست الفنون الجميلة ، والفنون التطبيقية ، ودرست دراسات متعمقة فى تاريخ الفن ، والطريف انها تعلمت اللغة الايطالية فى باريس .. بينما لم تتعلم اللغة الفرنسية !

● فنانة الحلى .. إحسان ندا

احتل فن الحلية ، فى السنوات الأخيرة ، وبجهود مبدعية مركزاً مرموقاً فى معارض الفن ، وإن لم يحصل بعد ، على الاعتراف الرسمى الذى يجيز اشتراكه فى المسابقات التشكيلية .. ومع ذلك ، فبعد أن كان ينظر إلى هذا " الفن " باعتباره سلعة ، مكانها الوحيد

تكوين لوبى للفنانة ديانا جهانسكر



هو " فاترينات " بائعى الجواهر .. فقد عُدَّ من الابداعات الفنية التى تستحق أن تقام لها المعارض الخاصة بقصد التذوق أولاً .. وتألقت أسماء ، وظهرت أساليب متنوعة .. من بينها الفنانة " إحسان ندا " التى أقامت معرضها الأخير بالقاعة رقم " ٤ " بمجمع الفنون . قدمت مجموعة متنوعة من الحلى والاساليب . يجمع معرضها بين جانبين ؛ أولهما : الميل إلى الاستنساخ والدراسة ، وثانيهما : استلهام التراث الفرعونى والإسلامى والقبطى والشعبى ، واتسم كلاهما بدقة التنفيذ ، ورقة المظهر . وذكرت لى أن مستنسخاتها الفرعونية قد قوبلت بحفاوة فى معارضها الخارجية مما شجعها على المزيد من المضى فى هذا الطريق . وأنا هنا ، وإن كنت أشارك متلقيها اعجابهم بتلك المستنسخات .. غير أننى أخشى أن تُستدرج الفنانة إلى دائرة الاستنساخ ، وان ترضى بدور " الصانع الماهر " ، كما أخشى أن

هليني . الفنانة احسان ندا





تتصور أن مجرد اقتلاع وحدات زخرفية من ملابساتها التراثية ، والتاريخية ، ووضعها فى سياق تزيينى كفيل بأن يمنحها هويتها .. إن على الفنانة " إحسان ندا " أن تتجاوز دائرة الاستنساخ ، والتعامل " الآلى " مع التراث .. حتى لا ترجح ، لديها ، كفة " الصانع الماهر " على كفة " المبدع " الحريص على ابداع أسلوب شخصى ، متفرد ، موصول بالتراث الانسانى .

والفنانة " إحسان ندا " قد تخرجت فى كلية الفنون الجميلة قسم " الديكور " عام ١٩٦٥ ، وعملت بالتليفزيون بالرسوم المتحركة ، وحالياً فى منحة تفرغ من وزارة الثقافة .

● نعيمه الشيشينى .. واستلهام الحرف العربى

اقامت الفنانة " نعيمة الشيشينى " معرضاً شاملاً ضم مراحلها الفنية خلال عشرين عاماً . والفنانة من القلائل الذين أمكنهم الجمع بين فن الرسم والبحث النظرى المنهجى ، ودار بحثها فى رسالة الماجستير والدكتوراه حول محور رئيسى هو الفن الإسلامى . وقد كان لتلك الدراسات آثرها على اسلوبها الفنى وهو اسلوب شخصى متميز .

على الرغم من تعدد مراحل الفنانة ، فإن مرحلتين أو ملمحين رئيسيين يمثلان ركائز اسلوبها الفنى اتسم الملمح الأول ـ الذى تمثله لوحات البداية ـ بالحركة الناعمة ، وكانت أشبه بغلالات وردية ، ذات مذاق أنثوى ، قبل أن تنقلب على نفسها ، وتستلهم الممكنات التعبيرية والجمالية للفن الإسلامى ، وقد اختارت من ايحاءات الحروف والكلمات نسيجاً يلقى فى النفس مشاعر الابتهال . أما ألوانها فتتسم بالصراحة والصفاء ، وأقرب إلى صفاء الزجاج المعشق ، والمزججات والوان الفسيفساء . يتسم اداؤها بالتلقائية المشرقة .

تقول الفنانة " نعيمة الشيشينى " عن معرضها : إنه تجربة فى التركيب اللونى ، والايقاع الشرقى ، حيث يتناغم اللون فى حركة دائمة ، وتتشابك العناصر وتتداخل فى تفاعل داخلى ، حيث تبدو " الديناميكية " تارة و " الاستاتيكية " تارة أخرى فى أرجاء العمل الفنى .

يوسف حنا

● محمد شاكر .. وفسيفساء الغد

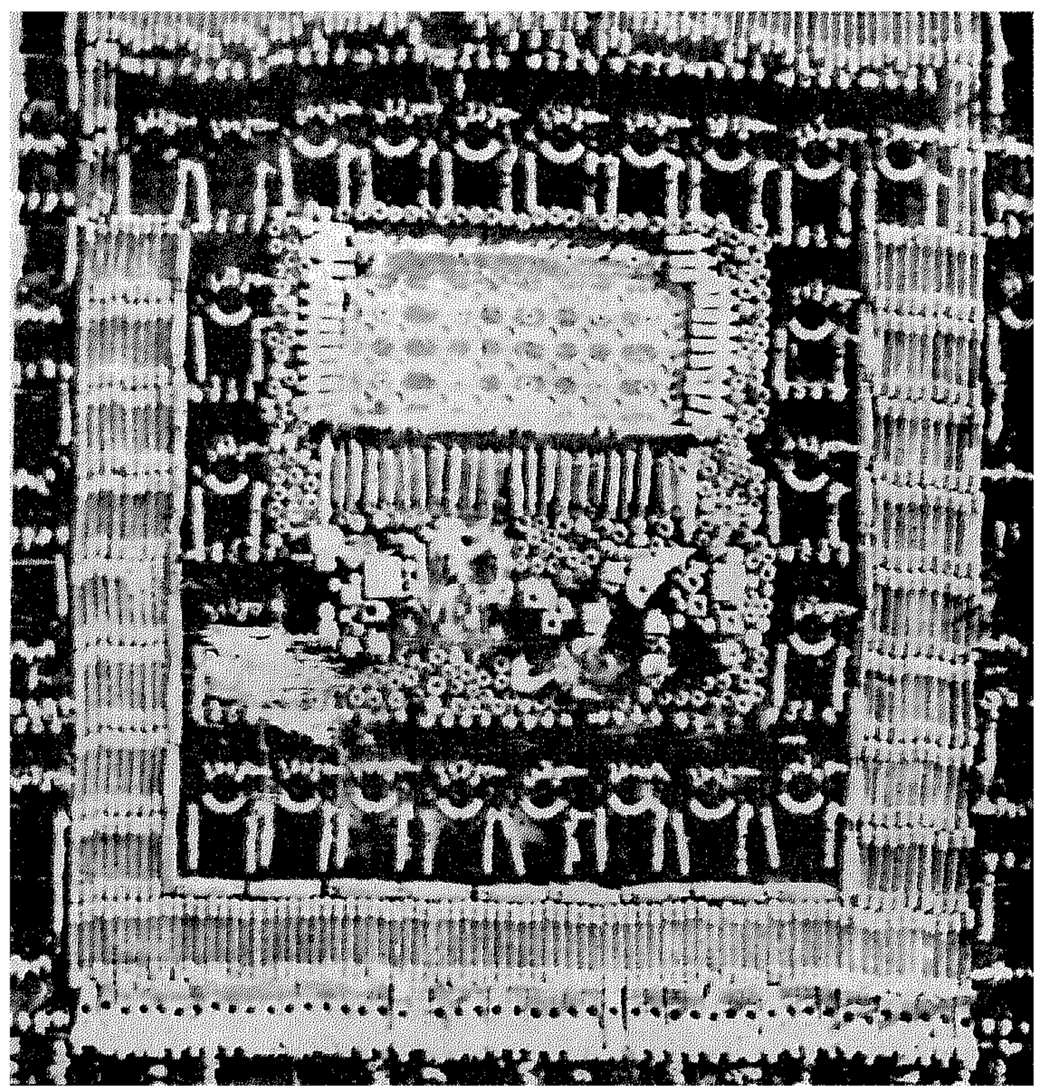
أقام الفنان السكندرى " محمد شاكر " معرضاً لاعماله فى مجال " الفسيفساء " ، والمعروف ان الفنان " شاكر " من الفنانين المرموقين فى فن اللوحة المرسومة ـ أو فن التصوير ـ كما يشاع خطأ ـ وأطلق على معرضه عنوان : " فسيفساء الغد " .. ولم أكن أعلم انه قد اتخذ من الفسيفساء وسيطاً جديداً إلا منذ عام تقريبا ، ونفذ ، قبل ذلك ، أعمالاً

جدارية من الفسيفساء فى عدد من المواقع السياحية . وعندما التقيت به ، فى قاعة المعرض بالمركز الثقافى الفرنسى بالمنيرة ، بادرنى بالاجابة عن سؤال لم أقله بما معناه : إن فن " اللوحة المرسومة " هو الاساس عنده ، وقد اتجه إلى هذا الوسيط لضرورة تربوية .. أى لتعليم طلبة كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية هذا النوع الفنى .

إن خامات الفسيفساء المختلفة حجماً ، وشكلاً ، ومادة ، وملمساً .. تفرض نسقاً فى الانشاء ، والتعبير ، يتناقض مع طبيعة اللوحة الزيتية ، وعندما حاول أن يفرض عالم " اللوحة المرسومة " على عالم الفسيفساء ، فى بعض اللوحات ، جاءت النتيجة متعسفة نوعاً ما على النقيض من اللوحات التى ترك فيها خلايا اللوحة ، أو وحداتها المجسمة ، تشكل نسيجها المتماسك ، مثل اللوحة التى تكونت من كسر أوانى الشاى ، بألوانها البنية والصفراء ، وخلقت تضاريس متنوعة ، وممتعة للعين ، وكذلك تلك اللوحة التى تشكلت من القواقع والأصداف والزلط والمحار ، وجذبتنا إلى حلم فى قاع البحر .. كما قدم لنا بعض اللوحات الوصفية لزخارف الملابس البدوية .

إن الفسيفساء ، ككل الابداعات التشكيلية ، لها غد .. ومن هذه الزاوية .. فإننا نؤيد الفنان فى بحثه عن ملامح هذا الغد ، ولابد من المحاولات .. حتى ولو لم تكن كافية !

بدويات للفنان محمد شاكر (الخامات المستخدمة بقايا اجهزة كهربيه وصينى)





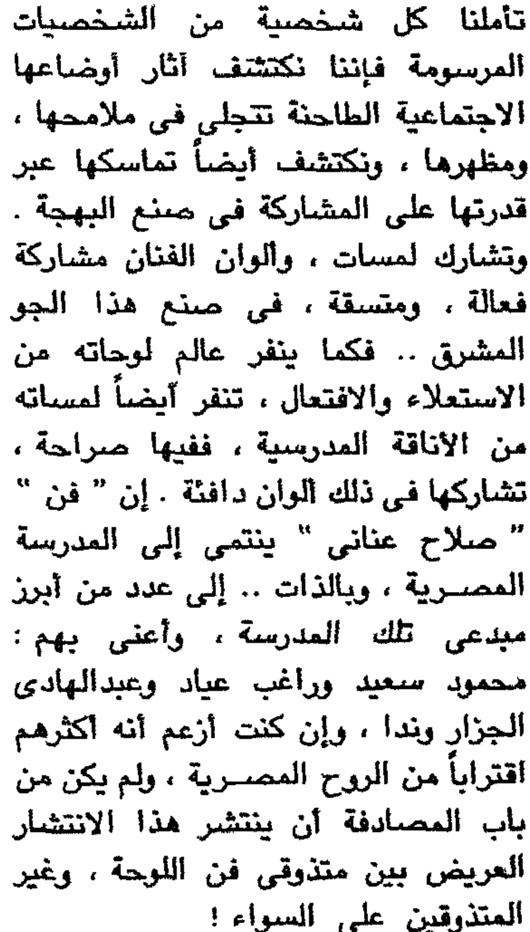
• صلاح عنانى .. والفن الجهير

اقام الفنان " صلاح عنانى " معرضاً ، بقاعة أتيليه القاهرة ، لآخر أعماله . واختار لنفسه طريقاً ، وأسلوبا ، استطاع أن يعبر به أصدق تعبير عن الروح الشعبية المصرية . إن فنه ينفر من الاستعلاء ، ويحتفل بالبساطة والطرافة ، لهذا تمتع بجاذبية ، وقدرة على النفاذ إلى القلوب ، بيسر شديد . إن لوحاته تدعونا دائماً إلى حب الحياة ، والتعلق بالمسرات الصغيرة . لا مكان فى لوحاته إلا للبشر فى أحوالهم المختلفة ؛ فى الشارع والبيت ، وإن مال الفنان أكثر ، إلى تصوير الشوارع ، باعتبارها مسارح لنصوص يبدعها الناس . وقد أغرته سنوات عمله بمؤسسة " روزاليوسف " مع كبار فنانى " الكاريكاتير " ، بانتهاج اسلوب يوظف " الكاريكاتير " فى التحوير التعبيرى . الطريف . للشخصيات المرسومة . إن لوحاته نوافذ تطلعنا على مشاهد مسرحية ، تضم موضوعات ، وشخصيات له رأى فيها ، وتحرك لدينا تداعيات قصصية . فلوحة " الزفة " ـ على سبيل المثال ـ تمثل زفاف واحد من أهل الحارة ، محمول مع عروسه فى عربة " حنطور " ، وتحيطهما من كل جانب كل ردود الفعل المتوقعة من سكان الحى ، ولو

الزفة ـ لوحة للفنان صلاح عنانى





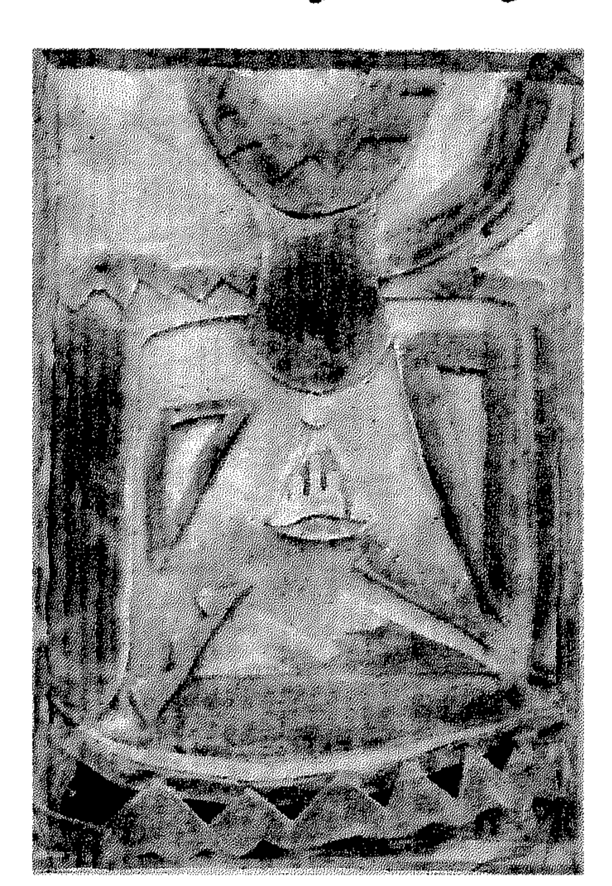


تأملنا كل شخصية من الشخصيات المرسومة فإننا نكتشف آثار أوضاعها الاجتماعية الطاحنة تتجلى فى ملامحها ، ومظهرها ، ونكتشف أيضاً تماسكها عبر قدرتها على المشاركة فى صنع البهجة . وتشارك لمسات ، وألوان الفنان مشاركة فعالة ، ومتسقة ، فى صنع هذا الجو المشرق .. فكما ينفر عالم لوحاته من الاستعلاء والافتعال ، تنفر أيضاً لمساته من الأناقة المدرسية ، ففيها صراحة ، تشاركها فى ذلك ألوان دافئة . إن " فن " صلاح عنانى " ينتمى إلى المدرسة المصـرية ، وبالذات .. إلى عدد من أبرز مبدعى تلك المدرسة ، وأعنى بهم : محمود سعيد وراغب عياد وعبدالهادى الجزار وندا ، وإن كنت أزعم أنه أكثرهم اقتراباً من الروح المصـرية ، ولم يكن من باب المصادفة أن ينتشر هذا الانتشار العريض بين متذوقى فن اللوحة ، وغير المتذوقين على السواء !

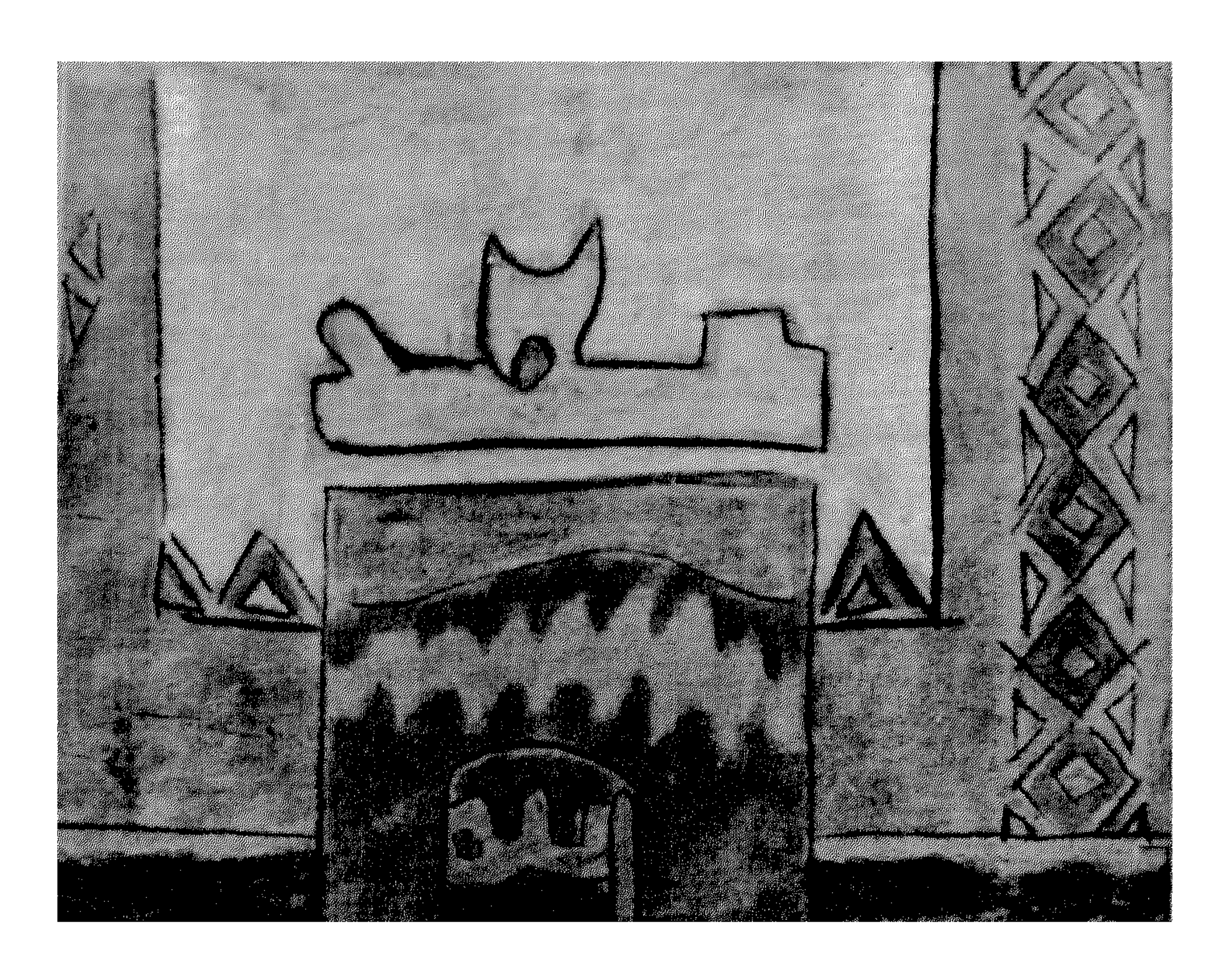
• الطحان .. ومآذنه الريفية

أقام الفنان " محمد الطحان " معرضاً لآخر أعماله بقاعة النيل الجديدة ، فى مجـال الرسـم الملـون ، والمجسمات المعدنية . تكشف خطواته فى المشاركات الابداعية منذ عام ١٩٦٨ عن حرص إلى

تكوين
للفنان محمد الطحان



الانتماء إلى كوكبة الباحثين عن ملامح قومية ، يجسدونها فى ابداعاتهم ، كل حسب رؤيته وموهبته ، وقد اختـار " الطحان " من البيئة المصـرية مايتسق مع رؤيته . اختار العمارة الفطرية ، وبالذات العمارة الدينية .. لهذا تحتل المآذن ، والأهلة الركائز المحورية فى مجمل أعماله . ولم يحفل بالكتلة ، بل احتفل بآثار الانسان ، والزمن على ملامس عمائره . ويلتقط من الآثار مايدل على أن قاطنيها مؤمنون . وما يدل ثانياً على أنهم قوم بسطاء ، لم يستعينوا بكبار الخطاطين والرسامين لزخرفة واجهات بيوتهم ، بل



تكوين . للفنان محمد الطحان

اعتمدوا على انفسهم وعلى ابنائهم ، ليجسدوا فى النهاية أفراحاً فطرية ، ويقوم الهلال ، من جديد ، بدور هام فى تلك الاحتفالية الزخرفية . والفنان يذوب المسافات بين ماهو أصيل فى الشكل المعمارى ، وماهو مضاف من طلاء زخرفى .. وكأنه يريد أن يؤكد لنا أننا فى نهاية الأمر أمام لوحات لا أمام واقع حقيقى . وإذا كان قد منح لآثار الانسان دوراً هاماً ، فقد أعطى آثار الزمن قيمة لا تقل عنها ، بل ربما زادت عليها أحياناً ، ومنحها مساحات متسعة تتجلى فيها . إن عالم لوحاته ينبذ التكلف ، ويحتفل بالبساطة ، والطفولة ، والفطرية ، الاضافة التى أضافها إلى معرضه الأخير هى المجسمات المعدنية . وقد انتقل إلى معادنه المختلفة بنفس عناصره المألوفة ، وإن تغيرت بسبب طبيعة الجسد الجديد الذى سكنته !.. وإن اشتركا معاً فى التوجه نحو هدف واحد هو : الصدق .



قالت له زوجته وهى تغالب الضحك :

ـ اليس هذا هو المدير الفيلسوف الذى كان يكلمنا عن مسرحية الطباشير القوقازى .

ـ نعم .. هو رمزى بك .. لقد خرج من غرفة الانعاش وصرح بزيارته اليوم .

ـ اتذكره كلما اعددت بيضا مسلوقا .. واتذكر كاتبه « بريشت » .

ـ جميع خلق الله تدعو هذا الكاتب « بريخت » ولكنه يصمم على ان يسميه « بريشت » زيادة فى التحذلق .

سكت قليلا ثم هز رأسه بتعجب :

ـ انه لا يترك فرصة تفوته دون استعراض ثقافته حتى ضاقت به عباد الله .. أنه يتفلسف حتى مع السعاة .

قام من مقعدة بتثاقل ، ورأسه تزخر بالالفاظ الغريبة :

« شكسبير .. تشيكوف .. ابسن .. برناردشو .. كامى » .

الفاظ رمزى بك تهاجم رأسه فى موجات متتالية .. هادئة احيانا .. وصاخبة فى اغلب الاحيان . فى بعض الاحيان يحس ببرودتها تتسلل الى اطرافه .. وفى احيان اخرى تبدو كموجات الحمى تعصف بصفاء ذهنه .

لم يقاوم رغبته فى الاستسلام لاحلام اليقظة .

تخيل رمزى بك امامه فى مجادلة عنيفة .. يتهاوى امامه بحضور الجميع .. يظهر جهله وضحالة ثقافته امام سكرتيرته الجميلة .. يستسلم امامه وينسحب فى خزى وعار .

قالت له زوجته :

ـ احذر ان يفوتك زمن الزيارة .

« الزمن .. البحث عن الزمن المفقود .. مارسيل بروست .. « آلة الزمن » ويلز » .

خرج من الحمام .. وقف امام المرآة .. مشط



شعره . احس بارتياح عميق .

ـ « رمزى بك اصلع .. دخلنا المصلحة معا .. كان شعره غزيزا فاحما ، وكان يلقد كلارك .. جيبيل .. شعرى كان خشنا مجعدا .. الآن هو اصلع » ..

امتدت يده الى خزانة الملابس ..

« تفوقت عليه دائما فى الاناقة .. كان يمتدح قدرتى على انتقاء رابطة العنق .. هذه السولكا الحمراء اذهلته يوم رآها اول مرة .. حمراء فريدة فى لونها ..

« حمراء .. الطاحونة



الحمراء .. تولوز لوتريك .. فان جوخ .. بيكاسو » .

هذه البدلة لبستها اول مرة عند زيارة الوزير .. لعنة الله على الحذلقة .. الترقيات اصبحت بالحديث المنمق لا بالعمل الجاد .. ابتسم الوزير وهو يسمع الكلمات الجوفاء : الادارة بالاهداف .. مركزية التخطيط ولا مركزية التنفيذ .. البرامج .. الانجازات .. الخطة الخمسية .. وذهبت الدرجة لرمزى .

الوزير ايضا مريض بالثقافة .

ما دخل اينشتين والنظرية النسبية فى اعمال الوزارات .

رئيس المصلحة مريض بالموسيقى .. رمزى يغذى غروره بالعلم بالموسيقى .. أيتها الموسيقى : كم من الجرائم تُرتكب باسمك .. تحت ستار الموسيقى تسلل رمزى ليحصل على درجة مدير عام .. شعر بموجة عاتية تهب على رأسه فى جنون :

«موسيقى .. بتهوفن .. باخ .. سيمفونية .. كونشيرتو .. توسكانينى .. توزيع .. سيد درويش .. نهاوند .. سيكا» .

سميناه رمزى سيكا ، وسمينا رئيس المصلحة فيتوريو دى سيكا .

عاودته احلام اليقظة :

تخيل رئيس المصلحة ورمزى فى قاعة الأوبرا .. رئيس المصلحة بوجهه الشبيه بوجه الممثل الكوميدى ابراهيم سعفان يقود الأوركسترا .. الناس تتململ .. تتأفف .. تعترض .. تثور تقذف المايسترو وعازفه المخلص بالبيض الفاسد .. يشعرون بالمهانة .. سيعرفون ماهى المهانة .. ألنا ببغاء له ذاكرة حديدية .. سيعرفون من الببغاوات .

امتدت يده بطريقة لا شعورية على ملابسه .. استقرت على البدلة التويد الرمادية .. تشنجت يده عليها . احس بالذكر .. كأنه ضبط متلبسا بجريمة .

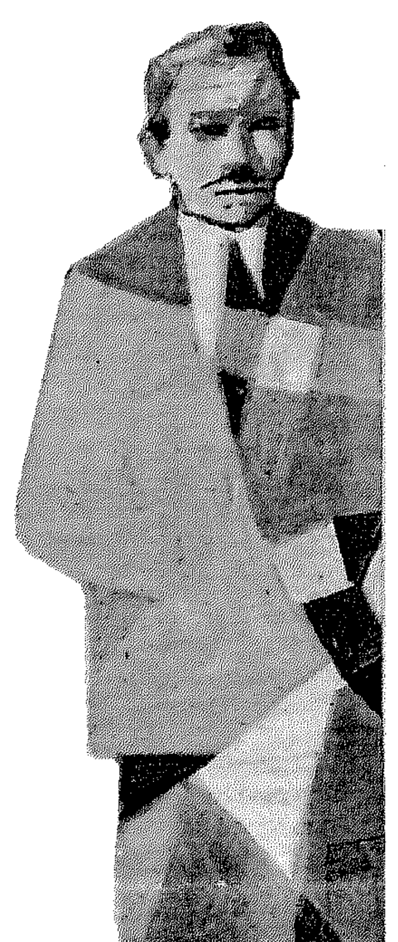
رفع يده عنها كالملسوع .. هذه البدلة المشئومة تجنب ارتداءها الا فى الجنازات .. انتابته موجة ، من الذكريات الحزينة .. فى اول يوم لبسها فيه توفيت والدته .. ولم يكتشف نحسها الابعد ما راح ضحيتها زوج اخته وصديقه محسن .

لم يلبسها يوما الا وحدثت كارثة .

رباط العنق والمربعات البيضاء والسوداء .. يشبه رقعة الشطرنج ..

«حتى الخبراء الروس تمكن رمزى من السيطرة عليهم من خلال لعبة الشطرنج .. سافر الى البعثة لانه يعرف اسماء مورفى . اليخين .. سباسكى» .

لمست يده البدلة التويد الرمادية .. قفز الى ذهنه



حوار قديم .. لايتذكر مع من :

ـ التشاؤم والتطير خرافات وأوهام .

ـ كنت ألبس هذه البدلة يوم نتيجة ابنى . ورسب .

ـ مصادفات .. مجرد مصادفات .. الانسان يصنع قيوده بنفسه .. يحبس نفسه في سجن من الأوهام .

امتدت يده الى خزانة الملابس .. تذكر قولا لنفس الشخص الذى يحاول ان يتذكره :

ـ «لو كان هناك قدر مكتوب فما دخل ما نلبسه».

اخرج رابطات العنق المربعات والبدلة التويد الرمادية ، والحذاء الاسود .. تردد بعض الشيء ولكن يده امتدت الى احد الجوارب ليستكمل طاقم الجنازات .. تمهل فى ملبسه .. فكر فى ان يغير طاقم الملابس ولكنه لم يفعل .. كان يتصرف كالمسحور .. لا يعرف هل يفعل ذلك بارادته ام ان قوة خفية تسوقه الى ما يفعل تسلل من المنزل .. لم تكن زوجته موجودة .. كانت مشغولة بالمطبخ .

وصل الى المستشفى قبل نهاية موعد الزيارة بدقائق .. عوده الضيق مرة اخرى .. طوابير النفاق امام الغرفة ، والورود تملأ الردهة .. يقف امام الغرفة بهجت السكرتير الخاص لرمزى بك ، يعتبر رأس النفاق ويسميه جاسوس رمزى .. سلم على الموجودين واغلبهم من المصلحة ..

ـ كيف الحال ؟

ـ الحمد الله .

ـ صحته تحسنت ؟

ـ كتب له عمر جديد .

قال احدهم :

ـ مدير المستشفى يمر بنفسه .

وقال آخر :

ـ والوزير استفسر اليوم عن صحته .

التقت عيناه بعينى بهجت .. نظرة غريبة .. هل فهم شيئا ؟ .. كانه يطالبه بتفسير يكاد يمنعه من دخول الغرفة .. احس بالخوف .. احس بالكراهية تجاه بهجت .. لا .. لا لن يقدم تفسير لهذا السكرتير .. انه مجرد كاتب ادارى .

كاد ان يرجع ..

ـ لن اتقل على رمزى بك .. من يحبه يعمل على راحته .. تكدس الحجرة بالزوار ضار به : خرج فؤاد ابن رمزى بك من الغرفة .

ـ اهلا عمى منير بك .. تفضل .

ـ لا داعى لازعاجه .

ـ لقد سمع صوتك ويطلب دخولك .

تدخل بهجت فى الحديث :

ـ عندما يتناقص عدد من بالغرفة سندخل .

جاء صوت رمزى ضعيفا ولكنه واضح :

ـ ادخل يا منير بك..

ادخل يارجل .. انا بخير .

شعر بالعرق يتفصد من جبينه .. تحاشى النظر الى بهجت .. دخل من الباب .

ـ اهلا يا منير بك ..

اهـ .. اهـ ..

احس بشيء من الدوار .. كادت الأرض ان تميد من تحته .. بزغت فى ذهنه الحقيقة .. رمزى يعرف قصة البدلة التويد الرمادية .. قال له فى زمن الحرب : « اعطنى بدلتك هذه اقابل بها موشيه ديان » .

وقف فى منتصف الحجرة .. سلم على من بها .. كان وجه رمزى مختنقا ، وملامحة متقلصه كمن بوغت بطعنة .. فى

طقوس قتل غير معلن!

الظهر .. ارتعشت شفتاه .. عيناه مغرورقتان بالدموع .. اعترته تشنجات .. ادار ظهره لمنير .. تلاحقت انفاسه .. تحركت يده كمن يطلب النجدة .. كأنه يتلمس بعض الهواء .. سقطت يده .. اغشى عليه .

تعالت الاصوات :

ـ انبوبة الاكسجين .

ـ الطبيب النوبتجي .

ـ هذه نتيجة الانفعالات العاطفية .

ـ قلت لا يدخل . لم تسمعوا كلامي .

ـ اتصلوا بغرفة الانعاش .

ـ رؤية الاصدقاء تثير العاطفة .

ـ أنها زمالة العمر كله .

صرخ بهجت :

ـ قاتل :

ضاع صوته في زحمة الاصوات تسلل منير الى الخارج .. لقد فهم .. وبهجت ايضا فهم ..

الطريق الى المنزل تبدى له طويلا .. كأنه لن ينتهى .. احس بان زوجته قد قطعت دهرا بأكمله لتفتح له الباب .

ـ ماذا حدث .. هل حدث لرمزى بك شيء ؟

ـ انتكس .

ـ ما هذا ؟ .. ألم تجد غير هذه البدلة لتلبسها .

ـ كنت في عجلة من أمرى .

ـ شقيقتك اتصلت بك .

أحس بقلبه يخفق بشدة .

ـ هل حدث شيء ؟

ـ ابنتها على وشك الوضع .

تهاوى على المقعد .

ـ وجهك مصفر .

ـ ....

ـ تبدو مضطربا

ـ ... مجرد ارهاق

أفزعه صوت جرس الباب :

ـ من ؟ من ؟

ـ البواب .. انت عصبى اليوم .

الوقت يمضى بطيئا .. يجلس كأنه ينتظر الأمر بالقبض عليه .. تشاغل بالنظر الى جهاز التليفزيون .. لم يستطع ان يتابع احداث التمثيلية .. الصور تتتالى بلامعنى .. فقدت ارتباطها في نظره .. مجرد اشخاص يتحركون على الشاشة .. جلس جامدا كأنه ينتظر المحاكمة .. دق جرس التليفون في احد مشاهد التمثيلية .. فانخلع له قلبه .. دق جرس التليفون .. في منزله .. توترت اعصابه .. ماذا تحمل المكالمة ؟

قالت زوجته بضيق :

ـ من يطلبنا في هذا الوقت المتأخر .

طلب منها ان ترد على التليفون .. اشاحت بوجهها وتابعت التمثيلية .. قام متثاقلا . ليت الرنين يتلاشى .. خيل اليه ان الرنين يزداد حدة .. يطارده بلا رحمة .. مد يده الى السماعة .. توقف الرنين .

ـ آ .. آلو ..

ـ .....

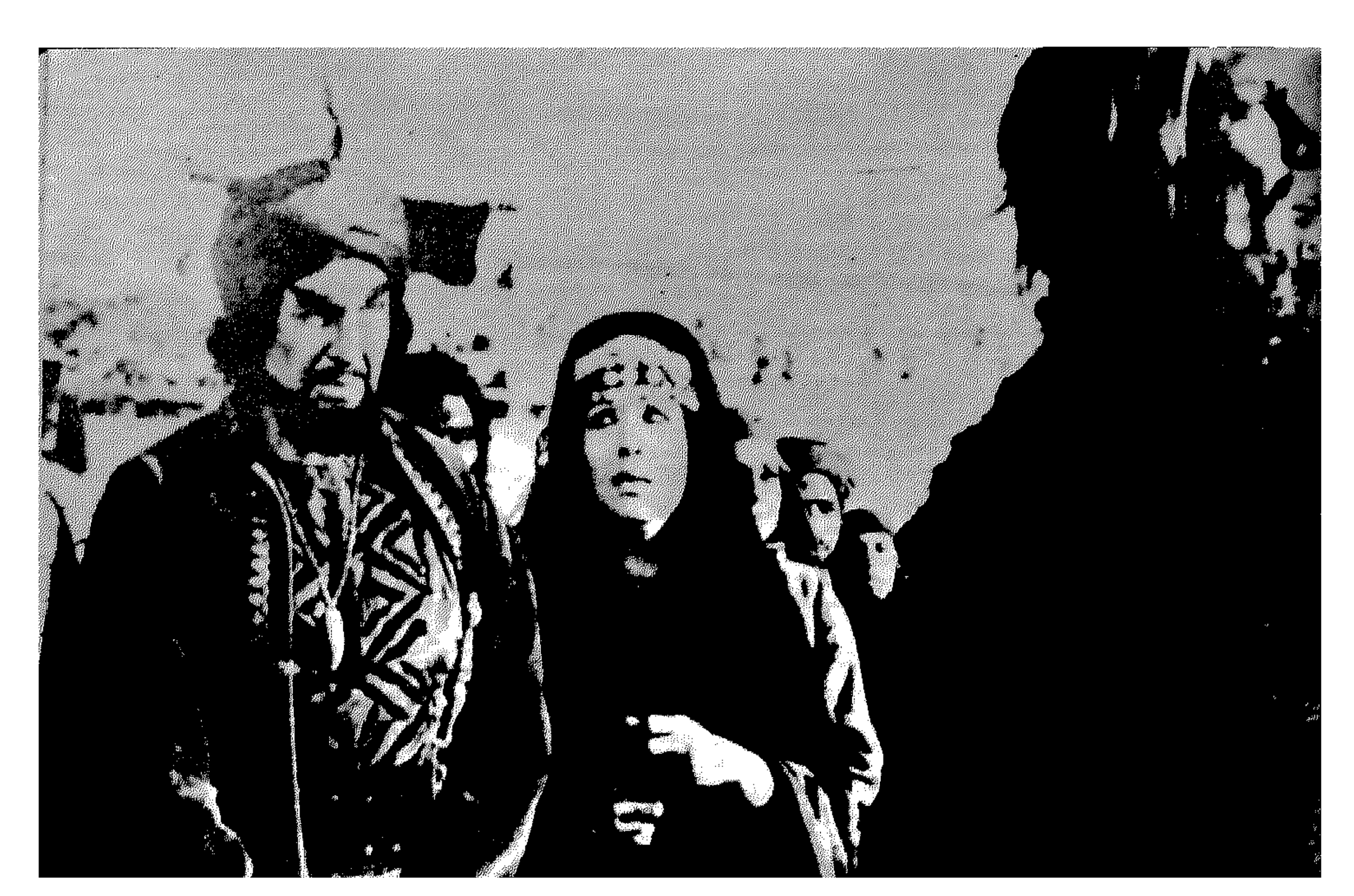
ـ ماذا ؟ ماذا ؟

التفتت اليه زوجته ..

كان وجهه باهتا ..

ـ ماذا حدث ؟

ـ ....



نظـــرة طـــائرة

عـــلى الـــدين فـــى الســـينما

يقلم : مصطفى درويش

الفن يخرج المرء من طوره الى طور ثان ، وينتقل به من عالمه الى عالم آخر .

ولعل هذا الانتقال يرجع الى حاجة طبيعية فى المرء تلح عليه حينا بعد حين .

وهل الاديان التى تحمل الأنفس من الحياة الدنيا الى تلك الآخرة بما فيها من جنة ونار الا المظهر الاسمى لتوق النفوس وشوقها وحنينها الى صور الغيب ، وحياة كما يقول الاديب «اناتول فرانس» تصلح فيها مساوىء هذه الحياة ، ويكفر عن ذنوبها» .

وهل الاديان إلّا وسيلة هى الأخرى الى كفاية تلك الحاجة الطبيعية الدائمة فى النفس الظامئة الى الانتقال من حال الى حال :

● وفى الحق ، فغاية الفن وغاية الدين كانتا ولا تزالان واحدة ، هى السمو بالناس الى منزلة لا تبلغهم اياها غرائزهم وعواطفهم الطليقة .

وليس فى الأرض من ينكر فعل الدين وتأثيره على الفن .

والا بماذا نفسر جمال وجلال مسجد قرطبة (٧٨٥) بأندلس اسبانيا ، وكيف لا يزال بأعمدته الموصولة بأقواس مغربية يشكل آيات للناظرين .

او عطر وسحر ساحة سمرقند عاصمة «تيمورلنك» التى وقف لورد كيرزون امام مدارسها ومآذنها الثلاثة خاشعا ، ليصفها بعد ذلك بأنها من انبل الميادين .

أو هيبة ورهبة رسومات الخلق التى زيّن بها «مايكل انجلو» سقف مصلى كنيسة القديس بطرس بالفاتيكان والمشهور بالسيستين او قوة وعاطفة قداسات الباءات الثلاث الكبرى فى عالم الموسيقى باخ ، بيتهوفن ، براهمز ، تعيد بأنغامها الصاعدة الى السماء التوازن للسامعين .

او روعة بوابة جحيم المثال

نجوى ابراهيم وسميحة ايوب .. فى فجر الاسلام



اوجوست رودان بدقائق معانيها وتفاصيل الوانها وتركيبها التى تمثل سكان جهنم ، وما يعانونه من انواع الآلام والأوجاع .

وليست هذه الامثلة الا قليل من اعمال فنية كثيرة تاثرت بالدين ، وليس في وسعي ان اذكرها عداً وحصرا ولو بايجاز شديد .

واذا كان لا يوجد من ينكر فعل الدين وتاثيره على الفن ، فما اكثر المنكرين لفائدة تعانق فن السينما مع الدين ، لاسيما في شرقنا العربي .. لماذا ؟

يؤرخ لميلاد السينما بالثامن والعشرين من ديسمبر ، ففي ذلك اليوم الاغر من عام ١٨٩٥ ، عرض «الاخوان لومير» لاول مرة مجموعة من الافلام القصيرة في القهوة الكبرى بباريس امام جمهور اتيحت له فرصة المشاهدة مقابل دفع مبلغ محدود من المال .

وفي البدء استمدت السينما اكثر اصولها من الفنون السابقة عليها ، واتخذت لنفسها من هذه الفنون اماما اول الأمر ثم نافستها وغالبتها بعد ذلك .

● صور واصوات

وقد يكون من المفيد الاشارة هنا الى ان الغاية من وراء الابحاث التى ادت الى اختراع الصورة الثابتة فالحاكي "الفونوغراف" ، ومن بعدهما الصورة المتحركة ، كانت نقل الواقع كما هو صورة وصوتا على وجه كامل غير منقوص ، بمعنى اعادة خلق العالم في شكل صور واصوات وفقا لما يهوى الانسان ويشاء . او كما قال الناقد الفرنسي «اندريه بازان» اعادة بناء العالم الخارجي بالصوت واللون والتجسيد .

وكان ان اعتبر البعض ، هذا الطموح ضلالة جامحة تصل الى حد التجديف ، وبالتالى اخذ فن السينما بجريرة هذا الطموح .

وما لبث ان استعملت العدسات المكبرة في النظر الى نقائص هذا الفن الوليد تضخيما لها ، وهي نقائص لا ينفرد بها ، بل تشاركه فيها جميع الفنون الأخرى .

وفات هذا البعض المؤثم للسينما انها فن ، ومن ثم فليس مطلوبا منها بوصفها كذلك ، اعادة بناء العالم ، وانما الاتصال بالحياة الواقعة بغاية اعمال الخيال فيها ، شانها في ذلك شان اى فن اخر .

المهم انه قد نجم عن هذا التاثيم ازمة ثقة بين فن السينما وبين فئة من الساهرين على حماية الدين من عبث المتهالكين على كل شيء جديد .

● معاداة فن السينما !

ومن مشاهد ازمة الثقة هذه تزعم بعض الدوائر الكنسية في الغرب لحملة معادية لفن السينما باعتباره تهديدا للنظام العام وحسن الآداب ، وهي حملة وفقت الى فرض الرقابة على ذلك الفن بدءا من مدينة شيكاغو (١٩٠٧) ، لتاخذ العدوى في الانتشار منها الى

جميع ارجاء المعمورة انتشار النار فى الهشيم .

كانت هذه هى الحال فى اوائل هذا القرن غير انه قبل ان يتاح للرقابة فرصة التسلط على هذا الفن الذى كان لا يزال يحبو ، وهو تسلط دام زهاء نصف قرن من عمر الزمن ، قبل ذلك انتج فى فرنسا اول فيلم يعرض لآلام المسيح (١٨٩٧) .

وبالنظر الى الارباح الطائلة التى تحققت بفضله لشركة «لابون برس» المنتجة له ، مما ادى بها الى التحول بين عشية وضحاها من دار نشر دينية الى شركة لانتاج الافلام بالنظر الى ذلك ، فقد اسرع الاخوان لوميير فى نفس العام الى انتاج فيلم عن الآلام من ثلاث عشرة لوحة مدته خمس عشرة دقيقة لا تزيد .

ثم حاولا تسويقه فى امريكا عن طريق بيعه الى ريتشارد هولمان «صاحب متحف شمع عدن بنيويورك» .

واذ طلبا له ثمنا قدره عشرة آلاف دولار ، فقد آثر «هولمان» ان ينتج فيلما بمعرفته عن الآلام من عشرين لوحة جرى تصويرها فوق سطوح قصر الجراند سنترال ، والشتاء آخذ فى الاقتراب .

ومن هنا وجود الثلوج تغطى ارض حديقة الزيتون فى فلسطين !!

وفى اليوم الأخير من علم ١٨٩٨ قام بعرض فيلمه داخل المتحف بمصاحبة اوركسترا وجوقة من المنشدين ومعلق على ما يجرى صامتا على الشاشة من احداث جسام ، كثيرا ما كان يخر المشاهدون امامها ركعا والدموع تنهمر من العيون !!

وفيما بين عامى ١٩٠٢ و ١٩٠٦ اخرج «فرديناند زيكا» مسلسلا عن حياة وآلام المسيح ، لحساب المنتج الفرنسى «شارل باتى» قيصر السينما وقتذاك .

ويعتبرونه بحق اول مسلسل فى تاريخ السينما .

ومن بين مزاياه مسحة خفيفة جميلة من الالوان صبغت بها جميع المشاهد .

وما هى الامدة قصيرة ، حتى اشتراه «ادولف زوكور» ليقوم بعرضه موصولا فى فيلم روائى طويل ، ومصحوبا فى بعض الاحيان بعزف على الأرغن وغناء جوقة من المنشدين .

وقد دام عرض الفيلم فى نيويورك عدة شهور ، وذلك رغم ان اربعة مسارح كبرى كانت مخصصة له فى وقت واحد .

وبه خطا «زوكور» اليهودى المنحدر من اصل مجرى ، خطوته الاولى فى طريق بناء امبراطوريته المالية القائمة على صناعة الاحلام فى هوليوود .

هذا الى انه قد لعب دورا فى تبديد مخاوف قادة الكنيسة من ان دور السينما السابحة فى الظلام ليست الا اماكن سيئة السمعة لا تزار مخافة العار .

والحديث عن الافلام المستوحاة من الآلام وغيرها من الموضوعات الدينية حديث يطول . فما اكثر هذه الافلام

ولا غرابة فى هذا ، فجمهور السينما قريبا من نهاية القرن الماضى وبداية القرن الحالى ، هذا الجمهور كان من الموعزين الاميين وكان مولعا بسير الرسل والانبياء والقديسين وما يدور حولها من اساطير .

وكانت الافلام التى تعرض لحياة وآلام المسيح ، تعتبر وقتذاك من ارفع الاعمال السينمائية مستوى ، وأعلاها شانا حتى انه كثيرا ما كان يجرى عرضها داخل الكنائس الكاثوليكية ليستمتع بها عليه القوم .

وظل الحال كذلك الى ان اصدر البابا بيوس العاشر امرا (١٩١٠) يحظر تلك العروض باعتبارها تدنيسا لاماكن مقدسة اقيمت للعبادة وليس للهو واللعب .

(ومما لوحظ على هذا الحظر ، انه جاء مواكبا لاخضاع فن السينما لرقابة تسمح وتمنع كيفما تشاء .

ومع ذلك ، فقد استمرت السينما فى ظل الرقابة تنتج افلاما عمادها الدين اذكر من بينها «القديس فرانشسكو» (١٩١١) ، «كوفاديس» (١٩١٢) «فابيولا» (١٩١٣) ، «كابيريا» و «جان دارك» (١٩١٤) .

بل وتنتج افلاما عن الآلام اذكر من بينها «من المعلف الى الصليب» (١٩١٢) الذى صوره مخرجه الامريكى «سيدنى اولكوت» فى ربوع مصر وفلسطين و «المسيح» (١٩١٤) الذى صوره مخرجه الايطالى «انتامورو» على ارض مصر مستوحيا مشاهده من روائع ما أبدعه كبار الفنانين التشكيليين ،



لقطة من فيلم « الاغراء الاخير للمسيح »

«والتعصب» (١٩١٦) لصاحبه المخرج الامريكى «دافيد جريفيث» المسمى بابى السينما .

وتمر عشرة اعوام دون ان ينتج اى فيلم عن المسيح الى ان يقوم «سيسل ب . دى ميل» بتكليف من شركة بارامونت لصاحبها . «ادولف زوكور» . باخراج «ملك الملوك» (١٩١٧) الذى القى فيه «دى ميل» بمسئولية موت المخلص على «كليفاس» بدلا من «يهوذا» مراعاة منه لشعور اليهود .

وهنا تجدر الاشارة الى انه قد سبق لدى ميل قبل ذلك باربعة اعوام ان لخرج قصة موسى فى فيلم صامت تحت اسم «الوصايا العشر» ثم عاد فاخرجها تحت نفس الاسم فى فيلم متكلم (١٩٥٦) .

● دى ميل والحيل السينمائية

وفى كلا الفيلمين صور بحر

الافلام الدينية تتكلف كثيرا .. وتثير الشجن



الاساطير وهو ينغلق كالطود العظيم لينجو «موسى» ومن معه اجمعين ، ثم يغرق الله فرعون ومن معه من الجنود المصريين

ومن المعروف عن «دى ميل» انه هو الذى نشر اسطورة معجزة السينما الامريكية وذلك بدوام الزهو والتباهى بالحيل السينمائية التى استعملها مرتين فى الوصايا العشر ، مرة ايام السينما الصامتة فى «جواد لوب» بولاية كاليفورنيا ، ومرة اخرى ايام السينما المتكلمة بابى رواشى بمصر مع الاصرار فى كلا المرتين على الامتناع عن افشاء سر هذه الحيل ، وكانها سر الهى لم يوح به الاله ولن يوحى به لاحد سواه .

ويخيل الىّ اننا من خلال هذا السرد السريع القائم على العودة الى بعض الحقائق الواقعة فى ماضى السينما من البدء وحتى عام ١٩٢٧ ، من خلاله ، نستطيع ان نستخلص نتيجتين .

الاولى ان الدين كان له اثر كبير فى فن السينما .

والثانية ان الافلام الدينية التى جرى انتاجها بعد فرض الرقابة وبخاصة ما عرض منها لسير الرسل والانبياء ، هذه الافلام قد استعين فى ابداعها باكثر المخرجين موهبة وقت الشروع فى انتاجها ، اذكر منهم على سبيل المثال «جريفيث» و «دى ميل» .

اما لماذا توقف السرد عند عام ١٩٢٧ ، فما ذلك الا لانه علم عرض اول فيلم روائى طويل مصرى .

وهذا يعنى اولا ان ميلاد السينما المصرية جاء متأخرا عن مثيلاتها فى الغرب بزهاء ثلاثين عاما .

وثانيا ان هـذا الميلاد جـاء ، والسينما مكبلة فى العالم اجمع باغلال الرقابة .

اى ان فن السينما عندنا ، لم يحظ ، ومنذ البداية ـ بلحظة واحدة من حرية التعبير .

ولو استعرضنا الافلام التى انتجتها تلك السينما اعتبارا من يوم ميلادها ، وحتى يوم عرض فيلم «ظهور الاسلام» (١٩٥١) ، لما وجدنا بينها فيلما واحدا يعرض للدين من قريب او بعيد .

فاذا ما واصلنا هذا الاستعراض حتى يومنا هذا لاكتشفنا ان السينما المصرية لم تنتج طوال عمرها المديد سوى عشرة افلام لا تزيد من هذا النوع من الافلام .

ولاكتشفنا كذلك انها طيلة الثمانية عشر عاما الأخيرة ، لم تنتج من تلك الافلام شيئا .

ويستخلص من ذلك ان العلاقة بين السينما عندنا وبين الدين تكاد تكون مبتورة ومعدومة .

وليس من شك ان هذا الغياب للدين فى حياتنا السينمائية لمن الامور التى تثير عظيم الدهشة بالنسبة لبلد هو مصدر النور بالنسبة لشرقنا العربى مهبط وحى الاديان السماوية الثلاث .

● الرقابة .. والتشدد !

ومما يزيد من الدهشة ان الافلام العشرة وفيما عدا «فجر الاسلام» (١٩٧١) لصاحبه «صلاح ابو سيف» من صنع مخرجين عرف عنهم الجنوح الى الاستسهال الذى يصل فى معظم الاحوال الى حد الاستهتار .

وعلى كل ، فهذا الغياب فضلا عن الاستسهال له دلالة كبرى فى ضوء ما قاله ، الاستاذ الأمريكى «ريموند بيكر» فى بحثة «مصر فى الاطياف» من ان السينما فى مصر تشكل مصدرا غنيا لفهم الـواقع المصـرى اجتماعيـا ونفسيا .

وختاما فغياب الدين عن السينما المصرية ، انما يرجع فى رايى الى سببين :

اولهما الرقابة على فن السينما التى اراها تزداد مع كر الايام تشددا .

وثانيهما العقم الفنى ، فليس ثمة بين صانعى افلامنا من يعانى مرارة الحيـرة بين الشك واليقين ، بين الوجود والعدم ، ويريد ان يجد لنفسه منها مخرجا فى ابداع سينمائى ، هو فى حقيقة الأمر مظهرا ، من مظاهر تلك الحيرة .

ليس بينهم «شارلى شابلن» يبدع «الحاج» او «كارل دراير» يعانى «آلام جان دارك» او «بيير باولو بازوليني» يستلهم الالام من انجيل «متى» او «اندريه تاركوفسكى» يفنى فى «القربان» او «مارتين سكورسيزى» يركب المخاطر من اجل «الغواية الأخيرة للمسيح» .

واغلب الظن ان هذا الحال سيبقى دون تغيير ما دامت الكلمة الاخيرة ليست لحرية التعبير ، ما دامت الرقابة تقف لفن السينما بالمرصاد .

٤ قصوصة
إحدى القضايا .. !

بقلم : عبد الحكيم قاسم

في محكمة مصر الجديدة الجزئية زحام من الخلق ، متقاضون ومحامون وشرطة وكتبة وباعة وأفراد غامضون ، مايدخل الواحد من باب على جانبيه عمودان شاهقان حتى يميل يسارا ، يتحذر في مشيته كيما يصدم الناس ، وهم يتقونه بالأكتاف ، وزعيقهم غلاب حتى مايسمع الواحد حديث رفيقه ، وروائحهم وعطورهم وعرقهم ، والتبغ سحبه تطير فوق الرءوس ، تطيرها كلمات زاعقة وضحكات متكسرة ، ونهنهات وسعال ، ولعنات .

منّ جدول القضايا عرفت السيدة أن دورها سيأتي عند الرقم سبعين . القاعة غاصة بالنساء مطليات الوجوه ، والرجال في ثياب خلقة ، كل زوج منهما ـ رجل وامرأته ـ يشغلهما هم خاص ونزاع ، لكن القاعة يرين عليها الصمت إلا من نحنحات وهمسات مكتومة وصوت تقليب الأوراق .

على المنصة قاض يقلب في مستنداته بسرعةً وغضب ، على يساره كاتب الجلسة ، والحاجب يسند مرفقه على منصة القاضي وينادي على الأرقام . قدام هيئة المحكمة يقف المحامون والمتنازعون يكادون يحجبون الهيئة عن الجالسين . تشرد السيدة تفكر في أمرها . تتذكر وجهها في مرآة الصبح . كان وجها وسيما ، إلا تجعيدة هنا وهناك ، أفزعها ، فأصرت على الطلاق .

أمها وجه يغرق في التوسّل إليها : « لاتطلقي زوجك يابنيتي ! » وأبوها وخالها قالا لها : « الطلاق حرام يابنيتي ! » وهي الآن سوف تتحرر منه إلى الأبد . أصرت ولازالت مصرة . شملتها الفرحة بالخلاص ، تغطي على رعدة خفيفة غرقت في تيار الفرح .

القاضي يطل من بين أجساد الواقفين قدامه ، عيناه الحولاءان لايعرف

الواحد من تصييبهما بالنظرات ، لكنه صرخ فى الحاضرين وهى لاتعرف من يقصد ، قال : « إرم السيجارة ياهذا الذى تدخن هناك !؟ » دارت بعينيها تبحث عمن يقصد ، إنه يقصد زوجها الذى ستطلق منه حالا ، وجهه إبيض من التحرج والمهانة . ياله من رجل هزل فى أيامه الأخيرة وجهه مستطيل وعيناه غارتا . ألقى سيجارته على الأرض وسحقها بقدمه ، حولت وجهها عنه والتفتت إلى الأمام ، وغرقت فى كآبة وحيرة واستعصاء الفكر ، تمنت أن تدخن سيجارة ، لكن هذا القاضى هناك .

جاء دورها هى وزوجها . وقفا قدام المنصة وبينهما المحامون . بدأ القاضى دورة غضبه يصبها على أول من يصادفه بالسؤال . سأل زوجها : « هل كنت تدخن فى قاعة الجلسة ؟ » قال الزوج وهو منهك خفيض الصوت : « إننى لم أكن أعرف أن ذلك لاينبغى ، هذه أول مرة أحضر فيها قضية ! » قبل أن يتم جملته انقض عليه القاضى بسؤاله التالى : « ما أسمك ؟ ضابط فى القوات المسلحة » لم ترتد ثيابك الرسمية ، قدمت استقالتك ؟ » لماذا إذن تحتفظ ببطاقتك العسكرية ؟ إننى أستطيع أن أسجنك بهذا .. ! » وإجابات الضابط تعجن فى أسئلة القاضى ، يرعد هذا بكلماته والآخر همساته غائرة تكاد تستحيل إلى لهثات ، قال : « إنما أحتفظ بالبطاقة حتى ينتهى أمرى فأسلمها ! » فصرخ به القاضى : « لست أهلا لحملها ، وهذا معاقب عليه ! »

والسيدة ترى زوجها على قدر من سوء الحال ، وحال من الهوان . قالت للقاضى : « إننا ياسيدى هنا لنناقش أمر طلاقنا ، فلماذا لاتمضى بالأمر إلى مساره ؟ » فصرخ بها : « ألا يمكن أبدا أن أتحقق من شخصية المتنازعين ؟ وأحاسب من يحمل بطاقة لايستحقها ؟ » فصرخت به تجاوبه : « ناقش طلاقى ياسيدى ولاتهدد السيد بالسجن أيا ماكانت البطاقة التى يحملها ! » لوح القاضى بيده عاليا وقال لها : « أنت تدافعين إذن عن خصمك فى القضية ياسيدتى .. !؟ » فدقت السيدة على المنضدة بقبضتها وتكلمت فى وجهه حتى لفحته أنفاسها : « لابأس علىّ إن دافعت عنه إذا كنت أنت قد آذيته ! » فضحك القاضى ضحكة مفعمة غضبا وثورانا ، وقال لها : « تعطفين على خصمك وتميلين إليه ؟ » إحمر وجه السيدة وفاضت الدموع من عينيها ، وقالت : « نعم إذا كنت تؤذيه ! » قال لها القاضى : « إذن لامحل للخصومة بينكما ؟ » ثم رفع سبابته وصوبها إلى وجه السيدة : « إننى سأشطب القضية من الجدول » فانفجر غضب السيدة وتصاعدت نهنهاتها حتى ملأت القاعة ، قالت له : « إفعل ياسيدى .. إفعل ياسيدى .. ! » مال القاضى على كاتبه وكلمه أن يشطب القضية ، ثم نظر للسيدة شمتانا : « هل رأيت .. ؟ » فقالت له : « نعم رأيت .. لقد رأيت ! » فقال لها : « خذى زوجك واذهبا .. ! » مدت السيدة يدها وقبضت على يد زوجها وقالت للقاضى : « نعم سأفعل » وطاوعها زوجها .



الليل ساج والكواكب خاشعهْ
والكون ارهف للسكون مسامعهْ
تتطاير الاحلام ، فى سبحاتها
حول المضاجع والعيون الهاجعه
فتروع مؤتنسا وتؤنس خائفا
وتُنيل محروم المتاع مطامعه
فى رهبة الصمت المدثر بالدجى
والليل يودع فى الحياة طبائعه
سبحت على موج الأثير وطوَّفت
روحى بآفاق الوجود الشاسعه
بسط الجمال عليه من آلائه
وأباح للسارى البصير منابعه
فأدرت فيه نواظرى ومشاعرى
وطفقت ارصد كالرقيب وقائعه
فرأيت أحياء الظلام تجوس بيـ
ـن غياهب جيّاشة متدافعه

كل بفطرته يدبرُ شانه
ويروم فى كنف الحياة مراتعه
وكانما الليل البهيم نهاره
يغدو به فى ضوء شمس ساطعه
ورايت ان الكائنات جميعها
تسعى بقانون يهيمن طائعه
فى الجو تحت الارض او من فوقها
كلٌ يلازم دَرْبَه ومواقعه
ولكل وجهٍ حسنه حتى الدجى
فى الليل يُسدل ستره وبراقعه
فوقفت مبهور المشاعر اجْتَلى
فى ذلك الكون العجيب بدائعه
وتداعت الافكار تزحم خاطرى
مَجْلُوَّة عُــــــذريّة متتابعه
أكبرت فى هذا الوجود جماله
وجلاله وسجدت أعبد صانعه

كاتب ياسين

سر "نجمة" المتوحشة

بقلم : د. سهير القلماوى

● وحجة كاتب ياسين انه مادام يجاهد بقلمه فى سبيل قضية التحرير الكبرى فان اى سلاح يخدم القضية يرحب به . ويقول « حتى لو كتبت بالعربية فمنذ الذى سيقرا لى من الجزائريين ؟» وكانت الامية ابان ازدهار أدب المقاومة متفشية فى الجزائر تصل نسبتها الى ثمانين بالمائة بينما الذين سيقرءون ادبه الفرنسى من الفرنسيين والعالميين والجزائريين الذين تعلموا الفرنسية منذ طفولتهم الاف بل مئات الالاف وهذا يجعل القضية تسمع اصوات اهلها فى العالم كله .

ان ثورة الجزائر لم تكن هى التى اوجدت الوطن الجزائرى على الساحة الدولية فحسب ولكنها كانت السبب فى ترسيخ الانتماء الى الجزائر . يعتقد كاتب ياسين ان الجزائر متعددة القوميات عربية وبربرية وفرنسية واكثر الكتاب غيره يرفضون ذلك بالرغم من ان من الفرنسيين الذين ولدوا فى الجزائر من دافعوا عن الثورة الجزائرية بل من الفرنسيين انفسهم امثال جان بول سارتر الذى الف كتابا عنوانه « عارنا فى الجزائر » وهناك قادة حرب فرنسيون انضموا اثناء المقاومة الى الجزائريين احتجاجا على العنف الوحشى الذى مارسته فرنسا لقمع الثورة ، فبمجرد ان رفضت فرنسا ، بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ، ان تفى بوعدها للجزائر انها ستعترف باستقلالها اندلعت شرارة المقاومة الجبارة الجزائرية فى الثانى من شهر مايو سنة ١٩٤٥ وخرجت المظاهرات وقتلت فرنسا خمسة واربعين الف جزائرى فى اربع وعشرين ساعة فقط ، فكانت الصحوة الجبارة مناسبة لوحشية الاعتداء .

واستمرت الصحوة الجبارة منذ عام ١٩٤٨ الى ان قامت الثورة الجزائرية

يثير ادب كاتب ياسين الشعر والمسرح والرواية مشكلة داخل مشكلة الادب الجزائرى المعبر عنه بالفرنسية ، ذلك انه إرتاح الى التعبير بغير العربية او البربرية .. بل دافع عن التعبير بالفرنسية بحجج كثيرة . لاشك انها كلها مما يمكن ان يرد عليه وقد رد عليه كثيرون من الادباء الجزائريين الذين اتخذوا مثله الفرنسية لغة للتعبير الفنى انه لم يشعر كما شعر مالك حداد الشاعر المعاصر له والذى رد على الاديب الفرنسى العظيم « اراجون » عندما امتدح ادبه بالفرنسية وتعرض الى اللغة فرد عليه مالك حداد قائلا « ليست الفرنسية لغتى للتعبير عن الحرية ، فالفرنسية منفاى »



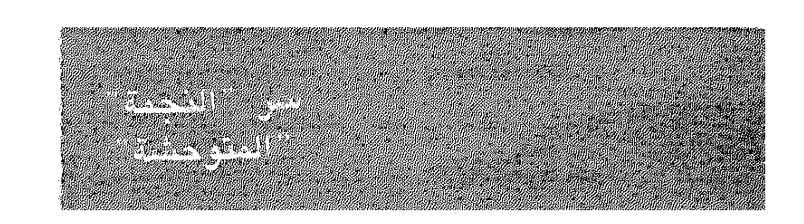
الكاتب الجزائرى كاتب ياسين

المنظمة المسلحة سنة ١٩٥٦ ودامت سبع سنوات واستشهد فيها مليون شهيد الى ان اقتنعت فرنسا بفضل حكمة رئيس وزرائها « دوجول » بانه لا مناص من التفاوض وكان التفاوض واعلان الاستقلال سنة ١٩٦٢ .

ان ثورة الجزائر التى تنحنى لها جباه اعتى العتاة اجلالا واحتراما كانت هى بداية الادب الجزائرى الحديث كان هناك قبلها شعراء مثل « محمد العيد » الذى كان يكتب شعرا محافظا يختم فيه القصيدة بالدعوة الى الدفاع او المقاومة وكان هناك كثير من الشعر العامى العربى والبربرى الذى كان يسرى فى الشعب حافظا كيانه مؤكدا على هويته العربية الاسلامية ولكن هذا الشعر ، فوق انه قليل ، كان ضعيف المستوى فى الاغلب والاعم .

وفجرت حادثة مايو سنة ١٩٤٨ قريحة الكتاب والشعراء مالك حداد ، وكاتب ياسين ومحمد ديب ، ومولود معمرى واسيا جبار وغيرهم فانطلقوا يعبرون اولا بالفرنسية ثم جاء بعدهم الجيل الذى عبر بالعربية .

ويلفت نظرنا فى ادب هؤلاء بعامة وادب كاتب ياسين بخاصة تكرار الموضوع واحيانا تكرار الشخصيات من خلال عرض احداث غامضة متشابكة متعارضة ومتصارعة . ويتجلى هذا اكثر مايتجلى عند كاتب ياسين الذى



احتذى موجات التجديد الفرنسية حتى المسرفة منها فيما الف ، كما احتذى اساليب كتاب عالميين مجددين امثال « فوكنر » و« همنجواى » وغيرهما من الكتاب بالانجليزية الذين شهروا لدرجة وجوب ترجمتهم الى كل اللغات تقريبا .

وفى فجر المقاومة كانت هناك جريدة تصدر بالفرنسية وتعبر عن المجاهدين من ابطال المقاومة باسم « نجمة افريقيا » مما يدلنا على ان رمز النجمة للتعبير عن بزوغ كيان الجزائر ، كان رمزا متداولا ومعروفا . لذلك تجد هذه الظاهرة المميزة قوية عند كاتب ياسين ان اول قصيدة له سنة ١٩٤٨ التى نشرت له فى مجلة « مير كور دوفرانس » كان عنوانها « نجمة » وروايته التى شهر بها واوجدت له مكانة ممتازة فى الادب الفرنسى . (وان كان هو لايريد ان يعد من ادباء فرنسا بالرغم من لغته الفرنسية) كانت بعنوان « نجمة » وهى البطلة التى يغنى بها فى اولى قصائده وقد صدرت سنة ١٩٥٦ اما مسرحيته « الاسلاف يموتون غيظا » وقد مثلت على مسارح فرنسا وانجلترا وغيرهما ، فقد صدرت عام ١٩٦٧ وبطلتها ايضا « نجمة » بل ان الشخصيات حول نجمة يتكررون والزوج « الاخضر » الذى يُجن من عذابات السجن وتجن نجمة بدورها بسبب ذلك ويموتان اخر المسرحية يتزعم الحركة الغامضة فى المسرحية ومعه عشاق نجمة رشيد ومراد ومصطفى .

ان كاتب ياسين قد عانى الضغط الاستعمارى الرهيب منذ طفولته ، فقد اضطر ابوه بعد ان علمه القرآن الكريم واللغة العربية ان يدخله المدارس الفرنسية لان فى تعلم اللغة العربية كما راى الاب اضاعة لمستقبل ابنه فى بلد يحكمه المستعمر الفرنسى ، لقد كانت المدارس والمعاملات الرسمية وكل شىء فى الجزائر بالفرنسية دور النشر والصحف والحديث كلها خضعت للقوانين الفرنسية التى وصلت الى ان منعت حتى الحديث بغير الفرنسية .

وكل ماحصل عليه « كاتب ياسين » من تعليم وقد ترك الدرس فى سن الخامسة عشرة ، كان بالفرنسية واشترك وهو فى السادسة عشرة فى مظاهرات عام ١٩٤٥ فاعتقل ويقول انه وجد نفسه اثناء فترة السجن هذه واصدر مجموعته الشعرية بعد عام واحد من الافراج عنه .

ان بطلة كاتب ياسين « نجمة » تعكس كل هذا الاضطراب والغموض والبحث فى الظلام عن الهوية الحقيقية للشاب الجزائرى ويزداد ضياعه وعندما يضطر وماأكثر ماكانوا يضطرون الى الهجرة الى فرنسا سعيا وراء لقمة العيش ، فقد هاجر الى باريس كاتب يسن بمجرد وفاة والده ومواجهته لدوره الجديد وهو انه مكلف وهو الفقير ان يعول اربع نسوة من الاقارب تركهم له والده ليكون هو المسئول عنهن

تعليم فرنسى واقامة فى باريس والوطن يشتعل اضطرابا وفوضى ، هذا هو العالم الذى فرض نفسه على كاتب

ياسين ليصوره فنجمة لايعرف لها ابا ، لان امها الفرنسية تزوجت « قبلوت » ولكن كان لها عشاق اربعة لاتعرف هي نفسها من منهم ابو « نجمة ».. انها ضائعة بين اصول مختلفة مثل الجزائر التي لاتعرف بوضوح من اى اصل هي كما يرى كاتب ياسين فيها البربر بالعرب بالفرنسيين المولودين على ارضها ، وكل هؤلاء يتدخلون حسبما يرى كاتب ياسين في نسيج « نجمة » او الجزائر . صحيح انه بعد ان تحررت الجزائر وانجلى الغموض او الغبار عن وجهها الاسلامي العربي عاد كاتب ياسين يتمنى ان يتقن اللغة العربية ليعبر بها لقومه عما في نفسه من حب طاغ وتعلق شاعرى بالجزائر .

و« كاتب ياسين » لانه شاعر ومسرحي وروائي نرى عنده ان تقنيات كل هذه الاشكال الادبية تختلط في تصوير « نجمة » بكل غموضها ولكن بكل سحرها ايضا ان دنيا كاتب ياسين تشرق فيها الشمس ولكن لايظهر في ضوئها الا « نجمة » وهي في وسط الدائرة

ظهرت « نجمة » في سماء الجزائر وغداة انتهاء الحرب العالمية نرى الاخضر زوج نجمة كما يصوره كاتب ياسين في روايته يحفر بالسكين على الابواب والمقاعد الخشبية هتافه « الاستقلال للجزائر »

وتزخر الرواية بصور القمع الاستعمارى الوحشي لقد جرد الجنود الاستعماريون الشعب من سلاحه فهجمت عليهم الجماهير من المساجد مسلحة بالكراسى واغصان الاشجار والزجاجات الفارغة ، وداست فرنسا على شعارها المجيد « الاخاء والحرية والمساواة » الذى تباهت به ومازالت على شعوب العالم فقد كانت اول صيحة للحرية مدوية فى العصر الحديث واثناء هذه المقاومة يتدحرج حامل القلم الجزائرى فيقطع الجيش الفرنسى الشارع الرئيسى وهو يطلق الرصاص على الأسمال الباليه .. ويصطبغ كل شيء بلون الاحمر القانى لون دم الشهداء وبهذا وحده تتحقق نبوءة الغد التى لم تبرح مخيلة المجاهدين ولكن كانوا بالامس يفرون من السلاح واليوم يلتقون معه ليثأروا للاجداد ، وكل ذلك بفضل نجمة رمز البطولة فى المقاومة الجزائرية التى جاءت بنصر جديد بديلا للثامن من مايو سنة ١٩٤٥ .

● نجمة .. متوحشة

اما فنية الرواية فهى عند كاتب ياسين تستحق وقفات اختلاط الزمن وتداخله وقد ترك نهائيا التتابع الساذج فى « الحواديت » الى تتابع بين تداخل والتقاء وافتراق وضياع فى المستقبل بل ضياع فى الأبدى والازلى . واما الاحداث فهى ايضا صور ومواقف تتجمع تفترق لتعبر عن القسوة ، بل عن التوحش واذا كان جيش فرنسا متوحشا فان البطلة نجمة هى ايضا متوحشة وتدور الحرب واللقاءات المتعددة غير المرسومة ولا المخططة المهم انها كلها مصبوغة بالدم والاندفاع البطولى للتضحية فى سبيل نجمة اى فى سبيل الجزائر .. الزمان مضغوط والمكان مضغوط ويتجمع كل شيء عند النهاية فى سيمفونية رائعة موسيقاها فى مغزاها وليس فى انغامها المتناثرة ان المقاومة ليست فى ساحات القتال وحدها وانما هى ايضا فى الحقول وفى المصانع ويصبح احد المتظاهرين مثلا وسط تأزم الموقف واشتعال التوحش .

سر " نجمة " " المتوحشة "

« إلام الانتظار .. ان القرية لنا .. انتم الاغنياء تنامون على سرر الفرنسيين وتعملون فى مستودعاتهم . اما نحن فعندنا اردب من الشعير ، ودوابنا ، تاكل كل شىء .. ان اخواننا قد ثاروا .

وهم كما يقول احد الثوار ليسوا مقاطعة فرنسية عليها « باى » او « سلطان » ان الجزائر التى مابرحت عرضة للغزوات فى ماضيها المستغلق لاننا لسنا امة ولم نصبح امة بعد .. ان الجزائر وطن ودين .

لقد عالج الروائى كاتب ياسين مشكلات عديدة بنظرة شاملة فكلها اخر الامر تدور فى فلك واحد هو الاستعمار : والاقتصاد حتى بعد اعلان الاستقلال يسيطر عليه الفرنسيون فهم الاقطاعيون الحقيقيون .. اما الشيوخ الذين يعملون معهم فهم جندوهم فى حرب فرنسة الجزائر .. وظل الجزائرى الى الاستقلال لايكتب فى اوراقه الرسمية (شهادة ميلاد او جواز سفر) انه جزائرى وانما يملأ خانة الجنسية بكلمة مسلم حتى لايكون هناك وطن اسمه الجزائر حسبما ارادت فرنسا .

كم جاهد الجزائرى حتى قبل الثورة فى ان يلملم شعث هذه القبائل المتفرقة على امتداد الصحراء وفى اعالى الجبال المنيعة الشامخة .. حاول عبدالقادر الجزائرى ايام الدولة العثمانية ونكل به وحاول ابن باديس فى التحرك نحو الثورة الكبرى وذهب هو وانتصرت الثورة اخيرا لكن بعد حقبة طويلة دامية مريرة حتى بعد ان بلور الموقف ابن باديس فى قوله :

شعب الجزائر مسلم
والى العروبة ينتسب
من قال حاد باصله
او قال مات فقد كذب
او رام ادماجا له
رام المحال من الطلب

ولم يكن كاتب ياسين وحده فى اسلوبه الشاعرى المعقد يرمى الى تصدير الثورة لاشعار العالم كله بعظمة الشعب الجزائرى وثورته ولكن هناك الشاعر مالك حداد الذى لم يرتح للفرنسية كما ارتاح اليها كاتب يسن الذى اكتفى بان يرفض ان يكون ادبه (وان كان بلغة فرنسية) جزءا من الادب الفرنسى ان مالك حداد يشكو شقاءه ومنفاه فى اللغة الفرنسية ويصيح فى اكثر ماكتب من روايات مرددا « انا جزائرى »

وتسير الجزائر بعد الاستقلال فى اتجاه العروبة والاسلام فقد قاد خطواتها اولا « بن بيللا » ثم « بومدين » وكلاهما خريج الازهر الشريف واصبحت الجزائر فى عهدها الحديث الان بعد بومدين لايمكن ان يكون انتماؤها للعروبة وللاسلام مجال حديث لانه لايحتاج الى اثبات .

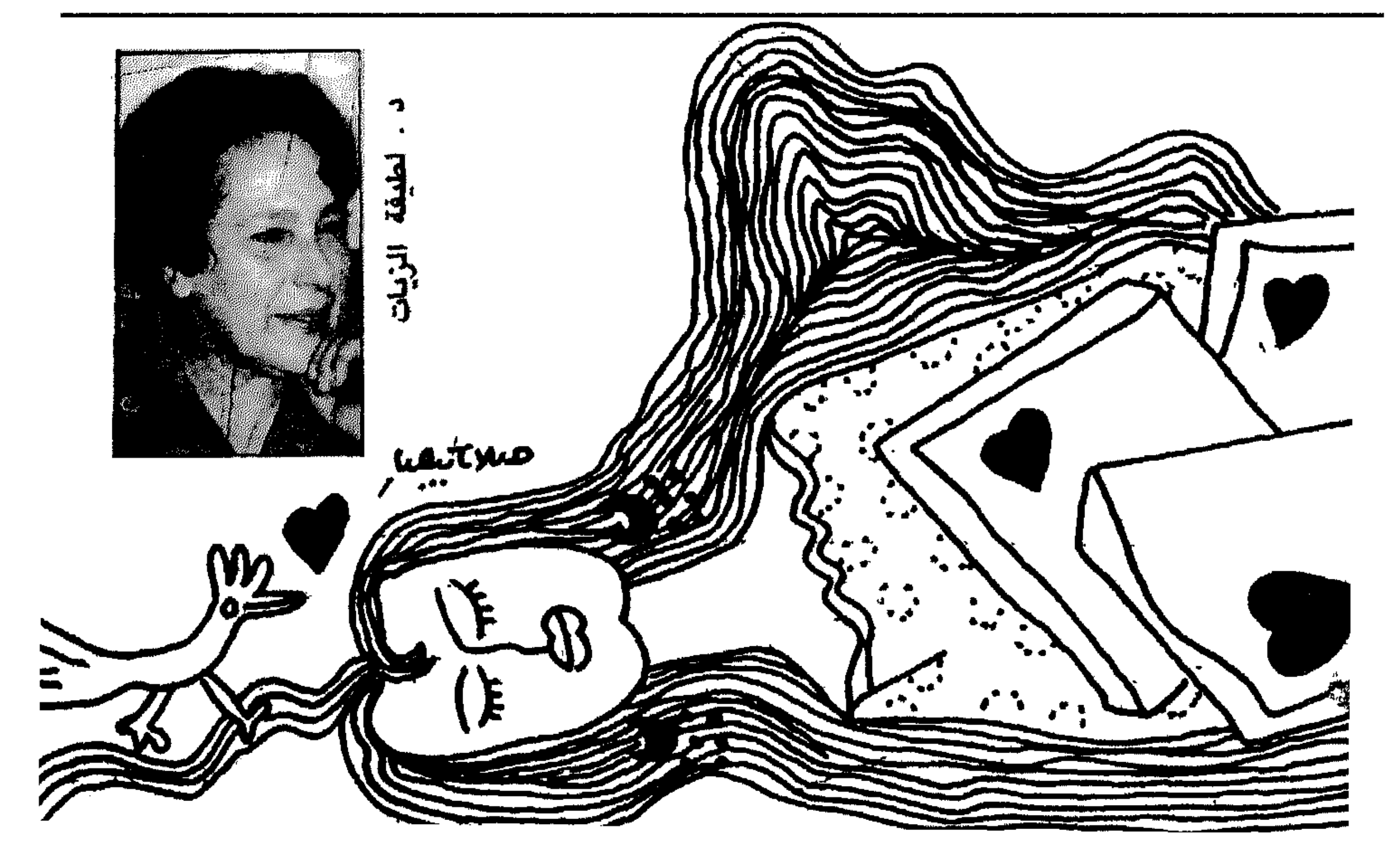
وهكذا بزغت نجمة كاتب ياسين حتى اضاءت الليل البهيم ودلت على طريق الشمس ، شمس الحرية بل شمس عظمة الانسان الثائر الصامد فى سبيل انبل الغايات واشرفها .

قراءة فى أدب المرأة :

نساء يعشن فى الثبات والنبات

بقلم : فريدة مرعى

كان بين إعلان ليلى العامرية بطلة مسرحية " مجنون ليلى " رفضها للزواج من قيس لا لشيء سوى أن حبه قد اضر بسمعتها وكساها ثوب الفضيحة ، وبين إعلان ليلى سليمان بطلة رواية " الباب المفتوح " أن الحب عاطفة تدعو الى الفخر وتملأ الانسان بالاعتداد والفرح والرغبة فى الحياة ، كان بين الاعلانين تاريخ طويل من الكفاح والنضال من أجل ذلك الحق البديهى البسيط : أن يكون من حق المرأة أن تحب وأن تُحَب دون أن تشعر بالخجل أو بالعار ودون أن يفقدها هذا الحب كرامتها واحترامها بين الناس . أن يكون من حقها أن تعيش حبها فى النور تحميه وتدافع عنه وتواجه به الجميع وهى مرفوعة الرأس موفورة الكرامة .



د . لطيفة الزيات

قراءة فى أدب المرأة :

كانت ليلى العلموية رغم هزاها المتأجج لقيس تصون حرمة التقاليد وترعى الأصول ، لذلك فقد كان صراعها شديدا بين حرصها على « قداسة العرض » وخوفها من فقد الحبيب ، كانت ليلى تعتبر قيسا مستهتر الهوى قد صانت حبه ، ولكنه لم يصنها بل أعلن هواه وجعل أسمها على كل لسان وكانت النتيجة أن اباها لم يعد يستطيع أن يسير فى الحى مرفوع الرأس أو أن يعيش محترما بين القبائل ، جن قيس بليلى فسار فى الطرقات هائما بحبها ونسى فى غمرة هواه أن هناك فى البدو تقاليد وقواعد وأن سنة البيد أن يحولوا بين العاشق ومعشوقته إذا شبب بها وأعلن هواه ، حكمت القبيلة أن قيسا قد انتهك واستباح الحرمات ودمغ الحى بالعار الذى لا تقدر على محوه السنون .

وقد هبت القبيلة لتدافع عن كرامتها التى استباحها عاشق وتطالب بعقاب ذلك الآثم مرتكب كبيرة الكبائر وصموا الآذان عن الأصوات الشابة التى ارتفعت تدافع عن قيس « هبوه جن بليلى ، ليس الغرام بجرم » . أعلنت القبيلة أن دوام الحال من المحال وأن العشق بين الحبيبين أبلغ دليل على الجرم وأصدرت الحكم القاسى : الحرمان الأبدى بين العاشقين ، وكان من سخرية الأقدار أن ليلى نفسها كانت المنفذة وعن اقتناع لهذا الحكم وقالت لمن أتاها شافعا فى قيس :

ولكن أترضى حجابى يزال
وتمشى الظنون على سدله
ويمشى ابى فيغض الجبين
وينظر فى الأرض من ذله
يدارى لاجلى فضول الشيوخ
ويقتلنى الغم من أجله
يمينا لقيت الأمرّين من
حماقة قيس ومن جهله
فضحت وضحت به فى شعاب الحجاز
وفى حزن نجد وفى سهله

حكمت القبيلة بالإعدام على العاشقين ورضيت الحبيبة أن تكون أداة التنفيذ وفضلت أن يقتلها الهوى على أن يقتلها العار ، وكان هذا العار الذى لا يدانيه أى عار انها قد وقعت فى المحظور وسمحت لقلبها أن ينبض وتجاوبت مع ابن العم والحبيب الذى لم يكن يرى فى الدنيا سواها ، كان العار أن هناك من عشقها وبرح به العشق وفاض به الجوى فحدث الشمس والقمر والجبال والشجر وأشهد الليل والنهار والسهول والقفار وهام فى البرارى والدروب يناجى كل الكائنات ويبوح بما فى قلبه من كروب .

وفى كل ما قاست ليلى العامرية من جراء حرمانها من قيس وزواجها من انسان غريب عنها لا تشعر تجاهه بأية عاطفة فانها لم تشك ولم تتمرد على هذا الوضع الجائر بل انها كانت لا تكف عن اعلان إمتنانها لذلك الزوج النبيل الذى رضى بالزواج منها بعد كل ما كان ورد اليها اعتبارها الذى فقدته على ايدى حبيبها ، حتى قيس كان يؤمن أن حبه قد اساء الى سمعة ليلى ولم يكن أمامه الا أن يجتر احزانه ويلوم شيطان شعره انه السبب فى كل ما يعانى :

لولاك ما بحت بما
خدش ليلى وجرح

كـأنـــه فــى عــرضـــهـــا
زيــت علــى الثــوب ســـرح

● خطوة صحيحة

أما اعلان ليلى سليمان فى رواية « الباب المفتوح » للدكتورة لطيفة الزيات فقد كان أول خطوة صحيحة على الطريق الطويل ذى الألف ميل ، فالحب هو جزء من كل ، حب الحبيب هو جزء من حب الوطن ، حب الحرية ، والأمل فى مستقبل افضل ، الانسان الذى لا يحب هو مخلوق بليد معدوم الحس والتفكير ، **القادرون علىٰ أن يحبوا حبا كبيرا هم فقط القادرون على العطاء وعلى أن يضحوا تضحية كبيرة ، وعلى التحليق فى عالم الحق والخير والجمال** . الحب الأصيل النابع من القلب هو حق للانسان والحق لا يستجدى ، لقد ارتبط نمو الحب فى قلب ليلى بنمو الوعى السياسى والدخول فى مرحلة جديدة من **مراحل الكفاح الوطنى** . فأحداث الرواية تدور على مدى عشر سنوات بداية بأحداث ٢١ فبراير عام ٤٦ ومرورا بنضال الفدائيين فى مدن القناة ثم حريق القاهرة وقيام الثورة وتأميم القناة ، وتنتهى بأيام العدوان الثلاثى على بورسعيد ، وطيلة السنوات العشر وليلى تجاهد من أجل أن تنمو وتتفتح ويتفجر داخلها الوعى بأنها انسان حر من حقها أن تحب وأن تشارك فى المظاهرات وأن يكون لها رأى ودور فيما تتعرض له البلاد من محن ، وتشهده من تطورات ، **كانت تؤمن ايمانا كبيرا أن من حقها ان تختار شريك حياتها اختيارا حر مبنيا على الحب وليس على المادة لأنها ليست سلعة تباع وتشترى** . هى ليست من فئة الحريم ، وليست مملوكة



للاب تنتقل ملكيتها للزوج بعد الزواج ولكنها كائن مستقل من حقها أن تتحكم فى مصيرها وتختار حياتها ويكفى أن « الحيوان نفسه بيختار » ، كانت ليلى تحلم بدنيا حرة « تستطيع فيها أن تحب وتحب ، بلا خوف بلا وجل ، بلا لوم بلا ندم » . دنيا تستطيع فيها أن « تعبر عن نفسها كالطير الطليق ، وهى تعرف طول الوقت أنها محبوبة ، وأنها مرغوبة ، وأنها محترمة وأن كل تصرف لها معقول ومقبول » .

● تلخيص للمأساة

أما مجتمع ليلى سليمان فقد بدأت المفاهيم فى التغير على المستوى النظرى وبدأ كثير من الشباب يؤمن بها ولكن المجتمع ككل على المستوى التطبيقى كان لايزال متحجر العقل يُحكم من حصار العادات والتقاليد حتى لا يخرج أحد من الدائرة الضيقة ، وتلخص عديلة صديقة ليلى المأساة حين تقول : « والله احنا مصيبتنا سودة ، على الأقل امهاتنا كانوا فاهمين وضعهم ، أما احنا ضايعين ، لا احنا فاهمين اذا كنا حريم واللا مش

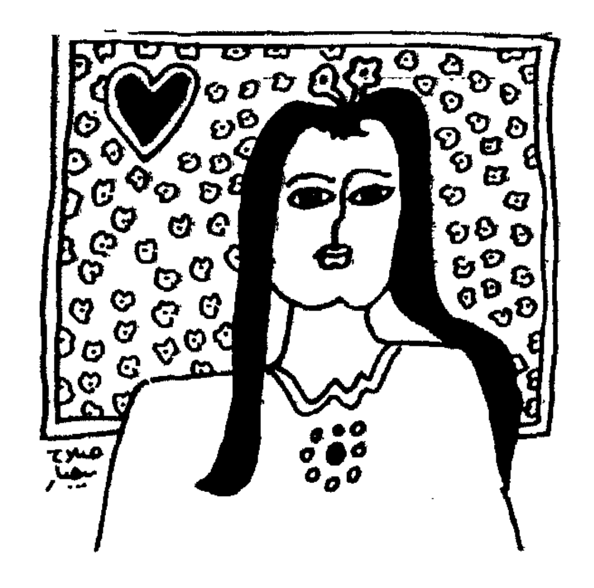
قراءة فى أدب المرأة :

حريم ، ان كان الحب حرام واللا حلال ، اهلنا بيقولوا حرام وراديو الحكومة طول الليل والنهار بيغنى للحب والكتب بتقول للبنت روحى انت حرة ، وأن صدقت البنت تبقى مصيبة ، تبقى سمعتها زفت وهباب .. بالذمة دا وضع ! بالذمة احنا مش غلابة ! »

وبسبب هذه الازدواجية فى شخصية مجتمع ليلى سليمان وبسبب هذا التناقض بين القول والفعل تعرضت ليلى لكثير من الهزائم على مدى السنوات العشر ، أجهضت أحلامها على يد الحبيب الأول واهدرت كرامتها وانسانيتها على يد زوج المستقبل والغى كيانها المستقل على يد الأب والأم وتقاعس الأخ ذى الأفكار المتحررة عن مساندتها ، هذه الهزائم كلها كادت أن تقتل فيها كل ثقة بالنفس وبالآخرين وكل إقبال على الحياة ، جاء الوقت الذى أحست فيه بأنها مهزومة .. ان جسمها مهزوم وعقلها مهزوم وروحها مهزومة .. كادت أن تتقوقع على نفسها وترتد هى نفسها للاستسلام للعادات والتقاليد لولا بذرة التمرد والرفض التى كانت تكمن فى أعمق أعماقها . وحين التقت بالحب الحقيقى الأصيل استطاعت أن تدرك أن كل الهزائم التى منيت بها كانت لابد من أن تحدث ، إما لأنها أساءت الاختيار وإما لأنها لم يكن لديها الشجاعة الكافية لكى تدافع عما تؤمن به . ولأنها كانت فى أعماقها تؤمن بالتحرر من سطوة التقاليد الغاشمة ، بالانطلاق الى دنيا حية عريضة غنية ، بالحب الذى يضىء كالنور ، وكل ما فيه شفاف وأصيل ، بالحياة الخصبة المتجددة ، بالفناء فى المجموع ووصل كيانها بالآخرين ليزدهر كيانها وينمو ويتجدد ، لذلك كانت قادرة على النجاة فى النهاية ، نجت بحبها ونجت بآدميتها ونجت بنفسها كمواطنة تساهم بنصيبها وتؤدى واجبها الوطنى تجاه الأرض والشعب . حين أدركت أن ثقتها بالنفس وبالحياة يجب أن تنبع من داخلها وليس من الآخرين حينئذ فقط أصبح فى مقدورها أن يكون لها كيانها الخاص المستقل وشجاعة الحفاظ على هذا الكيان .. وقدرة الانسان على الحفاظ على مكاسبه كفرد تعنى بالضرورة قدرة المجتمع على حماية جميع مكاسبه الوطنية .

● حيرة المرأة

كانت هذه المقدمة ضرورية من أجل أن نتتبع تغير وضع المرأة التى لم تعد تلك الأنثى الضعيفة المستكينة المحرم عليها أن ينبض قلبها بأى أحاسيس أو مشاعر بل أصبح من حقها أن تحب وأن تجاهر بهذا الحب وتدافع عنه من أجل أن يكتمل بالزواج . تغير وضع المرأة من كائن



سلبى ، مستسلم ، خانع ، بلا ارادة ، يقرر له الآخرون ما يجب عليه أن يفعله الى مواطن ايجابى رافض ، متمرد ، ذى ارادة يعرف ما يريد ، أصبح وضوح الرؤيا هو السمة المميزة ، وكانت هذه المقدمة ضرورية ايضا من أجل أن نتتبع تطورا آخر جديرا بالتأمل الا وهو اختفاء النهايات السعيدة من أدب المرأة ، تطورت تجربة الحب وتغيرت واكتسبت أبعادا اكثر واقعية ، لم يعد الزواج هو النتيجة الحتمية والنهاية السعيدة لكل تجربة حب ، لم يعد الزواج كحلم وأمل تسعى المرأة اليه كحل وحيد ونهائى ، دخلت فى تجربة الحب اعتبارات اخرى وموانع جعلتها لا تعتبر الزواج هو الحل الأمثل ..

ونحن أمام أربعة أعمال أدبية لأربع اديبات وكلهن يتناولن تجارب حب عظيمة بلغت قدرا مدهشا من القوة والعمق والقدرة على الاستمرارية ولكن لم يكتب لها الاكتمال ولم تنته بالزواج . ورغم اختلاف الأجيال بين الكاتبات فان هناك خيطا عاما يربطهن جميعا . **فتجربة الحب فى كل هذه الأعمال قد بلغت حدا كبيرا من العمق والقوة والاستمرارية حتى اننا نستطيع أن نطلق عليه لقب « الحب الابدى »** . إن هذا الحب الأبدى كان دائما حبا مستحيلا لا يمكن اكتماله عن طريق الزواج لأسباب تختلف باختلاف شخصية كل امرأة فى كل عمل أدبى . إن رفض الزواج كان يأتى دائما من جانب المرأة رغم تأجج عواطفها ولكنها ، فضلت التضحية بحلم الزواج من أجل ممارسة مسئولياتها الملقاة على عاتقها ، أو من أجل الحفاظ على حريتها وعلى المبادىء التى اختارتها لنفسها ، ان عدم اكتمال تجربة الحب لم يمنع المرأة من ممارسة حياتها العادية فتعلمت وتوظفت وسافرت وتميزت ولكن ظل الحب طوال الوقت قابعا هناك حيا لا يموت تستمد منه الشجاعة على ممارسة الحياة وتستمد منه لحظات الفرح والأمان ولكنه أبدا لم يشل ارادتها فى أخذ أى قرار .

فنبيلة بطلة رواية « اين يذهب الحب » للكاتبة **مديحة عامر** تحب استاذها فى الجامعة الشاعر والقصاص الذى يتحدث عنه الجميع ، كانت سعيدة ومبهورة أن تجد انسانا يفكر مثلها ويشترك معها فى احساسها أمام كل الأشياء ، كانت تشعر أنها تعيش نفس مشاعره وتتأمل الكون والأشياء بنفس نظرته وتتعايش مع نفس التيار النفسى والفكرى . ورغم هذا التقارب والاقتناع الفكرى والوجدانى فانها لم تجرؤ على مصارحته واحتفظت بحبها الكبير واعتبرته ملكها وحدها وهى وحدها المسئولة عنه ، كان حبها حبا غريبا لا يتلاءم مع عصرها ، هو حب استعارته « من بنات القرون الخالية ملهمات فولتير » ، ولكن هذا الحب لم يعقها عن ممارسة حياتها الطبيعية فقد انتهت من دراستها الجامعية ومارست الصحافة بل وتزوجت وأنجبت . وحتى تعطى الفرصة كاملة لتجربة الزواج فقد بعدت عن الحبيب لتسقط احساسها به من حياتها وانتقلت الى دار صحفية اخرى حتى لا يشكل وجوده مشكلة فى حياتها ، قاطعت مقالاته وكتبه وحاربت كل ما يذكرها به ، وحين وطنت نفسها على التأقلم مع وضعها الجديد وقبول حب العشرة الذى يربطها بزوجها ، يستشهد الزوج فى حرب ١٩٦٧ ، وتمر الأيام ليطفو الحب القديم كاسحا هذه المرة حتى لا

يملك الحبيب الا أن يراه ، وحين بدت عيناه تسألان فى دهشة : أحقا كل هذا الحب ! . كانت روحها تجيب : بل أكثر مما تتصور . كان قد أبحر فى أعماقها وسبح فى دمها وحين أخذت نظرته- تفتش فى كياتها وفى روحها تبحث عن وجوده ، كانت نظرته تسأل : أين مكانى أين أنا ؟ كان كيانها كله يجيب : هنا بين الروح والدم فى القلب فى النبضات فى سرى التنفس ، فى التحام الروح بالوجود حين تكون اكون ، حين أتنفس يتوهج وجودك حين أتكلم أجيب على تساؤلاتك . لكن كل هذا الحب الذى بدأ منذ سنوات الدراسة ، واستمر كل هذه السنين لم يكن من الممكن أن يكتمل ، وحين عرض عليها الزواج ، لم يكن فى امكانها الا أن ترفض ، شعرت انه ليس من حقها أن تبدأ من جديد لأن فرحتها لن تكتمل ، كانت تخاف أن تدوس على ابنتها زهرتها الصغيرة وتقتل فرحتها ، خشيت أن « يتمزق قلب البنت إذا ضاع الحضن الأمثل ، حضن الأم » .

اما بطلة قصة « فرحتى » للكاتبة منى حلمى فهى بعد قصة حب عنيفة تقرر الانفصال عن حبيبها لأنه جرح كرامتها ، ورغم مرور خمس سنوات على هذه القطيعة فانها لم تكف عن التفكير فيه لحظة واحدة ، ورغم أن حياتها الطبيعية كانت تسير سيرا عاديا فقد كانت تأكل وتشرب وتنام و يذهب الى العمل ولكنها كانت تنزف من الداخل ، كانت حزينة دون أن ترتدى السواد فقد فقدت فرحتها الوحيدة يوم فقدت حبيبها ، كانت تظن أنها بمرور الأيام ستنسى ولكن مرور الزمن كان يقوى ذاكرتها وتتابع الايام كان يضاعف نزيفها ، كان كل عام أسوأ من الذى قبله ، وحين حلت الذكرى السنوية الخامسة لانفصالهما انهارت مقاومتها ، قررت أن تدوس على كرامتها مرة واحدة بعد أن فاض بها الشوق لرؤية الحبيب ، استأذنت نفسها ، الرقيب الوحيد عليها والذى يحاسبها على مدى ثلاثين سنة حسابا عسيرا ، استأذنتها فى اجازة ليلة واحدة لتذوق لأول مرة طعم الحرية المطلقة ، لتتجاوز وجودها الأرضى الى وجود آخر يحلق فى السماء . وحين أخذت القرار برؤية حبيبها شعرت لأول مرة منذ خمس سنوات بالقوة والحماس ، شعرت بالشباب يتدفق فى عروقها وبالصحة تدب فى أوصالها بعد طول شكوى من الألم ، استعادت نبضات قلبها الهاربة ، استعادت أحساسها الغائب أن لها جسدا ، استعادت ملامحها الخاصة المميزة وشعرت أنها فى هذه اللحظة الفريدة تملك من القوة ما يجعلها تستطيع الانتصار على العالم كله .

● سر المعاناة

لماذا إذن القطيعة بعد كل هذا الحب ! ، لأنها أدركت أن هذا الحب هو حب مستحيل ، وحين يعاتبها الحبيب على القطيعة لا تدعه يكمل كلامه ، تقول : « أرجوك لا تتحدث عن الماضى ، مازلت أحمله بمرارته ، حديثك عنه سيزيد المرارة .. لن يفيد كلامنا شيئا .. لن أتغير ولن تتغير والدنيا بيننا لن تتغير » .. هو حب مستحيل لأنها لا تستطيع أن تتغير

وهو يرفض أن يتغير والمجتمع نفسه لن يتغير ، والمتتبع لأعمال منى حلمى يستطيع أن يفهم سر معاناة البطلة ، فهى امرأة تسبح ضد التيار ، تقدس حريتها وترفض أن يمتلكها أحد ، هى تبحث عن علاقة صحية وسوية مع الرجل وليست على استعداد لأن تساوم أو تخنع أو تتنازل من أجل الابقاء على رجل ، ففى قصة أخرى « لا أستطيع الليلة » تقول البطلة لحبيبها : « لا تحاول امتلاكى .. عشنى » .. ويندهش الحبيب : « كيف نستمتع بشىء دون أن نمتلكه » .. ولكنها المرأة القوية التى تثق فى عقلها وتفكر دون حواجز تجيب : « كيف تستطيع امتلاكى وانا لست شيئا .. أنا حياة تتدفق أمامك ، هل تستطيع امتلاك الحياة ! » .. وفى لحظة صدق مع النفس يجيب الحبيب : « كيف أعيشك وأنا لا أعيش نفسى .. هل تعرفين لماذا توقفت عن محاولتى أن أعيشك ، أدركت منذ البداية ارتباطا بين أن أعيشك وبين احساسى بحريتى .. اننى لا أفهم الا الامتلاك ، لأننى ملك لهم .. قد تسألين من هم ، كثيرون باسماء مختلفة يشتركون فى ملكيتى ويوزعون عائد الملكية بينهم

هى إذن غارقة فى الحب حتى أذنيها ولكنها أبدا ليست مستعدة للتنازل ، ليست مستعدة للتغير أو لقبول ما تشعر انه يتنافى مع كرامتها وانسانيتها كانسان كامل ، اما ان يقبلها الرجل كما هى واما فلا ، ولأنها « انسانة جريئة جدا .. متمردة ، بداخلها بركان دائم التأهب للانفجار » ، ولأنها تتعامل مع الرجل بعينين مفتوحتين ، ولأنها تبحث عن علاقة يحدث فيها التوازن المفقود بحيث يتحرك كل طرف بحرية فى دائرته الخاصة ولكن تظل « الدائرتان دائما فى حالة تماس » ، ولأنها تعرف ان هذا مستحيل فى مجتمع تعود على القهر والامتلاك فقد كان يخالجها احساس قوى انها مهما احبت فستعيش « دون شريك » لأنها باختصار حب لايقدر عليه رجل شرقى .

وإذا كان الحب لم يكتمل فى رواية « أين يذهب الحب » لأن البطلة فضلت الأمومة .

وإذا كان الحب لم يكتمل فى قصة « فرحتى » لأن البطلة تقدس حريتها وترفض أن يمتلكها أحد ، فإن الحب لم يكتمل فى قصة « بدايات » للدكتورة لطيفة الزيات لان الحب لطول المدة « ثلاثون عاما » قد تحول الى ود . فقد التقت البطلة بحبيبها لأول مرة حين كانت فى أوائل دراستها الجامعية وهى فى الثامنة عشرة من عمرها . وكما ارتبط الشوق الى الحب بالشوق الى الحرية عند بطلة روايتها الأولى « الباب المفتوح » فقد ارتبط الشوق الى الحب بالشوق الى

قراءة فى أدب المرأة :

المغْرفة فى قصتها « بدايات » ففى الوقت الذى كان قلب البطلة متلهفا على الوقوع فى حب يجتاحها كالاعصار كانت تقرأ رابعة العدوية وبودلير ، الانجيل والبيان الشيوعى فى نفس الوقت ، هبط عليها « سامى » وكأنما هبط من السماء وهى فى السنة الأولى من دراستها الجامعية ، فى الثامنة عشرة « كان سامى الحب البداية بلا نهاية ، الأرض والشمس التى تدور حولها الأرض ، وعلى مدى ثلاثة شهور أصبح سامى جزءا لا يتجزأ من حياتها ، ورغم هذا « لم تتشكل المشاعر قط فى كلمات ، ولم يبد من الضرورى أن تتشكل » .. ولم يخطر فى بالها أن تتساءل : « وماذا بعد ! استوعبتها اللحظة تحيا عليها حتى تحياها من جديد ، فلم تسأل : « حتى .. فاجأها سامى ذات يوم انه راحل الى لندن فقد تم تعيينه مراسلا للصحيفة هناك . ومن يومها وسامى لا يكف عن الترحال ، يعود ليرحل من جديد . من يومها والعلاقة قائمة على القرب وعلى البعد على مدى ثلاثين عاما ، انتهت من دراستها الجامعية وتوظفت وتزوجت وطلقت وسامى يعود من سفرياته ليحكى لها كم يحبها ، استغرقتهما مشكلات الحياة وسرقهما الزمن وحين يتصل بها سامى يدعوها للقاء قبل أن يسافر كعادته ، يخبرها انه لن يعود وكان يكرر هذا فى كل مرة يرحل فيها ، ولكنها كانت على يقين من عودته التى كانت تمنحها دائما نوعا من الاطمئنان . ورغم مرور ثلاثين عاما على هذه العلاقة ورغم افتراقهم الذى كان يطول بالسنين فانها كانت فى كل مرة تستأنف الحديث معه وكأنها بدأته بالأمس . حين قبلت دعوة سامى للقاء وهى فى الثامنة والأربعين هذه المرة ، كتبت فى مذكراتها : « مع سامى سأجلس فى شرفة النادى وجها لوجه ، كهل وكهلة ، يجتران ذكريات الماضى ، سأضحك وسيضحك ويقول انه مازال يحبنى كما يقول دائما ، ولن أقول أنى أحبه ، لأنى أوده ولا أحبه ، (ما أحدً ما تتحدد مشاعرى انمو على مشاعر الحب القديمة ، اتجاوزها) .. ولن أنزعج لأن سامى يحبنى ولا لأنى أوده .. فلا هذا الحب المعين من جانبه ولا هذا الود الخاص من جانبى حال دون أن يعيش كل منا حياته مكتملة فى استقلال عن الآخر » .

● قهر المواطن

أما بطلة رواية « النار والاختيار » للكاتبة المغربية خناتة بنونة فهى بطلة تحمل على كتفيها هموم الوطن العربى كله بدءا من ضياع فلسطين ومرورا بغياب الحريات وقهر المواطن وتزييف وعيه وحتى كل الهياكل والمؤسسات المهترئة وخاصة المؤسسة التعليمية التى تساعد على تخدير المواطن وبلبلة أفكاره حتى يبقى مستعبدا ومهزوما الى الأبد ، كان يسحقها ويرج كيانها هذا الاندحار الذى يعانى منه الوطن الصغير والكبير وتجزع من كل هذه الهزائم التى منيت بها الأمة وتتساءل فى هلع بعد هزيمة ٥ يونيه عن كل الذين يأكلون ويشبعون ويرقصون ويمرحون وكأن شيئا لم يقع « كيف يملك بعضنا أن يتنعم الى هذا الحد كأن زلزالا لم يقع » . ومن خلال رحلتها للبحث عن غد

افضل وأكثر جمالا ، ومن أجل البحث عن بديل أكثر عدلا عما هو قائم حيث لاقهر ولاهزيمة حملت على عاتقها كشف زيف المجتمع وتعرية لا قهر ولا هزيمة الواقع عمّا هو قائم حيث كان هدفها هو خلخلة المؤسسات وتفجير كل البنى المزيفة القائمة شكلا وموضوعا ، لذلك كان العمل الجاد الهادف المخلص هو أحد الأسلحة الفعالة لخوض معركة الهدم حتى يتسنى البناء من جديد على أسس اكثر صدقا وأكثر وعيا بمتطلبات المرحلة الراهنة « لقد اخترت طريق جهادى ، لأن ظرفى التاريخى والنفسى يتطلب هذا الجهاد لأؤكد أن مرحلة البدء حانت ، وأن من لم يبدأ عليه أن يموت » وفى وسط حيرتها بين أوجاع الأمة وأحلامها تلتقى بذلك الحبيب الذى يملك « كل خصوبة الأرواء : فكرا وفهما » ولكنها تقف لقلبها بالمرصاد وتتساءل : ولكن أين الممارسة ؟ .. انه أحد أعمدة بعض الأنظمة التى صنعت منا مهزومين من المحيط الى الخليج » كانت رغم مشاعر الحب القوية تؤمن أن العاطفة العاقلة هى أحد الأسس التى يقوم عليها التغيير ، لذلك فحين عرض عليها الزواج كانت (اللا) هى الجواب . كان رفضها للزواج من الحبيب هو « رفضا للهزيمة ولكل شرائح الهزيمة ولجميع بنيات المجتمع المهزوم » .. كانت ترفض المثقف الذى لم يستطع أن يوجد حيث يجب أن يكون ، هناك مع القاعدة مناضلا ثوريا مساهما فى رفع الغشاوة عن العيون ، حاملا معوله ومشاركا فى عملية الهدم ولا يهدأ حتى يتم مرحلة بناء البديل الصحى ، رفضت عرض الزواج رغم ما يمثله هذا العرض من عذوبة واختارت أن تبحث لحياتها عن معنى عن طريق العمل ، اختارت مهنة التدريس لأن « التدريس سيمنح لشعورى بالمسئولية نوعا من الاطمئنان » ، فعلى الكراسى بواكر طرية يجب انقاذها من التيه الذى يعانى منه انساننا العربى ،

وهكذا لم يعد الحب يفجر الشعور بالأثم ولكنه أصبح يفجر الشعور بالمسئولية ، بالصدق مع النفس ومع الآخرين ، بالامانة وبوضوح الرؤية . ولكن يحق للمرء أن يتوقف ويتساءل : ما الذى حدث ؟! .

هل ارتفاع نسبة التعليم جعل المرأة اكثر وعيا وأكثر إدراكا لموقعها فى المجتمع كمواطن حر له كل الحقوق وعليه كل الواجبات ؟ هل خروج المرأة للعمل جعلها اكثر احتراما لذاتها ولحريتها واستقلالها وكرامتها وأشبع احساسها بأهمية دورها فى المجتمع ؟ هل حاصرت المرأة الهموم وجثمت على أنفاسها حتى أصبح « ارضاء القلب ترفا وسط انقاض الموت والدمار فى عالم هو عالمنا » كما تقول خناثة بنونة ؟ وأسأل مع السائلين : هل تاه منا زمن البراءة وانقضى العصر الذى كنا نلتف فيه صغارا حول حواديت جدتى حين كان القلب خال والوهج فى العيون والشوق الى الحياة يزغرد بالفرح فنصفق فى نشوة حين تنتهى حكاية الشاطر حسن مع ست الحسن والجمال وحين كانت تنتهى كل الحكايات بانتصار الخير وزوال الشر وزواج الحبيبة من حبيبها ليعيشوا فى التبات والنبات ويخلفوا صبيان وبنات ؟ ..

لويس عوض والتنوير

بقلم : د. مراد وهبة

فى الاسبوع الاخير من شهر نوفمبر الماضى عقدت ندوة فلسفية فى القاهرة بالتعاون مع معهد جوته والمجلس البريطانى عن (التنوير والثقافة) وكان فى مقدمة الذين وجهت اليهم الدعوة هو المفكر الدكتور لويس عوض وقد قبل المشاركة ببحث ولكنه للاسف لم يتمكن من ممارسة هذه المشاركة بسبب وعكة صحية المت به قبل انعقاد الندوة بيوم واحد .

● وايا كان الامر فهذه الدعوة تعنى فى تقديرى ، ان ثمة علاقة بين لويس عوض والتنوير . ولبيان طبيعة هذه العلاقة يلزم تحديد معنى التنوير ، وتحديد الرؤية الادبية للويس عوض .

تحديد معنى التنوير . يلزمنا بالعودة الى القرن الثامن عشر وهو القرن المشهور بانه قرن التنوير ، والتنوير من صنع فلاسفة أوروبيين ياتى فى مقدمتهم الفيلسوف الالمانى العظيم عمانويل كانط ومقاله المشهور عن التنوير بعنوان « جواب عن سؤال : ما التنوير ؟ جاء فيه ان التنوير هو هجرة الانسان من اللارشد واللارشد هو عجز الانسان عن الافادة من عقله من غير معونة الاخرين ، وعجزه عن الجراة فى اعمال عقله . ومعنى ذلك فى تقديرى ان التنوير هو الا سلطان على العقل الا العقل نفسه ، اى هو استقلال العقل .

والسؤال اذن :

استقلال العقل عم ؟

والجواب عن هذا السؤال يستلزم قراءة متانية لكتاب « نقد العقل الخالص » . ففى مفتتح الطبعة الاولى لهذا الكتاب يقول كانط ان للعقل خاصية تميزة وهى انه محكوم بمواجهة مسائل ليس فى الامكان تفاديها . فهى مسائل مفروضة عليه بحكم طبيعته . بيد ان العقل «عاجز» عن الاجابة عنها . وهذه المسائل تدور على مفهوم « المطلق » سواء وصفته بانه الله أو الدولة . ولهذا فان تاريخ الفلسفة ، عند كانط ، هو تاريخ هذا العجز . وهنا يميز كانط بين حالتين : حالة « البحث » عن اقتناص المطلق ، وحالة « اقتناص » المطلق . والامر الواقع ان ثمة محاولات عديدة مارستها البشرية فى البحث عن المطلق



د . لويس عوض

ولكن تصور اقتناص المطلق بطريقة مطلقة . يوقع الانسان في «الدوجماطيقية» أي في توهم أنه مالك لحقيقة مطلقة وهذا هو مغزى قول كانط « لقد أيقظني هيوم من سباتي الدوجماطيقي » . وكانت هذه اليقظة بسبب رأى هيوم في مبدأ العلية القائل بأن هذا المبدأ ليس قضية تحليلية ، أي أن المعلول ليس متضمنا في العلة تضمنا ضروريا ، وأن هذه الضرورة التي تبين للعقل ليست الا عادة قد تكونت بتكرار التجربة ، والتجربة لا تتسم بالضرورة وانما بالاحتمال . واستنادا الى استبعاد « الضرورة » عن مبدأ العلية تتهاوى الادلة التي تستند الى مبدأ العلية في اثبات وجود الله ، ومن ثم يتشكك الانسان في امكان اقتناصه المطلق . ومعنى ذلك ان أية حقيقة هي حقيقة « نسبية » . ومع ذلك فان الحقيقة النسبية ليست بمعزل عن الحقيقة المطلقة كل ما هنالك ان اقتناص الحقيقة المطلقة ليس الا مجرد « اشتهاء » .

هذا عن تحديد معنى التنوير فماذا عن الرؤية الادبية للويس عوض ؟ الجواب عن هذا السؤال وارد في مؤلفاته ومقالاته على الاطلاق ، ولكنه وارد على التخصيص في كتيب بعنوان « المسرح المصرى » . وانتقائي لهذا الكتيب الهام مردود الى قول لويس عوض أن مؤلفه هذا عبارة عن بحوث كان قد نشرها في جريدة «الجمهورية» في الاعداد التالية بحسب ترتيبها : ٣ يناير ١٩٥٤ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٦، ١٩ فبراير، ٥ ، ٧ مارس ١٩٥٤ (١) واللافت للنظر هنا أن جريدة «الجمهورية» هي جريدة الثورة وكان لويس عوض احد كتابها ، وانه قد فصل من الجامعة في سبتمبر ١٩٥٤ بقرار من مجلس قيادة الثورة ، اى بعد الانتهاء من اخر مقال بنصف عام ، الامر الذى من شانه ان « يوحى » بأن هذه المقالات كانت من أسباب اتخاذ هذا القرار .

فهل ثمة مبرر لهذا الايحاء ؟

الجواب عن هذا السؤال يستلزم تحليل مضمون هذه المقالات ، وتحليل فكر الثورة في عام ١٩٥٤

ان الفكرة المحورية لهذه المقالات تدور على تحديد العلاقة بين الفن والدين . ولويس عوض يتخذ من المسرح المصرى الفرعوني أساسا لتحديد هذه العلاقة . والمقالة الاولى شاهدة على ذلك فعنوانها « مأساة الانسان بين الفن والدين » . وتكمن هذه المأساة في قول لويس عوض بان « المسرح المصرى نشأ في احضان الدين اولا وترعرع في احضان الدين ثانيا وشاخ في احضان الدين ثم

(١) لويس عوض ، المسرح المصرى القاهرة ، دار ايزيس ، ص ٧١ .

مات اخيرا فى احضان الدين • ولعله فى بعض مراحله قد خرج من تصوير الحياة الدينية الى تصوير الحيـــاة الزمنية ، ولكنه رغم ذلك لم يخــرج عن دائرة الطقوس التى فرضها الدين عليه » (٢) •

تفصيل ذلك :

ولد الفن فى احضـــان الدين لان المأساة الكبرى التى كانت تمثلها هى مأساة الاله المعذب ، اله الخصـــب أوزوريس • وموجزهـــا أن الالـــه أوزوريس قد قتله اخوه الاله ست • ومع ذلك فقد حملت ايزيس زوجـــة أوزوريس بالروح القــدس دون أن يمسسها زوجها ، وقد حدث الحمل اثر طوفان ايزيس بجثة زوجها أوزوريس، وكان الاله حوريس هو اسم المولود ، وقد لقب بالمخلص لانه اســتطاع يقهر ست ويخلص الدنيا من شروره وقد صور المصريون هذا الصراع بين الالهة على انه صراع بين أوزوريـــس كرمز على قوة الخير وست كرمز على قوة الشر ، وقد انتهى هذا الصراع بقهر الخير للشر •

هذه هى مأساة أوزوريـــس ، وهى أول مسرحية عرفها التاريخ خرجت من قلب مصر وكان مسرحها « المعبد » • وكان من الممكن أن تخرج من هــذه المأساة أخلد المآسى لولا أن الكهنـــة حبسوها فى « أسرار العبــاد » ولــم يخرجوا بها الى النطاق الدنيوى •

وبعد ذلك يقارن لويس عوض بين المسرح المصرى والمسرح اليـــونانى فيقول بأن اليونان قد اخذوا من مصر مسرحها وتعلموا منها ما لم يفعـله المصريون • خرجوا بهذه الاسرار من المعابد الى الهواء الطلق وحرروا الفن من الدين فاستخرجوا من فكرة الاله المعذب فكرة البطل المعذب ، ثم انشأوا عليها مسرحا فيه من الدنيا اكثر مما فيه من الدين " (٣)

وبعد ذلك يكشف لويس عوض عن فارق آخر بين المسرح المصرى والمسرح اليونانى ، وهو أن المسرح المصـــرى لا يخرج منه مسرح وانما تخرج منه ملحمة كبرى تتصارع فيها قـــوتان واضحتان هما قوة الخير متمثلة فى الاله أوزوريس وقوة الشر متمثلة فى ست • أما المسرح الحقيقى فهـــو المسرح الذى يقوم على الصراع وهو صراع مركب وليس صراعا بسيطا ، هو صراع بين الخير والشر ولكن فى داخل شخص واحد وليس بين شخصين وعندئذ يكون البطل وحده هو محور ذلك الصراع فيتضارب فيه الخيـــر والشـــر (٤) مثـــال ذلك مأســـــاة بروميثيوس الذى انضم الى صفوف البشر حين نشب خلاف بينهم وبيـــن كبير الالهة جوبتر فى شأن القرابين ، وغش جوبتر فى شىء من نصيبه فأمر جوبتر بحرمان البشر من النار فرفعت عنهم النـــار • ولكن بروميثيوس صعد الى الشمس مرة اخرى وعـــاد بالشعلة الى مخلوقاته فلما انتهى الى علم جوبتر أن بروميثيوس « سرق » النار الالهية وردها الى البشر غيـــر مبال بأوامره قيده الى صخرة شاهقة

---

(٢) المرجع السابق ، ص ٢

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٤

(٤) المرجع السابق : ص ٤٨



مسرحية ايزيس لتوفيق الحكيم ، كرم مطاوع وسهير المرشدى

وجرد عليه نمرا ضاريا ينهش كبده كل نهار · وقد تحمل بروميثيوس هذا العذاب ثلاثين الف سنة حتى قتله هرقل بالنسر وفك عن بروميثيوس احفاده · من البين هنا أن مصرع البطل ، فى الدراما ، ضرورى وفاء لخطيئة ارتكبها ، ولا سبيل الى التكفير عنها الا بدمه · والمتفرج يهتز لمصرع البطل لان مأساة البطل هى مأساة كل انسان (٥) ·

● **الرؤية الادبية والتنوير**

ويخلص لويس عوض من هذه المقارنة بين المسرح المصرى والمسرح اليونانى الى أن المسرح المصرى هو مسرح ملحمى حيث القسمة الثنائية حاسمة بين الخير والشر او بين الله والشيطان ، وحيث الاحكام مطلقة اذ اننا لا نرى فى الناس الا بياضا ملائكيا أو سوادا شيطانيا · أما ادب المسرح فالبطل فيه قلق وثائر ومضطرب لا يعرف الامان لا فى داخل نفسه ولا فى خارجها · ومن هذه الزاوية فان المسرح الملحمى ينشأ فى المجتمع الريفى حيث المطلقات سائدة ، وادب المسرح ينشأ فى المدينة أو المدنية لانها خالية من المطلقات · وحيث أن مصر مازالت مجتمعا ريفيا ، فليس ثمة مسرح ، ولا أمل فى تأسيسه الا اذا تأضلنا من أجل تحويل المجتمع المصرى من مجتمع مدنى أو بالادق تحويله من مجتمع دينى الى مجتمع علمانى حيث العلمانية تدور على النسبى وليس على المطلق ·

يبين مما تقدم أن ثمة علاقة حميمة بين الرؤية الادبية للويس عوض والتنوير · واذا كان ذلك كذلك فهل قصد مجلس قيادة الثورة من قراره بفصل لويس عوض من الجامعة ادانة التنوير أو بالادق ادانة « العلمانية » أساس التنوير ؟

الجواب عن هذا السؤال يستلزم تحليل فكر مجلس قيادة الثورة ، كما يستلزم مقالا اخر ·

---

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٠

كتاب قديم جديد !

رؤية وسيم خالد ... فى الستينات تتحقق فى التسعينات

بقلم : د. سلوى أبو سعده

يحدد المؤلف منذ السطور الأولى للكتابة فكرته المحورية وهى اعتقاده الراسخ بان التناقض الرئيسى فى عالمنا هو التناقض الكامن بين معدل التبادل بين المواد الخام والسلع المصنعة ، بينما يأتى التناقض بين الشيوعية والراسمالية فى مرتبة ثانوية (ص ٤)

هذا هو الخيط الذى تتبع وسيم خالد اثاره وردود افعاله اثناء زياراته العديدة لدول اوربا الشرقية مركزا على الاثار الناتجة عن ارتقاء العالم الشيوعى الى مرحلة الدول الصناعية الناضجة ليواجه ولو بدرجة من الدرجات نفس مشاكل المجتمعات الصناعية الغربية الناضجة ، او الناتجة عن اتساعه بحيث أصبح يضم دولا متباينة المستوى الاقتصادى ثم عن دخوله التجارة العالمية كمصدر للسلع المصنعة ومستوردة للمواد الخام فاصبح العالم الاشتراكى بدخوله ميدان التجارة الدولية طرفا ثالثا فى الموضوع .

لذا طرح المؤلف سؤالا جوهريا كان هاجسه فى كل حواراته ومناقشاته التى أجراها مع العديد من مسئولى الدول التى زارها . (المانيا الديمقراطية ـ تشيكوسلوفاكيا ـ رومانيا)

يقول : "إذا كانت الدول التى تبيع المواد الخام تخسر فى تجارتها مع الغرب فهى تخسر بالمثل فى تجارتها مع الشرق !

كيف يمكن ان تحل مشكلة المواد الخام عموما ؟ وما الدور الذى يستطيع ان يقوم به العالم الاشتراكى الذى يؤمن بالطبع بنظرية اشتراكية فى القيمة تقول ان العمل وحده هو اساس القيمة ؟

إذن كان وسيم خالد يعتقد ان العالم ينقسم فى شكل مادى الى عالم دول صناعية وعالم تبيع المواد الخام وبما ان الدول التى تبيع المواد الخام تواجه نفس شروط التجارة فى كلتا الحالتين فيما اذا باعت للغرب او للعالم الاشتراكى ، فالموقف يتطلب معالجة جديدة ، فاذا لم يحسم الموضوع فإنه سوف يثير اشكالات داخل العالم الاشتراكى نفسه .

أما على الجانب الآخر فيما يتعلق بدول الغرب الصناعى فقد ركز المؤلف على خطورة قيام السوق الاوروبية المشتركة واعتبر ان من اهم العوامل التى عجلت بقيامها انتصار المصريين فى بورسعيد واعتبرها "اداة تستطيع ان تعيد الى حضارة اوروبا الشائخة شبابها ، واذعن الشعور القومى داخل الدول الست المشتركة فيها (الكتاب صادر فى سنة

يطرح وسيم خالد انطباعته وتحليلاته بل ومخاوفه كواحد من أبناء الدول الفقيرة في أوائل الستينات بعد ثلاث زيارات متقاربة لبعض دول المعسكر الاشتراكى وهى تنبئوات وتوقعات تتاكد الواحدة تلو الاخرى مع بداية عقد التسعينات الجديد ، مركزين فى عرضنا لها على ما جاء فى فصول الكتاب الثلاثة الاول من بين الخمسة فصول التى تضمنها الكتاب .

سور برلين .. اشلاء حجرية علـى الجانب وسيـم خـالد



كتاب قديم جديد !

٦٣) ليفسح المجال لقومية اكبر هى القومية الاوروبية البيضاء الغربية نوع من الاستعمار الجماعى نوعا من المواجهة الجماعية الأوروبية لشعوب المستعمرات ... وربما لايزال علينا ـ ما لم تحدث تغيرات جذرية ـ ان تواجه ثقلها السياسى عندما يستنفد توسيع السوق إمكانياته الداخلية بالنسبة لاقتصاديات راسمالية فتعود الى المنهج التقليدى لتحاول ان تسيطر على الاسواق الخارجية وهى التى تفقدها بالتدريج لمجرد ان قيام هذه الوحدة الاوروبية يفقرها اكثر فأكثر ، وبأسلوب مبسط فقد تضمن قيام السوق الاوروبية بالفعل زيادة حجم التبادل بين اعضائها ولكن على حساب الدول الاسيوية الافريقية المصدرة للمواد الخام لان قواها الشرائية نقصت مع انهيار اسعار صادراتها من المواد الخام المترتب على قيام السوق الاوروبية ...

ولذلك فإن امام دول عالمنا الثالث ـ كما تصور وسيم خالد ـ « معارك مستمرة قاسية ، لان اوروبا لن تستسلم لمصيرها ابدا »

ونفور الكاتب من الكتل الاقتصادية الكبيرة لم يقتصر على السوق الاوروبية فقط ، بل نجده يرفض ايضا « الكوميكون » فى المعسكر الاشتراكى لانه يضر حتما بمصالح الدول الصغيرة وتوقع ايضا ان العامل القومى سيقف بداخل تلك الدول حيث ستتخذ الكوميكون قرارا بايقاف اية صناعة ضد هذا التنظيم المفروض فى الخارج .

● مواجهة حركات التحرير

ورفض الكاتب الفرضية التى كان يطرحها بعض الالمان الشرقيين من ان السوق الاوربية المشتركة ستنهار من الداخل لافتراض أن السوق المشتركة قد قامت لمواجهة الخطر الشيوعى بحيث يمكن ان تتفكك مع ارتخاء الحرب الباردة بينما السوق قد قامت ـ كما حاولت ان اوضح لهم ـ لمواجهة خطر حركات التحرير كنوع من الاستعمار الجماعى بحيث لاتتأثر بالحرب الباردة ... ومرت السنة واجتازت السوق المشتركة ازمات عديدة لتخرج منها اقوى مما كانت كأداة عدوانية فى مواجهة حركات التحرير ».

وركز المؤلف هنا على اسباب تحرك العامل القومى ضد التكتلات الاقتصادية وخاصة الكوميكون ضاربا برومانيا المثل وهى الدولة التى سبقت غيرها فى التطبيق الشيوعى فيقول فى الصفحة ٥٦ :

ـ لو كان تقسيم العمل الدولى يتيح مبادلة عادلة بين السلع المصنعة والمواد الخام لما اكترث الرومانيون بأن يقيموا صناعة ثقيلة او لا يقيموها ولكن الوضع هو ان المشكلة لم تحل بعد ...

العامل القومى هنا هل سنأخذه كعامل مادى ام معنوى ؟

انه يمثل فى الحقيقة العلاقة المتبادلة بين العاملين ، وهذا هو المهم فى الموضوع ـ دراسة التفاعل بين العوامل المادية والمعنوية مع التسليم بوجود كل منهما فى شكل مستقل ولايعنى الاعتماد على مجرد العوامل المادية فى التحليل سوى تحليل ضحل ساكن لأنه يسقط العوامل الاخرى كلها من الحساب بكل بساطة . ويستطرد وسيم خالد فيقول :

« الشىء المذهل ان هذا الاحساس بالقومية وما يصاحبه او يسبقه من رغبة الاحزاب الاوروبية فى اتخاذ قراراتها وفقا لمصالح بلادها اولا ولو ضد قرارات مركزية يفترض انها تحقق مصالح الدُولية فى الاجل الطويل .. والشىء المذهل ان هذا الشعور

بالقومية تشوبه ايضا خيوط بيضاء اكيدة على الاقل وسط الناس شبه العاديين .

وهذا الشعور بالقومية كان المحور الرئيسى الثانى الذى حاول الكاتب تحليله والوقوف على ابعاده وخلفياته لتقرير مدى اصالة - هذه الخيوط البيضاء - او هذه الدرجة من الاحساس بالاوروبية التى بدأت تغرب فى شرق اوروبا وتشوب هذا الاحساس المتزايد بالقومية على حساب الدولية . مستعرضا كيف نمت عقدة العظمة لدى الشعب الألمانى ، وكيف تمكنت الاحزاب الاشتراكية الاوروبية فى غرب اوروبا وكيف انه من الممكن التبشير بالاشتراكية فى قارة تعيش على الاستعمار تماما كما لايمكن القول بان اثينا مثلا كانت ديمقراطية وهى التى كانت تمتلك العبيد مما حتم هجرة الاشتراكية الى الشرق حيث كان يمكن ان تحتضنها المتناقضات الاستثمارية التى كان يعانى منها الشعب الروسى عندئذ .

ويستطرد وسيم خالد :

« وبالطبع فأنا لا ادعى اننى استطيع الحكم من خلال الايام القليلة التى امضيتها فى المانيا الديمقراطية على طبيعة الجهود التى تبذلها السلطات هناك فى مجال اعادة تثقيف الشعب الالمانى الا ان الملاحظة السريعة التى خرجت بها خلال اقامتى القصيرة هى ان هذه الجهود يوجه معظمها ضد "النازميزم" ضد "الفاشيزم" ضد "المليتاريزم" ضد "الستاليتزيم" .. وهى قائمة طويلة تنتهى كلها "بالايزم" وتشمل الفاشية والنازية والعسكرية والاحتكارية والستالينية والاستعمارية ... واحس ان قائمتهم ينقصها بند آخر كان عليهم ان يحاربوه ايضا وهو الاوربيانيزم او بقايا الجرمانيزم التى مازالت تسيطر عليهم ، اننى بطبيعة وضعى كرجل جاء من بلاد تحارب الاستعمار اميل - ربمادون إرادة واعية منى - الى تجسيم المشكلة الاستعمارية ولكننى اعتقد ان اعادة تثقيف الشعب الالمانى تتطلب معاملة الاشتراكية لا كمجرد قضية اوروبية ولكن كتراث انسانى ، تتطلب ليس مجرد شرح المتناقضات الكامنة فى النظام الراسمالى وازدياد سحق الطبقات العاملة ولكنها تتطلب ايضا شرح الاستنزاف البشع الذى تتعرض له شعوب المستعمرات والذى يجعل لفائض القيمة مدلولا ينصرف بأكملها لامجرد مدلول طبقى » .

« لقد كنت اخاف بدورى .. رغم كل شىء - كرجل مصرى اسمر او حنطى اللون من الوحش الابيض المتعصب الذي لمسته ينمو كالخلايا السرطانية على مر السنين داخل اوروبا الشرقية نفسها ، كنت اعى انه مهما اختلفت اشتراكيتنا عن اشتراكيتهم فان الاشتراكية وحدها - من اى نوع - هى التى تستطيع حتى مع الخيوط البيضاء التى بدأت تضرب فى الاشتراكية الاوروبية الشرقية ان تهذب مشاعر التعصب البيضاء وتكبحها .. وانها برلين قلب اوروبا الغربية ويتوقف على قراراتها ربما قرارات اوروبا بأسرها ».

وينتقل المؤلف الى مسألة سور برلين وكيف انه فشل فى ان يحس بأى رهبة امام السور .. بل اكثر من ذلك « لقد فشلت فى ان احس بان القوى الحقيقية المتصارعة على جانبيه تأخذه كشىء جدى ... «الالمان الشيوعيون يأخذونه - يقصد السور - فى يساريتهم كشىء جدى ، ربما كانوا هم انفسهم اصحاب فكرته رغم معرفتهم بكل الاثار الاقتصادية المترتبة عليه وصناعاتهم تعتمد الى حد كبير على صناعات الغرب .. بل وتكاد تكون متكاملة معها لقد كانوا يعرفون مقدما ان اقتصادهم قد يواجه هزة عندما تتصلب المانيا الغربية ، تفوق ربما خسارتهم

كتاب قديم جديد !

من التهريب والمعدلات المختلفة للمارك ، ولكنهم كانوا دوما على استعداد للمضى فى أى اجراء يمكنهم من المضى فى تجربتهم »

- وينتقل المؤلف هنا الى تحليل المواقف التى كانت تقف وراء سياسة كل من القوتين العظميين حول مسألة سور برلين فيقول :

● تخريج ذكى

« اما القوى الحقيقية المتصارعة ذات الوزن الاثقل فلم تأخذه هذا المأخذ لقد كان السوفيت يستطيعون لو ارادوا ان يحسموا الامر ويمضوا معاهدة الصلح كما اعلنوا مرارا مع المانيا الشرقية ويجلبون على انفسهم رد الفعل الامريكى الحتمى حتى ديارهم ، ولا مجال هنا للتردد فلن يسلم احد الطرفين للآخر فى شكل مطلق فى المانيا لان المانيا تعنى اوروبا . ولكنهم لم يعمدوا الى الحسم اكتفوا ببناء السور ، مناورة انتظارية تجبر خصمهم على التحرك ، وتقبله الامريكيون فى قرارة انفسهم كالبديل الوحيد الذى يجنبهم اللجوء الى الاشتباك المسلح لو عمد الروس الى الحل الاخر ونفس حكاية تصدى الجنود الالمان الديمقراطيين للدبابات الامريكية بصدورهم يوم اقتحمت برلين الشرقية حتى اعادوها الى الغربية او عودة الدبابات الامريكية من تلقاء نفسها - باى صيغة رويت - تقطع بأن الامريكيين لم يكونوا يريدون ان يذهبوا الى آخر المدى لإحراج الروس وتحطيم السور ... **كان السور فى الحقيقة تخريجا ذكياً ، .. يحمى كرامة كل من الطرفين فى هذه اللعبة التى تعتمد على الهيبة** ان كلاً من الطرفين فى موقف متخشب بالفعل لايسمح له بالتراجع خطوة واحدة لان الخطوة الواحدة الى الوراء قد تعنى انهيارا كاملا

وحول نفس النقطة يكمل المؤلف شرح اسباب خوفه من هذا الوحش الابيض فيقول :

السوفيت يخافون وقوع اوروبا الشرقية والامريكان يخافون وقوع اوروبا الغربية ... ومن هنا كانت براعة فكرة السور التى جنبت الطرفين اللجوء الى ما هو امر منها والتى تسمح فى نفس الوقت بتوفير عنصر الزمن وهو الذى تحتاجه عوامل التقارب المادى بين المعسكرين الروسى والامريكى كى تزاول مفعولها !! ونظرت الى السور لا كذروة من ذروات الحرب الباردة بل كأحد ادلة تراخيها »

- ويصل وسيم خالد الى النقطة الجوهرية التى كانت سببا وراء كل ما يعترى الساحة الدولية ايدولوجيا وسياسيا واقتصاديا من تغيرات ونقلات جذرية مفاجئة فى سرعة رتمها فاق حد تصورات جورباتشوف واضع البريسترويكا عندما يطرح فى صفحات ٧٠ - ٧١ :

.... «الاتحاد السوفيتى ينتقل بعد تقدمه المادى الذى حققه خلال صراع مرير مع الغرب الصناعى والقوى الاستعمارية الى مواجهة نفس المشاكل التى يواجهها هذا الغرب الصناعى بشكل من الاشكال ويزداد حساسيته للذبذبات التى تعتريه مع زيادة تجارته الخارجية معه وينادى بالتالى بالتعايش السلمى الذى يمكن ان تقبله عناصر كثيرة فى الغرب على اساس لاسبيل الى تجاهله .. انها طبيعة المرحلة التى تفرض كل المواقف التى يتمسك بها ... انها طبيعة المرحلة التى يمر بها التركيب المادى لكل مجتمع هى التى تحدّد مواقفه .. إنه العامل القومى فضلا عن أن طبيعة المرحلة المتقدمة التى تمر بها اقتصاديات العالم الشيوعى الاوروبى تفرض نوعا من التقارب بينه وبين المشاكل التى يواجهها الغرب بل وتكاد تفرض نوعا من التقارب مع الغرب ... وتكاد تفرض شيوعية ذات قومية اوروبية .. !!



الروائى السوفييتى المعاصر : حياته واعماله

بقلم الكاتبة السويسرية : ازريان ريناالدى
ترجمة وإعـــداد : عمرو كمال حموده

« هاهى أرواح الموتى تصدر صيحات مؤلمة تنغز حياة الاحياء من البشر .. تلك الحياة الممتلئة بالخطايا المروعة والأخطاء المريرة والمفارقات التاريخيـة .. إن تلك الصيحات تشير الى مسلسل الاوضاع اليومية الأليمة التى تقع امام بصر كل واحد منا فى كل يوم .

كنت حريصا باستمرار على ادخال عدة فقرات مثيرة ومستفزة فى كتاباتى ، على امل ان يهاجمنى البعض ويكرهوا مافعلته ، فيصيبهم الغضب ، ومن ثم يتولد ما رجوته وهو « الحقيقة »!



ميخائيل بولجاكوف

اذا كنت قد اخترت هذه الفقرة من « رسالة الى مجهول » التى كتبها الروائى الروسى الراحل جوجول عام ١٨٤٣ لاستهل بها دراسة عن بولجاكوف .. فلانها تعبر عن الفكرة العامة والخط الرئيسى فى كتاباته وهو دفع القارىء المتلقى كى يفكر معه ، بل يتمادى الى حد استفزازه وتوجيهه لرفض الرؤية الخارجية للاشياء وللاحداث المعاشة ، والغوص فى باطنها استجلاء للحقيقة ووصولا اليها .

ميخائيل بولجاكوف

وعندما شرعت فى دراسة حياة واعمال اديبنا بولجاكوف لم افكر فى مجرد ابراز مأساة حياته الكئيبة وحزنه الشخصى بسبب الاضطهاد المستمر لكتاباته اثناء حياته ، ومحاولات الطرد المستمر له من الساحة الأدبية والتى نجحت حتى وفاته .. الى ان عرف النجاح والمجد بعد ذلك عندما عادت مؤلفاته للظهور والانتشار مع بداية عام ١٩٦٢ .

كذلك لم افكر فى مجرد تقديم رصد وكشف بمجموعة مؤلفات بولجاكوف الابداعية وعلى راسها رواية « المعلم ومارجريت » الفذة والتى لم تشفع له لدى سلطات الرقابة حتى انه واجه سبابا وقذفا فى حقه ! فان بولجاكوف قد كتب نحو اربعين عملا مسرحيا لم يسمح له الا بعرض اثنين فقط ! بل أن مسرحيته الاولى التى عرضت على خشبة المسرح وهى « يوميات توربين » لم يسمح لها باستمرار العرض - ويا للمفارقة ! - الا بقرار من ستالين الذى افتى بان فوائد المسرحية اكثر من اضرارها وقال ايضا : « ان بعض الشخصيات من البشر مثل توربين يجب ان يقروا بعجزهم .. فى حين ان البولشفيك نمط لايقهر »

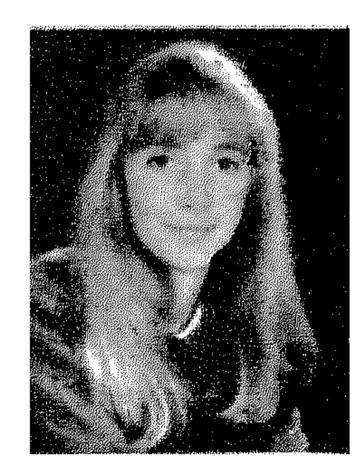
ومن ثم كان دافعى للكتابة والتنقيب فى حياة بولجاكوف كما ذكرت من قبل .. هو اظهار الفكرة العامة والخط الرئيسى فى ابداعاته ، حيث نجد امامنا فى كل لحظة وعند كل منعطف ثنائية الوهم والحقيقة .. السخرية والحزن .. الامل واليأس من خلال كم زاخر من الشخصيات التى تتزاحم فى الروايات والمسرحيات وتختلط فيما بينها .. رغم انها تعبر عن مستويين واضحين فى حياة الناس : الظاهر والباطن .

وربما كانت مسرحية LA CABALE Des Dêvots « المؤمنون المتآمرون » والتى سنعرض لها بشىء من التفصيل فيما بعد نظرا لمحوريتها ضمن اعمال بولجاكوف الابدايعة ، فان هذه المسرحية تبرز الدليل على هدفنا الاساسى من دراستنا لحياته واعماله .. فهو هنا يقدم عالما زاخرا أشبه بدوامة من الاحلام والرؤى فنجد ممثلين هزليين وفلجعة عائلية وانبياء مزيفين وكانك امام زوايا دافقة بالحيوية ، تصيبك بالدهشة حينما يلتقى اليقين التاريخى بما هو أعلى منه : احتمالات الحياة المفتوحة والتى يصعب السيطرة عليها .

وبالسخرية الاقدار .. فلقد اصاب الغم والكدر قلب بولجاكوف عندما رفضت السلطات الرقابية استمرار عرض روايته ، ولكنه خرج من تجربته تلك بفهم أوضح للامور وقال جملته المشهورة : « لايجب عليك ان تبذل جهدا كبيرا فى تسليط الاضواء على الشيطان فى حين انه موجود فى كل مكان من حولنا .. وكل الناس يعلمون ذلك »!

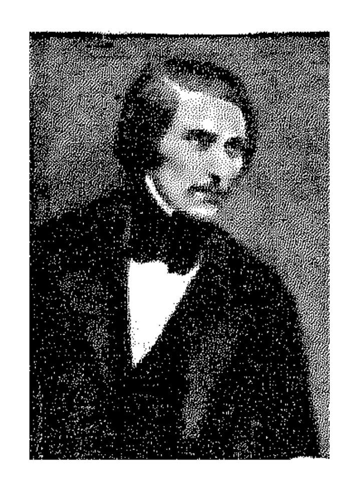
ولد ميخائيل بولجاكوف فى مدينة كييف عام ١٨٩١ ، ابنا لمدرس بكلية اللاهوت فيها ، وامضى بولجاكوف حياته التعليمية تلميذا فى مدرسة الليسيه الفرنسية ثم تخرج بعد ذلك فى كلية الطب عام ١٩١٦ .

وعمل بعد تخرجه كطبيب باحدى المدن الريفية بمقاطعة سمو لنسك وكانت مهنة الطب بالنسبة له مجرد مجموعةمن



الباحثة السويسرية

اريار ريبالدى



جوجول

الممارسات الحرفية التى لاتخضع لفن معين .

ولكنه أخرج عن هذه الفترة مؤلفا بث فيه خواطره ومشاهداته وجزءا من سيرته الذاتية عن تلك الفترة من حياته واسماه « اقاصيص طبيب شاب »

ثم حزم بولجاكوف امره وبدءا من عام ١٩١٩ كرس حياته تماما للادب ، واخذ فى الكتابة فى الصحف لبعض المسرحيات القصيرة والتى فقدت ولم نعد ندرى عنها شيئا . واخذ يجوب أعماق روسيا .. فزار تفليس وباتوم وفلادى كافكاز (القوقاز) ثم استقر بعد فترة وحتى وفاته فى موسكو مع بداية عام ١٩٢١ .

وبدأت ابداعاته فى الظهور مع صدور أول رواياته وهى « الحارسة البيضاء » والتى نشرها فى المجلة الروسية من خلال جزءين فقط لتوقف المجلة عن الصدور على حين ظهر الجزء الثالث عام ١٩٦٦ فى مجلة « مختارات أدبية » ولم يفطن اليها احد رغم ان الرواية قد مثلت على مسرح الفنون عام ١٩٢٦ .

ولاقت مسرحية « يوميات توربين » نجاحا ملحوظا ازعج السلطات الرقابية على الأدب لانها المرة الاولى ، وفى وقت مبكر ، تظهر مسرحية تتناول الحرب الاهلية اثناء ثورة اكتوبر الاشتراكية فى اقليم اوكرانيا بالتحديد مصورة انقسام الشعب هناك بين « البيض والحمر » اى قوى الرجعية المحافظة من جهة وقوى الثورة الجديدة من ناحية اخرى .

ولقد ولّدت هذه المسرحية الشكوك والريبة فى بولجاكوف ، ومعها بدأت تنتشر وتتزايد بؤر وبثور الظنون من حوله وحتى اخر يوم فى حياته . شكوك تنخر فى كل عمل من اعماله .. لماذا كتبت بهذه الطريقة ؟ وماهى مراميه الخفية وراء كل جملة أو كلمة فلسفية او هزلية كانت .

الى ان ضجت الرقابة فمنعت استمرار عرض المسرحية كذلك منعت عرض مسرحية « السباق » والتى ظهرت على خشبة المسرح فى عهد خروشوف عام ١٩٥٧ ! كما حذف من الريبرتوار « شقة زوا » ومسرحية « الجزيرة الارجوانية » الى ان صدر قرار نهائى بمنع عرض وتمثيل مسرحيات بولجاكوف وسحب كل مؤلفاته المنشورة من دور النشر اعتبارا من نهاية عام ١٩٢٨ .

كان رد فعل بولجاكوف الصمت .. الى ان تمضى العاصفة حتى لاتعصف بروحه



وحتى يستمر فى ابداعاته .

وشرع فى تأليف دراسة ادبية عن حياة واعمال موليير وهو مشروع كان يراود تفكيره باستمرار . الا انه انتج مسرحية تتحدث فى الظاهر عن حياة موليير واطلق عليها اسم « المؤمنون المتآمرون » وهى فى حقيقة الامر صيحة لرفض الصمت وللرقابة ونقد لما كان يحدث فى المجتمع السوفييتى فى تلك الفترة .

ولهذه المسرحية اهمية خاصة ضمن اعمال بولجاكوف حيث اظهر لنا السيرة الذاتية لموليير دون ان يكون هدفه تاريخ حياة موليير ، بل عرض للشخصية فى تفاعلاتها بالجو المحيط والظروف الخاصة بها اى اتاح للشخصية الظهور على المسرح بكل انسانياتها وديناميكيتها ، وخلط ذلك بالخيال والرؤى والاحلام وكانه ساحر يبهرك حتى تفكر معه .. اين هى الحقيقة ياترى فيما نراه ام هى كامنة فيما وراء الحائط المرئى !

ومن خلال عرض حياة موليير كان تركيز بولجاكوف على اظهار معاناة الفنان او المثقف مع السلطة خاصة عندما تتصور السلطة انها تملك الحقيقة وحدها .. وتمتلك حياة ورؤى الجماهير . تبعا لذلك .. وتوارت احباطات بولجاكوف .. وراء احباطات موليير ، وتداخلت استبدادية لويس للرابع عشر مع ديكتاتورية ستالين .. وعبرت صراعات ومناورات الحاشية الملكية واجهزة الرقابة ورجال المسرح مع موليير .. عن نفس نوعية الالام وضيق الافق الذى مارسته اجهزة الرقابة والذين تصوروا انهم المخلصون للثورة البلشفية ضد بولجاكوف وكتابته بدون دراسة مستوعبة لها .

والمذهل ان البناء الفنى للرواية والتكنيك فيها كانا جديدين ، بذل بولجاكوف جهدا خارقا فى عملية الخلق وبطريقة غير مسبوقة تدل على مدى احترام الكاتب لعمله وعبقريته فى الوقت نفسه .

وتعد الفترة التالية التى اعقبت عام ١٩٢٨ من حياة بولجاكوف فترة مليئة بالغموض والالام معا . حيث واجه كمًا هائلا من المضايقات والمنغصات والملاحقات الرقابية من كل جهة سواء من لجنة الدولة للرقابة على المسارح والتى ترددت طويلا قبيل سماحها بعرض مسرحيته عن موليير على مسرح لينينجراد الذى وافق على تقديم المسرحية للجمهور ثم امتنع فجأة عن ذلك . وذهبت المسرحية الى ادارة مسرح موسكو للفنون الذى وافق على عرضها فى مقابل ادخال تغييرات وتعديلات على النص عصفت به واصبحت المسرحية بعد ذلك مختلفة تماما عن النص الاصلى !

ومن ناحية اخرى فان دار نشر « خورجاز » رفضت مؤلف بولجاكوف عن موليير لان العمل فى رأيها لايعبر عن الخط السياسى العام الذى ساد المجتمع والدولة السوفييتية فى تلك الفترة .

وخلال تلك السنوات الكئيبة حدث امر غريب .. فقد انتهى اليأس ببولجاكوف الى كتابة رسالة الى ستالين عارضا عليه البت فى مصيره ككاتب وكانسان على ضوء واحد من بدائل ثلاثة :

١ ـ اما ان يسمح له ستالين بممارسة عمله كروائى ودراماتورج (كاتب

مسرحى) ، لان فى ذلك حياته الحقيقية والروحية .

٢ ـ واما ان يسمح له بالنفى خارج البلاد .

٣ ـ والبديل الثالث ان يصدر ستالين امرا برميه بالرصاص !

ومضى عام كامل دون ان يرد عليه ستالين . وفى لحظة مثل القبس ، يتلقى بولجاكوف مكالمة تليفونية على غير موعد ، فيلتقط السماعة فيسمع على الجانب الاخر ضحكة مجلجلة ثم صوت ستالين يبلغه قراره .

١ ـ ان الاضطهاد سوف يرفع عنه

٢ ـ ان مسرح الفنون فى موسكو سيمنحه عملا .

٣ ـ وان مسرحيته « يوميات توربين » سيعاد عرضها وتمثيلها من جديد وبدأت الحيوية تدب فى حياة بولجاكوف .. وتنوعت نشاطاته فى عدة مجالات فاسند اليه العمل كمستشار للنصوص الادبية فى مسرح الفنون بموسكو وكذلك مسرح البولشوى .. وكتب بعض السيناريوهات وعدة كتيبات عن اعمال اوبرالية مختلفة ، ولكن الموقف السياسى منه لم يتغير بصورة جذرية .

فكان عليه ان يستمر فى النضال والصراع من اجل استنقاذ عمله المسرحى عن موليير ضد جورتشاكوف مخرج المسرحية وضد ستانسيلافسكى مدير المسرح .. ولكنه لم يستطع ان يتحمل اكثر من ذلك خاصة بعد ظهور المسرحية عام ١٩٣٦ ثم سرعان ماتم سحبها وقيام جريدة البرافدا لعدة اسابيع متوالية وبدون انقطاع بإدانتها ! ولكنه استطاع انجاز عملين مسرحيين الاول عن الشاعر بوشكين والاخر عن دون كيشوت ، وبالطبع لم تعرض هاتان المسرحيتان الا بعد وفاته .. ولكن بولجاكوف قرر التوقف عن الكتابة نهائيا للمسرح بعد المنع لهذه المسرحيات الثلاث ، وعاد على عقبيه الى احضان كتابة الرواية .

وخلال السنوات الثلاث او الاربع الاخيرة من حياته انجز عملين روائيين الاول اطلق عليه « الرواية المسرحية » أو « قصة مسرحية » وعبرت عن صراعه مع ادارة مسرح الفنون فى موسكو ، اما روايته الثانية فهى رائعته الفذة « المعلم ومارجريت » والتى نشرت فى المجلة الموسكوفية عامى ١٩٦٦ و١٩٦٧ بعد حذف اجزاء كبيرة منها .

وفى خريف عام ١٩٣٦ واثناء زيارة بولجاكوف لمدينة لينجراد داهمه المرض واصابته بولينا فى الدم فعاد الى موسكو حيث تدهورت حالته الصحية بشدة وفقد البصر الى ان توفى فى ١٠ مارس ١٩٤٠

ولم تنشر الجرائد اليومية عن هذا الاديب العظيم الذى تتخاطف الجماهير السوفييتية اليوم مؤلفاته سوى ثلاثة اسطر كنبأ عن وفاته دون رثاء وعندما وضع الكفن الخشبى الذى يحمل جثمان بولجاكوف داخل المقبرة لم يكن هناك اديب واحد له قيمة حاضر مراسم الجنازة .. فى حين وقف فى خشوع امام مسرح الفنون بموسكو وامام مسرح البولشوى جمع من الممثلين الكوميديين وعمال المسرح وقليل من جمهور بولجاكوف حدادا عليه ووفاء للفن العظيم وعظمة الأدب الشامخة وسط الثلوج والصقيع !



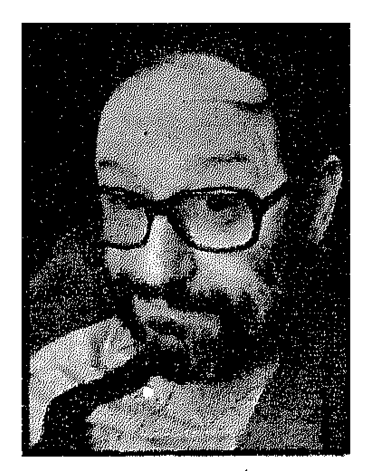
العالم في سطور

روما

روايات .. بملايين الدولارات

كان السؤال المثار حين نشر الكاتب الايطالي امبرتوايكو روايته الاولى "اسم الوردة" هو • هل يمكن لرواية واحدة فقط ان تصنع كاتبا ؟.. فقد حققت الرواية الاولى أعلى المبيعات في كل اللغات التي ترجمت إليها ، وقراها اكثر من اربعين مليون قارىء في انحاء متفرقة من العالم . وتحولت الى فيلم اشتركت في انتاجه ست دول اوروبية .

ومن خلال هذه الرواية أصبح ايكو نجم غلاف في العديد من الصحف والمجلات . وقيل انه اكثر



امبرتو ايكو

الشخصيات الأدبية التي ظهرت في وسائل الاعلام خلال عقد الثمانينات .

وكان على القراء أن ينتظروا التجربة الجديدة لايكو .. خاصة انه ظل يحصد نجاح روايته الاولى طوال ثماني سنوات . الى ان طلع اخيرا على قرائه بروايته الثانية التي تحمل عنوان "بندول فوكو" .. وتدور أيضاً في اجواء تاريخية .. والتي سرعان ما راحت تنافس سابقتها في ارقام المبيعات . وتهافت الناشرون في انحاء متفرقة من العالم على شراء حقوق ترجمتها . وباعت ، على سبيل المثال ، ثلاثمائة الف نسخة خلال ستة اسابيع في البرازيل .. اما ارباح الناشر الامريكي فقد وصلت الى اكثر من مليون دولار .. ووصل عدد اللغات التي ترجمت اليها ، في ثلاثة اشهر . الى ٢٢ لغة .

اذن فالكتاب العظماء لا يرتكنون في حيواتهم على رواية واحدة وايكو يمثل نموذجا واضحا لهؤلاء الادباء لكن عم تتحدث رواية الكاتب الاخيرة .

من المعروف ان روايته الاولى تدور في القرن الثاني عشر ، في اطار غامض . حول ما يدور في ايطاليا من انغلاق شديد ، يتزعمه بعض رجال الدين . ومن خلال جرائم ترتكب ضد المفكرين المستنيرين الذين يسعون لخلاص الدين من افكار رجاله المتزمتين .

وليس للفيلسوف الفرنسي المعاصر ميشيل فوكو اية علاقة باسم رواية ايكو الجديدة "بندول فوكو" .. الرجل المقصود هنا هو شخصية تاريخية عاشت فعلا في القرن التاسع عشر . وقد استطاع ان يصنع بندولا يبلغ وزنه ٢٨ كيلو . واستطاع ان

يجعله يقرع في قلب مدينة باريس عام ١٨٥١ . ومن تغماته الجميلة لا يزال طلاب الموسيقى يتعلمون حتى الان .

وفي اطار بوليسي ، ومن خلال مغامرة فوكو لتعليق بندوله في مكانها ، تدور احداث رواية امبرتوايكو .. ويعلق على هذه الرواية في مجلة لوبوان - ٥ فبراير ١٩٩٠ - انها نموذج لكل الصراعات التي يمكن ان يتخيلها المرء عما يدور في العالم . قصة سرطان يحاول ان يخترق الفكر المستنير .

باريس

ايام الغضب .. في باريس

ايام الغضب ..

ليس هو عنوان الفيلم المصرى الذى اثار ضجة عندما عرض قبل شهور . ولكنه عنوان رواية صدرت اخيرا لكاتبة فرنسية تدعى سيلفى جرمان .. ويبدو ان هذا العنوان يمكن ان يوحى دائما بأن خلفه عملا فنيا مميزا .. فقد حققت الكاتبة من خلال هذه الرواية شهرة واسعة رغم انها كانت مجرد كاتبة مجهولة قبل ان تنشرها بأيام .

اختارت سيلفى جرمان ان تدور احداث روايتها فى اطار تاريخي . يمزج بين الواقع والاسطورة . فهناك رجل يمتلك غابة . يفاجأ ان شخصا آخر يقطع اشجارها واوراقها . وفي هذه الغابة يوجد رجل فقير معدم ، وهو انسان شريف يدعى كورفول . يقتل زوجته يوما بان يقطع شرايينها . وهناك في نفس الغابة فقير . لكنه مليء بالطموح حتى النخاع يود ان يتخلص من الثرى ، صاحب الغابة .. وهو مدفوع للقتل من خلال غريزة غريبة . وهى حبه الشديد للموت .. فقد سقط كورفول في هوى الموت . وكي يتخلص من هذا الهوى الغريب . فعليه ان يحب امراة تفتح عينيه على مدى جمال الحياة . وعلى بهجة الشمس حين تسقط اشعتها فوق الغابة ، وتتسرب بين اغصانها..



سيلفى ميرمان

ويلتقى الرجل بأمراة .. كل ما عليه هو أن تبكى .. ثم تضحك .. فاذا بكت عليه ان يضحكها . اما إذا ضحكت فعليه ان يسكتها . ثم يتزوج الاثنان . وتنجب له تسعة ابناء . ولد كل واحد منهم فى الخامس عشر من اغسطس فى علم مستقل . لكن كل واحد منهم ولد في ساعة مختلفة من ساعات النهار . فقد ولد أحدهم فى الصباح ، اما الثانى فعند الظهيرة . والثالث عند الغروب .. وهكذا .

تشكل سيلفى جرمان نموذجا للأدباء الشباب الذين يظهرون سنويا فى فرنسا ، ومن المعروف ان الكثير من هؤلاء الشباب



سرعان ما يختفون عن الساحة الأدبية . وان القليل من اصحاب هذه الاسماء هم الذين يستمرون فى العطاء المتميز .. وقد اثيرت التساؤلات حول مصير الكتاب الذين ظهروا فى العام الماضى ، على سبيل المثال ، خاصة بعد ان اصيب القراء الفرنسيون بالاحباط عقب ظهور اسماء الفائزين بالجوائز الادبية .

أوسلو

ادباء المستقبل .. جاءوا من الماضى

الكثيرون من الكتاب ، الذين يتصورهم البعض كباراً ، يموتون عقب وفاتهم مباشرة ، وتصبح مؤلفاتهم مجرد مجلدات موجودة فوق الارفف ، لا احد ينتبه اليها ، ولا يتذكرها .

وربما ان هذا قد دفع بكاتب مثل ارنست هيمنجواى ، ان يقول أن أهم ادباء القرن العشرين غير معروفين لدى الناس .

وفى عالم الثقافة ، والآداب ، كثيرا ما يحب الناس قراءة اسماء بعينها ، والحديث عنها فى الصحافة الادبية بشكل محدد .. فبالاضافة الى العديد من كتاب ما قبل القرن العشرين ، فان شخصيات مثل مارسيل بروست وكافكا ، وكامى مطروحة دائما على مائدة النقاش .. ومن هذه الشخصيات الكاتب النرويجى كنوت هامسن الحائز على جائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٢٢ .

يبرز هامسون هذه الايام بشكل مكثف ، مع صدور الطبعة الفرنسية من آخر رواياته "اغلقت الدائرة" التى كتبها عام ١٩٥١ .. اى قبل وفاته بعام واحد حيث خصصت عنه جريدة "ليبراسيون" ملفا كاملا .

ولد الكاتب فى عام ١٨٥٩ فى قرية نرويجية . وقد هاجر مع اسرته لبعض الوقت الى الولايات المتحدة قبل ان يعود الى بلاده مرة أخرى . من اشهر رواياته "الجوع" التى حصل من اجلها على جائزة نوبل . وهى بمثابة سيرة ذاتية



كنوت هامسون

عن الكاتب . وهناك ايضا "غوامض" ، "البهجة الاخيرة" و"فيكتوريا" ، و"روزا" .

وقد كتب هامسون الرواية ، والاقصوصة ، والمسرحية ، والمقال ، والقصيدة الشعرية .. وقد تصدى لترجمة اعماله الكثير من الادباء ، وليس المترجمون العاديون ، مثل اوكتاف ميرابو الذى ترجم روايته الجوع وهنرى ميللر الذى ترجم له ايضا الى الانجليزية ، وقد كتب عنه ميرابو : "يجب أن نحب هذا الرجل ، وان نتبعه ، باعجاب عميق ، فهو فنان نادر . تشع العبقرية من

عباراته البسيطة .

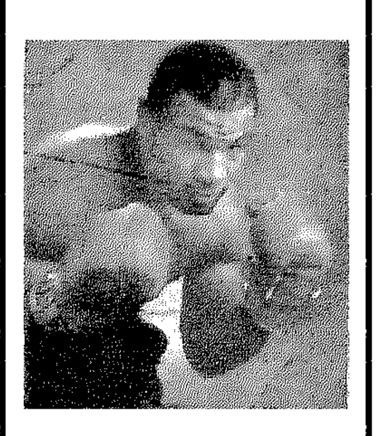
اما ميللر فكتب يقول عن روايته "غوامض" : "ليس هذا اهم كتاب فى العالم ولكنه أهم كتاب قرأته في حياتي . فقد لمسني عن قرب . فلو كان هناك كاتب عليّ أن ابحث عنه ، واذوب فى داخله .. فلا شك انه كنوت هامسن .

نيويورك

● الكتابة .. فى الضربة القاضية

يبدو أن الضربة القاضية التى سددها دوجلاس للملاكم الحديدى مايك تايسون فى الشهر الماضى قد اصابت الكاتب الامريكى المعروف نورمان مايلر بنفس الصدمة التى حدثت لكل الذين راهنوا على فوز تايسون فى هذه المباراة ..

تضاعفت الصدمة عند مايلر لانه الكاتب الوحيد الذى كتب مقالا عن تايسون ، قبل عام ونصف تحت عنوان «تايسون ، ملك الخوف» . راح فيه يتكلم عن القوة النادرة التى يملكها الملاكم الحديدى . سواء فى قبضته العنيفة . أو فى حبه القوى تجاه زوجته روبين . وقد اشار مايلر ان الحب القوى فى حياة الانسان يمكن ان يجعل من قبضته برجا مشيدا يمزق به عضلات المنافسين وتحدث الكاتب عن قبضة محمد على كلاى الفولاذية . ثم تحدث عن علاقته القريبة جدا بتايسون .



تايسون

الجدير بالذكر ان لقب «الملاكم الحديدى» الذى ذاع فيما بعد يعود الى تعبير اطلقه مايلر على صديقه الملاكم ..

وفى مجلة بانوراما الايطالية ـ ٢٠ نوفمبر ١٩٨٨ ـ التى نشرت مقال مايلر جاء أن الكاتب الامريكى الاشهر ليس اول من يعشق الملاكمة ويدافع عن الملاكمين بهذه الصورة . فقد كتب جاك لندن ـ مؤلف رواية «الناب الابيض ـ مقالا فى عام ١٩١١ حول الملاكم بيرس ايجان المعروف تحت اسم «قيصر المانيا؟ . كما كان هناك الكثير من الادباء الذين تعصبوا كثيرا لالعاب الملاكمة وعلى رأسهم دانييل - ديفو ، صاحب رواية «روبنسون كروزو» و دانييل سويفت «مؤلف جاليفر » وفيلدنج مؤلف رواية «توم جونز» .

اما اشهر الكتاب المعاصرين الذين كتبوا عن الملاكمين فهناك الكاتبة الامريكية المتميزة جويس كارول اوتس التى نشرت كتابا عن رياضة الملاكمة فى عام ١٩٨٧ . وهناك ايضا اروين شو وارنست هيمنجواى . والملاحظ ان جميعهم من الامريكيين . حيث ان الملاكمة هى الرياضة الشعبية الاولى فى الولايات المتحدة . اما الكاتبان نيلسون الجرين وليونارد هاردنر فقد كتبا رواية عن تجربتهما الخاصة تحت عنوان «المدينة المتخمة» .



رفاق الغابة

شعر : محيى الدين عطية

كان الاصيل موعدى مع ابتسامة القدر
فجارتى مدينة من الطيور والشجر
فلا الرياح حائل ولا هواطل المطر
ولهفتى تحثنى كأن فى دمى الحذر
دلفت بين جمعهم سألت كل من حضر
تسبحون ربكم ترى على أى الصور
بخفقة من الجنا ح فوق صفحة النهر
بشدو ذلك الذى يكاد يفتن النظر
سألته عن سره واين خبأ الوتر
فطار غير عابىء وغاب دونما أثر
وعند شاطىء نأى رأيت طفلة الزهر
سألتها تضاحكت لفرخ طائر عبر
تراك يا صغيرتى بأى هذه الدرر
تكبرين فى الصبا ح تسجدين فى السحر
بنفحة العبير أم ببعض حمرة الخفر
لا تجفلى لسمتها وفى أناملى حذر
لا تفزعى فاننى سفير عالم البشر
الى رفاق كوكب يقلّنا بلا ضجر
انا وانت والزرو ع والكروم والثمر
ومن علا ومن دنا ومن شدا ومن زأر
وكل حبات الندى وكل اطنان الحجر
على سفينة معا وكلنا على سفر



النموذج والقيمة

بقلم : د. جابر عصفور

هناك نموذجان من الأساتذة تصطرع بهم جامعاتنا المصرية ويصطرعان فيها. نموذج نقلي اتباعي في الأغلب . راوية حاكية في الأعم . علمه بضاعة وثقافته تجارة ورأيه يتلون كمعلوماته بالوان الرغبة او الرهبة . الكم عنده له الأسبقية على الكيف ، والأذعان إلى المالوف علامته وملاذه في التعلم والتعليم ترضى عنه السلطات ويرضى عنها في كل الأحوال والعهود . هذا النموذج نراه في جامعاتنا ، نقابله صباح مساء ، ونصدره إلى انحاء الوطن العربي ، فهو مصدر من مصادر عملتنا الصعبة واپامنا الجامعية الصعبة . أما النموذج الثاني فهو نموذج الأستاذ المفكر ، صانع المعرفة ، مفجر المشكلات الذى يعصف باذهان من حوله ، ويدفع العقول إلى اعادة الاكتشاف والبحث . عقلاني ، متمرد في الأغلب ، متسائل دائما ، يلحث عن العلة الكامنة وراء الظواهر ، عاشق للأصالة التي يراها وجها آخر للمعاصرة . مؤمن بالعلاقة الجدلية بين الجامعة والمجتمع ، وبين المثقف والواقع ، وبين العلم والتقدم ، وبين المعرفة والحرية . علمه موقف ، وثقافته رؤية ، ومنهجه تاصيل ، وكتابته تاسيس ، وأستاذيته التزام . هذا النموذج قليل في جامعاتنا التي أصابها ما أصابها في هذا الزمان . لكنه رغم ندرته فخر جامعاتنا إذا احصينا رموز التقدم ابتداء من جيل الرواد الأول للجامعة ، وانتهاء بجيل المقاتلين الذين يعيشون ويموتون دفاعا عن أنبل تراث الجامعة المصرية واستشرافا لآفاق مستقبلها الواعد وراء كل ظلمات المغيب .


عبد المحسن بدر


طه حسين


عباس العقاد

وعبدالمحسن بدر واحد من هؤلاء الأساتذة النادرين صناع الجامعة وصاغة معناها وقيمة حضورها . عاش من أجل الرمز الجليل الذى تمثله الجامعة ، وظل يدافع عن معناها ويؤكده ، منذ أن دخلها طالبا (قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب) فى أكتوبر عام ١٩٥٠ إلى أن خذله الجسد الذى لم يتحمل آلام النفس ، فاصطفاه الله إلى جوار من سبقه من أساتذته الذين تأثر بهم وأضاف إليهم ، فى تمام الساعة الثالثة والربع من بعد ظهر الأربعاء الموافق السابع من مارس ١٩٩٠ ، بعد رحلة حياة غنية بالبحث الخلاق والمواقف الشجاعة والرؤى الأصيلة والريادة الواعية ، والأستادية الحقة والالتزام السياسى الذى لايقل صلابة عن الالتزام الجامعى . وذلك كله فى نموذج أخلاقى فريد جعل من صاحبه قيمة يعرفها ويقدرها كل من عمل معه أو درس عليه أو قرأ له أو اتصل به طالبا أو باحثا أو زميلا أو قارئا ، داخل كلية الآداب وخارجها حيث الآفاق الممتدة للاسهام المتعدد الأبعاد أكاديميا وثقافيا وسياسيا .

ولد عبدالمحسن بدر فى الثانى والعشرين من ديسمبر عام ١٩٣٢ فى قرية السنطة من محافظة الغربية . وإلتحق بقسم اللغة العربية بآداب القاهرة قبل الثورة بعامين ، ومصر كلها تغلى بالولادة الجديدة للثورة . وتخرج فى يونيو ١٩٥٤ بعد شهرين من بداية أزمة مارس الشهيرة ، ومع أول انكسار للديمقراطية بعد ثورة يوليو الواعدة . وقد شاهد بعينيه وسمع بأذنيه وتابع بعقله ووجدانه معارك الديمقراطية فى جولتها الأولى . وبقدر ما تأثر بكتابات أنصار الديمقراطية وتعاطف معها ، لأنها كانت تستجيب إلى أحلامه الريفية الباكرة عن العدل ، وأشواقه الجامعية الأولى إلى الحرية ، فقد تأثر بطرد أنصار الديمقراطية من الجامعة عقب تخرجه ، حين أصدر مجلس قيادة الثورة قراره التاريخى الشهير فى ١٩ سبتمبر ١٩٥٤ بطرد أكثر من خمسين أستاذا من الجامعة ، وكان ضمن هؤلاء لويس عوض ومحمود العالم وعبدالعظيم أنيس وعبدالمنعم الشرقاوى وفوزى منصور وعبدالمنعم خربوش وغيرهم ممن خسرت الجامعة إسهامهم وما كان يمكن أن يقدموه لها من عطاء وقيمة . وبقدر ما كان قرار سبتمبر علامة دالة فى تاريخنا السياسى المعاصر ، وانكسارا حادا فى تطور الجامعة

عبدالمحسن بدر

المصرية فى الوقت نفسه . كان يوازى هذا القرار علامات دالة أخرى أهمها ما كان يدور فى الواقع الأدبى من حوار محتدم بين الفصائل المتعارضة والمتصارعة .

كان الجيل القديم الذى يمثله العقاد وطه حسين يدافع عن استمرار حضوره فى مواجهة الجيل الجديد الذى كان يمثله مندور ولويس عوض وغيرهما . وكان ممثلو الرومانسية الجدد (السباعى وأمين يوسف غراب وباكثير) يدخلون حوارا حادا مع أنصار الواقعية الجدد (لويس عوض ، مندور ، الراعى ، العالم ، الشرقاوى) وهؤلاء - بدورهم - لايقل تناقضهم مع جيل طه حسين والعقاد عن تناقضهم مع أنصار النزعة الجمالية الجدد (سهير القلماوى ، رشاد رشدى) . وبين هؤلاء وهؤلاء كان يتحرك الأمناء من تلامذة أمين الخولى الذين أسسوا الجمعية الأدبية المصرية ، مقتربين من الواقعية ومتباعدين عنها فى آن ، كما لو كانوا يتعاطفون معها ويخشونها فى وقت واحد ، على نحو ما تكشفت عنه كتابات عبدالرحمن فهمى وأحمد كمال زكى وصلاح عبدالصبور وفاروق خورشيد الذين تخرجوا قبل عبدالمحسن بدر بسنوات قليلة . وإذا أضفنا روافد التروتسكية المتسربة على هامش الواقع الأدبى والجانحة نحو الحداثة التى مثلتها كتابات بدر الديب وادوار الخراط بعد أنور كامل صاحب الكتاب المنبوذ ، ومن اختلط بهم أو وازاهم ممن تأثروا بالفلسفة الوجودية وعلى رأسهم عبدالرحمن بدوى الذى أصبح هدفا لهجوم الواقعيين ، إذا أضفنا ذلك كله استطعنا أن نتخيل مشهد الواقع الأدبى واحتدامه عام ١٩٥٤ .

ولكن كان الأمر يبدو كما لو كانت الواقعية هى الصوت الأعلى خارج أسوار الجامعة ، خصوصا بعد أزمة مارس التى اقتلعت أكثر الجامعيين حماسا للواقعية من الجامعة ، فلم يعد من صوت مؤثر داخلها فى الدراسات الأدبية سوى بقايا التيار «اللانسونى» الذى افتتحه طه حسين ومازال تلامذة تلامذته يحاكونه إلى اليوم ، وروافد نظرية التعبير التى كانت تجد ملاذها فى ترجمات وملخصات كولنجوود وكروتشة ، وتجليات النقد الجديد الذى تأثر به رشاد رشدى فى قسم اللغة الانجليزية وسهير القلماوى فى قسم اللغة العربية . أما خارج الجامعة فكان المشهد مختلفا ، كانت الواقعية تتردد أصواتها الحماسية فى كل مكان ، عبر صفحات جريدة «المصرى» قبل اغلاقها وصفحات «الجمهورية» ثم «الشعب» ، وصفحات العديد من المجلات القديمة والجديدة (الثقافة الوطنية والطريق والآداب فى بيروت والتحرير والرسالة الجديدة والشرق والشهر فى القاهرة) وفى كتابات الجامعيين الذين أخرجوا من الجامعة أو خرجوا منها (محمد مندور ، لويس عوض ، محمود العالم ، عبدالعظيم أنيس) . وكان محمود العالم على وجه الخصوص متفائلا - كعادته - واثقا من سيطرة تيار الواقعية على المستقبل ، فلم يكن يرى سوى الواقعية فى الأدب والفن والسياسة والتعليم . وكان يجزم - قبل أشهر قليلة من فصله من الجامعة - «أن تيار الواقعية فى الفكر المصرى قد أصبح من القوة بحيث بات شاقا على كثير من المفكرين المصريين - الذين يجدون فى هذا النوع من التفكير خطرا على تراثهم الفكرى وانتاجهم الفنى - أن يهاجموه علانية» . وفى الوقت نفسه ، كان مندور الذى ترك الجامعة مختارا يتحدث عن الواقعية والأدب الهادف قبل سنوات قليلة من اشرافه على مجلة الشرق




يوسف السباعى



امين يوسف غراب



على احمد باكثير

(١٩٥٧) التى كانت سبيلا إلى ترجمة الكثير من كتابات الواقعية الاشتراكية إلى اللغة العربية . اما لويس عوض فكان يعلن على صفحات جريدة الجمهورية (حيث كان يكتب طه حسين) افلاس الجيل القديم ، وفى الوقت نفسه آلام الولادة المصاحبة للأدب الجديد ، عند جيل جديد يصفه لويس عوض فى مقال له (بتاريخ ١٩٥٤/١/١٣) ـ وقبل اشهر من فصله هو الآخر من الجامعة ـ على النحو التالى :

«اما اصحاب الأدب الجديد منهم لايزالون يتعذبون كانهم شياطين تعوى فى وادى عبقر ، يفصحون ولا يفصحون ، وهم امل مصر الحزينة ، ويابؤسنا لو خاب الأمل : محمود العالم ، ابراهيم عبدالحليم ، على الراعى ، نعمان عاشور ، احمد بهاء الدين ، فتحى غانم ، بدر الدين الديب ، مصطفى سويف ، يوسف ادريس ، شكرى عياد ، عباس صالح ، براعم لا يسقط عليها ندى ولايرويها طل . فمتى تخرج الزهرة من البرعم . متى ؟ متى ؟ متى ؟ »

● الانتماء للواقعية

وكان عبدالمحسن بدر يتنفس هذا المناخ للواقع الأدبى والثقافى ، ويرقب اتجاهاته ، ويشعر ان عليه (بصراحته الريفية الخشنة وطبيعته الحدية كالسيف) ان ينحاز إلى اتجاه ولم يكن هناك اقرب إليه من الاتجاه الواقعى بتكوينه الطبقى واصوله الريفية واحلامه الثقافية وطموحاته الأدبية . وكان يعزز فى وعيه ضرورة الانتماء إلى هذا الاتجاه ملكان يقرأ لممثلى الواقعية كمحمود العالم من كتابات تلح على «ان الامل معقود على شبابنا فى ان يعوضوا النقص ، وان ينتجوا من الآداب ما نفلخر به بين الآداب العالمية الواقعية» ، وكان واحدا من هؤلاء الشباب الذين استشعروا إمكان ان يعوضوا النقص ، ويقرروا النهوض بالعبء ، فكان اختيار الواقعية استجابة إلى ما اصبح تيارا عالى الصدى خارج الجامعة وليس داخلها .

ولم يخطر على بال عبدالمحسن بدر يوم ان اختار انه هو نفسه ، وفى شهر سبتمبر نفسه ، ولكن بعد سبع وعشرين سنة (عام ١٩٨١) سيواجه قرارا سبتمبريا آخر ، ويطرد هو واكثر من ستين استاذا من



الجامعة ، بسبب ازمة اخرى لا تختلف كثيرا عن ازمة الديمقراطية .

● إشكالي .. صاحب رؤية

وقد كان اختيار الواقعية على هذا النحو يعني اختيار نموذج الأستاذ الجامعي الذى يريد عبدالمحسن ان يكونه ليس نموذج الأستاذ الراضي المرضى عنه وانما الأستاذ الاشكالى الملتزم صاحب الرؤية والموقف الذى هو على استعداد لتحمل تبعات هذا الموقف ومسئوليته ، وإذا كان قد وجد فى هذا النموج ما يرادف عنده القيمة فقد وجد فى الواقعية ما يحقق له المنهج . وسرعان ما اشرع قلمه وخاض معركة الواقعية بعد سنتين فحسب من تخرجه . واخذ يلفت الانظار إلى صوته النقدى المتميز ، ويطرح اسئلة اساسية فى سلسلة من المقالات الباهرة ، اهمها ما كتبه عن الشعر العربى والتجربة الانسانية (فبراير ١٩٥٦) والأدب والتجربة (ابريل ١٩٥٦) فى مجلة الآداب البيروتية . وما كتبه بعنوان نحو ادب واقعى مخلص (سبتمبر ١٩٥٨) وشعر المناسبات (ديسمبر ١٩٥٨) فى مجلة الشهر التى كان يصدرها سعدالدين وهبة ، وقد احدثت هذه المقالات تاثيرها ، واثارت ردود فعل حادة ، كشفت عن ناقد جديد ، وصوت جامعى مختلف ، يؤكد قيمة الأدب الذى يعيش ابطاله فى واقع انسانى حقيقى لافى مثالية مجردة ، ويقف فى صف قوى التقدم ويمهد لها ، ويسهم فى تطوير وعى افراد المجتمع ، وكان ذلك تحولا جديدا فى الدراسات الأدبية من داخل كلية الآداب ، وإيذانا بانتقال قسم اللغة العربية فيها إلى آفاق الواقعية بمعانيها الواعدة التى تتجاوز نظرية التعبير وتتباعد عن النقد الجديد لتقترب من اطروحات اليسار العربى بوجه عام .

فى هذا المسار ، كتب عبدالمحسن بدر اطروحته لدرجة الماجستير عن «تطور الشعر العربى الحديث فى مصر » التى فرغ منها عام ١٩٥٧ بعد إندحار العدوان الثلاثى على مصر . وكتب اطروحة الدكتوراة عن «تطور الرواية العربية الحديثة » التى فرغ منها عام ١٩٦٢ بعد قرارات التاميم والتحولات الاشتراكية ، وكانه كان دائما على موعد مع التحولات البارزة فى الوطن منذ تخرجه فى اعقاب ازمة مارس . إلى اقتراب الوطن من حلمه عن العدالة الاجتماعية (١٩٦١) . لكن هذا الحلم الاجتماعى لم يفض به إلى قلب الماركسية انتماء او تنظيما . لقد ظل داخل حدود الاشتراكية الديمقراطية بمعناها الذى يرادف معنى «الجمهورية الاشتراكية » التى كتب عنها محمد مندور مقالاته الخمسة الشهيرة فى جريدة الجمهورية (٢٠ مارس - ١٠ ابريل ١٩٥٤) وفى صيغة فكرية سرعان ما استوعبت معنى المشروع القومى وانتمت اليه والتزمت به فيما يمكن ان نعده بداية لوعى


محمود امين العالم


عبد الرحمن الشرقاوى

سياسى متميز اتخذ اسم الناصرية بعد سنوات لاحقة ، ومع صعود ثورة يوليو صوب آفاق التحرر الوطنى (بمعناه القومى) والتحرر الاجتماعى (بمعنى اشتراكية الدولة) وهى نفس ما كان مندور ينادى به فى مقالاته عن الجمهورية الاشتراكية .

● الالتزام بالنقد الواقعى

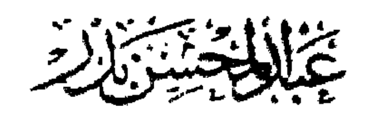
ومن المؤكد أن وعى عبدالمحسن بدر بتحولات المجتمع المصرى والوطن العربى منذ مطلع الخمسينيات إلى بدايات الستينيات كان يوازى تكوينه الاجتماعى والفكرى الخاص ، على نحو كان يؤكد فى داخله - كناقد أدبى - ضرورة الالتزام بموقف نقدى واقعى يواكب تحولات هذا المجتمع وذلك الوطن من ناحية ، ويحتضن توجهاته الواعدة بأحلام الحرية والعدل والتقدم من ناحية ثانية . ومن هنا كان اختيار المشروع النقدى للواقعية منهجا ورؤية ادبية واختيار المشروع القومى موقفا اجتماعيا . وكان ذلك الاختيار يقرن شمول النظرة إلى المجتمع (فى وعى المثقف الناصرى الذى كان عبدالمحسن بدر بداية تشكله) بشمول المشروع القومى . الذى كان ينعكس ادبيا فى نظرة شاملة

د . لويس عوض   د . شكرى عياد



تبحث عن الرؤية الايجابية للأدب فى دلالتها الاجتماعية ولكن كان عبدالمحسن بدر فى هذا الاختيار ناصريا راديكاليا ، بدأ من المنطلق القومى الذى يحتوى مفاهيم الوحدة والحرية والاشتراكية التى تعلمها من استاذه عبدالعزيز الأهوانى صديق ميشيل عفلق وزميل الدراسة فى فرنسا ، وانتهى إلى مشارف المنطلق الماركسى بآفاقه التى تكشف عن قوى المجتمع المتصارعة ولذلك اقترنت القيمة الأدبية بالواقعية فى وعيه النقدى ، واقترنت الواقعية بالكتابات الأدبية التى تقف فى صف قوى التقدم وتمهد له ، وتنظر إلى الواقع التاريخى مؤكدة الأبعاد القومية الخاصة والانسانية العامة للتجربة الأدبية . فكانت هذه الواقعية اخلاقية النزعة ، مثالية المبنى ، إنسانية النظرة ، اجتماعية الموقف . ولم يكن ذلك تلفيقا بل توفيقا تشكل به ومعه نموذج الناقد الناصرى الصاعد مع ثورة يوليو ١٩٥٢ .

وأحسب أن هذه التركيبة التوفيقية هى التى تبرر خصوصية الدلالة الفكرية التى لفتت الانتباه إليه فى انحاء الوطن العربى ، منذ المقالة الأولى عن الشعر العربى و «التجربة الانسانية » التى ترد ميزة الشاعر إلى دقة احساسه الفردى من ناحية وتنبهه إلى صراعه مع ذاته وبيئته من ناحية ثانية . وقس على ذلك مقالته الاخرى نحو ادب واقعى «مخلص » حيث تقترن الواقعية بصفة أخلاقية فردية من ناحية وبدفاع حار عن نجيب محفوظ ضد كتاب العالم وانيس الذى وصفه بأنه كاتب البرجوازية الصغيرة الذى لا يستطيع تجاوز افقها من ناحية ثانية - وبقدر ما كان عبدالمحسن يتباعد بهذه الصفة الأخلاقية عن مؤلفى « فى الثقافة المصرية » فإنه كان يقترب من مندور الذى لفت الأنظار إلى نبل البرجوازى الصغير (أحمد عاكف) فى التقاطه النقدى للنماذج البشرية ، وبعد أن



كان قد اصدر الطبعة الثانية من كتابه نماذج بشرية عام ١٩٥١ بعبارة أخرى ، كانت التركيبة الأدبية التوفيقية التى انطوى عليها معنى الواقعية فى هذه المرحلة صيغة موازية للتركيبة السياسية التوفيقية التي انطوى عليها معنى الناصرية ، وكلتاهما وجه للأخرى فى عملة الناقد الناصرى ووعيه على السواء

● حتمية التطور

وبقدر ما كان عبدالمحسن بدر ينطوى على نموذج هذا الناقد (الناصرى) كان يعى انه واحد من مجموعة ، شابة ، واعدة ، طريقها وعر شاق ، فى ابتعادها عن الحلول الجاهزة ، وبحثها عن ادب واقعى مخلص (ولنتذكر اسماء الاقران : سليمان فياض ، ابو المعاطى ابو النجا ، رجاء النقاش ، عبدالجليل حسن) ، ادب يهدف إلى تصوير نفسيات الافراد وواقع الجماعة دون ان يفرض بطولات زائفة او يتجاهل انسانية الانسان ليكون نقطة انطلاق إلى عالم افضل ترفرف فيه رايات الوحدة والاشتراكية والحرية واحلام التقدم والتقدمية . ومن المؤكد ان دلالة التقدم فى ذهن عبدالمحسن بدر ، الناقد الواعد فى هذا الزمان الباكر ، كانت تصل بين العدل الاجتماعى والحرية السياسية بمعناهما القومى من ناحية ، وحتمية التطور والتقدم بمعناه التاريخى المادى من ناحية ثانية .

وكان لصدور أطروحة الدكتوراة عن «تطور الرواية العربية الحديثة» كتابا من دار المعارف (١٩٦٣) صدى التأسيس الجديد لهذا النوع الأدبى ، ومن ثم التاصيل النقدى على مستوى الاصطلاح والاجراء والمنهج لأجيال لاحقة من الباحثين ، ظلت ومازالت تقتات من ثمرات هذا الكتاب وتعيش على عطاياه .

ولكن المبادىء النقدية التى تضمنها المشروع النقدى ، من حيث صلتها بالنوع الادبى ، وصلة هذا النوع بالواقع ، فرضت اسئلة جديدة تحولت اجاباتها فى الممارسة النقدية اللاحقة إلى كتب علامات على مستوى النظر والتطبيق ، فكان كتاب «الروائى والأرض» الذى صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧١ وكتاب «حول الأديب والواقع» الذى صدر عن دار الثقافة فى العام نفسه . وإذا كانت ثوابت الواقعية الاولى قد ظلت مستمرة فإن الأسئلة الجديدة فتحت الطريق لاختبار الثوابت من خلال متغيرات الرؤى . ولكن تبقى دلالة الصدور لافته ، فكلا الكتابين يظهر بعد تحول بارز فى المجتمع هو وفاة عبدالناصر (١٩٧٠) ودخول مرحلة جديدة سرعان ما تكشف انفتاحها بعد سنوات قليلة . ومن المؤكد ان مرارة نكسة ١٩٦٧ التى ظلت راسخة فى الذاكرة تعصف بالحلم الناصرى ومشروعه القومى هى المسئولة عن حدية النبرة فى هذين الكتابين ، وتحول الواقعية فيهما (فيما عدا المقالات القديمة فى كتاب حول الأديب والواقع) إلى واقعية اكثر راديكالية داخل الحدود الناصرية .

ولقد انفرد الكتاب الأول بعلاقة الاديب بالواقع ، ولكن من خلال واقع مخصوص ، هو واقع الأرض فى القرية التى يعرفها الناقد ذو الاصول الريفية ، والتى يوازى الوعى التجريبى بها الوعى السياسى الاجتماعى بقضيتها ، وذلك من خلال منظور للقيمة يفتش عن التطور بمعناه التاريخى والفنى ، فى الوقت الذى يحاول إعادة تاكيد ابعاد العدل بمعناه الاشتراكى على مستوى القرية بعد ان اهتز هذا المعنى مع احداث

كمشيش . حيث المسافة ما بين زمن روايتي «الارض» و «الفلاح» هي المسافة بين زمن «اقطاع» قديم وآخر جديد ، وإذ تأتي المقدمة مدخلا تأصيليا فإن الاعمال الروائية تتعاقب على درجات سلم القيمة ، من ادنى الدرجات للرؤية الرومانسية في رواية زينب التي كتبها محمد حسين هيكل عام ١٩١٤ إلى رواية يوميات نائب في الارياف التي نشرها الحكيم عام ١٩٣٧ ، ونظل نرقى سلم التطور نحو رؤية واقعية في روايتي الأرض (١٩٥٤) والفلاح (١٩٦٨) لعبدالرحمن الشرقاوي إلى أن نصل إلى الرؤية الواقعية فعلا مع جيل الستينيات الذي يمثله عبدالحكيم قاسم بروايته ايام الانسان السبعة (١٩٦٩) .

وإذا كان المنظور التطوري الباحث عن المعنى التقدمي هو الكامن وراء ترتيب فصول الروائي والأرض فان المنظور نفسه ينسرب في الموقف القيمي الذي يكشف عن زيف صوت الواعظ في كتابات نزار قباني الشعرية بديكوراتها الجنسية ، وعن جدلية الانفتاح والانغلاق بين الذات والواقع في شعر فدوى طوقان ، وذلك في كتاب حول الاديب والواقع ولكن يلفت الانتباه في هذا الكتاب أن عنوانه يحمل عنوان المقدمة النظرية لكتاب الروائي والأرض . وكان هذا يذكر بذلك في دلالة متكررة الرجع ، تؤكد ابعاد العلاقة بين الأديب والواقع . إنها العلاقة التي تؤكد خصوصية الأديب ولكن من حيث كونه كائنا بشريا عاديا ، يدخل طرفا في صراع اجتماعي بالضرورة ، وداخل علاقات اجتماعية . وذلك في نبرة لاتكف عن تكرار ان الاديب حين يحاول الكشف عن رؤيته للواقع فإنه يكشف عن موقفه منه . وسيلة الأديب في ذلك هي التجسيد وليس التجريد ، التخصيص وليس التعميم ، وباداة تغوص في علاقات الواقع الزماني والمكاني ، سعيا وراء ادراك



د . سهير القلماوي   د . رشاد رشدي

القانون العام الذي يجعل من الرؤية الادبية لونا من الوان المعرفة . ومادام العمل الأدبي قد أصبح مرتبطا بالمعرفة فإن هذا الارتباط يحدد بعده القيمي من حيث ما يخلقه في وعي القارىء أو يعكسه في وعي الكاتب . ويفضي ذلك إلى أن كل عمل أدبي رائع يفترض ان يصدر عن رؤية متكاملة للواقع ، وان الرؤية المتكاملة هي التي تدرك أن الأديب جزء من كل لا يمكنه مواجهة مشاكله وحلها جذريا إلا بالتصدي للعوامل الاجتماعية المسئولة عن وقوعه ووقوع الآخرين في هذه المشاكل . بهذا المعنى ، ترتبط قيمة العمل الأدبي بانحيازه إلى قوى التقدم واسهامه في معركة مجتمعه .

● الرواية .. ورؤية الأديب

ترى هل كان عبدالمحسن بدر عندما كتب هذا الكلام عام ١٩٧١ يستشرف أفق معركة قادمة في مجتمع ما بعد الناصرية ، وأن هذه المعركة تستلزم وضوحا اكثر قطعية في موقفه الاجتماعي ؟ هذا ما عرفته عنه ولكن ما كان يلفت انتباهي على نحو خاص هو الحاحه الدائم على الرواية . وكنت



اشعر ان هذا الالحاح مرتبط بوعي متميز بمرحلة لا تنعكس تناقضاتها المتميزة إلا في سرد قصي يقتنص ملحميتها المعقدة وكان يؤكد ذلك ما اشار اليه عبدالمحسن نفسه صراحة من ان الرواية اقدر على ابراز رؤية الأديب من ناحية ، وابراز مظاهر عدم الاكتمال في هذه الرؤية من ناحية ثانية . وكانت هذه الاشارة ثمرة وعي نقدى آخذ في التبلور ، يحاول إعادة ترتيب العلاقة الهيراركية بين الأنواع الادبية ، على نحو يمنح الرواية مكانة متميزة بين الانواع الادبية .

ويلفت الانتباه في هذا المجال ان اشارات عبدالمحسن بدر إلى النماذج البارزة من الآداب العالمية التي يؤكد بها مفاهيمه النقدية كانت كلها إشارات الى فن الرواية بتياره الواقعي على وجه الخصوص ، حيث يتجاوز المواطن توم بين لهوارد فاست جنبا إلى جنب الأم لجوركي ، كنقائض موحية لروايات العبث او الرواية الجديدة ، في اشارات دالة تكشف عن ارتباط الواقعية المخلصة بنوع الرواية ابتداء ، والرواية الواقعية تحديدا ، وارتباط قيمة هذا النوع ـ في جانب منها ـ بمقولة النموذج البشرى او النمط الذى يكشف عن ابعاد الصراع الاجتماعي داخل الفرد . ولا أظن عبدالمحسن بدر كان قد قرأ جورج لوكاش في الخمسينيات او تعرف نظرياته ولكن الحاحة الباكر والحدسي على النموذج البشرى في الخمسينيات قاده إلى لوكاش في أواخر الستينيات ، وعمق فيه انحياز النقد الواقعي إلى الرواية ، وتاكيد دورها الحاسم في الكشف عن تناقضات الصراع في مراحل التحول الاجتماعي

ولايماثل مقولة النموذج او النمط في ثوابت الرؤية النقدية الواقعية التى صاغها عبد المحسن لنفسه سوى مقولة التطور وحتميته على مستوى النظر الى الواقع أو النظر الى الفن . وتلك مقولة ترجع الى منتصف الخمسينيات وتتواصل لتصل مابين اطروحة الماجستير والدكتوراة في مفتتح دلالي واحد يبدأ عنوانه بالكلمة المفتاح « تطور » الشعر في الماجستير والرواية في الدكتوراة حين نسمع مبدأ لايكف عن التكرار : « مادمت اؤمن بالتطور فلا يمكنني ان اغفل تاثير الزمن » ، ولكن تأثير الزمن يتحول الى درجات صاعدة لسلم القيمة الادبية والاجتماعية بالمعنى الذى يجعل كل لاحق متقدما حتما على كل سالف .

هذه المقولة الحتمية اخذت في التشكل التجريبي كاطار مرجعي تستند اليه عمليات التصنيف في اطروحتي الماجستير والدكتوراه ، فهنا وهناك البحث عن تطور النوع عبر مستويات صاعدة زمنيا على درجات القيمة الاجتماعية الفنية ، ولكن تظل ثلاثية التصنيف نفسها لافتة للانتباه في رجعها المتكرر ، منذ تطور الرواية (١٩٦٢) الى اخر الاعمال .

واذا كنا في تطور الرواية نواجه ثلاثية الرواية التعليمية والترفيهية والواقعية فإننا في الروائي والأرض

(١٩٧١) نواجه ثلاثية الرؤية المثالية الرومانية والاقتراب من الواقعية والرؤية الواقعية ، وتتجلى الثلاثية نفسها اخيرا في التصنيف المتدرج لاعمال نجيب محفوظ في كتاب الرؤية والاداة (١٩٧٨) حيث ننتقل على درجات سلم مشابه يشمل ثلاثية الرؤية الوهمية - القدرية والفردية والواقعية ، او ثلاثية الصلة بالواقع ونحو الواقع والرؤية الواقعية .

ولكن ايا كانت دلالة تكرار هذه الصيغة فإنه يظل نابعا من رؤية نقدية لاتمل من تذكيرنا بأن كل عمل ادبي رائع لابد ان يكون تقدميا بالنسبة لعصره ، لأن الاديب الذي يستطيع بعمق حساسيته الكشف عن القوى المتصارعة في مجتمعه لايمكنه الا ان ينحاز لقوى التقدم فى هذا المجتمع .

وهذا كله يعني أن مقولة التطور قد اتت ثمارها فى فكر الناقد نفسه ، فانتقل عبدالمحسن بدر من المعنى العاطفى للمشروع القومى إلى آفاق البعد الاجتماعى للصراع الطبقى ، بعد أن انكسر المشروع القومى نفسه فى العام السابع والستين ، ودخل المجتمع كله دوامة انفتاح السبعينيات التى استلزمت درجة اعلى من

احمد بهاء الدين



نعمان عاشور



الحسم والوضوح . ووصل المشروع النقدى الى أقصى اكتماله فى وعى صاحبه فى مواجهة واقعه المتحول إلى غير ما كان يهوى الحلم القديم .

ولكن بقدر ما كان الواقع المتحول محبطا كانت ثوابت الرؤية الواقعية للناقد لا تكف عن مواجهة المتغيرات ومحاولة استيعابها

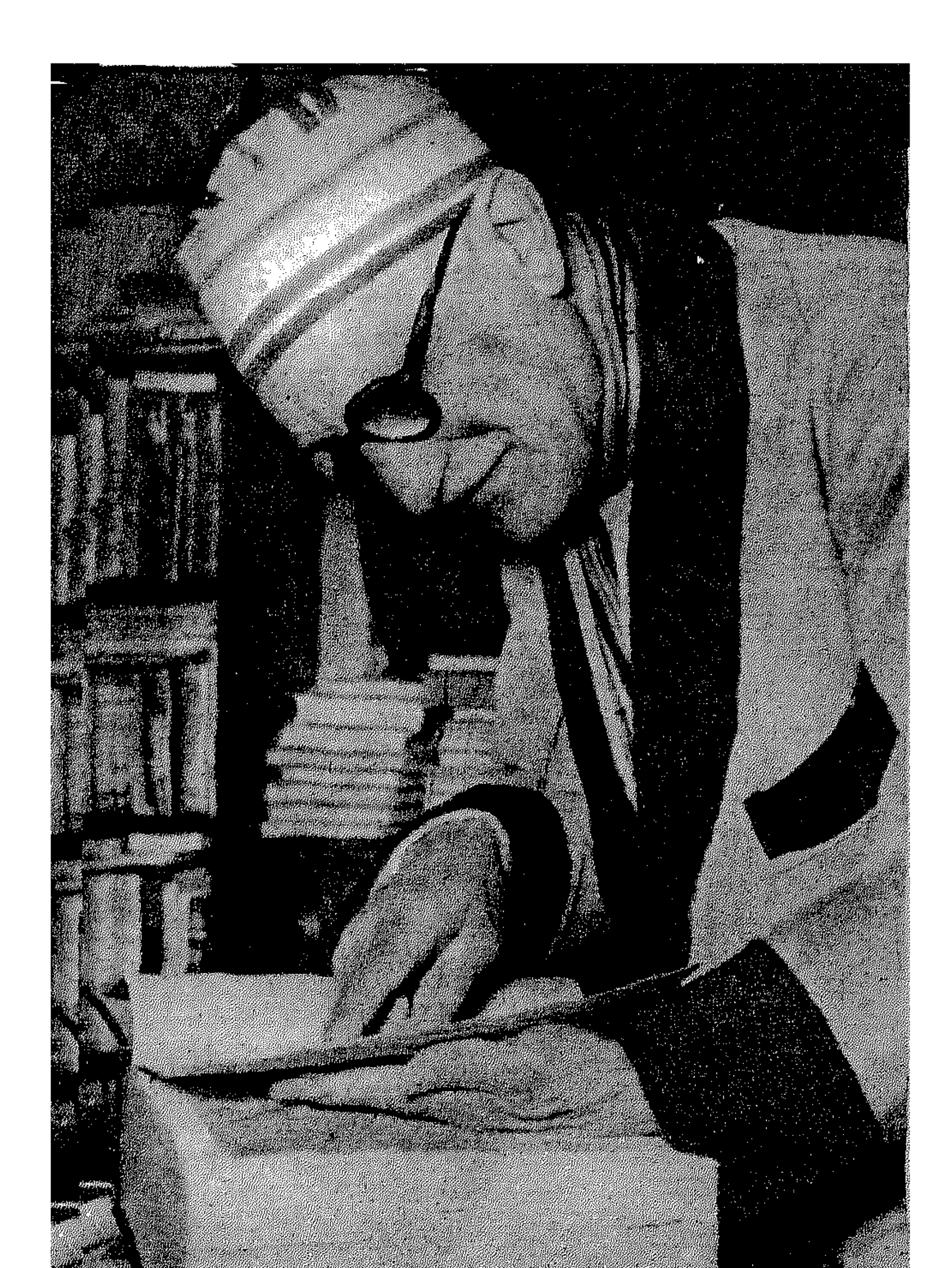
وتلك كانت مرحلة الانتماء السياسى لمنبر (ثم حزب) التجمع فى مواجهة علنية لواقع بدأ ينهش ميراث الناصرية وكانت تلك أيضا مرحلة الاسهام فى تحرير مجلة المجلة ثم الكاتب واخيرا ادب ونقد . وكما شهد التجمع لعبدالمحسن دفاعه مع اقرانه عن الثقافة القومية ، شهد مقاومته لكل ما يناقض المشروع القومى الذى لم يتخل عنه عبدالمحسن بدر . وكان لابد من دفع الثمن والفصل من الجامعة (سبتمبر ١٩٨١) بتهمة التحريض على الفتنة الطائفية (فتامل ؟ !) .

غير ان كل ما عاناه عبدالمحسن بدر فى هذه الفترة القاسية كان يزيده صلابة واصرارا على التمسك بأهداب حلمه الذى افتتح به حياته ، فلم يكف منذ أن عاد إلى الجامعة عن العمل المحموم فى الدوائر الأدبية والأكاديمية والثقافية . وظل نموذجا اخلاقيا فريدا فى التزامه وفى ما يمثله من معانى الاخلاص والصدق اللذين كان يشير اليهما دائما فى كتاباته ، وبقدر ما كان شعوره بالمسئولية يدفعه إلى العمل المضنى والمواجهة الجارحة مع النفس والآخرين فإن الاحباط المتصاعد فى الواقع كان يتكاثف ، ليزيد من حدة المقاومة وصلابة الاصرار على التحدى إلى الحد الذى لم يحتمله القلب الذى توقف عن الخفقان . ولكن النموذج الذى يمثله فكر عبدالمحسن بدر لايمكن ان يتوقف . إنه يتحول فحسب إلى قيمة باقية ، تلهم كل من يريد أن يكون أستاذا جامعيا يسهم فى بناء مستقبل الجامعة والوطن وتحقيق حلمهما الواحد المتحد بالتقدم .

في ذكراه السادسة والعشرين

مع العقاد في بيته

بقلم: شوقي علي هيكل



كان العقاد في بيته ينهض بما تنهض به الأسرة الكاملة في معيشتها ، وكان بيته كعبة للقاصدين ومنارة للحائرين وصومعة للفكر ، كما كان عالما زاخرا بنور العقل ونور الحياة .

دارت عجلة الزمن بالعقاد سنة بعد سنة ، حتى استقر مقامه فى القاهرة ، بعد أن تردد عليها منذ سنة ١٩٠٥ م أكثر من مرة ، عاش فيها أكثر من فترة ، وسكن بها فى أكثر من حجرة . ويأتى عام ١٩٢٦ ، فينتقل العقاد الى السكنى بضاحية مصر الجديدة فى شقة مستقلة ، تقع بالطابق الثانى من المنزل رقم (١٣) فى شارع السلطان سليم سابقا ـ محمد شفيق غربال حاليا ، بحى روكسى ، قضى العقاد فيها بقية عمره .

وفى شقة تتكون من أربع حجرات متسعة ، لكل منها شرفة تطل على الشارع المواجه لها ، وربما كان حب العقاد للهواء والخلاء والضياء هو الباعث وراء اختياره للسكنى بتلك الضاحية وفى ذلك البيت ، يقول : "يوم سكنت فى هذا المكان ، ونظرت من هذه النافذة ، أعجبنى أننى افتحها فلا أرى منها إلا النور والفضاء ، والحق أنه لا فضاء حيث يكون النور" . ويقول : "قلت لك ياصاحبى إننى أحببت النور فسكنت فى "مدينة النور" .

وتقع شقة العقاد يمين الصاعد على درج المنزل مباشرة ، ومن يدخلها يجد يمينه حجرة الاستقبال أو حجرة "الصالون" .. تليها حجرة نومه ، وأما على يساره فتقع حجرة منفردة تحتل وسط الشقة هى حجرة الملابس ، الى جوارها ردهة فى يسارها دورة للمياه ذات حمام مستقل ، يعقبها مطبخ فسيح – وعلى المواجهة فى نهاية الممر تقع حجرة المكتب . أما الصالة فقد وضع فيها العقاد أثاث حجرة الطعام ، وهو عبارة عن مائدة مستديرة متوسطة الحجم فى المنتصف ، حولها أربعة كراسى . وصوان خشبى للأوانى عن يساره ، وثلاجة كبيرة حديثة الطراز عن يمينها .

ويكاد يكون كل أثاث شقة العقاد من الطراز القديم فى بساطته ، فهو ليس من الاثاث القديم الفاخر ، ولم يكن فيه من الأجهزة الحديثة إلا تلك الثلاجة الكهربائية الفخمة فى الصالة ، وجهاز المرنا (أى التليفزيون) الذى وضعه فى حجرة الاستقبال . وقد احتفظ العقاد بهذا الاثاث طيلة حياته منذ وضعه فى مكانه بكل حجرة من حجرات شقته ، ولم يغير منه قطعة واحدة أو يغير من مكانه ركنا واحدا ، حتى حجرة الملابس فقد ظلت الى أن مات على حالها ، يعلق فيها ملابسه (من بدلات وأرواب ومعاطف) على حبال عالية ممتدة بطول الحجرة ، وكانت مكتظة بتلك الملابس الى درجة أن الداخل فيها يكاد يختفى بينها . وقد كان العقاد يرى أن هذه هى أصلح وسيلة لحفظ الملابس لتوفر شروط التهوية اللازمة لها مع سهولة تناولها وربما كان كل ذلك لما فى طبيعة العقاد من الألفة والاعتياد ، فإن الألفة كانت خليقة من خلائقه ، لها عليه من حق الوفاء والصون والاعتبار ، بقدر ما له عليها من حق الراحة والأمن والاستقرار .

● ندوة العقاد الاسبوعية

فى حجرة الاستقبال كان العقاد يستقبل ضيوفه ويرحب بهم فى مواعيد دقيقة محددة ، وكان يقدم لهم أكواب الليمون أو البرتقال ثم القهوة "المحوجة" وفى هذه الحجرة كانت تقام ندوته الأسبوعية فى صباح كل جمعة من التاسعة الى ما قبل صلاة الجمعة . يحضرها لفيف كبير من تلاميذه ومريديه ،

مع العقاد في بيته

من أدباء وصحافي مصر والعالم العربي ، وبعض المستشرقين من العالم الغربي ، وأساتذة الجامعات وطلابها ، حتى كانت تمتلىء بهم الحجرة وشرفتها والصالة والردهة ، وكان العقاد يجول ويصول بفكره مجيبا عن كل سؤال . وفي هذه الحجرة كان يضع تمثالين لبومتين صغيرتين يحفان بالساعة الصغيرة عن اليمين وعن الشمال . وذلك قبل أن ينقلهما الى حجرة المكتب فيما بعد ، وهو بهذين التمثالين كان يتحدى الشؤم الذى يدعيه الناس ، لأنه كان متفائلا بطبعه ويكره التشاؤم ويتحداه ، لقد أختار منزله بمصر الجديدة ورقمه ثلاثة عشر ، ووضع فيه التليفون ورقمه يومئذ مبدوء بثلاثة عشر ، وكتب عن ابن الرومي كتابه العظيم متحملا كل ما لاقاه في ذلك من عناء ومشقة ، متحديا الشؤم كله لأجله . يقول العقاد : "وجلت أسأل الشؤم في كل دعوى من دعاوى وأولها دعواه الكبرى على البومة المسكينة . ما لهذه الطريدة المظلومة وهي قد تركت الدنيا والنهار للانسان ولاذت منه بالليل والخلاء ؟ وما عيبه عليها وهي أوفى الطيور في عشرة الأليف منها للأليف ؟ أليست هي أحدى الأحياء النادرة التي يسكن الزوج منها الى زوجة مدى الحياة ، أليست هي التي تغنى لنور القمر ولعزلة الليل ولا تقحم صوتها على من يأباه ؟ ألم تكن عن الأثنين - وهم عباد الجمال - رمزا للمدينة ينقشونه على الدراهم من أغصان الزيتون ؟ فإذا جنى الشؤم على سمعتها ولاحقها الظلم في خلوتها فليصنع ما بدا له ، فإننا نتلقاه منها باثنتين لا بواحدة ، لأنها لاتحب الفراق ، وأن زعموها نذير الفراق" .

وعلى جدران حجرة الاستقبال صورة لقصر أنس الوجود من صنع الفنان التركي هدايت ، وصورة للعقاد من صنع أحمد صبرى ، وصورة لشاطىء الزمالك من صنع شعبان زكي ، وصورة لترعة المحمودية لصلاح طاهر ، وصورة أبي قير من صنع لبيب تادرس . أضيفت اليها في سنواته الأخيرة صورة الشيخ محمد عبده . من رسم تلميذه حسن عنبر .

وفي ركن من أركان الحجرة كان يوجد تمثال نصفي للعقاد أهداه اليه بعض الهواة ، وفي ركن آخر كان يوجد مذياعه القديم ، وقد زاد عليها جهاز التليفزيون أخيرا وكان أول من اقتنوه عند ظهوره .

وفي هذه الحجرة استقبل العقاد أكبر رجالات عصره في السياسة ، فقد زاره فيها سعد زغلول والنحاس كما زاره فيها إبراهيم عبدالهادى والنقراشي . والى جانب تلاميذه ومريديه من طلاب العلم فقد استقبل فيها أكبر أدباء مصر وشعرائها وأولهم حافظ ابراهيم الذى كان يتردد عليه أكثر من مرة في بداية سكناه بمصر الجديدة ، وأولاهم الأدبية مي زيادة التي احبها وأحبته .

وكان تلاميذ العقاد ومحبوه يقيمون له كل عام حفلة عيد الميلاد ، يحتفلون فيها بعيد ميلاد استاذهم ، ويقدمون له الهدايا والحلوى ، وينشدون أمامه أشعارهم ويلقون كلماتهم احتفاء بعام جديد يستقبلونه من عمر العقاد .

وكان العقاد يقيم لتلاميذه وأهله واصدقائه وليمة كبرى كل عام فى شم النسيم ، يقدم لهم فيها كل مالذ وطاب من أطعمة تناسب ذلك اليوم .

واذا انتقلنا الى حجرة نوم العقاد وجدناها حجرة متسعة الأركان ، تشتمل على سرير كبير صنع خصيصا ليناسب طول قامة العقاد ، كما تستمل على بعض الصوانات والدواليب المختلفة الأحجام والأطوال ، مليئة بالملابس وبعضها ملىء بالكتب والأوراق ، وفى الحجرة بعض المشاجب المعلقة على الجدران ، وأكثر من شماعة قائمة فى الأركان ، تزخر جميعها بالأرواب والمعاطف والبيجامات والكوفيات والطرابيش وأغطية الرأس المختلفة . ولم يفت العقاد أن يزين جدرانها ببعض الصور الفنية ، فهذه شالومة أو سلامة صاحبة هيرود من تصوير الفرنسى بروسيير ، وهذه صورة الزهرة الجميلة من تصوير الأسبانى فيلاسكية ، وهذه صورة تاييس فى غوايتها مع ناسكها الواعظ المسكين . وهذه صورة لسوق الرقيق فى عاصمة من عواصمنا الشرقية ، تليها صورة الينبوع العذب من تصوير الفنان العالمى "أنجرز" وهذه كلها صورة منسوخة من أصولها المحفوظة فى متاحفها ، إلا صورة واحدة أصيلة قد انفردت فى مكانها بين تلك الصور المنقولة . حيث وضعها العقاد بجوار سريره لتكون أول مايرى حين يفتح عينيه وآخر مايرى حين يغمضهما فى كل يوم . وهى عبارة عن لوحة زيتية بألوانها الطبيعية تمثل شكل فطيرة حلوة يشتهيها الجائع والشبعان ، عليها صور وذباب يحوم وفى القدح الذى يفرغ عليا الحلاوة عسل يضطرب فيه بعض الذباب ويموت ، فلا يأكل منها على هذه الصورة شبعان ولا جوعات ، وكان العقاد قد طلب من الفنان صلاح طاهر أن يرسمها له على هذا التصميم ، فى وقت كان العقاد يمر فيه بأزمة نفسية نتيجة لصدمة عاطفية وقع فيها مع حبه لاحدى الفتيات الفاتنات . وقد أصبحت هذه الفتاة من بعد نجمة سينمائية لامعة شهيرة .

وفى اتجاهنا الى حجرة المكتب نجد فى ركن من أركان ردهته المائدة الصغيرة صندوقا مربعا يوحى الى الناظر باسم "التابوت المقدس" . يشتمل على "حاك" قديم وبضع مئات من الاسطوانات الموسيقية والقوالب الغنائية المختارة من الشرق والغرب ، والقديم والحديث ، ومنها توقيعات على بعض الآلات الموسيقية العجيبة التى يختلف سلمها الموسيقى عن السلم الشائع فى معظم البلدان ، كتوقيعات أهل الصين . وكان العقاد يرى للموسيقى كرامتها الرفيعة التى تسمو بها عن أن ينشغل عنها سامعها بشىء آخر ، لأنها فى نظره وفى سمعة شاغل كاف لمن يستوعبها ويتقصاها ويتأمل فى معانيها وإرشاداتها ولذلك فقد كان يختار لسماعها أحيانا ساعات التهجد فى جنح الليل ، أو ساعات اليقظة الباكرة . وكان يعجب إعجابا شديدا بالموسيقار ولهلم فاجنر ، ويخب السماع الى موسيقاه . فاحتفظ بكل مؤلفاته الموسيقية .

ونحن فى طريقنا الى حجرة المكتب نرى يسار الممر مطبخ العقاد ، وهو معد بكل لوازم الطهو ، وقد كان العقاد يقوم أحيانا بطهو طعامه ، أو يشرف عليه بنفسه أحيانا أخرى بعد أن صار يعاونه فى ذلك طاهية أحمد حمزة ، وكانت وجبة العقاد من الطعام فى الغذاء خفيفة قليلة ، لاتتعدى حفنة من الخضار المسلوق وطبق

الشوربة وقطعة من اللحم وبعض السلطة والخبز اليابس ، ولذلك نراه يحجم عن كثير من الولائم التى كان يدعى اليها .

وفى حجرة مكتب العقاد نجد مكتبه على اليمين بجوار الشرفة ، وبجوار المكتب مكتبة كبيرة مفتوحة الجوانب كان العقاد يسميها بصوان الاسعاف ، لأنها كانت تحمل كل القواميس والمعاجم ودوائر المعارف وأهمها دائرة المعارف البريطانية فى طبعاتها الجديدة . وأمام المكتب دولاب المراجع الذى كان يضع فيه العقاد كل مراجعه التى تلزمه فى تاليف كتاب من كتبه ، الى جوار ذلك فقد امتلأت الحجرة بالمكتبات فى كل أركانها ، وهى مكتبات تعج بالكتب من كل صنف ولون . وعلى جدران الحجرة تجتمع بعض الصور المختلفة واللوحات الشتى على غير قصد من العقاد ، فترى صورة لفتاة حزينة على قبر حبيبها الدفين ، وترى صورة ثانية لجمال الدين الافغانى ، وثالثة لمحمد عبده ورابعة لسعد زغلول ، وخامسة لكارليل ، وسادسة لبيتهوفن ، وسابعة للعقاد بعد الأربعين ، وثامنة له بعد الخمسين (من صنع الفنان صلاح طاهر) ...

وتعجب كيف اجتمعت كل هذه الصور الشتى فى مكان واحد ؟! كيف اجتمع الفيلسوف الألمانى بالزعيم المصرى ، والتقى الحكيم الانجليزى بالمصلح الافغانى ، وتقابل الشيخ المفتى مع الفتاة الحزينة ، ومع موسيقار الفن العالمى ، بالرغم من التفرق فى المواطن والأزمان والشواغل والأهداف؟!

● كتب فى كل مكان !

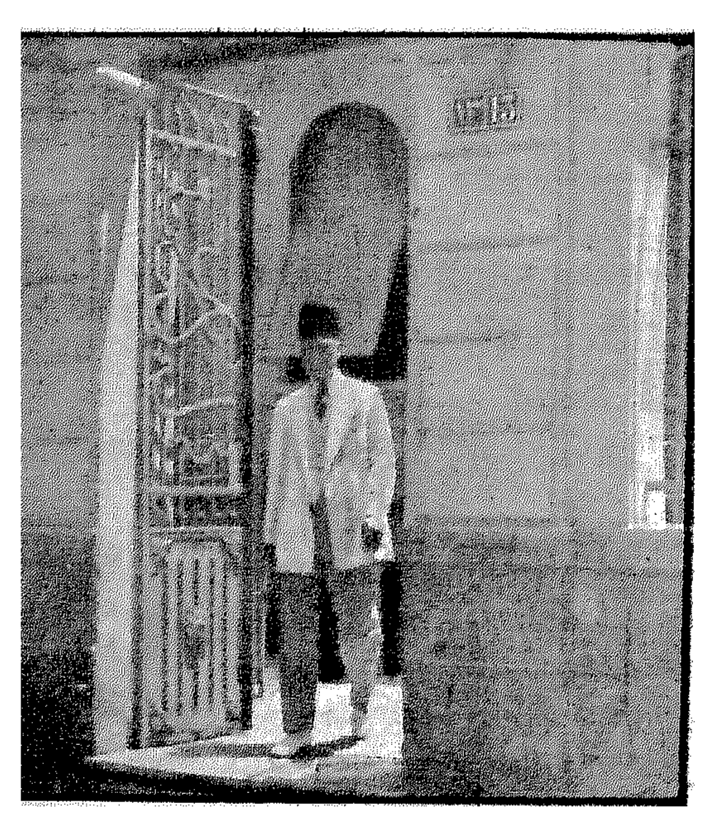
وشقة العقاد بكاملها كانت عبارة عن مكتبة ضخمة ، تقع منها الكتب حيث يقع منك النظر فى كل مكان ، تجدها فى حجرة الاستقبال وحجرة الملابس ، وتجدها فى الممر وفى الصالة والنوافذ . لقد كانت مكتبة العقاد تبهر كل من يلمحها ، وتدهش كل من يتأملها لكثرة مافيها من كتب وأوراق ومجلدات ، تتزاحم روفوفها وأركانها ، وتتباين وأشكالها وأحجامها ، وتعدد كنوزها وأنواعها ، وتتشعب منافذها وأبوابها ، تدخل بيت العقاد وكأنك تدخل الى مكتبة عامة كبيرة ، أو كأنك تدخل فى محراب ، قد لايشبه واحدا من محاريب المعابد ، ولكنه محراب له حق القداسة والخشوع بقدر ما عليه من صور الجلال والهيبة والوقار .

وتزداد مكتبة العقاد يوما بعد يوم كثرة فوق كثرة وضخامة تعلو ضخامة، فيضطر الى استئجار الشقة المقابلة لشقته فى نفس الطابق . ليملأها هى الأخرى بالكتب والمراجع ، وليستقبل فيها بعض نزلاء بلدته أسوان وبخاصة أهله وأقاربه ، وهى الشقة التى أقام فيها فيما بعد ابن أخيه عامر العقاد الذى قام بمعاونة العقاد فى أخريات حياته ، وقد كان لعامر العقاد فضل لاينكر ، فهو الذى نهض بأعباء معيشة العقاد فى حياته ، وحافظ على تراثه بعد وفاته ، وكان بمثابة السكرتير الخاص للعقاد رحمهما الله . وكان العقاد

قبل مجيء طاهية أحمد حمزة وقبل مجيء سكرتيره عامر العقاد ، ينهض في بيته بما تنهض به الأسرة الكاملة في معيشتها . وكان بيته كعبة للقاصدين ومنارة للحائرين وصومعة للفكر . كما كان عالما زاخرا بنور العقل ونور الحياة .

وسط هذا العالم الرحيب كان العقاد يعيش فى بيته معتكفا وحيدا بمفرده . ولكنه على الرغم من اعتكافه هذا كان يطوف العالم من حوله أجمع بفكره وخياله ، ومن خلال كتبه ومراجعه . ولم يكن يؤنسه فى وحدته هذه إلا كلبه الوفى الأمين "بيجو" وكان قد اقتناه فترة من الزمن فأحبه وتعلق به حتى انه قد بكى عليه بكاء شديدا يوم مات ، وحزن عليه حزنا عميقا ، ورثاه بقصيدة ملتاعة ، وكتب عنه فى كتاباته وجعله شاهدا له على بعض المذاهب فى التربية والدراسات النفسية . ويرجع حب العقاد لبيجو الى أسباب الألفة والمعاشرة لهذا الحيوان الوفى للانسان ، كما يرجع ذلك من ناحية أخرى الى حب العقاد للمخلوقات بعامة ، فقد كان يشعر بوجدة الخلق كله وتلاحم سلسلة المخلوقات جميعا ، وينظر الى جميع الأحياء كأنها تجربة واحدة تتجلى عن مقصد واحد .

عاش العقاد فى بيته أو فى مكتبه أو فى مرحابه ، عيشة الراهب فى صومعة الكلمة ، وعيشة الزاهد فى زخارف الحياة وقشورها ، بل عيشة العاشق الذى يعشق الحياة فى لبابها وجوهرها أراد أن يمتلك صميم الحياة فوجد فى الكتب غذاءه النافع ، ودواءه الناجع ، وزاده الرائع . وعثر فيها على ضالته المنشودة المقدسة . فعرف لها حقها من التوقير والتقديس .



المنزل رقم ١٣

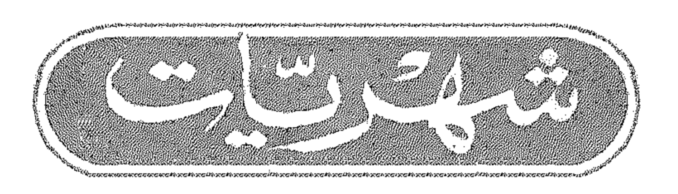
تراه يتحدث عن كتبه وبيته قائلا :

"فهذا البيت قد كتبت فيه خير كتبى وأحبها الى ، وقد عشت فى تلك الكتب عيشا حيا باقى الآثار ، قبل أن انقلها من عالم النفس الى عالم الأوراق ، وهذا المسكن قد صعدت سلالمه ثلاثا ثم صعدتها اثنتين ، ثم اصعده درجة درجة على غير عجلة ولا اكتراث ، وهذا المسكن قد نزلت به والشعرات البيض يتوارين فى السواد . ومازلت أنزل به والشعرات السود يتوارين فى البياض ... وقد أستقبلت فيه آمالا ، واستحييت فيه ذكريات ..."

رحم الله العقاد ورحم الله حافظ ابراهيم الذى قال فى مثل هذا المسكن :

كم مر لى فيه عيش لست أذكره

ومر لى فيه عيش لست أنساه



رأى فى الثقافة

حول الرابطة المصرية لاتحاد كتاب اسيا وافريقيا

طوال شهر مارس الماضى عقدت سلسلة من الاجتماعات المتتالية للكتاب المصريين تمهيدا لعقد اجتماع الجمعية العمومية للرابطة لاختيار سبعة من الاعضاء المؤسسين لمكتب الرابطة

وحتى كتابة هذه السطور لم تكن النتيجة النهائية قد ظهرت ، وانما ما يجب التاكيد عليه بان هذه الرابطة نشات كفكرة من اجل حشد اكبر عدد ممكن من الكتاب المصريين الذين لديهم خبرة سابقة فى ادارة الجمعيات والنوادى الثقافية التطوعية ، حتى يقوم اتحاد كتاب افريقيا واسيا "الام" بدوره ، خاصة وان مقر امانته العامة اصبح فى مصر .

وبعكس ما يقال فان الأمر الذى أكد عليه طوال الوقت لطفى الخولى الامين العام للاتحاد ، بأن هذه الرابطة ليست بديلا عن اتحاد كتاب مصر الممثل بصفته فى اتحاد كتاب افريقيا واسيا ، لا من حيث الدور ، ومن حيث الامكانية ، بالاضافة الى انها ـ اى الرابطة ـ مجرد جمعية كمئات الجمعيات الثقافية الاخرى المنتشرة فى مصر ، وليس لها صلاحيات اتحاد الكتاب ، الذى هو قبل وبعد اى شىء نقابة للكتاب بما يعنيه هذا من تميز قانونى وادبى .

بعض الكتاب المصريين ، للأسف ، يحاولون خلق هذا اللبس ، لكن الكتاب المصريين بما تمتعوا به طوال اجتماعاتهم السابقة من وعي ومن نضج اثبتوا انهم على مستوى المسئولية المطلوبة من الكاتب ، الذى هو صاحب قلم ورسالة .

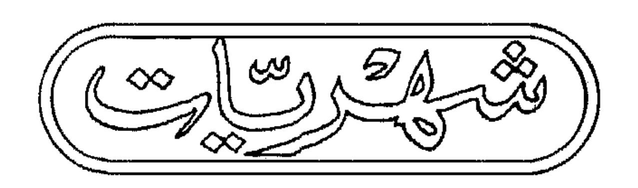
عبده جبير

● دكتوراه عن الرواية المصرية فى جامعة بون ●

الباحث والناقد الالمانى "ستيفان جوت" قضى فى القاهرة شهرا ونصفا للالتقاء بكاتبنا الكبير "نجيب محفوظ" والروائيين "فتحى غانم ، صنع الله ابراهيم ، جمال الغيطانى ، عبده جبير" لاستكمال مادته العلمية لرسالة الدكتوراه التى سجلها فى جامعة بون بإشراف المستشرق المعروف "ستيفان فلت" مدير معهد الاستشراق بجامعة بون ، ورئيس تحرير مجلة "عالم الاسلام" .

عنوان الرسالة الاولى من نوعها فى الجامعة الالمانية هو "انعكاس التغييرات الاجتماعية فى السبعينات فى الرواية المصرية" .

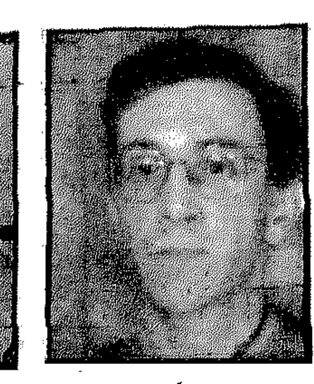
كان الباحث قد حضر الى مصر منذ ثلاثة اعوام وحمل معه خمسين رواية مصرية وانتهى الى اختيار "الحب فوق هضبة الاهرام" لنجيب محفوظ ، و"قليل من الحب



رأى فى الثقافة

كثير من الضعف" .. لفتحى غانم، و"اللجنة" لصنع الله ابراهيم، و"رسالة البصائر فى المصائر" لجمال الغيطانى، و"تحريك القلب" لعبده جبير.

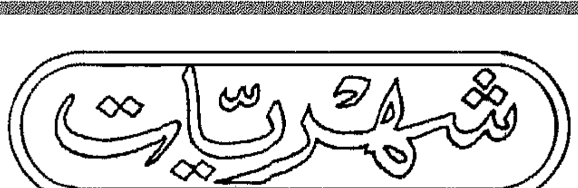
الباحث الألمانى متخصص فى علم الاجتماع الأدبى، حيث كان قد حصل على درجة الماجستير منذ عشر سنوات عن موضوع تخصصه من الناحية النظرية، ثم خصص رسالته عن هذه الاعمال الروائية كتطبيق للمنهج الذى يقول انه لا يسلك تجاهه بمجرد الحصول على المعلومات الدالة على التغييرات الاجتماعية فى فترة الانفتاح "السبعينات"، بل انه يصل الى هدفه من خلال الاشكال الادبية المتنوعة التى مثلتها هذه النماذج. وما تطرحه من



استيفان — نجيب محفوظ

قضايا نوعية خاصة بالتكنيك والأسلوب الذى نهجه كل كاتب على حدة.

ينتظر أن تتم مناقشة هذه الرسالة فى بداية الموسم الدراسى القادم مع افتتاح الجامعات.



مكتبة الهلال

الكتاب : الغام فى طريق الصحوة الاسلامية

المؤلف : حامد سليمان.

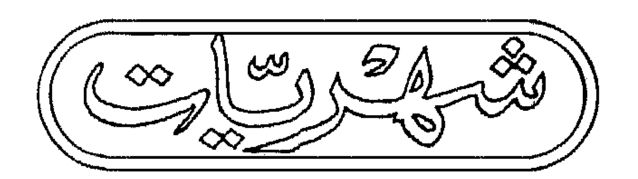
الناشر : الزهراء للإعلام العربى.

٤٠٠ ص



الكتاب محاولة جادة لنزع الغام وضعها أعداء الحركة الاسلامية فى طريق الصحوة، لاجهاضها، وايقاف مسيرتها، وتدميرها.

وهى الالغام التى تحولت الى "اوهام" ثابتة، تتردد يوميا فى الشارع السياسى الاسلامى، تسهم فى تحويل المسلمين الى



مكتبة الهلال

"دراويش" معاصرين وعزل النشاط الاسلامي في المساجد والزوايا وحلقات الذكر وابعاده عن ساحة الحياة والسياسة ، حتى ينفرد بهذه الساحة "العلمانيون" والحكام الشموليون ، الذين يعرفون جيدا خطورة الاسلام السياسى ، وخطورة الصحوة الاسلامية على وجودهم .

ويقدم المؤلف اسانيده من خلال احكام الاسلام المستنيرة ، لكشف هذه المؤامرة الفكرية ، التى يدبرها اعداء الصحوة منذ اكثر من نصف قرن .

●

الكتاب : لا .. يا شيخ شعراوى

المؤلف : محمد جلال

الناشر : مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

الثمن : ٣٠٠ قرش ـ ١٢٣ ص .

هذا الكتاب له قصة . بدأت بمقالة كتبها "محمد جلال" بعنوان "حديث



هادىء للشيخ الشعراوى" فى مجلة الاذاعة والتليفزيون .

وكان صوت كلماتها غاضبا ، لانها كانت تُعبر عن احساس الناس فى الشارع المصرى ، وهم يكتشفون ـ فجاة ـ ان بعض اصحاب شركات توظيف الاموال ، التى اعلنت شعار الاسلام ، ووثق الناس فيها ، لان دعاة كبارا قد باركوها ، اكتشفوا انهم قد وقعوا ضحايا لاكبر حركة نصب ، تعرضت لها مصر لنهب اموالها .

اتصل الشيخ الشعراوى بمحمد جلال ، وابدى رغبته فى اجراء حديث معه . وحمل محمد جلال جهاز تسجيله ، وذهب الى الشيخ فى بيته ، ووضعه امامه ، وقال لفضيلته : اسمح لى بان اتكلم بلا تكليف .

وقال الشيخ الجليل : الله يبارك فيك .

وتدفق الحوار عفويا لمدة اربع ساعات ، ونشر الحديث ، واحدث دويا ، وانهالت التعليقات فى برقيات وتليفونات ورسائل ومقالات .

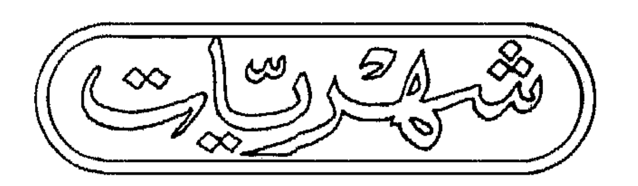
وهذا الكتاب يسجل لحظة الصدق هذه .



الكتاب : أطباء مصر كما عرفتهم .

تأليف : صلاح جلال .

الناشر : مركز



مكتبة الهلال

الاهرام للترجمة والنشر ١٨٣ ص.



الكتاب شهادة حول بعض اطباء مصر العظام، سياحة سيكولوجية فى حياتهم ومواقفهم. منهم: ايوب عامر "المحارب بالكلمة والمشرط"، مصطفى غانم "صاروخ السكر والروماتيزم"، عبدالحى الشرقاوى "رائد جراحة العظام واصابات الحروق"، واسماعيل محرز "امير الجراحة والخلق الرضى" محمود بدر "السندباد الطبى"، صبرى زكى "الطبيب - الوزير - الممثل"، فوزى السيد "طبيب الشعب" عبدالوهاب مورو "جراح وفنان"، احمد حلمى شاهين "عمدة الثقافة الصحية"، يحيى الجمال "طبيب العيون والزهور".

يقول المؤلف فى مقدمة كتابه:

"عندما اكتب عن بعض اطباء مصر، بعض ما عرفت، لا اوفيهم حقهم، ولا حق اسرهم وتلاميذهم، ولا مرضاهم وعائلاتهم. لانه بحر عميق، ومحيط واسع، وكم هائل من الفضل والخير والعطاء، لقد حاولت مخلصا ان ابدأ بتقديم هذه الملامح الانسانية والعلمية، لباقة من اخلص ابناء مصر، وهبوا حياتهم للطب بحب وكرم اخلاق. فى هذه الصفحات القليلة، التى تشكل هذا الكتاب.



الكتاب: المبادىء الفلسفية الجديدة

تأليف: اسماعيل المهدوى

الناشر: المؤلف

١٦٠ ص، ٤ ج. م

هذا هو اول اعمال الكاتب المعروف اسماعيل المهدوى بعد ان عاد الى حياته العادية بعد ان كان قد غاب عن قرائه سبعة عشر عاما قضاها نزيلا فى مستشفى الأمراض العقلية فى العباسية، وهو كتابه الثامن وعنوانه الثانوى: «نقد عقلانى للفلسفة الماركسية»، ويناقش فلسفة التناقض ومغالطات فلسفة هيجل التى نقلتها الفلسفة الماركسية كما يناقش الاساس الفلسفى للعلوم وخصوصا مبادىء العلوم الفيزيائية المعاصرة.

انه كتاب جدير بمناقشة النقاد والدارسين حتى تتبين لنا الاسس العلمية التى قام عليها ومدى تاصيلها.

المائة الأعظم

بقلم: حسين أحمد أمين

أبو حيان التوحيدي

٩٣٢ - ١٠٢٣ م

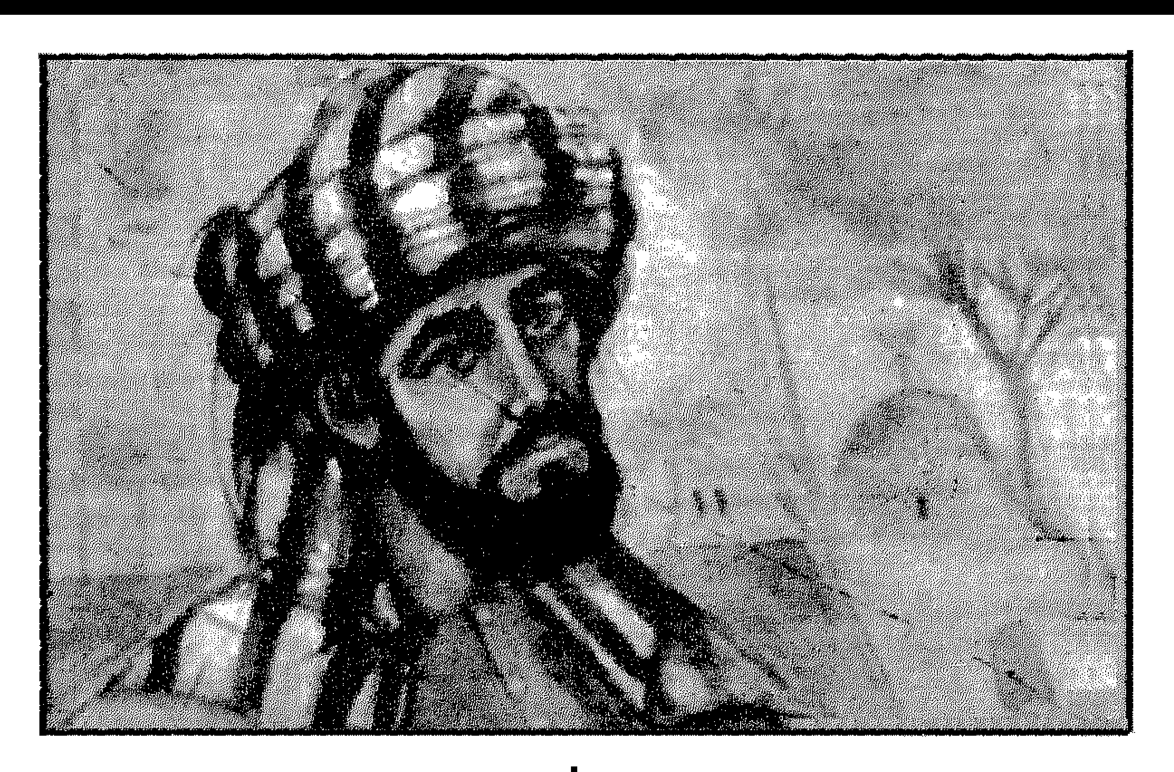
□ فيلسوف الأدباء واديب الفلاسفة ، وصاحب اروع اسلوب في النثر العربي كله .

اصيب بالبؤس في حياته وظل طوالها يجاهد ويكافح في التاليف واحتراف النسخ ، يقصد الأمراء والوزراء لعلهم يكافئون علمه وادبه ، فلم ينل طائلا في حين رأى من حوله من العلماء والشعراء يحظون بالمال والشهرة وما لديهم ما يداني ما لديه من علم وادب . واراد في آخر ايامه ان ينتقم من الناس الذين جحدوا مواهبه وكفروا صنيعه فأحرق ما الفه من كتب ـ وتبلغ نحو العشرين ـ فلم يبق منها بين ايدينا سوى ربعها . كتب يقول :

« إني جمعت اكثرها للناس ولطلب المثالة منهم ، ولعقد الرياسة بينهم ، ولمدّ الجاه عندهم ، فحرمت ذلك كله . ولقد اضطررت بينهم بعد العشرة والمعرفة في اوقات كثيرة الى اكل الخضر في الصحراء والى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة والى بيع الدين والمروءة والى تعاطي الرياء والنفاق والى مالا يحسن بالحر ان يرسمه بقلم ، ويطرح في قلب صاحبه الألم » .

اعظم ما بقي من كتبه كتاب « الإمتاع والمؤانسة » ، وهو من انفع وامتع كتب التراث العربي ، ولتاليف هذا الكتاب قصة ، وهي أن ابا الوفاء البوزجاني الرياضي الشهير عرّف ابا حيان بالوزير ابي عبدالله العارض فجعله الوزير من سمّاره وسامره نحو اربعين ليلة

في التاريخ الإسلامي

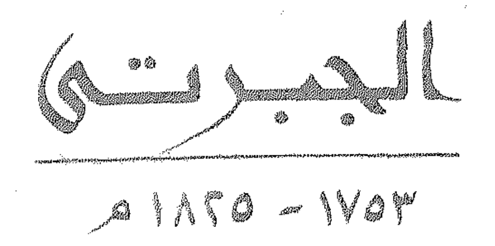


يتحادثان فيها ويطرح الوزير عليه اسئلة فى مسائل مختلفة فيجيب عنها ابو حيان .. ثم طلب ابو الوفاء من ابى حيان ان يقص عليه كل مادار بينه وبين الوزير من احاديث ففضل ابوحيان ان يدون ذلك فى كتاب هو « الامتاع والمؤانسة » .

قسّم ابو حيان كتابه الى ليال ، يدون فى كل ليلة ما دار بينه وبين الوزير من اسئلة واجوبة . وكان الوزير يقترح الموضوع حسبما اتفق حتى اذا ما أجاب ابوحيان اثارت اجابته افكارا ومسائل اخرى عند الوزير فيستطرد اليها ويساله عنها . ويحدث احيانا ان يطلب اليه الوزير ان يحضر له رسالة فى موضوع ثم يتلوها عليه فى جلسة مقبلة او ان يدفع لابى حيان برقعة فيها اسئلة يطلب اليه ان يفكر فى الاجابة عنها وان يتصل بغيره من العلماء لياخذ رايهم فيهـا .. لذلك جاءت موضوعات الكتاب متنوعة تنوعا ظريفا لا تخضع لترتيب ولا تبويب ، وإنما تخضـع لخطرات العقـل وشجـون الحديث ، وتتصل بمسائل لا تحصى من العلوم والفنون ، كالأدب والفلسفة وعلم الحيوان والاخلاق والطبيعة والبلاغة والتفسير والحديث والغناء واللغة والسياسة بالاضافة الى تحليل شخصيات لفلاسفة العصر وادبائه وعلمائه .

وقد اتهمه بعض العلماء بالزندقة .

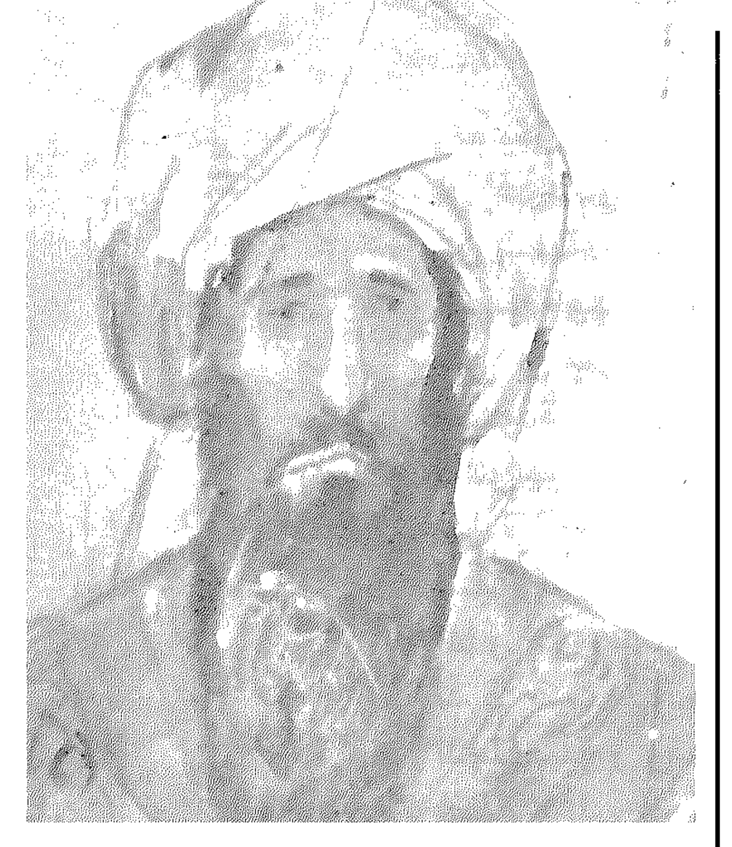
قال ابن الجوزى : زنادقة الاسلام ثلاثة : ابن الراوندى والتوحيدى والمعرى ، وشرّهم على الاسلام التوحيدى لانهما صرّحا ولم يصرح غير أن الكافة اجمعت - قديما وحديثا - على انه من اعظم مفكرى العرب ، وعالم محيط بمختلف فروع المعرفة ، وكاتب متفنن بليغ . وصفه ياقوت فى «معجم الادباء» بانه «امام البلغاء وفرد الدنيا الذى لا نظير له ، ذكاء وفطنة وفصاحة» ووصفه ادم متز فى كتابه عن الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى بانه «ربما كان اعظم كتاب النثر العربى على الاطلاق» .



□ مؤرخ مصرى من اصل حبشى ، وصفه ارنولد توينبى بانه من اعظم المؤرخين الذين شهدتهم البشرية . عاش حقبة من اقسى واخصب الحقب فى تاريخ مصر ، فقد ادرك أواخر ايام المماليك ، وسنى الحملة الفرنسية على مصر ، ثم عودة حكم العثمانيين ، فانفراد محمد على بحكم البلاد . ودون فى كل ذلك كتابا خالدا هو «عجائب الاثار فى التراجم والأخبار» .

وقد نشا الجبرتى فى بيت علم وثراء ، وكان بيت والده مقصد العلماء وكبار رجال العصر ، يحوى من ذخائر الكتب ونفائس التواريخ ما افاد منه الجبرتى كثيرا وكان مغرما بالتنقل فى انحاء مصر ليعرف مدنها وقراها ويتصل بعلمائها وعظمائها ، ويطلع على حياة طوائف شعبها وكلها امور اهلته لتدوين ما عاصره من احداث سواء منها ما شهده بنفسه او اخبره بها الثقات فى حينها .

وكتابه «عجائب الاثار» صورة صادقة حية للعصر الذى عاشه الرجل . فهو يسجل الحوادث الجارية يوما بعد يوم ، ويحكم عليها وعلى مشاكل المجتمع حوله حكم عقل راجح وحيوية الكتاب تنبع من انه تقييدات بنت ساعتها ، كتبت بأسلوب هو فى الكثير الغالب شعبى قد نلحظ فى صفحات منه اثر التكلف وغلبة السجع غير أن هذا إنما يكون حين يتحدث الجبرتى فى مسائل او ابحاث اجتماعية اما اذا دفعته الحوادث لسردها وتبيانها فإنه يسجلها كما اقتضتها الظروف ويدبجها عفو الخاطر ، فلا تكلف ولا تصنع وإنما هو يرسل الكلام ارسالا كما ترسله العامة مستخدما من الكلمات احيانا ماهو ممعن فى العامية او الاقليمية .



وهو فى حكمه على الحملة الفرنسية بإنجازاتها وفظائعها ، موضوعى الى ابعد الحدود ، عكس حاله فى كتابه الأول «مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس» الذى اشاد فيه بالعثمانيين ودورهم فى اجلاء الفرنسيين اعداء مصر والاسلام عن البلاد ، وركز فيه على سلبيات الحملة دون الايجابيات .

أما معالجته للأحداث فى عصر محمد على ، فيتضح منها مدى كراهيته لهذا الوالى واستنكاره لاسلوبه فى الحكم ، وعجز الجبرتى نفسه عن فهمه للأهداف السياسية العامة والبعيدة لمحمد على وأما عن القسم الاول من الكتاب ، وهو الخاص بفترة حكم المماليك قبل وصول بونابرت فإن قيمته تكمن اساسا فى أن أحد المصادر النادرة التى وصلتنا عن تلك الحقبة وإن كان من الصعب نتيجة لذلك ان نحكم على صحة ما اورده عنها من اخبار ومعلومات .

هذا وقد ظل نشر كتاب «عجائب الآثار» محظورا فى مصر حتى عام ١٨٧٨ بسبب ما أورده من فظائع عهد محمد على وسلبياته ففى ذلك العام نشرت بعض اجزاء الكتاب ، ثم نشر النص كاملا عام ١٨٨٠ فى عهد الخديو توفيق . اما الفرنسيون فقد كانت عنايتهم مبكرة بترجمة الكتاب ونشره لما يلقيه من ضوء نادر على سنى الحملة الفرنسية فى مصر وموقف الاهالى منها ومن قادتها وانجازاتها وقد افاد ادوارد لين صاحب كتاب «عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم» كثيرا من عجائب الاثار فى الحواشى التى كتبها على ترجمته لألف ليلة وليلة .

ويذكر لين ان الجبرتى قام بتهذيب لغة الف ليلة وليلة «وأنه اضاف اليها كثيرا من الطرائف التى يعرفها والتى سمعها من غيره من الادباء» ، غير أن الظاهر ان هذه النسخة قد فقدت .

أحمد بن حنبل

٧٨٠ ٨٥٥ م

مؤسس المذهب الحنبلى ، واقوى الشخصيات فى معسكر أهل السنة بعد وفاة أستاذه الامام الشافعى ،

ولم يكن تأسيس المذهب ـ فيما نعلم ـ عن قصد منه ، أو إعداد من جانبه ، غير أنه كان وليا عظيما ، منافحا عن السنة ، اجتمعت فيه خلال الورع والنضال ، وهذه الحقيقة وحدها هى التى حملت تلامذته والمعجبين به على أن يفرغوا تعاليم أستاذهم بعد موته فى قوالب محدودة ، وفى قواعد ومبادىء ، كما أنهم ضموا صفوفهم وتساندوا فيما بينهم كى يؤلفوا مدرسة فقهية ، ونشوء هذا المذهب الفقهى عفوا ودون تدبير سابق أو وصية من ابن حنبل ، دليل على الأثر العميق الذى كان لشخصيته على عصره والعصور التالية له .. فمما حمده المسلمون له من المناقب سيرته الشخصية ، وتعاليمه التى لاتحيد عن السنة قيد انملة ، على الرغم مما لاقاه فى سبيل الذب عنها من أذى واضطهاد .

كان عالما ، ألم عمله بناحية واحدة فحسب ، الا وهى القرآن والحديث وما انعقد من إجماع المسلمين فى العرف الذى جروا عليه ، والرأى الذى ارتضوه فكان واسع الخبرة بهذه الموضوعات راسخ القدم فيها .. أما العلوم الدنيوية فيبدو أنه لم يكن على حظ كبير منها .. وكان هذا الضرب من العلوم الشرعية ، مضافا إليها شجاعة أدبية عالية ، وجأش رابط ، سلاحه الماضى فى الحرب الجدلية التى أوقد المأمون والمعتزلة نارها .

اجل كتبه « المسند » الذى يشهد بسعة إلمامه بالعلوم الدينية الاسلامية وهو يشتمل على ثلاثين ألف حديث من الأحاديث المستندة لأكثر من سبعمائة صحابى ، انتقاها ابن حنبل وانتخلها من سبعمائة ألف حديث ، وقد ساعد هذا الكتاب والكتب الأخرى التى اشتقت منه على إحلال الحديث مكانة رفيعة كمصدر من مصادر الفقه الاسلامى .

أما عن دوره إبان حركة الاضطهاد الدينى التى بدأها المأمون ، والتى تعرف بمحنة خلق القرآن .. فقد قام ابن حنبل بما لم يقم به غيره من تعزيز روح المقاومة فى حزبه ، ومناهضة جهود المأمون والمعتصم والواثق وعمالهم فى قمع أنصار السنة ، وقد كان طوال مدة المحنة رأسا يقتدى الناس به ، وينتظرون منه قولا ليقولوا به .. فلو صبر على حبسه وجلده لكان فى صبره فوز السنة الاسلامية ونهوضها ، ولو ضعف وفتن لكان فى

ضعفه سقوطها وخذلانها .

وفى رأينا أنه كان وراء موقف ابن حنبل المتشدد اعتباران لاندرى أكان واعيا بهما أم لا :

الأول : الاحساس بأنه لابقاء للاسلام الا ببقاء السنة ، ففى سلامتها سلامته ، وفى صونها صونه ، ولو أنه أتيح للحركة العقلية التى نهض بها المعتزلة أن تؤدى الى نبذ السنة ، فمن الراجح أن يكون لمبدأ حرية الفكر - الذى يدين بالعقل دون النقل ، ولاينزل على حكم سلطة ما - أثر انحلالى يوهن من قوة الاسلام وتماسكه ، كما أنه يجعل الاسلام أكثر قابلية للتأثر بما يطرأ عليه من خارجه من عوامل التعديل والاصلاح حتى يكون أكثر انطباقا على نواميس العقل ، وأدنى إلى مقتضيات واحتياجات العصور المتتابعة .

والثانى : الاعتقاد بأن إثارة محنة خلق القرآن كان الدافع إليها فى حقيقة الأمر ميل المأمون ومن تبعه من الخلفاء الى مساندة الجبهة الأوتوقراطية (وقوامها من الوزراء والكتاب والولاة والاداريين المحترفين الذين أصبح جلهم من الفرس) الراغبة فى تعزيز سلطان الخليفة وسلطانها ، وفى كسر شوكة العرب والفقهاء من اعدائها ، وقد كان من أبرز

وسائل أفراد هذه الجبهة لتحقيق غايتهم أن يحرروا الخليفة من إذعانه لأحكام الشريعة نظرا الى أن هذا الاذعان انما يعنى اذعانهم فى ممارسة سلطانهم لرقابة منافسيهم وخصومهم ، الا وهم طبقة الفقهاء وعلماء الدين ، وقد وجدوا فى

احدى نظريات المعتزلة ماقد يصلح لأن يستندوا اليه فى سبيل تحقيق غرضهم ، الا وهى نظرية خلق القرآن ، ذلك بأن القول إن القرآن غير مخلوق ، وبأنه قديم قدم الله ، إنما يعنى أنه مساو له فى القدر وتعبير كامل عن حقيقته ، فى حين أن

القول بأن القرآن مجرد كلام خلقه ، يجعله بمثابة غيره من المخلوقات ، كالناس والأنعام والجبال والحجارة ، فليس له إذن

من المقام مايعزوه الفقهاء إليه ، وبالتالى فإنه يمكن للخليفة أن يأخذ بأحكامه او ينحيها جانبا وفق ماشاء .. فالقول بخلق القرآن يضعف من الأساس الذى عليه آراء الجبهة الدستورية التى تذهب إلى ضرورة أن يكون القرآن دستور المجتمع ، والنظام السياسى للدولة ، فى حين تؤدى نظرية خلق القرآن الى القول بأن الامام فوق الشريعة وليست الشريعة فوق الامام .



● حول السرقات الأدبية ●

● جاءنا من السيد نبيل سليم بالاسكندرية رد مطول على المقال الذى كتبه عنه الزميل محمود قاسم فى هلال مارس الماضى بعنوان « ظاهرة خطيرة فى حياتنا الثقافية ـ شاب مغمور ينشر مقالات قديمة فى معظم المجلات الثقافية » .

ولما كان مقال الاستاذ سليم شديد الطول ولايرد ردا شافيا على الأسئلة التى اثارها مقال محمود قاسم ، فإننا نوجه إلى الأستاذ سليم هذه الأسئلة المباشرة ، ونرجو ان يرد عليها ردا موجزا مباشرا يبرىء ساحته :

١ ـ هل نقلت يا استاذ سليم مقالا عن مجلة ليبية ونشرته فى مجلة « الدوحة » المحتجبة ؟!

٢ ـ تقول إنك مدرس بقسم العظام بجامعة الاسكندرية والجامعة تنفى ذلك ، فماذا تقول ؟

٣ ـ هل نقلت مقالا علميا ونشرته فى مجلة « العربى » الكويتية ؟

مطلوب إجابة مباشرة عن كل سؤال لتبرئة ساحتك تبرئة لا شائبة فيها ! .

● الاسكندرية وتاريخها ●

● المعروف أن الاسكندرية ، أنشئت على يد الاسكندر الاكبر منذ ٢٣٠٠ سنة تقريبا ، ومع ذلك نشرتم فى هلال مارس الماضى مقالا عن الحياة الثقافية فى الاسكندرية قبل أربعة آلاف سنة ، فكيف نشأت الحياة الثقافية فى الاسكندرية قبل إنشاء المدينة نفسها بحوالى ألفى سنة ؟! »

● وفى العدد نفسه نشرتم مقالا للأستاذ محمد عودة عن أسطورة حب هندية ، أو الحب الذى كان بين نهرو وزوجته كمالا .. ومع أن هذه القصة نشرت فى مصر مرارا لكننا نتقبل نشرها فى الهلال ، لولا أن المقالة نفسها نشرت فى مجلة روز اليوسف بقلم الكاتب نفسه ، قبل نشرها فى الهلال بيومين أو ثلاثة .. فهل لهذه القصة القديمة المحروثة من الأهمية مايبرر نشرها فى مجلة أسبوعية ثم فى مجلة شهرية بمصر خلال أيام معدودة ؟!

محمد مصطفى كمال
المنيل ـ القاهرة

● تعليق الهلال :

● نشكركم على الملاحظتين .. أما رقم الأربعة آلاف سنة ، فإنه زلة قلم ، سببها اعتيادنا أن نتحدث عن تاريخ مصر بالألوف الكثيرة من السنين .. وأما مقال نهرو وأسطورة حبه لزوجته كمالا ، ونشر هذا المقال هنا وهناك في وقت واحد ، فلعله كان خطأ في حساب صدور هذه المجلة وتلك ، من صديقنا كاتب المقال .

● الليل والأشباح ●

الليل غزل ..
قُبل تتناثر إثر قُبل
والراح تدور بغير ملل
والقبو الحالم نشوان الأعماق .. ثمل !
والكل ثمل !
إلا شبحا !
لذعته في الأضلاع سياط ملل !
فرحل !
هتف السمار :
عجبا .. ! ياللسر الغامض !
ذئب الليل الجائع
سئم الصيد الشائع
ومضى في الليل يهيم وراء سراب !
عذرا ياسماري الأحباب !
عذرا ! ..
عيناي تشدهما أشباح

سعد الدين أحمد خليل ـ القاهرة

● فوائد الصوم ●

● جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه . عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : « كل عمل إبن آدم له . الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف . قال الله عز وجل إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به .. يدع شهوته وطعامه وشرابه من أجلي .. للصائم فرحتان عند فطره وعند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك .

أما فضل الصيام من الناحية الصحية فيعتبر الصيام وسيلة مثالية

لتحسين الصحة وطريقة للوقاية والعلاج لبعض الأمراض بإراحة المعدة وتخفيف العبء على القلب وباقى أعضاء الجسم ومن ذلك الأمراض الناشئة عن التخمة وبعض الأمراض الروماتيزمية وبعض أمراض الدورة الدموية .

وحكمة الصوم هى كسر شهوة الطعام عند العبد وإضعاف نزعة الهوى عنده لتقوى نفسه على الطاعة وممارسة العبادات التى ترقق حواسه وتوقظ فيه محاسن الخصال ومكارم الطباع .

صلاح الشهاوى
دمشيت ـ طنطا

● الصوم والأعصاب ●

● بعد تهنئة من الأعماق لأخواننا المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها عامة وجمهوريتنا الحبيبة وعالمنا العربى خاصة .. سائلا الله عز وجل ان يعيده علينا جميعا باليمن والبركات .. أشير بكلمة موجزة عن الاعصاب فى رمضان : فإن الامتناع عن الطعام والشراب لايحطم الأعصاب .. كان غاندى الزعيم الهندى يمتنع عن الأكل والشرب ثلاثة أشهر ومع ذلك لايفقد أعصابه ولايختل اتزانه وكتب أعظم ماكتب.وهو صائم وفكر فى اكبر خططه السياسية ومعدته فارغة !

ولايفوتنى ان اذكر قولا مأثورا لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه اذ قال عن صيام النفس : « صيام النفس عن لذات الدنيا افضل صيام » .

● **ومن طرائف رمضان :**

ـ دخل على ابى جعفر المنصور كاتبه « بن رغبان » فى شهر الصوم فقال له الخليفة : اتعطش ؟! قال الكاتب : نعم يا أمير المؤمنين .. قال الخليفة : ماسحورك ؟! قال الكاتب : فرخ أو دجاجة أو لحم بارد أو شواء .. قال الخليفة : هذا الذى يعطشك .. عليك ان تتسحر بما يتسحر به أمير المؤمنين .. خذ كعكات من هذا الكعك الشامى وضعها فى أناء واغمرها بالماء وذلك فى اول الليل .. فإذا كان وقت السحور وجدت الكعك قد ذاب فى الماء فاشربه فإنه طعام يعصم وشراب يروى !

وليم اسكندر يونان ـ بنى سويف

● مجلة الهلال ●

الحمد لله عادت روضة الأدب
وضِيئة اللمح فى زهو وفى عجب

ثبت كل جديد من روائعها
رشيقة اللفظ فى ظرف وفى حدب
أهلا رفيقة روحى فى تألقها
أعدت ماأشتهى من سحر منتخب
شوقى إليك قديم لست أنكره
وإنما هو أصداء من اللهب

عطية قنون - حلوان

● الشاعر أحمد مخيمر ●

● ولد الشاعر أحمد مخيمر سنة ١٩١٠ ، حفظ القرآن فى كتّاب القرية وجاء إلى القاهرة لكى يدرس فى الأزهر ودرس بمدرسة قسم الحفاظ امام المسجد الحسينى وقرأ بمكتبة والده كتابى العقد الفريد وقاموس المحيط والتحق سنة ١٩٢٨ بكلية دار العلوم ثم تعرف بكوكبة من شعراء مصر وهم الهمشرى وعلى محمود طه وابراهيم ناجى وابو شادى ومحمود حسن اسماعيل واتجه إلى صالون العقاد وكان هو والشاعر المرحوم العوضى الوكيل صديقين حميمين . وله ديوان فى ظلال القمر صدر سنة ١٩٣٤ وديوان انفاس فى الظلام سنة ١٩٣٥ .

وفى سنة ١٩٤٧ صدر للشاعر احمد مخيمر « لزوميات مخيمر » وذلك الديوان على نمط لزوميات المعرى .

وللشاعر أحمد مخيمر اكثر من ديوان ضائع منها ديوان شعر كامل نظمه فى أسيوط خلال عامين قضاهما مدرسا ١٩٤٠ ، ١٩٤١ .

وفقد الشاعر ديوانا كاملا نظمه فى الاسكندرية ١٩٤٢ وله اكثر من عشرة دواوين شعر .

وكان الشاعر المرحوم احمد مخيمر من اوائل الشعراء الذين غنى له المطربون فى الاذاعة المصرية .

وله قصائد كثيرة فى تمجيد ثورة يوليو ١٩٥٢ وحرب اكتوبر ١٩٧٣ وله ديوان يقع فى ٣١٩ صفحة ويحمل عنوان « الغابة المنسية » وكتب الشاعر احمد مخيمر فى جميع اغراض الشعر المعروفة .

رجب عبدالحكيم بيومى الخولى
ليسانس لغة عربية - القاهرة

• أخلاقيات •

غنمت من الدنيا أذاها وظلمها
ولما أنل منها سوى عسر مغنم
إذا عصرت من شرها غسل ملبس
شربت قذاه بين يأس ومغرم
فما أنا بالمحبور إن لاح فرحها
ولا أنا بالمحزون ، فى قاع مأتم
وسيان ، ما ألقى من الود غبطة
ومايبتليني من أسى وتبرم

عبدالعزيز بيومي على
مدير بالمدارس الثانوية بالمعاش

• اتركينى •

نفضت غبار عشقك فاتركيني
كفانى ماأضعت من السنين ..
قضيت إلى جوارك كل عمرى
فماذا قد جنيت سوى الأنين ؟!
ركبت عباب حبك دون وعى
وقلت : حبيبتى أملى سفينى
فما صدقت فيك كلام واشٍ
ولا أسكنت غيرك فى جفونى
وكنت إذا دقائق غبت عنى
أقول لبسمتى : هيا اهجرونى
فما عرف الغرام إليك فجا ..
وماكانت عيونك تبتغينى

رمضان عبداللطيف حامد
كلية الآداب ـ قنا

● صديق قديم ●

أقصوصة :

ـ ربما تكون أنت الذى لا اعرفه .. هل انت هو ؟

ـ لا أعتقد .

ـ من تكون إذن .

ـ أكون ما أريد أن أكونه .

ـ ماهذا العبث ! ياهذا .. إن كل موجود يجب أن يكون له اسم ، فإذا لم تكن من أظنه ، فأنت بالقطع آخر لا أعرفه .

ـ يبدو ذلك .

ـ لماذا تتحدث هكذا ؟! يبدو .. يمكن .. آلا يوجد شىء اسمه انا أكون .

ـ ها .. هاها .. أعتقد أنه لايوجد .

ـ حتى كلماتك هذه بالاعتقاد والظن لا اليقين .

ـ لايوجد شىء غير هذا .. عفوا .. لقد جاءت السيدة التى كنت أنتظرها .. وداعا .. لم أسعد بلقائك .

يعدو نحو فتاة نحيلة ذات شعر أصفر باهت وعينين خضراوين .

ـ لماذا يقول إنها سيدة إذن ؟!

إنها تبدو كمن لم يمسها بشر .. إننى أعرفهن .. السيدات لهن أجساد طرية مهفهفة وذوات شحم مترهل ، حتى النحيفات منهن تبدو على أذرعهن واثدائهن وخزات الرجال .

أهكذا تتركنى وحدى ، أيها العربيد عليك اللعنة ياخنزير .. لن أصدقك بعد اليوم ، لترحل ولأذهب إلى غرفتى الحقيرة وحدى ، وإذا وجدتك هناك ساقتلك لا محالة ..

حمدى محمد عبدالموجود

كلية آداب القاهرة ـ قسم فلسفة

● خطأ مطبعى ●

● جاء فى مقالة « صورة مصر فى أدب إحسان عبدالقدوس » للدكتور الطاهر مكى بعدد فبراير الماضى ، قوله : « وفى الثانية عشرة دخل كلية الحقوق » وأعتقد أنها « الثانية والعشرين » وأن هذا خطأ مطبعى ! ..

عاصم فريد البرقوقى ـ الاسكندرية

● تعليق :

ـ الصواب هو أن إحسان عبدالقدوس تخرج فى كلية الحقوق وهو فى الثانية والعشرين !

أنت والهلال

● نداء ●

من منا ...
من يروى ازهار الصبار
او يصعد فوق الأهوال
او يغرس زهر الاحلام
فالكون سحاب من نار
والفجر طريق الاخطار
فالظلم سياط ودمار
هل تسطع شمس الأحرار
وتزلزل ليل الاهوال
وتحارب فى كل مكان
كى يعلو صوت الانسان ؟

اشرف محمد ابو العز
المعصرة - المنشية الجديدة

إستدراك

وقع خطأ فى مقال الدكتور يوسف خليف بعنوان « صورة المرأة بين احسان وعمر بن ابى ربيعة » ، حيث ذكر فى ص ١٢٩ « فى نهاية الفقرة الأولى من العمود الأول « وحققت ذاتها واثبتت شخصيتها ، وخرجت من عالم الأنوثة »

وصحتها « وحققت ذاتها واثبتت شخصيتها وخرجت من « عالم الحريم » ولكنها لم تخرج من « عالم الأنوثة »

● مع أصدقائنا ●

● يوسف عبدالحميد النورى - كفر الشيخ :

- لأول مرة تأتينا رسالة من قارىء يقول إنه لايعرف أن العقاد كان يقول الشعر ، نرجو ايها الصديق أن ترجع إلى دواوين العقاد الكثيرة لتعرف أنه كان شاعرا .

● جبر جميل شعث - الحى الجامعى - باتنة - الجزائر :

- لاترسل إلينا أوراقا نقدية فى خطاباتك مرة أخرى ، وقد تلقينا منك ورقة من ذات الجنيه ولاندرى كيف خرجت هذه الورقة من مصر وعادت إليها ، ولاندرى كيف نعيدها إليك ، فلا حل إلا أن تبقى هذه الورقة أمانة عندنا حتى تستردها إذا زرت القاهرة ، أو يأخذها من ينوب عنك .. وأما قصائدك التى

أرسلتها إلينا فهى تحمل شعورك القومى الجميل ولكنها تفتقر إلى الأوزان ، فهى نثر لاشعر ، ونذكرك مرة أخرى بأن إرسال الأوراق المالية المصرية أو إخراجها من مصر مخالف للقوانين !

● **عبدالرزاق صلاح ـ العقبة ـ الأردن :**

ـ أنت تشتم نجيب محفوظ وتمتدح الواعظ المتشنج الشيخ كشك وتقول إن نجيب محفوظ يستحق جائزتين إحداهما جائزة نوبل ، والأخرى جائزة غضب الله عليه وخزيه يوم القيامة بسبب روايته « أولاد حارتنا » وواضح أنك مثل الشيخ كشك تعتبر نفسك مبعوثا للعناية الألهية فوق الأرض ، توزع صكوك الغفران كما تشاء وتحكم بالتكفير على من تشاء وما اعجبك ياصديقى .. ألا ترى أنك وأنت من سكان « العقبة » على مرمى حجر من « إيلات » اليهودية أنك توجه كل حقدك إلى إنسان عربى ، وتنسى تماما « جيرانك » الصهيونيين !

● **محمد محمد السباطى ـ شبرا :**

ـ المجلات البترولية يدير أكثرها أناس لاخبرة لهم ولهذا ينشرون اى كلام ، وقد كثر مقاولو الكلام أو « مقاولو المقالات » الذين يكتبون ويترجمون أى شىء ويبعثون هذه « المقاولات » إلى عشرات الصحف ، وبعضهم يكتب فعلا مقالات وترجمات متناقضة الاتجاهات فى أكثر من عشرين مجلة فى وقت واحد ، ولايمكن للقارىء أن يحترم مثل هذا الكاتب المقاول ! .. منتهى الابتذال فى الجرى وراء الدولارات فى كل مكان وبلا أى مبادىء .

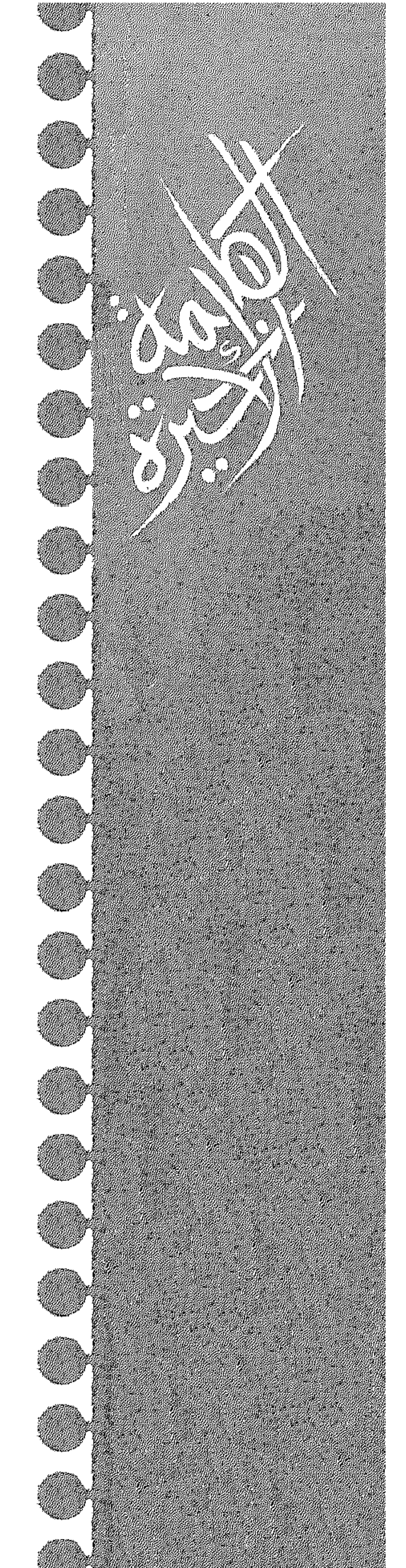
● **فرج مجاهد عبدالوهاب ـ شربين :**

ـ لانستطيع نشر كل انتاج المشاهير أمثال المهندس المرحوم حسن فتحى ، وأن كانت تستحق النشر ..

● **محمد فوزى ـ الاسكندرية :**

ـ نحن تقدمنا ببلاغ إلى النائب العام ضد الشيخ كشك ولم ندخل معه فى مناقشة أفكار ، لأن الشيخ كشك لايحمل أية أفكار تستحق المناقشة ، وكيف بالله نناقش شخصا لايحمل إلا أفكار التكفير والردة ويرفض مناقشة أى شىء خارج هذه الدائرة الجنونية التى لايستطيع الخروج منها ؟! .

● **ونقدم الشكر الجزيل لأصدقائنا السادة : أشرف خليل .. وجيه عشم .. رمضان الهجرسى .. أيمن على عبيد .. زارع عبدالراضى رضوان .. أمين محمود العقاد .. عبداللطيف مبارك عمر .. محمود عبدالمجيد أحمد .. ممدوح عبدالفتاح الهلباوى .. محمد عبدالرحيم الزينى .. أحمد حسنين خلف الله .. وهيبة رشاد رجب .. عبدالعظيم عبدالراضى الشافعى .. زينب على خليف .. فاطمة زين العابدين .**



كلما فكرت فى مجلة «الهلال» ، وجدتنى افكر فيها كقارىء وليس كاحد كتابها . فانا حديث العهد بذلك على اى حال .

ولا ازعم اننى كنت من المداومين على قراءتها منذ ادركتنى عادة القراءة فى زمن الصبا الأول : فالدنيا صروف وظروف ، اصابتنى واصابتها مثلما تصيب غيرى وغيرها .

واعترف اننى كلما فكرت فيها كقارىء ، وجدتنى افكر انها تستحق من ناشريها معاملة افضل مما تلقى .

وليس فى وعى بمجلة «الهلال» مايسبق اطلاعى عليها ، اى اننى لم اطلع على القديم منها ، عرفتها ايام رئاسة المرحوم الدكتور احمدزكى لتحريرها ، ثم خلفه على هذه السدة جميعا .

وهى سدة سنية لأن المسئولية عن مجلة تتعرض لمهمة التثقيف ، مسئولية باهظة ، إنما عبؤها يزداد كلما امتد بالمجلة العمر وبقيت حية ، فليست مسئولية رعاية مجلة عمرها من السنوات خمس أو عشر كمسئولية من يرعاها وهى تدرج نحو القرن من الزمان عمرا ، فحامل مثل هذه المسئولية يكون بالضرورة اصغر سنا من المجلة التى يرعى ، وتكون من مصاعبه ان يوفق بين شبابه وبين تراثها .

وبغض النظر عن تفاوت الأعمار ، فهل لك أن تتخيل هول المسئولية عن كائن حى يقترب عمره من القرن زمانا ، ولم يزل فى شرخ الشباب ؟

واعترف ان بىَ خشية من هوى يغرينى .

اما الهوى فهو ان القى بنفسى فى خضم المجموعة الكاملة لمجلة "الهلال" .

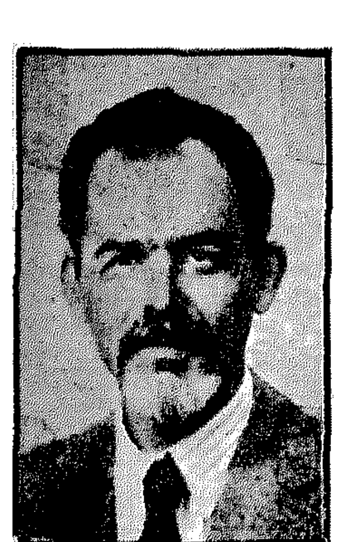
ففيها ـ بلاشك ـ سجل موثوق لحياة العرب الفكرية والثقافية على امتداد هذا الزمن كله ، وبغض النظر عن الاتفاق والاختلاف مع المناحى التى تكون بها "الهلال" قد حفظت هذا السجل . فهما ـ الاختلاف والاتفاق ـ جزء من التاريخ .

ولاضرب مثلا ، مما اتخيله مثيرا فى هذا السجل .

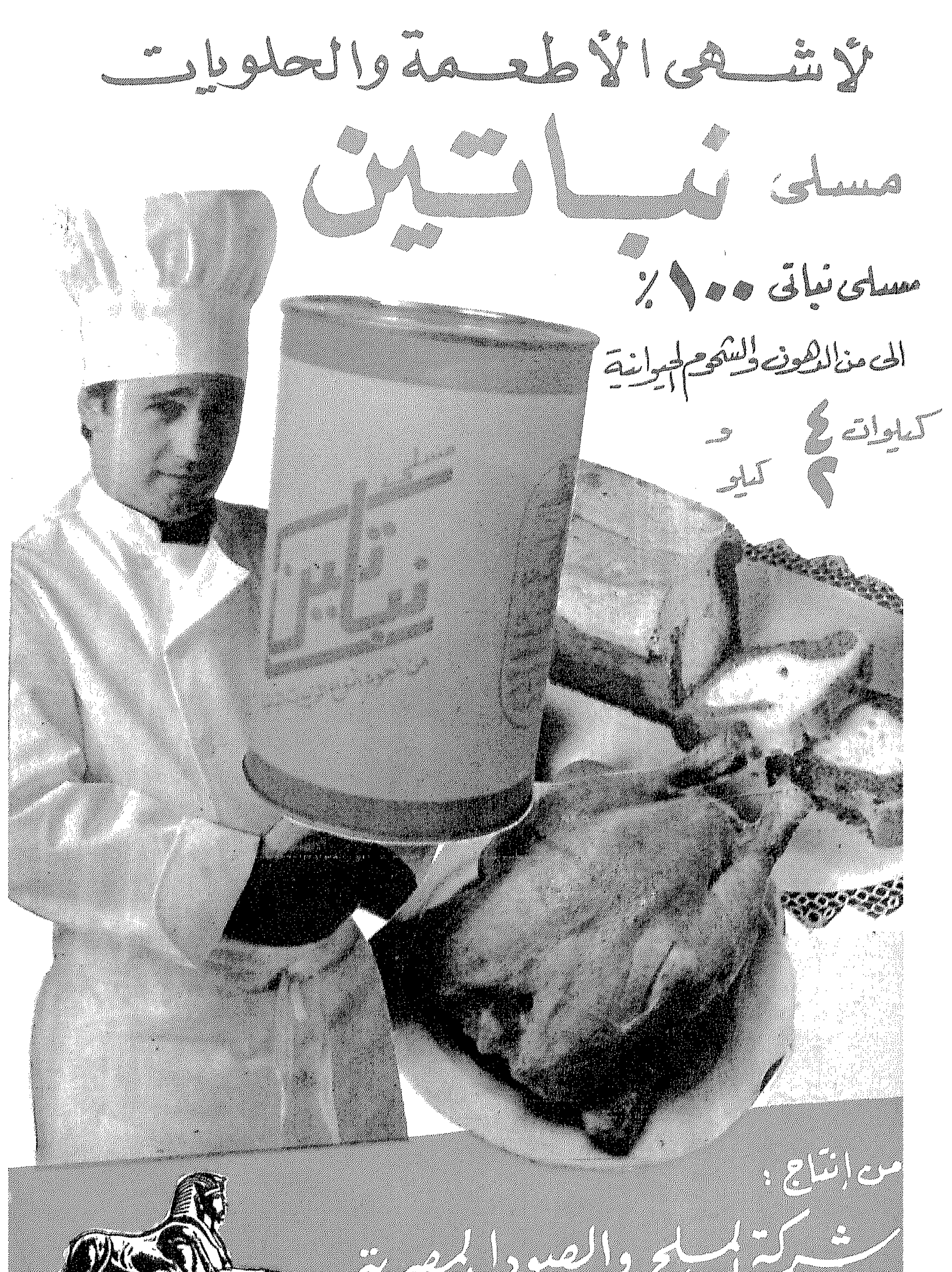
نحن الآن على أعتاب القرن الواحد والعشرين والألف الثالث للميلاد و"الهلال" الآن مشغولة بتسجيل حياتنا الفكرية والثقافية امام هذه العتبة .

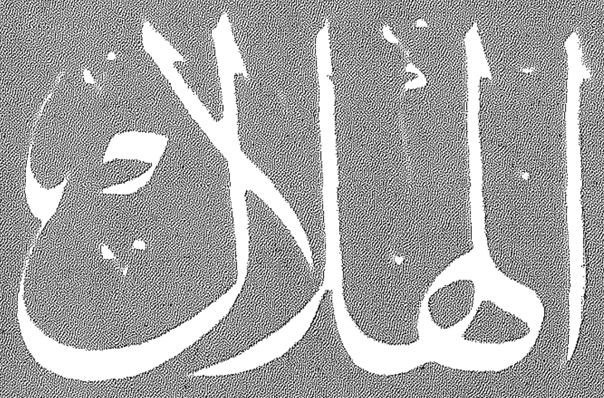
اليس مغريا ان نرى ايضا كيف دخلت عقولنا الى القرن العشرين ؟

اما الخشية ، فهى ان الاستجابة لهذا الاغراء قد تستغرق ما تبقى لى من عمر ، وقد لا يكفى «إن كان لنا عمر» كما نقول جملتنا المأثورة الحافلة بحكمة الحياة والموت .






لأشهى الأطعمة والحلويات
مسلى نباتين
مسلى نباتى ١٠٠ ٪
الى من الدهون والشحوم الحيوانية
كيلوات ٤ و ٢ كيلو
من إنتاج :
شركة الملح والصودا المصرية



مايو ١٩٩٠ ● الثمن ٧٥ قرشا

الاستشراق الفرنسي

يهود مصر من الاندماج إلى الهجرة

مشروع النهضة عند رشيد رضا

سنة ١٨٥٥

سنة ١٩٣٥

• مهرجانات •
الامساكية الثقافية

من يرى الامساكية الثقافية التى نظمت نشاطها وزارة الثقافة يعجز عن تصديق ان يكون كل هذا النشاط قد جرى فى مصر طوال شهر رمضان ، أما انه جرى فقد حدث اما كيف ؟ فهذه هى المسالة .

نشير الى ظاهرة وهى أن الدعوة قد وجهت لكل الاتجاهات دون تحيز لاتجاه دون الآخر ، كما انها شملت اغلب الاعمار والاجيال والفنون هذا مما لا شك فيه ، لكن الذى فيه شك كبير هو اختلاط الحابل بالنابل فى توجيه الدعوة ، فالحياة الثقافية ، هكذا كانت دائما يعيش فيها كثير من المدعين واذا لم تتوفر لمنظمى اى نشاط درجة كافية من الوعى بقيمة الذين تقدمهم للجماهير العطشى ، هنا تصبح المخاطر اشد من المكاسب ، ونحن هنا لا ندعو للحجر على احد ، وانما نود ان نؤكد على ان الفن قيمة ، وهذه القيمة يجب الحرص عليها والتاكيد عليها ، وذلك من زاوية معينة يتم عن طريق اشراك المواهب والمتخصصين الذين يتمتعون بالقدرة على التقاط القيمة ، والعدل فى توزيع الانصبة ، حتى تكون هذه المهرجانات الثقافية وسيلة للارتفاع بالمستوى العام للناس بدلا من الهبوط بهم عن طريق تقديم ما هو هابط .

ظاهرة أخرى تتعلق باتقان التنظيم ودقته ، فقد كانت دائما سمة الهرجلة احدى سمات العمل العام فى مصر ، وطبيعى ان تحدث تجاوزات فى أى نشاط ـ لكن ان يصل الأمر الى درجة ان يذهب المتكلمون الى ندوة فلا يجدون احدا يستمع لهم ، فهذه هى احد اهم المخاطر الناتجة عن عدم دقة التنظيم .

السنة السابعة والتسعون • مايو ١٩٩٠ • شوال ١٤١٠ هـ

الهلال

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجى زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

رئيس مجلس الادارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المستشار الفنى
محمد أبوطالب

مدير التحرير
عاطف مصطفى

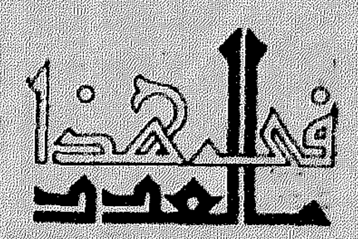
المشرف الفنى
محمود الشيخ

سكرتير التحرير التنفيذى
عيسى دياب

فكر وثقافة

صفحة

دائرة حوار





تصميم الغلاف : الفنان
محمود الشيخ



قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار موضحة بعاليه عند الطلب .

فنون

قصة وشعر



رحلة الانوال عبر الزمان
نجوى صالح ٦٦



● اوسكار هوليوود
مصطفى درويش ١٤٢

الأبواب الثابتة

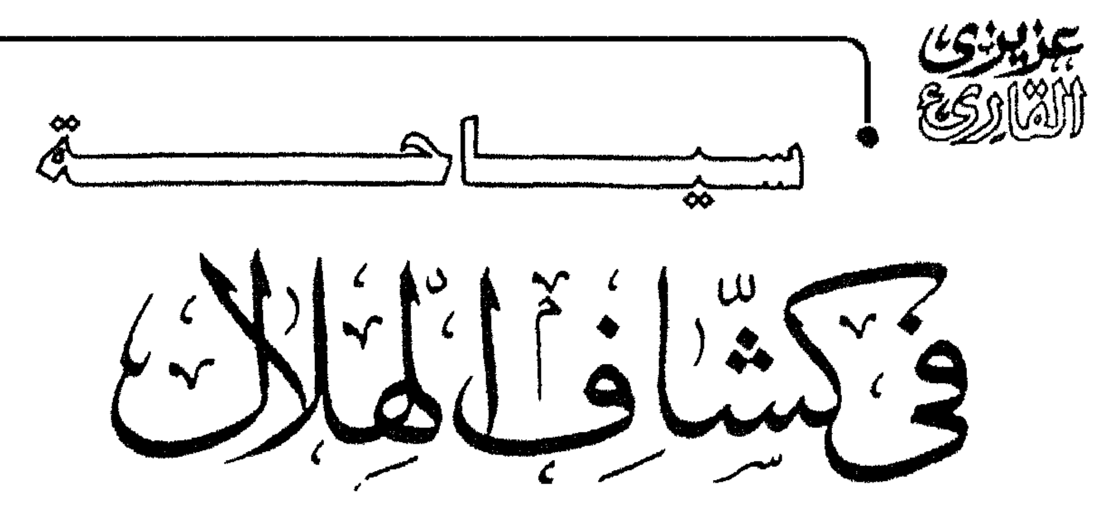
دار الهلال

١٦ شارع محمد عز العرب الرقم البريدى (١١٥١١) القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط - مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١
رقم التلكس 92703 HILAL U.N





لبنان ٧٠٠ ليرة ، الاردن ٦٠٠ فلس ، الكويت ٥٠٠ فلس ، العراق ١٠٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريالات ، عدن ١٢٥ سنتا ، البحرين ٨٠٠ فلس ، قطر ٧ ريالات ، الامارات العربية المتحدة ٧ دراهم ، سلطنة عمان ٧٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة ٧٥ سنتا ، انجلترا ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة ، الولايات المتحدة الامريكية ٤٠٠ سنت ، الجمهورية العربية اليمنية ٨ ريالات ، كندا ٥ دولارات .



يصدر فى هذه الايام الجزء الثانى من « كشاف الهلال » شاملا لبيانات مفصلة للمواد التى نشرتها مجلة « الهلال » فى المدة من خريف سنة ١٩١٤ الى خريف سنة ١٩٣٦ ، وكان الجزء الاول من هذا الكشاف قد صدر منذ عشر سنوات تبيانا للمواد المنشورة فى « الهلال » منذ العدد الاول سنة ١٨٩٢ الى صيف سنة ١٩١٤ ، وهكذا يسجل الجزءان الاول والثانى رءوس مواد الهلال بالتفصيل مع اسماء اصحابها فى اربع واربعين سنة .

والكشاف سجل واف دقيق لعناوين ومحتويات الموضوعات التى نشرتها مجلة الهلال ، واسماء الكتاب والعلماء والادباء والفنانين والصحفيين واصحاب الاقلام الذين انشأوا تلك المواد .

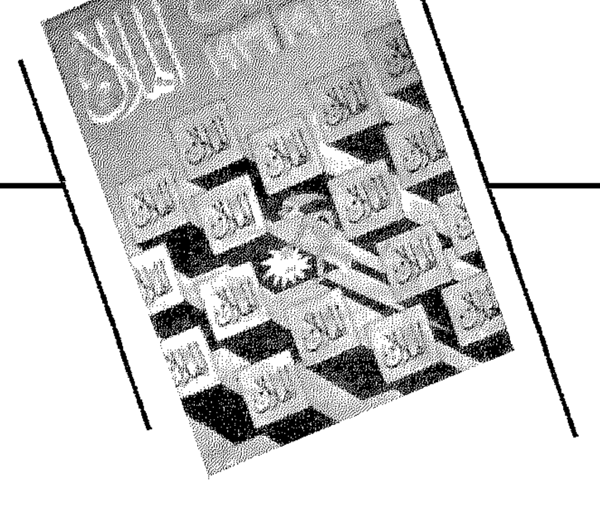
ويفتح الكشاف مغاليق مجلدات الهلال ، فهو مفتاح لهذه الفترة المديدة الحافلة (١٩١٤ ـ ١٩٣٦) التى كانت من اهم واخصب المراحل فى حياة مصر ، فقد بدأت هذه المرحلة مع الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ وشملت ثورة ١٩١٩ الوطنية ذات الاثر الكبير . ثم معاهدة ١٩٣٦ وحفلت بالتطورات السياسية والثقافية والعلمية والاجتماعية وعاصرت بزوغ اعظم الادباء واشهر المفكرين والزعماء والفنانين المصريين .

وعلى الصعيد العالمى شهدت هذه المرحلة التاريخية صعود نجم الامبراطورية البريطانية التى لاتغيب عنها الشمس وسقوط الامبراطورية الالمانية والامبراطورية النمسوية ، وانطواء صفحة الخلافة العثمانية ، ونشوب ثورة اكتوبر الاشتراكية فى روسيا ، وانكفاء الولايات المتحدة الامريكية الى سياسة العزلة عن العالم واستيلاء الفاشية على الحكم فى ايطاليا والنازية على الحكم فى المانيا والطبقة العسكرية على الحكم فى اليابان ، فكان ذلك تمهيدا لنشوب الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ .

وفى الفترة التى يشملها الجزء الثانى من كشاف الهلال ، حملت مجلة الهلال راية الثقافة فى مصر والعالم العربى ، كما حملتها فى الفترة التى يشملها الجزء الاول ، فالهلال هى المجلة المصرية العربية الوحيدة التى عاشت بلا انقطاع حتى الان ثمانية وتسعين عاما ، وستحتفل فى عام ١٩٩٢ بعيدها المئوى ان شاء الله !

وكشاف الهلال ليس مجرد فهارس لرءوس الموضوعات واسماء اصحاب الاقلام فهو الى ذلك سياحة ممتعة فى ثقافة امتدت عشرات السنين .

ومن الكشاف يعرف القارىء معلومات كثيرة بلا عناء ، وبلا بحث فى مجلدات الهلال .



مثلا .. يعرف قارىء الكشاف ان الدكتور طه حسين لبث يكتب « مسلسل » كتابه الشهير « الايام » فى مجلة الهلال من اول يناير سنة ١٩٢٧ الى يوليو من ذلك العام .

ومن الكشاف يعرف القارىء ان القصصى المشهور محمود تيمور كتب اول قصصه فى الهلال ، فى عدد يوليو سنة ١٩١٥ ثم انقطع عن الكتابة حتى سنة ١٩٢٦ وعاد يكتب فى يونيو من تلك السنة ، الى ديسمبر سنة ١٩٣٣ فكتب خلال هذه المدة اربع عشرة قصة ثم انقطع حتى سنة ١٩٣٦ .

اما الاديبة الانسة مى ، فكتبت مقالات فى المدة من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٢٤ وانقطعت فى تلك السنة ثم عادت تكتب سنة ١٩٣٤ اى انها انقطعت عشر سنوات !

وفى كشاف الهلال تطالعك اسماء كبار ادبائنا وشعرائنا الذين تركوا لنا انتاجا رائعا متنوعا امثال : امير الشعراء احمد شوقى وشاعر النيل حافظ ابراهيم وخليل مطران شاعر القطرين ، ومصطفى لطفى المنفلوطى كاتب العصر الرومانسى ، واحمد لطفى السيد « استاذ الجيل » والمؤرخ عبد الرحمن الرافعى ، وعباس العقاد وابراهيم عبد القادر المازنى ومصطفى صادق الرافعى والدكتور محمد حسين هيكل والشيخ مصطفى عبد الرازق الذى صار فيما بعد شيخا للازهر ، وزكى مبارك وفكرى اباظة وسلامة موسى وغيرهم .

ان انجاز كشاف الهلال قد اقتضى جهودا كبيرة متواصلة حتى جاء فى هذه الصورة الممتازة للتوثيق العلمى لمادة مجلة الهلال خلال عشرات السنين

عزيزى القارىء

لقد اشرف على انجاز وتحقيق وقيادة العمل فى الكشاف الاستاذ الدكتور احمد حسين الصاوى ، احد كبار اساتذة الصحافة فى مصر ، واحد الصحفيين العلماء الذين تعتمد عليهم اقسام المعلومات فى الدور الصحفية الكبيرة المصرية والعربية ..

ولقد بذلنا هذا الجهد فى انجاز كشاف الهلال لكى نهديه بعد تمامه اليك ، لانه منك واليك ، ونرجو ان يكون حافزا لنا على تصوير مجموعات مجلة الهلال خلال مائة عام على الاقلام المصغرة « الميكروفيلم » لوضع عمل الاجيال بين يديك .

ان كشاف الهلال يعزز تواصل الاجيال فى امتنا ويربط الاصالة بالمعاصرة فى الفكر والشعر والادب والعلم والفن والصحافة .

وتلك هى رسالة مجلة الهلال التى مازالت تعمل لها منذ مائة عام تقريبا وستبقى تعمل لها بعد ان تتجاوز المائة عام ان شاء الله ..

« المحرر »



الانضباط المفقود

بقلم : د. مصطفى سويف

يخيــل إلينا أن التسيب أصبح محورا أساسيا بين المحاور التى لابد من أخذها فى الاعتبار عندما نتصدى لوصف الحياة الاجتماعية فى مجتمعنا المصرى فى خلال الثمانينات ، وتفرض هذه الحقيقة نفسها على رؤية كثير من كتابنا المعاصرين ، غير أنهم يستخدمون أسماء مختلفة للظاهرة نفسها ، وقد أسماها كاتبنا الكبير الأستاذ أحمد بهاء الدين حالة « السداح مداح » .. كما أسماها غيره حالة « الانفلات » ، إلى غير ذلك من أسماء وصفية ، ونحن نفضل كلمة « التسيب » .. فهى قريبة من لغتنا كما نتداولها فى حياتنا اليومية ، وهى مع ذلك عربية سليمة ، فقد ورد ذكر مصدرها فى لسان العرب على النحو الآتى : « سيّب الشىء .. تركه يسيب حيث يشاء .. وساب الرجل فى منطقة إذا ذهب فيه كل مذهب .

● والذى نقصده الآن من استخدام كلمة « التسيب » وكأنها مصطلح هو الاشارة الى تحلل سلوك الفرد أو الجماعة من كل ما من شأنه أن يدخل على هذا السلوك قدرا من الضبط .. من هذا القبيل قواعد اللياقة ، أو قواعد الأخلاق ، أو المنطق ، أو التقاليد المرعية .. الخ .. ومن ثم يكون الأنضباط أو الألتزام هو عكس التسيب ..

وما يعنينا فى هذا المقام هو أن نوضح للقارىء أن التسيب بهذا التعريف ألذى حددناه أصبح سمة شائعة فى حياتنا الاجتماعية المعاصرة على المستويات الرئيسية الثلاثة لهذه الحياة ، وهى مستويات السلوك الشخصى ، وسلوك المؤسسات ، وسلوك الدولة . وقبل أن استرسل فى الحديث أود أن اوضح منذ البداية أن هذا منظور شخصى للسياق الاجتماعى الذى نعيش فيه ، وقد بلورت هذا المنظور نتيجة للمثابرة فى تجميع الخبرات ، ومداومة النظر فى فحواها ومعناها .

وقد أكون مخطئا فيما انتهيت إليه ، ولكنى اقدمه لأنه هو شهادة الحق التى أملكها والحق على أى حال مرهون بحدود شاهده .

● التسيب على مستوى السلوك الشخصى

أمثلة التسيب على المستوى الشخصى لا أخر لها : فى كل خطوة ، وفى كل جلسة وفى كل مقابلة نلقاها ، على جميع مستويات السلوك الشخصى ، فى الحركة ، وفى النطق ، وفى التفكير ، وفى الاستجابات الوجدانية .

لذلك اجدنى فى غنى عن أطالة الحديث فى هذا الصدد ، بل يكفينى أن اثير انتباه القارىء الى هذا الموضوع ، واكاد اجزم بعد ذلك أنه سيجد فى مخزون خبراته من هذا النوع معينا لاينضب .

أوضح الامثلة وابسطها اوضاع الجسم التى يضع الاشخاص انفسهم فيها عند الوقوف أو الجلوس أو السير . هذه الأوضاع تأتى فى معظم الأحوال منفلتة من قيود اللياقة والأداب العامة ,والتقاليد والأعراف الخ .. ولا سبيل الى وصفها وصفا لفظيا دقيقا لأنها تحتاج الى كلام طويل وعريض حتى تستوفى حقها فتأتى الصورة اللفظية مطابقة للواقع .. وربما كان الأنسب هنا لغة الكاميرا والفيديوتيب ، فمن المحقق ان هذه اللغة ستكون ابلغ فى نقل الرسالة المرجوة .

ومن امثلة التسيب على المستوى الشخصى كذلك الطريقة التى ينطق بها كثير من الأشخاص ألفاظ اللغة ، بدءا بادغام الحروف والمقاطع الصوتية وكأنها فقدت الحدود المميزة بينها ، وانتهاء بفوضى التشكيل واهدار جميع قواعد النحو والصرف فى الأحاديث والكتابات الرسمية وشبه الرسمية .

ولما كانت هذه القواعد لم تنشأ اصلا على سبيل الزخرف أو الحذلقة ولكنها نشأت مع نشأة اللغة كضوابط للمعنى فى السياق ، فقد اصبح تقويض دعائم هذه القواعد أو الاخلال بها ايذانا بتسيب الفكر عند المتحدث . واختلاط المعنى فى الرسالة التى يحاول أن ينقلها الى المستمع ، واختلال عملية التواصل الأجتماعى بوجه عام .

وأمثلة اخرى كثيرة ذاع بعضها ورسخ بين الناس على نطاق واسع ، حتى

الانضباط المفقود

اصبح ، او كاد ان يصبح هو القاعدة ، والخروج عليها شذوذ . من هذا القبيل ضبط المواعيد . وقريب من هذا ، ويزداد اقترابا يوما بعد يوم موضوع الوفاء بالوعود .. والخطير فى هذا الأمر انه يلقى ظلا كئيبا على موضوع بالغ الأهمية هو موضوع العمل والانتاج .. فالعمل كنشاط بشرى منظم يهدف الى هدف محدد هو انتاج السلعة أو الخدمة لايتم فى فراغ ، بل يتم داخل سياق بشرى له حدوده وقيوده ومن أهم هذه الحدود والقيود العوامل النفسية الاجتماعية الحاكمة لسلوك الافراد .. ومن اهم هذه العوامل الحاكمة إن لم تكن أهمها على الاطلاق منظومة القيم المتعلقة بالعمل .. وفى داخل هذه المنظومة تحتل مسألة ضبط المواعيد والوفاء بالوعود مكانة مرموقة .

ومن الحقائق الجديرة بالتأمل فى هذا الصدد ماتبين فى عدد من البحوث النفسية التى اجريت (فى الخمسينيات) على مجموعات من العمال البريطانيين المتعطلين عن العمل لمعرفة مايمكن ان تكون البطالة قد أحدثته من تغيرات فى سلوكهم . فكان من أوضح النتائج شيوع عدم التقيد * بالمواعيد فيما بينهم ، بل ونسيان ساعات اليد أو فقدانها .. على هذا النحو يبدو التلازم بين العمل وضبط المواعيد ، أو بين البطالة والتسيب !! .

وشأن كل الاعراض المرضية انها اذا تركت دون علاج كان مآلها التفاقم فكذلك الحال فى موضوع التسيب ، فقد بدأ ينفذ الى مجالات فى حياتنا الاجتماعية محققة الضرر فى المدى القريب والبعيد ، واضرارها لايمكن التهوين من شأنها مهما نشط فى هذا السبيل نشاط المتفائلين .. من ذلك مثلا مانلاحظه بصور متلاحقة ومتزايدة من تسيب فى اداء الأدوار الرئيسية الواجبة الأداء فى محيط الأسرة ، حتى يظل البناء متماسكا وبالتالى منجزا وظائفه المتعددة المتداخلة والبالغة الخطر .. فأدوار الأبوة والأمومة لاتؤدى فى هذه الأيام بالصورة التى تحفظ للنشء وللمجتمع قدرا معقولا من الصحة النفسية .

ومع ذلك فالحياة الاجتماعية هذا البناء الشامخ المعقد ، يقوم فى أساسه على شبكة معقدة من الأدوار الاجتماعية التى يؤديها أبناء المجتمع .. وتحتل ادوار الأبوة والأمومة فى هذه الشبكة مكانة محورية ، وبالتالى فلنا أن نتصور مايمكن ان يترتب فى المدى القريب والبعيد على التسيب فى اداء هذه الأدوار .. وعلى سبيل المثال الكاشف ابادر فأذكّر بأن التفجر الحديث لموضوع تعاطى المخدرات بين الشباب يعتبر واحدا من النتائج القريبة فى هذا المضمار وسوف تليه نتائج اخرى اسوأ وأشد تدميرا للفرد والجماعة .

اذا ما استمر حال التسيب على ما هو عليه .

ثم هناك مظاهر اخرى للتسيب الشخصى لا حصر لها .. تمتد بطول الطريق بدءا مما هو شخصى جدا ، كالحياة الوجدانية للشخص، حيث نجد « اللامبالاة » التى هى مظهر التسيب على مستوى ظواهر الوجدان ، وانتهاء بالأداء

فى المواقف الأجتماعية التى تستوجب المساءلة ، كالخروج على النص ، فى المسرح ، وفى الخطاب الرسمى !

التسيب على مستوى المؤسسات الأجتماعية :

الفرق الرئيسى بين التسيب الشخصى والتسيب المؤسسى أن الأول مقرون بشخص بعينه ، أما الثانى فلا تستطيع ان تقرنه بأى شخص على وجه التحديد ، لكنه يقترن بالمؤسسة فى مجموعها . خذ مثلا ضبط مواعيد الأرسال فى التليفزيون المصرى ، اكبر الظن انك لن تجد برنامجا واحدا يذاع فى موعده تماما ، واذا حدث ذلك يوما فلن يحدث فى اليوم التالى ، واذا حدث على امتداد اسبوع فلن يحدث على امتداد اسابيع تالية .

ولايوجد شخص بعينه هو المسئول عن ذلك ، ولكن المسئولية تقع على المؤسسة ككيان متكامل .

خذ مثلا آخر قطارات السكك الحديدية ، اصبح وصولها فى المواعيد المحددة لها أمرا غير وارد ، سواء إلى محطة الوصول النهائية او الى محطات الوقوف المتوسطة .

ولن تجد وراء هذا الحدث شخصا بعينه هو المتسبب فى هذا التسيب .

ومثال ثالث يتمثل فى عدم التزام أوتوبيسات النقل العام فى العاصمة بخط السير ، ولا أقول بمواعيد محددة ! فالمفروض رسميا أن تسير المركبة بين محطة البدء ومحطة الوصول فى شوارع محددة ، ولكن هذا المفروض كثيرا ما يهدر ، وتنطلق المركبة لتسير فى طرقات أخرى غير المحددة لها .

ولاداعى لالتماس العذر وراء ذلك فى زحمة بعض الطرقات وانسدادها ، فاذا صح ذلك فى حالة واحدة فهو غير صحيح فى حالات أخرى كثيرة .

ولن تجد سائقا واحدا بعينه هو المسئول عن أحداث هذه الفوضى فى توقيت خطوط السير .

ومثال رابع ، ما يحدث فى جمعيات الاسكان من عدم التزام بمواعيد التسليم ، ولا بالتكاليف المالية المتفق عليها أصلا ، مع أن هذه الاتفاقات تحكمها عقود ، وقد تعلمنا من رجال القانون ان العقود ملزمة ، وأن العقد شريعة المتعاقدين .. غير أن هذا هو الواقع كما نواجهه مع هذه الجمعيات ، هناك عقود وهناك قانون ، وهناك فى الوقت نفسه تسيب مؤسسى لا حكم لهذه العقود ولا لهذا القانون عليه !

واستطيع أن اسوق للقارىء امثلة اخرى من هذا القبيل لا آخر لها .

ومع أن هذا الأمثلة التى ضربتها تمس مؤسسات على درجة عالية من الخطر فى حياة الأمة مع ذلك فأن ماخفى كان اعظم !

فهناك مؤسسات ذات خطر اكبر فى حاضر الأمة ومستقبلها .. فإذا اصابها التسيب هى الأخرى كان لذلك اسوأ العواقب علينا وعلى أجيال عديدة من بعدنا ..

أضرب المثل بمؤسستين اثنتين فى هذا الصدد ، اللجان العلمية الدائمة ، وهى المسئولة عن ترقية اعضاء هيئة التدريس فى الجامعات .

والمثل الثانى هو مجالس الكليات .. فباسم التساهل (وهو الكلمة المهذبة للتسيب التى تجعله مقبولا امام الضمير) فى تطبيق شروط الترقى على الاعضاء

الانضباط المفقود

المرشحين فى الحالة الأولى ، وباسم التساهل فى تطبيق قواعد الإعارة على طالبيها فى الحالة الثانية ، أصاب هاتين المؤسستين الجليلتين كثير من أعراض التسيب كما أصاب غيرهما من المؤسسات .

● التسيب على مستوى الدولة :

يقترن التاريخ الحضارى لمصر بتاريخ السلطة المركزية فيها .. وكلنا نعرف ان الفترات التى احكمت فيها السلطة المركزية الوطنية قبضتها على البلاد واكبتها مظاهر الاستقرار والأمان واعداد العدة للتقدم . هذا على النقيض من فترات تاريخية ضعفت فيها هذه القبضة فتقطعت أوصال البلاد ، وافتقد المصريون استقرارهم وامنهم .. هذه مقدمة تاريخية لابد من الوعى بها ، والتسليم بضرورتها .

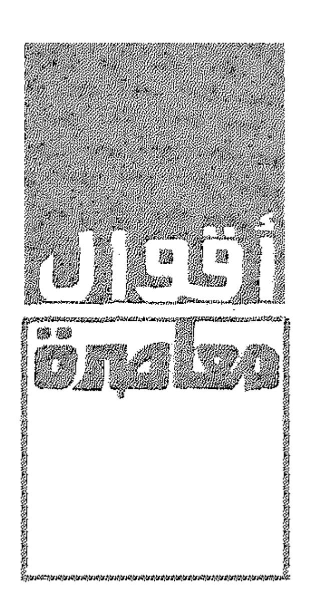
ولايعنى هذا الكلام .. بحال من الأحوال دعوة ضد التبشير باللامركزية التى تسعى كثير من المجتمعات الحديثة الى ترسيخها ، فهيبة الدولة شىء ولا مركزية ممارسات الحكم شىء أخر ، ولايجوز الخلط بين الأثنين باسم التداخلات اللفظية ، كما أن قبضة الدولة شىء وديمقراطية الحكم شىء أخر .

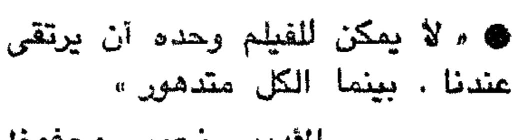
ولايجوز أن يتساوى فى الذهن مفهوم الديمقراطية مع مفهوم التسيب .

فى ظل هذه المقدمة نضرب مثلا واحدا على التسيب كما يحدث على مستوى الدولة ، وقد اخترنا هذا المثل لأن وقع احداثه لايزال حيا فى ذاكرتنا جميعا اشير هنا إلى قرار الحكومة ، وقد فوجئنا به ذات صباح قريب ، مؤداه - أن يصبح يوما الخميس والجمعة هما عطلة نهاية الأسبوع بالنسبة لجميع مرافق الدولة بدلا من التوزع بينهما والجمعة والسبت من ناحية أخرى كما هو الحال السائد حتى وقت صدور هذا القرار .. وفى خلال ثمانى واربعين ساعة من صدور القرار تبين انه لايمكن العمل به لأنه يلحق ضررا بالغ الشدة بأعمال لايمكن السماح بالأضرار بها (وفى مقدمتها أعمال البنوك من حيث انها مرتبطة بأسواق المال العالمية) . وتراجعت الحكومة فورا عن قرارها الذى كان قد صدر فعلا .. هذا المثال يثير سؤالا هاما ، وهو : هل هناك ضوابط موضوعية تحكم عملية صدور القرار فى الدولة ؟

ثم تتوالى اسئلة اخرى : وماهى طبيعة هذه الضوابط ؟ وكيف يتم تشغيل تلك الضوابط أو توظيفها ؟

عرضت فى هذا الحديث لظاهرة التسيب التى شاعت فى حياتنا على جميع مستوياتها ، الشخصية والعامة ، واعترف انه حديث غير محبب الى النفس .. لكن قول الحق فيه واجب .. ولاشك انه يثير سؤالين لا سبيل الى تجاهل اى منهما : يدور أحدهما حول منشأ هذا التسيب .. ويدور الثانى حول العلاج .. غير أن المقلم لايسمح بالمزيد ..





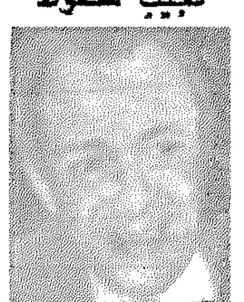
● « لا يمكن للفيلم وحده أن يرتقى عندنا . بينما الكل متدهور »

الأديب نجيب محفوظ

● « التطرف يعمى صاحبه ، ويحجب عنه الحقائق الموضوعية » .

الكاتب محمد عابد الجابرى

نجيب محفوظ



● « عملية السلام سراب أكثر عنها مفاوضات حقيقية »

الصحفى البريطانى - باتريك سيل

● « السياسى الذى يبنى سياساته على رغباته ، لا يستمر طويلا » .

ميشيل روكار - رئيس وزراء فرنسا

ميشيل روكار

● « لعبة الشطرنج هى الرياضة الأكثر عنفا ، بل ووحشية » .

جارى كاسباروف - بطل العالم فى الشطرنج

● « ليس بالقانون ، ولا بالشرطة تحمى مصر من خطر المخدرات » .

القاضى الأمريكى - مارك دولف

● « استنفد الاتحاد السوفييتى امكانياته ، ولا نستطيع أن نبقى فى حديقة أطنار إلى الأبد »

الأيب الكرغيزى - جنكيز أيتماتوف

● « الفرنسيون تخصصوا فى أمرين : الطهو والدساتير »

روبرت بادينتر
وزير العدل الفرنسى سابقا



يشار كمال



● الخيال فى لحظة ما يغير الواقع »

الأديب التركى - يشار كمال

● « لغة الشعب تكون جزءا من روحه

موريس اليه
الحاصل على جائزة نوبل فى الاقتصاد

مذكرات الجمسى

حرب اكتوبر ١٩٧٣م

حرب الاستنزاف وآخر الحروب !

عرض وتعليق

د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

اثارت المواجهات العربية ـ الإسرائيلية كثيرا من المؤلفات التى كتبها ساسة وعسكريون وصحفيون ومؤرخون متخصصون حيث كتبوا عن زواياها السياسية والعسكرية وارتباطاتها بالمواقف الدولية ـ واذا كانت المواجهة الاولى (حرب فلسطين ، ١٩٤٨) قد اثارت فى الجانب الاسرائيلى كثيرا من المؤلفات التى وصفتها "بحرب التحرير" واستفاضت فى شرح ما اعتبر بطولات من جانب الكتاب الصهيونيين فى فلسطين المحتلة وفى خارجها ، فانها لم تثر الكثير فى الجانب العربى ـ وقد قيل ان النصر له مائة اب اما الهزيمة فلا اب لها . اما حرب السويس التى لعبت اسرائيل فيها دور كلب الصيد تمهيدا للدور الرئيسى الذى كان من المتوقع ان تقوم به بريطانيا وفرنسا ، فقد حظيت بالكثير من المؤلفات التى كتبها الانجليز الذين اصابتهم صدمة بعد فشل بريطانيا "العظمى" هى وفرنسا واسرائيل فى اسقاط عبد الناصر الذى كان قد امم قناة السويس بحيث ادركوا وادرك معهم غيرهم ان شمس الامبراطورية البريطانية قد غابت الى غير رجعة .



● وبالنسبة الى حرب يونية ١٩٦٧ فقد بادر الاسرائيليون الى تمجيد الدور الذى قاموا به خلالها وصوروا أنفسهم باعتبارهم قد نجحوا وحدهم ـ هذه المرة ـ فى الحاق الهزيمة بالعرب وجاراهم فى ذلك كثير من الكتاب الغربيين . وخلت المكتبة العربية ، أو كادت ، من المؤلفات الموضوعية التى تحلل ما حدث فى هذه المواجهات الثلاث بحيث تكون أمام القراء العرب صورة صحيحة عن أسباب هزائمهم من شأنها أن تنير السبيل أمام الأجيال القادمة لكى تتلافى الاخطاء التى ارتكبت بالفعل ، بدلا من التفسير "التامرى" لما حدث بالفعل ، وهو تفسير قاصر لا يرقى الى مستوى مواجهة النفس بدلا من اتهام الغير .

● المبادرة فى تصوير الأحداث !

اما المواجهة الرابعة التى جرت فى

اكتوبر ١٩٧٣ فقد استتبعت بعض المؤلفات من الجانب العربي ، وكثيرا من المؤلفات ـ كالعادة ـ من الجانب الاسرائيلى الذى يـاخذ المبـادرة باستمرار فى تصوير الاحداث باللون الذى يراه قبل أن يستجمع العرب آراءهم وافكـارهم واوراقهم لشرح وجهات نظرهم والرد على ما كتب عنهم . وقد تميز كثير مما كتب ـ من الجانب العربى ـ عن حرب اكتوبر بالتناول العاطفى والتهليل للانجازات التى حققتها القوات المسلحة المصرية التى استطاعت فى بداية الحرب ان تمحو اثار الهزائم السابقة وان تثبت زيف الاتهامات التى الصقت بالمصريين وبالعرب فى السابق . حقيقة لقد كتب الرئيس السادات شارحا تصرفاته خلال حرب اكتوبر ، كما كتب الفريق اول سعد الدين الشاذلى كتابة موضوعية عن هذه الحرب ولكنه ضمنها دفاعا عن ارائه وموقفه بعد ان اتهمه الرئيس السادات بالانهيار فى اعقاب ثغرة الدفرسوار . وكتب الفريق اول محمد فوزى من زاوية نقدية لخطط السادات الذى كان قد تخلص منه بطريقة مزرية فى مايو ١٩٧١ ، ولأنه كان قد نُحي عن مركز القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية فانه يركز على نواحى القصور فى تقويم الخطط والمواقف التى لم يشترك فيها .

● شرح الحقائق كاملة

اما المشير محمد عبدالغنى الجمسى فهو من العسكريين المصريين الذين اشتركوا فى كل الحروب العربية ـ الاسرائيلية باستثناء حرب ١٩٤٨ التى كان اثناءها فى بعثة تدريبية خارج مصر ، وتفرغ للخدمة العسكرية وحدها ولم يتطرق الى مجالات اخـرى ، وبخاصة السياسة التى من رايه انها قد تؤثر على تفرغ العسكرى لمجال عمله وقد تفسده .. لأن الله ما جعل لامرىء قلبين فى جوفه . وقد افاد من الاطلاع على المذكرات السياسية والعسكرية والمقالات والدراسات التى صدرت خارج مصر وفى داخلها عن حربى ١٩٦٧ و١٩٧٣ واستشف ان وجهة النظر المعادية قد اصبحت المرجع الـرئيسـى للكتـاب والبـاحثيـن والمؤرخين ، وان بعض ما كتب فى مصر وخارجها لايتسم بالموضوعية او الدقة فى بعض الأحيان مما اعطى انطباعا خاطئا عما حدث فى حرب اكتوبر ، ومن ثم قرر ان يدلى برايه لكى يشرح للجيل الجديد الحقائق التى من شانها ان تنير له طريق المستقبل . وقد عول على أن تكون للجانب العسكرى الاسبقية والاهمية فيما يكتب وان يكون للجانب السياسى قدر محدد يرتبط بتاثيره على العمل العسكرى الذى اسهم فيه باعتباره رئيسا لهيئة عمليات القوات المسلحة المصرية خلال حرب اكتوبر

وقد مهد الجمسى لعرضه لحرب اكتوبر بالرجوع الى حربى ١٩٥٦ و١٩٦٧ اللتين كانت القوات المسلحة المصرية خلالهما ضحية للاخطاء التى ارتكبت على المستويين السياسى والعسكرى لاسببا فى الهزيمة . كما





المشير عبدالغني الجمسي

دافع بشدة عن حرب الاستنزاف التى بدأها عبد الناصر فى اعقاب الهزيمة استعدادا للحرب الثأرية على اعتبار ان «ما اخذ بالقوة لايسترد الا بالقوة" . وفي رأى الجمسي أن أبرز الأخطاء التى ارتكبت فى يونية ١٩٦٧ هى عدم وجود استراتيجية عليا للدولة تحدد الهدف السياسى المطلوب تحقيقه وعمل التوازن والتنسيق بين هذا الهدف وقدرات الدولة على تنفيذه سياسيا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا واشار الى عدم وجوب اضطلاع شخص واحد بشئون الدفاع عن الدولة سواء اكان قائدا عاما أو قائدا اعلى ، على اعتبار أن ذلك لن يتأتى الا باشتراك كبار القادة في وضع الخطط واتخاذ واعداد القوات المسلحة بحيث تكون مستعدة بخططها ومستوى كفاءتها القتالية وتجهيز مسرح العمليات . وكل ذلك بحاجة الى دراسات من الإجهزة المتخصصة وقرارات متعددة لايصح ان ينفرد بها شخص واحد .

وقد بدات عملية اعادة تنظيم القوات المسلحة على اثر عدول عبد الناصر عن قرار التنحى ، وكانت نقطة البدء هى ابعاد المشير عبد الحكيم عامر عن الموقع الذى احتله طويلا باعتباره القائد العام للقوات المسلحة ثم المضى قدما فى اعادة تسليح القوات المصرية وتدريبها وعدم استسلام الشعب ، من مدنيين وعسكريين . لحالة اليأس التى سادت فى اعقاب الهزيمة والتصدى للقوات الاسرائيلية التى احتلت سيناء والضفة الغربية وغزة والجولان وعسكرت على الجانب الآخر من قناة السويس . وبغض النظر عن النقد الذى وجه أخيرا الى حرب الاستنزاف بسبب الخسائر البشرية والمادية التى سببتها لمصر ولقواتها المسلحة ، فان الجمسى يرى انها كانت ضرورية للقوات المصرية المسلحة وانها تمخضت عن اثار بعيدة المدى فى اسلوب الاعداد والتخطيط لحرب اكتوبر وعلى الأداء الكفء للقوات

المصرية خلال الحرب كما يشير الى ان القيام بحرب الاستنزاف كان التمهيد العملى الضرورى الذى ساعد ان يصبح قرار حرب اكتوبر ممكنا ، اذ لولاها لما استطاعت القوات المصرية ان تقفز من حالة الانهيار التام التى كانت عليها بعد حرب يونية للقيام بعملية هجومية شاملة مع اقتحام مانع مائى وهى من اعقد العمليات . ومع انتهاء حرب الاستنزاف كانت مصر قد استفادت كثيرا والمت بأساليب القوات الاسرائيلية القتالية فى الوقت الذى اقتنعت فيه اسرائيل بفشلها فى اسكات شبكة الدفاع الجوى ولم يصبح فيه لسلاح الجو الاسرائيلى حرية العمل بنفس التأثير السابق وأصبحت فيه القوات المصرية تستطيع العمل بحرية تحت حماية الدفاع الجوى بالتعاون مع القوات الجوية حين يصدر قرار الهجوم .

● عقم نظرية الامن الاسرائيلى

ورغم كل ذلك بقيت اسرائيل متشبثة بالاراضى التى احتلتها فى يونية ١٩٦٧ مما أدى الى فشل مفاوضات السلام طبقا للقرار ٢٤٢ الذى صدر عن الأمم المتحدة فى اعقاب الحرب ونص على الانسحاب من هذه الأراضى كشرط اساسى من شروط التوصل الى السلام . وحينئذ اصبح لابد من ارغام اسرائيل باصطناع القوة على التخلى عن هذه الأراضى وانهاء حالة اللاسلم واللاحرب

الجمسى فى غرفة العمليات لقاء القمة فى حرب اكتوبر



واظهار عقم نظرية الامن الاسرائيلى التى كانت تقتضى احتلال اراضى الغير . لهذا اتخذت كل الاستعدادات اللازمة وجرى تخطيط مسار الحرب الهجومية بالاتفاق مع سوريا .

وقد اختارت عمليات القوات المسلحة المصرية انسب التوقيتات للقيام بالهجوم خلال عام ١٩٧٣ على ضوء الموقف العسكرى لكل من مصر واسرائيل وفكرة العملية الهجومية المخططة والمواصفات الفنية لقناة السويس من حيث المد والجزر وسرعة التيار واتجاهه وساعات الاظلام وساعات ضوء القمر والاحوال الجوية وحالة البحرين الاحمر والمتوسط ، كما حددت الوقت التقريبى الذى يناسب تنفيذ الهجوم على الجبهتين المصرية والسورية فى وقت واحد . ورصدت ايام العطلات الرسمية فى اسرائيل حيث تكون القوات الأسرائيلية عادة اقل استعدادا للحرب . واخيرا رأت ان شهر اكتوبر هو انسب الشهور لبدء القتال واشارت الى ضرورة جعل كل الاستعدادات سرية حتى يفاجأ الاسرائيليون بالهجوم فى الوقت الذى قررت فيه القيادة تغطية الاستعداد للحرب بعمليات تمويهية القصد منها خداع العدو كتسريح عدد من المجندين والسماح لعدد غير قليل من الضباط باداء العمرة وغير ذلك .

● المباداة للمرة الأولى

وتحققت المفاجاة فى ٦ اكتوبر ١٩٧٣ وتمتع العرب بالمباداة لأول مرة فى حربهم مع اسرائيل التى حرمت لأول مرة تعبئة الاحتياطى فى وقت مبكر او توجيه ضربة وقائية ضد القوات العربية ، فتم اقتحام قناة السويس وتدمير خط بارليف والهجوم فى الجولان فى ظروف أفضل وباقل خسائر ممكنة . ويعزو الجمسى ثغرة الدفرسوار الى المعاونات العسكرية التى قدمتها الولايات المتحدة لاسرائيل منذ بداية الحرب بناء على تقييم الموقف العسكرى من جانب خبراء البنتاجون (وزارة الدفاع الامريكية) منذ نشوب الحرب مباشرة ، وهم الخبراء الذين اسهموا فى التخطيط العسكرى الاسرائيلى يوم ٨ أكتوبر هذا بالاضافة الى الاسلحة العاجلة التى نقلتها طائرات شركة العال الاسرائيلية حتى يوم ١٢ اكتوبر وعمليات الاستطلاع الجوى التى قامت بها الأقمار الصناعية الامريكية فى يومى ١٣ و١٥ اكتوبر والجسر الجوى الامريكى بطائرات نقل عسكرية اوصلت حاجات اسرائيل من الدبابات والطائرات والأسلحة والمعدات الفنية منذ يوم ١٤ اكتوبر وحتى نهاية الحرب .

ويشير الجمسى الى تركيز وسائل الاعلام الاسرائيلية والاجنبية على نجاح الجيش الاسرائيلى فى اقامة ثغرة الدفرسوار وذلك لابراز نجاح اسرائيل فى هذه المعركة وفى قتالها غرب قناة السويس ، وهو يرى انه كان من واجب مصر أن تقوم بحملة اعلامية مضادة توضح حقائق الموقف الاسرائيلى من ناحية وحقائق الموقف المصرى من ناحية اخرى ، ويسجل أن القيادة العامة للقوات المسلحة

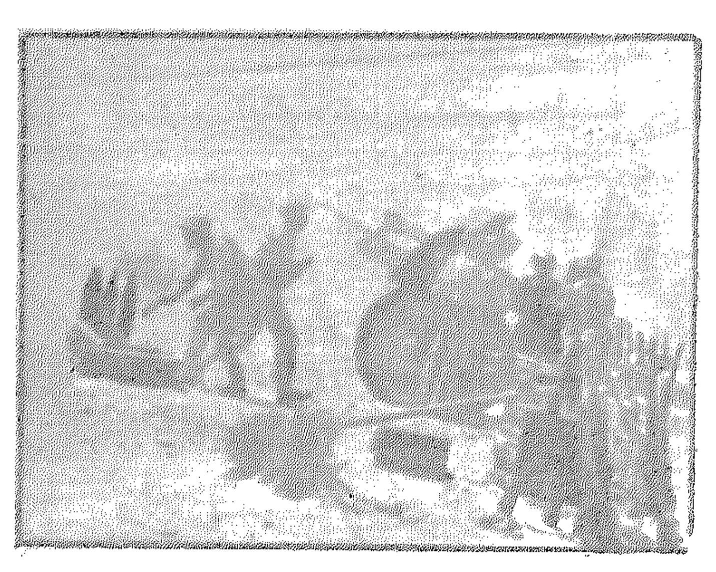
المصرية لم تقم بذلك مما ادى الى ازدياد اهتمام الرأى العام خارج مصر بموضوع الثغرة وتضخيمه لخطورتها . وهو يؤكد ان النجاح التكتيكي الذى حققته اسرائيل فى معركة الدفرسوار قد خلق اوضاعا غير ملائمة للقوات الاسرائيلية كان لابد ان تؤدى الى فشل استراتيجي محقق اذا ما استؤنف القتال من جديد بعد تكوين التجميعات المصرية الملائمة . فقد تحولت القوات الاسرائيلية الموجودة غرب القناة من سلاح تضغط به اسرائيل على مصر الى رهينة تضغط بها مصر على اسرائيل ومصدر استنزاف لأرواح ومعدات واقتصاد اسرائيل . وقد نفى بهذا الصدد ما صرح به السادات من ان الثغرة ادت الى انهيار اعصاب الفريق أول سعد الدين الشاذلى الذى كان من رايه سحب بعض القوات المصرية من مواقعها شرق قناة السويس الى الغرب لسد الثغرة ومحاصرة القوات الاسرائيلية التى تسللت عبر قناة السويس ، وكانت لدى الجمسي الشجاعة الكافية التى جعلته يقر القيام بالهجوم على القوات الاسرائيلية وهو الهجوم الذى استدعى نقل الآليات المصرية من مواقعها فى غرب القناة الى الشرق بقصد تخفيف الضغط على سوريا .

وبعد قبول مصر واسرائيل وقف اطلاق انار راس الجمسي الفريق المصرى الذى اشترك فى عملية فض اشتباك القوات المصرية والاسرائيلية وفى المفاوضات التى تلت ذلك وابدى فى كل المراحل تمسكا بالمحافظة على امن مصر خاصة وانه كان يدرك ان لاسرائيل - التى كانت تلقى المساندة لكاملة من الولايات المتحدة ، اطماعا لوسعية فى الاراضى العربية المجاورة تمهيدا لاقامة اسرائيل الكبرى ، مستشهدا على ذلك بما صرح به القادة لاسرائيليون الذين لم يشاءوا رسم حدود بلادهم حتى تكون قابلة للتعديل والتبديل حسب الظروف تستوعب مزيدا من المهاجرين اليهود القادمين من الخارج .. وانتهز الجمسي فرصة سفر الرئيس السادات الى الولايات المتحدة للاشتراك فى مباحثات كامب ديفد فى أواخر ١٩٧٨ لكى يقترح عليه اصطحاب احد القادة العسكريين ضمن الوفد المصرى على اساس ان الموضوعات العسكرية ستكون لها اهمية خاصة فى تحديد العلاقة بين مصر واسرائيل ولكن السادات لم يوافق على ذلك وفضل خلال المفاوضات ان ينفرد بالراى وان يقطع بالوعود للرئيس الامريكى كارتر من وراء ظهر المفاوضين المصريين الآخرين مما ادى الى استقالة وزير الخارجية المصرى محمد ابراهيم كامل ثم عودته الى مصر[1] . وحين جرى توقيع اتفاقية السلام فى كامب ديفيد (سبتمبر ١٩٧٨) لم يرحب بها الجمسي على اعتبار انها سجلت خروج مصر من سلحة الصراع العربى - الاسرائيلى الامر الذى اتاح لاسرائيل التمتع بالموقف الاستراتيجى الأقوى فى الشرق الأوسط وحرية العمل لابتلاع ما تبقى من فلسطين

والتوسع على حساب الأراضي العربية المجاورة ـ هذا برغم ان معاهدة السلام اعادت سيناء لمصر ولكن بقيود شديدة وضعت اسرائيل في الموقف العسكرى الاستراتيجي الأقوى خلال المرحلة الجديدة التي بدأت في المنطقة وتغير فيها نظام الامن الذى بدأت الولايات المتحدة تلعب فيه الدور الرئيسي .

ولما كان الجمسي على اقتناع بان حرب اكتوبر ليست آخر الحروب على عكس ماصرح به السادات ، فانه لم يكن متوقعا ان يشارك في المرحلة الجديدة التي بدأها السادات بتغيير شامل في اجهزة الدولة بما في ذلك الوزارة القائمة التي خرج منها الجمسي من منصب نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الحربية والانتاج الحربي وجرى تعيينه مستشارا عسكريا لرئيس الدولة . ثم استقال من الخدمة تاركا سجلا حافلا بالخدمة العسكرية طيلة اربعين عاما لم تجتذبه خلالها السياسة ، بل ظل يؤدى واجبه في المواقع التي شغلها بدافع من الشعور الوطني والتفاني في الواجب .

وهكذا انسحب من الحياة العامة بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد وتفرغ لكتابة مذكراته التي نشرت . ثم ظهرت مكتملة في الكتاب الذى نقدمه للقراء والذى بسط فيه وجهات نظره بصدق وموضوعية مع استلهام مصلحة مصر والأمة العربية . فقد تحملت مصر العبء الرئيسي في المواجهات العربية ـ الاسرائيلية في الوقت الذى لم توجد فيه خطط عربية مشتركة مما شغلها عن شئونها الداخلية وارهق ماليتها وجعلها تسعى الى تحقيق السلام بالوسائل الدبلوماسية ولو ان هذا السلام لايزال بعيد المنال بسبب تعنت اسرائيل واطماعها التوسعية . ورغم قناعة الجمسي بأن حرب اكتوبر لن تكون آخر الحروب فاننا نتمنى التوصل الى السلام بالشكل الذى يضمن امن الأراضي العربية ويحقق حلا للمشكلة الفلسطينية التى طال عليها الأمد وتغيرت ملامحها يوما بعد يوم



هل هى اخر الحروب ؟



الفريق سعد الدين الشاذلى

(١) انظر محمد ابراهيم كامل : السلام الضائع

بقلم : د. شكري محمد عياد

"زمردة أيوب"

الخلاص بالكتابة

« اوراق زمردة ايوب » بداية جديدة فى ادب بدر الديب . ولم يكن فى "حرف الكاف" ، ما يبشر بها ، فهذا الكتاب الأول ، الذى يحنو عليه بدر كما يحنو الأب على ولده البكر ، كان تجارب فى فن الكتابة ، أيقونات صغيرة من الألفاظ ، مصنوعة من التأمل الذاتي المحض ، الذى يستحيل غالبا إلى أوهام ، فليس وراءها إيمان حقيقى ، ولا همّ حقيقى ، وأن ردد الكاتب ، هنا أو هناك ، افكار كير كجارد عن الدين والأيمان فالذى اخذه عن كيركجارد فى هذا الكتاب لم يكن تجربة كيركجارد (هل يمكن أن يستعير الانسان تجربة آخر ؟) بل تمكسه الشديد بفرديته ، ونفوره من « الدهماء » ..

● وقد تعجب هذه التجارب بعض هواة « الفن » من المتأدبين فى هذه الأيام ، الذين قرءوا او سمعوا عن « الشكلانيين » واسقطوا من كلامهم عبارة « العمل الأدبى » وجعلوه « نصا » ، دون أن يدركوا ما فى هذه التسمية الأخيرة من تقديس مصطنع ، فى عصر فقد كل قداسة ..

وما أشك فى أن بدر الديب ، حتى فى صدر شبابه حين كتب «حرف الكاف» ، كان اصح من هؤلاء نظرا ، واعمق ثقافة ، وأنه فى تجاربه اللغوية تلك لم يكن يفكر فى « الشكل » على أنه قيمة فى ذاته ، ولعله انما كان يفكر فى تعزيمات السحرة او زمزمات الكهان ، التى تستحضر من الغيب اسباب الألم والخوف والمرض وموجبات السلامة والصحة ، وإن لم تكن لديه ، هو ، مثل هذه الاسباب او الموجبات .

يكفيه ـ على كل حال ـ انه فى هذه



بدر الديب

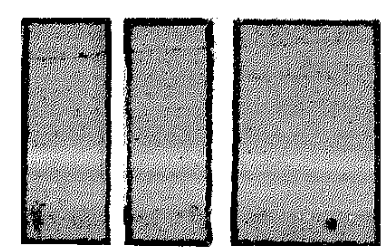
المرحله التى يكتسب فيها الناشىء ـ عادة ـ « اسلوبا » من خلال تقليد سابقيه ، كان عاكفا على صياغة اسلوبه الخاص .

ولعل هذا الأسلوب الخاص كان الشرط الأول الذى شعر بأنه يجب عليه أن يحققه اذا اراد ، فيما بعد ، أن يقدم على ـ « فعل » العنف الحقيقى (تسمية الفن ، فى هذا السياق ، « فعلا » هى تسمية بدر نفسه) .. ولاشك أن هذه التجارب مع الأسلوب اعانته ايضا على فهم تجارب غيره ، فكان لنا منه ذلك الناقد الذى كتب بعمق وذكاء مقدمة ديوان صلاح عبد الصبور الأول « الناس فى بلادى » .. أما إبداعه هو ـ ابداعه الحقيقى ـ فقد جاء متأخرا ، جاء فى اواسط السبعينيات ، وهو يناهز الخمسين ، جاء (كما يجىء الفن عادة) كضرورة ملحة لاستعادة توازنه النفسى ..

* * *

سترانى ـ صديقى القارىء ـ استشهد بكلام بعض شخصياته القصصية على طبيعة التجربة النفسية التى كان يمر بها الكاتب نفسه ، أنا لا اجادل فى ان الشخصية القصصية تتمتع بنوع من الاستقلال عن شخصية مبدعها .. ولكن المبدع ـ كما فى الخلق الأول ـ يخلق شخصيات على صورته هو ، ومن ثم يمكننا أن نعرفه من خلال مخلوقاته ، أو بالأحرى ان نعيش معه فى عملية الخلق ذاتها ، وايضا ـ ومن باب اولى ـ فى طبيعة الأزمة التى دفعته اليها .

« أوراق زمردة ايوب » لها ارهاصات ، هذه القصص الثلاث التى ضمها اليها فى مجموعته ، « حديث شخصى » .. واولاها ـ فى ترتيب النشر فى تاريخ الكتابة ايضا ـ « رشدى حمامو » .. قصة غريبة فى نسجها ، ولكن كما يكون البحث عن الحقيقة غريبا وسط كومة من الأكاذيب ، إن القصة تبدا وتنتهى بالوقوف امام الاسم ، كان هذا الاسم رشدى حمامو ، هو كل ما يمتلكه بطل القصة الذى يرويها بنفسه ، كل ما يشعر ـ ولو شعورا غامضا ـ أنه غير كاذب ، وأن وراءه دلالة ما ، دلالة على كينونة صاحبه ، أنه موجود حقا ، وأن هذا الوجود يمكن أن يكون له معنى ، معنى ربما مر به ، او باطراف منه ، فى تجارب حياته العملية او الخاصة ، فى قبوله الصامت للسياسة ، وقناعته بدور المنفذ ، مع يقينه بعدم جدواه ، فى محيط من الجهل المقترن بالفساد ، وفى مصيبته بفقد ابنه الوحيد وترحيبه برحيل زوجته الى الخارج ، ولكنه كتم هذه التجارب ، وغلفها بغلاف صفيق من الكذب حتى « ماتت وأصبح يحملها معه جافة مغطاة بقشر الواقع والعادى والمألوف » ..



● البحث عن الكينونة

ابتداء من وقفة « رشدى حمامو » أمام اسمه ، ليبحث عن بداية لقصته ، سيظل بدر الديب يبحث عن الكينونة ، عن معنى الوجود ، مهما يكن الشكل الذى يكتب فيه ، قصة أو غير قصة ، ومهما تختلف شخصيات قصصه فى تكوينها او ظروف حياتها او طبيعة الأزمة التى تمر بها ، هل هى - إذن - ازمة بدر الديب نفسه ، فى نهاية المطاف ، وهل البحث وراء الكينونة ، أو الحقيقة ، او معنى الوجود (وكلها تدل فى هذا السياق على شىء واحد) هو بحث عن كينونة بدر الديب ذاته ؟

نعم ، ولا ، فالارتفاع من الخاص الى العام بديهية من بديهيات الفن ، ولكن بدر الديب يبادرك بالدلالة العامة ، أهى حيلة قصصية لاجتذاب القارىء ام هى حقا الدافع المباشر للكتابة ، إن لم نقل ايضا انها الموضوع الجوهرى لنحاول ان نفهم :

إن رشدى حمامو يبدأ قصته او اعترافه بهذه الاسطر :

« كان اسمى الذى التصق بى طول حياتى هو رشدى حمامو وليس من شك ان قولى التصق بى قد يثير حديثا او كلاما ، او على الأقل تفكيرا ، ولكن هل يثير حقا ؟ إننا تعودنا أن نقرأ ما يقال دون اهتمام بما يقال ! لقد تعودنا ان نقرأ دائما احاديث لاتعنى شيئا ، او على الأقل لا تمس فى كثير او قليل روح من يكتبها .. ولكننى لا أعرف ذلك .. وهذا فى الحقيقة جانب من المشكلة التى اعرضها الآن » .

اما زمردة ايوب فتقول فى الصفحة الثانية من أوراقها :

« عندما تبلغ المرأة الخمسين ، وبينى وبينها ايام ، تتغير المرأة كما تتغير الحياة ، وكانت الأعوام تكفينى ولكننى ارى المرض ايضا فى تلك الصحة المصقولة التى تعكس وجهى .. إن المرض لم يغير فى سمرتى التى احببتها وافتخرت بها طول عمرى ، ولكنه جعلها كالنيل الذى لايفيض ولا غرين فيه .. لماذا فعلوا هذا بالنيل ؟ وهو لايعرف كيف يغضب أو يحقد .. هل استطاعوا ذلك لأنه لايعرف كيف يكتب أم أن هناك معنى آخر وأفقا لم يعرفه أحد فى ذلك كله .. لقد تغيرت الحضارة كما تغيرت المرأة الأنا " وأصاب كليهما المرض ، وهل يلومنى أحد إذا كنت لا أرى ألا اللوكيميا فى كل ما أرى » .

إن الاشارات المتعددة إلى أحوال مصر العامة (التى ترجع مباشرة الى نظام الحكم) طوال الستينيات والسبعينيات ، ترد فى قصة رشدى حمامو كأشياء مسلم بها ، جزء من صخرة الكذب التى تتكون منها حياته كلها ، والتى تحجرت فى داخلها هياكل كثيرة كانت فى يوم من الأيام كائنات حية ، والتى لايزال يدور حولها ، من أول القصة الى آخرها ، وهو لايملك المرأة ولا القدرة على تحطيمها .. أما زمردة ايوب فهى مصممة على أن تكسر صخرة الأكاذيب ، داخل نفسها وخارجها ، لأنها فى موقف نهائى لايحتمل مراوغة ، فهى لاتنتظر إلا الموت ، ترصد حركته داخل جسمها وتعرف ايضا ان هذه الحركة ليست إلا جزءا مما يجرى

فى الخارج ، ولكنها هى وحدها التى تعرف ، وتملك الشجاعة ـ أو لايمكنها أن تملك غيرها ـ لتكتب وتعرى كل شىء ، وتنسحق بعارها قبل يوم الدينونة ، عسى أن يكون فى الاعتراف الكامل ، فى الرؤية الكاملة لخطيئتها ، تحقيق املها فى خلاص أخير :

« لا ، لن يستطيع أحد أن يجعلنى اصمت بعد الآن .. لم يعد هناك وقت للصمت ، لقد آن لنا أن نتكلم جميعا .. لست ادرى من اقصد بنحن جميعا .. ولكننى احس أنى متعددة وكثيرة وانا راقدة على هذا الفراش فى جو الغروب المقبض .. أحس انى متعددة وكثيرة وأن كل من فى مصر مثلى يحتاجون الى هذه اللحظة التى ترغمهم على الكلام وعلى الكتابة المتصلة دون توقف ، الكتابة حتى الموت » .

« إننى أعرف تماما اننى اكتب كلاما ساذجا فى السياسة ولكنى لا اقصد إلا أن اكتب مايحدث فى هذه الروح التى تشرف على جسد ينهار ويتآكل من الداخل .. وأما هذا الكلام المكتوب فى الجرائد فهو كلام لمرضى مثلى ولكنهم لايعرفون انهم يموتون ولايريدون أن يعرفوا انهم يموتون بلا وعى ولا معرفة فلا يكتبون إلا هذا الموت » .. (ص ٩٤ ـ ٩٥) .

● كاتب وجودى ..

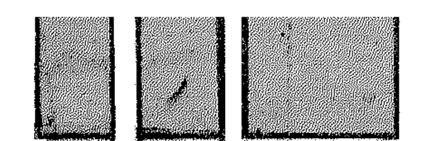
من الذى يتكلم هنا ؟ أهو زمردة ايوب ام بدر الديب ؟ كأننا امام مشكلة الجبر والأختيار مرة اخرى ! هل تتكلم الشخصيات الروائية وتتصرف بارادة مستقلة عن إرادة مبدعها ، أم أن ارادة الخالق لاتظهر فى حالة واحدة بل فى المجموع ، وكل حالة تتبع منطقها الخاص ولكنها لاتخرج عن ارادة المجموع ؟ وفى الكتابة الوجودية بالذات ـ وبدر الديب كاتب وجودى ـ يستكشف الكاتب نفسه ـ ونفوسنا معه ـ من خلال شخصياته ، وأقول يستكشف ولا اقول يعبر حتى لايخلط القارىء بين اسلوب وجودى واسلوب رومنسى فى الكتابة ، ولعل هذه

وظيفة الناقد ـ فى اعتقادى ـ هى ان يفسر العمل الادبى الذى يدرسه . لماذا ـ إذن ـ يبدو النقد احيانا وكانه « تقييم » ، بما تتضمنه كلمة « التقييم » ، عند بعض الناس ، من رفض او تحبيذ ؟

« التقييم » عندنا ليس غرضا . إنه نتيجة من نتائج النقد . فمادمنا نرى ان الابداع الادبى يصدر عن رؤية وموقف ، فلابد لنا من ان نسجل مانراه من غموض فى الرؤية ، او اهتزاز فى الموقف . ونحن نعطى انفسنا هذا الحق باسم معايشتنا الطويلة للعمل الأدبى ، ومحاولتنا ان ننفذ إلى اعماق العملية الإبداعية ذاتها .

ليس الناقد ، فى هذه الحالة قاضيا ولا حكما .. انه ضمير الكاتب ..

ش . م . ع



الكلمة ايضا تخرجه من تبعات كثيرة !

ومع ذلك فقد لانشك فى ان بدر الديب هو الذى يتكلم بلسان رشدى حمامو حين يقول هذا : « فانا مدفوع ومحتاج لكتابة القصة ، وعليكم أن تعرفوا باستمرار أن كل أولئك الذين يكتبون القصص هم فى الحقيقة مضطرون على نحو ما الى كتابتها ، غفر الله لهم » .. (ص ٨) .

ولماذا القصة بالذات ؟ وليس الشعر أو المسرح ايضا ؟ ترى لأن القصة هى الشكل الانسب للكتابة الوجودية ، أى لاستكشاف الذات واستكشاف العالم ، للوصول الى الوجود ، وإلى الكينونة ، على كل حال كان بدر الديب « مضطرا » الى الكينونة حقا ، ولأول مرة فى حياته كما اتصور ..

فلم يكن مضطرا الى كتابة حرف الكاف ، وإنما كان يلعب بالحروف والكلمات .. ولا أظنه كان مضطرا ، الى كتابة تلك المسرحية التى سمعت انه كتبها فى فترة مبكرة ايضا ، ولكنى لم اطلع عليها ، إنما كان همه ، لفترة طويلة من حياته ، أن يعيش وأن يقرأ وأن يستمتع ، وكانت هذه الاشياء الثلاثة كلها تمتزج عنده ، فهو ذواقة لمتع الطعام والشراب والسفر ، ذواقة للموسيقى والفن ، يقرأ بلذة ونهم سواء ، أكان ما يقرؤه كتابا فى الفلسفة ام فى الانثروبولوجيا ام التاريخ ام رواية خفيفة ، وهو يعمل بجد وإخلاص فى مهنته « التوثيق » ليوفر لنفسه هذه المتع كلها . وبأكبر قدر مستطاع .

أقول هذا بناء على معرفتى الشخصية به .. وقد توثقت صداقتنا بسرعة بعد عودته من امريكا سنة ٥٧ أو ٥٨ .. وسافر بعد ذلك بسنوات قليلة ، وسافرت ايضا ، وطالت غيبته فى بانجكوك ، حيث عمل خبيرا لليونسكو ، ثم التقينا حين عاد الى مصر فى اوائل ٦٧ .. وقد كانت هذه العودة بداية لمنعطف غريب فى حياته ، لم تكن الغرابة فى تركه وظيفة اليونسكو بمرتبها السخى ، ولا جنوب شرق آسيا الذى شغف بثقافته واسلوب حياته ، فقد كان من السهل ان يتركه كما ترك كتابا ممتعا فرغ من قراءته ، وفقد جدته عنده ، ولم يكن المال فى ذاته مغريا له ، مادامت المتع التى تعودها ميسرة على كل حال ..

ولكن الغريب أنه كلف اولا بوظيفة مستشار ثقافى لدار التحرير ، واستطاع فى هذه الفترة ان يصدر طبعات شعبية (كاملة وجيدة التحقيق ـ على خلاف المحاولات السابقة) لعدد من أهم كتب التراث ، اذكر منها طبقات ابن سعد ، و« تاريخ المقريزى » ، و « الاعتصام » للشاطبى .. ولكن لم يلبث ان وجد نفسه ، بعد هزيمة الـ ٦٧ ، رئيسا لتحرير جريدة المساء ..

وحين لحق بى فى الرياض فى اوائل ٧٧ ، وقد عاد خبيرا لليونسكو ، اصبحنا زميلين فى السكن عدة اشهر (كتب اثناءها بعض فصول « زمردة ») لم أجد كلاما طيبا عن تلك الفترة التى اشتغل فيها بالسياسة اليومية ، كان يعدنى ساذجا حين ابدى استغرابى لبعض آرائه « العملية » التى كنت اعزوها إلى اندماجه فى بيئة الصحافة « القومية » فى تلك الأيام .

وهى بيئة لاتتفق مع طبيعته غير انها حققت له ـ الى حد كبير ـ متع الحياة التى كانت عنده أشبه بالضرورات .. وكنت إذا تذكرت هذا الجانب .. من شخصيته رميته بأنه « هدونست » (اى لذّىّ او طالب لذة) وما أشك انها كانت تصدر منى وكأنها شتمه ، فيتلقاها باسما ..

وليغفر لى بدر أنى تركت روايته الرائعة لأسترسل فى هذه الذكريات الشخصية ـ وأنى اشتمه الآن علنا بعد أن كانت الشتمة لاتقال إلا له وحده او فى حضور قليل من الاصدقاء المقربين ، وليغفر لى القارىء الذى يمكنه ان يرانى خائنا للصداقة ، ان لم يرنى محابيا للصديق !

اما الناقد الذى يزعم أن العمل الأدبى (معذرة : أردت « النص » !) ..
كيان مستقل عن كاتبه ، فلا اطلب منه مغفرة ، لأنى لا احب أن يكون فى مكانى ، أو اكون فى مكانه .

فأنا لم استرسل فى هذه الذكريات الشخصية إلا لأنها تتضمن حقائق ضرورية لفهم «اوراق زمردة أيوب» ..

يقول امام الواقعية فلوبير عن رائعته مدام "بوفارى" "مدام بوفارى (البطلة لا الرواية) هى أنا"

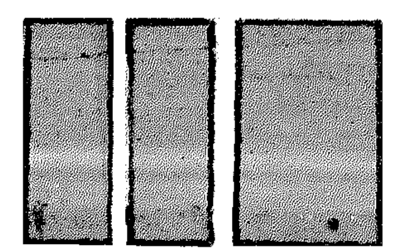
واقول أنا : « زمردة ايوب هى بدر الديب » .

وما أبعد هذا عن هذه ! ولكنه ليس اشد بعدا من ذاك عن تلك !

فأين الروائى الفنان من زوجة الطبيب الريفى ، نصف « الجاهلة او نصف المتعلمة ، الجامعة الخيال ، المغرمة بحب الظهور ؟ ولكن فلوبير ، بكل تأكيد ، يعرف وجوه الشبه بينهما اكثر مما نعرف .. أما نحن فنستطيع ان نقول إن أمام الواقعية كان يخفى فى اعماقه نزعة خيالية رومنسية استطاعت ان تظهر فى بعض اعماله ، وإنه اقام مدة طويلة فى الريف ـ مثل بطلته ، حتى اذا شعر بأنه يمكن ان يظل هناك منسيا من الادباء والنقاد قدم الى باريس طلبا للشهرة ، أما بدر الديب ـ الذى اعرفه اكثر مما اعرف فلوبير ! فقد ظل يعيش فى دائرة قراءاته وعلاقاته الخاصة الى ان نجح اصدقاؤه فى انتزاعه من جنة البراءة الى جحيم السياسة ، ولم يكن قد عاش فى مصر الثورة ، إلا سنوات قليلة بين عودته من بعثته فى امريكا وذهابه الى بانجكوك خبيرا فى اليونسكو ، وكانت مصر فى ذلك ، العهد تبدو جميلة وعظيمة لكل ابنائها فى الخارج ، ولكنه حين عاد فى مارس ٦٧ وجد شيئا آخر .. وكان بحكم منصبه الكبير فى الصحافة قريبا من السلطة الى حد ما ، ولاشك أنه اطلع على كثير من المخازى . ولكنى اصارحك ـ صديقى القارىء ـ بما لم استطع ان اصارح بدرا فى تلك الايام .. فقد شعرت بالأرتياع ، اكثر من مرة ، حين لاحظت أنه يستمرىء قربه من السلطة ، وشعوره الزائف بالأهمية ! وقد قلت لك إنه حين انضم اليّ فى الرياض كان لايزال يدافع عن اعمال لم اكن اتصور أنه يمكن ان يقبلها .

وربما حكى لى عن دناءات ـ صغيرة ولكنها مفزعة ـ بأعصاب باردة .

لذلك كانت « أوراق زمردة ايوب بالنسبة لى سعادة كبرى وستظل كذلك لكل من عرف شيئا عن تلك الأيام ، وخاف إن تكون مُثل الخير والفضيلة قد غادرت النفوس الى غير رجعة ، وستظل مصدر -



سعادة لكل قارىء يحس روعة الفن ، كما سعدت بها لأن تجربة بدر طوال هذه السنوات التى قاربت العشر قد اعطت معنى وقيمة للكتابة ، واخرجت الفنان الاصيل من قمقمه المذهب ..

وقد سألت نفسى : لماذا اختار بدر أن تكون بطلته امرأة ، تشابهه فى التجربة والثقافة ولكنها امرأة واستعدت فى ذاكرتى عددا من البطلات البارزات اللائى ابدعهن رجال بورشيا ، مدام بوفارى ليزا ، انا كارنينا ، وقلت لنفسى .. اليس فى اندفاع المرأة السخى فى العطاء وقسوتها حين يقابل عطاءها بالخيانة او الجحود ، وحيرتها وتمزقها اذا تعارضت المطالب على روحها وجسدها ـ اليس فى هذه الخصائص مجتمعة ما يرشحها ، اكثر من الرجل ، لادوار البطولة ، حين تنطوى نفس المبدع على صراع عنيف ؟ ..

وتذكرت كذلك ان لبدر قصة قصيرة بديعة « ترتيب الغرف » صور فيها نفسية المرأة المغدورة تصويرا لايقدر عليه إلا فنان عبقرى (والذين يكتبون او يتكلمون اليوم عن « قاتلات الأزواج » يمكنهم أن يقرءوها ليعرفوا انى لا ابلغ ، وعساهم ايضا يتعلمون شيئا عن طبيعة المرأة !) ..

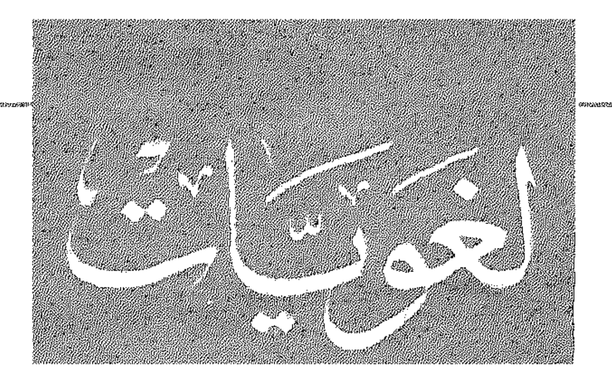
« زمردة ايوب » امرأة ارادت ان تكون قديسة فأصبحت خاطئة ، بل تردت فى الخطيئة الى حد انها نسيت ابنها الوحيد الغائب من شدة تلهفها على عودة حبيبها الهاجر ! ولكن النفس البشرية لاتنسى ، وهذا سر عذابها ! فلا ظلم اشد من ظلم الانسان لنفسه .. وزمردة ظلمت نفسها حين تناست احلام عذريتها التى جعلتها ترى فى اقتراب زوجها منها خطيئة ، واستجابت لجوع الجسد ، راضية ان ترقد فى الخفاء لرجل تعرف ـ فى قرارة نفسها ـ أنه اغواها بمنظره وسلطانه .

فالقراءة السياسية لزمردة لاتستوعب كل معانيها .

بل إن القراءة السياسية سيعترضها ما يعترض كل عمل سياسى من « رعاية المصالح » وما أقبح رعاية المصالح فى الفن ! فى هذه الرواية صفحة او نحوها ماكان ينبغى لزمردة أن تحشرها فى اوراقها ، وهى القديسة التى اغوتها السياسة ، فما كان أحراها الا تنخدع بكلام من نوع الكلام السابق ، وان قالها رجل مختلف

وتبقى الرواية على المستوى الوجودى ـ تصويرا لعذاب الانسان فى سعيه الدائب ، والمليء بالاخطاء ، «للعثور على حقيقته فى ظل الكينونة ، فى ظل المطلق الاسمى ، سعيا لاينتهى الا عندما يتعطل الفكر ، ويسقط الحساب ، ولاتبقى إلا الرؤيا الملهمة ، وليس بعدها إلا حقيقة الموت

وتبقى أستاذية الفنان الذى يصعد بك فى هذا المرقى الصعب ، مرحلة بعد مرحلة ، كشفا بعد كشف ، وانت مأخوذ بما ترى .. معلق الانفاس ترقبا لما سيأتى ، وكأنك تقرأ رواية بوليسية الم اقل لك إنها بداية جديدة (بل هى البداية الحقيقية) .. لفن بدر الديب ؟ ..



● يخلط بعض المتادبين بين « الحَدَثان » بفتح الحاء والدال ، وبين « الحِدْثان » بكسر الحاء وسكون الدال ..

واحسن ما قيل في الفرق بينهما هو ما قاله الكاتب العظيم ابو حيان التوحيدى فى كتابه « الامتاع والمؤانسة » .. قال : « .. اما الحدثان ـ بفتح الحاء والدال ـ فكانه لما هو مضارع للحادث .. واما الحِدْثان ـ بكسر الحاء وسكون الدال ـ فكانه للزمان فقط ، لانه يقال : كان كذا وكذا فى حدثان ـ بالكسر ـ ما وَلِيَ الامير فلان ، اى فى اول زمانه ..

● وعلى هذا يدور امر الحَدَثِ والأحداث والحادثات والحوادث .. فاذا قيل لإنسان : حَدِّثْ ـ بفتح الحاء وتشديد الدال وكسرها ، وهو فعل امر ـ فكانما قيل له : صِلْ شيئا بالزمان يكون به الحال .. اى صل كلامك بالزمان الماضى ليتمثل كانه حاضر ! ..

● يستعملون كلمة « الآلاء » .. اى النعم التى انعم الله بها ، وهذه الكلمة « جمع » ولكنهم يستعملونها في معنى المفرد ، أو بدلا منه ، وهو خطأ .. اما مفردها فهو « إِلْيُ » و « ألى » ولا « إِلىً » .. ولكنها كلمات مهجورة ..

● من الاخطاء قولهم : خَلَد فلان الى الراحة .. والصواب : أَخْلَدَ الى الراحة ، اى اطمأن اليها واستطابها ..

● الأَذانُ ، وهو إعلامٌ من فوق المئذنة .. والأَذانُ والتأذين والإِيذان : لإعلام ، واصله من الأُذُنِ .. يقال : اذنتك بالامر ، اى اوقعته في أُذُنِكَ .. ويخطىء المذيعون والمتكلمون الان اذ يمدون الهمزة فى كلمة « الاذان » فتصبح جمع « أُذُن » اى « آذان » ويضعون فتحة فوق همزة كلمة « إعلام » بدلا من الكسرة فتصبح « أَعلام » اى جمع عَلَم وهو الراية ، وهكذا تختلط الكلمات وتفسد معانيها !

● يقال : « بلغ فلان أَشُدَّهُ » .. اى قوته وفتوته ، ويظن القائلون ان « أَشُدّ » لفظ مفرد ، وهو جمع ، ومفردة « شَدّ » ..

● « الاثاث » من الالفاظ التى يظن قائلوها انها مفردة ، ولكنها جمع ، ومفردها « اثاثة » .

● « اناء الليل » يستعملون « الاناء » ولكنها لامفرد لها .. ومفردها « أَنْي ، وإِنْي ، وأَنىً » .

المسرح العربى يبحث عن المستقبل

بقلم : الفريد فرج

●● شهد كل مسرحى عربى ببغداد اخيرا صورة إبداعه فى عيون زملائه الفنانين العرب ، وفى عيون جمهور المسرح العريض ببغداد ..

حوالى ثلاثين فرقة مسرحية من الاقطار العربية غير الفرق العراقية تنافست فوق اكثر من عشرة مسارح على اجتذاب الالتفاف والاهتمام .. وفى الصف الأول من السباق كانت "أهلا يابكوات" المسرح القومى للقاهرة ، و"ديز دمونة" الفرقة القومية للعراق ، و"العوادة" التونسية ، و"العايطة" الجزائرية .

فإذا كانت هذه المسرحيات تمثل أرفع عطاء لفنانى المسرح العربى ، فإننا نستطيع من خلالها ان نرصد اقتراحات الفنانين العرب لتطوير المسرح العربى ، وصورة المستقبل لهذا الفن المهم فى إطار الحضارة العربية للحاضر والمستقبل .

ساعود معكم فى رحلة استكشاف لهذه العروض بعد أن نصف موقع التصوير للحفلة المسرحية العربية العريضة التى احتضنتها بغداد ●●

● المنظر من حولك رائع ، فهذا هو المعمار الجديد فى كل تفصيلة لعاصمة العراق الذى حارب ثمانى سنوات حرباً ضروساً ضد عدو قذف المدن بما فيها العاصمة بالصواريخ ودفع بستمائة ألف جندى فى هجوم على البصرة لم يسبق لكثافته مثيل فى التاريخ ، فأمتنعت عليه البصرة ، وحققت العراق عليه بعدها نصراً فريداً من الناحية العسكرية فى الفاو ، ثم فى الشلامجة ، وفى حرب الصواريخ ، مما سيكتب فى صفحات التاريخ بحروف العجب والإعجاب .

وخلال هذه الملاحم الكبرى وفى أصعب الايام لم تتوقف عمليات التشييد والتحديث المعمارى لبغداد التى اصبحت اليوم مدينة عصرية جميلة مكتملة المرافق ، تضاهى العواصم العالمية الكبرى فى نظافتها ونظامها وبهائها ومساحات الخضرة فيها .

لقد بنيت بغداد أثناء الحرب بروح الإيمان بالنصر وبكبرياء المقاتل واعتزازه واقتداره وحبه لبلاده .

وإذا كان حديثنا اليوم عن المسرح فلابد أن نذكر فى هذه الصورة المعمارية



لقطة من مسرحية "العايطة" من مسرح القلعة الجزائرى

الجديدة ، المعمار الحديث والمدهش للمسرح الوطنى ، ومسـرح الرشيـد واستديوهات الرشيد السينمائية ، ومسرح المنصور وسينما المنصور ومركز صدام للفنون .. التى شيدت كلها ايضاً اثناء الحرب ، وكانت من لزوميات الاقتدار العسكرى فى حرب اتخذت هدفا لها الدفاع عن الحضارة العربية ضد عدوان له ادعاءات على التراب العربى ذاته لا يخفيها العدو فى إعلامه المعلن .

الدفاع عن الحضارة واللسان العربى والقيم الروحية الصحيحة كان من تكاليفها إعلاء شأن الثقافة والمسرح والشعر والفنون ، فكلفت وزارة الإعلام والثقافة نفسها ، وعلى رأسها الوزير الهمام الاستاذ لطيف نصيف جاسم أن تدير الاعلام العربى اثناء الحرب إدارة تكتل ابناء الوطن للمهام القتالية ، وتدعم الجبهة الداخلية بتطوير الثقـافة والحضـارة العراقية والعـربية عـامة إلى أعلى مستوى .. فكانت الوزارة تنظم بنجاح فائق مهرجان المربد السنوى للشعر العربى ومهرجان المسرح العربى ، ضمن خمسين مهرجانا ومؤتمراً سنوياً عربياً ودولياً للعلوم والفنون وللثقافة وللسلام طوال سنوات الحرب وبعدها .

وقد قام فنانون عراقيون مبدعون ، ببناء صرح الجندى المجهول المدهش ، ومقام الشهيد الذى قل أن يوجد له نظير فى العالم من حيث روعته المعمارية والفنية ومن حيث رموزه العميقة .

ولكن لماذا نصف ذلك كله قبل الحديث عن المسرح العربى وآفاقه ؟.. إننا نمهد للموضوع التمهيد الضرورى ، كما يكتب المؤلف المسرحى وصفاً للمنظر الذى

ستجرى عنده الاحداث المسرحية أمام المشاهدين .

فى هذا الاطار النفسى القوى والحديث تبارت بعض المسرحيات على قمة الاهتمام الفنى والجماهيرى ، تريد أن تحقق بالابداع صـورة الشخصية العـربية الحديثة فى الموقف من العصر .

● "أهلا يابكوات"

وسأبدأ بـ"أهلاً يابكوات" لأنها كانت أكثرها جاذبية جماهيرية .

وعلى رأس فريق التمثيل الرائع للمسرح القومى أجرى لنا النجمان محمود يس وحسين فهمى مباراة ودية فى العطاء والابداع فغمرا الصالة بضياء عجيب ، وتعلقت عيون الجمهور المأخوذ بهما أكثر من ثلاث ساعات فى حالة استلاب تام .

وقد دعانى هذا فى الندوة الصباحية التى عقدت لمناقشة المسرحية أن أجذب الانتباه ايضاً إلى فن المخرج الشاب الصاعد الى الصف الأول عصام السيد ، والمؤلف الشاب المتربع فى الصف الأول لينين الرملى .

فعندى أن أهلاً يابكوات هى من علامات المسرح اليوم فى القاهرة . مسرح يزاوج بين البساطة التى تجتذب الجماهير العريضة وعمق الفكر الذى يواصل ربط المسرح بالحضارة والثقافة والفن الرفيع .

المسرحية تصور شابا شاعراً مهموماً بمستقبل الوطن فى تحديات الحضارة العالمية والتكنولوجيا المتقدمة بوتائر عالية ، وشابا مهتماً بنفسه وقد أخذ من

يبحث عن المستقبل

الحضارة والتكنولوجيا نصيباً بشهادة عالية من امريكا ووظيفة ناجحة مدنية مرفهة .. ودهمت الاثنين نازلة اسقطتهما بطريقة سحرية فيما قبل مائتى سنة فى عصر المماليك ومراد بيك ، ودخلا من الباب الضيق إلى جحيم التخلف العقلى والاستبداد المقيت .. الذى أصاب من يفكر فى الوطن ومن يفكر فى شخصه لا مباليا بالآخرين ، ذات الاصابات ، ووضعهما فى ذات المصير .

فهى دعوة ضد التخلف والتطرف الدينى والاستبداد ، وضد الانانية .. وتحذير لمن يدعى أو يتصور أن الأمر لا يهمه ، وصرخة للايقاظ والتنبيه .

تبدأ المسرحية بنبرة القلق من المستقبل حيث تتغير الدنيا بسبب التطورات التكنولوجية الخطيرة وتواجهنا بتحديات مثيرة للتشاؤم . وفجأة يجد البطلان نفسيهما فى الماضى ، كأنما بفعل زلزال أو انفجار مروع .. ويعيشان تفاصيل الجحيم المملوكى حتى ليذهب بنا الظن أن المسرحية تنتمى إلى القصص العلمى والخيالى ، حتى يفاجئنا المؤلف بمطابقة ساحرة بين الماضى والحاضر - بين خطاب ابراهيم بك وخطاب الدكتور برهان بك فى حملته الانتخابية فى حى المخدرات .. فإذا نحن فى دهشة مما يطرحه علينا المؤلف من اننا فى الواقع نعيش الماضى فى الحاضر والحاضر فى الماضى . فإذا صاح محمود الشاعر المكتئب يحذرنا مما نحن فيه ويخيفنا من المستقبل اتهم بالجنون وقبضت عليه الشرطة

مسرحية عن الأزمنة المتداخلة فى حياتنا اخرجها عصام السيد ببساطة تنسجم مع النص ، وتوازن واعتدال فى الصورة المسرحية ، وهدوء فى السياق ، وبتشخيص جيد لشخصيات ضمن لها نجاحها فى القاهرة وتونس وبغداد .

وإذا كان بعض النقاد قد اخذوا على لينين الرملى تجاوز البساطة إلى التبسيط ، أو على عصام السيد التجاوز عن تزيد أو اجتهادات فريق التمثيل الزائدة فى مواقع الفكاهة بما يخل بالعطاء الفكرى للعرض واقتناصا للمتعة السهلة للجمهور .. فإنى لا اعترض على هؤلاء النقاد ، ولكنى اريد ان انظر الى نجمى العرض المسرحى مع المؤلف والمخرج وفريق التمثيل كله فى إطار محاولتهم الجادة لاسترداد النجاح الجماهيرى للمسرح القومى فى مناخ كاد ان يكتسحه بالكامل المسرح التجارى وقيم المسرح التجارى ، وربما تكون حساباتهم قد جنحت الى نفاق جمهور المسرح التجارى فى رأى البعض ، أو أن تكون قد جنحت الى نفاق اسم المسرح القومى فى رأى القلة ممن يتهيبون مجرد اسم الثقافة ويخشون رسمه .

ما علينا ولكننا نرصد فقط هذه المحاولة الجادة لفريق مبدع من الفنانين ونفهم اطروحتهم واقتراحهم ، وسيحاكم كل من النقاد هذه الأطروحة وهذا الاقتراح فى الظروف المسرحية المعاصرة حسب تقديره لها ولما يجب ان يصنع الفنان ، إلا أنى انا شخصيا ساقدر هذه الجهد الناجح باعتباره اجتهادا عمليا جادا لاعادة التوازن الى المعادلة المسرحية الصعبة فى ظروف لم يسبق ان كانت واردة إبان النهضة لمسرح الستينات التى جرى

تطوير المسرح اثناءهما فى مناخ مختلف .

هذا اجتهاد له حجته ودراسة جدوى المسرح كله صاغها خبراء فى الفنون المسرحية وسنمتحنها نحن بالقياس الى اى اجتهادات اخرى ودراسات جدوى اخرى للمبدعين الراسخين فى مصر او فى اى قطر عربى آخر .

وقبل ان انتقل الى المسرحيات الأخرى يجب ان انقل صورة عرض « اهلا يابكوات » فى العراق وفى المسرح الوطنى البديع المعمار الذى يتسع لحوالى الف وخمسمائة متفرج . فبعد دخول الجمهور كان جمهور اخر حول المبنى لم يستطع الحصول على تذاكر لأى من الحفلتين فقد احاط الواجهات البللورية

المسرح العربى

للمسرح مما دعا إدارة المهرجان الى ان تفتح لهم الأبواب خشية التلف والكسر من جراء الضغط ، فافترش المشاهدون جوانب المسرح وممراته بأكثر من الف متفرج فوق سعة المسرح على مدى ليلتين ممتعتين كان فيهما محمود ياسين وحسين فهمى وسائر فريق التمثيل فى قمة عطائهم .

● ديز دمونة

سألنى بعض الصحفيين اثناء المهرجان لماذا يكثر الأنتاج للمسرح التجريبى فى المهرجان وخارج

لقطة من احدى مسرحيات المهرجان



يبحث عن المستقبل

المهرجان ، فى العراق ومصر والمغرب العربى ؟

فقلت إن الفنان المسرحى العربى يشعر بالقلق واهتزاز الرضا ، لأن المسرح العربى اليوم يميل ميلا حرجا نحو الفكاهة السهلة والقيم التى يكرسها المسرح التجارى ، والجمهور يثقل كفة هذا اللون المسرحى السهل مما ازعج فريقا كبيرا من الفنانين المسرحيين المثقفين ، ودفعهم القلق الى ان يميلوا بدورهم للمسرح العربى ميلا حرجا يعكس الاتجاه التجارى نحو الأغراب والتغريب والتجريب والتحديث بل والتعقيد احيانا ، وتجاوز انتاجهم فى هذا المجال الحجم المعقول فأصبح وكأنه صيحة احتجاج عملى على نقيضهم المسرح التجارى .. بحيث بات المسرح الرصين والحافظ للتقاليد الدائمة للمسرح « المسرح القومى فى صورته الباقية » وكأنه يفقد الانصار من الفنانين إلى اليمين وإلى اليسار .

لذلك كان لمسرحية « ديزدمونة » اهميتها الخاصة ، وعلامة على طريق المحافظة على أرض الفنون المسرحية القومية ضد زحف الهامشين ـ التجارى والتجريبى ـ واقامة الصرح المكين للمسرح القومى العراقى .

« ديزدمونة » من تأليف الكاتب الشاعر يوسف الصايغ ونال عنها جائزة افضل تأليف فى مهرجان قرطاج الماضى ومن اخراج الرائد الفنان ابراهيم جلال الذى كرمه المهرجان الدولى الثانى للمسرح التجريبى بالقاهرة فى العام الماضى .

والمسرحية معارضة ادبية لمسرحة عطيل شكسبير . وهى تبدأ بواقعة قتل عطيل المغربى زوجته الفاتنة « ديزدمونة » .. ثم يقتحم القصر ومخدع القائد الفارس الاسود عطيل محقق ومساعدوه للتحقيق فى سبب الجريمة وكيف تمت ومن شارك فيها .

ومن خلال هذا التحقيق وسين وجيم يعرض لنا المؤلف صورة اخرى للمأساة خلاف مادرج على شرحه النقاد من واقع مسرحية شكسبير الكبيرة « عطيل » .

وتعتبر مسرحية « ديزدمونة » نصا كبيرا يضاف الى رصيدنا من الأدب المسرحى العربى الباقى على الزمان كأدب توفيق الحكيم واحمد شوقى ومسرحيات الستينات الكبيرة .

واسمحوا لى أن ادخل الى مسرحيه ديزدمونة من باب اللغة ، وهو مدخل يبدو مغفولا عنه هذه الأيام .. المسرحية تدعونا للتأمل من جديد فى قيمة اللغة كأداة مسرحية والشاعر يوسف الصايغ يبدى لنا هذا الحسن وهذا الجمال الذى يمكن ان تتحلى به لغة المسرح .. بالرصانة ، بالفصاحة ، بقوة التعبير ، بالقدرة على الوضوح حتى فى طرح ادق المعانى وأعمقها .

ولولا الاحساس العميق وقدرة التذوق اللغوى الرفيع للمخرج والممثلين ـ ماكان للعرض هذا البهاء وهذه الرصانة وهذه البلاغة فى الأداء وهذا الاشباع الراقى للغة الصايغ الرفيعة .

والمسرح خطاب جماهيرى ، وبقدر ما يسمو فى التعبير اللغوى يعمق تأثيره الفكرى والنفسى

مسرحية ديز دمونة تبدأ بواقعة قتل عطيل القائد المغربى الزنجى زوجته الفاتنة البيضاء ديزدمونة . وهذا عند

شكسبير هو المشهد الأخير وذروة المأساة التى دفعت اليها الغيرة العمياء .

ولكن الصايغ يبدأ مسرحيته بهذا المشهد ، وفى قمته يقتحم الابواب المحققون ليضبعوا الواقعة ويبحثوا عن دافع القتل ومن حرض عطيل عليه .

فالصايغ لايقتنع بقصة شكسبير حول الغيرة النابعة من عدم التكافؤ بين الزوجين وسقوط عطيل فى احابيل الشك التى نسجها حامل العلم الماكر ياجو .

ينكر الصايغ ان عطيل قتل زوجته البريئة من الغيرة عليها .

ويكشف عن حافز آخر .

وديزدمونة مسرحية من مسرحيات التحقيق .

ومسرحية التحقيق لها دائما مذاقها الخاص ، واول مسرحية تحقيق عرفها التاريخ هى « اوديب ملكا » وتتميز مسرحية التحقيق بتوقع المفاجاة والانقلاب المسرحى ثم ضبط المتهم وتصوير مصيره ومن ثم تتميز بالتشويق ، وبتداخل الشهادات ، وبتفجير الصراع الكامن بين الشخصيات وفى وجدان كل شخصية .

وديزدمونة معارضة لمسرحية شكسبير ، واكتشاف بعد شكسبير ، وملاءمة بين البناء الدرامى لمسرحية شكسبير والمعارف السيكولوجية الحديثة ، والآلام المكتشفة حديثا للمسألة الانسانية الدائرة حول الوان البشر ومآسى التمايز والتمييز العنصرى .

وإذا كانت « عطيل » مسرحية غربية انسانية ، فإن ديزدمونة مسرحية شرقية انسانية .

يوسف الصايغ يقول انه طالما فكر فى أن ينصف عطيل الذى ظلمه شكسبير .. لذلك عارض « عطيل » «بديزدمونه » ..

والتمايز والتمييز فى عطيل شكسبير ليس مصدره فى الحقيقة اللون الظاهر لعطيل ، وإنما لون عطيل هو الذريعة التى تذرع بها شكسبير ليكتب عن التمييز واثره المزدوج على طرفى الجناية ـ كما فعل يوسف الصايغ نفسه .. ففى مسرحية الصايغ يعتبر الصراع بين الرجل والمرأة هو جوهر الموضوع ، القوة والضعف فى الرجل يتناسبان تناسبا طرديا وعكسيا مع القوة والضعف فى المرأة .

مما ينبت المأساة على فراش السعادة ، وتنمو المأساة حتى تقتل المرأة زوجها بالاحباط ، او يقتل الرجل زوجته خنقا ، لا بمجرد الغيرة او الدسيسة بحديث المنديل وانما من جراء التنافس على التفوق والسيطرة بين رجل قوى بمكانته ضعيف بحبه ، وامرأة ضعيفة بانوثتها ، قوية ومستبدة بجمالها واطراء الناس لها .

وقد وضع المخرج ابراهيم جلال المسرحية فى اطار رصين ، واستحدث فى الحركة معنى ملاحقة المحققين لابطال المأساة بالأسئلة . واحصارهم بالاستفسارات .. وتمرد أهل المأساة على الاسئلة وتفجرهم برفض الكشف عن ذات النفس .. كما استحدث الغاء المسرح احيانا بالاظلام التام بينما احدى الشخصيات تعترف فى الفراغ وفى الضوء المعلق كأنها تعترف على حافة الهاوية .

فكان التزاوج بين الفكر والجماليات

بحث عن المستقبل

بين جزالة اللغة ورصانة التمثيل سمة هذا العرض المسرحي المدهش ..

● العوادة

سأختار العوادة كمسرحية نموذجية ثالثة ، وهى تونسية ، تأليف واخراج مشترك قام به الفنانان الفاضل الجزيرى . والفاضل الجعايبى ، ومن انتاج المسرح الوطنى .

والمسرحية تدور فى موقع فريد وبين فئة مبتكرة ، فهى صورة لفرقة موسيقية فى صالة التدريب ، وقد مات رئيس الفرقة بطريقة غامضة ، وثار الصراع بين اطراف مختلفة على من يتولى قيادة الفرقة والمحافظة على لم شملها .

وتختلط الفكاهة فى المسرحية بالمأساة ، والعدوانية بالضعف ، فى وسط موسيقى يعانى البطالة ويضيق بالمثل الفنية فى مناخ سياحى تختلط فيه الفنون بالنزوات الجنسية للسياح ، وتختلط اهواء الجمهور بين القديم والجديد فى الفن ، وبين الضمير الفنى للموسيقيين والحاجة للخبز .

كما ان الفرقة تضم اجيالا مختلفة ، والكبار يعبرون عن المرارة مما يجرى فى سوق الموسيقى والفن بتكرار الذكريات الحلوة ايام زمان ، والجيل الجديد من الموسيقيين الذى يعبر عن ضيقه بالتمرد والعصيان ، او بنوبات الصرع المرضية .

المناخ مبتكر ، والشخصيات من هذه المهنة المدهشة ربما ترتقى المسرح العربى لاول مرة ، والصراع على القيادة ربما يكون له بعد سياسى او اجتماعى المشاهد التونسى أقرب الى التقاطه .

ولكن المدهش فى العرض ، الذى جعل لجنة التحكيم لمهرجان قرطاج تمنحه جائزة الاخراج منذ شهور وجعل المشاهدين العراقيين يهتمون به اهتماما متميزا ، المدهش فى العرض انه فريد فى الصورة فريد فى المسمع والموسيقى ..

الحوار يتزامن فى العرض مع عزف آلة موسيقية ما او غيرها ، بايقاعات هامسة أو صاخبة عنيفة بما يصنع من العرض المسرحى سياقا سمعيا مدهشا .

كما أن الأحداث تجرى فى مكان اقرب الى البدروم هو مكان التدريبات للفرقة فهو فراغ مسرحى رمادى وعار تماما إلا من بضع كراسى وحوامل النوت الموسيقية والممثلين الذين جرت حركتهم فى الفراغ وبنظام للأضاءة بشكل خلاب جميل جدا يخدم الدراما ويؤكد عناصرها ، وهذا بالضبط هو الاطار المستثمر افضل استثمار من قبل الفنانين المخرجين اللذين ضمن لهما جائزة الاخراج فى تونس وحماس الجمهور والفنانين العرب ببغداد .

فالمخرجان يقترحان نموذجا لتطوير فن الاخراج وتوظيف ادواته الاساسية :

الحركة والاضاءة وموسيقية السياق الدرامى ، توظيفا جماليا وتعبيريا يتجاوز به المسرح العربى أوضاعه التقليدية الثابتة ويعطى حيوية جديدة متجددة للفن المسرحى بتطوير فن الاخراج ..

● العايطة

« العايطة » هو العرض الجزائرى الذى نال جائزة افضل عرض مسرحى فى

تونس ، وهز المشاهدين ببغداد هزة الدهشة والاعجاب .

الف المسرحية محمد بن قطاف واخرجها الزيانى الشريف عياد وانتجها مسرح القلعة ، وهو انشقاق متمرد من المسرح الوطنى الجزائرى ، اراد الفنانون المشاركون فيه استحداث شكل فنى مسرحى جديد ، سياسى ونقدى حديث .

والمسرحية عبارة عن تأملات نقدية لعاملين وعاملة فى مصنع للقطاع العام توقفت الاته بسبب البيروقراطية التكنوقراطية والبيروقراطية النقابية وبيروقراطية الحزب الواحد ، وبسبب الانتهازية والنزوات الشخصية للمديرين .

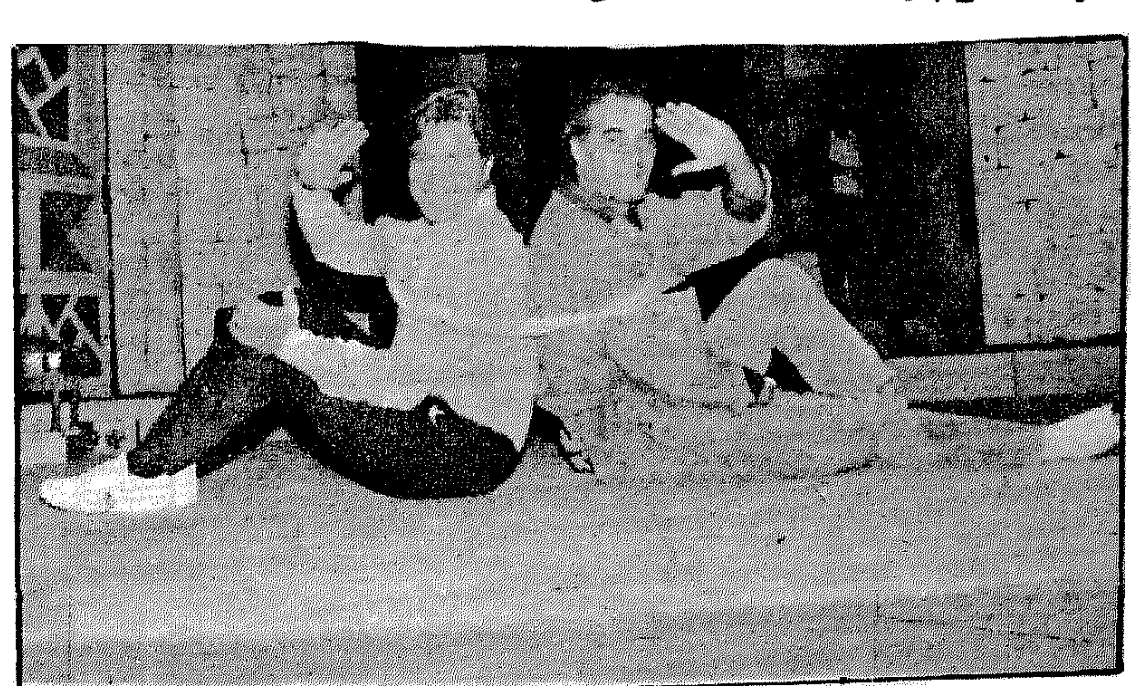
فهى من المسرح الحديث يجرى فيها التمثيل داخل التمثيل وتعتمد اولا على النقد اللاذع جدا والجارح لمجريات الأمور فى القطاع العام ، وثانيا على التكوينات الجمالية التى يتداخل فيها الاكسسوار مع الممثل ويستنفر خيال المشاهد ويفاجئه بالصدمات الدرامية بالقول والحركة والتكوين .

والمسرحية نموذج للمسرح الفقير فى ادواته الغنى بقوة تعبيره ، اقرب نقطة فى

المسرح العربى

المسرح العربى من المسرح الطليعى الأوربى المنتشر بين شباب الفنانين وشباب المشاهدين فى فرنسا وانجلترا والذى انبثق مع ثورة الطلبة فى فرنسا عام ١٩٦٨ ويوالى تطوره الى اليوم بشتى الاشكال .. واشهر الفرق الفرنسية التى طورت هذا الشكل وذاعت شهرتها فى العالم هى فرقة مسرح الشمس المستقرة فى مصنع قديم للخراطيش بفانسين ، منحته الدولة للفرقة منذ عشرين سنة .

وفرقة القلعة الجزائرية ليست مجرد انشقاق من المسرح الوطنى الجزائرى ولكنها انشقاق يثير الانتباه من المسارح القومية العربية كلها واسلوبها التقليدى الراسخ ، وهى ليست اقتراحا بتطوير المسارح القومية العربية ، ولكنها دعوة لشباب الفنانين بالخروج من الأطر التقليدية والمعمار المسرحى القومى الى ساحة التجريب المتمرد ـ ليس على الفن التقليدى وحده ـ وانما على النظام التقليدى الاجتماعى كله .



اهلا يا بكوات

يبحث عن المستقبل

وحتى ان كنت لاتقر مضمون النقد اللاذع فى المسرحية فأنك لاتملك الا التحمس للأسلوب الجرىء للفرقة فى النقد الأجتماعى وفى النقد الفنى على السواء ..

وعلى اطروحة الأبداع البديل الذى تقترحه الفرقة والمسرحية .

● المسرح إلى اين ؟

نعود الى الموقع الذى استضاف المهرجان ، فإننا كمسرحيين نؤمن بالعلاقة الوثيقة بين سياق الوقائع وبين المنظر والأطار الذى تجرى فيه الوقائع .

بغداد تشملها روح النصر ، ويزينها معمار المدينة الذى خرج بها من القرون الماضية الى رأس القرن الواحد والعشرين من حيث المرافق ، والجمال ، والنظافة وشبكات الطرق الحديثة ومعالم المدنية من مبان عامة وصروح فنية .. فضلا عن احتضان دجلة لها واحتضانها له .

كيف يغيب المنظر عن فنانين عرب يبحثون فى مهنتهم وعينهم على مستقبل فنهم ومسيرته نحو الجمهور ونحو الذروة المتصورة لفنهم والنموذج الأمثل لها .

بين بغداد الجديدة المشمولة بروح المستقبل وبين تطلعات الفنانين لمستقبل المسرح اكثر من علاقة .

ومهما كان تقييم النقاد للتجارب الأربع الكبرى التى تحدثت عنها ، فإن كل مهتم بالمسرح يجب اساسا ان يرصد ما تنطوى عليه هذه التجارب من اقتراحات للسمو بالمسرح الى مستوى الواقع السياسى والاجتماعى .

ففى الواقع السياسى نحن نمثل تحت الراية العالية للنصر العسكرى العراقى ، وفى الواقع الأجتماعى يجرى التمثيل تحت المصابيح القوية للتطور التعليمى والتحديثى الكبير والذى لم يسبق له مثيل فى تاريخنا العربى الحديث مما دفع جماهير كثيفة الى الاهتمام بالثقافة والفنون والاستمتاع بالحياة .. فى العراق وفى الوطن العربى كله .

ولو كان مهرجان بغداد المسرحى يعقد مسابقة بين العروض ـ وهو لايفعل ويتميز بهذا الموقف الحيادى الذى لايتعدى التنظيم ـ اقول .. لو كان مهرجان بغداد قد عقد مسابقة بين العروض المسرحية ، لكانت النتائج كالتالى .

جائزة الجمهور للعرض المصرى « أهلا يابكوات » الذى يحل المعادلة الصعبة بين الفكر والفن وشباك التذاكر ..

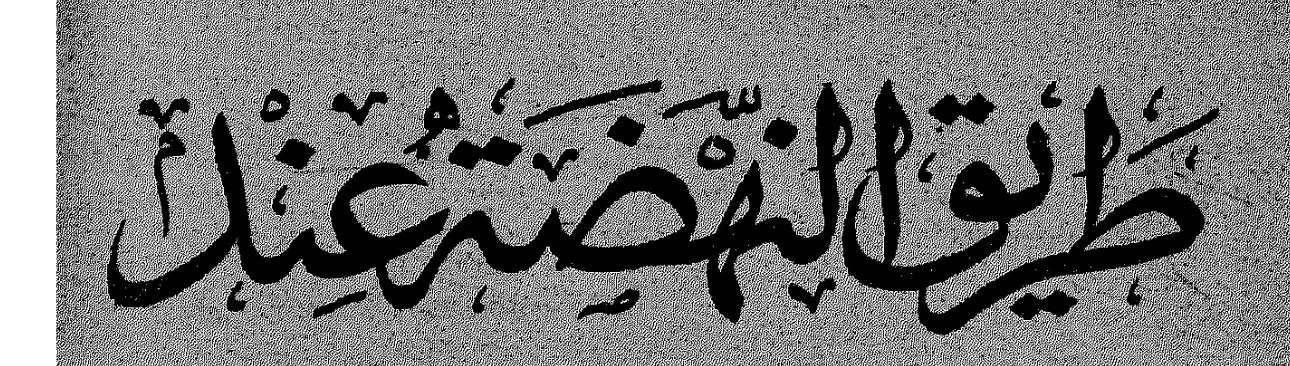
جائزة النقاد للعرض العراقى ديزدمونة ، الذى يعيد للمسرح القومى رصانته الفنية وبلاغة اللغة المسرحية ..

جائزة الفنانين للعرض التونسى العوادة .. الذى يقترح تطوير جماليات العرض المسرحى وسحره الفنى بنموذج فريد .

جائزة شباب المسرحيين للعرض الجزائرى ، « العايطة » الذى يؤكد اجتماعية الفن المسرحى وضرورة الحداثة فى الشكل والجرأة فى المضمون .

ولو كنت محكما فى هذه المسابقة المفترضة لاقترحت تقسيم الجائزة على العروض الأربعة .

ثم نزلت عند رأى الأغلبية بمنح الجائزة للمسرح القومى المصرى .. وأهلا يابكوات ..



بقلم : د . سعيد اسماعيل على

محمد رشيد رضا واحد من مفكرى الامة العربية والاسلامية الذين شغلوا بهمومها الحضارية ماضيا وحاضرا ومستقبلا مما يكسب نظراته طابعا ثقافيا وفكريا يتسم بالكلية والشمول بحيث لايتوقف امام جزئية من الجزئيات الا بقدر دلالتها على اتجاه عام وبقدر ما تشير اليه من مسارات ..

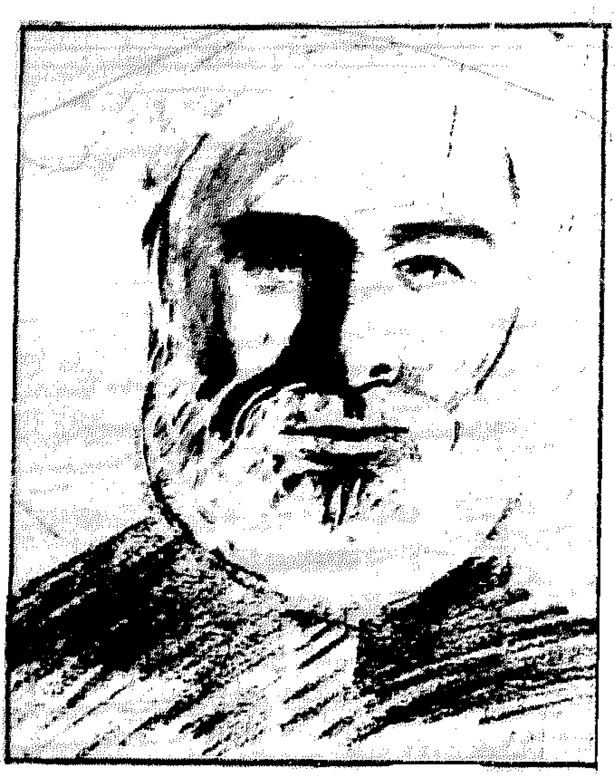
وهو واحد من بقايا عهد مضى وانقضى كان المفكر فيه منتسبا الى (الامة الاسلامية) فى عمومها ، قد يكون منتميا بحكم المولد الى بقعة جغرافية بعينها ، لكن هذا الانتماء الجغرافى ابدا لايحجب عنه الانتماء الحضارى الذى هو أعم ، وبالتالى فالحادثة فى هذا البلد البعيد جغرافيا ، قد تستوقفه اكثر مما تستوقفه الحادثة التى وقعت فى مسقط راسه ، والمعيار هنا فى التفرقة ، هو مقدار اثر الحادثة على حاضر الأمة الاسلامية ومستقبلها .

ولا نستطيع ان ننسى انه تلميذ الشيخ محمد عبده ، فهو بحكم هذه التلمذة ، سائر على طريق العمل على انهاض الامة الأسلامية لتعيد مجدها الغابر وفقا لمتغيرات العصر الآتية والمستقبلية . بمعنى ان الأحياء لايعنى عودة للقديم بحاله ، فهذا مستحيل ، وانما فى صورة منتقاة تستبقى من القديم جذوره واصوله ، وتستقبل من المعاصر احتياجاته ومتطلباته .

كذلك فإن تلمذة محمد رشيد رضا لمحمد عبده تعنى ، ضمن ماتعنى ، اعتبار قضية التعليم بصفة خاصة ، والتربية بصفة عامة ، القضية المركزية لحركة النهضة الاسلامية . انه نهج المدرسة الاصلاحية وليس نهج المدرسة الثورية كما تمثلت على يد جمال الدين الافغانى مما باعد بين الاستاذ الاول (الافغانى) الثورى وبين التلميذ الثانى (محمد عبده) الاصلاحى .. والتربية هنا تؤخذ بالمعنى

محمد رشيد رضا


الامام محمد عبده


الشيخ محمد رشيد رضا

العام الذى يجعل منها عملية التغيير الكلية للسلوك الاجتماعى بما يتضمنه من مفاهيم وقيم ومعارف وهو مفهوم يختلف بطبيعة الحال عن حصرها فى عملية (التدريس) التى تتم داخل معاهد العلم فقط .

● ماذا نعمل ؟

والبدء بطرح هذا التساؤل ، هو الخطوة الاساسية الأولى حقا اذا اردنا الوقوف على الموقف التربوى للشيخ رشيد ، فى مقاله فى العدد ٢٨ من (المنار) فى ٢٣ سبتمبر ١٨٩٩ ، فمن خلال الأجابة عليه ، تتضح (الهوية) ، وينكشف (النهج) و (الوجهة) ، وهو لايترك الباحث يجهد عقله فى عمليات استنباط وتحليل وتخريج ، وانما يكشف الامر فى صدر المقال مؤكدا انه :

(لايعود للاسلام مجده ويرجع الى اهله عزهم الا بتعميم التعليم الصحيح والتربية العملية على ما يرشد اليه هدى الدين

الذى كان عليه السلف الصالح ، وان هذين الامرين يتوقفان على امور كثيرة منها ازالة البدع والرجوع الى كتب الأئمة الأولين فى اللغة والدين ، والأخذ بكتب اهل هذا العصر فى العلوم الدنيوية)

● مشكلة الأصالة والمعاصرة

ويستوقفنا هنا تفرقته بين فئتين من المعارف والعلوم ، الفئة الأولى هى علوم اللغة والدين والفئة الثانية هى ما يسميه (العلوم الدنيوية) والمقصود بها (العلوم الحديثة) من طبيعيات ورياضيات وما يقوم عليهما من علوم .. فمشكلة الأصالة والمعاصرة يحلها هنا بالرجوع الى كتب السلف فى الفئة الأولى ، والاخذ بكتب المعاصرين بالنسبة للفئة الثانية ، لكننا لانستطيع أن نغفل كذلك صياغته اللغوية للسبيلين ، فهو بالنسبة للفئة الأولى يقول (الرجوع الى كتب) .

أما بالنسبة الى الثانية فهو يقول (الأخذ بكتب) ، الصياغة الأولى لاتعنى الألتزام ، بينما الصياغة الثانية تعنيه ، ونحن لا نؤكد هذا التفسير ، فقد تكون الصياغة بهذا الاختلاف غير مقصودة ، ولكننا لانستطيع الا ان نثبت هذه الملاحظة دون أن نؤكد أو ننفى ، وان كنا اميل الى الترجيح لحكم معرفتنا وقراءتنا لكثير من اعمال الرجل فى مجال الفكر اللغوى والديفى ، حيث يبدو نهجه فى الاجتهاد والتأويل واضحا مما يبين ان (الرجوع الى كتب) الأولين هو للاسترشاد بما فيها والاستفادة به ، لكن للباحث المفكر الا يلتزم به ألتزاما حرفيا ، وانما يعرضه على عقله ولعقله الحكم على ما اذا كان المكتوب يمكن أن يؤخذ به كما هو أو يرفض أو يعدل سواء بالزيادة أو الانقاص أو اعادة التفسير ..

● مكة .. مهبط الوحى ..

ويستوقف نظرنا هنا انه يستبعد فكرة طرحها البعض بأن يتم هذا عن طريق مؤتمر عام يعقد فى الاستانة عاصمة الدولة العثمانية ، مستندا فى ذلك الى ان احدا فى الاستانة لم يحبذ هذا الرأى عند طرحه ، وان كنا نرجح انه أراد ان يبعد عملا مثل هذا عن تأثير السلطة حتى تتاح له حرية الحركة والقول والا جاءت النتيجة مشايعة ومسايرة لهوى السلطان .. كذلك فلا نستطيع ان ننسى ان رشيد رضا بحكم مولده فى الشام ، قد خبر سيئات الحكم العثمانى حيث كان مباشرا ، ومسيئا الى (العرب) ، ومن هنا تجىء (مكة) باعتبارها مهبط الوحى (الدين) ، فضلا عن انها مركز (العرب) الاساسى فى شبه الجزيرة وبذلك تتحقق فيها تلك العروة الوثقى بين العروبة والاسلام ..

ويشير رشيد الى جمعيتين من الجمعيات المشهورة فى ذلك الوقت ، وان اكد ان هناك غيرهما لكنه لم يرد ان يشير اليها ، هاتان الجمعيتان هما : جمعية (شمس الاسلام) و (جمعية مكارم الاخلاق) . فأما جمعية شمس الاسلام ، فقد ابتدأت بالتربية الصحيحة ، والتعليم القويم فضمت اليها المدرسة التحضيرية التى اسسها احد اعضائها ، كما عهدت

الى محمد رشيد رضا نفسه بقراءة درس دينى عام للاعضاء .. وأما جمعية مكارم الاخلاق فقد غلب على اسلوبها الوعظ والارشاد .. يحشر اليها الناس فى كل ليلة جمعة يسمعون الخطب التى تشرح لهم مجد الاسلام الغابر وهوان أهله الحاضر ، وتزجرهم عما فشا فيهم من الفواحش والمنكرات ، وتحثهم على عمل البر والمحافظة على الصلوات ..

● ضرورة النهضة الاسلامية ..

ومن أجل أن يستقيم الطريق الى التربية الصحيحة ، لابد من الاستناد الى رؤية حضارية كلية ترسم الطريق وتحدد المنهج ، واستلهام هذه الرؤية يحتم النظر الدقيق فى التجربة التاريخية لمعرفة كيفية نهوض الامم وسقوطها . وهنا ينبه رشيد الى ان الأمم فيما سبق كانت تتكون (بالعصبية والحرب) وتحيا بقوة افرادها البدنية وكثرة عددهم ، لكن الأمر لم يعد كذلك فى العمر الراهن (فقد ارتقى النوع الانسانى عن ان تكون حياته بالقوة الحيوانية وكثرته العددية وصارت حياته بالقوتين العلمية والأدبية وما ينشأ عنها من القوة الصناعية) ويضرب مفكرنا مقالا على صحة هذه المقولة بحال اليابان وكيف كانت امة خاملة شبه ميتة ، فاذا بها تنهض مما كانت عليه من تخلف بفضل ما أخذت به من معارف واخلاق .

لكن المسألة تقتضى ان يقبض الله للأمة نفرا من قادة الدعوة والفكر يكونون على مستوى عال من الحمية والعمق الفكرى والأخلاق الرفيعة يمكن لها بما تكون عليه من البصر الذكى ان تعى علل الأمة الحقيقية وسبل صحتها ونهوضها فتكرس جهدها كله للدعوة واستنهاض الهمم وتربية الجماهير . بيد اننا لاينبغى ان نتوهم أن الاستجابة الى مثل هذا النفر سوف تكون سريعة ويسيرة ، ذلك أن افراد الأمة او ان مثل هذه الدعوات الكبرى التاريخية التى تشكل علامة على طريق النهضة ينقسمون الى ثلاث فئات :

١ - مقاومون معاندون ينفرون عن الدعوة الى الاصلاح .

٢ - مخضرمون يستمعون الى الدعوة لكنهم لايعقلونها كما يجب ان يكون ، فيكون من أثرها فيهم نبذ القديم حسنه وقبيحه دون تمييز ، والاكتفاء من التعاليم الجديدة بما لا فاعلية حقيقية له فى الاصلاح فيكونون بما استهانوا به حتى من محاسن اسلافهم ، وبما عساه يوجد فيهم من المغامر الشخصية للمعارضين المعاندين .

٣ - عقلاء فضلاء يصلون بالفعل الى درجة طيبة من الوعى بشئون الامة ويقفون على عللها وامراضها ، لكن فكرهم لايستطيع ان يهزم بسرعة ما ران على عقول الجهلاء من افكار متخلفة بالسرعة المطلوبة فمن سنن الله فى خلقه ان مثل هذه الافكار لا تأخذ سبيلها الا بالتدريج .

ولا يكتفى رشيد بمثل هذا الكلام العام ، وانما يوقفنا على تجربة الشيخ جمال الدين الافغانى مما ينبغى ان نتوقف عندها بعض الشىء . بلا تفاصيل ، لنتفهم دلالات التجربة .

فما يستلفت نظر رشيد فى شخصية

طريق النهضة عند

الافغانى وأهله للقيادة الفكرية للعالم الاسلامى فى أواخر القرن التاسع عشر أن (تربى .. تربية دينية فقرأ العلوم الاسلامية : وسائلها ومقاصدها ، وبرع فى الفنون العقلية كالحكمة القديمة والكلام والأصول ، ثم نظر فى الفنون الرياضية والفلسفية على طريقة اوربا الحديثة ، وسلك سلوك التصوف سلوكا كاملا ، وأضاف الى علمه الواسع فى التاريخ الاختبار بالسياحة ، وعنى أشد العناية بدراسة أحوال الاسلام وتعرف أمراض المسلمين الاجتماعية التى أرجعتهم من مقدمة الأمم الى ما وراءها ..) .

هذا التأهيل اذن من حيث ابعاده التراثية والمعاصرة ، فضلا عن الخبرة العملية والسلوك الزاهد ، وشمول مفهوم التراث بحيث لايقتصر على تراثنا الاسلامى وحده وانما يمتد الى الوعى بالتجربة الفكرية للحضارات الأخرى ، هو (النموذج) و (القدوة) لهذا النفر الذى يمكن أن يأخذ بيد الامة لتعاود نهضتها مرة أخرى .

لكن ، ماكل ما يتمناه المرء يدركه !!

ذلك ان طول عهد التخلف والخمود والجمود قد ثبت مع الاسف الشديد مفاهيم التخلف وقيمه حتى لقد تبناها الناس انفسهم فصاروا يدافعون عنها ضد كل حركة اصلاح !! واعتادت الجماهير الا تستجيب الى اصلاح الا اذا كان صادرا من السلطة الحاكمة ، ومن هنا اختفت حركات المقاومة لظلم المستبدين ، والادهى والامر من ذلك هو موقف علماء الدين انفسهم حيث يدعمون اركان الظلم بما يصدرونه من فتاوى تبرر الظلم القائم ، ولعل هذا هو ما جعل الأفغانى يتجه الى طريق السياسة أملا ان يحقق دعوته .

ولأن مصالح العلماء المرتبطين بالسلطة الحاكمة لابد ان تضار من مثل هذه الدعوة ، كانت الحرب الشعواء عليها ، لا بالحجة العقلية والدليل المنطقى ، ولكن بالسلاح الخطير الذى يغزو عقول وقلوب عامة الناس فى عهد كان الجهل فيه هو العلامة البارزة ، هذا السلاح هو الدين بحيث يظهر الداعى الى

الشيخ جمال الدين الأفغانى



الاصلاح بصورة المفسد المارق فتنصرف عنه الجماهير ..

ومن الأمثلة التى تبين ما يؤدى اليه سوء الفهم من سوء التصرف بحيث تلقى ظلالا من الشك على داعية مثل الأفغانى ما رواه واحد ممن حضروا مجلسا للأفغانى ، اذ ذكر لرشيد انه لن يحضر ابدا دروس الرجل ، فلما استفسر رشيد عن السبب ، قال الرجل ، ان الأفغانى نهاهم عن الصلاة !! ولما كان هذا امرا خطيرا بطبيعة الحال ، سأله رشيد ان كان قد نهاهم عن الصلاة نهيا صريحا بأن قال لا حاجة لها ، ولا تصلوا ، أجاب الرجل بالنفى ، وانما ذكر عن الأفغانى انه تكلم عن الصلاة كلاما ابان فيه عن ان صلاتنا لايعبأ الله تعالى بها ولايقبلها بأن قال ما ملخصه ان الأعمال الظاهرة فى الصلاة كالركوع والسجود هى كأعضاء الجسم ، والانسان ليس انسانا بأعضاء جسمه وانما هو انسان بروحه ونفسه وروح الصلاة الشعور بعظمة الله تعالى وكمال سلطانه وتدبر ما يتلى من القرآن والذكر المعبر عن ذلك بالخشوع ، قال الرجل : واذا كانت صلاتنا ليست على هذا الوجه الذى لايرضى الله تعالى الا به ، فلاشك انه يعنى بأن الأولى تركها . وبالطبع فقد اوضح الشيخ رشيد للرجل ان الأفغانى لايقصد هذه النتيجة بأى حال من الأحوال مما لايتسع المقام لذكره هنا ..

● محمد عبده والامامة الفكرية .

وضرب مفكرنا مثالا آخر بالشيخ محمد عبده الذى كان ايضا ممن تتوافر فيهم شروط الزعامة الفكرية لقيادة الأمة ، لكنه ايضا تعرض للعديد من صور المقاومة التى سعى اصحابها من خلالها الى صرف طلاب العلم عنه بحجة انه فيلسوف يخشى من فلسفته على دينهم ، وكأن هؤلاء لا ثقة لهم بدينهم لأنهم ليسوا على بينه منه فيخافون من كل شبهة ان تأتى على زلزاله أو زواله (والموقن بالشىء لايتوقع ولا يتصور زواله ، ومن لا يكون موقنا لايكون مؤمنا) .

والشيخ رشيد رضا صريح فى تأكيده على ان رابطة (العقيدة) هى التى ينبغى ان تقام عليها نهضة الأمم ، ومن ثم تصبح العقيدة الاسلامية على اساس النهضة لأمتنا والأصل الذى ينبغى ان تقوم عليه تربية الناس ، ورابطة العقيدة هى المرحلة الأرقى ، فيما يرى ، بعد مرحلتين سابقتين ، الأولى ، هى مرحلة العصبية الجنسية ، والثانية هى رابطة اللغة ، وما كانت عناية الله تعالى بالانسان لتقف به عند هذا الحد (بل أعطاه سلما ليعرج عليه الى الأفق الأعلى من المدنية وسعة دائرة الاجتماع وهو المعبر عنه بناموس ارتقاء العام ، لما استعد بمقتضى هذا الناموس لامتزاج بعض اجناسه ومؤاخاة العربى للعجمى والرومى للفارسى ، منحه رابطة اعلى من جميع روابط الاجتماع ـ رابطة تضم متفرق العناصر وأشتات الاجناس وتصوغها فتجمعها عنصرا واحدا ـ رابطة يمكن لكافة البشر ان يكونوا بها أمة واحدة واخوانا .. هذه الرابطة هى الديانة الاسلامية) ..

لكن مفكرنا لايلغى أية روابط اخرى

يكون لها دورها فى تجميع الناس وتكتيل جهودهم وحفزهم على التعاون المشترك من اجل خير امة ولذلك نبه الى حكمة الله حيث جعل الرابطة ذات طرفين : طرف يمكن ان يضم البشر اجمعين على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم وهو كونهم يحكمون بشريعة واحدة عادلة تساوى بين مؤمنهم وكافرهم ومليكهم وصعلوكهم وغنيهم وفقيرهم وقويهم وضعيفهم وهذا الطرف يسميه رشيد (الجامعة الدنيوية) ، ويمكن لاهله ان يعملوا لاحراز سعادة الدنيا بالاشتراك حتى يصلوا الى الغاية التى يستطيعون الوصول اليها .. والطرف الثانى هو طرف الجامعة الدينية الأخروية وهو يؤلف بين الآخذين بهذا الدين تأليفا روحيا زائدا عن ذلك التأليف الجثمانى ، تأليفا جرثومته وحدة المعتقد والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وغذاؤه الاخلاق الفاضلة والعبادات الكاملة ، وثمرته الاخاء الصحيح وجعل المؤمنين فى تضافرهم وتعاونهم على البر والتقوى كالبنيان يشد بعضه بعضا .

ولم تكن المناقشة التى يجريها رشيد على صفحات المنار فريدة عصرها ، فقد كانت هذه القضية مثار مناقشات مستفيضة على صفحات الجرائد والمجلات ، ولا غرو فى ذلك ، فقد كانت مصر تعيش فترة مخاض جديد ، هى من الناحية الرسمية جزء من الدولة العثمانية مما يجعلها منتمية قانونا وفكرا الى الأمة الاسلامية برابطة العقيدة ، وهى من ناحية اخرى قد احتلت من اقوى دولة غربية فى ذلك الوقت (بريطانيا) التى عملت منذ لحظات الاحتلال الأولى على (تغريب) البلاد فكرا وثقافة بشتى الطرق والوسائل ، وكانت الدولة العثمانية فى حالة ضعف وذبول واضحين ، وكان الغرب فى قمة قوته وتألقه .

وتعددت المواقف وتباينت الاتجاهات ، وعلى سبيل المثال ، كانت جريدتا المقطم والأهرام متفقتين على ان الدعوة الى الجامعة الاسلامية باسم الدين مضرة وغير موصلة الى الغاية ، وانه لاسبيل الى نهضة الامة الاسلامية الا باتباع خطوات أوربا كما فعلت اليابان .. أما جريدة المؤيد فقد وافقت على أن مسلك الكتاب المسلمين فى الدعوة الدينية مفيد كما أن الاخذ بالفنون .. والصنائع الأوربية مفيد مع ذلك .

● كيف نربى انفسنا تربية دينية صحيحة ؟

لايؤمن مفكرنا مع الأسف الشديد بجدوى الكبار وتربيتهم ، فمثل هؤلاء قد تمكنت العادات منهم ودرجوا عليها حتى تحولت لديهم الى طبيعة ثانية ، لكن المرحلة التى تجدى فيها التربية حقا هى مرحلة الطفولة فالاطفال صفحات بيضاء خالية يستطيع المربى ان ينقش عليها مايراد تعليمهم اياه .

كذلك لايؤمن صاحبنا بجدوى مؤسسات التعليم النظامى القائمة فى مصر فى ذلك الوقت ، فبالنسبة للمدارس الحكومية يرى انها (قد نسخت الدين ونسخت التربية) اما المدارس الأهلية فهى (تحذو حذوها وتقتفى أثرها) وإذا كان البعض يبادر على الفور بأن الامل اذن لابد وان يعقد على الأزهر مادامت المسألة

هى تربية دينية ، الا ان رشيدا يبادر فيؤكد ان التعليم الذى كان قائما فى الازهر (مقصور على كتب مخصوصة ، قصاراها فهم احكامها المنصوصة ، لاتجمع بين الدنيا والدين) .

ما العمل اذا ؟

لا مفر فى رأى مفكرنا من الأعتماد على الجهد الخاص فى تربية لا نظامية بأن يتخذ كل منا لابنائه معلما مخصوصا يعلمهم الدين .. هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فلابد من الأعتماد على تأليف الجمعيات الأهلية كما أسلفنا لتعمل على تعميم التعليم على المنهاج الدينى ، وهذا لايعنى انه يطالب بالغاء المدارس القائمة ، فهى ضرورية لاعداد القوى العاملة اللازمة لتسيير دفة العمل فى الوظائف المختلفة ، وان كان ينتقد اسلوب ومحتوى التعليم فيها ، ولذا فان هذه التربية الخاصة التى ينادى بها انما هى (تعويض) و (استكمال) لما هو ناقص فى التعليم النظامى .

والتربية المقصودة هنا هى (التربية العملية) ، اى تربية السلوك الشخصى والأجتماعى ، وان كانت مشكلته الكبرى هى فى نقص المعلمين الذين يكونون بالفعل على درجة من الوعى الدينى والسمو الخلقى ما يتيح لهم ان يقوموا بواجب التربية خير قيام .. لكن مالايدرك كله لايترك كله ، ومن هنا وجب الاعتماد على ماتوافر منهم ، أملا فى ان فعل التربية اذا تم على ايديهم وفقا لما يجب ان يكون ، يمكن ان ينتج لنا أفرادا آخرين يواصلون المسيرة ويشاركون فى الجهد لتحقيق نفس الغرض .

ولايمكن الاعتماد فى تحقيق التربية الدينية المطلوبة على التعليم اللفظى ، اذ انه قد يملأ رءوس الناس بالمعلومات ، لكنه ابدا لن يساعد على تغيير سلوكهم (ان التربية لاتكون بالقول بل بالمعاملة ، لو كان الانسان يتربى ببيان الرذائل له وقولنا له اتركها وسرد الفضائل له وقولنا له الزمها ، لكان الاجدر بها العقلاء الكبار دون الأطفال الصغار .. وانما التربية المثلى تكون بالمعاملة الحسنى) . وهكذا اذا اراد الواحد منا ان يربى ابنه على الصدق ، فما عليه الا ان يعامله بالصدق ، وان نحول بينه وبين معاشرة من يمارسون الكذب .. ان الكثيرين يغفلون عن هذه الحقيقة الهامة ولو أنصفوا لراعوها حق قدرها .

● كيف نربى نساءنا

يظهر رشيد رضا واضحا بأهمية تعليم المرأة وتربيتها ويعتبر هذه المسألة من أجدر المسائل التى يجب النظر اليها بعين الاعتبار (لأن هناء العيش فى الحال وسعادة الوطن فى الاستقبال انما يكونان بتدبير المنزل ونظامه وبتربية الأولاد ، ومقاليد ذلك بيد النساء لان المرأة هى ربة البيت المنوط بها اصلاحه ونظامه وهى التى فى الواح نفوس الأولاد المبادىء الأولى التى تكون جراثيم للخبرات او للشرور) ، المنار فى ١٨٩٩/٩/٣٠ ، العدد / ٢٩ .

والمبادىء العامة لتربية النساء لاتحتاج الى تفصيل ويكفى الاشارة الى وجوب ان نأخذهن بالرفق ونعاملهن بالحكمة واللطف ، لا بالقوة والعنف ، وان

نستعين عليهن بدقة شعورهن ، ونستميلهن الى الخير برقة عواطفهن ، ونثنيهن عن الشر بزمام حيائهن ، وقد شبههن الرسول صلى الله عليه وسلم بالقوارير ، فالضغط على الزجاج يكسره .

والمح مفكرنا الى ان المراة كانت مهضومة الحقوق يعاملها الرجال بالاستبداد فى جميع الأجيال والعصور ، حتى جاء الاسلام فسوى بين الرجل والمراة فى جميع الحقوق والواجبات ، الا انه جعل الرجل كافلا للمراة واعطائه حق الولاية العامة لقوته وضعفها ، فقال القرآن الكريم (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) ، بل رفقت الشريعة الاسلامية بالمراة فوضعت عنها بعض العبادات فى بعض الأوقات ، ومما ساوت به بينهما وجوب التعليم فجعلت طلب العلم النافع فريضة على كل مسلم ومسلمة .

ولكن المبادىء التى وضعها الاسلام للنهوض بالنساء لم يعتن بها المسلمون ـ فيما يرى رشيد العناية الواجبة مثلما عنوا بكثير من المبادىء الأخرى ، ويبدو ان الأرث الاجتماعى المتراكم عبر العصور كان له اثره فى هذا ، وعلى سبيل المثال ، كما كانت نصوص الكتاب والسنة المانحة للعلم والمرغبة فيه تشمل الرجال والنساء كما هى القاعدة الأصولية فى الدين الاسلامى ، زعم بعض الفقهاء ان طلب العلم لايشمل طلب الكتابة (الخط) ولايقتضيه ، ثم اوردوا احاديث يفهم منها منع النساء من تعلم الكتابة ، ولما لم يعترف لهم المحدثون بصحة شىء منها ، رجعوا الى قياسهم فزعموا ان فى تعلمهن الكتابة مفاسد تقتضى كراهتها على الاقل .. وقد رد رشيد على ذلك بالتذكير بحديث الشفاء بنت عبد الله قالت دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة رضى الله عنهما فقال لى : الا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة ؟ رواه الأمام احمد والنسائى والطبرانى . المنار فى الخامس من اغسطس ١٨٩٩ ، العدد / ٢١ .

ووقف رشيد رضا موقفا مؤيدا لقاسم امين عندما اصدر كتابه الشهير (تحرير المراة) حيث تعرض الكتاب لهجوم شديد من العديد من القوى المحافظة ، وان كان موقف التأييد هذا لم يمنعه من التحفظ على بعض الاراء الواردة بالكتاب وخاصة مايتعلق بالحجاب فقد أبدى خشيته من ان يشجع قول قاسم امين المتغربين على تعجل ما يشتهون من متابعة الأفرنج فى عاداتهم ، وفيما يبدو فإن رشيد يتحفظ فقط خشية التغيير المفاجىء لكنه يقبل وجهة نظر قاسم والدليل على ذلك قوله (ما كل ما يعلم يقال وانه ينبغى لمن يكتب فى الاصلاح ان يجمل الكلام عن المسائل التى لا يطلب العمل بها فى الحال) .

كيف نربى اولادنا ؟

يسخر رشيد رضا من فريق من الناس ينظر الى تربية الأطفال بشىء من التعالى وكأن صغر السن دليل على قلة الشأن ، بينما هى فى نظر مفكرنا (المسألة الاساسية فى حياة الأمة ، فمن لايكترث لها لايكترث للأمة كلها مهما ثرثر وتشدق فى الكلام عنها) المنار فى ٢٠ / ٥ / ١٨٩٩ العدد / ١٠ .

ورشيد فى هذا الوعى يعبر عن صدق

ادراكه للمهمة التى أخذها على عاتقه ، فالمفكر الذى يجعل همه الاساسى : بناء الأمة ، يدرك تمام الادراك ان هذا البناء لبناته الأولى هى تربية الأطفال ، ولعل هذا يفسر لنا كيف ولماذا جعل افلاطون عملية اعادة بناء المجتمع الأثينى كما تمناها تبدأ من الشهور الأولى فى حياة الانسان ، بل انها ـ فيما رأى ـ تبدأ قبل ذلك ببناء الاسرة بناء سليما .

من أجل هذا نجد رشيدا يبدأ حديثه فى تربية الأطفال قبل ان يولد وذلك بتوجيه الأهتمام الى اهمية العناية بالأم فى حالة الحمل على اساس (ان لأحوال الأم الجسدية والنفسية أثرا فى نمو الجنين واستعداده) المنار فى ١٨٩٩/٣/٨ ، العدد / الثانى .. ووصلت عناية رشيد بالفترة الأولى ان فصل القول تفصيلا فيما يجب عمله بعد فصل الرضيع من امه بعد الولادة وما يتعلق بذلك من عمليات تنظيف وتطهير وارضاع .

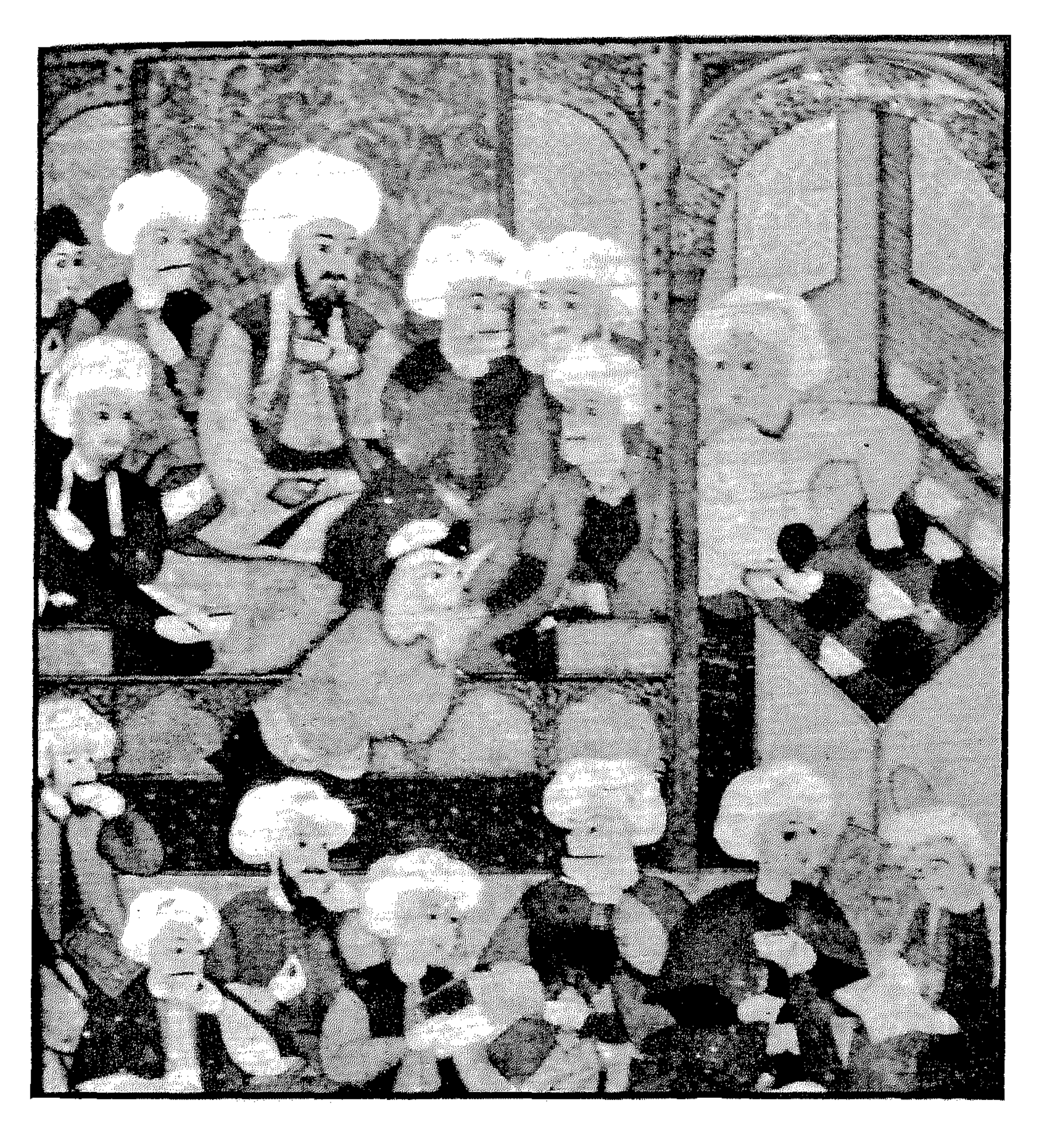
● طريقة التعليم : التعليم بالعمل .

ربما يتصور البعض اننا اذ نعنون هذا الموضوع بذلك المبدأ ، فانما نلبس القديم لباسا جديدا من صنع فكر معاصر ، والحق ان الامر ليس هكذا تماما ، فاذا كان مبدأ (التعليم بالعمل) شعارا معاصرا ، فمن العجيب اننا نجده هكذا بالنص عنوانا لمقال لمحمد رشيد رضا فى الجزء الثانى من المجلد الثانى من المنار ١٨٩٩/٣/٨ . واذا هناك من يغرم بأن يحرم مفكرينا من مظهر ابداع وابتكار ، فيلمح بترجيح ان يقول رشيد ذلك ترديدا لرأى غربى اطلع عليه فى هذه الفترة ، فاننا نقول ، ليس هدفنا هو اثبات أفضلية وأسبقية ، وانما غاية ما نريد تأكيده ان الوعى اذا كان قد توفر بمثل هذا المبدأ ، فكيف نظل حتى الآن ، وبعد انقضاء تسعين عاما دون ان تعرف مدارسنا الطريق الى تطبيقه وتنفيذه .

ونظرا لهذا الأرتباط الوثيق بين العلم والعمل ، تصبح المسئولية كبيرة بالنسبة لمن يتولون امر التربية وامر التعليم ، ذلك ان العلم الصحيح والمعرفة الوعية تسهل الطريق الى سلوك الطريق العملى القويم ، ومن هنا تبرز خطورة المعلومات الناقصة والمعرفة غير الصحيحة حيث يمكن ان تؤدى بالناس الى مهاوى الانحراف (فثبت بهذا كله ان مبدأ ما حل بالشعوب الاسلامية من التأخر والانحطاط ، اهمال العلماء وظائفهم فى الأرشاد والتهذيب ، والداء انما يشفى بازالة علته وسببه .. ولذلك جعلنا من مقاصد جريدتنا الأولية بيان تقصير العلماء وأسبابه والبحث فى العلل التى أفسدت التعليم وحالت بين المتعلمين وبين غايات العلوم والفنون التى يتدارسونها ومزج هذه المباحث بلوم العلماء تارة على الاصلاح تارة اخرى) المنار فى ١٨٩٩/٣/٢٥ ، العدد /٣ .

وبعد :

فلأن المسألة التربوية تعتبر قضية مركزية فى فكر وجهود محمد رشيد رضا ، فانها تعسر على الاستغراق من خلال هذا المقال وحده ، الامر الذى نأمل معه ان نستكمله فى مناسبات اخرى .



اعترافات الإمام الغزالى

ورحلته من الشك إلى الايمان ..

هذه سيرة ذاتية من نوع خاص ..

تحكى قصة مفكر كبير يبحث عن اليقين ، ويرفض التقليد ، يغوص فى كل معارف عصره ، ويدرس كل ما خطه الفلاسفة والفقهاء ويتوه فى بحر بلا شطآن ، وتضطرب به الأمواج يبحث عن الضياء وسط ظلمة الشك الحالكة ، ويقدم تجربته العقلية وتطوره الفكرى ، بعد أن خاض العديد من المخاطر الفكرية والروحية .

● ولد ابو حامد الغزالى منتصف القرن الخامس الهجرى سنة ٤٥٠ هـ ـ ١٠٥٨ م فى مدينة طوس ثانى مدن خرسان ، والتى بها قبر الأمام الرضا وقبر هارون الرشيد ، ودمر المدينة جحافل المغول سنة ٦١٧ هـ ، وبقى قبر الغزالى والأمام والخليفة ، ونشأ حولها مدينة مشهد المعاصرة .

ولم يعرف عن والدته سوى انها توفيت وهو مازال طفلا ، وروى ابن النجار أن والد أبى حامد كان يغزل الصوف ويبيعه فى دكانه ، وأوصى بولديه محمد واحمد إلى صديق له صوفى صالح ، فعلمهما الخط ، وفنى ما خلف لهما ابوهما وتعذر عليهما القوت ، فقال : ارى لكما أن تلجآ الى المدرسة ، وكأنكما طالبان للفقه ، عسى يحصل لكما قوت ..

وبدأت بذلك رحلة تعليمه ، فدرس الفقه وعلم الكلام ، ويذكر السبكى فى « طبقات الشافعية » حكاية زادته التصاقا بالعلم وحرصا على تحصيله يقول : « سافر الغزالى الى جرجان الى الامام ابى نصر الاسماعيلى ويروى الغزالى .. قطعت علينا الطريق ، واخذ العيارون جميع ما معى ومضوا ، فتبعتهم فالتفت الى مقدمهم وقال .. ارجع ويحك وإلا هلكت .. فقلت له : اسألك بالذى ترجو السلامة منه أن ترد على تعليقتى ، فما هى بشىء تنتفعون به . فقال : وماهى تعليقتك .. ؟ فقلت .. كتب فى تلك المخلاة هجرت لسماعها وكتابتها ومعرّفة علمها ، فضحك ساخرا وقال .. كيف تدعى انك عرفت علمها وقد أخذناها منك ، فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم ؟

وسلم الىّ المخلاة .. ويعلق الغزالى على القصة قائلا .. هذا منطق انطقه الله ليرشدنى به فى امرى ، فلما وافيت طوس ، اقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حفظت جميع ما علقته ، وصرت بحيث لو قطع على لم اتجرد من علمى » ..

وتقول ترجمته فى كتاب نفحات الأندلس لعبد الرحمن الجاص المتوفى سنة ٨٩٨ هـ ـ ١٤٩٢ م « اجتمع بنظام الحكم » وحصل له قبول تام ، فمن كان فى صحبة نظام الملك من العلماء والفضلاء باحثوه وناظروه ، فغلب عليهم ، ففوضوا

بقلم : مصطفى نبيل

اليه تدريس النظامية ببغداد » .

ويضيف الصفدي .. « قصد مصر ، واقام بالاسكندرية مدة ، ويقال إنه عزم فيها على ركوب البحر للاجتماع بالأمير يوسف بن تاشفين صاحب مراكش ، فبلغه نعيه وعاد الى طوس » ..

ويذكر عنه ابن كثير في البداية والنهاية « .. برع الغزالي في علوم كثيرة ، وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة ، وكان من اذكياء العالم في كل مايتكلم به ، وساد في شبيبته حتى انه درس بالنظامية ببغداد سنة ٤٨٤ هـ ، وله من العمر اربع وثلاثون سنة » .

أما ابو الفرج عبد الرحمن الجوزي في كتابه المنتظم ، فيقول .. « ترك التدريس والرياسة ولبس الخام الغليظ ولازم الصوم ، وكان لاياكل إلا من اجرة النسخ » ..

ووصلت قيمته أن اتفق العلماء – في الاثر – على أن مجدد المائة الأولى للاسلام هو عمر بن عبد العزيز والمائة الثانية الأمام الشافعي والثالثة الامام الاشعري والرابعة الباقلاني ، والخامسة حجة الاسلام الغزالي ..

أما رحلة الأمام أبي حامد الغزالي وسيرته الذاتية في كتابه « المنقذ من الضلال » وفي رحلته تلك ، احتمل مالا يحتمله سواه ، واظهر مكنون ذاته ، وسطر ما تخفي نفسه ، وما يختلج في قلبه ، وهو العالم لكل فن ، والسابح في كل بحر ، وولج غير هياب ولا وجل بحار الفلاسفة والمتكلمين والمتصوفة .

وفي مغامرته ترك التدريس والجاه والصيت ، وفر بنفسه من بغداد عاصمة الخلافة ، واعتزل بالشام ، واختلى بصخرة بيت المقدس ، واغلق على نفسه منارة دمشق ، وحج الى الأراضي المقدسة واخرج كتابه الخالد « احياء علوم الدين » ..

وتوصل بعد هذه الرحلة الى ان الاسلام دين المنطق السليم والعقل الحر ، لا دين الرؤيا والأحلام والأوهام .

يأتي صوته صافيا من اعماق الماضي بعد تسعة وعشرين عاما على الذكرى المئوية التاسعة لميلاده ، فيخاطب هذا العصر الذي غاب فيه اليقين

ويمكن القول إن اهم ما قدمه الغزالي في كتابه « المنقذ من الضلال » ما يشبه نظرية في المعرفة ، يصل خلالها الى انه من الممكن بفضل المنهج الصحيح رفع الخلاف بين الخلق اذا اتبعوا المنهج الذي يرسم في معرفة الحق ، ونقده لمناهج المعرفة القائمة في عصره ، ويؤكد أنه « في مقدمة المقاصد لايقف على فساد علم من العلوم من لايقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوي اعلم الناس » ..

وسلك طريقا جديدا للوصول الى الحقيقة فليس بالعقل وحده يصل الانسان الى اليقين ، فيمكن ان تلعب الأهواء والاغراض بالعقل وليس بالحواس وحدها ..

والوصول الى الحقيقة يحتاج الى مجاهدة النفس والتجرد عن الهوى والمصالح الخاصة ، ويؤمن ان الذوق يلعب دورا في القدرة على الخروج من الحيرة والضياع ، وهو يعني الحدس

بتعبير هذه الايام ، اى الخبرة التى تعطى القدرة على الحكم .

وخبرة الحياة وخصوبتها تلقيان الضوء على رؤية الغزالى ، عندما يلاحظ المتأمل انه عند المسائل الحيوية والاختيارات الحاسمة فى حياة الفرد ، لايكتفى بالعقل ولا بالحساب البارد حتى يستقر رأيه ، وانما يتم الاختيار بما هو ابعد من العقل ، فاذا كان بالعقل وحده يتم اختيار اى وسائل المواصلات انسب ، او افضل الطرق لتنظيم عمله ، إلا انه يحتاج إلى ما هو ابعد ، وهو يحدد مهنته او شريكة حياته ، او هل يقيم فى مسقط رأسه او يهاجر الى ارض جديدة .

وجاء العصر الحديث بمذهب « المتأملين » الذين يتبعون التأمل كطريق للوصول الى الراحة والأيمان تأكيدا لما نادى به الامام الغزالى .



● ازمة حادة :

يبدأ الغزالى قصته .. بان بعض اخوانه سأله ان يشرح كيف ارتفع عن حضيض التقليد الى قمم الاستبصار وتحصيل العلم اليقيني ، فاختلاف الخلق فى الأديان والملل ثم اختلاف الأئمة فى المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق بحر عميق ، غرق فيه الاكثرون وما نجا منه الا الاقلون ، وكل فريق يزعم انه الناجي ، وانه منذ شبابه الى ان اناف على الخمسين ، يقتحم لجة هذا البحر العميق ، ويخوض اغواره واعماقه خوض الجسور ، لا خوض الجبان الحذور » ..

ويستعرض ازمته الحادة التى كادت تعصف به بقوله .. اقبلت بهمتى على طريق الصوفية وعلمت ان طريقتهم لا تتم الا بعلم وعمل ، اما العلم فكان ايسر من العمل ، ..

اما العمل فاخص خواصهم لايمكن الوصول اليه الا بالذوق والحال وتبدل الصفات فهم يقينا ارباب احوال ورأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا ، بالتجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود ، والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى .. ولايتم ذلك إلا باعراضها عن الجاه والمال ، والهروب من الشواغل والعلائق ..

فهاهو بعد ان وصل الى الصيت « الجاه » ، واصبح استاذا مرموقا فى المدرسة النظامية ببغداد .. وجد نفسه قد اقبل على تدريس علوم غير مهمة ، وغير نافعة ، وغير خالصة لوجه الله ، بل باعثها

ومحركها طلب الجاه ، وانتشار الصيت .. وجميع ما انت فيه رياء وتخييل ، ويراوده الشيطان هذه حالة عارضه ، وحذار من مطاوعتها ، فهي سريعة الزوال ، وإن اذعنت لها وتركت هذا الجاه العريض ، والشأن المنظوم الخالى عن التكدير والتنغيص ، والامر المسلم الصافى فى منازعة الخصوم .

وعاش طويلا هذه الحيرة حتى « .. جاوز الامر حد الاختيار الى الاضطرار فعقل لسانى ، حتى اعتقل فى التدريس فكنت اجاهد نفسى أن ادرس يوما واحدا ، تطبيبا لقلوب المختلفة الى ، ولكن لسانى كان لاينطلق بكلمة .. لا استطيع البته وزاد الامر أن اورثت هذه العقلة فى اللسان حزنا فى القلب ، بطل معه قوة الهضم ، ورغبة الطعام والشراب .. فكان لاتنساغ لى شربة ، ولا تنهضم لى لقمة ، فضعفت القوى ، وقطع الاطباء طمعهم فى العلاج ، وقالوا .. هذا امر نزل بالقلب ، ومنه سرى الى المزاج فلا سبيل اليه إلا بالعلاج ، الا بان يتروح السر عن الهم الملم .

ففارقت بغداد وفرقت ما كان معى من المال ، ولم أدخر إلا قدر الكفاف ، وقوت الأطفال » ..

وإذا كان الغزالى قد ترك التدريس فى اكبر معاهد العلم فى عصره ، وتخلى عن ما حققه من نجاح ، وخرج تاركا الأهل ، والولد والصحاب ، فقد فعل ذلك تحت الحاح عاطفة لاتقاوم من شوق الروح الى اليقين والسكينة والاطمئنان الى حياة وأعمال خالصة من شوائب الحياة وأهوائها .

ويروى الغزالى لابى بكر محمد بن العربى مراده من رحلته بقوله : وان القلب اذا تطهر عن علاقة البدن المحسوس وتجرد للمعقول انكشفت له الحقائق .. فالقلب جوهر صقيل مستعد لتجلى المعلومات فيه عند مقابلتها عريا عن الحجب كالمرآة ، فى تراءى المحسوسات عند زوال الحجب » ..

وبدأت رحلته الى الايمان والتى دامت عشر سنوات او تزيد .

● مع الغزالى فى رحلة ..

ولنسر مع الغزالى فى رحلته خطوة خطوة ..

يتهم البعض الغزالى ، انه قلل من شأن العقل ، وهذا ليس صحيحا ، فالعقل عنده هو « ميزان الله فى ارضه » ولكن . « يظن كل احد انه اهل لكل علم دقيق ، فما من احد إلا وهو راض عن الله سبحانه فى كمال عقله . وأشدهم حماقة ، واضعفهم عقلا هو افرحهم بكمال عقله » ..

واذا كان العقل هو اداة المعرفة ، إلا أن الحواس تشوش عليه ، مما دعاه الى نقد المعرفة الحسية عندما يشوش الوهم على وظيفة العقل ، وعلى طالب الحقيقة أن يحارب الوهم ، حتى يستطيع تصور الأمور المجردة والحقائق غير المحسوسة .

فالمعرفة اما أن تكون بالمحسوسات واما ان تكون بالعقليات ، والمعرفة بالمحسوسات لا أمان لها ، لأنك .. « تنظر



الى الكوكب فتراه صغيراً فى مقدار دينار ، ثم تدل الادلة انه اكبر من الأرض ، بمقدار » .. وايضا المعرفة بالعقل وحده لايقين فيها ولا ثقة ، لانه يمكن ان تطرأ على الانسان حالة .. تكون نسبتها الى العقل كنسبة اليقظة الى النوم ، وكثيرا ما يكذب العقل الاحساس ، وينكر الاحساس العقل .

فإذا كان العقل قادرا على معرفة كثير من الأمور ، مثل الاستدلال على وجود الصانع ، وعلى حدوث العالم ، فإن هناك امورا ليس للعقل سبيل الى القطع بها ، مثل البعث والثواب والعقاب .. ·

ومع تسليم الغزالى بقيمة العقل ، إلا انه يميز بين ميدان العقل وميدان الدين ، فيقسم العلم فى كتابه الاحياء .. الى علوم شرعية تستفاد من الانبياء ، وعلوم غير شرعية يرشد اليها العقول والتجارب كالرياضيات والطب ..

ويؤكد على الفصل بين الذاتى والموضوعى « لايعرف الحق بالرجال بل اعرف الحق تعرف اهله » ، ويشترط الاستقلال .. « لا خلاص إلا فى الاستقلال ، فالعقل ليس مستقلا بالأحاطة بجميع المطالب ، ولا كاشفا للغطاء ، عن جميع المعضلات » ..

● الغزالى وديكارت ..

ويختار الغزالى « الشك » كدرب الى اليقين ، وهى فكرة قديمة عرفت عند السفسطائيين ، وما أكثر الشبه بين تجربة الفيلسوف الفرنسى ديكارت « ١٥٩٦ - ١٦٥٠ » وتجربة الغزالى .. ونقرأ ما خطه الغزالى .. « الشكوك هى الموصلة الى الحق ، فمن لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر بقى فى العمى والضلال » .

ويعرف فى كتابه المنقذ من الضلال معيار العلم ، وفى تعريفه بالعلم اليقينى وبيانه لشروط اليقين يسبق ديكارت .

فقد لاحظ ديكارت - فى كتابه نقد العقل المحض - انه تلقى مجموعة من المسلمات الخاطئة وشك فى معارفه جميعا ، حسية كانت ام عقلية ، فانتظر حتى بلغ النضج ، وحرر نفسه من الأهواء والافكار والمشاغل ، وعكف على هدم افكاره القديمة ، ووجد شيئا لايقبل الشك ، وهو حقيقة كونه يشك ، ووجد فى البداية ان معارفه تأتى عن طريق الحواس واكتشف أن الحواس يمكن ان تكون خادعة ، واستخدم ذات الحجج التى استخدمها الغزالى بشأن الأحلام واليقظة ، يذكر « انى ارى فى احلامى ما اعتقد انه الحقيقة ، وعند يقظتى اجدها وهما .. ويصل الى ضرورة الأفتراض التخمينى لكى يصل الى العلم اليقينى .. « ومادمت اقوم بهذا الإفتراض فأنا موجود ، وكائن ، ومادمت موجودا فأنا افكر فى اشياء لا تعرف سوى بالفكر وحده - لا لأنها ترى وتلمس ولكن لأنها تفهم وتدرك ، اذا فجميع الاشياء تدرك بالفكر لا بالحواس » وقدم ديكارت نظرية الشك كنظرية متماسكة الحلقات ..

أما الأمام الغزالى فميزان الحكم لديه ، هو الدين ، فالله قد اعطانا عقولا ، واودع فى نفوسنا تفكيرا منطقيا ، وطريقة للفهم

واسلوبا للبحث والاستقصاء .

ويذكر في المنقذ من الضلال .. « النفس الانسانية تكون في اول امرها خالية من كل معرفة ، ثم يدرك الانسان بوسائل الادراك وكل ادراك يطلعه على نوع من الموجودات وأول مايحصل للطفل ادراك الحواس ، حتى اذا نما الطفل ظهر فيه التمييز ، الذى يساعده على إدراك أشياء اعلى من المحسوسات ، ثم يترقى الى دور العقل ، فيدرك الاحكام العقلية ..

ووراء العقل طور أعمق تتفتح فيه معرفة الغيب ، وما سيكون في المستقبل ، وامور اخرى ، العقل معزول عنها كعزل قوة التمييز عن إدراك المعقولات ، وكعزلة قوة الحس عن مدركات التمييز ، وكما أن المميز لو عرضت عليه مدركات العقل لرفضها ، فكذلك بعض العقلاء ، انكروا النبوة ، وذلك عين الجهل ، اذ لامستند لهم آلا انه طور لم يبلغوه ويظنون انه غير موجود ..

وبرهانه على صحة مانطلق عليه « الحدس » وجود معارف عند الانسان لايمكن ان تتم إلا بهذا النوع من الأدراك ، مثل الطب والفلك .. فمن يبحث عنها علم بالضرورة انها لاتدرك إلا بالهام إلهى .. ولا سبيل اليها إلا بالتجربة .. فمن الأحكام النجومية مالا يقع إلا كل الف سنه مرة ، فكيف ينال ذلك بالتجربة .. وفى الامكان وجود طريق لادراك هذه الأمور التى لا يدركها العقل » .

وتتتابع امثلته .

لو قيل لأحد .. « هل يجوز ان يكون فى الدنيا شىء ، هو بمقدار حبه يوضع فى بلده ، فياكل تلك البلدة بجملتها ثم ياكل نفسه ، فلا يبقى من البلدة ومافيها ، ولا يبقى هو نفسه ، لقال : هذا محال وهو من الخرافات ، وهذه حالة النار ينكرها من لم ير النار اذا سمعها

ويصف درب الأيمان بقوله « وهذه الحالة ، يتحققها بالذوق من يسلك سبيلها ، فمن لم يرزق الذوق فيتقنها بالتجربة ، والتسامع ، ان اكثر معهم الصحبة ، حتى يفهم ذلك بقرائن الأحوال يقينا ، ومن جالسهم استفاد منهم هذا الأيمان ، ومن لم يرزق صحبتهم ، فليعلم إمكان ذلك يقيناً بشواهد البرهان .. والتحقيق بالبرهان علم ، وملابسة عين تلك الحالة ذوق ، والقبول من التسامع والتجربة بحسن الظن ايمان » »

● تهافت الفلاسفة

راينا ان اعتكاف الغزالي كان دافعه ذلك الصراع بين ايمانه وشكه ، وهى القصة الحقيقية لمعركة عقل بحثا عن الحقيقة ، وقبل وصوله الى نظريته فى المعرفة درس ما تناولته المدارس الفكرية المختلفة فى عصره ، وخاض بحار الفلسفة بحياد كامل ، وكتب مؤلفه مقاصد الفلاسفة ، شرح خلاله الافكار الفلسفية القائمة ، وبعدها فقدها فى كتاب تهافت الفلاسفة ، وسلم بقيمة الرياضة التى توصلوا اليها ورفض استمرارها ، الى الكون والحياة .

وتجد فى القرآن الكريم العقائد موضوع بحث وسؤال وبيان وبرهان ، والف العديد من مفكرى الاسلام مصنفات فى العقل وحقيقته ، ومن بينهم الغزالى ، الذى يقف فى تاريخ

الفكر الاسلامى عالما بالدين ومفكرا وناقدا للفلسفة وصاحب رأى متميز فى العلاقة بين الوحى ، والعقل ، ولعل ما قدمه فى هذا المجال هو سبب شهرته فى الغرب ، بعد أن ظهرت قدرته على التوفيق بين الدين والعقل .

وهناك رأى يدعى انه بكتابه تهافت الفلاسفة ، قضى على الفلسفة فى الشرق قضاء مبرما ، لم تقم لها بعده قائمة ، مع انه حارب فى كتابه ذلك الميتافيزيقيا الاغريقية التى لاتقوم على ادلة كافية ، وقد واجهها بسلاح المنطق والعقل ، وقد كان من آثار محاربة الغزالى للميتافيزيقيا الاغريقية تزايد الاهتمام بالعلم .

ويذكر الغزالى .. « شمرت عن ساعد الجد ، فى تحصيل ذلك العلم (الفلسفة) من الكتب بمجرد المطالعة ، ومن غير الاستعانة باستاذ ، فى اوقات فراغى من التصنيف والتدريس فى العلوم الشرعية .. فاطلعنى الله بمجرد المطالعة فى هذه الأوقات المختلفة على منتهى علومهم فى اقل من سنتين وظللت مواظبا على التفكير فى ذلك العلم بعد فهمه قريبا من سنة اخرى .. حتى اطلعت على ما فيه من خداع وتلبيس .. وتحقيق وتخييل » ..

ويرى ان اقوالهم فيما يتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم ، وليس يتعلق من شىء بالأمور الدينية نفيا او اثباتا بل هى أمور برهانية لا سبيل الى مجاهدتها بعد فهمها ومعرفتها .

وبعدما ناقش الامام الغزالى مذهب التعليمية ، فاليقين عند اهل هذا المذهب



هو مايقول به الامام المعصوم ، وهو مذهب باطنى شيعى ، ودارت هذه المناقشة عندما اصبحت بغداد هى العاصمة الفكرية ، يعيش فيها الخليفة العباسى ، أما السلاجقة ، فقد جعلوا عاصمتهم السياسية نيسابور ، وكانت تتلاطم فى بغداد امواج جميع الحركات الاسلامية ، وكان بها لجميع المذاهب انصار ، وكان للوزير السلجوقى نظام الملك اثر فى حياته فهو الذى اختاره للتدريس فى المدرسة النظامية .

وكان التحدى الرئيسى للسلاطين السلاجقة يأتى من المذهب الاسماعيلى ، وقد لقى كل من نظام الملك ومن بعده فخر الملك مصرعها على ايدى اتباع هذا المذهب ، كما شهد هذا العصر ايضا انتعاش الحركة الصوفية بين العامة .

ويذكر الغزالى فى الرد عليهم .. « وكانت حينئذ قد نبغت نابغة التعليمية ، وشاع بين الخلق تحديهم بمعرفة الأمور ، من جهة الامام المعصوم ، القائم بالحق ، فعن لى أن أبحث عن مقالاتهم ، لأطلع على ما فى كتبهم » ..





فى ذكراه الثالثة والعشرين

بقلم : صافى ناز كاظم

● فى يدى نسخة نادرة من دراسة تاريخية تحليلية جذابة عن « صلاح الدين الأيوبى وعصره » صدرت منذ ٦٣ عاما للأديب الكبير الراحل « محمد فريد أبو حديد » أقدمها فى ذكراه الثالثة والعشرين التى تحل فى ١٨ مايو وأرشحها ـ كما رشحت من قبل كتاب الدكتور على عبد الواحد وافى عن ابن خلدون ـ لكى تعيد سلسلة كتب الهلال نشرها إحياء لكتاب هام ووفاء لشامخ من شوامخنا الأدبية الكثيرة والعديدة التى تتناساها بقع الضوء الاعلامى فى الصحف السيارة ، عمدا أو جهلا أو تقصيرا ، هذا التقصير ـ كما قلت من قبل ـ هو فى حقيقته إنقاص من قدر مصر الثقافى والأدبى إذ تبدو وكأنها لا تملك فى صدارتها الثقافية والأدبية والفنية والعلمية سوى قمة أو قمتين او خمس فى حالتها القصوى ، بينما تعج مكتباتنا وذخائرنا بالكنوز من الأعمال والرجال والنساء الذين قدموا عن طيب خاطر ـ إلى حد الاستشهاد ـ حبات عقولهم وقلوبهم من اجل أن يدعموا المقولة التى نرددها دائما أن مصر « أم الدنيا » وانها « قلعة الاسلام » و « صرح العلم » و « رائدة التنوير » .. الخ ..

« محمد فريد ابو حديد » واحد من هؤلاء الشوامخ الذين تكاسلت عنهم الأبحاث فى كليات الآداب بجامعاتنا ، إذ إستسهل الدارسون الخوض فى المعروف والمطروق والذى كثرت عنه المراجع التى تمكن الناقل من النقل ، والسارق من السرقة ، والخامل من السير هادئا فى الطرق المعبدة ، والموال فى هذا الموضوع طويل ولكنى مللت الأذان « فى مالطة » وحسبنا الله ونعم الوكيل !

● ● ●

أصدر « محمد فريد أبو حديد » كتابه « صلاح الدين الايوبى وعصره » عام ١٩٢٧ ليكون من بدايات التزامه الذى إنتهجه على طول رحلته الأدبية التى تعدت النصف قرن : وهو الألتزام بالتعريف بأبطال الجهاد الاسلامى



بريشة صلاح بيصار

محمد فريد ابو حديد

والامجاد العربية والعزة المصرية ، واهمية ترشيح كتاب « صلاح الدين الايوبى وعصره » للقارىء الحديث تنبت من اعتقادى ان هذه الدراسة هى خير مايمكن ان نستعيده فى ظروف المحنة المعاصرة لمدينة القدس العزيزة والذكرى المشئومة لقيام اسرائيل فى ١٥ مايو حيث نسترجع اسم البطل صلاح الدين وانتصاراته الباهرة الباترة فى تخليص بيت المقدس من قبل من أيدى طامعين اغراب أتوا من اوروبا تحت ستار من دعوى دينية متعصبة وتسببوا فى ان تشرب منطقة « السلام » حوض دماء قرن كامل من الزمان .. وقيمة هذه الدراسة عن « صلاح الدين الأيوبى » هى فى تناولها الصريح الصادق تحليل واستعراض هزائم « صلاح الدين » ومتاعبه قبل التعرض لانتصاراته وتفوقه الذى لم يكن ليبلغه دونما خبرة من تعب ومعاناة وصد وعنت .. ولضرورة اساسية قسم « ابو حديد » دراسته الى كتابين .

الكتاب الأول : تمهيد لتاريخ صلاح الدين ، ويبدأ من دعوة الاسلام وجهاده مع الأمم ، وعلاقته بامم اوروبا منذ القرن التاسع ، ثم صراخ القسطنطينية الذى وجهه امبراطور الدولة الرومانية الشرقية الى البابا ليدعو امم الغرب من فرنجة وألمان وانجليز الى مازعم انه نصرة الصليب وتخليصه من « اعدائه المسلمين » على حد تعبيرهم

دعوة حاقدة

كانت طبيعة العصر فى القرن الحادى عشر تستدعى أن تأخذ مطامع اوروبا الدنيوية التوسعية رداء دعوة دينية تبث بها حقدها القديم على سطوع الاتساع الاسلامى وتقدمه فقامت تستثير نزعة التعصب الاسود لدى شعوبها بتلك الدعوة الوقحة : « تخليص بيت المقدس من المسلمين » ! وبدأت جموعهم تتحرك فى حرب غزو صليبية سنة ١٠٩٦ و ١٠٩٧ حتى بلغوا الشام واقاموا دولا اربع اقتطعوها من ارض الاسلام وهى : « الرها » .. و « انطاكية » و « طرابلس » و « بيت المقدس » .. وجعلوا السيطرة فى يد حاكم بيت المقدس . وقد غر الصليبيين هذا الانتصار الأول وحسبوا أن التصدع الظاهر فى الدولة الاسلامية يعنى انهم قد غنموا الى الابد ما طالت له ايديهم ولكن ذلك التصدع لم يكن حقيقيا ويقول أبو حديد : « إن الدولة الإسلامية مالت أمام الموجة القوية ولم تكن هزيمتها انكسارا .. ولم يكن الناس فى شك من أن مآل تلك الموجة ، التى أتت من وراء البحر ، الى الضعف وانه لابد من الانتصار عليها وردها من حيث جاءت بعد حين . وقد ظهرت هذه العقيدة فى كثير من الوجوه فما كادت الأمة تفيق من الصدمة الأولى حتى اخذ رجالها يعملون على اظهار مكنونها وكان أول من اظهرها اتابك ـ أى الامير ـ عماد الدين زنكى صاحب الموصل الذى



استولى على إمارة الرها في عام ١١٤٤ » ـ حوالى نصف قرن من بعد وقوعها في يد الصليبيين .

ويورد لنا « الكتاب الأول » كيف أن الصليبيين دبروا بعد ذلك مكيدة لقتل « عماد الدين زنكي » لكنهم لم يفلحوا في كسر القرية التي استقر عليها اهل المنطقة في طرد الدخلاء الغرباء ، فيظهر بعد « عماد الدين » إبنه « نور الدين » الذي حمل عزم أبيه على تحرير الأرض من الغزاة .

وقد ترعرع بطلنا « صلاح الدين يوسف بن أيوب » في جيش هذا الأمير العظيم ـ كانت اول معرفة « صلاح الدين » بمصر عندما ذهب اليها مع عمه « أسد الدين شيركوه » الذي كان يرأس جيشا أرسله الأمير « نور الدين » استجابة لطلب النجدة الذي بعث به الأمير « شاور » ليتغلب على منافسه في حكم مصر الامير « ضر غام » ـ وكان « ضرغلم » قد استعان بملك الصليبيين ضد « شاور » !

الكتاب الثاني : في هذا القسم ينتقل بنا ابو حديد ليبلور لنا الدراسة فتنحصر في خط تطور شخصية « صلاح الدين » منذ ان بدا جنديا شابا في جيش بقيادة عمه « شيركوه » الى وزير يحكم مصر ولقبه « الملك الناصر » ، الى سلطان يوليه الخليفة العباسي على مصر والشام ، الى البطل المجاهد المعروف ذكره لنا بوصفه « محرر القدس الشريفة » .

● صلاح الدين والمهمة الصعبة

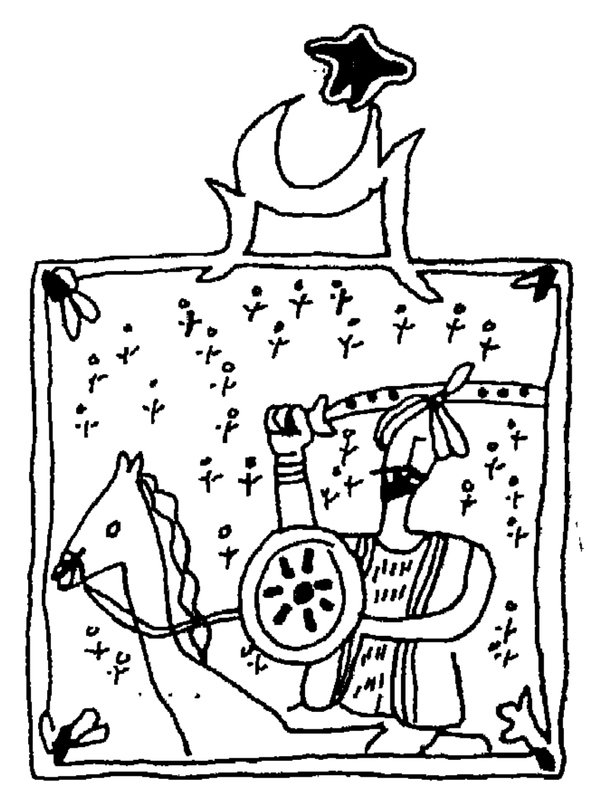
إتضحت لصلاح الدين مسئوليته الحقيقية في المنطقة منذ أن تولى حكم « مصر » وكانت « المسئولية » التي حملها ربع قرن منذ لحظة رئاسته على مصر الى نهاية حياته : هذه المسئولية هي : أن يختفي الصليبيون من المشرق الاسلامي ، ويقدم لنا « ابو حديد » بالتفصيل المهمة الصعبة التي جابهت « صلاح الدين » ، فمهمة « صلاح الدين » للأسف لم تكن خالصة لمواجهة الفرنج وحدهم ، بل كان عليه ان يواجه قبلها العديد من المشكلات المحلية ، سواء المشكلات المثارة من جبهة القواد الحاقدين عليه في مصر او الأمراء المسلمين او الاسماعيلية الذين دسوا وحاكوا له المؤامرات المتكررة متواطئين مع « الفرنج » وملكهم الصليبي في بيت المقدس .. وكانت اشهر المؤامرات التي دبرتها تلك الفئات هي مؤامرة ١١٧٣ م منتهزين فرصة غياب « صلاح الدين » عن مصر لمحاولة فتح حصن « الكرك » ـ وكان

محمد فريد أبو حديد

امنع حصون الفرنجة فى فلسطين - وفرصة انشغال جزء من جيوشه فى حملة اليمن رغبة منه فى أن يملك طرف البحر الاحمر من الجنوب كما ملك ثغر ايلة على رأسه من الشمال - وهو مكان مايسمى الآن ميناء « إيلات » - ليمنع الخطر الذى كان يهدد البلاد المقدسة ، إذ كان الصليبييون يفكرون فى حشد اساطيل عظيمة فى ذلك البحر للاغارة على الحجاز .. ولحسن الحظ تنبه صلاح الدين للمؤامرة قبل أن تنفذ الخطة فأحبطها وكان من زعماء المؤامرة ، عمارة اليمنى الشاعر » الذى كان يباهى بانه هو الذى افسح السبيل للمتآمرين بان اغرى « شمس الدولة اخو صلاح الدين - بالذهاب فى حملة الى اليمن ليتم ابعاد جزء كبير من الجيش عن مصر .. والطريف أن « الفرنجة » لم يعلموا بخبر احباط المؤامرة فجاءوا حسب الخطة القديمة من البحر الى الاسكندرية فى يوليو ١١٧٤ م يحسبون - كما يقول ابو حديد « انهم سيضربون جبهة صلاح الدين يصدعونها على حين يخرج احلافهم الخونة من خلفه فيجهزون عليه ولكن خاب ما أملوا » .

● ● ●

يسير بنا المؤلف بعد انقضاء المؤامرة الى حيث تتطور الحوادث بسرعة حول ، صلاح الدين ، حين يموت نور الدين ، فى الشام ويتنازع الأمراء دولته كل يحاول الاستقلال بامارته استخفافا بالملك الجديد الذى كان صبيا فى الحادية عشرة من عمره وأمام اختلاف الأمراء المسلمين يطمع الصليبيون فى استرداد ما اخذه منهم الملك الراحل ، ونقرأ مع أبى حديد هذا الأمر فثاروا بالشام - أى الفرنجة - وذهبوا الى قرب دمشق وكان ابناء نور الدين ووزراؤهم على غير ما عهد الفرنج من أبيهم العظيم ظن الفرنج الذين اشتركوا فى التآمر على صلاح الدين انهم يستطيعون .. أن يضربوا ضربتهم لتكون قاتلة ، فاجتمعت لهم سفن كثيرة من الشام وصقلية بلغت عدتها نحو ٢٨٢ سفينة وجاءوا الى الاسكندرية ونصبوا المجانيق فى يوليو ١١٧٤ م ولكن شتان بين مالقيهم به صلاح الدين ، وبين مالقيهم به وزير الملك الصالح بدمشق .. فقد



كان اهل مصر واثقين بقائدهم وحاكمهم ولهذا ابدى اهل الاسكندرية من الشجاعة ما أدهش المهاجمين .. ثم بلغ الأمر صلاح الدين فأسرع بجيش الى الاسكندرية وبالغ فى الاحتياط فأرسل جيشا آخر الى دمياط .. وهزم الفرنج وغرقت لهم سفن كثيرة وفشلت حملتهم فشلا تاما » ..

● خيانة

فى تلك الفترة عرف شعب مصر أن صلاح الدين رجل لم يعهدوا مثله ، وكان من الممكن ان يخلد صلاح الدين فى هدوء الى نجاحه فى مصر متمتعا بحب شعبها واخلاصه له ، لكنه لم يكن لينسى دوره الباقى فى الخلاص من الصليبيين فإلى اى مدى يمكن أن يدوم هدوء مصر وهناك اغراب جوارها لا تهدأ مطامعهم ولا يكف عدوانهم

يستجيب صلاح الدين لدعوة دمشق ويعلن أنه ذاهب لنصرة الملك الصالح - الصبى الصغير - وليمنع اعتداءات الأمراء عليه مع اعتداء الفرنج على البلاد .

ويصادف مالا يمكن ان يتصوره من خيانة هؤلاء الأمراء الانتهازيين الملتفين حول الملك الصغير ، إذ يرسلون الى « الفرنج » يطلبون مساعدتهم ضد صلاح الدين !!

بل ويرسلون الى طائفة الباطنية الاسماعيلية لكى يرسلوا - كما يقول ابو حديد - « فتاكيهم يغتالون الرجل المخيف الذى قد يعجزون هم وحلفاؤهم عن مقاومته صراحة فى ميدان النضال الشريف » .. وكانت هذه العداوة الدنسة التى اظهرها امراء الملك الصالح سببا فى أن يعلن صلاح الدين استقلال مصر ١١٧٥ م عن دولة الملك الصالح ولقبه الخليفة العباسى سلطانا لمصر .. واختار صلاح الدين ان يتفرغ ست سنوات هادئة نوعا ليقيم اصلاحاته فى داخل مصر ويصنها متنقلا بينها وبين الشام التى كانت تستلزم وجوده كلما ناوش الصليبيون جبهتها ، ولكنه لم يخض مع الصليبيين فى تلك الفترة حربا عنيفة اساسية كالتى بدأت بعد ١١٧٧ م .

بعد فترة الهدوء بدأت اول حلقة من سلسلة مواقع صلاح الدين مع الفرنج . « ولكن صلاح الدين ابتدأ حروبه بانهزام عظيم سنة ١١٧٧ م عند الرملة وكان سببه نقص فى احتراس وتراخ فى النظام عندما كان جيشه يعبر نهرا .. وكانت كسرة الرملة ذات اثر كبير فى نفسه ..

فقد اطمعت نكسته الأعداء فساروا الى « حماه » واغاروا على « حمص » وكان صلاح الدين قد عاد الى مصر ليصلح ما افسدته الهزيمة ثم عاد بعد ذلك الى الشام وكانت عودته فى الوقت المناسب : « لأن الصليبيين كانوا يسيرون بين حلب ودمشق فى جراة لم تعهد منهم منذ نصف قرن » .. ولأن صلاح الدين كان قد تعلم من هزيمته ماكان قد اغفله رجحت كفة قواته منذ عودته الى الشام وهزم اعداءه قرب دمشق بعد عام من هزيمته فى « الرملة » وسقط للفرنج « مخاضة الأحزان » بالقرب من دمشق وكانت هذه هى بداية مواقعه الكبرى ونجاحه فى الاستيلاء على « حصن الكرك » الذى كان أحد العقبات التى اعترضته ، إذ



كان انتصاره يعني تغلبه على البرنس « رجنالد دى شاتيون » اقسى امراء الفرنج واكثرهم غدرا والغريب الذى ينوه به دائما ابو حديد أن صلاح الدين فى اثناء هذه المعارك المصيرية لم يكن خالصا من متاعب بعض جيرانه المسلمين الذين لم يكفوا عن التامر ضده والتحالف مع اعدائه الصليبيين ويذكر الكتاب انه اثناء حروب صلاح الدين فى الشام كانت الاساطيل المصرية فى البحر الابيض والبحر الاحمر تحرز انتصارات باهره على الفرنج . فانتصر « حسام الدين لؤلؤ » القائد البحرى المصرى عند ميناء « ايلة » على راس خليج العقبة ثم عند ساحل الجوزاء فى شمال الحجاز على جماعة من الفرنج ارسلهم البرنس « رجنالد دى شاتيون » ليوقعوا بالمسلمين الذاهبين الى الحج ، ونتيجة لنشاط وبطولة الاسطول المصرى إضطر الصليبيون الى عقد هدنة مع صلاح الدين لمدة اربع سنوات .

فى كتابه هذا الشيق الذى يمتزج فيه الأدب مع البحث فى تامل جياش للتاريخ يطرح « محمد فريد ابو حديد » سؤالا . لعله راود الكثير ممن كانوا فى عصر صلاح الدين . فيقول وهو يعطى مع تساؤله الاجابة . « هل كان صلاح الدين ليقنع بدولة .. ويرجع الى مصر ليضع اساس ملك ثابت الأركان ؟ ام كان لابد له من الاستمرار فى الحرب الى نهايتها ؟

لا حاجة بنا لأن نقف طويلا مترددين عند هذا السؤال فقد كان صلاح الدين وارث دولة نور الدين وكان عليه عبء الاستمرار فى جهاده مع الفرنج وما كان ليقدر أن ينتحى وادعا مسالما ولايزال الخلاف بين الشرق والغرب على اشد مايكون ولم تخب ثائرته . ولو انه استطاع ذلك وقعد عن الحرب لاضطر الى الدفاع عن دولته بعد قليل لان الفرنج كانوا اذا شعروا بهدوء فى هجوم المسلمين قاموا الى تحقيق حلمهم القديم وهو تكوين دولة صليبية عظيمة فى احشاء الشرق الادنى .. إذن فقد كان من الطبيعى لرجل يرى نفسه حارسا على امانه ، اكثر منه سلطانا على بلاد ، أن يجمع قوته الهائلة ، فى توحيد ارض الشرق الاسلامى ويستعد ليقذف بها الصليبيين فيرهبهم الى ما وراء البحر الذى اتوا منه ، وكان الصليبيون من جانبهم حانقين على تلك القوة العظيمة التى بناها صلاح الدين فى مواجهتهم - واصبح الصراع واضحا : لم يعد الأمر ارساء دولة صليبية فى الشرق الاسلامى فقط بل لابد كذلك من تصديع قوة صلاح الدين والاطاحة به شخصيا كرمز لكل هذه النهضة الاسلامية الجديدة . لذلك لم يكن غريبا ان يسرع الصليبيون بخرق الهدنة قبل موعد انتهائها بعام ، فهاجموا قافلة كانت بها ابنة صلاح الدين مما ادى الى نشوب الحرب الكبرى بينهم وبين صلاح الدين ، تلك

الحرب التى بدأت ١١٨٧ واستمرت ست سنوات متصلة وانتهت بانتصار صلاح الدين الأيوبى وجيشه ، الذى كان قوامه من المصريين ، بعد أن سلم الفرنجة بكل شروطه عند توقيع صلح الرملة في سبتمبر ١١٩٢ - (الا يجدر بنا الاحتفال بهذه الذكرى عام ١٩٩٢) - ويفرد ابو حديد فى كتابه تفاصيل خطة موقعة « حطين » الشهيرة التى كانت اعظم انتصارات صلاح الدين والتى قيل فيها : « وكان من يرى الاسرى لكثرتهم لايظن هناك قتلى فاذا رأى القتلى حسب انه لم يكن هناك اسرى ! » .



● استعادة بيت المقدس

بعد « حطين » اندفع تيار النصر امام صلاح الدين فكسب « عكا » و « يافا » وسار الى قلب فلسطين واستعاد للاسلام كل ما كان بين « بيت المقدس » والساحل مستهدفا استرداد « بيت المقدس » الشريف من ايدى الصليبيين الذين اغتصبوه قرابة قرن كامل ! واستماتت جموع الصليبيين للاحتفاظ بالقدس غير انهم لم يستطيعوا الصمود امام حصار صلاح الدين اكثر من اسبوع وارسلوا له بشروط التسليم فتردد صلاح الدين لياخذ المدينة عنوة ليثار من الفرنج نظير ما فعلوه بالمسلمين يوم دخلوا القدس غزاة مغتصبين ، ولكن غلبت عليه اصالته الاسلامية وقبل الصلح واظهر من التسامح والكرم عند تسلمه المدينة المقدسة مالم يحفظه الصليبية عند أخذهم « عكا » بعد ذلك . فقد تسامح صلاح الدين فى تنفيذ الغرامة على نساء الفرنج وشيوخهم واطفالهم حتى انه اطلق لملكة بيت المقدس الصليبية مالها وحشمها وأكرم رجال الدين من القساوسة فخرج كبيرهم مع أمواله وتحف الكنائس وكنوز ذات قيمة عظيمة . وارسل معهم من يوصلهم ويحميهم حتى مدينة « صور » ! وكان هذا تماما نقيضا لما فعله الصليبيون عند غزو بيت المقدس ونقيضا لما قاموا به بعد ذلك بأربع سنوات عندما قتلوا الاسرى المسلمين ، وخرقوا معاهدة تسليمهم مدينة « عكا » !

تطور الأزياء

رحلة الأنوال عبر الزمان

نجوى صالح

خيوط متشابكة في الأنوال ، تصنع النسيج ، طوله طول الزمن ، ليربط الماضي بالحاضر .. والحاضر بالمستقبل ، تتشابك الخيوط وتتغير .. الأطوال والعروض والزخارف ، هي وحدة النسيج ، ومنها يتخلق الزي ، فهي وحدة واحدة ، مرت عبر العصور المختلفة ، تعكس بصدق عصور الانهيار الاقتصادي والسياسي كما تعكس فترات الازدهار والتقدم والترف ، الذي يتأكد في الأزياء حين تظهر في قمة جمالها .. وسطوتها .

المنطقة العربية من أكثر المناطق حيوية من حيث تطور الأزياء فهي تموج بالحيوية والتنوع .. والأصالة والجمال حتى في عصور التدهور الاجتماعي والسياسي .

ونجد تلك الأصالة والحس التشكيلي الواعي في العصر القبطي . والتي تتمشى مع تلك الفترة من اضطهاد الأباطرة الرومان للمسيحية في مصر .

والزي القبطي من الأزياء التي تأثرت بالبيئة والظروف النفسية والروحية والاجتماعية .

فقد بدأ في شكل قميص بدائي ذي ألوان قاتمة ، وبعد انتشار المسيحية انتشرت شارة الصليب على الأقمشة والحلي الذهبية ، كما كثر استخدام مفتاح « عنخ » علامة الحياة عند الفراعنة وهو صليب ذو عروة ، ثم تطور بشكل قاطع إلى الصليب الدارج .

وقد ازدهر في تلك الفترة نسيج الصوف في مصر العليا .. والكتان في الأسكندرية ويسمى نسيج « القباطي » ويعرف الآن « بالتابسري » ويصنع في فرنسا .

وقد تغير شكل القميص منذ عصر الاضطهاد المسيحي من الشكل البدائي



زى من العصر العباسى
وقد بلغ اوج عظمته
فى مدينة بغداد وسامراء .



الخشن ، وأخذ إتساعا ، وطولا ، ثم ارتدى النساء والرجال « الكلبيوم » فوق القميص ، وهو ثوب واسع واكمامه حتى المرفق ، اما «البالا» فقد كانت النساء يتشحن بها فوق الكلبيوم ، وقد كانت هذه الملابس تتسم بالأبهة والعظمة حيث تميزت بالألوان الزاهية ، فعادة كان القميص من اللون البنفسجى المحلى بأشرطة سوداء مزخرفة برسوم الصليب أو عناقيد من العنب ثم « الكلبيوم » من اللون الأحمر ويزينه نفس الشريط الأسود ، اما بالنسبة للحلى فكانت المرأة تفضل الأقراط من عناقيد العنب أو الهلال ، والأساور بعدة أدوار تزين بها أعلى الذراع وفى الحداد كانت النساء ترتدى اللون الاسود وهى عادة فرعونية ولاتتزين طوال فترة الحداد .

● من التقشف إلى الترف

وفى العصر الاسلامى فى زمن « رسول الله صلى الله عليه وسلم » نجد الزى يتغير بالبساطة فى التصميم واستخدام الألوان الطبيعية سواء فى القطن او الصوف مثل البيج ، والبنى والاسود ، وهى ألوان تتمشى مع طبيعة المناخ الصحراوى .

وأيضا فى عصر الخلفاء الراشدين .. ظل الزى على بساطته وكان زى النساء عبارة عن جلباب او قميص طويل حتى الارض ويزم بحزام ، ثم غطاء فوق الرأس تتدلى منه طرحة تغطى المرأة بها وجهها حتى العينين .. أما الرجل فكان يرتدى قميصا من اللون الابيض مع عباءة مقلمة أو سادة من ألوان الصوف الطبيعية .. وقد كانت الأزياء فى مجملها تميل إلى البساطة نظرا للتركيز على الجهاد فى سبيل الله .. فأتى الزى مناسبا لتلك المرحلة معبرا عنها .

ولقد ظل الفن الاسلامى منبعا لثقافة أوروبا لعدة قرون من الزمان ومن هذه الدول المصدرة للفن والمعرفة مصر ، وصقلية ، والهند ، والصين وغيرها .

ولقد اهتم القائمون على الحكم الاسلامى فى البلدان المختلفة بإنماء الفن وإعطائه هوية خاصة بإدخال الخط العربى كعنصر جمالى فى العمل الفنى حيث جاء مساويا لاهتمامهم بدقة الرسوم « الارابيسك » الزخرفية الموجودة فى نفس العمل ، سواء فى بناء « جامع » أو قصر من القصور ، أو فوق آنية صغيرة ، او قطعة من النسيج .

وقد انتشر الفن الاسلامى حتى غزا المانيا وفرنسا وانجلترا ، وكانت افخر ملابس ملوكهم محلاة بالآيات القرآنية من صنع مصر وصقلية والشام تحت الحكم الأموى ومنبعه مدينة « دمشق » وقد كانت عاصمة للعالم الاسلامى فى ذلك الوقت ، وكانت السيادة فى هذا العصر تنتسب إلى الفنانين السوريين ، حيث انتشر الأسلوب الأموى الناعم الرقيق فى أشغال الصدف والفسيفساء .. والحرير الدمشقى المسمى « بالدماسيه » وهو نوع من الحرير المزخرف بدقة بخيوط فضية وذهبية وقد ظل هذا القماش يستورد من دمشق عبر العصور الاسلامية المختلفة لعمل أزياء النساء والرجال على السواء .

● الطراز العباسي

بعد ذلك إنتقلت الخلافة إلى الدولة العباسية وكانت عاصمة الخلافة هى بغداد . فاتخذ الفن الإسلامي اتجاها جديدا حيث قام الطراز العباسي ، وبلغ اوج عظمته في مدينتى بغداد وسامراء

وكان من أزهى الفترات خلال حكم الدولة العباسية تلك الفترة التى تولى فيها العرش الخليفة هارون الرشيد .

ويحدثنا المؤرخون عن حياة الترف فى هذا العصر حيث كانت تقام الحفلات فى المناسبات المختلفة مع إقتناء الجوارى والمغنيات والمشرفات على الخدمة ، وقد كن يتزين بأفخر الأزياء والحلى .

وتأثرت الملابس فى العصر العباسي بالملابس الفارسية ، كما لبس الخلفاء العباسيون القلانس الطويلة بالاضافة الى أغطية الرأس السوداء المخروطية .

وكانت الملابس محلاة بالذهب .

ولبست المرأة فى العصر العباسي الملاءة الفضفاضة ، ولبست أيضا القميص وكان مشقوقا عند الرقبة وكانت ترتدى فوق القميص رداء قصيرا .

وعند الخروج من بيتها كانت ترتدى الملاءة الطويلة التى تغطى جسمها وتلف رأسها بمنديل يربط حول الرقبة .

أما سيدات الطبقة الراقية فقد اتخذن غطاء للرأس يسمى « البرنس » وكان مرصعا بالجواهر ومحلى بسلسلة ذهبية مطعمة بالأحجار الكريمة ، أما نساء الطبقة الوسطى فكن يزين رءوسهن بحلية من الذهب يلففن حولها عصبية منظمة من اللؤلؤ والزمرد

وكان من المعتاد عند النساء كتابة الأشعار الرقيقة وتطريزها على الأقمشة والعصائب والزنانير .. والمناديل والوسائد والجوارب وكذلك على النعال والخفاف .

وكان السروال من الملابس الرئيسية فى ذلك العصر مع خلاخيل للقدم تسمى « الحجل » أو « الملوى » .

● الأزياء فى العصر الفاطمي

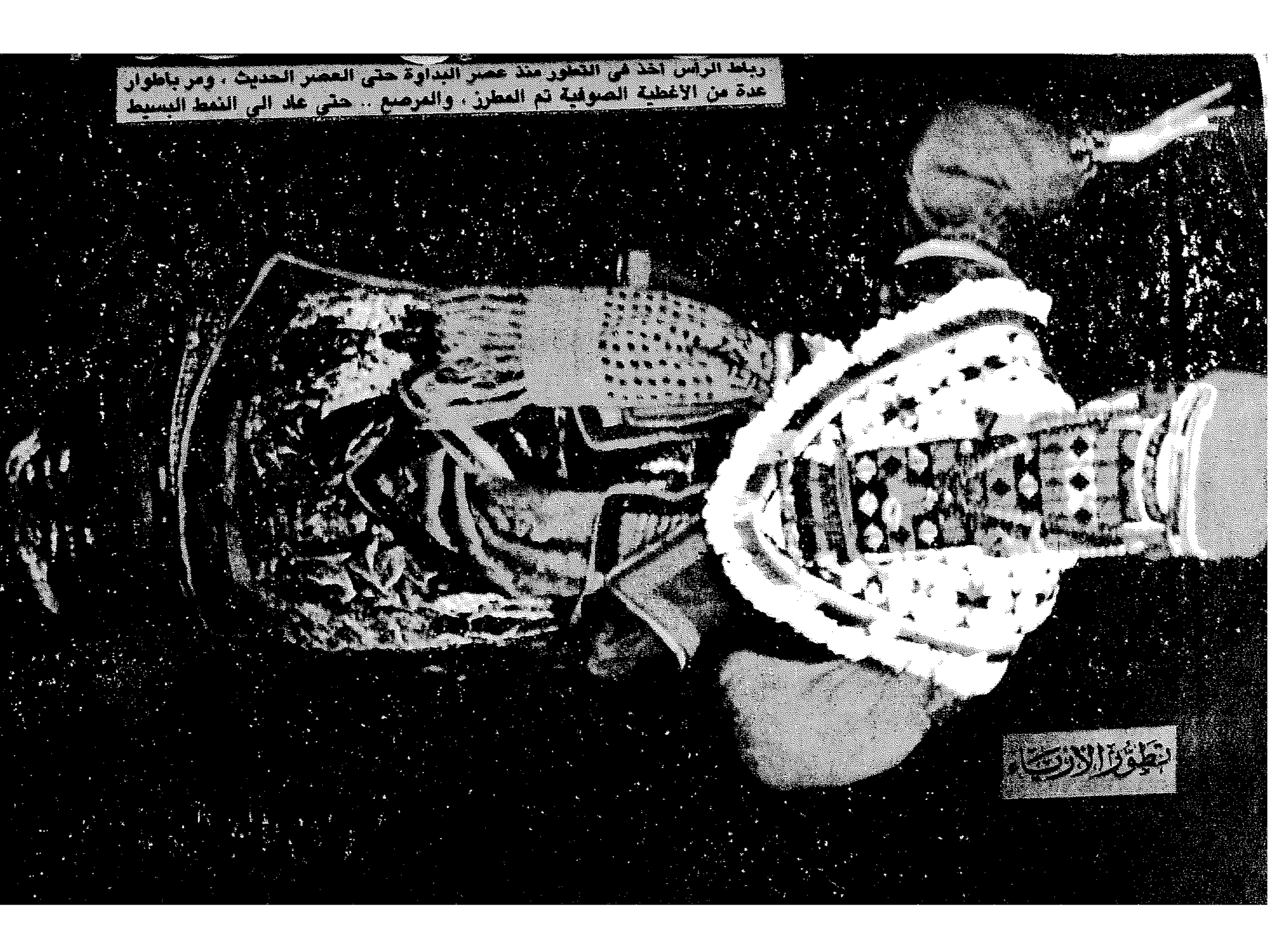
كان الفاطميون يناظرون العباسيين فى أسباب الحضارة ، وكان التمدن الاسلامى قد نضج ، وفاق الفاطميون الدولة العباسية فى البذخ والترف ، لاسيما فى الرياش والثياب . فإن العباسيين رصعوا عصائب نسائهم وخفافهن ، لكن الفاطميين رصعوا آنية المطبخ بالجواهر ، واتخذوا كوز الزير من يللوز مرصع بالجواهر وكللوا المزيرة بحب اللؤلؤ ، وتأنقوا فى المصنوعات .. وقد بدأ ظهور الحزام المرصع بالجوهر ، ويضم فوق الثوب بعقدة وينسدل من الامام

وظلت محتفظة بالسروال تحت الثوب .

● العصر الأيوبى وعصر المماليك

وجاء حكم صلاح الدين الأيوبى ، ونظرا للحروب الصليبية التى اجتاحت عصر الأيوبيين ، كان الاهتمام الأول التركيز على الحرب وملابسها . واختفى فى أزياء النساء البذخ الجنونى الذى كان فى عصر الفاطميين .

وأكثر الأمراء الأيوبيون من إقتناء الأرقاء البيض ، الذين عرفهم التاريخ باسم المماليك ، وكانت مماليك الصالح أيوب من التركمان ويميز كلا منهم علامات خاصة توضع على ملابسهم او أسلحتهم فكان بعضها يمثل الورد ، وبعضها يمثل أشكال الطيور



ربلط الرأس أخذ في التطور منذ عصر البداوة حتى العصر الحديث ، ومر باطوار
عدة من الأغطية الصوفية ثم المطرز ، والمرصع .. حتى عاد الى النمط البسيط

رباط الرأس والزنار ... وهى قطعة من القماش مطرزة تلبس فوق السروال أو الجونلة «العصر المملوكى»

زى من العصر المملوكى يتسم بغنى فى اللون والتطرير ، مع رباط راس يسمى بالترنس

واعتنى المماليك رجالا ونساء بالتأنق فى الملبس ، وكانت ملابسهم الداخلية تتكون من « التبان » وهو لستر العورة ، ويلبس فوقه السروال ، وهذا قد يصل إلى أسفل الركبة ، أو إلى نصف الساق ، وقد صنع من أقمشة الصوف أو القطن ، أو القنب .. واستعملت « التكة » فى العصر المملوكى لربط السراويل ، وتعتبر التكة جزءا مكملا للسروال وقد استخدم التكة الرجال والنساء على السواء وهى غالبا ماتختفى تحت القميص الذى يرتديه الرجال والنساء .

● المهلهل والمسلسل

وقد لبست المرأة المملوكية ضروبا مختلفة ـ من الثياب فى فيونها وألوانها مما أخرجته مناسج اليمن وعمان والبحرين والشام والعراق وفارس وسواحل الهند ، ومنها ما رق نسجه ودق خيطه ، وذلك ماتسميه بالمهلهل والمسلسل والهفهاف . أما ماكثفت خيوطه وضوعفت حواشيه . فذلك ماتدعوه بالصفيق ، الشبيع ، والحصيف ومنها مالم يخالط لونه لون آخر . مثل الأبيض ، والأسود ، والأحمر ، والأصفر . والأخضر ، والمدمى . وهو ذو الحمرة القانية ـ والمشرق « الروز أو البمبى » وما اجتمع فيه اللونان « المشرب » والمخطط والمسهم ، وهو شابهت خطوطه السهم والمفرق ، النميق ، أو المنمق ـ وهو المنقوش ـ والموشى وهو ما اجتمع عليه الزخرف . والمصلب ، والمذهب .

أما بالنسبة للملابس فيوجد الشعار ، وهو مايلى جسدها فالصدار والمجول وهما قميصان قصيران متقاربان ثم السروال والتكة .

وأما دثارها ـ وهو مايلى الشعار ـ فالدرع وهو جلباب شامل يحيط بدثارها ، ثم النطاق وهو عبارة عن ثوب تشده المرأة بواسطة أزرار وترخى نصفه الأسفل فوق السروال ثم الحزام ثم الغفارة ! جمع غفائر وهو المعطف . والقباء : وهو قفطان ، وقد وصف المقريزى الأقبية فى عصر المماليك بأنها إما بيض أو مشهرة أحمر وأزرق وهى ضيقة الأكمام .

قبع : وهى غطاء للرأس يشبه الطاقية ويصنع من الحرير وكان يوضع تحت القلنسوة التى تلف حول العمامة .

والقرقل : قميص للنساء او الثوب الذى لا أكمام له . والقرقل كذلك سلاح يشبه الدرع يتخذ من صفائح الحديد ويغشى بالديباج الأحمر والأصفر .

قلنسوة : وجمعها قلانس وكلوته : غطاء رأس يلبس وحده أو بعجامه وتسمى كلفتاه .

كمر : وجمعه كمرات معناها حزام مفرغ من وسطه لوضع النقود والأشياء الثمينة .. وكان هذا الكمر أو الحزام بما أنه يرتكز أسفل الوسط فقد كان يساعد الجوارى والمحظيات على إظهار حركة الرقص فى ذلك الزمان .

● العصر العثمانى .. والحبرة

وجاء العصر العثمانى .. ولقد إهتم العثمانيون بصناعة النسيج واستخدموا زهرة القرنفل وشجرة السرو وزهرة اللالاة .. والرمان فى زخارف النسيج مع الرسوم الحيوانية والآدمية .. ثم الزخارف الكتابية

وتعددت ملابس النساء فى العصر

العثمانى ، منها الجبة وكانت من الملابس الرئيسية عند المرأة ، وكانت من الجوخ والمخمل ، وذلك تشبها بوقار رجال الدين ، وكانت موشاة بالذهب وطولها يلامس الأرض .

الحبرة : وهى برد موشى ، وذكر الحبرة كثير من المؤرخين والرحالة ، ففى رحلة « لويتمان » فى تركيا وسوريا ومصر يقول « ان النساء يرتدين رداء أسود واسعا يغطى تقريبا كل الجسم ويتدلى حتى العقبين » ويذكر « دورنى » أن الميسورات الحال سواء كن مسلمات أو مسيحيات - يستترن لدى خروجهن من مساكنهن برداء واسع من الحرير الأسود .

السبلة : نوع آخر من الملابس ارتدته المرأة فى هذا العصر وهو ثوب متسع هفهاف يطرح فوق ملابسها ويمكنها المكوث به فى المنزل إذا كان شفافا .. والخروج به إذا كان من الديباج وهو عادة من اللون القرنفلى .

● السروال دائما

أما السروال فكان من مميزات ملابس المرأة خلال العصور الإسلامية كلها ، ومنها العصر العثمانى والذى يفحص المخطوطات العثمانية يرى أن زى المرأة فى ذلك العصر لم يكن خاليا من السروال ، ولم يكن السروال من الملابس العربية بل استجلب من فارس منذ فجر الإسلام ، والسروال يشبه البنطلون فى وقتنا المعاصر .

ومن أكثر البلاد التى احتفظت بالسروال تونس والمرأة التونسية ترتديه ضمن أزيائها الأساسية فى الاعراس .. وفى خروجها اليومى .. ثم أنها احتفظت بالحبرة فى أزيائها الشعبية .. وهى عبارة عن قطعة من القماش المقلم وتسمى فوطة دمياطى ، وهى طبق الأصل الفوطة الدمياطى المصرية !

● والباقى .. هو الحزام

أما الحزام فى العصر العثمانى فكانت له مكانة كبيرة جدا بين ملابس النساء ويكاد لايخلو أى ملبس منه . وتشير كلمة حزام إلى الزنار الذى تشده النساء فوق الرداء .

وقد صنعت الأحزمة من الديباج والدمقس المطرز بخيوط الحرير والأحجار الكريمة والآلىء وقد يصل الحزام إلى أسفل الساق .

التزبيدة : هى عبارة عن ملابس الخروج مكتملة ، وكانت ترتديها النساء الكبيرات فى السن والمقام وهى عبارة عن القميص والسروال والسبلة ، واليلك ، والجبة ثم الحبرة !!

تطور الحلى فى العصر العثمانى واصبح أكثر إتقانا ورقة ، وكثرت الآيات القرآنية والمصاحف المرصعة بالماس ، ومشابك الشعر .. والتيجان وزجاجات العطور المرصعة « بتلبيسة » من الذهب والجواهر . وقد زينت المرأة ملابسها بالعملات الذهبية والفضية .

● حتى سنة ١٩١٩

إستمرت النساء فى إرتدء الحبرة وإن تغيرت الملابس التى تحتها فقد اختفى السروال .. وظهر الفستان أكثر بساطة مع الاحتفاظ الدائم بالحزام .. ودار الزمن

هذا الزى يستخدم فى المغرب إلى يومنا هذا ، وقد اقتبس منذ الحكم العربى فى اسبانيا ونزح الى المغرب .

زى آخر نزح من مصر الى المغرب وتسمى (بالفوطة الدمياطية) ، وهو مستمر الى يومنا هذا فى صحراء المغرب .



رباط الرأس ، استخدم على رءوس النساء
بأشكال شتى منذ بدا الخليقة حتى يومنا هذا

دورته .. وانتهى الاشعاع الفنى والثقافى فى الدول العربية وإنتقل إلى الغرب ، بعد أن أخذ عنا ما كان الاساس فى ثقافته وعلومه وبدأ يصدر لنا نوعا جديدا من الثقافة ، وعلى آثره خلعت هدى شعراوى الحجاب ونادت المرأة بحقوقها فى جميع البلاد العربية ، وبدأت تظهر فى بعض البلاد العربية من ضمنها مصر بالملابس الأفـرنجية ولكنهـا احتفظت بشئين ، بالحزام ، والبنطلون ، وهو مابقى من قطع الملابس القديمة ، أما بالنسبة للمرأة فى البلاد العربية فقد إحتفظت بالحبرة إلى يومنا هذا ، ماعدا المرأة التى نسجت على منوال التطور الأوربى والأمريكى .



عذوبة الأشياء المحطمة

شعر: جليلة رضا

لا . لا تقل إني خدعتك إذ طويتك من حياتي
انا لم أحبك إنما احببت اضداد الصفات
إني عشقتك صاخب الإحساس ثر العاطفات
وغرقت في دوامة الأوهام .. لم اشعر بذاتي

احببت قلبا هادىء الأنفاس لم يزفر بأنّه
وهويت نجما خلته سيصد عن عيني الدُّجُنّة
وعبرت صحراء الحياة لأجتلي اطياق جنه
واخذت إذنا من همومي برهة .. وعقدت هدنة

احببت ثغرا ساحر القبلات ، مسكيّ الشفاه
وسبحت في حمى الرغاب وفي تفاهات الحياه
ورقصت حول النار كالزنجي حافية خطاه
وفرشت قلبا مخمليًا تحت أقدام الإله ..

حتى إذا صافت غيرك خلتني كالمستفيق
ورأيت ريح الليل تصحبه وأشواك الطريق
ولمحت في عينيه كنز الحزن قدسيّ البريق
وعذوبة الشيء المحطم تغمر القلب الرقيق

احسست أنّا توأمان على المدى لا نختلف
هو تائب لم يجن ذنبا في الدُّنى .. لم يقترف
هو حالم رغم التيقظ ، مرتو .. لم يرتشف
هو خالق حتى يموت .. وراكض .. حتى يقف ..

حتى إذا لمست يدي تحت الجوانح انجمه
وحضرت عُرس خياله وسط الليالي الملهمة
ورأيت ان مشاعر الأنثى لديه مُحرَّمه
آثرت أحيا مثله .. محرومة .. ومحطمة ..

الفنانون اليهود
من الاندماج الى الهجرة

بقلم: عرفة عبده على

□ الباحث فى تاريخ المصريين اليهود خلال القرن العشرين ، لابد وأن يقف عند ظاهرة تحتاج إلى شىء من الإيضاح والتفسير الدقيق « ظاهرة الاندماج اليهودى » فى المجتمع المصرى ، على عكس ما يروج له الكتاب والباحثون الاسرائيليون الذين يحاولون التقليل من قيمة هذا الاندماج والنشاط ، بأن اليهود فى مصر كانوا يشعرون بالغربة ويعيشون بمعزل عن المجتمع الذى يحيط بهم ، بل وينفرون من التعبير باللغة العربية !

راقية ابراهيم كوكب الربيع فى عام ١٩٥٣ 

كاميليا صورت اللقطة فى ٨ فبراير ١٩٤٩ .. ظهرت على غلاف العدد الاول من

الفنانون اليهود
من الاندماج إلى الهجرة

ففى الوقت الذى لاقى فيه الاوربيون اليهود كثيرا من العنت والاضطهاد ، نجد انهم كعرب يهود عاشوا فى مصر وغيرها من المجتمعات العربية ـ عصرا ذهبيا ـ حيث مارست العشرات من العائلات اليهودية البارزة نشاطا ملحوظا فى مجالات متعددة للاقتصاد المصرى ، منها على سبيل المثال : عائلات «قطاوى» ، «موصيرى» ، «سوارس» ، «منشه» ، «شيكوريل» ، «جرين» ، «ليفى» و«رولو» ... وغيرها من العائلات التى لعبت دورا بارزا فى الاوضاع المادية والاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية لابناء « الطائفة الاسرائيلية » كما كانوا يطلقون على انفسهم ! وفى جو من الحرية التامة الى جانب رعاية السلطات الحاكمة لهم ، بشكل ربما يفوق رعايتها لغيرها من الطوائف .

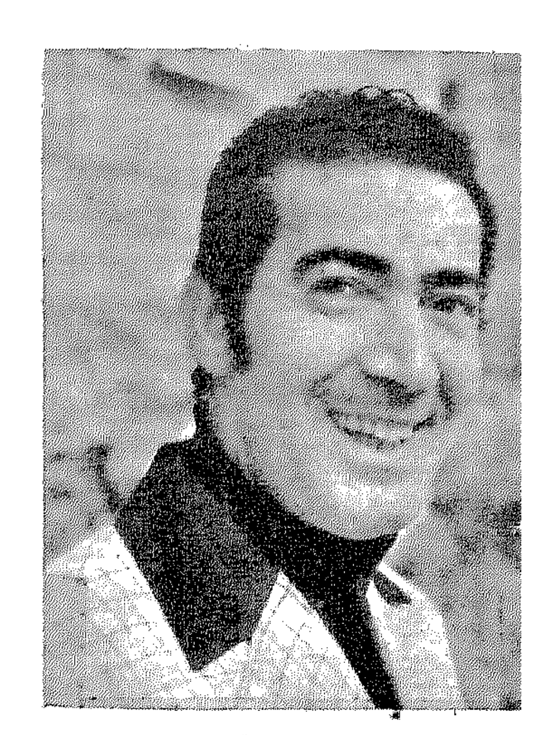
وبالرغم من ذلك ، نجد أن معظم المصريين اليهود الذين نعموا بخيرات مصر ، قد ايدوا الحركة الصهيونية وقاموا بدعمها بشتى الوسائل !

وقد امتد النشاط الثقافى للمصريين اليهود فى تاريخ مصر الحديث ، متجاوزا مجالات الأدب والصحافة ، إلى مجالات الفنون . خاصة السينما والمسرح والموسيقى ..

وسيكتشف الباحث المدقق أن كثيرا من الشخصيات المصرية اليهودية قد ساهمت فى هذه المجالات تحت « أسماء فنية » مع ملاحظة أن هذه الأسماء لم تشغل فراغا يذكر ، فى الحياة الفنية المصرية كما اشار بذلك «موريس شماس» الكاتب والصحفى والمخرج المسرحى الاسرائيلى ، بالرغم من أن فنانا مسرحيا نابغا قد خرج من بين المصريين اليهود ، هو« يعقوب صنوع » الشهير بابى نضاره ، الذى يعتبره النقاد ـ واضع أسس المسرح فى مصر ـ واحد رواد فن "الكاريكاتير" السياسى فى الصحافة المصرية ، واحد المناضلين بالكلمة الساخرة ضد الاحتلال البريطانى والأسرة الخديوية .

● عالم السينما والشهرة

ففى عالم الغناء بزغ نجم الفنانة المطربة ليلى مراد التى اشهرت إسلامها وهى فى ذروة عطائها ، وكان ذلك بالتحديد فى عام ١٩٤٦ ، ثم أسلم شقيقها "موريس" الشهير بمنير مراد عندما اقترن بالفنانة سهير البابلى ، وقد ظل على ديانته اليهودية حتى آخر يوم فى حياته ، كما ثبت من اوراقه الرسمية ، واقترنت الفنانة ليلى مراد بالفنان "انور وجدى" .. وبعد وفاته تزوجت بالمخرج السينمائى "فطين عبد الوهاب" وانجبت ابنها "زكى" ثم تزوجت بـ "وجيه أباظة" وكان والدها "زكى مراد" من نجوم الطرب والتلحين وتلميذا للفنان المصرى اليهودى "داود حسنى" . وكان مقيما فى ٢٦ ش الملك ، انجب بالاضافة إلى ليلى وموويس ، ملك وسميحة وابراهيم ،


منير مراد


نجمة ابراهيم

وهؤلاء ظلوا على ديانتهم الأصلية .. ومازالت اغانى وافلام ليلى مراد وشقيقها منير مراد تحظى بالاستماع والاعجاب حتى يومنا هذا .

هناك أيضا ، نجمة الشاشة المعروفة "راقية ابراهيم" واسمها الحقيقى "راشيل ابراهام ليفى" ، والتى لعبت أدوار البطولة فى عدد من الافلام فى الأربعينيات والخمسينيات أمام نخبة من أشهر نجوم السينما المصرية ، منها : فيلم "رصاصة فى القلب" أمام الفنان محمد عبد الوهاب ، وفيلم : "أجنحة الصحراء" أمام الفنان أحمد سالم : وفيلم "زينب" بعد إعادة تصويره ناطقا عام ١٩٥٤ ، أمام الفنان يحيى شاهين .

وكانت راقية ابراهيم قد بدأت حياتها - حائكة للملابس - إلا أنها أغرمت بفن التمثيل ، فالتحقت بالفرقة القومية ، وصعد نجمها كبطلة لمسرحية "سر المنتحرة" لتوفيق الحكيم ، عام ١٩٣٨ ، تزوجت بمهندس الصوت مصطفى والى ، وغادرت مصر فى عام ١٩٥٦ ، الى الولايات المتحدة ، وتعمل حاليا بقسم الاتصال والاعلام الخاص بالوفد الاسرائيلى فى هيئة الأمم المتحدة ، وقد زارت إسرائيل اكثر من مرة فى السنوات الأخيرة .

وعندما نقلب صفحات الذاكرة ، يطالعنا وجه الفنانة القديرة "نجمة ابراهيم" وهو إسمها الحقيقى ، التى برعت فى تجسيد ادوار المراة الشريرة ، بملامحها الصارمة ونظراتها التى تثير الرعب . وصوتها القاطع الحاد ، مما جعلها تتبوأ ذروة الأداء الفنى فى فيلمى : « اليتيمتان » و« ريا وسكينة » ... ولدت فى عام ١٩٠٦ ، التحقت بالفرقة القومية منذ بدايتها عام ١٩٣٥ ، وعملت مع عمالقة المسرح جورج ابيض وعزيز عيد وفاطمة

رشدى ، كما عملت ايضا بفرقة الريحانى ، تزوجت بالفنان "عباس يونس" الذى كان ممثلا وصاحبا لفرقة مسرحية في الخمسينيات ، توفيت عام ١٩٦٨ .

وقد اختلط الأمر على "موريس شماس » في محاضرته بالمركز الاكاديمى الاسرائيلى بالقاهرة - يونيو ١٩٨٨ - عندما ذكر ان الفنانة نجمة ابراهيم اسمها الحقيقى "سرينا ابراهيم يوسف" والصحيح أن هذا هو اسم شقيقتها ، التى قامت ببعض الأدوار الثانوية على المسرح ، ولم يكن لها حظ نجمة ابراهيم من الشهرة ،

ليلى مراد .. ابريل ١٩٥٣



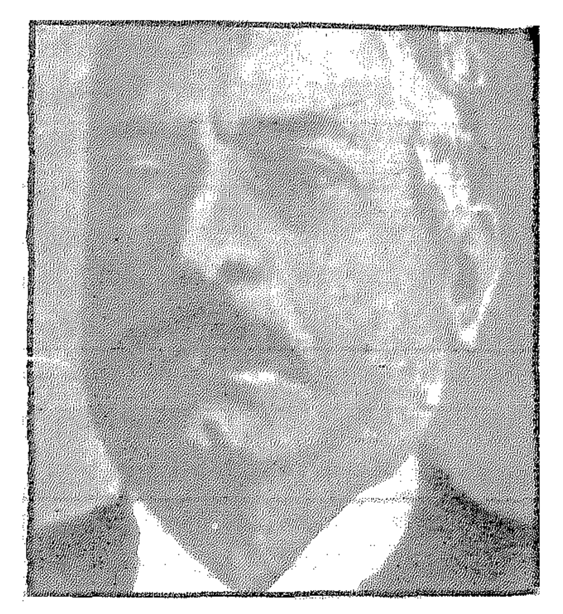
وقد ولدت "سرينا" بالقاهرة عام ١٩٠٤ ، واقترنت بالثرى اليهودى "سالم مزراحى" وغادرت الاسكندرية فى ٤ نوفمبر عام ١٩٥٤ .

كذلك لمع الفنان الكوميدى "الياس مؤدب" الذى شارك فى العشرات من الافلام امام أشهر نجوم الكوميديا ، وعلى رأسهم الفنان اسماعيل ياسين . وكان يسكن بشارع "سوق الفراخ"

نجوى سالم



داود حسنى



بحارة اليهود ، فى الفترة التى عمل فيها بأحد محال ـ تصليح الساعات ـ بشارع عبد العزيز أمام "عمر افندى" ثم عمل منولوجست فى الافراح الخاصة ، واشتهر بتقليد ـ اللهجة الشامية ـ التى كانت مفتاحه فى ولوج عالم السينما والشهرة ، وكان من البراعة بحيث رسخ فى أذهان الكثيرين ـ إلى يومنا هذا ـ أنه لابد وأن يكون من أصل لبنانى أو سورى !! ويجدر بالذكر انه غادر مصر عام ١٩٥٦ ، وعاجلته المنية فى إسرائيل عام ١٩٥٩ .

وفى مجال الفن المسرحى ، برع العديد من الممثلات اليهوديات ، يأتى على رأسهن النجمة "نجوى سالم" واسمها الحقيقى "نينات سلام" التى لمعت فى فرقة الريحانى ، وامتد نشاطها الى العديد من الفرق المسرحية ، واقترنت لفترة بالناقد الصحفى "عبد الفتاح البارودى" وكان الرئيس الراحل أنور السادات قد منحها شهادة تقدير ومعاشا استثنائيا مدى الحياة ، وتوفيت عام ١٩٨٨ .

هناك أيضا "اميلى ديان" التى شاركت فى فرقة سلامة حجازى و"استر شطاح" و"فيكتوريا كوهين" اللتان برزتا فى فرقة يوسف وهبى "مسرح رمسيس" وفرقة جورج ابيض ، ولها عمل مسرحى شاركت به مع الفنان فؤاد المهندس والفنانة شويكار فى المسرحية الشهيرة "أنا وهو وهى" عام ١٩٦٤ ثم فى مسرحية "سيدتى الجميلة" وتوفيت بالقاهرة .

● صناعة السينما ●

وفى مجال صناعة السينما برز اسم

الفنانون اليهود
من الاندماج .. إلى الهجرة

"توجومزراحي" كواحد من رواد هذا الفن ، وأدخل التجارة على السينما ، بمعاونة شركة "جوزى فيلم" التى كانت تمتلك وتدير عشر دور للسينما فى القاهرة والاسكندرية وبورسعيد والسويس ، وكانت نظرة توجو مزراحي في امتلاك وادارة بعض دور السينما ، تتلخص فى ان هذا المجال هو الاكثر ضمانا للربح ، مرددا عبارته الشهيرة أنه "مامن احد يستطيع ان يدخل السينما مجانا" .. !

وقد لايعرف الكثيرون ان توجو مزراحي قد زاول فن التمثيل فى افلام من إنتاجه واخراجه ، تحت اسم "احمد مشرقى" ! منها فيلم "الكوكايين" عام ١٩٣٠ وفيلم "خمسة آلاف وواحد" عام ١٩٣٢ ، بالاشتراك مع عدد من الممثلين اليهود المغمورين ، مثل فنان يدعى "شالوم" وفتاة يهودية عملت معه باسم مستعار "حنان رفعت" !

ويجدر بالذكر ان توجو قد انتج واخرج عددا من افلام على الكسار وفؤاد الجزايرلى وغيرهم ، كما انتج فيلم "ليلة ممطرة" الذى كان فاتحة خير للفنان يوسف وهبى ـ بعد ان اشهر افلاسه ـ وكان ايضا اول فيلم ليس من إنتاج وإخراج وقصة وبطولة وموسيقى يوسف وهبى !

وآخر فيلم انتجه توجو كان فيلم "سلامة" عام ١٩٤٧ ، والذى عرض فى موسم امتحانات ، فتكبد خسائر فادحة ، انعكست على اتفاقه مع الموزع العراقى ـ اسماعيل شريف ـ صاحب دور سينما "الحمرا" فى بغداد والبصرة والموصل ، الذى حقق اربلحا بلغت مئات الآلاف من الدينارات فى الاسابيع الأولى ، وهو الذى اشترى حق عرض الفيلم ـ بعد مضض ـ بثمن بخس ! فاصابت توجو لوثة اودت به إلى مستشفى "بهمان" ! وغادر مصر عام ١٩٥٦ ، وتوفى فى روما عام ١٩٨٧ .

وفى مجال انتاج وتوزيع افلام السينما ، برزت بنشاطها شركة "جوزى فيلم" التى اسسها "جوزيف ـ موصيرى" عام ١٩١٥ ، التى شيدت ستوديو للانتاج السينمائى ، كما كانت تحتكر استيراد وبيع الافلام الخام ، وكان مقرها فى ١٤ ش الانتكخانة المصرية (محمود بسيونى حاليا) . واسس "إدجار موصيرى" شركة لتوزيع الافلام . وكان مقرها ١ ش الشريفين . كذلك أسس وادار "إدوارد ليفى" شركة انتاج وتوزيع الأفلام السينمائية ، وكان مقرها فى ٥ ش المتحف بالاسكندرية . وتجدر الاشارة بأن نحو ٩٠٪ من دور السينما فى مصر ـ آنذاك ـ كان يمتلكها اثرياء يهود !

ومن الغريب أن يشاع بان نجمة السينما فى الاربعينيات "كاميليا" كانت ـ يهودية ـ حتى رسخ فى الأذهان ذلك الاعتقاد الخاطىء لدى العامة ، بل ولدى بعض الكتاب والباحثين ، كان آخرهم د . نبيل عبد الحميد فى محاضرته عن يهود مصر فى الفترة ١٩٤٨ ـ ١٩٥٦ بالجمعية التاريخية

لمصرية . فى يوم ٢٦ يناير ١٩٩٠ ، وقد ردد هذه الشائعة وروج لها الكاتب لصحفى "مصطفى أمين" وآخرون ، ما أكد لى الناقد الفنى "حسن إمام عمر" الذى شهد قداس جنازتها باحدى الكنائس يوم سقطت بها الطائرة ! وكان ذلك عام ١٩٤٩ .

والثابت أن والدتها - مسيحية - من اصل إيطالى ، كانت تمتلك "بنسيون" بالاسكندرية ، عشقها تاجر اقطان - مسيحى - إيطالى ، فحملت منه سفاحا ، وحدث أن خسر ذلك التاجر الايطالى كل مايملك فى بورصة القطن ، فغادر الاسكندرية هاربا إلى روما ولم يعد مرة اخرى ، وعندما وضعتها أمها ، نسبت فى شهادة ميلادها إلى يهودى يسكن فى ذلك البنسيون ، وسميت "ليليان ليفى كوهين" !!

وفى عالم الموسيقى ، أنجب المصريون اليهود ، علما من أعلام التلحين ورائدا من رواد النغم ، هو الموسيقار "داود حسنى" واسمه الحقيقى "دافيد حايم ليفى" .. الذى ى الموسيقى المصرية بغزارة عطائه الفنى على مدار خمسين عاما ، واستوحى من البيئة الشعبية ألحانا تغنى بها الناس فى كل مكان .. منها "قمر له ليالى" ، "ليلة فى العمر" ، "يامه حلوه" ، "عصفورى يامه" ، "صيد العصارى" ، "على خده ياناس ميت وردة" و"جننتينى يابنت يابيضة" .. وغيرها من الادوار والطقاطيق التى مازالت حتى اليوم تتهادى بين الناس نغما عذبا شجيا يملك القلوب والاسماع .

ولم يقتصر فن داود حسنى على تلحين الأدوار والطقاطيق ، بل وجه جهوده نحو الموسيقى التعبيرية - موسيقى المسرح - حيث استطاع أن يلحن اكثر من خمس وعشرين مسرحية غنائية وأوبريت ، منها "معروف الاسكافى" ، "صباح" ، "ليلة كليوباترا" التى صاغها شعرا الاديب الموسيقى د . حسين فوزى ، وعندما لمس داود حسنى إقبال الجماهير على هذا اللون من الغناء ، وتذوقها لفن الاوبريت ، قام بتلحين أول اوبرا مصرية كاملة هى أوبرا "شمشون ودليله" فكانت تطويرا وطفرة كبيرة للموسيقى العربية ، وأثبتت للباحثين الغربيين فى علم الموسيقى ، أن الموسيقى الشرقية قادرة على التعبير عن كل معنى من معانى الحياة ، وأن تملأ عالما بأسره بفيض من الخيال والجمال

وقد اعتادت مصر أن تحتفل بذكرى هذا الفنان المصرى ، فى العاشر من ديسمبر كل عام . حيث وافته المنية فى مثل هذا اليوم من عام ١٩٣٧ ، تقديرا لماثره فى عالم الموسيقى ، وتكريما لما قدمه من تراث فنى خالد لوطنه مصر ..

هذه لمحة عابرة عن شخصيات يهودية أنجبتها مصر فى تاريخ الفن ، كما أنجبت غيرهم فى ميادين الاقتصاد والفكر ، الذين عاشوا كجزء من هذا الشعب العريق ، نهلوا من معين ثقافته ، وتطبعوا بأخلاقه وتقاليده .

ثورة المعلومات

وصراع العقل والوجدان

بقلم : د. سهير القلماوى

يموج عالمنا المعاصر بتيارات عنيفة متلاحقة في ميادين العلم المختلفة وخاصة ميدان الالكترونيات في وسائل الاتصال أو صنع الإنسان الآلي ، ونحن نلهث وراء هذه المكتشفات المذهلة ولا ندرى ان القانون العلمي الآن يقول : إنه لا حل لمشكلة إلا بإيجاد مشكلة اخرى ، وان عملنا الآن الوصول إلى الحل ، وإنما الوصول إلى حل يفضى إلى مشكلة جديدة وهكذا .

لقد قضى الإنسان قرونا لينتقل من مرحلة الرعي إلى مرحل الزراعة ، ولما جاءت الثورة الصناعية ظلت مائة وخمسين سنة حتى تثبت اقدامها ، اما ثورة المعرفة والمعلومات ، هذه الثورة الحديثة ، فقد بدات وثبتت فى نحو عشرين سنة ، وهى تتقدم بسرعة مذهلة والعلماء فى انحاء العالم يدرسون ويجمعون المعلومات ولا يجدون حقيقة اخرى غير اننا لابد ان نسير إلى الأمام مع هذه الثورة التي غيرت جذريا فى الاقتصاد والسياسة .

● إن جمع المعلومات وتصنيفها وتبويبها وجعلها سهلة التناول للباحثين هى صناعة اليوم .. والعاملون فى هذا الميدان أصبحوا هم الأصل وسائر العاملين فروعا منهم ، فأثناء السبعينيات وجدت فى أمريكا تسعة عشر مليون فرصة عمل جديدة ، خمسة فى المائة منها فى ميدان الصناعة وإحدى عشرة فى إنتاج البضاعة وسبعة وثمانون فى المائة فى ميدان صناعة المعلومات ، إن البضائع والمصنوعات أصبحت اليوم فى ميدان التجارة وقد تخلت عن عرشها وورثتها تجارة ثمار العقول لا الحقول ولا المصانع .

كان ٩٠٪ من القوى العاملة يعمل لينتج ١٠٪ من سلع التغذية فى أمريكا مثلا والآن يعمل منهم ٣٪ لاغير لانتاج ١٢٠٪ من السلع الغذائية يستهلك المجتمع ١٠٠٪ ويصدر الفائض او يختزنه .. وفرة فى الانتاج تترك جيوشا للعمل فى ميدان المعلومات ، وفى سنة ١٩٥٠ كان ٧٪ لاغير من القوى العاملة يعملون فى ميدان



ابراهام لنكولن .. عرفت اوروبا بمقتله بعد خمسة ايام



محاولة اغتيال ريجان شاهدها العالم على الهواء مباشرة

المعلومات والآن هم أكثر من سبعين فى المائة ، ذلك أن ميدان المعلومات اتسع ، وأصبحت الحاجة إليه ماسة والتبادل فى أمرها يسير وسريع يستفيد منه الجميع

إن نقل المعلومة من مكان إلى مكان يحدث تغيرات جذرية ، فإذا أسرع كان أثره أكبر ، يضربون المثل بثروة المليونير « روتشلد » وكيف كون ثروته بسبب معرفة معلومة قبل غيره ، فقد تلقى رسالة بالحمام الزاجل عن هزيمة نابليون فأسرع إلى بورصة لندن واشترى أسهما وسندات بأرخص الأثمان ، فلما ذاع خبر الهزيمة ارتفعت أثمان الأسهم والسندات البريطانية عشرات المرات فباع وكوّن ثروة ضخمة .

● معلومات بسرعة مذهلة

إن سرعة انتقال المعلومة بلغت ذروة قد لا ندركها لأننا نعيشها دون أن نذكر ماذا كانت عليه الحال قبل ذلك ، إن مقتل الرئيس « لنكولن » عرف فى أوربا بعد حادث إطلاق الرصاص عليه بخمسة أيام ، وفي أيامنا عندما حاول رجل قتل الرئيس « ريجان » وهو يغادر الفندق شهد العالم كله الحادث وشارك فى متابعته أولا بأول على شاشة التليفزيون ، فقد التقط تليفزيون لندن الخبر فراسل رئيس تحرير مجلة « سبكتيتور » مندوبه فى واشنطن (وكان فى المبنى المجاور للفندق) وبدأ الإرسال أولا بأول والعالم يشارك ولا ينتظر ساعة واحدة لتأتيه الأخبار .

إن تبادل المعلومات وبسرعة مذهلة قلب الموازين فى عالم الاقتصاد ، فلم يعد من المتاح لمصنع أن يحتفظ بسر اختراع ، إذ سرعان ما يعرف السر أصحاب المصانع فى أنحاء المعمورة فيدخلون ميدان المنافسة .

كذلك أصبحت المعاملات الاقتصادية والتجارية تختلف كثيرا عما كانت عليه منذ أقل من عشرين عاما .. فإن تسهيلات الدفع التى كانت بالعملة ، والعملة كما نعلم أخذت سنوات وسنوات لتقضى على أسلوب التعامل بالمقايضة (تبادل البضاعة) ، أصبحت الآن تدور

الكترونيا ، ويمكن لتاجر فى شارع من شوارع نيويورك أن يعقد صفقة سريعة مع « طوكيو » بواسطة آلة فى الشارع ، فالاتصال بالبنك يحتاج إلى دقائق والتعليمات تصل عبر الأسلاك « الالكترونية » وتتم الصفقة الضخمة التى كانت تحتاج إلى أشهر ، أو اسابيع ، فى خلال دقائق معدودة ، ومن هنا أصبح التنافس صعبا جدا ، وبدأ التيار نحو دمج الشركات المتماثلة الضخمة بحيث تعمل معا ، فلا مجال للتنافس إلا فى تجويد البضاعة ، وهذا يحتاج إلى كثير ، وفى سرعة إيصالها للمستهلك ، وهذا أيضا يحتاج إلى كثير ، لكن بالتعاون وإيجاد مراكز مختلفة للشركة يمكن أن يتغلب على صعاب عديدة ، ويظهر ذلك بوضوح فى مجال صناعة السيارات وتسويقها والتعاون على إيجاد مراكز تجميع فى العالم الثالث بدلا من شحن السيارة كاملة ، واندمجت تقريبا « جنرال موتورز » الأمريكية مع « تويوتا اليابانية » وهكذا ..

وسوق العالم الثالث مدروس ، ويتجدد الدرس فيه يوميا ، إن خطة « مارشال » التى طبقت بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة لانعاش البلاد التى اضيرت بالحرب ، يقول عنها الخبراء اليوم أنها انعشت اقتصاد أمريكا اكثر من اقتصاد أوربا ، ولذلك ينادون الآن بأن المعونة لبلدان العالم الثالث لابد من أن ينظر إليها على أنها لو أحسن استخدامها هى فى الواقع فتح أسواق للمستثمر الذى يقدم المعونة .

وهكذا يمتد الميدان ويتسع ونأتى إلى صناعة « الروبوت » الانسان الالكترونى وقد راجت صناعته لأنه يقوم بدلا عن الانسان بأعمال كثيرة ، فإلى سنة ١٩٩٠ أنتج سبعة عشر ألف روبوت وسيد قريبا إلى ثمانين ألف يعملون فى الق العاملة ، وقد حسبوا بدقة التكال الباهظة لصنع « الروبوت » وحسبوا بد الخدمة التى يقدمها ، حراسة المنشأ بل فى اليابان مصنع يصنع الروبو و« العاملون فيه كلهم روبوت » ، فوجد انه أرخص من الصانع البشرى لانه يع ست عشرة ساعة دون انقطاع ، ومع قم الغيار والتصليح وغير ذلك فإن ساعة ع « الروبوت » تتكلف خمسة دولارات بين اقل أجر العامل فى الساعة خمسة عش دولارا .

أما استخدام « الالكترونيات » ، المجالس التى ترسم سياسة مصنع سياسة الدولة ، فقد وجدوا أن الاجتماع لا ضرورة لها وأنه بواسطة ال الالكترونى يمكن أن تدور المناقشات وبد من أن يمثلنى نائب فى مجلس الشع مثلا أستطيع وأنا فى بيتى (بالترتيب أن أشارك فى أية مناقشة مع غيرى ؛ طريق « البث » الالكترونى .

إن التمثيل فى مجالس الشركات أ. يقلص دور المساهمين إلى حد وصلوا إلى أن ٨٧٪ من أعضاء مجال إدارات بعض الشركات الكبرى خبراء يملكون سهما واحدا من أسهم الشركة بل لا يكفى أن يمثل المجلس الخبر وبعض المساهمين وإنما دخل مجال الادارة أيضا « المستهلك » ، فلماذا يتقابل المنتج مع المستهلك إلا أم السلعة وقد تم صنعها ؟ ، لماذا لا يسم صوته أثناء الصنع فلعل فى ذلك فائ للطرفين المنتج والمستهلك معا !

والحصول على السلع أصبح « الكترونيا » سهلا جدا والحصول على

يملأ ساعات الفراغ من « فيديو » وأشرطة تسجيل أيضا سهل جدا ، كل ذلك أدى إلى الإحساس الشديد بالوحدة .

وبدأت دراسات حول « وجدان » الإنسان فى كل هذا ، ففى التمثيل النيابى مثلا واحلال الفردية بدلا من الحزب لوحظ أنه إذا كانت السياسة تضلل الفرد فإن أجهزة الإعلام (وهى مستقلة عن الدولة فى أكثر انحاء الدنيا) تخضع بدورها لسطوة أصحاب رءوس الأموال الذين ينفقون عليها .

ولكن مع ذلك نرى الإنسان يحب أن يحضر الاجتماعات السياسية وغير السياسية لأنه يريد أن يلتقى بأخيه الانسان حتى فى الشراء ولاحظوا أن سهولة حصول الفرد على ما يريد من بضاعة وهو فى منزله لم يقلل من الاقبال على مراكز السوق المنتشرة وقد زادت عددا وازدحاما ، إن الانسان بطبعه لا يريد أن يحدد له الاختيار بهذا أو ذاك ، وإنما هو يريد طائفة من البدائل يمارس هو رغبته الشخصية فى الانتقاء من مجموعة لا من اثنين لا ثالث لهما .

والفيديو لم يغلق أبواب دور السينما إلا إذا تدخل عامل آخر كسوء العناية بدور العرض أو عرض ما هو ردىء ، إنما دور العرض السينمائى تتسع وتتفنن فى جذب المشاهدين وهم ينجذبون وهم سعداء بلقاء الأخوة والصحاب .

● الانسان وثورة المعلومات

الانسان كما يقولون اجتماعى بطبعه ، فإذا قلت له أقعد وحدك وسنوفى لك كل حاجاتك إليك دون تعب ، صرخ ولكنى أريد أن أرى الناس وأن أتحدث الى الأصدقاء وأصنع وقتى كيف شئت بل أننى أريد أن أقود سفينة التغيرات الجذرية مع اخوانى ، اننا كما يقول العالم الاجتماعى المعروف « ماك لوهان » كلنا معا على سفينة الفضاء الطاقم الذى يسيرها ليس بيننا ركاب نحن كلنا عاملون عليها .

والمشكلة الكبرى هى إعداد الشباب ليعمل فى ثورة المعلومات تلك ، لأنها تحتاج إلى ملايين الأيدى ، ولكن المشكلة ليست فى العدد وحده ، إنها فى النوع ، لابد من ملايين يتعلمون الهندسة والبيولوجيا وغيرها من العلوم ويتدربون تدريبات شاقة وطويلة ليدخلوا فى كتائب العمل فى صناعة المعلومات وبرمجتها وتخزينها واتاحتها لمن يطلبها والتعامل المستمر مع مراكز تجميع المعلومات وخزائنها التى لا نعرف عنها عندنا إلا أقل القليل ، ثم إن أصغر خطأ يقود إلى كارثة والكوارث التى نعرفها كلها نتيجة خطأ أو إهمال .

كم ذا نحتاج إلى ثورة فى التعليم لنبدأ أولى خطواتنا على عتبة عصر المعلومات والتعامل بالالكترونيات فلا نكتفى بكمبيوتر هنا وآخر هناك وهذا يختزن معلومات تفيد التنمية فى ميدان الزراعة ، اننا نحتاج إلى عشرين مركزا أو أكثر لإعداد المعلومات المتلاحقة المتجددة فى ميدان الزراعة وحده ، إعداد سبل الاتصال الدولى الميسر نعم الدولى بالمراكز المشابهة ولا أقل من المشاركة فى مراكز متخصصة فى تقديم المعلومات التى تساعدنا على أن نتصل بمراكز المعلومات العلمية فى شتى أنحاء العالم بسرعة وبكفاءة جادة .

أعاننا الله ، ولكن البداية السليمة ستكون هى المفتاح لدخول قلعة الثورة الثالثة ثورة المعرفة والمعلومات .



أزمة الفكر المصرى المعاصر

بقلم : د. محمود عبد الفضيل

يقول الشيخ محمود محمد شاكر فى مؤلفه : «رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا» «أن هناك قضية مثارة محفوفة بالفاظ مبهمة هى قضية «القديم» و «الجديد» و «التجديد» و «ثقافة العصر» و «النظر فى حقيقة هذه القضية يفضى إلى شيئين ظاهرين : ميل ظاهر إلى رفض «القديم» و «الاستهانة به» دون أن يكون ملما إلماما مابحقيقة هذا القديم ، وميل سافر إلى الغلو فى شان «الجديد» دون أن يكون صاحبه متميزا فى نفسه تميزا صحيحا بانه «جدد» تجديدا نابعا من نفسه ، وصادرا عن ثقافة متكاملة متماسكة ، بل كان ما يميزه أن الله قد يسر له الاطلاع على آداب وفنون وافكار تعب أصحابها فى الوصول إليها من خلال ثقافتهم المتماسكة المتكاملة !!» .

ولعل الشيخ محمود شاكر هنا يلخص ـ رغم غلو نظرية السلفية ـ جانبا من الأزمة التى يمر بها الفكر المصرى والعربى عموما . اذ يشير إلى اختلاف «الأطر المرجعية» و «الاحداثيات الفكرية» بين رواد التجديد والتنوير ، من ناحية ، وورواد العودة للتراث واعادة اكتشاف القديم ، من ناحية أخرى . ومن هنا فان النظر إلى ثقافة التنوير باعتبارها «ثقافة العصر» تظل مسألة خلافية وموضع صراع فكرى حاد فى مجتمعنا ، إذ أنها رغم انجازاتها الايجابية العديدة تظل وليدة ثقافة متكاملة تخضع هى الأخرى لنسبية الزمان والمكان . اذ أن مجهودات «فلاسفة التنوير» فى أوربا كانت تهدف لتمهيد الطريق أمام مفاهيم ومقولات تحليلية جديدة لتحل محل «الغيبيات» و «الحدس» ولتطرح مزاوجة جديدة بين «الزمان»

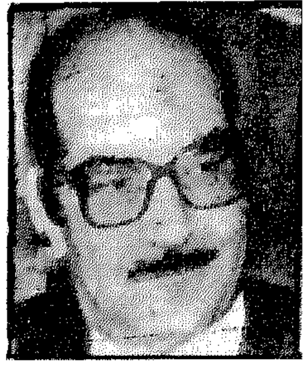




ديدرو



خالد محمد خالد



محمد عابد الجابرى



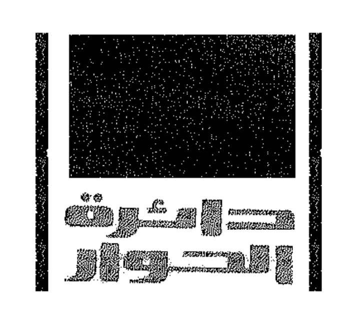
الشيخ محمود شاكر

و «المكان» . فكل شىء أصبح قابلا للقياس وللتعبير الكمى أو الرمزى والاختبار المعملى تحت تأثير ديكارت ، أوجست كونت ، فرانسيس بيكون وهكذا أصبح هناك «ميزان جديد» وأطر مرجعية جديدة تقاس عليها وفى إطارها الأشياء .

بيد أن تلك الحركة التجديدية والتنويرية التى بدأت فى أوربا فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر فى مجالات الفنون والعلوم والآداب ، ووصلت إلى أوجها فى القرن الثامن عشر ، لم تكن منقطعة الصلة بالماضى .. بل حاولت احياء التراث الأفريق ـ الرومانى فى جوانبه الايجابية ، ومن هنا كان مصطلح Renaissance فى الغرب والذى يعنى لغويا «الميلاد الجديد» ولعل كلمة «البعث» أو «الانبعاث ـ التى سادت فى الكتابات القومية وخاصة لدى مفكرى حزب البعث العربى فى الخمسينات ـ هى أقرب ما يكون لهذا المفهوم ، ولكنه ظل مفهوما غامضا ، اذ لم يتحدد ما الذى ينشده العرب : هل هو مجرد «بعث للماضى التليد» ؟ أم تخليق شىء جديد وبأى مواصفات .

● خط «التنوير» وشبهة «التغريب»

أن «خط التنوير» فى الفكر المصرى الحديث ـ الذى يستلهم كتابات وفلاسفة التنوير فى انجلترا وفرنسا ـ قد بدأ بلا شك مع رفاعة رافع الطهطاوى فى «تلخيص الابريز فى تاريخ باريز» ، وبرز فيما بعد فى كتابات احمد لطفى السيد ، فتحى زغلول ، طه حسين ، وسلامة موسى



ولويس عوض ، وزكى نجيب محمود (كأهم رموزه وأعلامه) ، ولعل كتابات أحمد لطفى السيد ، وفتحى زغلول ، وطه حسين تحمل تأثرا وانبهارا واضحا بكتابات «فلاسفة التنوير فى فرنسا» ، وخاصة مونتسكيو ، جان جاك روسو ، ديدرو ، ديكارت ، أوجست كونت واخرين .

ولكن صياغة سلامة موسى للقضية فى مؤلفه الهام : ما هى النهضة ؟ ، من أوضح الصياغات القاطعة بهذا الشأن ، اذ يقول :

«لا استطيع أن اتصور نهضة عصرية لأمة شرقية ، ما لم تقم على المبادىء الأوربية للحرية والمساواة والدستور ومع النطرة العلمية للكون» .

بيد أن تلك الصياغة على وضوحها وجراتها ، تشير الى أن هناك خيطا رفيعا يفصل بين «التنوير الأوربى» ـ باعتباره الاطار المرجعى «الجديد» و «الوحيد» لكل من يسعى للنهوض والتقدم ـ وبين شبهة «التغريب.٣،٦قسغقفلاقفشغخة ، أى شبهة الوقوع فى براثن «الاتباعية الفكرية» لمنجزات الحضارة الغربية وصراعاتها الفكرية باعتبارها المصدر الوحيد لقيم النهضة والتمدين والرقـ ٣،٦،أق شـةمـع خـةخمخسخـةل ـ قحلاقسس .

وتلك بلا شك شبهة لازمت خط «التنوير» فى الفكر المصرى منذ بداياته فى الثلاثينات من القرن التاسع عشر ، اذ لم يكن واضحا فى كل الأحوال فى ثنايا تلك الكتابات ، كيف أن تبلور «فكر التنوير الأوربى» هو مشروط بدرجة معينة من التطور التاريخى والاجتماعى فى تلك المجتمعات التى أفرزته . وأن محاولات الترويج لتشغيل «نموذج التنوير الأوربى» فى الواقع المصرى منذ أوائل القرن العشرين (على النحو الذى نشهده فى كتابات احمد فتحى زغلول وأحمد لطفى السيد على سبيل المثال) يصطدم بالعديد من العقبات المادية والحقائق الاجتماعية والثقافية . ومن هنا جاءت أزمة «الفكر الليبرالى» فى مصر عبر مسيرته من ثورة ١٩١٩ حتى ثورة يوليو ١٩٥٢ .

كذلك جاء ما يمكن تسميته «بالفكر التقنوى» الذى يدعو للحداثة فى قوالب فنية مجردة ليصب جل اهتمامه فى كيفية سد «الفجوة التقانية» التى تفصل حاضر العرب عن حاضر الغرب ومستقبله . وهنا أيضا يظل «الغرب» ـ وفقا لهذه الرؤية ـ هو الاطار المرجعى الذى يقاس عليه فى مجال التقدم الفنى ، بغض النظر عن الظروف الاجتماعية والسياسية والفكرية التى مهدت لتلك القفزة فى التقنية .

ولعل البدايات الأولى للخطاب «التقانى والتحديثى» فى مصر المعاصرة يمكن ارجاعها لعلى باشا مبارك ، ثم نجد له أصداء واضحة فى كتابات اسماعيل صدقى ، وحافظ عفيفى .. قبل أن يتبلور فى فكر «جماعة الرواد» ، قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ مع إهمال شبه متعمد للمسألة الديمقراطية والمسألة الاجتماعية .

ويوضح صبحى وحيدة فى مؤلفه الهام فى أصول المسألة المصرية (١٩٥٠) قضية اغتراب تيار الفكر الاصلاحى التكنوقراطى عن الواقع المصرى ، بقوله : «والعلة فى هذه الطريقة التى يجرى عليها

الاصلاح لدينا هى ... أن الذين يشرعون يقلدون الغرب بدلا من أن يدرسوا الحقائق الواقعة ، ويخلطون بين الأوضاع الاجتماعية والقوانين التى تنظمها ، فينقلون هذه وهم يظنون أنهم ينقلون تلك » .

□ أزمة «القطع » و «الوصل » فى الفكر المصرى المعاصر . لعل الأزمة التى مر بها الفكر المصرى منذ الربع الأخير للقرن التاسع عشر ، تكمن فى افتقاد العلاقة الجدلية بين «الفكر » و «الواقع » . فهناك أزمة حول مع أى «تراث » يجب أن نقطع ، ومع أى فكر «تنويرى » أو «نهضوى » يجب أن نصل ؟ ولعل افتقاد الميزان الصحيح فى العلاقة بين الفكر والواقع هو الذى أدى الى الغلو فى «السلفية » ، من ناحية ، والغلو فى «الجديد » الوافد ، من ناحية أخرى . وفى تقديرى ، أننا شهدنا على الساحة الفكرية نوعين من القفز فوق الواقع منذ بدايات هذا القرن : النوع الأول هو الهروب الى الخلف فى شكل محاولة لاعادة انتاج ماض لم يبق ماثلا فى الواقع المعاش .. بل يعيش فقط فى ثنايا «العقل السلفى » ، والنوع الثانى هو الهروب الى الامام من خلال مقولات الفكر «الليبرالى » و «الماركسى » فى صياغاتها الغربية «المحضة » وبدون تمحيص كاف ـ مما يجعلها «فكرا طليعيا » يسبق عصره ... وقلما يجد جذورا يستند اليها فى تربة الواقع .

وفى الحالتين ، يرى الجابرى ـ وهو محق فى ذلك ـ أن أزمة الفكر العربى المعاصر تكمن فى التفكير «خارج الواقع » ، أى من خلال «نموذج جاهز »



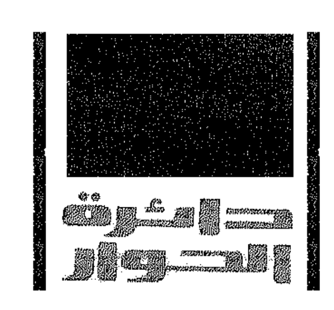


سعد زغلول   عبدالله النديم

جاهز (٧) ونضيف وفقا لنظام «تسليم المفتاح » .

ويرى صبحى وحيدة أن هذا الفكر «التنويرى » الذى يهب من الغرب قد يكون عنصرا هاما فى النهضة المحلية ، لكنه يبقى فى نفس الوقت «شيئا يغرض على عامة المجتمع ولا يكون ثمرة تنبت من أعماقه .. ولا يصدر من قاع الحياة الاجتماعية المحلية » وهذا يؤدى بدوره الى تعميق «المسافة » أو مقدار «الخلف » بين النخبة والجماهير على حد تعبير طارق البشرى .

ولعل هذا يفسر ، من ناحية أخرى ، بعض النجاح الذى صادفته بعض التيارات الفكرية التى قامت على «التاليف » و «التركيب » بين العناصر الحية فى «التراث » ، من ناحية ، وبين بعض الأفكار «التحديثية » « والتنويرية » القادمة من الغرب ، من ناحية أخرى ، وذلك دون افراط أو تفريط . اذ كان لتلك المحاولات صدى أكبر لدى عقل ووجدان جمهرة واسعة من عناصر الطبقة الوسطى ، والبرجوازية الصغيرة فى مصر ، وهى الفئات الأعلى صوتا والأكثر جلبة فى الحياة السياسية والفكرية والمهنية . وذلك



بالمقارنة بتيار «السلفية الضيقة» الذى يطرح نفسه باعتباره «منظومة فكرية مغلقة» غير قابلة للتطوير والتطعيم فى ضوء معطيات الواقع وروح العصر، وتيارات «الليبرالية» و «الماركسية» فى صياغاتها الخالصة والجامدة.

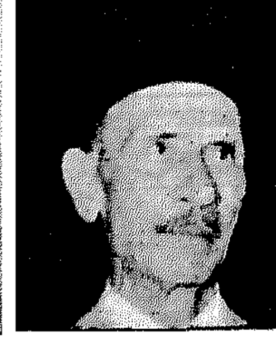
ولعل أبرز رموز وأعلام هذا التيار التاليفى والتركيبى - ولا أقول التلفيقى والتوفيقى كما قد يحلو للبعض - تيار «العروة الوثقى» بقيادة جمال الأفغانى ومحمد عبده الذى تتلمذ على يديه سعد زغلول وآخرون من قيادات مصر الفكرية والعملية، عبدالله النديم صاحب ومحرر مجلة التنكيت والتبكيت، محمد طلعت حرب مؤسس بنك مصر (راجع : مجموعة خطب طلعت حرب)، خالد محمد خالد فى كتاباته الأولى (وخاصة من هنا نبدأ)، اذ تحوى كتابات هؤلاء مكونا «تراثيا» هاما ينهل من الموروث التاريخى والثقافى للأمة (بما فى ذلك المعتقدات الدينية) وكذلك مكونا «تنويريا» و «تحديثيا» هاما يراعى درجة تطوير الواقع الاقتصادى والاجتماعى المصرى، وكذا خصوصية التكوين النفسى والوجدانى للأمة وطبقاتها وطوائفها المختلفة، (يقترب رفاعة الطهطاوى وطه حسين بدرجات متفاوتة من هذا الخط «التأليفى»).

وباعتباره أحد ممثلى هذا التيار التأليفى فى الفكر المصرى لم يكن عبدالله النديم - غافلا عن «البعد الطبقى» فى رؤيته السياسية والاجتماعية، اذ جاء فى مذكرات النديم السياسية حول أسباب نكسة وهزيمة العرابيين فى مصر : «ومن يرجو الظفر بالحرب بأناس أجسامهم فى الشرق وارواحهم فى الغرب ... ونحن (العرابيون) تحركنا والأمير مع العدو، والامراء أنفت من الدنو، والنبهاء أعضاد للاجانب، والوجهاء نائمون فى جانب». وهنا نجد ربطا واضحا بين المسألة الاجتماعية والمسألة الوطنية لدى النديم، ليس بعيدا تمام البعد عن بعض الصياغات الماركسية حول «الكومبورادور».

وهكذا تختلف «الأطر المرجعية» و «الاحداثيات الفكرية» داخل هذه الأطر المرجعية. وأحيانا قد يتطلب الأمر «تدوير تلك المحاور» و «الأطر المرجعية»، واعادة تحديد موقع «الاحداثيات الفكرية» داخلها، لكى تصبح أكثر ملاءمة لقضايا النهضة والتقدم عند كل منعطف هام فى تاريخ المصرى الحديث، منذ انعقاد المؤتمر الوطنى الأول فى هليوبوليس فى ابريل - مايو ١٩١١.

● التقلبات الفكرية «الدورية»

يجب التسليم بداءة بأن الحياة الثقافية والفكرية فى أى مجتمع تجتاحها موجات وصراعات لاتعتبر مجرد رد فعل ميكانيكى


لطفى السيد


على باشا مبارك

لما يحددث فى البنية التحتية وعلاقات الإنتاج بل ترتبط تلك «التقلبات الفكرية» بعوامل ذاتية ونفسية على المستوى الكلى والمجتمعى . ولعل تلك «التقلبات الدورية» فى الحياة الفكرية والثقافية تقترب «دون أن تناظر بالضرورة» من فكرة «التقلبات الدورية الاقتصادية» حيث تتابع فترات «الكساد والركود» وفترات «الازدهار والانتعاش» .

ولعل تلك التقلبات الفكرية التى ترتبط بشدة بما يمكن تسميته بالمزاج النفسى للأمة هى التى تفسر سقوط «جمهورية فيمار» وصعود النازية فى المانيا ، وكذلك صعود «الفاشية» فى إيطاليا ، وصعود «التاتشرية» مؤخرا فى انجلترا . وهذا يجافى بلا شك النظرة الخطية لفكر المستمر لخط التقدم والتنوير فى ضوء مايحدث من تطور لقوى الإنتاج ودرجة تقدم الفنون الإنتاجية . وتلقى كتابات «أنتونيو جرامشى» و «وولهام رايخ» بعض الضوء على بعض أسباب الانتكاس لمسيرة التقدم على صعيد الفكر والسياسة ، فى إيطاليا والمانيا خلال العشرينات والثلاثينات .

ولعل ما يحدث فى المجتمع المصرى من تراجع «للعقلانية» وما يسمى «خط التنوير» ، وتصاعد منتظم للفكر السلفى منذ عام ١٩٦٧ وحتى الآن ، انما هو نتاج لذلك المزيج الفريد من العوامل الاقتصادية والنفسية والمزاجية للأمة . وقد شهدنا ارهاصات مماثلة لذلك ـ وان كانت على نطاق أضيق ـ خلال حقبة الثلاثينات فى مصر كرد فعل للأزمة الاقتصادية الحادة التى اجتاحت المجتمع منذ عام ١٩٢٩ ولحالة الاحباط السياسى التى سادت قطاعات هامة من الطبقة المتوسطة والشباب نتيجة سلوكيات الوفد وقيادات ثورة ١٩١٩ بعد فترة محمومة من الصعود الفكرى خلال العشرينات . وقد اقترب بعض كتابنا من نظرية «الدورة الثقافية» هذه ، إذ نجد غالى شكرى يقترب من هذه الفكرة فى مؤلفه «النهضة والسقوط فى الفكر المصرى الحديث» ، حيث ارتفعت فى تقديره ظاهرتا النهضة والسقوط الى مرتبة «القانون الاجتماعى»

● «الاظلام» الفكرى وصعود «الثقافة البترولية»

يتساءل محمد عابد الجابرى (الخطاب العربى المعاصر ، ص ٣٣) حول ما الذى يبرر الردة الفكرية التى حدثت بعد هزيمة حرب ١٩٦٧ ، «فظروف العرب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ظلت كما هى قبل الهزيمة وبعدها . و «تلك الردة على صعيد الفكر مع بقاء الواقع المادى ثابتا ، يطرح جوهر العلاقة بين الفكر والواقع .

وهذا القول غير صحيح على اطلاقه ، لأن الواقع المادى لم يبق ثابتا خلال الفترة الممتدة منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ حتى


طه حسين   زكى نجيب محمود



وقتنا الحاضر ، اذ حدثت تحولات طبقية ومادية هامة أثرت على المواقع الطبقية وعلى الأوزان النسبية للشرائح الاجتماعية المختلفة داخل كل طبقة ، تحت تأثير الهجرة والمال النفطى والانفتاح ، ومن هنا كانت ملاحظة الجابرى المتعسفة بعض الشيء بأن : مقولات الخطاب العربى الحديث والمعاصر يعبر عن حالة نكستية وليس عن حقائق موضوعية . وبالتالى فهو «خطاب وجدان» وليس «خطاب عقل» .

ولعل أهم تأثيرات عمليات هجرة العمالة ، على اختلاف مستويات مهاراتها ، إلى البلدان النفطية ، تمثلت فى بروز وصعود ما أسماه د . حسن الساعاتى الفئات المرسملة فى المجتمعات العربية المرسلة للعمالة ، وعلى راسها مصر . ويعرف د . الساعاتى الطبقة المتوسطة ، مكنتها مهاراتها وفرص الهجرة للبلدان النفطية فى تحقيق مكاسب اقتصادية ومالية ، جعلتها تنتمى إلى ما يسميه شريحة «الالفونيرات» ، «أى الذين يملك الواحد منهم آلافا من الجنيهات أو الدنانير أو الريالات والدولارات وغيرها من العملات الحرة الاخرى ، التى يستثمرونها بشتى الطرق وبخاصة كودائع فى المصارف العربية والأجنبية والوطنية .

وقد تكونت هذه الفئات أول ما تكونت من المهنيين (الأطباء ، المهندسين ، المحاسبين ، المعلمين ، أساتذة الجامعات) ، الذين عملوا فى البلدان العربية النفطية خلال الخمسينات والستينات . ولكن ما أن الغيت قيود السفر والاقامة فى الخارج ، حتى انضمت إلى قوافل المهاجرين فئات جديدة من العمال المهرة ونصف المهرة والفلاحين المعدمين وذوى الحيازات القزمية .. وحتى من صفوف الفئات «البروليتارية الرثة» (كالبوابين ، وخدم المنازل ، والسعاة ، إلخ) . وقد قام العديد من هؤلاء لدى عودتهم بتوظيف «الفوائض الادخارية» التى تم تكوينها أثناء عملية الهجرة ، فى شراء قطع صغيرة من الأراضى الزراعية واراضى البناء ، وامتلاك سيارات النقل ، وآلات الحرث والرى والجرارات والجرافات ، فضلا عن الايداع فى المصارف ، ونضيف من عندنا «شركات توظيف الأموال» التى استقطبت جانبا مهما من مدخرات صغار ومتوسطى المدخرين ، معظمهم من فئة «الالفونيرات» .

ونظرا لان هذه الفئات لاتمتلك رءوس كبيرة ولا تحوز أصولا إنتاجية على نطق واسع ، فيكون من الأصوب ـ فى تقدير د . حسن الساعاتى ـ تسميتها «بالفئات المرسملة» تمييزا لها عن الفئات


جان جاك روسو


ديكارت

الرأسمالية التى تمتلك رءوس أموال كبيرة وتدير استثمارات واسعة النطاق .

والشيء المؤكد أن هذه «الفئات المرسملة» الجديدة أخذت فى التكاثر والتوسع فى مراتبها خلال حقبة السبعينات فى عدد من المجتمعات العربية المرسلة للعمالة على نطاق كبير : مصر ، اليمن العربية ، الأردن ، السودان ، فنجد أن بعض الموظفين الحكوميين من الفئات الإدارية والكتابية يقوم لدى عودته فى تشغيل وتوظيف مدخراته فى مشروعات تجارية أو خدمية صغيرة الحجم كما يتحول بعض الحرفيين السابقين إلى «مقاولين صغار» يعملون لحسابهم الخاص ... بينما يتعيش قسم كبير من المهنيين الشقق المفروشة» و «الودائع المصرفية» وشهادات الاستثمار وشهادات الايداع بأنواعها وبالتالى نمت وتغلغلت العقلية الريعية القائمة على الكسب السريع والانفصام «الجد» والعائد» .

فلا عجب إذن ، أن تؤدى هذه التطورات الى بروز «الفئات المرسملة» بشكل واسع فى صفوفه فئات الطبقة الوسطى وعناصر البرجوازية الصغيرة .. بل الفئات العمالية . وقد نتج عن ذلك تداعيات مهمة فى أوضاع البنية الاجتماعية والطبقية فى تلك البلدان ، اذ ازدادت سبل الجمع بين مصادر الدخل المختلفة (داخل الملكية وداخل العمل) . وكذلك ارتفع عدد الإجراء الذين يتحولون يوميا إلى ملاك ومستثمرين صغار أو حائزين لأصول مالية (ودائع ، أوراق مالية) دون أن يتخلوا تماما عن وظائفهم وأعمالهم الاجرية الأصلية . وكان لذلك بلا شك انعكاسات هامة على جبهة الثقافة والفكر .

أن السلوك المحموم الذى يأخذ شكل السعى للحصول على الريع بأى ثمن ومن أى مصدر ، من قبل غالبية المواطنين فى المجتمعات الريعية النفطية ، إنما يؤثر على نظرة الأفراد لآليات وأسلوب أداء النظام الاقتصادى ككل . ولقد سبق أن ذكرت الأستاذة أن كروجر : أنه إذا اعتبرنا توزيع الدخل فى مجتمع ماهو نتاج لعبة الحظ والمصادفة حيث ينقسم السكان إلى أفراد ناجحين أو محظوظين يحصلون على أقصى قدر من الريع النفطى ، وآخرين فاشلين لم يحالفهم الحظ أو المهارة للحصول على الريع بأشكاله المختلفة . فى مثل هذا النوع من المجتمعات ، فان آلية السوق تغدو ضربا من الوهم .

وبايجاز ، فان المحصلة النهائية لهذه العملية هى أن عقلية اللهث وراء الريع ، أيا كانت صورته ، تصبح عقلية سائدة وحاكمة لمجمل النشاط والسلوك الاقتصادى فى تلك المجتمعات ، بما لذلك من انعكاسات على تراجع «الفكر العقلانى» وصعود قيم «الشطارة» والاحتيال و «النهب» ، وفقا لشعار : «دعه ينهب» .. « دعه يمر» !

وهكذا تبلورت منذ منتصف السبعينات معادلة اقتصادية ـ اجتماعية ـ فكرية جديدة ، مضمونها كالآتى :

الهجرة + البترول + دولارات + الانفتاح = الريعية + السلفية + السطحية

وهكذا تم الترويج ـ فى ظل تلك الأرضية الاقتصادية والاجتماعية الجديدة..



- لصنوف من الفكر السلفى الضيق ، الذى تبدو بجوارها كتاب الشيخ رشيد رضا محرر المنار وكأنها كتابات موغلة فى التقدم . وتقوم هذه الكتابات على «تغييب الوعى» ونفى العقلانية . ومن ناحية أخرى ، صعدت فى الحياة الثقافية والفنية ألوان من الأعمال الهابطة والمسطحة التى تعتبر نتاجا لكل ماهو فج وذرائعى فى الثقافة الأمريكية ، التى تقوم على «تزييف الوعى» وهكذا نرى «تيار السلفية المنغلقة والضيقة» الذى يتدثر برداء الدين ، يوازيه ويقابله «تيار الثقافة الفجة والتسطيح الفمرى» الذى ينهل من معين المادية الفجة والذرائعية المبتذلة . ولا غرو فى ذلك ، اذ أن كلا التيارين وجهان لعملة واحدة وافراز لآليات الحقبة النفطية الانفتاحية .

وهكذا تتلخص أبعاد «الثقافة البترولية » - الطافية على السطح الآن - فى ثلاثة عناصر :

(أ) التسطيح الفكرى ، أى خواء الفكر وضعف العمق المعرفى .

(ب) تغليب «النظرة الغيبية » ، وتجريم اعمال العقل والذهن عموما فى قضايا المجتمع والحياة .

(جـ) «الاظلام والتعتيم الفكرى » فى مقابل «التنوير » .

ولعل من سمات تعمق الأزمة لأننا نشهد ردة واضحة فى «الفكر السلفى » ذاته ، اذ نجده يزداد انغلاقا وتزمتا عن أى وقت مضى فى تاريخ الفكر المصرى ، ويكفى أن نقارن كتابات الشيخ محمد رشيد رضا محرر مجلة المنار ، تلك المجلة المنفتحة التى كانت تهتم بشئون المجتمع والعمران فى بداية هذا القرن ، بآخر الاجتهادات التى تحفل بها الموجة الجديدة من كتابات «السلفيين المحدثين » بدءا من معالم فى الطريقة لسيد قطب فى منتصف الستينات) وانتهاء بكتابات الشيخ عمر عبدالرحمن فى الثمانينات .. فلم تعد الأزمة أزمة الفكر المصرى عموما .. بل أزمة الفكر السلفى ذاته . والتى هى ليست بدورها بعيدة عن الأزمة الاقتصادية والاجتماعية التى يمر بها المجتمع المصرى فى الآونة الراهنة .

ولا نملك فى ظل الحالة الراهنة من الاستقطاب والانشطار الفكرى الحاد ، سوى البحث عن المعادلة الصحيحة التى تقيم أواثق الروابط مع التراث ، على أساس من الاستنارة وبعيدا عن الانغلاق والتشنج ، فى الوقت الذى تنفتح فيه على أفكار وتجارب الحضارات والشعوب الأخرى ، بعيدا عن شبهة النقل والاتباع . فلابد اذا من نظرة مستقبلية تستلهم التراث وتستقطره ... ولا تعيش أسيرة الماضى وقوالبه الجامدة ، لأن النهضة لن تتحقق سوى من خلال حل خلاق للعلاقة الجدلية بين ثلاثية : الماضى والحاضر والمستقبل ، دون اختزال واحد منها للآخر .

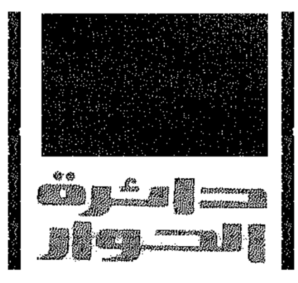


متغيرات العالم الجديد

بقلم : د. أحمد عبد الله

ما ان تتفاعل التطورات فى البيئة الدولية بصورة مجسمة وصوت مسموع حتى يقفز بعض المراقبين الى النتائج قفزا . يفعلون ذلك احيانا فى تبسط شديد يذبح فى الطريق ضحيتين . حيث يتم اولا التضحية بالتقويم الموضوعى لعملية التراكم والاختمار التى ادت الى مانشهده من تفاعلات وتطورات ، ويتم ثانيا التضحية بحق الزمان فى ان ياخذ مجراه ليحدد فى الوقت المناسب الصورة التى ستستقر عليها مستقبلا نتائج هذه التفاعلات والتطورات . صحيح ان هاجس المستقبل إنما يفرض نفسه على الناس المتوجسين مما سياتى به . وهو مايفترض عدم اضاعة الوقت فى الوقوف امام الذى مضى . كما يفترض رسما سريعا لاسكتشات او سيناريوهات المستقبل لتحديد موضع القدم قبل الخطو . لكنه فى مثل هذا الجو ما ابسط ان يتحول تلخيص التجربة التاريخية الى مسخ غير مقروء على الورق . وما ابسط ان تتحول رؤية المستقبل الى اوهام واضغاث احلام ولنضرب مثلا لكل من الحالتين لتوضيح المقصود .

خذ مثلا ما آلت اليه التجربة التاريخية للنظام الاشتراكى على اتساع العالم وبخاصة فى مركزه السوفييتى والشرق اوربى . الحديث يدور فى بساطة حول الاندحار النهائى للاشتراكية وهزيمتها كنظام سياسى واقتصادى واجتماعى . ولا غرابة فى ان يكون هذا هو لسان حال او لسان مقال كل من افزعتهم فكرة الاشتراكية ، سواء من منافسيها الراسمالية فى السوق ام من كارهيها الجالسين على مقاعد السلطة والذين افزعهم ارتباط فكرتى الثورة والاشتراكية ، لكن التبسط فى الحديث عن هزيمة الاشتراكية يصبح عيبا منهجيا لدى المراقبين والمدققين والمحللين الموضوعيين . فالذى نشهده اليوم هو



هـزيمة الجـانب القمعى فى النظام الاشتراكى لا هزيمة الفكرة الاشتراكية ، والاتجاه نحو الديمقراطية فى الكثير من دول العالم الثالث غير الاشتراكية يعنى أننا نشهد هزيمة الجانب القمعى فى مختلف النظم اشتراكية كانت ام غير اشتراكية . انه الاتجاه العام نحو الحرية السياسية سواء فى ظل الراسمالية أو فى ظل الاشتراكية . واللبرالية السياسية كتعبير عن هذه الحرية لم تعد نظاما فى حد ذاتها ، وانما صارت اداة تنظيمية لمختلف النظم السياسية بمعنى انه ايا كان النظام الاقتصادى والاجتماعى فى اى بلد فلابد ان يكون فى هذا البلد من الناحية السياسية انتخابات حقيقية وبرلمان تمثيلى واحزاب متعددة ونقابات مستقلة واحترام لحقوق الانسان عموما . وافتراض ان هذا لايتوافر الا فى ظل الرأسمالية هو افتراض خاطىء وظالم فى نفس الوقت ، لان اغلب دول العالم الثالث هى بالفعل رأسمالية لكن لايتوافر فيها ذلك ومازالت شعوبها تكافح لكى تحصل عليه كذلك فان هناك انظمة اشتراكية تتوافر فيها المؤسسات الديمقراطية مثل دول اسكندينافيا (السويد - النرويج - الدنمارك - فنلندا) التى غالبا ماتحكمها الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية فالاشتراكية الماركسية ليست هى الصورة الوحيدة للاشتراكية والارجح ان تستمر الاشتراكية الديمقراطية اقوى صورة للنظام الاشتراكى والفكرة الاشتراكية فى المستقبل والسبب فى ذلك ببساطة هو ان الفكرة الاشتراكية انما تدور حول قيمة العدل والنظام الاشتراكى هو محاولة لتجسيد هذه القيمة فى الواقع البشرى ، هذا هو منشأ الفكرة والنظام واى فشل او انحراف لايؤدى بالضرورة لفك الارتباط بين الفكرة والقيمة . وحيث ان البحث عن العدل يمثل قيمة ابدية فى حياة الانسان فاستمرار الفكرة الاشتراكية يكون مرجحا ، مع اطراد التعديلات التى يفرضها تطور الاحوال ، كما ان استمرار الاشتراكية كنظام يكون ايضا مرجحا مع شدة ارتباطها بالديمقراطية كفكرة اخرى تدور حول قيمة الحرية وهى بدورها قيمة ابدية فى حياة الانسان ، ان صياغة المعادلة الصعبة للعدل ، والحرية تظل موضع التحدى الرئيسى لكافة الافكار والنظم فى المستقبل ، سواء الاشتراكية أم الراسمالية أم تلك التى تتخذ لنفسها اسماء اخرى . ولا محل للجزم بالإنتصار الحاسم لأى فكرة على اتساع العالم كله وفى الزمان القادم كله ، الا اذا افترضنا انتهاء التطور او نهاية التاريخ على نحو ما يذهب نفر من المفكرين اللبراليين الذين تعنيهم قيمة الحرية فقط دون قيمة العدل .

● حصاد الهشيم

ومن المهم ان تضيف الى ذلك القول بأن تداعى النظم الاشتراكية فى اوربا الشرقية لا يسوغ الحكم على نتاج التجربة التاريخية للاشتراكية بأنه كان حصاد الهشيم . فهناك بداهة ان الاتحاد السوفييتى فى ظل الاشتراكية قد اصبح




انهيار سور برلين

جورباتشوف

القوة العظمى الثانية في العالم ، وانه بصفته تلك قد أثر تأثيرا كبيرا فى التطورات التى شهدها المكان والزمان فى كُرتنا وفى قرننا ، فخارج اوربا الشرقية التى دعم السوفييت انظمتها القمعية كان دعمهم لحركات التحرر الوطنى التى حققت الاستقلال لمعظم دول العالم الثالث ، كما كان دعمهم لتجارب التنمية الوطنية التى اعادت توزيع الثروة وصياغة المجتمعات فى هذه الدول ، واى حديث عن امور مثل منجزات العمال والفلاحين أو التعليم المجانى او تقريب الفوارق الطبقية لابد وان يشمل تقديرا للدور السوفييتى فى دعم هذه التطورات . هذا بغض النظر عن مساعدة السوفييت للاطراف المتضررة فى الحروب الوطنية مثل الطرف العربى والفلسطينى فى الصراع مع اسرائيل والصهيونية : الا ان الاهم من هذا كله هو ان وجود الاشتراكية كفكر ونظام قد مثل تحديا كبيرا للرأسمالية لم ينعكس فقط فى استعداداتها العسكرية لمواجهة العالم الاشتراكى فى ميدان القتال العينى ، وانما انعكس اكثر فى استعداداتها لمواجهته فى ميدان القتال الاجتماعى فوجود الاشتراكية قد فرض على الرأسمالية اصلاح نفسها فكان تنبهها لاهمية قيمة العدل الاجتماعى وليس فقط حرية السوق الاقتصادية . ومن هنا كانت اجراءات اعادة توزيع الثروة ومشروعات الضمان الاجتماعى التى جعلت الاستغلال الرأسمالى اقل قسوة وبالتالى الاحتياج للاشتراكية اقل حدة ، واذا كان هذا الجانب وحده هو فقط ماحققته الاشتراكية خلال القرن العشرين فانه يعد فى حد ذاته واحدا من اعظم الانجازات البشرية التى تحسب للاشتراكية على مابها من عيوب كما تحسب للاشتراكيين على مابهم من مثالب .

اما المثال الثانى لاضطراب واقتضاب الحكم على الماضى والمستقبل ونحن

بازاء التطورات العالمية السريعة فهو ذلك الخاص بالحديث عن عالم القرن القادم باعتباره عالم الانفراج وتوازن المصالح والتهدئة فى العلاقات بين القوى التى كانت متصارعة وبخاصة القوتان العظميان

صحيح أن هناك استخداما واسعا لهذه المصطلحات . وصحيح ايضا ان تداعى الانظمة الاشتراكية فى اوربا الشرقية وسقوط سور برلين لم يثر لدى الدوائر الامريكية والاوربية الغربية مقدار شماتة الروح وفجاجة اللغة اللتين علقت بهما على هذه الاحداث بعض دوائر ابناء الهامش فى عالمنا الثالث . وصحيح ان الغرب فى مجمله يبدو راغبا فى نجاح تجربة البيرسترويكا السوفييتية ويفزع من اى خبر عن استقالة او اقالة الزعيم السوفييتى جورباتشوف . لكن الاصح من كل هذا هو ان عالم القرن القادم ليس هو عالم التهدئة وانما هو عالم المنافسة الحادة بل والمميتة . وهى منافسة ستشمل كل المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والعلمية والفنية .. إلخ ، ولأنها ستكون منافسة حادة فى كل هذه المجالات كان من الضرورى ضبط المنافسة مقدما فى المجال العسكرى .. والا تحول الامر الى مذبحة حين يشعر احد الاطراف بالهزيمة فى مجال فيستخدم القوة العسكرية لاستعادة مركزه او يضغط على الزر النووى ليدمر الاخرين وهو معهم على طريقة « علىّ وعلى أعدائى »

● اليابان .. العدو !

ونماذج حدة المنافسة معلومة . فعلى

اجتماع السوق الاوربية المشتركة تمهيدا للاعلان سنة ١٩٩٢



مستوى منافسات دول المركز هناك احتداد المنافسة بين اليابان وكل من القوتين العظميين . حتى ان بعض استطلاعات الرأى للمواطنين الامريكيين بدأت تبين انهم يرون اليابان كعدو اول . وكذلك لابد من اعتبار ان احد الضغوط الدافعة لعملية اعادة البناء فى الاتحاد السوفييتى هو خوف السوفييت من التنازل عن موقع القوة العظمى الثانية لليابان وعلى مستوى المنافسة الاقتصادية لنتخيل الحالة العصبية للشركات الاقتصادية وهى تتنافس على سوق نطاقه العالم كله . ولنتخيل كذلك شكل المنافسة العلمية مع التجدد السريع فى اجيال الكومبيوتر وغيره من المخترعات ولنتخيل شكل ومقدار المنافسة فى مجال الفنون والمعلومات فى وقت ستغطى العالم فيه شبكة تليفزيونية واحدة حين يصبح العالم قرية واحدة بالحقيقة لا بالمجاز ، زد على ذلك انه لاسبيل للقضاء على الصراعات الاقليمية الممتدة اصلا فى كل من العالم خصوصا فى هامش العالم الثالث ، وان كان هناك احتمال لتأثر شكل تسوية بعض هذه الصراعات بما تفرضه عليها دول المركز بالاضافة للتحول نحو الاشكال غير العسكرية للصراعات مع بقائها معتدة فى هذه الاشكال ، ولنتخيل حالة المنافسة التى ستواجهها دول مثل الصين ويجانبها القوة المتنامية لجارها العملاق اليابانى ، ومثل العالم العربى بازاء توحد الكتلة الاوربية المقابلة . خصوصا وان الحديث لا يجب أن ينصب فقط على اوربا الغربية بمشروع وحدتها عام ١٩٩٢ وانما على اوربا كلها غربا وشرقا بسوقها الاقتصادية الموحدة التى سيطرد نموها بعد تغير الانظمة السياسية فى شرق اوربا وان استلزم ذلك مدى زمنيا اطول لا يعفى العالم العربى من التهيؤ له من الان .

ان عالم القرن القادم هو عالم للاقوياء الذين يتنافسون دون ان يتقاتلوا . لكن قدرتهم على قتل الضعفاء لن تقل بل ستزيد وبهذا المعنى سيكونون رحماء فيما بينهم برغم كل منافساتهم ، كما سيكونون اشداء على الضعفاء برغم توسلاتهم ، وكلما ارتفع مستوى المنافسة داخل المركز كلما سقط احد اطراف الهامش الى هامش الهامش ، حقا ان عالم القرن القادم لن يكون منعدم الاخلاق تماما ، لكن قيمه الاخلاقية ستطبق فقط على المحسوبين ضمن الاحياء فيه ، اما اشباه الاموات فلن يتحمل احد تكلفة اعادتهم الى الحياة العفية ، اذ سيكون من الاجدى وقتئذ تركهم يموتون او التطوع برصاصة اخيرة تريحهم من الحياة ، ولمواجهة هذا الوضع الصعب لابد من استعدادات وتغييرات فى هياكل المجتمعات وفى اساليب حكمها وفى اطقم حاكميه . لقد بدأ بالفعل العد التنازلى لسباق الصعود الى عالم الاحياء او الهبوط الى هاوية الانتحار .. حسبما يكون الاختيار !



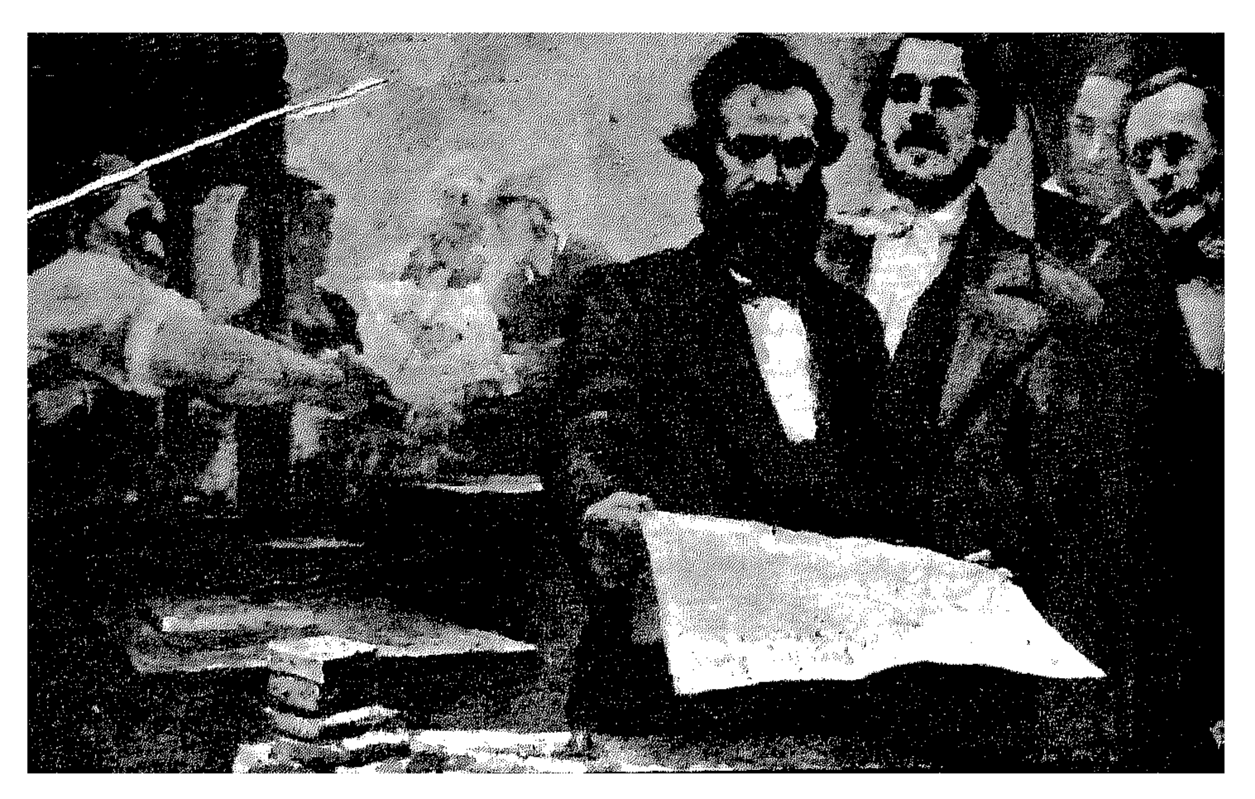
ردا على « نظام » الدكتور غالى شكرى :

البريسترويكا .. سبقناها ولم ننتحلها !

بقلم : عبد الرحمن شاكر

كنت خليقا بأن اسعد وان استمتع ، بمقال الدكتور غالى شكرى - وهو زميل وصديق قديم - فى العدد الماضى من « الهلال » لما فيه من دفاع مجيد عن الاشتراكية ، والفكر الاشتراكى ، فى مواجهة سيل الكلام من المعقبين من مختلف الاتجاهات على التحولات الأخيرة فى الكتلة الاشتراكية وخاصة اولئك الذين وجدوها فرصة للتهليل لما يعتبرونه سقوطا للاشتراكية . ونصرا مؤزرا للراسمالية رغم ماضيها الاسود ، وجرائمها التى تفوق كثيرا المظالم التى استدعت التطورات الأخيرة فى الكتلة الاشتراكية ، وخاصة إزاءنا نحن شعوب العالم الثالث ، التى عانت ولاتزال تعانى من جرائم الأمبريالية ، وليدة تلك الرأسمالية فى بلاد الغرب المتقدم ، واتفق مع الدكتور غالى فى معظم ما ذهب اليه ، وإن كنت لا اقره على المدخل المعقد الذى لجأ اليه ، متقمصا دور رجل المرور الفكرى ، لايدرى لمن يسمح بالكلام أو لا يسمح ؟

يكون « ديمقراطيا » مع من اولا يكون .. ! وفى غمرة حماسته لهذا الدور الجديد عليه بالتاكيد اختار ان « يلطشنا » بعصا مروره ، ويشير علينا بدورنا ان نسكت ، أو بالأحرى ، نخرس ! سامحك الله ياغالى ! ..

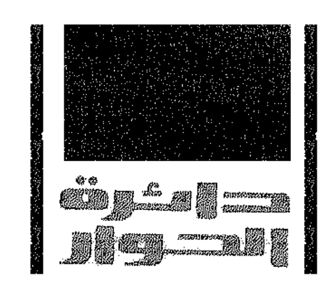


ماركس . وانجلر .. حل المنظمات الماركسية السرية ..

● وبيان ذلك انه قرب نهاية مقاله ، ادرج ضمن من لايحق لهم الكلام الآن فقرة عمن يصفهم بقوله :

« البريسترويكيون فى كل العصور » هم الذين برروا ونظروا لكل حاكم وكل وسائل الحكم . وبين هؤلاء بعض الماركسيين الذين يتصورون أنهم كانوا من انصار البريسترويكا قبل ربع قرن حين حلوا تنظيماتهم الحزبية بينما كانوا فى واقع الأمر من انصار الحزب الواحد والقائد الواحد حين اعترفوا عمليا بالاتحاد الاشتراكى تنظيما سياسيا وحيدا وقبلوا أن يدخلوه كأفراد وكرسوا بذلك غياب الديمقراطية » .. وواضح أن الدكتور غالى يقصد العبد الفقير ، كاتب هذه السطور ، بهذه الفقرة فأنا الذى كتبت فى « الهلال » (عدد سبتمبر ١٩٨٩) ردا على الدكتور فؤاد زكريا ، الذى كان يتهم اليسار المصرى بالجمود والتخلف الفكرى ، مبينا أن هذا اليسار سبق اليسار العالمى الى كل ما جاءت وتجىء به بريسترويكا جورباتشوف الآن . وذكرت فى هذا الرد اسم كتاب لى صدر عام ١٩٦١ ، بعنوان « الثورة الاشتراكية العالمية » ، ثم اعدت ذكر الكتاب فى جريدة « الأهالى » بتاريخ ١٩٨٩/١١/٢٩ ، فى صدر الرد على كثير من كتاب اليمين الذى رددوا المقولة ذاتها فى تعليقاتهم على البريسترويكا وتحليلهم لها ، حيث دأبوا على انهاء تلك التعليقات بالزراية على اليسار المصرى ، واتهامه بالتخلف عن اليسار العالمى ، ومن بين ما ذكرته فى هذين المقالين . أننى اتحمل مسئولية خاصة فى الكتابة المذكور ، عن حل المنظمات الماركسية فى عهد عبد الناصر ، حيث دعوت الى ذلك فى طيات الكتاب عام ١٩٦١ ، وتحققت تلك الدعوة عام ١٩٦٤ .

ورغم ذكر الكتاب مرتين ، فلم يحاول



الدكتور غالى وهو يكتب ما كتب ، ان يعود الى نصه ، الذى يشمل الكثير جدا الى جانب مسألة حل المنظمات الماركسية فى مصر ، مما ينطوى تحت عنوانه الشامل ، كأن كل علاقة ما كتبناه بالبريسترويكا المعاصرة ، هو مسألة الحل هذه كأننا نستند الى وصف تغيير اسماء الأحزاب الشيوعية[1] فى شرق اوربا الى احزاب اشتراكية ديمقراطية بأنه حل لتلك الأحزاب ، لنقول ـ زى العيال ـ : « هيه .. ما احنا حلينا قبل كده .. » وبس !

كلا ياسيدى .. لم يكن الأمر على هذا النحو ، ولا بهذه البساطة ،

● لم يكن لوجه الشمولية !

لم يكن قرار حل المنظمات الماركسية عام ١٩٦٤ .. مجرد انحياز الى حاكم مستبد ، او نظام شمولى يقوم على الحزب الواحد ، كما تصوره كلمات الدكتور غالى ، ولكنه كان اعترافا من جانب الماركسيين المصريين ، بأن هذا النظام قد شرع يتحول نحو الاشتراكية ، وهو الأعتراف الذى شاركت فيه دوائر القوى الاشتراكية العالمية ، بما فيها الحزب الشيوعى السوفييتى ذاته ، بعد تردد طويل ، ولو عاد الدكتور غالى الى وثائق تلك الدوائر فى ذلك الحين لوجد هذا الأعتراف كما وصفناه ، الانحياز إذن كان الى الاشتراكية وليس الاستبداد ، أو الشمولية ، تماما كما ينحاز اليها الدكتور غالى فى مقاله الأخير رغم اعترافه بالاستبداد الذى كان يسود نظمها فى دول المعسكر الاشتراكى وشرعت تتملص منه أخيرا .. المشكلة اذن كانت تكمن فى الحكم ، على ما إذا كان نظام عبد الناصر يتحول الى الاشتراكية ام لا ؟ ذلك التحول الذى اعترف به كل من اليسار المصرى واليسار العالمى كما تقدم .

إن التردد فى هذا الأعتراف ، من جانب الفريقين ، كان مصدره أن الماركسيين فى مصر لم يكونوا على رأس هذا التحول ، ولم يعلن عبد الناصر الماركسية اللينينية مذهبا رسميا للدولة ، ولا نادى بأنه يطبق نظام ديكتاتورية البروليتاريا ، ولا انه ينوى القضاء على كل اشكال الملكية الفردية لوسائل الأنتاج ، وهى مواصفات الطريق التقليدى لبناء الاشتراكية ، كما اتبع فى دول المعسكر الاشتراكى ، وانما أطلق جمال عبد الناصر على النظام كلمة صفة « تحالف قوى الشعب العاملة » التى تسمح بقيام القطاع الخاص بجزء من النشاط الاقتصادى وخاصة فى الزراعة الى جانب القطاع العام ، الذى تولى مسئولية ٧٠٪ من الانتاج الصناعى ، فضلا عن التجارة الخارجية . وجزء كبير من التجارة الداخلية ، خاصة تجارة الجملة .

بالمقارنة مع الاسلوب التقليدى الذى اتبعته الأحزاب الشيوعية فى المعسكر الاشتراكى ، كان هذا طريقا جديدا فى تطبيق الاشتراكية ، اكثر اعتدالا من الأول ، واذا كان النظام الناصرى قد كان شموليا ، مثل نظم الأحزاب الشيوعية ، فقد كان باعتداله هذا أقرب الى الديمقراطية وروح العصر من الطريق الأول ، فهو لم يحتج الى المصادمات العنيفة مع جموع الفلاحين لتطبيق نظام المزارع الجماعية ، كما حدث فى الاتحاد السوفييتى فى عهد ستالين ، وكان اساسا

لطغيان هذا الأخير ، كما ان اعتراف نظام عبد الناصر ، بدور للمثقفين ، باعتبارهم واحدة من قوى الشعب العاملة ، فى التحالف الحاكم ، تسليما بالحقيقة التى يكشف عنها الاقتصاديون المعاصرون من التغير فى التركيب الطبقى للمجتمعات الصناعية حيث تزداد اهمية العلماء والفنيين والمهندسين .. الخ ودورهم فى عملية الأنتاج ، وبالتالى نسبتهم العددية ، بالقياس الى « البروليتاريا » الصناعية التقليدية ، التى لم تكن تملك علما ولا تدريبا خاصا ، وإنما تملك « قوة عملها » فحسب ، على حد تعبير كارل ماركس .. من هذه الزاوية وحدها ، كانت صيغة تحالف قوى الشعب العاملة ، أكثر تقدما من صيغة « ديكتاتورية البيروليتاريا » الموروثة من أيام ماركس ، والتى كانت هى حجر الزاوية فى مذهب لينين ، والنقطة التى اوجد حولها الانشقاق الكبير فى الحركة الاشتراكية العالمية ، مابين الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية ، التى تطورت فى المغرب ، والأحزاب الشيوعية ، التى اتبعت مذهب لينين ، واسلوبه فى تحقيق الاشتراكية .

كانت المنظمات الماركسية المصرية ، قبل حلها تنتمى الى هذا المذهب الأخير ، مذهب لينين .. فماذا كان يريد لها الدكتور غالى شكرى أن تفعل خلاف حلها ؟ هل كان يريد ان تبقى على حالها ، لتحاول اقناع جماهير الشعب المصرى ، بأن لديها طرازا من الاشتراكية ، افضل من طراز عبد الناصر ، والأتحاد الاشتراكيه ؟ هل كان يمكن للجماهير ان تقتنع بذلك ؟ أم ان حل المنظمات الماركسية السرية اتاح لاعضائها فرصة المشاركة فى انجاز التحولات الاشتراكية الجارية فعلا ، والدفاع عنها ضد خصوم الاشتراكية عموما ، ماركسية كانت او ناصرية !

علما بأن اشتراكية عبد الناصر ، كانت أقرب للواقعية وروح العصر ، لولا هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، التى كانت وليدة مؤامرة أمريكية أمبريالية ، ليس هذا مجال شرحها ، والدليل على ذلك ، انه بعد حرب ١٩٧٣ ، أمكن للنظام المصرى ، الذى أسسه عبد الناصر ان يتحول الى التعددية الحزبية رغم قصور فيها فحاول تلافيه حاليا قبل مايحدث الآن من اقرار لها فى دول المعسكر الاشتراكى ، ويصبح لليسار المصرى فى ظلها حزب رسمى معترف به ، وأن نطبق ايضا سياسة الانفتاح الاقتصادى ، رغم عيوب قادحة فيها ، على نحو ما تحاوله الآن دول شرق اوربا ، وربما كان من صالح هذه الأخيرة ان تستفيد من تجاربنا فى هذا المضمار قبل تورطها فيما هى متجهة اليه !

بهذا وحده كانت « الناصرية » سابقة على البريسترويكا وطليعة لها ، أما بالنسبة للفكر الماركسى فى عمومه فقد كانت لذلك وجوه اخرى .

● مرحلة جديدة للماركسية

وكما ذكرت فى ردى على الدكتور فؤاد زكريا ، كانت دعوتى فى الكتاب المذكور الى عودة الشيوعية الدولية الى مبدأ الديمقراطية ، والاتحاد مع الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية على أساسها من شأنها إذا ما تحققت ان ترفع منسوب الديمقراطية فى العالم كله ، بما فى ذلك المجتمعات النامية ، مثل مصر ، التى كانت محاكاتها للنظم الاشتراكية فى شموليتها ، جزءا من محاكاتها فى تطبيق الاشتراكية ، ولو بشكل مختلف ، فضلا عن اننى فى هذا الكتاب اعتبرت أن مرحلة



الديكتاتورية الثورية فى الثورة الروسية ، التى افضت الى طغيان ستالين ، كانت ضرورية طالما كانت الثورة مهددة من الخارج بالحروب التى اشار اليها الدكتور غالى شكرى فى مقاله الاخير ، فلما وصلت الى رحلة الأمان بتحول النظام الاشتراكى الى نظام عالمى لايمكن قهره ، اصبح فى الامكان ، بل من الضرورى الاستغناء عن هذه الديكتاتورية . وما يصح على الثورة الروسية ، يصح بالضرورة على الثورة المصرية الوليدة آنذاك وخاصة بعد تحولها الى الاشتراكية .

ومع ذلك لم أتردد فى أن اكتب فى جريدة الجمهورية بتاريخ ١٩٦٤/٧/٣٠ ، بعنوان « الديمقراطية والطبقة الجديدة » محذرا من تصاعد النزعة الاستبدادية عندنا حتى لاتفضى الى نشوء طبقة جديدة ، تستأثر بثمار التطبيق الاشتراكى على نحو ما حدث فى دول المعسكر الاشتراكى ، وكانت تلك من أواخر ما كتبته لتلك الجريدة ، حيث أقصيت عنها بعد قليل !

لم نكن اذن أدعياء فى ايماننا بضرورة تحول الاشتراكيين عامة نحو الديمقراطية ولاتفضحك الآن فى البريسترويكا لنرتدى مسوحها بأثر رجعى !

بل اننى لأزعم ان الاحزاب الشيوعية ، لو كان فى مقدورها أن تستجيب لما دعوتها اليه من العودة الى الديمقراطية فى عهد خروشوف ، أى منذ ربع قرن ، لكانت اوضاعها افضل بكثير مما هو الآن ، وقتها قلت أن تلك العودة سوف تكون بمثابة هزيمة شكلية للثورة الاشتراكية العالمية يتبعها مزيد من الانتصارات .. ولكن التباطؤ فى تحقيق هذا التحول ، وخاصة بعد التدهور الاقتصادى فى عهد بريجنيف ، بسبب استمرار سباق التسلح بتكاليفه الباهظة جعل التحول الحالى الذى اقدم عليه جورباتشوف ، ومضاعفاته فى شرق أوربا ، يبدو وكأنه هزيمة مدوية امام الراسمالية المنافسة .

لقد حاولت فى الكتاب المذكور ان اصوغ معالم مرحلة جديدة للفكر الماركسى لابد ان يتحول اليها بعد انتهاء المرحلة اللينينية ، وإذا كان البريسترويكيون المحدثون يعلنون الآن ذلك ، على نحو ما فعلت مجلة « المنار » فى عددها الصادر فى مارس عام ١٩٩٠ ، حيث كتبت على غلافها العبارة التالية « بعد تجريم الستالينية ، جورباتشوف يعلن نهاية اللينينية » .

فقد اعلنا نحن هذه النهاية فى بداية الستينيات ، وحينما نقلب صفحات الأعداد الثلاثة التى اصدرتها المجلة المذكورة التى يرأس تحريرها زميلنا القديم ايضا ، الدكتور أمير اسكندر ، لانكاد نجد إلا ترديدا لما قلناه فى ذلك الوقت المبكر ، بما فى ذلك ما تضمنته المقدمة التى كتبها رئيس التحرير للعدد المذكور من المجلة ، حيث يقول : فالأسس التى نهض عليها حكم ستالين لم تكن من صنعه ، فليس هو صاحب مفهوم الحزب الطليعى الذى تحول الى مفهوم الحزب الواحد ،* ولا مبتكر مفهوم « المركزية الديمقراطية » ولا مبدع مفهوم ديكتاتورية البروليتاريا ، الى آخر مجموعة المفاهيم


د . غالى شكرى لينين

التى شكلت الهيكل السياسى النظرى الذى انطلقت منه الأتوقراطية التى تسلطت على المجتمع السوفييتى » .. إلى ان يقول : « هذه المفاهيم كلها وضعها ، وصاغها ، واشاعها فى الفكر والممارسة : لينين .. ومن ثم فأن رفض هذه المفاهيم اليوم والرجوع عنها ، فى ظل اى تبرير ، وتحت أى شعار ، هو بكل المقاييس رفض للينينية نفسها ورجوع عنها » .

ولكن لابد أن نضيف : أن جورباتشوف لم يكن هو الذى اعلن سابقا ولا أخيرا انتهاء اللينينة ، فجماهير المعسكر الاشتراكى هى التى تفرض ذلك الآن ، بتدميرها تماثيل لينين ، واجبارها جورباتشوف على الكف عن ذكره فى بياناته ..

(١) انظر كتاب الدكتور فؤاد زكريا عن جورباتشوف ، عدد ٢٤ من كتاب الأهالى .

وخلاف ذلك فإن كثيرا مما أوردته المجلة ، بما فيه ما كان على لسان مفكرين من الغرب يتفق مع ما قررناه منذ ربع قرن .. من ذلك الاشارة فى ص ٨٥ من العدد المذكور ، الى فشل توقعات ماركس فى أن الثورة الاشتراكية سوف تقوم فى الدول الغربية المتقدمة ، وانما على النقيض من ذلك حدثت فى البلدان المختلفة ، « وان هذا هو التناقض المركزى الذى ينبغى ان ننشغل به فى نقاشنا لقد كان هذا التناقض هو نقطة البدء فى الفصل الأول من كتابنا ، ودارت سائر دراستنا حول آثاره ..

من ذلك القبيل ايضا ما جاء فى ص ٩٦ من العدد المذكور من أنه فى فرنسا والعديد من الدول الأوربية ، وبالتالى امريكا : « تتوفر ظروف تجعلنا (المتكلم من فرنسا) اكثر قربا من المجتمع الشيوعى الذى نأمله بالمقارنة بالمجتمعات التى تعلن انها شيوعية ، فإن كلاما شبيها بذلك ورد فى كتابنا بصدد الحديث عن « الاشتراكية الأمريكية » .

بقيت نقطة واحدة رئيسية لم تحققها البريسترويكا ومضاعفاتها حتى الآن والححنا عليها فى كتابنا المذكور ، وهى الدعوة الى الوحدة ما بين الأحزاب الشيوعية والأحزاب الاشتراكية الديمقراطية ، على أساس الالتزام بمبدأ الديمقراطية والتخلى عن مفهوم ديكتاتورية البروليتاريا ، لقد ادى التخلف عن تحقيق هذا الهدف الى انتصار اليمين فى الانتخابات التى جرت مؤخرا فى المانيا الشرقية ، بدلا من ان تتكون من الوحدة المذكورة مابين قبطى الحركة الاشتراكية غالبية تكفل لها السيطرة على المانيا الموحدة التى نادينا باعادة توحيدها على أساس الديمقراطية ، فى ذات العام الذى كان فيه الشيوعيون يبنون سور برلين !

ومع ذلك فإن الفرحة لاتزال باقية لتحقيق الوحدة بين قطبى الحركة الاشتراكية العالمية على النحو الذى وصفناه ، مما يبرز وجود الاشتراكية من جديد كقوة سياسية رئيسية فى العالم ، ويساعد على تحويل فائض القوى الانتاجية التى كانت مهدرة ، ولاتزال فى سباق التسلح إلى مافيه خير للانسانية ، وإنقاذها من اخطار عديدة ، بما فيها تلوث البيئة فى هذا العصر الصناعى ، ولكننا بالاستطراد فى ذلك نخرج عن موضوعنا ، ولعل صديقنا الدكتور غالى لايطالبنا بعد الآن بالكف عن الكلام ، بل ربما يدعونا الى المزيد منه ! ..

(١) انظر كتاب الدكتور فؤاد عن جورباتشوف : عدد ٢٤ من كتاب ايهالى

الـرد عـلـى أوراق الـعـمـر

الأحداث المصرية من ثورة ١٩١٩ حتى سنة ١٩٨٩

بقلم : حافظ محمود

استطيع ان اقول ان كتاب « اوراق العمر » لمؤلفه الاستاذ الدكتور لويس عوض الذى ظهر فى هذا الموسم بعد ثمانية واربعين كتابا من تاليفه يعتبر من معالم الطريق فى نهضتنا الكتابية المعاصرة .. واستطيع أن اقول انه فى الجانب الذاتى منه يعتبر منافسا لكتاب « اعترافات جان جاك روسو » . قبل ظهور كتاب « اوراق العمر » لانكاد نذكر كتابا عربيا كشف مؤلفه عن ذات نفسه وعن تجربته المبكرة فى الحياة بما فيها من خطأ وصواب يتلازمان فى عهود الصبا .. ومن هنا استطيع ان اقول كذلك ان هذا الكتاب بداية تطور جديد فى فن الاعترافات .

● ان الاخ لويس عوض يحدثك فى هذا الكتاب فى اسرار صباه عن اول مرة دخل فيها بيوت العاهرات سواء كان مختارا او مضطرا ، عن اول مرة دخن فيها سيجارة « سادة » واخرى محشوة بالحشيش .. وكان ذلك سببا فى كراهيته لهذا التدخين . وعن اول مرة قفز فيها من نافذة المدرسة العليا للفرار منها . وادق

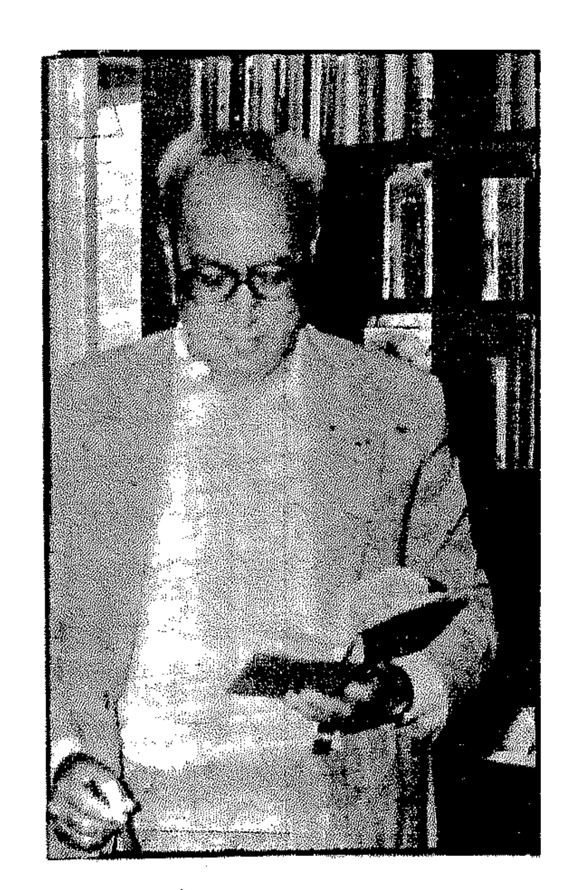
من هذا كله انه يحدثك عن اوليات تجربته مع « الحب » دون أن يدرك انه الحب .. وقد ذكر فى هذا المجال اسماء اللواتى اعجب بهن ببراءة دون ان يخفى اسماء اسرهن واعتقد ان هذا تزيد من الاخ

لويس لايتفق مع التقاليد المرعية .. لكن المؤلف اراد ـ كما يبدو ـ ان يكون صريحا معك الى اقصى حد ممكن .

وليس من شك فى ان هذا الجانب الذاتى فى كتاب « اوراق العمر » كان شيئا لابد منه ـ مهما كان رايك فيه ـ لينتقل بنا المؤلف من عصر الاعترافات المستورة الى عصر الاعترافات الصريحة ، وليكن رأيك فى هذا مايكون .

● ● ●

لكن الاخ لويس لم يشأ ان يقدم اليك وهو فى هذه الفترة . كشف اعترافات ذاتية فقط ، بل انه اراد ان يصور لك الاجيال التى عاشها فى الحياة العامة



د . لويس عوض

فاكسبك بذلك صور الاحداث المصرية كما راها او كما درسها او كما تصورها منذ ثورة ١٩١٩ الى سنة ١٩٨٩ اى منذ طفولته الى سن نضجه

ومع انه قال ان ثورة ١٩١٩ لم تجد لها جبرتي يؤرخها فانا اذكره بان جبرتي ثورة ١٩١٩ هو عبدالرحمن الرافعي وان الاخ لويس نفسه قد جاء بكتاب « اوراق العمر ». ليكمل هذه الجبرتية . ان الذى اثار انتباهي الى هذا الجانب الموضوعي في « اوراق العمر » هو هذه الدقة في « التواريخ » مما يدل على ان المؤلف كان لايكتب بوحي ذاكرته بل كان يرجع الى صحف كل مرحلة ليؤكد صحة الواقعة التى يذكرها .. ولقد اعتمد كثيرا وليس دائما على مجلة « اللطائف المصورة » ويبدو انه لم يكن يعلم ان هذه المجلة كانت ابان الحرب العالمية لسانا من ألسنة الاستعمار البريطانى وهى حقيقة لم يكن اضحاب هذه المجلة يخفونها خاصة وانهم كانوا من اسرة جريدة المقطم التى عاونت السلطات البريطانية على انشائها قبل مائة عام لتكون لسانا عربيا لها . حتى أن صاحبها كان يسمى نفسه « الخواجة » وكانت هذه تسمية مكتوبة على لافتة غرفته الخاصة بدار المجلة وليس شك « علميا » ان هذا كله لايمنع من الرجوع اليها باعتبارها صورة من صور الاداء الاعلامى الى جانب غيرها من الصحف المختلفة الالوان .. والواقع أننا لانجد فى الجانب الموضوعى من كتاب « اوراق العمر » الا النذر اليسير الذى لا اهمية له ، مثل قوله ان محمود بسيونى كان من زفتى مع انه كان صعيديا قحا ، ومثل هذه الاخطاء لايمكن ان تقلل من ضخامة العمل الذى قام به مؤلف هذا الكتاب .

● ● ●

هنا احب ان اقول ان موضوعية لويس عوض فى كتاب « اوراق العمر » لايمكن ان تكون اداة نفى لذاتيته بالكامل .. وانا اقولها صراحة انه مامن كاتب فى الدنيا ايا كانت موضوعيته قد تخلت عنه ذاتية فيما يكتب ، بل على العكس كثيرا ماتكون هذه الذاتية عونا على الجو الذى اوحى للكاتب بما يكتب فلويس عوض فى هذه الذاتية صادق مع نفسه ومع هذا العلم الغزير الواضح فى اكثر اركان كتاب « اوراق العمر » فانا اراه بشىء من الاسف قد نسى شيئا هاما لم اكن اتوقعه من لويس عوض فاذا به يبدو احيانا

الرد على أوراق العمر

كاولئك الذين يحاولون ان يطبقوا نظريات العصر الحاضر على عصور سابقة حتى لقد تصور بعضهم ان الممكن ان يطبق هذه النظريات فى احكامه على الثورة العرابية وثورة سنة ١٩١٩ مع ان هذا ضد طبيعة الاشياء .

مثال ذلك الايماءات الى نقد اصحاب فكرة الجامعة الاسلامية وينسى اصحاب هذا النقد ان هذه الفكرة كانت في فترة ما نابعة من الشعور القومى العام ، وقد كان الزعيم مصطفى كامل حبيب الجماهير لايخفى الانتماء لدولة الخلافة ولم يكن هناك تيار مضاد كبير لمصطفى كامل بل ان احمد لطفى السيد حينما جاء بعد ابتداء حركة مصطفى كامل بسبع سنين واعلن ان مصر للمصريين لم يلق تداوّه التأييد الذى كان يلقاه مصطفى كامل الا بعد قيام ثورة ١٩١٩ .

من اجل هذا ارى ان نقد الاخ لويس عوض لبعض اشعار شوقى فى هذا الاتجاه يكاد ان يكون بعيدا عن موضوعية لويس عوض نفسه .

● نقد شديد لاحمد حسين

ولعل اول او اخر ـ لست ادرى ـ مالفت نظرى فى هذا الكتاب القيم هو هذا الاهتمام الزائد بالنقد الشديد للمرحوم احمد حسين لدرجة محاسبته على بعض اعماله صبيا فى حوالى السابعة عشرة من عمره ، ومنها انه الف « جماعة الشباب الحر انصار المعاهدة » والحقيقة ان هذا التشكيل قد الفه الزميل الاكبر سنا المرحوم حسن صبحى ، وهذا واضح من خلال حلقات تاريخ حسن صبحى التى نشرها قبل عام بجريدته المحلية ، جريدة ابناء المعادى ، وقد التقى حسن بعدد من طلبة التعليم الثانوى منهم احمد حسين يتطلعون لعمل شىء فأدخلهم فى هذا التشكيل الذى وكلوا رياسته الىَّ كما جاء فى الكتاب وكان اتجاهى انئذ الدعوة الى الاندماج بين الاحزاب الذى كان سعد زغلول قد توصل اليه قبل وفاته .. وعكف حسن صبحى على اقناعنا بان محمد محمود مستعد لعمل اى شىء فى سبيل نجاح المعاهدة بما فى ذلك تخليه عن الحكم والترابط مع خصومه السياسيين واعادة الحياة النيابية . وكان محمد محمود قد قال شيئا من هذا فى خطبته التى ألقاها عقب عودته من لندن وكسب بذلك تأييد جميع الساسة وعلى رأسهم الامير عمر طوسون ماعدا اعضاء حزب الوفد الذين كانوا يرون ان هذه فرصتهم للعودة الى الحكم ، لعلهم كانوا يعرفون ان الانجليز كانوا اكثر سخاء فى معارضة محمد محمود لكى يخرجوه من الحكم لان موقفه من اقتراحات دخول مصر الحرب التى كانت متوقعة بين سنة واخرى لم تعجبهم .

ولقد ذهبت انا بالفعل الى بيت الامة اطلب عون الشباب الوفديين على فكرة « الاندماج » لكن صديقا لى من اقطابهم وهو المرحوم عبد الحليم محمود الذى صار من زعماء الفقهاء فيما بعد قد افهمنى ان هذا مستحيل من وجهة النظر

الوفدية وتخليت عن رياسة هذه الجماعة موكلوا رياستها الى رجل كبير هو المرحوم اللواء محمد قطين باشا ، وعلى اية حال فقد كان عمر هذا التشكيل بضعة اسابيع انتهت بانتهاء الكلام فى مشروع المعاهدة عقب سقوط وزارة محمد محمود .. ولا علم لى بخطب احمد حسين فى هذه المرحلة الطفولية امام محمد محمود او غيره .

● ● ●

ولقد ورد فى كتاب « اوراق العمر » كلام لاحمد حسين فى جريدة الصرخة وعده المؤلف جزءا من مخططات حركة « مصر الفتاة » لكن نمى به سنة ١٩٣٠ حيث لم تكن هناك « مصر الفتاة » ولا مجرد التفكير الجاد لكنها قصة طريفة تستحق الرواية

كان لنا صديق شاب يملك ترخيصا باصدار جريدة باسم « الصرخة » هذا الشاب هو المرحوم الصحفى عبد الرحمن العيسوى وكان العيسوى يؤجر ترخيص الجريدة احيانا كما اجره للتابعى مرة ثم باعه لاخر ، كان هذا الشاب دائم الالحاح على اصحابه ومنهم احمد حسين ، ليكتبوا له مقالات طلبة بين نهاية التعليم الثانوى ومقدمات التعليم الجامعى ولست اظن ان هذه المقالات كانت تساوى شيئا حتى يهتم بها اخى لويس عوض اما « الصرخة » التى اشترك ثلاثتنا احمد حسين وفتحى رضوان وانا فيها فقد كانت فى خريف سنة ١٩٣٣ ولها قصة تبدأ بدعوة من المرحوم فتحى لكلينا ـ احمد وانا ـ للالتقاء به فى داره بمصر الجديدة التى لم يغيرها الى اخر يوم فى حياته وفى هذا اللقاء دار الحوار حول مسار كل منا واستبعدنا فكرة الوظائف ، اجتمعت كلمتنا



جمال عبدالناصر وحديث
مع فتحى رضوان

على اصدار صحيفة نكون نحن اصحاب الشأن فيها لنعبر بها عن افكارنا الجديدة . تقدم كل منا الى ادارة المطبوعات لطلب الترخيص باصدار جريدة ورفضت الطلبات الثلاثة بحجة صغر السن ، فاستأجرنا ترخيص جريدة الصرخة واصدرناها فورا .

● مناهضة الانجليز

لقد تعجبت من تساؤل المؤلف عن تمويل هذه الجريدة كأن الاستاذ لويس عوض لايعلم ان اصدار صحيفة اسبوعية فى الثلاثينات لم يكن يعجز افقر الناس .. ومع هذا فقد كان فتحى رضوان من اسرة ميسورة الى حد ما .. ولم يكن احمد حسين بالفقر الذى تصوره المؤلف والصحيح ان اباه كان موظفا غير كبير لكنه كان يملك احدى العمائر القائمة حتى الان بحى المنيرة .

الرد على أوراق العمر

اما ان هذه الجريدة لم تكن تناهض الانجليز .. فردى على هذا بسيط جدا ، هو ان طوال اشتراكى فى العمل بها كان لى مقال اسبوعى ثابت تحت عنوان « الانجليز خصومنا »

وقد تعجبت ان يذكر الكتاب نبأ القبض على احمد حسين فى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٣٣ وحده مع ان القبض كان على ثلاثتنا احمد وفتحى وانا بل انا كنت المدعى عليه الاول بوصفى رئيسا للتحرير .. وتلك رواية رويتها فى العيد الذهبى لحركة « مصر الفتاة » الذى اقيم بقاعة اللجنة المركزية فى اكتوبر سنة ١٩٨٢ ورويت فيها اننى اختلفت مع احمد حسين منذ فاتحنا فى انه سيشكل حزبا اذ كان رايى ان مهمتنا لبضع سنين .. هى بث الافكار الجديدة وقد ترتب على ذلك اعتزالى رياسة تحرير الصرخة بعد ان تحولت الى لسان لهذه الحركة .. وكان لتشكيل جمعية مصر الفتاة قصة اولها انها سميت فى البداية جمعية لاننى كنت اعارض فكرة الحزب فى ذلك الوقت المبكر .

وذات يوم وانا وفتحى نمارس عملنا بمكتب الجريدة دعى فتحى لمكالمة تليفونية من احمد .. وفى هذه المكالمة قال احمد لفتحى ان جمعية القرش فى اجتماعها اليوم قررت ان تتحول الى جمعية مصر الفتاة وان المؤسسين انتخبوا احمد رئيسا لهذه الجمعية . كما انتخبوا فتحى امينا عاما ثم تركوا لى الخيار بين ان اكون وكيلا او مستشارا للجمعية .

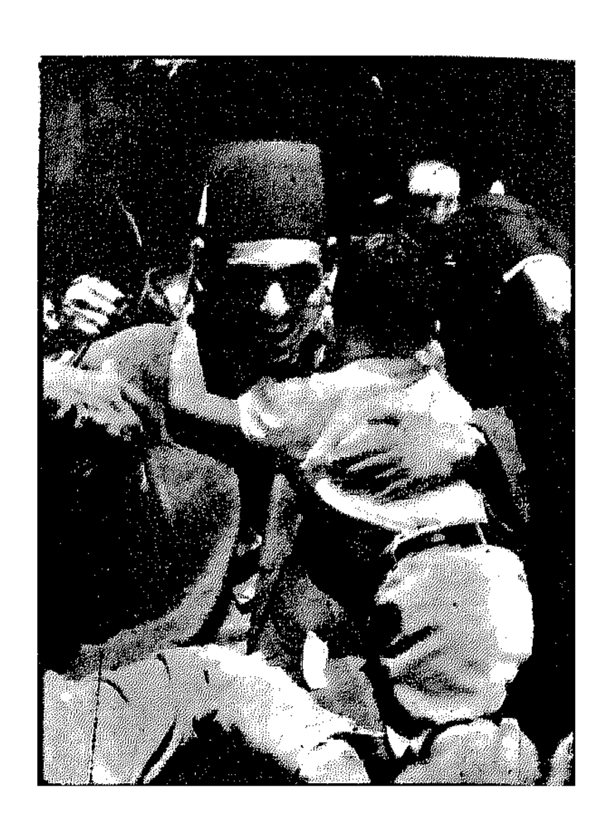
فلما ابلغنى فتحى بذلك رجوته ان يبلغهم اننى معتذر عن قبول اية صفة وكاد فتحى ان ينضم الى فى هذا الرأى لولا اننى نبهته الى ان ذلك سيفسر تفسيرات شتى لا داعى لها الان .

● أصدقاء الى اخر العمر

هكذا انتهت علاقتى بجريدة الصرخة وبالتالى بالجمعية واستمر فتحى مشاركا لاحمد الى ان تحولت الجمعية الى حزب فآثر ان يعود الى حزبه الذى ينتمى اليه . بحكم الوراثة الاسرية وهو الحزب الوطنى .. لكننا نحن الثلاثة ظللنا اصدقاء الى اخر العمر .. وبحكم هذه الصداقة وليس الانتماء اريد ان اطرح اشياء لايستطيع احمد الآن ان يطرحها وهو بين يدى ربه وليس معنى هذا انه فوق النقد »

● ● ●

الواقع اننى كلما قرأت فى الماضى وفى كتاب « اوراق العمر » كلاما عن الفاشية مرتبطا بحركة احمد حسين كنت اتعجب فالذى يدعو الى الفاشية لابد ان يكون له شأن اخر .. والمسألة كلها ان احمد مثل غيره من طلبه وخريجى الثلاثينات كان معجبا بالنهضة التى كان ينهضها هتلر فى بلده وموسولينى ، فى بلده بلا سياسة وقد ظل هذا الاعجاب قائما عند كثيرين من الناس الى ان انهزم نظاما هتلر وموسولينى .. اما حكاية القمصان الخضر فقد كان الفكرة فيها فكرة رياضية وقد بدأها الاخوان المسلمون بتنظيم فرق تلبس ملابس شبه




أحمد حسين .. العودة من امريكا



عسكرية ثم شكل حزب الوفد « القمصان الزرق » فلماذا .. لماذا لاتتركز الفاشية الا فى القمصان الخضر وحدها ؟

اقول هذا وانا لم اؤمن يوما بهذه القمصان لكن شبابا اكثر منا نشاطا امنوا بها حينا وفى مقدمتهم الزعيم الراحل جمال عبدالناصر فى نشأته ولو رجعت الى قسم الصور فى الجزء الاول من كتاب « سنوات ما قبل الثورة »لصبرى ابو المجد لوجدت من بينها صورة لاصحاب القمصان الخضر ومن بينهم الطالب جمال عبدالناصر .

اما ان احمد حسين كان عميلا لايطاليا كما قال ذلك رجل عظيم هو النحاس باشا وان لم يذكر اسم تلك الدولة اليس من الطبيعى ان يكون هنا سؤال : لماذا وقد كان النحاس باشا اذ ذاك الحاكم العسكرى العام ـ لماذا لم يتخذ اجراءات لمحاكمة هذا العميل ؟

ومن ذلك ايضا ماجاء فى الكتاب من ان احمد حسين قد احتواه صدقى باشا .. كيف هذا .. واحمد قد سجن عدة مرات فى عهد حكومة حزب اسماعيل صدقى

وكذلك كيف يعقل ان يكون احمد « عميلا » ايضا للملك فاروق وقد دبرت له قضية حريق القاهرة باذن « صاحب الجلالة » .. وانا لا اقول هذا الكلام ارتجالا .. بل لقد حدث ان كنت الشاهد الوحيد فى نفى التهمة عن احمد حسين فلما التقيت باحد المحققين قال لى همسا .. لماذا تتورط فى شهادة يعتبرها القصر ضده ؟

الرد على أوراق العمر



سلامة موسى

ان الذى اراحنى فى رواية هذه الاشياء عبر كتاب « اوراق العمر » للويس عوض انه كان يكرر فى كثير منها انه « سمع بذلك » ، وكنت اتعجب كيف يعتمد عالم جليل كالدكتور لويس عوض على مجرد السماع وهو مالم يفعله فى فصول الكتاب الاخرى !!

وفى ظل هذا « السمع » ظلم الاخ لويس عوض الاستاذ سلامه موسى من حيث لايدرى حين قال ان احمد حسين نادى بالاستقلال الاقتصادى مع ان هذا النداء صدر عن سلامه موسى وعن جمعية « المصرى للمصرى » التى شكلها سلامة موسى قبل مشروع احمد حسين مشروع القرش وغيره وليس صحيحا ان احمد حسين قد اتصل بسلامة موسى ثم انصرف عنه ، والصحيح ان سلامة حينما شكل جمعية « المصرى للمصرى » انتخب رئيسا وانتخبت انا سكرتيرا لها .. وكان على تشكيل لجان هذه الجمعية فوكلت الى الاخوين الطالبين فتحى رضوان واحمد حسين تشكيل لجنة كلية الحقوق

واثناء نجاحات مشروع المصرى للمصرى اصدرت دار الهلال عددا خاصا من مجلة الدنيا الجديدة كله هجوم على سلامة موسى ردا على هجومه وكانت فى هذا العدد صفحات بخط سلامة موسى بالزنكفراف ووزعت هذا العدد مجانا فى مؤتمرات جمعية المصرى للمصرى وكان له رد فعل سيىء فتداركنا الموقف بالاتفاق بينى وبين سلامة موسى ان تحدث بعض التغيرات فى مسار الجمعية ومنها تنحى سلامة عن الرياسة وتغيير اسم الجمعية من « جمعية المصرى للمصرى » الى جميعة الاستقلال الاقتصادى برياسة المرحوم عبد الله اباظة احد رجال الاقتصاد المرموقين .

● ● ●

وفى النهاية اريد ان اقول بان هذا كله لايمثل شيئا كثيرا فى الكتاب القيم الذى اصدره الدكتور لويس عوس بل اننى اظن ان هذه الهنات اقل بكثير مما يتورط فيه بعض المؤلفين .. وكل عمل ادبى او علمي لابد ان ناخذه ككل .. وفى هذه الكلية نجد اننا امام كتاب هام به دروس كثيرة . ومعلومات غزيرة وجهود كبيرة تذكر فتحمد للمؤلف الممتاز .

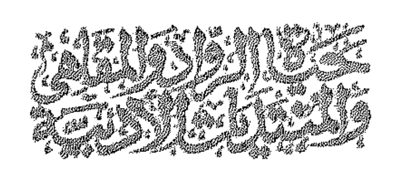


بقلم : فاروق خورشيد

لم يكن رمضان شيئا عاديا بالنسبة لنا في الخمسينيات والستينيات وهي سنوات تجمعنا بما عرف باسم الجمعية الادبية المصرية وهو تجمع حقيقي في صداقة اساسها وحدة الهدف ووضوح الرؤية مع حب اصيل عاش كل هذه السنوات ، وعاش احيانا بعدها ، بعض سنوات .. وبعضه فتر او تعثر وسقط ، وبعضه مازال قائما وان غدا متوترا بشيلان الخريف خوف البرد او تقلبات الطقس والزمان .. وانتظار اللحاق بمن اثروا ان يسبقوا الجميع الى الرحاب .. وكنا جميعا في هذه السنوات نحصل المعرفة ويؤصل كل منا طريقة نحو اسلوبه وفنه ، ويحدد كل منا منهجه في التفكير والرؤية والسلوك معا ..

وكنا في ذات الوقت نقف في المنتصف بين من يوشك ان ينهي رسالته وقد وضحت معالمها امامه واستبان الطريق وشق فيه حفرا عميقة ودك فيها الاساس المتين الذي يقف عليه شامخا .. مدلا منتجا مؤثرا ومسيطرا معا ..

وبين من لايزال فاغر الفم مشدد النظرة يسائل نفسه ، هل يسلك هذا الطريق الوعر .. لم يكتفي بالفرجة والانصات واحلام اليقظة ، او اهتلاب الفرص التي يتيحها تلقف الفتات الذي يتناثر من فوق المائدة العريضة الممتدة .. والمتاحة والثرية في آن واحد .



لعلى لو كنت اكتب هذا الكلام فى الخمسينيات او الستينيات لاختلفت اللهجة وتغيرت نبرة الحديث ولكنى اكتبه في التسعينات بعد أن أزاح الزمن الستار عن الكثير من احداثه ، وكشف الرؤية عن الكثير من الأعماق ، فكأنى أركب ألة الزمن ، واعود بها لاعيش من جديد فى نفس المكان ومع نفس الشخوص ، ولكنى لست غريبا عنهم ولا عن الأحداث التى فصلت بين اللحظة التى اراهم فيها بواسطة الة الزمن .. واللحظة التى اكتب فيها محملا بكل تجربة الزمن .. ولم يكن « ويلز » مخطئا حين تصور فى رحلته الى الزمن الآتى ان البشرية تحطم نفسها .. ويتحول نفس المكان الى عالمين ، عالم من يعيشون (فوق) ، وعالم من يعيشون (تحت) ، وأن أحدهما سيأكل الآخر ، وسيرعاه ويربيه ، كما ترعى وتربى الماشية .

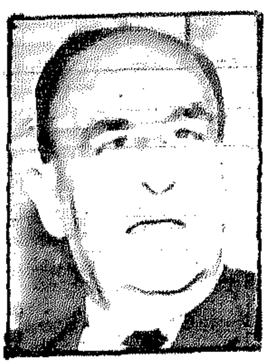
كل ما خطأ فيه « ويلز » هو من الذى سيأكل من ؟ فى رواية « ويلز » يأكل اصحاب (تحت) ، اصحاب (فوق) .. أما فى عالمنا ، فالذى حدث هو العكس يأكل اصحاب (فوق) اصحاب (تحت) .. وان كان الامر أن هناك أكلا ومأكولا ، وأن الناس فى نفس المكان قد تحولوا مع الزمن الى وحوش او إلى اغنام وما ماتت رؤية فنية .. صادقة أبدا .

كل هذا وكنا نتحدث عن رمضان... ولكن العذر بين ، فرمضان عندنا معشر المسلمين هو شهر الزهد والتقشف

احلى الذكريات الفنية .. فى مقاهى القاهرة القديمة

والرؤية الصادقة .. وكفى ان الكلمة نزلت فيه ، وكفى ان ليلة القدر تتوج لياليه .

وبنفس هذه المعانى كنا نلتقى فى الجيزة فى منزل استاذنا الراحل العظيم الدكتور محمد كامل حسين استاذ الأدب المصرى والباحث والمتخصص فى مجال الفاطميات والشيعة .. وكان الدكتور كامل قد احتضننا منذ اواخر الاربعينيات .. اختارنا من بين طلبته ، وفتح لنا قلبه وبيته وعلمه وصداقته جميعا .. وفى ليالى رمضان كان البيت يموج بالأنوار ، وكنا نتوافد عليه منذ العشاء ونظل نتحدث ونقرأ ونجادل ونسمع ونتعلم ونتعالم ، شأن الناشئة فى كل جيل وزمان ومكان - حتى قرب السحور .. وفى هذه الجلسات تعرفنا بجلساء قهوة الدكاترة او قهوة عبد الله بالجيزة وقد اصبحت الآن فى خبر كان .. وكانوا فى رمضان ينتقلون من القهوة إلى منزل الدكتور كامل حسين وارتبط بعضهم بنا ارتباطا كاملا حتى الآن كما ارتبط بعضهم بنا الى نهاية ايامه ، وأن ظل معنا كذكرى وانتاج حى الى الآن - محمود حسن اسماعيل وزكريا الحجاوى وانور المعداوى ، ضحكات وشعر ونقدات ساخرة لاترحم ، وحب وصفو ورشفات من الخشاف الذى يقدمه الدكتور كامل حسين ، وحكايات عن ذكريات القرية والحب ، والرسالة والزيات ومندور ، وضرورة خلق صيغة جديدة للأدب وللشعر .. واين الناس ياناس - ثم اسمعنا ياصلاح - والمعنى هنا هو الراحل صلاح عبد الصبور - ومارأيك ياعز - يعنى عز الدين اسماعيل - ثم نسمع محمود حسن اسماعيل يشدو بشعره شدوا لايقارن ولاينسى - وانحناءة رأس زكريا الحجاوى





د . محمد كامل حسين   زكريا الحجاوى

على صدره وهو يقول - ياسلام - والنظرة الساحرة المتعالية من المعداوى وهو يقول .. من يدرى ربما خرج منكم ما .. وحنو كامل حسين وهو يقول : مهلا ياجماعة انتظروا منهم ماسيقدمونه فى الغد - ومضى الجميع .. الشاعر الكبير بعد ان اثبت انه الرائد والقمة ، وان نسى نقاد العصر الحقائق .. والناقد الكبير بعد ان قال احلى الكلمات وادقها وأرقها .. والاستاذ الكبير وفى قلب اولاده وتلاميذه من ذهابه غصة وحسرة لاتنقضى .. والآخرون رفقاء اليوم والغد ، الدكتور القط والدكتور محمد القصاص والأخ القصاص الفنان الحلو محمود السعدنى ، من منهم كان يتصور أن جلسات رمضان واحاديث رمضان ومكسرات رمضات فى بيت الدكتور كامل حسين فى الجيزة ستغدو مجرد ذكريات قل من يذكرها أو يذكر مافجرت من طاقات وقوى ، وما احدثت فى الحياة الأدبية من قيم ومعان .. فى هذا البيت وفى رمضان كنا نلتقى بقادة الفكر الشيعى فى العالم الاسلامى كله ، بعضهم يأتون بملابسهم السوداء ، وبعضهم بلحاهم السوداء او البيضاء ، ولكن بسمة الصديق والأب الراحل كامل حسين كانت



تتسع لهم ولنا ، وما كنا نفهم حوارهم معه ، ولكننا كنا نزداد حبا له وللعلم واختلاف الرأى .. وان نقول فى حضرته شعرنا وقصصنا ومقالاتنا ومحاولاتنا النقدية .. وان نشهد تقديرهم له ، وحب زملاء العلم والجامعة والدراسة لهدوئه وصدره الواسع ، وتتعلق قلوبنا نحن بما يتيحه لنا من حب ومكان وكلمة .. ومضى كامل حسين ، وكل رمضان اذكره واذكر هذه الجلسات الكريمة السخية التى جمعتنى بمن لم يكن من الممكن أن اجتمع بهم لولاه ..

● تواصل الأجيال

وبعد هذا بقليل كان الاستاذ الكبير المؤرخ الروائى فريد ابو حديد يدعونا الى مائدة افطار تقام فى جمعية المعلمين فى ميدان الأوبرا ـ مرة كل اسبوع ، هو يدعو الأسبوع الأول ونحن نشترك فى الاسابيع الباقية لنقيم مأدبة الافطار الاسبوعية كل ثلاثاء ـ كان ابو حديد قد التقى بنا عن طريق الدكتور كامل حسين ، وكان قد سمع لبعضنا ومن بعضنا ، وكان ايمانا منه بضرورة تواصل الاجيال يحب ان يجعل منا امتدادا شابا للجنة التأليف والترجمة والنشر .. وكان شباب اللجنة ينبغى أن يتجدد وإلا وئدت اللجنة وتآكلت وذهبت قطعة قطعة كلما ذهب علم من أعلامها وهذا ماتم حدوثه بالفعل ، ورغم كل آمال ابى حديد ومحاولاته تجديد شباب اللجنة .. فقد كان اصحاب اللجنة حذرين من كل وافد جديد ـ وخاصة فى هذه الأيام ـ اوائل الخمسينات ـ حيث كثر المد الشيوعى واكتسح امامه عقول وافئدة طبقات من شباب تلك الأيام ولم يكن فينا من استهواه هذا التيار ، وان كنا كلنا قد قرأنا ما اتيح لنا من كتبه المتداولة ، وكان بعضنا قد درس مع غيره ما اتيح من هذا الفكر وفلسفته ، وعاد الينا بالحصيلة وطرحها علينا فى مجادلات ونقاش حاد وشيق ..

وأحسسنا ان اسئلة كثيرة يمكن ان تجد الاجابة فى هذه الفلسفة ، ولكننا أحسسنا ايضا ان الاسئلة الرئيسية التى تشغلنا لن تجد لها اجابة فى هذه الفلسفة .

بل لقد احس الكثيرون منا ان هذه الفلسفة نفسها تطرح اسئلة جديدة اشد خطورة من تلك التى كانت مطروحة قبل ان نبدأ فى التعارف عليها ، قراءة ومناقشة وجدلا لزمن طويل ـ وكان ابو حديد يحضر هذه الجلسات والعجيب ان معظمها كان جلسات رمضانية ـ وكان يشترك فيها جدلا ومناقشة .. ولعل سر ارتباطه بهذه المجموعة من الشباب كان يكمن اساسا فى هذا الموقف الواضح الذى اتخذوه جميعا من الأفكار المطروحة ـ كان الموقف رفضا مبنيا على أسس من الجدل والمناقشة والفهم ، لا رفضا قائما على الجهل او التعصب او الموقف المسبق .. ولعل ابا حديد قد ساهم كثيرا فى توجيه هذا النقاش ، وفى اثارة العديد من نقاط الجدل .. ولعله ايضا كان صاحب فضل من التوجيه المستمر نحو المعنى العربى والاسلامى فى الانتماء المصرى الأصيل .. وكان قد سبقنا فى ارتياد ارض الميثولوجيا العربية ، قراءة واطلاعا ثم استلهاما وعلاجا فى اعماله الروائية

التاريخية والتى كانت تستند اساسا الى هذه الأخبار المجموعة المتناثرة عن الشخصيات التى عالجها روائيا ، والتى تقف فى هذه المنطقة الحرجة بين التاريخ والفلوكلور ، والتى كانت الغلبة الحقيقية فيها للابداع الفلوكلورى ، قبل الحقيقة التاريخية المحققة والثابتة ..

ومن هنا كان فهمه لشوق معظمنا الجارف الى الدخول فى هذا العالم ، والتعرف عليه على اساس من البحث العلمى من ناحية وعلى اساس من الاستقاء الرمزى والايحائى من ناحية ثانية ، وعلى اساس من الاستيحاء الموضوعى والفنى من ناحية ثالثة .. ولعله ـ وفى وقت مبكر جدا أدرك ان اتجاهنا لن يجعل منا الا مجافين لهذا الاتجاه الشيوعى المطروح .. الا أن باقى أعضاء لجنة التأليف لم يكونوا على ادراك حقيقى بهذا كله ، ولهذا فقد كان موقفهم منا موقفا حذرا ومتشككا الى اقصى حد ممكن .. وحتى حين سلموا فى أواخر عام ٥٢ بأن نتولى نحن اصدار مجلة الثقافة تحت اشراف ابى حديد ، لم تكن موافقتهم خالية من الحذر والترقب . وبدأوا يتأهبون لاغلاق المجلة حتى قبل أن نصدر عددنا الأول ، وكان اغلاق المجلة بعد العدد الخامس على هذا الأساس طبيعيا ..

وفى جلسات رمضان مع أبى حديد فى جمعية المعلمين التقينا بأخوة افترقت بيننا وبينهم السبل بعد ذلك ، كان أبو حديد يشجعهم ويرقب انتاجهم بحب حقيقى ، منهم تاج السر الحسن وجيلى عبدالرحمن والفيتورى والراحل فوزى العنتيل وكمال نشأت والراحل نجيب سرور ، وغيرهم كثيرون من شباب الادب فى تلك الايام .

واحد قهوة .. على شرف ادباء مصر





ومن خلال موائد الافطار هذه كانت تنبثق رؤى نقدية وفكرية جديدة دائما ، فقد كان أبو حديد متجددا وحيا ومتحفزا لكل جديد .. وقد ظلت هذه الموائد الرمضانية تقليدا دائما حتى بعد أن ارتبطت جهودنا بجهود الامناء .. فقد أصبحت تقليدا متبعا من تقاليد الامناء بعد هذا .. وكان الشيخ امين الخولى يحرص على حضور هذه الجلسات على مائدة الافطار المتواضعة التى كنا نتكاتف على توفيرها أكثر من مرة فى الاسبوع ، سواء فى مقرنا فى شارع قوله ، أو فى مقرنا ومقر الامناء فى شارع الجمهورية ، أو فى المقر المشترك فى شارع عرابى قبل أن يتوقف نشاط الامناء ونشاط الجمعية الأدبية على السواء ... وفى هذه الموائد التقينا بالدكتورة عائشة عبدالرحمن والدكتور شكرى عياد والدكتور عبدالله خورشيد والراحل الدكتور عبدالعزيز الأهوانى والاستاذ عبدالمنعم شميس وغيرهم من الامناء .

ايا كان الامر فقد كان هذا اللقاء على مائدة الافطار ثم مابعده من جلسة هنية مسترخية الى حين ، تليها جلسة صاخبة على منابر النقاش، والرأى ، نسمع شعر من يقولون الشعر ، ونسمع القصة ممن يكتبون القصة ، ثم نسمع النقد على الشعر والقصة ، ثم نسمع دراسات جديدة وجادة فيما قرأ هذا أو ذاك ، وفيما اكتشف هذا او ذاك ، كان كل هذا هو الزاد الحقيقى للطريق .. فما ندرى انحن مختلفون ، أم هو اتفاق بيننا ان نسمع ـ حتى للاختلاف، وان نوقر ونحترم الاختلاف اكثر مما نوقر ونحترم الاتفاق .

ويستمر النقاش الى اخر الليل ثم نجمع بعضنا ونترك المكان ، حيث يذهب كبار السن من وسطنا الى منازلهم ، أما نحن ، فلنا فى ليالى رمضان مسارات اخرى .. نحن نلملم من بقى منا بعد المناقشات لنتجه الى حى الحسين والى مقهى الفيشاوى ..

وكان هذا الحى يحمل لنا زادا جديدا دائما ، فمع الدراويش واصحاب الصوفة ، والمتبتلين فى اذكار يرددونها ، كنا نرى صورا اخرى لمعرفة الحياة فى مصر ونحقق اقترابا اخر لرؤية الشخصية المصرية .. وكنا جميعا حريصين كل الحرص أن نتتبع هذه المظاهر ، وأن نرصدها ونفهمها قدر امكاننا ، قبل أن نحكم لها أو عليها .. وكان أكثرنا افتتانا بهذه الظاهرة واكثرنا حرصا على الاقتراب منها الى درجة الاحتراق الشاعر العبقرى الراحل صلاح عبد الصبور ، وكان احمد كمال زكى ينبهه الى خطورة هذا الاقتراب ، والى ضرورة الاحساس الحذر خوف الانزلاق الى التصوف او الضياع فى متاهات عقلية ووجدانية لا آخر لها ولا اول .. وكان يركبه بالسخر حينا ،


محمود السعدنى


صلاح عبدالصبور

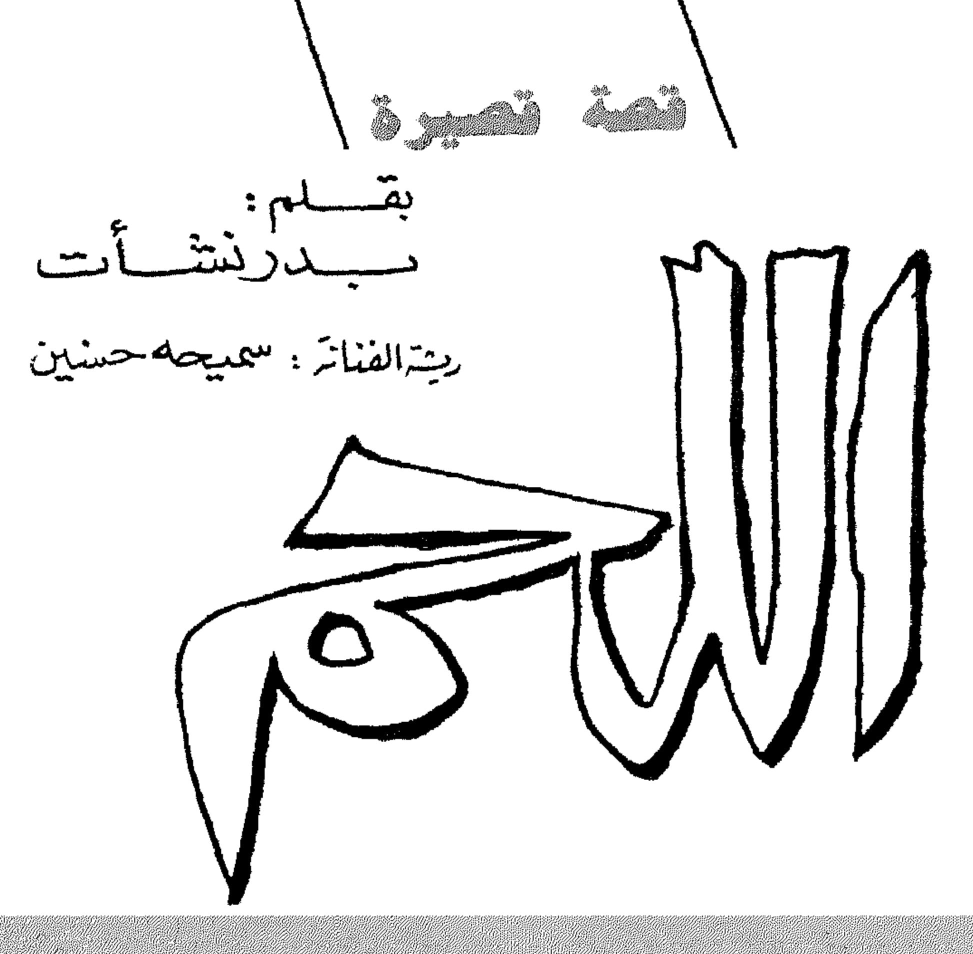


الثرثرة .. اصل الابداع

وبالقسوة والمجادلة احيانا كثيرة .. ولكن صلاح كان صنوه ، كان يعرف كيف يرد على الجدل العقلى بمثله ، وعلى السخرية الصارخة بمثلها ، وكان يعرف أنه مع طريق معين من المعرفة لايحب ان يحول بينه وبين مايريد شىء ما حتى لو كان حرص احمد زكى على الاعتراض الدائم على هذا السلوك ، إلا أن الاثنين لم يكتفيا بالجدل حول جماعات الأذكار فى الحسين .. بل امتد جدلهما الى قراءاتهما فى كتب المتصوفة واشعارهم ، واخذ الجدل سمات العلم والنقد الفنى والفكر الفلسفى والدينى بعد هذا . ولم يكن يشترك معهما فى هذا الجدل منا الا دارس فلسفة وعاشق لها هو عبد الغفار مكاوى ، وكان دائما مايدخل بالسلام والحب بينهما .

ولكن هذا الجدل الصارخ بين الاثنين لم يكن يفقد رمضان معناه عندنا كمجموعة ولا كأفراد ، فقد تعودنا منذ البدء ان نحترم فكر كل فرد منا ، وعلى كل فرد ان يحترم فكر المجموع .. ولعل رمضان كان يفرض علينا هذا المعنى الذى احترمناه زمنا دام طويلا ، وفهمناه وقبلناه ، لكل سلوكه ، ولكن على كل ان يحترم سلوك المجموع .. الى ان حدث ماجعل البعض من أهل فوق والبعض يصبح من اهل تحت .. وأكل وماكول ياسيد ـ والى ان بدا الموت يطوى صفحات بعضنا فنعتبر أو لا نعتبر .

ولكن رمضان يأتى من جديد ، وكأن شيئا لم يحدث ، وكأن جيلا لم يتآكل ، وكأن عهدا لم ينقض .. وكأن الموت لم يأكل احلى ماضينا ومن فينا .. وعلى كل فمن بقى حيا ينتظر لحظة الخلاص واللقاء والحب الأخير ، ويأتى رمضان لكل عام ليذكرنا .. والعجلة تدور والموعد يقترب ..



المعلم ابوسنة الجزار رجل عصبى .. خلقه ضيق .. متقلب المزاج .. ويعرف اهل الحى والسوق ان المعلم ابوسنة ليس له امان .. فالكلمة التى تبسطه ويضحك عليها فى الصباح .. قد تعكنن عليه وتقلب مزاجه فى المساء يقول بعض الناس ان الافيون اكل مخه .. ويقول البعض لا الحشيش .. وانه يصرف فى القعدة الواحدة فوق عن خمسين جنيها .. بينما جيرانه فى السكن يقولون ان الرجل غلبان لا له فى الافيون ولا الحشيش .. هو عصبى شوية اى نعم .. لكن السبب من امرأته الجديدة بنت المعلم رحمه ام تاجر الزلط .. بنت بيضاء صغيرة حلوة وسايقة العوج .. وان أم العيال سحباه فى المحاكم طالبة نفقة "وعايزة" الطلاق ..

وكثيرا ما يشاهد المعلم ابوسنة وهو قاعد داخل الدكان "بالجلبية" .. البيضاء النظيفة والكرش البارز والوجه المسمسم .. "ساكت مبلم" .. نازل عليه سهم الله .. فيما يفكر ؟ .. لا احد يعلم .. عيناه ترقبان حركة السوق والمرور والازدحام ..

ولكنه فجأة من الوقت للاخر .. يرفع صوته صائحا :

- يا فرج الله ياعاطى ..

ويقوم يبخر الدكان او يشغل القران ويلعلع صوت الشيخ الطبلاوى فى المنطقة كلها من المسجل الكبير فى ركن المحل ..

واحيانا يعمل شغلته الولد زقلط صبى



الدكان .. ياواد اعصر الخيشة كويس .. الجردل مش مليان امسح الحتة دى .. ياواد اقوم لك ... نضف بيبان التلاجة .. لمع الميزان .. روح هات شيشة .. جبت الغدا .. من البيت .. خد الخرطوم رش قدام الدكان !.

لكن المعلم ابوسنة كانت له مواقف كثيرة يقدرها له الجميع .. الصغير قبل الكبير .. حين فاتحه رجال جمعية السنة المحمدية فى موضوع الزاوية وحاجتهم الى ارض صغيرة يصلون فيها .. لم يتأخر وتحمس .. اعطاهم نصف قطعة الارض الصغيرة التى تجاور الدكان والتى كان يحجزها للمستقبل يمكن يحتاج اليها اذا رغب فى التوسع والتى كان فى الايام التى تسبق عيد الاضحى ينصب فيها شادرا ويركب الزينات ويعلق خرفان الضحية ..

واليوم الخميس .. والليلة ليلة الجمعة .. والسوق يظل عامرا بالزبائن الى وقت متأخر .. فات النهار او اوشك والمعلم قاعد ينش .. لم يعتب دكانه زبون واحد .. والذبائح الاربع معلقة في مدخل المحل برصتها منذ الصباح غير الذى فى الثلاجة ..

لم يكن اذان المغرب قد انتهى حين دخل عليه الولد زقلط يلهث ويقول :

ـ الشيشة .. جاية يامعلم ..

ثم وقف يأخذ انفاسه :

ـ وبيقول لك المعلم سلطان الكبابجى .. جهز له خمسة كيلو كفتة . مستعجل عليهم قوى . بس اتوصى باللحمة



الا الثلاثة اللى فاتوا فكوا على النار ..

سكت المعلم مدة ثم سال فجاة :

ـ خمسة كيلو !! .. هو بنفسه اللى قال لك ..

ـ ايوه يامعلم .. عيزهم دلوقت .. قال لى هاتهم على طول احسن جاى له سياح بعد ساعة ..

وكان معروفا لدى السوق كله ان المعلم ابوسنة ان قام من كرسيه ليبيع او يتكلم .. فلابد ان الزبون غريب او مضطر .. او اقبل فى موضوع ليست له علاقة باللحم ... فكثيرا ما يحضر للتفاهم معه فى بعض المشاكل سكان عمارته الكبيرة فى الميدان ..

عاد المعلم يسال :

ـ خمسة كيلو ياواد !!

وقبل ان يرد زقلط زغده المعلم فى صدره :

ـ اتلحلح .. الراجل مستعجل يامغفل .. جاى السواح على العشا .. اعملك مروة !!

وكان زقلط يعرف ان معلمه دائما يقول له الكلام الذى يود ان يقوله لنفسه .. فزقلط لم يمسك يوما سكينا او ساطورا وممنوع عليه ان يلمس اللحم او يهوب ناحيته ..

لم يرد زقلط . والمعلم فرحان يبتسم .. فالبيعة حلوة .. خمسة كيلو مفروم .. خمسة كيلوبيعة واحدة .. وبنشاط زائد قام المعلم ابوسنة يلم الشغت والدهن والجلد وبواقى تشفية ما باعه طول الاسبوع الذى فات من لحم .. لكن الكمية التى تجمعت بجانب المفرمة .. لم تكن تزيد عن اربعة كيلو . لم يزنها المعلم لكنه عرفها بالخبرة .. قال لنفسه .. ناقصت كيلو على الاقل ..

ووقف مترددا بين ان يشفى قطعة لحم اخرى ويحصل منها على كيلو يصبح مثل الاربعة الاخرى جلد وشغت ودهن !! .. ام يخلص

ذمته شوية ويعمل بتوصية المعلم سلطان ويضيف هذه المرة كيلو من اللحم الصحيح يصلب عود الكفتة فلا تفك على النار ..



كان لديه فى الثلاجة باقى فخذة كندوز عجوز .. لونها بنى اقرب الى السواد لم يجد زبونا يخمه فيها ..

اتكل المعلم على الله واخرج الفخذة من الثلاجة .. وضعها قدامه على الرخامة ومضى ينظر اليها من هنا ومن هنا .. وما هان عليه ان يقطع منها كيلو لحم حتة واحدة .. وجد نفسه يقطع من الحوافى اسوا ما فيها .. ثم كوم الجميع بعناية وبدا يقطع الدهن والجلد والشغت قطعا صغيرة ويخلطها ببعضها البعض حتى تتداخل وتتجانس قبل ان يفرمها ..

شخط المعلم :

ـ خد ياواد .. باقولك اتلحلح ..

اقترب الولد .. ولكن المعلم على خوانة رفع كفه المتسخة ونزل بها على صدغ زقلط .. كانت كف المعلم ثقيلة .. ونزل القلم يرن ..

ـ باقول لك من الصبح .. الراجل مستعجل ..

جدران الدكان تتراقص فى عينى زقلط .. استند الى الرخامة .. نار ملتهبة تحرق جانب وجهه .. رد باكيا بمذلة :

ما انا اهوه يامعلم ..

ـ افرم الخمسة دول قوام ..

هرع زقلط الى ركن المحل وادخل الفيشة فى بريزة الحائط .. ثم بدأ يحشو فتحة المفرمة بقطع ملء الكف حتى امتلأت عن اخرها .. ضغط زقلط على الزر الاسود بجانب المفرمة .. بدأ الموتور يعمل .. والتروس تصيت .. كان الصوت مكتوما غير معتاد .. وقطع اللحم المفروم اخذت تظهر فى الفتحات من الجهة الاخرى ولا تكاد تسقط .. فكر زقلط ان يمر بيده على الفتحات ويساعد اللحم على النزول ..

شخط المعلم :

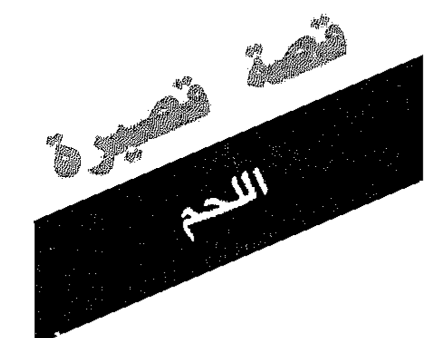
ـ ياواد زق اللحمة .. دخل ايدك .. خلى التروس تسحب ..

ادخل زقلط يده .. زق اللحم باطراف اصابعه .. وبدأت قطع اللحم تسرع فى التساقط .. لكن المعلم عاد يصرخ ..

ـ ياواد ياجبان .. زق اللحمة ياواد .. انت خايف ..

دفع زقلط يده فى فتحة المفرمة .. ادخل كل اصابعه زق اللحم .. زقة لاسفل بقوة .. وفجاة صرخ زقلط .. صرخ بعنف .. حاول ان يخرج يده لم يستطع .. عاد يصرخ بالم ورعب .. التفت المعلم بفزع واسرع الى الفيشة .. فصل الكهرباء ..

سحب زقلط يده ببطء من داخل المفرمة .. طاوعته يده هذه المرة وخرجت .. كانت اصابعه الاربعة قد اختفت .. ويده مجرد كف يسيل دما وبه اصبع واحد .. الاصبع الكبير ..



صاح المعلم برعب

ـ ايه اللى عماته ده ؟!!

زقلط يصرخ ويلتوى .. نافورة من الدم تنبعث من اماكن الاصابع الاربعة المقطوعة .. واسرع المعلم يمزق مريلة بيضاء وهو مذهول يردد :

ـ ياحول الله .. ياحول الله ..

وبكل قوة مضى المعلم يلف القماش حول يد زقلط ويربط بعنف ويجمع طرفى القماش حول الرصغ ويعقد بشدة ..

ـ خليك راجل يازقلط .. ما تعيطش زى النسوان .. تلم علينا السوق ..

زقلط يتلوى جسده ويتلقص وجهه .. ويجاهد ان يتحمل الالم ويكتم الصراخ وقد انحنى خلف البنك يرتعش .. ويستند الى الحائط مرة .. ويعض على شفتيه مرة ..

وفجاة اتى صوت المعلم سلطان الكبابجى من مدخل الدكان :

ـ السلام عليكم ..

رد المعلم ابوسنة بسرعة وهو يتجه اليه ويخفى زقلط خلف ظهره :

ـ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

ـ المفروم جاهز يامعلم ؟ .. الله !! مالك يازقلط .. خير ان شاء الله !!

اسرع المعلم ابوسنة يرد لينهى الموضوع :

جرح بسيط .. الساطور نزل على ايده .. ناقص علام كتير الواد ده .. ياما انكسرنا وانجرحنا .. اللحمة اهى يامعلم .. ما تقولش لعدوك عليها ..

ووضع المعلم ابوسنة الخمسة كيلو فوق الميزان .. قال :

ـ خمسة كيلو انما ايه ..



ما فيش احلى من كده ..

وتحرك مؤشر الميزان الاحمر .. وقبل الخمسة بمائة جرام توقف المؤشر لا يريد ان يتحرك .. زق المعلم ابوسنة الميزان .. تذبذب المؤشر قليلا .. ثم عاد واستقر على الخمس كيلو الا مائة جرام ..

- الميـزان نـاقص يامعلم .. والورقة اللى تحت اللحمة يعنى ما شاء الله ..

تقلصت ملامح المعلم ابوسنة .. وزغد المعلم سلطان بنظرة كلها شر .. وكادت ان تدب خناقة لولا ان المعلم ابوسنة كان فى ظروف غير طبيعية .. زقلط يتلوى وكفه ينـزف واقـرب مستشفى يبعد نصف ساعة ..

وقف المعلم ابوسنة ينظر الى الميزان واللحم المفروم .. ثم نقل نظره الى المفرمة .. كان يفكر .. هى برهة .. اتجه بعدها رأسا الى المفرمة .. مد ذراعه .. وامسك بيد المفرمة .. اغمض عينيـه .. وامتعضت ملامح وجهـه ومضى بسرعة هائلة يلف اليد خمس ست مـرات .. فتساقطت كمية من اللحم المفروم من الثقوب .. سرعان ما جمعها المعلم ابوسنة ووضعها فوق بقية اللحم على الميزان .. قال بتاكيد :

- وادى ياعم ٢٠٠ جرام اهم ولا تزعل .. ولحمـة ايـه ! مـا حصلتش !!

ثم التفت بسرعة الى زقلط :

- ياللا يازقلط نشوف تاكسى .. الا العربية راكنة بعيد فى اخـر الشارع ..

وامام باب الدكان .. ابتسم المعلم ابوسنة بطيبة متناهية :

- بسيطة يازقلط .. واسمع يابنى .. اياك تقول لحد .. بوليس دكتور جنس مخلوق ولا حتى لامك !.. أوعى تقول ان المفرمة هى اللى عملت كده . انت كنت بتكسر حتة عضمة نزل الساطور على صوابعك .. هـه .. انا عارفك راجل ..

رد زقلط مـن بين اسنانه .. حاول ان يتكلم وهو يرتعش كالمحموم :

حـاضر يـامعلم .. حاضر ..



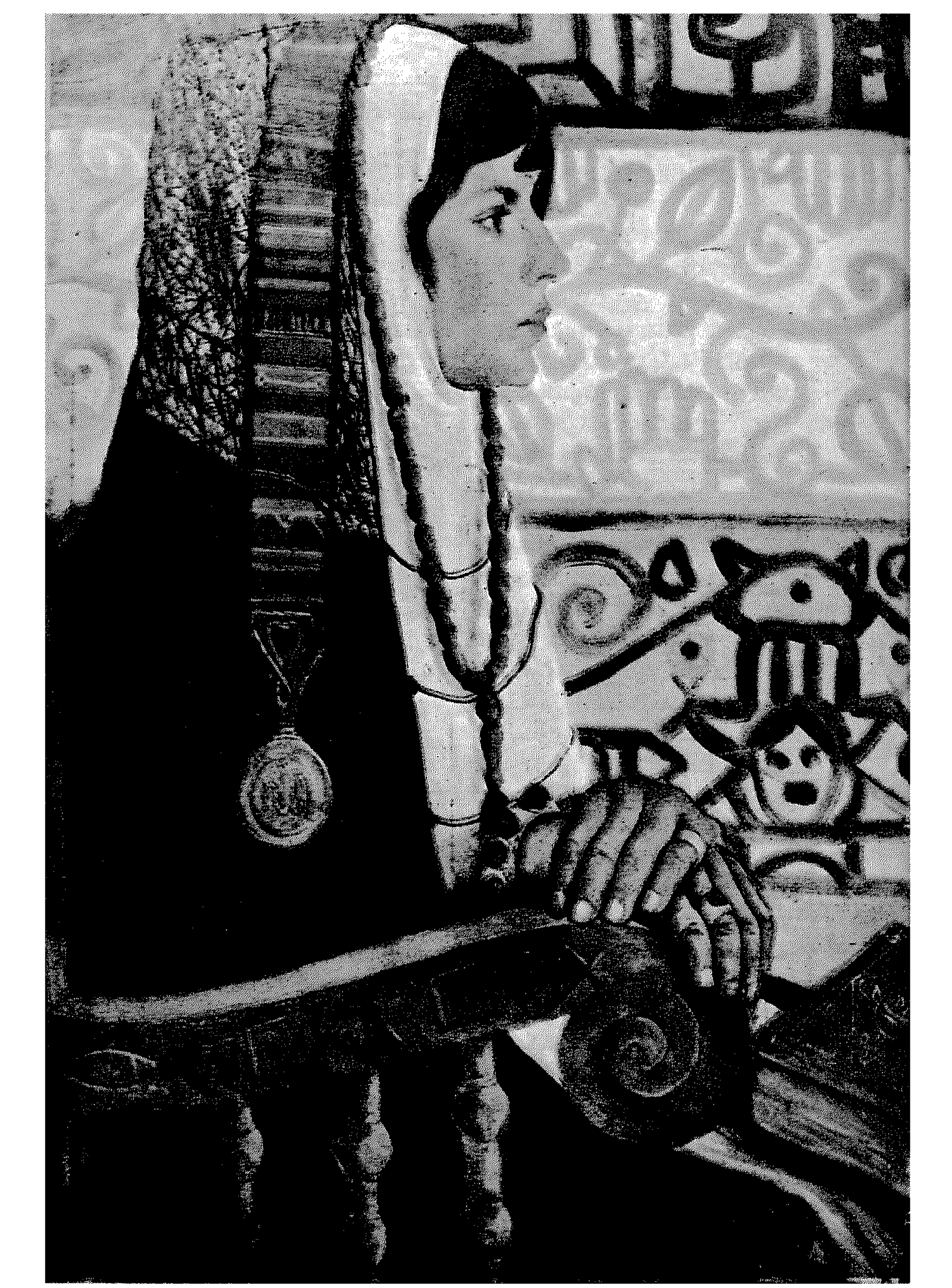
بقلم: محمود بقشيش

وجه الإنسان
عبر أجيال وأساليب

أقيم بالجامعة الامريكية معرض لفن الصورة الشخصية ، ضم أجيالا مختلفة من مبدعى هذا الفن ، كما ضم فنانين لا يمثل فن الصورة الشخصية ركيزة محورية فى ابداعهم ، وتباينت درجات شهرتهم ، وإجادتهم ، وتعددت أساليبهم الفنية ، وعلى الرغم من اختفاء بعض الاسماء الكبيرة ، وتسلل بعض الاعمال الركيكة إلى قاعة العرض ، فإنه لابد من الاشادة بالجهد الادارى الذى قام بجمع هذا الشتات . وبرغم تلك الهنة ، وغيرها من الهنات ، فإننى أعد ذلك المعرض من المعارض الهامة التى تستحق أن نتوقف عندها .

فالمعرض أولا : يعيد الانتباه إلى موضوع ترك ، فى غمرة الانشغال ، بما يقدمه سوق «الموضة» العالمية .. من الابهار ، أو الغثاثة . ولو تأملنا الاعمال التى تمثل وجه الانسان ، منذ لوحات «الفيوم» حتى الآن ، لاكتشفنا إمكانات التجدد والتجاوز الدائمة : فقد استطاع الفنان المعاصر تجاوز دوافع النشأة الاولى لهذا الفن ، أعنى الدوافع «المعتقدية» .. ثم الدوافع «الدعائية» .. وصولا إلى دوافع جمالية وتعبيرية ، أخرى ، عبر أساليب الفن المعاصر المختلفة ..

لوحة بورتريه النروجة للفنان عبدالهادى الجزار





وستجد ، بعد قليل ، تطبيقا لهذا في لوحات المعرض .

ثانيا : إن الفن الحديث يتأرجح بين قطبين : القطب «التمثيلي» ، والقطب «الذهني» .. يتنافران أحيانا ، ويتداخلان أحيانا أخرى ، لهذا تتأرجح النظرة المعاصرة إلى فن الصورة الشخصية ــ باعتباره فنا تمثيليا ــ بين الإبقاء والتجاوز . وفي تقديري ، ونحن في عصر التكتلات الكبرى ، وفناء الفرد ، أحوج ما نكون إلى الإبقاء على وجه هذا الإنسان .. الفرد .

ثالثا : إن المتأمل لهذا المعرض يكتشف أن اشكالية استلهام الارث المحلي والارث العالمي قائمة . وإن مالت الكفة لصالح «النموذج الغربي» وظهرت المحاولات الاخرى .. على استحياء .

ولنتأمل الآن عددا من أبرز لوحات الوجوه في المعرض ، للفنانين الآتية أسماؤهم :

● عبدالهادي الجزار : لا يمثل فن الصورة الشخصية لديه الا هامشا باهتا . وربما كانت اللوحة المعروضة هي الوحيدة بين انتاجه الغزير ، لهذا لم يستسلم إلى الوصف التسجيلي ، بل جذب الوجه الواقعي إلى عالمه الرمزي ، وخاصة .. إلى مرحلة الرسوم الرامزة إلى عالم الشعوذة ، ويبدو انه لم يوفق في عقد صلح بين وجه واقعي ، وإغراء تداعيات اسلوبه الخاص ، فجاءت اللوحة مليئة بالمتناقضات : وجه جميل ، «ممكيج» لامرأة .. تصدمنا بعينين بشعتين ، وترتدي لباسا دينيا ، يتدلى من رأسها حجابه ، وشارة ، ومسبحة .

● حسين بيكار : يأتي على النقيض الكلي من «عبدالهادي الجزار» ، فهو يعد أحد البارزين في فن الصورة الشخصية ، وهو يلتزم بأصول هذا الفن في عصر النهضة ، سواء في وضعة النموذج الرسمية ، أو الالتزام بحرفية الواقع ، شكلا ، ولونا ، وملمسا .. وأن قدم في هذا المعرض ، ما يختلف به مع ذلك الالتزام .. من حيث التكوين والجمع ، ببراعة بين أسلوبين متناقضين : التسجيل المدرسي ، والتبسيط الهندسي ، المجرد ، في قمة اللوحة ، وفي العمق ، يظهر كوكب يتألق بضوء فيروزي ، يخاطب باستدارته وجه الفنان ، المستقر أسفل اللوحة ، والشبيه بأبي الهول !

وصبري راغب ، انصرف بأسلوبه التأثري عن الرموز المكشوفة للوحة «الجزار» ، والرموز المستورة «لبيكار» وقدم لنا لوحة لوجهه ، أعدها من أفضل لوحاته ، فبالإضافة إلى ما تعكسه من فهم عميق للأسلوب التأثري ، تعكس أيضا براعة ، وحساسية فائقة للفنان ، تتميز لمساته بالرقة ، والرشاقة ، والاحكام ، وألوانه المخملية ذوبت الوجه في فضاء اللوحة .

● جمال كامل : يشارك زميله الفنان «صبري راغب» في الالتزام بالتأثرية أسلوبا ، مع ميل خاص إلى البنائية السيزانية ــ نسبة إلى سيزان ــ وإذا كان معظم المشاركين في المعرض قد

رسموا وجوها لأقربائهم أو أصدقائهم .. فإن العمل الصحفى قد فتح أمام «جمال كامل» طريقا أوسع ، لرسم وجوه شخصيات لا تربطه بها علاقة حميمة ، ولا تزال تعلق بالذاكرة تلك الرسوم الاسبوعية التى كان يرسمها لشخوص تذكر بالرسوم الانتقادية للفنان الفرنسى «دومييه» .

● محمد حامد عويس : يأتى على النقيض من «صبرى راغب» ، و«جمال كامل» ، حيث يحتفل بالكتلة ، الصريحة .. التى توحى بميل الفنان إلى استلهام النحت المصرى ، وقد ألغى تفاصيل الكتلة ، وحركة الظلال .. لهذا جاء وجه الفتاة الصغيرة الموسومة ، أقرب إلى الوجود الاستيطاتية الفرعونية ، منها إلى تسجيل لحظة عابرة .

● خواكينا شهدى : تشارك الفنانة «خواكينا» الفنان «عبدالهادى الجزار» فى الميل إلى القص ، والميل إلى الرمز المكشوف ، وتختلف معه ، كلية ، فى الجو التعبيرى الذى تجسده ، لوحاتها تتسم بالإشراق ، والحكايات الجميلة ، والألوان الصريحة ، والرسم المتقن .. وهى عندما ترسم وجها ، لا تريد لنا أن نعانى فى الكشف عن أسراره ، بل ترسم لنا أحلامه أيضا ! .. ففى لوحة «داليا» ـ المعروضة ـ لم تكتف برسم وجهها الجميل ، والمعبر ، بل أحاطته بأحلام الرحيل ، وحب الحياة .. المتمثل فى شكل حمامة طائرة ، ومراكب شراعية ، وأمواج تداعب الشعر ، والوجه ، والصدر .. بغلالات شفيفة ، تاركة مساحة مرموقة لكوكب ، وزهرة !



القارئة ـ للفنان صبرى راغب

● عباس شهدى : رسم وجهه ، وأظهر نفسه على أحسن ما يحب الفنان لنفسه ! .. وجه صريح ، عينان متألقتان ، شفتان مطبقتان على انفعال مكتوم ، وقفة صارمة .. وهالة من الشعر الأبيض الخالص .. وفى الخلفية تظهر لوحة تمثل موسيقيين ، فى التكوين التزام بالأصول المدرسية ، مع ميل إلى التبسيط ، وميل إلى الوقار الرمادى .. الذى لطف من الوقفة العسكرية !

● من مفاجآت المعرض .. اشتراك الناقد «كمال الجويلى» بلوحة رسمها



علم ١٩٥٠ لوجهه ، اتسمت لمساته بالجراة والتمكن والاتقان والتلخيص . وتساءلت : ما الذى أوقفه عن الانتاج مع هذه القدرة الواضحة ؟ ! .. إن الساحة التشكيلية تحفل بنقاد يمارسون الرسم ، ودكاترة لهم رسائل جامعية ، لم يتوقفوا عن الانتاج .. ليته يعود ! من المفاجآت الأخرى ظهور رسام ماهر هو الفنان فاروق شحاته ، الذى لم اكن أعرف من قبل انه ماهر لهذه الدرجة ! إن هناك أسماء أخرى لامعة قد شاركت فى هذا المعرض ، واخرى اقل لمعانا .. اسهمت جميعا فى تقديم وجبة فنية ممتعة . امثال : صلاح طاهر ، حسن سليمان ، زكريا الزينى ، كامل مصطفى ، عبدالعزيز درويش ، صدقى الجباخنجى ، سيف وانلى ، إيهاب شاكر ، جمال قطب ، حامد ندا ، عناية الله ابراهيم ، حسن فؤاد ، يوسف رافت ، هبة عنايت ، جورج البهجورى ، عبدالعال ، محمد الناصر ، سمير فؤاد .

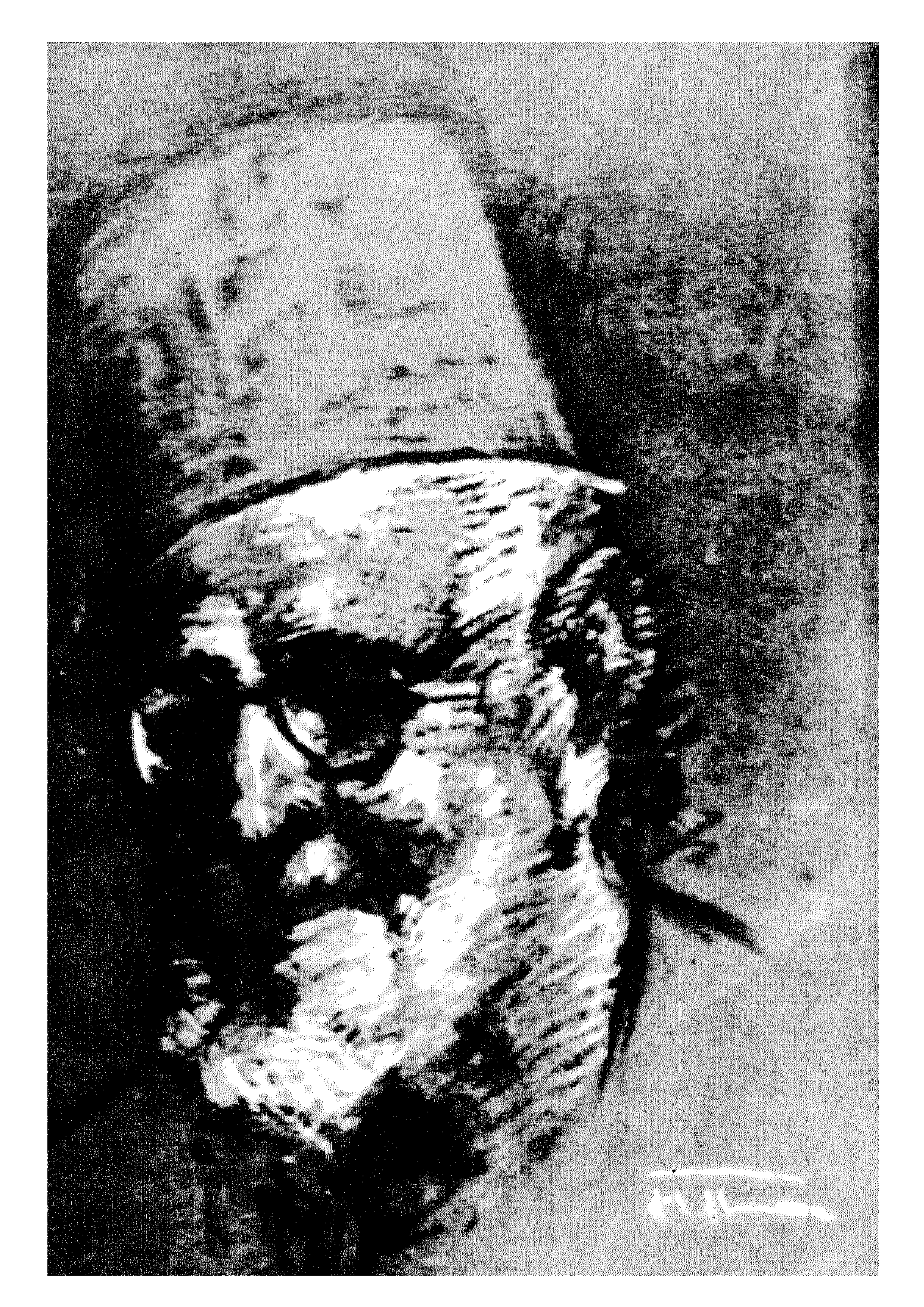

سيدة للفنان بيكار



• منير الشعرانى .. وموسيقى الخط العربى •

على الرغم من اهمية الابداع فى مجال الخط العربى فقد تراجع الاهتمام به ، ولم تحفل معارضنا ، أو مسابقاتنا الفنية باستقباله . ولقد أسهمت الحروف الطباعية ، الجاهزة ، إسهاما فعالا فى انكماش هذا الفن ، وانكماش مبدعيه .. ولم نعد نشاهد - إلا نادرا - فى الصحف والمجلات ملكنا نستمتع به من قبل ، من إبداع خطى .. غير ان صمت او تجاهل صناع القرار ، وصناع الكلمة الناقدة لهذا الفن ، لم يحل دون ظهور مبدعين على مستوى رفيع يقاتلون وحدهم ؛ من أجل توسيع دائرة المتذوقين ، والتذكير بأن هذا الفن هو الصق الفنون بتكويننا النفسى . إن الحرف لم يولد فقط لأن مبدعا أراد له

ابتسامة للفنان جمال كامل





لن يكون ، بل لأن بيئة جغرافية ، ونفسية ، هي التي مهدت لظهوره .. ولقد تطورت ـ بطبيعة الحياة الكامنة في الحرف ـ وتعددت أنماط الخطوط ، وأصبحت مرجعا إلى الخطاطين .. غير أن المتغيرات الخاطفة في قريتنا قد أثرت بدورها على علاقة الخطاط بالمرجع ، أو القاعدة النمطية ، فتحرر منها .. أملا في ابتكار أسلوب شخصي يميزه عن غيره .. وفي هذا الإطار الجديد ظهر مبدعون ، ويعد الفنان السوري «منير الشعراني» واحدا منهم

أقام معرضا لآخر أعماله بقاعة أتيليه القاهرة .. وهي تكوينات خطية ، لم يشغله أن تكون مقروءة بقدر ما تكون موحية .. ومن موسيقى السكون ، والحركة ، والتناغم ، والتقابل ، ينشأ إيحاء بحالة تعبيرية . إن عناصر الحروف لا تسمح بما تسمح به اللوحة المرسومة من فائض تولده المصادفة ؛ كل عنصر ، مهما كان ضئيلا ، له دور جمالي وتعبيري فعال ، وموهبة الفنان هي التي توسع من دائرة إيحاء العناصر المحدودة في فضاء اللوحة .

يعنى «منير الشعراني» بفضاء اللوحة الخارجي والبيني ، وهذا الفضاء ليس مجرد طلاء ـ أو أرضية كما هو شائع ـ بل يقوم بدور مختار مع عناصر الكلمات التي يريد لها الفنان موقعا بؤريا .. مع الاحتفاظ بمساحات مرموقة من هذا الفضاء ، ففي لوحة «العالم في يمين الفنان» ، على سبيل المثال ـ يشق حرف الألف واللام في كلمتي «العالم والفنان» الفضاء العلوي للوحة شقا ، في حضور إيقاعي حاسم ، ويأتي رجع الصدى في إيقاع الحروف الختامية وهي : الياء والنون والضاد ، في قاع اللوحة . نحن إذن أمام كون ، من فضاء وأرض ، يحتل فيها الفنان السيادة .

... وهكذا في لوحات معرضه ، تجمع الكل في واحد : الشكل الجميل ، وموسيقى الإيقاع ، ورموز الرؤية .

● نازلي مدكور .. والعمارة الفطرية

منذ أسهمت في الحركة التشكيلية المصرية ـ أي منذ عشر سنوات تقريبا ـ وهي تطالعنا ، بتجليات مختلفة ، للعمارة الريفية . لم يشغلها من تلك العمارة إلا أن تكون مثيرا ، ومحركا ، لتداعيات باطنة ، تتجسد في كل مرحلة من مراحلها ، في هيئة مختلفة . تكشف بيوتها الأولى عن ميل إلى الوصف ، والتجميل ، والترميز في نفس الوقت . ولأن الفن الحديث اختزل المسافات ، فقد وفر عليها هذا كثيرا من الجهد ، كما وفر على النقاد ، الاحتكام إلى المرجع الأكاديمي ، وطرح أسئلة من نوع : إلى أي مدى استطاعت أن تستنسخ الواقع ؟ .. وإلى أي درجة استطاعت أن تتابع حركة النور والظلال ؟ .. ولقد أتاحت لها سماحة الفن الحديث بالتطور والتقدم .. من «الوصف المختار» إلى التخفف الكلي من الأبعاد الوصفية .

حيث تصبح اللوحة حالة شعورية تعصى على الترجمة . واقرب إلى حالة «الاشراق» عند المتصوفة . وقد تحققت تلك النقلة الهامة فى معرضها الاخير بالقاعة رقم (١) بجمع الفنون بالزمالك .

ابعدت الإنسان بهيئته الظاهرة ، وكذلك البيوت . واخلت الطريق إلا من ملامس الجدران . واقنعتنا بانها كافية . جعلت من «بشرة» الجدران مسرحا لغزوات الزمن وعوامل التعرية ، ووضعتنا امام حالة شعورية . كثيفة . عصية على الترجمة كما قلت .

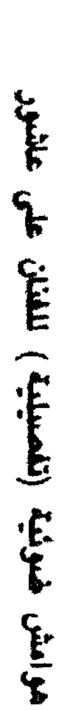
اما من ناحية الشكل فيمكن القول بأن فى هذا المعرض إعلاء القيمة «الملمس» ، واستطاعت به أن تنسج كل ماتطالعنا فى اللوحة من عناصر مساعدة ، وتراجع ، بالتالى ، كل ما يرتبط بالميل إلى الوصف : مثل الرسم ، والتنظيم الجبرى للعناصر . تسلحت «بالملمس» ، وبالتلقائية .. وانشغلت بتنظيم السطح : المدهون ، والملصوق دون أن يتخلى عن مداعباتها التى اراها فى الانقطاعات المباغتة لبعض الحواف .

اختارت من الوسائط الملمسية : العجائن الورقية ، ولحاء النخيل ، وورق البردى ، بالاضافة الى الالوان الزيتية والمائية والباستيل . وعلى الرغم من الانتشار الواسع ، والتجارى بل والمبتذل فى استخدامات ورق البردى .. فانها قد نجحت فى توظيفه - إلى حد ما - بأن وسعت من الباقه ، لتتسلل الينا ومضات من ضوء سطح اللوحة ، او يمتد كخلفية للبيوت ، فى شكل اشبه بحركة ولون الكثبان الرملية .. فلم ورق البردى يدور وصفى ، فى حين كانت العجائن الورقية اوسع ايحاء ، ففيها مذاق الجدران القديمة ، وفيها مذاق الزمن ..

إن العالم الذى يطلعنا عليه هذ المعرض .. عالم درامى .. ذاتى ، مغلف برقة انثوية ، واناقة .. تنتظم اندفاعات وجدان قلق ! .



تكوين خطى للفنان
منير الشعرانى



هوامش صوفية (تفصيلة) للفنان على عاشور

ورق بردى ولحاء نخيل وعجائن للفنانة نازلي مدكور



وجه للفنانة خواكينا شهدى

● سليم .. وڤينوس البدائية !

اقام المثال « السيد عبد سليم » معرضا لآخر انتاجه فى مجال النحت المجسم ، والطرق على النحاس ، والخزف بقاعة اتيليه القاهرة . تعكس اعماله ميلا صريحا الى استلهام الفنون الفطرية ، بما تختزنه من حكايات ، واساطير ، ورموز . وتمثل المرأة الركيزة المحورية فى عالمه النحتى . وهى امرأة تتفجر بالحسية .. وهى قريبة الشبه بالمنحوتات البدائية التى



اطلق عليها النقاد اسم « فينوس البدائية » .. فى خشونتها . وما توحى به من ارتجال مبدعها . ففى مطروقة « ادم وحواء » على سبيل المثال ـ تحرر بها من وقائع النص . وارتجل بها وقائع جديدة اوحت بانتمائها الى الريف المصرى . وانتسابها الى الطرافة « الكاريكاتيرية » وجعلنا فى شك من امر عرى « حواء وادم » . كما اهدى حواء خلخالا . وكان رفيقا بادم فغطاه بالثعبان .

وتطالعنا حواء او فينوس البدائية فى اشكال مختلفة . وإن جمعها ـ كما اشرت ـ طابع شهوانى ـ ترقد . تارة . وقد تهيأت لاستقبال طائر الحب . او تمتزج امتزاجا فى كيان اخر . وتتعدد صور البطل الثانى ـ اى الطائر ـ فهو احيانا يقوم بدور المقتحم . واحيانا اخرى يقوم بدور المبارك لعلاقات الحب إن حواء او فينوس البدائية وطائرها المقتحم يظهران فى هيئة اكثر خشونة .. وفطرية فى المطروقات النحاسية . ويتحرران من تلك الخشونة الى شىء من التهذيب . والتماسك . وقلة الثرثرة . فى المنحوتات المستديرة او المجسمة ومن بين منحوتات المعرض تعاطفت مع منحوتة بعنوان « البهلوان » . فليس بها ما يشتت الانتباه . كل عنصر من عناصرها له دور فعال مع بقية العناصر . بهلوان يحمل ثلاثة اطواق . يشكلون إيقاعا هرميا يربط اليدين والرأس . وتشارك فى تلك الحركة الفراغية . حركة عضوية تتمثل فى حركة القدم اليمنى . ولم ينس بالطبع ان يوقع على صدر البهلوان .. بطائر الحب !

إن فن « السيد عبد سليم » يتسم بالعاطفية الجياشة . والميل الشديد الى الاقتصاد . وكنت اتمنى الا يستبعد


حواء   للفنان السيد عبد سليم

كثيرا للتداعيات الروائية حتى لايقع فى خطر الثرثرة .

● على عاشور .. وعالمه الرمزى

اقام الفنان السكندرى « على عاشور » اول معرض له « بالقاهرة بقاعة اتيليه القاهرة . تتميز لوحاته باسلوب شخصى . وتشبه لوحاته ساحات الحلم او بمعنى ادق - مساحات التحولات الحلمية المتصادمة . شخوصه تتمدد . وتنبعج . وتتقلص . وتذوب . وكذلك الوانه .. تتحول من اكثر الدرجات اللونية اشتعالا إلى اكثرها برودة . عبر وسائط متدرجة من اللون . وقد تتلاشى معالم الانسان . والحيوان . والاشياء . وتختلط جميعا فى كيان متداخل . وشفاف . وينتهى تلك الخليط بفعل « التداعيات التلقائية .. وفجاة - ولسبب ما - يضع حدودا صارمة تحدد تلك التداعيات لتبدأ من جديد . فى مقطع آخر من مقاطع اللوحة . رحلة تداعيات أخرى ..

لوحاته ممتعة فى جزئياتها . مزعجة فى كلياتها . فاللوحة الواحدة تضم عديدا من المقاطع المكتملة . وكل مقطع ملىء بتداعيات قصصية كثيرة . يقسم اللوحة .. الواحدة إلى مربعات ومستطيلات .. الخ .. وكل مساحة تحتضن حلما مستقلا !

وتشترك الالوان فى تلك الانتقالات غير المبررة فيتنقل بنا من تداعيات الالوان القلقة إلى تداعيات الالوان المضيئة .. ولم يحرص على أن ينتظم هذا الشتات فى نسق وحدوى . فحمل اللوحة الواحدة والمشاهد ما هو فوق الطاقة !

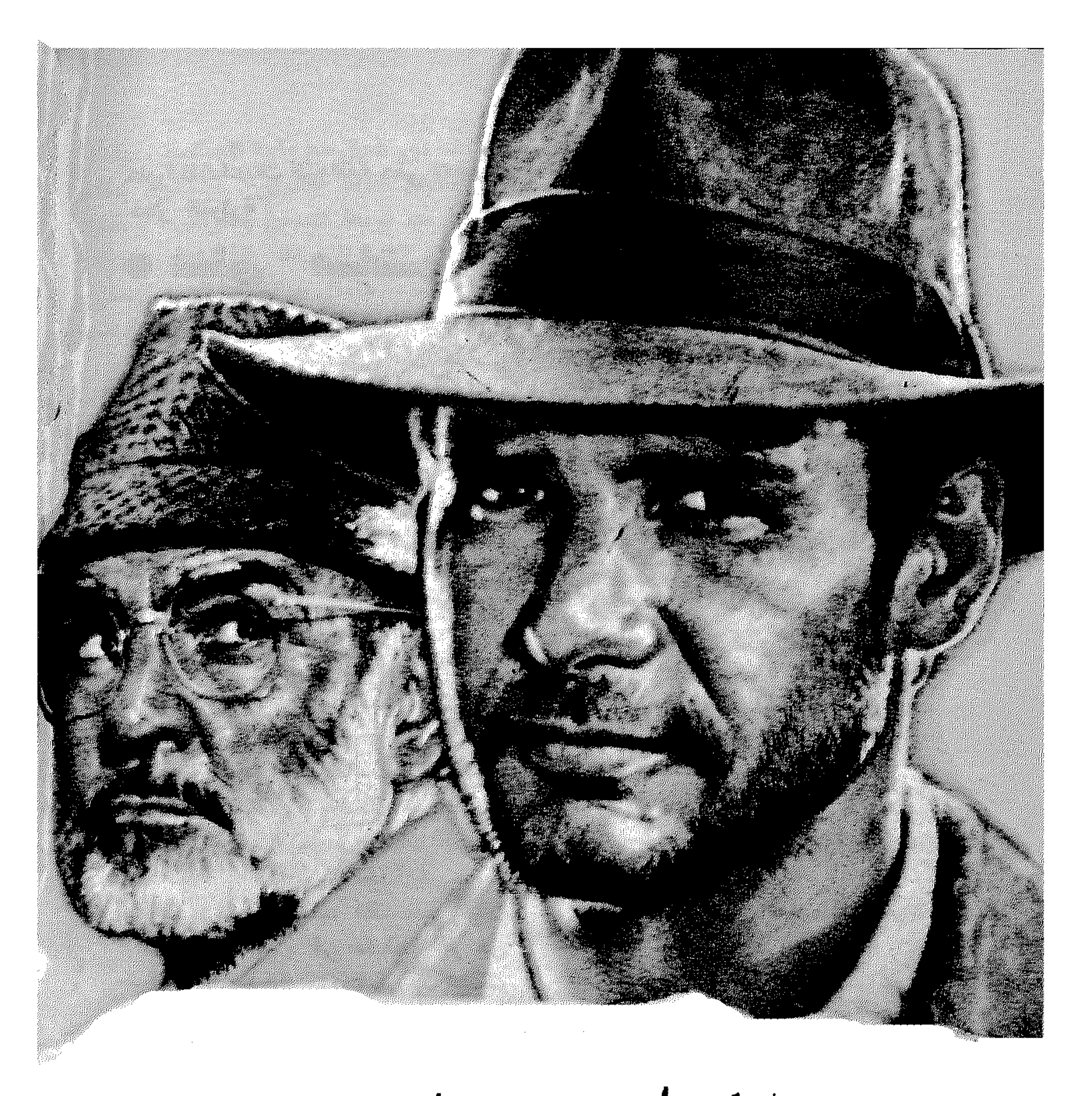
إن المعرض يحمل من النوايا الطيبة ومن البراعة والحساسية الكثير .. ولكنه كثير مبدد ..

●

لكن ماهى دوافع هذا الفنان إلى تشكيل هذا العالم الغريب ؟

كتب الفنان فى « كتالوج » معرضه نثرا شعريا . يرد به على هذا السؤال المفترض . واحب ان اطلع القارىء عليه . املا فى تكوين صورة موضوعية عنه .

كتب « على عاشور » .
احمل ما يحلمه عابرو السبيل ..
الغَجَر . خلال ارتحالهم .
بضع كسر من احلام . وتمائم .
وانثنى مثلهم .
تتبدد طمأنينتى امام الواجهات المنمقة الباردة .
فقد تدثرت بتساؤل خشن :
● ضد أى شىء نتصعلك ؟
● ضد أى شىء نصور ؟
تساؤل ادَّعى انه مثل عصا موسى .. اداة اشتباك بالحياة مفتاح للابداع الحى .. بغيابه يقع الفن فى هوة التشيؤ . واللغو . ولان عابر السبيل عندما يتساءل .. تاتيه الاجابة كرجع الصدى .. فقد كان ؟ ..
● نتصعلك ضد الاغتراب
● ضد الاغتراب نصور !



أوسكار هوليوود
تغازل اليهود والسود

بقلم: مصطفى درويش



انديانا جونز لم يفز الا .. باوسكار صغير

ما أن يقترب العام من شهره الأخير ، حتى يسارع أولو الأمر فى هوليوود إلى اختيار افضل ما انتجه مصنع الأحلام من أفلام على مدار العام ، وذلك تمهيدا لعرضه خلال أيام ، ولو فى دار واحدة صغيرة على أرض الولايات المتحدة .

وطبعا ، لاهدف من ذلك العرض اللاهث سوى اتاحة الفرصة أمام تلك الأفلام فى أن تشارك فى مضمار أوسكار فيكون لها فى جوائزه نصيب .

أوسكار هوليوود

● وعلى كل ، فقريبا من منتصف الشهر الأخير من عام ١٩٨٩ ، جرى عرض خمسة من تلك الأفلام التى يرجح ترشيحها للأوسكار : فى نيويورك ولوس أنجلس وتورونتو وغيرها من كبريات مدن أمريكا الشمالية .

ولو ألقينا نظرة خاطفة على هذه الأفلام الخمسة التى جرى عرضها فجأة ، والعلم على وشك الرحيل ، وهى «انتصار الروح» «مستذوق الموسيقى» ، «أعداء .. قصة حب» ، «سائق السيدة ديزى» و «المجد» تبين لنا من هذه النظرة .

أولا : أنها ، وفيما عدا «المجد» قد جنحت إلى جعل اليهود واضطهادهم ، موضوعا رئيسيا لها .

ثانيا : أنها ، وباستثناء «المجد» و«سائق السيدة ديزى» ، تدور حول مذبحة أو بمعنى أدق محرقة اليهود الجماعية (هولو كوست) على أيدى النازيين إبان الحرب العالمية الثانية التى انتهت باندحار ألمانيا الهتلرية .

ثالثا : أنها جميعا ، وذلك فيما عدا «انتصار الروح» قد جرى ترشيحها لجوائز الأوسكار .

بل إن فيلما واحدا من بينها ، ألا وهو «سائق السيدة ديزى» قد انفرد بالترشيح لتسع من تلك الجوائز .

● أساطير الأولين

واستبعاد «انتصار الروح» ، إنما يرجع فى ظنى ، إلى أنه فيلم سياسى مباشر .

فمما يقال عن حدوته ، وليس كل مايقال فى الدعاية لمثل هذا النوع من الأفلام قابلا للتصديق ، إنها مستوحاة من سيرة ملاكم يهودى يونانى اسمه «سالامو» ، عاش ، هو وأفراد أسرته بميناء سالونيك فى أمن وأمان ، إلى أن هبت عاصفة النازية المميتة على اليونان ، فلم تترك أحد منهم إلا وأرسلته مشحونا كالحيوان لأرض بولندا حيث زج بهم جميعا فى معتقل «أوشفتز» الذى يشيب من هول مايحكى عنه الولدان .

ولولا أنه كان قبل اعتقاله ملاكما يشار إليه باليونان ، لما نجا من الإبادة الجماعية ، وكان مصيره هو نفس مصير جميع أفراد أسرته الذين بقوا فى المعتقل الرهيب ، لم يخرجوا منه إلا أمواتا .

وانفراد «سالامو» ، حسب الحدوتة ، بالبقاء على قيد الحياة حتى دخول الجيش الروسى المعتقل محررا ، إنما يرجع إلى سبب أغرب من الخيال ، هو خروجه متوجا بأكاليل الغار من جميع مباريات الملاكمة التى كان يقيمها الحراس بين المعتقلين من حين إلى حين ، بغرض الرهان كما كان الحال أيام الرومان .

فبفضل أنه كان دائما من المنتصرين ، ابتسم لـه الحظ ، فلم يمت ميتة المجالدين ، بل عاش مميزا على غيره من المعتقلين التعابين حتى جاءه الخلاص بالخروج من الجحيم إلى أرض إسرائيل حيث لايزال يحيا مع مرارة الذكريات .

وجدير بالذكر هنا أن «وليم دافو» الذى أدى دور «سالامو» فى هذا الفيلم المستبعد ، هو نفس الممثل الذى سبق له اداء دور يسوع الناصرة فى «الغواية الأخيرة للمسيح» .

● الجوائز أسرار

وأيا ما كان الأمر ، فالأفلام الأربعة الأخرى المرشحة للعديد من جوائز أوسكار ، لم تتح لأى منها فرصة الترشيح لأوسكار أفضل فيلم أو مخرج ، وذلك باستثناء فيلم واحد «سائق السيدة ديزى» الذى كانت أوسكار أفضل فيلم من بين الجوائز التسعة المرشح لها .

وقد يبدو غريبا الا يرشح «صندوق الموسيقى» و «أعداء قصة حب» لأى من أوسكار أفضل فيلم ومخرج ، وكلا الفيلمين عن محرقة اليهود ، ومن صنع مخرجين كبيرين أحدهما «كوستا جافراس» صاحب «حنا .. ك» والآخر «بول مازورسكى» صاحب «المرأة غير المتزوجة» .

والأكثر غرابة الا يرشح «سائق السيدة ديزى» لأوسكار أفضل مخرج ، وذلك رغم ترشيحه لأوسكار أفضل فيلم .

فهذا كان يعنى أنه فى حالة تتويجه بأوسكار أفضل فيلم — وقد توج بها بالفعل — فإن مخرجه الاسترالى «بروس بيريسفورد» لن يفوز بأوسكار أفضل مخرج لعدم ترشيحه لها أصلا .

وليس من شك أن فى ذلك خروجا على منطق الأمور فى دنيا الأفلام .

فمن المعروف أن الفيلم ومخرجه مرتبطان على وجه لايتصور معه الفصل بينهما ، بحيث يرشح أحدهما للأوسكار دون الآخر .

هذا ولم يحدث خلال السبعة عشر عاما الماضية أن حجبت أوسكار أفضل مخرج عن فيلم فاز بأوسكار أفضل فيلم الا مرة واحدة ، وذلك عندما فاز «العربات النارية» بأوسكار أفضل فيلم دون أن يفوز بأوسكار أفضل مخرج التى ذهبت إلى «وارين بتى» مكافأة له على اخراجه لفيلم «حمر» (١٩٨١) .

وفى الحق ، فليس ثمة تفسير لهذه الظواهر الغريبة ، إلا فى أسباب تدخل فى الأخرى فى باب العجب العجاب ، من بينها أولا أن فيلم «صندوق الموسيقى» كان مرسوما له أن يفوز بالجائزة الكبرى (الدب الذهبى) فى مهرجان برلين الأخير (١٩٩٠) ، أى فى عاصمة محرقة اليهود ، وفعلا فاز بها مناصفة مع «البلابل الصامتة» لصاحبه المخرج التشيكى «ييرى مينزل» ، وهو فيلم ظل ممنوعا عرضه فى تشيكوسلوفاكيا زهاء عشرين عاما .

والذى فليترك سباق أوسكار أفضل فيلم لغيره من الأفلام ، وبالتحديد «لسائق السيدة ديزى» .

ثانيا : أن فيلم «أعداء .. قصة حب» ، ولئن كان ترجمة أمينة للقصة المأخوذ عنها ، وهى للأديب الأمريكى اليهودى «اسحاق باشيفيس سنجر» الفائز بجائزة نوبل قبل اثنى عشر عاما (١٩٧٨) ، إلا أنه يؤخذ عليه الدخول فى تفاصيل حياة أبطاله الناجين من معتقلات النازية ، على وجه أفقد محرقة اليهود بعض ماليها من جلال فى الخيال .

والذى فليخرج ليلة اعلان الجوائز مجردا من أى أوسكار ، حتى ولو كان صغيرا .

ثالثا : أن ترشيح «سائق السيدة ديزى» لأوسكار أفضل فيلم دون أوسكار أفضل مخرج ، مؤداه ترجيح كفته على أى فيلم مرشح لهاتين الجائزتين ، وذلك بحكم أنه ليس ثمة فيلم آخر يدانيه فى عدد الجوائز المرشح لها .

هذا علاوة على أن تتويجه بأوسكار أفضل فيلم لن يكون من آثاره حرمان الفيلم التالى له مباشرة فى عدد الجوائز المرشح لها (ثمانية أوسكار) وهو «ولد فى الرابع من يولية» من أوسكار أفضل مخرج المرشح لها .

فى حين أنه لو حرم «سائق السيدة ديزى» من أوسكار أفضل فيلم ، لكن ذلك مؤداه خروجه من مولد الليلة الكبيرة دون أن يتحقق له من أهم الجوائز الشيء الكثير .

● العجوز والأسود

والآن ، ماهى حكاية السيدة ديزى هذه وسائقها ؟

ولماذا كل هذه الرعاية لفيلمها ، حتى يصل إلى بر الامان متوجا لا بأوسكار أفضل فيلم فحسب ، وإنما كذلك بثلاث



السائق الأسود والسيدة اليهودية



"المجد" للسود يحاربون من اجل امريكا

جوائز أخرى من بينها أوسكار أفضل ممثلة «رئيسية» «چيسيكا تاندى» وافضل سيناريو مأخوذ عن عمل أدبى ؟

الحكاية مأخوذة عن مسرحية «سائق السيدة ديزى» للكاتب الأمريكى «الفريد اهرى» تعرض حاليا على أحد مسارح تل أبيب وموضوعها يدور حول عجوز يهودية محافظة وعنيدة ، لها من العمر أثنان وسبعون عاما .

وفى أول مشهد يبدأ به الفيلم ، نراها ، وقد اصطدمت سيارتها «الباكارد» بسور منزل أحد الجيران ، فتحطمت بحيث لم يبق منها شىء سليم سوى «ديزى» التى تخرج من بين الحطام معافية لم يصبها اذى .

ويحاول إبنها الوحيد «دان آكرويد» دون جدوى أن يقنعها بضرورة استئجار سائق لسيارتها الجديدة ، لاسيما وان شركات التأمين ترفض التأمين عليها لكبر سن صاحبتها .

إلا أنها على مر الأيام تزداد اصرارا على الرفض ، وبخاصة عندما تعلم أنه قد استأجر لقيادة السيارة سائقا اسود اللون «مورجان فريمان» .

ومع كر الأعوام حتى تصل فى الفيلم إلى خمسة وعشرين عاما ، وبفضل أحداث سياسية واجتماعية هزت المجتمع من بينها نسف المعبد اليهودى فى مدينة «اتلانتا» واضطهاد البيض للسود فى الجنوب ، بفضل كل ذلك ، تكتشف السيدة ديزى أن قاربا واحدا يجمعها هى وسائقها الأسود .

فتبدأ فى التعاطف معه ، تعلمه القراءة والكتابة ، تصطحبه إلى الاجتماعات المعادية للتفرقة العنصرية .

ثم يتقدم بها العمر إلى السابعة والتسعين حيث نراها فى المشهد الأخير ، وهى جالسة فى المطبخ باحدى دور المسنين .

إنها لاتستطيع أن تتناول الطعام دون مساعدة فإذا ماأطعمها السائق المخلص ، سمعناها تقول له شاكرة «انت أحسن صديق لى» .

● الصبر الجميل !

وفى اعتقادى أن اختيار «فريمان» و«تاندى» لأداء دورى السائق والسيدة ديزى ، كان اختيارا موفقا غاية التوفيق .

«ففريمان» هو أول من لعب دور السائق على خشبة المسرح فى برودواى .

أما «تاندى» فقد اعتلت خشبة المسرح منذ ستين عاما أو يزيد ولعبت دور «أوفيليا» أمام السير «جون جيلجود» وهى ماتزال فى عمر الزهور .

وخلال عام ١٩٤٧ ، اختارها المخرج «ايليا كازان» لتلعب أمام «مارلون براندو» دور بلانشى ديبوا فى مسرحية «عربة اسمها «الرغبة» .

وبفضل ادائها لهذا الدور الصعب ، فازت بجائزة «تونى» التى تعتبر بحق أرفع جوائز المسرح الأمريكى شأنا .

ورغم ذلك ، فقد أرادت الحياة أن تجعل كل شىء من أمرها غريبا حقا .

فعندما انصرفت نية هوليوود إلى ترجمة تلك المسرحية إلى لغة السينما ، إذا بها تفاجا بالتعاقد مع جميع طاقم المسرحية فيما عداها .

فقد استبدلوا بها «فيفيان لى» لا لشىء سوى أنها كانت نجمة «ذهب مع الريح» .

ومهما يكن من شىء ، فلغة سائق السيدة ديزى أقرب إلى المسرح منها إلى السينما .

أوسكار هوليوود

وعلى النقيض من ذلك تماما «ولد فى الرابع من يوليه» الفائز باوسكارى أفضل مخرج «أوليفر ستون» وتوليف (مونتاج) ، فهو فيلم يقطر سينما فى كل لقطة من لقطاته على امتداد ساعتين ونصف من عمر الزمان .

● الحلم والكابوس

وولد فى الرابع من يوليه مأخوذ عن قصة حياة «رون كوبيك» التى ضمنها كتابه الذى بنفس الاسم .

وقبل حوالى اربعة اعوام ، ابدع مخرجه فيلم «بلاتون» «فصيلة» المستوحى من تجربته المريرة فى حرب فيتنام فيلم صور فيه تلك الحرب بكل بشاعاتها كما لم تصور من قبل فى اى من افلام مصنع الاحلام .

وهو فى فيلمه الجديد ، يكمل مشوار تقديم حرب فيتنام فى شكل لوحة سينمائية درامية كاملة ورائعة لمأساة الشباب الامريكى الذى القى به فى أتون حرب لاناقة له فيها ولا جمل .

ومع أن حرب فيتنام وانعكاساتها على بطل الفيلم «رون» (توم كروز) ، هى المحور الذى تدور من حوله الأحداث وجودا وعدما غير أن وقائع الفيلم التى تجرى على ارض فيتنام لايزيد عرضها عن سبع عشرة دقيقة .

اما باقى الوقائع ، فتجرى على أرض الولايات المتحدة قبل ذهاب «رون» إلى ساحة الحرب أو بعد عودته منها بقلب ملؤه الحزن وبعزيمة مشبعة بالاحتقار .

وفى الحق ، فان اكثر مناظر الفيلم اثارة للفزع ليست فى فيتنام حيث تدور رحى الحرب بكل أهوالها ، وانما داخل أحد المستشفيات بحى برونكس فى نيويورك حيث نرى «رون» على كرسى متحرك قعيداً بحكم أنه مشلول من اسفل الصدر إلى أدنى الأطراف ؛ نراه يواجه صنوف المعاملة الرديئة التى كانت من حظ المحاربين العائدين جرحى مشوهين .

وهنا فى تلك المستشفى ، لم يترك المخرج سيئة إلا واحصاها .. الجرذان ، المخدرات ، الفضلات والغانيات .

والفيلم تتتابع أحداثه بطريقة العودة إلى الماضى بدءا من الرابع من يولية ١٩٥٦ ، يوم ميلاد «رون» قبل عشرة أعوام الذى هو نفس يوم الاحتفال باعلان استقلال الولايات المتحدة قبل مائة وثمانين عاما .

ففى ذلك اليوم السعيد تقوم المدينة التى يعيش فيها الصغير «رون» باستعراض وطنيتها فى الشارع الرئيسى .

وكان من بين ما استعرضته طابور للمعوقين مكون من قدامى المحاربين .

وها هو ذا «رون» الصغير مشغولا بالصواريخ المنطلقة إلى عنان السماء احتفالا بالعيد ، عن القبلة الأولى من صديقته الصغيرة «دونا» .

انه لايعرف الا ماتعلمه من اسرته الكاثوليكية وهو طفل فاذا ما أصبح شابا فلا يعرف الا ماسمعته اذناه من الرئيس كيندى أثناء قيامه بالقاء أول خطاب له فى الكونجرس .

ومن الرقيب الذى كان يدربه على المصارعة فى المعهد العالى .

ومن كشاف البحرية الذى كان يبحث عن فتية أقوياء مستعدين للتطوع خدمة لأرض الأباء .

هؤلاء الفتية وراء المحيط الذين كان يحلم «رون» بالانضمام إلى صفوفهم محاربا وتمر الأيام ، ويتحقق الحلم الذى سرعان مايتحول إلى كابوس مرعب على ارض فيتنام .

وهنا يتعين أن أقول أن «ولد فى الرابع من يولية» قد يكون أفضل فيلم انتجته السينما الأمريكية عن محنة المحاربين العائدين من حرب فيتنام .

وأخيرا فمما يلاحظ كذلك على احتفال أوسكار الأخير ونتائجه .

أولا : أن أفلاما هامة مثل «حرب الورود» و «جنس ، أكاذيب وشريط فيديو» و «افعل الشىء المناسب» لم يكن لها أى نصيب فى جوائزه صغرت أم كبرت .

وأغلب الظن أن ذلك انما يرجع إلى أن الأول يهين العائلة الأمريكية والثانى اكتفاءً بحصوله على جائزة مهرجان كان الكبرى (١٩٨٩) ، خاصة وان مخرجه مايزال شابا يافعا (٢٧ عاما) ، والثالث لأنه يعرض للتعصب العنصرى بين البيض والسود فى المجتمع الأمريكى بصورة واقعية دامية .

ثانيا : إن أفلام الانتاج الكبير لم تفز إلا باقل الجوائز شأنا ، فمثلا «الرجل الوطواط» لم يتوج إلا بأوسكار أفضل إخراج فنى (الديكور)

وانديانا جونز والحملة الصليبية الأخيرة لم ينل إلا جائزة واحدة هى اوسكار افضل تـوليف للمؤثـرات الصوتية !!

ثالثا : إن السباق بين المرشحين الخمسة لاوسكار أفضل ممثل رئيسى ، لم يفز فيه لا النجم «توم كروز» عن أدائه الرائع لدور «رون» فى «ولد فى الرابع من يوليه» ، «ولا مورجان فريمان» عن أدائه لدور «سائق السيدة ديزى» .

وإنما الفوز كان من حظ ممثل انجليزى صاعد «دانييل داى لويس» عن أدائه لدور الرسام والأديب الأيرلندى المعوق «كريستى براون» الذى تعلم رغم شلله كيف يكتب ويرسم بقدمه اليسرى فى الفيلم الايرلندى «قدمى اليسرى» هذا وعن أدائها لدور أمه فى الفيلم الأخير ، فازت الممثلة الايرلندية «برندا فريكو» بأوسكار أفضل ممثلة مساعدة .

يبقى أن أقول أن فيلما لم يكن أحد يتوقع له نجاحا كبيرا ، قد فاز باكبر عدد من جوائز أوسكار بعد «سائق السيدة ديزى» .

هذا الفيلم هو «المجد» الذى سبق القول بانه كان ضمن خمسة أفلام اختيرت للعرض والعام المـاضى على وشك الرحيل .

فلقد فاز باوسكار أفضـل صوت وتصـوير وممثـل مساعـد «دانـزيـل واشنطن» .

والمجد من اخراج «ادوارد زفيك» ، وهو يحكى قصة أول فرقة مكونة من جنود سود تخوض غمار الحرب الأهلية الأمريكية .

وعلى عكس أفلام مثل «مولد امة» و«ذهب مع الريح» هو لاينحاز إلى الجنوب القديم مصورا له وكأنه مجتمع وردى رومانسى كما لاينحاز ضد السود ، فيصورهم عبيدا أذلاء أو قطاع طرق اشقياء .

لا إنه يصورهم أبطالا محاربين من أجل استرداد الحرية السليبة ؛ وآية ذلك النفر «تريب» الذى كان عبدا قبل أن يهرب ويتطوع فى جيش الشمال محاربا .

فها هو ذا فى احد المشاهد الأخيرة يتقدم رافعا علم الفرقة ، مواجها رصاص العدو لايبالى حتى يسقط مخضبا على ارض المعركة ، مفارقا الحياة من أجل وطن واحد يتساوى فيه السود بالبيض .

ودلالة فوز «المجد» هو و «سائق السيدة ديزى» بسبعة جوائز أوسكار معظمها هام ؛ هى أن الدوائر التى لها القول الفصل فى السينما الأمريكية ، إنما تسعى إلى الوفاق أو بمعنى أصح التحالف بين اليهود والسود بحيث تتوحد الجهود .



رأى فى الثقافة

زاوية مظلمة من الصورة

هل لا تزال «الثقافة» سلعة بائرة تحجم الاموال العربية الضخمة التى نراها تطير امامنا ، وتعمل فى كل شىء ، النافع وغير النافع ، عن تخصيص جزء ولو ضئيل منها للعمل فى مجالها ؟

هل لا يزال المستهلك العربى يحجم عن «الثقافة» وهى الشىء الاساسى الذى به يقترب من الانسانية ؟

قد يكون غريبا ان كاتب هذه السطور يؤمن بعكس ذلك ، ويرى انه بالامكان ان تكون «الثقافة» والجاد منها ايضا ، سلعة رائجة لو وضع العاملون فى حقلها بعض الاعتبارات الاساسية التى يضعها اصحاب الأموال العاديين فى اعتبارهم ، وهم ينتجون هذه السلع ، النافعة ، وغير النافعة .

فعلى الرغم من اننا جميعا ، وحين يحين وقت الكلام ، نتكلم عن ان الثقافة العربية هى الاساس الموجود فى كل البلاد العربية ، الا ان احدا من العاملين فى حقل الثقافة لا يضع فى اعتباره هذه البديهية : فنادرا ، نادرا ما نجد دار نشر عربية تعمل اساس امتداد الوطن العربى ، اى تعمل على تواجد انتاجها فى كل البلاد العربية .

نادرا نادرا ما نجد دار نشر عربية تعمل الدعاية الكافية لانتاجها كما يفعل اصحاب السلع الذين يخصصون اموالا طائلة للدعاية لانتاجهم .

نادرا ما نجد دار نشر عربية تمد ساحة اهتمامها لتشمل ابوابا يمكن ان تهم ربه البيت ، والشباب ذوى الميول البسيطة ، والصبية والاطفال لتقدم لهم كما تفعل دور النشر العالمية انتاجا يجعلهم يعتادون القراءة ، فيقبلون على الانواع الأخرى ولو بشكل نسبى .

ونادرا ايضا ما نجد دار نشر عربية تقدم انتاجها فى ثوب جذاب وجميل ومتقن (كما يفعل منتجو العطور والاحذية والفساتين) وكما تفعل دور النشر العالمية ، فحتى السلاسل الرخيصة الشعبية المطبوعة على ورق فقير (كالنجوين مثلا) تقدم فى ثوب جميل وقشيب ومغر .



اعتقد انه لو عملت دور النشر العربية على هذه الاسس بالثقافة الى ان تكون سلعة رائجة نجدها حتى فى دكاكين البقالة كما يحدث فى بلاد الله الواسعة .

واعتقد ان هذا يجب ان نلح عليه خاصة بعد بروز الاتجاه الداعى لبيع مؤسسات النشر للقطاع الخاص والا فان هذه الدور ستتحول الى بوتيكات لبيع سلع غير مفيدة لكنها رائجة !

● عبده جبير

مجلات اسبوعية جديدة والمجلات الشهرية تتعثر فى الصدور ؟

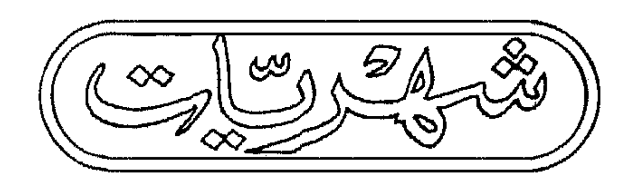
●لم لا تثوب الهيئة المصرية العامة للكتاب الى رشدها وتعمل على العودة الى البديهيات حين تخطو خطوة للامام او حتى خطوتين للخلف ؟

لم لا تثوب الهيئة المصرية العامة للكتاب الى رشدها وتنتبه الى شىء بسيط وبديهى وليس اختراعا جديدا مغمورا غير منتشر ، وتعمل على اساس هذا الشىء الذى هو : التخطيط .

لم تصر الهيئة على اصدار مجلات وتقول عنها «شهرية» وهى لا تصدر شهرية ، وتصدر عملا من عشرين جزءا ولا تصدر منه عبر عشر سنوات سوى ستة اجزاء ، وتصر على اصدار العديد من السلاسل دون ان توفى بالتخطيط لسلسلة واحدة ؟ هل هى الرغبة فى الفشل ؟

نسمع الآن ان الهيئة تنوى اصدار صحيفة ثقافية اسبوعية فى الوقت الذى نجد المجلات الشهرية القائمة فعلا غير قادرة على الصدور فى مواعيدها !

لا يستطيع احد ان ينكر ان مجلة «القاهرة» خاصة فى السنين الاخيرة قد اصبحت مجلة حية متنوعة تقدم صور الثقافة الحية فى مصر . وهى الاكثر جدوى ونشاطا من كل المجلات التى تصدرها الهيئة ، ولكن ها هى مجلة «القاهرة» تتاخر عن الصدور مرة تصدر كل شهر لعدة شهور ، ومرات تصدر كل شهرين ، ومرات اخرى كل ثلاثة شهور حتى غدا المتتبع لها زاهداً فى تتبعها ، وهذه هى اخطر حلقات قتل اية مطبوعة ، واذا سالت قالوا ازمة الورق ، ولا نعتقد ان هناك ازمة فى الورق ذاته ، انما الازمة فى انعدام التخطيط لتوفير هذا الورق فى مواعيده ، ازمة سوء تدبير ، وعدم احساس بالمسئولية ، فالهيئة اصدرت مئات الكتب الجديدة غير المخطط لها ، واهملت كتبا عديدة مضمونة على جميع المستويات هاهى خطط على مبارك ، مثلا ، صدر منها ستة اجزاء منذ سنوات ،



اشارات ثقافية

ووقف صدور بقية اجزائها على الرغم من نجاح توزيع اجزائها الاولى ، وعشرات الامثلة فى هذا المجال .

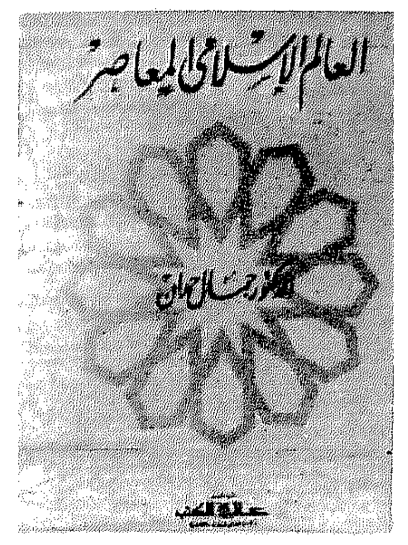
كيف لا نكمل عملا ناجحا ومضمونا ونلجا الى اعمال غير ناجحة أو مضمونة كيف ندعو لاصدار صحيفة اسبوعية غير مضمونة ونحن غير قادرين على الاستمرار فى مطبوعة نافعة ومضمونة ؟

يقول البعض ان ضرب مجلة القاهرة مخطط لصالح المطبوعة الجديدة ، لكننا بمعرفتنا بتفاصيل ما يجرى نقول ان هذا غير واقعى إنما الواقعى والصحيح ان كل شىء يتم دون تخطيط حتى «الضرب» نفسه . فهو ايضا يتم بطريقة كل شن كان ، الأمر الذى يدفع الى التاكيد على انه حتى الجريدة الاسبوعية القادمة ستكون غير مضمونة وحتى اشعار اخر .

جمال حمدان والعالم الاسلامى المعاصر

اوشك الدكتور جمال حمدان على الانتهاء من سفر جديد له يربو عدد صفحاته على الالف صفحة يحمل عنوان «العالم الاسلامى المعاصر» وهو تطوير بالعمق لكتابه الصغير المعنون بنفس العنوان والذى صدرت طبعته الثانية فى الشهر الماضى ، وهى طبعة محدودة لا تزيد عن الف نسخة (كانت الطبعة الاولى قد صدرت عام ١٩٧٥) .

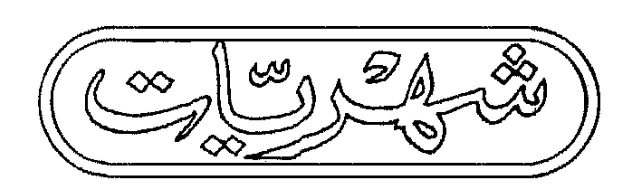
(والمرء وهو يذكر بالاكبار هذا المجهود الكبير للمفكر الكبير لا يسعه الا ان يربط



حادثتين بعضهما بالبعض . فقد سبق ان كان كتاب «شخصية مصر» الذى صدر فى اربعة اجزاء ضخام كتابا صغيرا ، أو لنقل ملخصا للفكرة الاساسية التى قام عليها السفر الكبير ، وها هو جمال حمدان يفعلها مرة اخرى مع «العالم الاسلامى المعاصر» الذى وعد بتسليمه لناشره فى بداية يوليو القادم ، ليصدر خلال شهرين من استلامه كما صرح الناشر .

واننا اذا نقابل هذا الخبر بالفرحة الغامرة الا ان الحياة العامة تفتقد مساهمات كاتبنا الكبير خاصة وانها فى حاجة الى مساهماته القيمة التى نرجو ان يكون انتهاؤه من هذا السفر سببا فى مشاركته الفعالة فى حياتنا الثقافية ، وسيكون الهلال فى غاية السعادة لو قرر كاتبنا الكبير اختياره كمنبر يعبر خلاله عن آرائه فى القضايا العامة .

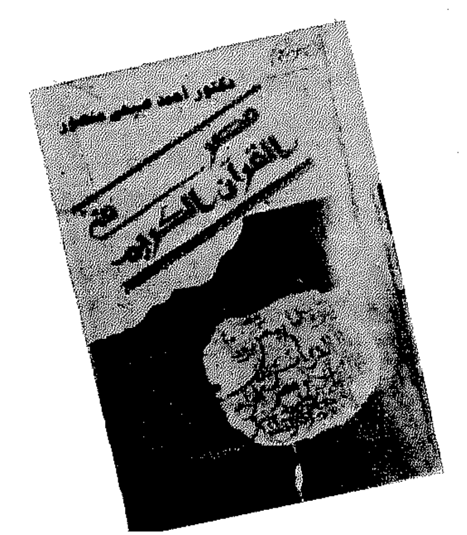
نحن اذن فى انتظار « العالم الاسلامى المعاصر » وسيسرنا ان نخصص له مساحة كافية لتقديمه لقرائنا مع صدوره وربما قبل صدوره .



اشارات ثقافية

• قضية • الشيخ النمر وقضية هذا الكتاب

فضيلة الشيخ عبدالمنعم النمر رجل فاضل ولا نعرف السبب الحقيقى الى لجوئه لهذا الاسلوب الغريب فى التعامل مع كتاب اسلامى .. وكاتب «اسلامى» والنتيجة انه وضع نفسه فى موقف محرج لم يستفد احد منه ، لا هو على المستوى الشخصى ، ولا الاسلام



على مستوى السلوك النبيل ولا العلم الذى اراد ان يكون حارسا عليه فاخطأ السبيل .

فما ان قرأ فضيلته اخبارا تترى عن صدور كتاب الدكتور احمد صبحى منصور المسمى «مصر فى القرآن الكريم» وقد كان له به علم سابق ، وموقف رافض لاسباب لا يعلمها الا الله حتى وهو الرجل الذى لا ترفض له كلمة تنشر فى اوسع المنابر انتشارا نقول حتى بادر سيادته لا بإبداء رايه فى الكتاب وفى صاحبه علنا وبقلمه بل لجأ الى اسلوب غريب على من هم فى مثل موقع فضيلته ، اسلوب المنع من المنبع ، واستعداء المسئولين على الخصوم دون وجه حق ، فاتصل اتصالا وثيقا معترف به ممن هم شهود مباشرين هم مصادرنا الاحياء لكل هذه القصة اتصل بالاستاذ سعيد سنبل رئيس مجلس ادارة مؤسسة الاخبار ، والمسئول الأول عن اصدار سلسلة «كتاب اليوم .. التى نشرت الخبر عن قرب اصدارها للكتاب المذكور وطالب بمنع نشر الكتاب ، الا ان الأمور سارت فى اتجاهها الصحيح وطلب رئيس مجلس ادارة الاخبار تشكيل لجنة من ثلاثة من كبار علماء الأزهر وعرض عليهم الكتاب فاذا بالعلماء المسلمين الأزهريين الافاضل يقرون نشر الكتاب ولم يجدوا به ما يمنع من نشره ، ولم يجدوا به طبعا ما زعم الدكتور النمر من مساس بالقرآن وانجلت الحقيقة ، وصدر الكتاب .

أما الكتاب نفسه ولمن لم يقراه حتى الآن ، فهو يحاول ان يستخلص الموعظة والعبرة من القصص القرآنى عن مصر ، وذلك بعد ان يتتبع الاشارات القرآنية ليستضيىء بها فى رسم صورة



اشارات ثقافية

تاريخية لأحوال مصر السياسية والاجتماعية فى عصر الهكسوس والرعامسة ، رمسيس الأول وخلفاؤه ، ومن الطبيعي ان تلك الاشارات القرانية عن الحياة المصرية القديمة لا ترسم لوحة متكاملة .

وهنا يضع الكاتب جملة اعتراضية يتساءل فيها « ولكن من قال ان كتب التاريخ وعلماء المصريات قد جاءوا لنا بتاريخ مفصل متكامل للحياة المصرية القديمة مع ان ذلك هو عملهم الاساسى وهدفهم الاصلى» ويعود الى موضوع الكتاب مضيفا : اما القران فليس كتابا فى التاريخ ملتزما بمناهج المؤرخين ، ومع ذلك فان الاشارات القرانية التى حفل بها كتاب الله منذ ١٤٠٠ عام تؤكدها اكتشافات علماء الآثار ، ثم ان هذه الحقائق التاريخية القرآنية لا مجال فيها للريب او الشك ، بينما يكتشف علماء الآثار كل حين ان بعض الفراعنة قد طمس امجاد اسلافه ونسبها لنفسه فالتاريخ البشرى حتى بالهيروغليفية عرف التزييف ، اما قصص القرآن فهو كما قال تعالى : «لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون» .

وفى موضع آخر يقول المؤلف : «وهكذا فالحقيقة التاريخية المذكورة فى القرآن ليست هدفا فى حد ذاتها . وانما هى وسيلة الى الهدف الاساسى وهو الهداية للحق . وتبعا لذلك فإن منهج القرآن فى ايراد القصص التاريخي يختلف عن المنهج التاريخى للمؤرخين ، فالمؤرخ حين يذكر حادثة تاريخية معينة لابد ان يهبط بها على ارض الواقع بان يذكر حين يذكر المكان والزمان والابطال اما القرآن فله شان مختلف فالعبرة هى الاساس من ايراد القصص القرآنى» .

هذا هو جوهر ما ذهب اليه الباحث فى كتابه الذى اقره عليه العلماء


الشيخ عبدالمنعم النمر

الافاضل فى تقرير مكتوب موقع عليه منهم ولا نعرف ما الذى اغضب الشيخ النمر فى هذا القول ، ولنا الآن نتساءل :

اليس فى هذا القول الذى جاء تحديده على هذا النحو ، وفى هذا السياق اضافة جديدة لدراسة القصص القرآنى من زاوية عبرته ؟



اشارات ثقافية

اليس هذا اجتهاد يغنى ثقافة المسلم ويوقظ عقله من الركود والضمور والموات ؟

ثم اخيرا اليس هذا الكتاب إضافة لمكتبة الدرس القرآنى وهل من اللائق ان يعاقب من يساهم بمثل هذا الدرس ام ان الأجدى والأنفع أن يناقش وان يتحاور معه بدلا من اللجوء الى اساليب «ورائية» لمنعه من حقه فى ابداء ما انتهى اليه درسه ؟

اسئلة نعرف الاجابة عنها ولعلها تجد إجابة هادئة من فضيلة الشيخ النمر .

الأوبرا ونهاية رائعة

انتهى موسم الأوبرا لعام ٨٩ / ٩٠ بمفاجاتين الأولى قيام اوركسترا وكورال اوبرا فارنا بالتعاون مع فرقة اوبرا القاهرة بتقديم عروض لثلاث روائع اوبرالية على خشبة المسرح الكبير هى «لاترافياتا» (غادة الكاميليا) والتروبادور (المغنى المتجول) لفيردى ، والبوهيمية لبوتشيني .

ومما لوحظ على اداء المغنيات السوبرانو المصريات انه كان معادلا فى اكثر الاحيان لمستوى زميلاتهن البلغاريات اللائى تناوبن معهن ادوار فيوليت وليونورا وميمى فى تلك الأوبرات .

اما «جيفكا ماركوفا» المغنية البلغارية الثيتزوسوبرانو فلم يستطع احد ان يصل الى مستواها فى الاداء لدور الغجرية «ايزوتشينا» فى «التروبادور» .

حقا لقد كانت وحيدة نوعها ، لا تقارن ، فما كادت تظهر فى معسكر الغجر بدءا من المشهد الاول من الفصل الثاني ، حتى فار المسرح بانفعالاتها .

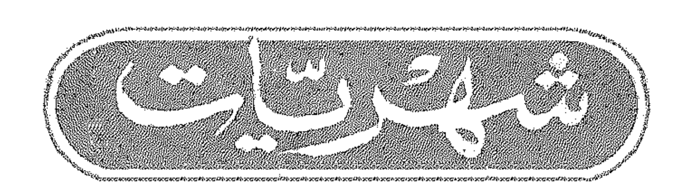
واذا بنا ، نحن المتفرجين اسراها لا نستطيع من سحر ادائها فكاكا . ونبقى هكذا الى ان تنتهى الاحداث بانتقامها من رب القصر لمقتل امها وابنها .. ويا له من انتقام !! أما المفاجاة الثانية فمسرحية «الباخوسيات» «كاهنات الرب باخوس» للاديب اليونانى «اور بيديس» الذى ابدعها قبل الفين واربعمائة عام ..

وما شاهدناه منها انما كان فى ثوب جديد من اعداد الفنان الاسبانى «سلفادور تابورا» الذى تحول بها الى عرض غنائى راقص على طريقة الفلامنكو .

ولو قابلنا بين المسرحية والعرض ، لأدهشتنا حرية تعامل «تابورا» مع النص الاصلى .

فهو والحق يقال ، لم يبق من كلماته شيء ، مؤثرا اللعب بالضوء والضوضاء والالوان بل والرائحة كذلك رائحة البخور ينتشر شذاه فى ارجاء المسرح الكبير ، مع عودة الام «اجافى» الى طيبة تحمل راس ابنها وقد توهمت انها راس اسد قتلته .

ومع ذلك فتابورا فى عرضه لمسرحية



اشارات ثقافية

اوربيديس» كان اقرب الى روحها واكثر حرصا عليها من كل هؤلاء الذين غالوا فى الحفاظ على الاطار التقليدى لها حتى انتهى بهم الامر الى الجدب والعقم والاعدام .

ولم اعرض شيئا من تفصيل موضوعها الذى مداره الصراع بين «ديونيسوس» او «باخوس» رب الخمر والاستمتاع وبين الملك المتزمت «بنتيو» ذلك الصراع الذى ينتهى بموت الأخير ميتة بشعة بايدى الباخوسيات ـ بما فيهن امه ـ اللاتى كن قد فقدن الصواب ، فتوحشن ، بفعل الاسراف فى العربدة والشراب .

كما لم اعرض شيئا من تفصيل الديكور البسيط الاخاذ الذى لم يتغير طوال العرض لأنه كان من فصل واحد او انشاء الجوقة او رقصات الباخوسيات الطليقات ، وغير ذلك كثير .

ولو قد عرضت تفصيلها لتنقلت من شىء رائع الى شىء اكثر روعة .

ولا اظن اننى مسرف فى الثناء اذا ما جنحت الى القول بان «الباخوسيات» حسب رؤية «تابورا» لها ، هى من الاعمال الفنية النادرة التى يتمنى المرء ان يراها بدل المرة مرات .

• مكتبة الهلال •

الكتاب : حرق الدم

تأليف : محمد مستجاب

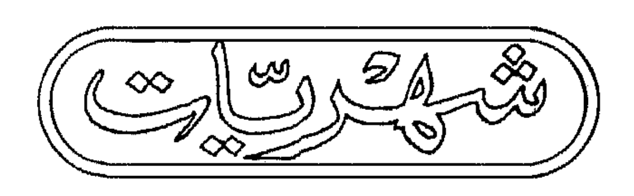
الناشر : مكتبة مدبولى ـ القاهرة

ضمن كتابه الذى تضمن العديد من كتاباته تناول محمد مستجاب كاتبنا الكبير احمد بهاء الدين ـ شفاه الله ـ بعبارات اخاذة هى جزء من تكوينه وابداعه الذى تعودناه منه على مدى اربعين عاما .

يقول عن احمد بهاء الدين :

هذا الرجل .. كالنخلة بصلابة جذعها وشموخ طولها وسامق جريدها ووخز اشواكها ، وحلو رطبها ، يقاوم الاعاصير

واضطراب الجو ونسيج العناكب ، مرتبط بايقاع الزمن ودورة المناخ فلا يثمر الا فى الوقت



مكتبة الهلال

المتسق مع اثمار النخيل وثماره هى البلح العربى بكل انواعه واصنافه يبل الريق ويكرم الصائم ويعالج المريض ، لا يتحول الى جميز او تين او دوم ، لأن ذا سطوة



جرى ريقه على الجميز او التين او الدوم ، صادق اينما نمت شتلاته : فى البصرة أو فى المدينة او فى الطائف او فى البدرشين او فى وادى حلفا او فى سيناء او فى اكادير ، تمنع عنه الماء فيثمر وتزيده فيثمر الثمر نفسه ، لا يتاثر بالسماد السطحى لان جذوره تمتد الى أعمق الاعماق ، ولا يقع ضحية ثعالب الحقول المفسدة للكروم ، ولا للصدا المتلف للقمح ، ولا لدوس الاقدام التى تهشم الاعشاب ، ولا لعبث القطط التى تفسد العجين ، يسمو فوق الخبص واللمز والغمز والنم والدس والشك والتربص وقطع العيش ، يمكنه ـ بتعاليه الراقى ـ ان يربط بين حركة الغيوم واضطراب النمل فى الشقوق ، وروح عبدالله النديم ودورة القمر المنير لعتمة البيوت ، وشق المحراث للأرض واشعار بيرم ، لا يستجيب للمطامع والنزوات التى تدمر الكتابة والزراعة والثمر .

هكذا يكون احمد بهاء الدين .. شفاه الله وعافاه .

الكتاب : البئر الأولى
تأليف : جبرا ابراهيم جبرا
الناشر : رياض الرئيس للكتب والنشر لندن ١٩٦ ص ٧ دولارات او ما يعادلها

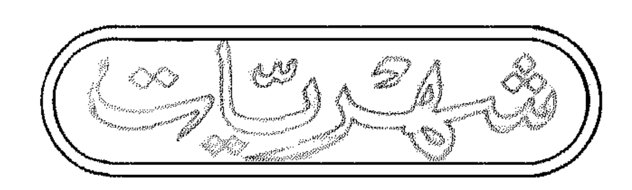
هاهو جبرا ابراهيم جبرا يدخل مجالا آخر للكتابة ، فبعد الرواية والقصة والنقد الادبى ، والترجمة ، وبعد النقد التشكيلى والشعر يبدأ

جبرا ابراهيم جبرا

البئر الأولى

فصول من سيرة ذاتية

رحلته مع «السيرة الذاتية» بكتاب اول عن «البئر الاولى» التى هى طفولته فى فلسطين المحتلة ، والتى قضاها فى مدينة القدس على وجه التحديد يذكر لنا جبرا انه اراد فى البداية ان يكتب سيرة ذاتية كاملة ، خاصة وانه كان من المطالبين للادباء بكتابة مذكراتهم التى يسجلون خلالها تجربة تغيرهم ونموهم وصراعهم التى تجعل لحياتهم وحياة كل منا ـ كما يقول ـ بل للحياة فى عصرنا كله مذاقها وبعض معناها ولكنه



مكتبة الهلال

يدرك انه اذا اراد الدقة فلابد له من التفصيل ومراجعة مئات الرسائل والمدونات يقول : «فقررت ان اكتب عن السنين الاولى فقط من حياتى : ابتداء من طفولتى ، بابعد ما تسعفنى الذاكرة منها ، الى ان انتهيت من دراستى فى انجلترا وعدت الى القدس مليئا بالافكار ومحموما بها ، وممزقا بين ضروب متناقضة من الوعى ، فى مطلع سنتى الرابعة والعشرين ، ثم شعرت ان سنوات دراستى فى إكستر ، وكمبردج (وبعض الوقت فى اكسفورد) تحتاج وحدها الى مجلد خاص ، ان اردت الصدق مع نفسى والتعمق فى تجربتى فقلت : اذن اكتب اولا عن حياتى حتى سن التاسعة عشرة وهى السن التى حالما تخطيتها» .

«ورغم ان احداث المرحلة التالية اغنى جدا بالضرورة ، واشد تعقيدا وتشعبا وهى ايضا تطالب المرء بان ياسر احداثها فى شباك من الكلمات لعل معالمها تتحدد بصيغة مفهومة فان الطفولة تبقى مبحث سحر يستديم فعله الغامض ، ومصدر وهج يعجز عنه التفسير ، وكلا السحر والوهج يغرينا دوما بالشخوص اليه والاندهاش به مجددا ، محققا للنفس انتعاشا هى بجلجة اليه كلما راكمت عليها الايام احداثها ، وحطت السنون عليها اعباءها» .

انها سيرة ذاتية ممتعة حقا ، خطتها يدا فنان حقيقى وصادق استطاع بجدارة ان يعود الى طفولته ليشكل من ذكرياتها عالما مصورا بحيوية فائقة حتى وكانك تعيش مع كاتبها فى المكان (القدس الشريف) وترى الاشياء والطبيعة والناس يتحركون امامك ومعك لتجد نفسك فى عالم حميمى وانسانى .

انها واحدة من اجمل السير التى قراناها لا لكاتب عربى بل يمكن وضعها بجوار السير الذاتية الكبيرة لفنانى البشرية الذين يتجاوزون بها المكان الصغير الى العالم الواسع الرحيب .

الكتاب : الراسمالية تجدد نفسها
تاليف : د . فؤاد مرسى
الناشر : عالم المعرفة ـ الكويت
٤٩٦ ص . ق . م

عالم المعرفة ١٤٧

الرأسمالية تجدد نفسها

تأليف : د . فؤاد مرسي

● هذا كتاب جديد هام للدكتور فؤاد مرسى هو الاول من نوعه فى موضوعه الذى هو تحليل عميق وعلمى لظاهرة تجاوز الراسمالية لمشاكلها وتجديد نفسها . كيف ؟ يقول الدكتور مرسى انه اذا كانت قاعدة الراسمالية

قد تقلصت جغرافيا خلال القرن الحالى فإنها قد اثبتت مع ذلك انها اكثر قدرة على الحياة مما كان يتصور خصومها ، لقد تغلبت على اخطر التناقضات فى اللحظة المناسبة ، وهكذا نواجه الان رأسمالية معاصرة تتميز بالاستجابة الحيوية لمقتضيات العصر ، استطاعت ان تجدد قواها الانتاجية وان تعيد تنظيم علاقاتها الانتاجية حتى لاتفلت من سيطرتها ، كما استطاعت ان تستعيد اكثر مستعمراتها القديمة لتظل رغم استقلالها اطرافا لمراكز الرأسمالية الرئيسية .

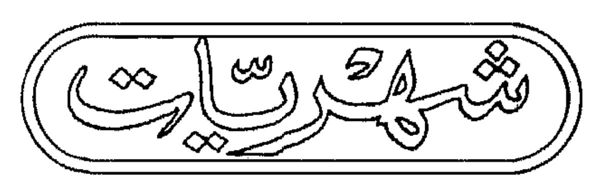
لذلك يبين المؤلف كيف ان الرأسمالية المعاصرة اختلفت اختلافا بينا عما كانت عليه فى مطلع القرن الحالى وفى اواسطه ولقد حدث هذا التطور الخطير بتأثير الثورة العلمية والتكنولوجية اساسا . من ثم جرى تصحيح مسار الرأسمالية فى ظروف احتدام المواجهة مع الاشتراكية وفقدان المستعمرات السابقة ولقد جرى بالفعل تحديثها بصورة مذهلة وقامت رأسمالية ما بعد الصناعة حيث يصبح العلم نفسه قوة انتاجية خلاقة وحيث تنفتح مجالات جديدة ، غير معروفة من قبل للانتاج وتكرار الانتاج ولتوسيع السوق وزيادة الاستهلاك وفى الوقت نفسه تتغير الطبقة العاملة ، وتتغير علاقة الانسان بالالة وتتولد مشاكل جديدة فى علاقة رأس المال بالعمل ، وتظهر الى الوجود اساليب جديدة لحلها .

هكذا وعلى هذا النحو يمضى الدكتور فؤاد مرسى فى تحليله العميق لظاهرة الرأسمالية الجديدة مفتتحا فصلا جديدا فى التحليل العلمى للظواهر المعاصرة ، مما يدفع الى القول ، ان كتابه هذا سيثير الكثير من ردود الفعل خاصة من قبل الذين لا يزالون واقفين امام التحليلات القديمة التى تجاوزتها الايام ـ لذلك ندعو لقراءة هذا الكتاب بتمعن وحرص يليقان به وبكاتبه .

الكتاب : تهويد عقل مصر
تاليف : عرفه عبده على
الناشر : سينا للنشر



يعرض هذا الكتاب لتنسيق صورة عن استراتيجية الغزو الفكرى الصهيونى ، التى تستهدف عقل الشعب العربى فى مصر واعادة صياغته بما يسمح لخلق حالة من القبول النفسى



مكتبة الهلال

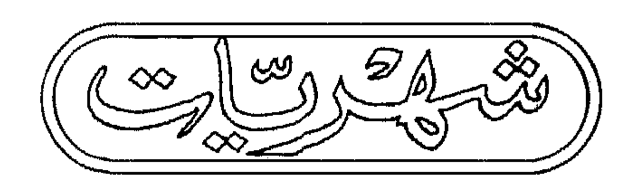
والتاريخي للكيان الصهيوني .. وتبديل المفاهيم الكامنة في عقول المصريين حول الصراع العربي - الاسرائيلي ، والتعرف على الادوات العلمية والثقافية لهذه الاستراتيجية .. تلك الادوات التي تستخدمها الولايات المتحدة للجمع بين علماء وباحثين ومفكرين مصريين واسرائيليين تحت لافتات مختلفة - كما يتضمن الكتاب دراسة موجزة عن نشاط المركز الاكاديمي الاسرائيلي بالقاهرة وجانبا من المحاضرات التي قام بتنظيمها .. وزيارات اساتذة الجامعات الاسرائيليين ، ثم محاور الاستراتيجية الامريكية تجاه مصر ، وسياسة البحوث المشتركة التي تقوم بتمويلها وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية من خلال معاهد ومراكز ومؤسسات علمية «مشبوهة» وفي إطار اخطر عملية رصد حضاري شكلت نتائجها مخزونا هائلا من المعرفة في بنوك المعلومات الاليكترونية بامريكا ..

الكتاب : المسار الاقتصادي في مصر وسياسات الاصلاح
تأليف : د . ابراهيم عيسوي
الناشر : مركز البحوث العربية
١٩٦ ص .



يقول الدكتور ابراهيم عيسوي في مفتتح كتابه : مازالت الازمة الاقتصادية تلقي بظلها الكثيب على المجتمع المصري ، وتضع على كاهل قطاعات واسعة من الشعب المصري اعباء ثقيلة ومع استمرار الازمة يبقى باب الاجتهاد في فهم قضاياها وفي تلمس سبل الخروج منها مفتوحا ، ويضم هذا الكتاب محاولة من جانب مؤلفه للاجتهاد في فهم الازمة ، والوقوف على مختلف مظاهرها ، والتعرف على اسبابها الجوهرية ، والكشف عما تحمله من اخطار وما تنطوي عليه من فرص ومناقشة الخيارات المطروحة للتغلب عليها وانقاذ المجتمع المصري من براثنها

ويبدأ الكتاب بقسم اول يتناول المسار الاقتصادي المصري من الستينيات وحتى الثمانينيات وذلك انطلاقا من الاعتقاد بان فهم المشكلات الراهنة للاقتصاد المصري لا يتيسر الا بالرجوع الى الماضي وقراءة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي .



مكتبة الهلال

لمصر .

وتناول القسم الثانى قضية القطاع العام المصرى ، فمع بروز الدعوة الى التحول للقطاع الخاص .. يصبح من الواجب مراجعة الاسباب التى دعت لقيام القطاع العام فى السابق ، والنظر فيما اذا كانت تلك الاسباب لازالت قائمة ام لا خاصة فى ضوء التغيرات الحديثة فى مفهوم التنمية .

اما القسم الثالث والأخير فيتضمن معالجات لعدد من القضايا الجزئية التى ينطوى عليها الاصلاح الاقتصادى :

اسم الكتاب : مدخل الى سيميائية الفيلم
تأليف : يورى لوتمان
ترجمة : نبيل الدبس
الناشر : نادى السينما ـ دمشق

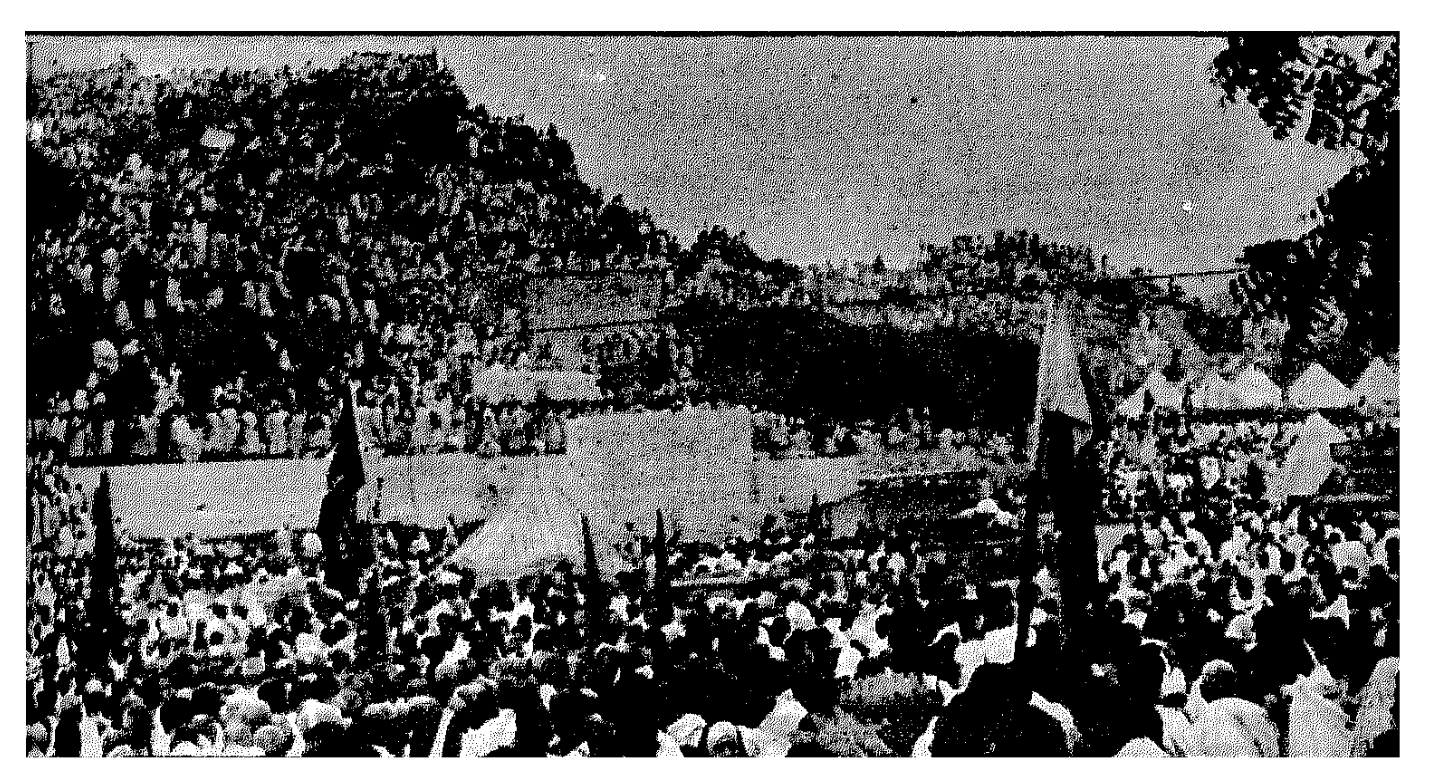
لأول مرة يقدم ناقد سينمائى مثل هذا الموضوع ايمانا منه بان السينما تخاطبنا باصوات متعددة تشكل طباقيات بالغة التعقيد ولانه فى الفن تختلف العلاقة بين لغة الرسائل المنقولة ومضمونها عما هى عليه فى الانظمة السيميائية الأخرى فاللغة على سبيل المثال نظام سينمائى متسق .

وقد حاول الكتاب ربط السينمائية او اللسانيات حسب ترجمتها الى اللغة العربية بفن السينما باعتباره يرتكز على اللسانيات فاللغة هنا تغدو مضمونا بل وتتحول احيانا لتصبح موضوع الرسالة فاللغة السينمائية قد وجدت لغايات فنية وايدولوجية محددة وهى تخدم هذه الغايات وتتحد بها .. ايمانا بان فهم لغة الفيلم هو خطوة اساسية نحو فهم الوظيفة الفنية والانسانية للسينما .

والى جانب هذا المدخل نحو سيميائية الفيلم قدم الكاتب دراسات مبشرة عن اسلوب السود السينمائى والمونتاج والبنية الدرامية للقصة . والصراع مع الزمن والمكان فى العمل السينمائى وذلك من خلال اعمال جورج ميليه وايرنشتين وفايرا والان رينيه وغيرهم .

على رُبَى عرفات

للشاعر الراحل : عبد الوارث عسر



يقبع ديوان الفنان الشاعر الكبير الفحل المجود الأستاذ عبدالوارث عسر ـ رحمه الله ـ فى مجاهل هيئة الكتاب منذ ثلاث سنوات تحت أيدى موظفين لا يعرفون الفرق بين الشعر والنثر ، ولكنهم مع ذلك يتحكمون فى نشر ديوان شاعر عظيم مثل عبدالوارث عسر .

و« الهلال » ينشر هذه القصيدة الرائعة من ذلك الديوان الأسير بين أيدى من لا يعرفون اهميته وقدره الجليل ، ويناشد رئيس الهيئة أن ينقذ آثار الكبار من عبث الصغار ! !

اشعث اغبر يعفر خديه ذليلا على ربى عرفات
خاطئ جاء تائبا يسلم الوجه لمن لا يضن بالرحمات
غافر الذنب قابل التوب البيت وصليت رب فاقبل صلاتى
رب سبحانك استويت على العر ش وكرسيك احتوى الكائنات
وأمرت السماء والأرض إذا قلـ ـت ائتيا فاستجابتا طائعات
وخلقت الزمان رب تنزهـ ـت عن الأوليات والأخريات
وخلقت المكان سبحانك اللـ ـه عن القاصيات والدانيات
وخلقت الأبصار كيف تدركك الـ ابصار ... يا خالق المدى والجهات
انا مثقال ذرة من تراب انا لولاك لست أدرك ذاتى
انا لولا هداك عظم ولحم ودماء تفور بالنزوات
عذت بالنور، نور وجهك أن تذهب فى كل مذهب امنياتى
ضاربا فى الحياة الهث منسا قا وراء كل ما فى الحياة
هب لى الرفق والقناعة الا طمعا فى تزود الباقيات
عملا صالحا به يصعد الكلم الطيب فى ظله من الطيبات
رب هذا (فنى) القاه من عندك طهره من قذى الترهات
رب هذا علمى ولا علم إلا بك بدد بنوره ظلماتى
رب هذا رزقى ورزقى من جودك فابسطه مربعا للعفاة
وابعث النور من هداك ومن علمك يجلو الغياهب الحالكات
شرعة الحق والهدى شرعة الـ اسلام لى عصمة من العثرات
والسراج المنير خاتم رسل اللـ ـه حسبى من الهداة الثقات
وإمامى القرآن علم ونور وغناء عن اليمنيات واليسريات
ربى الله لست أدعو سواه هو أهل الحنان أهل الزكاة
وعبوديتى له أعتقتنى وسمت بى على الغلاظ الجفاة
رب أنت الودود أنت الرحيم البر أنت المرجو فى الغاشيات
أنا مهما أسرفت لست يئوسا أن رب الهداة رب الخطاة
بيد انى أخاف عدلك فى الـ ـميزان يهوى بكفة السيئات
فأكفنى العدل يا رحيم وزن لى بموازين عفوك الراجحات
واعطنى الصبر والحضور ونورا يغمر القلب ساعة السكرات
واعطنى يوم يحشر الناس ضاحيـ ـن حمى فى ظلالك الوارفات

أدباء غريبو الأطوار

الكتاب .. نافذة وحيدة على العالم !

يفخر الكاتب دوما بانه يستقى مايبدعه من تجربته الحياتية اليومية التى يحياها بين الاخرين ، وفى كل يوم جديد يروح ينغمس وسط البشر .. وينهل من التجارب الجديدة والمخزونة وكانها الزاد السرمدى الذى يعطيه الطاقة الابداعية لاعمال جديدة .

بقلم : محمود قاسم



سالنجر .. الهروب من الكاميرا طوال ربع قرن

● ولاشك ان أعظم الكتاب الذين عرفتهم البشرية قد زخموا كتاباتهم ، دائما بما عاشوه من تجارب خاصة وعامة ، وعلى سبيل المثال فان الادباء الذين عملوا فوق السفن ، كبحارة ، وملاحين قد امكن لهم الاختلاط بالعديد من الاجناس البشرية والانماط الانسانية واصبحوا مزيجا بشريا من التجارب التى عليهم ان يعبروا عن اصالتها وصدقها ومعانيها يوما وراء اخر . ووجدوا فى الابداع الادبى ارضا وارفة الخضرة لقص هذه التجارب على الناس . ومن هذه النماذج هناك جوزيف كونراد وجاك لندن وهرمان ملفيل واخرون .

لكن هل يمكن ان يكون هناك كاتب معزول عن البشر بارادته ، وتكون لمؤلفاته جودة واهمية !

قد يبدو السؤال غريبا . فكيف يمكن لكاتب ان يؤلف ادبا عظيما وهو فى « حالة » عزلة عن الناس . ونقصد بالعزلة هنا المنفى الكامل عن البشر الذين هم فى اغلب الاحيان مادته الادبية ، وخامته الاولى فى الكتابة .. حتى وان كان هذا المنفى اختياريا وقد تكون عزلة الكاتب فى بعض الاحيان مؤقته . وذات درجات متباينة . لكن النموذجين اللذين اخترناهما قد اختارا العزلة الكاملة عن البشر لسنوات طويلة جدا .. فاصبحا يخافا الاقتراب من البشر ومع هذا فان شيطان الابداع يوسوس لاحدهما فلا يتوقف عن الكتابة للناس .. وعن الناس

والغريب ان هذين الكاتبين يعيشان فى الولايات المتحدة الامريكية .

تلك البلاد المفتوحة ولايشكلان حالة خاصة او فريدة فى المجتمع الامريكى . فالى جانب توماس بينشون و . ج . و . سالنجر ، اللذين اخترناهما للحديث هناك اسماء عديدة منها جون كوبر بويز . وهنرى دافيد ثورب .. واخرون .

يعيش بينشون وسالنجر منذ نيف وربع قرن فى اماكن مغلقة يهربان من المصورين بشكل يثير العجب . لدرجة ان الناس لم تعد تعرف ملامحهما الحقيقية .. ولولا صورة واحدة لكل منهما نشرتا قبل خمسة وثلاثين عاما لكل منهما لما امكن لاحد ان يعرف حتى ملامحهما . ولتصور البعض ان الكاتبين مجرد اسماء وهمية .

● ثلاثية الفندق المجنون

فالصورة الوحيدة التى تنشرها الصحف لبينشون يرجع تاريخها الى عام ١٩٥٠ . اى منذ اربعين عاما . وهى تصور غلاما فى الثالثة عشر من عمره يبدو شاردا ومصابا بالدهشة . فبينشون مولود فى نيويورك فى الثامن من مايو عام ١٩٣٧ . درس فى جامعة كورنل . ثم التحق بالبحرية الامريكية ابان فترة تجنيده . واختار ان يبتعد عن الناس فى منتصف الخمسينات اى وهو فى سن الثامنة عشر بشكل يدعو للاستغراب . بدأ حياته الاوربية فى عام ١٩٦٣ . اى بعد ان اعتزل الناس . فنشر روايته « خمسة » التى اعتبرها النقاد ، انذاك . عملا عبقريا وباعت فى طبعتها الاولى مليون نسخة .

الغريب انه رغم عزلة الكاتب ، فانه لم يكتب عن الوحدة قط . ولم يكن غزير الابداع . كما لم يشأ ان يسد الفتحة الاخيرة بينه وبين العالم . الا وهى الكتابة نشر حتى الان مجموعة قليلة من الكتب منها رواية « بيع الشحنة ٤٩ بالمزاد » عام ١٩٦٦ ، « قوس قزح الحفر » ١٩٧٣ . ومجموعة قصصية تحمل عنوان « الرجل

الذى كان يتكلم ببطء » عام ١٩٨٥ ثم رواية « فينلاند » التى صدرت مع بداية عام ١٩٩٠ .

فى روايته بيع الشحنة ٤٩ بالمزاد اطلق على بطلته اسم « اوديبة » تأنيث اوديب وهى امراة جميلة تعمل فى مجال التحليل النفسى تجد ان عليها ان تصبح جلادة لحبيبها السابق فوكالة الاستخبارات الامريكية تدفعها الى العثور على هذا الرجل والتخلص منه . انها فى الثامنة والعشرين وقد عانت من فشل فى زواجها .. وتجد نفسها فى فندق صغير فيما يسمى بوادى السيلكون الواقع بين سان فرانسيسكو ولوس انجلوس . وفى هذا الفندق تلتقى بنماذج متعددة من البشر ذوى الاشكال الغريبة فهناك رجل اقرب فى ملامحه الى الضفدعة . وهناك ناس يتلذذون بالتهام العظام واخرون يعشقون الجنس الملتهب . وأوديبة هنا امرأة قدرية عليها ان تتخلص من حبيبها . وكأن اوامر الاستخبارات هى القدر الحديث وهى تلجأ الى جنون العظمة كمهرب وحيد من قسوة هذا القدر

وفى روايته « قوس قزح الحفر » يرى بينشون ان الحياة ليست سوى نوع من «النقش» من خلال الطرق استمدها من قوس قزح . فمن هذا القوس استمد الانسان كلماته والوانه ورغباته فى الابداع وبطل الرواية روجر مكسيكو يجد نفسه محاطا بمهام سرية عليه ان يؤديها مثلما حدث مع اوديبه وفى مكان شبه مغلق يكتشف ان كل الناس موكلون بالقيام باعمال خاصة وهم دائما مهمومون بالحيوانية سواء فى ممارسة الحب اوفى التهام الطعام .

اما روايته الاخيرة « فينلاند » فتدور احداثها عام ١٩٨٤ وهو اسم مدينة تقع فى شمال كاليفورنيا وهو العام الذى تنبأ عنه جورج اورويل بان الشمولية ستسود العالم . هنا الاب زويد وابنته الجميلة برابرى . اما زوجته فرنزى فتشكل جزءا من مملكة الشيطان والشر . وهذه الاسرة تملك فندقا صغيرا فى المدينة يؤمه اناس عديدون ، والفتاة برابرى مصابة بالوسوسة عقب اختفاء امها فى ظروف غامضة خاصة ان عشيق امها يحاول ان يرمى شباكه حولها .

والرواية مثل بقية اعمال الكاتب ، مليئة بالشخصيات الذين حبسوا انفسهم فى فندق صغير .. ويمكن ان نطلق على هذه الروايات بثلاثية الفندق . فالناس متشابهون فى سلوكهم وهم فى شبه عزلة بعيدا عن العالم . وفى هذه العزلة لابد ان يكونوا متوحشين وشبقين بشكل واضح للغاية .

● جريتا جاربو .. فى الادب الامريكى

فى عام ١٩٦٥ قرر كاتب امريكى موهوب ان يعلن اعتزاله الكتابة والناس انه جيروم دافيد سالنجر وقد اثار هذا السلوك المفاجىء للكاتب دهشة الناس . لكن المتابعين لدقائق حياته لم يفاجئهم هذا القرار . فقد عرفوا ان سالنجر قد عكف فى السنوات الاخيرة ، قبل عزلته . على دراسة الديانة البوذية . وابدى اعجابه بالحكيم بوذا ولذا فلم تكن عزلته سوى نوع من التقليد لما فعله بوذا قبل الاف السنوات .

وسالنجر من اسرة يهودية هاجرت من اوربا ولد فى اول يناير عام ١٩١٩ عاش



توماس بيرنشون

حياة يكتنفها الغموض . وقد جاءت شهرة سالنجر الادبية من خلال مجموعاته القصصية المتميزة التى نشرها فى سبعة كتب . ولم ينشر سوى رواية واحدة لا أكثر وقد حاول الباحث البريطانى ايان هاملتون ان يتتع سيرة حياة الكاتب فى دراسة هامة تحمل عنوان « البحث عن سالنجر » نشرها فى عام ١٩٨٨ لكنه لم ينجح فى الوصول الى الكثير من المعلومات عن حياته سواء قبل زمن العزلة او بعده .

نشر سالنجر روايته الاولى « الحارس فى منطقة الشوفان » فى عام ١٩٥١ ثم نشر سبع مجموعات قصصية منها « مزانى وزوى » عام ١٩٦١ و« ارفعوا اعمدة السقف » عام ١٩٦٣ والطريف ان الملحق الادبى لجريدة الصانداى تايمز قد اطلق على سالنجر اسم « جريتاجاربو » الادب الامريكى عندما عرض لكتاب هاملتون باعتبار ان السيدة جاربو شكلت ظاهرة خاصة حين اعتزلت الفن والناس وهى فى قمة عطائها وصنعت من نفسها اسطورة لم تجد لنفسها حلا حتى الان .

الجدير بالذكر ان العديد من اعمال سالنجر قد ترجمت الى اللغة العربية فى بيروت وعمان ويقول الباحث الفلسطينى احمد عمر شاهين فى مقال عن ابداع سالنجر ان معظم اقاصيصه التى كتبها فى الاربعينات ، تدور حول افراد من عائلة يهودية هى عائلة جلاس . وان رواياته الاربع الاخيرة التى نسميها روايات مجازا ليست سوى اقاصيص طويلة تدور حول افراد من العائلة نفسها ، والكتابة عن هذه العائلة هى هاجس سالنجر منذ ان مسك القلم ليكتب ويقول عن ذلك طالما راودتنى فكرة كتابة سلسلة من الروايات القصيرة عن عائلة يهودية تعيش فى نيويورك فى النصف الثانى من القرن العشرين انه مشروع طويل الامد وطموح . تكتنفه صعاب كثيرة . وافترض عاجلا ام اجلا اننى لن استطيع ان اتقدم فيه وعلى العموم فكلى امل فلقد انتظرت معظم حياتى ان احقق هذا المشروع .

الغريب ان سالنجر هو الذى اخفق هذا المشرع بنفسه فهو يختلف عن توماس بينشون فاذا كان هذا الاخير قد اعلن عزلته للناس فهو لم يعتزل الكتابة

الا ان سالنجر قد اعلن للناس انه اعتزل الاثنين معا .. وبعد ربع قرن من عزلته لم يطلع على العالم بكلمة جديدة بل الغريب انه راح يقاوم احد المصورين بعنف حين ترصده هذا الاخير والتقط له مجموعة من الصور بدا كأنه خائف من التصوير بشكل يدعو للغرابة فعلا .. ولانعرف ماذا يمكن ان يجد الباحثون فى جعبة سالنجر وايضا بينشون فى السنوات القادمة ؟



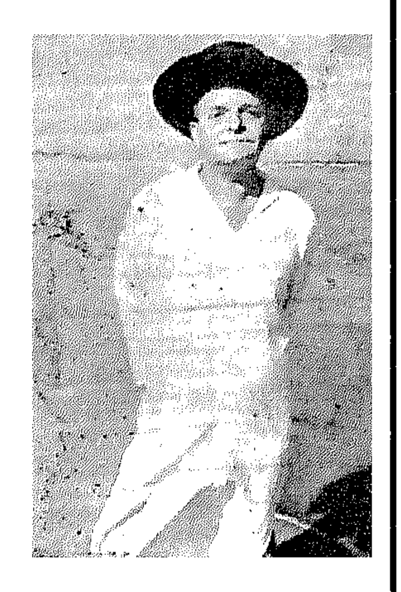
العالم في سطور

• نيويورك •

• كاتب .. عبر الاثير

هناك بعض الكتاب الذين يتمتعون بجاذبية خاصة لدى الناس ، ليس فقط من خلال كتاباتهم الابداعية .. ولكن من خلال ما اثير عن حيواتهم الخاصة .. من هؤلاء الكتاب على سبيل المثال "سكوت فيتزجيرالد" و "ترومان كابوت" .. وكثيرا ما تكون الاحاديث حول هؤلاء الكتاب اكثر من ادبهم وابداعهم ..

وحول الكاتب الامريكي ترومان كابوت صدر في الشهر الماضي كتابان الاول من اعداد الباحث جيرلاد كلارك .. والثاني يضم مجموعة من القصص والروايات التي كتبها كابوت بالاضافة الى عشرات الصور النادرة



ترومان كابوت

والطريفة .. والكتابان يحملان اسم "ترومان كابوت" وقد وصلت عدد صفحاتهما معا الى ألفي صفحة كاملة .

يقول الكتاب ان شهرة كابوت ، على المستوى الاجتماعي والعام في الولايات المتحدة قد جاءت من ايمانه بانه من الصعب على المحرر ان يكون كاتبا وشخصا لطيفا .. ولذا فقد اختار كابوت (١٩٢٤ - ١٩٨٤) ان يكون شخصا متوحشا .. يعيش على السجية .. ويكتب ما يشاء .. ويصادق من يريد ..

ويقول جيرلاد في كتابه ان العالم لم يعرف كاتبا له نفس النمط الحياتي الذى عاشه كابوت .. فقد كان يتنزه في الغابة وهو في سن الخامسة حاملا معه فانوسا ومجموعة من الاوراق يدون فيها خواطره .. وفي سن العاشرة اكد لمن حوله انه سيكون كاتبا متميزا .. وفي سن العشرين زار العديد من البلاد وفي عام ١٩٤٥ كانت قصصه القصيرة ، حديث الناس .. وفي الستينات كان كتابه "مع سبق الاصرار والترصد" صدمة لكل العالم .. وهو تحقيق روائي حول رجلين قتلا اسرة بأكملها بلا سبب ظاهر ..

وقد ظل ترومان كابوت في منظور الناس الرجل الغريب .. فهو قصير القامة بشكل لافت للنظر ، كما ان صوته ظل دوما اشبه باصوات المراهقين .. وكان يقول دوما عن نفسه .. "انا رجل مدمن .. وشاذ ، واشرب الخمر .. لكنني عبقري" .. وقد شاركت كل هذه الاشياء معا : الادمان ، والشذوذ ـ الخمر والعبقرية في قتله في عام ١٩٨٤ وهو يردد "لا اريد ان أنام ولا اريد ان اموت ، ولكن ان اسافر عبر الاثير" ..

• لندن •

قلبي على ولدي

« الطفل الخامس »
عنوان الرواية التي صدرت اخيرا للكاتبة البريطانية المعروفة .. دوريس ليسنج .. وفيها تتحدث عن زوجين يحلمان بانشاء بيت كبير ، يضم العديد من الاطفال والابناء ، يملأونه بالصراخ والضحكات والكلمات الطفولية الجميلة .. ورغم اعباء الحياة .. الا انهما رزقا بخمسة ابناء .. تبدأ الرواية والاسرة تحتفل بوفود الطفل الخامس ..
علق بعض النقاد بان بطلة هذه الرواية هي دوريس ليسنج ، ليس من خلال وقائع الرواية .. ولكن من خلال ما عرف عن حياة الكاتبة التي انجبت ثلاثة اطفال من زيجتين .. وكانت تعتبر ان الرجلين اللذين تزوجتهما تباعا بمثابة ابناء .. ولذا فقد انجبت ، في منظورها خمسة اطفال .. ومع هذا فقد راح الزوجان .. وسافر الابناء .. كل الى مشرقه او مغربه الخاص .. لدرجة ان السيدة ليسنج قد وجدت نفسها تحتفل بعيد ميلادها السبعين ، في الشهور الماضية ، وهي وحدها في بيت واسع ، لاتزال اصداء صراخاتهم وزقزقتهم تتردد في الجنبات .. او كما جاء على لسان هارييت بطلة الرواية .. مازلت ارى اشباحهم تاتيني كل ليلة .. رغم انهم لا يفكرون كثيرا


دوريس ليسنج

في الحضور ..
والرواية هي حالة اجترار حنيني لعلاقة هارييت بابنائها الخمسة .. تتذكر كيف ولدتهم وارضعتهم .. وكيف لقنت كل منهم الخطوات الاولى في كل شيء .. حتى صاروا جزئها الذي يتحرك في كل الدنيا ..
دوريس ليسنج هي احدى الكاتبات اللاتي ينتظرن الحصول على جائزة نوبل منذ سنوات طويلة .. عرفت حياتها العديد من التحولات .. فانتقلت بين الشمولية والصوفية .. وناضلت ضد التفرقة العنصرية في جنوب افريقيا .. حيث عاشت هناك ثلاثين عاما .. من اهم رواياتها "الحشائش تغني" ترجمت الى اللغة العربية في روايات الهلال ، و "ابناء العنف" و "البطاقة الذهبية" وعشرون كتابا اخرى .

• باريس •

ابي لا يركض في الشارع

"الرجال القساة يركضون في الشوارع ..
عنوان غريب لرواية جديدة قدمتها الروائية الشابة كاترين بانكول .. والتي استمدت وقائعها من تجربة خاصة .. وتقول الكاتبة ان الممثلة الامريكية لويزبروك قد حدثتها يوما انها تحب دائما الرجال القساة .. لان الرجال اللطفاء فيبدون



حزانى .. ولذا فاننا لا نحبهم كثيرا .. هل تعرفين ان هناك امرأة فقدت رأسها بسبب طفل لطيف .. انا شخصيا لم اعرف فالرجل القاسي خفيف ، وثرى .. ومليء بالغموض .. وهو يجعلك تصابين باللهاث .. وقد يدفعك ان تثقى به .. وربما ان هذا يدفع النساء ان يعشقن الرجال الذين يتسمون بقسوة خاصة ..

وتقول كاترين بانكول انها ردت على مقولة لويزبروك التى عاشت حياة مليئة بالغموض قائلة فى روايتها :

"لا ياسيدتى .. فانا لا احب الرجال القساة لانهم لايركضون فى الشوارع مثلما يفعل الاخرون .. وذلك بدافع القسوة .. ففى الشوارع .. كثيرا ما ترى الرجال يركضون اما لممارسة الرياضة .. أو للحاق بامر عاجل .. لكن الرجال المتعجرفين لا يفعلون ذلك .. خوفا من ان يفقدهم ذلك هيبتهم .. فهم يتوقعون من الاخرين دائما ان يقوموا بخدمتهم وان ينتظروهم وان يحكوا لهم جلودهم .

وحول احد هؤلاء الرجال القساة تتكلم كاترين بانكول فى روايتها .. لم يكن هذا الرجل سوى أبيها .. رجل لايشبه بقية الرجال .. لانه كان يبتسم بحساب .. ويضحك أيضا بحساب .. و يتصرف مع



كاترين بانكول

الاخرين بحذر شديد وكأنهم سيضعون له السم فى الشراب ... وقد خصصت كاترين كل صفحات روايتها ـ ٣٥٠ صفحة ـ من اجل الحديث فقط عن رجل واحد .. هو ابوها ..

هذه هى الرواية الرابعة للكاتبة كاترين بانكول .. والتى رشحتها الدوائر الامريكية للحصول على جائزة فيمينا الادبية .. لكن الجائزة كانت من نصيب سيلفى جرمان عن روايتها "ايام الغضب" التى قدمتها "العالم فى سطور» فى العدد الماضى ..

من بين روايات كاترين الاخرى .. "انا ، اولا" و "الهمجية وسكارليت" ثم "بقدر الامكان" .

• باريس •

جنس واكاذيب وبيروسترويكا

امريكا بلد العجائب ما فى ذلك من شك .. ومن بين عجائبها مجلة انيقة شعارها رأس ارنب لا اعرف لماذا .. واسمها "بلاى بوى" "الفتى اللعوب" ، واغلب الظن انه مستوحى من "فتى الغرب اللعوب" المسرحية التى ابدعها الاديب الايرلندى جون ميلينجتون سينج قبل خمسة وثمانين عاما .

والمجلة تتاجر بالسياسة وبالجنس وبالذات عرى بنات حواء .

وعلى صفحاتها كلام كثير عن الجمال والحب .

والجمال الذى تقصده ليس الجمال بما يوحيه الى النفس من معانى السمو ..

الجمال بلطفه وانوثته ونعومته .

اما الحب بما يبعثه من متعة ونعيم لا يحدّان، الحب بذله وكبره ، بضعفه وقوته ، بقلقه وطمأنينته ، هذا الحب لن تجد منه على صفحات "البلاى بوى" شيئا .

وللمجلة الواسعة الانتشار ، المطبوعة بعدة لغات ، العديد من النجاحات والفتوحات ، من بينها انها استطاعت بفضل سياسة المكاشفة واعادة البناء "بيروسترويكا" ان تخترق قلعة الاتحاد السوفييتى .

واول بوادر هذا الفتح المبين ، هو انفرادها بنشر صور بطلة الفيلم السوفييتى "فيرا الصغيرة" ، وقد كشفت عن مفاتن جسدها بغير ساتر حتى من ورقة توت .

فلما استنكروا منها هذا الفعل الفاضح .. القمت المستنكرين حجرا ، وهى تقول دفاعا عن تصرفها المشين ، ان المبلغ الذى حصلت عليه ثمنا لتعرية جسدها من اجل عيون قراء البلاى بوى يزيد عن اجرها مقابل تمثيل "فيرا الصغيرة" عشرة اضعاف .

هذا ، و قد اكملت "البلاى بوى" فتوحاتها بان كرست عدد مارس الماضى من طبعتها الفرنسية لوطن الاشتراكية فى ظل المصارحة واعادة



البناء ولو اطلعنا على العدد لتبين لنا ان له غلافا يزينه شعار المطرقة والمنجل بلون الدماء . وعلى المنجل جلست فتاة روسية شقراء ، عارية الساقين والنهدين .

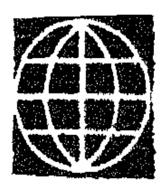
وفى داخله حديث هام اجرته المجلة مع بطل العالم فى الشطرنج "جارى كاسباروف" وهو يهودى ارمنى - مداره الجنس وفشل الشيوعية ، والشطرنج والكافيار .

اما الصفحات التالية مباشرة للحديث المذكور ، فهى مغطاة اما بالكرملين وقبابه ترفرف عليها الاعلام الحمراء ، واما باجساد حسناوات روسيات جرى تصويرهن اما فى موسكو او منتجع سوتش على شاطىء البحر الاسود فى اوضاع مخلة بالحياء .

وفيما بين هذه التصاوير التى اتخذت اعدادا من جريدة البرافدا خلفية لها ، مقال "لجف كوهين" مدير التصوير الامريكى بالمجلة يحكى فيها مغامراته فى ربوع روسيا ، كيف اجتاز الستار الحديدى بالممنوعات ذهابا وايابا .

ثم كيف نجح بمعاونة المصور الروسى "الكسندر بورودين" فى ان يغرى فاتنات عاصمة امبراطورية الشر على الوقوف امام العدسات وهن عاريات .

وطبعا لما يأت ، فيما جاء على لسانه من حواديت ، ذكر لما دفعه ثمنا لما اشترى من اجساد ..



استراتيجية الردع والتوسع تعنى الدمار لا السلام!

بقلم : محمد فتحى

تطرقنا على صفحات «الهلال» من قبل مرارا الى الأوضاع النووية فى منطقة الشرق الأوسط ، وفصلنا فى الحديث عن استراتيجية اسرائيل النووية (نوفمبر ٨٧) ..

وإن كانت هذه الاستراتيجية ثابتة فإن هناك تغيرا فى السياسات المتبعة بصددها ، بالذات فيما يخص «موقف العلانية» من امتلاك اسرائيل الاسلحة النووية وحرمان العرب من أى قدرات فى هذا المجال .. الأمر الذى يدفعنا الى التطرق لهذا الموضوع ، بالذات والسياسات الاسرائيلية الجديدة تتماشى مع استراتيجية الردع والتوسع التى يمكن أن تقود المنطقة الى الدمار وليس الى السلام ..

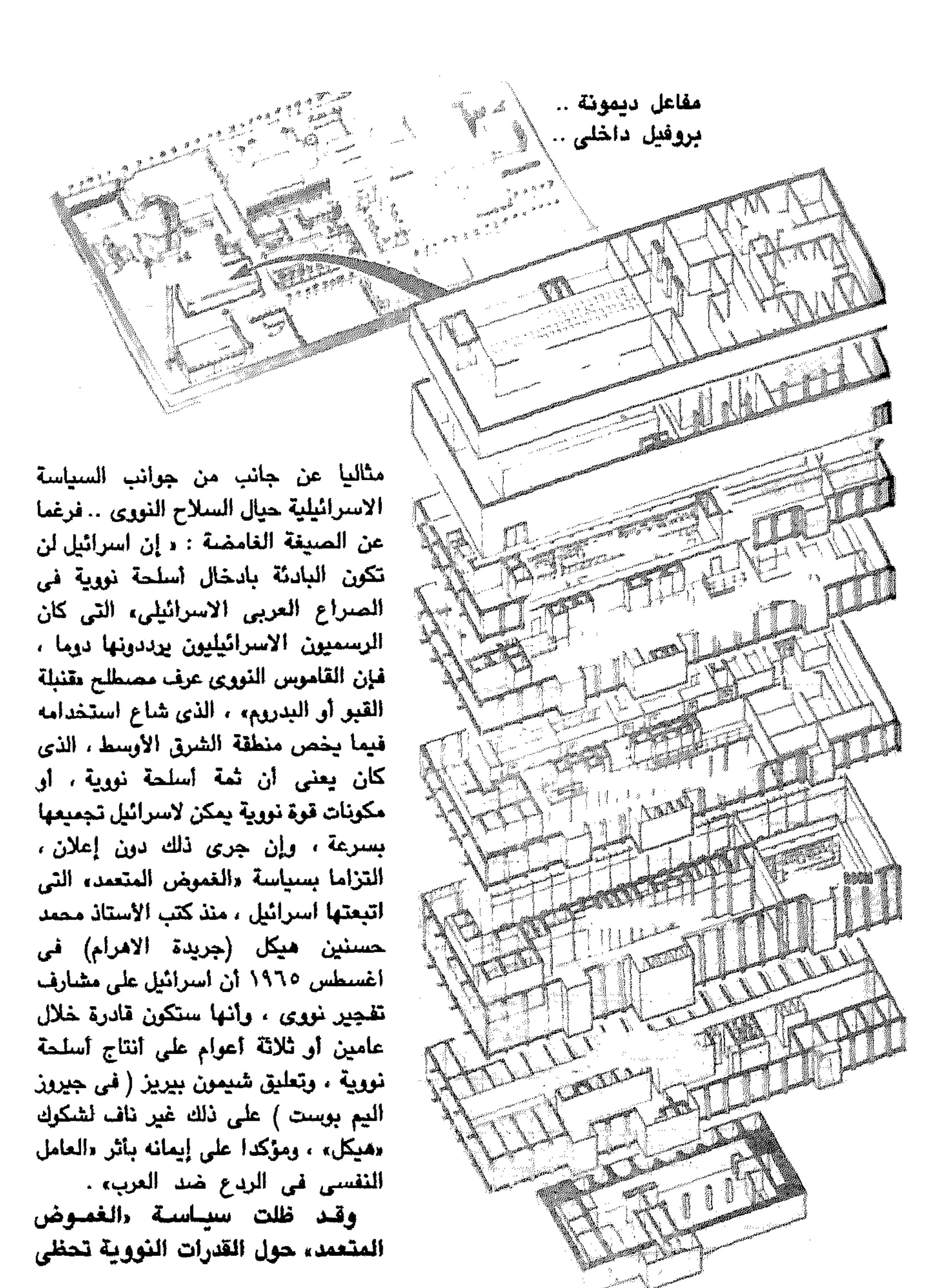
● خلال مهرجان كان السينمائى عام ١٩٧٨ فوجىء الحضور بحملة اعلانية مكثفة ، شغلت مساحات كبيرة من صحف ومجلات المهرجان ، دارت حول واقعة مثيرة : «اختفت فى عرض البحر سفينة تحمل شحنة يورانيوم تكفى لصنع ٣٠ قنبلة ذرية .. فهل تعرف أين ذهبت ؟ ومن هم وراء العملية ؟» ..

كان الاعلان يروج لفيلم جديد من أفلام المخرج الاسرائيلى مناحم جولان الذى كان قد أخرج قبلها «عملية رجال الصاعقة» ، عن حادث الطائرة الاسرائيلية المختطفة الى مطار عنتيبى .. وكان الفيلم الجديد : «مؤامرة اليورانيوم» يجيب باقتخار وزهو عن السؤال الذى روجت له الحملة الاعلانية ، واجابة لاتنطوى على مواربة تتباهى بأبطال الموساد الاسرائيليين ، الذين قاموا بالعملية عبر ست دول أوربية وأفريقية ..

وقد تناول الفيلم واقعة حقيقية جرى فيها تحويل مسار السفينة «شيرزبرج» التى تحمل شحنة اليورانيوم الى اسرائيل ، وطبعا ليس من دون مباركة بعض القوى الكبرى ..

● القنبلة فى القبو

والفيلم على هذا النحو جاء تعبيرا



مفاعل ديمونة ..
بروفيل داخلى ..

مثاليا عن جانب من جوانب السياسة الاسرائيلية حيال السلاح النووى .. فرغما عن الصيغة الغامضة : « إن اسرائيل لن تكون البادئة بادخال أسلحة نووية فى الصراع العربى الاسرائيلى» التى كان الرسميون الاسرائيليون يرددونها دوما ، فإن القاموس النووى عرف مصطلح «قنبلة القبو أو البدروم» ، الذى شاع استخدامه فيما يخص منطقة الشرق الأوسط ، الذى كان يعنى أن ثمة أسلحة نووية ، أو مكونات قوة نووية يمكن لاسرائيل تجميعها بسرعة ، وإن جرى ذلك دون إعلان ، التزاما بسياسة «الغموض المتعمد» التى اتبعتها اسرائيل ، منذ كتب الأستاذ محمد حسنين هيكل (جريدة الاهرام) فى اغسطس ١٩٦٥ أن اسرائيل على مشارف تفجير نووى ، وأنها ستكون قادرة خلال عامين أو ثلاثة أعوام على أنتاج أسلحة نووية ، وتعليق شيمون بيريز (فى جيروز اليم بوست) على ذلك غير ناف لشكوك «هيكل» ، ومؤكدا على إيمانه بأثر «العامل النفسى فى الردع ضد العرب» .

وقد ظلت سياسة «الغموض المتعمد» حول القدرات النووية تحظى

استراتيجية الردع والتوسع

بقصب السبق في اسرائيل فترة طويلة لكنها تعرضت للأخذ والرد منذ منتصف السبعينيات ، يوم دعا موشي ديان الى ضرورة «الخروج على الملأ» بقدرات اسرائيل النووية ، وضرورة استعراضها استعراضا علنيا (جيروزاليم بوست ـ ١٨ فبراير ١٩٧٦) وعضده في ذلك بعض المحللين والاكاديميين ، لاسيما شاي فيلدمان من معهد الدراسات الاستراتيجية بجامعة تل ابيب ، بينما عارضه سياسيون آخرون مثل رابين (رئيس الوزراء) وموردخاي جو (رئيس الاركان) وايجال الون (وزير الخارجية) مؤكدين استمرار تأييدهم لسياسة «الغموض المتعمد» تجنبا للضغوط السياسية العربية ، بالذات على الولايات المتحدة ، حتى تستمر مبررات حصول اسرائيل من الأخيرة على سيول الاسلحة التقليدية المعقدة ..

وفي إطار سياسة «الغموض المتعمد» هذه أسفر الخلاف في وجهات النظر عن اضافة شطر ثان للموقف الرسمي الاسرائيلي ليصبح : « إن اسرائيل لن تكون البادئة بادخال اسلحة نووية في الصراع العربي الاسرائيلي ، لكنها لن تكون الدولة الثانية بحال» . وقد أضفى هذا الشطر الجديد غموضا على غموض ، لكنه أعطى مؤشرا عن وجهة حركة السياسات الاسرائيلية في هذا الصدد ..

لقد أصبح معروفا للعالم كله ومنذ نشرت نيويورك تايمز (٢٧ يناير ١٩٧٨) نبأ وثيقة سرية لوكالة المخابرات المركزية ، ترجع الى ٤ سبتمبر ١٩٧٤ ، تؤكد أن إسرائيل قد قامت بانتاج اسلحة نووية ..

● مغزى رواية فانونو

لكن المعركة حول «سياسة العلنية الاسرائيلية» في هذا الصدد ظلت قائمة الى أن حسمت بطريقة مبتدعة ، في ٥ اكتوبر ١٩٨٦ ، من خلال رواية فانونو في «صنداي تايمز» التي لم تنطو على جديد ـ من حيث المبدأ ـ سوى درجتي الاعلان والتوثيق .

ودون الخوض في «هوية فانونو» فالمرجح أن السلطات الاسرائيلية كانت تعرف روايته مسبقا وأنها سمحت ـ بما هو أكثر من الصمت ـ بنشرها ، ذلك أنه بات ثابتا اليوم أن فانونو كان يدلل على هذه الرواية بين الصحفيين ، باحثا عمن يشتريها .. وكان قد عرضها قبل «صنداي تايمز» مثلا على الصحفي الكولمبي اوسكار جويريرو ، والأمريكي كارل روبنسون ممثل نيوزويك (وفق رواية نيوزويك نفسها ـ ١٠ نوفمبر ١٩٨٦) ..

ولايمكن أن يكون ذلك قد جرى بعيدا عن أنف الاسرائيليين ، اضافة إلى أن رواية فانونو جاءت مدعمة بخرائط وصور دقيقة لايتأتى الحصول عليها سوى لرجل نجح طويلا في اخفاء واستخدام آلة تصوير سرية .. وهناك تناقض مفضوح بين ذلك وبين ما جاء في رواية فانونو نفسه عن التعتيم الاسرائيلي الذي لايسمح لأحد بمعرفة ما يفعله زملاؤه ..



موشى ديان


منلحم بيجين

اسحاق رابين

وإذا تصورنا أن فانو يمكن أن يكون الشخص الذى أنجز «مغامرته» من خلال الوعى بظروف مثل هذه الألعاب الخطرة والاحتياط لها، طوال سنوات، فماذا جرى له ياترى عشية نشر «صنداى تايمز» لروايته، وكيف قبل أن يتعرف على فتاة (سيندى) فى ميدان عام بقلب لندن السياحى، وكيف قبل أن يذهب معها الى روما،.

ولعل السؤال الأوقع هنا لماذا ارجأت الموساد «اختطاف» فانونو، إن كان لها كل هذه السطوة، إلى ما بعد نشر «صنداى تايمز» لما نشرته ؟

إذا أخذنا بعين الاعتبار أن رواية فانونو لم تضف من حيث المبدأ الا تحولا فى درجتى الاعلان والتوثيق فيما يخص الخيار النووى الاسرائيلى فإن اجابة السؤال تكون ان اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية لم تعودا تعبأن بالضغوط العربية او العالمية، وان اسرائيل باتت ترى الا بأس من الكشف عن بعض وجهها الحقيقى .. ولكن قبل قراءة هذا الوجه لابأس من مشهد آخر يكشف شقا نقيضا أو مقابلا فى سياسة اسرائيل، ولابأس أن يكون مشهدنا هذا من بيت مناحم بيجن.

● من بيت بيجن

فى عصر الأحد ٧ يونيو ١٩٨١ استدعى رئيس الوزراء الاسرائيلى سكرتيره وأمره بابلاغ اعضاء الوزارة، كل على انفراد، بالحضور الى بيته فى الساعة الخامسة.

واعتقد كل وزير أنه المدعو الوحيد للحديث مع الرئيس فخف وهو يحس ببعض الزهو، لكن كل واحد منهم فوجىء عند وصوله بوجود الوزراء الآخرين .. وفى الساعة الخامسة والربع أطل بيجن على وجوه الوزراء المستطلعة وقال: «حسنا. إن ستا من طائراتنا فى طريقها الآن لقصف هدف هام فى العراق .. وأمل فى نجاح المهمة»

ولف الحضور صمت عميق برهة، همس أحد الوزراء بعدها، وقد راح ذهنه الى المواجهة المتفجرة ـ ساعتها ـ حول

استراتيجية الردع والتوسع

نشر سوريا صواريخ «سام - ٦» فى الأراضى اللبنانية ، «تقصدون سوريا ياسيادة الرئيس» ..

لكن لسان بيجن لم يكن قد زل . كان يقصد بالتحديد مفاعل تموز النووى العراقى وكلنا يعرف بقية القصة المؤسية لتدمير مفاعل «أوزيراك» النووى العراقى وذلك رغم توقيع العراق على اتفاقية حظر انتشار الأسلحة النووية ، وقبوله التفتيش الدولى على منشآته ، الأمر الذى ترفضه اسرائيل رفضا باتا ..

وقد اخترنا هذا المشهد لأنه يكشف ليس فقط عن الشق الآخر للاستراتيجية النووية الاسرائيلية ، الساعية الى حرمان

مورد خاى فانونو .. بالزى العسكرى



الدول العربية من مقومات اى برنامج نووى مستقل ، وإنما لأنه يبين أيضا تطورا فى درجة «الاعلان والتوثيق» - يقابل التطور بصدد قدرات اسرائيل النووية - وإن كان - فيما يخص موقف حرمان العرب من أى قدرات نووية ... تطور يمكن أن نستشفه إذا عرفنا أن تدمير نفس المفاعل (أوزيراك) وهو مازال فى ميناء طولون الفرنسى كان قد جرى قبل سنوات على أنه عمل من أعمال جماعة من «جماعات حماية البيئة» فى فرنسا !! ، ومن أن «الجانى» الذى إغتال العالم العربى يحيى المشد فى باريس ، إجتهد فى أن يترك وراءه متعمدا منشفة لوثت بمساحيق تجميل نسائية ، مما دفع بالتحقيق فى الحادث بعيدا عن وجهته الطبيعية ، بالذات مع واقعة العاهرة التى طاردت المشد يومها حتى باب حجرته ..

وقد بلغت سياسة «الاعلان والتوثيق» مداها فى هذا الصدد قبل أيام مع التصريحات التى أدلى بها جيرالد ستاينبرج ، الذى كان يعمل فى السابق بوكالة الفضاء الأمريكية ، والاستاذ حاليا بجامعة بار - ايلات فى تل أبيب ، وذلك خلال المؤتمر الصحفى الذى عقده بترتيب من الحكومة الاسرائيلية ، إذ قال : «إن اسرائيل مازالت تجرى مناقشات حول الرد الذى تتخذه تجاه العراق لوقف برنامجه الكيماوى والصاروخى والنووى ، وإنها ستحدد المستوى الذى لايمكن أن تتحمله من تطوير هذا البرنامج .. وستكون هناك «خطوط حمراء» تقرر عندها اسرائيل أن تطوير البرنامج العراقى يتطلب عملا عسكريا من نوع ما » .

مجمل القول أن إسرائيل التى كانت تحلم يوما بمجرد الوجود فى المنطقة ، والتى ادعت فى مرحلة لاحقة بانها تتمنى أن تحظى بالاعتراف ، باتت اليوم تسعى إلى أن تحدد حدود دول المنطقة ، وماذا يمكن أن تملك هذه الدول و ....

وليس غريبا أن يفعل الاسرائيليون ذلك على طريقة جربوها عام ١٩٦٧ : انظروا إنهم يهددون بالقائنا فى البحر ، وإنما الغريب انهم يجدون بين القوى الكبرى ، المدركة لخبايا الأمور ، من يصدق ويؤمن على اكاذيبهم ..

وينبغى الا نترك المجال هنا دون إشارة الى ما كتبه افنر كوهين محاضر الفلسفة بجامعة تل أبيب واحد مؤلفى كتاب «الأسلحة النووية ومستقبل البشرية» (١٩٨٥) .

كتب كوهين : إن العبور إلى المرحلة النووية يعنى دخول عالم المجهول .. فالحرب النووية لاتنطبق عليها تعريفات الحرب السابقة ولاتحكمها قواعدها .. ومما يجعل مثل هذه الحرب عديمة الجدوى ينبغى أن نضع فى الاعتبار النقاط الآتية التى ولابد أن تصاحبها :

١ ـ اعتماد بشكل لم يسبق له مثيل على عناصر غير انسانية ، على درجة كبيرة من التقدم (الكمبيوتر واجهزة الاستشعار و ..) للقيادة والمراقبة والاتصال والمعلومات على مختلف مستويات القيادة .

٢ ـ ضغط ملح وسريع حاسم لمستويات صنع القرار السياسى والعسكرى ..

٣ ـ ضغوط لم يسبق لها مثيل من قبل المؤسسات لاستخدام الاسلحة النووية بسرعة .

٤ ـ استحالة اختبار الأداء السليم للنظام بأكمله قبل الاستخدام الفعلى له .

وباختصار فإننا لانعرف تصورا حقيقيا بعد ، عن حرب نووية كواقع ملموس .

وينبغى أن نضيف الى كلام كوهين انه من السابق لأوانه ادعاء نجاح استراتيجية الردع النووى على المثال السوفييتى الأمريكى .. فنحن هنا امام حالة شبيهة بحالة مدخن استمر فى عادته السقيمة ربع قرن دون اكتشاف ضرر ما لكنه توفى بعد ذلك نتيجة اصابته بسرطان الرئة .. وتاخر الوفاة الى هذا الحد لايعنى ان التجربة كانت إيجابية طوال الفترة التى مارس التدخين خلالها ..

إن التجربة تعلمنا انه لايمكن لطرف فى صراع أن يستاثر بوسائل تدمير شاملة دون أن يدفع الطرف الآخر الى البحث عن مخرج كما تعلمنا أن اسلحة معقدة مثل الاسلحة النووية لابد ان تسفر عن انيابها حتى بطريق الخطا (البشرى أو التقنى طالما وجدت) ..

وذلك كله يبين أهمية امتلاك العرب لقدرات نووية خاصة ، واهمية العمل على إخضاع كل المفاعلات النووية بالمنطقة الى رقابة نووية فعالة ، واهمية العمل على انشاء منطقة منزوعة السلاح النووى فى الشرق الاوسط وافريقيا ، لأن البديل لذلك لن كون الا الدمار ..



• العلاج بإنقاص الاكسجين

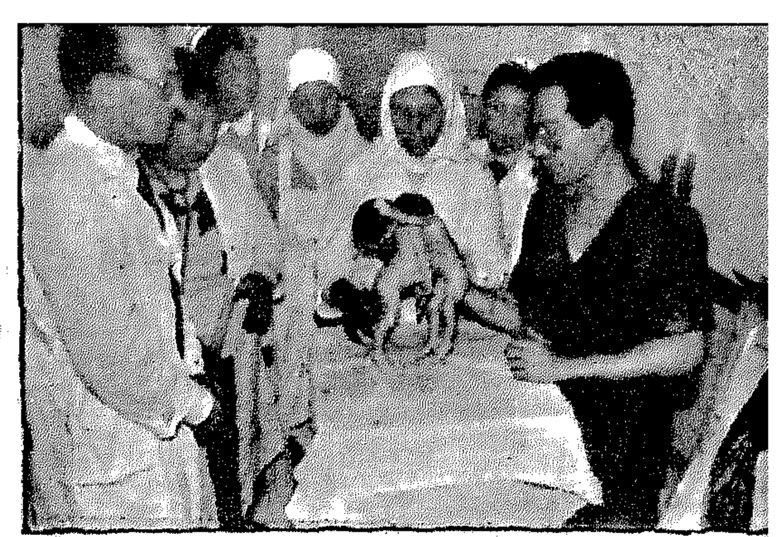
توصل الاطباء والعلماء إلي طريقة علاجية جديدة تعتمد على خفض نسب الاكسجين فى الهواء الذي يتنفسه الانسان بصورة صناعية ومتدرجة ، مما يؤدى الى إنخفاض نسبة الاكسجين فى انسجة الجسم . وقد إتضح ان الجسم يواجه مثل هذا الموقف بمجموعة كامل من ردود الافعال ، التى تساعده على التصدى للتاثيرات غير المواتية ..

واشار البروفيسور يورى كراتشي ، احد الذين توصلوا الى هذه الطريقة ، إلى انها توقظ قدرات للجسم البشرى كانت قد تشكلت خلال مسيرته التطورية ، وتحفز ردود الفعل الوقائيةوالتكيفية .. فمثلا سجلت ذاكرة المورثات (الجنيات) قدر الكائن الحى على العيش وسط انخفاض نسبة الاكسجين ، ذلك أن هذه النسب كانت تشكل فى المحيط الجوى للكرة الارضية ٥ر١ ٪ فقط قبل حوالى ٤٥٠ مليون سنة .. وعند التاثير على الكائن الحي بدورات متقطعة من تقليل نسبة الاكسجين موقظ الذاكر الوراثية للانسان ، لتعمل اليات البقاء على قيد الحياه التى كان قد شكلها فى مرحلة من مراحل تطوره ، ثم هجمت وتنحت مع تغير الظروف .. وبما أن العملية تجرى فى كل خلايا الجسم فإن اجهزته واعضاءه جميعا تكتسب قوة مطردة على الصمود ، ومناعة طبيعية ضد عوادى الزمن .

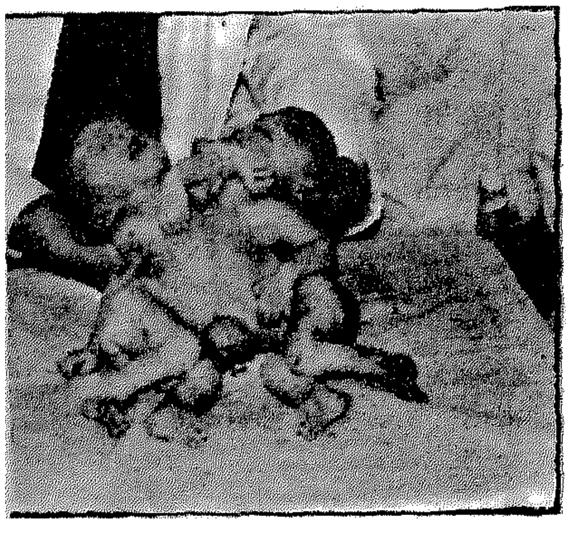
وقد أعطت الطريقة العلاجية الجديدة نتاج جيدة فى علاج عدد من الأمراض منها امراض القلب (وبالذات تلك المتصلة بالقصور فى الدورة الدموية الموضعية ، وارتفاع ضغط الدم والربو والسكر وأمراض النساء والعقم .. كما ثبتت فائدة علاج الجسم بتخفيض نسبة الاكسجين قبل الاقدام على اعمال تتطلب بذل جهود جسدية كبيرة وقبيل التواجد الطويل الأمد فى ظروف قاسية

توأم مصرى ملتصق

قبل ايام قام فريق طبى برئاسة د . مصطفى أبو العيون ، فى مستشفى بولاق الدكرور العام بإجراء عملية قيصرية للسيدة المصرية زينب عطية لاخراج التوأمين الملتصقين اللذين تم اكتشاف حملها بهما فى مرحلة سابقة ،



الفريق الطبى الذى اشرف على الجراحة



سبحان الله

بواسطة الأشعة فوق الصوتية .. وقد صرح د . ابو العيون أن هذه الحال هى احدى تشوهات الأجنة الخلقية التى لوحظ زيادة نسبتها اخيرا ..

وفيما يخص السبب فى تشوه الجنين قال الطبيب ان العامل الايجابى الوحيد الذى تأكد للأطباء هو حمل هذه السيد على لولب نحاسى ، وربما تسربت جزئيات من النحاس الى الجنين ، يمكن أن تكون سببا او مبررا لهذا التشوه .. وبعض المدارس تحتم إجهاض الحامل على اللولب النحاسى الذى الغى استعماله .. لكثرة مشاكله ـ بعكس حالات الحمل على لوب البلاستيك الذى لا تسبب مادته الخاملة ضررا ..

وعما اذا كان لوسائل منع الحمل دور فى تزايد التشوهات قال د . ابو العيون اذا تناولت السيدة عقاقير منع الحمل وهى حامل فيمكن ان تكون هذه العقاقير سببا للتشوه مثلها مثل اية ادوية اخرى ، هذا كما يمكن ان يكون اللولب سببا فى عدد من حالات الحمل خارج الرحم ..

وكانت المشكلة فيما يخص حالة السيد زينب عطية هى .

كبر حجم التوام الملتصق ، الأمر الذى اضفى اهمية خاصة على عملية الولادة لكنها تمت بيسر شديد خلال ما يقرب من نصف ساعة .. اما التوام الملتصق فسرعان ما توفى بعد الولادة ليحفظ فى وعاء زجاجى كواحد من الحالات التعليمية النادرة ..



الجراح
د . مصطفى
ابوالعيون



وفاة نصف مليار مدخن



ذكرت دراسة لمنظمة الصحة العالمية أن ٥٠٠ مليون شخص سوف يلقون حتفهم بسبب التدخين خلال ربع القرن القادم ! ! والجدير بالذكر أن معظم هؤلاء سيكونون من أبناء العالم الثالث ..

ومن الأمور ذات الدلالة التى جاءت بالدراسة التى اجراها باحثان استراليان ، فى جامعة اكسفورد البريطانية ، أن التدخين قد أخذ يفقد جاذبيته فى أوربا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية ، اذا انخفض عدد المدخنين فى هذه البلدان بنسب وصلت الى ٣٠ ٪ (فى بريطانيا مثلا) خلال العشرين سنة الماضية ، وذلك إدراكا من الناس لمخاطر التدخين على صحتهم واحتمال اصابتهم بسرطان الرئة وامراض القلب وغير ذلك من الأمراض الخطرة ..

وقد حرمت هذه البلدان الاعلان عن السجائر فى التلفاز وغيره من وسائل الاعلام وفى المحافل الرياضية .. هذا كما ادرجت فى برامج المدارس محاضرات تبين للتلاميذ مضار التدخين وتحثهم على الابتعاد عنه .. وقد بات التدخين فى كثير من هذه البلدان محرما فى الأماكن العامة ووسائل النقل كما عمدت بعض الحكومات الى رفع ثمن السجائر بصورة كبيرة .

لكن الشركات التى تضررت ماديا من جراء الاجراءات السابقة لجأت إلى دول العالم الثالث لتعويض خسائرها المادية مستغلة قله دراية سكان هذه البلدان ومعرفتهم بمخاطر التدخين .. وكثفت الشركات من انشطتها وحمايتها فى العالم الثالث حتى شهد عدد من المدخنين ارتفاعا كبيرا وصل الى ١٠ ٪ سنويا فى بعض البلدان ..

وتشير منظمة الصحة العالمية إلى أن ما يبعث على القلق هو أن اكثرية المدخنين فى العالم الثالث هم من الشباب وأن الأسواق فيه واسعة جدا وتنطوى على امكانات ربح هائلة وان من السهل على شركات السجائر الكبرى أن تؤثر عليها .

كاربون يهزم الكمبيوتر

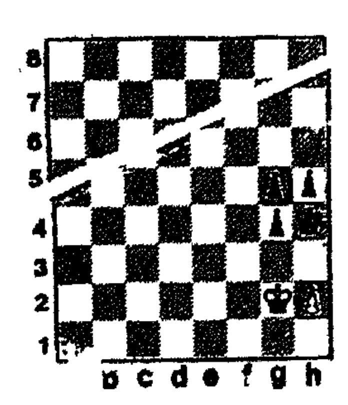
خلال شهر اكتوبر الماضى هزم جارى كاسباروف بطل العالم فى الشطرنج الكمبيوتر المسمى «الفكر العميق» والذ يعلب الشطرنج وفق برنامج وضعته جامعة هارفارد الأمريكية .

ولما كان هذا البرنامج من النوع الذكى ، الذى يستفيد من خبرات اللعب مع المنافسين ، فقد استطاع الكمبيوتر بعد تطوير البرنامج الفوز على عدد من اساتذة الشطرنج الكبار مثل دافيد ليفى واماكسى دلوجى وتون مايلز ..

لكن انا تولى كاربوف المصنف الثانى فى عالم الشطرنج تمكن بعد ذلك على الرغم من كل الخبرات والتطويرات التى اكتسبها الكمبيوتر تمكن من أن يوقع به هزيمة جديدة مخيبا أمال دينى أولمان رئيس نادى الشطرنج فى جامعة هارفارد ، التى عبر عنها حين قال قبل المباراة «أن الكمبيوتر متعطش الى الفوز على كاربوف ثارا من هزيمته امام كاسباروف ..

لقاح ضد السرطان !

أعلن فى جلاسجو أخيرا أن العلماء قد حققوا تقدما كبيا فى بحثهم عن علاج لوقاية النساء من سرطان عنق الرحم الذى ارتفعت نسبة إصابة الشابات به



ارتفاعا مريعا خلال العقدين الأخيرين ، والذى يتسبب فى وفاة الكثير من النسوة .. ذلك على الرغم من شيوع المشاريع الطبية التى تستهدف الكشف عنه فى مراحله المبكرة ، وعلاجه قبل أن تستفحل اضراره .

وقد اكتشف الأطباء دلائل تبين علاقة سرطان عنق الرحم بفيروس «اتشى . بى . فى» الواسع الانتشار ، والذى ينتقل بالجماع . وتمكن العلماء خلال تجاربهم على الابقار من عزل جزء من هذا الفيروس ، يقوم بتحفيز الجهاز المناعى ليقوم برفض الفيروس ، وقاموا باستخدامه فى تحضير لقاح لمكافحة الفيروس ..

واذا نجح العلماء فى نقل نتائج تجاربهم الى البشر فسوف يصبح بالامكان تطعيم النساء وتحصينهن ضد الاصابة بفيروس «اتش. بى . فى» وهكذا يجرى القضاء على حلقة هامة من سلسلة المتغيرات التى تؤدى الى الاصابة بسرطان عنق الرحم .

بقلم: حسين أحمد امين

الخليل بن أحمد

توفي عام ٧٩١ م

إمام نحاة البصرة في القياس والتعليل النحوي ، وأول من ضبط اللغة العربية ، ومبتدع علم العروض الذي حصر أقسامه في خمس دوائر استخرج منها خمسة عشر بحرا ، زاد عليها الأخفش واحدا ، وهو أول من ألف معجما عربيا شاملا على الحروف ..

كان من تلامذة أبي عمرو بن العلاء وعنه أخذ سيبويه .. ومعظم مايرويه سيبويه في كتابه هو عن الخليل بن أحمد فإن قال سيبويه : « سألته » أو « قال » من غير أن يذكر القائل فهو يعني الخليل ..

أهم كتبه كتاب العين الذي كان فيه أسبق العرب إلى تدوين اللغة وترتيب ألفاظها على الحروف ، وقد رتب الحروف حسب مخارجها من الحلق فاللسان فالأسنان فالشفتين ، فبدأ بحرف العين ، جاعلا حروف العلة في آخر الكتاب :

ع ح هـ خ غ ق ك ش ص ض س ر ط د ت ظ ذ ث ز ل ن ف ب م و ا ى .

فكأنه بذلك حذا حذو الهنود في ترتيب حروف لغتهم السنسكريتية . وكان من عادة العرب أن يسموا الكتاب بأول لفظ من الفاظه

ومن أبحاث كتاب العين احصاء الفاظ اللغة في ايامه . فقد نقل عنه السيوطي أنه احصى فيه عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل ، فبلغ ١٢,٣٠٥,٤١٢ كلمة ، ولعله قصد مايمكن تكوينه بتركيب احرف الهجاء على كل شكل من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي ، دون أن يذكر عدد الكلمات المستخدمة . غير أن ابا بكر الزبيدي الذي اختصر كتاب العين ، خرج من دراسته للكتاب بأن عدد الألفاظ العربية هو ٦,٦٩٩,٤٠٠ لفظ ، لايستعمل منها إلا ٥٦٢٠ لفظا والباقي وهو ٦,٦٩٣,٧٨٠ ألفاظ مهملة ..

في التاريخ الإسلامي



ولم يصل إلينا من كتاب العين إلا قطع قليلة ، وإلا ما نقل عنه في كتب اللغة ، كالمزهر للسيوطى وكتاب النحو لسيبويه .. وربما كان طول الكتاب وتفضيل الناس لمختصر الزبيدى ، هما السبب فى قلة العناية بنسخه وهو الذى يقع فى ثمانية وأربعين جزءا وفق رواية ابن النديم فى « الفهرست » ومع ذلك فقد قيل إنه لم ينبغ نحوى ولا لغوى أديب فى عصر الخليل وما يليه إلا استفاد من كتابه .

فإن كان البعض قد شكك فى حقيقة نسبة كتاب العين إلى الخليل ، (وحجتهم فى ذلك أن أكثر ما جاء فى الكتاب من قواعد النحو هو على مذهب الكوفيين مع أن الخليل بصرى) ، فما من أحد ينكر أنه اول من ضبط أوزان الشعر ووقعها على المقاطع والحركات . وقد استغرق الخليل فى درس ذلك حتى كان يقضى الساعات الطوال فى حجرية وهو يوقع بأصابعه ويحركها . ويقال إن ابنه دخل عليه مرة وهو على هذه الحال ، فظن أن أباه قد جن .. فقال له الخليل :

لكن كنت تعلم ما أقول عذرتنى ... أو كنت تعلم ماتقول عزلتكا

لكن جهلت مقالتى فعزلتنى

وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

وقد عاش الخليل حياته فى فاقة وزهد لايبالى بالدنيا .. ويروى أن أحد كبار رجال الدولة وجه إليه رسولا يطلب اليه ان يدرس لابنه ، فاخرج الخليل إلى الرسول خبزا يابسا وقال : « ماعندى غير هذا الخبز اليابس ، غير أنى مادمت اجده فلا حاجة لى إليكم » ! ..

جلال الدين السيوطى

١٤٤٥ - ١٥٠٥ م

آخر من ظهر بمصر فى العصر الوسيط من كبار العلماء . وهو مع ذلك أعظمهم همة ، وأوسعهم علما ، واكثرهم آثارا ، شرع فى التاليف فى مختلف العلوم وهو فى السابعة عشرة من العمر ، وترك وقت وفاته فى سن الستين أكثر من ثلاثمائة كتاب ورسالة ، منها ٢٣ مؤلفا فى التفسير ، و ٩٥ فى الحديث ، و ٢١ فى اللغة ، و ٣٥ فى العلوم العربية ، و ٢١ فى البيان والتصوف ، وخمسين كتابا فى التاريخ والأدب ، وغير ذلك ، واكثر مؤلفاته هذه باق إلى يومنا هذا ، وبذا يكون السيوطى من أخصب الكتاب الموسوعيين الذين عرفتهم البشرية .

وبالرغم من انه لم يتخصص فى فرع بعينه من فروع المعرفة ، وبالرغم من أن الكثير من كتبه ليس له فيها إلا الجمع والترتيب ، والنقل عمن سلفه ، عدا بعض الافكار والآراء ، وفقرات قد يقدم بها بين يدى الباب او يختتمه ، فإن عددا من كتبه يعتبر من أفضل (وأحيانا افضل) ما كتب فى الموضوع الذى تناوله .

من هذه الكتب :

● المزهر فى علوم اللغة : وهو اهم كتبه اللغوية ، فريد فى بابه ، فإن اقتصر غالبا على ايراد اقوال السابقين ، فهو يتضمن حقائق ومعلومات هامة نقلها عن ثقات ضاعت مؤلفاتهم . وفيه يبحث السيوطى فى الفاظ اللغة ، اصلها وصحيحها ومتواترها ، ومعرفة الفصيح والضعيف والمنكر ، والغريب والنادر ، والمستعمل والمهمل ، والمعرب والمولد ، وخصائص اللغة واشتقاقها ، والحقيقة والمجاز ، وأوزان الكلام وأبنية الأفعال ، وعلاقة العربية باللغات السامية الاخرى ، إلى غير ذلك من عشرات الموضوعات .



● الاتقان فى علوم القرآن : وهو احسن كتب الدراسات القرآنية تصنيفا ، وأكثرها استيعابا وشمولا ، جمع فيه من منثور المسائل ما لم يجتمع فى كتاب قط ، واعتمد فى تاليفه على مئات الكتب التى أورد اسماءها فى مقدمته ، وقد بدأ الكتاب بالكلام عن المدنى والمكى ، ثم الناسخ والمنسوخ ، وأسباب النزول ، وانواع القراءات ، وآداب حمل القرآن وحفظه ، ومفردات القرآن والأمثال فيه ، ومعرفة المفسرين وتدوين القرآن ، وتسمية السور ، وترتيب السور والآيات ، إلى غير ذلك من ابوابه التى تزيد على المائة .

● حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة : ويشتمل على اخبار مصر من زمن الفراعنة إلى زمن السيوطى ، بدأه بذكر ما ورد فى شأن مصر من الآيات القرآنية والحديث ، ثم التاريخ الفرعونى على حسب ما وقع لديه من معارف وكان شائعا فى عصره ، ثم الفتح العربى وامتزاج المصريين بالعرب تحت راية الاسلام ، ذاكرا الوافدين على مصر ، ومن نبغ فيها من أصحاب المذاهب والمؤرخين والقراء والشعراء والأطباء وغيرهم ، موردا النبذ عن حياتهم ، والحكومات التى قامت بمصر ، وعادات المصريين ومواسمهم وأعيادهم .. إلى آخره ..

وقد اتهمه البعض ، كالسخاوى المؤرخ ، بالسطو على كتب المكتبة المحمودية وادعائها لنفسه بعد أن غير فيها وبدل .. إلا أن سمعته لم تتأثر بهذا الهجوم ، وظل الناس يحمدون له إلى يومنا هذا أنه حفظ لنا من منقول الكتب من أقوال العلماء قبله ما لم يصل إلينا إلا عن طريق كتبه هو .

● السرقات الأدبية ●

● قرأت في هلال مارس الماضى كلمة عن الكاتب نبيل سليم الذى يستولى على مقالات الأدباء وينشرها باسمه في الصحف العربية . وقد استشهدتم في الكلمة برسالة كنت قد بعثتها الى مجلة "الدوحة" القطرية ونشرتها في فبراير ١٩٨٥ حول سرقة نبيل سليم لمقالة لى نشرتها مجلة "الأسبوع الثقافى" الليبية عن ذكرى الدكتور طه حسين رحمه الله .

والذى أود توضيحه بهذه المناسبة أن نبيل سليم له رسائله الخطيرة في سرقة ما كتب الآخرون ، كما أنه يتمتع بقدرة غريبة على الادعاء والزعم بأنه لم ينقل عن سواه ، وأن الذين يتهمونه بالسرقة لايريدون له أن يأخذ مكانته أو أن يؤدى رسالته في نشر العلم والثقافة ، فهم يحاربون النبوغ والعبقرية .

إن نبيل سليم لم ينقل ما كتبته في ذكرى طه حسين عن الصحيفة الليبية وإنما الذى حدث انى كتبت كلمة في شهر أكتوبر سنة ١٩٨٤ تحية في ذكرى وفاته ، وكنت في صيف هذا العام قد عدت الى القاهرة بعد انتهاء عملى بجامعة الفاتح ، وحملت معى كل ما نشر لى في الصحف والمجلات التى كانت تصدر في طرابلس .

وكانت المفاجأة المذهلة أن عدد ديسمبر من مجلة "الدوحة" صدر وبه نص ما كتبته باسم نبيل سليم ، وأدركت أن مقالتى الخطية التى قدمتها لتنشر في الهلال قد سرقت ، وأن لنبيل سليم أعوانا يمدونه بما يمكن أن تصل إليه أيديهم من مقالات خطية وإنما يضيف الى هذا السطو على المقالات المخطوطة لأن اتهامه بالنقل في هذه الحالة لادليل عليه ، ولكن خاب ظن "الدكتور سليم" فمقالتى لها أصل مطبوع تحت يدى ، وقد صورته وبعثت به الى مجلة الدوحة ، وتلقيت من رئيس تحريرها الأستاذ رجاء النقاش برقية اعتذار . ونشرت الدوحة في عدد فبراير سنة ١٩٨٥ صورة المقالة ورسالة منى ، وكتبت تعليقا كشفت فيه عن ذلك التصرف الذى لايجدر بمثقف عادى فضلا عن "دكتور" يزعم أنه عضو هيئة تدريس بجامعة الاسكندرية .

وكانت المفاجأة المذهلة الاخرى أن نبيل سليم كتب رسالة الى وزير الاعلام القطرى يشكو فيها المسئولين في مجلة الدوحة ، ويتهمهم بأنهم يحاربون عبقريته ونشاطه الفكرى ، وقدم في رسالته تبريرا غريبا عما حدث ، فقد ذكر أن الموظف الذى عهد اليه بطبع مقالته على الآلة الكاتبة قد اخطأ ونقل مقالة ليست له ، وأنه لم يراجع ما كتبه الطابع ووقع عليه ثم بعث به الى مجلة الدوحة ، فهو لهذا لم ينقل عن غيره ، وليس مسئولا عما حدث .

وقد اطلعت على هذه الرسالة ، وعجبت لهذا التصرف الذى يدل على سذاجة في التصور ، فكيف يصدق انسان ذلك التبرير ، وينفى تهمة السرقة عن نبيل سليم ، بيد انى تذكرت القول المأثور :

"إذا لم تستح فاصنع ماشئت" !..

وبعد فهذا ما رغبت في توضيحه عن ظاهرة الانتحال الفكرى بالنسبة لما كان من نبيل سليم حول سرقة مقالتي الخطية ونشرها باسمه ، وهو يؤكد انه دعىّ خطير ، وأن ماينشره منكر ثقافي لاينبغي الصمت إزاءه ، ويجب تغييره بكل الوسائل ، ولا يجوز أن يكون ما يكتب عن هذه الظاهرة كصرخة في واد .

دكتور محمد الدسوقي
أستاذ بكلية الشريعة : جامعة قطر

شخص مجهول يمنع نشر ديوان عبد الوارث عسر

● قرأت الكلمة المخلصة التى نشرتموها فى باب (أنت والهلال) عدد مارس الماضى عن ديوان الفنان الكبير الشاعر الفحل عبد الوارث عسر رحمه الله ، وأسعدني هذا الاهتمام المشكور بالتراث الأدبي لهذا الفنان الذى سعدنا بالاستماع الى قصيدته عن الحج التى أنشدها فى التليفزيون منذ سنوات ، الا أننى احب أن أوضح حقيقة مؤلمة فإن ديوان عبد الوارث عسر سبق ايداعه بالادارة العامة للنشر بهيئة الكتاب منذ أكثر من ثلاث سنوات وقام أحد الشعراء بالهيئة وهو الأستاذ شوقى على هيكل بقراءة الديوان وكتب تقريرا أوصى فيه بنشره الا أن التقرير لم يعمل به بعد تغيير المختصين بالنشر ، وعرض الديوان مرة أخرى على شويعر مجهول يتعاطى "الشعر الحر" فكتب تقريرا مضادا رفض فيه نشر الديوان ، جهلا بقيمته ، وعجزا عن تقديره .

وكم نتمنى عليكم اعطاء اهتمام اكبر بهذا الموضوع حتى نرى ديوان عبد الوارث عسر ، بين أيدينا قريبا .

« أحد العاملين بهيئة الكتاب"

● عبد الوارث عسر والصاوى شعلان ●

قرأت بعدد مارس سنة ١٩٩٠ الكلمة التى نشرت ببريد الهلال حول ديوان صديقى الفنان الكبير الراحل عبد الوارث عسر وأضم صوتى للزميل الفاضل ثروت محمد يوسف للاهابة بهيئة الكتاب لطبع ديوان عبد الوارث عسر الذى عبث به بعض الصغار فى هيئة الكتاب ..

وأنتهز هذه الفرصة ـ للأدب والتاريخ ـ لاحاطتكم علما بأننى قد قمت بتجميع باقى نتاج شاعر آخر هو الصاوى شعلان وأودعته بالادارة العامة للنشر بالهيئة منذ ثلاث سنوات تقريبا وهو حاليا طرف السيدة اعتدال عثمان بادارة النشر بعنوان من (وحى الايمان) ولم ينشر ..

محمد اللبنى على محمد
٩٤ شارع متحف المنيل ـ القاهرة

● عبد الوارث عسر مرة أخرى ●

● قرأنا الكلمة التى تفضلتم بنشرها فى باب أنت والهلال (مارس ١٩٩٠) للاستاذ (ثروت محمد يوسف) وكم تمنينا لو ذكر لنا جهة نشر كتاب : (شعراء ودواوين) للباحث الأستاذ أحمد مصطفى حافظ ، لنتمكن من اقتناء نسخة من هذا الكتاب .

وفيما اشار اليه عن الشاعر الراحل الفنان العظيم ، عبد الوارث عسر ، فنحن للأسف الشديد علمنا أن ديوانه سبق أن وافقت على نشره هيئة الكتاب ثم تغيرت الحال ، فكتب أحد صغار الشعراء بالهيئة تقريرا ضد هذا الديوان الرائع الحافل بالشعر الرصين ، فتعذر نشر الديوان . وهكذا يتحكم الصغار فى مصير العظماء البلغاء .. وإننا لنرجو الدكتور سمير سرحان رئيس الهيئة انقاذ ديوان عبد الوارث عسر من أيدى الصغار العابثين ! ..

على ابراهيم سعد
"أديب مخضرم"

● أوراق النهر المنسية ●

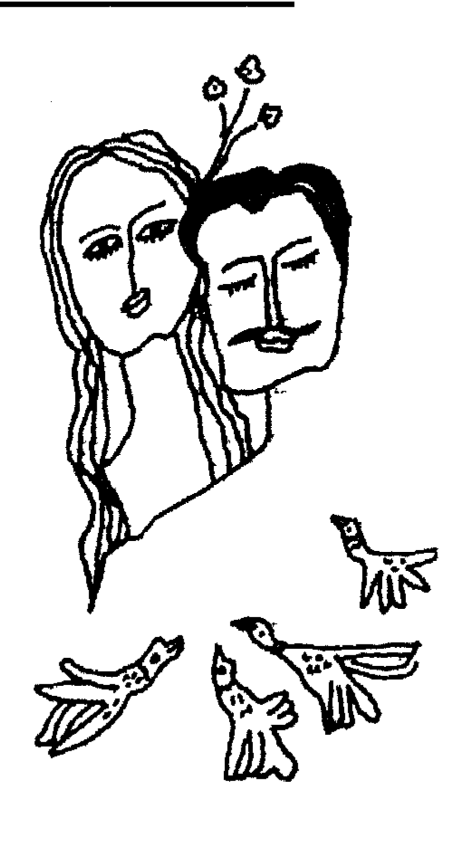


طفل معصوب ، أذكره الآن
وحيدا يغرف من ماء النهر فيرتد بصيرا
تستقبله عند المسجد نسمة صبح
يتوحد فى المحراب الوجد وماء النهر .. يسافر
إن الله يبشرك بعام فيه يغاث الناس
تحمله أجنحة الشوق فيغفو
يتشكل فى رحم علمه الزمن الحكمة ...
لايستر عورته بالصمت ، ولا بالنسيان
ويسافر فى الأوراق المنسية :
سأفك طلاسمها
وسأنفض عنها زيف السحرة
والانفاس المنتحرة
حين يفيض النهر أعيد كتابتها
أنشرها فى الوديان خيولا عبسية
وبصدر النهر بيارق .

محمود عبد الحفيظ عبد العزيز - كفر صقر

• رؤيا •

لاتقصص رؤياك ... يغار الحكام
الحلم السنوى ينام
ذلك انى ... ياقاتنتى
أسلم جنبى ، فأرى وجهى
طيفا يأتى .. يأمرنى ..
أسلم رأسك .. لكنى
فى وسط الحلم
تظهر صورة .. فأرى فيها :
أنا نلعب أو نركض أو نمرح
نقفز فوق اللامحسوس
كنا نحلم ملء العين
احلم أنى الأوحد ...
والأقرب ..
لكنا ...
والحلم برىء مثل الطفل
رأينا العصافير تسقط
بكينا معا



السيد ابراهيم عطية
كفر صقر - شرقية

• من القائل وما المناسبة ؟ •

● سمعت من إذاعة لندن العربية حديثا للأستاذ حسن الكرمى عنوانه "من القائل وما المناسبة" .. وقد جاء فيه هذا البيت :

لــولا سجـاياه وأخـلاقـــه
لكان كالمعـدوم فى وجده

وأعترف بأننى لم أستطع أن أفهم هذا البيت .. فما هو معناه ؟!

حسن محمد ابوصبرة
الاسكندرية

● تعليق الهلال :

- نشكرك لأنك وضعت علامات الشكل على كلمة "وجده" كما سمعتها من إذاعة

لندن .. ومن هذا الشكل تبين لنا أن الاستاذ الكرمى نطق الكلمة خطأ ، والصواب ضم الواو ، وليس فتحها كما سمعتموه .. و "الوجد" بضم الواو هو المال أو الثراء أو مايجرى فى هذا المعنى .. وقد أضيف الى هذا الخطأ ، خطأ الأستاذ الكرمى فى نطق كلمة "المعدوم" .. وصوابها "المعدم" بضم الميم وسكون العين وكسر الدال ، ومعناها الفقير الذى لايجد القوت ! .. وهكذا يتضح أن معنى البيت : "لولا أخلاق الرجل ، لكان مثل المعدم الذى لا وُجد له ـ بضم الواو ـ أى الذى لايملك شيئا " .. والبيت لأبى العلاء المعرى ..

بقى أن نقول إن الكرمى لايخطىء فى العادة ، ولاندرى هل أخطأ فعلا فى نطق هاتين الكلمتين ، أم أنك سمعتهما دون أن تتثبت منهما ، فيكون الرجل قد نطق صوابا ، وسمعت أنت خطأ ! ..

نشكرك على أية حال ! ..

• تاريخ ثورة يوليو •

فى تقديمه وعرضه لكتاب "فى الثورة والدبلوماسية" للسيد جمال منصور فى عدد مارس الماضى من الهلال ، أثار الاستاذ مصطفى نبيل قضية كتابة تاريخ ثورة ٢٣ يوليو بين مذكرات وذكريات من شاركوا فيها وعاصروها من ناحية ، والحقائق التاريخية من ناحية أخرى ، وينتهى فى مقاله الى انتظار من يعرض القصة الكاملة لثورة يوليو .

أن تاريخ مصر المعاصر وهو تاريخ ثورة يوليو لن يكتب بصورة علمية وموضوعية ، الا اذا توافرت الوثائق التى تكشف عن حقيقة الاحداث التاريخية ، ظروفها وملابساتها ، وهذه الوثائق موزعة بين الدار القومية للوثائق ورئاسة الجمهورية والوزارات وأجهزة الأمن المختلفة ورئاسة مجلس الوزراء ، ومن ثم يتعين جمعها وتمكين الباحثين والمؤرخين من الاطلاع عليها كمادة لكتابة التاريخ ، والا يكون ثمة حجر على الاطلاع عليها ، وقد أحسنت وزارة الدفاع صنعا بأن أفرجت أخيرا عن وثائق العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ ويجب أن يفرج عن الوثائق السابقة على هذا التاريخ وفى ضوء هذه الوثائق يمكن حصر الخلاف الواسع بين الروايات التاريخية للشخصيات حول الحدث الواحد .

وفى تاريخ ثورة يوليو صفحات ينبغى أن تكتب مرة أخرى ، فمثلا حقيقة دور المخابرات الأمريكية فى قيام الثورة والاتصالات بين جمال عبد الناصر وكل من مايلر كوبلاند وكيرميت روزفلت وهما من كبار رجال المخابرات الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط فى الخمسينات .. وأيضا حقيقة ما حدث فى هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ ، حيث شكلت فى عهد الرئيس الراحل انور السادات لجنة لتقصى الحقائق واسباب هزيمة سنة ١٩٦٧ ، الا أن اعمال هذه اللجنة ومحاضرها وتحقيقاتها ذهبت مع الريح ، واغلق الملف وقيدت الخيانة ضد مجهول ، وبنفس الطريقة لقيت لجنة كتابة التاريخ

نفس المصير ، وأنهت اعمالها ولم يسمع أحد بما انجزته .

وبعد ان تكشفت تجاوزات الثورة وسلبياتها لم يجرؤ مؤرخ مصرى واحد على كتابة تاريخ بلده كتابة صحيحة تصريحا أو تلميحا من ازمة مارس سنة ١٩٥٤ الى حرب يونيو سنة ١٩٦٧ مرورا بتجربة الوحدة مع سوريا الى حرب اليمن ، وفى نفس الفترة قام المؤرخون المصريون واساتذة التاريخ الحديث فى الجامعات المصرية بكتابة تاريخ ثورة يوليو بوحى من الزعيم الملهم والقائد المعلم وفى رحاب المعبد وكهنة الناصرية ومن خلال المقررات القومية كانت تدرس مادة ثورة ٢٣ يوليو ، وفى اطارها قرأنا تاريخ مصر فى الخمسينات والستينات من اساتذة متخصصين فى التاريخ الحديث ، واساتذة قانون فى كليات الحقوق ، تصور ثورة يوليو بلا سلبيات او تجاوزات وكأنها من صنع الملائكة .

ولم يسلم المرحوم الاستاذ عبد الرحمن الرافعى فى كتابة ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ ـ ١٩٥٩ ، مما أصاب القوم فى نظرتهم الى الثورة ، فكتب ما كتب كأنما الثورة مبرأة من كل خطأ ، مطهرة من كل دنس لقد أشفقت على الاستاذ مصطفى نبيل وهو يقدم لكتاب "فى الثورة والدبلوماسية" للسفير جمال منصور وهو يخوض فى بحر لجى بحثا عن حقيقة التنظيمات السرية فى صفوف الجيش والتى قامت على أكتافها ثورة ٢٣ يوليو .

ويبقى أن نذكر أن هناك رجلا حاول أن يكتب صفحات من تاريخ ثورة ٢٣ يوليو ، وهو اللواء جمال حماد فى كتابه "٢٢ يوليو اطول يوم فى التاريخ" إلا انه ضيق من نطاق الذات الى ابعد الحدود ، ووسع من نطاق الموضوع فى تناوله لأخطر قضايا التاريخ فى مصر والعالم العربى .

عمرو عبد المنعم حمودة

● رأى العقاد فى نجيب محفوظ ●

● كثر التطاول على كل ذى عظمة انسانية حتى أوشك التوقير لمن يستحق التوقير أن يعاب ، ففى بداية الستينات حصل الأديب الأمريكى " جون شتاينبك " على جائزة نوبل فى الأدب .

وفى تلك الأونة قال العقاد رحمه الله :

" لماذا لم يقع الاختيار على " نجيب محفوظ " ؟ أن نجيب محفوظ لايقل قدرا عنه فكلاهما قصصى ، وأن شتاينبك يكتب عن الأزقة والحوارى والشعب وأبطال قصصه كلهم واقعيون أرضيون ، تتساوى عنايته بهم على اختلاف الطبقات ، وهنا هو الموضوع الذى يكتب فيه نجيب محفوظ ، فهو يضارع شتاينبك ، وقد يفوقه فى تصوير شخصياته من أولاد البلد السذج والبدائيين العصريين ولذلك فهو أحق منه بالجائزة" .

هذا هو رأى العقاد فى نجيب محفوظ وعبقريته ، نسوقه الى السذج والبسطاء

الذين يتمسحون بالعقاد عندما يحلو لهم أن يهاجموا نجيب محفوظ بعد فوزه بجائزة نوبل العالمية التى يستحقها عن جدارة ، لابشهادة أدباء ونقاد لجنة نوبل فقط ، بل وكذلك بشهادة اديبنا وناقدنا الكبير الاستاذ العقاد !

احمد خضر
جمعية أصدقاء العقاد بفوة

• قرار •

لا تسألى ماذا دهانى اننى
آثرت ان أبقى وحيدا ها هنا
آثرت ان اطوى الغرام جميعه
وافر من طيف العبيد اذا دنا
فاذا استطعت بأن ابدد رجفتى
واصون قلبى دون وجد أو ضنى
فانا وشيك أن أحقق عزتى
وبأن أعود الى الحياة كما أنا

محمد سعد جاويش
كلية التجارة الخارجية بالزمالك

• قانون تملك الأجانب للأرض الزراعية •

● فى عدد مارس ١٩٩٠ قرأت فى باب انت والهلال مقالا بعنوان "حقائق عن عبد الرحمن الرافعى" بتوقيع السيد رشاد جاب الله على ، وقد ورد فيه مانصه : انه من اعمال الرافعى أيام كان عضوا بمجلس الشيوخ تقديم مشروع قانون منع تملك الاجانب للأراضى الزراعية والأراضى البور والصحراوية والعقارات المبنية والأراضى الفضاء سواء على الأفراد والشركات الأجنبية وبأثر رجعى وللأسف الشديد عارض هذا المشروع الحكومة ومن يؤيدها من اعضاء المجلس

وقد يفهم من هذه العبارة الأخيرة ان هذا القانون لم يصدر بسبب معارضة الحكومة ومن يؤيدها ، ولكن الحقيقة ان المشروع صدر به فى ذاك الوقت القانون رقم ٣٧ لسنة ١٩٥١ تحت عنوان "منع غير المصريين من تملك الأراضى الزراعية" على ان يسرى على المستقبل وظل هذا القانون سارى المفعول ومعمولا به منذ نشره بالوقائع المصرية (الجريدة الرسمية حاليا) الى ان حل محله ـ وبعد ١٢ عاما القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٦٣ تحت عنوان "حظر تملك الاجانب للأراضى الزراعية" وهو يسرى بأثر رجعى .

فنرجو التفضل مشكورين الى التنويه عن ذلك .

« قـارىء »

• إلى أصدقائنا •

● رمضان الهجرسي المحامي ـ السنبلاوين :

ـ استمتعنا برسالتك المسهبة ، ولو ذهبنا ننفذ كل اقتراحاتك لاقتضى الأمر صدور الهلال شهريا فى الف صفحة تقريبا ، وهو كما تعلم عبء علينا وعلى القارىء ، ولاتوجد مجلة شهرية فى العالم تستطيع ان تشمل كل شىء ، ولهذا تختار كل مجلة جوانب معينة لموضوعاتها .

● عزت فتحي سعد الدين ـ كفر ربيع ـ تلا ـ منوفية :

ـ رأينا فى شعرك انه موزون ، وأن لك موهبة ، ولكن هذه الموهبة من حقها عليك أن تنضجها على نار هادئة !

● حسين البسومى المحامى :

ـ قصيدتك تبدأ بغلطة نحوية ، ففى الشطر الثانى من البيت الاول تقول مخاطبا المحبوبة : « وفيم تلوعى قلبى هياما » والصواب « تلوعين » .. ولاتبيح ضرورة الشعر مثل هذا الخطأ .. اما بقية القصيدة فهى موزونة ، ونهنئك على صحة أوزانك ونرجو لك المزيد من التقدم .

● عبد الله سالم باوزير ـ عدن ـ جمهورية اليمن الديمقراطية :

ـ نشكرك على حسن ظنك بنا ، ونرجو ان تتاح لنا ذات يوم فرصة لنشر بعض انتاجك ..

● السادة : محمد عبد اللطيف .. اشرف ابو الحمد الخطيب .. عادل لشيخ .. فؤاد سليمان مغنم .. مظهر العسيرى ... رمضان عبد اللطيف حامد .. محمد مصطفى حسين بكرى .. عاطف عبد الكريم احمد .

ـ نهنئكم على محاولاتكم في الشعر العمودى والشعر التفعيلي ، ونرجو ان تبلغوا بالمران والدراسة درجة الاتقان التام للأوزان سواء كانت اشعاركم مقفاة او تفعيلية ، فالأوزان مهمة فى الحالتين .

● ونشكر لأصدقائنا الاعزاء : وائل محمد جلويش .. محمد حسن على البوهى .. عاصم فريد البرقوقى .. محمد على معالى .. خليل ابراهيم القشوطى .. رضا ابراهيم عبد المعطى الوصيف ... لطفى فؤاد .. عبد العزيز الشراكى .. ثروت محمد يوسف ... سحر محمد فتح الله .. مظهر العسيوى .. سعاد احمد محمد الصلوى .. اشرف ابو الحمد الخطيب .. محمد عبد الباسط زيدان .. منى عبد الله .. رشاد جاب الله على .. يوسف عبد العزيز على .. حسام ابو سعدة محمد سعد جلويش .. محمد امين عيسوى .. رمضان ابو غالية .. عبد الله عبد الوهاب فهيم .. سعد الدين رجب ..

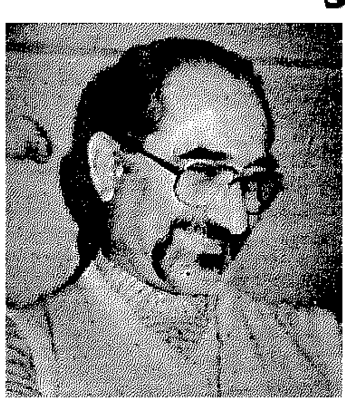
أنــا والهــلال ..

كنت قارئا من صغرى ، وكان فى دوارنا صندوق حافل بالمتع ، كلما نقبت فيها تكشفت لى عن اسرارها ، دفاتر مناقب الصالحين والف ليلة وليلة واجزاء عشرة من سيرة عنترة . احبس نفسى فى الغرفة النهار ، يدور بى حتى المغرب ، اخرج من الغرفة ذابل العينين متخدر العضل ، ارى الدنيا كانما هى دنيا اخرى ، فاننى ات لها من عالم مرقش بالجان والمردة ، والناس الصالحين .

ثم انى ذهب بى الى بيت جدى فى ميت غمر منقولا من قريتى البندرة فى قاع الغربية ، هكذا عبرت النهر الى عالم ملون بالاحمر والاسود ، اقصد بذلك الوان الصفحات وبدع الحكايات وفتنة الاخبار فى الجريدة اليومية ، يرسلنى جدى اشترى له الجريدة وبين آن واخر اشترى له مسامرات الجيب والاثنين والدنيا والمصور ، اه ياسلام من مكالمات فكرى اباظة هكذا دخلت الدنيا .

الان صرت ولدا كبيرا يستحى من طوله ومن لحية بدأت تعلن عن نفسها ، وكنت اقضى اجازة الصيف عند خالى فى المنصورة ، احبس نفسى ، فى غرفة قصية يالها من غرفة مليئة بالهلال مجلدا تجليدا فاخرا ، والمقالات بقلم عبد الرزاق السنهورى باشا ، ومحمد عوض بك ، ومحمود تيمور بك ، والسيدة عائشة عبد الرحمن وعبد الرحمن بك والدكتور احمد زكى بك والدكتور امير بقطر وانا ماخوذ باقلامهم ، هذا عالم ليس مرقشا بالمردة والجان والناس الصالحين انه عالم موسوم بعقول جبارة .

واظل اقرا للاستاذ عباس محمود العقاد ، والاستاذ فتحى رضوان والاستاذ احمد امين بك ، الدكتور طه حسين بك ، ثم سافرت للقاهرة وحدى . الان امشى فى سكك غير الذى اخذنى فيها ابى ، لم ازر الشيوخ ، انما زرت الهلال ، مررت به من على الرصيف الاخر ، مبنى جليل مغروس امامه الشجيرات حتى كبرت وتجاوزت الخمسين واذن لى ان انحشر فى الزمرة الجليلة ، ان اكتب القصوصة كل شهر ، افرح كلما ظهر اسمى فى ثبت الهلال ، وابتئس غاية البؤس اذا سقط اسمى



عبد الحكيم قاسم


يونيه ١٩٩٠ ● الثمن ٧٥ قرشا
الهلال
العالم يطالب بإنقاذ آثارنا
القطاع العام
القطاع الخاص
مرة


كتاب
الهلال
يقدم
البنك الدولي
والعالم العربي
بقلم:
الدكتور: إبراهيم شحاته
يصدر
٥ يونيو ١٩٩٠


روايات الهلال
تقدم
المذكرة
تأليف:
فاتسلاف هافيل
ترجمة:
عبد المنعم سليم
تصدر
١٥ يونيو ١٩٩٠



مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجى زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المستشار الفنى
محمد أبو طالب

مدير التحرير
عاطف مصطفى

المشرف الفنى
محمود الشيخ

سكرتير التحرير التنفيذى
عيسى دياب

السنة السابعة والتسعون • يونيو ١٩٩٠ - ذى القعدة ١٤١٠ هـ

رسائل من اليونسكو للبحث عن انقاذ اثارنا

الآثار فى مصر تحتاج إلى وقفة طويلة ، نناقش خلالها الأسباب الحقيقية وراء تدهورها ، وانهيار الكثير منها ، بل وضياع اندرها سواء من خلال تهريبها إلى الخارج . او تخزينها بشكل سيىء فى مخازن الآثار لسنوات قد تطول .

وربما نكون قد لاحظنا فى فترات اهتماما غير عادى بمناقشة هذه القضية ، حتى نكاد نصدق بان هذه الكنوز المنتشرة فى كثير من محافظات الصعيد ، وفى القاهرة المعزية سوف تمتد إليها الرعاية والعناية الخاصة بها ، ولكن عادة لايطول الوقت على هذه الفورة ، ويعود كل شىء إلى السكون من جديد !

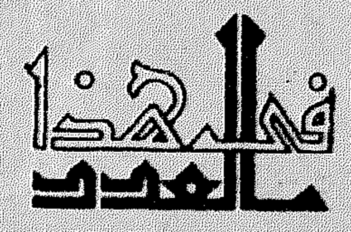
الغريب فى الامر ان يعود الكثير من محبى اثارنا الاسلامية والفرعونية إلى اوطانهم بعد ان شاهدوا ماوصلت إليه من إهمال ، ليكتبوا رسائل إلى اليونسكو ، لكى تقوم بدورها بحث المسئولين عن الآثار فى مصر ، عن ضياع كنوز ليس لها نظير فى العالم ، ولينبهوا إلى الاخطار التى تحيق باثارنا الاسلامية والقبطية والفرعونية ...

هل تجد هذه الاستغاثة آذانا صاغية ؟!

نرجو ذلك ! ..

إقرأ تحقيقا عن الآثار ص ٧٦

فكر وثقافة





تصميم الغلاف

الفنان

محمد ابو طالب



قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار موضحة بعاليه عند الطلب .

رسائل صحفية

دائرة حوار

فنون

قصة وشعر

الأبواب الثابتة

دار الهلال

١٦ شارع محمد عز العرب الرقم البريدى (١٥١١) القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط - مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١
رقم التلكس 92703 HILAL U.N




لبنان ٧٠٠ ليرة ، الاردن ٦٠٠ فلس ، الكويت ٥٠٠ فلس ، العراق ١٠٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريالات ، عدن ١٢٥ سنتا ، البحرين ٨٠٠ فلس ، قطر ٧ ريالات ، الامارات العربية المتحدة ٧ دراهم ، سلطنة عمان ٧٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة ٧٥ سنتا ، انجلترا ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة ، الولايات المتحدة الامريكية ٤٠٠ سنت ، الجمهورية العربية اليمنية ٨ ريالات ، كندا ٥ دولارات .



الصيف وايقاع الحياة ..

فى الصيف من كل علم يتغير ايقاع الحياة الأدبية والفنية والثقافية والصحفية فى مصر ، بل وفى العالم كله ..

وفى يونيو يبدأ الصيف ، مع أن ابريل ومايو يشهدان من ارتفاع درجة الحرارة فى بلادنا ما قد يجاوز الأربعين بدرجتين او ثلاث احيانا ، وهى أعلى من درجات الحرارة فى صميم الصيف المصرى ! ..

ولكن .. هل يعنى اخلاد اهل الفكر والأدب والصحافة إلى الايقاع البطىء ، او الى الكسل فى الصيف ، أن العالم كله يخلد الى بطء الايقاع ، ويجنح الى الكسل ، وينسى هموم الحياة على رمال الشواطىء ، او على قمم الجبال المكللة بالثلوج تحت شمس الصيف ؟ !

الحقيقة أن فصل الصيف يوشك ان يتخذ معنى جديدا فى عقد التسعينات الذى تودّع به البشرية القرن العشرين ، فلا وقت لالتقاط الأنفاس ، ولا وقت عند العقول التى كانت تستريح الى الدعة والراحة فى الصيوف الماضية ، فإن العقول لا تتوقف الآن عن الهجرة من النصف الجنوبى للكرة الأرضية . فرارا من العالم الثالث الذى يئد العقول إلى العالم الأول الذى يستثمر هذه العقول ويبذل لها أعلى مستويات الحياة ، مع الكرامة والاحترام .

إن هجرة العقول هى الهجرة الدائمة التى لا تنقطع شتاء ولا صيفا ، فهى هجرة الشتاء والصيف فى زماننا هذا الذى اوشك أن يتغير فيه حتى معنى الوطن ، وباتت عقول العلماء والخبراء تابعة للشركات العابرة للقارات التى تهيمن على مصير العالم وهى قابعة فى مراكزها الحصينة وراء البحار ..

في الماضى كان المصريون يترقبون حرارة الصيف لتنضج لهم محصول القمح ثم محصول القطن ، وكانا عماد ثروتهم ، ومصدر عملتهم الصعبة ، وسبب ازدهار اقتصادهم ، وكان القطن والقمح ينضجان تحت عيونهم الفرحة التى تلاحظ نضجهما وتتابعه يوما بعد يوم حتى موعد الجنى أو موعد الحصاد ..

الآن .. لم يعد أحد يتذكر العلاقة بين الصيف والقطن والقمح وأى محصول آخر .. ! لقد تغيرت موارد البلاد .. « تغيرت الديار ومن عليها » .. كما يقول شطر من الشعر المنسوب الى سيدنا آدم عليه السلام فى كتب التاريخ العربية القديمة ! ..

وهكذا يجىء الصيف فى زماننا فيبدو ايقاع الحياة كأنه يتخذ شكلا جديدا ، ولكن الناس فى الحقيقة منهمكون فى هموم الحياة بلا فارق بين ما يجىء به الخريف والشتاء والربيع ، وما يجىء به الصيف .. فالأيام تمشى وئيدا على وتيرة واحدة ، والأرض تدور ولكنها من جمود الأحوال تبدو كأنها ثابتة فى مكانها بلا حراك !

وما أكثر ما يأتى به شهر يونيو بالذات كل عام من ذكريات ..

هزيمة ٥ يونية ١٩٦٧ أوشكت أن تختبىء فى صفحات التاريخ ، ولكن آثارها ماثلة بحذافيرها فوق الأرض العربية ، وفى داخل نفس الانسان العربى .. فالانتفاضة فى فلسطين هى بنت الهزيمة التى صنعها العجز والفساد منذ ثلاثة وعشرين عاما .. ولولا انكسار السلاح العربى فى تلك الهزيمة لما احتاج الانسان العربى أن يواجه القنبلة النووية والقنبلة الكيماوية والقنبلة الجرثومية اليهودية الصهيونية ، بمجرد قطع من الحجارة فى يده ، أو حفنة من التراب يقذفها فى وجه الغزاة البرابرة !

نعم .. يتغير ايقاع الحياة فى الصيف ، ولكن حياتنا فقدت – مع الأسف – ايقاعها فى الصيف وفى كل فصول العام !

«المحرر»

القطاع العام والقطاع الخاص

فى الخمسمائة سنة الاخيرة

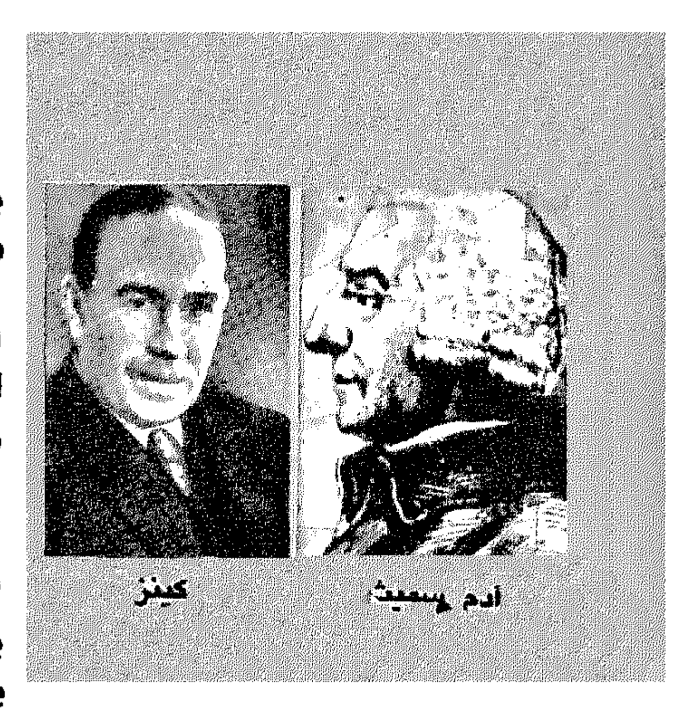
بقلم : د. جلال أمين

ليس للناس كلام في مصر الا عن بيع القطاع العام. وهكذا اصبح ما كان محظورا حظرا تاما، يطرح على الناس وكانه بديهية من البديهيات. مر علينا وقت خلال الستينات كان فيه الحديث كله عن "حتمية الحل الاشتراكى" وكان من يعارض التاميم فيه ينظر اليه وكانه اما خائن او مخبول. والان انقلب الامر راسا على عقب، واصبح كل من يعارض القطاع العلم يصور على انه إما شخص يعمل ضد مصلحة الوطن او شخص سيطرت عليه الايديولوجية لدرجة الخبل.

والمدهش ان الظاهـرة ليست مقصورة على مصر وان كانت درجة الحماس لبيع القطاع العام تختلف من بلد لآخر. فالاقتصاديون فى الشرق والغرب لا هم لهم الان الا الحديث عن ضرورة انسحاب الدولة، اكثر فاكثر من النشاط الاقتصادى او تقليص دورها فيه الى اقل درجة ممكنة، فاذا سئلوا عن اسباب متاعبهم الاقتصادية كانت اجابتهم الجاهزة دائما: القطاع العام هو المسئول، الدولة تتدخل اكثر من اللازم.

واريد ان اصارح القارىء القول بانى اشعر فى كل مرة يثار فيها هذا الموضوع، موضوع القطاع العام والقطاع الخاص، والدور الامثل للحكومة فى النشاط الاقتصادى وما اذا كان من الافضل توسيعه او تضييقه اشعر بان على الاقتصاديين ان يشعروا بالخجل من انفسهم. فهذه هى ثالث مرة على الاقل يغير فيها الاقتصاديون رأيهم فى هذا الموضوع تغييرا يكاد يصل الى درجة التحول من الشىء إلى نقيضه.

ففى البدايات الاولى لعلم الاقتصاد قال لنـا الاقتصاديـون المسمـون بـاسم "التجاريين" (١٤٥٠ ـ ١٧٥٠) ان على الدولة ان تتدخل تدخلا حاسما وشاملا فى



ادم سميث — كينز

النشاط الاقتصادى .

ثم جاء الطبيعيون (١٧٦٠ ـ ١٧٨٠) والاقتصاديون التقليديون او الكلاسيك (١٧٧٦ ـ ١٨٧٠) وليقولوا لنا ان على الدولة أن تنسحب انسحابا تاما من النشاط الاقتصادى وان هذا هو الوضع "الطبيعى" للامور . ثم جاء كينز (١٩٣٦) ليقول لنا من جديد ان على الدولة ان تقوم بدور فعال فى الاقتصاد والأحداث مالا تحمد عقباه ، وان الازمة الاقتصادية هى نتيجة مباشرة لامتناع الدولة عن التدخل ثم جاء النقديون (١٩٧٠ ـ ٠٠٠) ليقولوا لنا مرة اخرى ان على الدولة ان تنسحب انسحابا تاما من الاقتصاد بما فى ذلك حتى خدمات المطافىء والبريد ، وان السبب الوحيد للمشاكل الاقتصادية ايا كان نوعها هو تدخل الدولة .

● الاعتراف بالرأى الصحيح !

قد تقولون انه ليس من العار ان يغير المرء رأيه ، ولو عدة مرات ، من راى الى نقيض ، مع تغير الظروف والاحوال . ولكن الا تلاحظون انه فى كل مرة لايريد الاقتصادى ان يعترف بان الرأى الذى يقول به يصلح فقط فى ظروف معينة ، ولايصلح لغيرها ؟ ففى كل مرة يزعم الاقتصادى ان الرأى الذى يقول به الراى الصحيح فى كل زمان ومكان . فالتجاريون لم يقولوا لنا ، كما كان يجب ان يقولوا ان رأيهم بضرورة تدخل الدولة لايصح اذا انتهت المراحل الاولى للنمو الصناعى ووقفت الصناعة الوطنية على قدميها والاقتصاديون التقليديون او الكلاسيك لم يقولوا كما كان يجب ان يقولوا ان رأيهم يصلح لانجلترا فقط ، ولايصلح لالمانيا او الولايات المتحدة .

وكينز سمى نظريته "النظرية العامة" ولم يسمها ، كما كان يجب ان يسميها "السياسة الاقتصادية الصالحة للغرب فى الثلاثينيات" .

وميلتون فريدمان والنقديون ذهبوا الى ان رأيهم يصلح لشيلى بنفس الدرجة التى يصلح بها للولايات المتحدة ، ويصلح لعصور الرأسمالية الاولى كما يصلح لراسمالية النصف الثانى من القرن العشرين .

وفى كل مرة اذن لايخجل الاقتصادى من ان يقول انه يغير رأيه لانه قد اكتشف الحق وعاد الى الصواب بدلا من ان يقول انه غير رأيه لان الظروف قد تغيرت . ادم سميث يسخر من التجاريين لانهم لم يروا الحقيقة بينما رآها هو ، وكينز يسخر من الكلاسيك لانهم لم يروا الحقيقة بينما رآها هو ، وميلتون فريدمان يسخر من كنيز لانه لم ير الحقيقة بينما رآها هو ، بينما كل منهم يعبر عن مصالح "دولة" او طبقة معينة فى فترة معينة .

التجاريون يعبرون عن مصالح التجار والصناع قبيل الثورة الصناعية ، والكلاسيك يعبرون عن مصالح الراسمالية

الانجليزية فى عصر المنافسة الحرة ، وكينز يعبر عن مصالح الرأسمالية فى عصر المنافسة غير الكاملة وميلتون فريدمان يعبر عن مصالح الرأسمالية فى عصر الشركات متعددة الجنسيات .

الادهى من ذلك ان الاقتصاديين فى كل مرة يغيرون فيها رأيهم يكررون بدرجة مذهلة حججا سبق قولها ، ويتظاهرون بأنهم يقولونها لاول مرة وكأنهم اكتشفوا شيئا لم يسبق لاحد اكتشافه . الاقتصاديون الان يتكلمون عن مزايا الحرية الاقتصادية واضرار تدخل الدولة وكأنهم يقولون هذا الكلام لاول مرة ، وهم فى الواقع لايكادون يضيفون حرفا واحدا الى ما قاله الاقتصاديون التقليديون (الكلاسيك) والتقليديون الجدد (النيو كلاسيك) .

فاذا انتقلنا الى الاقتصايين المصريين بالذات نجد ان عليهم ايضا ان يشعروا بالخجل من انفسهم لنفس الاسباب فهم ايضا غيروا رأيهم اكثر من مرة فى موضوع دور الحكومة فى النشاط الاقتصادى ومزايا القطاع العلم او القطاع الخاص ، ولايقولون ان هذا نتيجة تغير الظروف بل يقولون ان السبب هو اكتشافهم للصواب بعد أن كانوا على خطأ . فاغلبية الاقتصاديين المصريين الذين يؤيدون بيع القطاع العام اليوم كانوا يتغنون فى اوائل الستينات بمزايا الاشتراكية ويعددون الاسباب التى تحتم تدخل الحكومة فى دولة نامية مثل مصر وكانوا ايضا يتغنون بنظام التخطيط الشامل ويؤلفون فيه الكتب ، ويدرسونه للطلبة بنفس الحماس الذى كانوا يبدونه عندما كانوا يتكلمون عن العدو الاسرائيلى اما الان فهم يقولون ان كل هذا كان خطأ لمجرد ان الدولة لم تعد تتكلم عن الاشتراكية ولان البنك الدولى وصندوق النقد الدولى لم يعودا يتحملان تدخل الدولة والتخطيط كما كانا يتحملانه فى الخمسينات والستينات .

والاقتصاديون المصريون ، شأنهم شأن الاقتصاديين فى كل مكان عندما يدافعون الآن عن الحرية الاقتصادية لايضيفون جديدا الى ما كان يقوله النيو كلاسيك منذ قرن من الزمان ، فليس لديهم ما يقولونه اكثر من الكلام عن سوء استخدام الموارد الذى يترتب على التدخل فى قوى السوق وكأن ظروف المنافسة الكاملة التى كانت موجودة منذ مائة عام بدرجة أو بأخرى ، مازالت هى الموجودة الان ويتجاهلون سوء توزيع الدخل نفس التجاهل الذى ابداه النيو كلاسيك ، ولا يقدمون حجة واحدة جديدة ومقبولة للدفاع عن هذا التجاهل .

غالبية الاقتصاديين المصريين اليوم يقولون ان متاعبنا الاقتصادية كلها سببها اتساع دور الحكومة فى النشاط الاقتصادى وهم بهذا يكررون نفس كلام ميلتون فريدمان واتباعه ونفس كلام صندوق النقد والبنك الدولى كلما سئلوا عن تفسير اية مشكلة اقتصادية دون اى اعتبار لحقيقة الامور . فهؤلاء كلما رأوا الاداء الاقتصادى فى دولة افضل منه فى اخرى فالسبب فى نظرهم هو ان الحكومة تتدخل فى الاولى بدرجة اقل من تدخلها فى الثانية ضاربين عرض الحائط بكل الظروف والملابسات التى تم الاداء الاقتصادى فى ظلها فى هذه الدولة او تلك .

انى اقول انه ليس هناك اى اساس علمى او منطقى للقول بان متاعب مصر الاقتصادية الحالية سببها اتساع دور

الحكومة فى الاقتصاد ، كما اقول انه اذا ثار التساؤل عما هو الدور الامثل للحكومة فى الاقتصاد فى مصر فان من اسخف الامور ان تتكلم كلاما عاما عن دور الحكومة بصفة عامة عن مزايا الحرية الاقتصادية بصفة عامة . وانما علينا ان نتكلم عن كل صناعة على حدة وعن كل اداة اقتصادية على حدة ففى كل صناعة يجب ان نميز بين المشروعات الجديدة والمشـروعات القـائمـة وفيمـا يتعلق بمشروعات القطاع العام القائمة بالفعل يجب ان نميز بين المشروعات الرابحة والخاسرة وفى المشروعات الخاسرة يجب ان نميز بين تلك التى تخسر بسبب سوء الادارة او نظام الحوافز او سياسة التسعير والعمالة او بسبب عدم توفر العملات الاجنبية او بسبب المنافسة التى تتعرض لها من الواردات . وفيما يتعلق بالمشروعات القائمة التى تعانى من منافسة الواردات علينا ان نميز بين ما يتوفر لها من فرص النجاح فى المستقبل وما لاتتوفر لها هذه الفرص .... الخ

فما يصلح من علاج لكل من هذه المشروعات قد لايصلح لغيرها . وانى اشك جدا فى ان يكون سبب الفشل فى كثير من هذه الصناعات هو نظام ملكية الدولة .

فى سنة ١٩٧٥ نشر الاستاذ بنت هـانسـن ، الاقتصـادى السـويـدى المعروف ، والمعروف جيدا على الاخص للاقتصاديين المصريين بسبب كتاباته الممتازة عن الاقتصاد المصرى ، نشر مقالا فى مجلة التنمية فى العالم Warld Development عدد ابريل بعنوان "الاشتراكية العربية فى مصر" Arab Socialism in Eggpt وذلك قبل ان تشيع موضة التخصصية Privatira-tion فى هذا المقال يقول هانسن بالنص :

"لو كان نظام من الاشتراكية التى تعتمد على مؤشرات السوق قد اعطى فرصة للتجربة فى مصر لكان من الممكن فى رايى تلافى العيوب المتعلقة بانخفاض الكفاءة الاقتصادية دون المساس بنظام الملكية العامة (ص ٢١١)

ولكننا نعرف بالطبع أن هذا النظام الاشتراكى المعتمد على مؤشرات السوق لم يعط فرصته للتجربة فى مصر بسبب حرب ١٩٦٧ وما يترتب عليها رغم أن هناك من الدلائل ما يشير الى ان الحكومة قبيل ١٩٦٧ كانت قد شرعت بالفعل فى تجربة هذا النظام ، ولم يمنعها من الاستمرار فيه الا قيام الحرب .

وانا لا اجد سببا وجيها يمنعنا عن تطبيقه الان لو كنا نختار من النظم والسياسات الاقتصادية ما يناسبنا حقا وبمطلق الحرية .

فلتتنازل الحكومة عن ملكية المشروعات التى كان من الخطأ تأميمها كالفنادق ودور السينما او المحلات التجارية التى تبيع سلعا كمالية ولتتخل عن الادارة فى مشـروعات اخـرى ولتستبق الملكيـة والادارة فى بعضها الاخر وتتبنى نظاما جديدا للحوافز او فلتطلق حريتها فى التسعير والعمالة او فلتحكم نظام الحماية المفروضة لبعضها .... الخ ، ولكن فلنكف عن الكلام عن مساوىء القطاع العام "بصفة عامة" ومزايا القطاع الخاص "بصفة عامة" .

بقلم : د. شكري محمد عياد

تجارب مع المستحيل

حين كتب بدر الديب "اوراق زمردة ايوب" بعد القصص القصيرة الثلاث التى ضمها اليها فى مجموعة "حديث شخصى" ، كان كمن حفر بئره ، اخيرا ، حيث مكمن الماء ، او مكمن البترول ، فتدفقت الثروة التى ادخرتها الطبيعة ، وفاضت النفس بمكنوناتها ، فهو الان ، وقد جاوز الستين ، فى قمة عطائه الذى ندعو الله أن يمتد لسنوات كثيرة .

وقد عرف بدر الديب ، حتى أوائل السبعينيات ، قارئا ممتازا وناقدا ممتازا ، ولكن خلصاءه فقط هم الذين يعرفون كيف يقرأ بدر ، وقليل منهم الذين رأوه ، فى يومه العادى ، وهو يقرأ ، وقد تخفف من قيود العمل ، وفروض الحياة (ما يسميه بدر "الصفعة") ، مثلما رأيته أنا ، حين ابتلى بصحبتى ، شبه الدائمة ، لمدة أشهر .

حين أفكر فى بدر القارىء تحضرنى صورة واحدة ، صورته ممسكا بكتاب جديد (والكتب تتعاقب فى حياته بسرعة غير عادية) ، قريبا من صدره ، وكأنه يحتضنه ، القراءة عند بدر عشق . وبما أنه لا يستطيع الفصل بين القراءة والعشق ، فهو لا يفصل ايضا بين العشق والقراءة !

يقول بدر : "حبيبتى موسومة بالشكل والتركيب" ! (إقرأ القصيدة المعنونة بهذا العنوان فى ديوانه "تلال من غروب") .

لقد اهتدى بدر إلى جوهر كيانه حين أدرك المفارقة التى يعيشها بين حياته العملية وحياته قارئا وعاشقا . صدمه هذا الشعور صدمة حادة بعد تجربته فى الصحافة ، فكانت "اوراق زمردة ايوب" اعترافا مؤلما أعاد إليه توازنه . وعلى أثر انتهائه منها شرع فى كتابة روايته الثانية ، "اجازة تفرغ" ، التى لم يفرغ منها الا حديثا جدا ، ولم تنتقل من يده إلى المطبعة بعد ، ولكن الذى اعرفه عنها ـ وقد سمعت منها الفصل الأول فحسب ـ أنها عن رسام اجتذبته الصحافة زمنا ـ ربما لكسب القوت أو لتوهم انه يمكنه أن ينجز من خلالها شيئا عظيما كما توهم بدر ـ ولكننا نراه وقد فر بجلده فى ظل "إجازة تفرغ" وشرع فى رحلة طويلة لاكتشاف ذاته . ويبدو لى أن بدرا انتقل من "الخلاص بالكتابة" ، وهو ما حاولته زمردة إلى شىء أكثر إيجابية ، وهو تحقيق الوجود الحقيقى من خلال الفن . كانت التجربة عسيرة ولكنها كانت تعنى الشىء

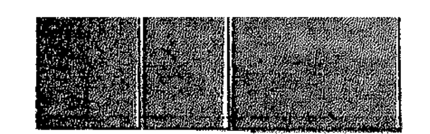

بدر الديب
ادوار الخراط

الكثير لبدر ، ولذلك صبر عليها أكثر من عشر سنين . وفي خلال هذه السنوات تبلورت لديه مجموعة من القصائد جمعها في ديوانين : "تلال من غروب" و"السين والطلسم" وقد ظهرا متتابعين في يناير ومارس ١٩٨٨ ، وأخيرا ثلاثية "المستحيل والقيمة" .

● عمل فريد

وقبل أن أتحدث عن هذه الثلاثية - وهي عمل فريد في جمعه بين الفلسفة والشعر والقصص - أجد من الضروري أن ألم إلمامة سريعة بالديوانين السابقين ، فهما أيضا مرحلة في سيرة بدر الفنية . وقد لا يسعد بدرا وأصدقاءه ما أقوله عن الديوان الأول على الخصوص . ولكن ما حيلتي وقد عايشت بدرا في تجاربه الفنية على اختلاف مستوياتها ، وانتدبت لتفسيرها للقراء ، وهي جميعا تؤلف وحدة متكاملة لا يسعني إسقاط شيء منها ، مادام متاحا للدراسة وإبداء الرأي ؟

إذا كان "تلال من غروب" - من حيث الشكل - عودة إلى النمط الشعري الذي بدأه بدر في "حرف الـ ح" ، فانه من حيث المادة والنسج مختلف جدا ، لقد جعل له بدر عنوانا إضافيا : "مقطوعات في الدين والحب والسياسة" ، وهذا اعلان لأنه لم يعد منفردا بحرفة ، بل أخذه في يده وخاض به في دنيا الناس ، ولكنه يشعر أن ثمة عدوين يحولان بينهما وبين الناس : أما العدو الأول فهو القصيدة التقليدية بعروضها وقافيتها ، وأما العدو الثاني فهو هذه التفكيكية التي يلهج بها دعاة الحداثة . أما القصيدة فأمرها معروف ، هي في نظر الحداثيين ثوب بال يجب أن ينزع عن الشعر العربي كي يظهر جماله الحقيقي ، وأما التفكيكية فليس من



المتوقع أن يضيق بها بدر ، ولكن الحقيقة هي أنه بقي مدة مزورا عنها ، ولعله لم يكن مطمئنا إلى الحكمة القائلة إن عدو عدوي هو صديقي ، وإلا فلماذا ينفر من التفكيكية وهي نقض للبنيوية ، التي هي نقض للوجودية ، والنزعة الوجودية متأصلة عند بدر ؟ ولكنه يكتب قصيدة "ما وراء البنيان" ساخرا من "أصحاب النظرية" . (و"ما وراء البنيان" هي ترجمته للتفكيكية Deconstruction ـ وهي ترجمة خاطئة بلا ريب) ويجعل هذا العنوان علما على مجموعة من القصائد تؤلف القسم الثالث من "تلال من غروب" ، وليس بينها ارتباط واضح ، ولا تمايز عن القسمين الأولين . وأما القصيدة ذات الوزن والقافية فيستهزىء بها بدر في احدى قصائد القسم الأول وعنوانها "حي على القصيد" .

ويهاجمها كذلك في مقدمة الديوان ويؤازره صديقه إدوار الخراط في مقدمة ثانية يضمها إلى مقدمة بدر . ففيم هذا العناء كله ؟ الأن بدرا كتب في ذلك القسم الأول قصائد في السياسة ، وكان أمامه تراث ضخم من القصائد السياسية أعجزه أن يباريه ، فعدل الى مهاجمته ؟ ولماذا يكلف نفسه أن يكتب في السياسة كما كان يكتب المتنبي ؟ إنه لا يملك مثل حنجرة المتنبي ، فاذا أراد أن يصرخ ، مثلا ، "ياأمة ضحكت من جهلها الأمم" تسلخ صوته .

نغتفر لبدر هذه الهجمات الرعناء ، فهو شاعر أصيل ! وكل شعر اصيل إضافة نعتز بها إلى ادبنا ، واهم من الاعتزاز ـ فلسنا في مجال مفاخرة ـ انها تحيي المشاعر وتخصب النفوس ، وفي ديوانه هذا قصائد جميلة ، لا احصيها ، ولكني اختار من قصائد القسم الأول قصيدة "الشجرة" ، ومن قصائد القسم الثالث قصيدة "الطقس المرير" ، وهي قصائد لا يعيبها أنها لا تلتزم عروضا ولا قافية (كما أن القصائد التي تلتزم العروض والقافية لاتعاب بذلك ، وهذا بديهي اليّ فشعر بدر له ايقاعه الخاص ، الذي يتميز تميزا واضحا عن ايقاعه النثري .

● تدريبات لقصيدة رائعة

هي اذن معارك دون كيشوتية لم يكن لبدر أن يتورط فيها ، ولكننا نغتفرها له ايضا (كما نغتفر له هفواته اللغوية) لأنه في عودته الى كتابة الشعر كان محتاجا الى أي كلام يرفع به معنوياته !

أما ديوانه الثاني "السين والطلسم" فقد سلم من هذه الأصوات الطفيلية ، كما سلم القسم الثاني من "تلال من غروب" وقد جعل عنوانه "تدريبات في الحب" ، والواقع أن هذا القسم ، مع جماله ، يمكن أن يعد "تدريبات" ممهدة لقصيدته الطويلة الرائعة "السين والطلسم" ، وهي جديرة بالدراسة المتأنية لبيان تكاملها الفني ، أما في هذه المقالة التي لا ترمي إلى أكثر من تقديم بعض المفاتيح التي يمكن أن تساعد القارىء على الولوج الى عالم بدر الديب ، فيكفي أن نقول إن "السين والطلسم" تبلور الوجه الايجابي في رؤية بدر للمصير الانساني ، وهي رؤية

تقوم على اقانيم ثلاثة : "الوجود ، الحب الفن" ، وتنتشر فى جميع أعماله التى نشرت بعد "حديث شخصى" ، وان كانت فى هذه القصيدة بالذات تنعكس انعكاسا مأساويا على الخلفية الوجودية المعروفة : "الزمن ـ العدم" .

* * *

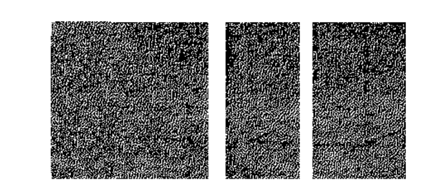
لولا سارتر لما أهتم الناس بالوجودية ، فسارتر عبر عن الفكر الوجودى من خلال رواياته ومسرحياته وبواسطة شخصياته المنتشبة فى حبائل الوضع الانسانى ـ ما نسميه القدر ـ والمحكوم عليها بالاختيار ، ومن خلال مواقفه الشخصية من قضايا عصره ، وايمانه بـ "الفعل" الانسانى خالقا لكيان الانسان . أما الفلاسفة الوجوديون الذين سبقوه ـ كير كجارد وهيدجر وياسيرز ، فلم يستهووا جمهور القراء بلغتهم الموغلة فى التجريد ، واسلوبهم الذى غلب عليه الغموض ، إما لكزازته (عند الأول) وإما لتدفقه وانتشاره (عند الأخيرين) . وقد وجد بدر ضالته ـ حين كان يطلب الفلسفة ـ فى الفكر الوجودى ، الذى يبدأ من التأمل الذاتى (الأنا) لينطلق نحو الخارج فى اتصال شخصى حميم (الأنت) . والانسان فى الفكر الوجودى معرض للسقوط فى كل لحظة ، قادر على التجاوز والتسامى فى كل لحظة أيضا ، وعليه أن يختار !

وقد صور بدر فى رائعته "أوراق زمردة أيوب" سقوط الانسان ، ومحاولته ، وهو فى أشد المواقف الحدية ارهاقا للشعور موقف الموت ـ النهوض من سقوطه ، الى درجة الاشتياق للقاء الموجود الأسمى . فهى فى قراءتى لها رواية "متفائلة" ، اذا أخذت فى التفاؤل والتشاؤم بمعناهما الأخلاقى ، وأخذت الأخلاق أيضا بمعناها المطلق ، المثالى ، غير النفعى ، إنها صورة للمظهر الذى تكتوى فيه الروح بالنار لتسترد جوهرها الصافى ، ولكن بدرا حين تجاوز المحنة التى ولدت "أوراق زمردة أيوب" ، أراد أن يفلسف تجربة حياته كلها ، بايجابياتها وسلبياتها ، ولعله كان أميل الى الجانب الايجابى المشرق ، فوجد فى هذين الأقنومين : الحب والفن (والجمال متولد بينهما) سبيله الى الاقنوم الثالث : الوجود ، الوجود الحقيقى ، التحقق الكامل للذات ، الذى يصلها بالكون كله ، وكأنها مالكته .

غير أن النفس لم تسترح ، والفكر لم يستقر ، فهذا التحقق الكامل شىء عزيز جدا ، بل هو "المستحيل" بعينه ! وهو "القيمة" أيضا ، لأنه الشىء الذى تعرف النفس بفطرتها أنه موجود ، بل أنه الموجود الأسمى ، والوجود الأسمى ، وأنه فوق الزمان والمكان ، فوق الانسان ومواقفه ، بل واختياراته أيضا ، وفى هذا محنته !

من هنا كانت فكرة "المستحيل والقيمة : تجربة فى الديالكتيك" . يقول بدر فى مقدمة هذا الكتاب :

"لقد بحثت طويلا عن المستحيل والقيمة واظننى لم اسع الا لذلك فى حياتى كلها ، ولكننى فى كل الزمن الذى مر لم احصل عليهما . لقد بحثت عن المستحيل فى التاريخ وفى الايمان وفى مراتب الوجود المتعددة ، وكان دائما



الـوعى ينفى المستحيل ، وكـان المستحيـل يستحيل الى ذكـرى .. ولكننى ادركت قبسا من المستحيل والا لما كتبت هذا الكتاب وقد تبين لى بعد أن كتبته المعنى الحقيقى للمستحيل ، ومن خلاله ادركت كيف توضع القيمة . ولست أدرى اذا كان من الممكن ان احكى حكاية هذا اللقاء مع المستحيل وموقع هذا اللقاء مع القيمة ، فمع مجرد القص يتحدد الوعى ويتحقق التذكر ، وينتفى كل منهما" أ . هـ . والمراد بضمير الاثنين هنا هو المستحيل والقيمة .

وأنت ترى من هذه الجملة الأخيرة خاصة شدة المعاناة التى يجدها الكاتب الفنان حين يحاول أن يترجم ومضة المستحيل (ما اسميه انا "اللحظة الجمالية") الى كلام يشترك القارىء فى صنع معناه . وللقارىء الذى لم يألف هذا النوع من الكتابة الفلسفية أضع ، فى

مقابلة هذه الفقرة التى نقلتها عن بدر ، كلاما كنت كتبته قبل اثنى عشر عاما فى مقدمة كتابى "الرؤيا المقيدة" ، وهو أشبه بترجمة حرة لما يقوله بدر :

"اديب هذا العصر يعلم أن شخصيته نتاج مجتمعه ، وأن كل ما يتلقاه من افكار ومشاعر هو من صنع هذا المجتمع ، حتى فنه هو أيضا صورة لمجتمعه ، ولكن الفن يختلف عن غيره من ضروب النشاط البشرى فى انه لا يتوقف أبدا ، ولا يسلم أبدا بما هو موجود ، بل يحاول دائما ان يقفز من الآنى الى الدائم ، ومن الجزئى الى الكلى ، أن يتجاوز حدود الزمان والمكان ليصل الى المطلق . هذه هى رؤيا الكاتب الفنان ، ورؤياه هى سر عذابه ، وسر القداسة التى تحيط بهذا العذاب . فان كان هناك مطلق فان هذا المطلق موجود متعال عن الانسان . قوم يسمونه الله ، وقوم يسمونه الكمال ، وقوم يسمونه الفن (أضف هذا الهامش الصغير ، وبدر الديب يسميه المستحيل) . ولكن هؤلاء وهؤلاء وهؤلاء موقنون أنهم لا يستطيعون بلـوغه ، وانمـا يستطيعون ، بـالعرق والدموع واحتراق الأعصاب ، أن يقتربوا منه قليلا أو كثيرا" .

فاذا كنت مثلى ممن يخافون فتنة الألفاظ فقد تقنع بمثل هذه الترجمة ، فللألفاظ فتنة لا تقتصر على الخطباء والشعراء بل تتعداهم الى الفلاسفة ، وفتنتهم بالالفاظ تتنوع ، من جرى وراء اشتقاقاتها ، كما يفعل هيدجرت إلى اصطناع مفهوم متميز لكل لفظ من الألفاظ المتعـددة التى تتعاور على المعنى الواحد ، ثم البحث عن العلاقة بين هذه المفاهيم المفترضة كما يفعل بدر مثلا فى بحث العـلاقـة بين "المستحيـل" و"القيمة" ، غير مبال بما يسببه له هذا البحث من ارباك ، وللقارىء من حيرة .

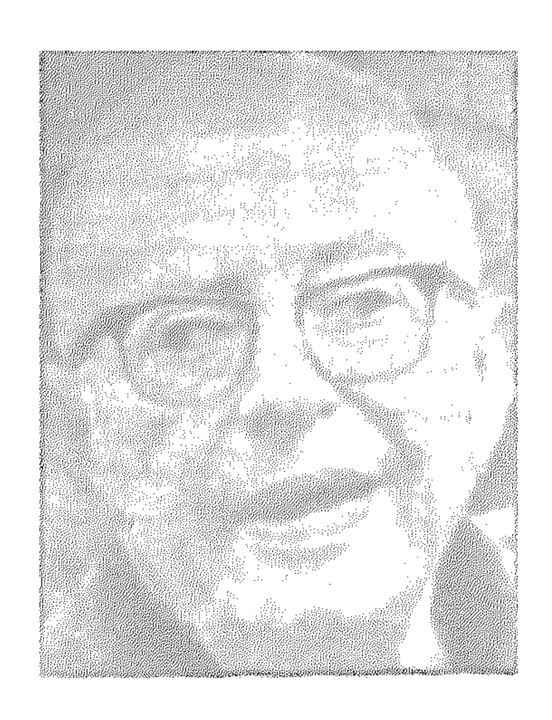
ولكن بدرا لن يطيل عليك فى هذا الطرح الفلسفى ، فبدر ليس فيلسوفا رغم تربيته الفلسفيـة ، ولكنه فنـان بكل "رذائل" الفنانين ! واولى هذه الرذائل ، والزمها لعملهم ، انهم لا يسمحون لأية منظومة فلسفية أو ايديولوجية أن تتحكم فى ابداعهم . وابداعهم مرتبط بتجاربهم الشخصية ، وهكذا يبحث بـدر عن

"المستحيل المتحقق" فى الحب ، وتلهج بذلك معظم قصائد هذا الديوان ، ان لم تكن جميعها ، ولكنك تدرك ولاشك ما فى هذه العبارة "تحقق المستحيل" من

تناقض ، فالمستحيل ـ اى الكمال المطلق ـ مفهوم وجودى لابد لنا من تصوره وقبوله اذا اعترفنا بحركة الوجود (الطبيعى) وأردنا ألا نسقط فى العدمية ولكنه "منفى كحقيقة" بنص كلام بدر . واذن فكيف يمكن ان يتحقق الا "افتعالا" و"وهما" (وهما كلمتان يستخدمهما بدر نفسه فى هذا السياق) ، ولكن متى كانت الفلسفة افتعالا وتوهما ؟ أليس الافتعال والوهم قريبين جدا من الرذيلة الكبرى عند الوجوديين : خداع النفس ؟ .

● بين العاطفة والفكر العميق

اما فى الفن فكل شىء مقبول حتى الاوهام ، وقديما قالوا : أعذب الشعر اكذبه ! ومع ذلك فان الوهم الذى يزور الشاعر تلقائيا ودون قصد منه اقرب الى النفس من التوهم الذى يصنعه الشاعر بارادته ، وهذا هو النقد الذى وجهه درايدن قديما الى الشعراء الميتافيزيقيين وهم اساتذة بدر فى هذا الباب ، فهم ملوك "الاستعارة البعيدة" كما كان أبو تمام فى شعرنا العربى . وتسميتهم بالميتافيزيقيين لا تعنى أنهم كانوا اقرب إلى الفلسفة من بدر ، بل العكس هو الصحيح . ولكنهم قوم مزجوا مزجا باهرا بين العاطفة الجياشة والفكر العميق ، ولاسيما فى شعرهم الغزلى . ومن ثم كان احياء مذهبهم ، فى هذا العصر الذى ابتعد عن سذاجة الشعور ، سمة من سمات الحداثة .

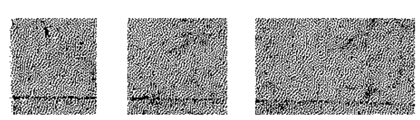


جان بول سارتر



مارتن هايدجر

لعل الميتافيزيقيين كانوا أول من ربط بين سكرة الاتصال الجسدى وسكرة الموت ، فكأن الروح ـ فى هذه اللحظة الخاطفة ـ تنفصل عن الجسد ، وكأنها لمحة من الخلود ، أو من المستحيل الذى يتحدث عنه بدر ، ومع أن بدرا يبدو نظريا ، غير مطمئن الى هذا الحل لمأزق



"تحقيق المستحيل" ، وينفى بشدة أن يكون هذا قصده ، فان قصائد هذا الديوان كلها غناء جميل للجسد ، تقوم فيه الاستعارة بدور مهم فى رفع التجربة المحسوسة الى افق يتجاوز الزمان والمكان .

ولكن الصدع يظل قائما بين المستحيل المطلق ، وبين هذا المستحيل الذى يصنعه الحب ، مهما أجهد بدر نفسه فى ترديد كلمة المستحيل فى قصائده ، بل ان الاسراف فى ذلك يزيد بعض القصائد بعدا عن المستحيل الوجودى ، ويجعل الوصف الأليق بها انها "ابيقورية مستقلة" .

هل كان الكتابان الأخيران فى هذه الثلاثية : "اقسام وعزائم" و"اعادة حكاية حاسب كريم الدين وملكة الحيات" محاولة للمصالحة أو رأب الصدع ؟ ان بدر الديب يعطيهما عنوانا واحدا : "وراء الكينونة" ، والوراء هنا لا يقصد به الوضع المكانى بل السعى لبلوغ الشىء ، و"الكينونة" و"الوجود" مفهومان متجاوران فى الفكر الوجودى ، وأغلب الظن أن بدرا يريد بالكينونة ما يريده هيدجر بالـ Dasein وهو الوجود المتحقق بالصفة ، فى حين ان الوجود المطلق Existeng لا يوصف بشىء . اذن فقد ابتعدنا بعض الشىء عن "المستحيل" الذى هو كمال مطلق ولا يمكن وصفه بأكثر من هذا ، واقتربنا من الوجود الفعلى المتحقق ، الذى يمكن أن تكون له صلة من خلال الصفة ، بالكمال المطلق .

أما مقدمة بدر للقسم الأول "اقسام وعزائم" التى يتحدث فيها عن "تجربته" السابقة فى "المستحيل والقيمة" والتجربة الجديدة التى يريد أن يخضع لها مفهوم المستحيل ويستخدمه "كما تستخدم الظروف المعملية ، التى يتحكم فيها الباحث لاجراء التجربة" ، فلا آخذها مأخذ الجد ، بل أمر عليها مرور الكرام كما مررت على عنوانه السابق "تجربة فى الديالكتيك" وان لم أنكر على بدر رغبته فى ان يعامل المفاهيم الفلسفية معاملة المواد أو الظروف - سيان - التى يستخدمها العالم فى مختبره ، فنحن فى عصر العلوم الطبيعية والتكنولوجيا ، واذا كان زولا قد توهم قبل اكثر من قرن انه يصنع رواية "تجريبية" فلا بأس على بدر اذا توهم ايضا انه يصنع ، بقصصه وشعره ، "فلسفة تجريبية" ، ولكننى أرجوك أن تقرأ معى هذه القصيدة الجميلة التى افتتح بها "اقسام وعزائم" .

"ليس من صنع العينين"

ما نفع ان تهوى بمعنى أن تقع
أو أن تحب فى اتجاه السقوط
اذا كان كل ما فى الدنيا من جمال
من صنع عينيك
بالامس ، بالليل ، ادركت نورا لم
ادركه من قبل
فى البدن الذى كان غافيا
فى جوارى .
كان له زمن ، وكان فى مكان ،
ولكن الذى رايت ، كان نورا
بعدهما .

أى بعد هذا الذى أريد
وأى ضوء هذا الذى أرى
فانه على اليقين
لم يكن من صنع عينى"

إذن فالنور، اذن فالجمال المطلق، اذن فالمستحيل، ليس "من صنع العينين"، ليس وهما نصنعه نحن. وهناك جسر بين المادة والروح.

* * *

أما القسم الثانى، "اعادة حكاية حاسب كريم الدين" فهى، مرة اخرى، حكاية بدر! على انه لا يحاول ان يخفى ذلك هذه المرة، بل انه يقدم الرواية على انها "مذكرات شخصية"، كالمذكرات الكثيرة التى تكتب وتنشر فى بلادنا العربية هذه الأيام. ومع أنه يقدم نفسه على أنه "حاسب كريم الدين" ذاته، فانه لا يلبث أن يقول: "وقد حضرت انا فى حاضر العصر والاوان لأعيد كتابة هذه المذكرات".

واذا كان "حاسب كريم الدين" هو بدر الدين، فليس هذا بالمعنى الشخصى، الفردى بل بالانسان فيهما، فهو، اوهما، أيضا بلوقيا، وعفان، وجانشاه، هما الانسان باحثا عن المعرفة، وطامعا فى السلطان، طامحا الى الخلود، وأخيرا هما الانسان مسلما كل كيانه للحب "الذى لا ينتهى ولا حتى بالموت". لكل من هذه الطرق هتاف غامض يدعو إليه الانسان، فيحسب ان فيه كينونته، وجوده الحقيقى المنشود، ولكن الكينونة ليست شيئا، انما هى حالة، والذى وراء الكينونة هو الحب، وهو سياحة مستمرة.

حاسب كريم الدين يصل الى المعرفة الكاملة، ولكنه لا يصل اليها الا بقتلها،

أما جانشاه، الصورة الاخرى من نفسه، "انا الاخر" كما يقول، فيمضى به الزمن باحثا عن المحبوبة، التى ليست من هذه الارض، ولا يكاد ينعم بها حتى يفقدها، تموت العذراء الأبدية ويبقى العاشق الابدى الى جوار قبرها، ينتظر الموت الذى لا يجىء.

يجمل بدر تجربته "وراء الكينونة"، فى مقدمة الكتاب الأول، على النحو الآتى: "فاننى قد توصلت الى ان السعى وراء الكينونة الذى يجب أن ينتهى الى اكتشاف الذات يؤدى الى قيمة التفرقة التى استخدمتها ألف ليلة وليلة بين الصفة والصنعة. فالمرء بالصفة يوجد وبالصنعة يمارس الوجود، والسعى وراء واحدة منهما غير مجد لأنه لا يولد القيمة ... اما اذا اجتمع للمرء الصفة المقترنة بالمستحيل والصنعة المتولدة عن تجربته فقد يجد الكينونة".

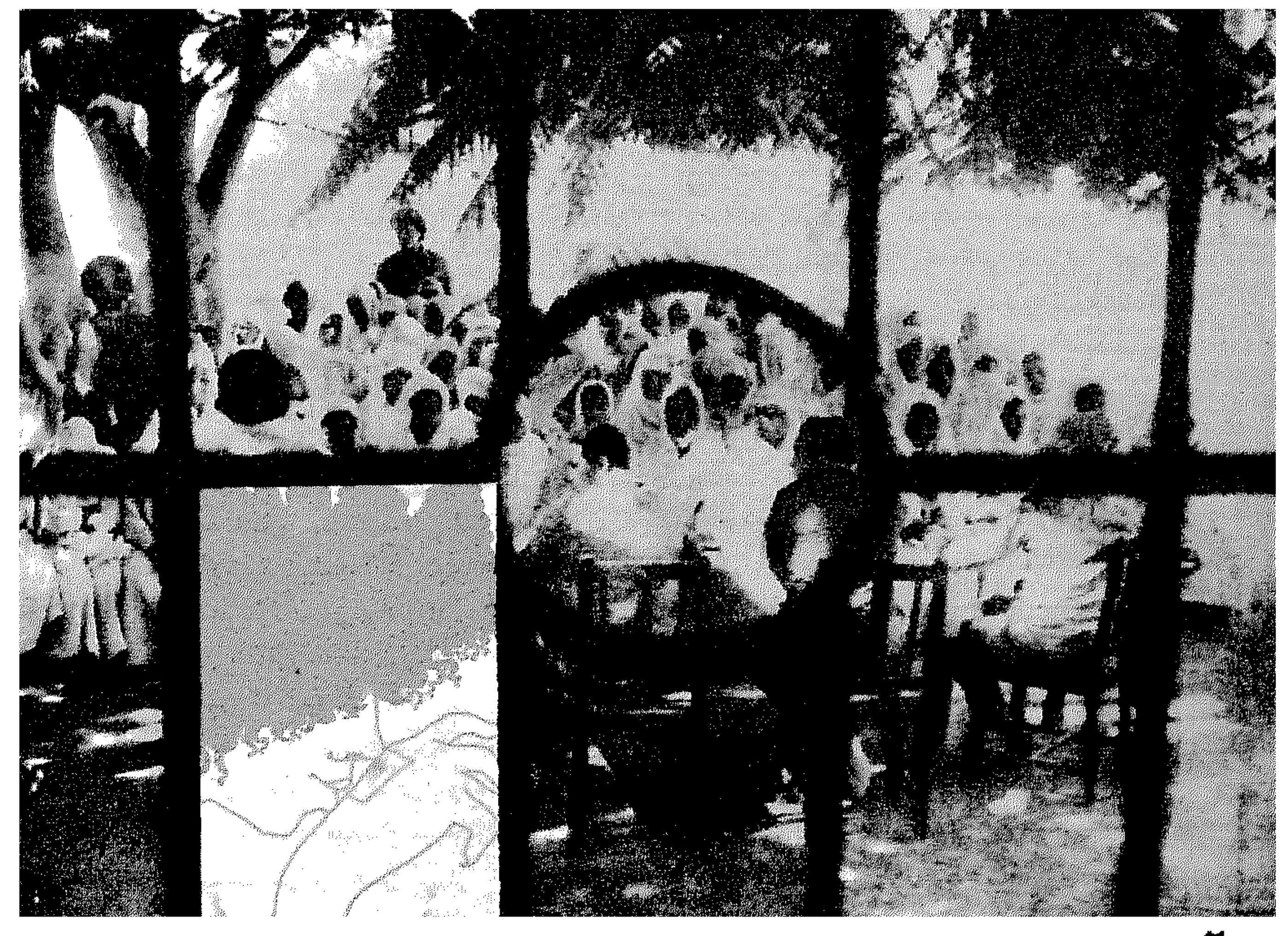
دعك من هذا الوصف المبهم، ولا تطمع ان تحصل منه على شىء، اكثر من أن "الكينونة" اصبحت ممكنة التحقيق، وبغير طريق الحب الجسدى الذى يصنع المستحيل. ولكنك فى منطق الرواية نفسه تجد الفجوة ازدادت سعة بين "الوجود المطلق" المستحيل، الذى لم يعد من الممكن تحقيقه، حتى ولا بالحب ـ فقد اصبح الحب المتحقق، المستحيل، لحظات تفر من اليد، تاركة العاشق فى سياحة مستمرة، أو فى انتظار دائم ـ وبين "الكينونة الممكنة"، كينونة المعرفة التى فقدت الحب، وفقدت الروح.

وفى ظنى أن هذه الفجوة ستظل تقلق بدرا، الى أن يبحث عن تجربة جديدة مع "المستحيل"

الانضباط

أسباب الفقدان وطريق الاستعادة

بقلم: د. مصطفى سويف



لايكتفى العلماء المتخصصون فى دراسة الأمراض العصبية والنفسية بدراسة هذه الامراض عن طريق المشاهدة الاكلينيكية لمرضاهم فى العيادات والمستشفيات ، بل يلجئون كذلك إلى ما يعرف بطرق الدراسة التجريبية المعملية فى هذا الصدد . والشيء الجوهرى في هذه الطرق أن الباحث يستحدث فى معمله ، بطرق فنية معقدة ، نموذجا متكاملا لمجموعة الاعراض والعلامات التى يتشكل منها هذا المرض أو ذاك ، تحت شروط تجريبية معلومة ، ومحكومة ، فإذا تحقق له ذلك تدخل فى النموذج بمعالجات مختلفة لزيادة هذا العنصر على حساب ذاك ، وانقاص ذاك لحساب هذا .

كل خطوة مصحوبة بحسابات معقدة ، وبتسجيل دقيق للمقدمات والنتائج ، ويخرج من هذا كله بإلقاء مزيد من الضوء على حقيقة العلاقات الثابتة والمتغيرة بين عناصر النموذج بعضها البعض ، وكذلك بين النموذج فى جملته وعناصر محددة فى البيئة المحيطة به ، ويعود من هذه الجولة بالقدر من العلم الذى تجمع لديه فى المعمل ، يعود إلى مرضاه فى العيادة والمستشفى ليراجع ويضاهى ، فيجد ما تثبت صحته ويعين على مزيد من كفاءة الفهم والتشخيص والعلاج ، ويجد كذلك ما يحتاج إلى مراجعة وتصويب ، فيعود به إلى المعمل مرة أخرى لزيادة التحقق والتعميق ، وهكذا دواليك . على هذا النحو درس العلماء كثيرا من أمراض مرضاهم ، وفى مقدمتها القلق ، والاكتئاب ، والفصام .

اما كيف يتسنى لهؤلاء العلماء أن يستحدثوا نماذجهم المعملية فمن أهم طرقهم فى ذلك استخدام بعض العقاقير المؤثرة فى الجهاز العصبى ، يعطونها لبعض المتطوعين الأصحاء ، فتنشأ لديهم ظواهر شبيهة بظواهر المرض ، ولكن بأقدار محدودة ، وتحت شروط محكومة ، وبصورة قابلة للتراجع والزوال بعد بضع ساعات . ثم إن لهم طرقهم الفنية المختلفة فى الملاحظة والتسجيل . ومن بين العقاقير التى استخدمت فى هذا الصدد عقار المسكالين ، وعقار حامض الليسيرجيك ، وغيرهما .

● اسباب تاريخية للتسيب :

والشيء المهم الذى من أجله سقنا هذه المقدمة ، هو أن «التسيب» الشخصى يمكن دراسته باتباع النهج نفسه .

اما العقار الذى يمكن استخدامه لاستثارة مجموعة السلوكيات المشابهة لما يندرج تحت التسيب فهو القنب أو الحشيش . ولايجوز أن يتبادر إلى ذهن القارىء أننى بهذا القول ألجأ إلى المبالغة



أو التشبيه أو المجاز . إنما هذا القول وصف دقيق لما يترتب من تغيرات فى سلوك الحركة والتفكير والوجدان عند متعاطى الحشيش فى بلادنا ، وفى بلاد العالم أجمع . وقد أوضحت ذلك دراساتنا الميدانية على آلاف المتعاطين المصريين ، وبوجه خاص على الآثار طويلة المدى للحشيش الذى ظلوا يتعاطونه لسنوات عدة : كما أوضحته عشرات الدراسات التجريبية المعملية التى اجريت فى اوروبا وامريكا على الآثار المباشرة أو قصيرة المدى للتعاطى . وتشير نتائج هذه البحوث المتفرقة ، ومعها عدد من التقارير الفنية الصادرة من هيئة الصحة العالمية إلى أن المتعاطين المنتظمين فى تعاطيهم لمدد طويلة يفضلون ما يسمى «بالأسلوب المتسيب للحياة» وهى الترجمة العربية للعبارة الانجليزية Loose sryle of Life، **وانهم بمواظبتهم على التعاطى إنما يسعون إلى دعم هذا الأسلوب فى نفوسهم .**

ولايعنى ذلك طبعا الايحاء او التلميح بان كل الأشخاص المتسيبين باى قدر من التسيب فى حياتهم الخاصة والعامة إنما اصيبوا به لأنهم يتعاطون الحشيش ، فهذا كلام واستنتاج لامعنى ولا قيمة له . ولكن كل ما نعنيه هو أن هناك تشابها شديدا بين التسيب السائد لدى الكثرة وبين نمط التغيرات السلوكية التى يحدثها تعاطى الحشيش .. ونعنى كذلك أن هذا التشابه من الدقة بحيث يسمح بدراسة الكثير من جوانب التسيب الشائع وذلك من خلال دراسة أعراض التعاطى طويل المدى للحشيش . ونعنى بعد كل هذا وذاك ان هذا التشابه يطرح سؤالا هاما على النحو الآتى : هل تكون وراء التسيب المستحدث اجتماعيا والتسيب المستحدث كيميائيا (أى عن طريق السعى إلى التعاطى) عوامل نفسية وإجتماعية او بالأحرى عوامل حياتية مشتركة ؟ بعبارة أخرى ، ماذا فى مناخنا الاجتماعى والسياسى والاقتصادى يجعل رد الفعل الشائع عند النسبة الغالبة من المواطنين هو التسيب ، أى التخلى عن الانضباط ، ويجعل مخدرا مثل الحشيش يمكث فى مصر منذ جلب اليها فى منتصف القرن الثانى عشر الميلادى ، ويقاوم عديدا من المحاولات الجادة التى بذلت من جانب الحكام للقضاء عليه ، بل ويصبح ، ويظل حتى الآن ، هو اكثر المخدرات انتشارا بين المتعاطين المصريين ، كما تدل على ذلك أحجام المضبوطات من المواد المخدرة ، ونتائج الدراسات الميدانية المتعددة ؟ . هذا سؤال نثيره للتأمل ، وهو مطروح على كل من يهمه الأمر ، وعلى علماء الاجتماع والتاريخ والساسة بوجه خاص .

● الاسباب القريبة للتسيب .

نترك البحث عن العلل الضاربة فى أعماق التاريخ ، لننظر فى الأسباب القريبة .

جوهر التسيب الشخصى إنما يتمثل فى إسقاط الالتزامات .

وكلما كان الاسقاط شاملا كان التسيب المترتب عليه متكاملا . وأقصر الطرق إلى تحقيق هذا المستوى من التسيب إنما يكون بقطع روابط الشخص بالماضى وبالمستقبل . وفى هذا الاطار تتلاشى تلقائيا وظيفة الحاضر الأساسية ، التى

هى تنظيم العلاقة بين الماضى والمستقبل .

بعبارة أخرى إن أهم مصادر الانضباط الشخصى تغمرنا من منبعين رئيسيين ، هما الماضى والحاضر . فماضى الشخص قيد عليه ، سواء تنبهنا لهذه الحقيقة أم لم نتنبه . وهذا المصدر نفسه ينقسم بدوره إلى مصدرين فرعيين ، أحدهما يحمله الواحد منا فى نفسه ، ومحوره الذاكرة الشخصية ومن حولها راقات متتالية من العادات والقيم والآمال الصغيرة والكبيرة . والآخر يتألف من أصداء أفعالنا لدى الآخرين ، أو ما يمكن أن يسمى ذاكرة الجماعة نحونا ، أو صورتنا كما تتمثلها الجماعة المحيطة بنا . هذا عن الماضى كقيد علينا .

ثم هناك المصدر الرئيسى الآخر ، القيود المفروضة على الشخص من مستقبله ، كما يصوغه هو نفسه فى شكل خطط بسيطة وقصيرة المدى . أو خطط مركبة وبعيدة المدى ، خطط « يختار » الشخص نفسه أن يلتزم بها ، يختار ذلك فى اللحظات الأولى من صياغتها ، ولكنه لايلبث أن يفقد حرية رفضها أو الحيد عنها كلما تقدم فى تنفيذ مقتضياتها ، فإذا بها تستحيل إلى ماض ذاتى واجتماعى .

هذا سياق نفسى اجتماعى بالغ التعقيد ، وبالغ الأهمية أيضا ، لأنه هو السياق الذى يكشف عن جوهر الألتزام أو الانضباط . من حيث هو حقيقة واقعة (ثقل الماضى) ، ومن حيث هو حقيقة مبتغاة (ثقل المستقبل) . وهو بذلك أحد السياقات النفسية الاجتماعية التى توصف عن جدارة بأنها محورية فى صياغة إنسانية الانسان (أى تحقيق مجموع الصفات المميزة له عن الحيوان) ، وفى التمكين لهذه الخصال الانسانية .

وبقدر ما لهذا السياق من أهمية ، وما يكتنفه من تعقد فى البناء والوظيفة فإنه مرهف ، أى شديد القابلية للتأثر بعوامل الفساد والافساد ، شأنه فى ذلك شأن جميع الأجهزة النفسية الاجتماعية (بل والعصبية) .

كلما ازداد تعقدها البنائى وارتفعت قيمتها الارتقائية فى تحقيق انسانية الانسان ازدادت حاجتها الى الصيانة الراقية ، وازدادت هشاشتها أمام عوامل الفساد والافساد .

وقد تكون هذه العوامل محدودة بالظروف الحياتية للشخص ، كأن يصاب (لأسباب متعددة) بإصابات معينة فى المناطق المنوطة بالوظائف العليا فى الدماغ ، وخاصة فى الفص الجبهى من فصوص المخ (حسبما تشير البحوث النفسية العصبية الحديثة) . غير ان هذا النوع من الظروف لايعنينا فى هذا المقام .

إنما الذى يعنينا هو نوع آخر من الظروف ، عوامل اجتماعية وسياسية وتربوية تتكاتف معا على معاكسة الطريق إلى دعم آليات الربط بين الشخص من ناحية وماضيه ومستقبله من ناحية أخرى . وقد حدث فى تاريخ مصر المعاصر أن تكاتفت هذه العوامل أو الظروف معا تكاتفا شديد التعقيد وشديد الوطأة معا فى السبيل الى معاكسة آليات الربط التى توفر الأساس الطبيعى للالتزام والانضباط .

لننظر ونتأمل فى أحوال مجتمعنا طوال العقود الثلاثة أو الاربعة الماضية ، من بين المعالم الرئيسية المميزة لحياتنا

الاجتماعية طوال هذه الفترة معالم ثلاثة ، نذكرها فيما يلى :

أ - التغيرات العنيفة المتلاحقة فى رموز السلطة ، ومطالب الولاء .

ب - الالحاح المتصل على تسييس نشاطات المجتمع جميعا .

جـ - تعاظم نفوذ أجهزة الاعلام ، وشدة تركزها فى يد الدولة .

هذه هى المعالم الرئيسية التى تعنينا كدارسين للآثار النفسية المترتبة على الحياة الاجتماعية السياسية كما جرت فى مصر طوال النصف الثانى من هذا القرن العشرين . ويستطيع القارىء بشىء من الرياضة الذهنية البسيطة أن يتخيل كيف يكون فعل محصلة القوى الناجمة عن تفاعل هذه المعالم معا فى اقرار مناخ اجتماعى يفعل فعله المتكامل فى تشكيل نفوس المواطنين ، وفى تكريس قيم معينة تدعم نوعا بعينه من السلوكيات ، وتجهض

انواعا أخرى . فقد كانت هذه المحصلة فعالة كاقوى ما تكون الفاعلية فى ضرب الجذر النفسى الاجتماعى الذى تقوم عليه روابط المواطن بالماضى والمستقبل (وللامانة فإنها مازالت ، ولكن بصورة اخف وطأة) . وقد ساعدت على ذلك مجموع ملامح اضافية . يأتى فى مقدمتها اهتزاز صورة الدولة بين تعاظم قدرتها على البطش وتضاؤل قدرتها على الرعاية (فى الانتاج والخدمات والدفاع) ، واختلال العلاقة بين العمل والجزاء (ثوابا كان او عقابا) .

هذا على وجه الترجيح هو ما حدث فى الماضى القريب ، مما أدى إلى إحداث عطب شديد فى الأسس النفسية الاجتماعية للالتزام والانضباط . وقد حرصنا على تقديم الصورة مجملة على هذا النحو حتى لا يتشتت انتباه القارىء فى أمور تفصيلية لا آخر لها ، هى قائمة مافى ذلك شك ، لكن قيمتها محدودة .

● الطريق إلى العلاج :

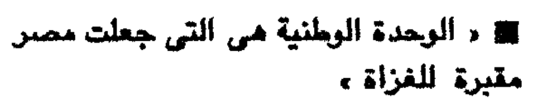
إذا صح هذا التحليل ، وهو ما نرجحه ، فالطريق واضح إلى استئصال التسيب ، واستعادة الانضباط ، ونحن نعنى هنا الحد الأدنى لمعنى الطريق ، أى الاتجاه والهدف : لابد من وضع برنامج متكامل لتغيير المناخ الاجتماعى السياسى السائد فى البلاد ، ولا يكون ذلك الا بإعادة النظر فى المعالم الثلاثة الكبرى التى ذكرناها ، وفى اتجاه بعينه : فقد آن الأوان أولا لتحديد الثوابت والمتغيرات فى حياة الأمة ، بحيث تستمد رموز السلطة ثباتها من التصاقها بالثوابت ، ولا يكون الولاء لها إلا بقدر ما يتوفر حولها من دلائل هذا الالتصاق . وآن الأوان ثانيا لتقليص شحنة التسييس التى تسلط على كل نشاط نقوم به لمواصلة حياتنا .

وآن الأوان ثالثا لتخفيف قبضة الدولة على أجهزة الاعلام . وآن الأوان رابعا وأخيرا لأن نتنبه إلى اننا (فى المقام الراهن) لسنا بصدد عيوب فردية المنشأ ، رغم أنها تفصح عن نفسها من خلال سلوكيات الأفراد . إنما نحن بصدد عيوب اجتماعية المنشأ ، ولن يتيسر إصلاحها إلا بمعالجة أصولها الاجتماعية .

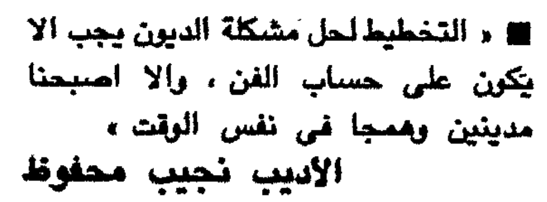
وفى السبيل إلى تحقيق ذلك فإن باب الاجتهاد مفتوح لوضع العديد من الحلول وبدائلها .




حسنى مبارك


■ « الوحدة الوطنية هى التى جعلت مصر مقبرة للغزاة »

الرئيس حسنى مبارك


■ « التخطيط لحل مشكلة الديون يجب الا يكون على حساب الفن ، والا اصبحنا مدينين وهمجا فى نفس الوقت »

الأديب نجيب محفوظ


نجيب محفوظ

■ « الجماعات المتطرفة قاصرة العقل ، ضحلة المعرفة »

الشيخ محمد الغزالى

■ « الويل لنا اذا كبر الطفل فى داخلنا »

الشاعر الفلسطينى طه محمد على

■ « الاطفال اكثر من الكبار ذكاء وحكمة »

المفكر الامريكى ريتشارد بوسطن

■ « موسيقانا ليست متخلفة ، نحن متخلفون »

الموسيقار اللبنانى سليم سحاب

■ « مارجريت تاتشر هى الرجل الوحيد بين قادة اوروبا »

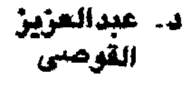
جاك سوستيل

وزير فرنسى سابق

■ « قضيتنا هى الوحدة الوطنية ، وليست الفتنة الطائفية »

الدكتور قدرى حفنى

استاذ علم النفس


د. عبدالعزيز القوصى

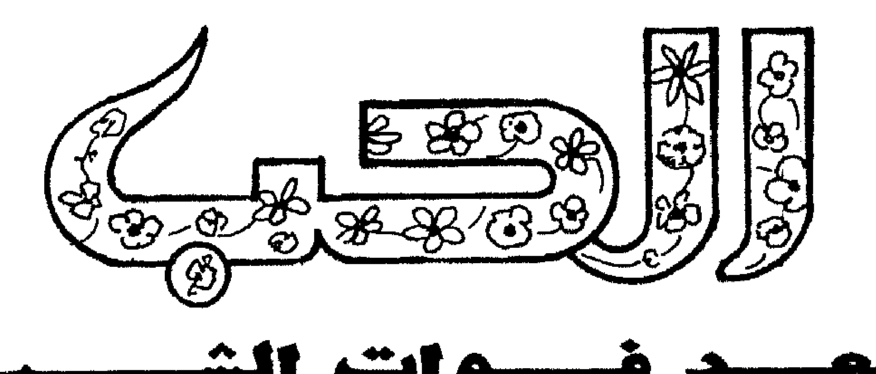


■ « الاحساس بالأمن ينحسر فى مجتمع الزحام والسباق المحموم »

الدكتور عبد العزيز القوصى

■ الانسان حينما تقوده اهواؤه وغرائزه ، فعليه قبول العيش فى اية غابة من الغابات » ..

الدكتور رشدى فكار



الحب بعد فوات الشباب

بقلم: د. محمد رجب البيومي

ليس للحب سن يقف لديها، فالطفل والصبي والشاب والكهل والشيخ، كل أولئك يحبون، دون أن يفترق الحب لديهم في جوهره، وإنما اشتهر عهد الشباب بالحب، لأنه عهد الأمل المورق، والرجاء الواعد، كما أنه عهد الثورة المتطلعة، والعزيمة المتقدة، وللشباب صراحة تعلن المستتر، وتكشف المكنون، أما بعد الشباب فإن الهدوء يسيطر لا ليخفي الحب، بل لينأى به تحت أطباق متراكمة، فإذا استطاع دخانه أن يتغلب على ما فوقه من رماد، فإنه ينبعث في الجو رقيقاً متقطعاً، وكأنه يمشي على استحياء ينبعث متخفلاً، لا يرسل الخاطر العابر دون فلسفة شارحة، ولا يبعث الدمعة المترقرقة دون اعتذار.

والفرق بين حديث الشاب وحديث الشيخ فرق ما بين الرجاء واليأس، لأن الشيخ لاينسى في هول مأساته أنه يسبح في وجه التيار، وأنه في أطوائه لايجد العذر الصريح لنفسه، فكيف يقتنع سواه بمسلكه! بل إنه ليطيل النظر إلى من يخطرون في ميعة الشباب متسائلاً كيف عجلت به الأيام دون أن تنتظر، وإذا كان من الطبيعي أن تعجل به، فكيف لم تعصف بعواطفه المتطلعة، وهواتفه الظامئة. ولعل شوقي قد صدق في تصوير إحساس الشيخ، حين قال على لسان من أحب في شيخوخة دون أن يملك رصيد الحب، فانقلب هواه إلى حسد مرير، وشك قاتل، يقول شوقي في مسرحية

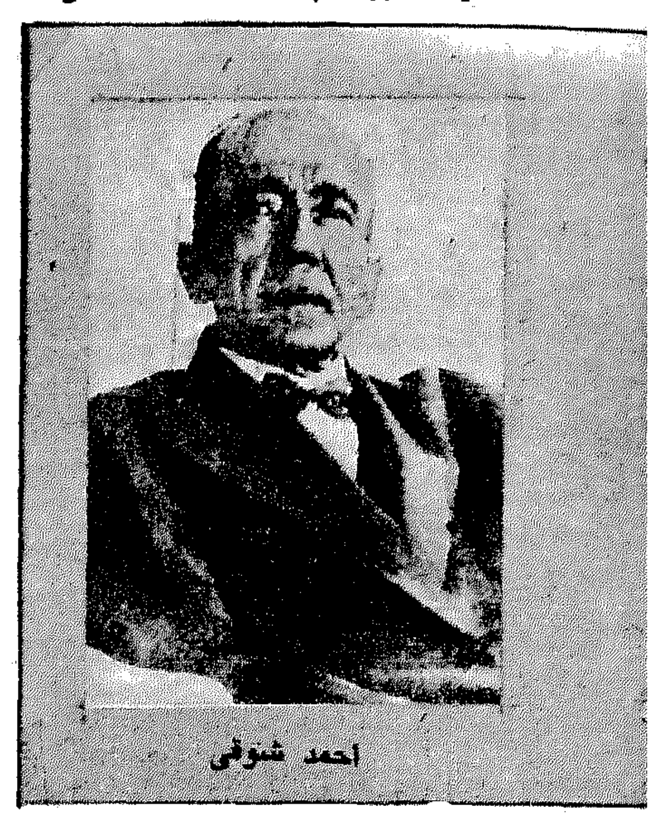
كليوباترة ، على لسان الشيخ اللهيف :
ويحى أين بعد السنين
وقد مررن بلا عدد
تجنى الحسان على ما
لم تجن قبل على أحد !
لم الق راسا فاحما
إلا حملت له الحسد !
ووجدت لافح غيرة
بين الجوانح يتقد
فكان ظلمة شعره

فى مقلتىّ هى الرمد
وكانما سرقت ذوا
ئبه الشباب المفتقد
ولو أن لى ولدا فما
ت لما بكيت على الولد
حذرا وخوفا أن يكو
ن بهما تعلق او وجد
شك يعذب مهجتى
إن المشكّك فى كبد

والقلوب الكهلة أعمق من أن يسبر غورها متامل ، لأن تجاريب الحياة قد أحسنت مراسها على الكتمان ، واتقنت مرانها على الصبر ، فمهما تحدث الكهل أو الشيخ عن لواعجه فهو يخفى اضعاف ما يعلن ، ولا كذلك الشاب حين يندفع فيصف ما كان ، بل ربما دفعته أحلام اليقظة إلى أن يخلط بين الواقع والخيال ، فيتحدث عما تخيل وكانه واقع «لاشك فيه ، ودواوين الشعراء تمتلىء بصبوات ذوى الوجوه النضرة والشعر الأسود ، فإذا تغضنت الوجوه ، وابيض الشعر فإن الغزل الآمل ينقلب الى حنين يائس وهذا الحنين يجد مكانه فى النفوس ، لأنه يحمل عنصر الصدق الخالص ، ولذع

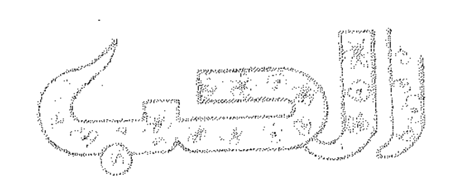

اسماعيل صبرى باشا


الآنسة مى


احمد شوقى


شبلى شميل


عباس العقاد



الألم الواخز . وسنحاول أن نلم بأحاديث نفر من الصابرين كابدوا الحب في الغروب ، بعد أن نعموا به في الشروق ، فلم يعتصموا بالسكوت ، وكيف ؟ ! والبوح تنفيس ، والكتمان دمار

● اسماعيل صبرى

كان أستاذ الشعراء اسماعيل صبرى باشا رجل مروءة وتصون ، وقد عبر فترات الصبا والشباب دون أن يعرف برح الحب ، حتى إذا جاوز الخمسين وصار محافظا للأسكندرية لفت نظره ما للأميرة السكندرة من صيت مدوّ ، في عوالم الجمال والجاه والثقافة ، فهي وريثة مجد استقراطي هياها لأن تحوز لقب الامارة ، وهي صاحبة ثقافة المعية تعددت روافدها من الفرنسية والايطالية والعربية ، ثم هي تدير مجلتين

ذائعتين تصدر إحداهما بالفرنسية والأخرى بالعربية ، ولها صالون أدبي يزخر بأعيان الفكر والسياسة والثروة ، ولها رحلات في الشتاء والصيف إلى انبه العواصم شرقا وغربا ، وقد رأى الشاعر المحافظ أن يكتب في مجلة (انيس الجليس) التي تصدرها ، كما أجبر كبرياءه على أن يتعهدها بالزيارة المتصلة على غير عادته مع الناس !

وإذا كان أصحاب ندوتها من العلية يشاركون في توديعها حين تهم بالسفر ، فإن الاكتفاء بالتوديع الصامت لا يشفي ظما يقبلح في نفسه ، فلابد وهو الشاعر العاطفي أن يترجم إحساسه مهما وشى بسريرته ، وماذا يصنع والحب كالزهر من شأنه أن يفوح ، وكالنجم من شأنه أن يومض ! وصبرى في فنه الشعرى لاينضّد القصائد إلا في الاغراض العامة ، أما احاسيسه الذاتية ، فيوجزها في مقطوعات لا يتكلف معانيها ، ولكنه ينقل عن خاطره المباشر ، إنه ليخشى أن يتضح وجده ساعة الوداع حين يخذله قلبه فيهوى غير متماسك . ومن هو ؟ إنه اسماعيل صبرى الذى رفض في إباء مصافحة العميد البريطاني صاحب الحكم في مصر حينئذ ، ولكنه لا يرفض أن يسال قلبه حائرا خائرا .

أترى أنت خاذلي ساعة التو
دیع یا قلب في غد أم نصيري
ويك قل لي : متى أراك بجنبي
راضيا عن مكانك المهجور
لست بعض الحداة بل أنت بعضي
قف قليلا ، فلست بالمأجور
ساعة البين قطعة أنت قُدّت
للمحبين من عذاب السعير
لا تحيني روحي الفداء لما حيك
غدا من صحيفة المقدور

ويتوالى الرحيل والاياب ، فيكرر الشاعر هتافه الوجداني ، وقد منعه توقُّره أن يسف ، بل حافظ على كرامته ، مستشعرا عدم الجدوى من حب غير متكافىء ، وقد رحمه القدر حين انتقل من الاسكندرية الى وكالة الحقانية بالقاهرة ، رحمه ردحا ما ، قدر ما يكفف

اهاته ، ويجفف دموعه ، ولم يدر ان قلب الشاعر اخضر انضر مهما تقدم به الزمن ، واذا كانت الثقافة والشباب والجمال اكثر ما جذبه الى الاميرة السكندرة ، فقد هيات له الاقدار معشوقة اخرى ، انضر شبابا ، والمع ثقافة من اختها ، وان لم تصل الى محتدها الارستقراطى ، هيات له الاقدار ان يعشق الآنسة مى ، وهو فى سن الستين ، وهى فى الخامسة والعشرين ، وكانت زينة المحافل الأدبية فى زمنها ، يتهافت على ندوتها الشيوخ والشباب معا ، فمن الشيوخ نجد احمد لطفى السيد وشبلى شمّيل ويعقوب صروف ، ومن الشباب نجد عباس العقاد ومصطفى عبدالرازق وانطوان الجميل ومنصور فهمى ! لقد حاول شيخ الشعراء أن يسكت خوالجه فما استطاع .

كما حاول أن يكتفى بالحب الصامت كما فعل يعقوب صروف وشبلى شميل وغيرهما ، ولكن الفرق واضح بين شاعر وعالم فالعالم يملك من وجدانه مالا يملكه فنان تتردد انفاسه بشعره ، وإن لم ينطق ، لقد لحظت الآنسة مى مواجده فكانت تخصه بلقاء خاص مجاملة لسنه ومكانته ، اما هو فكان يترقب يوم الثلاثاء ترقب الظامىء للماء العذب ، وهو لا يقدر ان يحبس اشواقه بل يصيح مصرحا غير مجمجم .

روحى على دور بعض الحى هائمة
كظامىء الطير توّاقا إلى الماء
ان لم امتّع بمىّ ناظرىَّ غدا
انكرت صبحك يايوم الثلاثاء

وفى مى قال اسماعيل صبرى اجمل

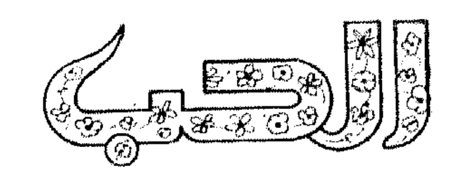

مصطفى عبدالرازق   انطون الجميل

ما قال من الشعر ، لأن الغزل الوجدانى كان فنه الأول فى محراب القريض، وكانت مقطوعات مى فى حرارتها اللافحة ، وياسها المرير ، ووصفها الدقيق اجمل ما جرى به قلم شيخ الشعراء ، وطبيعى انه لم يكن لينسى انه شيخ وان فاتنته الأدبية الرائعة لاتفتا تذكّره الشباب فيذكره آسيا ، وقد سجّل ذلك حين قال :

تمسي تذكرنا الشباب وعهده
حسناء مرهفة القوام فنذكر
تثب القلوب من الصدور إذا بدت
وتطل من حدق العيون وتنظر
وتبيت تكفر بالنحور قلائد
فإذا دنت من نحرها تستغفر

ومن إكبار إسماعيل فى ملئه ، أن اصدقاءه وتلاميذه جميعا كانوا يعرفون مكمن لوعته ، ثم لا يجرءون على مواساته تهيبا ، حتى اذا انتقل الى جوار ربه اتسع المجال لحافظ ابراهيم كى يقول :

فياويح قلبك ماذا الح عليه
من الداء حتى انفطر



ايخفق تحت الدّجى وحده
لذكرى اليف سلا أو هجر
فكم لك شكوى هوى أو أسى
لها نفثات تذيب الحجر
هتفت بها مرة فى الهجير
فكاد يدب اليك الشجر


حافظ ابراهيم

محمود سامى البارودى يعقوب صروف

● عباس محمود العقاد

ووقع الشاعر العملاق عباس محمود العقاد فى الشرك ، لقد ذاق حلاوة الحب فى شبابه ، وكتب عنه أروع قصائده ، ثم تقلبت به شجون السياسة فانتحى معتزلا فترة من الزمن ، واذ ذاك هبط عليه الحب بعد الخمسين ليعوضه من لجب المخاصمة ، وعراك السياسة ما ينعش الجديب فى صمته الراكد ، لقد أحب ممثلة حسناء فى مقتبل الشباب ، وأوحت له من الخواطر ما سجله فى بادىء أمره معتزا فخورا ولكن الأمور لا تدوم على حال ، فبقدر ما هلل للوافد الجديد ، وبقدر ما بذل من شعوره وأعصابه وكرمه سعيدا محبورا كان وقع الصدود على قلبه موقع الحجر الثقيل من رأس عصفور صغير ، لقد بكى العملاق وصرخ ، وإن شقاء ان يبكى العملاق

على أن الرجل الكبير لم يشا أن يجعل حبه الغريب موضع سخرية بين المتندرين ، فانطلق يكتب بقلم الباحث المحلل ، والناقد المفكر ، عن دواعى الحب فى سن الكهولة ، موضحا انه مما لا غبار عليه ، بل هو شىء طبيعى لمن جاوز مرحلة الصخب والضجيج ، وانتهى الى مرحلة التامل العاقل ، والبحث الوئيد ، وقد اسعفه اطلاعه المديد على تواريخ الاشباه من رجال الفكر فى الشرق والغرب ، فاستشهد بتوماس هاردى ، وجيته الألمانى ، إذ وقع كلاهما فى شرك الصبابة بعد الثمانين ، وكلمة الثمانين فى هذا المجال مهولة مرعبة ، ولكنها كانت عكاز العقاد الذى اعتمد عليه فى تبرير

الصبابة لاعند الكهول فحسب بل عند الشيوخ ، وهو يعلم تماما قول من يقول .

ولا كهوى الشيوخ إذا أحبوا
وليس وراء غيرتهم بلاء

إن العقاد ينقل عن توماس هاردى قوله «انظر الى المراة فارى هذه البشرة الذابلة تنقبض ، فاتوجه إلى الله مبتهلا إليه : اسالك يارب إلا ما جعلت لى قلبا يذبل مثل هذا الذبول »

فماذا يوحي قول توماس ، إنه يوحي بفزعه المرعب من حب غير متكافىء ، واقول غير متكافىء لأن الحب لم يهبط على شيخ فيسوقه إلى عجوز مثله ابدا ، ولكنه يسوقه إلى ذوات النضارة ممن يمشين حالمات في برد الشباب ! وهنا تقع الماساة ، لأن الشابة الحسناء اذا استجابت إلى صبابة شيخ فإنها حين تستجيب تعطف ولا تحب ، وإذا كان الحب عطفا فلن يدوم ، لأنه صدقة تمنح ، ولا يعيش إنسان محترم على الصدقات !

اما جيته فقد سلقه العقاد بلسان الملام حين كتب عنه وهو فى سن الأربعين ، يلومه أن عشق فى سن الشيخوخة ، وقد مرت الأعوام على العقاد لتنذره بماساة كماساة جيته ، بل لتجعله يقدم العذر للشيخ الكبير ، على ما افرط من ملام لا مبرر له فيقول :

ياصديقى القديم جيتى اعتذارا
لك من سوء ظنتى وملامى
كنت أنعى عليك حبك فى الستين
بنت العشرين فاغفر ملامى
إن عشقنا كما عشقت وأوفينا
عليها ، انتقمت خير انتقام !

واعجب ما اضطر اليه العقاد فى بلواه هذه انه اضطر الى ان يتنازل عن حقوقه كعاشق ، فقد كان فى زهو الشباب يحاسب صاحبته اشد الحساب دون ان تذنب شيئا ، وهو الآن يرى الذنب الواضح فيضطر الى التغاضى عنه دون حساب ، بل هو يضطر إلى قبول الخيانه فيقول .

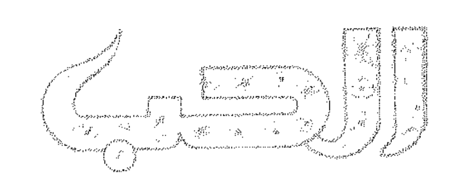
أعفيك من حلية الوفاء
إنك احلى من الوفاء
خونى ، فما اسهل التقصى
عندى ، وما أسهل الجزاء
وليس بالسهل فى حسابى
فقدك يازينة النساء

وإخال العقاد يقول امثال هذه الخواطر في ساعات الضيق الكارب ، حين تنسد أمامه الأبواب ويقف حائرا لا يعرف كيف يجتاز طريقه إلى الفضاء الفسيح ، لأن مثله في شموخه وكبريائه فدعانى إعصارا رهيبا ضغط عليه ، حتى هون عليه أن يكتفى بما لا يكتفى به المحب الغيور ، هذا الاعصار الرهيب احسه العقاد ، وشكا امره إلى الناس حين قال :

تحديت الحياة فهل جزتنى
بهذا الحب عن هذا التحدى
أعود إلى الحياة لكى الاقى
هموم المستعيد المستعدّ !

● أحمد محرم

أحمد محرم كان الثانى بعد شوقى لدى كثير من النقاد ، لانه يفوق حافظ ابراهيم مبنى ومعنى ، وقد عاش عمره الطويل محروما من الجاه والمنصب ، وإن رزق من الشهرة فى جيله حظا طار به إلى آفاق العالم العربى ، واعجب ما



نراه فى سيرته أنه لم يشتغل بغير القضايا الاسلامية والوطنية والاجتماعية فى اغراضه الشعرية أما الغزل فلم يعرف غير نمطه التقليدى يسوقه فى افتتاح القصائد جريا على سنة الأقدمين ، واحتذاء لأستاذ مدرسة البعث محمود سامى البارودى ، حتى رمى فى سن الستين بحب عاصف لاحيلة له فيه ، إذ هام بمدرسة شابة بإحدى مدارس دمنهور ، وهو هيام «يائس عصف بشيخ بائس ، لايملك قوت يومه إلا بجهد جاهد ، وقد كشف الدكتور محمد ابراهيم الجيوشى عن مأساة هذا الغرام فى كتابه عن محرم ، كما حدثنى الأستاذ عبدالمعطى المسيرى صاحب القهوة الأدبية بدمنهور التى كانت لعهده ندوة الأدباء ، أن غرام الشاعر قد ظل شغل الندوة الشاغل ، لأن الشاعر كان يترفع عن مجالسة كثير من المنتسبين للأدب ادّعاء ، فانتهزوا محنة قلبه ليجعلوه موضع التهكم ، إذ يحكون عن الشاعر انه كان ينتظر صاحبته ليحمل حقيبتها مودعا إياها ، حين تسافر ، ومستقبلا ، حين تعود ، وقد سافر إلى بلدتها (ميت غمر) فى الاجازة الصيفية ليحظى برؤيتها من بعد ، وكان يرحل من دمنهور حين تتأزم مشاعره فرارا من تجواله الاضطرارى حول مدرستها دون موجب ، وكأنه سجل ذلك حين قال :

عصف الهوى بجوانح المشتاق
وهفا الحنين بقلبه الخفاق
ما يفعل القلب الطروب إذا الهوى
بلغ القرار وجال فى الأعماق
ياصاحبى فيم المقام على الأذى
سر فالبلاد فسيحة الآفاق
ما كنت أوثر أن افارق موضعى
لولا القضاء وحكمة الخلّاق

وقد اشتعلت الحرب العالمية الثانية اثناء صبابته الدامية ، فلم يخصها بقصائد ثائرة كما فعل عند اشتعال الحرب العالمية الأولى ، ولكنه اتخذ شبوب هذه الحرب بابا للحديث عن حرب هواه ، فهى أعظم هولا ، واسوء عاقبة ، فقال .

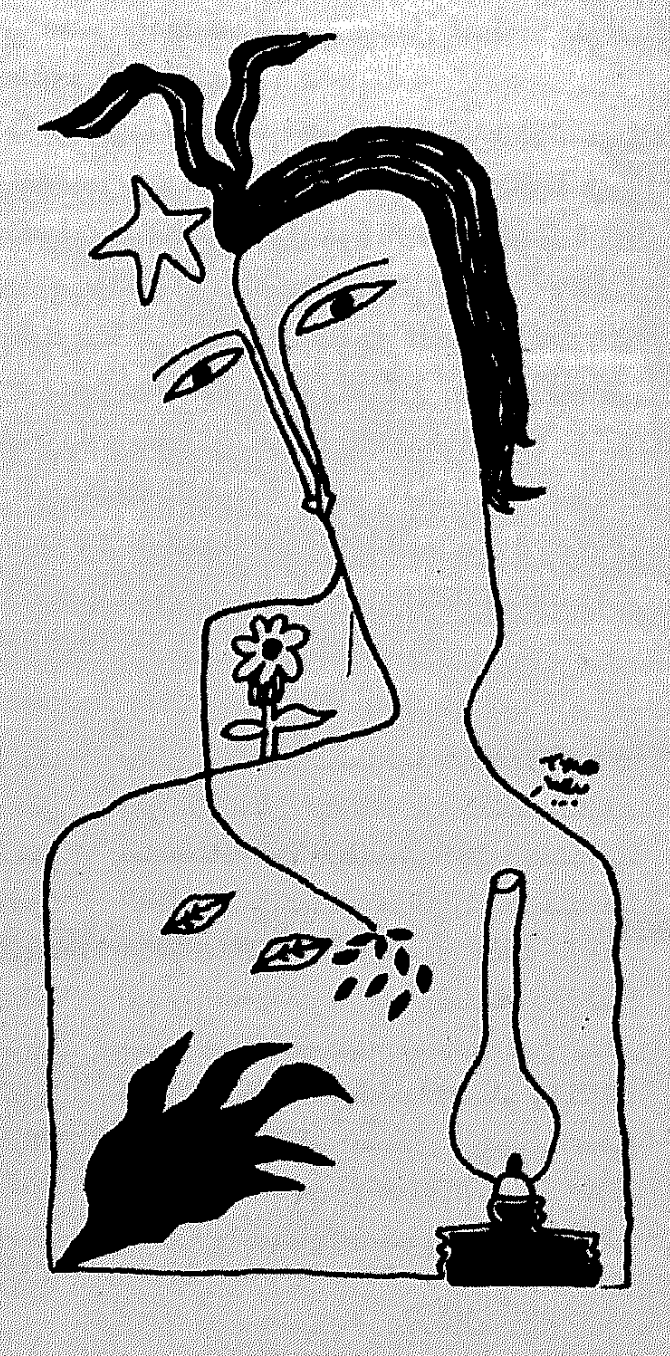
النار نار الحب لا نار الوغى
لكن من جهل الهوى لا يعلم
كم من دم يجرى بمعترك الهوى
ما مثله فى ساحة الهيجا دم
ما القتل عند ذوى المعارف والنهى
إلا حبيب من حبيب يحرم
يارب كن لاحبتى و (لرفقتى)
فالعيش إن وقع الفراق محرم

هؤلاء ثلاثة من أعلام الشعر لم نشأ ان نتجاوزهم إلى شيوخ آخر من غير الشعراء ، كابدوا فى ثلوج الشيخوخة برح الهوى ، ثم كانت العاقبة ان اثاروا الثائرة عليهم دون أن ينالوا بعض ما يرتجون ! ولعل العقاد كان اشد وجيعة حين نقل للقراء قول توماس هاردى إذ رأى غضون وجهه الجهم وبياض رأسه الأبيض : أسالك يارب أن تجعل لى قلبا يذبل ، كما ذبل وجهى)

وهيهات ! فليست الوجوه كالقلوب .

في البوح

شعر:
حسين على محمد



مضى النهار
وهاأنا .. وريقة مذعوره
القوا بها للنار
اتى النهار
واقبلت سوسنة صغيره
من يكتب الاشعار
فى جداول الضفيره
وتلكم الوريقة المذعوره
القوا بها للنار !

(٢)

هذى الريح
اناملها السحرية تفجؤنى
وتطاردني .. كل مساء
اشكو ضعفى
قلة حيلة شعرى
للأنواء
اشعلت المصباح بجرحى
بابى مفتوح
للشعر
وللنجم الساطع
والأرزاء !

الثقافة بين القراءة والدراسة

الدرس الأول

بقلم: د. أحمد أبوزيد

في أواخر الاربعينيات جاء الى مصر رادكليف براون وعمل استاذا بجامعة الاسكندرية وانشأ فيها معهد العلوم الاجتماعية.

كان رادكليف براون استاذا للانثربولوجيا بجامعة اكسفورد وكان اثناء حياته يعتبر عميدا للانثربولوجيين البريطانيين. وكان مجيئه الى مصر نقطة تحول في مسار العلوم الاجتماعية حيث عرفت جامعاتنا لاول مرة الانثربولوجيا (علم الانسان) كتخصص مستقل له مجالاته ومناهجه ونظرياته. وافلحت الانثربولوجيا في ان تفرض نفسها فرضا في وجه المقاومة العنيفة التي كان يبديها علماء الاجتماع والان بعد اربعين سنة تقريبا وبعد ان اصبح لها قسم مستقل وقائم بذاته بجامعة الاسكندرية وبعد ان عرفت الانثربولوجيا طريقها الى بقية الجامعات المصرية والجامعات العربية اخذ الكثيرون ممن لم يتخصصوا فيها اصلا يتمسحون بها ولا يمنعهم حياء او قيم من ان يتولوا تدريسها في جامعاتنا وان "يؤلفوا" فيها دون ان يكونوا من الانثربولوجيا في شيء.

كانت الجامعات المصرية في ذلك الحين تعني عناية فائقة بالمحافظة على مستوى التعليم فيها وتحرص على الاتصال بالعالم الخارجي وارسال البعوث الى اكبر الجامعات في الخارج واعرقها ودعوة كبار الاساتذة الاجانب في مختلف التخصصات وفروع المعرفة للتدريس بها والقاء محاضراتهم بالانجليزية والفرنسية الى جانب ما يقوم به الاساتذة والعلماء المصريون انفسهم من تدريس ومحاضرة بلغة عربية سليمة وراقية .. ولم تكن هناك مذكرات تكتب خصيصا للطلاب لانه لم يكن من شأن الاستاذ ان يكتب مذكرات وملخصات سهلة وميسورة لكي يحشو بها الطلاب أدمغتهم ثم يفرغونها بعد ذلك في كراسات الامتحان وينسون بذلك ما قدم لهم من معلومات سريعة وضحلة، لا تملأ سوى صفحات قليلة وضعت بين دفتي كتاب .. وكانت مجالس الاقسام والكليات والجامعات تهتم بشئون وهموم اعلى واسمى واكرم من الانشغال بمسألة الكتب المقررة واحجامها واسعارها وما يجب ان

يمتحن الطلاب فيه من هذه الكتب المقررة ، ولم يكن الطلاب انفسهم يتجاسرون على رفع اصواتهم بالشكوى من عدم القدرة على تتبع الدروس والمحاضرات بلغات غير اللغة العربية او من عدم توفر المذكرات والكتب المقررة ، فقد كانوا يدركون انهم طلاب علم وان عليهم ان "يطلبوا" العلم بالفعل بكل ما يتطلبه طلب العلم من بذل الجهد وتحمل المشاق فى التحصيل والفهم والاستيعاب وان ثمة مراجع ومصادر لابد من الرجوع اليها والاستعانة بها وقراءتها ودراستها حتى تصبح المادة العلمية التى يحصلون عليها بهذه الطريقة جزءا من تكوينهم العقلى .

ولقد تتلمذت على رادكليف براون وقمت باعداد رسالتى للماجستير تحت اشرافه . كانت الرسالة عن "الموت والشعائر الجنائزية عند المسلمين فى مصر" ، وذهبت للقائه فى مسكنه الذى يطل على البحر ، واستمع الىّ وانا اعرض عليه تصورى للفكرة والموضوع والمنهج . ثم سألنى اذا ما كنت اعرف الفرنسية ، فلما اجبته بالايجاب اشار الى مقال حول الموضوع فى احد اعداد المجلة السنوية العلم والاجتماع L' Annee Sociologique وهى المجلة التى كان قد اسسها عالم الاجتماع الفرنسى الشهير اميل دوركايم فى اواخر القرن الماضى والتى لعبت دورا هاما فى نشر تعاليم المدرسة الفرنسية فى علم الاجتماع بحيث اصبحت تلك المدرسة وعلماؤها واتباعها يعرفون باسم المجلة ذاتها . وقال لى رادكليف براون : "اذهب اذن وأدرس ذلك المقال" . ولما كنت قد اطلعت على المقال من قبل واستعنت به فى الاعداد لموضوع الرسالة قلت له فى



تشارلز داروين — جورج اليوت

شىء من الزهو : "لقد قرأت المقال بالفعل" ونظر الىّ الاستاذ ثم قال فى حزم وصرامة لا يخلوان مع ذلك من رقة وحنو : "لقد قلت لك «ادرس» المقال ولم اقل «اقرأ» المقال" .. وانصرفت وقد فقدت توازنى تماما .. وكان ذلك هو الدرس الاول الذى ظل يلازمنى طيلة السنوات الاربعين الماضية .

ولم تكن المسألة مسألة استبدال كلمة باخرى .. فالكلمة علامة .. والعلامة دال ، ولكل دال مدلول معين ، وانه لابد من مراعاة الدقة فى اختيار الالفاظ تبعا لمدلولاتها .. فالقراءة انواع واشكال ومستويات .. فقد تقرأ للتسلية وتمضية وقت الفراغ او تقرأ للمتعة الحسية او الذهنية ، ولكننا قد نقرأ للفهم والتأمل فى طبائع الاشياء كما هو الحال حين "نقرأ" الطبيعة ونتأمل اسرار الكون والقانون الابدى الذى يحكم عنلصره ومكوناته .. اما "الدراسة" فانها تقتضى دائما بالضرورة تسخير القوى الذهنية للتحصيل والاستيعاب . وبذل كل الجهد للتعمق والغوص وراء ظواهر الاشياء وجمع

الدرس الأول

المعلومات الدقيقة الصحيحة فى صبر ومثابرة واناة بحيث تصبح هذه المعارف جزءا من التكوين العقلى للشخص ، وأحد مقومات فكره وشخصيته ومهمة الباحث الاكاديمى هى فى المحل الاول الدراسة الجادة العميقة والصارمة التى لا تقنع بالقراءة السريعة الخاطفة حتى للكتابات التى يطلق عليها احيانا اسم الكتابات الخفيفة . فالقراءة بالنسبة له هى دراسة تستهدف الكشف عن الافكار الراقية العميقة التى قد تختفى وراء اشد الكتابات سطحية وضحولة كما يقول الفيلسوف الاجتماعى هربرت سبنسر ، والقراءة بهذا المعنى تصبح قراءة واعية تقوم على الاختيار والانتقاء دون ان تخضع فى الوقت ذاته لكثير من القيود الشديدة الصارمة ولكنها تسمح للمرء بان يرتاد مختلف مجالات المعرفة وينتقى منها حسب معايير دقيقة ويخضع ما يختاره

للدراسة العميقة ويتتبع الموضوع الواحد فى كل ابعاده المختلفة بحيث تمتزج هذه المعارف المتنوعة بعضها ببعض وتؤلف وحدة متكاملة تكون هى اساس ثقافته الشخصية .

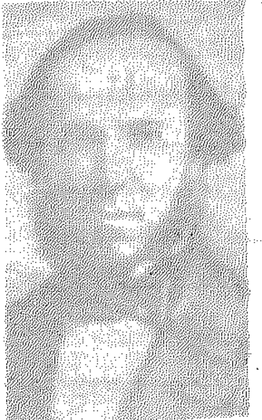
وتتأثر هذه الاختيارات والانتقاءات بغير شك بالمزاج الشخصى والميول الخاصة والمقدسات والامكانات الذاتية وبالبيئة العامة التى يتحرك فيها الشخص وبكثير من المؤثرات الخارجية وبمجال تخصصه وغير ذلك من العوامل والمؤثرات ، ولكن المهم هو ان يعرف الشخص ماذا يختار وكيف يختار وماذا يفعل بما يختار لاثراء تجربته الذهنية الخاصة وتوسيع مجالات ثقافته وتنويعها دون ان تفقد خاصة الوحدة والتكامل والعمق .

وارجو ان يُسمح لى بالرجوع الى تجربتى الخاصة المستمرة من مجال تخصصى لتوضيح ما اريد ان اقول .. وهى تجربة تأثرت بغير شك بذلك الدرس الاول الذى تلقيته من الاستاذ فى اول اجتماع لى به وبالانسان هو دائما سجين تجربته الى حد كبير كما ان ثقافته الشخصية هى فى اخر الامر حصيلة خبرته الخاصة فى الحياة .

* * *

كان تخصصى الدقيق ولا يزال هو الانثربولوجيا الاجتماعية التى وضع الانثربولوجيون البريطانيون اسسها ومناهجها وقاموا باهم البحوث الميدانية والدراسات النظرية فيها ولاتزال ترتبط بهم وبتلاميذهم فى كل انحاء العالم . فالمدرسة البريطانية تتبع فى دراستها المدخل البنائى الوظيفى الذى ينظر إلى الانسان ككل من حيث هو كائن عضوى


دور كايم


هربرت سبنسر

حى "انثربولوجيا فيزيقية" يعيش فى مجتمع له نظمه وانساقه الاجتماعية الخاصة "انثربولوجيا اجتماعية" كما ان له تاريخه وثقافته التى تتمثل فى الابداع الادبى والفنى والفكرى الذى يميزه عن غيره من المجتمعات "انثربولوجيا ثقافية" وقبل ان يتخصص الباحث فى اى فرع من هذه الفروع الثلاثة الكبرى التى تنقسم اليها الانثربولوجيا "علم الانسان او دراسة الانسان" ، فلابد له من ان يحيط بها كلها احاطة لا تخلو من تعمق . كما ان دراسة ظاهرة اجتماعية او اى نظام او نسق اجتماعى "وهو المجال الذى تركز عليه الانثربولوجيا الاجتماعية" تتطلب بمقتضى المدخل البنائى الوظيفى دراسته فى كل ابعاده ، اذ مهما يبلغ النظام او حتى الظاهرة من بساطة فان لها ابعادها وجوانبها السياسية والاقتصادية والقانونية والدينية فضلا عن الابعاد الجغرافية والتاريخية وما اليها .. وكل هذه الابعاد تحتاج الى فهم وتحليل وتفسير ولن يتيسر ذلك الا اذا درس الباحث دراسة واعية ومتعمقة اهم الكتابات والنظريات فى التخصصات المختلفة التى سوف تساعد على القاء بعض الاضواء على النظام او الظاهرة موضوع الدراسة ، ومن هنا يجد الباحث نفسه وجها لوجه امام "ضرورة الاختيار" ـ رغم ما قد يبدو من تناقض بين هاتين الكلمتين ـ من بين الكتابات ، والنظريات العديدة فى فروع السياسة والاقتصاد والقانون والاديان والكتابات التاريخية والجغرافية بل والادبية والفنية ما يساعده على الفهم والتحليل وهذا الاختيار الواعى والقراءة المتعمقة فى مختلف فروع المعرفة تتجاوز بغير شك المجال الوظيفى او النفعى البحث الذى يقتصر على الافادة منها فى البحث العلمى الدقيق وتؤلف جانبا هاما من التكوين الفكرى والعقلى والوجدانى اى انها تؤلف جزءا اساسيا من ثقافة الشخص الذاتية .

الداروينية والاعمال الادبية

بل ان هذا نفسه ما حدث بالنسبة لفروع الانثربولوجيا الاخرى التى تخرج عن مجال التخصص الدقيق فالانثربولوجيا الفيزيقية هى ابعد الفروع الاساسية ـ او الفرعية ـ عن الانثربولوجيا الاجتماعية ولها مجالها الخاص المتميز الذى يدور حول العلاقة بين الانسان من حيث هو كائن عضوى حى ببقية الكائنات العضوية الحية وما يتصل بذلك من نظريات عن التطور وتفرعات الادميات والقرديات والسلالات البشرية والخصائص التشريحية للانسان والحيوانات وبالذات القردة العليا وغير ذلك من موضوعات اقرب الى العلوم الطبيعية منها الى الدراسات الانسانية والاجتماعية . ونقطة الانطلاق فى ذلك هى دائما نظرية داروين عن التطور . ولكن فهم هذه النظرية فهما صحيحا ودقيقا خليق بان يدفع المرء الى دراسة الظروف والاوضاع العامة التى كانت تسود اوربا فى القرن التاسع عشر والتى وجهت داروين بغير شك بطريق مباشر او غير مباشر الى وضع نظريته عن اصل الانواع كما وجهت غيره من الباحثين والمفكرين فى مختلف فروع المعرفة الى انتهاء المنهج التطورى فى دراساتهم المختلفة التى كانت تهتم بالبحث عن اصل اللغة او اصل الدين او اصل الحضارة او اصل

الدرس الأول

القانون والاخلاق وتطورها بل وانتقال ما يعرف باسم "الحبكة" الداروينية الى الاعمال الروائية في القرن التاسع عشر مثل اعمال الروائية البريطانية الشهيرة جورج اليوت التي لا يعرفها الكثيرون في مصر والعالم العربي وما يثيره ذلك من رغبة في قراءة هذه الاعمال تلك القراءة المتأنية المتعمقة التي هي اقرب الى الدراسة منها الى قراءة المتعة الحسية والفنية والجمالية وما يستتبع ذلك من اهتمام بدراسة بعض الكتابات الاخرى التي ظهرت عن جورج إليوت واعمالها ورسائلها وحياتها الموزعة بين زوجها وصديقها على اساس ان كل هذه الكتابات تكشف عن عمق العلاقة بين العلم والادب وهي النظرة ذاتها التي يمكن ان ننظر بها الى حياة داروين نفسه وعلاقاته الخاصة الحميمة ومذكراته ومراسلاته التي تكشف عن بعض جوانب الضعف الانساني منه والتي ظهرت في طبعة جديدة وكاملة منذ خمس سنوات فحسب . فمثل هذه القراءات الواسعة المتعمقة هي التي ترتفع بنظرية داروين من مستوى الاستعمال الوظيفي المنفعي البحت الى مستوى الثقافة الراقية التي تقوم على الدراسة والفهم والاستيعاب والتمثيل والتي تزول فيها الحواجز بين العلوم الطبيعية والدراسات الانسانية وتكشف عن التكامل بين ما يسميه C. P. Snow بالثقافتين .

● **التكوينان الفكرى والثقافى**

كان الفكر السوسيولوجي السائد في الاوساط الجامعية في مصر في اواخر الاربعينيات والخمسينيات هو فكر المدرسة الفرنسية وكانت المجلة السنوية لعلم الاجتماع التي اسسها دوركايم هي الاداة الرئيسية لنشر اعمال علماء هذه المدرسة على ما ذكرنا .. ولكن اهمية هذه المجلة كانت تقوم ليس حول الدراسات العميقة الاصيلة التي كان ينشرها هؤلاء الاساتذة العلماء والتي لم تكن تزيد في معظم الاحيان عن مقالين او ثلاث بقدر ما كانت ترجع الى باب عرض الكتب الذي كان يشغل القسم الاكبر من المجلة على اى حال وكان يعرض بالدراسة والتحليل او التلخيص الوافي الدقيق لعدد كبير جدا من الكتب والبحوث التي صدرت خلال العام باللغات الاوربية المختلفة والتي تتناول كل فروع علم الاجتماع من اقتصادية وسياسية وقرابية ولغوية وجمالية ودينية الى جانب النظريات الاجتماعية وتيارات الفكر السائدة في العالم ، وكان يتولى تحليل هذه الاعمال وعرضها كبار الاساتذة في فرنسا وخارج فرنسا مما كان يتيح لقارىء المجلة فرصة متابعة ما يجرى في مجال العلوم الاجتماعية من اسهامات واضافات جديدة .

وكانت المدرسة الفرنسية تعتبر السوسيولوجيا "علما" بالمعنى الدقيق للكلمة وتنادى بضرورة تطبيق المنهج العلمي في مجال البحوث السوسيولوجية وفي كتابه الشهير "قواعد المنهج في علم الاجتماع" الذى نقله الى العربية الاستاذ المرحوم محمود قاسم العميد الاسبق لكلية دار العلوم وراجع الترجمة الاستاذ الدكتور السيد محمد بدوى استاذ علم

الاجتماع بجامعة الاسكندرية وضع دوركايم قاعدته المنهجية الاولى التى تنص على انه "يجب ان ننظر الى الظواهر الاجتماعية كما لو كانت اشياء" اى انه يجب ان ننظر الى الظواهر الاجتماعية بنفس النظرة التى ننظر بها الى الاشياء المادية المحسوسة او المشخصة العيانية التى هى موضوع العلم الطبيعى وان تستخدم فى دراسة تلك الظواهر مناهج العلوم الطبيعية . ولكن هذا الاتجاه كان يقابله اتجاه اخر معارض تمثل بوجه خاص فى ظهور كتاب لعالم فرنسى هو جول مونرو وكان يحمل عنوانا طريفا هو "الظواهر الاجتماعية ليست اشياء" وفيها يتبع الكاتب المنهج الفنومنولوجى لدراسة السلوك الاجتماعى بحيث يغوص الباحث او الدارس الى ماوراء المظاهر الخارجية الملموسة ، وكان لابد للباحث الجاد من ان يدرس الاتجاهين معا وان يتعرف الاصول الفلسفية لكل منهما بصرف النظر عن المدخل الذى يتبعه فى بحوثه الخاصة . وكانت هذه الدراسات المتعمقة تدخل فى اخر الامر فى التكوينين الفكرى والثقافى للباحث فى العلوم او الدراسات الاجتماعية ويتجاوز مجال التخصص الضيق الدقيق وان لم يتعارض معه وقد ظلت مشكلة العلاقة بين مناهج العلوم الطبيعية والدراسات الانسانية تشغل بال الباحثين فى العلوم الاجتماعية لسنوات طويلة ولا تزال تعتبر حتى الان من اهم القضايا التى تستنفد كثيرا من الوقت والجهد .

● رياح التغيير

وفى اوائل الخمسينيات ارسل الاستاذ تلميذة الى اكسفورد بعد ان تبين له انه استوعب الدرس الاول . ومع ان اكسفورد كانت فى ذلك الحين قلعة الانثربولوجيا الاجتماعية فى بريطانيا والعالم اجمع وكان اساتذة المادة وطلابها يتبعون بدقة والتزام شديدين مبادىء وقواعد المدخل البنائى الوظيفى فان بعض رياح التغيير والتجديد كانت تهب عليها من القارة الاوربية وبوجه خاص من المانيا ، وكان الاهتمام بكتابات المفكرين الاجتماعيين الالمان يتزايد باستمرار وكان فى مقدمة هؤلاء المفكرين العالم الاجتماعى الفيلسوف المؤرخ .. فيلهلم ديلتاى Wilhelb Dilthey ، ففى عام ١٩٥٢ اصدر الاستاذ هودجز كتابا عن "فلسفة فيلهلم ديلتاى" اثار اهتمام المشتغلين بالعلوم الاجتماعية بوجه عام وكان قد صدر له قبل ذلك ، وفى ١٩٤٤ ، كتاب اخر عن هذا الفيلسوف الاجتماعى الالمانى نفسه كان بمثابة مقدمة لاعماله وتفكيره ، ولم يكن ديلتاى من المفكرين الكتاب الذين يسهل "قراءة" اعمالهم نظرا لتشعب الموضوعات التى تتناولها وصعوبة اسلوبه حتى فى الترجمة الانجليزية انه كان ينظر الى العالم نظرة شاملة كلية انعكست فى القضايا التى كان يثيرها فى كتاباته .

وكان ديلتاى يميز بين نوعين من المعرفة او من "العلم" بالمعنى الواسع للكلمة وهما العلم بالمعنى الدقيق الذى يبحث عن القوانين ، والعلم الذى يهتم بما هو فردى ويتبع منهجا وصفيا بحتا ويقوم فى اساسه على "الفهم" . فالعلم الطبيعى يدرس ظواهر الاشياء دون ان يهتم بداخلها لانه ليس للاشياء الطبيعية داخل او باطن وذلك بعكس

الدرس الأول

الانسان الذى هو موضوع العلم الانساني .. ومن هنا كان ديلتاى يرى ان العلم الطبيعي لا يفعل شيئا سوى انه يشرح الظواهر والاحداث عن طريق ربطها بغيرها من الظواهر التى تتلاءم مع القوانين العامة التى لا تكشف شيئا عن الطبيعة الداخلية لتلك الاشياء او الظواهر والاحداث التى تدرسها ، بينما تتطلب دراسة الانسان الغوص تحت الافعال الظاهرية التى تخضع للملاحظة ، وذلك بقصد تعرف العناصر الداخلية .. ففهم امثال الانسان تتطلب معرفة افكاره ومشاعره ووجداناته ورغباتــه وميولــه واحكامه التقويمية والاغراض التى توجهه وتملى عليه تلك الافعال . ولن يتيسر للباحث الوصول الى هذا الفهم اذا هو اكتفى بملاحظة اى حادث مفرد او وصف اى فعل فردى ، وانما يتيسر له ذلك اذا هو درس ذلك الحادث ضمن السياق العام الشامل . وديلتاى له عبارة مأثورة تكشف عن اتساع النظرة وشمولها اذا يقول : "ليس هناك تاريخ قومى وانما هناك تاريخ اوربى ، وليس هناك تاريخ اوربى وانما هناك تاريخ للعالم كله" ومعرفة ذلك التاريخ تتطلب دراسة عدد من العلوم المختلفة التى تتراوح من علم النفس الى التاريخ الى الاثنوجرافيا الى الفقه الى النظرية السياسية الى النقد الادبى وغيرها فهنا فقط تسقط الحواجز المفتعلة التى تؤدى الى التخصص الضيق ـ دون ان تتعارض مع ذلك مع قيام التخصصات المختلفة ذاتها ولكنها تؤدى الى ظهور ذلك التكوين الفكرى الشامل الذى تسميه الثقافة والتى تحتاج الى قرارات واعية ودراسة تفصيلية حتى تصبح جزءا من كيان الشخص ذاته .

ولم تكن اعمال ديلتاى نقلت كلها الى الانجليزية او الفرنسية فى ذلك الحين ، ولذا فقد انقضت سنوات طويلة قبل ان تتاح قراءة بعضها فى هاتين اللغتين ولكن الاهتمام بهذه النظرة الشاملة الى المعرفة الانسانية ومحاولة تخطى الحواجز كانت تظهر لدى عدد من المفكرين الفلاسفة المعاصرين الذين اثاروا بكتاباتهم اهتمام الكثيرين من الدارسين الجادين المؤمنين بوحدة المعرفة وبضرورة الجمع بين "الثقافتين" فى تكوينهم الفكرى .. واحد هؤلاء المفكرين الفلاسفة كان هـو الفيلسـوف البريطـانى روبين جورج كولنجوود الذى لم يلق ما يستحقه من اهتمام وعناية اثناء حياته وان كان بدأ الاقبال على اعماله يزداد فى السنوات الاخيرة بحيث اصبحت افكاره واراؤه ونظرته الشاملة المتكاملة الى المعرفة تؤلف اساسا ثقافيا صلبا لدى الكثيرين فى الخارج ، وثمة مايدل على ان هذه الافكار بدأت تجد طريقها فى دأب واطراد الى عدد من المثقفين فى مصر وان كانت بعض اعماله الرئيسية نقلت بالفعل الى اللغة العربية منذ سنين مثل كتابه "فكرة التاريخ" .

وعلى الرغم من ان كولنجوود امضى حياته فى اكسفورد منذ كان طالبا حتى مات عام ١٩٤٣ وهو استاذ للميتافيزيقا هناك فان علاقاته السيئة بـزملائـه وسخريته اللاذعة من اعمالهم واهتماماتهم وقفت حجر عثرة دون انتشار افكاره على الاقل بين الفلاسفة ودارسى الفلسفة وان وجدت اهتماما لدى بعض المشتغلين

بالعلوم الاجتماعية من ذوى النظرة العامة الشاملة .. فلقد كان كولنجوود يرى ان كل تاريخ هو فى اخر الامر تاريخ للفكر وانه لن يصبح معروفا الا من استثارة ذهن المؤرخ الذى عنى بدراسة ذلك التاريخ ، وقد كان الموضوع الذى شغل ذهن كولنجوود طيلة حياته هو البحث فى العلاقات ـ وفى اوجه الشبه او الاختلاف بين الفن والدين ، والعلم والتاريخ والفلسفة التى كان يعتبرها احيانا اسلوبا وطريقة للحياة واحيانا اخرى انواعا او نماذج من التجربة واحيانا ثالثة الوانا وحالات من المعرفة ، وكان يجاهد فى كل كتاباته لوضع "دستور" لمملكة المعرفة .. يصلح اساسا للتمييز بين التاريخ والعلم على ما فعل ديلتاى وكذلك التمييز بين الفلسفة والدين وتوضيح ما بينهما من علاقات رغم كل الاختلافات التى تقوم بينهما وعبر عن ذلك فى كتاب له يحمل عنوانا له مغزاه وهو "خريطة المعرفة" حيث يعالج فيه عددا من المشكلات فى وقت واحد ، وكلها مشكلات تنجم عن التفكير والتأمل فى كل مجال التجربة الواسع العريض المتنوع ودراسة تلك الاعمال التى تركها كولنجوود وقراءتها قراءة واعية متعمقة تقوم على التركيز الشديد والعمل الذهنى الشاق تكشف عن طبيعة الثقافة الجادة العميقة العريضة وتفتح مجالات ثقافية واسعة امام الفكر والوجدان .

● تنوع الثقافة

بيد ان المفكر العالم الذى افلح اكثر من غيره فى الكشف عن اتساع افاق الثقافة وتنوعها وتكاملها وفتح ابواب هذه الثقافة العريضة على مصاريعها على



د . محمود قاسم عميد
كلية دار العلوم الاسبق

الاقل امام المشتغلين بالانثربولوجيا وخرج بهم من نطاق التخصص الدقيق الضيق الى مجالات الحضارات الانسانية المختلفة فى مختلف عهودها وصورها كان هو عالم الانثربولوجيا البريطانى الكبير سير جيمس فريزر الذى يعرفه العالم العربى بكتابه الشهير "الغصن الذهبى" وان كانت له كتب ومقالات ودراسات اخرى عديدة ومتنوعة تملأ عناوينها اربعين صفحة كاملة ، وكثير من تلك الكتب يقع فى عدة مجلدات ، وكتابه الغصن الذهبى نفسه يقع فى اثنى عشر مجلدا .. ويدور هذا الكتاب الضخم حول اسطورة واحدة قديمة عن كاهن احدى الالهات الذى يتعين عليه لكى يصل الى ذلك المنصب السامى ان يقتل الكاهن المقدس الذي يحتل ذلك المنصب بالفعل ويستولى منه عنوة على السلطة بنوعيها .. السلطة الزمنية والسلطة الدينية . ومن هذه البداية البسيطة يتتبع فريزر الاسطورة فى كل اشكالها وصورها فى مختلف العصور والثقافات القديمة والبدائية مع تحليلها تحليلا دقيقا وتفصيليا بحيث يحيط بكثير من جوانب

الدرس الأول

الحضارات الانسانية بمختلف نظمها الاجتماعية والقانونية والدينية والاخلاقية مما يحمل القارىء الدارس الجاد الى الرجوع ليس فقط الى اعمال فريزر اخرى بل وأيضا الى اعمال وكتابات اخرى كثيرة فى الانثربولوجيا والاداب الكلاسيكية وتاريخ الاديان وتطور الفكر الانسانى وتاريخ الحضارات وتاريخ القانون واللغة وغيرها مما يكشف فى اخر الامر عن وحدة المعرفة الانسانية وتكامل الثقافات بل ووحدة الانسانية ككل . وهو المبدأ الذى يميز الفكر الاوربى فى عصر التنوير .

وكتابات سير جيمس فريزر تعكس تجربته هو نفسه وثقافته العريضة الواسعة العميقة المتنوعة وتكشف عن شمول نظرته الى العالم والى الكون والى الانسان والمجتمع والحضارة الانسانية فقد تأثر بعلماء ومفكرين افذاذ من امثال جورج جيلبرت رامساى استاذ الكلاسيكية فى جامعة جلاسجو والذى غرس فيه حب الاداب الكلاسيكية القديمة ، وجون فايتش استاذ المنطق والميتافيزيقا وتعلم منه كيف يعرض افكاره فى تسلسل ووضوح مهما بلغت تلك الافكار من تشعب وتعقد ، كما تأثر بالاستاذ اللورد كلفن عالم الفيزياء التى كانت تعرف باسم الفلسفة الطبيعية وعرف منه ان ثمة نظاما عقليا دقيقا يحكم الطبيعة ويسيطر على احداثها وان الكون يخضع لمجموعة من القوانين الثابتة التى يمكن التعبير عنها فى صيغ ومعادلات رياضية دقيقة ومضبوطة .

ونتيجة لكل هذه التأثيرات وامثالها امتزج فى ذهنه الفيزياء والبيولوجيا بالادب بالفلسفة بالمنطق باللغات القديمة دفعه ذلك كله الى محاولات تعرف طبيعة النفس البشرية ، والتغلغل الى اعماقها للكشف عن مكنون اسرارها وكانت وسيلته الى ذلك دراسة ثقافات الشعوب من خلال الاساطير والاداب الشعبية والمعتقدات وهو يظهر بوضوح فى اعماله الموسوعية وبخاصة فى كتابه "الغصن الذهبى" . والقراءة الواعية لهذه الكتب تحمل القارىء الدارس الجاد الى ارتياد بعض هذه المجالات حتى يمكن فهم اعمالها واستيعابها بحيث تصبح جزءا من ثقافته الشخصية . وثمة كتابات واعمال كثيرة تمهد الطريق وتهيىء الدارس للغوص فى اعمال فريزر مثل كتاب بلفنش عن عصر الخرافات الذى يعرض فيه باسلوب ادبى راق طائفة من الاساطير اليونانية الرومانية التى اوحت لكثير من الشعراء بموضوعات قصائدهم مع ذكر نماذج مختارة من هذه القصائد التى تعتبر قمة الشعر الانجليزى فى مختلف العصور ، او كتابات واعمال الاستاذ جلبرت مرى احد كبار اساتذة الكلاسيكيات وبخاصة كتاباته عن الدين ومراحله عند اليونان وكتاباته عن الملاحم وخصائص الشعر الملحمى وكلها اعمال تحتاج الى الصبر والمثابرة فى دراستها وفهمها والانفعال بها وتمثلها .

* * *

وربما كان اهم مايميز الانسان عن سائر الكائنات والمخلوقات هو البحث عن معنى الاشياء واثارة التساؤلات ومحاولة الوصول الى اجابات لهذه التساؤلات ، كما انه هو الكائن الوحيد الذى استطاع ان ينتج ما نسميه بالثقافة بكل مظاهرها ومكوناتها المادية وغير المادية وان يدرك اثناء ذلك مدى

اتساع وتنوع مجالات المعرفة وان امكانات البحث فيها لا تكاد تتوقف او تنتهى عند حد وان العقل الانسانى لا يتوقف ابدا عن ملاحقة ومتابعة تلك المجالات المتشعبة المتشابكة بكل ما تتطلبه تلك الملاحقة والمتابعة من جهد ووقت وصبر ومثابرة . وطريق الثقافة طويل تكتنفه المشاهد والصعوبات ، وان كان كثير من هذه الصعوبات هى من خلق الانسان نفسه لانه هو الذى كثيرا ما يفرض على نفسه القيود والحدود التى تمنعه من الانطلاق فى شتى المجالات والانحصار فى حدود تخصصه الدقيق مما قد يؤدى به الى العزلة عن التيارات الفكرية والاتجاهات الادبية والفنية المختلفة . والى العجز عن الاحاطة الشاملة بأى مشكلة من المشكلات التى تعرض له .

ولقد شغلت مشكلة العلاقة بين مختلف العلوم والدراسات كثيرا من العلماء الذين حاولوا تجاوز الصراع التقليدى بين العلم والانسانيات والعمل على التقريب بين "الثقافتين" وبالتالى اخراج اصحاب التخصصات المختلفة من القوالب الجامدة التى فرضوها على انفسهم .. وهذا يصدق على مصر والعالم العربى مثلما يصدق على بقية انحاء العالم .. وربما كانت كلمة "ثقافة" تصدق على الانسانيات وعلى العلوم الاجتماعية اكثر مما تصدق على العلوم الطبيعية على الاقل فى نظر الكثيرين ممن يشتغلون بتصنيف العلوم والمعارف - وان التخصص فى فرع من فروع الانسانيات كثيرا ما يحتاج الى معرفة واسعة ببقية الفروع بل والى اطلاع واسع على منجزات بعض العلوم الطبيعية كما رأينا من الامثلة السابقة ، ولكن ليس ثمة ما يمنع اطلاقا من تخطى الحواجز التى تفصل بين تلك التخصصات الدقيقة المختلفة والعمل على ازالتها او التقليل من ارتفاعها وسمكها واقامة قنوات الاتصال بين مختلف فروع المعرفة دون أن يتعارض ذلك مع التخصص الذى هو بلا جدال سمة العصر .

والوسيلة الوحيدة لذلك هى القراءة المتعمقة المتأنية الواعية التى قد تنطلق اساسا من مجال التخصص الدقيق ولكنها تحاول ارتياد افاق المعرفة المختلفة التى تتصل بذلك التخصص اتصالا مباشرا او غير مباشر لكى نتعرف على الطرق والاساليب والمناهج التى يطبقها اصحاب التخصصات الاخرى فى تفكيرهم ودراساتهم والوصول الى احكامهم والمنطق الذى يعتمدون عليه فى تبرير تلك الاحكام فالمهم هو فهم العمليات الذهنية التى يعتمد عليها اصحاب التخصصات المختلفة حتى يمكن اقامة جسور قوية ومتينة بينهما . وصحيح ان ذلك لن يتيسر الا من خلال التربية الطويلة التى تبدأ منذ الطفولة ، ولكن القراءة الواعية او الدراسة المتأنية المتنوعة التى تستمر طيلة الحياة هى التى تساعد المرء فى النهاية على الاستيعاب وعلى تمثيل المعلومات والمعارف بحيث لا تكون مجرد نوع من "حشو الدماغ" بمعلومات كثيرة متنوعة ومتنافرة ولا معنى لها ، بل تتحول الى ثقافة متكاملة تساعد الانسان على ان يتخذ موقفا معينا من الحياة . ومن العالم الذى يعيش فيه وتدفعه دائما فى الوقت ذاته الى ارتياد افاق ومجالات جديدة من المعرفة .



مكرم عبيد

بقلم: كمال النجمى

السياسى الكبير المرحوم مكرم عبيد باشا ، صدر أخيرا كتاب عن حياته وجهاده ومكانته السياسية والأدبية فى عصره ، ومابقى منه للجيل الحاضر والأجيال القادمة ..

مؤلفة الكتاب هى السيدة منى مكرم عبيد ابنة شقيق هذا السياسى الكبير الذى ترك دويا فى عصره مازال يتردد صداه فى الأسماع ..

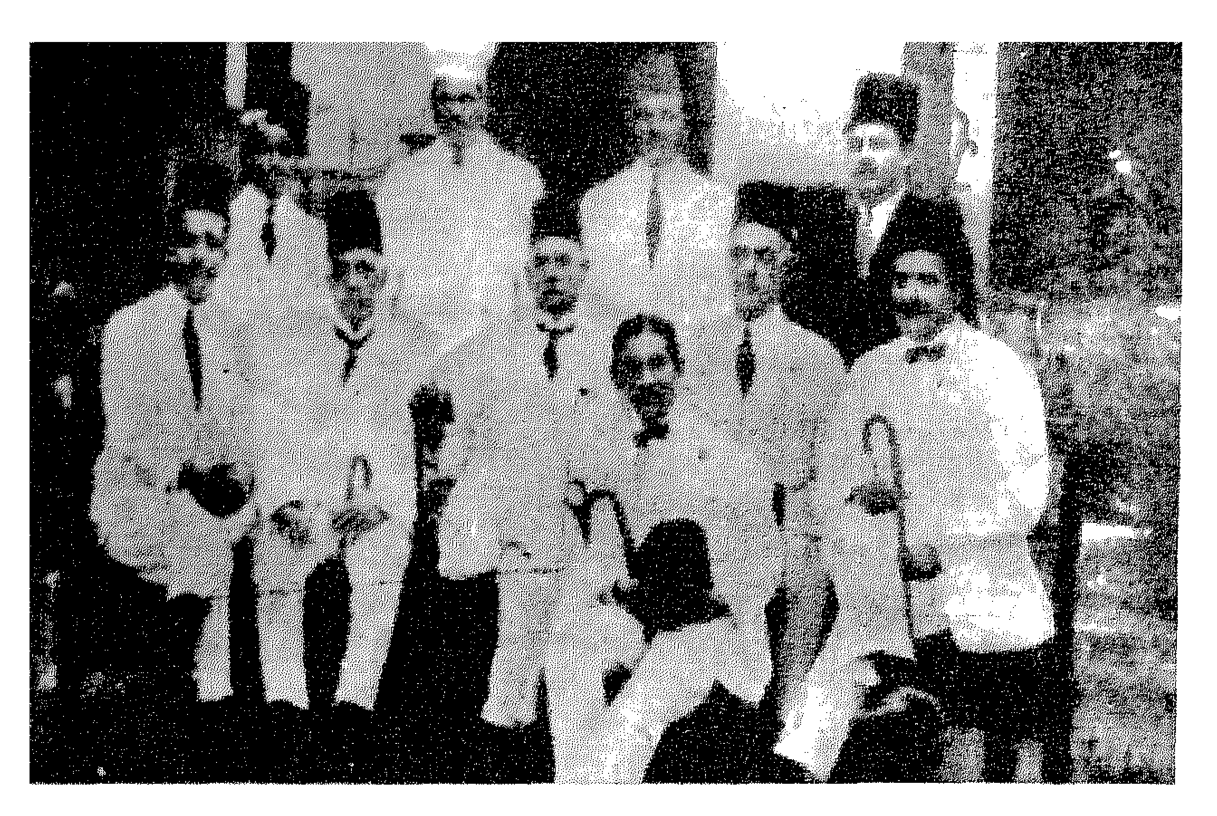
يتضمن الكتاب مقالات لبعض المشاهير من السياسيين والأدباء والصحفيين كتبوها قديما أو حديثا عن حياة مكرم عبيد وعمله الوطنى والسياسى ، ومكانته فى الخطابة والكتابة ، وأثره فى الوحدة الوطنية المصرية ، وفى الاتجاهات العروبية فى مصر والبلاد العربية ..

من أبرع مقالات هؤلاء الكتاب ، مقالة للأستاذ عباس محمود العقاد ـ رحمه الله ـ تضىء ناحية لم يتطرق اليها أحد ممن كتبوا عن مكرم عبيد باشا فى حياته وبعد مماته ، وهى ناحية تكوينه الثقافى والأدبى الذاتى الذى جعل منه خطيبا مصقعا ، وكاتبا بليغا ، مع انه لم يدرس الأدب العربى دراسة منتظمة ، لا فى الأزهر بطبيعة الحال ، ولا فى دار العلوم ولا فى مدرسة المعلمين العليا ، بل لم يتح له أن يتلقى دراسته العالية باللغة العربية ، لأنه تخرج فى جامعة أكسفورد الانجليزية سنة ١٩٠٨ ، ثم فى جامعة ليون الفرنسية سنة ١٩١٢ ، وعين سنة ١٩١٥ سكرتيرا للمستشار القانونى الانجليزى فى الحكومة المصرية ، فلبث لايتكلم ولايكتب الا بالانجليزية الى سنة ١٩١٩ إذ حفزته الثورة الوطنية الى ترك هذا العمل الذى كان يعيش فيه مغتربا عن لغة بلاده ، بل لغة أهله وقرابته الأدنين فى مسقط رأسه "قنا" بالصعيد الأعلى ..

● خطيب مفوه

وفى سنة ١٩٢٠ ضمه سعد زغلول

خريج المدرسة القنائية



مكرم عبيد مع سعد زغلول ومصطفى النحاس وعاطف بركات وسينوت حنا

باشا "الى "الوفد المصرى" الذى وكلته الأمة المصرية للمطالبة بحقها فى الحرية والاستقلال بزعامة سعد ، فبزغ مكرم عبيد - فجأة - خطيبا عربيا فصيحا ، وكاتبا أديبا مبينا ، وهو الذى عاش مغتربا عن لسانه العربى طوال دراسته فى انجلترا وفرنسا ، ثم خلال عمله مستشارا لكبار الموظفين الانجليز فى الحكومة المصرية حتى ظن من عرفوه فى تلك الفترة أنه قطع ما بينه وبين لغة أهله وعشيرته الى الأبد ..

فكيف لم تتمخض هذه الغربة الطويلة عن رجل متفرنج أو مستعجم معوجّ اللسان عاجز عن البيان بلغة العرب ، وكيف انجلى غبار تلك السنين الطوال عن خطيب من أخطب الخطباء ، وأديب من أبين الأدباء ؟! .

● ما تفسير ذلك ؟! ..

لقد استوفى الأستاذ العقاد جواب هذا السؤال فى مقالته البارعة عن مكرم عبيد التى حرصت السيدة منى عبيد على نشرها فى كتابها القيم .. وكانت هذه



المقالة قد نشرت منذ ستة واربعين عاما فى كتاب "المكرميات" الذى جمع فيه الصحفى الكبير المرحوم احمد قاسم جودة طائفة من خطب مكرم عبيد واقواله ... وجاءت السيدة منى عبيد فضمت هذه المقالة الهامة الى كتابها الذى كأنه جزء ثان من "المكرميات" بعد الجزء الأول الذى اصدره المرحوم احمد قاسم جودة ..

قال العقاد عن سر الفصاحة والبيان فى خطابة مكرم عبيد وكتابته :

".. فصاحب المكرميات بحق ، وليد مدرسة عريقة فى قديمها وحديثها .. ومن عرف هذه الحقيقة ، عرف لماذا يعنى صاحب المكرميات بجمع هذه المحسنات فى نثره ، فلا تخلو خطبه أو فصوله من سجع تتلوه تورية ، ويمتزج بها جناس هنا وطباق هناك ، ولايزال موفقا فى اختيارها كل التوفيق حيثما ذهب طوع السليقة فى هذه الخطب والفصول .. فلا يسع القارىء الذى يتابعها إلا لن يرى فيها الأسلوب الطبيعى المعقول لمن ورث ذخائر المدرسة القنائية من يوم إحتفظت بروح النثر والشعر كما صاغها البهاء زهير وابن مطروح والقاضى الفاضل والعماد" ..

هكذا تحدث العقاد عن مكرم عبيد ابن مدينة قنا وابن المدرسة القنائية فى الأدب والشعر .. فما هى هذه المدرسة القنائية ؟! ..

يقول العقاد :

"كان اول اشتغالى بوظائف الحكومة فى اقليم قنا ، وهو أقرب الاقاليم الى بلدتى اسوان ، فرأيت فى قنا عجبا بين البلاد المصرية فى ذلك الحين ، وأعنى به تلك الحركة الأدبية التى تعد تالية لحركة القاهرة نفسها فى أوائل القرن العشرين ، لاننا لم نعرف مدينة بين مدن هذا القطر جمعت من الأدباء والشعراء من يضارعون ادباء قنا وشعراءها فى الكثرة والجودة فلم يكن عددهم فيها يقل عن عشرين ، ولم يكن لمجالسها حديث فيما هو افضل عند أهلها من النظم الرائق والنثر البليغ" ..

لم يستطرد العقاد فى بيان سبب ذلك ، فنستطرد نيابة عنه قائلين إن السبب هو أن مدينة قنا هى عاصمة الاقليم العريق الذى كان يلى إقليم القاهرة وإقليم دمياط فى الأهمية طوال القرون الوسطى..

وهذا الاقليم اشتهرت فيه مدينته الكبرى "قوص" التى كانت فى القرون الوسطى أكبر المدن المصرية بعد القاهرة ودمياط ، وربما كانت أكبر من دمياط .. وقد أحصت كتب الأدب والتاريخ مئات الشعراء والأدباء والعلماء ، انتسبوا الى قوص أو الى الكور المزدهرة القريبة منها ، ثم أنتقلت حكومة الاقليم من قوص الى قنا بعد أن انقطع طريق الحج القديم بين قوص وعيذاب التى كانت ميناء على البحر الأحمر تواجه ميناء جدة على ساحل الحجاز ..

● نعود الى العقاد .. يقول :

".. بقى للأدب منزلته فى ذلك الاقليم زمنا طويلا حتى جاء العصر الحديث فوصل ما انقطع منه باجتماع عشرات من



سعد زغلول



منى مكرم عبيد



الدارسين والمتعلمين فى عاصمة الاقليم الحديثة ، وهى قنا ، بلدة صاحب "المكرميات" فكانت مثابة القضاة والمحامين والمعلمين والمهندسين والفضلاء من كل فن ومشرب ، ولم يكن لهم شاغل يشغلهم باللهو والسمر فى غير الأدب وأحاديثه ، والكتب وطرائفها .. فلاعجب أن تكون بقديمها وجديدها صاحبة الحركة الادبية الثانية بعد حركة القاهرة فى اوائل القرن العشرين" ..

".. وصاحب المكرميات بحق هو وليد تلك المدرسة العريقة فى قديمها وحديثها ، فلا يسع القارىء الذى يتابع المكرميات إلا أن يرى فيها ذخائر المدرسة القنائية فى النثر والشعر" ..

● سر فصاحة مكرم عبيد

قلت : لم يستطع أحد أن يتكلم عن سر فصاحة مكرم عبيد وبلاغته بمثل هذا الذى تكلم العقاد به ، فالعقاد نفسه ، من أبناء المدرسة القنائية التى كانت ظلالها تمتد الى ما وراء حدود "مديرية قنا" حتى تبلغ ادفو واسوان جنوبا ، وجرجا وطهطا شمالا ..

والى عقد العشرينات من هذا القرن كان الأدباء الموظفون الذين ينقلون من القاهرة الى قنا ، يجدون فى قنا بيئة أدبية حية واسعة ، لاتقل حيوية واتساعا عن البيئة الأدبية فى القاهرة ، وقد اعترف بذلك عدد من كبار هؤلاء الأدباء ومنهم الشاعر اللغوى الفقيه العلامة حفنى ناصف ـ رحمه الله ـ وله قصيدة مشهورة فى الشكوى من حرارة جو قنا صيفا ، كانت مقررة على تلاميذ المدارس ، وكنا نحفظها فى صبانا ..

ومن مشاهير الموظفين الشعراء الذين نقلوا من القاهرة الى قنا الشاعر عبد الحليم المصرى الذى كان ينافس شوقى وحافظ منذ ثمانين عاما ، وله مساجلات مع شعراء قنا ..

وآخر موظف مشهور نقل من القاهرة الى قنا ورأيناه هناك ولاقيناه كثيرا ، كان



المرحوم الشيخ حسن البنا .. نقلته وزارة المعارف سنة ١٩٤١ مدرسا بمدرسة قنا الابتدائية ابعادا له عن القاهرة بايعاز من السلطات البريطانية ، وكانت الحرب العالمية الثانية محتدمة حينذاك ..

ولو ذهبنا نحصى العلماء والأدباء والشعراء والزجالين الموظفين القاهريين الذى اقاموا فى قنا زمنا وعاشوا بين ظهرانى زملائهم الأدباء القنائيين ، لما اتسع لنا المجال ، واذكر اننى جلست مرة مع صديقنا الزجال الكبير محمد عبد المنعم "ابو بثينة" وكان هو نفسه أحد أدباء القاهرة الذين اقاموا مدة فى قنا ، فقمنا من جلستنا هذه بأسماء سبعين أو ثمانين اديبا قاهريا عاشوا فى قنا بين أوائل القرن العشرين واربعيناته ..

هؤلاء جميعا وردوا ماء المدرسة القنائية ، وهى ليست مدرسة مشيدة بالحجر أو الآجر ، ولكنها اسم مستعار للحركة الأدبية والفكرية الزاخرة التى كانت تسود اقليم قنا وما يلى هذا الاقليم جنوبا وشمالا ..

فى هذا الجو الفكرى والأدبى الذى ورثته مدينة قنا من مدينة قوص العظيمة ، نشأ مكرم عبيد وعاش الى سن العشرين تقريبا ، فكان غذاء عقله ووجدانه ولسانه من هذه المدرسة الفذة التى كانت حصنا للأدب العربى وعلوم الدين الاسلامى والتاريخ والفن ، على أعلى مستوى عرفته مصر والبلاد العربية منذ أواخر دولة المماليك البرجية الى أوائل القرن العشرين ..

وتخرج مكرم عبيد فى هذه المدرسة العريقة كما يتخرج فيها كل من خالط أساطينها وأساتذتها وتلاميذها ومريديها ، بلا تفرقة بين مسلم ومسيحى .. فكان مكرم عبيد من أثقف ابنائها فكرا ، وابصرهم بالبيان العربى كتابة وخطابة ..

ولم يكن مكرم عبيد فى ذلك بدعا بين المسيحيين القنائيين فى هذا المجال ، فإن بعض ذوى قرباه ساروا على هذا النهج ، مثل الأستاذ اسحاق عبيد الذى كنت احفظ فى صباى أبياتا فى امتداحه نظمها والدى - رحمه الله - وكان له صديقا :

قلت للفضل : كيف آل عبيد
قال : قوم زكت لهم أعراق
حببتهم الى النفوس نفوس
زينتها الآداب والأخلاق

مكرم ومنى عبيد مشروع قبلة



ووفـاء للمجد مـاخاس فيـه
مـوعـد منـهـم ولاميثـاق
هم رجال الاخلاص فى القوم إما
زين الغـدر للرجـال النفاق

مبدأ ثابت يخفض الطرف "م"
حيـاء حيـالـه · الانشقـاق
وجـهـاد يفـت فـى عضـد الخصم "م"

ويقـوى فى نـوره الاتفـاق
قلت : ماهذه الدعابة فيهم ؟!
قال : ظرف تسيغه الأذواق
قلت : صفهم ولاتطل ، قال : حبا
هم غصون زهت لها أوراق
ونجوم يكشف الخطب منها
إن تداعت ظلماؤه إشـراق
قلت : هل "وليم" المجاهد منهم
قال : منهم .. ومنهم اسحاق

هذه الأبيات قيلت سنة ١٩٣٤ وكان والدى قد سافر من بلدتنا نجع حمادى الى قنا ليلقى قصيدة رثاء فى حفل تأبين للشاعر الفقيه المتصوف المرحوم حسين محمد الحكيم ، فنزل الوالد فى ضيافة صديقه اسحاق عبيد كما اعتاد أن يفعل كلما زار قنا ، ثم حضرا معا حفل تأبين شيخ الصوفية وألقى فيه والدى قصيدته ، كما ألقى احد الأدباء قصيدة بعث بها العقاد من القاهرة ، وكان العقاد صديقا للمرحوم حسين الحكيم ، جمعهما العمل الحكومى فى قنا أيام الصبا والشباب ، والى ذلك يشير العقاد فى مطلع قصيدته مخاطبا صديقه الفقيد :

رفيق الصبا المعسول أبكيك والصبا
وما كان أغلى ما بكيت وأطيبا

ولاتجد شاعرية العقاد ظاهرة فى شيء من شعره ظهورها فى هذه القصيدة الفياضة بالمشاعر الصادقة ! ..

أما أبيات الوالد ـ رحمه الله ـ فى تحية اسحاق عبيد فقد لفت نظرى فيها حين طالعتها فى حينها اسم "وليم" لأنى لم اكن سمعت به ، فأخبرنى الوالد أنه فاتحة الاسم الثلاثى لمكرم عبيد ، وأنه تعمد أن يذكره فى هذه الأبيات لأنه يمتدح بها جميع آل عبيد ، وفيهم إخوة لمكرم ولهم أسماء أيضا ، فلابد من تمييزه .

واذا كان اسم "وليم" قد ورد هنا فى معرض المدح فأن بعض الكتابات قد أوردته فى معرض آخر عند اشتداد لجلجة الخصومة السياسية بين الأحـزاب ، وانشقاق الحركـة الوطنيـة ، وتثاؤب الطائفية فى بداية يقظتها بعد الحرب العالمية الثانية .

● روح الود والاخاء


احمد شوقى حافظ ابراهيم

أما قبل ذلك ، فكما ترى فى هذه الأبيات ، كان الشاعر المسلم يصف أصدقاءه المسيحيين بزكاء الأعراق أو الأصـول ، وينسبـهـم الـى المجـد والاخـلاص ، والثبات على المبـدأ ، والجهاد ، ولم ينس روح الدعابة وخفة الظل فيهم ، وهى الروح التى كانت واضحة فى رجلهم الكبير وليم مكرم عبيد ..



وقد رأيت مكرم عبيد فى صباى منذ خمسين عاما تقريبا خلال مناسبتين زار فيهما قنا ، فاحتشد طلبة المدرسة الثانوية ، وكنت فيهم ، لتحيته وسماع كلامه .

ولم اسمعه خطيبا الا مرة واحدة فى "سراى" الشيخ أبى الوفاء الشرقاوى شيخ الصوفية فى إقليم قنا وفى الصعيد الأعلى كله ، ومن أساطين المدرسة القنائية فى الفقه والتفسير والحديث والشعر والأدب ..

مكرم عبيد . طفل فى الثامنة







ملك حفنى ناصف   الشاعر ابو بثينة

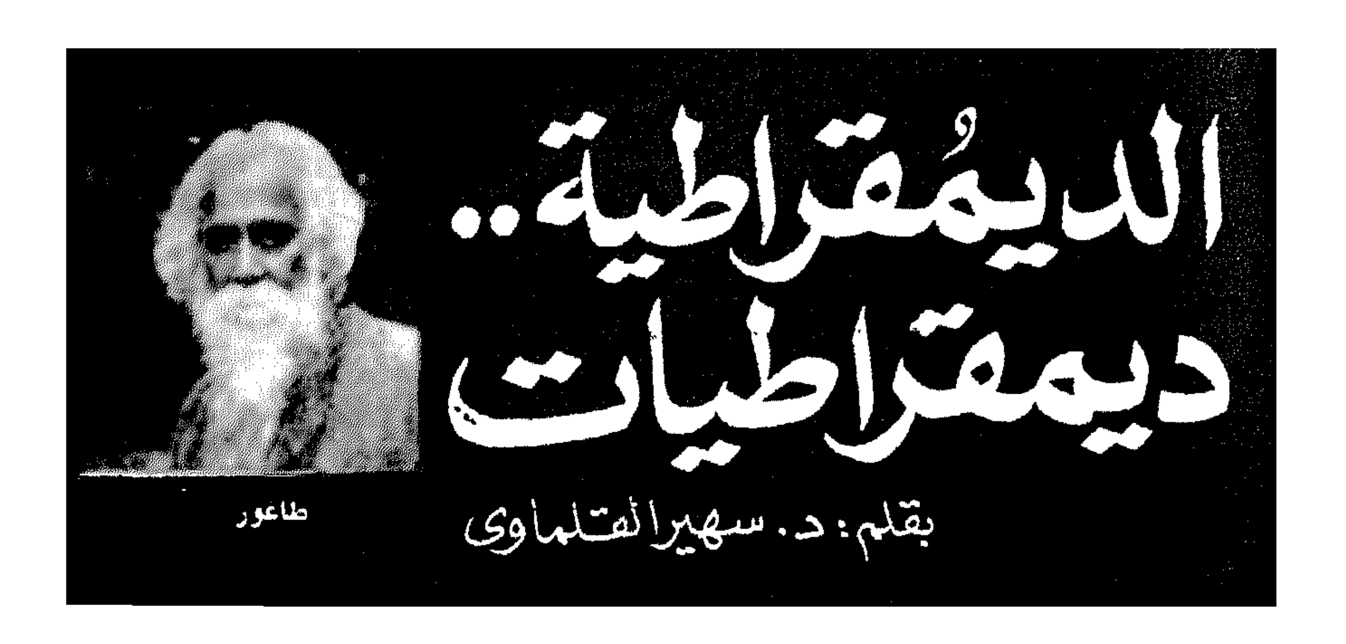
وكانت "سراى" الشيخ الشرقاوى فى نجع حمادى – وهى من أكبر مدن إقليم قنا – مثابة للعلماء والأدباء من جميع أنحاء مصر .. وكان الشيخ الشرقاوى ومكرم عبيد يتبادلان المودة والاعجاب ، فقد كان كلاهما علما خفاقا من أعلام قنا والمدرسة القنائية ..

ويرحم الله مكرم عبيد .. قد كان رمزا لوحدة الوطن قبل أن يعبث الزمن بحرمة الرموز وما أجدر ابناء الوطن أن يستأنفوا النضال من أجل أن تبقى رموز وحدتهم مرفوعة ، دليلا على بقاء وجودهم ذاته ، فأن فناء الأمم يجىء فى أعقاب أندثار أعلامها ورموزها ..

وقد كان مكرم عبيد رمزا للوحدة لايتمارى فيه أحد ، ولكنه فى آخريات أيامه كان يقول وهو بين اليأس والرجاء : "اننا فى معاركنا الداخلية أشبه بالسمك يرتطم فى شباك صياد فيحسب نفسه فى عراك ! .. فإذا كان هذا هو الجهاد ، أو ما انتهى اليه فى نظرنا هدف الجهاد ، فهنيئا بالصيد للصياد" !..

وأننا لنرجو الا نصبح سمكا فى شباك الصياد ، وان كانت امورنا قد هزلت حتى ثقلت على النفوس ، او كما قال مكرم عبيد فى كلمته التى جمعت البلاغة من اطرافها :

– "لقد هزلت ، حتى ثقلت" ! ..



يكثر الحديث هذه الايام فى موضوع الديمقراطية وخاصة فى مناسبة تحوّل كثير من بلاد أوربا الشرقية من الحكم الشمولى أو الشيوعى الى الديمقراطية . ولعل السؤال الأول ماذا نعنى بالديمقراطية واذا كانت القولة انها حكم الشعب بالشعب ومن الشعب والى الشعب لأن الكلمة اليونانية القديمة هى من "ديمو" الشعب و"قراطية" وهى الحكم فإن هذا التعريف عام الى حد لايمكن أن يتفق فيه اثنان عند التنفيذ .

لقد شعر المؤمنون بحكم الشعب انهم مطالبون بتعريف واضح محدد منذ ظهرت الشيوعية نظرية عقائدية محددة ، ومعالمها واضحة ، وهى قابلة لأن تعم بلاداً كثيرة ، ولكن الديمقراطية لا تتمتع بهذا الوضوح وليست لها نظرية وهدفها عام وهو خير الانسانية لا خير طبقة بعينها ، والأهم انها كما يقول رئيس جمهورية فرنسا فى كتابه العظيم "الديمقراطية الفرنسية" غير قابلة للتصدير . فلا هى نظرية واضحة ولا اهدافها محددة ولا يمكن ان تصدّر .

والأساس هو أن الديمقراطية ليست قبة برلمان ونواب ومعارضة انها اهم من ذلك بكثير . ولا تكفى هذه المظاهر ابداً . لأن نصف مجتمعنا تتوفر فيه قبة ونواب ومعارضة وربما حرية رأى أيضا لنقول ان هذا المجتمع ديمقراطى .

الديمقراطية فى الواقع سلوك . تبدأ بفرد حرّ يعترف بآفاق لحريته ، ويؤمن بوطن ويؤمن انه وطن متفرد وانه ساهم فى صنع تفرده وهو مستعد أن يضحى فى سبيل أن يظل هذا الوطن متفرداً بخصوصياته التى من اهم مميزاتها أنها تستطيع أن تتعاون لا أن تندمج فى خصوصيات أوطان أخرى فى سبيل السير بالعالم الى الأمام نحو سعادة المجموع ورفاهية الشعوب .

وأمام إفلاس الشيوعية والليبرالية معاً فى ابعاد البشر لابد من أسلوب جديد

نسميه تجاوزا ديمقراطية . ويحتاج فى كل وقت الى تحديد يلائم هذا الوطن فالديمقراطية لا يمكن أن تصدر ولا أن تستجلب .

● الديمقراطية والحرية

لابد من ان تتلاءم الديمقراطية مع طبيعة الشعب ومع تراثه العمرانى والتاريخى ، ومع آماله التى تتفق مع آمال سائر الشعوب والتى يسعى نحوها كل شعب بطريقته وحسب ظروفه البيئية والانسانية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية الخ .

وعنصر الحرية وهو اساس فى مفهوم الديمقراطية تختلف تطبيقاته من بلد لآخر . ففى امريكا مثلا يمكن لزائر هام ان يسب رئيس الجمهورية وان تستضيف الجامعات اساتذة شيوعيين وان يتطاول فرد على تمزيق العلم الامريكى لكن كل هذا بشرط ان تكون وراءه جماعة من الشعب الامريكى ، او تنظيم او هيئة تؤمن بما يؤمن به ، وترى أن هذا التصرف يمكن ان يتسامح فيه أمام معتقدات الشعب بعامة لأن هذه الجماعة امريكية ، تؤمن على طريقتها وبأسلوبها بالوطن الامريكى بينما هذه الامور لا يمكن ان تقبل فى اى مجتمع آخر مهما يكن لها من سند من بعض شعب هذا البلد .

وعندما كتب "روسو" كتابه "العقد الاجتماعى" وهو مرجع من أهم المراجع الحديثة فى فهم حرية الفرد ، والحرية بعامة ، جاء رسول من بولندا وآخر من كورسيكا يستفتيانه فى بعض ما أشكل عليهم أمره عند التطبيق ، فكتب لهما رسالتين للأسف لا تذكران ولا تدرسان مع كتابه الاصلى "العقد الاجتماعى" مع ان فيهما تعديلات جوهرية حول المفاهيم العامة عن الحرية التى ضمنها كتابه . ذلك أن هناك تعارضا واضحا بين ماهو مطلوب من الحكومة ان توفره للفرد وبين الحرية الفردية ولا تكفى القولة المشهورة ان حريتى تتحدد بحرية الغير . ذلك انه فى مجتمع حر بلا قيود تكون الحكومة لا تحكم ولكن لابد من المساواة ولكى يتم العدل وتتحقق المساواة (كلنا امام القانون سواء ولكن لا حرية بلا ضمانات) لابد من ان يضمن لى المجتمع فرصة للعمل (لا العمل نفسه كما هو عندنا) وفرص الحياة الكريمة عندما أعجز عن العمل بسبب الطفولة أو المرض أو الإعاقة أو الشيخوخة وهكذا . ولضمان كل هذا لابد ان تحكم الحكومة وان تنظم .

● مثل أعلى للديمقراطية

ان الجمهورية الأثينية القديمة كانت مثلا أعلى للديمقراطية لأنها كانت محددة بالمدينة جغرافيا (مدينة اثينا) ومحددة بشعب قليل العدد هم سكان "اثينا" يعرف كل منهم كل الآخرين . ولكن هذا لا يتوفر اليوم . والوطن يمتد على جملة مدن والسكان يتعدى تعدادها الملايين . اذن لابد من تنظيم ولابد من قوم يسهرون على هذا التنظيم ويعملون وفق قواعد بعينها . قواعد يشترط فى الديمقراطية ان تكون بموافقة الشعب وان يشارك الشعب مع الاجهزة الرسمية فى التنفيذ .


روبسبير — جان جاك روسو — محمد علي باشا

لا يمكن ان نصف مجتمعاً بانه ديمقراطى لمجرد انه يبيح للمعارضة ان تتصايح وتتحاور لابد في كل قرار اشارك في تنفيذه ان اكون قد شاركت بشكل او بآخر في اتخاذه ، القرار من صنع المنفذين لا من صنع المختصين وحدهم الذين هم مطالبون بان يقدموا تخصصاتهم للذين سينفذون ليتخذوا القرار الصحيح الذى سيشاركون فى تنفيذه . اما ان يباح لهم ان يعترضوا فهذا ليس الاسس فى الديمقراطية لمبدأ وجود معارضة . فالمعارضة ليست صحفا وصراخا وانما المعارضة رأى يسمع ويدرس على قدم المساواة وبكل الامانة والعدالة في عرضه ويدخل بشكل او بآخر في تسيج القرار النهائى الذى يطالب الشعب بتنفيذه

ولابد من سماع الشكاوى من المتضررين من اى قرار . ولكنها الشكوى المبنية على الدراسة والعلم . ذلك أن المريض كلما شرح للطبيب آلامه واستطاع ان يحددها كان ذلك ادعى لأن يعالجه الطبيب العلاج السليم .

ولا يمكن أبدا أن يتحول مجتمع الى الديمقراطية فى عصرنا هذا دفعة واحدة . صحيح ان اكثر الديمقراطيات ولدت بعد ثورات ولكن بعضها وخاصة فى أول عهدها إرتدت مرة أخرى الى النظام السابق ملكية او غيرها . حدث هذا فى انجلترا بعد ثورة كرومويل وفى فرنسا بعد الثورة وبعد تعاليم "روبسبير" الديمقراطية . لذلك نرى اليوم ان البلاد التى تختار الديمقراطية نظاما فتتريث كثيراً ، مثل اليابان التى تتحول الى الديمقراطية من النظام الامبراطورى وقد تحتفظ بالامبراطور كما احتفظت انجلترا الى اليوم بالملك والملكة . ولا تصل الى اسس الديمقراطية إلا بعد سنوات وسنوات .

● مشاركة فعلية للشعب

والتريث هام جداً لانه لابد من أن يكون شكل الديمقراطية الذى يختاره شعب ما متلائماً مع عقيدته التى قادت او لاتزال

تقود مسيرته ومتلائما مع طبيعة البيئة ، ومع درجة الحضارة التى وصل اليها ونوعها ، وكل هذا لا يحتاج الى دراسات متخصصين فحسب وانما هو يطلب (وهذا هو الصعب) ان تقوم التجارب بشرط ان تقوّم التجارب تقويما علميا . وأهم شرط فى العملية هنا ان تكون الحقائق موثوقا بها معروضة لكل اطرافها واشكالها . والاهم ان اى تجربة جديدة لابد ان يشارك الشعب مشاركة فعلية فى درسها لانه هو الذى سيقوم بالتنفيذ الجديد .

ونظرا لاتساع الرقعة رؤى ان الوحدات المستقلة التى تتبع الحكومة الفيدرالية أو المركزية هى اهم البؤر التى يحسن ان يبدأ التطبيق بها .

اما نحن فكم ذا نحتاج الى تعديلات جوهرية في مفهومنا للديمقراطية . هل هناك دراسة علمية لنظم الحكم لا اقول منذ الفراعنة وانما منذ محمد على اى منذ قرنين او حتى قرن واحد . كيف كانت تحكم مصر لا من خلال اشخاص اريد ان اعرف عنهم ما خفى علىَّ من تصرفاتهم ولكن من خلال النظام وتفاصيله .

كيف نشأت الملكية الخاصة وماذا كانت وكم ذا من الارض او العقارات كانت تدار باسلوب عشوائى بدائى شخصى . ثم كيف تدرجت . والعقبة الكأداء هى غياب المعلومات السليمة . الى اليوم . **اتحدى العلماء المختصين ان يدلونى على الرقم الصحيح للأميين فى** مصر مثلا . اولا نحن لم نتفق بعد على من هو الأمى . وهل الذى يرسم صورة حروف أو صور فى بطاقة الانتخاب مثلا يعتبر متعلما واخرجه من تعداد الاميين وهو فى الواقع امى ، ولاشك ان الأمّى فى العرف الدولى هو من لا يستطيع ان يستخدم القراءة والكتابة فى مهنته . فهل اذا طبقنا هذا التعريف تكون الامية عندنا هى هذه الارقام التى تذاع على اختلاف فيما بينها وعلى ما فيها من خطأ واضح .

ننادى ببناء المدارس ونصمم ان العقبة هى المبانى . لكن العقبة الاساسية هى المعلم اننا يمكن ان نستخدم الجوامع وفى القاهرة وحدها نحو ألفى جامع ومثلها كنائس فهل فى غير مواعيد الصلاة لا يصلح الجامع للتعليم والجوامع الشهيرة فى التاريخ كانت ومازالت مدارس . الأزهر بنى مدرسة لبث مذهب والدراسة فيه كانت حول الاعمدة والدرس يدور حول كتاب يقرؤه التلاميذ مع الاستاذ وكذلك كان جامع امية فى الشام والنظامية فى بغداد والزيتونة فى تونس الخ .

ان طاغور شاعر الهند الاعظم أسس اكاديمية فنون تحت ظل شجرة باسقة والطقس فى ثلاثة ارباع العام يتيح التدريس فى الهواء الطلق .

باختصار لابد من نظرة جادة الى مشاكلنا فى سبيل ان نحكم حكما

ديمقراطيا . والا فلا ديمقراطية مع الامية .

وتأتى مشكلة مركزية الاعلام التى تعانى منها كل الديمقراطيات ونحن نعانيها دون ان نحس اننا نعانيها . فالاعلام يسيطر عليه اما الحكومات أو الشركات العملاقة وهى اسوأ من الحكومات . فماذا نحن فاعلون وهل نعرف كيف يحاول غيرنا ان يحل هذه المشكلة . كل ما نطالب به ان يتاح للمعارضة نصيب ، أى نصيب هو طبعا ما ترضى عنه الحكومة . وماذا يبقى فى المعارضة بعد ان تتكيف لتطابق متطلبات الحكومة ولو الى حد ما .

ونـأتـى الـى المشكـلـة الاعظـم الايـديـولـوجيـة التى نبنى عليهـا ديمقراطيتنا . مازلنا نتخبط فى امرها "الدين" اولا اين هو من نصوص دستورنا نحن نكتفى بانه لا تعارض والديمقراطية الحقة تقول بل الدين هو الاصل الذى تستخرج منه النصوص لكن كيف وهذا هو الهام بل الهام جداً .

والدستور نفسه له اوضاع ، ان فرنسا تقدس الدستور ، وانجلترا لا تحكم بدستور وانما بسجل الاحكام القضائية وقرارات مجلس العموم على مدى السنين مضافة الى « المجنا كارتا » Magna Charta وهى وثيقة الحرية الأولى عند الانجليز والفرنسيين وغيرهم . لذلك نجد الانجليزى يحترم احكام القضاء الى حد المبالغة . يروى ان الجيش البريطانى دفاعا عن لندن التى كانت تتلقى قنابل الالمان بشراسة بنى محطة صواريخ مضادة للطائرات على أرض فلاح فى اطراف المدينة . فاشتكى الفلاح لانه يريد ارضه وسلاح الصواريخ عارضه فرفع امره للقضاء وكسب القضية . وامتنع السلاح من تنفيذ حكم القضاء فاشتكى الفلاح الى رئيس الوزراء "تشرشل" ابان الحرب فأمر "تشرشل" قائد السلاح ان يدمر المحطة وقال قولته المعروفة "**أن تخسر انجلترا الحرب عندى اهون من ان تمتنع انجلترا عن تنفيذ حكم القضاء**" .


ونستون تشرشل

هذه الطبيعة الانجليزية هى التى انعكست على تطبيق الديمقراطية . عندهم .

وعندنا كم ذا يمكن ان نتفوق فى ديمقراطيتنا لو ارتضيناها من منابع عقيدتنا ومن دروس ممارساتنا السابقة . ولكن لكل هذا على جلاله حديث آخر .



العرب والديمقراطية المصرية

بقلم : د. أحمد عبد الله

وبهذا المعنى النسبي يكون الحديث عن الديمقراطية المصرية في علاقتها بالجيران وبالذات بالأشقاء العرب الذين بينهم وبين مصر علاقة تأثر وتأثير لا تحتمل المجادلة ، وإن لم تحل دون مكابرة البعض إزاء وزن مصر ومكانتها في العالم العربي . وهي مسألة تفترض من المصريين «روحا رياضية» لا روحا استعلائية إزاء الأشقاء العرب ، باعتبار أن مصر هي «الشقيقة الكبرى» ، وأكبر الأشقاء في أية أسرة يكون بينه وبين بقية الأشقاء ما صنع الحداد وما زرع البستاني في نفس الوقت . ويبقى جوهر الأمر هو الاعتراف بعلاقة «التأثر والتأثير» البحث فيما تعنيه بخصوص النظم السياسية هنا وهناك .

● الديمقراطية والنظم العربية

إن أول ما تعنيه هذه العلاقة هو أن الديمقراطية المصرية لابد وأن يكون لها تأثيرها على النظم السياسية العربية ، مثلما أن هذه النظم سيكون لها هذا التأثير أو ذاك على تفاعلات العملية السياسية المحلية في مصر والمفترض أن تتم في إطار أكثر ديمقراطية من الذى تعرفه أغلب هذه النظم . ولهذا السبب كان الكثيرون من السياسيين المعارضين في مختلف البلدان العربية هم أول المرحبين بالتطورات الديمقراطية في مصر على أمل أن تنعكس في بلادهم .

وهذه عملية مركبة وغير بسيطة ، وبالتالي لايجوز أن نواجهها بالشعارات الكلاسيكية حول «عدم التدخل في الشئون الداخلية» للآخرين . لأن هذا الشعار أصبح تعريفه ضيقا جدا بالنظر للتطورات العصرية التي سمحت بانسياب الأفكار والمؤثرات من خلال السفر والهجرة والمصاهرة وكل أشكال الاختلاط البشرى المباشر ، جنبا الى جنب مع تأثير وسائل الإعلام التي اخترقت كل الحدود . حيث أصبح التدخل المدان هو فقط ذلك الذى

تتردد فى مصر كثيرا كلمة «الديمقراطية» ، سواء من جانب انصار الحكم الذين يصفونه بهذه الصفة ، او من جانب معارضيه الذين ينعون عليه عدم تجسيد ما يرفعه من شعارات .

وهناك بالطبع خطر أن تفقد الكلمة معناها وتثير لدى الناس الملل من كثرة ترديدها ، مثلما كان الحال بالنسبة لكلمة «الاشتراكية» ، من قبل . والنظام السياسى المصرى يقف فى حقيقة الأمر فى منتصف الطريق . لكنه بالمقارنة بانظمة بعض الجيران يصبح «ديمقراطيا» ، بالمعنى النسبى للكلمة . وربما بدا ديمقراطيا «جدا» ، إذا كانت المقارنة مع بعض ما يعرف بعض الجيران من ممارسات سياسية هى اقرب للهمجية التى تشمل القتل . دون محاكمة والامتهان لكرامة الانسان من خلال التعذيب .

يتخذ شكل الغزو العسكرى او تآمر الاجهزة الأمنية أو شراء الذمم بل احيانا ما يكون التدخل العسكرى «مبلوعا» ، إذا جاء لاسقاط نظام محلى جاوز الحدود فى قمعه لشعبه (مثل تدخل تنزانيا لاسقاط عيدى امين فى اوغندا ، وتدخل فيتنام لاسقاط الخمير الحمر فى كمبوديا) . وليس هناك من ينكر أن الحضور المؤثر للغرب فى اوربا الشرقية هو احد اسباب التغيرات السياسية الكبيرة التى تشهدها والتى تشمل تحول من كانوا متهمين بالعمالة للغرب والراسمالية الى جزء اساسى من النظم السياسية الاشتراكية .

واختراق الحدود بالمعنى الفكرى والسياسى الواسع وفى الاطار السلمى هو مسألة اكثر منطقية بالنسبة لمجموعة بلدان تجمعها ثقافة واحدة مثلما هو الحال بالنسبة للعالم العربى ، صحيح أن هذا العالم ينقسم الى عدد من الدول العربية لمستقلة ذات السيادة ـ بل وذات الخوف لى هذه السيادة ـ إلا انه لابد وأن يعرف بحكم الثقافة المشتركة على الاقل ظاهرة اختراق الحدود بواسطة مختلف المؤثرات . وهى الظاهرة التى يسميها الكاتب الاستاذ جميل مطر باسم «النفاذية» .

ومعنى هذا انه لا تجب المماحكة فى شعار «عدم التدخل» ، الذى لا محل له من الاعراب فى السياق العربى . هذا مع بقاء الرفض المبدئى للتدخل فى صورة الفجة والقهرية .

● الخروج عن الحدود المالوفة !

والحاصل عمليا بشأن تأثير الديمقراطية المصرية على العالم العربى هو أن هذا التأثير إنما يتخذ شكلا اقرب لما يسميه الاقتصاديون «أثر التساقط» ، اى التأثير التدريجى البطىء المتساقط كحبات المطر الخفيف المتكون من بخار هذه الديمقراطية المصرية فلم يعد للمصريين وجود مكثف فى العملية السياسية المحلية للدول العربية . وحتى



فى حالة السودان يرفض بعض السياسيين والمثقفين المصريين شكل الوجود المصرى بها رغم علاقة الماء الحقيقى لا المجازى فيما بين البلدين. ولا تألو السلطات المصرية جهدا فى إثبات عدم رغبتها فى التدخل فى شئون الأشقاء كما لو كانت ترفع على المستوى العربى شعار «لا مساس» الذى ترفعه إزاء بعض القضايا المحلية. بل ذهبت هذه السلطات - ومعها أحيانا قوى معارضة - إلى حد غض النظر الكامل عن مذابح ترتكبها أنظمة عربية ضد شعوبها فلم يظهر لها أثر فى صحيفة أو نشرة أخبار مصرية.

فإذا كانت مصر لا «تلعب» كثيرا فى السياسة المحلية لمختلف الأنظمة العربية، فإن البعض من هذه الأنظمة «يلعب» كثيرا داخل مصر. وليست المشكلة فى فقدان التوازن بين اللاعبين، ولا حتى فى مبدأ اللعب نفسه فى الحدود المشار اليها سلفا. ولكن المشكلة تكمن فى خروج بعض الأطراف العربية عن الحدود المقبولة للتأثير المتبادل.

فأصحاب الأنظمة القمعية ليس لديهم قدرة كبيرة على الاقناع الفكرى بنماذج نظمهم السياسية. وأصحاب الأفكار والشعارات «القومية» و «المعادية للاستعمار والصهيونية والرجعية» تراجع نفوذهم العقلى والعاطفى بعدما انكشف نوع النظم القومية التى يبنونها وبعدما اتضح مقدار استعدادهم الحقيقى لمواجهة الأعداء. فلم يعد أمام هؤلاء من أسلحة للعب فى السياسة المصرية سوى الأسلحة الفاسدة.

وتتمثل هذه الأسلحة فى استغلال ضائقة الاقتصاد المصرى المدين واحتياجه لكل أشكال العون العربى. وهو ما ينعكس سياسيا فى صورة تربيت الحكومة المصرية على كتف الحكومات العربية، ومجاملتها فى كل كبيرة وصغيرة، بما يشمل غض النظر عن قيام هذه الحكومات بانتهاك حقوق الانسان فى بلادها وعدم الاشارة الى ذلك من قريب أو بعيد فى وسائل الاعلام التى تسيطر عليها الحكومة فى مصر. والأدهى أن يشمل ذلك «بلع» ما تقوم به أنظمة عربية معينة من نشاط سياسى تحت الأرض داخل مصر، نشاط يتجاوز حدود الدعاية الفكرية المعلنة. وما من شك فى أن واجب الحكومة هو الحفاظ على مواطنيها فى الخارج من التعرض لأية صورة من صور الأذى. لكن انعكاس هذا على الحياة السياسية داخل مصر من خلال منع نقد أنظمة الدول التى يوجد بها المصريون معناه إضعاف الأعمدة الديمقراطية لنظام يتباهى أساسا بهذه الديمقراطية كملكية عزيزة برغم العوز الاقتصادى.

● المسئولية ودرجات الوعى

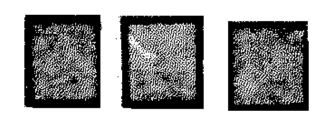
ولا تقل مسئولية قوى المعارضة عن مسئولية الحكومة فى هذا الصدد. لان السلاح الثانى الذى تستخدمه بعض الأنظمة العربية للعب فى الحياة السياسية المصرية هو ذلك السلاح الذى تحمله نيابة عنها قوى المعارضة. فجميع قوى المعارضة المصرية تتلقى دعما ماديا من

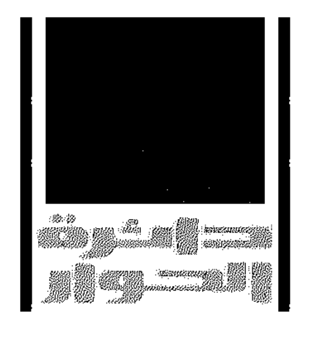
خارج الحدود المصرية وبالأخص من أطراف عربية معلومة . وبعض الأطراف «أكرم» من غيره ، ولذلك فهو يحصد أكثر من غيره . فقد يكون الأكثر قمعا للديمقراطية داخل بلاده لكنه الأكثر قربا من دوائر المعارضة المدافعة عن

الديمقراطية داخل مصر . ولذلك فهو يحظى بتأييدها «وتطنيشها» عن معايبه وجرائمه . ولئن مثلت هذه الحالة «عيبا» لابد ان تبرأ منه قوى المعارضة المصرية بصفتها الجماعية والحزبية ، فإن الأمر يصبح «مرضا ؟ أو «ورما خبيثا» لابد من استئصاله بالنسبة للأفراد . فكم من السياسيين والمثقفين الأفراد فى مصر يقفون موقف «المرتزق» من نظم عربية بعينها .

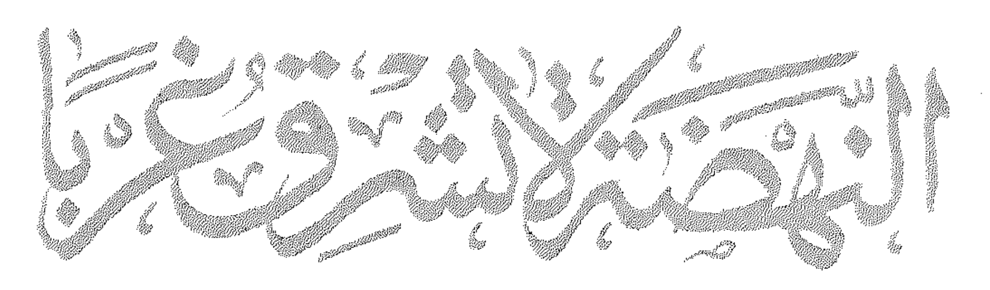
والمشكلة هنا ليست هى مقدار الانتفاع المادى لهؤلاء - والمتراوح بين البسيط والهائل - وإنما فى نشوة ولاء هؤلاء . حتى أنه أصبح معروفا فى دوائر السياسة والصحافة أن لكل نظام عربى من الأنظمة التى تلعب بنشاط داخل مصر جماعة المصلحة (اللوبى) الخاصة به فى هذا البلد .

إن بعض الكارهين للديمقراطية يحزنهم أن يروا فى مصر تجربة ديمقراطية مهما كانت صغيرة ولأن هؤلاء يدافعون عن انظمة قمعية غير مقدر لها أن تعيش طويلا فى عصر انتصار الديمقراطية ، فهم يعتبرون الهجوم خير وسائل الدفاع ويصوبون سهامهم نحو مصر . وقد سبق لهؤلاء أن ساهموا فى تدمير تجربة الديمقراطية السودانية باللعب غير النظيف وشراء العملاء داخلها . لكن المشكلة فى الحالتين هى وجود قوى محلية تستجيب لذلك سواء اتقاء لأذى أو اجتلابا لمنفعة . وليس للمصريين أن يقعوا فى هذا الشرك بأية ذريعة كانت ، سواء فى ذلك الحكومة التى يجب أن تميز بين الحرص على مصالحها فى العالم العربى والحرص على تطوير الديمقراطية داخل بلد كمصر هو فى مسيس الحاجة إليها بقدر احتياجه للقمة العيش ، أم قوى المعارضة المفترض أن تكون أكثر قدرة على الاستقلال بنشاطها ليس فقط إزاء الحكومة المحلية وإنما أيضا إزاء الحكومات والأنظمة وسائر الأطراف على الصعيد العربى فمن غير المعقول أن يكون بمقدور المصريين انتقاد الولايات المتحدة على أوسع نطاق وهى الحليف الرئيسى ومصدر المعونات الاقتصادية الأول ، بينما لايكون بمقدورهم انتقاد الدول العربية التى ترتبط مصر معها بمصالح طبيعية لا تبرر مجاملتها على حساب المبادىء الديمقراطية وحقوق الانسان المصرى والعربى معا . ومن غير المعقول أكثر أن يكون العالم العربى قادرا على التعلم من «البيروقراطية» المصرية التى بنت إدارات حكومية عربية كاملة على شاكلتها ، بينما لا يستطيع التعلم من «الديمقراطية» المصرية أو على الاقل تركها وشأنها لتنمو فى تربة شعب يحتاجها





نقطة نظام حول مشروع النهضة



النهضة لا شرق وغرباً

بقلم : جمال سلطان

احيانا يكون من الصعب على الإنسان مواجهة الحقيقة ، ولا سيما إذا كانت شديدة المرارة ، وبنفس القدر يكون من الصعب على الانسان ان يكتشف زيف الحلم الكبير او ضياعه ، ومن الوجهة الانسانية المحضة ، يكون على اصحاب الطريق أن يعذر بعضهم بعضاً ، ويقدروا التموجات النفسية التي تعترى مخالفيهم في الرؤية والفكر ، طالما احسن بعضنا الظن ببعض ، وطالما آمنا بالحقيقة الفطرية والموضوعية القائلة بان العصمة لم توهب لبشر قط لا يأتيه الوحي بخبر السماء .

ولكن البصر النافذ إلى حجم الخطر الذى تمر به الأمة ، والآفاق ذات الرؤى البعيدة للتحديات التى يتوجب على الأمة مجابهتها ، والتأمل العقلى الصريح فى رقعة الأزمة الحضارية التى نعيشها بجذورها وظواهرها ، جوهرها وتجلياتها ، كل أولئك يجعلنا ندعو الفرقاء جميعاً إلى إعادة النظر فى الجذور ، وربما : فى المسلمات النهضوية الحديثة التى صاغت أصلا أحلامنا وأملنا المشروعة فى التقدم .

هذه التقدمة ، التى لا تخلو سطورها من توتر ملحوظ ، يلهبه القلق المستبد على مستقبل الأمة ، قصدت من خلالها الى النفاذ فى صميم الجدل الدائر اليوم حول حقبة النهضة الحديثة ، أو ما نصطلح ـ احياناً ـ على وصفه "بحركة التنوير" .

فالملاحظ من خطوط الحوار حول هذه



قاسم أمين



د . محمد حسين هيكل



رفاعة الطهطاوى

المسألة ، أن ثمة نزوعاً قوياً إلى اضفاء هالات القداسة والعصمة على رموز هذه الحقبة ، إلى الحد الذى يهب نتاجاتهم الفكرية النهضوية ، وضعية "الحاكمية" العليا والهيمنة التقييمية على أى جهد فكرى لاحق ، وربما ! سابق !. فكلما اقترب الفكر الجديد أو القديم من معطيات "حركة التنوير" كلما حمل من صفات "التجديد" و"الاستنارة" و"العقلانية" و"المعاصرة" ، ما يمنحه مشروعية الوجود ، وبراءة الزلة ، واخشى أن أقول : وصك غفران لجميع ما تقدم من ذنبه وما تأخر !

وعلى الخط الآخر ، نجد نزوعاً قوياً إلى "تدمير" هذه الرموز الفكرية ، وإثارة الاتهامات الخطيرة فى نشاطاتهم ومجهوداتهم ، فهذا ماسونى ، وذاك عميل ، وذلك متآمر ، وغير ذلك من اتهامات بعضها يذهب إلى الطعن فى الدين ، والضمير ، وما لا يعلمه إلا الله فينا .

هذه النزعات الفكرية ـ بلا شك ـ تؤكد أن "الماضى" مازال يعمينا عن الحاضر والمستقبل ، وتؤكد على أن خواء ابداعياً مشيناً يسود مناخنا الثقافى والفكرى العام ، بما يستدعى ستر عواره ، بنقل ـ أو افتعال ـ معاركنا ، حول حقبة النهضة الحديثة .

وما أستطيع قوله ـ بحياد تام ـ أن مشروع النهضة الحديثة أعلن فشله على صعيد الواقع الاجتماعى الجديد ، وأن حركة التنوير ، ثبت ـ ببرهان الواقع والتاريخ الحى ـ انعدام فاعليتها فى تحريك الضمير الاجتماعى للإنسان المصرى ، والعربى بعامة ، وثبت أن ما تولد عنها من مناهج ومذهبيات ونظريات وخطط نهضوية ، لم يكن يتلاءم مع البناء النفسى والاجتماعى المصرى ، وبالتالى عجزت هذه النتاجات عن أن تشبع العقل المصرى العام ، أو أن تبنى بناء شامخاً متيناً تطمئن إليه الأمة ، ويصبح فى ذاكرتها الجمعية مرجعاً لا يقبل النقض ،



ودستوراً لا يحتمل التعديل .

● قضايا الدين والدولة

إن النشاط الفكرى الواسع النطاق الذى يشهده المجتمع العربى الجديد ، لم يعد وقفاً على "جزئيات" فكرية ، أو ظواهر فنية أو أدبية ، وإنما يتجه ذلك النشاط إلى أساسات الوعى الحضارى ، وابجديات فقه النهضة .

إن الجدل يعود اليوم - وبقوة - ليتناول قضايا "الدين والدولة" ، وما نقبل وما ندع من الحضارة المعاصرة ، ووضعية المراة فى الجماعة الوطنية ، وما يجوز لها ويجب عليها وما لا يجوز ولا يجب ، وأسس صيانة الوحدة الوطنية ، وقواعد التوفيق بين الوحدة الوطنية والجامعة العربية والجامعة الإسلامية ، والنظرية الاقتصادية/الاجتماعية التى تحفظ السلام الاجتماعى وتنهض بمقدرات الأمة ، وغير ذلك من أسئلة كنا نظن - دهراً - اننا قد فرغنا منها وانتهينا من وعى الاجابة عليها . ماذا يعنى تجدد مثل هذه الأسئلة ؟ وهذه القوة والجدية والخطورة ، التى تصل إلى تحريك قواعد المجتمع ذاتها ، واستقطابها إلى هذه القضايا ؟ ألبس يعنى ذلك أن المشروع النهضوى الأول أعلن افلاسه - على الصعيد الاجتماعى - وأن "الأمة" لم تعد تنظر إليه نظرة القداسة والتعظيم ، وأنها لم تقنع باجاباته النهضوية على اسئلتها المحورية ، مما استدعى استئناف النظر والبحث عن مشروع جديد للنهوض ، يحمل قدراً أكثر رشداً واستنارة من سابقه ؟

اننى - فى الحقيقة - لا اكاد أستوعب او افهم ذلك الدفاع المستميت من جانب قطاع من مفكرينا المعاصرين عن "تراث" حقبة النهضة الحديثة ، واكاد احزم بان احداً ممن يتناول هذه الحقبه اليوم ، لم يعد يتناولها على سبيل النقد والفرز ، وإنما على سبيل التقديس أو إعادة سرد مقولاتها ،


احمد لطفي السيد


سلامة موسى

بوصفها الاطار المرجعي النهضوى ، الذى لا يجوز لأحد تجاوزه أو تبديله أو حتى تعديله .

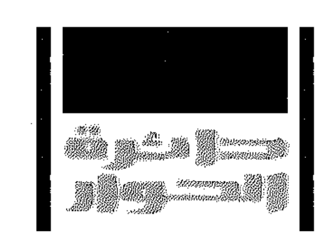
لماذا لا نعترف بأن مشروع النهضة الأول ، لم يعد صالحاً للبناء عليه ؟ ولم يعد نافذاً فى ضمير المجتمع وعقل الأمة الجمعى ، رغم صراحة الواقع فى البوح بهذه الحقيقة ؟ ولماذا نتهم التاريخ والواقع والأمة والبترول والدولار والامبريالية والصهيونية والسلفية .. إلى آخر القائمة ، بانها تآمرت على مشروع النهضة ، دون أن نحاول مرّة ـ مرّة واحدة ـ أن ننسب القصور أو الخلل إلى مجهودات النهضة ذاتها ، رغم أنها صادرة عن بشر ، يعتريهم ما يعترى البشر من تعرض لموجبات الصواب والخطأ ، والهدى والضلال ، والرشاد

والتيه ، والصدق والتفرض ؟ لماذا لا نمارس نوعاً من النقد الموضوعى الرزين لتراث حقبة النهضة ، ونتأمل فى تحولاتها الفكرية ، ونتفهم البناء النفسى ذاته عند تلك الرموز ، وطبيعة علاقتهم النفسية والفكرية بالآخر ، الغرب ، وبالذات ، التراث ، وبالواقع ، فعلنا نقف على وجوه من الخلل أو الزلل أو القصور فى الرؤية ، ادى إلى فساد فى الناتج الفكرى ، وشطط فى مشروع النهضة ، رغم حسن النوايا ، وصدق الرغبة فى انهاض الأمة من كبوتها التاريخية ؟ لماذا نصور نسبة الخطأ أو الفشل إلى مجهودات "حركة التنوير" على أنه نوع من الاتهام والتجريح وانتقاص الشأن وهدم الرموز ؟ ناهيك عن أن نصور هذه الممارسة النقدية لمجهودات "بشرية" على أنها "ردة حضارية" و"اظلام فكرى" و"رجعية قروسطية" ، وغير ذلك من سهام الرد الجاهز والسيوف المسلطة على رقاب كل من تسول له نفسه نقد تراث ذلك الجيل ؟

لماذا لا نفتح ملف ذلك الجيل الرائد والمجاهد ، جيل الصدمة الأولى ، ولماذا لا نتواضع على أسس معقولة من الضوابط الاخلاقية ـ فى المقام الأول ـ التى تتيح لنا نوعاً من الممارسة الديمقراطية الإيجابية فى حوارنا الفكرى حول تراث حقبة النهضة ؟ ولماذا نصر على "حوار الطرشان" الذى يعزز من ضمور الأفق المستقبلى فى رؤانا النهضوية ، بدلاً من حوار العقل ، وجدل الحريصين على مستقبل أكثر اشراقاً ، وليس على ماض تتهدد صورته فى مخيلتنا ؟

● غياب الفعل الابداعى

أخشى أن أقول : بأننا اليوم ، مازلنا نمارس الخطأ الأكبر الذى وقعت فيه حركة التنوير العربية ، أعنى ذلك الاستقطاب الفكرى الحاد نحو "المحورية الفكرية الأوربية" ، وذلك أن سبب فشل مشروع النهضة الأول ـ فى تقديرى ـ هو ذلك الانجذاب الكامل نحو الفكرة الأوربية ، سواء بالسلب أو بالايجاب ، أعنى أنه سواء من رفض الفكرة الغربية فى هذا الجانب أو ذاك من جوانب النشاط الإنسانى العام ، أو من قبلها وآمن بمصداقيتها ، أو من تحفظ عليها ، فالجميع ـ فى الواقع ـ كانوا يعيشون فى شرك "الاستقطاب" ، وهذا ما غيب الأصالة الابداعية عن جهد النهضة ، إذ أن الصورة الاجمالية لذلك النشاط الفكرى فى نهضتنا الحديثة ، كانت تمثل نوعاً من "التذييل" على "ابداعات الآخرين" ،



ونوعاً من كتابة الحواشى والتعليقات على "المتن الأوربى" ، فغاب الفعل الابداعى الأصيل الذى يتعاطى مع واقعنا الاجتماعى الحقيقى ، لا مع الواقع الأوربى ، ومع تاريخنا الحقيقى لا مع التاريخ الأوربى ، ومع خصوصيتنا الحضارية ، لا مع النمط الحضارى الأوربى ، ويمكن للقارىء البسيط ، ناهيك عن الباحث المدقق أن يرى هذه الحقيقة رأى العين فى كتابات رموز جيل النهضة ، يلحظها فى حديث "قاسم امين" ، وكيف أنه لا يتصور أن الرجل الأوربى الذى اكتشف البكتريا الدقيقة يمكن ان يخطىء فى اكتشاف الأخلاق الملائمة للمراة والمجتمع ، كما نص على ذلك فى كتاب "تحرير المرأة" ، ونلحظها فى اعترافات محمد حسين هيكل الصريحة حول معركة "طواحين الهواء" التى خاضوها ـ على حد تعبير هيكل رحمه الله ـ ويلحظها فى الخط العام الذى انتظم رفاعة الطهطاوى وجهده فى "تخليص الابريز" والذى تمحور حول : ما نأخذ وما ندع من حضارة أوربا ، رغم براعة ذلك الأزهرى الفذ ، وصموده العجيب أمام الصدمة الحضارية الكبرى فى عاصمة التنوير !

ونلحظها فى الوجهة التى اتجه اليها "أحمد لطفى السيد" و"فتحى زغلول" من الدعوة إلى تأسيس نهضتنا على "الترجمة" قبل أى شىء آخر ، ونلحظها فى عصبية "سلامة موسى" وتوتره الشديد فى الدعوة إلى اتباع خطا الحضارة الأوربية ، والانفلات من إسار "الحضارة الآسيوية" !، وغير ذلك الكثير المستفيض مما لا يحتمله هذا المقام ولا يتسع له .

لقد كان الحس العام فى هذا الجيل ، أن النهضة ستشرق من الغرب ، وبقى النزاع فى الكيفية والكمية ، لا فى الأصل العام ولا المبدأ ، وهذا ـ فى تقديرى ـ الخطأ الجوهرى الذى أفسد على النهضة مسارها ، وفرغها من الجهد الابداعى الأصيل ، وجعلها تنزلق على مزالق التقليد ، واستجلاب النماذج الجاهزة .

وهانحن اليوم نمارس الشىء ذاته ، ولكن ، لا مع المحورية الأوربية ، بل نحن مستقطبون إلى محورية تراث حقبة النهضة ، فإذا حاكمنا فكرة أو مذهب جديدين ، قسناهما على "تراث حقبة النهضة" ، وإذا رغبنا فى البحث عن مخرج لأزمتنا الفكرية إلتمسناه فى تراث حقبة النهضة ، مما أصابنا بما يشبه الفراغ الابداعى ، وأباح لنا ستر خوائنا وعجزنا وشللنا النهضوى ، بالضجيج المفتعل بدفاعنا عن ذلك الجيل الذى أفضى لما قدم ، وذهب إلى ذمة غير ذمتنا ،واعدل من ذمتنا !

أيها السادة : إن النهضة ـ أبداً ـ لا تشرق غرباً على ديار العروبة والإسلام ، فدعونا نعترف ـ مرّة ـ بأن النهضة العربية الحقيقية لم تولد بعد ، وأن خيل التنوير مازالت رابضة فى حنايا هذه الأمة ، تنتظر فرسانها ، فهل من فارس ؟!

كشاف الهلال

الجزء الثانى



الثمن : ١٠ جنيهات

● إنجاز علمى دقيق ...

● يتناول تبويبا شاملا للموضوعات والمقالات التى صدرت بالهلال من اكتوبر ١٩١٤ إلى ١٩٣٦ بإشراف نخبة من الاساتذة المتخصصين فى مجال التصنيف والفهرسة .

« عجـائب المخلوقات » كتبـه
الابشيهى ابن الفيوم منذ خمسة قرون

كشـف عـن الحـيوانات جلـودها
.. وعـن البـشر طبـاعهم !

بقلم : د. محمد المنسى قنديل

الانسان حيوان . كل مافى الأمر انه لم يجر تصنيفه بعد .

الحيوانات لاتفعل اكثر من انها تلبس اقنعة . وتعلق بعض الشوارب والذيول . وتتظاهر بعدم الكلام ولكنها فى لحظات الرغبة والغضب تنزع كل هذه الاقنعة وتتحول الى اناس حقيقيين بكل مافيهم من وحشية وضراوة . فهى تتظاهر بالوداعة احيانا ، وبالرقة فى احيان اخرى . ولكن الانسان الرابض فى اعماقها لايهدأ ولايستكين ابدا .

اللعبة مكشوفة اذن . كل الذين يضعون كتابا عن اصناف الحيوانات وعن عجائب المخلوقات انما يكتبون عن ذواتهم الخفية وعن كل الذين احبوهم بوله . وكرهوهم بعنف .

● من اجل هذا لم تخل على لعبة الشيخ محمد بن احمد الابشيهى الذى الف كتاب « فى عجائب المخلوقات » كنت اعرف جيدا انه لايتحدث عن الحيوانات بقدر مايتحدث عن نفسه وعنى وعنك . عن كل الذين اكلوا طعامنا وشربوا رحيق قلوبنا ثم اكتشفنا انهم اناس بالغو الشراسة .

ولكن دعنا نتحدث عن الكتاب دعنا نستنطق كلمات هذا الشيخ القديم الذى .



لوحة مخطوطة من إحدى مخطوطات عجائب المخلوقات، مرسومة في العراق في أواخر القرن الثامن

كتبه فى بلدة ابشواى فى مصر المحروسة ، منذ حوالى ٥٠٠ عام كى يخرج كتابا بالغ الطرافة عميق الدلالة . ورغم ان الحيوان قد اخذ الجانب الاكبر منه فإنه لم ينس ان يغوص تحت مياه البحار ويصعد إلى أعالى الجبال بل ويخترق الحجب الى عالم الجان ، لقد شرح لنا عالما مألوفا بطريقة مدهشة . كأنه كان نائما لسنوات طويلة واستيقظ فجأة او ربما كان اعمى واسترد بصره . فقد اعاد النظر فى تفاصيل العالم الذى نعرفه ووضع عليه شيئا من ذات نفسه فاصبحنا نراه معا كأنها المرة الاولى ايضا . ان عدوى فرحة الاكتشاف الصغيرة قد انتقلت الينا

وليس الشيخ الابشيهى اول من فعلها .. فقد فعلها الدميرى .. والجاحظ والقزوينى . بعضهم ذهب الى هذا العالم هروبا من ملل عالم البشر .. وبعضهم وجد فيه مهربا من عسف السلطان وغضب ذوى الجاة .. والبعض الاخير وجد ان السنة الحيوان الاعجم اشد فصاحة من لسان الانسان فوضع عليه كل الحكم والمواعظ .. ولكن الشيخ الابشيهى اضافة الى هذا كله قد انساق وراء هذا العالم بدرجة نادرة من البراءة فكشف عن الحيوانات جلودها وعن البشر طباعهم .. وسبحان الذى يغير ولا يتغير .

● حيوانات نبيلة .. وأخرى وضيعـــــة

« الضب والخنزير لايلقيان شيئا من اسنانهما ابدا . كل حيوان يعوم بالطبع الا الانسان والقرد . وكل ذى عين فان اهداب عينه فى الجهة العليا فقط الا الانسان فانه من الجهتين والفرس لاطحال له . والبعير لامرارة له . والحيات لا ألسنة لها والسمكة لارئة لها لانها تتنفس من كبدها ، وكل حيوان لا حافر له فله قرن ومالا قرن له فله حافر . والحيوانات المتهمة باللواط القرد والخنزير والحمار والسنور . والعيون التى تضيىء بالليل عين الاسد والنمر والافعى والسنور . والذى يدخر القوت من الحيوان والانسان الفأر والغراب والنحل والنمل . والذى يحيض من الحيوان والانسان الفرس والكلب والارنب والضبع والخفاش فتبارك الله احسن الخالقين »

هذه ملاحظة الشيخ القادم من أبشوآى

ولا ندرى اهى ملاحظاته عن الحيوانات البعيدة عنه ام الناس الذين يعيش فى وسطهم . انه يصف عالما غريبا تتداخل فيه صفات النبل والوضاعة . ولعلنا نضيىء جانبا خفيا من جوانب هذا الانسان اللغز عندما نتعرض لبعض من هذه الحيوانات .

يقول الابشيهى « ماخلق الله شيئا من الدواب خيرا من الابل . ان حملت اثقلت وان سارت ابعدت . وان حلبت ردت . وان نحرت اشبعت »

وهذا التحيز للابل ليس غريبا . اننا نجده ايضا عند « الجبرتى » وهو يتحدث عن البقر قائلا انها « عماد العالم » وهو يستقى هنا خبرته كفلاح مصرى يعيش على ضفة النيل مثلما يستقى الابشيهى خبرته الشفوية من تراث البدوى الاول فى الصحراء . والجمل حيوان يكون فى الغالب طائعا مستسلما لكل مايفعله به الانسان . ويقول ان قافلة من الجمال كانت

مربوطة الى بعضها بواسطة احد الحبال وجاء احد الفئران وجذب الحبل فسارت القافلة كلها وراءه ولكن على مقدار هذا الصبر وهذه الطاعة فليس لشيء من الفحول مثل ما للجمل عند هياجه .. وهو من الاحرار لايعاشر امه ولا اخته . وقد قيل ان بعض العرب ستر ناقته بثوبه ثم ارسل عليها ولدها . فلما عرف ذلك ثار غاضبا فأكل حليله ثم حقد على صاحبه حتى قتله .

والخيل ايضا من الحيوانات النبيلة .. وسميت بذلك لانها تختال فى مشيتها . وهى حيوان مشرف . خلق بشكل خاص فى لحظة خاصة فالحديث الشريف يقول ان ظهورها عز . وبطونها كنز . والخير معقود بنواصيها الى يوم القيامة . وعندما اراد الله ان يخلق الخيل جمع الريح واخذ منها قبضة وقال له . خلقتك عربيا وفضلتك على سائر البهائم . فالرزق بناصيتك . والغنائم تقاد على ظهرك . وبصهيلك ارهب المشركين واعز المؤمنين . وذكر الخيل اقوى من الانثى وكانت غلطة فرعون حين طارد موسى انه كان يركب فرسا انثى . وسار جبريل امامه راكبا ذكرا فتبعته خيول فرعون حتى غرقت جميعا .

هل يمكن ان نعتبر الاسد حيوانا نبيلا ؟ انه يجمع فى داخله العديد من المتناقضات . من شجاعة وجبن . ومن تهور وفرار . فهو شريف النفس لايعاود فريسته ولا يأكل من فريسة غيره ولايشرب من ماء ولغ فيه كلب . ولا يقرب المراة خاصة اذا كانت حائضا ولكنه يجبن احيانا فيفر من صوت الديك او هسيس الفار . وعندما صنع سيدنا نوح فلكه الشهير واختار من كل زوج اثنين هتفت الحيوانات فى جزع .. كيف نطمئن ومعنا الاسد . فسلط الله عليه الحمى وهى اول حمى نزلت على الأرض ولم يبرأ الاسد من مرضه الا بعد ان غاض الفيضان وانصرف كل حيوان الى حال سبيله .

ولكن الحيوانات كلها ليست بمثل هذه الدرجة من النبل طبعا.. النبل نادر بينها .. وبيننا ايضا ولعل اشهر الحيوانات الوضيعة هى « الافعى » انثى الحيات .. الانثى دائما . سمها بالغ الضراوة حتى انها نهشت ناقة وابنها يرضع منها فمات الرضيع قبل ان تموت الام . وهى اعدى عدو للانسان . اذا قطع ذنبها عاد كما كان . واذا قلع نابها نبت بدلا منه . تكره الماء وتعشق الخمر . وفى مثل اى انسان اهوج تشرب .. وتسكر .. وتعرض نفسها بذلك للقتل . وهى انثى غريبة تهرب من الرجل العريان وترقص للنار ويقال ان دمها يجلو البصر . واذا علق قلبها على انسان لايؤثر فيه السحر .. من اكل لحمها فقد آمن من الامراض العصبية

وربما كان البعوض يشابه الافعى فى درجة الوضاعة . ومن المدهش ان البعوض على خلقة الفيل . بل انه اكثر اعضاء منه . واشد ايذاء منه ايضا .. ولعل كل من تعرض للدغ البعوض والبرغوث قد سال نفسه هذا السؤال الابدى .. لماذا خلقهما الله ؟ ويجيب احد المشايخ ببساطة .. حتى يوقظا النائم للصلاة . وحتى الان لا توجد اجابة اخرى

وهناك حيوان اخر حلت عليه اللعنة رغم قوته ومنفعته انه البغل المسكين وهو مركب من الفرس والحمار لذلك له صلابة

لوحة أخرى من « عجائب المخلوقات »
محفوظة في متحف فريرجا ليرى بواشنطن





هل الاسد حيوان اليف؟

الحيوانات كلها ليست
بنفس درجة النبــل

الحمار وعظم الخيل . ولكنه عقيم لانسل له . وسبب ذلك هو دعاء سيدنا ابراهيم عليه السلام فعندما وضعوه فى النار كان البغل هو اسرع الحيوانات فى نقل الحطب اليه . مازال نسله مقطوعا حتى الان . ويحمل البغل اشر الطباع لان فى داخله اجتمعت كل الاخلاق المختلفة والعناصر المتباعدة .

● حيوانات متنكرة

ومازال الشيخ الابشيهى يرى العالم بنفس درجة الدهشة ..

فالارنب ينام وعيناه مفتوحتان ويأتى الصياد فيظنه مستيقظا ، واذا ملك زوجته فإنها تجرى به وهو راكب عليها ويجرى معها . والصقر هو اشد الحيوانات تكبرا واضيقها خلقا . ومن أكل لسان الببغاء صار فصيحا . واذا جفف دمه ووضع بين صديقين صارت بينهما خصومة وكل حيوان اناثه ارقى صوتا من ذكوره الا البقر . وهى تعاشر الذكر مرة واحدة كل عام ، واذا اشتد شبقها تركت المرعى وذهبت . أما البومة فهى مثل الخفاش عدوة كل الطيور لذلك يضعها الصيادون فى شباكهم حتى يقع عليها كل الطير المحب للانتقام . ولا تخرج البومة فى النهار ابدا لانها تعتقد أنه لا مثيل لها فى الحسن وتخاف من الحسد . اما التمساح فيرسل له طائرا يسمى «القطقاط» يدخل فمه وينظف اسنانه وعندما يرتاح التمساح يطبق فمه عليه ليأكله ولكن الطائر يضربه بريشة حادة فى جناحه فيضطر التمساح الجحود لفتح فمه ، والرزق مقسم ابدان مسلطة على ابدان الذئب يصيد الثعلب ليأكله . والثعلب يصيد القنفذ . والقنفذ يصيد الافعى والأفعى تصيد العصفور والعصفور يصيد الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير تصيد النمل ، والنمل يأكل كل مايتسر من صغير وكبير فتبارك الله الذى اتقن ماصنع .

والجراد حشرة ضعيفة ولكن فى خلقتها عشرة من الجبابرة وجه فرس وعينا فيل وعنق ثور ، وقرنا ايل وصدر اسد وبطن عقرب وجناحا نسر وفخذ جمل ورجلا نعامة وذنب حية أما الجرو أو الكلب الصغير فله مشكلة خاصة فالوحى لا يأتى أبدا فى حضوره . أما الحدأة فهى أخس الطيور ، لا تصيد الا خطفا . وهى طرشاء عسراء لا تخطف الا من الجهة اليمنى والحرباء تسعى دائما فى طلب الشمس . لذا يقال أنها مجوسية وكلما غنى لها الاطفال تلونت بكل الالوان والحمار يسمى ابو محمود . وهو بئس المطية أن أوقفته ادلى . وان تركته ولى كثير الروث قليل الغوث سريع الى الفرارة بطىء فى الغارة لا توفى به الدماء وتمهر به النساء . ولا يحلب فى الاناء . والحمام الرقيق الذى يهوى الملاعبة والتقبيل فهو يشغل الغاوى عن الصلاة .. ومن لعب بالحمام لم يمت حتى يذوق الم الفقر ويعانى الخنزير من شدة الشبق فهو يجامع اثناه وهى سائرة فيرى فى مشيتها ستة أرجل ونابه أمضى من السيوف ويأكل الحيات ولا يؤثر فيه سمها . واسم الدلال للدجاجة هو أم ناصر الدين وهى تخاف الليل لذا لا تنام الا

بقدر ما تتنفس . وللذباب فائدة رغم كل شيء فهو يحرق ويخلط بالكحل واذا اكتحلت به المرأة كانت عيناها كأحسن ما تكون . ويتصرف طير الشاهين بحماقة

شديدة فهو ينقض على الطير بشدة وربما يخطئه فيضرب نفسه في الأرض فيموت . وحيوان الضب اشد حماقة فهو يخرج من جحره ولا يستطيع العودة اليه . ولا يحب الضبع شيئا بقدر حبه للحم الأدمى حتى انه يحفر قبور الموتى . وليس هناك من هو اكثر ذكرا لله من الضفدع فهو لايكف عن التسبيح . ومن عجيب أمر الغزال الرقيق انه يأكل الحنظل بشهيه ويعب من الماء المالح . ويسمى العجل عجلا لان بنى اسرائيل إستعجلت فى عبادته . ويستطيع العقرب الصغير أن يلسع التنين الهائل فيقلته . ويعشق ابن عرس الذهب ويتخصص فى سرقة الدنانير الذهبية ولا يجتمع الغراب مع زوجته الا كالانسان خفية عن الاعين ويسمى الفأر أم خراب . ويقال انه من بقايا الممسوخين الذين كانوا يهودا . ومن اراد ان يعلم ذلك فليضع لها لبن ناقة فى اناء فأن لم تشربه فهى منهم ولا تضع انثى الفيل وليدها الا فى النهر لانها لا تستطيع ان تثنى رجليها والفيل اكبر المخلوقات لكنه املح واظرف من كل نحيف الجسم رشيق وهو يمر دون ان يسمع احد صوت اقدامه . وشهرة القرد هى ابو خالد وهو قبيح وذكى وعنده لواط حتى أنه يعدو خلف المليح من شدة المحبة والكركى هو طير الملوك المحبب لانه شديد الادب فى حضرتهم واذا سار وطىء الارض بإحدى رجليه وبالاخرى قليلا خوفا من ان يحس به احد ولا يوازيه

فى الادب الا مالك الحزين وقد سمى بذلك لانه لا يشرب من الماء حتى يروى خوفا من ان ينقص الماء واذا جف الماء حزن لانه لا يستطيع العوم . و يطرب النمل للاصوات العذبة . وتنام النعام على بيض غيرها وتترك بيضها .

هكذا تتجمع الصفات وتتداخل .. ونكتشف انه يتحدث عن اناس مثلى ومثلك استبدلوا بثيابهم التقليدية الفراء والجلد الملون . ولكنهم اذا ابتسموا لك رأيت انيابهم واذا صافحوك انغرست اظافرهم فى كفك .

● الجن وعوالم اخرى

لم يبق اذن الا ان نهرب الى عالم الجان ..

سكنوا الارض قبل أن نسكنها وكرروا نفس الاخطاء التى نرتكبها كانوا امما وقبائل ثم تحاسدوا على الملك واغاروا على بعضهم البعض ولم تخمد نيران حروبهم وارسل الله عليهم ملائكته فهزموهم ونفوهم الى اقاصى المعمورة .. ويعيش ابليس زعيم الجان فى البحر المحيط .. لا يلد ولكنه يلقح كالطيور ويبيض ويفرخ ويخرج من كل بيض ستون الف شيطان يسلطهم على الخلق واقرب هؤلاء الشياطين واحبهم الى قلبه اكثرهم ايذاء للخلق .

والشياطين انواع الولهان الذى يسكن فى جزائر البحر ويتخصص فى اغراق السفن والسعلاة الذى يتزين بازياء النساء حتى يفتن الرجال حتى أنه

القرد لا يعرف السباحة
ولكنه حيوان مسانس





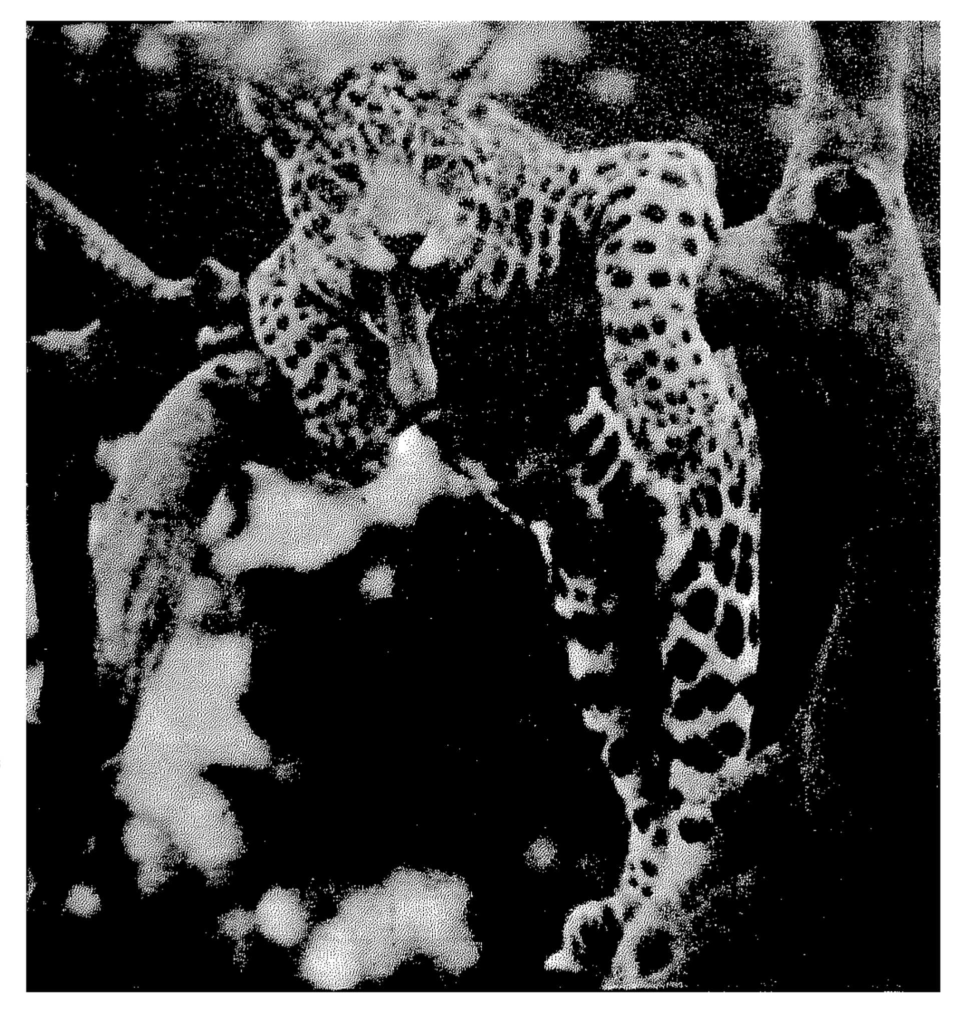
صفحة قديمة من كتاب «عجائب المخلوقات» تبين تميز الفنان العربي الصورة .. والرسم التوضيحي

يتزوجهم احيانا ومنها المذهب الذى يفتن العباد ولايقيم الا بالقرب من صوامع العبادة . والعفريت الذى يخطف النساء وهو دائم الشكوى لأن مهمته اصعب من باقى الشياطين .

ولم يخدع الشيخ الابشيهى نفسه فلم يذكر اى نوع من انواع الجن الطيب . ولايقف على البر ساكنا ايضا ولكنه يخلع ملابسه ويغوص الى اعماق البحار .

ما أعزب لحظة خلق الماء وما اشد شاعريتها فعندما اراد الله أن يخلقه خلق ياقوتة خضراء لا يعلم طولها وعرضها الا هو ، ثم نظر اليها بعين الهيبة فذابت وصارت ماء . واضطرب الماء فخلق الريح .

ولاحصر لمخلوقات البحر . منها سمك المنشار الذى يقسم السفينة الى نصفين وسمكة المنارة التى لا تترك المسافرين الا بعد أن يطبلوا لها ويغنوا بصوت عال . وحية البحر التى تصدر صوتا كالنساء يجذب اليها البحارة السذج والدرفين الذى ينجى الغريق بقدرة الله كذلك ينطوى



الأفواه مفتوحة لكل الحيوانات والرزق مقسوم

باطن البحر على المدن الغارقة . اثار القوم الذين بادوا .. يظهرون احيانا مثل ذكرى عابرة امام مسافر مشدوه ثم تختفي سريعا .

وتبدأ كل الانهار من الجبال وتنتهي في البحار .. واحلى هذه الانهار هو النيل المبارك . وهو اشهر انهار الجنة . ويقال ان كل انهار الجنة تخرج من اصل واحد من تحت قبة ارض الذهب ثم تشق طريقها عبر البحر المحيط ولولا ذلك لكانت احلى من العسل واطيب من رائحة الكافور ونهر الفرات اقل حلاوة من النيل ، ويفيض دجلة حتى يخشى على بغداد من الغرق ويقال أن الله امر النبى دانيال ان يحفر لعباده ما يستقون منه وينتفعون به فكان كلما مر بأرض ناشده اهلها أن يحفر عندهم حتى حفر دجلة والفرات .

ولا تنتهي عجائب الشيخ الابشيهي ولا تنتهي عجائب الزمان . فسبحان الذى سوى كل شىء وجعل اعجوبته الكبرى هي الانسان .



بين البقاء والفناء

بقلم : د. جمال مختار

Islamic Cairo

During a brief stop-over in Cairo recently, I was ...ndly shocked to see the state of deterioration into which ...e of the most important Islamic monuments of the old city have ...llen. Specifically:

- Sultan al Ghoury mosque/mausoleum/madrassa complex, which has lost a dome and whose floor has recently caved in, apparently as a result of recent road-works, and

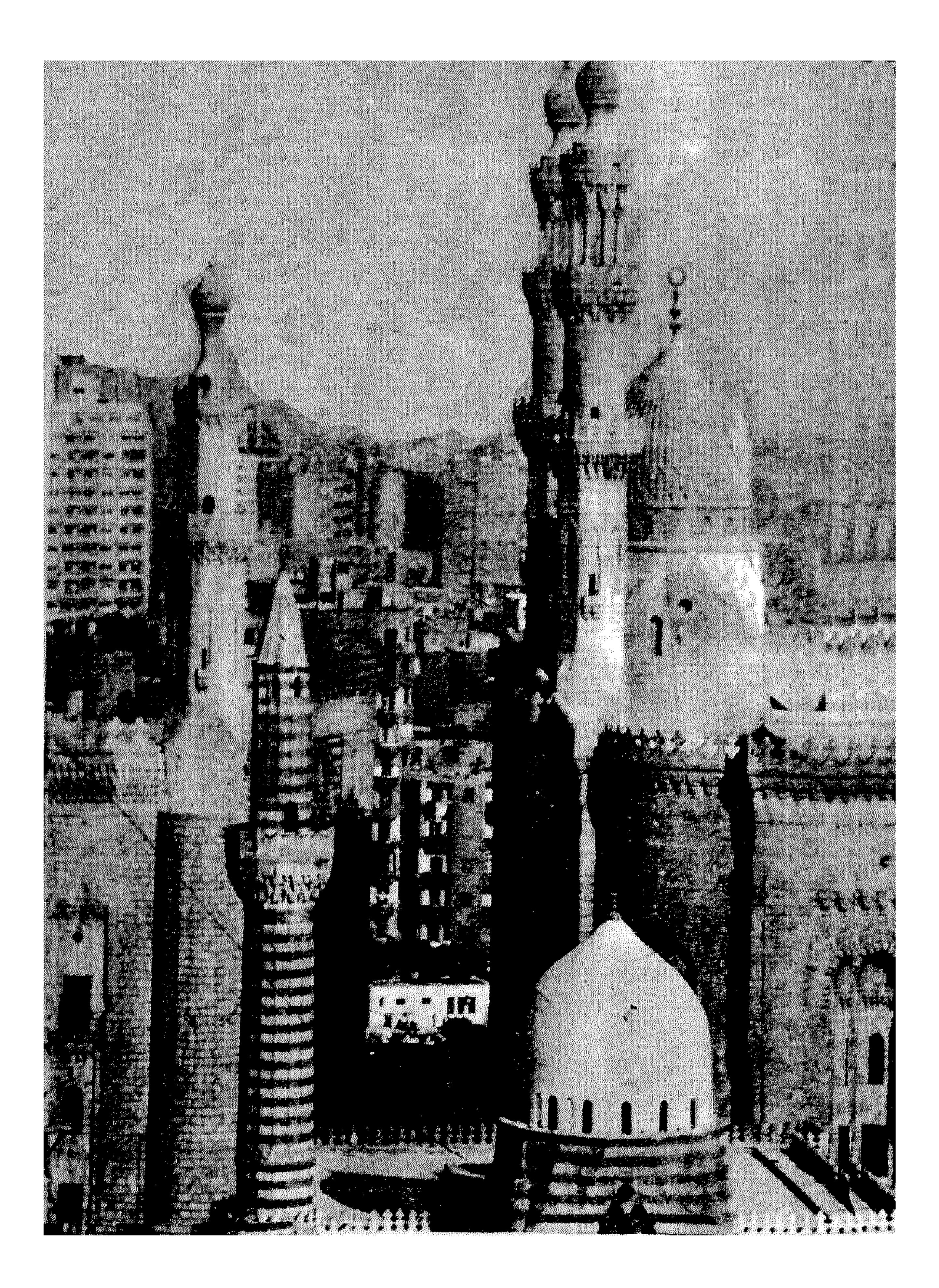
- Beit Seheimy, one of the finest Ottoman palaces of ...iro, now closed and shored up with wooden props, which is also ...rently in danger of collapse.

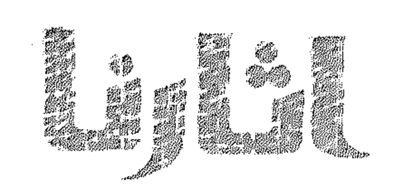
I was informed by friends that restoration works ... both monuments, but it is my impression that in view ...dy advanced state of deterioration, urgent action ... to save these (and possibly other) important

رسائل لليونسكو تبرز الاهمال الجسيم الذى يهدد اثارنا بالدمار !

اثارنا مهددة بالفناء ، وهناك عوامل كثيرة تسببت فيما ألت إليه هذه الآثار ، سواء الفرعونية أو الاسلامية وغيرهما ، ووراء ضياع اعظم الثروات فى العالم كله وأغناها .

وفى كثير من الأحيان لا نتحرك لمواجهة الخطر فى الوقت الذى نجد فيه بعض الأقلام تتناول أثارنا بالكتابة عنها والتنويه بالخطر ، حتى أن اليونسكو اضطرت أخيرا الى ارسال خطابات بهذا المعنى للتنبيه عما سوف يحدث من جراء الاهمال الجسيم ، وهو ضياع هذه الآثار ودمارها ! !



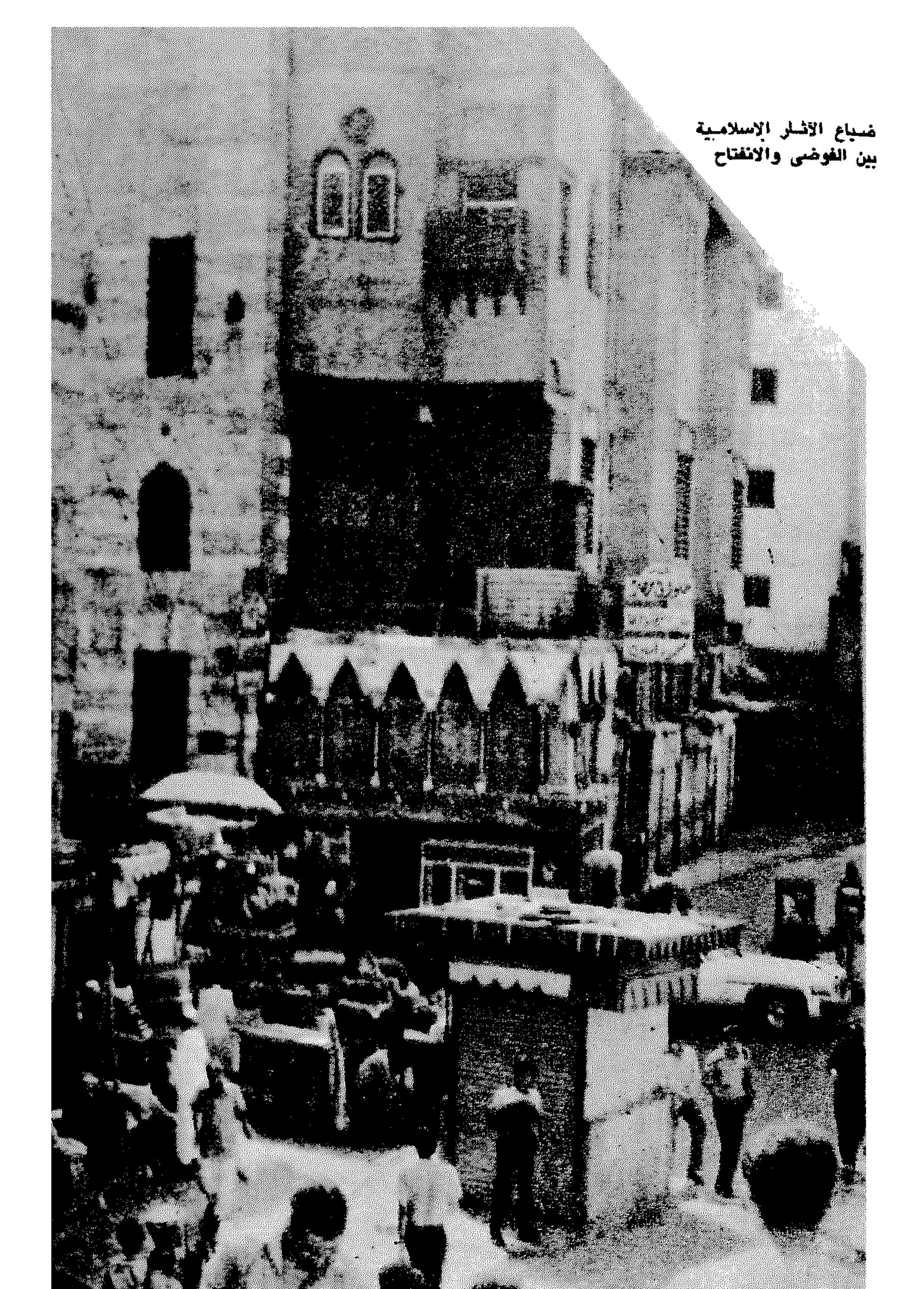


● اليونسكو وحملات مكثفة

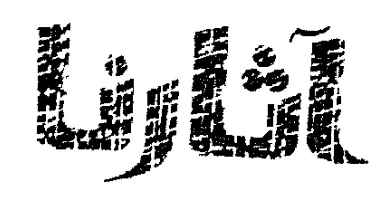
وليس من شك فى أن اثار العالم تجتاز الآن مرحلة خطيرة ودقيقة ، تؤكدها عشرات الحملات الدولية التى يقوم بها اليونسكو فى سبيل إنقاذها ، كحملات إنقاذ اثار النوبة بمصر وحملة اثار فينيسيا (البندقية) وفلورنسا بايطاليا ، والأكروبول باليونان ، وقرطاجنة بتونس ، وفاس بالمغرب وحى القصبة بمدينة الجزائر وغيرها فى كثير من البقاع والمناطق الأثرية المنتشرة فى العالم .

أما فى مصر فالخطر أكبر والمشكلة أعقد ، فهناك مخاطر طبيعية وبشرية عديدة تهدد آثارنا ، وهى ناتج عوامل بعضها قديم ارتبط بالزمن ، والبعض الآخر حديث فرضته ظروف الحياة المعاصرة ، وتكمن الأهمية الزائدة لهذا الموضوع فى أن مصر من أكثر بلاد العالم آثارا ، ففيها مئات المواقع الأثرية الفرعونية التى تضم بعضها آلاف المقابر والمعابد ، ومختلف الأبنية الأثرية والتى مضى على بعضها قرابة الخمسة آلاف

لو كان الحجر ينطق .. لصرخ



ضياع الآثار الإسلامية
بين الفوضى والانفتاح



عام ، ولدينا آثار يونانية ورومانية وقبطية وبيزنطية فى انحاء الوطن كافة ، وتحتاج الى ترميم وصيانة دورية .

● مرارة الاستغاثة

أما الآثار الاسلامية ، فيكفى فى الحديث عنها تناول مدينة القاهرة التى تضم العديد من الآثار الاسلامية ، يتجاوز عددها الخمسمائة أثر ، وتمثل فترات التاريخ الاسلامى التى مرت على مصر منذ الفتح الاسلامى ، وتعد بعض المناطق مثل الجمالية والدرب الأحمر والخليفة وباب الشعرية ومصر القديمة من المناطق المزدحمة بتلك الاثار التى يمثل بعضها أثارا دينية كالجوامع والمدارس والخنقانات وبعضها آثار حربية كالقلاع والحصون والأسوار والأبراج والبوابات ، وبعضها أثار حديثة مثل الأسبلة والحمامات والمدارس والكتاتيب والوكالات والبيوت ، فضلا عن الآثار الحديثة والمتاحف التى تضم آلاف القطع النادرة .

وهذه الآثار تحتاج إلى انقاذ وترميم واصلاح وعلاج وتقوية وصيانة وحماية ووقاية ، واعادة بناء وتنظيف وتجميل والواقع أن ذلك الخطر على الآثار يرجع الى عوامل طبيعية أو بيئية وأخرى بشرية من قبل الانسان .

● العوامل الطبيعية : وتجرى مواجهتها بالترميم والصيانة والتقوية والانقاذ ، وتستعين الهيئة المختصة فى سبيل ذلك بأحدث الطرق العلمية والتكنولوجية .

● العوامل البشرية : وفى مقدمتها التوسع الزراعى ، وما يتبعه من مشروعات الرى و الصرف ، مما يزيد فى نسبة الرطوبة الجوية وفى ارتفاع مستوى المياه الجوفية ، كما تؤدى بعض مشروعات الرى الى غرق الآثار تماما ، كما يؤدى الصرف الصحى وشبكات المجارى فى كثير من الاحيان إلى رفع منسوب المياه الجوفية ومن ثم إلى ظاهرة الطفح التى تضر بكثير من الآثار .

● المنشآت السياحية وغيرها : وقد ادى تزايد الحركة السياحية إلى اقامة بعض المشروعات السياحية داخل مناطق الآثار ، ومن أمثلة ذلك ، المقاصف ، والأسواق والاستراحات .

● كما أن بعض المشروعات الصناعية والترفيهية والتجارية وبعض المنشآت العسكرية . تهدد بعض الآثار تهديدا مباشرا .

● والى جانب ذلك فإن حركة المواصلات ومشروعاتها من برية وجوية ومائية ، تؤثر فى قلقلة الآثار واهتزازها فى بعض المناطق

● التعدى على التلال الأثرية : تتوزع هذه التلال على مختلف أنحاء البلاد ، داخل نطاقات المزارع والمدن والقرى ، وتشغل مساحات تزيد على ٢٥٤ الف فدان ، وتتعرض لكثير من مظاهر التعدى ، سواء بالنهب أو التجريف ، مع أن الدراسات الأثرية والعلمية تؤكد احتمال ضمها للآثار ، كمبان أثرية ، أو بقايا

مستوطنات ومراكز سكنية ، او اطلال مدن وبلدان قديمة ، أو غير ذلك من المعالم الأثرية .

ومن أجل ذلك تحاول الهيئة المختصه منع استغلالها ، وتتحمل مسئولية حراستها حتى يتم جس أرضها والتنقيب عنها واستنقاذ مايحتمل ان يوجد بها من قطع أثرية ، فاذا ثبت عدم وجود آثار أو بقايا أثرية بها ، تم تسليمها للدولة لاستغلالها على النحو الملائم زراعيا او عمرانيا ، مما يحتاج إلى اعتمادات كبيرة وجهود شاقة ، تستدعى دعما كافيا ومستمرا حتى يمكن تصفية اوضاعها .

القرى والمستوطنات السكنية داخل المناطق الأثرية : تنتشر داخل بعض المناطق الأثرية أو على جوانبها بعض القرى والمستوطنات السكنية ، مما يعرض الآثار للسرقة والنهب ، أو التعدى بالتشويه وسوء الاستخدام ، بل والسكنى احيانا بالمبانى الأثرية ، الى جانب مايسببه بعض السكان من مضايقات ومتاعب للسائحين والزائرين ، ولرجال الآثار انفسهم .

ومن امثلة هذه القرى والمستوطنات :

● قرية « نزلة السمان » الملاصقة لمنطقة اهرامات الجيزة ، والتى بنيت فوق معبد الوادى للملك خوفو .

● قرية « ميت رهينة » المبنية بين اطلال مدينة « منف » القديمة .

● المساكن المتاخمة والمتداخلة مع معبد « الكرنك » فى الاقصر الشرقية .

● قرية « القرنة » المقامة داخل جبانة « طيبة » بالأقصر الغربية .

● قرى أخرى عديدة منها « الطارف » و « ذراع ابو النجا » .

الايواء فى المبانى الأثرية : ويتم ايواء

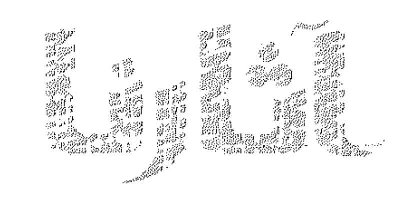
اليونسكو القاهرة الإسلامية

خلال وقفة قصيرة فى القاهرة اخيرا صدمت لرؤية حالة التدهور التى ادت الى انهيار بعض اهم الآثار الاسلامية للمدينة القديمة وعلى وجه التحديد جامع السلطان الغورى / الضريح / مجمع المدارس الذى فقد قبته وانهارت ارضيته اخيرا كنتيجة لأعمال الطرق كما هو واضح

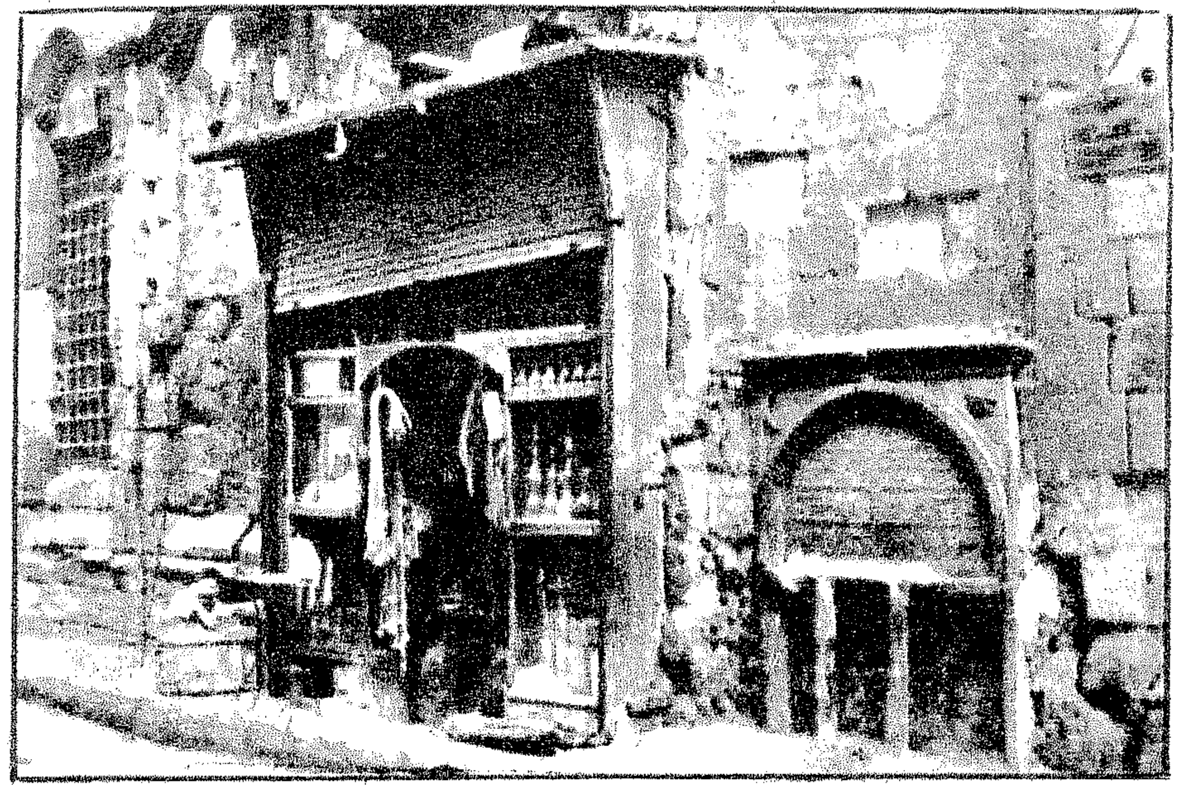
- بيت السحيمى أحد اجمل القصور العثمانية فى القاهرة مغلق الآن ومحاط بالاعمدة الخشبية مما يدل على انه معرض لخطر الانهيار

- لقد علمت من اصدقاء ان هناك خطة لاعمال الترميم لكلا الاثرين ولكن من وجهة نظرى ان الحالة المتأخرة بالفعل لهذا التدهور تحتم القيام باتخاذ إجراءات سريعة لانقاذ هذه الآثار الهامة

● رسالة من اليونسكو تبين مدى اهتمام زوار آثارنا الإسلامية ، ومدى تخوفهم على انهيارها ودمارها !



البوتيكات فى
المباني والاثرية



محلات الانفتاح على ابواب المساجد

بعض الذين تهدمت مساكنهم فى بعض المبانى الأثرية لانقاذ عاجل حتى يتم توفير البدائل الممكنة ، مما يؤثر على سلامة هذه المبانى وتشويهها .

وعندما تتدخل الهيئة المسئولة لحماية تلك المناطق والمبانى الأثرية ، تنشب كثير من المشكلات المعقدة مع السكان الاخذين فى الازدياد ومن ثم تزداد حاجتهم الى المساكن والمرافق .

ولن يحل هذه المشكلة سوى اتخاذ سياسة واقعية تهدف الى نقل هؤلاء السكان من حرم الآثار الى اماكن جديدة بعيدة الى حد مناسب من مناطق الآثار والمبانى الأثرية .

● عدم التنسيق بين الأجهزة المعنية :

من المسلم به أن الهدف من قيام هيئة او مؤسسة على المستوى المركزى او المحلى ، هو خدمة الأهداف العامة للبلاد بالأساليب التى يحددها دستور الدولة وقوانينها وتشريعاتها ، وقد يحدث عندما تقوم جهة من هذه الجهات بعمل أو بتنفيذ مشروع معين ، أن تراه جهة اخرى ، من وجهة نظرها ، متعارضا مع مصلحة أو منفعة عامة ، وفى مثل تلك الحالات ، لايجب أن يعزى هذا إلى سوء القصد ، بل إلى التباس الامر او عدم وضوح الصورة ، أو إلى الحماس لتحقيق هدف مقصود .

ويجب أن يؤخذ هذا المبدأ العام فى الحسبان عند رسم السياسة التى تحدد العلاقة بين الجهة المسئولة عن حماية التراث الاثرى ، وبين الجهات الأخرى المسئولة فى الدولة ، لاسيما اجهزة الحكم المحلى وبعض الوزارات المعنية ، وذلك لاعتبارات عديدة من بينها :

● ضخامة المسئولية عن الآثار وتشعبها وأهميتها على المستويين المحلى والعالمى .

● تعرض التراث الأثرى للتصدى من جهات كثيرة مختلفة ، فى ظل ذرائع متعددة منها :

التوسع الزراعى ، او النشاط العمرانى ، او الأمن الغذائى ، او الرواج السياحى .

ومما يلقى مزيدا من الضوء على جوانب هذه المشكلة

● أن الأدارة المسئولة عن التراث الاثرى وإن كانت مركزية ، فإن مسئوليتها تمتد الى كل مكان توجد به آثار .

● أن توزع المواقع الأثرية على مختلف المحافظات يجعلها تحت السيطرة غير المباشرة لأجهزة الحكم المحلى .

● ان بعض المشروعات التى يرى الحكم المحلى ـ أو بعض الأجهزة الأخرى المسئولة انها ضرورية واساسية ، يحقق تنفيذها فعلا اهدافا قومية ، ولكن تنفيذها كثيرا ما يصطدم بحماية التراث الاثرى .

ومن مشاكلنا الكبرى فى هذا المجال ضعف الوعى القومى بتراثنا الخالد ، سواء من جانب الشعب ، وخاصة الأهالى فى المناطق المليئة باثار ، فهم كثيرا ما يعتدون على المناطق الأثرية ، او يساهمون فى سرقتها ونهبها ، أو من جانب الأجهزة الحكومية التى لا تكترث بقوانين الآثار ، او تؤمن بقدسية التراث .

وعلى صعيد آخر نجد أن العالم كله يحرص على المساهمة فى انقاذ آثارنا وترميمها والحفاظ عليها ، وقد كانت حملة انقاذ آثار النوبة ومساهمة مايقرب من نصف الدول الأعضاء فى اليونسكو مساهمة مادية او علمية او فنية خير شاهد

آثارنا

على ذلك ، كما رحبت فرنسا بانشاء المركز المصرى الفرنسى لترميم الكرنك وكذا هولندا قامت بانشاء المركز المصرى الهولندى لترميم معبد حتشبسوت بالدير البحرى بالضفة الغربية للاقصر ، وساهمت «ايطاليا فى ترميم مسرح الدراويش بالقاهرة ، وبولندا فى ترميم وتطوير منطقة آثار كوم الدكة والمسرح الرومانى بالاسكندرية ..

● الوعى العالمى والوعى القومى

بل نرى مدى الوعى العالمى والحماس الكبير لتراث مصر الخالد فيما ينشر فى صحف العالم متعلقا بآثار مصر وضرورة حمايتها وعلاجها فهذا مقال نشر منذ فترة قصيرة فى جريدة نيويورك تايمز الواسعة الانتشار عن المياه الجوفية ومدى خطورتها على آثار مصر ..

ذكر مراكبى مصرى يدعى محمد أن النهر حياته كما كان بالنسبة لوالده من قبله وسيكون لابنه من بعده ــ والنهر لايهجر ابناءه .. ومع ذلك فعلى طول ضفاف النهر حيث تزايدت التجمعات البشرية خلال الألف عام واعترض المهتمون بتضاؤل قدرة مصر القديمة على الصمود امام تحديات الجديد !

فالآثار التى تحملت آلاف السنين وعاشت حتى فى الهواء الملوث وتدفق السائحين تواجه الآن خطرا جديدا نتيجة زيادة المياه الجوفية والتلوث الذى يهدد حتى الآثار التى لم يتم اكتشافها والتى كان يعتقد أن الرمال التى تغطيها تحميها .

« كنا نعتقد أن الاثار التى لم يتم استخراجها من التراب بمأمن لكننا وجدنا البيئة الأصلية لها غير صالحة فحتى المواقع التى لم يتم حفرها تعانى من هذه القوى الهدامة وذلك من وجهة نظر « كينت ويكس » الأمريكى المتخصص فى المصريات فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة ومنذ سنوات طويلة اعترف المتخصصون فى المصريات بالخطر الذى يهدد التحف التى لم يتم اكتشافها .. ولكنهم ظلوا على اعتقادهم انه يمكن بقاء الآثار فى باطن الأرض بمأمن لاكتشاف الأجيال القادمة لها فى المستقبل واعطاء الفرصة حاليا للعلماء للتركيز على الآثار التى تم اكتشافها بالفعل ..

ولكن تبعا للعديد من الخبراء فهناك دلائل من الاكتشافات الجديدة تبين الاضرار وقد تولد الشعور بضرورة القيام بالأعمال العاجلة منذ بناء السوفييت للسد العالى فى اسوان ــ أعلى النهر فى مصر ــ والذى أدى الى حدوث تغيير أساسى للبيئة فى وادى النيل ــ الشريط الرفيع الخصب الذى يغطى نحو ٣٪ من مساحة مصر ويعيش فيه معظم الشعب المصرى البالغ عدده ٥٥ مليون نسمة ..

وعندما عمل السد فى الستينات احتجزت مياه الفيضان واستخدمت فى مواسم التحاريق وبذلك تمكن المزارعون من زراعة الأرض مرتين فى العام وامتلأت قنوات الرى على مدار العام .. ومن قبل كان فيضان النيل يقتضى زراعة محصول واحد فى السنة مع انحسار مياه الفيضان .. فى نفس الوقت الذى ازدادت فيه فرص الحصول على الغذاء وتقدمت الرعاية الصحية واصبح هناك وقاية من الفيضان والجفاف ازداد عدد سكان

مصر.. ومع عام ٢٠٠٠ وتبعا للتقديرات المصرية والغربية سيزداد عدد السكان الى اكثر من ٧٠ مليون نسمة فى الوقت الذى تعجز فيه الارض المتاحة للزراعة التقليدية والاسكان عن التوسع لمواجهة هذا النمو ..

وبالنسبة للثروات الأثرية العظيمة التى اكتشفت فى مصر والتى تعد أكبر اكتشافات فى العالم أدت هذه التغييرات الى كارثة بدأ من أبى الهول فى الشمال الى معبد الاقصر ..

وقد ارتفعت نسبة المياه، الجوفية وازداد الجو رطوبة بسبب امتلاء قنوات الرى باستمرار كما سرت أملاح التربة فى الأبنية القديمة وفصلتها عن الصخرة المقامة عليها كما لوثت مياه الصرف التربة ومع ازدحام الزائرين وزيارتهم للأماكن فى مدينة الأحياء ومدينة الموتى على كل ضفة للنيل تهتز اوتوبيسات الرحلة فوق القبور ويملأ العرق غرف المقابر التى كانت فى عزلة من قبل .

ويقول بعض المتخصصين أن العرق داخل مقبرة توت عنخ آمون يوميا يعادل ٦ جالونات من السائل الذى يتسرب الى الاكفان ويضر بألوان الحائط .

القاهرة ـ ٢٠ ديسمبر ١٩٨٩ .

جامع ابن طولون (٨٧٦)

أنه تراث عالمى للفن الاسلامى فى القاهرة : "تراث البحر الابيض المتوسط لـ ١٠٠ موقع اثرى ـ ايضا ـ وهناك ارتفاع لعمارة سكنية امام الجامع نفسه "انظر الصورة" على الرصيف المقابل امام باب الدخول . الارتفاع يزيد ٣ او ٤ أدوار من اجل نصف دستة شقق سكنية كان العمل يجرى بها" . فى ٢٠ ديسمبر .. وهكذا فإن المنظر على سماء نقية وكاملة والتى كان المرء يراها من ساحة هذا الجامع الكبير .. سوف يتم شرخها بهذه الحماقة ـ وهناك شك أن يكون البناء قد حصل اصلا على تصريح .. واذا لم يكن الأمر كذلك فإنه لاتوجد اذن اية دائرة محمية حول الجامع (أو حرم خارجى للجامع) .

● **ورسالة أخرى من اليونسكو تبين التعديات التى تمت حول الاثار الاسلامية وأضاعت معالمها تماما .. فهل ننتبه الى ذلك ؟!! ..**



وتشد بعض اعمدة معبد الاقصر الى سقالات خشبية بسبب تحركها فى البيئة المتغيرة .

ومنذ عامين سقط أحد الأحجار الجيرية لابى الهول وهو مايعطى مؤشرا لانهيار الاثر الذى يقدر بنحو ٧٠٠ رطل ..

وقد اكتشف الباحثون الامريكيون العاملون فى معبد الكرنك مؤخرا كمية كبيرة من الرمال المحيرة أثناء عمليات الاكتشاف وانتهوا الى أنها كانت من قبل احجارا رملية تحللت فى باطن الأرض من خلال تغيير التربة حولها .

وفى أوائل عام ١٩٨٨ افتتح قبر جديد لأول مرة فى وادى الملوك إلا أن تسرب مياه الصرف من الأنابيب المكسورة كان ضخما لدرجة حالت دون القيام بأى عمل لمدة ستة اشهر ..

وقد ذكر عالم امريكى آخر فى المصريات انه لايوجد مكان واحد فى مصر يخلو من التهديد ..

وأثناء مناقشتهم للقضايا التى تؤثر على مستقبل بعض العلامات الكبرى فى تاريخ البشرية .. اتفق العلماء المصريون والأجانب بأن هناك حاجة ملحة للجهود الدولية للحفاظ على الآثار .

وقد ذكر أحد المتخصصين الغربيين أن أنواعا معينة من الآثار تحلل أمام أعيننا ولكن عملية التجديد بطيئة وستأخذ المزيد من الوقت فى أبى سمبل مشيرا إلى أن الجهد الرئيسى ذهب لاعادة تركيب أبى سمبل بعد ارتفاع الماء خلف سد أسوان .

ويكشف السائحون عن مصدر النقاش بين العديد من البيروقراطيات المصرية المتصارعة التى كان لها الكلمة فى كيفية الحفاظ على الآثار المصرية وتطويرها .

وذكر أحد الخبراء الغربيين أن هناك نزاعا مستمرا بين وزارة السياحة التى تحاول تشجيع صناعة نشطة ووزارة الثقافة التى تحاول حماية الآثار التى لاتقدر بثمن .

وأساس النقاش هو الملاحظة المعروفة لكل من المصريين والأجانب أنه لم يتعامل أحد مع مشكلة بهذا الحجم .

وفى السنوات الأخيرة على سبيل المثال ـ مر المواطنون بتجربة أساليب حماية معبد الكرنك الذى يرجع تاريخه الى ٤ الاف عام من ارتفاع منسوب المياه الجوفية عن طريق حفر خندق حولها لتجفيف المياه الزائدة .. ولكن امتلأ الخندق نفسه بالمياه وضاعف من حجم المشكلة .. وقد أغلقت بعض المقابر ببساطة لايقاف تدهورها .

وقد ذكر أحد المتخصصين الأمريكيين ان ضخامة المشكلة هى احد الأعتبارات الرئيسية والاعتبار الثانى هو أننا لانعرف ماذا نفعل لأنه لم يقم اى أحد بهذا من قبل ..

× × ×

ومن بين الأهتمام العالمى بآثارنا تلك الخطابات التى وصلت عن طريق اليونسكو من العديد من المهتمين بالآثار المصرية فى كافة انحاء العالم ، يستفسرون فيها عن اشاعات أو اخبار تثير القلق منها خطاب يتساءل عما يتخذ من اجراءات

لانقاذ مجموعة جامع السلطان الغورى الأثرية ، وعن بيت السحيمى وهما من الآثار الاسلامية بمدينة القاهرة ، .وعن الخطوات التى اتخذت لترميمهما .

وايضا خطاب يسأل صاحبه عن مدى صحة الاشاعة التى تردد الموافقة على انشاء طريق يستخدم التلفريك للصعود الى جبل موسى بسيناء ، مما سيؤثر على قدسية المنطقة ..

وآخر يتحدث صاحبه عن بعض العمائر الحديثة التى اقيمت بالقرب من جامع ابن طولون ، وذلك شوه روعة الأثر ، وما أكثر الاثار الاسلامية التى زحفت عليها المدنية وأثرت على جمالها .

● التوعية بالآثار

ومما سبق يتضح بجانب قيام الدولة بدورها تجاه اثارنا حتمية جديتها فى هذا المجال .. وتعاون جميع الأجهزة الحكومية فى تنفيذ ذلك .

فإنه من الضرورى الأهتمام بالتوعية بالآثار . حيث لن تكفى الجهود الرسمية مهما تكثفت ، ولا اهتمامات المثقفين مهما اخلصت لحماية التراث الاثرى والحفاظ عليه ، وذلك لطبيعة الآثار ذاتها ولتوزيعها على امتداد القطر المصرى بأكمله فى واديه ودلتاه .

إن الحفاظ على هذا التراث يلزم أن تتسع دائرته لتشمل الشعب المصرى بمجموعه وعلى اختلاف طبقاته ، أى يتحول الأهتمام بالآثار والحفاظ عليها من مجرد امر يهم فئة من المجتمع الى قضية عامة ، بحيث تصير محط اهتمام المجتمع برمته ، بل لابد أن تكون محط اهتمام رجل الشارع ايضا .



جبيرة .. فى صدر ابى الهول

والرسالة التى يجب ابلاغها إلى فئات المجتمع ، ينبغى أن تكون واضحة وبسيطة ، وتخاطب فى الانسان المصرى عقله وعاطفته فى آن واحد ، وتسير فى خطوط متوازية مبنية على الحقائق التالية .

أولا : أن التراث الأثرى ليس مجرد أحجار خرساء أو أطلال دارسة أو بقايا ابدع اجدادنا فى صنعها وتشكيلها ، وأنما هو التجسيد المادى لتراث روحى وفكرى وفنى اصيل ، ونحن نتاج له ، ولن يمكننا أن نفهم انفسنا أو نقدر الطاقات الكامنة .



فى اعماقنا الا إذا اكتشفنا هذا التراث وفهمناه ، وقدرناه حق قدره ، وبما أننا أبناء له ، فلا مجال للتضاد بيننا وبينه ، واحترامنا له إنما هو فى الواقع احترام لذواتنا .

ثانيا : – ان حبنا لوطننا واحساسنا بالأنتماء اليه ليس مجرد شعارات ترفع أو اغان تردد ، وأنما يقتضينا ان نقدر قيمة كل ماهو مصرى ونحترمه ونعكف على دراسته ونستخلص معانيه ونستلهم مثله العلياء وبذلك تكون الآثار من أهم الوسائل التى تساعد على تعميق الشعور بالانتماء القومى الى تراب مصر والأعتزاز بكل ما هو مصرى .

ثالثا : ان تتبع مسيرة الحضارة المصرية بانجازاتها وكبواتها على مدى آلاف مؤلفة من السنين لجدير بأن يزرع الثقة فى نفس المصرى ويقوى ايمانه بقدرته على مغالبة الصعاب وتخطى النكسات ، لأن النظرة الى ماضينا ستثبت له حقيقة واحدة هى استمرارية الوجود المصرى ، وان الكبوات ماهى الا ظواهر طارئة وقعت وتقع ، ولكن مصر قادرة دائما على النهوض منها لتمضى فى مسيرتها الى ما شاء الله .

رابعا : ان الآثار تلعب دورا حيويا فى بناء ودعم الاقتصاد المصرى وامكانياتها الهائلة فى هذا المجال لم تستثمر حتى

سانت كاترين – سيناء
٢٠ ديسمبر ١٩٨٩

إن الدير فى حاجة الى السلام والهدوء والاحترام – ولكن السيارات تصعد حتى الابواب هذا رغم وجود حاجز من السلاسل ولكنه سهل الاختراق – والاكثر ان هناك حديثا عن مشروع اقترحه رجل اعمال سويسرى : تليفريك للسياح (ويقال من اجل تبرير المشروع ان ذلك سوف يخدم ايضا القساوسة كبار السن) من اجل تأمل الدير من فوق جبل موسى ومن اجل ايجاد دخل لهذا الكنز الذى تملكه البشرية واذا كان المكان ليس بعد تراثا عالميا الا انه اعتبر منطقة محمية (او محمية) بقرار من رئيس الجمهورية .

الا يعلم الرئيس مبارك انه عندما يعطى الضوء الاخضر لمشاريع سياحية من هذا النوع (الذى يسبب صدمة) سوف يحول هذا المكان المقدس ، والذى يستحق ان يصعد اليه المرء باذلا مجهودا ، سوف يحوله الى مكان للاحتجاج اليومى تجاه وزير الثقافة وايضا مثار حملة لاستنكار هذا الاعتداء على مقدسات ثلاثة اديان .

إن السياحة لاتتطلب مثل هذا المشروع وإذا كان الصعود يعتبر حادا للغاية (او مرهقا للغاية) فلماذا لايتم انشاء مشروع لتشغيل مجموعة من الحمير من اجل ذلك وهو امر سيؤدي الى إتاحة فرص عمل اكثر عما انه سيكون مقبولا .

● ورسالة ثالثة عن طريق اليونسكو تحذر من اخطار ماقيل حول مشروع للتلفريك اقترحه رجل أعمال سويسرى بدير سانت كاترين

الآن .. الاستثمار الأمثل .

حقا ان جانبا من الدخل السياحى ، لايرتبط اساسا بالآثار ، ولكن علينا أن نعترف بأن معظم زوار مصر لايفدون اليها لمشاهدة معالمها الحديثة وانما يجذبهم اليها فى المجال الأول تراثنا الاثرى على اختلاف عصوره باعتباره تراثا متصلا وابداعيا وفريدا وذا أصل خلاق تمتد جذوره فى اعماق التاريخ .

خامسا : أن التاريخ والآثار وتعميق المعرفة بهما يمثلان جانبا هاما من المعرفة الاساسية للشعوب ، اذ من خلال الوعى التاريخى والاثرى تكتمل الثقافة القومية وتبرز الشخصية الوطنية ويحدث التكامل بين الماضى والحاضر والمستقبل ، كما أن الوعى بهما لأمر اساسى فى التكوين الثقافى المعاصر ، وركن ضرورى فى التطوير السياسى والاقتصادى والأجتماعى والتعليمى ، ووسيلة فعالة لتقوية الروح القومية وبلورة الشخصية المصرية ، وحافز هام فى سبيل بناء مستقبل مشرق زاهر ، ووسيلة لعبور جسور الأغتراب الثقافى بين الانسان المصرى المعاصر وبين تراثه وآثاره .

سادسا : ان المجتمع المصرى بوجه عام غير متجانس ثقافيا ولايزال يمر بمرحلة التقارب بين فئاته من الناحية الثقافية ، ولذا ينبغى الأهتمام بعنصر مشترك بين كافة أفراد المجتمع الا وهو التراث الحضارى والتاريخى وتنمية الوعى به بحيث يدرك كل فرد من المجتمع - رغم الاختلاف فى الامكانيات الثقافية والذهنية والمصالح الاقتصادية ان له صلة حتمية وعلاقة روحية وفكرية ومادية بذلك التراث فيهتم به ويحافظ عليه .

سابعا : انه يمكن من خلال الأمثلة التاريخية والشواهد الأثرية معالجة بعض مظاهر السلوكيات السلبية واللامبالاه ، بالدعوة الى التمثيل بالأجداد الذين بنوا هذا الوطن وحضروه ورفعوا ذكره ، مع التأكيد بأنه واجب حتمى على كل مصرى ، يفرضه العدل والحق وحتمية الوفاء ان يجلو حقائق ذلك التاريخ ويكشف عن عظمته وعن روعة وأصالة وعراقة حضارته ..

انه لامر حتمى على الشعوب الناهضة ان تستوعب تاريخها وامجادها السالفة لتكون اساسا لنهضتها الفكرية والروحية ، فقد علمنا التاريخ انه لابد وأن تبدأ النهضة الثقافية بالبحث عن الجذور والأعماق ، كما حدث فى عصر النهضة ابان الاسرة السادسة والعشرين الذى اطلق عليه « عودة الروح » او فى النهضة الأوربية حين امتزجت بحركة الولادة الجديدة (رنسيسانس) او ما حدث فى اليابان فى القرن الماضى .. وعلى هذا فمستقبل الأمة المصرية لابد أن يقوم اساسا على تراثه الماضى وكيان بلورة الانسان المصرى للمستقبل لابد أن يمتد الى الماضى وأن يعتمد على تعميق الوعى بتاريخه وتراثه وحضارته ..

ولذا فمن الضرورى وضع خطة توعية ذكية تقوم بشرح هذه المفاهيم وتخاطب كافة فئات المجتمع وتوجه الى قطاعات الشعب المختلفة : الأطفال - التلاميذ والطلاب الشباب والشيوخ - المسئولين ، كل من الزاوية التى تعنيه وتؤثر عليه تأثيرا مباشرا ، كما تستخدم كافة وسائل الأعلام والثقافة (الصحافة ، الأذاعة - التليفزيون ، الكتب والنشرات المسرح والسينما والمحاضرات والندوات)



رئيسة جورباتشوف

هل أسهمت في التمهيد للبريسترويكا ؟

بقلم : عبد الرحمن شاكر

هل هي محاولة من كاتب « البحث عن البروسترويكا» مصطفى الحسيني لاثبات المثل الشهير الذي يقول : إن وراء كل عظيم امرأة أم أنه محاولة منه لإغاظة المسز تاتشر ، التي تتباهى دائما أمام دوائر الغرب بأنها هي التي اكتشفت جورباتشوف ، حينما زار لندن والتقى بها قبل صعوده إلي منصب الأمين العام للحزب الشيوعي السوفييتي ، فيما بدا نجمه يلمع كمرشح أول لخلافة زعيمه المحتضر اندروبوف ، ولاحظت فيه نمطا مختلفا عن سائر من التقت بهم من الزعماء السوفييت ، وأنه كان يبدو بالقياس اليهم رجلا «متحضرا» ، متفتح الذهن ، مستعدا لتقبل الأفكار الجديدة ، بل المعارضة ، بصبر وهدوء وتسامح ؟!

هامش ● البحث عن البروسترويكا .. كتاب تحت الطبع

المهم أن هذا الكاتب فى كتابه المسمى «البحث عن البريسترويكا» ، قدم امرأتين ، وليس واحدة ، أسهمتا بجهودهما العلمية فى التمهيد لسياسة البريسترويكا ، التى أصبحت على حد تعبيره ، هى كلمة العصر ، الأولى منهما هى رئيسة جورباتشوف ، زوجة الرئيس السوفييتى ، فقد ذكر عنها تحت عنوان «امرأة من ستافروبول» ، أنها فى عام ١٩٦٧ ، وهى فى الرابعة والثلاثين من عمرها ، حصلت على اجازة الدكتوراة من معهد فلاديمير اليتش لنين لعلوم التربية فى موسكو ، وكان موضوع رسالتها هو : ظهور معالم جديدة فى الحياة اليومية للفلاحين (مبنية على تحقيق اجتماعى فى منطقة ستافروبول) .

وقد يبدو عنوان الموضوع عاديا ، ولكنه بمقاييس الدراسات الاجتماعية فى الاتحاد السوفييتى ، كان جديدا ، بل مثيرا للقلق ! فالدراسات الاجتماعية ، التى تنسب إلى الماركسية ، كانت ـ على حد تعبير الكاتب ـ تبدأ من النظرية لتدخل الواقع فى أطرها ، وتبدأ بالتصنيفات لكى تحشر داخلها الظواهر ، وتعتمد من المصادر ، ماهو «رسمى» و «معتمد» !

ولكن رئيسة ، بتشجيع من الأستاذ الذى أشرف عليها «ج . أوسيبوف» فعلت شيئا آخر ، غير مسبوق فى بلادها ، حيث ادرجت فى مصادر بحثها ، مصادر وأساليب، ليست رسمية ولا معتمدة ، وعقدت المقارنات بين الصنفين . فبالاضافة إلى الإحصاءات الرسمية ، والتقارير ، والتحليلات الصادرة عن الهيئات الحزبية والإدارية فى المنطقة محل البحث ، قامت بتحقيقها الاجتماعى الخاص ، فى خمس مزارع جماعية فى مناطق مختلفة ، و ذكرت أن أسلوبها فى التحقيق كان «المشاركة ، والملاحظة» ، والمقابلات الشخصية والأحاديث ، ووزعت «استبيانا» قامت باعداده وتنفيذه ، ثم عادت إلى مصادر تقليدية من نوع آخر ، هى وثائق فى دور المحفوظات ، والمنشورات العلمية ، لتخرج عن التقليد مرة أخرى ، وتستمع إلى روايات المسنين فى المنطقة حول العادات والتقاليد والمواصفات الاجتماعية .

بذلك استخدمت رئيسة مالم يكن مألوفا من مناهج ووسائل ، وذلك عن طريق التحقيق الاختبارى التجريبى ، والروايات الشفوية فى الماضى ، ونتيجة لذلك ، جاء محور دراستها ليتحدث عن «مصاعب وتناقضات» ، فى المستجدات من ملامح الحياة الريفية ، وأثبتت مالاتقوله المصادر الرسمية : أن المساكن كلها تقريبا تفتقر إلى التدفئة (لاحظ أن الكلام عن روسيا !)

• رئيسة قامت بدور بارز فى القاء الضوء على المستجدات فى الريف المعاصر

• الطبقة الجديدة حولت انتصارات الاشتراكية إلى هزائم !



والصرف الصحي والمياه الجارية !! وعارضت بالأرقام ، ماهو منشور فى البيانات الرسمية عن الانقسامات الاجتماعية فى المجتمع الزراعى ، فأوردت أن أجر العامل غير الماهر فى المزرعة الجماعية يتراوح بين ٣٣ و ٥٠ روبل فى الشهر ، بينما يتراوح أجر العامل الماهر ، كالحلاب أو الراعى مابين ٨٣ ، ١١٧ روبلا ، أما المهندس الزراعى فيبلغ أجره ١٢٥ روبلا ، وأهمية هذه المقارنات أنها تنفى «النظرية» التى كانت سائدة ، والتى تقول إن التفاوت الاجتماعى الذى تعبر عنه الأجور فى الاتحاد السوفييتى ، هو فحسب ، مابين عمال الصناعة وعمال الزراعة ، فالأرقام التى أوردتها رئيسة ، تثبت أن التفاوت أشد داخل القطاع الزراعى ذاته ، مما جعلها تستخدم تعبيرا غير مألوف فى وصفها ، حيث وصفتها بأنها «فوارق طبيعية» !!

● سؤال غير واقعى !

وعلاوة على ذلك أتي استبيانها بنتائج غير مألوفة ولامعترف بها عن الحالة الثقافية للفلاحين ، فالسؤال عن التردد على المكتبات أو دور السينما أظهر لها أنه سؤال غير واقعى ! فإذا كان صحيحا أن كل أسرة ريفية تضم فردا واحدا على الأقل يعرف القراءة والكتابة ، فقد كان معظم المسنين أميين (بعد ٥٠ عاما من الثورة الاشتراكية) ، وانتهت رئيسة إلى نتيجة حاسمة وهى أن «ظروف الحياة اليومية للفلاحين فى المزارع الجماعية لم يسبق أن درست على الاطلاق»!

ويتساءل الكاتب : ما الذى جعل هذه الباحثة تتجه هذه الوجه ! ومن الذى أمدها بهذه الجرأة ؟ أما عن الجهة فلأنها أولا «امرأة من استافروبول» ، تلك منطقتها وتعرفها عن قريب ، أما عن الجرأة فمصدرها أن زوجها ميخائيل جورباتشوف ، كان يشغل فى ذلك الحين مركز «المسئول التنظيمى عن إدارة الإنتاج الاقليمى فى جميع المزارع التعاونية ومزارع الدولة فى منطقة «استافروبول !» ولكن أسرة جورباتشوف لم تكن وحدها فى ميدان البحث عن الحقيقة ، فالكاتب يشهد لجيل بأكمله من هؤلاء «الشباب» (فى ذلك الحين) من بينهم فاحصو رسالة رئيسة والمحكمون فيها ونقاد أطروحتها ، وهم ثمرة انشاء قسم «علم الاجتماع» لأول مرة فى أكاديمية العلوم السوفييتية عام ١٩٦٠ ، ومعهدى «علوم الإنسان» و «الرأى العام» اللذين أضيف إلى جامعة موسكو .

● إمرأة أخرى من سيبيريا !

ويورد الكاتب ضمن الجهود العلمية التى مهدت للبريسترويكا ، ورقة أخرى اكثر نضجا وتأخرا من الناحية الزمنية عن ورقة رئيسة . وهى المعروفة باسم «ورقة نوفوسيبرسك» ، التى نشرت عام ١٩٨٣ فى عهد أندروبوف ، وهى تكاد تتوازى مع خطوط الإصلاح الاقتصادى الذى أقره الحزب البلشفى أخيرا ، وقد صدرت هذه الدراسة عن معهد نوفوسيبرسك للاقتصادى الذى يتبع أكاديمية العلوم

السوفييتية فى سيبريا ، وكاتبتها تدعى «تانيا نازاسلافيسكايا» ، التى أصبحت الآن عميدة معهد علوم الإنسان فى جامعة موسكو . وموضوع رسالتها هو : «التفتت الإدارى للإدارة الاقتصادية وانعدام التوازن فى تطور الاقتصاد» وفيها تقرر أن نظام الإدارة القائم متخلف كثيرا وراء الإنتاج ، وأن الإدارة فى المستوى الأوسط ، أى الوزارات والسلطات الإدارية ، شديدة التعقيد والتركيب ، بينما المستويان الآخران ، من فوق هذا الهيكل البيروقراطى ومن تحته ، يخرجان تدريجيا وباطراد من الهيكل التنظيمى ، وهما مستوى التخطيط والإدارة المركزية ، ومستوى المنتجين المباشرين ، وانتهت إلى توصية رئيسية ، هى التى يسترشد بها الحزب الآن وهى : «التحول إلى الأساليب التى تغلب فيها النزعة الإدارية إلى الأساليب التى تغلب عليها المقاييس الاقتصادية» ، وأن هذا بدوره يتطلب نظاما جديدا لتوزيع النفوذ مابين القوى الاجتماعية ، بل وقالت بشجاعة : إن هذا لا يمكن أن يتحقق بدون صراع !

وقد أصبح مدير معهد نوفو سيبرسك ، واسمه «أغانبغيان» من أقرب المستشارين الاقتصاديين إلى جورباتشوف ، وقد انتقل فى عهده إلى موسكو ليرأس لجنة دراسة القوى المنتجة فى رئاسة أكاديمية العلوم السوفييتية ، وينافس فى مكانته لديه الاقتصادى المعروف ليونيد أبالكين (الذى عين نائبا لرئيس الوزراء للشئون الاقتصادية) .

ويشرح أغانبغيان الأسباب التى جعلت « مستوى معيشتنا (أى فى الإتحاد السوفييتى) لايتناسب مع قوتنا الصناعية ، ولا مع تقدمنا العلمى ، ولامع



جورباتشوف ورئيسة .. ايام الشباب

المستوى التعليمى للشعب ، الذى يستحق أكثر من هذا بكثير ، يقول :

فى البداية كانت الأسباب مفهومة ، لقد تحددت الأولويات على نحو يضع فى المقدمة بناء الصناعة الثقيلة ، وكان هذا ضروريا ، وتوفير دفاع فعال عن البلاد ، وهو ضرورى أيضا ، ثم استجدت أولوية جديدة بعد الحرب ، وهى إعادة بناء الاقتصاد الذى دمره النازى ، ولم يكن هناك مفر من ذلك ، ولكن هذه الأولويات الصحيحة ، لم تفسح مكانا لغيرها بعد أن وصلت إلى المستوى الضرورى والآمن ، كما كان يجب أن يحدث ، وإنما اكتسبت قوة دفعها الذاتى ، وتحولت إلى نوع من الايديولوجيا ! وفى منتصف الخمسينات بدأنا ندرك ذلك ، بدأنا ندرك أن هذه الأولويات يجب أن تتراجع قليلا لحساب غيرها ، واستمر هذا الاتجاه الصحيح إلى نهاية الستينات ، كانت الخطة الخمسية

الثانية هى نهاية الإدراك الصحيح ، لأن النمو بعدها أخذ يتباطأ ، فقد لجأت القيادة السابقة إلى زيادة توجيه الموارد إلى الأهداف التقليدية ، وبالطبع كانت هذه الزيادة على حساب الموارد التى يجب أن تتوفر للاحتياجات الاجتماعية ، أى احتياجات الاستهلاك ، والاسكان والتعليم والصحة والتأمينات الاجتماعية والثقافية والترفيه . بل لقد اتبع التخطيط فى هذه الفترة التى استغرقت خططا خمسية ثلاثا ، سنة نعرفها باسم «قاعدة مايتبقى » ، أى ان احتياجات الناس تحصل على مواردها مما يتبقى بعد أن تستوفى خطط الصناعة الثقيلة والدفاع والاستثمار فى الزراعة احتياجاتها .

ويضيف أغانبغيان : إذا تجولت فى متاجر موسكو مثلا ، ستجد الظاهرة التى يتحدث عنها الجميع : الرفوف الخالية ، لكنك ستجد أيضا ظاهرة أخرى ، أن هناك أقساما مكتظة بالبضائع ولايقترب منها أحد إن صناعاتنا الخفيفة تنتج أنواعا عديدة من السلع الاستهلاكية ، ولكنها لاتشبع احتياجات المستهلك بسبب رداءة نوعيتها ، والنتيجة : أننا نضطر إلى استيراد مثلها ! »

وبالطبع : إن هذا الحل السهل ، الذى لجأت إليه الطبقة البيروقراطية الجامدة فى الاتحاد السوفييتى وسائر المعسكر الاشتراكى وهو الاستيراد ، لسلع يمكن إنتاجها محليا لو أديرت اقتصادياتها إدارة حسنة ، هو الذى أغرق الاتحاد السوفييتى وسائر الدول الاشتراكية فى الديون ، حتى قرر صندوق النقد الدولى أخيرا إدراج الاتحاد السوفييتى ، وهو احدى القوتين العظميين ، من ضمن الدول النامية (!!) من أعضاء الصندوق !

لذلك إذا كان الحل الاقتصادى كما يراه أغانبغيان هو : أن المستهلك هو الذى يصحح السوق ، ولكنه لكى يفعل ذلك لابد أن تكون له حرية الاختيار من خلال المنافسة ، فإن حصيلة الاستطلاع الذى أجراه معهد جامعة موسكو ، وصحيفة أنباء موسكو حول أهم ثلاث مسائل يجب أن يتوجه إليها البرلمان السوفييتى كانت كالتالى :

مرجريت تاتشر



(١) توفير المواد الغذائية (٤١ ٪)
(٢) وقف التضخم وارتفاع الأسعار (٢٢ ٪)
(٣) معالجة نقص السلع (٢١ ٪)
(٤) حل مشكلة الأسكان (١٩ ٪)
(٥) رفع مستوى الضمان الاجتماعى خاصة للمتقاعدين (١٢ ٪)

ويأتى بالاضافة إلى ذلك :

(٦) علاج التوزيع غير العادل للدخل القومى وإلغاء امتيازات الإدارة العليا للحزب والحكومة (٢٨ ٪)
(٧) مكافحة تلوث البيئة (١٨ ٪)

اما بالنسبة للثورة العلمية والتكنولوجية ، فيقرر اغانبغيان أنه : «طبقا لاحصاءات عام ١٩٨٥ ، فإن ٧٠ ٪ من الآلات والمعدات التى ينتجها الاتحاد السوفييتى حاليا لاتفى بالمواصفات المعاصرة ، وبالتالى يجب التوقف عن انتاجها ، اى أن الاقتصاد السوفيتى ، يحتاج إلى تحديث سريع فى هذا المجال ، فإذا كان معدل الاستبدال (الاحلال والتجديد) فى الصناعة السوفييتية حتى ذلك التاريخ ٣ ٪ سنويا ، فالمطلوب الآن أن يتحقق هذا التحديث بمعدل ١٣ ٪ سنويا ، وأن تعمل الآلات الجديدة بمعدل دورتين أو ثلاث دورات يوميا .

تلك هى بعض ملامح الاصلاح الاقتصادى كما يراها جيل جورباتشوف فى عهد البريسترويكا ، والتى اقتضت اصلاحا سياسيا مماثلا يتجسد أساسا فى الديموقراطية لاتاحة الصراع الفعال ضد البيروقراطية فى الحزب والحكومة ، والتى اتخذت أشكالا عنيفة فى بعض دول أوربا الشرقية ولاسيما رومانيا .

رئيسة وجوربى .. أيام السلطة



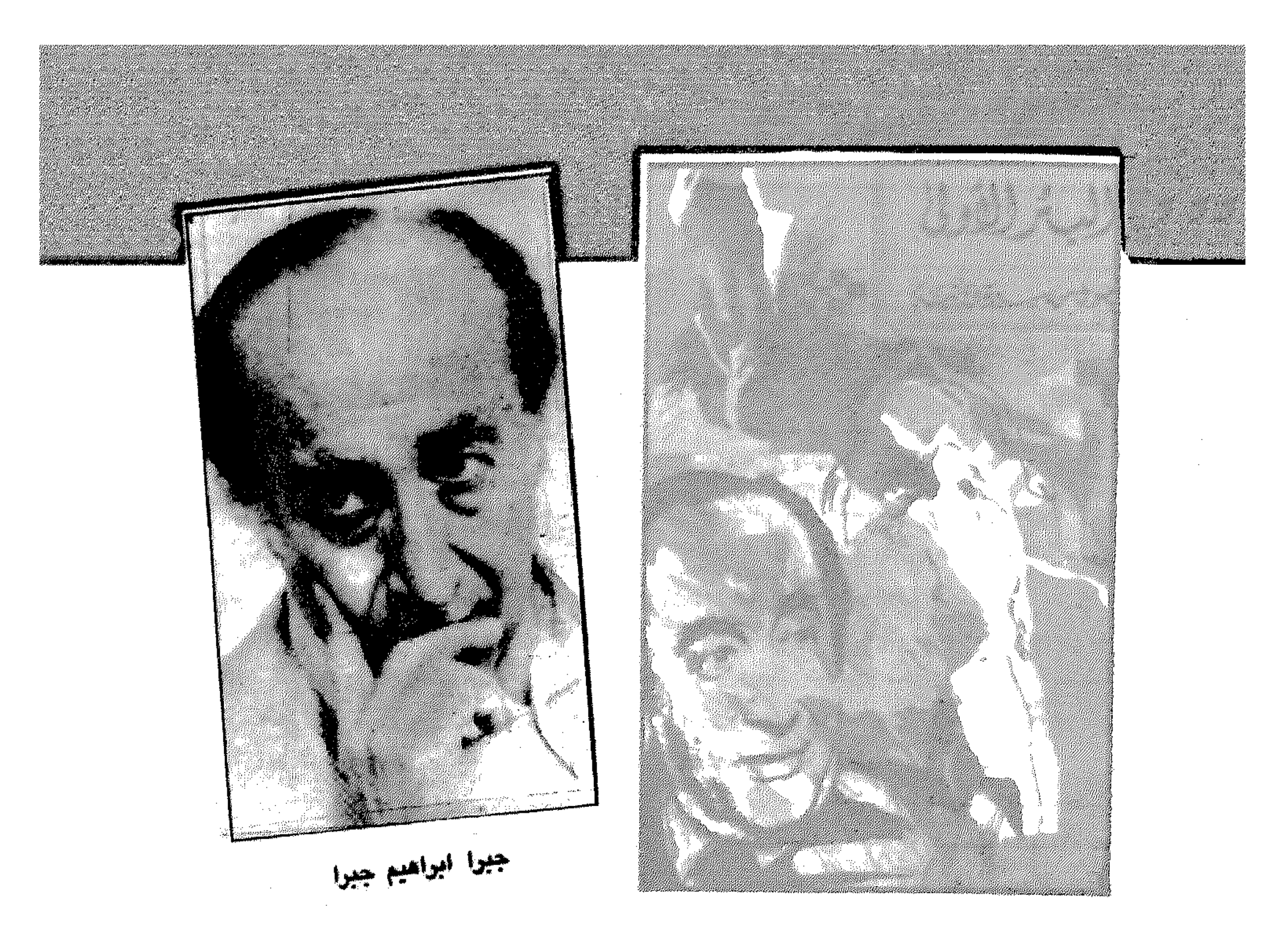
قد يقال إن هذه الأخيرة لم تكن تعانى من مشكلة الديون الخارجية ، حيث لم تفرق الطبقة الجديدة دولها فى الاستدانة على نحو ماحدث فى سائر دول المعسكر الاشتراكى ، ولكن ثمن ذلك كان مزيدا من الحرمان لشعوبها من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان شاوشيسكو وافراد أسرته ، كما يدل تقرير نشر أخيرا فى «الأهرام» يحلول مشكلتهم الشخصية ، عن طريق بيع الأسرار العسكرية لحلف وارسو إلى المخابرات المركزية الأمريكية ، لقاء ملايين الدولارات توضع باسمهم فى البنوك الخارجية ، ولكن شعبهم لم يتركهم طويلا ليستمتعوا بها !

الماضى .. أبدا لا يموت



الحج الى بيت لحم صورة قديمة

« بيت لحم » فى بئر جبرا ابراهيم جبرا العميق !



جبرا ابراهيم جبرا

الحنين ...

كلمة قليلة الحروف .. كثيرة المعانى .. متشابكة فى جذورها وأفرعها .. يخفق القلب لها كلما رددت فى أروقة الانسان .. وجوانبه .. وفى أغلب الأحيان فان الحنين مرتبط لدى الانسان بحالة من الحزن والشجن فهو توق الى زمن لا يمكن العودة اليه . والى مكان باعدت به المسافات ..

لذا فان لكل انسان حنينه الخاص يقرر له معانيه المميزة .. حنين الى اشخاص بأعينهم عاشوا فى "مكان" له مكانته فى زمن كان صاحب الحنين مشاركا فيه بوجدانه ومشاعره .

وأكثر الكتابات صدقا هى المرتبطة بحنين خاص .. وبمكان له سماته المميزة .. وبكاتب له جذوره التى تشعبت فى أرض المكان فلا يمكن استئصالها مهما حاولت الأزمنة المتعاقبة ان تمحو بعضا مما فى الذاكرة .. بل كثيرا مما فى هذه الذاكرة التى أصبحت مع مرور الزمن الى مستودع ذكريات .. أو كما اسماها صاحبها بالبئر الأولى ..

الحنين هنا يتجه نحو مكان مقدس .. وعزيز على كل عربى .. وهو العين الثالثة الثاقبة لجبرا ابراهيم جبرا .. ولذا فان ما كتبه المؤلف عن المدينة التى عاش بها وتربى لسنوات طويلة لا يمكن ان تطاله كتابات أخرى عن "بيت لحم" .. فالكلمات تقطر شوقا جارفا الى الماضى بأزمنته وامكنته .. مدركة تماما مدى وعى الكاتب الذى حرمته كل الظروف اللاحقة ان يطأ بقدميه فوق أديمه الانسانى .. وبين أروقة المدينة العتيقة التى شهدت أقدس لحظات البشرية .. وظلت شاهد عيان على تحولات عديدة

نساء بيت لحم .. جلسة زجلية



فأصبحت أحد أضخم كتب التاريخ .. ومن ابرز المراجع المكانية لتاريخ الاديان والانسان ..

وبيت لحم تقع على جبل يرتفع قرابة ٨٧٠ مترا عن سطح البحر فى الجزء الجنوبى من سلسلة جبل القدس . وعلى مسافة تزيد قليلا على عشرة كيلو مترات جنوبى مدينة القدس .

وتشكل مدينة بيت لحم مع مدينتى بيت جالا وبيت ساحور تجمعا عمرانيا ثلاثيا ، فالواحدة لا تبعد عن الاخرى سوى كيلو مترين على الأقل .

وكما جاء فى الموسوعة الفلسطينية فان عدد سكان المدينة حسب احصاء عام ١٩٧٨ ـ يقدر بنحو ٣٤ ألفا فيهم قرابة ٩ الاف نسمة من اللاجئين الفلسطينيين .

وبيت لحم مدينة قديمة ، سكنت حوالى سنة ألفين قبل الميلاد ، وكانت مسكونة من البشر منذ أربعة قرون كاملة وقد غزت القبائل اليهودية هذه المدينة الكنعانية واستقرت فيها بعد ان سكنها الكنعانيون .. ويروى ان النبى يعقوب عليه السلام جاء الى المدينة من بيت أيل وهو فى طريقه الى الخليل ، وقد اضطر للتوقف فيها لأن زوجته راحيل جاءها المخاض عندها فماتت ودفنتها فى مكان قريب من بيت لحم يعرف اليوم بقبة راحيل ..

وفى بيت لحم ولد الأنبياء .. كان أولهم النبى داوود عليه السلام . ثم ولد السيد المسيح . ويروى انجيل لوقا ان "مريم ويوسف النجار ذهبا الى بيت لحم ليسجلا اسميهما فى الاكتتاب العام بناء على أمر

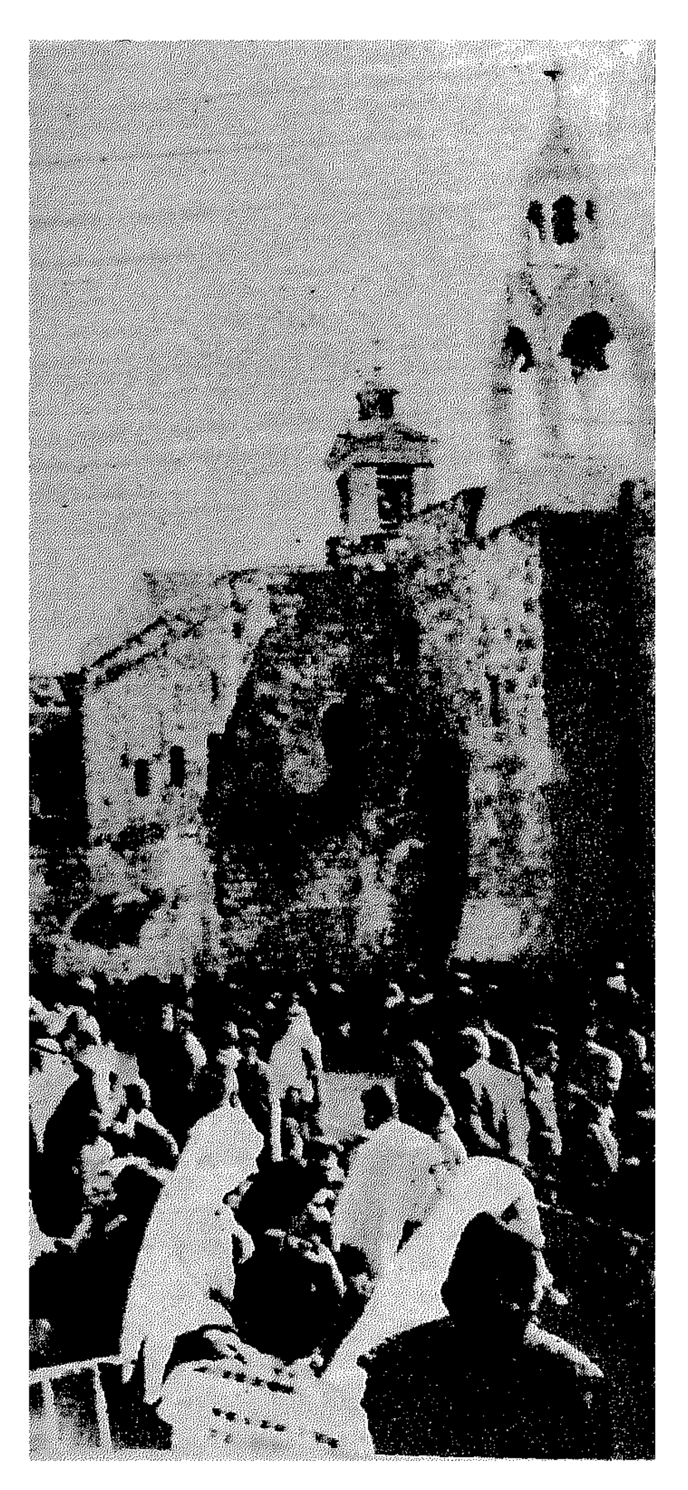
اغسطس قيصر . وقد ولدت مريم السيد المسيح وهى هناك .

وعندما فتح المسلمون القدس عام ١٥ هجرية أظهروا الاحترام لمهد عيسى عليه السلام - كما جاء فى الموسوعة الفلسطينية - ويذكر المؤرخون ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب زار بيت لحم سنة الفتح وأعطى أمانا لأهلها وحضرته الصلاة وهو فى كنيسة المهد فصلى داخل الكنيسة .

وقد دخل الصليبيون بيت لحم فى عام ٤٩٢ هجرية وأعادوا تعميرها بعد أن حولوها الى ابرشية .. ثم عادت المدينة المقدسة الى حكم أهل البلاد عقب انتصار صلاح الدين الأيوبى . وفى عام ٩٢٣ هجرية استولى العثمانيون على بيت لحم وبقى المسيحيون فيها يتمتعون بحريتهم الدينية . إلا أن المدينة ، وفلسطين كلها ، دخلت تحت الانتداب البريطانى فى عام ١٩١٧ واستمر الانتداب حتى عام ١٩٤٨ .. وهى الفترة التى خصها الكاتب جبرا ابراهيم جبرا بالحديث التفصيلى فى مذكراته المعنونة "البئر الأولى" .

وفى بيت لحم ، كما يقول جبرا ابراهيم جبرا - أديرة كثيرة ، وهو أمر متوقع فى مكان ولد فيه السيد المسيح عليه السلام . والأديرة هذه تنتمى الى طوائف مذهبية شتى . وتعكس بعض التنوع الذى عرفته المؤسسات الدينية فى الأقطار الأوربية منذ أن جعل الامبراطور قسطنطين النصرانية دين الدولة والناس فى القرن الرابع للميلاد . وهى فى تواريخها تعكس كذلك الصراعات الطويلة التى عرفتها

موسم الحج الى
بيت لحم ..



المذاهب المسيحية فيما بينها عبر القرون ـ صراعات كانت العوامل القومية فيها لا تقل فاعلية عن العوامل العقائدية . هذا فضلا عن الصراع القديم بين الشرق والغرب . وبخاصة بين العرب وأوربا لفترة طويلة من الزمن . وهى فترة تدخل فيها غلبة العرب على البيزنطيين . وإخراجهم من فلسطين وسوريا ولبنان ومصر وشمال افريقيا ، كما تدخل فيها الحروب الصليبية بعد ذلك بحوالى قرون ثلاثة ، وهى التى انتهت بخروج القوى الأوربية من فلسطين وسوريا لحوالى سبعمائة سنة ، قبل ان تعود مجددا فى صيغة أخرى ، صيغة الانتدابين البريطانى والفرنسى فى نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ .

● شخصية المدينة .. فى مبانيها

"غير ان الصلة الدينية مع الأرض المقدسة .. بقيت قائمة ، بشكل أو باخر ، ورتبت فى انساق متباينة عبر القرون الأربعة التى حكم فيها العثمانيون فلسطين ، وهى انساق كانت فيها القوى الكبرى اطرافا دائمة ، من روسيا القيصرية التى اعتبرت نفسها خليفة بيزنطية فى الاستمرار بالأمبراطورية الرومانية المقدسة" ، الى انجلترا وفرنسا وايطاليا والمانيا "ولكل منها مؤسساتها الدينية" والسلطنة العثمانية نفسها ، التى

صورة قديمة لتلميذات مدرسة البنات المسيحية



كانت تقر بهذه الاتساق على نحو تتجنب به اندلاع الصراع المسلح حول هذه المؤسسات . غير ان اندلاع هذا الصراع ، خارج فلسطين ، بقى أمرا واردا بين حين واخر ، وظهر على أشده مع تعقيدات سياسية كثيرة لم تكن المسألة الدينية الا عنصرا واحداً من عناصرها فى حرب القرم فى منتصف القرن التاسع عشر وعندما جاء الانجليز الى فلسطين باسم الانتداب ، تمسكوا بمبدأ "القديم على قدمه" ولكن فيما يخص المؤسسات الدينية فقط ، لسوء الحظ ولسوء النية معا .

وفى أوائل العشرينات من هذا القرن ، كانت الأديرة المهمة التى تعطى بيت لحم الكثير من شخصيتها العمرانية والاجتماعية هى أديرة الروم الأورثوذكس ، المتمثلة بشكل رئيسى فى القسم الأصلى من كنيسة المهد التى شيدها الأمبراطور قسطنطين عام ٣٢٦ ميلادية فوق المغارة التى ولد فيها السيد المسيح عليه السلام ، وأديرة الفرانسيسكان ، المتمثلة فى دير نجمة الشرق ، وهو كنيسة القديسة كاترين .. اللاصقة بكنيسة المهد . وفيها المغارة التى عاش فيها القديس جيروم حين اكب على ترجمة الكتاب المقدس الى اللاتينية فى أواخر القرن الرابع للميلاد . وأديرة السالزيان ، واكبرها دير بُنى فى القرن التاسع عشر على مرتفع يبعد قليلا عن كنيسة المهد . يدعى دير دون بوسكو . ولكن الأهلين يعرفونه باسم "دير ابونا انطون" .

وفى بيت لحم العتيقة يرى الناس ان أجمل ما هناك هو مدارس البنات الابتدائية حيث الطالبات يرتدين الزى الموحد الأنيق . وهو فى الأغلب مزيج من الأسود والأبيض . مما يكسب شوارع المدينة المقدسة بهجة خاصة كلما انتشر فيها ساعة الغذاء أو ساعة انتهاء الدوام المدرسى عصرا ، أو كلما انتظمن صفوفا متجهة الى احدى الكنائس أيام الآحاد والأعياد .

● تميز فريد

وقد اعطى مركز بيت لحم كمسقط رأس السيد المسيح عليه السلام للمدينة تميزا من نوع فريد . وهيأ لعدد كبير من أهلها موردا سياحيا من الصناعات اليدوية المقرونة بمقدسات المسيحيين والمسلمين . فكانت تستورد كميات كبيرة من الأصداف الخام ، لتحولها فى عشرات من "الورش الصغيرة ، المنبثة فى الشوارع الرئيسية ، الى مسابح وصلبان ومصغرات لكنيسة المهد وقبة الصخرة ، إضافة الى العلب والاطر النفيسة التى كانت ترصع بالصدف . ويقبل على شرائها الزوار الأجانب ، ولكن لم "يكن" فى هذه البلدة كلها فندق واحد لقربها من مدينة القدس ، واذا اضطر الأجانب الى الاقامة ليلتين أو ثلاثا فيها ، حلوا فى نُزُول خاص بهذا الدير أو ذاك وبقى الأمر كذلك حتى أواخر الخمسينات .

وبقلمه الذى يقطر بالحنين ، والتدفق الهائل نحو الماضى . فان جبرا ابراهيم

جبرا تعمد ان يستخدم الفعل الناقص "كان" بكثافة لثناء حديثه عن مهده الأول .. ذلك المهد الذى ولد فيه قبل قرابة الفى عام السيد المسيح .. ويشكل "كان" حاجزا رهيبا للكاتب للعبور به مرة أخرى عبر المكان والزمان والأشخاص .. ولا يستطيع ان يفعل شيئا سوى ان يطلق لذاكرته العنان لتنسال منها كل الوقائع والذكريات التى نسجت شخصه ووجدانه .

فهو يرى هذا الماضى ماثلا أمامه ربما أكثر من الحاضر . ويتحدث عنه بتفصيل دقيق كأنه لم يبرحه دقيقة واحدة .. فسوق السبت مثلا هو مركز من المراكز القديمة جدا للبيع والشراء وتبادل السلع لمنطقة كبيرة جنوبى القدس . اذ يجتمع الاف القرويين والبدو كل يوم سبت ـ بدءا بساعات الفجر ـ فى سوقها المشهور ، التى كانت تسمى ، لسبب ما ، بسوق البلّاعة ، ثم سميت رسميا بعد اعادة تنظيمها بسوق البلدية . "كان" يوم السبت أشبه بالمهرجان ، تمتلىء فيه طرقات البلدة بالوافدين ، من باعة ومشترين ، أما السوق فيختلط ـ مثل كل الأسواق فى القرى العربية الصغيرة وخاصة فى الريف المصرى ـ البشر فيها بالأغنام والماعز . والخيل والحمير والجمال . بكثافة تكاد تجعل السير من خلالها مستحيلا . وتختلط سلال البيض والدجاج بسلال الخضار واكياس القمح والشعير والذرة والتين ، وتنكات الدبس والعجوة ، و"الكسبة" والزيت والسمن والسيرج .. والكثير من الباعة والمشترين من النساء بفساتينهن الزرقاء والخضراء والحمراء الفضفاضة ، وتطريزاتها الزاهية المنوعة ، وهن يملأن الجو بالصيحات والضحكات التى تضيف وهجا خاصا الى هذا المهرجان الأسبوعى .

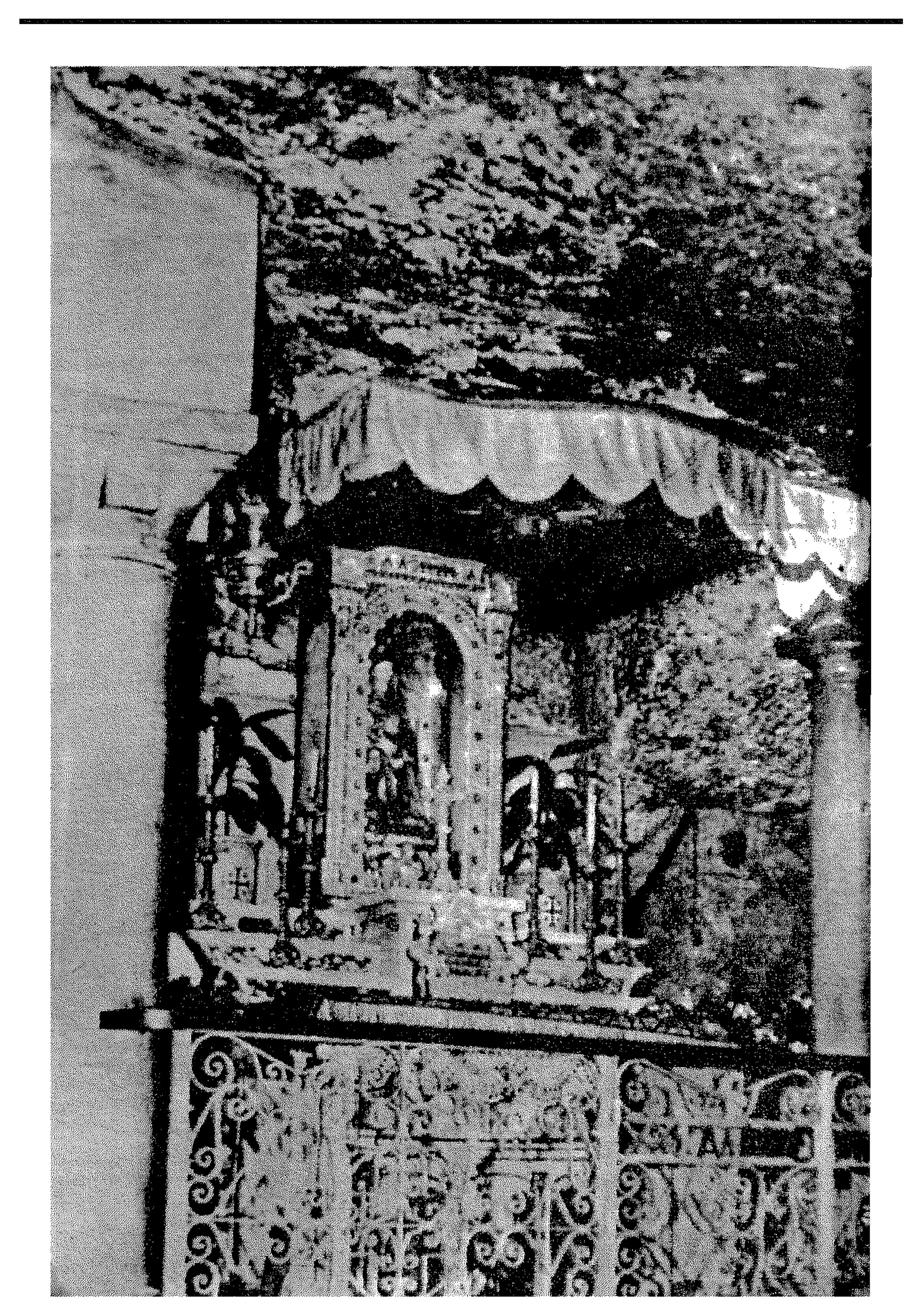
● يوم السوق

وفى يوم السوق ببيت لحم ، يرى الجميع انه يوم المكسب فهو يوم البقال والحلاق والمبيض ، والسمكرى وبائع الحلاوة الطحينية وصانع الجلود ، وغيرهم ..

واشهر ما فى بيت لحم هو دير "ابونا انطوان" وهو ملجأ كبير للايتام ، يتعلمون فيه الدروس الدينية والحرف الأساسية ، وغالبا ما يهتم الرهبان المشرفون على شئون الدير بتنشئة تلاميذهم على حب فنون الموسيقى والتمثيل المسرحى . ويختارون ذوى الأصوات الجميلة لكورس . ويعلمونهم أصول النغم . ويجعلونهم ينشدون باللاتينية أناشيد متعددة الأصوات تعود الى عصر النهضة الايطالية والعهد الباروكى .

وللدير "ملعب خارجى" مفتوح لمن يريد أن يؤمه من صبية البلد ، على اختلاف طوائفهم ونزعاتهم ، وهذا الملعب مفتوح يومى الجمعة والأحد من الصباح حتى المساء .

بيت لحم .. فى قلبى
ولحمى .. ودمى



وقد ارتبط الناس فى بيت لحم بالدير ارتباطا قويا . فالصغار يتعلمون فيه . أو ينضمون الى فريق الكشافة . أو يأتون مع الكبار فى الأعياد . "اذا جاء العيد . فلابد من شيء من اللحم ، والحليب والجبن ، نكسر به الصيام بعد حضورة صلاة منتصف الليل . اى اذا جاء العيد ، لابد من بضعة قروش مهيأة للصرف ، وأمى تحسب لكل يوم حسابه ، أكثر من أبى . فقد كان أبى يعمل فى تلك الأيام فاعلا فى البناء . يحمل الحضارة على ظهره مقابل خمسة أو ستة قروش فى اليوم ،. ويعطى ما يجنيه أسبوعيا لامى ، لتتصرف به هى بحكمتها ودرايتها . ومهما تكن حكيمة ودارية فى انفاقها ، فهى تعلم ان عليها ، بعد ان تتكفل باطعامنا ، ان تخيط ثيابنا بيديها ، وترقعها ، وتدبر امرها من قطع القماش القليلة الميسرة"

● فى بيتنا .. جدران

لاشك أن الأماكن لا تكتسب أهمية الا بمدى ارتباط الانسان بها وجدانيا وعاطفيا . وذلك من خلال علاقاته بالبشر الاخرين فى هذه الأمكنة .. والا اصبحت بمثابة مجموعة من الكتل الحجرية المتراصة هيكليا ولا تعنى شيئا كثيرا .. ولذا فان رؤية الشخص الذى عاش ردحا طويلا من الزمن فى هذا المكان يرتشف من ألبانه ويمتص من رحيق وروده وازهاره كالنحل ، ويتجرع من مياهه ، لاشك انه سوف يجتر خليطا ذا تركيبة خاصة .. وفى مذكراته عن طفولته وصباه فى بيت لحم استطاع الكاتب جبرا ابراهيم جبرا ان يعطى لكل شيء معناه . فجعل من احجار البيوت والأديرة والأبنية بمثابة كائنات حية لعلها تشعر بنفس الحنين الى ابنائها الذين دفعتهم قوى القهر الى الهجرة قسرا عن بيت لحم . فلو ان الحجر كتب عن بئر الأولى . لأبدع ما لم يمكن ابداعه .. لكن هيهات ..

فعن بيته العتيق تحدث الكاتب قائلا "انتبهت الى ان أهلى يسمون المكان الذى تسكنه بالخان . ثم انتبهت الى ان من يأتى عندنا يصفنا بساكنى الخان ، وهو لا ريب قد كان خانا فى يوم مضى غرفة فسيحة ، عميقة ، فى الطابق الأرضى من مبنى عتيق على الشارع العام ، خلف الجامع ، وعلى مقربة منه دكاكين كثيرة من كل نوع . من البقال الى صانع الأحزمة وبرادع الحمير . وليس للغرفة نافذة . ليس لها الا باب حديدى كبير ، كأبواب المخازن . اكاد اعجز عن زحزحته ، لثقله ، وقرب الباب مرحاض صغير ، اضيف حتى بعد الفراغ من بناء الدار فى يوم من أيام العهد العثمانى .

و "بين بابنا والشارع بوابة خشبية اصغر منه ، جعلت مدخلا للبناية ، وهى أيضا اضافة لاحقة ، لعزل المبنى قليلا عن الشارع . فحالما تتخطى عتبتها العالية ، يواجهنا باب الخان على مسافة ست خطوات أو سبع . والى اليسار ، فى الفضاء ، درج حجرى مكشوف يصعد الى الطابق الأعلى الذى كانت فيه غرفة طلى



مجموعة من القرويين الذين
يعيشون فى بيت لحم جنوب القدس



مدخل احدى
الكنائس القديمة ..

بابها بالأخضر . أجده على الأكثر مفتوحا كلما صعدت الى فوق . حيث يقيم رجل ذو لحية قصيرة يلبس السواد دائما . ولا أراه الا وهو جالس الى طاولته . يفكك ويركب آلات صغيرة بين يديه ـ ويقولون انه الراهب يوسف . وهو خبير فى تصليح الساعات والأجهزة الالية . ومن جانب غرفته يصعد الدرج المكشوف الى طابق كانت فيه "العلية" .

والعلية كما يصف الكاتب هى غرفة مستطيلة كبيرة ، يؤمها صباح الأحد الكثير من الرجال والنساء وبعض الصبية .. انها بيت الله ..



حكايات قديمة

شخصية وظلال

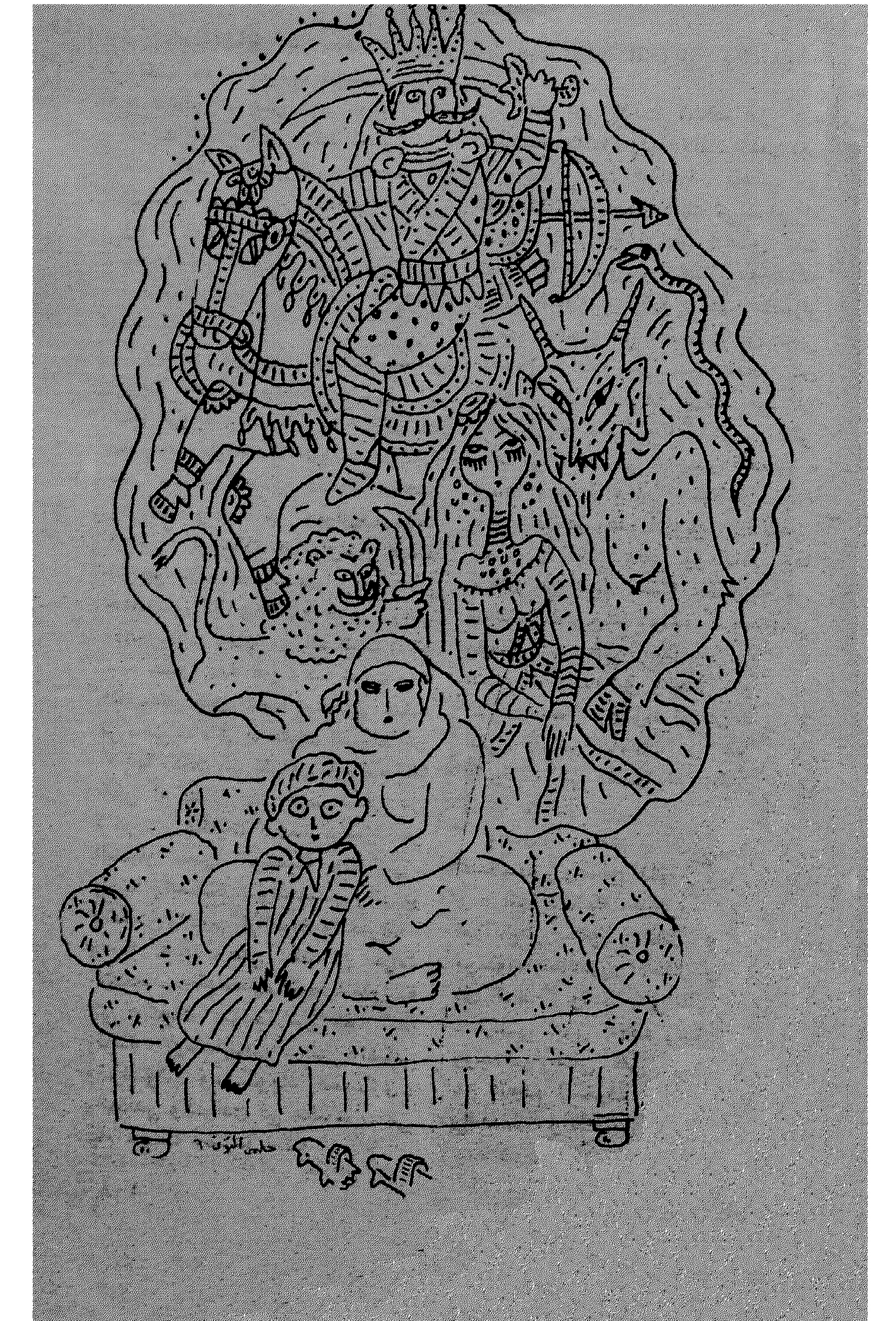
بقلم: فاروق خورشيد   ريشة الفنان: حلمى التونى

لايسلم إنسان منا من اثر شخصية او اخرى على حياته وفكره ووجوده الحياتى أو العاطفى او الفكرى ابدا .. فما نحن الا حصيلة وقع خطوات هذه الشخصيات فوق وجودنا وعمرنا وحياتنا كلها، عبر ايامنا ولياليننا أو عبر تجاربنا وقراءاتنا على السواء ...

الأم أولا بكل حنانها وحفاظها وعطائها، ثم بكل ثقافتها وفكرها إن كان لها ثقافة وفكر، وماساة عمرى كله، ان امى كان لها ثقافة وفكر ـ وانها عاشت حياتها بين الكتب لأنها لم يكن لها حياة بين الناس، فنقلت كل هذا الى اعماق طفلها الأول ـ الذى هو انا والذى كان عليه ان يسمع منها وان تقرأ له، وان تملأ وجدانه وعقله بما يملأ عالمها المحدود المتسع من تجارب مع الناس، وبما يملأ قلبها من تجارب مع الكتاب كبيرة وعتيقة ودائمة ..

كانت وحيدة فى بلدة غريبة، زوجها يخرج فى الصباح إلى مدرسته، ولايعود إلا مع اقتراب المغرب، وابنها، اعنى انا، يخرج الى مدرسته ويعود مع الضحى، فهو معها طوال النهار حتى يعود الزوج، وفى فترة غيابهما تنهى هى عمل المنزل، ثم بعد ان يعود طفلها، تلمه حولها وتقرأ له بعد ان تلخص ماسبق وقرأته، حتى يستمر فى استيعاب ماتقرأ من جديد معه، ويعود الزوج، وتعد له طعامه، وبعد قليل يخرج الى اصحابه، وهى تعود وتلملم طفلها حولها، لتقرأ له من جديد .. حتى لاتحس الخوف من البيت الموحش، والأرض القفر حولها،

وخواء البيت من الزوج الذى لايعود الا عند إيغال الليل فى وحشته وظلامه وقسوته، ومن هنا ينقطع عالمى عنها ـ ولكن من هنا فى فراشى الصغير بعيدا فى حجرة باردة لاشىء فيها الا سريرى ومكتب صغير، ومجموعات كتب لا اعرف ماذا تحوى، كنت اعيش من جديد ماقرأته لى وماحكته، ثم ماقرأناه معا ..



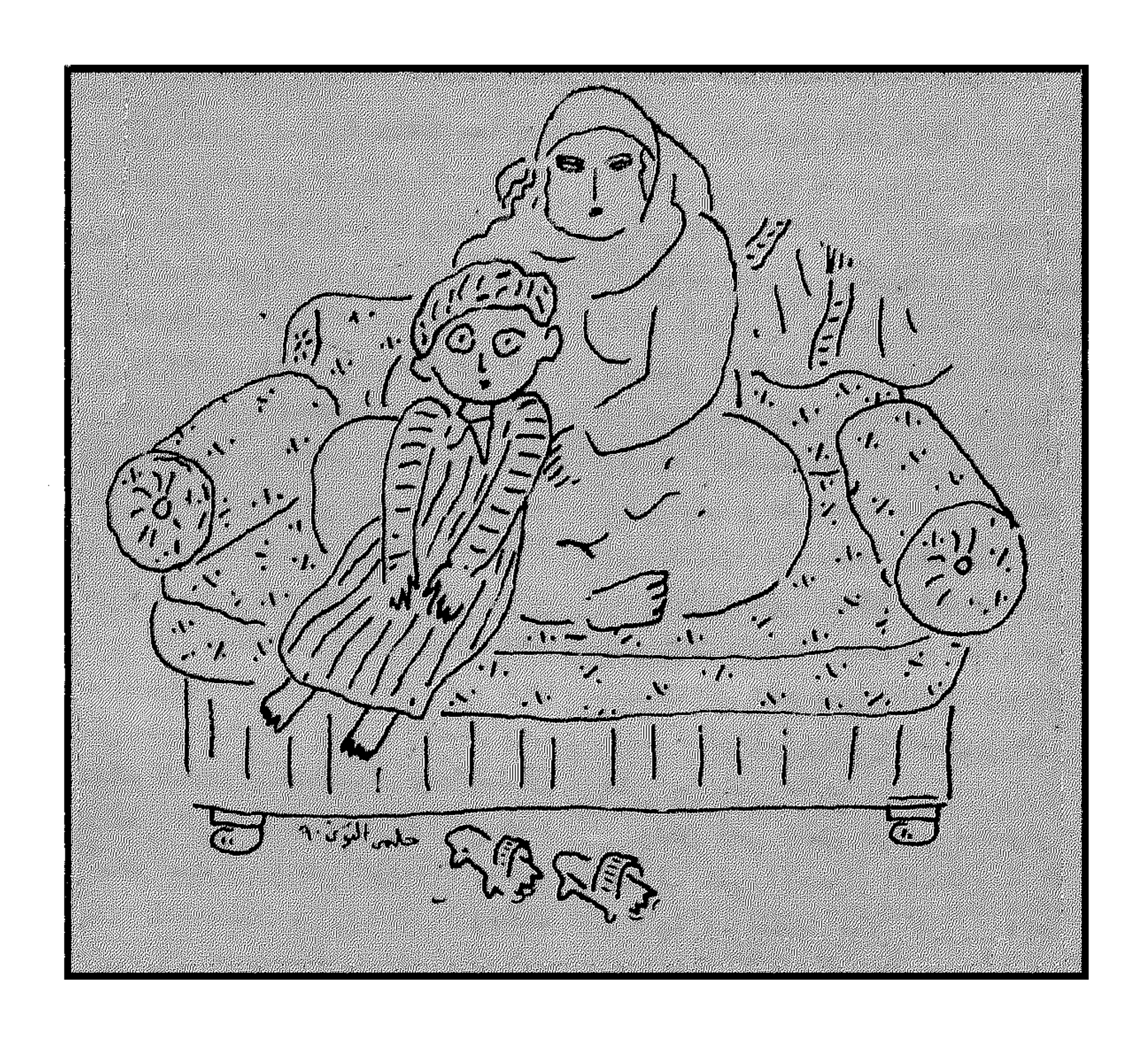
وظللت انتظر هذا منها كل يوم ، ولكنها حين اصبحت تشغلها البنتان الجديدتان لم تكن تجد عندها نفس الوقت المتاح الذى كانت تعطيه لى ، فقد كانت الصغيرتان ، واحدة اثر الاخرى ، تاخذان من اهتمامها الكثير ، وشيئا فشيئا احسست اننى لا اجد عندها نفس الاهتمام القديم ، ولانفس الحكايات القديمة ، ولانفس القراءات السابقة .

وبدات ادور وحدى بحثا عن مصادر جديدة لحكايات جديدة ، ودخول الى دنيا الرواية والكتابة ، اما الكتاب فقد تاخر زمنه طويلا ، اما الرواية والحكاية فقد وجدت مصادر جديدة متاحة وقريبة ، واحدة من جيرانها ، كانت تحبنى ، او كانت كما يقولون حينئذ تتوحم على ولد يشبهنى ، اشبعتنى حكايات ، وقبل وحنان وحلوى ـ وكان الأهم عندى وقتها هو الحكايات .. ثم جدة عجوز عمة امى ـ كما عرفت بعد ذلك بكثير وكان اسمها أم حسن ، حكت لى ستى هذه كل الحكايات التى لم اكن اعرفها ، كانت امى تقرا لى من كتب ، اما ستى ام حسن فقد كانت تحكى من ذاكرتها ، حكايات عديدة وكثيرة عن الشاطر حسن ، وجميلة والوحش ، وجحا والسلطان ، والحشاش والوزير والحلاق والامير ، والصياد والعفريت ، ودنيا غريبة ، هى بعد ان عرفت الاشياء ـ جماع حكايات شعبية متوارثة الى حكايات مترسبة من الف ليلة وليلة ، وحكايات جحا واشعب وقراقوش وسيبويه المصرى ، والمقاهى والنوادى فى عصرها ، وفى أيام سبقت عصرها ايضا .

● حكايات الخوارق والجان

ولكن امى كانت تخاف من هذه الحكايات دائما ، ولهذا كانت تلمنى بعد كل رحلاتى الى القاهرة ، تلمنى الى قلبها لتسالنى ماذا حكت لى ستى ام حسن ، وببراءة العمر الغض كنت احكى لها كل ماوعته حافظتى مما حكته ستى العجوز ، وتروح هى باصرار غريب تصحح لى ماسمعت من ستى العجوز ، علم كامل من البعد عن القاهرة انا اسيرها تؤكد لى ان « شواهى » ذات « الدواهى » التى حكت لى عنها ستى ام حسن العجوز ، ليست حقيقية وانما حقيقتها ملجاء بسيرة الظاهر وعلى الزيبق ، وتستعيد بسيطرتها على عقلى ووجدانى بما حفظت من سير مصر الشعبية فى مدوناتها المطبوعة ـ وتعود تصحح لى مارسب فى عقلى الطفل من حكايات العفاريت والخوارق والجان ، واولياء الله الصالحين ـ وتؤكد لى ان المزيرة التى تخطف الاطفال من عند زير الشراب ، هى نفسها ام عاقصة فى سيف بن ذى يزن .

وانها تخطفهم ان خطفتهم لصالحهم ، وصالح تكوينهم وثقافتهم ومعرفتهم بالحياة ، وان المسالة ليس فيها غيلان ياكلون الاطفال ، وانما جان مؤمنون يساعدون الاطفال ويحبونهم كل الحب .. وظلت أمى على المدى ـ حارستى دون الانحراف بذهنى ووجدانى وعقلى ، الى حكايات العجائز عن العالم المخوف المليء بالعقارب والحيتان والثعابين الشريرة التى اصلها جان ..



ولست اذكر كيف انقضت هذه الفترة ، ولكن الذى اذكره اننى حين تخلصت من كل هذا كنت غارقا فى الـروايات المتـرجمة فى طبعـاتها الشعبية الميسرة .. كما كنت غارقا فى مكتبة أمى ، كانت امى تحتفظ بكتبها فى صندوق خشبى من تلك الصناديق المزينة التى كانت ضمن جهاز العروسة عند الفلاحين ولكنها ابدا لم تكن جهاز ـ امى .. فلانحن ، فلاحون ولا ـ جهاز العروسة يرتبط عندنا بالصندوق .. ولكن الصندوق كان موجودا فى بيتنا رغم عدم ارتباطه بجهاز العروسة ، أو باثاث بيتها ، انما كان شيئا موجودا ومقدسا لايقربه الا هى ، وهى وحدها ،

وحين كبرت عرفت انه كان وديعة خالى عندها ، ولم يكن لى خال ، وانما هو كان ابن خالتها الذى كان بمنزلة الاخ لها ، وفى حفاظها على الصندوق كان حفاظها عليه وعلى اسراره ـ وما كانت اسراره الا هذه الصفحات الصفراء التى حوت كل السير الشعبية العربية وأولها سيرة سيف بن ذى يزن ـ ثم بعض كتب الادعية ودلائل الخيرات ، ثم بعض الكتب الجنسية المحرمة فى هذا العصر ، والتى تحوى من الدلائل الشعبية والفولكلورية مالا تحوى كل كتب العصر ..

ولكنها كانت تمنع عنى كل الكتب المحرمة بما فيها الف ليلة وليلة وتبيح

لى كل الكتب المباحة عندها بما فيها العرائس وقصص الاشياء ـ ومن هنا ، بدات تعرفى بعالم الخيال والفن ، الى جوار احتكاكى المباشر بالترجمة فيما لم تعرفه هى ، والمؤلف فيما قراته متفرقا بعض حين ، ومجمعا فى حين متاخر ، حين تعاطفت مع الرافعى والمنفلوطى والزيات .. ولكنه كان تعاطفا حرا .. مر فى عمر الانسان كما يمر الزمان ، بلاحاسب ولارقيب تجاه كل شىء عبر ومر ـ وحين التفتت هى الى اننى اقرا ماجدولين والام فيرتر ، كنت قد عبرتها تماما وسبقتها فى دنيا القراءة والمعرفة ، ودنيا الاتصال بهذا العالم السحرى العجيب .. وحاولت أن تعيدنى الى الدنيا السحرية ، فى عالم الظاهر بيبرس وعلى الزيبق ، ولكنى كنت قد حلقت ، وبعدت ، وكانت الترجمات الرخيصة والمتاحة قد عرفتنى بدنيا باردليان وفوستا ، وفرسان المائدة المستديرة وبالملك أرثر ، وعالم الفرسان الثلاثة دارتينان وبرتوس داراميس واتوس ، وخدمهم المدهشون فى أعمال اسكندر ديماس .. ثم اعمال ديكنز وروفائيل ساباتينى ، وهوجو ، ووايلد وانفلت عيارى ولو أن كل هذا لايعجب نقاد العصر الحديث الذين لايريدون للنشىء ان يقرءوا اعمال هؤلاء العظام ، ولا ان يحلموا بالزهرة القرمزية ، او أرسين لوبين ، أو شرلوك هولمز ، او فانتوماس العجيب ـ ولكن رغم انف كل الاشياء عرفت عالمهم العجيب وعشته كاملا ، حتى لو احتجت أمى ، وحاولت ان تعيدنى الى حضن الاسطورة العربية القديمة ، ولم اكن فى الحقيقة اجد فارقا كبيرا بين العالمين ، بين عالم روكامبول وشيرى بيسى وكابتن بلود ، وبين عالم دليلة المحتالة وجوان والبرتقش ، وشواهى ذات الدواهى وعقبة شيخ الضلال ، وارتفق العالمان عندى منذ البدء .

امى وحكاياتها وحافظتها من ناحية ، وهـذا الصندوق الملىء بـالكتب والروايات والترجمات الذى اخذته من ابن خالتها من ناحية اخرى .

وحين ظهر حافظ نجيب ليزور الحكايات باسمه ، كنت فى نفس الوقت اتعرف الى عالم جحا واشعب وحكايات السيرة الهلالية وفتوح اليمن وبطولات على بن ابى طالب ..

ولكن امى كانت ترفض باصرار ان اتعرف على الاصول الاسطورية التى عرفتها وحفظتها من زمن .. وقضت الليالى تحكى لى واسمع وتفسر لى وافهم .

● هـديـة أمـى

وحين كان لى أن ابدع كان كتابى الاول سيف بن ذى يزن هدية لها ..

ولكنى أعرف انها صنعت فى داخلى ماهو أعمق من سيرة سيف ، ومن غيرها من السير ، صنعت فى حب هذا الفن ، واحساسى بمعاناة الدارس ، والاسطورى والماساوى ، فقد كانت هى وحدها معلمى الاول ، وستظل معلمتى الدائمة حين تضطرب امامى الرؤية أعود الى حكمتها القديمة حصيلة حافظتها من سيرنا وحكاياتنا الشعبية العربية القديمة .

سِيرةُ ذاتٍ ثقافيّة

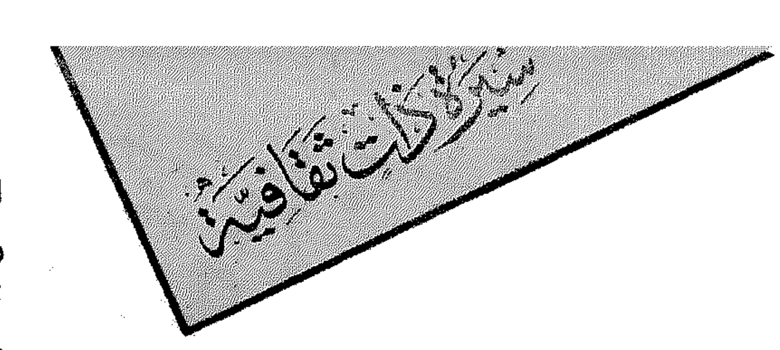
بقلم : صافى ناز كاظم

عام ١٩٥٤ إلتحقت بكلية الآداب جامعة القاهرة بقسم الصحافة الذى كان قد انشىء لأول مرة فى ذلك العام . وكنا دفعة جامحة من الطلبة والطالبات وقرر معظمنا ان الدراسة النظرية بالقسم لن تعلمنا الصحافة كما نريدها وانقسمنا مجموعتين رئيسيتين : واحدة اختارت التدريب فى مدرسة روزاليوسف ، والأخرى اختارت مدرسة اخبار اليوم ، وكنت واحدة من المجموعة التى إلتحقت بمدرسة أخبار اليوم عام ١٩٥٥ ، ولم يكن الاختيار على أساس سياسى بل على أساس مهنى محض اذ كان المهم فى ذلك الوقت ، هو كيف نتعلم صنعة الصحافة ونكون لأنفسنا أسلوبا فى التحـريـر الصحفى . وظللت مـع مجموعتى نعمل بأخبار اليوم عامين مجانا ونحمد الله أن أصحاب الدار قد أعفونا من مصروفات الدراسة إلى أن تم تعييننا عام ١٩٥٧ بمرتب قدره خمسة جنيهات شهريا ، وأصبحت الدراسة بالجماعة فى قسم الصحافة ، بالنسبة إلينا ، ثانوية إلى جوار خبرتنا



صافى ناز كاظم

فى الممارسة الفعلية للعمل الصحفى . ومنحنى تخرجى فى الجامعة عام ١٩٥٩ شهادة ليسانس فى الصحافة لم تقنعنى ـ وكان عملى الصحفى فى تلك الفترة قد تكشف لى كذلك وبدا ضحلا ومزيف البريق ، لذلك ألحت على فكرة الرحيل فى الدنيا الواسعة للدراسة وإمتحان النفس . وشجعنى قبولى للدراسة فى جامعة كانساس الأمريكية على السفر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٦٠ وكان قد تم قبولى لدراسة الماجستير فى الصحافة لكننى راجعت نفسى وقلت : "مصر بحاجة إلى ناقد مسرحى . كل الذين يكتبون



النقد المسرحى فى مصر غير متخصصين ، سأصنع من نفسى ناقدة مسرحية لمصر" ! ـ وأرجو من القارىء الا يبتسم فهكذا كان جيلنا يتكلم عندما كان يريد أن يحدد مستقبله : كانت مصر فى تلك السنوات العشر الأولى لما أردناها ثورة ١٩٥٢ : كانت مصر إبنتنا العروس البهية التى نريد أن نجلب لها ـ لو شاءت ـ حليب العصفور : كنا نريد أن نزوقها ونجملها ونجهزها بكل ما ينقصها . وكانت مصر ينقصها الناقد المسرحى المؤهل حقا لحمل مسئولية دفع النهضة المسرحية المرجوة لبناء وقيادة ما أردناه ليكون المجتمع الثورى الجديد . كان النقاد الفنيون صنفين :

١ ـ صنف كان ـ ولايزال ـ يستند إلى معايير إعتباطية فى قوله أو رفضه للعمل الفنى ، مستخدما خفة دمه ـ إن توفرت لديه ـ فى تمرير وتبرير مغالطاته ولا يتورع وهو فى حالة حماسه ـ وقد أخذته العزة بالاثم أن يستخدم افحش القول والارهاب ـ اذا إقتضى الأمر ـ ومثل هذا الصنف من النقاد كان ـ ولايزال ـ شديد الثقة بنفسه لا يحجم عن ابداء رأيه دائما ومن فوره وفى كل شىء !

٢ ـ أما الصنف الثانى فكان النقيض : كان يلبس أكاديميته ويحكم ربطها جيدا حول عنقه حتى تخرج أفكاره وآراؤه مشنوقة تماما بالمصطلحات . وكلما خلت كلماته من الروح كان اغتباط الناقد بمقدرته كبيرا ، على أساس الاعتقاد السائد أن الروح والحيوية وخفة الظل تتنافى مع الأكاديمية : فالجهامة ـ كما يعتقدون ـ والجفاف اليق بالأكاديمى . والعجيب الذى كان يسترعى إنتباهى أنه رغم هذا "التأكدم" الشكلى الذى كان يحرص عليه هؤلاء النقاد ـ ولايزالون ـ كانوا يقعون فى خطأ علمى رهيب وهو : خلطهم بين "الأدب" و"المسرح" هذا الخطأ الذى كان يجرهم دائما إلى التمركز عند خط دفاعهم الأول والأخير وهو : "النص" المدون لغرض العرض المسرحى ، ولو كان "النص" فى عرف البداهة المسرحية مجرد عنصر غير جوهرى فى الكيان المسرحى .

ما علينا : قررت أن أعد نفسى لأكون "الناقد المسرحى" كما يجب أن يكون ولو لمرحلة ما يطورها من بعدى جيل آت ثم جيل آت بعد الاتى ، يكون إعداد الناقد المسرحى خلال السنوات قد تم بشكل سليم . وكان علىّ أن أحصل فى جامعة كانساس على معادلة ليسانس فى الفنون المسرحية قبل أن يتم قبولى لدراسة الماجستير فى النقد المسرحى . وهكذا انفقت العامين ١٩٦٠ ـ ١٩٦٢



فى دراسة أساسية وتحضيرية كانت اغلبها دراسة عملية فى "الورشة" لكيفية صناعة العرض المسرحى وإقامته كائنا حيا يقف على خشبة المسرح لا كلمات مدونة بين صفحات كتاب ، بعدها صرت مؤهلة لمتابعة الدراسة العليا نحو التخصص فى ممارسة النقد المسرحى لكننى لم أستطع أن أتابع الدراسة من فورى . كان على أن أتفرغ للعمل عاما كاملا حتى يمكننى سداد ديون دراستى فى كانساس فقضيت عام ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ أعمل بمدينة شيكاجو وأقرأ وأسمع وأشاهد بنهم كل ما كان علىّ أن أعرفه فى الفن والثقافة : من الجديد الذى كان علىّ أن أواكبه إلى القديم الذى كان علىّ أن أعرفه . ثم رحلت إلى مدينة نيويورك (١٩٦٣ ـ ١٩٦٦) ـ حين تم قبولى بقسم الدراسات العليا للفنون المسرحية بجامعة نيويورك . إستغرقت دراستى عامين كنت أجمع فيهما بين عملى الصباحى الذى كان يسترق منى ثمانى ساعات يوميا ودراستى المسائية بالجامعة التى انتهت بحصولى على ماجستير فى نقد المسرح صيف ١٩٦٦

فى ذلك الصيف وبعد ست سنوات كاملة من الغربة والكدح والعمل والتأمل والدراسة شعرت أننى نضجت ثقافيا بما يكفى لأعود إلى مصر وأهديها نفسى وأقول لها : "كل هذا التعب كان لك ومن أجلك" .

● البحث عن أرض جديدة

كان الأستاذ أحمد بهاء الدين قد تسلم حديثا مسئولية إحياء عظام مجلة "المصور" ـ بإذن الله ـ وهى رميم . وقبل عودتى إلى القاهرة كان إنفصالى العقلى والنفسى والثقافى والروحى من مدرسة "أخبار اليوم" . وكنت أبحث عن أرض جديدة أبدأ عليها مسئوليتى النقدية المختلفة عن السائد والمصطلح عليه . وكان منطقيا أن أتوجه للعمل تحت رئاسة الأستاذ



أحمد بهاء الدين فى مجلة المصور ـ (١٩٦٦ ـ ١٩٧١) ـ وكانت مجلة المصور تحت رئاسته قد تحولت ـ صحفيا ـ من جثة ميتة إلى "كبرى المجلات المصورة" ـ وكما كان هو يحاول إحياء جثة "المصور" كنت أحاول أن أقدم رؤيتى لما يجب أن يكون عليه الناقد والنقد المسرحى. وكان جهدى يتمركز فى التأكيد على البديهية أن "المسرح" ليس "الأدب" . وأنه ليس هناك كاتب مسرحية Play writer بل صانع مسرحية play wright : الذى يصنع أو يبنى أو ينشىء معتمدا على تركيب وتجميع عناصر متعددة مثل صانع السفينة وكنت أدعو أن يجعلنا هذا التصور نعيد النظر فى كثير من الاصطلاحات والمقولات التى يتم تداولها . فكثيرا ما نسمع من يقول : "لقد قرأت المسرحية الفلانية" أو "قرأت مسرح فلان" وهذا قول غريب وطارىء على مفهوم المسرح ، لأنك لا يمكن ان تقرأ مسرحية : هل تستطيع أن تقول لقد قرأت سيمفونيات لبيتهوفن أو لغيره رغم أنها كلها مدونة على ورق ؟ لا يمكن أن تقول : إستمعت إلى سيمفونيات وتعرف أنها دونت ليقرأها قائد الفرقة السيمفونية ومن ثم لتوزع على العازفين لكى تصل اليك معزوفة ومؤداة على مسرح أو من خلال أسطوانة أو شريط مسجل ، وهكذا يكون إلتقاؤك بالعمل الموسيقى كذلك المسرح ، إنك عندما تكتفى بقراءة مسرحية تكون قد أجهضت جنيننا من رحمه : لن يكون بأية حال مخلوقا بين يديك بل دما مسفوحا لمشروع مخلوق . فقراءة ما دونه المؤلف المسرحى لا تعطينا الصلاحية لفهمه أو الحكم عليه اذ تظل العملية المسرحية ناقصة ولا يمكننا الحكم عليها ما لم نضعها ـ كالسفينة ـ فى بحرها ونراها كيف تسير وهل تآلفت مع الماء ام أنها لم تطف وغرقت ؟ وكنت أتشبث بتعريف المسرح كما حدده أحد ثوار المسرح وهو المخرج الانجليزى بيتر بروك الذى يرى أن المسرح يعنى بكل تبسيط : خشبة مسرح : مساحة فارغة : أى مساحة فارغة يمكن أن تتيح لنا مكانا يقف عليه مؤد ويكون هناك جهود ويكون هناك محور لمضمون يهم هؤلاء الناس فيتم من خلاله التواصل بين المؤدى والمتفرج . وهذا التعريف لبيتر بروك يتلاقى كذلك مع رجل المسرح العالمى

جروتوفسكى حين استخدم منهاجه الـ « Via pegativa » ، وهو الحذف او الالغاء ، معلنا أننا بحاجة ملحة إلى تخليص المسرح من أثقاله الدخيلة عليه وطرح الأسئلة :

ـ هل يمكن أن يكون هناك مسرح

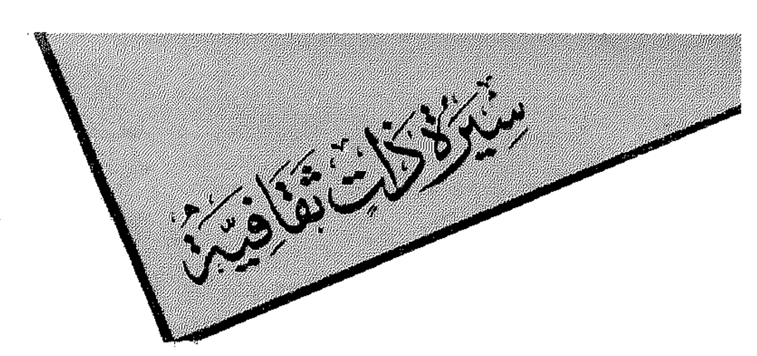
بدون متفرج ؟
الاجابة : لا .
- مسرح بدون ممثل ؟
الاجابة : لا .
- مسرح بدون نص مسرحي ؟
الاجابة : نعم !
- بدون ديكور؟ بدون إضاءة ؟ بدون موسيقى ؟
الاجابة : نعم ، نعم ، نعم .

إذن كل شيء تقريبا مما نعرفه عن المسرح الان يمكن حذفه أو إلغاؤه الا الممثل والمساحة الفارغة والمتفرج والمضمون الذى يتمحور حوله هذا اللقاء بين المؤدى والجمهور .

لم يكن تشبثى بهذا التعريف للمسرح يدفعنى إلى اهمال النص كلية لكنه كان يدعمنى فى رفع راية : أن المخرج هو مؤلف العرض المسرحى الذى يكون النص جزءا من تكوينه وأن للمخرج الصلاحية الكاملة فى التصرف مع النص بما يراه ضرورة لمصلحة العرض مسرحيا . وكان هذا التعريف يدعمنى كذلك فى الدعوة إلى إستقلال الناقد المسرحى عن الناقد الفنى العام والنقد الأدبى المشغول بالكلمة المكتوبة للقراءة والمعنى بتوجه كامل مقصور على الكاتب أو المؤلف فقط ، وكنت أتمنى أن تستخرج حركة إستقلال "الناقد المسرحى" جنودها من مسرحيين عملوا بالاخراج وشاركوا فى صناعة العرض المسرحى مستنبتين من ارضيتهم المسرحية لغتهم الواعية والمدركة للعملية المسرحية رافعين الشعار : "دعوا المسرح يتحدث بلغته" : فعبر نقاد كهؤلاء فقط يمكن لحركة مسرحية فى بلادنا أن تنبثق متفجرة بالخصوبة والوعى والابتكار ، قادرة على حفر مجرى لمسرح يخصنا : نتأصل به ويتأصل بنا ويتصاعد فى تطور لإثراء التعبير عن الحق والخير والجمال .

● حصار وغربة !

وكان من المنطقى - وقد اتخذت هذا الموقف المبدئى مسرحيا - أن تتوحد لغتى مع المخرج المسرحى صاحب العرض المسرحى أكثر من توحدها مع الكاتب المسرحى الذى كان ولايزال يعد نفسه أديبا بالدرجة الأولى . وكان من النتائج المنطقية والحال هكذا أن يكون النقاد بصفتيهم : "الأكاديميون" و"المتأكدمون" الذين يسمحون لأنفسهم بالاعتداء على المسرح بالنقد والتقييم : كان من الطبيعى أن يكونوا بأكملهم فى ناحية وأكون وحدى فى الناحية النقيض : أنا والمسرحيون والوعى المسرحى وجنود الحلم الثورى : غرباء محاصرون لا يحمينا سوى العناد وقوة المبدأ ، ورغم صعوبة موقفى هذا فإننى كنت سعيدة غاية السعادة أننى مع كونى أقلية كنت قادرة على الاستمرار فى المواجهة وخوض المعركة وازعاج الخصوم . وكنت أسمى نفسى "الناقدة المحاربة" وأحيانا "مقاتلة فى



الأحراش والغابات" وفى كل الأحوال كنت واحدة من جنود الحلم الثورى أخوض معركة الشكل المسرحى واللغة المسرحية وتصحيح المغالطات والمفاهيم المليئة بالخزعبلات عن المسرح كإطار مستقل للتعبير الانسانى . وكنت خلال المعركة قد حددت انحيازى الكامل - انطلاقا من اسلامى - للفكر الثورى والمضمون الثورى والرسالة الثورية لصالح المستضعفين ضد كل قوى وأشكال الاستكبار والمستكبرين : المفسدين فى الأرض . وكانت سنوات الستينات - تلك الشهيرة بكونها ، فترة الانتعاش للمسرح المصرى - هى فى الواقع سنوات الصراع الذى خاضه جنود الحلم الثورى لجمع لطع دودة الثورة ، حيث كانت الدودة هى : الانتهازية والزيف والكذب والدجل والسياحة السياسية والسياسة والسرابية التى أنتجت الهوة المخيفة بين القول والفعل والانفصام بين الشعار المعلن والتطبيق الواقع ثم كانت الدودة هى : المنهج الاجرامى الذى تبلور وشاع وناء بكلكله على صدر الانسان المصرى الباسل الوديع : منهج القمع والارهاب : منهج قطع الألسنة وجدع الأنوف وسحق الكرامة الحرام للمواطن : منهج السجن والاعتقال والتعذب للشبهة وللفتة ولرفة الرمش فى العين .

نعم : كانت الستينات فترة انتعاش للمسرح المصرى ، وهذا يعنى : أن هناك كانت تجرى - رغم كل شىء - حياة نابضة تحركها دماء ثوريين أصلاء : ثم بدأ المسرح يذوى وينزوى مع مرور السبعينات وكان هذا دليل : أن الموات خيم وانتصرت جناحاه القاتمتان .

والحياة النابضة لا تعنى أن كل شىء على مايرام لكنها تعنى أن المعركة مستمرة وأن جنود الثورة من أجل اعلاء الحق والخير والجمال لايزالون فى الساحة - وان سقط منهم الشهداء - وأنهم مسيطرون فى مواقع صراعهم لتسود رؤيتهم الانسانية لصالح الانسان ضد تخلف ورجعية قوى الاستكبار ورؤيتها الكافرة لغير صالح الانسان خليفة الله على الأرض .

● الخطر الأكبر

كان نبض الصراع يدور فى مصر فى سنوات الستينات كان جنود الحكم الثورى الباقون فى الساحة رغم أنف الارهاب يحاولون جهد طاقتهم لكى يجذبوا صكوك المكتسبات الشعبية لتحويلها من عملة ورقية بلا قيمة الى واقع يقف على الأرض ، على طين تنزرع فيه المكتسبات فتضرب جذورها فى الأعماق ، وتتلاقح مع النيل والهواء

وعرق عباد الله ، فتنمو وتشتد وتعلو باسقة كالشجر الطيب ، يضيء زيته ولو لم تمسسه نار ، كان جنود الحلم الثورى مستميتين لترسيخ واقع يتوازن ولو قليلا مع "الطقطقات" و"الشقشقات" ، الثورية لفظا والفاسدة أثرا ، لأنهم كانوا يعرفون منذ الأمس ـ ما تأكد اليوم ـ أن قصور الرمال لا تقاوم صفع الموج ولا عواصف التراب لكنه الشجر ـ وحده ـ الذى يقاوم الرياح ويصد الموج .

وكان جنود الحلم الثورى يرون أن اعداء الحلم من الرجعية والاقطاع ليسوا هم الخطر الأكبر فالخطر الاكبر يكمن دائما فى سارقى الحلم من أبنائه وحفظته المخلصين ، يكمن فى المنافقين ، فى الانتهازيين الذين يهددون حصاد ومحصول كل ثورة ، إذ باجادتهم رطانة اللغة الثورية مع براعة تمييعها لتناسب كل الأهواء ينجحون فى تعطيل الأبناء المخلصين وفى نخر

الثورة من قلبها إلى أن ينهار كل شيء ويصبح كالعصف المأكول ـ (قال صلى الله عليه وسلم : لست أخشى على أمتى من مؤمن أو مشرك ، فأما المؤمن فيحجزه إيمانه وأما المشرك فيقمعه كفره ولكننى أتخوف عليكم من منافق عالم اللسان ، يقول ما تحبون ويعمل ما تنكرون . صدق رسول الله) .

وشهدت سنوات الستينات أعنف المعارك التى خاضها جنود الحلم الثورى لجمع لطع دودة الثورة ووقوفهم ببسالة ضد تلك اللطع التى صارت بالنهاية أخطبوطا هائلا من الانتهازية استطاع أن يفرش نفسه طولا وعرضا وسماء وأرضا ويتمكن تماما من ضعضعة الحلم الثورى ـ المخطوف من ابنائه ـ ومن تحويل المكتسبات الشعبية ـ الورقية ـ الى مسلسلات اذاعية وتليفزيونية وزفة سياحية والاعيب حواه وأفاعى سحرة يكتبون فى الصحف والمجلات .

وبرغم ضخامة الأخطبوط وشراسته وخسته فى الدفاع عن منافعه الشخصية ، لم يفقد جنود الحلم الثورى ـ ضمير مصر ونبضها ـ عنادهم الذى إستمر معهم مارا بهم من هلاك إلى هلاك .

كان جنود الحلم الثورى ـ ضمير مصر ونبضها ـ يعرفون أنهم اقلية وعزل أمام الأخطبوط الذى تملك سلطة الدولة بأكملها . وكان هذا الأخطبوط يتكون ويتجمع من فصائل ثوريين سابقين فقدوا ثوريتهم ومن مثقفين عدميين ومن فصيلة انتهازيين أصلاء ، يعتنقون الانتهازية اعتناقا مبدئيا سلوكيا كاملا ومع كل هؤلاء طبعا فئة من الخدم والعبيد وعبدة للأوثان .

أخطبوط رهيب مدعم بكل شيء تقريبا : لكن جنود الحلم الثورى ـ بعنادهم وحلمهم ـ كانوا يعرفون أن الحشد الهائل من لحم مصر من المستضعفين كانوا معهم ، كانوا يعرفون أن الجياع : معهم ، المرضى

شبرفات ثقافية

البلهاريسيون : معهم ، الشهداء الذين ذبحهم الأخطبوط غيلة فى سيناء : معهم ، الصم والبكم والعمى : معهم من دون أن يعرفوا أو يدركوا أنهم مع أحد على الاطلاق ، كانت مصر كلها بتاريخها ومواقع مقاومتها كذلك معهم . واستمر جنود الحلم الثورى رغم تشتتهم ـ حين وحيث لا يكاد الأخ منهم يعرف أخاه ـ كانوا مصرين على الاستمرار فى الصراع ضد الأخطبوط حتى لو صاروا خمسة أو ثلاثة أو واحدا ـ (ولقد إنقسم هذا الأخطبوط على نفسه فى ١٥/٥/١٩٧١ وأكل ذيله رأسه وتغير لونه تماما : من أخطبوط يقتل ويخنق ويأكل السحت تحت علم إدعاء الثورة والاشتراكية والتقدمية إلى أخطبوط يأتى الجرائم نفسها ولكن تحت علم أخر أكثر اضحاكا وان لم يكن أقل ابكاء وهو علم ادعاء الديمقراطية والتحضر والسلام الاجتماعى ! لكن حتى بعد هذا التغيير فى الشعارات ظلت هناك سمة مشتركة بين أخطبوط ما قبل ١٥/٥/١٩٧١ وأخطبوط الطبعة الجديدة المنقحة بعد ١٥/٥/١٩٧١ . وهذه السمة المشتركة هى : أنهما أخطبوط يجبن ويهادن فى كل شىء إلا فى منفعته الشخصية التى يكون فى دفاعه عنها غاية فى الشراسة والخسة) .

وكان لابد لمسرح الستينات أن يرصد هذا الصراع بين النقاء والعفن وأن يلتقطه ويعبر عنه بجهود جنود الحكم الثورى الذين كانوا لايزالون يملكون بعض مواقع مشعة فى النقد والاخراج والتمثيل والتأليف . وكانوا يحاولون أن يستدلوا إلى بعضهم البعض من خلال كلمة أو موقف أو عمل أو صمت : فيتعارفوا فورا ويتساندوا سويا فى معركتهم غير المتكافئة مع الأخطبوط والتى كانوا يعرفون أنهم يخسرونها حثيثا .

● إلتزام الصمت

كانت مهمتى النقدية تدفعنى إلى موقفين ازاء كل عمل أستشعر من ورائه انفاسا ونبض جنود للحلم الثورى مخلصين : موقف التزم فيه الصمت خوفا من اعلان الفرح فيتنبه الأخطبوط ويكسر مصابيح الفرح التى تلألأت فى غفلة منه ، والموقف الثانى يدفعنى إلى الكتابة عن العمل فى عملية مرهقة ومحفوفة بالمحاذير ، لأننى أكون قد أردت أن أوصل العمل المسرحى للقراء بقوة إشاراته الواضحة ضد الأخطبوط ويكون علىّ بذات الوقت أن أكتب بهدوء كاف حتى لا تلتفت عين من عيون الأخطبوط ـ الكثيرة ـ ضدى أو ضد المسرحية ، وكان من حسن حظى أننى كنت أعمل فى مجلة المصور تحت رئاسة أحمد بهاء الدين وكانت رئاسته نظيفة وراقية مما أتاح لى قدرا كبيرا من التعبير عن رأيى النقدى بحرية شبه كاملة إلى أن داهمنا قرار نقله من مؤسسة دار

الهلال إلى مؤسسة الأهرام فى ٨/١٩٧١ .

جاء بديلا عن أحمد بهاء الدين آخر من يمكن أن يكون بديلا عن الرقى والتحضر (جاء "إيان سميث" أو "مكارثى" الثقافة المصرية الأستاذ "يوسف السباعى" !) .

قبل أن يرتشف يوسف السباعى أول فنجان قهوة على مكتبه الجديد كرئيس مجلس ادارة دار الهلال ورئيس تحرير المصور استدعانى وقال لى - وكان بيده مقال نقدى لى عن العرض المسرحى "ملك الشحاتين" لنجيب سرور وجلال الشرقاوى - قال لى وهو يرشق عينه الزرقاء القاسية بمنتصف جبينى :

- "يكون فى علمك إحنا مش عاوزين نشوف اسم صافى ناز كاظم ده منشور أبدا" !

وهكذا إنحسر اسمى من النشر فى السبعينات فمنذ ٨/١٩٧١ حتى ١٩٨٣/٣/٢٥ تحقق قرار السباعى بحذافيره فلم ينشر اسمى ابدا فى صحف مصر الا ضمن قوائم المعتقلين أو المتحفظ عليهم أو المقدمين لمحاكم أمن الدولة .

لماذا ... ؟

لا أدرى إلا أننى حاولت دائما أن أكون ناقدة مسرح كما يجب وكما وعدت مصر الحبيبة الطيبة .

اجبرت على البقاء فى بيتى لا أملك سوى أن أنظر من شباكى أرقب فى أسى العاصفة الترابية التى هيجها الأخطبوط فى ردائه الجديد بعد ١٩٧١/٥/١٥ . كانت العاصفة تطيح بزهور المسرح اليانعة والأخطبوط يدوس معها بأقدامه وأذرعه الثعبانية كل النبتات الصغيرة اللينة الواعدة ويعتصر الأغصان . وبعد المذبحة وقف الأخطبوط ينظر الى جزع شجرة المسرح الناتىء : أجرد مبتورا وبدأ يلصق عليه كل ورقة ذابلة وكل ثمرة فجة وكل ما لا يمكن أن ينتمى أو ينمو على الشجرة .

وظل هناك الاصرار على اقامة مسرح مع الاصرار الكامل على اقامته بدون مسرحيين ، مع الاصرار الكامل على استئصال أصل وجود المسرح وهو : الصراع ! والمدهش اننى رأيت المسرحيين لا يتدخلون فى معترك الحرب التى دارت لطحنهم ، بل على العكس كانوا يبدون طواعيتهم الكاملة للانسحاق التام ويشكرون كذلك الاجراءات الرخيمة التى - على الأقل - كانت لاتزال تعطيهم فرص الانسحاق . وأصبح المسرحيون يتبنون مغالطات وخلط غير المسرحيين !

والان وبعد مرور السبعينيات والثمانينات يحلو للبعض عقد المقارنة بين مسرح الستينات ومسرح السبعينات والثمانينات وهى مقارنة ظالمة ، فالمقارنة لا تتم الا بين موجودين فأين مسرح السبعينات والثمانينات المصرى لنقارنه بمسرح الستينات ؟

ورود سامة لصقر

إبداع روائى جديد

بقلم : د . سيد البحراوى

مع بدايات عقد الستينيات اخذت حركة جديدة فى القص المصرى تبدى تمايزا واضحا عن القص السائد وقتها والذى كان يميل إلى نمط الكتابة الواقعية . كان نموذجه الأعلى يوسف ادريس فى القصة القصيرة ، وعبدالرحمن الشرقاوى فى الرواية . غير ان هذه الحركة الجديدة ، والتى قدمت انجازات هامة فى أسلوب القص ورؤية العالم ، ركزت على القصة القصيرة دون الرواية . ففى الوقت الذى امتلأت فيه الصحف والمجلات بمئات القصص القصيرة الجديدة والتى يكتبها شباب ، وظهرت عشرات المجموعات القصصية خلال ذلك العقد (الستينيات) ، لوحظ ندرة الروايات ، حيث يمكن حصر الروايات التى نشرت لابناء هذا الجيل الجديد خلال العقد المذكور فى عدد أصابع اليد الواحدة .

وفيما بعد ، حاولنا(١) أن نفسر هذه الظاهرة التى حاول البعض وقتها تفسيرها على اساس الزعم بأن هؤلاء الكتاب الشبان لايمتلكون «النفس الطويل» الذى يسمح لهم بكتابة الرواية . كانت محاولتنا هى إدراك الخصائص الفارقة للنوع الأدبى المسمى بالقصة القصيرة عن النوع الآخر المسمى بالرواية ، وإدراك علاقة هذه الخصائص بالظروف الاجتماعية والنفسية التى توفرت فى ذلك الوقت . وانطلقنا من أن العقد كان عقد أزمة ناتجة عن الالتباس الذى سببته فى نفوس هذا الجيل المفارقة بين الشعار المعلن والتطبيق المنفذ ، وهو إلتباس تبدى فى علاقة الحب / الكره التى حملها ابناء الجيل لعبدالناصر ونظامه . ومثل هذه الأزمة / الالتباس ربما كانت أصلح

١ ـ راجع دراستنا عن «يحيى الطاهر عبدالله كاتب القصة القصيرة» فى كتاب «دراسات فى القصة العربية» ، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت ١٩٨٦ ـ صـ ١٩٦ ـ ٢٠٠

المواقف النفسية لكتابة القصة القصيرة ، وخاصة بملامحها التى أعطاها إياها هؤلاء الكتاب . فى حين أن الرواية تحتاج إلى نوع من الامتداد أو الانفتاح الرؤيوى النفسى الذى يسمح للكاتب بأن يدرك صيرورة البشر والاشياء وحركتها المكتملة بغض النظر عن كيفية الاكتمال تقليديا كان (أى فى إطار البناء الهرمى : البداية ـ الوسط ـ النهاية) أو غير تقليدى (السرد المتقطع الى مالا نهاية أو الشكل الدائرى للبناء) . ومثل هذا الانفتاح أو الامتداد لم يتح لأبناء الجيل إلا بعد زوال الالتباس ومبرراته ، وأصبح النظام السياسى ـ فى السبعينيات أكثر وضوحا فى توجهاته ، بحيث لم تعد علاقة الحب / الكره هى السائدة ، بل علاقة نفور يصل أحيانا إلى حد العداء . ومنذ تلك اللحظة كثرت الروايات ـ الجديدة ـ بل زادت الى حد كبير ـ فيما بعد أى طوال عقد الثمانينيات .

● ندرة الروايات

وفى هذه الأثناء كان كتاب جدد ينبتون ثم يزدهرون مكررين نفس الظاهرة : تركيز واضح على القصة القصيرة ذات الملامح المختلفة أو المتميزة ، وندرة واضحة ايضا فى ميدان الرواية . ولكن هذه الظاهرة التى انتهت بعد عقد واحد فى الحالة الأولى ، نراها تمتد إلى العقدين ـ وربما زادت ـ فى حالتنا الثانية الراهنة .

ففى الوقت الذى ظهرت فيه مجموعات شبه متكاملة من كتاب القصة القصيرة فى السبعينيات وفى الثمانينيات ، وظهرت عشرات المجموعات القصصية لا نجد



يوسف ابو رية — عبدالرحمن الشرقاوى — عبده جبير — محمد المنسى قنديل

سوى عدد محدود من الروايات ، سواء فى السبعينات أو فى الثمانينات من أنتاج الكتاب الجدد . فليس ـ ثم ـ سوى ابراهيم عبدالمجيد عبده جبير ومحمود الوردانى والمنسى قنديل من السبعينيين . وليس ـ ثم ـ سوى فتحى امبابى ، ويوسف أبوريه وأحمد زغلول الشيطى من الثمانينيين (وهذا تصنيف أولى نأمل أن يدقق فيما بعد حين يتوالى الانتاج) .

وفى الوقت الذى حققت فيه القصة القصيرة عند هؤلاء الكتاب تميزا واضحا عن سابقيهم ، لانجد الروايات القليلة تحقق هذا التميز البارز اللهم إلا إبداعية كتابها الفردية ، دون خصائص عامة مشتركة جديدة . وربما تكون قلة الروايات

ورود سامة لصقر

وعدم التواصل وقلة كتاب الرواية وأزمة النشر هى أسباب عدم وضوح هذا التميز . وقد لا تكون الفترة ـ متجادلة مع التكوين النفسى لهؤلاء الكتاب ضنينة بالرواية . ولكن هذا الحكم مازال مبكرا ، لا نستطيع أن نطرحه قبل أن نقرأ إنتاجا أكثر لهؤلاء الكتاب الجدد أو غيرهم من مجايليهم . غير أن هذا لايمنعنا من أن نحاول أن نتلمس بعض خصائص هذا الانتاج الجديد ، وإن حملناها على الخصوصية الفردية لصاحب الانتاج نفسه ، أكثر من اعتبارها خصائص جيل من الكتاب . وسوف نقف هنا عند رواية واحدة قصيرة هى رواية أحمد زغلول الشيطى «ورود سامة لصقر» التى كتبت سنة ١٩٨٦ ، ولم تنشر سوى هذا العام(٢) .

★ ★ ★

ثلاثون صفحة من القطع المتوسط هى حجم الرواية . وهذه الصفحات مكرسة جميعها لتقدم حدثا واحدا مفردا هو موت صقر عبدالواحد ، الذى وقع مساء الثامن من اغسطس سنة ١٩٨٤ أو صباح التاسع منه . فى هذا الصباح فتحت أمه واخته باب حجرته فوجدوه ميتا «كان أزرق وصلبا ورغوة تسيل من فمه ، وفوق صدره باقة ورود ، انطبقت عليها يداه ، وفوق المخده أوراق متناثرة» صـ ٦٠ كتب عليها «أن الحب مستحيل ، وأنه متروك للأيدى الخشبية ، متروك لقناع الخزف والورود السامة» صـ ٨٧ .

تتكون الرواية من ست فقرات . فقرة البداية وفقرة النهاية تحكيان وقائع الموت وما قبله وما بعده عبر ضمير الراوى (الغائب) . والفقرات الأربع الوسيطة تقدم الحدث وصاحبه من خلال أربع وجهات نظر هى وجهات نظر الشخصيات الرئيسية فى الرواية : يحيى خلف صديق صقر ، وصقر نفسه ثم أخته تحية وأخيرا حبيبته ناهد (ولنا أن نذكر هنا أن الكاتب قد تجاهل شخصية الأم ولم يعطها حق الكلام فى فقرة مستقلة دون مبرر واضح !)

منذ بداية الرواية وحتى نهايتها ، يظل موت صقر حدثا ملغزا . هل مات ميتة طبيعية ؟ هل انتحر ؟ هل قتل ؟ ومع ذلك فليس سوى يحيى الذى يثير هذه القضية . أحيانا يعبر عن يقينه أن ناهد بدر هى قاتلته (صـ٦١) وأنه «لم ينتحر ، صقر قتل فى أغسطس .. و . أن قتلته جميعا على قيد الحياة . زاولوا قتله على امتداد عمره الصغير ، فى بيتهم ، فى الورشة والجامع والشارع والجامعة صـ ٦٦ وأحيانا يشك يحيى أن القتل كان متعمدا ، وأن الورود التى وجدت بين يدى صقر وهو ميت كانت مسمومة «لم يثر اى أحد شكا حول طبيعة هذه الزهور ، اللهم إلا صديقه يحيى خلف الذى أكد أول الأمر

٢ ـ نشرت الرواية فى العدد رقم ٥٤ (يناير فبراير ١٩٩٠) من مجلة أدب ونقد . القاهرة على صفحات ٥٩ ـ ٨٨ . وستورد أرقام الصفحات فى متن الدراسة بين قوسين .

أن هذه الورود سامة ، وأنها دست لصقر ، و(لكن) يبدو أنه تنازل عن هذا الاعتقاد فيما بعد » (صـــ ٨٨) الفقرة الأخيرة) .

بهذا التنازل ـ الذى يرد ذكره على لسان الراوى ـ لم يعد هناك من يثير أى مشكلة حول كيفية موت صقر ، أو يتهم أحدا بقتله فيزول هذا الاهتمام الذى شغل القارىء طوال الرواية ، والذى قدمه الكاتب بذكاء ليجذب القارىء ، دون أن يمالئه ، فها هو فى النهاية يعلن أن هذه ليست هى المشكلة ، والمشكلة شىء آخر . الرواية لا تكمن أهميتها فى الحبكة والحدث ، وإنما فى شىء آخر . ماهو ؟

المشكلة التى تعالجها الرواية بنجاح ، وهذا هو مصدر أهميتها ، هو التكوين النفسى الاجتماعى الذى أدى بصقر إلى الموت ، هذا التكوين الفريد والنمطى فى آن واحد . وهذا التكوين يتشكل معنا خطوة خطوة منذ بداية الرواية وعبر أساليب فنية متعددة .

فى البداية يمر الحنطور فى المدينة يعلن على الناس موت صقر «وكانت الوجوه تطل من جانبى الحنطور ، تتساءل عمن مات . وكان الرجل يذيع أسماء أقارب صقر ومهنهم .. حسن محمود عبدالواحد جزمجى ، شفيق عوض عبدالواحد نجار ، مرزوق عوض عبدالواحد موظف بهيئة النقل العام . لواء شرطة متقاعد ابراهيم عمارة .. انقبض قلب يحيى ، صرخ .

ـ لواء ؟ .. مافيش فى عيلة صقر ولا حتى صول .

ـ ياسيدى .. حد هيدور ورانا . » صـــ ٦٠

وفى الفقرة التالية مباشرة حوار تليفونى نفهم منه أن ثمة علاقة بين هذا الجو الفقير وامرأة اسمها ناهد تقيم فى مصيف «رأس البر» بما يوحى أنها ثرية . ولا يتركنا الكاتب كثيرا فى ظنوننا فيقدم لنا ناهد بتفصيل أكثر دلالة ودخولا فى الحدث ، قبل أن تنتهى الفقرة الأولى : « كانت ناهد جاءت . وقف يحيى أمامها . نظرت اليه متوسلة . كان الشيخ يقرأ سورة الرحمن . كانت ترتدى طقما أسود أحدث موديل ، ضيقا ومشقوقا من أسفل ، وكان برفانها يفوح على البعد ، جذبها يحيى من ذراعها خلف الشادر ، كان قلبه ارتج . لحظة فكر أن هذه البنت ، القحبة بنت القحبة ؟ هى قاتلة صقر ، وأنها ما جاءت الا لتعرض فستانها على هؤلاء الغلابة لتنتزع من عيونهم المريضة الاعجاب » صـــ ٦١ .

من هذه البداية التناقضية نفهم سر الأزمة الأساسية التى عاشها صقر عبدالواحد الفقير المدقع والذى يصر على الا يحب الا البرجوازيات كما يرد على لسان يحيى فيما بعد . غير أن حبه هذا ينتهى دون أن يحياه ، بل دون أن يحيا



على الاطلاق . وهو الأمر الذى يلخصه صقر نفسه بإيجاز فى أول جملة من الفقرة الثانية : «قال صقر : إننا نبكى من الموت لأننا لم نحى كما ينبغى . أمه قالت لى : صقر مات لأن الدنيا لم تعجبه ... الآن أتساءل : لماذا مات صقر ؟ صقر لايموت إلا اذا كان الموت هو الطريق الأوحد » صـــ ٦١

هذا التناقض الطبقى هو أساس أزمة صقر ، ولكنه ليس كل شىء بل إن كل شىء يبدأ بعد ذلك ، لأن هذا التناقض الطبقى ، لا يؤدى وحده الى الموت ، والا لمات يحيى ولماتت تحية . الكيفية التى يشعر بها صقر ويعيش هذا التناقض ، هى السبب ، وهى المهمة فى الرواية التى تخلق شخصية متفردة ونمطية : شخصية صقر كما رآها من حوله وكما رآها هو نفسه .

يحيى خلف .. أول من تحدث عن صقر فهو أكثر الناس معرفة به . فى المدرسة ، فى الورشة ، فى الجامعة ، فى المسكن ، فى الحلم ، فى الاحساس بالظلم ، وان اختلفت طرقهما فى الخروج من المأزق . صقر يموت ويحيى يحصل على عقد عمل فى قطر ويسافر . صقر متمرد منذ البداية يهرب من الورشة مرات ويذهب الى رأس البر ــ ويهرب من الغرفة التى يقيمان فيها بدار السلام ــ ويهرب من منزلهم بدمياط ، ولكنه لا يفعل شيئا بهروبه ، ويقول عنه يحيى «كان الليل إذ يتسرب الى قلبه ، يولد من جديد ، صقر آخر ، صقر حالم او نبى . كنت معه ، فى ليله الطويل ، من طفولتنا المطلة على البحر والورش ، إلى أرض حلمنا .

حملنا حقيبة واحدة بملابسنا وكتب الشعر ، لأن صقر لا يعرف إلا أن يكون شاعرا أو سلة مهملات » .

ويحيى هو الذى ينقل الينا معرفته بالهواجس التى كانت تراود صقر باستمرار :

«يوم ترك بيتهم دون أن يعلم أحد ، وهرب فى قطار إلى القاهرة ، وعندما وصل القطار الى محطة المنصورة ، أرعب صقر الضوء والزحمة والليل ، شعر بصغر سنه فى الليل الشاسع . نزل فى المحطة . بدلا من أن يعود الى دمياط ، عاد الى رأس البر ، ذلك الماخور الموسمى كما أسماه فيما بعد ، وهناك ، قابلها ، «ناهد بدر» بعد يومين من النوم فى الجامع وفوق الرصيف . قال لى مرارا أن الرجل ظهر له لأول مرة فى شارع جانبى على النيل ، رجل ذو قناع من الخزف ، والبحر يزمجر ، وعيناه زجاجيتان ، والحائط خلفى ، وجبل الملح يضغطنى ، وبيده الخشبية يحمل باقة ورود غريبة ، راح يقدمها له ، بعد الذبح ، بعد أن امتدت ذراع مشوية بالشمس ، لا لتقبل .. ولا لتحتضن . امتدت ذراع بلون الرنجة . جزت رقبتى . » صـــ٦٦

وفيما بعد ، وفى الفقرة الثالثة ، يحدثنا صقر بتفصيل أكثر عن هذا الحلم الكابوسى المقترن طوال الوقت بتعرفه على ناهد بدر وعلى علاقته كما يقول : « أتيت لأرى البحر .. أغير حياتى ..

كأنني كنت أبحث عنك .. كنت مختفية خلف الستائر فى الفيلات القائمة على رصيف الزهور ، ألم ترى رجلا اسمه صقر فى حلمك ، انني صقر .. من المدينة القريبة المطلة على البحر ، أكتب الشعر . رأيتك تشترين عطورا باريسية من المحل

الذى أعمل به ، ذوقك رائع ، يومها ، رأيت ذراعا مشويا بالشمس يرتفع ، هو ذراعك ، وبدلا من تعانق ، برزت سكين فى قبضة اليد ، وأنا مستسلم ، حززت النصل على رقبتى انجزت ، سقطت رأسى ، عيناى تجمدتا ، كعينى سمكة فى الثلج .. ورأيته اول مرة فى الشارع المظلم على النيل كان كيس الملح تضخم فوق كتفى . صار جبلا . كنت اتساءل تحت مصابيح مطفأة ، رأيته آتيا والبحر خلفه ، وجهه قناع من خزف أصفر . يداه خشبيتان ، بينهما باقة ورود غريبة . ورود متوحشة . كان الجدار خلفى والبحر رابض ، وكيس الملح يتضخم . امتدت يداه الخشبيتان . نادانى باسمى .. خذ ورودك ياصقر . كان جسمى يتداعى ورائحة زنخة تفوح من يديه قلت : لا . اقترب منى . ورود لك ياصقر لك وحدك . قلت لا . كان الجدار صلبا . وكيس الملح جبلا فوق كتفى .. صرخت لا .. لا .. ألقيت كيس الملح فى وجهه : سمعت ضحكته .. وورودك ياصقر . » صـ ٧٢

★ ★ ★

ويوضح صقر أيضا ، فى حديثه مع تحية فى الفقرة الرابعة « أن كل الورود سامة .. وكل الحب مستحيل » فيتأكد هذا التلازم بين الحب المستحيل لناهد والمقتل . ولأن تحية لا تحتمل شخصيتها البسيطة الحلم الكابوسى ، فإن حديث صقر الأخير اليها لا يحمل سوى الرموز . الوردة دائما ما ترد فى حديثه وهو يحكى لها أن كل شيء قد انتهى . وهى لم تفهم أن علاقته بناهد قد انتهت أو أن ناهد قد أنهت علاقتها به بعد عشق مشبوب

مستحيل ، كما أوضح حديث صقر ، وكما يوضح حديث ناهد نفسها - فى الفقرة الخامسة - بتفصيل اكثر منطقية .

فى الوقت الذى يكمل فيه حديث تحية عبدالواحد صورة صقر كما يقدمها يحيى وصقر نفسه ، مع لمسات خاصة بشخصية تحية الأخت التى ترى فيه نموذج الرجل دون أن تعرف لماذا ، نجد أن حديث ناهد بدر يقدم وجها آخر للصورة وإن لم يكن نقيضا . هنا تصور ناهد كم العذاب الذى كان يعانيه هذا البرجوازى الصغير الذى أحبها ولم تحبه ، فى الوقت الذى تعبر فيه عن شغفها به وبصفة خاصة بجسمه الطويل العريض . « سألت نفسى . هل أحب صقر؟ لا . لا أحب صقر ولا أكرهه . إذا لماذا علاقتى به . لماذا دورانى المحموم حوله . كأنه إله وثنى أعبده . إله ذو أرجل وأصابع وشعر . إن جسمى يتهاوى أمامه ، يتهاوى وينفتح ، دون خجل بل وبرغبة معلنه » صـ ٨٥ ولكن هذا الشغف انتهى حين غاب وذهبت تبحث عنه فوجدته صريع المرض «دفعت الباب بقدمى - هربت من قبره .. كان صقر مات .. كان انتهى فوق سريره .. محموما أصفر يهذى .. صقر الذى أعرفه يدهس ، ويدوس ويشعل الحرائق ، يثير الفتن والاضطرابات اينما ارتحل ، ويعتصر نهود البنات بأصابعه

وروبسامة لصقر

الصخرية لآخر قطرة . سألنى : انتهى ؟ قلت : نعم من قبل أن نبدأ . قال : يولد الانسان ومعه أسباب موته .

قلت انتهى . كنا لآخر مرة فى ريش ، يكاد يقبل قدمى والمصاصة التى يكرهها فى فمى .. لم يعد يكرهها ، فقد كل أسلحته .. كل سحره سألنى : انتهى ؟ قلت : انتهى . جاءنى عريس معيد ويعمل فى شركة سياحة .. رجل أعمال صغير قال : أريدك . قلت .. انتهى .. كان يبكى ويشعل السجائر . قال جئت لنصفى خلافاتنا . قال : أحبك يا ناهد . قلت : انتهى . كان صقر انتهى .. وكنت تحررت منه .. خرجت من دواماته » صـــ ٨٦ .

● سرد تقليدى

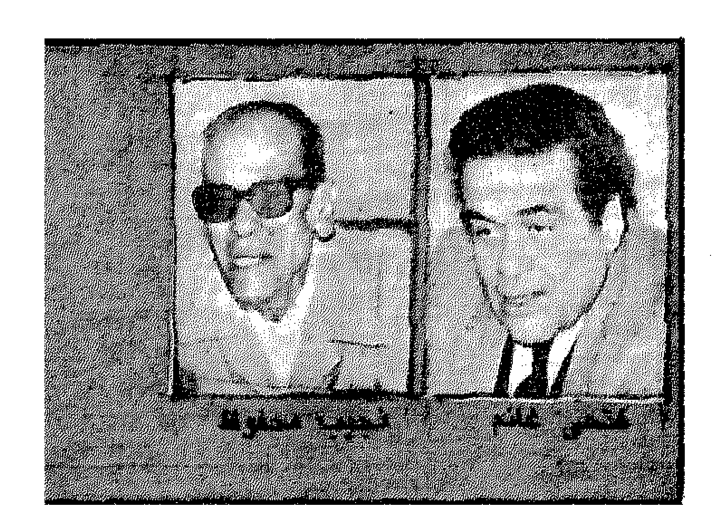
صوت ناهد هو الصوت الوحيد الصافى ، أو لنقل الاحادى فى الرواية . والكاتب يعتمد فى رواية هذا الصوت على الأسلوب التقليدى فى القص : سرد يتخلله حوار ، وهو سرد تقليدى أيضا فى تتابعه الزمنى . لا تقاطعات ولا تعاريج . تنطلق ناهد بسيارتها ـ مع أخيها ـ وفى نيتها الذهاب الى بيت صقر بعد موته بعشرة أيام ، لكن رحلتها على الطريق الزراعى تعيد إليها كل علاقتها بصقر مرتبة كما حدثت ومن خلال استعراض هذه العلاقة تصل الى قرار :

«كأننى كنت منومة كل هذا الوقت . قلت لسامى . سنرجع رأس البر . أوقف العربة » صـــ ٨٦ .

ناهد اذن هى الشخصية الوحيدة التى تعرف ماذا تريد ، وتحقق بالفعل ماتريد دون تعاريج أو منحنيات ، ولذلك كان طبيعيا أن يقدمها الكاتب عبر هذا الأسلوب ، فى حين قدم الشخصيات الثلاثة الأخرى بأسلوب قصصى مختلف تماما أكثر عمقا وثراء والتواء فى ذات الوقت ، مستخدما فيه مجموعة من وسائل التدخل بين السرد والحوار والمونولوج الداخلى عبر تقنية تيار الوعى أساسا . هنا نلاحظ أن صوت صقر كان اكثر الاصوات استخداما لهذه التقنية ، يليه صوت يحيى وأخيرا صوت تحية . وهذا الترتيب يكشف بذاته مدى معرفة الكاتب العميقة بمستوى وعى كل من الشخصيات ففى الوقت الذى تتداخل فيه العوالم والأزمنة فى ذهن شاعر يموت ـ مثل صقر ، نجد أن تداخل العوالم بالنسبة لتحية هو خارجى أكثر مما تحتمله درجة وعيها وثقافتها ، وبينهما يقف يحيى الذى يحاول أن يدرك هذا التداخل بمنطقه هو المتزن والمنظم الى حد ما .

كذلك نلاحظ أن مستويات التداخل اللغوى فى ملفوظ هذه الشخصيات أعلى بكثير من المستوى اللغوى الأحادى البسيط الذى تتحدث به ناهد بدر .. فهذه الشخصيات الثلاث تستخدم لغة يتداخل فيها مستوى لغة المثقفين مع اللغة العادية . مع العامية المأثورة (كما فى استخدام الامثال الشعبية على سبيل المثال) والعامية الدارجة .. الخ .

ولاشك أن هذا التمايز الفنى فى تقديم ناهد من ناحية والفريق الآخر من ناحية ، يعكس موقف الكاتب فى إدانة ناهد والتضامن مع فريق صقر . ومع ادراكنا ان الكاتب لم يستطع أن يغوص فى شخصية ناهد بعمق مثلما فعل مع الآخرين ، فجاءت شخصيته مسطحة إلى حد كبير ، فإننا ندرك ؟ أيضا ؟ انه ربما كان هذا التقديم مقصودا لاحداث التوتر الأساسى فى الرواية ولكشف الأزمة الحقيقية فيها . ففى الوقت الذى يعانى فيه الفقراء صراعا داخليا رهيبا ، ناتجا عن الحياة القاسية التى يعيشونها ، نجد أن ناهد لا تعانى بنفس الدرجة من العمق ، لأن أمورها واضحة وطريقها محدد سلفا .. من أب مستشار وتاجر .. إلى معيد ويعمل بالسياحة .. وفى الوقت الذى تحقق فيه ناهد ما تريد عن اقتناع وصدق ، يموت صقر ، ويحيى يسافر فى إعارة (هذا الذى كان نموذجا للنضال والصلابة) ، ومن ثم تفقد تحية أملها فى حبيبها (يحيى) الذى كان قد وعدها بأن يرتب معها أوراق صقر .. فتغلق الرواية بأنها قد حفظت أوراق صقر فى حقيبة وأغلقتها ودستها تحت السرير » (صـــ ٨٨)



● شكل جديد

وهكذا .. فى زمن تصبح فيه كل الأشياء ليست حقيقية ، وكل الكائنات مسوخ .. زمن تكون فيه كل الورود سامة ، وكل الحب مستحيل (صـــ٧٧) لا يستطيع الكاتب الا أن يدين الشكل التقليدى من الرواية ، هذا الذى يبسط الأمور أكثر مما تحتمل ، ويلجأ إلى شكل جديد يسمح بتعدد الأصوات وتعقدها محققا بهذا الشكل الجديد تجاوزا حقيقيا واضحا للانجاز الروائى السابق الذى استخدم أسلوب وجهات النظر المتعددة (فتحى غانم ونجيب محفوظ) ، لأنه جعل من هذا الأسلوب وسيلة لتحقيق توتر فنى ودلالى عالى المستوى ، وقادر على أن يجسد أزمتنا التى نعيشها جميعا وأن كانت الأجيال الأحدث أكثر معاناة لها ، وأكثر قدرة على تقديمها فنيا .

ملحوظة :

احمد زغلول الشيطى محام يعيش فى دمياط ، يدور عمره حول الثلاثين ، له مجموعة قصصية تصدر قريبا فى مختارات فصول بعنوان « شتاء داخلى » .

رسالة باريس

الكتاب العربى والأوروبى ..

أول لقاء

أصبح من المسلمات التى لا سبيل إلى دفعها أن مرتبة الحيوان كائنا ما كان رهن بحالة جهازه العصبى .

وأنه كلما ارتقى اكتسب ذلك الجهاز منزلة جليلة تبعا لهذا الرقى . والجماعات كالأفراد فى نشوئها وارتقائها ، فكلما زادت حياتها تعقيدا صار الفكر فيها مثل منزلة الجهاز العصبى فى الفرد .

وصار الكتاب الحافظ لفكرها عنوانا دقيقا على هذا النشوء والارتقاء ومن أجل ذلك ، فالكتاب فى الجماعات المتخلفة ، يكاد الا يكون له اية منزلة ، بل قل كيان .

والحال على العكس من ذلك تماما فى الجماعات التى بلغت فى التحضر شاوا كبيرا ، الكتاب فيها كائن نام ، متفرع ، مورق الافنان .

ومن هنا ، ذلك الاحتفال المتزايد به ، كلما اقربنا من نهاية القرن العشرين ، قرن غزو الفضاء .

وتلك المعارض الكثيرة التى تقام خصيصا له على امتداد العالم الفسيح .

ومن هنا كذلك طرح معهد العالم العربى بباريس ، بالاشتراك مع دار سندباد التى كرست اغلب انتاجها للحضارة العربية وما اينعت من ثمار ، طرحهما معا لفكرة اقامة معرض اوروبى - عربى للكتاب بمبنى المعهد ذى الطراز العربى والمطل شامخا على نهر السين .

وعلى كل ، فقد كتب لتلك الفكرة ان تخرج إلى حيز الوجود ، مساء الثلاثاء الموافق الخامس عشر من مايو الماضى ، وذلك بحضور كوكبة من المثقفين العرب والفرنسيين ، حفل افتتاح الصالون أو المعرض الاوروبى - العربى الأول للكتاب .

وبداهة ، فقد كان المتوقع لهذا الحدث الفريد بوصفه الاول من نوعه ، أو بوصفه جسرا ثقافيا بين الشعب العربى ، والشعوب الاخرى المطلة على ضفاف البحر المتوسط . ذلك البحر الذى يعتبر بحق مهد حضارة الانسان .

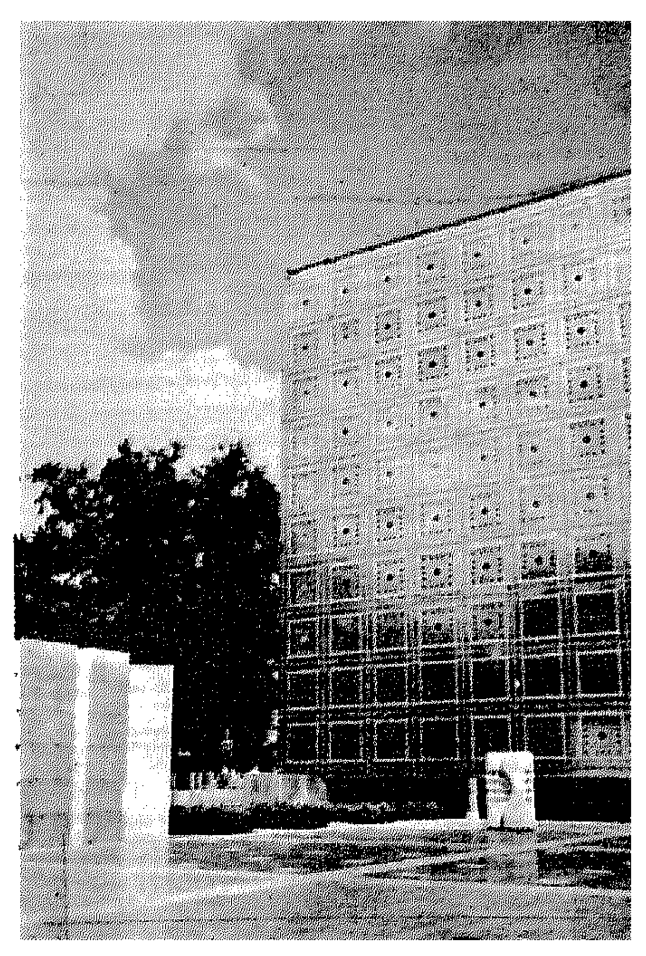
كان المتوقع له أن يكون منظما على مستوى المسئولية الكبرى الملقاة على عاتقه ، وأن تشارك فيه جميع الدول العربية بلا استثناء ، وأن تتوافر للكتب المطلوب عرضها الحماية اللازمة من سيف الرقابة .

ولكن شيئا من هذا لم يتحقق .

فالمعرض لم تفتح ابوابه للجمهور فى تمام الساعة العاشرة من صباح يوم الأربعاء ، وفقا للبيان المطبوع فى الإعلانات ، وانما فى وقت متأخر عن ذلك بساعة أو يزيد .

واكثر من ثلث المساحة المخصصة للمعرض كان ، لحظة الافتتاح ، خاليا من الكتب التى كانت لاتزال على ارض المطار ، تنتظر من ينتقل بها الى مكانها المختار .

وجميع دول الخليج تغيبت ، ولا اقول امتنعت عن المشاركة رغم كل ثرائها .



معهد العالم العربى ـ باريس

والأغرب من هذا كله ، ان احدا من كبار ادباء الوطن العربى ، باستثناء الشاعر «ادونيس» ، لم يدع للمشاركة فى ندوات المعرض ، ولو بكلمة تنقل على شريط تسجيل .

والأكثر غرابة ، ما حدث لكتب مؤسسة الدراسات الفلسطينية فى مطار بلد الحرية والمساواة والاخاء ، حيث ظلت محتجزة لا يفرج عنها بحجة معاداتها للسامية الى أن وعد وزير الثقافة الفرنسية ليلة الافتتاح بالشفاعة لها لدى زميله وزير الداخلية .

هذا ، ولم يقتصر النشاط على عرض الكتب وبيعها ، بل اشتمل على اوجه اخرى من النشاط ، من بينها تقديم بعض الأفلام المأخوذة عن اعمال روائية عربية كالف ليلة وليلة ، واليوم السادس لاديبة المهجر « رينيه شديد » .

ومما لوحظ على ما عرض من تلك الافلام خلال ايام المعرض الخمسة ، انه ليس من بينها اى فيلم مستوحى من ادب نجيب محفوظ ، وذلك رغم كثرة الافلام المستوحاة منه ، فضلا عن انه الاديب العربى الوحيد الحاصل على جائزة نوبل .

يبقى أن اقول انه كان من بين كتب المعرض كتاب يوسف الصديق الصادر عن دار الف ، والذى يحكى فيه بالرسوم المسترسلة اخبار الانبياء فى القرآن الكريم .

ولقد مرّ عرضه بسلام ، دون صخب وضوضاء ، ودون تكفير ووعيد .



بقلم: محمود بقشيش

نزهة في أجواء مخملية

اعتصم الفنان « صبرى راغب » باسلوب فني واحد ، منذ اتيح له أن يشارك فى الحركة التشكيلية المصرية ، حتى اليوم ، لم تحركه عواصفا التغيير في الفن ، والسياسة ، ظل قانعاً بالعزلة ، منصرفاً عن المسابقات والعروض الرسمية ، غير حافل باهمال صناع القرار لأعماله .. وعلى الرغم من النقص الطبيعى الكامن فى كل اسلوب فنى ، على حدة ، كان يؤمن بكمال اختياراته ... ساعده على ذلك تاييد من غير المتخصصين ، وبعض النخبة .. ومنذ سنوات اجرت هيئة « اليونسكو » مسابقة دولية لاستطلاع الراى فى اساليب الفن الحديث ، وكانت النتيجة لصالح الاساليب الوصفية بشكل عام ، والاسلوب التاثرى ، بشكل خاص .. وربما كان هذا سبباً آخر من اسباب اعتصامه ، ولابد من الاعتراف بان لكل المنحازين للتاثرية ـ سواء على المستوى الشعبى أو مستوى النخبة ـ عذرهم ، فهو فن مشرق ، ودعوة إلى الاستمتاع بمباهج الحياة ، والبساطة .


نظرة حالمة للفنان صبرى راغب

على الرغم من التزامه بالموضوعات المدرسية المالوفة مثل « وجه الفرد » و « الطبيعة الصامتة، والحية » فإن له اسلوباً شخصياً تستطيع تمييزه من بين عشرات الفنانين ، وهو ليس « تاثرياً » بالمعنى الدقيق للمصطلح ، فقد انتخب من « التاثرية » مايتسق مع طبيعته ،





اخذ منها المنظور الهوائي ، وطزاجة اللمسة ، غير ان الوانه تتسم بشيء من الوقار ، وتحتل الدرجات الرمادية موقعاً مرموقاً في نظامه اللوني .. ولست ادرى إن كان سر تلك الرماديات هو طبيعية الانعزالية ، أم بسبب الالتزام بغرفة المرسم ، وايا كانت الاسباب فالمؤكد ان تلك الالوان المحايدة تتناقض مع النظام اللوني للاسلوب التاثرى .

احتل وجه الفرد ، وبالذات المراة ، الركيزة المحورية في انتاجه ، والوجه صفحة تسجل بواطن صاحبها ، بدرجات متفاوتة ، من شخص الى شخص آخر ، ولم تتح قواعد الاسلوب « التاثيرى » الغوص في جوانب النموذج لهذا كان الاسلوب « الرومانسي » اقرب إلى ريشته ووجدانه ، وكان من الطبيعي ايضاً ان ينحاز إلى الجانب العاطفي ، المخملي .. تاركاً التجليات العاطفية العنيفة التى تتبدى في لوحات « ديلاكروا » على سبيل المثال .. ومثلما نبذ العنف ، انصرف ايضاً عن الموضوعات المشمسة .. مثل المناظر الطبيعية ، واكتفى بما تتيحه الغرف المغلقة من موضوعات !

● الفرشاة .. آلة العزف

إن معرضه الاخير بقاعة الدبلوماسيين الاجانب ، وكذلك معارضه السابقة ، تكشف عن درجة عالية من البراعة ، وتقوم الفرشاة بادوار مختلفة ومتكاملة ، فهي تقوم بدور آلة العزف الوحيدة ، واداة الكشف عن المجهول ، واداة البوح ، لمساته تتسم بالرشاقة والاحكام ، تشارك بفعالية في تحليل الكتل ، وتشفيفها ، بحيث تكاد تذوب في فضاء اللوحة ، تستطيع أن تكتشف عبر عشرات اللمسات ، واضحة الحركة ، حالة التفاعل الحى بين الفنان والنموذج ، لقد اكتسب من « التاثرية » روح الصائد ، وهو صياد ماهر للضوء .. حتى لوكان الضوء نقطة ، فانه يضعها في موضعها الصحيح ، فبتلك النقطة الدقيقة ، المحكمة ، يمنح « عين » النموذج تالقاً ، ومع حرصه على كشف مواطن الفتنة في المراة ، عبر ومضة في العين ، او إضاءة على الصدر ، او استرخاء لذيذ ، فإنه يحرص ايضاً على لمسة الوقار والتعفف ، وهذا الاتزان الاخلاقي يتسق مع اتزانه اللوني .. وهو يقوم بتنويب الفوارق بين الطبقات ـ وهو ما لم تستطعه السياسة حتى الآن ـ وسواء كان الوجه لريفية او حضرية ، خادمة او سيدة ، فهو ينقلهن جميعاً الى حيث الدفء ، والاسترخاء المخملي .

إن الغرف الواقعية لم تعد حائلاً ضد الخوف ، والقلق ، والاقتحام ، ولكنه يحول ضد هذا الاقتحام ، بإحاطة شخوص لوحاته بالأمان ، والمداعبة الرقيقة .. لكن ..!

يبدو ان القلق بدأ يتسلل برفق الى لوحاته ، فقد ظهر فيها شيء من

الحجاب على الرءوس ، كما ظهر مايغطى بعض العاريات بما يريب !

وتسلل الحزن إليهن .. كما فى لوحة « لحظة الم » - وهو عنوان وصفى - يمثل واحدة من مجموعته عن العاريات ، أو نصف العاريات ، وقد استجاب فى تلك المجموعة الى اغراء التعبير القصصى ، وخص كل واحدة بموقف من المواقف ، واللوحة المشار إليها تمثل سيدة تجلس حزينة ، وربما يائسة على مقعد .. عارية إلا من قميص النوم ، ويستطيع المشاهد أن يكتشف بيسر تداعيات تلك اللحظة النفسية والواقعية ، وهى أقرب فى تكوينها الى اللقطة السينمائية الروائية ، ومع ذلك فقد تألقت باللمسات البارعة ، فى بحثها عن درجات النور والظلال ، وباستثناء عارض الاحباط الذى التقينا به فى بعض عارياته فإن الحزن يتراجع فى الوجوه الفردية ، تاركاً لها التامل الحالم .. المحاط بالزهور والفراء "

● ديتر يونج ... والتشكيل بالضوء

اقيم بمجمع الفنون بالزمالك معرض للفنان الالمانى « ديتريونج » فى مجال « الهولو جرام » او التشكيل بالضوء ، إن المبدعين بهذا الوسيط التشكيلى الجديد القلية فى العالم ، لأنه يستلزم من الفنان أن يتمتع بمهارات لاتتاح لفنان اللوحة التقليدية ، فعليه أن يكون محيطاً بكيمياء الضوء ، وأن يكون على دراية بعلمَىْ : الرياضة والهندسة ، وفن « الجرافيك ».. ولا بأس من أن يكون نحاتاً أو معمارياً .. أو كليهما معاً ! وعليه ، فوق ذلك ، أن يعبر تلك الدروب المعقدة ليقدم لنا شكلا ، يكشف لنا به عن طريقه المختار من بين الطرق الثلاثة التى يتالق فيها هذا الوسيط وهى .

١ - الفن الخالص ، او الشعر البصرى - إن صح التعبير

٢ - الاعــلان .

٣ - أن يكون أداة للتعليم ، واختار « يونج الطريق الأول .. طريق الفن الخالص .

يتســم التشكيــل الضــوئــى (الهولوجرام) فى حالاتـه الثلاث بالحركة ، والتجسيم ، وهى حركة ترتبط ارتباطا سببياً بحركة المشاهد ، اما الاجسام فعلى الرغم من كونها مجسمــة ، وتكشف عن زواياهــا المتعددة ، فهى أجسام شعاعية ، لايمكــن الامســاك بهــا .. ويقــدم (الهولوجرام) مايتكامل به مع اسلوب الـ « كنيتيك آرت » او الفن الحركى من حيث ان الحركة ، فى الأخير تصدر من العمل الفنى ذاته .. كما تحتل الاشكال حيزاً واقعياً يمكن رؤيته ، ولمسه ، وتعديله احياناً .. اما « الهولوجرام » فإنه لايسمح إلا بالفرجة ، والاحلام .. ولقد اتيح لجمهور المعارض فى القاهرة والاسكندرية هذان النوعان من الابداع التشكيلى خلال السنوات الأخيرة .. كان لهما اثر على بعض الفنانين المصــريين ..

إن الاطلاع على بطاقة التعريف بالفنان تؤكد مايكشف لنا معرضه عن

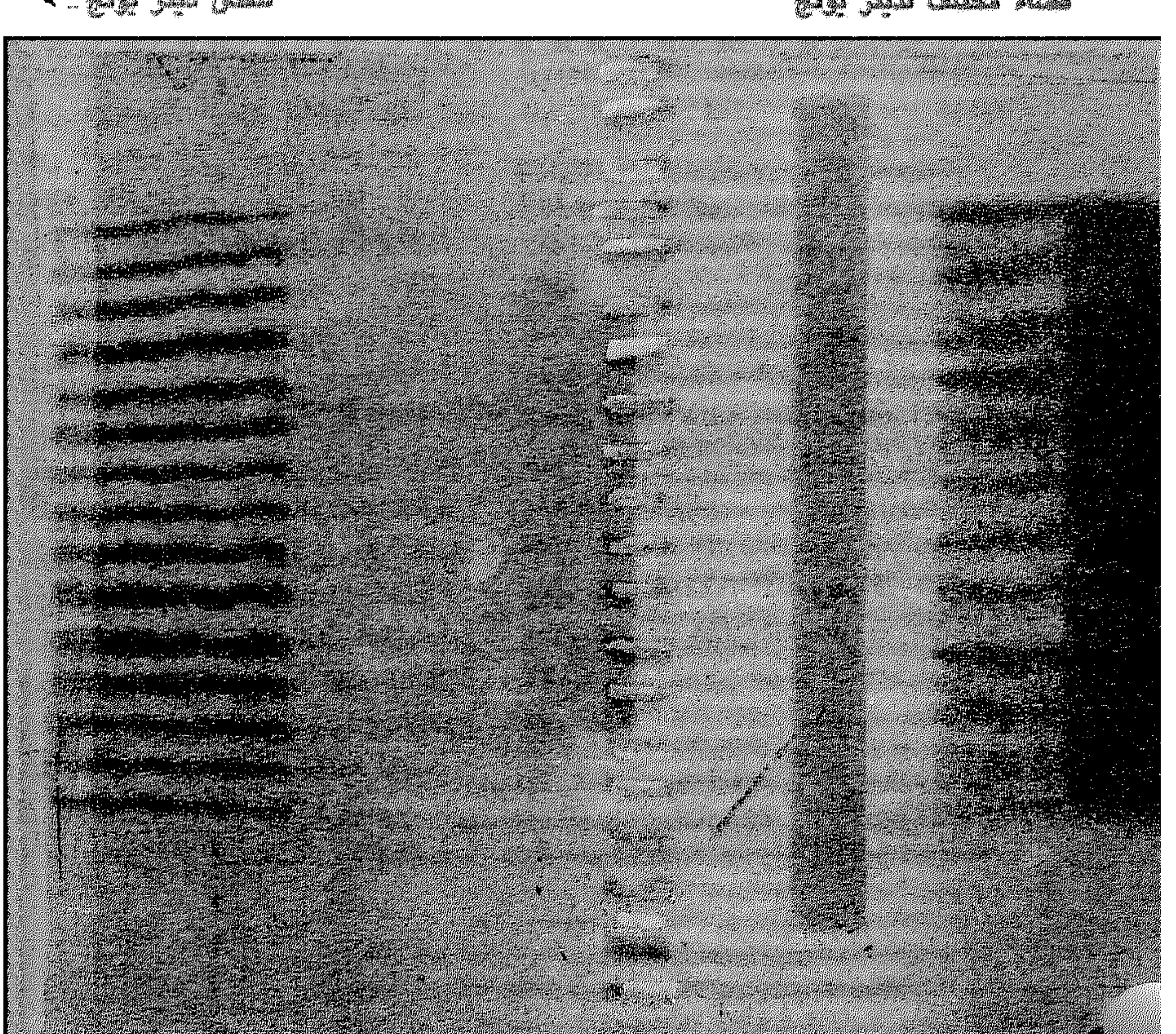
جدية الباحث ، وعمق الفنان ، درس في شبابه « اللاهوت » ، غير انه غير مسار دراسته ، فانتقل الى مدرسة الدولة للفنون .. وفي ظني ان دراسة « اللاهوت » قد تركت آثارها في رؤيته ، وعلى الرغم من اختفاء البعد الوصفي في لوحاته المرسومة وتشكيلاته الضوئية ، وانتمائه الى التجريد المطلق ، فهو يحرص على وضع عناوين لها ، اقرب إلى عناوين قصائد شعرية مثل : « قوس قزح ـ ظلال ريشة ـ فضاء الزمن الحاضر ـ الخ »

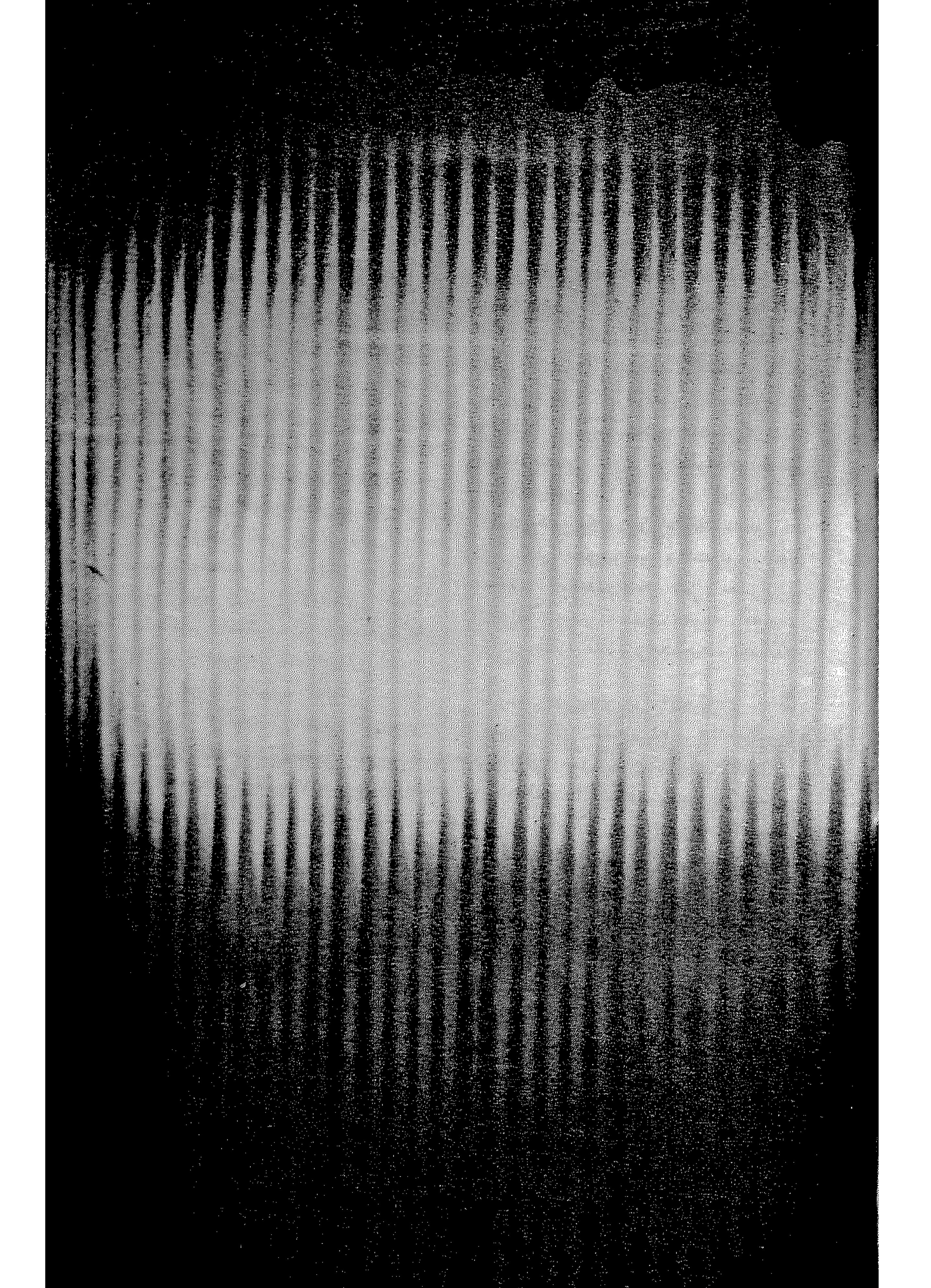
ولعل ادراكه لاختفاء الفواصل بين الفنون جعله يقيم معرضاً مشتركاً مع المؤلف الموسيقى « آن ماكميلان » بنيويورك .. كما لوحي ابداعه للشاعر « انز نز برجر » بقصيدة عبر فيها عن عالمه الفنى .

تتميز رسومه بالاكليريك ، وبالاقلام الملونة ـ بشكل خاص ـ بالدقة ، والاحكام ، والرقة ، وتتسم الوانه بالشفافية .. على النقيض من الابهارات الضوئية ـ بحكم طبيعة الوسيط ـ وتحسب رسومه ، لدقتها ، وهندسيتها ، انها منفذة بواسطة « كمبيوتر » !

فضاء مختلف لديتر يونج

قوس قزح
للفنان ديتر يونج .. ➤







● رءوف رأفت .. وعودة بعد غياب !

بعد غياب عن الساحة التشكيلية ، عاد الفنان « رءوف رافت » بمعرض اقامه بمجمع الفنون بالزمالك ، وبه ينضم إلى زمرة الفنانين الذين اختاروا « الرسم » مجالاً للتعبير .. هم قلة في مصر ، غير انهم استطاعوا ان يعيدوا الاحترام لهذا الفن ، وكان ينظر له فيما سبق ، باعتباره الفن الاقل شأناً الذى ليس من حقه ان يتجاوز تبعيته للنصوص المكتوبة او ان يتمرد على دائرة « التحضير » للاعمال الفنية ، وكان هواة التقسيم الطبقي للخامات يدرجون خامات : القلم الرصاص ، والحبر الجاف ، والحبر الصيني في طبقة الخامات الفقيرة ، ويتوجون خامة الالوان الزيتية في عرش الخامات الفنية !.. وعلى الرغم من ان الامر كله لم يكن في حاجة إلا الى نظرة سريعة الى انجازات الفنان المسلم في مجال فن الرسم ، للتاكد من ان هذا فن رفيع ، فقد كانت الذاكرة الفنية المصرية في حاجة الى كفاح أجيال ، ابتداء من الفنان المعلم « حامد سعيد » ، حتى جيل الشباب الآن ، لاثبات بدهية ، ان الفقر والغنى ليس في « الاداة » بل في درجة عمق أو سطحية رؤية الفنان ، وأن الخامات ليست مجرد أدوات خارجية إلا بالنسبة للمبتدىء .

اختار « رءوف رافت » خامة الحبر الصيني الاسود والملون ، كما استخدم بدرجة اقل ، كما وكيفاً ، خامة الجواش ، اتسمت رسومه بالدقة ، والبراعة ، وحبكة الدرجات الضوئية ، وكما حاول بالخامة ان ينتمي إلى زمرة المبدعين في مجال الرسم ، فقد حاول - على مستوى الاسلوب الفني - ان ينتمي إلى الرمزيين المصريين ، وبالذات « عبد الهادى الجزار » الذى نلحظ بعض آثاره في طريقة تشكيل الشخوص ذات الملامح « الكاريكاتيرية » وان اختلف - الى حد كبير - في التوجه مع « الجزار » الذى انسحب بشخوصه الى سراديب الخرافة ، بينما تضمنت رمزية « يوسف رافت » نظرة ناقدة ومحتجة ، تضمنت اللوحات درجات من الاحتجاج .. من الايحاء إلى التصريح ، والمباشرة ، كما في لوحة تحمل عنوان : « الاساتذة ، الاطباء .. رحمة بالانسان » ويقترب أحياناً من روح الرسم الصحفي ليصطنع موقفاً قصصياً - كما في لوحة « العزاء » ولوحة « الحسد » ليقدم خلفية زخرفية ، تحتل الموقع البطولي في اللوحة ، ومن لوحاته اللافتة للنظر لوحة بعنوان « خيال المآتة » ، وهي لوحة للانقلابات التى يقدر عليها الفن وحده ، فالمعروف ان « خيال المآتة » يستعمل لاخافة الطيور ، وابعادها ، بينما في اللوحة يتبادل الانسان والطائر المواقع ، يظهر الطائر منقضاً بجسارة على « خيال المآتة » ، بينما يتقلص الانسان خائفاً اسفل اللوحة ،

الحسد .. رسم صينى للفنان رءوف رافت

وهو يطالع صورة شبحية لهيكل عظمي على غطاء الفزاعة ، وهو يتخلى عن المكاشفة ، والمباشرة في قليل من لوحاته ، اهمها لوحة بعنوان : « الحركة الاخيرة » .

إن معظم شخوصه تبدو مكفنة بلفائف الومياوات المصرية القديمة ، وجوهها خرساء ، وأجسادها مشلولة .. وهو لايتعاطف مع هذا النفي ، بل ـ كما قلت ـ يكشفه ، ويعترض عليه ، ويقدمه في صورة تجعل من لوحاته كوابيس جميلة !

● معلقات .. عصمت داوستاشي !

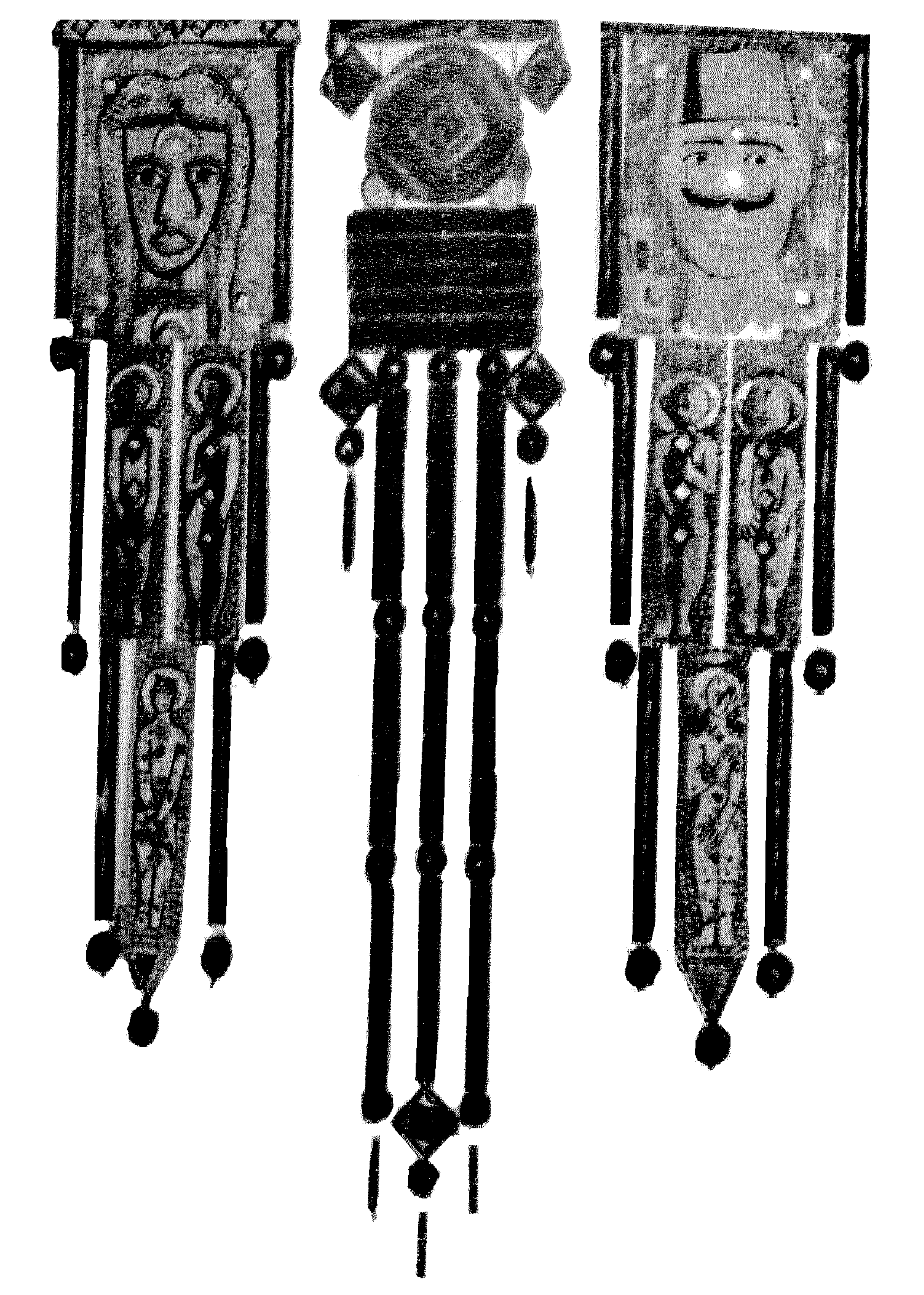
هناك نوعان من الفنانين المصريين .. النوع الأول تخلى طائعاً ، او مجبراً ، عن دور الفنان المبدع ، وقنع بدور الصانع الماهر الذي ينشغل باعادة انتاجه او استنساخه ، تلبية لشروط الفن في مصر .

اما النوع الآخر ، ويمثله اقلية ، فقد اختاروا لانفسهم الطريق الملغوم .

طريق الصدق ، والبحث الجاد عن جديد واصيل في ذات الوقت ، من بين هؤلاء الفنان « عصمت داوستاشي » الذي اقام معرضاً لآخر انتاجه في قاعة « زاد الرحال » بالزمالك تحت عنوان : « « معلقات » .

إن ذكر اسم « عصمت داوستاشي » يعني ذكر اسم مجموعة من الفنانين ، فهو مثال ، ومصور ، ورسام .. ومبدع دائم التجدد ، وإن جمع هذا التنوع توجهاً جمالياً وتعبيرياً واحداً ، وأعني به .. الحرص على ان تجسد ابداعاته المتنوعة تلك .. ملامح قومية ، يستلهم لها الزخارف والرسوم الشعبية ، لهذا تحفل اعماله بالطرافة والاشراق .. اجتمعت في معلقاته المعروضة مجموعة من المشهيات البصرية التي تجعل من زيارة المعرض نزهة ممتعة ، ففي اللوحات طرافة الرسوم الشبيهة برسوم الوشم الشعبية ، والملصقات المجسمة والرسوم المسطحة ، وبريق الالوان وألق مربعات المرايا العاكسة ، وفي اللوحة المنشورة ـ على سبيل المثال ـ وهي لوحة ثلاثية تشكل في مجملها اسرة وتحتل صورة الأب ، وصورة الأم قمة لوحتين مستقلتين ، واسفل كل منهما ثلاثة اطفال ، تحيط براس كل طفل هالة القداسة ، ويخفون جميعاً بايديهم مناطق العفة !.. وربما أراد الفنان ان يحيّي الرقم « ٣ » ـ باعتباره رقماً مقدساً ـ فعدد الأطفال تحت كل من صورة الأب ، وصورة الأم .. ثلاثة والفاصل التزييني بين اللوحتين .. تخرج منه ثلاث شرائح طولية .. وعلى وجهي الابوين ، وعلى صدر كل منهما ثلاث مرايا صغيرة مربعة ، ويمكن للمشاهد ان يكتشف ماتركته من ثلاثيات !

معلقات للفنان ◄
عصمت دوستاشي





انتهينا ! صدئت كل حليى فى الصوان
وغدا السيجار نصفا بعد أن ذاق الهوان
والمكاتيب سطورا زاحفات كالأفاعى
وزوايا الصورة الصفراء فى لون الضياع
وبقايا روبك الأزرق أبلاها الزمان

• • •

هذه الاشياء كانت لى عبيدا فى حياتى
سئموا الرق وملوا أن يظلوا ذكرياتى
كم تنفست شذاها كلما شط خيالى
وغزوت السطر تلو السطر فى حرب الليالى





ولبست الروب أستجليك فى مرآة ذاتى ..

● ● ●

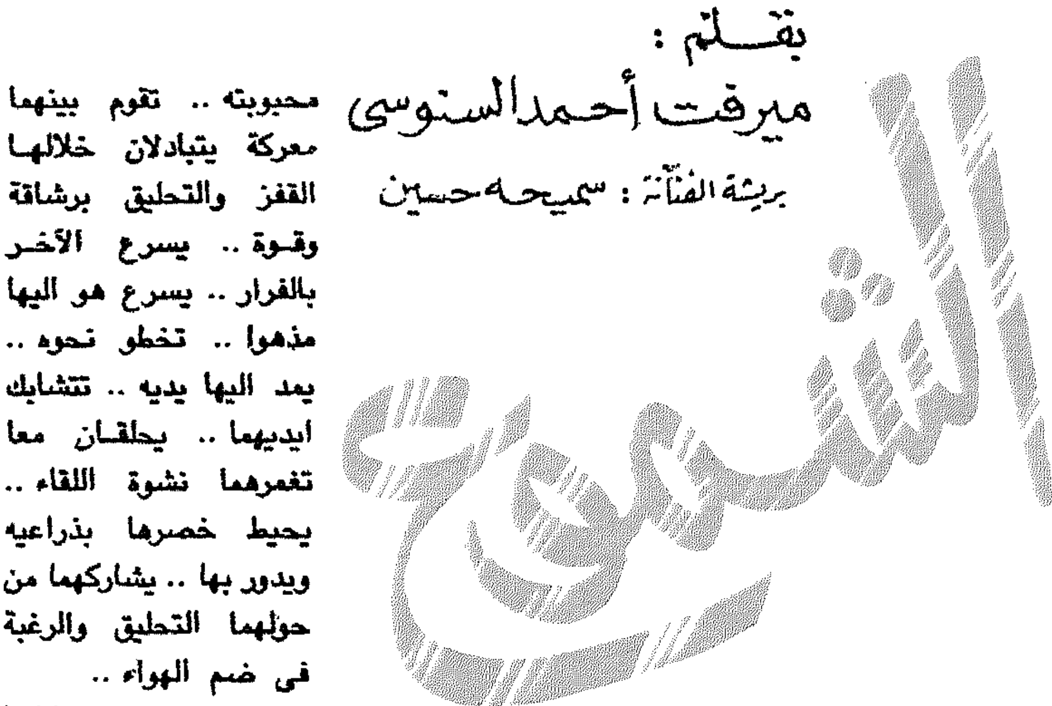
اين اخفى ذلك المسخ الذى نام واطرق
كان فوق الثغر مبهورا بأنفاسك يشرق
انه يقبع فوق الرف كالروح السجينة
اين بعد اليوم اخفيه عن العين الحزينة
اين أخفى جثة المنديل .. والروب الممزق

● ● ●

اين اخفيها وقد أمست بمحرابى خطايا
إنها اشلاء آمالى وعمرى .. وهوايا
اترى للشمس أهديها كاسنان الطفولة
أم ترى للنار قربانا لأعوام جميلة
أم لدهرى وهو قد أودى بأحبائى ضحايا .. ؟

قبل أن يدوي صوته





بقلم: ميرفت أحمد السنوسى

بريشة الفنانة: سميحة حسين

كانت تنظر بانبهار الى خشبة المسرح الذى كان كل شىء فيه قد أعد لإستقبال إحدى فرق الباليه ..

نظرت لما يدور حولها بلا مبالاة .. فقد كان البعض يحدثون بعض الجلبة وهم فى طريقهم الى أماكنهم ..

عادت تصوب نظراتها نحو المسرح حين التقطت مسامعها تلك الدقات الثلاث الخالدة .. سكتت حولها كل الأصوات .. لم يكن هناك أى مجال لأى حوار أو ثرثرة .. لاصوت سوى للخطوات الراقصة ..

كانت ترصد خطوات الباليرينا التى كانت تنتقل بخفة ونشاط ورشاقة .. محلقة بيديها فى الهواء كفراشة تداعبها الأحلام ..

يندفع نحوها بطل العرض تفاجأ به .. تبتسم .. تبتعد عنه بخطواتها الرشيقة .. تنظر اليه نظرات مرحة لعوب .. يدعوها اليه .. ولكنها لاتتوقف عن التحليق .. يداها تحلقان كأنهما تراقصان الهواء ..

يطير هو فى الهواء محلقا نحوها .. يعترض طريقه أحد الذين ينازعونه الوصول الى قلب محبوبته .. تقوم بينهما معركة يتبادلان خلالها القفز والتحليق برشاقة وقوة .. يسرع الآخر بالفرار .. يسرع هو اليها مذهوا .. تخطو نحوه .. يمد اليها يديه .. تتشابك ايديهما .. يحلقان معا تغمرهما نشوة اللقاء .. يحيط خصرها بذراعيه ويدور بها .. يشاركهما من حولهما التحليق والرغبة فى ضم الهواء ..

وهى .. من نفس مكانها غمرها الاحساس بإن المسرح أمامها قد تحول الى شبه سماء قد إمتلأت بتلك الفراشات الحالمة الناعمة ولكن انفاسها ظلت كما هى تلهث خلف خطى الباليرينا دون غيرها .. تتبعها اينما تذهب .. نظراتها تتجه معها صوب إتجاه خطواتها ..

ولكنها .. فجأة نظرت الى البطل بإشفاق ..

فقد توقف ينظر مذهولا بعد أن رواغته الحبيبة .. تخلصت من بين ذراعيه وأسرعت تبتعد عنه بخطوات سريعة عاد يسرع نحوها ولكنها ظلت تراوغه بمهارة .. تقترب

ثم انطفأ ضوء الشموع

منه ثم تسرع بالابتعاد .. حتى بدأ الأمر له وكأنها تتحداه ..

كانت خطواته تصرخ بألف سؤال .. لماذا .. لماذا .. لماذا ؟

ولم يجد تفسيرا لهذا التحول من محبوبته .. بينما هى كانت لاتزال تخطو بعيدا متجاهلة تساؤله الحائر ..

ظلت نظراتها معلقة ببطل العرض .. الذى كان مطرقا لاينظر حتى نحو محبوبته الى أن يتنبه ان خصومه الذين ينازعونه قلب الحبيبة .. يحلقون حولها تنظر اليه .. تمد يديها مشيرة اليه أن يقترب .. تردد قليلا .. خشى أن تعود الحبيبة تخذله .. ولكنها اسرعت اليه تجذبه اليها فى رشاقة وابتعدت به .. إستسلم هو لخطواتها .. لايكاد يصدق انها قد عادت تحلق بين ذراعيه .. بل .. إنها هى التى سعت اليه كانت خطواته تعانق الهواء بينما كان هناك من لايزال يتربص به .. حاولت تنبيهه .. ولكنه لم ينتبه انها تنظر اليه بفزع توقفت عن مشاركته التحليق وأخذت تدور حوله بعنف .. خطواتها صراخ .. و .. واجهه الخطر مواجهة عنيفة فوجىء بها .. أبطأت الحيرة خطى الباليرينا .. ظلت نظراتها معلقة الى ما يدور هناك .. فوق خشبة المسرح .. تلاشت من

حولها ظلال الاشياء .. لايطرق مسامعها ونبضها سوى حديث الخطوات .. اصبحت بانفاسها المبهورة اللاهثة ترصد كل الخطوات .. نظراتها تتبع تشابك السيقان المرنة .. والباليرينا التى مازالت تحلق حائرة .. اصبحت خطواتها رجاء حائر .. فكيف تنقذ حبيبها .. لاتعرف ماذا سيكون مصيره فالمعركة مازالت قائمة .. والبطل العاشق مازال يقاوم الحصار الذى يشتد حوله ..

أحست أن قلب الباليرينا هو الذى اصبحت تخطو خفقاته .. حزينة .. حائرة .. وأن قلبها هى كذلك يردد نفس خفقات قلب الباليرينا ..

تلاشى كل شىء أمام عينيها لم يبق هناك سوى تلك الخفقات يتردد صداها الصاخب بأعماقها .. توارت حتى خطوات الباليرينا ..

التحم كيانها بكل ماينبض فقط فوق خشبة المسرح .. تحول نبضها كشمعة قد احترقت .. أو .. قد قاربت شعلتها على الانزواء .. ذلك الانزواء الذى تسبقه ذروة التوهج .. ثم تسرع خطى الأنزواء .. وهنا .. إندفعت لتصعد فوق خشبة المسرح .. إرتطم جسدها بالأرض .

تحولت كل الانظار تتجه حوها .. توقف العرض .. تسمر الراقصون فى أماكنهم .. نظراتهم مصوبة نحوها . إلى أن أفاقت ..

وجدتهم وقد أعادوها ثانية الى مقعدها ذى العجلات !!!



● تقول العامة : فلان يخش من الباب .. واذا سمعوا طرقا على ابوابهم صاحوا بالطارق : خُش ـ فعل امر بضم الخاء المعجمة ـ وخش يخش ، معناهما : دخل يدخل .. قال الشاعر البحترى :

تحجه الأركب مخشوشة
ركبانها من كل فج عميق

والباب المخشوش الذى يقصده البحترى هنا هو باب البيت الحرام بمكة

● الأديب يقول : يجيئنى الزائر .. أما العامى فيقول : يجينى الزائر .. والكلمة الثانية «يجينى » صحيحة مثل الكلمة الأولى «يجيئنى » .. قال البحترى :

إنى لارضى بخط سطر
أو أن يجينى له رسول

وقد زعم ابو العلاء المعرى فى تعليقه على شعر البحترى فى كتاب «عبث الوليد » .. أن قوله «يجينى » لغة رديئة ، ولكنه لم يقل إنها غير صحيحة .. ونظن نحن أن البحترى اراد التظرف بلغة اهل بغداد ، وكانت لغة صحيحة فى عصرها وقبل عصرها .

● الرفاهية ـ والرفاهة والرفه .. هى الحياة الناعمة الطيبة ، واصل الكلمة قول العرب القدماء فى البادية .. رفهت الأبل ، اى وردت الماء متى شاءت ، فهذا دليل على كثرة الماء ، وكثرته تأتى بالرى والشبع للحيوان والنبات والانسان وتلك هى الحياة الطيبة .

● فى كتاب للغة العربية مقرر على الثانوية العامة يزعم مؤلفوه أن استعمال الشاعر محمود سامى البارودى كلمة «الحشا » فى بيت للغزل خطأ لأن الحشا هى الأمعاء ، والأمعاء ليست مكان الشعور .. وهذا جهل من مؤلفى الكتاب لايقع فيه إلا من يجهل الشعر العربى واللغة العربية .. فإن الحشا تعنى ماضمه الصدر كالقلب والضمير والاحساس قال البحترى :

لا تكذبن فأنت الطف فى الحشا
عهدا ، واحسن فى الضمير وأجمل

والاحشاء مثل الحشا ، قال البحترى ايضا

وعندى احشاء تشاق صبابة
اليها وقلب من هوى غيرها غفل

● ومن عجب أن يتصدى لتعليم الشعر العربى ونقده من يجهلون لغة العرب وأساليب الشعر العربى



أحمد الحفناوى



اخر العباقرة فى أوركسترا أم كلثوم

كانوا اربعة من العازفين وراء كوكب الشرق ام كلثوم فى جميع حفلاتها منذ اوائل الثلاثينات .. كان هؤلاء الأربعة هم اعظم عباقرة العازفين المصريين على العود والقانون والكمان وآلة الايقاع «الرق» او الدف ..

محمد القصبجى ، اعظم عازف للعود ، كان يجلس إلى يسار ام كلثوم وعلى مقربة منه ابراهيم عفيفى اعظم ضابط للايقاع عرفه الغناء العربى فى تاريخه المعاصر ، بل اعظم ضابط للايقاع فى العالم كله .

وإلى يمين ام كلثوم كان يجلس محمد عبده صالح عبقرى «القانون» فى الشرق كله ، وفارابى العصر الحديث .. وإلى جواره احمد الحفناوى ، عازف الكمان الذى لم تعرف آلة الكمان عازفا فى مقدرته بعد اميرها سامى الشوا ..

رحل العباقرة الأربعة واحدا إثر الآخر ، حتى جاء دور الحفناوى أخيرا ، فى الشهر الماضى .. وانطوت برحيله اخر صفحات العازفين الافراد العباقرة فى الموسيقى العربية الحديثة الذين وضعوا اسس فن العزف ، وبينوا طرائق التدريبات العلمية ..

وقديما قال العقاد فى وداع سيد درويش : إن موت موسيقار نابغة خسارة تشعر الأمة بفداحتها إذا كانت الأمة حية المشاعر ..

ونقول اليوم : إن امتنا قد شعرت بفداحة خسارتها فى احمد الحفناوى ، ساحر الكمان وراء ام كلثوم ، وآخر العباقرة الأربعة الذين صاحبوها وهى تبنى صرح الغناء العربى الحديث !

رسالة الكويت

أزمة ثقافة

أزمة ثقافية أم أزمة المجلات الثقافية .. ؟!

بقلم: مصطفى نبيل

عقدت فى الكويت ندوة موضوعها «الدوريات الثقافية وآفاق المستقبل» شاركت «الهلال» فى هذه الندوة التى حضرها نخبة من المهتمين بالمجلات الثقافية. وقد دعا اليها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب.

وتناولت الندوة قضايا هامة مثل أزمة المجلات الثقافية والقيود والحدود المفروضة على إنتقالها من قطر عربى إلى آخر، وما تعانيه من الرقابة أحيانا وتحويل النقد أحيانا أخرى ..

ودار حوار خلاق بين التجارب والأفكار المتعددة.

● وجنحت هذه الندوة - مثل غيرها - إلى التعميم، والعودة إلى التجارب التاريخية القديمة بدلا من الخوض فيما هو قائم، مما يحتاج إلى الدقة والجسارة، ولكن فى تجارب الماضى فرصة «للبحث والمناقشة» وهى مرحلة حان الوقت لتجاوزها، والانتقال منها إلى الحاضر كمدخل طبيعى نحو المستقبل، وينتقل العقل العربى للبحث فى العمق، وفى التفاصيل بدلا من الكليات، وعن المصاعب القائمة بدلا من الوقوف عند التجارب التى بدأت وانتهت، مما يعكس نزوعا طبيعيا نحو الماضى الذى يضفى عليه الخيال سحرا خاصا.

واستبعدت الندوة التقنيات

الصحفية ، وقضايا الطباعة والتوزيع باعتبارها موضوعات فنية تخرج عن مجال إهتمامها ، واكتفت بمناقشة البديهيات والمسلمات المعروفة ، وكانت المناقشات فى بعض جوانبها إرسالا من جانب واحد ، يلقى ما سبق إعداده أو ما قرر قوله ، بصرف النظر عن المناقشات التى أثيرت ، فجاء البعض ولديه ما يقوله ، لا ما يستمع إليه .

صحيح طرحت خلال الحوار بعض القضايا الهامة ، ولكنها جاءت عرضا ولم تلق العناية التى تستحقها ، فلم تكن ضمن الأوراق المقدمة ، ولم تكن على جدول أعمال الندوة ..

فمثلا .. أليس من الأجدى مناقشة تجربة مجلة الهلال ، وخاصة أن عددا قليلا من المجلات الثقافية لا تكاد تعد على أصابع اليد الواحدة فى العالم كله ، نجحت فى أن تجذب اليها القراء وتثير إهتمامهم طوال ما يقرب من قرن من الزمان ، وتتناول الندوة بالبحث والدراسة ، مراحل الهبوط والصعود ومدى إرتباط ذلك بالمناخ العام من حولها . وهى تقدم فرصة للبحث والتامل ، فلا يوجد فى الوطن العربى سواها مجلة عربية تحتفل بعد اقل من عامين بعيدها المئوى .

وهى ظاهرة خاصة تستحق المناقشة والتقييم ، فى ظل عالم يتغير ، عاشت خلاله. أفكار القرن العشرين التى حلت محل أفكار القرن التاسع عشر ، وماضيها هو ماضى الثقافة العربية وسجلها بغير جدال .

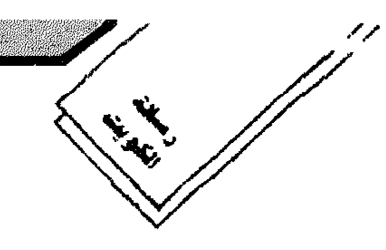
وهى تكشف أن المجلة مثل الكائن الحى ، تولد وتنمو ، وتكتسب عافيتها وعنفوانها من تحقيق شروط الاستمرار بعد تحقيق شروط الوجود ، والاستمرار يحتاج إلى التجدد ومواكبة ما حولها من متغيرات ، وسرها الخاص فى قدرتها على تبنى الحلم العام ، وقدرتها على أن تقدم مادة طازجة وشيقة ، تحمل بين دفتيها ما تزخر به الحياة من دراما إنسانية .

أو .. فلتناقش الندوة تجربة مجلة العربى التى تصدر فى الكويت ، وخاصة أنها مع مجلة «الهلال» حققت إنتشارا عربيا ، وتمكنت من أن تكون مجلة للقارىء العربى العام ، تساهم فى وحدة الفكر العربى .

● العقل والخيال

على اية حال .. اكد الجميع على أهمية المجلات الثقافية ، فمجالها العقل و الخيال ، والتحول يبدأ بتغيير العقول قبل تغيير الواقع والسياسات ، وتعبر الأفكار الجديدة ، والمدارس الحديثة عن ذاتها من خلال المجلات الثقافية . منذ «روضة المدارس» أول مجلة ثقافية يصدرها رفاعة رافع الطهطاوى الذى حمل شعلة النهضة وحتى رسالة أحمد حسن الزيات ، وتوالت على السنة المتحدثين الأمثلة التى تدلل على خطر المجلات الثقافية واهميتها .

● ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية مجلات تصدرها مباشرة قوى تتطلع إلى التاثير على عقل العرب ،



فظهرت مجلة «المختار» الترجمة العربية لمجلة «ريدرز دايجست» وصاحبتها حملة دعائية ضخمة، وجذبت اقلاما عربية مشهورة، وصدرت بالألوان الزاهية والورق المصقول، وإبتدعت لجذب القارىء المسابقات والجوائز.

واخذت تروج للقيم الامريكية، وبلاد الفرص الجديدة، وآفاق الربح الوفير، وتقدم البطل ذلك العصامى الذى أصبح يملك الملايين. وتبعها مجالات أخرى لقوى وأيديولوجيات متعددة.

وهنا يجدر التنبيه إلى الحد الفاصل بين التغلغل الثقافى وبين التفاعل بين الثقافات الضرورى للتقدم والتطور.

● أما ما كشف عنه اخيرا من إنفاق المخابرات الأمريكية على مجلة «انكونتر» الثقافية، ومجلة «حواء» التى كانت تصدر فى بيروت، وتبين أن تمويلهما ياتى عن طريق منظمة حرية الثقافة العالمية التى تمولها المخابرات الأمريكية.. والتفسير الواضح هو أن المجلة الثقافية.. أداة فكرية بالغة القيمة والأهمية والتاثير!

● قامت الأحزاب السياسية فى مصر فى النصف الأول من القرن العشرين بإنشاء مجلات ثقافية مؤثرة، اشهرها «البلاغ الأسبوعى» التى كان يصدرها حزب الوفد و «السياسة الاسبوعية» التى كان يصدرها حزب الأحرار الدستوريين، وتهدف كل منهما إلى التاثير على العقل والاتجاهات الفكرية المختلفة فى الرأى العام المصرى.

● الأزمة

وبعدها انتقل الحوار إلى ازمة المجلات الثقافية، وتساءل البعض حول المعيار لمعرفة حجم الأزمة، أو مدى تاثير المجلات الثقافية على القارىء، وهل يكفى رقم الطبع والتوزيع، وخاصة أن المجلة الثقافية حتى إن كانت محدودة التوزيع نسبيا فإنها عظيمة التاثير فعليا..

والعمل فى الثقافة اشبه ما يكون بمن يبذر الحب أو يزرع نبتة، مما يحتاج إلى وقت حتى تزدهر وتثمر.

ونعى البعض غياب دراسات أصيلة ومرتبطة بالواقع، وهى مهمة المجلات الثقافية كما أن دورها هو النقد والمراجعة، وهى وعاء لكل حركة فكرية جديدة، ومنبر للدعوات وأداة لتوحيد الفكر العربى..

ويرجع البعض أزمة المجلات الثقافية إلى انها احدى نتائج الأزمة الاقتصادية التى تعانى منها الدول غير النفطية، بعد أن اختل التوازن بين تكلفة العمل الثقافى الرفيع وعائده، واصبحنا أمام إرتفاع تكلفة العمل الثقافى وعجز القارىء على تحمل اعبائه.

ويرى البعض الاخر، انها ازمة الثقافة وليست ازمة المجلات الثقافية، فيصعب فصل ازمة الثقافة عن ازمة

المثقفين ، فكلاهما وجها عملة واحدة ، فأزمة الثقافة ترتبط بوضع المثقف فى المجتمع ، ومدى نجاح المجتمع فى استيعاب ونشر جهد مفكريه ، ومعاناة المثقفين من دورهم الهامشى ، يثير لديهم الشعور بالسخط والاحباط . وخاصة بعد أن تعرضت «الكلمة المكتوبة » إلى تحدى وسائل الاتصال الحديثة من اذاعة وتليفزيون ، وفيديو وحاسب آلى ، وبعد وصول محطات التليفزيون العالمية إلى غرفة نوم القارىء .

مما يؤدى إلى تقليص دور المجلة الثقافية والتى تعنى فى النهاية تكوين نظام عقلى يعتمد فى المقام الأول على غرس الروح العلمية ، فلم نر مجتمعا يرتفع مستوى الفكر والثقافة بين أفراده ويعجز عن المبادرة والابتكار فى مواجهة التحديات والمعضلات .

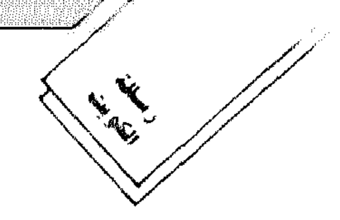
وتعانى الثقافة وأوعيتها المختلفة من كتب ومطبوعات ودوريات من أزمة خانقة ، بعد أن أخذ التغير يطول كل شىء حتى عادات الانسان التى استقرت مع الزمن ، ومنها عادة القراءة ، وظهر تأثير هذه الظاهرة السلبى على الكتاب وعلى القـراءة ، وأصبحت ذاكـرة الكمبيوتر - عند البعض - بديلا عن المـوسوعـات والكتب المعـروفـة ، واستبدلت الأجيال الجديدة بالكتب أشرطة التسجيل وأفلام الفيديو ، وحل الصخب محل السكون الذى يخلق عادة القراءة ويحافظ عليها ..

وخيم على الحضور الشعور العميق بما يتهدد الكلمة المكتوبة ، وتأثيرها على بناء ثقافة القارىء ، فهى أساس الثقافة فى مواجهة تحديات العصر وبناء المستقبل .

ويرجع البعض الآخر أسباب الأزمة ، إلى غياب الحرية فى العديد من الأقطـار العربيـة ، وهى العـامـل الضرورى لازدهار الفكر والفن ، فى ظل مرحلة بالغة الدقة ، ومع التغيرات السريعة وعدم اليقين وحالة السيولة العالمية التى يمر بها عصرنا الراهن .

ومن الملاحظات الهامة ما ظهر خلال هذه الندوة ، من اختلاف منظور كل طرف عربى للأزمة ، نتيجة تباين الظروف بين البلدان العربية ، فيطالب البعض مثلا برفع سيطرة الدولة عن الحياة الثقافية ، ويطالب البعض الآخر الـدولة بتقـديم الدعم والمسـاندة للثقافة ، ويرى البعض أن الأزمة تكمن فى ضآلة مساحة الحرية المتاحة ، ويرى البعض الأخر أن الحرية تنتزع ولا تمنح وهى ليست قضية معزولة تهم المثقفين وحدهم ، وليست تخص قضية فكرية ، بل هى تعبير عن مدى نمو المؤسسـات وإيمان المجتمـع بها ورسوخ تقاليده فى ظلها ، وأن يرسخ فى المجتمع الايمان بالتعددية الفكرية والسماحة مع الرأى الأخر .. .

وإذا كان توفر الحرية سببا فى إزدهار الفكر ، فغيابها يقتضى عملا نضاليا تقوم به النخبة ، فإذا كانت ترتبط بالسلطة ، فهى ترتبط أيضا بنمو المؤسسات الديمقراطية ، وكثيرا ما يأتى التهديد من سيادة التعصب



والارهاب الفكرى الذى يسلط على المفكرين ، والذى يضع قيدا ثقيلا على الأفكار الجديدة وعلى حركة الاستنارة فى المجتمع ، مما يقتل المبادرات ويجف معه الخيال .

● حكومى وأهلى .

وظهر فى مناقشات الندوة تيار قوى ، حول ناشر المجلة الثقافية ، وهل هو حكومى أم أهلى ، كمعيار لمدى ما تتمتع به المجلة الثقافية ، من حرية ، ومدى قدرة المجلة على معالجة التسؤلات الفكرية القائمة ، وبالتالى قدرتها على جذب القارىء ، فكثيرا ما تجنح المجلات الثقافية الحكومية إلى ربط الثقافة بالاعلام ، وخلط القضايا الفكرية بتلك القضايا السياسية الآنية . حتى وصل الحال إلى فصل رئيس تحرير مجلة المعرفة السورية عندما نشرت فى إفتتاحيتها أجزاء من كتاب «طبائع الاستبداد» للكواكبى ..

وهنا يقع العقل العربى من جديد اسير الأزدواجية ، فالمسألة ليست فى كون المجلة الثقافية حكومية أم أهلية ، انما فى نمو المؤسسات الديمقراطية وقدرتها على حماية حرية التعبير ، وحرية المؤسسات على نشر افكارها ، وهو ما يرتبط بتحويل المبادرات الفردية إلى مؤسسات ثقافية قادرة على الاستمرار وتحقيق التوازن الاقتصادى .

وقد مرت المجلات الثقافية بالتجربتين معا فى مصر ..

فمجلة الهلال ، تحولت من مشروع فردى إلى مؤسسة نشر كبيرة استطاعت أن تصدر مجلتها وان تجدد فكرها ، بينما ارتبطت مجلة الرسالة بمشروع فردى لم يتجاوز عمره عمر صاحبها ..

وشهدت مصر عام ١٩٧٠ القضاء على سبع مجلات حكومية دفعة واحدة هى مجلة القصة - الفكر المعاصر - المجلة - الفنون الشعبية - الكتاب العربى - السينما - المسرح ، وبعد خمس سنوات أخرى قضى على اثنتين أخريين هما الكاتب والطليعة .

وتكشف هذه التجربة أهمية المناخين السياسى والثقافى العامين ، كما تكشف ضرورة أن تتحول هذه المجلات إلى مؤسسات ذات شخصية إعتبارية ووضع قانونى يحميها من العواصف والأهواء .

وفى الثمانينات ظهرت مجلات ثقافية جديدة ، وأتاح المناخ السائد لبعض الهيئات والمؤسسات الأهلية والحكومية إصدار مجلات جديدة وصلت إلى ١٧ مجلة ثقافية .

ولاشك أن أكبر المخاطر على المجلات الثقافية يتمثل فى الرقابة ، التى تحجب حركة المجلات الثقافية بين العواصم العربية المختلفة ، والتى تحول دون إجتياز المجلة لكل الحدود العربية ، كما تعانى المجلات من قيود تحويل العملة مما يتعذر معه فى بعض الأحيان استرداد أثمان بيعها .

ورغم أن المجلة الثقافية العربية هى

الوسيلة الهامة للتواصل العربى الثقافى ، وهى المؤهلة لطرح المنطلقات والمبادىء الأساسية كحركة النهضة العربية ، فإنه لا يكاد ينشب خلاف سياسى حتى تغلق الحدود بين الدول ، وتكاد تتوقف الدورة الدموية الثقافية العربية !

وترتبط بقضية الحرية ظاهرة هجرة بعض المجلات الثقافية ، وسعيها إلى أجواء أكثر حرية ، وأثبتت هذه التجربة أن هذه المجلات المهاجرة إما أن تكون إستمرارا لنظام عربى ما ، أو هجرة لأفراد أو مؤسسات مالية كبرى لها أغراض بعيدة عن الفكر والثقافة .

وقد ظهرت ١٦ مجلة ثقافية عربية فى كل من لندن وباريس ونيقوسيا وفينا ، ولم تنجح فى الوصول إلى القارىء العربى على اتساع الأرض العربية ، ولم يبق منها سوى ست مجلات ، انتقلت اثنتان منها إلى القاهرة هما الفكر والمنار عام ١٩٨٩ ، ولم تنجح أى منهما فى إقامة جسر ثقافى بين مهجرها ووطنها .

وليست هذه المجلات مثل «العروة الوثقى » التى كان يصدرها الأفغانى ومحمد عبده فى باريس ، لتكون منبرا حرا لكل صاحب رأى ، ولكى تقاوم الغزاة الأجانب ، بعد الكوارث والهزائم التى لحقت بالثورة العرابية ..

ووصف تاثيرها السيد رشيد رضا بقوله .. «كان كل عدد منها مثل سلك من ـ الكهرباء اتصل بى فأحدث فى نفسى هزة من الانفعال والحرارة والاشتعال .. »

هذه هى بعض القضايا التى وضعت على مائدة البحث فى ندوة المجلات الثقافية ، وبقيت بعض القضايا التى تناولها الحضور تناولا سريعا ..

مثل ضعف الدوريات الجامعية ، التى تنشر مادتها لا لكى تخاطب القارىء بل لكى تتيح الترقى لبعض الأساتذة ، حتى وصل الأمر ببعض هذه الدوريات أن تتقاضى ثمنا من الكاتب بدلا من ان تدفع له ، نظير الموافقة على نشر بحثه ، حتى تساعده على الترقى .. !

وملاحظة أخيرة ..

هى ظاهرة الازدحام الشكلى للمجلات والتى صدرت فى الآونة الأخيرة .. مما لا يتيح فرصة لمتابعتها ، والتى لا تغطى الكثير منها حاجة ملحة ، أو تتوجه لقارىء بعينه ، وجاء ذلك نتيجة تصور خاطىء لبعض النظم العربية ، أن عليها أن تصدر مجلة ثقافية مثل ما عليها أن يكون لديها العلم والنشيد ، وزادت المجلات ذات الورق المصقول والصور الملونة ، والتى خلت من قضايا العصر .. والتى تعطى شعورا كاذبا بانتعاش الثقافة ، وإن كانت تحول دون طرح القضايا الهامة ..

ويكفى الندوة ما طرحته من أسئلة هامة ، وأنها أوصت بتشكيل رابطة للمجلات الثقافية تساهم فى وضع خطط النشر الثقافى . وتنسق بين المجلات الثقافية لتحقيق التكامل والتفاعل بينها ..

وهى خطوة هامة إن تحققت .



رأى فى الثقافة

النشر للمرة الأخيرة

فى حوار مع أحد المبدعين الأصدقاء تكشفت لنا مأساة حقيقية لم ينج منها إلا القليل من الكتاب . هذه المأساة تتلخص فى أن هناك تقليدا غريبا يسود عملية النشر فى بلادنا ، فالكاتب ينشر عمله فى الغالب بمجهوده الشخصى ، وعلاقاته ، ووجوده أثناء حياته ، وما أن تغمض عيناه ويرحل للدار الآخرة ، حتى يزهد الجميع فى أعماله ، وحتى الناجح منها .

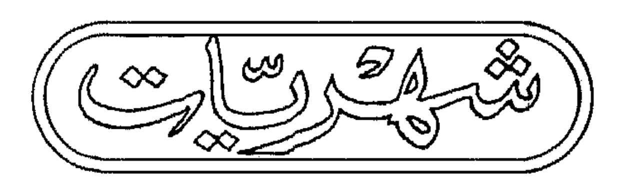
كان أمامنا مثال لنتاج يحيى الطاهر عبدالله وغالب هلسا ، وعباس أحمد ، ومحمد قاسم جودة ، والدكتور مصطفى مشرفة صاحب الرائعة «قنطرة الذى كفر» وغيرهم من المبدعين فى مجالات أخرى ، كسليم حسن ومصطفى عبدالرازق وحسين فوزى وغنيمى هلال وعبداللطيف حمزة وغيرهم ممن يعدون بالمئات ، ولأسباب من انه لا ورثة يرعون نشر اعمالهم ، المطلوبة والمرغوبة والتى يفتقدها قراؤهم ، فإن جهة ما لم تفكر فى إعادة طبع اعمالهم ، لتمضى السنين وتندر هذه الأعمال حتى تختفى ، وبالتالى يختفى هؤلاء جميعا من قائمة المبدعين .

وقال صاحبى : والغريب الغريب أن البعض منا ممن يزهد فى الجرى وراء إعادة طبع أعماله بعد أن تقدم به العمر وهدأت حركته ، وأصبح مجهوده كله منصبا على نشر جديده ، يحدث له ذلك وهو حى يرزق .

والغريب أن تكون هذه الأعمال ، مطلوبة ومرغوبة ، ويبحث الناس عنها بشق الانفس ، اى انها على المستوى الاقتصادى أعمال « مربحة » لن تبور لأن لها مستهلكين ؟ !

هل هذا ناشىء من أننا نفتقد الناشر الحقيقى المثقف المتابع والواعى حتى يسوق النشر ، أم لأن التخلف الذى نعيشه قد اصابنا بامراض أصبح نسيان مبدعينا واحدا منها ، ام أننا مصابون فى اعماقنا برغبة حقيقية فى التخلص من ابداعاتنا حتى اصبحنا نقول : يا أخى مات وخلصنا منه ؟ أسئلة ستظل معلقة فى الفضاء كخيال المآتة . فهل من مجيب ؟

● عبده جبير



رأى فى الثقافـة

الحقيقة الضائعة فى موضوع توقف مجلات وزارة الثقافة




د . سمير سرحان   د . محمد عنانى

المسئولون فى هيئة الكتاب اصابونا بالحيرة فى موضوع توقف المجلات الثقافية الصادرة عن الهيئة حتى لم نعد نعرف من نصدق ومن تكذب .

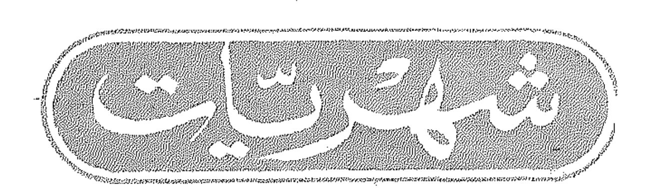
البعض قالوا بأن توقف المجلات ناتج عن عدم توافر الورق ، وان الهيئة كلها تعانى من هذه المشكلة ، حتى انها لم تصدر كتبا منذ فترة ، وانه حين تحل مشكلة الورق ، فإن هذه المجلات ستعاود الصدور .

والدكتور سمير سرحان رئيس الهيئة يصرح تصريحا غامضا لجريدة الأهالي (عدد ٢ مايو الماضى) عن توقف إصدار هذه المجلات .

ويأتى بعده الدكتور محمد عنانى رئيس قطاع النشر ليشن هجوما ساحقا ، على هذه المجلات ويعتبر انها قد صدرت ، لا بغرض ثقافى ، وإنما لمجرد تلميع بعض من زملائه ، ولأغراض خاصة برئيس الهيئة السابق الدكتور عز الدين إسماعيل (عدد الأهالى ٩ مايو ١٩٩٠) ، وهو بذلك يتهم الدكتور عز الدين اسماعيل بتهمة خطيرة وهو الرجل الفاضل المعروف عنه مشاركته الايجابية فى حياتنا الثقافية ، والغريب أن الدكتور عنانى نفسه كتب وكتب الكثير فى مجلة فصول التى يصب الآن غضبه عليها .

المسألة إذن أن المسئولين الكبار فى الهيئة يعمدون لاغلاق هذه المجلات دون أن يكون للمثقفين راى فى الموضوع ودون تحسب للمخاطر التى ستنتج عن هذا الاغلاق .

ومسألة إصدار جريدة إسبوعية ثقافية تصدر عن وزارة الثقافة ، ويرأس تحريرها الصحفى الكبير صلاح حافظ هى مسألة لايمكن ألا أن نرحب بها ، خاصة بعد أن تأكد إختيار صلاح حافظ لرئاسة تحريرها ، فهو صحفى ناجح وقادر على قيادة صحيفة ، لكن نظن أن مجلات مثل فصول وإبداع والتراث الشعبى وعالم الكتاب والقاهرة والمسرح وعلم النفس هى مجلات متخصصة تتوجه لنوعية أخرى من القراء ، وهى ومهما كانت الملاحظات



رأى فى الثقافة

عليها فإن إصدار صحيفة أسبوعية ستكون بحكم توجه رئيس تحريرها الجديد جريدة متابعات وموضوعات ساخنة لايمكن أن تكون بديلا عن هذه المجلات المتخصصة .

فالنتيجة التى لا مناص منها إذا إختفت هذه المجلات أن تهاجر الاقلام المصرية مرة اخرى للخارج ، كما حدث فى السبعينيات إثر إغلاق المجلات السابقة : الكاتب ، الفكر المعاصر ، تراث الانسانية ، فهل وضع المسئولون عن هيئة الكتاب هذه الحقيقة فى إعتبارهم وهم يتخذون هذا القرار الخطير ، وهل هناك أمل فى أن يعاد النظر فى هذا القرار الخاطىء ؟

إن صحيفة ثقافية يراس تحريرها صلاح حافظ لا يمكن إلا أن تكون موضوع ترحيب من المهتمين بالثقافة ، كما أنه لن يدعى ولو للحظة واحدة أن يكون بإمكان صحيفة أسبوعية شعبية أن تنشر شعرا تجريبيا ، أو ابحاثا مثقلة بالمصطلحات والمراجع ، فهذا مالا طاقة لمثل هذه الصحيفة بتحمله .

داخل عقل ڤان جوخ

فنست ڤان جوخ اشتهر بين الناس بانه الفنان الذى قطع اذنه فى لحظة جنون .

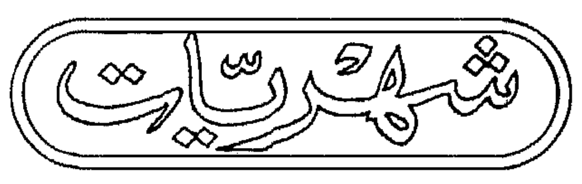


ڤان جوخ

وبعد أيام (يولية) سيجرى الاحتفال فى امستردام بمرور مائة عام على وفاته .

ومنذ الآن ، وبمناسبة ذكرى ميلاده فى ٣٠ من مارس ١٨٥٣ يتوافد السائحون على وطنه هولاندا من اجل القاء نظرة على لوحاته فى متحفى «ڤان جوخ » و «كروللر موللر » ، وكلاهما يقع فى امستردام .

ورغم كل هذا الاهتمام ، فإن احدا لم ينجح حتى الان فى اجلاء ما يكتنف شخصية «ڤان جوخ » من غموض ، وما تثيره من تساؤلات كثيرة من بينها ما الذى حدا به الى التعامل باسلوب يتسم بالجنون مع الاصدقاء ، الاسرة ، المدرسين ، رجال الدين ، المومسات ، الاطباء والزملاء الفنانين ؟



اشـارات ثقـافيـة

هل حقا أعتبر نفسه المسيح ؟ هل كان ثمة علاقة شاذة بينه وبين الرسام جوجان ؟ لماذا قطع اذنه ؟ هل كان سعيدا بوجوده في مستشفيات المجاذيب ؟ وهل كان يحلو له في بعض الأحيان أن يظهر بمظهر الرجل الذى فقد عقله ؟ ولماذا انتحر باطلاق الرصاص على صدره فى وقت كان قد وجد فيه الماوى الامن لدى طبيب مولع بجمع اللوحات الفنية ؟ وهل فكر حقا فى قتل ذلك الطبيب «جاشيه» ، أم انه عندما صوب الغدارة ، انما صوبها نحو قلبه هو ، ذلك القلب الذى كان يعرف أن رسوماته ليس لها كبير قيمة ؟

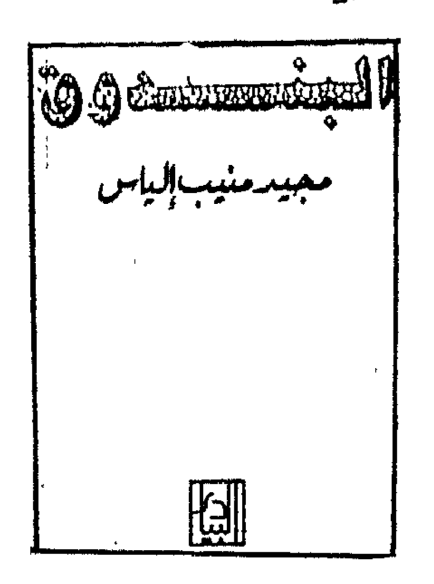
ومهما تكن الاجابة على هذه الاسئلة فالقدر المتيقن ان اضطراب حالة «فان جوخ» انما ترجع - حسب التشخيص الطبى السائد حاليا - الى نوع من انواع مرض الصرع .

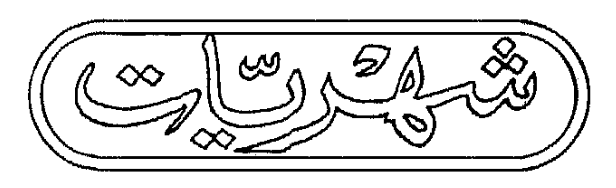
ولعل ثمة علاقة بين هذا المرض وبين تسلط الميلاد والموت والمقابر على رسوماته ، فضلا عن خلوها تماما من اى جسد عار لرجل او امرأة .

حـــول ظاهـــرة «أدب الانتفاضة »

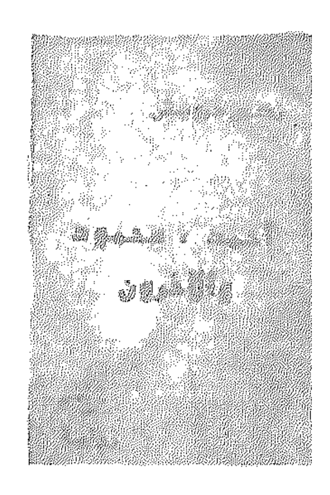
(ظاهرة جديدة جديرة بالتامل والتناول الجاد الذى ندعو نقادنا للقيام به) هى ما يمكن تسميته «أدب الانتفاضة» وهى إضافة جديدة لما سمى من قبل «أدب الاحتلال» الذى كانت أعمال أميل حبيبى ، وفدوى طوقان ، ومحمود درويش (الداخل) وسميح القاسم وغيرهم تشكل روافده التى إنتهت الى الاصطلاح عليها بادب المقاومة .

آدب الانتفاضة إذن يقف بجوار «أدب الاحتـلال» وأدب المـهجـر الفلسطينى ليشكلوا معا هذه الظاهرة الثقافية العربية الفلسطينية التى يمكن ان تجمع تحت عنوان أدب المقاومة الذى اثار، ويثير الكثير من الأسئلة التى ليس أقلها : ماهو الخط الفاصل بين الوثيقة التاريخية الآتية ، وبين العمل الفنى ، وماهو المدخل الصحيح للتعامل مع أدب ينتجه أدباء يعيشون واقع الاحتلال . فى الداخل والخارج ، ولايجدون ، هم وبحريتهم الكاملة ،

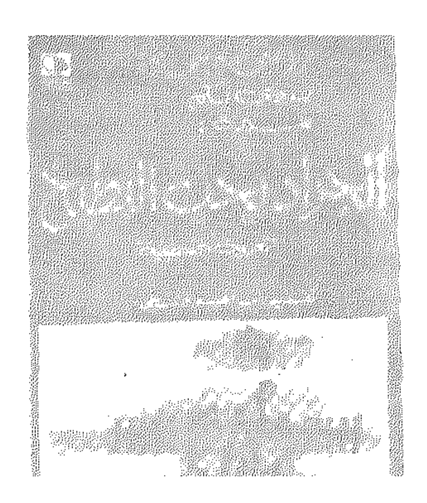




اشارات ثقافية







أشد من هذا الواقع ليكون موضوعا لعملهم .

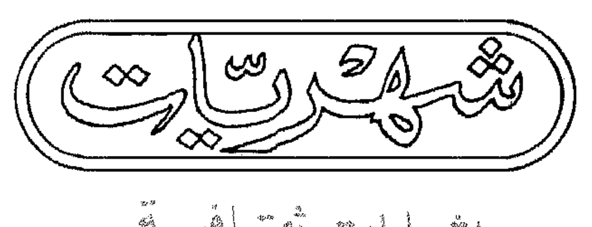
الحقيقة أن القضية ومن أجل صالح الأدب الفلسطيني نفسه يجب أن تؤخذ بالجدية المطلوبة ، ومنذ زمن كان محمود درويش بذكائه المميز قد تنبه إلى هذه القضية وهو يطلق صيحته الشهيرة « إحمونا من هذا الحب القاسي » وكان يقصد أن الحب العاطفي وحده ليس كافيا ، إنما التناول الجاد للأدب الفلسطيني هو المطلوب .

على أى حال هذه هى مئات القصائد تكتب فى ظل الانتفاضة ، وهذه هى عشرات القصص ، لكن الرواية أيضا تجد مكانا لها فى أعمال عديدة نسمع بها . ولم يصلنا منها سوى ستة كتب هى :

● « زغاريد المقاهى » لأحمد وقد : يصور فيها ويبرز حياة عائلة أم العبد فى حى «خربة الزبداوى» الشعبى ، وإمتداد هذه العائلة فى الخارج من خلال الابن المسافر الى أسبانيا للدراسة .

● « الطريق الى بيرزيت » لادمون شحادة وتدور أحداثها حول حياة أستاذ فى جامعة بيرزيت وجماعة من الطلبة المتحمسين لأفكاره ، إسمه الدكتور باسل ، وهو كان قد كتب رواية بعنوان الطريق إلى بيرزيت ، وسلمها الى طالبة ، أحبها ، وحين أعتقاله تقوم هذه الطالبة بالزواج من زميل لها ، وحين يخرج يجد أمامه مشكلة أن روايته قد صدرت وصادرتها السلطات التى تقوم باعتقاله لهذا السبب .

● « أحمد محمود والأخرون » لزكى درويش . وهى تدور حول حياة أحمد الابن المسافر الى الخليج ، ينتظر رسائل أمه فى الأرض المحتلة . ومحمود الابن الأصغر الذى يحاول أكمال تعليمه لكن السلطات تغلق المدارس ، وهناك الأم والأخت « ديمة » التى تكتب لها الرسائل ، هى إذن رواية



اشارات ثقافية

عن شريحة ممثلة للشعب الفلسطيني البسيط في الداخل ، تشكل الانتفاضة خلفيتها من خلال الاشارة تلو الاشارة لها طوال النص .

● « البندوق » لمجيد منيب الياس ، وتدور حول حياة «يوسف » بطلها الذى يحكى لنا حياة أسرة مسيحية فى الأرض المحتلة ، وتشكل الانتفاضة، مثل سابقتها خلفية لها كحدث يومى يعيشه الناس بينما هم يقضون حوائجهم .

● « الجراد يحب البطيخ » لراضى شحادة ، الذى ذيل العنوان بوصف الرواية «تغريبة فلسطينية » وقد صدرت فى القاهرة بتقديم للناقد ابراهيم فتحى الذى كتب : إن هذه السيرة الفلسطينية لا تنزلق فى نزعة خطابية اعلامية .. وسطورها الحية تتدفق فى هديرها على لسان الراوى كما عرفناه وكما شكله تراثنا القصصى العربى وكما شكل وعينا ووجداننا .. اننا أمام رواية معاصرة تنبثق منها ملامح السيرة الملحمية ، وفيها تتحول الشخصيات الفردية الواقعية الى أسطورة يحياها الناس .

● « هواجس فلسطينية فى ظل الانتفاضة » لعلى حسين قليبو ، وهى مجموعة أعمال يمكن القول مع بعض التجاوز أنها تشكل عملا روائيا مشكل من مجموعة دوائر قصصية ، وإن كان المؤلف قد وصفها بأنها من الأدب الانسانى ، وهى أكثر الأعمال السالفة مباشرة وإن كانت تتمتع بصدق فنى واضح .

مكتبة الهلال

الكتاب : مذكرات حكمت فهمى
إعداد : حسين عيد
الناشر : كتاب الحرية
٢١٦ ص ـ ٥ ج م .



نجد فى هذا الكتاب مجهودا جديرا بالتسجيل لمعده الذى بذل الكثير ليأتى النص الذى قدمه لنا وافيا بالغرض منه ، فهو وبأمانة كاملة يصرح بأنه قد جمع مادة هذا الكتاب من المراجع التى تعرضت



مكتبة الهلال

لحياة حكمت فهمى ، والكلام الذى نقلته عنها هذه المراجع بالاضافة إلى تقصى الوقائع من أحداث الفترة التى عاشتها .

والكتاب يحكى بضمير المتكلم قصة لقاء الراقصة المصرية بالجاسوسين الألمانيين هانز إبلر الذى عرف باسم حسين جعفر نسبة إلى زوج أمه الألمانية صالح جعفر ، وساندى ستيت وكلاهما أرسلتهما المخابرات الألمانية ليجمعا المعلومات التى تريدها السلطات الألمانية عن القوات الانجليزية فى مصر .

كما تحكى كيف جند الجاسوسان الراقصة المصرية التى تؤكد المذكرات أنها كانت تعرفت بأحدهما (إبلر) فى ألمانيا أثناء كانت تعمل راقصة فى أحد الملاهى هناك ، ولأن حكمت فهمى كانت تعمل فى أحد الفنادق الكبرى التى يتردد عليها المسئولون الانجليز ودبلوماسيون وجنرالات وضباط فى الجيش ، فقد وجد فيها الجاسوسان افضل من يأتيهما بالمعلومات المطلوبة خاصة وانها كانت على علاقة شخصية بهم ، تتردد على غرفهم فى الفنادق وشققهم فى البيوت ، وكانت حكمت فهمى ، كغيرها من المصريين تكره الانجليز وتتمنى الخلاص منهم ، لذلك قبلت المهمة وهى تجد فى ذلك عملا وطنيا .

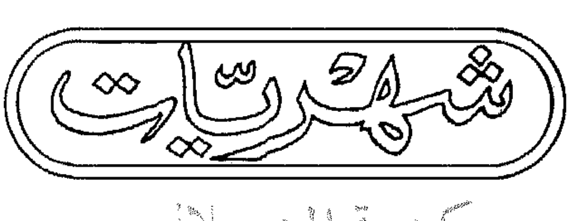
كما تحكى المذكرات كيف إلتقت حكمت فهمى بأنور السادات ، الذى كان هو نفسه على علاقة بالجاسوسين لنفس الغرض ، كما رأت عزيز المصرى فى المعتقل .

ورغم أن معد المذكرات لم يذكر لنا صراحة ما إذا كان لقاؤه بصاحبتها عام ١٩٧٠ كان للحصول منها على مادة حية هى التى أعتمد عليها فى كتابته للمذكرات ، فإنه نجح بشكل مدهش ، ونتيجة لتحقيقه للوقائع بشكل دقيق ، وقدرته على التقمص الذى وفرته له تجاربه القصصية السابقة ، بأن يضع أمامنا نصا كاملا غير منقوص نهنئه عليه .

الكتاب : ليالى ونزوات فاروق
تاليف سيد صديق عبدالفتاح
الناشر : مكتبة مدبولى الصغير



يحدثنا هذا الكتاب عن حياة الملك فاروق الخاصة مركزا على الحياة التى عاشها يلهث وراء النساء من مختلف الطبقات ، خارج مصر وداخلها ،



مكتبة الهلال

ويحكى من خلال إعتماده على الكتب التى سبق وتناولت حياة ملك مصر السابق الخفايا والأسرار التى كانت تجرى خلف جدران القصر الملكى بين «فؤاد» وإحدى الوصيفات ، وبين نازلى وأحد الكبار ، وعن إنحرافات بعض رؤساء الوزارات فى ذلك الوقت ، والدور الكبير الذى لعبه مساعد الملك بولى ورئيس الديوان حسين سرى فى تسهيل إندفاعه نحو إشباع غرائزه .

الكتاب : حالات واقعية من العيادة النفسية
تأليف : جمال ماضى أبو العزايم
الناشر : الدار العربية ـ القاهرة
٢٤٨ ص ، ٨ ج م .

أعد هذا الكتاب الكاتب الصحفى عادل حمودة الذى قام بدور المحرر فصاغ تجربة الدكتور جمال ماضى أبو العزايم فى التعامل مع المرضى النفسيين ـ والدكتور أبو العزايم عالم بارز فى ميدان الطب النفسى ورئيس الاتحاد العالمى للصحة النفسية وخبير بمنظمة الصحة العالمية ، ولأن تخصصه هو طب النفس ، فإن عالمه ملىء بأسرار النفس الانسانية والضعف البشرى ، صفحات الكتاب تحمل مزيجا من الواقعية والغرابة فهو شهادة على المجتمع لايمكن دحضها ، فكل تفاصيله واقع حدث ويحدث ، وبالرغم من ذلك فإنها قد تكون غريبة على أغلب القراء ، وإذا كان من الممكن وصف موضوع هذا الكتاب بكلمتين فهما : «التسلية المريرة» .

الكتاب إذن سيرة لحياة الدكتور أبو العزايم أثناء عمله فى معالجة المرضى النفسيين بطريقته التى ترى أن للمرضى النفسيين حقوقا هى حقوق انسانية ، وهى ترى أن المريض النفسى ليس قاتلا أو مجرما لكى تكبح حريته ويوضع خلف الأسوار ، ويحكم عليه بالاحكام العرفية ، فهو يرى ضرورة إزالة أسوار مستشفى الأمراض العقلية ، وأن يتم العلاج بالرسم والموسيقى وفتح ورش لعمل المرضى والخروج بهم فى رحلات ترفيهية حتى لا يزدادوا مرضا واكتئابا ، أى فكرة المستشفى المفتوح التى تعطى لمرضاها حرية التنقل دون قيود ، وتعتبر المستشفى مفتوحة إذا كانت أبوابها غير موصدة على الأقل ٨ ساعات فى اليوم .

إنه كتاب ممتع فعلا ، يضع يده على حقيقة

شهريات

مكتبة الهلال

المرض النفسى ، ويجعلنا فى حالة تعاطف مع المرضى ، يقتربون منا بدلا من أن نطردهم خارج حياتنا .

الكتاب : رواية التجسس والصراع العربى الاسرائيلى
تأليف : محمود قاسم
الناشر : نهضة مصر
٢٢٤ ص ، ٣ ج . م

يقول مؤلف الكتاب أنه : إذا كان الهوى هو أقدم المهن فى التاريخ فإن التجسس على الآخرين ومراقبتهم هو المهنة الثانية التى تجىء بعد الهوى قدما فى أعماق تاريخ البشرية ، وغرابة هاتين المهنتين تجىء من أن كلا منهما تمارس فى سرية ، ولها طقوسها الخاصة التى قد تبدو علنية ومعروفة إلا أن النواميس والغموض والأسرار تحكم هذه المهنة المسماة بالجاسوسية .

يستعرض الكاتب تاريخ رواية التجسس وأشهر أعمالها ومؤلفيها كما يقدم عرضا مفصلا للسمات العامة لرواية التجسس ، مؤكدا على أنها صناعة بريطانية ، فأبرز كتابها من البريطانيين ، ليس فى حقبة معينة من القرن العشرين بل فى كل القرن العشرين ، فهو يقول : وسنرى على الصفحات التالية كيف أن البريطانيين قد تسيدوا هذا النوع من الروايات ، وقدموا رواياتهم فى عالم التجسس ليس فقط عن الاستخبارات البريطانية ، بل عن عملاء من أنحاء متفرقة من العالم ، ومن أبرز هؤلاء البريطانيين سومرست موم ، جراهام جرين ، وأديك أملبر ، ثم جون لوكاريه .

كما يخصص الكاتب فصلا كاملا عن جيمس بوند ، لكنه يخصص الجزء الأكبر من الكتاب لموضوع رواية التجسس والصراع العربى الاسرائيلى ، وفيه يستعرض الأعمال العالمية التى جعلت من هذا الصراع موضوعا لها من زاوية التجسس ثم يعرض للأعمال التى كتبها العرب مثل أحمد عمر شاهين (الكاتب الفلسطينى) وصالح مرسى الذى عرف بأعماله الشهيرة الحفار ورأفت الهجان وسامية فهمى ، وغيرها .

إنه كتاب مثير فى قراءته ليس فقط بطريقة تناوله بل لأنه أيضا يتناول موضوعا مثيرا فى حد ذاته يجب على القراء أن يلتهموه بشغف .





لئن دق الصباح عليك بابا ورق له فؤادك واستجابا
فقمت إلى صلاة الفجر تسعى لتنهل من سكينتها رضابا
وصافحت النسائم طاهرات وبالعينين قبلت السحابا
وعانقت الحياة بكل حب وصادقت الحقيقة والصوابا
وقدمت الحساب بلا نفاق واخلصت الملامة والعتابا
وخاصمت الهوى وادرت ظهرا لداعية ، واسدلت الحجابا
وفتشت الضلوع لعل فيها ضغائن نكتسى ظفرا ونابا
لتنزع سمها شيئا فشيئا وتطرحها كمن خلع الثيابا
لئن احسنت بالأيام ظنا وقمت ترد شيبتها شبابا
لقد صالحت نفسك فى هداها وطبت بصلحها والعيش طابا



جاربو قبل امريكا

فى امريكا

جاربو .. آخر النجوم

بقلم : مصطفى درويش

ما أن طيرت وكالات الانباء خبر موتها فجر احد عيد الفصح الماضى (١٦ ابريل) باحدى مستشفيات نيويورك ، حتى اهتم العالم واهتز للخبر المفجع .
فكان أن اسرعت امهات الصحف والمجلات على امتداد العالم الفسيح الى نشر الخبر مع سيرتها وصور من افلامها وحياتها على اعمدة احتلت فى البعض منها الصفحات تلو الصفحات .
وكان أن بادرت المكتبة الملكية بالسويد الى الاعلان عن محتويات رسالة اقرب الى الاستغاثة من هوليوود الى الأهل فى استكهولم ، كتبت بخط يد النجمة التى اسلمت الروح قبل قليل .

● ومن بين ما افصحت عنه تلك الرسالة التى يرتد تحريرها الى منتصف العشرينات (١٩٢٦) ، ان النجمة المتوفاة كانت تعانى ـ ومنذ البداية ـ من وحدة قاتلة فى غابة النجوم المسماة هوليوود «اعيش فى وحدة موحشة ، فى مكان تركت فيه بلا انيس ، اخرج احيانا بمفردى لاسير ، ارنو الى السماء والماء واكلم نفسى » .

تلك النجمة التى اهتم العالم واهتز لسماع خبر اختفاء ضوئها ، والتى عاشت منزوية ، عزوفة عن الناس ، مستغرقة فى وحدتها القاسية ، تلك النجمة هى «جريتا جاربو » .

ومن عجب ان يكون لها كل هذا الصيت ، رغم انها وقت الرحيل عن دنيانا كانت قد بلغت من الكبر عتيا (٨٥ عاما)

ورغم انها كانت قد اثرت الا تظهر على شاشة كبيرة او صغيرة منذ نصف قرن من عمر الزمان .

ورغم أنها كانت قد اختارت . مكانا قصيا ، تعيش فيه بعيدا عن الضوضاء وصخب الاضواء .

ورغم أن عشاق جمالها ، ومن خفقت قلوبهم بحبها ، قد اصبح معظمهم فى خبر كان .

والسؤال الآن ، لماذا آثرت جاربو العزلة والصمت فى مجتمع قوامه تعرية الذات ، وفضح كل ما هو خاص بالقيل والقال .

لماذا اختارت اعتزال السينما ولما يكن لها من العمر وقت انتهائها من تمثيل آخر افلامها «المراة ذات الوجهين » سوى خمسة وثلاثين عاما .

ولماذا كتب لها ـ وبالتحدى لكل هذا ـ ان تبقى على شاشة ذاكرة الايام ، وكأنها اسطورة من اساطير الاولين .

اسئلة كثير تبحث عن اجابة دون جدوى

فما اكثر الذين حاولوا التعمق فى تفسير تلك الظاهرة الفريدة التي ليس لها مثيل .

واذا بمحاولاتهم ـ ورغم كل ما تكلفوه من مشقة وعناء ـ تبوء بالفشل الذريع ، او فى احسن الاحوال لا تعدو أن تكون مجرد اجتهادات لا تشفى الغليل .

● الصبر والصمت

وعلى كل ، فجاربو عملت طيلة حياتها على أن تبقى سرا غامضا صامتا ، حتى انهم لقبوها بابى هول السويد ..

ومع ذلك ، فهى بامتناعها عن اعطاء اية تفصيلة ، ولو صغيرة ، من التفاصيل المتصلة بذاتها ، قد اعطت ما هو أهم واكثر نفعا .. اعطت اسطورتها .

جاربو النجمة من اختراع «مورتيز شيتللر » ذلك المخرج المنحدر من اصل روسى فنلندى .

وهو ما ان اكتشفها طالبة بضة خجولة فى عمر الزهور (١٧ عاما) تدرس الدراما ، حتى بدأ يشكلها وفقا للصورة التى كان يريدها لها .. امراة الشاشة التى يضرب بها المثال فى الجمال .

ومن هنا جنوحه الى اجبارها على أن تخفض وزنها حتى تصبح فى رشاقة غصن البان .

وان تتعاطى دروسا فى الملبس الانيق والتفكير العميق حتى تصبح امراة ليست كغيرها من النساء .

وان تستبدل باسم عائلتها «جوستافسن» اسما آخر اصبح لا يدانيه فى الشهرة سوى «شابلن» ، ذلك الاسم هو «جاربو» ويعنى فى لغة اهل السويد «الطيف» .

بعد كل هذا الاعداد اعطاها دورا هاما فى فيلمه «ملحمة جوستا بيرلنج» (١٩٢٤)

هذا ولم ينقض على ظهورها فى الفيلم المذكور سوى عام وبعض عام ، الا وكانت برفقة مكتشفها ومعلمها تحت سماء هوليوود .

والغريب فى الامر انها لم تشد الرحال

حجاب الوهم



الى عاصمة السينما لانها كانت مرغوبة ، وانما لانها كانت مجرد مخلوقة تدور فى فلك «شتيللر» الذى ابدعها كما ابدع «بيجماليون» مخلوقته «جالاتيا» فى سالف الزمان .

ولانها كانت من ثم من بين شروط مبدعها لقبول العمل مخرجا لحساب شركة مترو جلدوين ماير .

● شجرة البؤس

وما كاد يستقر بها المقام ، حتى وجدت اولى الامر فى تلك الشركة يمعنون فى اذلال مكتشفها ومعلمها برفته من العمل قبل ان يكمل اخراج «المغرية» (١٩٢٦) ثانى افلامها ، مستبدلين به المخرج «فريد نيبلو» ، لا لشىء سوى انه اكثر خضوعا والتزاما باصول وقواعد العمل فى مصنع الاحلام .

وليس من شك فى أنها قد حزنت لذلك حزنا عميقا ، وهو حزن اضيف الى حزنها لبرقية جاءتها من «استكهولم» تخبرها بوفاة شقيقتها الصغرى «الفا» التى اخذها داء السل من كل وجه حتى لم تستطع له علاجا .

كل ذلك حفظته فى اعماق نفسها ، ولم تظهر منه للناس شيئا .

انما كتبت الى صديقة لها فى السويد تنبئها بكارثة رفت مكتشفها ومعلمها «ما حدث «لموبى» ـ هكذا كانت تسمى «شتيللر» اربكنى الى حد اننى ظننت ان ايامنا السعيدة قد ولت بغير رجعة» .

وعندما اتيحت لها بعد ذلك بعشرة اعوام فرصة اداء دور «مارجريت جوتييه»


الممثلة
الغروب
فتاة غامضة
اخر فيلم

فى فيلم «غادة الكاميليا» ، استعانت بما احتفظت به فى اعماق نفسها من احزان وآلام ، استعانت به فى تقمص شخصية هذه الغادة ، وهى تعانى من داء السل الذى اخذ يقطع كل سبب بينها وبين الحياة ، وهى تصارع الموت بين احضان حبيبها «ارمان دوفال» لتبقى مستمتعة بحرارة الاتصال ، ولو للحظات ، حتى اذا ما اخذت مقاومتها فى الانهيار ، فتحت عينيها فى استعطاف واستسلام ، فاذا بنا نكاد نرى فيهما عذاب الروح ، وهى تصعد متحررة الى السماء .

وذات يوم ، وبعد ثلاثة اعوام من عودة مكتشفها ومعلمها بمفرده الى السويد مهزوما ملوما محسورا ، علمت بخبر موته وفى يمينه اول صورة التقطها لها «ارنولد جنتى» المصور المنحدر من اصل نمساوى ، وهى لا تزال فى نيويورك قبل

أن تستقل القطار الى المجد فى هوليوود ؛ تلك الصورة التى كشفت عن اسرار جمالها ونبهت اليها الاذهان .

● الوجود والعدم

وكان وقع فقد الرجل الوحيد الذى كان يؤثرها بالحب والمودة والعطف ، ان ازدادت جنوحا الى الانطواء والتحصن فى قوقعة الذات ، وهربا من هوليوود بمساحات قتالها ، وعجائب مخاليقها ، وخرائب اخلاقها ، وخواء افكارها ، هوليوود تلك التى ذهبت اليها الاديبة الشهيرة «جرتورد شتاين» – فى نفس فترة صعود نجم جاربو – وكلها امل فى ان تنهض بفن كتابة السيناريو ، فاذا بها تعجل بالعودة الى نيويورك ، وهى تجر اذيال خيبة املها .

فلما استفسر منها اصدقاؤها عما رأت هناك فى هوليوود .

اجابت باسلوبها السيريالى الساخر «ليس هناك هناك» ! !

ومما يجعل كل شىء من امر «جاربو» غريبا حقا ، ذلك الاستغلال المحسوب منها لسلبية تعلقها بالوحدة وولعها بالانعزال عن الناس .

ولقد كتب عن ذلك مترجمها الخاص «سفن هيجو بورج» فى بعض ما تذكره عنها .

«يوما ما ، وبينما نحن على شاطىء سانتا مونيكا ، قلت لها «انا اعرف انك بعيدة عن افتعال الانعزال عن الناس .

وعلى كل ، فاذا كان من جوانب شخصيتك ان تكونى غامضة وكتومة ، فلما لا تستفيدين من ذلك ، ولما لا تتقمصين هذا الجانب من شخصيتك .

وبذلك تستمرين فى المحافظة على حياتك الخاصة مع اثارة الكلام حولها .

واجابت جاربو فى رقة «اتظن يا بورج .. حقا انها لفكرة تستحق النظر» .

● سوء الحسلب

وهكذا انقسمت نفس جاربو على نفسها ، وانساقت متعطشة الى التفات الناس .

وكلما انفتح فى وجهها باب ادى بها الى آخر من حلقات الشهرة والمجد والمال ، حتى ارتفع اجرها عن الفيلم الواحد خلال عام ١٩٣٣ الى ربع مليون دولار ، وهو اجر مذهل اذا ما أخذ فى الاعتبار ارتفاع قيمة الدولار فى ذاك الزمان .

وأصبح من حقها ان تختار من الموضوعات ومن المخرجين ومن الممثلين لافلامها من تشاء

واعجب العجب فى هذا الخصوص اعتراضها على قيام «لورنس اوليفييه» بتمثيل دور سفير اسبانيا امامها فى فيلم «الملكة كريستينا» (١٩٣٣) ؛ مفضلة عليه «جون جلبرت» الذى كان نجمه فى افول ، لا لشىء سوى انه سبق له أن مثل امامها – وهو فى اوج مجده – فى «الجسد والشيطان» (١٩٢٦) «والحب» (١٩٢٧) وهما الفيلمان اللذان بفضلهما تربعت جاربو على عرش هوليوود .

وما أحب أن افصل حياتها مع الافلام ، فذلك شىء لا يتسع له هذا الحديث .

ولكنى الاحظ انها لم تمثل الا اربعة عشر فيلما متكلما ليس بينها فيلم واحد بالالوان ، وليس بينها رائعة سينمائية واحدة سوى «نينوتشكا» (١٩٣٩) للمخرج «ارنست لوبتش» ؟ ذلك الفيلم المعادى للشيوعية السوفيتية ، والذى صاحبته دعاية ضخمة تقول لعشاقها على سبيل التنبيه أن «جاربو تضحك» لاول مرة فى تاريخها مع الاطياف .

● سر البقاء

كما الاحظ انه كان من حسن حظها .

اولا : انها بدأت الظهور فى افلام هوليوود ، فى وقت كان فيه فن التصوير السينمائى على مشارف قفزة كبرى نحو الكمال .

ثانيا : انها وقفت امام عدسة المصور «وليم دانييلز» فى تسعة عشر فيلما من بين الافلام التى مثلتها فى هوليوود ، وهى لا تزيد على اربعة وعشرين فيلما ما بين صامت ومتكلم .

وفى الحق ، فقد استطاع هذا المصور العبقرى المولع بها ان يجعلها تعبر بفضل الاضاءة ، بما يعجز عنه الحوار فى كثير من الاحيان .

ومما ساعد على ذلك ولاشك هو وقوع الكاميرا فى حب جسمها الريان ، وقسامة ووسامة وجهها الفتان .

اجل ، كانت جميلة ، وكانت جميع حسناوات هوليوود ، وما اكثرهن ، دونها فتنة .



فى البداية

فلقد كانت العيون تغرق من جمالها فى لجة من الحسن الغامض ما لها قرار .

وكان غموض حسنها هو سر عشق الناس وافتتانهم بها ، وانصرافهم اليها عن غيرها من ربات الجمال .

يبقى أن اقول أن جاربو بجمالها الاسطورى هى الانموذج المطلق لظاهرة النجم ، تلك الظاهرة الاجتماعية المدهشة التى عرفها الاديب الفرنسى «اندريه مالرو» قائلا «النجم شخص ذو وجه يعبر ، يرمز ، يجسد غريزة جماعية» .

وهذا التعريف قد يلقى بعضا من الضوء على ظاهرة بقاء جاربو على شاشة ذاكرة الايام .

حرب الأيام

هل هى وليدة تدبير مسبق أم أنها نتجت عن تلسل الأحداث ؟

بقلم : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

قيل عن هذه الحرب انها لم تندلع نتيجة لتخطيط مسبق بل انها نتحت عن تصاعد الاحداث التى لم تمكن السيطرة عليها . ذلك أن اسرائيل كانت قد حصلت على حق المرور فى خليج العقبة نتيجة لاشتراكها فى العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ ثم أعلنت مرارا وتكرارا ان إغلاق الخليج فى وجه ملاحتها معناه قيام حالة الحرب بينها وبين مصر . الا أن سوء العلاقات بين جمال عبد الناصر وبين بعض الأطراف العربية هو الذى فجر المشكلة : فقد

ذهبت هذه الأطراف الى انه استكان الى وجود قوة الطوارىء الدولية على حدود مصر الشرقية بحيث لم يحرك ساكنا ازاء الاعمال العسكرية التى قامت بها اسرائيل داخل الأراضى الأردنية وعلى حدود سوريا وفى أجوائها واستجلب عبد الناصر لهذه الاتهامات بأن حشد القوات المصرية داخل شبه جزيرة سيناء وصعد الموقف بعد ذلك باغلاق مضايق تيران فى وجه الملاحة الأسرائيلية ، وحينئذ وجدت اسرائيل فرصتها لكى تصفى حسابها مع عبد الناصر بشن هجوم جوى شامل على المطارات المصرية ، وكان التدريب على هذه الخطة - حسب قول الفريق اول محمد فوزى - قد استنفد عشر سنوات .



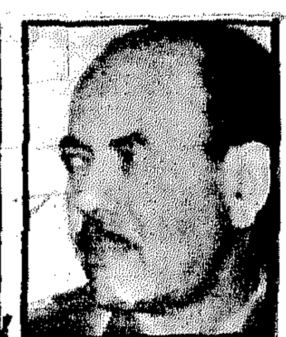
جمال عبدالناصر — عبدالحكيم عامر — الملك حسين

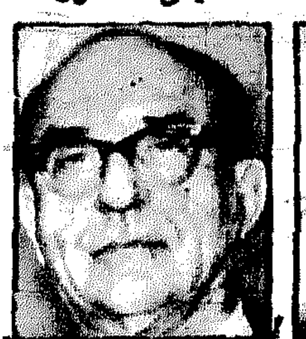
والحق أن عبد الناصر لم يكن يتوقع أن يؤدى حشد القوات المصرية فى سيناء واغلاق خليج العقبة الى تفجير الموقف خاصة وانه سبق له أن قام بذلك ولكن دون الضجة التى صحبت هذه المرة الأخيرة . ومما أدى الى تصعيد الموقف فى عام ١٩٦٧ وجود استقطاب بين المعسكرين الاشتراكى والغربى : فقد ساند الاتحاد السوفييتى الحكومات العربية "الثورية" فى حين التزمت الولايات المتحدة وحلفاؤها بمساندة اسرائيل ، خاصة وأن المعسكر الغربى كان يبدى تخوفه من تغلغل النفوذ السوفييتى فى مصر وغيرها من الاقطار العربية . هناك عامل آخر أضيف الى هذه المواقف وهو أن بعض القادة الفلسطينيين كانوا ـ على حد قول احمد الشقيرى أول زعيم لمنظمة التحرير الفلسطينية ـ يسعون الى توريط الدول العربية وجرها الى الحرب مع اسرائيل اعتقادا منهم بأن القضية الفلسطينية اخذة بالذوبان مع الزمن بحكم أن الحكومات العربية لم تكن تريد أن تحارب أو تستعد للحرب ، وبالتالى فأن ضرب الفلسطينيين لاسرائيل وضرب اسرائيل للدول العربية هو الحافز الوحيد لاستعداد الجيوش العربية ، وكان هؤلاء القادة الفلسطينيون يعتقدون أن اسرائيل لن تتعدى ردود فعلها القيام بغارات انتقامية دون أن يصل الامر الى حد الحرب الشاملة . ومن المؤكد أن عبد الناصر هو الأخر لم يكن يسعى فى علم ١٩٦٧ الى خوض الحرب خاصة وأن نسبة كبيرة من القوات المصرية كانت موجودة فى اليمن وأن علاقاته ببعض الدول العربية ـ ومنها المملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية الهاشمية والجمهورية التونسية لم تكن على مايرام وأن مصر وسائر الدول العربية

لم تكن قد استكملت استعداداتها لمواجهة شاملة مع اسرائيل .

● البداية .. تهديدات لسوريا

وبدأت سلسلة الأحداث التى أدت الى الحرب حين اسقطت المقاتلات الأسرائيلية فى ١٧ ابريل ١٩٦٧ عددا من الطائرات السورية ، ثم سرت الشائعات بأن اسرائيل تستعد لمهاجمة سوريا التى كانت قد عقدت مع مصر معاهدة للدفاع المشترك فى عام ١٩٦٦ ، وفى مايو ١٩٦٧ سافر الفريق محمد فوزى رئيس أركان القوات المسلحة المصرية الى دمشق للتأكد من صحة المعلومات الخاصة بالحشد الأسرائيلى على حدود سوريا ولكنه لم يحصل على دليل مادى على هذه الحشود . ورغم ذلك فقد جرى الاعتقاد بنية اسرائيل على مهاجمة سوريا ، ويقال إن الاتحاد السوفييتى طلب من مصر حينئذ أن تشد أزر سوريا ، ووجد عبد الناصر الفرصة سانحة للقيام بعمل يساعده على استرجاع هيبته التى نالت منها حملة اليمن والدعايات العربية المعادية والحق أنه هو والمشير عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المصرية المسلحة كانا يريدان انتهاز اى ظرف دولى أو اقليمى لازالة قوات الطوارىء الدولية – وحانت هذه الفرصة حين أعلنت مصر أنها على استعداد لدخول المعركة ضد اسرائيل اذا تعرضت سوريا للعدوان خاصة وأن رئيس وزراء اسرائيل ليفى أشكول ووزير خارجيتها أبا ايبان ورئيس أركان قواتها أسحق رابين قد وجهوا التهديد تلو التهديد الى سوريا ، وبناء على تكليف من المشير عامر أرسل الفريق محمد فوزى فى ٦٧/٥/١٦ خطابا الى الجنرال ريكى قائد قوات الطوارىء الدولية يحيطه علما بصدور التعليمات الى القوات المسلحة المصرية لكى تتصدى لاسرائيل اذا ما اعتدت على اية دولة عربية وأن القوات المصرية قد تجمعت فى سيناء على الحدود الشرقية لمصر وأن الأمر يتطلب سحب القوات الدولية فورا . واستشار ريكى يوثانت – الأمين العام للأمم المتحدة– فيما يجب عمله وكان رد يوثانت أن القرار يشمل جميع قوات الطوارىء الدولية المتمركزة على حدود مصر الشرقية بما فى ذلك قوات طوارىء شرم الشيخ وغزة – وبالتالى غادرت كل قوات الطوارىء الدولية مصر فى الوقت الذى كانت قد صدرت فيه (٥/١٤) توجيهات القيادة العليا بتعبئة القوات المسلحة المقرر حشدها فى سيناء – **وبذلك اصبحت المواجهة العسكرية تمتد من رفح شمالا الى شرم الشيخ**


القريق محمد فوزى

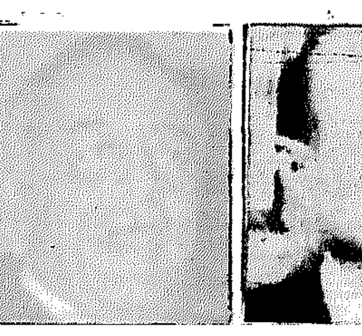

ليفى اشكول

جنوبا ، وفى ٥/١٧ صدر القرار بغلق خليج العقبة ونفذ اعتبارا من ٥/٢٣ ، وحينئذ تحول الصراع من تهديد سوريا الى قفل خليج العقبة فى وجه الملاحة الأسرائيلية مما هيأ لاسرائيل مبررات اتخاذ قرار الحرب .

● حتمية الحرب

ويذكر موشى ديان وزير الدفاع الأسرائيلى خلال حرب الأيام الستة أن الحرب أصبحت حينئذ حتمية على اعتبار أن الجهود الدبلوماسية فى المحافل الدولية انما هى مضيعة للوقت . ففى رأيه أن إغلاق مضايق تيران لم تكمن خطورته فى الحصار ذاته بل فى محاولة عبد الناصر ابراز عجز اسرائيل عن مواجهة العرب مما ادى الى تزايد تدهورها وبالتالى كان على اسرائيل أن تبدأ الحرب وتحطم القوة العسكرية المصرية فى أسرع وقت وذلك على اعتبار أن الأسرائيليين سيتعرضون لكارثة اذا ما دب الخوف فى قلوبهم واستجدوا الدول العظمى طلبا للمساعدة مما قد يستتبع شروطا فى الوقت الذى كان بامكاهم أن

موشى ديان — احمد الشقيرى





يهزموا مصر وحدهم وبالتالى كان من الأفضل أن يثبتوا للرأى العام العالمى أن ما أقدم عليه عبد الناصر قد أرغمهم على توجيه الضربة الأولى دون تأخير - فإذا لم تبادر اسرائيل الى الهجوم فسيمضى الوقت الى أن تقدم مصر على بدء الحرب . ووافق رابين على هذا الرأى بشرط أن تجرى اسرائيل اتصالات بالولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ويذكر الفريق محمد فوزى أن مصر كانت تزمع توجيه ضربة جوية الى اسرائيل يوم ٥/٢٧ وأن التعليمات التفصيلية الخاصة بذلك وصلت الى القواعد الجوية الأمامية بمطارى العريش والسر ، كما يذكر أن هذه المعلومات قد تسربت وأدت الى تحركات دولية تحذر كلا من مصر واسرائيل من إطلاق الرصاصة الأولى ، وإزاء ذلك رأى الأسرائيليون أن التباطؤ سيؤدى الى إضاعة الوقت وتهديد أمن بلادهم ، وبالتالى فقد قرروا بدء الحرب وإنهاءها بأقصى سرعة بعد توجيه ضربة جوية ساحقة الى كل المطارات المصرية قبل أن يتحرك المجتمع الدولى **ولم يكن عبد الناصر يقدر أن باستطاعة الطيران الأسرائيلى أن يحطم القوة الجوية العربية بالسرعة التى نفذها ولهذا فإنه فضل تلقى الضربة الأولى التى قرر قائد الطيران المصرى أن خسائرها لاتتعدى ٢٠٪ من القوات الجوية المصرية ، على أن تقوم مصر بالهجوم المضاد بما تبقى لها من طائرات الى أن تتدخل الدول الكبرى وتوقف الحرب .**

أما إسرائيل فقد خدعت المخابرات

المصرية وجعلت القيادة المصرية تعدل خطتها الهجومية التي توصلت الدوائر الأسرائيلية الى توقيت تنفيذها كما قامت هي والدوائر الصهيونية في الولايات المتحدة وأوربا بدعايات واسعة النطاق مفادها أن أسرائيل مهددة بحرب ابادة على النمط الهتلرى وفى نفس الوقت كانت القيادة المصرية لاتتوقع أن تبادر اسرائيل بالهجوم وتمنى النفس بمبادرة الاتحاد السوفييتى الى مساعدة مصر بكل الوسائل وذلك ارتكانا الى فهم خاطىء لما أدلى به المسئولون السوفييت فى موسكو لوزير الحربية المصرية شمس بدران الذى وصل به الأمر الى القول بأنه بإمكان القوات الجوية والبحرية المصرية أن تدمر أكبر حاملة طائرات أمريكية بل والأسطول السادس فى البحر المتوسط !!

وحسمت اسرائيل الحرب فى صبيحة ١٩٦٧/٦/٥ حين دمرت معظم الطائرات المصرية وهى قابعة فى أرض المطارات التى هوجمت جميعا فى وقت واحد . ثم التحمت القوات المصرية فى سيناء مع القوات الأسرائيلية التى كانت تعززها المظلة الجوية الأسرائيلية التى سيطرت على الجو بعد تحطيم الطيران المصرى .

ولم يمض وقت طويل حتى صدرت الأوامر للقوات المصرية بالانسحاب من سيناء بالكيفية التى جعلتها لقمة سائغة للطيران والقوات البرية الأسرائيلية التى وصلت إلى قناة السويس بعد أيام قلائل منذ بداية الحرب . وبعد خروج مصر عمليا من الحرب تحولت اسرائيل الى الجبهة الأردنية - وكانت قد بلغت الحكومة الأردنية بأنها ستحترم اتفاقيات الهدنة ، إلا أن الملك حسين - الذى كان قد وصل الى القاهرة فى زيارة مفاجئة قبل نشوب الحرب - فضل الانضمام الى مصر اما لأنه كان مقتنعا بأن مصر قد أحرزت انتصارات عدة اعتمادا على مابثته أجهزة راديو القاهرة بعد نشوب الحرب ، أو لأنه وجد الا خيار امامه سوى القتال حرصا منه على تلافى غضبة شعبه والفلسطينيين سكان الضفة الغربية . وتحطم الطيران الأردنى منذ البداية واحتلت اسرائيل القدس الشرقية والضفة الغربية قبل أن تتحول الى الجبهة السورية وتحتل مرتفعات الجولان . **ثم اعلن الملك حسين ما اتفق عليه مع عبد الناصر الذى اقنعه بأن الطيرانين الأمريكى والبريطانى قد اشتركا فى مهاجمة مصر . ويعزو رابين اعلان ذلك الى أن عبد الناصر لم يمكنه تصديق أن بامكان الطيران الأسرائيلى الذى كان هو يعرف حجمه أن يقوم بالنشاط الذى انهى**


ابا ايبان


اسحاق رابين

الحرب فى كل الجبهات بسرعة قياسية .

ويذهب الفريق محمد فوزى الى ان الضربة الجوية الحاسمة التى نفذتها اسرائيل قد تمت فى الوقت الذى كانت فيه مظلة جوية أمريكية من طائرات الأسطول السادس الأمريكى تقوم بمهمة الدفاع الجوى عن قلب اسرائيل . كما يضيف أن السفينة الأمريكية ليبرتى قد قامت بدور فعال فى توجيه الهجوم الجوى الأسرائيلى وأنها كانت مجهزة بأجهزة الكترونية حديثة لالتقاط الاشارات اللاسلكية وفك شفراتها والقيام بالتشويش وأنها حددت قبل بدء العمليات أماكن تمركز جميع القيادات الميدانية الكبيرة أو المؤثرة وأنها بالتالى كانت سبب فشل توجيه الطائرات المصرية فى الجو ـ وتعليقنا على ذلك أن الطائرات المصرية التى دمرت لم يكن معظمها فى الجو حين بدأ الهجوم بل كانت قابعة على الأرض وأن المخابرات الاسرائيلية كانت قد حصلت على أدق المعلومات عن القوات المصرية وعن خطط أدارة المعركة . أما الجانب الأسرائيلى فقد ذكر أن مهمة السفينة ليبرتى كانت القيام بالتقاط شبكة الاشارات لتتبع التطورات العسكرية فى الجبهة عن طريق رصد الاتصالات بين مختلف القيادات وبعد القاء بعض الضوء على أهم النقاط الخاصة بحرب الأيام الستة لنا أن نطرح بضعة أسئلة :

ـ هل كانت هذه الحرب تنفيذا لمخطط غربى يستهدف تصفية الانظمة "الثورية" فى الوطن العربى



شمس بدران   يوثانت

وضعضعة النفوذ السوفييتى فى الشرق الأوسط ؟

ـ هل كان الاتحاد السوفييتى هو الآخر يسعى الى توريط العرب فى الحرب وهو يعلم انهم غير مستعدين لخوضها مما يؤدى الى هزيمتهم والتمهيد لقيام انظمة اكثر يسارية وخضوعا لموسكو ؟

ـ أم أن القيادة المصرية قد تمادت فى شن الحرب النفسية ضد اسرائيل بحيث تسترجع نفوذها ، فى الوطن العربى بالرد على شتى الدعايات الى وجهت ضدها دون ان تتوقع نشوب الحرب ؟

الحق ان كل هذه التسأولات التى اجاب عليها بعض الكتاب جزئيا تبعا لأهدافهم ومعتقداتهم لن تلقى الاجابة الشافية الى ان تظهر الوثائق الموجودة لدى جميع الأطراف وهو ما اظن انه لن يتم قبل مرور وقت غير قصير .



سيلفى جرمان



جان فوتران

حصاد موسم الجوائز الادبية

الكعك .. بعد العيد

بقلم : محمود قاسم

ترى ، ما هو حصاد موسم الجوائز الأدبية لعام ١٩٨٩ ؟
لقد اعتاد الصحفيون والنقاد والكتاب متابعة مواسم الجوائز الأدبية مباشرة عقب إعلان اسماء الفائزين بهذه الجوائز فتروح الصحف تسهب فى الأحاديث عن الجائزة والحاصل عليها سواء كان كاتبا أو كتابا أو ناشرا .. وفى موسم ، أو لعله مهرجان ، هذه الجوائز تصبح متابعة وقائعها بمثابة تقليعة ادبية جميلة ما تلبث شعلتها أن تخبو يوما وراء يوم واسبوعا بعد أسبوع .

● لكن أحدا لم يفكر فى تقديم موسم الجوائز الأدبية بعد انتهائه بسبعة أشهر ، على سبيل المثال ، حيث يكون الانجاب الساخن قد اصبح باردا فاترا . وحيث يروح اهتمام القراء الى الكتب الجديدة التى يتطلعون ان تفوز مع الموسم الجديد بالجوائز .

وليسمح لنا القارىء ان نستخدم تعبيرا

خاصا بهذه الجوائز وهو ان نطلق عليها "لعبة" ففى الجوائز الادبية كله شيء يتعلق بالألعاب التى تقوم على اساس مباراة بين اطراف .. ففى هذه المباريات يكسب الجميع . أما الذى يدفع ويتمتع فهو الجمهور .. يكسب الناشر . والمؤلف والصحف . ويدفع القارىء ..

ولأن الأمر يتعلق بالمكسب والتوزيع .. فيجب ان تتم اللعبة وفق قواعد محددة .. فالرابح فى أغلب هذه الجوائز هو الناشر .. لأنه يضمن ان كتابه سيلقى رواجا كبيرا فى حالة فوزه بالجائزة .. وبالتالى فهو يراهن على الشباب والمبدعين الجدد الذين امامهم الفرص للمكسب اكثر من العواجيز الذين غالبا ما تكون الفرصة قد أفلتت من بين أناملهم ..

والان . وبعد سبعة أشهر من إعلان الجوائز الأدبية فى أوربا . فاننا نؤكد أن الموسم قد "نفق" . وهوى . وأن الاكاديميات التى منحت الجوائز فى عام ١٩٨٩ لم تستطع أن تصنع من الكاتب الفائز إسما مرموقا مثل أغلب الأسماء التى فى الساحة .. ومثل الكثير من الأسماء التى سبق لها الفوز بالجوائز فى أعوام سابقة .. واستطاعت أن ترتفع بالجائزة وترفعها معها مثل باتريك موديانو ومرجريت دوراس والطاهر بن جلون واخرين

أما الكتاب الذين حصلوا على الجوائز الأخيرة فليسوا فقط صاحبى اسماء مغمورة . بل انهم راحوا يستخدمون لغة ادبية بالغة التعقيد والذاتية امعانا فى اغترابهم الأدبى . ورغم ان بعض هذه الروايات قد صعدت الى أعلى سلم المبيعات عقب فوزها بالجائزة ، مثلما يحدث كل عام ، فانها سرعان ما ابتعدت عن هذا السلم ، وكان من المفروض ان تبقى شهورا طويلة فى درجات هذا السلم صعودا وهبوطا .

كان حظ الروائى جان فوتران كبيرا حينما دخلت روايته الأخيرة "خطوة واسعة نحو الله" التصفيات الأخيرة فى اكاديمية جونكور بعد ان خلت التصفيات من وجود رواية ذات أهمية وتميز لدرجة ان روايته قد حصلت على ثمانية أصوات من عشرة أعضاء . اما الصوتان الاخيران فقد منحا للكاتب باسكال كوينار عن روايته "سلالم شامبور" .

وقد اعترفت الكثير من الصحف الادبية ان فوتران لم يكن يمكنه أن يحصل على جائزة جونكور لو لم يقم بتغيير الناشر الذى ينشر كتبه . مما يدل أن الجائزة قد منحت لدار نشر جراسين وليست لفوتران . فقد ظل الكاتب يعمل بشكل مغمور قرابة خمسة عشر عاما دون أن يحس أحد به . فهو روائى وكاتب سيناريو . والى جانب تعدد أنشطته فهو غزير الانتاج . نشر العديد من اعماله تحت اسم مستعار هو جان هيرمان . كما اخرج مجموعة من الأفلام القصيرة .

وتدور أحداث روايته "خطوة واسعة نحو الله" فى القرن التاسع عشر ، فى ولاية لويزانا . وهى المنطقة التى وقعت تحت التأثير الفرنسى . هناك شاب يدعى أزلين يلتقى بمجموعة من قطاع الطرق ويصادقهم . ثم يعمل كصائد حيتان . ولأنه مغامر بطبعه فعليه ان يغير من اسمه وهويته اكثر من مرة فى حياته .

ولأن منطقة لويزانا الأمريكية واقعة تحت التأثير الفرنسى . فلاشك ان للغة التى يستخدمها الناس هناك سمة خاصة تنتمى الى هذه المنطقة .. ومن هنا جاءت

غرابة اللغة التى استخدمها الكاتب فى روايته .. فهو يتلاعب بالمعطيات اللغوية من أجل إيجاد مصطلحاته الروائية .. وفى اعتقادنا أن هذا هو السبب الأول الذى جعل هذه الرواية تبتعد ، بشكل مفاجىء عن سلم المبيعات . ففضلا عن غرابة اللغة وصعوبة متابعتها . فان ايقاع الأحداث بالغ البطء . اى انها رواية بعيدة عن اهتمام الناس ولم تستطع ان تجذب النقاد إليها كثيرا .. ولذا فما كاد ان يمر شهرا واحد من تاريخ اعلان الجائزة حتى نساها الناس تماما . وسقطت الرواية تماما فى سعة تاريخ الروايات بعد سبعة اشهر كاملة من حصولها على اكبر جائزة أدبية فى غرب أوربا .

اذن فرغم وجود ناشر كبير يقف الي جانب روايته ورغم وجود جائزة هامة . إلا أن هذا لم يمنع نزول "خطوة واسعة" الى دائرة الظل ..

● جسر عند حدود المغرب

نفس اللعنة التى اصابت رواية جان فوتران لمست كل من الروائى فيليب دومنك . وسيرج دوبرفسكى الحاصلين على جائزتى رينودو وميدسيس الادبيتين . يهمنا ان نذكر أن الكتاب الثلاثة الذين حصلوا على الجائزة قد تجاوزا الخامسة والخمسين بأعوام . ورغم سنوات العمل الطويلة فى مجال الكلمة والابداع . إلا ان ذلك لم يشفع لهم بالتواجد والشهرة ، من جانب ، كما لم تشفع لهم بالجوائز من جانب آخر .

ولد دومنك ، صاحب رواية "جائزة الجنوب" الفائزة بجائزة رينودو فى باريس عام ١٩٢٤ وقد نشر العديد من القصص القصيرة فى الصحف والمجلات . وقد قام بإرسال نسخة من مسودة كتابه بالبريد الى الناشر "سوى" الذى مالبث أن نشرها ودفع بها الى اكاديمية رينودو فمنحها الجائزة . وقد استقى الكاتب احداث روايته من تجربته الخاصة حين كان يعمل بحارا فى الاسطول الفرنسى ابان حرب الجزائر . وبطل الرواية هو ذلك الجسر الذى اقامته القوات الفرنسية عند حدود المغرب . وتدور الاحداث فى الاسبوع الاخير من الاحتلال الفرنسى للجزائر .. وكان على البحار أن يعود إلى بلاده وان يسلم الجسر للمحاربين الجزائريين الشباب ..

اما سيرج دوبروفسكى فقد نال جائزة ميدسيس عن روايته "الكتاب المحطم" وهى تجربة روائية مليئة بالغرائبية . فهى بمثابة رسالة كتبها المؤلف الى زوجته التى تصور انها قد ماتت يحدثها فيها عن علاقتهما معا طوال سنوات والحنين إلى هذه الاعوام التى عاشا فيها معا .. إلا انه يتراجع عن كل ما كتبه حين يعلم أن زوجته لا تزال على قيد الحياة ..

والعجيب فعلا فى موسم الجوائز الادبية لهذا العام ان احدا لم يذكر كل من دومنك ، ودوبروفسكى عند فوزهما بالجائزة سوى مجموعة من الاخبار المبتسرة التى نشرتها الصحف السيارة ..

● ايام الغضب .. مجنونة !

أما الكتاب الذى نال تقريظا ملحوظا فهو رواية "ايام الغضب" للكاتبة سيلفى جرمان .. وهى الكاتبة الشابة الوحيدة التى فازت بجائزة هذا العام .. واذا كان فتران قد حصل على أعلى الاصوات عن روايته .. فإن اعضاء جائزة فيمينا قد عقدوا اربع دورات لاختيار الرواية الفائزة

وفى النهاية فازت سيلفى بفارق صوت واحد عن رواية "فى انتظار الحرب" للكاتب كلود دولارى .

ومن المعروف أن جائزة فيمينا مخصصة منذ قرابة ستين عاما لتشجيع الابداع النسائى ، أو الادب الذى يناصر قضايا المرأة ، مهما كانت هوية المبدع وجنسه .

وتدور احداث رواية "ايام الغضب" .. فى اطار تاريخى بالغ الخصوصية والتعقيد .. منذ احتارت الكاتبة ايضا لغتها الخاصة لتبعد عما دار فى الزمن القديم فى ارض المورڤان . وفى هذه الارض هناك اشخاص يمتلكون الغابة .. وآخرون يقطعون اشجار البلوط والزان . وهناك البعض الذين يجدفون بقواربهم فوق نهرى السين واليون .

كل هؤلاء يعلنون نهاية عصر الخشب . فذات يوم يقتل رجل يدعى كورڤول زوجته . والرجل معروف لدى الناس بأنه ثرى ، وامين ، لكنه يقوم بقطع شريان زوجته والقاء جثتها فى النهر . وهناك يلتقى برجل فقير مملوء بالطموح له اسم غريب هو "موبرتيوس" . ويبدأ هذا الفقير فى ابتزاز الثرى كى يدفع له اكثر حتى لا يفشى سره . ويجد كورڤول نفسه عاشقا

لهوى غريب .. هو الموت .. ويرى أن الموت هو الشفاء الاكيد لكل الاحياء .. سواء الذين تصيبهم الشيخوخة او الاحباط .. وحب الموت هنا لا يعنى محاولة الانتحار . بل إن الموت يظل ماثلا امام عينيه فلا يخشى الفقر او المرض .

وسط هذا العالم الغريب تولد كاترين التى تقام لها مراسم خاصة فى تلك القرية الصغيرة والتى تتزوج من افرايم ـ ابن موبرتيوس ـ ولانها مولودة فى عالم غريب فإنها تلد ايضا بطريقة غريبة . فقد كان عليها أن تلد طفلا جديدا فى الخامس عشر لمدة تسع سنوات متتالية وذلك من على مشرف السيدة العذراء .

وكما نرى فإننا امام رواية غريبة للغاية ، ليس فقط فى اللغة "الخاصة" التى اختارتها الكاتبة ولكن فى موضوعها ، ويهمنا ان نذكر أن سيلفى جرمان فى السابعة والثلاثين من عمرها . وهى تكتب الاوبرا . والرواية وهى تعيش فى تشيكوسلوفاكيا منذ سنوات .

وفى النهاية علينا أن نتساءل عن هذا الحصاد . فلا شك أن عدم وجود روايات متميزة فى سوق الجوائز الادبية قد دفع بأعضاء الاكاديميات ، وهم من الادباء الذين ينشرون اعمالهم لدى كبار الناشرين ، ان يختاروا احسن السيئات .. ليس من اجل عيون الكتاب بالطبع . ولكن من اجل عيون الناشرين .. فمن المعروف أن الجوائز المالية الممنوحة للادباء تكاد تكون معدومة .. وكل ما يمكن للكاتب ان يحصل عليه هو أن يبقى فى دائرة الاضواء لبضعة اسابيع .. وعلى سبيل المثال . فإن الفائز بجائزة رينودو عليه أن يحظى بشرف حضور حفل عشاء يحضره الصحفيون الذين يمنحون هذه الجائزة سنويا .. وهذا العشاء هو قيمة الجائزة الفعلية والوحيدة للكاتب .. اما الناشر فإن عليه أن يحصد الكثير من الشيكات والايرادات مقابل هذه الجائزة وغيرها ..

إن النظر الى موسم الجوائز الادبية الان اشبه بصناعة لكل العيد فى شهر شوال . فشهية الناس لقراءة مثل هذه الروايات اشبه بشهية الصائمين للتحلى بالكعك عقب العيد بأسابيع !!

المائة الأعظم

بقلم : حسين أحمد أمين

البوزجاني

٩٤٠ - ٩٩٨ م

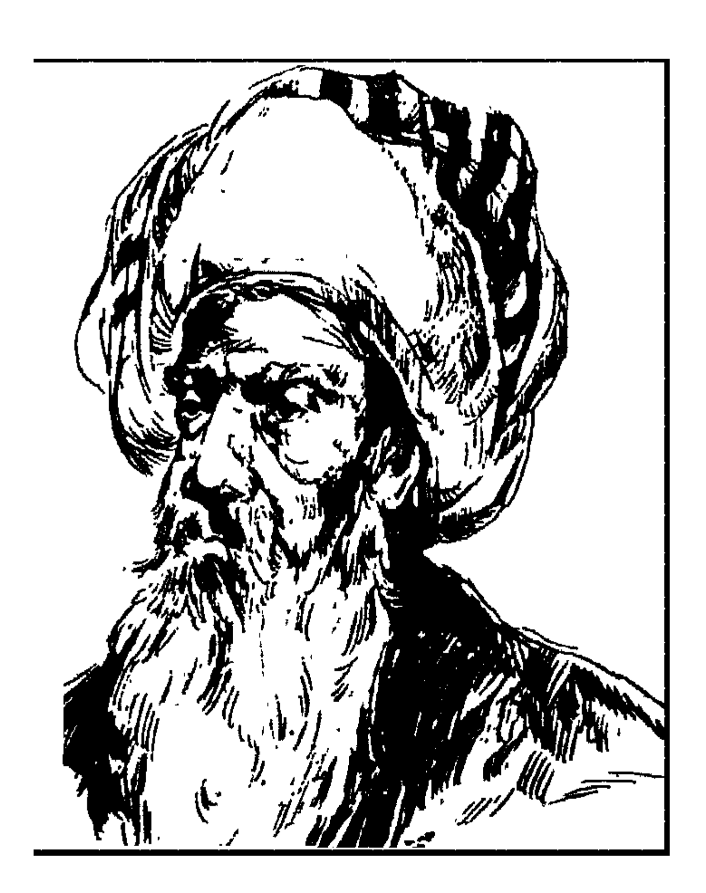
من أكبر علماء الرياضة عند العرب إذ كان له فضل حاسم في تقدم علم حساب المثلثات . ففي حساب المثلثات الكريّة استعاض عن المثلث القائم الزاوية من الرباعي التام ، بنظرية منلاوس ، مستعينا في ذلك بما يسمى «قاعدة المقادير الأربعة» . (جا اَ : جا جَـ = جا ا : ا) ، ونظرية الظل (ظا اَ : ا ظا ا = جا بَ : ا) . واستخرج من هاتين القاعدتين كذلك : جتا جَـ = جتا اَ × جتا بَ . ومن الجائز انه في المثلث الكرى ذي الزاوية غير القائمة أوجد أولا نظرية الجيب . كما ندين له بطريقة حساب جيب ٣٠ حيث تتفق نتائجه فيها إلى ثمانية أرقام عشرية مع القيمة الحقيقية لذلك الجيب . وثمة أهمية كبرى لطرائق العمل التي اتبعها في الهندسة والتي تعتمد إلى حد ما على الطرق الهندية .

● وهناك خلاف بين العلماء اليوم حول ما إذا كنا ندين للبوزجاني بالفضل في إدخال الظل وظل التمام والقاطع وقاطع التمام في حساب المثلثات الكرية . فالبعض ينسبه اليه ، والبعض ينسبه إلى أحمد بن عبدالله المعروف بحبش الحاسب .

وتنقسم مؤلفات البوزجاني إلى أقسام ثلاثة

الأول : شروحه على أعمال إقليدس وأبرخس وديوفانتوس والخوارزمي ، مثل تفسير ديوفانتوس في الجبر ، وتفسير أبرخس في الجبر ، وتفسير الخوارزمي في الجبر والمقابلة ، والبراهين التي استعملها ديوفانتوس في كتابه .. الخ . ومن المؤسف أن كافة هذه الشروح قد فقدت .

والثاني : (وهو القسم الخالد من



مؤلفاته) كتبه فى الرياضة ، واهمها : كتاب فيما يحتاج إليه الصناع من أعمال الهندسة ، وقد الف البوزجانى هذا الكتاب فى أواخر حياته بأمر من بهاء الدولة ليكون تحت تصرف المختصين والفنيين فى الأعمال الهندسية الذين يهمهم طرق الرسم دون البراهين الرياضية ـ كتاب استخراج ضلع المربع ، وفيه حل البوزجانى بعض معادلات الدرجة الرابعة ـ كتاب فى عمل المسطرة والبركار والكونيا (المثلث القائم الزاوية) ، وقد كان هذا الكتاب أساسا فى دفع عجلة الهندسة خطوات واسعة ، إذ يشمل وسائل مبتكرة وأساليب جديدة لرسم الدوائر والأشكال كثيرة الأضلاع ، المختلفة والمنتظمة .

وبعض تلك الطرق هى نفس الأساليب الحديثة فى علم الهندسة ـ كتاب فيما يحتاج اليه الكتاب والعمال من علم الحساب ، تناول فيه قواعد الحساب والمساحات والخراج ومعاملات التجار .

والثالث : كتبه فى علم الفلك مثل : كتاب المجسطى ، وهو دائرة معارف فلكية على نمط كتاب بطلميوس ـ كتاب الزيج الشامل ، ويحوى الجداول الفلكية التى يعتمد عليها العلماء فى أرصادهم ـ كتاب الكامل فى حركات الكواكب والتغيرات التى تطرأ عليها .

وقد كان البوزجانى عالما فلكيا بارزا ، اختاره شرف الدولة بين نخبة من كبار علماء الفلك للعمل فى المرصد الذى بناه فى بستان دار المملكة ببغداد .

وبلغ من دقة أرصاده أن استشهد بها علماء بعده ، كالبيرونى ، فى مناقشة بعض المسائل الفلكية لتعيين لحظة حلول الشمس فى الاعتدالين ، والمنقلبين ،

بقياس أطوال الفصول ، وانحراف محور الأرض عن العمودى على مسارها .

وهنا أيضا ثار خلاف طويل بين علماء القرن التاسع عشر حول ما إذا كان الفضل يرجع إلى البوزجاني فى اكتشاف أوجه القمر وحركته أم إلى عالم الفلك الدنماركي تيخوبراهى ، إلى أن أثبت كارا دى فو عام ١٨٩٢ أن هذا الاكتشاف هو للعالم الدنماركى .

مسكويه

توفى عام ١٠٣٠م

من صفوة المؤرخين المسلمين ، ومن أشهر (ومن أول) من كتب من علماء الاسلام فى فلسفة الأخلاق .

فكل من يتبع دراسته لتاريخ الطبرى بدراسة تاريخ مسكويه الشهير المعروف باسم «تجارب الأمم» ، يتبين أن مؤهلات الثانى لكتابة التاريخ أعظم من مؤهلات سلفه . كان مسكويه قد عمل مدة طويلة فى خدمة ركن الدولة وعضد الدولة ، أضحت لديه ميزة كبيرة وفرتها معرفته الشخصية بمشاهير رجال عصره ، وقدرته على الحصول على المعلومات من مصادرها الأصلية . أضف إلى ذلك أنه كان ملما بمناهج الادارة وأساليب الحرب مما يسر له وصف الأحداث وصف عارف ، والحكم على التصرفات والسياسات حكم واقف على دقائقها . وبينما نجد الطبرى مقلا فى ذكر اقتصاديات الدولة ، نجد مسكويه يفيض ويدقق ويوضح ذلك الجانب الحيوى من التاريخ السياسى .

وهو أمين وموضوعى فى أحكامه فبالرغم من خدمته البويهيين ، لا يخفى جرائمهم ، بل يقسو أحيانا فى أحكامه عليهم . وكان بخلاف الطبرى الذى كان مفسرا للقرآن وفقيها مرموقا ـ قليل الاهتمام بالأمور الدينية ، ومن الممكن أن يقرأ المرء مجلدات «تجارب الأمم» دون أن يخمن ـ سوى من فقرة واحدة ـ أن مؤلفه مسلم . وهو يكشف بالأخص عن مقدرة كبيرة على تصوير الشخصيات ، وبيان مفاسد العصر ، ورواية المناظر المفزعة التى لا يسهل نسيانها متى ما قرئت مرة واحدة ، مثل محاكمة الحلاج وصلبه ، ووفاة ابن الفرات ، واعتقال الوزير ابن مقلة .

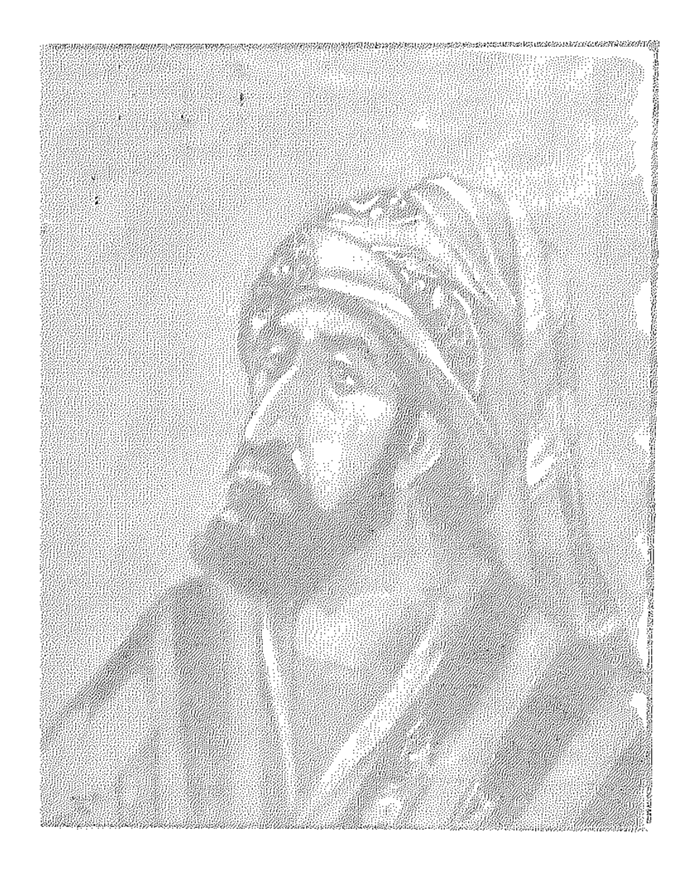
كذلك كان لمسكويه فضل عظيم فى فلسفة الأخلاق ، وهو الذى تبحر منذ حداثته فى دراسة الأخلاق الفارسية واليونانية ، وأكسبه انغماسه فى الحياة السياسية والاجتماعية تجارب شخصية

خصبة ، وعنى بمعرفة النفس وأحوالها ودرسها دراسة وافية . ثم شرع يؤلف فى هذا العلم كتبا كثيرة أهمها «تهذيب الأخلاق» و «الفوز الأصغر» ، وكتاب الفارسية هو «جاويدان خرد» أى «العقل الخالد» .

وعنده أن النفس جوهر بسيط غير محسوس لحاسة من الحواس ، تدرك وجود ذاتها بذاتها ، وتعلم أنها تعلم وأنها تعمل وهى ليست جسما بدليل انها تقبل صور الأشياء المتضادة ، كمعنى الشجاعة والجبن . وهى بطبيعتها تواقة إلى المعرفة ، كما أنها وحدة يكون فيها العقل والعاقل والمعقول شيئا واحدا . ويعرّف مسكويه الخير بأنه مابه يبلغ الانسان غاية وجوده ، ويحقق ذاته .

والناس مختلفون فى الاستعداد للأخلاق ؛ فمنهم من هم خيار بطبعهم ، وهم قليل ، ومنهم من هم شرار بطبعهم ، وهم كثير ، ثم قوم لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، مستعدون لأن ينتقلوا إلى الخير أو إلى الشر بالتربية . أما الله فهو الخير المطلق ، والأخيار جميعا يسعون فى الوصول إليه . وهو يفرق بين الخير والسعادة ، فالخير هو ما يقصده الناس من حيث هم ناس ، أما السعادة فهى للفرد ، ولايكون الفرد سعيدا إلا بتحقيق مقتضيات طبيعته .

أما أساس الفضائل عند مسكويه فهى محبة الانسان للناس كافة . وبدون هذه المحبة لا تقوم جماعة قط . كما أن الانسان لا يحقق ذاته إلا بالعيش مع ابناء جنسه بمعونتهم .. وهذه المحبة لا تظهر آثارها إلا فى جماعة أو مدينة ، فإذا كان



الرجل انطوائيا منعزلا أو راهبا ناسكا ، فلا يمكن الحكم على أعماله بالخير أو الشر .

لقد كتب فى الأخلاق قبل مسكويه ادباء كابن المقفع والجاحظ . غير أن كتاباتهم فيها كانت مجرد حكم أو نتف صيغت صياغة رشيقة ، ولكن دون تبويب أو ترتيب . أما مسكويه وأبو بكر الرازى فقد وضعا للأخلاق نظاما شاملا وفلسفة كلية ، وجعلا منها علما على غرار علم الأخلاق عند أرسطو وغيره من الأغريق .

أبو بكر الرازي

٨٦٥ - ٩٢٥ م

من أعظم الأطباء والفلاسفة المسلمين . خلّف كتابات جمة فى كل الموضوعات العلمية والفلسفية التى كانت تدرس فى زمنه ، ولايزال بين ايدينا اكثر من خمسين مؤلفا له ، من افضلها رسالة فى الجدرى والحصبة ، ترجمت الى اللاتينية واليونانية والفرنسية والانجليزية . واعظم كتبه هو «الحاوى» الذى كان بمثابة موسوعة لكل المعارف الطبية حتى زمنه . وقد عرض بصدد كل مرض آراء المؤلفين اليونانيين والشاميين والهنود والفرس والعرب ، مضيفا ملاحظاته من خلال تجاربه العملية ، ومعبرا فى الختام عن وجهة نظره . وله مؤلفات قصيرة تتناول العنصر الانسانى من الطب ، مثل : عجز الأطباء -حتى امهرهم- عن مداواة كل الأمراض ، لماذا يفضل الناس المشعوذين والدجالين على الأطباء المهرة ؛ لماذا يصادف جهلة الأطباء والعامة والنساء من النجاح مالا يصادفه العلماء من الأطباء ..الخ .

● اما فى مجال الفلسفة فقد كان الرازى من العقليين الذين يؤمنون بالله وينكرون النبوة . وإذ كانت أبحاثه عقلية محضة ، وابحاث المعتزلة عقلية دينية ، فقد نقدهم الرازى كثيرا ، كما لم يرض عن إخوان الصفا لأنهم فلاسفة دينيون . وقد تأثر بأقواله فى النبوة القرامطة من المسلمين والملاحدة من النصارى . وقيل إنه الف كتابا اسمه «نقض النبوة» ذكر فيه أن النبوات أضرت بالناس ، وتسببت فى كسلهم وتواكلهم وضيق عقولهم ، كما تسببت فى إثارة العداوة والحروب بينهم . وقال إنه من أجل ذلك كان المتدينون أعداء للفلسفة ، وأن أمثال افلاطون وأرسطو افادوا الانسانية أكثر مما أفادها الأنبياء .

وللرازى فى علم الأخلاق مساهمة جليلة لا تقل قدرا عن مساهمة مسكويه .

وقد سبق بنتام وجون ستيوارت ميل بمئات السنين فى تأسيس مذهب المنفعة على اللذة والألم اللذين رآهما أساس الفضائل

والرذائل . فعنده أن الفضيلة إنما عدت فضيلة لرجحان منافعها على مضارها ، أو بعبارة أخرى ، رجحان ما ينتج عنها من اللذة على ما ينتج عنها من الألم . والرذيلة بالعكس . وفضيلة تفضل فضيلة لكثرة لذائذها ، وعمل يفضل عملا بما ينتج عنه من لذائذ . ويرى الرازى أنه ليست للفضيلة ولا للرذيلة قيمة ذاتية . كما يرى أنه ليس هناك لذة إيجابية ، وإنما اللذة عدم الألم . فالأكل لذيذ لأنه يضيع ألم الجوع . وإذا نحن حللنا كل لذة وجدناها عبارة عن دفع الألم .



وهو يعيب العشق والمبالغة فيه ، ويذهب إلى أنه لايغرق فيه إلا الخنثون من الرجال والمترفون ، لاسيما إن أكثروا من قراءة القصص الغرامية ، ورواية الرقيق من شعر الغزل ، وسماع الأغانى . واللذة التى يتصورها العشاق وسائر من كلف

بشىء ، كعشاق الرئاسة والتملك ، هى أن ينالوا المطلوب ، مع أنهم لو فكروا فى وعورة الطريق ومهاويه ومهالكه ، لبدا مرا ما حلا ، وصغيرا ما بدا لهم بسبب الشهوة عظيما . والعشاق يجاوزون البهائم فى عدم ضبط النفس .

وأما احتجاجهم بكثرة من عشق مع الأدباء والشعراء ، فحجة داهية ، لأن الشعر والفصاحة والأدب أمور لا تحتاج إلى كمال العقل والحكمة ، وقد تكون مع نقصهما .

وأما قولهم إن العشق يدعو إلى النظافة واللباقة والهيئة والزينة ، فما يسمح بجمال

الجسد مع قبح النفس . ويتحدث عن الاتصال الجنسى فيرى أنه يضعف البصر ويهد البدن ويقلقه ، ويسرع بالشيخوخة ، والهرم ، ويضر بالأعصاب ، وأن الأقلال منه يحفظ على الجسم رطوبته فتطول مدة النشوء والنماء ، وتبطىء الشيخوخة والجفاف .

وكان الرازى مديرا لكبرى مستشفيات بغداد ، وشهد الناس له بأنه أعظم أطباء عصره . ويقال إنه اشتغل فى حداثته

بالكيمياء حتى أثرت العقاقير فى عينيه فقصد طبيبا ليعالجهما . فلما طلب الطبيب خمسمائة دينار أجرا للعلاج ، أدرك ما فى الطب من مكسب ، وقال : هذه هى المهنة

لا ماكنت فيه ! ثم درس الطب . غير أنه كان كريما إلى أقصى حد ، بارا بالفقراء ، يعالجهم فى مستشفاه دون أجر ، ويجرى عليهم الجرايات الواسعة .

● حول السرقات الأدبية ●

● اطلعت في عدد ابريل ١٩٩٠ ، من "الهلال" ، تحت عنوان "حول السرقات الأدبية" على قضية السيد/نبيل سليم بالاسكندرية ، وقد رايت أن من واجبي أن أدلى باقوالي في هذه القضية ، خاصة أن لدى "مستندات" يمكن أن تضم إلى ملف القضية ، بل إن لدى ما أطلق عليه "ملف نبيل سليم ، ومن هم على شاكلته" .. ويضم هذا الملف أكثر من عشرين مقالا من نوع السرقات الأدبية .

١ ـ تساءلت مجلة "الهلال" عن حقيقة نقل السيد/نبيل سليم ، لمقال نشر في مجلة ليبية .. وأود ان أؤكد أن السيد/نبيل سليم ، قام بالفعل بنقل مقال الدكتور/محمد الدسوقي ونشره في صحيفة الأسبوع الثقافي الليبية عام ١٩٧٥ ، وكان مقال الدكتور الدسوقي تحت عنوان "طه حسين كما عرفته" ، وقد قام السيد سليم بتغيير اسم المقال الى "طه حسين ـ الانسان والشاعر" ، ونشره في مجلة "الدوحة" في ديسمبر ١٩٨٤ . وعلى اثر ذلك بعث الدكتور الدسوقي برسالة الى مجلة الدوحة ، نشرت في عدد فبراير ١٩٨٥ ، كشف فيها هذا الزيف ، كما أرسل للمجلة صورة زنكوغرافية للمقال الأصلي وبهذه المناسبة ، فان لدى المقال الأصلي ، وكذا مقال السيد نبيل سليم ، لمن يريد الاطلاع عليهما .

٢ ـ تساءلت مجلة "الهلال" عن حقيقة نقل السيد/نبيل سليم ، لمقال علمي من احدى المجلات ، ونشره في مجلة العربي .. والحقيقة أن نبيل سليم قد قام فعلا بنقل مقال علمي من مجلة "طبيبك" التى كان يرأس تحريرها المرحوم الدكتور صبرى القباني ، وكانت المجلة قد نشرت في العدد ١٦٣ الصادر في مارس ١٩٧٠ ، مقالا تحت عنوان "ان لجلدك عليك حقا" ، فاخذ نبيل سليم هذا المقال ونشره في مجلة العربي في العدد ٣٣١ ـ يونيو ١٩٨٦ ، وتحت عنوان "جلدك هو كنزك" . وعلى اثر ذلك تلقت العربي عدة خطابات من القراء ، لتفضح هذه السرقة ، وازاء ذلك توقفت العربي عن نشر اى مقالات للسيد نبيل سيلم . وبهذه المناسبة ، فان لدى المقالات موضع الشكوى ، لمن يريد الاطلاع عليها .

٣ ـ الجديد الذى لم تذكره مجلة "الهلال" :

أ ـ قام نبيل سليم ، بنقل مقال الكاتبة "بيدار مدكور" ، المنشور في مجلة "الشباب وعلوم المستقبل" تحت عنوان "مادة من البنسلين لا تسبب الحساسية" وهذا المقال منقول حرفيا في مجلة الدوحة ـ عدد اغسطس ١٩٨٤ ـ تحت عنوان : "علاج جديد يمنع الاصابة بالحساسية" باسم نبيل سليم .

ملحوظة : لدى المقال الأصلي ، والمقال المنسوخ .

ب ـ قام نبيل سليم ، بنقل مقال الكاتبة "نائلة محمد ابراهيم" ، المنشور في مجلة الشباب وعلوم المستقبل ـ تحت عنوان "الاندروفينات" ـ الأمل المرتقب لعلاج الاضطرابات العقلية" والجدير بالذكر ان السيد نبيل سليم ، قام بنقل هذا حرفيا ، ثم أعاد نشره في مجلة الدوحة ـ العدد ١٠٣ ـ يوليو ١٩٨٤ ـ تحت عنوان "هل الفنون جنون ؟ فن التصوير يكشف عن علاج جديد لأمراض العقل !" وللمرة الرابعة ، أؤكد أنني على استعداد لارسال المقالين لكل من يطلبهما ..

جـ ـ نقل نبيل سليم حرفيا مقال "بالعقل الاليكتروني تصل الى الرشاقة" المنشور في مجلة الشباب وعلوم المستقبل ، بقلم : وجدى رياض .. مع قليل من الزيادات ، في مقال تحت عنوان "كل قليلا واضحك كثيرا هذه روشتة السلامة" وذلك في مجلة الدوحة ـ عدد يناير ١٩٨٥ وللمرة الخامسة ، أؤكد أن المقالين في حوزتي ، لمن يريد الاطلاع عليهما .

د ـ نقل نبيل سليم حرفيا مقال "أصماغ مختلفة داخل أجسامنا لها علاقة بامراض كثيرة" ، المنشور في مجلة الشباب وعلوم المستقبل ، بقلم "نائلة محمد ابراهيم" .. مع تغيير المقدمة فقط ، في مقال تحت عنوان "سر المواد اللاصقة والأمراض القاتلة" ، وذلك في مجلة "بلسم" التي تصدرها جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ـ في قبرص وذلك في العدد ١٤٣ ـ مايو ١٩٨٧ . وكما أكدت انفا ، فالمقالات جميعا لدى .. الأصل والصورة .. أرسلها لمن يريد .

هـ ـ قام نبيل سليم ، بنقل مقال "مواد فعالة لعلاج الأورام" ، المنشور في مجلة الشباب وعلوم المستقبل ـ العدد ٨ ـ السنة الرابعة مارس ١٩٨١ ، بقلم الدكتورة / فاطمة عبدالقادر . قام بنقله حرفيا "ثلاث صفحات كاملة بالقطع الكبير" ، ثم أضاف للمقال خاتمة ، وقام بنشره تحت عنوان "القضاء على السرطان" في مجلة الوعي الاسلامي ـ العدد ٢٧٨ ـ صفر ١٤٠٨ هـ الصادرة عن وزارة الأوقاف الكويتية . ولدى المقالات .

ولعلي أكتفي بهذه المقالات كنماذج ، لما يحدث على الساحة الثقافية من تجاوزات أليمة ومحزنة .

وبهذه المناسبة ، فان ملف "السرقات الأدبية" الذى أعكف على تجميعه منذ سنوات طويلة ، يحتوى على مقالات أخرى لكتاب أخرين ، بعضهم من ذوى الأسماء الرنانة على الساحة الثقافية العربية .. واذا كانت قضية السرقات الأدبية ، من شواغل مجلة "الهلال" ، فانني على استعداد لتزويدكم بكل ما لدى من نصوص ، تخدم القضية .

فوزى عبدالقادر الفيشاوى
مدرس علوم وتكنولوجيا الأغذية المساعد ـ كلية الزراعة ـ جامعة أسيوط

● تعليق الهلال .

ـ أن هذه الرسالة التى تلقيناها من الأستاذ فوزى عبدالقادر الفيشاوى ،

واضحة الدلالة فى اثبات السرقات الأدبية المتكررة التى زاولها السيد نبيل بجرأة غريبة تدعو الى الدهشة ، وإننا ندعوه أن يتوقف عن السير فى هذا الطريق ، وأن يترك الكتابة تماما اذا كان لا يستطيعها الا بسرقة أعمال سواه من الكتاب ..

وننشر فيما يلى ردا وافانا به نبيل سليم ، يدل على انه لا يملك ما ينفى به الأدلة الدامغة التى تثبت سرقاته الأدبية .. وهذه هى رسالته :

• دفاع عن السرقات الأدبية •

● قرأت فى هلال ابريل ٩٠ ، وفى زاوية "أنت والهلال" تعقيبا على ردى على مقال محمود قاسم ، وفى اتصال هاتفى سابق أجريته معكم فى أوائل مارس الماضى ، وعدتم بنشر ردى كاملا ، ولم تفوا بوعدكم ، وتعللتم بان مقالى "كان شديد الطول ، ولا يرد ردا شافيا على الأسئلة التى اثارها محمود قاسم فى مقاله" ؟! ورغم أن مقال محمود قاسم نفسه كان شديد الطول ، فمن الطبيعى أن يكون ردى طويل ، لأنى قمت بالرد على كل ما أثاره ، وبالترتيب الذى أورده فى مقاله ، وهو فى جملته "حملة شعواء" ثم لخصتم مقال محمود قاسم فى ثلاثة أسئلة بخمسة أسطر فقط ، فلماذا لم تنشروا هذا الملخص بدلا من مقاله ؟

وسؤالكم عن مقال الدوحة يؤكد أنكم لم تقراوا ردى الذى ذكرت فيه ملابسات هذه الواقعة ، ورغم ذلك أقول لكم ثانية أن المقال كان تأريخيا عن د . طه حسين .

وأن أى كاتب عندما يؤرخ لابد له من مصادر يعتمد عليها وبالذات اذا كان من سيؤرخ عنه ليس من جيله كما أنه رحل عن الدنيا ، وقد استعنت بمقال الجريدة (وليس المجلة) الليبية ، لكن سقط اسم المصدر من مقالى .

والدليل الثانى : انكم اثرتم سؤالا غريبا ، لا يثيره الا من لم يقرأ ردى ، فقد نسبتم لى قولا لم اقله إذ تقولون بالنص "تقول أنك مدرس بقسم العظام والجامعة تنفى ذلك" فلا أدرى من أين أتيتم لى بهذه الوظيفة الجديدة ؟ .. فانا أعمل أستاذا مساعدا "وليس مدرسا" للجراحة العامة وليس للعظام .

أما الدليل الثالث : فهو سؤالكم عن نقل مقال علمى لمجلة "العربى" .. فرغم أنى ذكرت الرأى القاطع فى مجال النشر العلمى ، وذلك فى ردى السابق ، وهو أن العلم مشاع ، لأننا نستقى علومنا من الطبيعة ، وقد اعترفت "العربى" بذلك ، وأرسلت نص اعترافهم فى مجلتهم مع ردى السابق ، إلا أنى أقول لكم أيضا مرة ثانية ، وكما ورد فى ردى فى المجلة العربية والذى سبق وأرسلت لكم نسخة منه أيضا ، بلن المقال العلمى هذا

كان منشورا فى مجلة "كولز" العلمية ، وأعيد نشره مترجما فى مجلة "طبيبك" وقد أخذت من الترجمة ما يتفق مع النص الأصلي واضفت اليه ما حققه البحث العلمي من جديد ، وهذا هو أسلوب البحث العلمى ، إذ لا يمكن لأى باحث علمى ان يبدأ من فراغ دون اصل ثابت أمامه ، من هنا كان مقالي دراسة مجمعة لم أقم على تاليفها او ابتكارها ، فحق التاليف يتحقق فقط في الفنون الابداعية كالأدب والموسيقى وغيرها كما جاء فى الموسوعة العربية الميسرة ص ٧٢٧ .

الدكتور نبيل سليم

● تعليق الهلال :

- واضح من رد السيد نبيل سليم أنه مصمم على المضى فى طريق السرقات الأدبية بدعوى أن حق التاليف يتحقق فقط في الفنون الابداعية . كما جاء في الموسوعة العربية الميسرة ، وهو يرى ان الموسوعة العربية تفتح له الطريق للاستيلاء على ثمرات جهود الاخرين ووضع اسمه عليها وقبض الأجر بالعملة الصعبة عن نشرها ! .. ونحن ندعوه مرة خرى الى التوبة الى الله عن السطو على ثمرات أقلام الاخرين ..

● ديوان عبدالوارث عسر ●

● لم أكن أعرف أن الفنان المرحوم عبدالوارث عسر كان شاعرا من الطبقة الأولى حتى قرأت قصيدته التى نشرتموها فى عدد مايو الماضى ، فهي من أجود الشعر حقا ، ولا تقل عن شعر كبار الشعراء المجودين ، وقد كنتم على حق إذ وصفتموه بانه شاعر فحل مجود ، لأن من يستطيع تجويد شعره حتى يبلغ به هذا المستوى يستحق هذا الوصف حقا ..

بقى أن أضم صوتى الى الأصوات التى تستصرخ السيد الأستاذ الدكتور سمير سرحان رئيس هيئة الكتاب أن يستخلص ديوان عبدالوارث عسر من براثن صغار أو كبار الموظفين الذين يعجزهم جهلهم بالشعر عن معرفة القيمة العظيمة للشاعر عبدالوارث عسر ! .

محمد عبدربه النبى الشافعى
اسيوط

● تعليق الهلال :

- تلقينا عشرات من رسائل القراء تعقيبا على ما نشرناه حول مأساة ديوان الشاعر الكبير الفنان عبدالوارث عسر الذى احتبسه بعض الموظفين بهيئة الكتاب فى ادراجهم ، وقد اخترنا هذا التعليق الذى يراه القارىء كنموذج للتعليقات الكثيرة التى تلقيناها ويضيق المقام عن نشرها مع الأسف ! ..

• أغدودتان للحزن الأخضر •

١ ـ ودمعة ..
دفنتها فى جبهة النهار
سقيتها من دمى المنهار ..
تباسقت غصونها ..
فظللت طيورها الأشجار !
. . . .
وبسمة ....
سكبتها فى بهجة المساء
فاينع الخواء ..
بنفسى الجرداء !
وبددت سيماءها الأنواء !
. . . .
٢ ـ الا انتظر .. ؟
فان مهرة الأحزان
تسبق الدموع ان لكزتها ..
ومهمة الأوهام فيه متسع ..
لحوقة الغربان .. حيث باقة الصبار
سلة المنى القفار !؟

يوسف عبدالعزيز على
كلية الآداب بقنا

• الشاعر عبدالرحمن شكرى •

تعلمنى الأقدار ان ارحم الودى
فقلبى لكل العالمين رحيم
وانظر فى نفسى واعرف عذرهم
على شرهم ، داء النفوس قديم

وان جميع الناس أهل واخوتى
وان كان فيهم جادم وذمي م

ولد الشاعر عبدالرحمن شكرى فى بورسعيد فى ١٢ اكتوب عام ١٨٨٦ ودرس باحد الكتاتيب عندما كان عمره ثمانى سنوات وفى سن التاسعة درس بمدرسة الجامع التوفيقى الابتدائية ، ومنها حصل على الشهادة الابتدائية

عام ١٩٠٠ وانتقل الى مدرسة ثانوية بالاسكندرية ودرس في مدرسة رأس التين الثانوية وحصل على البكالوريوس عام ١٩٠٤ والتحق فى نفس العام بالقاهرة بمدرسة الحقوق ودرس القانون لمدة عام واحد . ففى عام ١٩٠٥ - ١٩٠٦ فصل من مدرسة الحقوق لاشتراكه في المظاهرات ضد الاستعمار الانجليزى وفي عام ١٩٠٦ التحق شكرى بمدرسة المعلمين العليا تخرج فيها عام ١٩٠٩ ، وكان متفوقا مجيدا للغة الانجليزية وارسل فى بعثة تعليمية الى جامعة شيفيليد بانجلترا ومكث هناك ثلاث سنوات درس خلالها التاريخ الأوربى والانجليزى والاقتصاد والاجتماع والفلسفة والسياسة الى جانب اللغة الانجليزية وادابها وفى عام ١٩١٢ حصل على درجة البكالوريوس من الجامعة ، اتيحت له خلال البعثة الاطلاع على الطبيعة والأدب الانجليزى .

ومؤلفات الشاعر عبدالرحمن شكرى ٩ دواوين "اضواء الفجر ، لآلىء الأفكار ١٩١٣ ، اناشيد الصبا ١٩١٥ ، زهر الربيع ١٩١٦ ، الخطوات ١٩١٦ ، الافنان ١٩١٨ ، ازهار الخريف ١٩١٩ ، شعر عبدالرحمن شكرى ١٩١٩ .

مختاراته الشعرية في مجلدين مخطوطين .

ومن كتبه النثرية الاعترافات ١٩١٦ ، الثمرات ١٩١٦ ، حديث ابليس ١٩١٦ ، الصحائف ١٩١٨ ، الحلاق المجنون ١٩١٩ .

مقالاته : ١ - دراسات أدبية ونقدية نشرت فى مجلة الرسالة والمقتطف بين ١٩٣٥ - ١٩٣٩ .

٢ - دراسات أخلاقية .

٣ - تاملات كبار الكتاب والادباء والمفكرين الأوربيين .

٤ - موضوعات اسلامية .

٥ - ذكرياته .

٦ - وسائل شخصية لم تنشر .

ففى الديوان الأول اضواء الفجر عام ١٩٠٩ ، مدح ورثاء لبعض الأصدقاء والزعماء المصلحين امثال مصطفى كامل ، محمد عبده ، قاسم امين .

اتجه الشاعر الى التامل الوجدانى فى المعانى التى تكمن وراء الأحداث والاشخاص وفى القوانين التى تحكم سير الحياة الانسانية واتجه الى القضايا الكبرى التى تواجه ضمير المفكر المعاصر ولاسيما قضية الافلاس الخلقى والروحى التى تعانيه البشرية فى القرن العشرين ووصف الحالات النفسية المختلفة لصاحبها ووصف آلامه وامآله والتعبير عن اشواقه الروحية التى تطمح الى حياة اكمل واجمل من حياتنا هذه .

الفساد الخلقى : نشأ شكرى وعاش فى عصر حافل بالاضطرابات والأحداث الجسام فى تاريخ مصر وتاريخ العالم .

ففى الديوان الأول عام ١٩٠٩ شكوى من ينعى قومه وفيها ينعى على المصريين خمولهم وجمودهم .

قد اداروا من الخمول عقارا
واستباحوا من الذهول وقارا

واستكانوا فانفذ الدهر فيهم
حكمه واستقر وحاقد اعادا

سلك العجز فيهم مسلك العز
م فظلوا يدون فى المجد عسارا

رجب عبدالحكيم بيومى الخولى
ليسانس لغة عربية القاهرة

• الفقيه المجدد الشيخ الغزالى •

تابعت سلسلة مقالات الدكتور محمد عمارة بمجلة الهلال عن الفقيه المجدد الشيخ محمد الغزالى ، فانا من الذين قرأوا معظم اثار وانتاج الشيخ ، وقد كنت اتمنى أن ينال الشيخ حظه من التركيز فى وسائل الاعلام المسموعة والمرئية وخاصة ان انتاجه الغزير يؤهله ويزكيه ، خاصة وان الرجل "أطال الله فى عمره مواليد ١٩١٧ م" مازال يثير جدلا فكريا كبيرا حتى اليوم وأقرب مثال ما أحدثه كتابه من ضجة "السنة بين اهل الفقه واهل الحديث" ولكننا نشكر للدكتور عمارة انه فتح الباب للباحثين ودلهم على بعض علامات الطريق .

عبدالعزيز النجار
مدرس علوم ـ فوه ـ كفر الشيخ

• امنية النفس •

سمعت القلب يذكرها ∴ وكيف القلب ينساها
برغم الهجر يذكرها ∴ ورغم السهد يهواها
فكم فى الصحو حدثها ∴ وكم فى النوم ناجاها
ففى الأكوان صورتها ∴ وفى الأحلام عيناها
وهذا الزهر بسمتها ∴ وهذا الورد خداها
وهذا البدر طلعتها ∴ إذا ما الليل جلاها

عزت فتحى سعد الدين
كفر ربيع ـ منوفية

• إلى أصدقائنا •

أمنية تتحقق

عزيزى الاديب الأستاذ رئيس تحرير الهلال .

اشتركت بإحدى قصصى فى مسابقة الهلال للقصة القصيرة ، كنت فى بداية الأمر شديدة التشاؤم من أن تحوز قصتى على اى اهتمام ، ووسط دوامة الظروف النفسية التى تحيط بى لم اعبا بمتابعة نتيجة المسابقة ، ولا حتى الحصول على اعداد المجلة ذاتها ، ولكننى فوجئت بان صديقا يخبرنى بفوز قصتى "قبل أن يزول ضوء الشموع" قد حصلت على المركز الرابع فى مسابقتكم .. وكانت مفاجاة سارة بالنسبة لى ، هذه المفاجاة اطاحت بكل الصور المعتمة التى يفرضها علىّ واقعى لتشرق فى سماء نبضى من جديد شمس الأمل !

لقد استعدت الثقة فى كل شىء وفى البشر والحياة .

ميرفت السنوسى

● الهلال :

ـ قصتك الفائزة بالمركز الرابع فى مسابقة الهلال ، تجدينها منشورة داخل هذا العدد ، ونشكرك على رسالتك الرقيقة ونرجو الا تدعى للياس سبيلا الى نفسك ، وأن تواصلى كتابة القصة ، فان لك موهبة واضحة ..

● محمد محمد عبدالعال :

ـ نشكر لكم اهتمامكم بديوان الشاعر الكبير المرحوم عبدالوارث عسر الذى وقع بين مخالب بعض الشعارير فى هيئة الكتاب .. أما مقالة صديقنا الأستاذ أحمد مصطفى حافظ عن الشاعر عبدالوارث عسر والمرفقة برسالتكم ، فقد سبق نشرها فى كتاب متداول ، ولهذا لا نستطيع نشرها ، ونرحب بمقالة جديدة له فى هذا الموضوع ..

● دكتور محيى الدين الباز ـ مدير ادارة تعليمية بمحافظة الشرقية :

ـ مقالتكم عن مجانية التعليم طويلة جدا بحيث تحتاج الى اكثر من عشرين صفحة من الهلال ، ولهذا نعتذر اليك من عدم نشرها ..

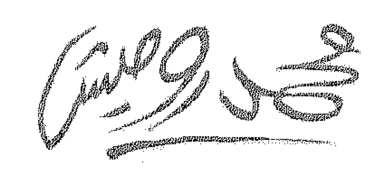
● خالد السيد على محمد رسلان ـ جامعة عين شمس :

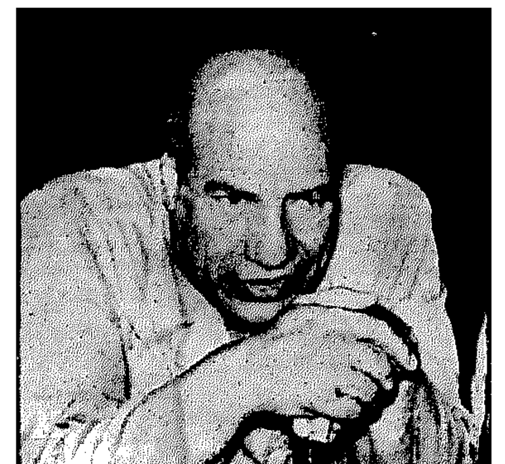
ـ حاول تجويد كتابتك لقصصك قبل ان تفكر فى نشرها ، وانت مازلت فى أول الطريق ، والمستقبل مديد ان شاء الله .. أما اقتراحك فتح باب لعناوين الأدباء الشبان بالذات ، فلم نفهم معناه مع الأسف ! ..

تجاوز حدود الاعتدال

اريد أن أعرض لجانب واحد محدد ، فى مواجهة ماسمى بالفتنة الطائفية ، والتى تتمثل - دع عنك الانفجارات المفاجئة - فى الجفوة المتبادلة ، والجهل المشترك ، من كل طائفة بحقيقة عقيدة الطائفة الاخرى ، فإن كان الدستور ينص على أن الدين الرسمي للدولة هو الاسلام ، فانني أرى ، أن الدولة المصرية الرسمية ، ليست مسلمة فقط ، بل هي مسلمة قبطية ، لأن شعب هذه الدولة ، ببساطة شديدة ، ليس مسلما فقط ، بل هو شعب من مسلمين واقباط ، ولعل الرئيس جمال عبد الناصر ، كان يشير الى شيء من ذلك ، عندما كان يصرح انه رئيس "اى مسئول" عن "كل" المصريين .

هذه الحقيقة ، على المجتمع أن يستوعبها بأمانة ويترتب عليها كل نتائجها ، فى وسائل الاعلام ، وتقلد الوظائف ، لا أن تدخل الدولة فى منافسة ضارة وخطيرة وخاسرة مع التطرف الديني . وماندعو الدول اليه ليس جديدا ، فقد مارسته مصر بعد ثورة ١٩١٩ وحتى الفترة الاولى من ثورة ١٩٥٢ . وماندعو الدولة اليه لايتفق مع سماحها لمسلم ان يسيء لعقيدة الاقباط ، أو العكس . هذه واحدة ، اما الاخرى ، فان واجب الدولة - ايضا - ان تزيل ، غشاوة الجهل ، عن قلوب ابنائها فهذه الآلاف التى تتخرج فى المدارس والمعاهد والجامعات ، من مسلمين واقباط ، لايعرف المسلم عن الارثوذكسية شيئا ، ولايعرف القبطى عن الاسلام شيئا ، ارض صالحة للجفوة والتعصب . والاقتراح ، ان تضع وزارة التربية والتعليم ، كتابا واحدا ، بواسطة راشدين من الديانتين ، يتدرج فى مستواه ، حسب مراحل التعليم ، يدرسه ابناء الوطن الواحد جميعا ، يرسب فى اعماقهم ، قبول مبدأ الاختلاف العقيدى ، وقبول مبدأ الاحترام المتبادل ويحد من تجاوز حدود الاعتدال العقيدى ، وللاستاذ العقاد كتاب "الله" . وهو بحث فى نشأة العقيدة الالهية ، وعرض موسوعى ، للاديان السماوية جميعا ، كل دين من مصادره التى اعتمدها اهله . مما يصلح ان ننسج على منواله . بما يحقق الاهداف الوطنية بعيدة المدى ... للدولة ، وللمواطنين .





الكلمة الأخيرة